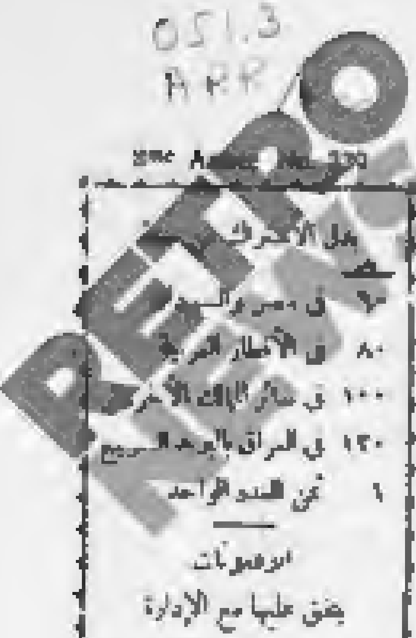

8me Année, No. 339

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

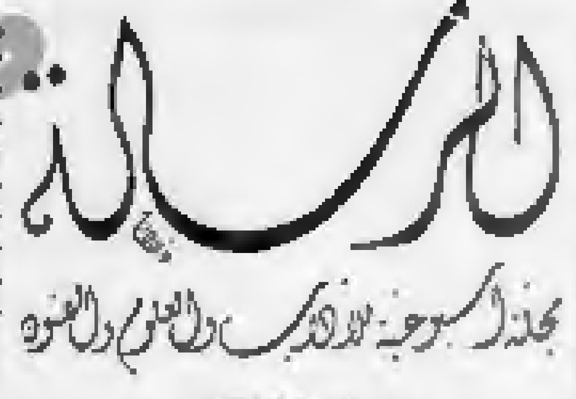

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 1 - 1 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق أول يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس



# الرسالة

## في عامهـــا الثامن

في صباح هذا اليوم يستقبل الناس عامهم الجديد وهو يبرز من حجاب الغيب بروز الجنين من رَحِم الحياة لا تدل معارف وجهه على خير ولا شر؛ وتستقبل الرسالة معهم عامها الثامن وهو يبص في ظلام الغد بصيص الأمل في حواشي اليأس لا يُهتدى إليه الأريب الخبير بعرف ولا نكر. وفي مساء البارحة شيع الناس سنتهم الفارطة وهي تزج بالحوادث الجسام، وتضج بالدماء الحرام، وتكفر بالفاجعة المظلمة؛ وشيعت الرسالة معهم سنتها السابعة وعليها رحمت ونُدوبٌ من جهاد الرأي ونضال العيش وحث الخصومة. وبين الساعة التي تشيع فيها العام الفقيد، والساعة التي تستقبل فيها العام الوليد، يلبس الخلد الفاصل بين ذكرى وأمل، وبين ماضٍ ومقبل، وبين مرحلة ومرحلة من طريق الحياة الطويل الشاق اليوم. وما يوم الناس إلا ذكريات الأمس وأحلامهم في الغد، وما حاضرهم إلا التحسر على الماضي والتخوف من المستقبل. وما بينهم بين سنة وسنة إلا وقفة استجمام بين شوطين: شوط أتعبوا فيه أنفسهم وحسبوا حسابه، وبين سير جديد يخشون أهواله ويجهلون نهايته!

• • •

الدنيا حرب دائمة بين الحياة والموت والصلاح والفساد والخير والشر ؛ ولكن هذه الحرب الخفية قد أصبحت لضرورتها ولزومها جزءاً من نظام الوجود إن لم تكن هي ذلك النظام نفسه . ومن أجل ذلك ألفناها إلفنا قوانين الطبيعة فلا نجزع بها ولا نضيق . فأنا ونفسي ، ومعدتي ومعدتك ، ورأيك ورأيه ، وعلمها وجهله ، في حرب شعبية لا تفتر ، وعداوة مفروضة لا تنكسر . والحياة مع هذا الصراع المستمر زاخرة ، والكون مع هذا الصراع المتصل قائم . ولكن الحرب التي تثيرها أمة على أمة فتزلزل الأرض بالقذائف ، وتشق السماء بالرصاص ، وتعصف البحر بالألغام ، وتهلك الحي بالمرض والسم والنار والقحط ، مثلها كمثل الزلازل والطوفان والزوبعة ، لا يتحقق معها نظام ، ولا يحصل بها عيش ، ولا يستقيم عليها أمر ؛ ثم لا يميز شواظها الجرمة الملتهبة الهوجاء الضار من النافع ، ولا المذنب من البريء .

من الجائز أن تنجو الرسالة من حرب الهوى والخصومة والمنافسة ، فإن الحرب في تنازع البقاء هي السلم ، والضرورة لبقاء الأصلح هي النظام ؛ والسلاح الذي لا يختل في هذه الحرب هو الصدق والصبر والإيمان والمثابرة ، وكلها في مقدور المجاهد الصالح . ولكن من المستحيل أن تسلم الرسالة من شر هذه الحرب الخارجة الطاحنة ؛ فإنها على خطورتها بكل شر وإضرارها بكل شيء ، كانت أقسى ما تكون على الصحافة ؛ قللت منها الوارد من الورق والحبر وأدوات الطباعة ، فنقصت في الكيف والكم ، بقدر ما زادت في النفقة والهم . وقطعت عليها السبيل إلى الأقطار الأخرى بصعوبة النقل وشدة الرقابة وضيق السلامة ، فتعذر وصولها إلى البلاد الخارجة ، وقل انتشارها في الأقطار البعيدة . وشغل الناس بأخبار الحرب وأفكارها وأوزارها وأطوارها وأزمتها وشجنها عن النظر في الأدب اللباب والفن الخالص ، ثم يقرأوا إلا ما يتصل من قريب أو بعيد بهذه القيامة القائمة

• • •

كان من شر هذه الحرب على الرسالة أن كابدت ما كابد غيرها من صحف العالم أزمة الورق ، فاضطرت إلى أن تنقص حجمها بعض النقص ، وتقتصد في زينتها بعض الاقتصاد . ورأت أن تضمن لنفسها استمرار الحياة في هذا الدهر العصيب فطوت ( الرواية ) في أحشائها إلى حين ليتوفر لها ما كانت تنفقه أخيها من الورق ونهلكه من الدقة . وكل ذلك فيما نرى ويرى القارئ الصديق أهون من الجور في الحيوم الشامل ، والقدرية للأمر المطلق

على أن هذه الحرب كربة ستنجلي وأزمة ستنفرج ، ثم يعود كل شيء إلى خير مما كان وأحسن . ولئن ظهر أثر هذه الحرب الضروس على شكل الرسالة وحليتها ، فمعاذ الله أن يتعدى ذلك إلى جوهرها ومعناها ؛ فإن التأثير الخارجي لا يتجاوز الظاهر ولا يتعدى الشكل ؛ وأما التأثير الداخلي الذي يمس الموضوع والجوهر والكنه فمن انبثاق الإيمان والتقى من قلب الكاتب ، وانتشار الاطمئنان والثقة من روح القارئ ؛ وهيهات أن يحور هذين الأمرين ضرر أو قصور أو وهن . وبين الرسالة وقرائها رفد الحمد ألفة وثقة وتعاون ؛ ولولا ذلك ما ثبتت هذه الصحيفة الضعيفة على هزات الحرب وكيد المطامع . ونحن لا نزال نأتسي في أسرة الرسالة الكتابة والقدرة على إرضاء القارئ في كل جهات عقله وقلبه إنما استمر بطيبا الثقة والمودة . وسيرى أن الرسالة من غير أن تقطع وعداً أو تجدد عهداً تسير في طريق الكمال بقدم ثابتة وخطى متزنة ، فلا تسف العقل ، ولا تسرع الشكل ، ولا تجارى المتقطع . والرسالة في أناتها وثباتها لا تخرج عن سنن الطبيعة ؛ فهي مظهر لرقي الأمة العربية في الفكر والخيال والشعور ؛ وهذه النواحي لا ترقى في الفرد والأمة إلا بقدر

• • •

صديقي القارئ ، تعودت في مثل هذا اليوم من كل عام أن أستريح إليك بذكر ما لقيت الرسالة في طريقها الجاهد من أشواك وأشراك ؛ ولكني أخذت أستحي الشباب في سبيل البناء ، وأستعذب العذاب في بلوغ الفوز ، وأستبقي لنفسي تحت الصبر ولواء الألم . وقد شكوت لأشكون إلى الله أن كبراء ما حطوا في أنفسهم حاجة التي لم يعودوا يدركون مس الجليل ؛ وأن أدباءنا قنعوا في تعزيهم عاطفة الأدب فيسروا اليوم من كرمها في كثير ولا قليل ؛ وأن زعماءنا تفرقت بهم السبل بتفرق الغايات ، فللكل غاية دعوة وللكل دعوة سبيل .

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » صدق الله العظيم .

احمد حسن الزيات

# الإنسان والحيوان والحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

غير قليل ما يمكن أن يقال في الإنسان والحيوان والحرب ، فإن الحرب تجمع الفوارق بين الإنسانية والحيوانية على الصراعين على شتى المشارب . وقد تجمع ما بين الإنسان وبين عالم الفطرة والملأ الأعلى كذلك .

فلا وسعنا أن نرد بمقال آخر لأسئلة القراء الذين استزادونا من الكتابة في هذا الموضوع ، وما أحفله بالحقائق والشاهدات ، وما أوسع مسارح القول فيه .

* * *

الإنسان يتهم الحيوان بعدوى الحرب ، ويزعم الحربيون من الأناسي أنها آفة لا معدى عنها ولا دواء لها ، منذ كانت وراثة الطبع الحيواني حيث كان ، مبتدئاً من الجراثيم ومنتهياً إلى الحيوان

وفريق من بني آدم يبرئون الحيوان من هذه التهمة ويحصرون آفة الحرب في أبناء آدم دون سائر الأحياء .

أمصيبون هم في تبرئة آدم ؟ أصادقون هم في تبرئة الحيوان ؟

بعض الإصابة وبعض الصدق لا مراء .

فهم يسألون : أين هو الحيوان الذي يجند الأسراب والقطعان لقتال سرب أو قطيع من جنسه ؟ بل أين هو الوحش الذي يجمع أبناء جنسه لقتال جنس آخر من الوحش في الغاب أو في العراء ؟

والحق أنهم في هذا السؤال محرجون ، فالحرب كما نعلمها في ميادينها البشرية إنما هي خاصة من خواص أبناء آدم ، هم دون غيرهم من الخلائق الحية يجمعون بعضهم لقتال بعض ، ويخرجون على نية القتال حيث لا يقاتل حيوان وهو يعلم أو ينوي أن يقدم على قتال .

فالحرب ولا جدال إنسانية مقصورة على أبناء آدم ، وإن كان العراك نمطاً مشتركاً بين جميع الأحياء .

* * *

وآخرون من الأناسي " الحربيين " يزعمون أن الحرب لا تزول لأن الطبيعة لا تتبدل ... فما كان في النفس قبل آلاف السنين سيبقى في النفس بعد آلاف السنين !!

أصحيح ما يزعمون ؟

صحيح بعض الصحة ، لأن قليلاً من الأقوال يكون صحيحاً كل الصحة في جميع الأحوال .

صحيح ، والشاهد من عالم الحيوان الذي يصمونه بالبغضاء والشكاسة والقتل والقتال .

فأين كلب اليوم من أجداده بين الكلب وأبناء آوى ووحشي الكلاب ؟

كلب اليوم يحرس الحملان والأطفال ، ويموت في سبيل الود والولاء ...

وكلاب الأمس كانوا أخطر شيء على الحملان والأطفال ، وأجهل خلق بالمودة والولاء .

فإذا جاز أن ينتقل الكلب هذا الانتقال وليست له حضارة ولا علم ولا فلسفة ولا حاجة عليا يصير إليها من حاجة العقل ... ألا يجوز أن ينتقل الإنسان مثله أو مسافة أوسع من مسافته ، وهو يعبر المسافة بين جهل الهمج وثقافة المهذبين ؟

* * *

وللحيوان أنصار كثيرون بين أبناء آدم ، أعجب ما في أمرهم أنهم أرفع الآدميين خلقاً وأبعدهم من الحيوانية شقة وأوفرهم من التعليم نصيباً ، فهم — من بعض الوجوه — أحق الأحياء على الحيوان من أولئك الذين يحسبونه بالأعداء والتنديد ، وهم أقرب الناس إليه !

أنصار الحيوان هؤلاء يكتبون العجب هذه الأيام في المودة منه والرحمة به إلى أصحابه من الآدميين . وقلما تخلو كتاباتهم من ظرف وفكاهة ... أما العلم والإدراك فهما ماثلان أبداً فيما يطرقون من هذه البحوث .

لاحظ بعض العلماء المتفرغين للبحوث النفسية والحيوانية من الإنجليز أن الشجار قد ازداد بين الكلاب بعد نشوب الحرب الحاضرة ، فبلغ عدد الكلاب المشروخة التي عالجتها مصحات الشرطة في لندن خلال شهر أكتوبر الماضي أربعمائة وعشرة ، ولم يتجاوز في الشهر الذي قبله مائة وثمانية وتسعين !

أكثر من الضعف في الشهر التالي لنشوب القتال ... فما تعليل ذلك ؟

يقول مستر جورنت Gurnet خبير هذه المصحات : إنها عدوى الإنسان !!

الكلاب ، كما يقول : « مرهفة الحس بما يخالج نفوس أصحابها ، تضيق صدراً إذا ملكت صاحبها الحالة التي نسميها بالعصبية الحربية . وأنت إذا غضبت يوماً من قراءة أخبار الغارات الجوية خرج كلبك متحفزاً للوثوب على أول كلب يراه ، لا يعلم في أي شيء يُقاتل ، وليس لديه ما يسميه الساسة : أغراض حرب أو شروط سلام ، وحسبه أن صاحبه ثائر ، فهو مثله يثور ! »

ثم يقول الأستاذ جونت : « ويجوز أن يرجع هذا المزاج المتكدر في كلاب العاصمة إلى قلة الرياضة لكثرة الغارات الهوائية وضرورة المكث الطويل في البيوت ، أو لسفر أصحاب الكلاب إلى الريف ، ولكن السر الأكبر ولا ريب ، إنما هو تلك النزعة القتالية التي تسري إليها من عشرائها الآدميين » .

أرأيتم إذن ؟

إنه الإنسان الذي يلقح الحيوان بلقاح الحرب والعدوان ، وليس الحيوان بالأستاذ السابق له في هذا الميدان .

والمسألة بعدُ واضحة من غير حاجة إلى هذه الدراسات الحديثة وإن كانت هذه الدراسات مفيدة في النقد بعض المعرفة الجديدة بالطبائع والأخلاق .

فواضح قبل هذه الدراسات أن الإنسان يستعين بالحيوان في حروبه ، ولم يحدث قط أن حيواناً استعان بإنسان في افتراس ضحاياه واغتيال أعدائه .

ومن قديم الزمن يستعين الإنسان بالحصان والكلب كلما وقع في نزاع بينه وبين أبناء جنسه ، وأقل من ذلك عذراً أن يستعين بالحمامة وهي رمز السلام والسلامة في تبليغ أوامر القتال والهجوم . فقد يعذر المستعين بالحصان والكلب على أغراض الحرب لأنهما كانا معه أمس من العصور الغابرة مستعملين في حرب الوحوش — أما الحمامة فما عذر من يقحمها هذا المقحم المخيف ، وهي في غير ما قاله المعري عنها :

غدوا الحمامة ويحا وإن حسبت ... في الصالحات كلحم الصقر والباز

لا تعترض لأيام !

* * *

وبعض الناس في الحرب الحاضرة على سنة آبائهم من قديم الزمن ، لم يعفوا الحصان بعد كل ما كشفوه من الآلات والمركبات . ولا يزال رجال من قادة الحرب يقولون إن له دوراً لا يغني فيه غناءه شيء ، ولا يصلح فيه اختراع .

ولم يعفوا الكلب بعد اختراعهم من أدوات التجسس والاستطلاع ما يغني عن أنوف الكلاب ، بل ضاعفوا الحرص عليها وصدرت أوامر الحكومة الروسية بتحريم خروجها من أرضها إلا أن تكون معها شهادة إعفاء تثبت أنها « غير صالحة للخدمة العسكرية ! »

والجديد فيما سمعناه من مخترعات الحرب الحاضرة أنهم استخدموا الخنازير في بعض الجزر ببحر الشمال للتنبيه إلى الغارات الجوية ، فإذا هبطت الطيارة المغيرة إلى الأرض على غرة من الرقباء صرخت الخنازير صرخة معلومة تنبه الحراس إلى مكان الغارة .

كان الخنزير مشبهاً بالخبث قبل اليوم في غير رهان

أما اليوم فيحسن لمن يقع في شرك أن يقول مقال النبيل أو مقال الاعتراف : إنه من خنزير !

* * *

لكن في الحرب براً من الإنسان بالحيوان وليست كلها شراً في شر وعدواناً على عدوان .

فإذا قلب الناس غداً صفحات الحروب الماضية فسيجدون بينها صفحة من أنصع صفحاتها في هذه الحرب الحاضرة : تلك هي المساعدة التي أنشئت خصيصاً بالجزر البريطانية لوقاية الحيوانات أثناء الغارات الجوية . فأعدت الحكومة مئات الألوف من الصفائح التي تنقش عليها مواطن تلك الحيوانات وأسماء أصحابها وعنواناتهم للدلالة عليها وردها إلى مواطنها كلما شردت من الأرض إلى مكان بعيد عنها ، وندبت الحكومة ألوفاً من متطوعيها للطواف على البيوت والحقول ابتغاء تسجيل ما فيها من فصائل الحيوانات المختلفة وتزويدها بالعلامات الدالة عليها . وأقامت ملاجئ للإسعاف متفرقة هنا وهنالك لإيواء ما يحتاج إلى العلاج والإنقاذ من الحيوانات المصابة أثناء الغارات ، ووزعت الأوامر المتعلقة بها كما وزعت الأوامر المتعلقة بالآدميين .

صفحة ناصعة في التاريخ الحديث ، وحيوانٌ من يجهل أنها مكسب روحي للإنسان قبل أن تكون مكسباً جسمياً للحيوان المصاب ، حتى لو كان باعث التدبير فيها مقروناً بباعث العطف والإشفاق .

عباس محمود العقاد

# فن كتابة القصة

للأستاذ محمود تيمور بك

---

يجمل بي قبل الشروع في الموضوع أن أشير إلى أن الكتابة القصصية يجب أن يتوافر فيها ركنان : الأول : الموهبة ، والآخر : جرىُ القصة على قواعد وأساليبَ معترَفة . فأمرها في ذلك شأنُ الشعر ، لا بد من توافر ركنين فيه : الشاعرية ، وصحة النظم

ومما لا جدالَ فيه أننا قد نجد الشاعر الموهوب ، أعنى من يُلهَم المعانيَ الشعرية فيفيض بها وجدانه من غير تمحّل ، فإذا حاول النظمَ لم تستقم له الأبيات ، لقلة بضاعته من قواعد العَروض ، وجهالة عهده بصوغ الشعر . ومثلُ هذا لا يُعد شاعراً تاماً حتى يُكمِّلَ ما نقصه بالتعلم والمران

وكذلك الشأن في القاصّ ، فقد نجد من أوتي الموهبة ، أعني الذي يُلهم فكرةً أو موضوعاً قصصياً له قيمة ؛ ولكنه ناقصُ القدرة على معالجة موضوعه أو فكرته بالأساليب المتبوعة عند أهل الفن في تَسَنُّن القصة . وفي مثل هذه الحالة لا يسعنا أن نعتبر ذلك الموهوبَ تامّاً مكتملَ النضج

وإذن يجب أن يتوافر للقاص الكامل هذان الركنان معاً ؛ فأما الأول ، وهو الموهبةُ ، وتَحيِيُها الخيالُ الفسيح ، والذهنُ المتوقد ، والعاطفةُ المشبوبة ، فلا كلامَ لأحد فيه ، إذ هو شيء طبيعي ، فإن وُجد في الكاتب تهيأ ليكون قاصّاً في المرحلة الأولى . وأما الركن الآخر ، وهو الاستئناس بالأساليب المتعارفة ، فذلك الذي نخصه بالكلام ، لأنه صناعة ، مرجعُ الأمر في امتلاك ناصيتها المِران والاكتساب

وقد يتوهم البعض — ونحن نذكر القواعد التي يجب على الكاتب القصصي مراعاتها — أننا إنما نقضي على حقه في اتخاذ طريقة خاصة تلائم هواه ، ونَحُدُّ من حريته في اتباع المذهب الذي يراه . والواقع الذي لا يمكن التنازل عنه أن هناك قوانينَ عامةً موجهةَ الجانب في التأليف القصصي ، على اختلاف المذاهب والأهواء ، وأنه إذا خلت القصة من مطابقة هذه القوانين العامة ، شعرَ الناقد لأول وهلة بأن هنا اختلالاً ظاهراً ، وأن هنا شيئاً يجب أن يُعدَّلَ به شيء ، لا دخلَ فيه للطريقة الخاصة ، ولا المذهب الخاص

وهل ينكر أحد أن كل شأن في هذه الحياة يسير على نواميس وأنباء — وَفْق نظام وقانون ؟ فلكم في السيارة ، فرغم اختلاف أصنافها وأشكالها وتعددها أيما اختلاف ؟ نجد أنها — مع هذا كله — يجب أن تكتمل فيها أدوات عامة مشتركة ، إذا فقدت واحدة منها تعطلت السيارة عن السير . وما القصة إلا عمل فنيّ من نتاج الفكر ، يسير كأمثاله من الأعمال الفكرية على نظام دقيق ، تخضع للناموس العام المتعرف به في جميع ألوان الأدب

كذلك قد يعترض علينا معترض فيما نلزم الأخذ به من هذه الأصول والقوانين ، فيرى أن الفنان العبقريّ يصدر عنه العمل الفنيّ المشهود له دون تعلم ودراسة ، ودون تمرّن وتجريب . وجواب ذلك أن كبارَ الفنانين العباقرة ، إنما يلهمون هذه الأصول والقوانين بالفطرة الفذة ، ويهتدون إليها بالسليقة النيرة ؛ فهم يخرجون أعمالهم الفنية بوحي من قرائحهم الممتازة التي يكمن فيها النبوغ . وليس أدلَّ على ذلك من أننا لو سألنا أحدهم عما صنعه في تأليف هذه القطعة أو تلك ، ولماذا لاحظ ، لم يُحِرْ جواباً ، لأن ما أصنعه صدر عن غير وعي منه

وقصارى ما نقرره ، أن هذه الأصول والقواعد التي نلخصها في الصحيفة التالية ، ليست إلا أقيسةً وموازين استخلصت لتكون أساساً تُبنى عليه الأحكام في تقدير القصص الفني ؛ فإن حرصت أن تكون عادلة كل العدل ، لم تحرمْ أن تكون أدنى إلى الصدق وأحق بالاعتبار

ثم إن هذه الأصول والقواعد ، تيسّر القصصيَّ إلى حد ما بصناعة الكتابة في هذا النوع من الأدب ، وترشده إلى الخطوط الرئيسية في القصة ، وتَقِفُه على المميِّزات الأولى بين الخطأ والصواب في التسنن . وما أشبهها في هذه الحالة بعلم البيان والمعاني والبديع ، فعلى الرغم من أن الكلمة الأولى والأخيرة في البلاغة للذوق السليم ، ومخترع الكلام لمقتضى الحال — وضع العلماء قواعد وأصولاً توضح بها أركان البلاغات ، فقالوا : هذه كلمة فصيحة ، وهذه جملة بليغة ، لتميزها بكيت وكيت ، وخلوها من كذا وكذا . ومعلوم أن هذه القواعد لم توضع أولاً ، ثم طلب من الكتاب والمنشئين أن يجروا عليها ؛ وإنما كانت هذه القواعد

نماذج مستظلمة من أمثلة بليغة ، أثر أهل البلاغة بسموها ، واتفقوا على جودتها ، فاستخرجوا منها الأسباب التي رفعتها إلى هذه المرتبة ، وسرعان ما تحولت هذه الأسباب إلى قواعد . وذلك هو منهجنا نحن الآن في القواعد والأصول التي نحاول بسطها ، ونقول إن القصة الجيدة تتميز بها

وإذا وقد بدأنا نحن نجوس موضوعها ، فلنذكر أولاً أن القصة هي عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب ، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته ، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره فأراد أن يعبر عنها بالكلام ، ليصل بها إلى أذهان القراء ، محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه ، وهي تتألف عادة من ثلاثة عناصر رئيسية ، هي : الموضوع ، والشخصيات ، والحوار . وهذا العنصر الثالث ليس من المقومات المحتومة دائماً ، ولكنه لازم في أغلب الأحيان . فتبدأ القصة بالتمهيد للفكرة ، ثم تتطرق إلى ظهور العقدة ، ثم تتوصل إلى حل هذه العقدة أو ما يشبه الحل ، وهذا هو الشكل المألوف في بناء القصة على وجه عام .

ومن القواعد في كتابة القصة ، ما نذكره فيما يلي :

أولاً : أن تكون القصة وحدة فنية . وبهذه الوحدة تتوافر بنية القصة . وما الوحدة الفنية إلا أن يجعل الكاتب همه مقصوراً على إبراز الفكرة الأساسية ، متجنباً جهد الطاقة أن يتطرق إلى آفاق أخرى . وإيضاح ذلك أن يراعي الكاتب حصر همه في جوهر الموضوع ، خالصاً من طغيان الزخرف ، فلا تطغى التفاصيل الثانوية ذلك الجوهر الجدير بالعناية والإيثار . والقدرة الكتابية تظهر في التحكم في زمام الصميم من الموضوع ، كالفارس القابض على زمام جواده لا يدعه يجمح به ما طاب له الجموح ، فواجب إذن أن يخضع الكاتب جواذب قلمه لموضوعه ، ولا يدع للموضوع عنانا لقلمه يجره حيث شاء . فإن استطاع أن يخلص لموضوعه هذا الإخلاص ظهرت أفكار القصة متناسقة ، وخرجت القصة بنياناً متراصاً لا مجير فيه لتير معنى .

ثانياً : أن يراعي في عرض الموضوع جانب التلميح ما أمكن وأن يحذر جانب التصريح . فلا يشرح الكاتب الموضوع ويحلل الشخصيات في شكل مطول ، بحيث لا يترك شيئاً لفطنة القارئ وذكائه . فإذا لم يعن الكاتب بهذا الجانب كان متهماً للقارئ بالبلادة وجمود الذهن إذ يوضح له ما ليس بحاجة إلى توضيح؛ وإذن تخرج القصة مكشوفة لا يجد فيها القارئ لذة التعرف بنفسه ولا يشعر بتشوق إلى ما يجيء منها بعد . فلا بد أن يدع الكاتب للقارئ فرجة يستطيع بها أن ينتهي إلى التصريح من التلميح وأن يشيد الكبير من الصغير ، وأن يشق بخياله - فيما وراء - آفاقاً من التصور والتفكير . وكما أننا نشير بضرورة أخذ الكاتب بالتلميح ، نشير كذلك بألا يجمح إلى الإغراق فيه ، مخافة التورط في الغموض والإبهام ، فيضل القارئ في تيارات لا يقر له فيها قرار

ثالثاً : أن يعنى الكاتب برسم شخصياته ، وأن يجعلها تصدر في أقوالها وأعمالها من منطق الحياة التي أراد لها المؤلف أن تعيشها بنواحيها الظاهرة ، ونواحيها الخفية أيضاً ؛ حتى إذا مضى القارئ في تفهم هذه الشخصيات ، وتصور ما يقع من أعمالها ، لم يجد نفسه مصطدماً بشيء غير مألوف يأباه المنطق أو الذوق . وما أجدر أن يلتفت الكاتب كل الالتفات إلى هذا الجانب من البراعة في التحليل النفسي ، فإنه يتوقف عليه شطر عظيم من قيمة القصة .

رابعاً : ألا تكون الشخصيات بوقاً ينقل ما يلقي إليه المؤلف من الكلام ، فيكون المتكلم هو المؤلف نفسه على لسان هذه الشخصيات الببغاوية . والواجب أن يكون للشخصيات كيانها المستقل ، وأن تكون حية في حركاتها وسكناتها ، وأن يحس القارئ من أعمالها حرارة هذه الحياة ، ويعرف من خلالها ما تتميز به من شمائل وخصائص . فلا تتكلم هذه الشخصيات إلا بالأسلوب الطبيعي الذي يلائم نفسيتها ، ولا تعمل إلا وفق الحوادث على منهجها المرسوم لها . وبناء على هذه القاعدة ، لا يجوز أن يخلع الكاتب على شخصية بائسة ، بأن يجعلها تقول : أنا بائسة . ولكن يحاول أن تفصح الحوادث نفسها عن بؤس هذه الشخصية . وهنا إلا إذا كان الموقف بطبيعته يستدعي أن تتكلم الشخصية بلسانها ، لتفصح عن حالها

خامساً : حتم أن يكون للكاتب قصة مس ، وإلا كانت القصة لغواً لا جدوى له . والقاص - كشأن كل فنان آخر - مصور الحياة في مختلف ألوانها ، مترجم عما يختلج في رأسه وما يجيش في صدره من معان ومشاعر ؛ فهو إذا كتب قائماً يكتب لتصوير هذه المعاني وإيضاح هذه المشاعر . ويصح أن نشير في هذا الصدد إلى أن معاني القاص في الغالب ، إما مستمدة من الواقع الذي هو مل‍ء سمعه وبصره ، وما هو في نطاق الجو العام الذي يعيش فيه . وإما أن تكون هذه المعاني مستخرجة من صميم

النفس البشرية ، تلك النفس الخابئة بغيوبها ، المغلقة بأسرارها . إلا أن المجد الأدبي لا يكون إلا من نصيب القصة التي يحلق كاتبها بأسلوبها ومعانيها إلى أواسط الإنسانية الباقية بجلال الهول والألغاز . فرغبتنا إلى القصاص ألا يعنوا كثيراً بالموضوعات العابرة التي تتغير مسائلها بتغير الزمان ، والناس حولها في كل يوم شعور خاص ، وحكم خاص ؛ فإنه إذا تبدل الوقت أصبحت هذه الموضوعات نسياً منسياً ، وذهبت قيمتها الاجتماعية والفنية

سادساً : يجب ألا تكون الفكرة التي يعالجها الكاتب في قصته مصوغة في قالب موعظة أو حكمة ، وألا يظهر فيها تحبيذ شيء أو النهي عن شيء . بل يجب أن تكون الحكمة أو الموعظة مطوية في مضمون الحوادث ، خالصة إلى القارئ دون صورة ظاهرة من المؤلف ؛ وأن يكون القصد أو المعنى كامناً في أعطاف السرد ، غير ملحوظ بالكلام المكشوف . وذلك هو الفرق بين القصة والمقالة ، فالقصة ليست منبراً للخطابة وإلقاء المواعظ ، بل هي معرض للتصوير والتحليل ، يوحي برموزه وظلاله وإشاراته إلى القارئ بالغرض الذي يرمي إليه الكاتب القصصي

سابعاً : يحسن ألا تخلو القصة من عنصر التشويق ، وأعني به أن تستحوذ على القارئ في أثناء قراءته نشوة وروعة تحفزانه إلى متابعة القراءة في نشاط وانتباه . ونلفت النظر إلى أننا لا نعني بعنصر التشويق أن يتطلب الكاتب مهرباً يفتعل الحوادث افتعالاً ليصل إلى هذا الغرض ، حاسباً أن ذلك هو الذي يبعث التشوق ، فإنه حينئذ يقع في أشياء سخيفة مصنوعة يبدو عليها التكلف والاجتلاب . فلا بد من الحذق واليقظة في هذه الناحية بحيث يكون فن الكاتب قادراً على أن يجعل مظاهر التشويق جزءاً طبيعياً من سياق القصة ، فإنه بذلك يضمن انتباه القارئ ونشاطه ، ويوفر له وسائل اللذة والاستمتاع

ثامناً : ما يجب أن يجري عليه الكاتب في تحرير قصته من وجهة اللغة . ونقدم لذلك بأن اللغة العربية في ذاتها لغة موسيقية ، لألفاظها وأساليبها رنين وإيقاع . وقد أسرف كتاب العصور المتأخرة في استغلال هذه الموسيقية بالمغالاة في الاستعارة ، والإكثار من المترادف ، والتزام السجع والطباق وما إليه . فباتت الصناعة اللفظية مبدأ كان فيه القالب أكبر من المعنى وأوسع مجالاً . ثم جاء العصر الحديث ومعه بموضوعاته الحيوية ، ومعرفته الاجتماعية والفنية ، مما لا يحتمل الزركشة والزخرف . فأرغمت اللغة على أن تكون التوافق على قدر المعاني بغير إخلال لما تقتضيه خصائص اللغة من الموسيقية الأخاذة . فيجب أن يعنى الكاتب إذن بلغة قصته ، فلا يبالغ في المحاسن البيانية من نحو الاستعارة والتشبيه والترادف ، بل يجعل الألفاظ على أقدار المعاني جهد المستطاع . ولا يغيبن عنا أن بلاغة الكتابة تكون بمراعاة المقام ، فالإطناب مستحب في مواقف الإطناب ، والإيجاز مطلوب في مواقف الإيجاز . بيد أن هناك شيئاً يجب مراعاته على كل حال ، وهو تجنب الأسلوب المبتذل ، ونعني بالابتذال في الأسلوب استعمال الألفاظ الشائعة شيوعاً يفقدها الرونق والرواء ، والوقوف عند التراكيب الركيكة التي لا تستبين بها قدرة اللغة على التصرف في الأداء والتعبير . وإذا كان على القصصي أن يعرف للمعنى حدوده في الأداء ، فإنه باعتباره أديباً عليه أن يتخير اللفظ الرشيق والتركيب الشريف

وبعد فليست هذه كل القواعد التي يجب أن تبنى عليها القصة ، وإنما هي معالم رئيسية اجتهدنا في استخراجها ، ونرى وجوب اتباعها في القصص الفني

ونختم كلمتنا مصرحين بأن هذه القواعد نفسها لا تهدي القاص الناشئ ، قدر ما يهديه اكتسابه للملكة التي يستفيدها من موفور اطلاعه على الآثار الفنية المعترف بها ، وحسن تفطنه إلى ما فيها من أسرار الجودة والإبداع .

محمود تيمور

---

# غيمة الأسلوب

## « لكاتب من الكتاب »

( يتم عليه أسلوبه )

كنت أرسلت إلى مجلة الرسالة كلمة أسطور بها قلبي ، ولم أذيلها باسمي الصريح ، وإنما اكتفيت بالإشارة إلى أني « كاتب من الكتاب » فرأيت صاحب « الرسالة » يضيف إلى هذا الرمز عبارة « يتمّ أسلوبه عليه »

فهل كُتب عليّ أن أعيش فريسة الظلام فأنتقل من كرب إلى كرب إلى أن تدركني غيمة الأسلوب ؟!

وأين المفرّ من معالم الظلام إذا صح أني لن أنجو من غيمة قلبي ؟...

إن الرجل لا يتمّ أسلوبه عليه إلا بعد أن يصبح « كاتبا من الكتاب » بحسب رأيه الموازين ، وأنا كاتب من الكتاب منذ أعوام طوال ، فما الذي غنمتُ من براعة القلم ورشاقة الأسلوب !

ما الذي غنمتُ وأنا أستنشق القلم منذ أكثر من خمس وعشرين سنة بعزيمة أقسى من الصخر وأصلب من الحديد ؟

ما الذي غنمت وقد كنت كاتبا وشاعرا قبل أن يولد فريق من الذين تؤذيني متدهم غيمةُ قلبي ؟

وهل أستطيع أن أطمئن إلى أن قلبي سيشفع لي إن قلتُ إن صحبته أمر مني وأني أحتاج إلى الراحة بضعة أسابيع ؟

وهل للقلم دولة في هذه البلاد حتى يجعله وسيلةً إلى الراحة من بعض المتاعب ؟

وكيف وما كانت متاعبي في دنياي إلا مكاره ساقها قلبي إلى قلبي ؟

وهل يُراعي القراء ما تطوّق به أعناقهم من ديون ؟

قد علمتُ أهل زماني أناشيد أنطقتُ بها في صدورهم من أحلام ثائرات ، وأحييتُ بها ما في قلوبهم من مَوَات ، فأين من يُسعدني بكلمة صدق أدفع بها عدوان زماني وأخلص من ضجيجي في الصبح والمساء ، وأضمن السلامة من غيمة الأسلوب ؟

وأين في الدنيا كلها من يترجم لعبير الطائل حين يمسكه المرض أو الموت ؟

احتجزني فلان في الطريق ساعة أو بعض ساعة وهو يحاورني في شؤون دقيقة من خصائص حياتي الأدبية ، فظننته — وهو من أهل الجد — يحاول أن ينصفني من زماني ، ثم عرفت — وا أسفاه ! — أنه يجمع المصادر لمقال يكتبه يوم أموت !

وفلان الذي صرح ألف مرة بأني شعلة من اللهب القدسيّ هو نفسه فلان الذي يرى اليوم أن أدبي من أعظم ذنوبي ، وأن من الواجب أن أتوب !

أتوب ! أتوب !

أنا أحب أن أتوب من صحبة القلم ، ولكن أين السبيل إلى القلب ؟

وهل يمكن ترك الصديق بسهولة ، أيها الناس

أعطوني شيئاً من قدرتكم على نسيان حقوق الأصدقاء ، لأنسى حقوق قلبي !

علموني كيف أغدر وكيف أخون ، لأستطيع التمرد على قلمي وبياني !...

خذوني إليكم ، أيها الساخرون من صولة القلم والحق ، لأتخلص من صحبة القلم والحق !

خذوني إليكم في ملاعبكم وملاهيكم ، عساني أنسى جاذبية البؤس في صحبة قلمي وكتابي !

قد أظلمتُ في زحمة اليقين التي كنت أفزع إليه حين تكربني صروف الزمان ، فأين أنتم لأشكو إليكم ما جنتْ أيديكم ؟

وأين السبيل إلى ترنيم الغناء الذي كنت أستظل به من قبل أن أنخدع بالبريق الذي أزعم به فؤادي ؟

أين ؟ أين ؟

أتذكر الآن كتاب لامرتين عن سفر أيوب Le poème du Jobe

فقد صرح بأن الدنيا لو تُركتْ صروحها وذهب ما فيها من

روائع الفنون والآداب ولم يبق غير سِفر أيوب ، فكان كتابًا في تسجيل ما تعاني الإنسانية من مصائب وحتوف .

وهل عانى أيوب في زمانه بعض ما عانيت في زماني ؟

أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد اليقين !

وأنا فقدت الثروة والعافية واليقين . أعاذ الله من أشباهي !

وأيوب استطاع أن يطلب ربه بقصيد رنّان وهو في أمان من ثورة الجمهور ، فظفر بالخلود في عالم الفكر والبيان .

وأنا لا أملك مناجاة ربي بسطر واحد خوفًا من رئيس التحرير ، وخوفًا من شيخ الأزهر ، وخوفًا من محكمة الجنايات وخوفًا من تهمة الأسلوب ! ! !

وأين محنة أيوب في دنياه من محنتي في دنياي ؟

كان المشوار لعهد أيوب يكون للرجل شهرًا أو شهرين ، وأنا في عهد يهان فيه الرجل إذا اكتفى بالمشوار يومًا أو يومين ، فمن يُطلعني على دعوى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟

وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهي اليوم مقسمة تقسيمًا يصدّ المجاهدين أعنف الصدود .

وكانت البحار لعهد أيوب مصادر خيرات ، وهي اليوم مواقع ألغام ومسارب غواصات .

وكانت السماء لعهد أيوب مساقط غيث ومذاهب نسيم ، وهي اليوم مدارج طائرات ومصادر خطوب .

وكان الظالم لعهد أيوب يؤلّب عليه رجلًا أو رجلين أو بضعة رجال ، لأن الظالم لم يكن يملك غير صناعة اللسان ، أما الظالم في هذا العهد فيستطيع أن يؤذي بمقال في جريدة أو مجلة يقرأها ألوف أو ملايين ، ويذهب شرها إلى من أعرف ومن أجهل في الشرق والغرب .

وكان قوم أيوب يعدّون بالألوف ، أما قومي فيعدّون بالملايين فبلواي بالمنسوبات أعرض من بلواه .

وكان لأيوب أعداء وأصدقاء ، أما أنا فلي أعداء وليس لي أصدقاء .

وكان أيوب نبيًا تهابه الأرض وتهابه السماء ، أما أنا فكاتب من الكتاب تنفر منه الملائكة وتأنس به الشياطين .

وصارت ثورة أيوب على بلاياه شعرًا خالدًا يرتّل في المعابد والصوامع ، أما ثورتي على زماني فستضاف إلى الأدب الرخيص الذي لا يقام له ميزان .

ومع ذلك كان حزنه أهلًا للحمد ، وصار حزني أهلًا للملام !

أيوب !

إليك كلمتي ، أيها الزميل في الأحزان !

إن النبوة عصمتك من كيد القائلين والحاقدين ، فلم تذق طعم الإيذاء في سبيل الحزن النبيل ، والله الذي لم يولني شرف العصمة أولاني شرف الإيذاء في سبيل الحزن النبيل

فأين مكانك من مكاني ، مع أني عبدٌ مذنب وأنت نبيٌّ معصوم من الذنوب ؟

كانت البداوة لعهدك لا تعرف من المصابيح ما يشغل بصرك عن نجوم السماء ، أما البداوة لعهدي فتعرف المصابيح في النهار قبل أن تعرفها في الليل ، ومع ذلك لم تشغل بصري عن نجوم السماء

وكانت الدنيا لعهدك لا تعرف الضجيج ، فكانت تصل الخطرة إلى خواطر قلبك

والدنيا لعهدي كلها ضجيج وأزيز وهدير ، وأنا مع ذلك أصغي إلى قلبي وأدرك ما فيه من خواطر الوساوس والأحلام والأضاليل

فإن ناجيت ربك وفي يمينك كتاب النبوة فقد ناجيت ربي وفي يميني كتاب المحنة بوطني وزماني

فيا نبي الله ، كيف تسبقني إلى رحمة الله وأنا أكثر بلوًى منك ، وإن كنت أحق بها منك ؟

أيوب !

أنت تألمت وتوجعت لأن الداء كان المتجل إليك ونقصك ، فكيف ألام على التألم والتوجع وقد أهلك الطاعون أصدقائي وأحبابي ؟

أيوب !

من عرف أني أسلمت من ... ما لم ... عنك ؟

... أنك ... كما عرفت ... مصيبتك

وهانت عليك!

... يا أيوب ... في عمر الصديق.

وقد ... سائراً في التاريخ ، فهل عرف كيف تكون ... وهي في الأصل ... القلب !

وأنا ... يا أيوب ، فقد ... كثيراً من كيد الحاقدين من الأصدقاء.

فهل ... مع هذه الشواهد أنك أصبر من الصابرين بين الباكين والباكيات ؟

... ولا ... الصديق،

ولم تشهد كيف ... ولم ... الأعادي

ولا ... الأصحاب ، وهل لك ... عن ... إليه ويسيء إليك

فكيف ... إلى رحمة الله ، يا أيوب ؟

... كلها ، ... في الآلام ...

فأنا أحب أن أخرج من الدنيا بلا جزاء ... لأستطيع القول بأن نصيبي من البلاء ... ما لم يعان أيوب ، عليه السلام

وأنا مع هذا أعترف بأن ... الزمن ... لأن ... أخلاق الزمن

وما الناس ؟ وما الزمن ؟

يمكن أن أصبح وأنا ... الناس والزمان

... من الكلام

# الرسالة في سنتها الثامنة

## تدخل الرسالة عامها الثامن ابتداء من هذا العدد وهي أقوى ما تكون اعتماداً على فضل الله وعطف أنصارها في تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من ... وغلاء ... في العالم كله ستستمر الرسالة على ... كما ... ويصدر عددها الممتاز ... من الآن إلى آخر شهر ... فسيكون الاشتراك في الرسالة ...

٦٠ ستون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر ... ويكون للمشترك الحق في ... يساوي خمسة عشر قرشاً من الكتب ...

٥٠ خمسون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان للمعلمين الإلزاميين وطلاب المعاهد والمدارس تدفع في ... ويكون للمشترك الحق كذلك في ... يساوي خمسة عشر قرشاً من كتب ... ويجوز ... دفع الاشتراك ...

والاشتراك في البلاد العربية كالاشتراك في مصر من حيث القيمة والهدية ... وهو أربعون قرشاً في العراق ، وعشرون قرشاً في سائر البلاد العربية

## الـــرواية

أما الرواية فستظهر مؤقتاً في الرسالة حتى ... بشكل أنيق ونظام أحسن ... الرسالة بما ... من الأمور ... بالأقصوصة فيكون في كل عدد ... أقصوصة أو أقصوصتان من أبدع ما ... أو ...

اشتراكك في الرسالة ... لك ... معارف [illegible]

# الأدب الفنلندي

## للأستاذ صديق شيبوب

جذبت أنظار العالم إلى فنلندة بمناسبة الحرب الفاشية التي خاضت غمارها في جرأة وصمود، حتى حدث أن وجه الاهتمام إلى آداب هذه الأمة الباسلة، فقد فاز الأديب الفنلندي سيلانبا Sillanpaa بجائزة نوبل التي يطمح إلى نيلها كبار الأدباء، ومنحوها لأدب ذات حظ عال.

وقد كان هذا الحادث الأخير مدعاة لجمهور الأدباء والناقدين في العالمين القديم والجديد، لأن الفكرة التي كانت شائعة عن الفنلنديين مركزة في ولعهم بالألعاب الرياضية وتفوقهم فيها، إذ كانوا قد كرسوا في الألعاب الأولمبية التي تقام في شتى بلدان العالم بفوز لاعبيهم بأكثر من جولة.

وقد رأينا — في هذه الناحية — أن نلم بالأدب الفنلندي لبيان مراميه ومناحيه.

* * *

يتطبع الأدب الفنلندي بطبيعة البلاد التي نشأ فيها وأخلاق سكانها. ونحن نعلم أن فنلندة تقع في الشمال الأقصى من أوروبا، ذات غابات كثيفة وبحيرات عديدة، شتاؤها طويل، وصيفها نهار دائم. يسكنها شعب قاس جلد تمرسه أهوال البرد والجوع والحروب، فاكتسب من فصلها صلابة وقوة، ومن طول الشتاء ميلاً إلى التأمل والأحلام. فلا عجب إذا اختلف في طبيعته عن الشعوب اللاتينية وعن الشعوب الجرمانية التي تمت إليه في أصله، وإذا ظهر أدبه في شكل يلائم أحواله وبيئته.

إنه يبحث في الأدب والفنون عن وسائل التعبير عما يجول في نفسه بطريقة تختلف عن وسائل الأمم الأخرى. وقد ظهر هذا في رسائل غربية عجيبة، أو في الآثار غير منتظرة، فلشعوب الجنوب دقة التعبير ووضوحه، وهما من مميزات شعوب البحر الأبيض المتوسط.

والأمم الغربية قد تأثرت بثقافة فكرية وفلسفية واحدة، غير أن الناحية الخلقية استطاعت أن تحافظ رغماً عن ذلك على طابعها في كل إقليم، فظهرت في شكل يلائم كل بلد، وبعث كتاباً يختلف عما هي في البلاد الأخرى.

لذلك نجد الأدب الفنلندي يعبر عن أحلام سكان الشمال الأقصى وما تضمره من وحشة الوحدة وخيال واسع، ويعبر عن الشكوى والحزن، وسماحة القلب والطبع، كما يعبر عن طبيعة البلاد الغابية فيظهر في أسلوبه كأنه نبع مستمد منها، وروايات تصف هذه الطبيعة ومواهبها وعناصرها.

كان قدماء الفنلنديين يعيشون بين أحضان الطبيعة القاسية، فلا عجب إذا رأيناهم في عصرهم الوثني يؤلهون عناصرها ومظاهرها. وقد استنتج الباحثون من الأغاني التي ترجع إلى ذلك العهد أنهم كانوا يعتقدون بالأرواح في كل شجرة أو صخرة، ويعتقدون أن الغابات والبحيرات مأوى للآلهة. ونجد هذه الاعتقادات في بعض أغانيها من ملحمة «كاليفالا» Kalevala.

وقد ظل الفنلنديون يدينون بالوثنية إلى القرن الثاني عشر، أي إلى أن بشرهم الأسوجيون بالنصرانية، ولكنهم ظلوا إلى اليوم متأثرين بخرافاتهم ومعتقداتهم القديمة. ولما شع عصر الإصلاح في أوروبا تأثر به الفنلنديون في أوائل القرن السادس عشر، فتحرروا من الكهنوت الذي تحكم فيهم من قبل وأخضعوا بحكم عقولهم في أمور الدين للمنطق وتفسير كتبه.

ثم مر قرنان بعد ذلك، وجاء القرن التاسع عشر، والأدب الفنلندي في سبات عميق لا يظهر له أثر. ولعل ذلك يرجع إلى أن دولة أسوج التي استولت على فنلندا منذ القرن الثاني عشر نشرت بها لغتها حتى طغت على لغة أهل البلاد الأصلية وكادت تزيلها من الوجود لولا أن قيض للفنلنديين في ملحمته «كارليل» Carlile احتفظت باللغة الفنلندية وحفظت أغاني الشعبية في تمجيد أبطالها ووصف شجاعتهم وجرأتهم.

ولما خلعتها ضمتها جارتها وتأثر بها الأدب الأسوجي الحكم من استيلاء روسيا عليها سنة ١٨٠٩ وكفت إلى عصر النهوض. ولكن الروابط الأدبية والثقافية بين روسيا وفنلندا جاءت على عكس الروابط السياسية، فكلما حاولت روسيا ربط الصلات السياسية والإدارية بينها وبين دوقية فنلندا الكبرى ازداد الفنلنديون شعوراً بقوميتهم وتمسكاً بعنصرهم. ويعد أحد الأدب الفنلندي في أوائل القرن الماضي ولم يجب أن نربط على كل الاجتماعية

التي كانت قائمة في أوربا في ذلك العهد

* * *

كانت الفنلندية تجمع الأغاني والقصائد الوطنية الحماسية ووضعها في شكل ملحمة أول مظهر للأدب الفنلندي

كان الشعب يحفظ هذه القصائد ويتناقلها بطريق الرواية، وكان لزاماً على من يعنى بجمعها أن يطوف بالبلاد ليبحث عن رواتها ويتلقاها عنهم

وقد قام «إلياس لونرو Elias Lönnrot» بهذه الرحلات فجمع ما استطاع جمعه من تلك الأناشيد الوطنية. وكان يعتقد أن هذه القصائد المشتتة أجزاء متناثرة من ملحمة شعبية مفقودة، زالت خلال القرون المتتالية. ويعتبر النقاد اليوم هذا الاعتقاد خطأ؛ ولكنه نتج عنه عمل جديد شجيع وجديد في الأدب الفنلندي. ذلك أن «لونرو» كان شاعراً، وقد ساعدته هذه الموهبة على ضم القصائد وإنشاء صلة بينها حتى خرجت في شكل ملحمة قد لا يجد فيها بعض النقاد الشروط الفنية لنظم الملاحم كما يجدونها في الإلياذة مثلاً، ولكن الذين يعجبون بها من الفنلنديين يعتبرون أنها فريدة في بابها من حيث أنها الملحمة الوحيدة التي اشترك في وضعها جمهور الشعب

أما القصص المروية في هذه الملحمة، التي أسماها جامعها «كاليفالا» فمتنوعة جميلة. كان الشعب الفنلندي وثنياً يؤمن بالرقى والتمائم ويعتقد أن الطبيعة ملأى بالجن، بعضهم الخير وبعضهم الشر، وأن الجن لا يتدخلون في شئون العالم إلا إذا طلب إليهم السحرة ذلك. فالسحرة هم بمنزلة الكهان يحفظون عبارات الطلاسم السحرية التي يستطيعون بها أن يتجهوا إلى الشياطين لاجتناب أذاهم أو اجتلاب خيرهم. ومكانة هذه الطائفة الساحر شخصاً ممتازاً في شئون الحياة، فهو الحكيم العليم ببواطن الأمور، وهو الطبيب الشافي من كل داء، وهو الشاعر المنشد والمغني المطرب. ويظهر أن الشاعرية عند هذا الشعب قد تفتقت من ألفاظ السحر الغريبة

وهذه الصبغة الدينية في الملحمة لم تساعد على خلق ميثولوجية على الطريقة الإغريقية المعروفة عند الشعوب الأخرى حيث نجد العقل المفكر يخلق الآلهة التي وصل إليها ما كتبها. أما عند الفنلنديين فقائماً على غير هدى؛ لأن شاعرهم يخلق آلهته لا يجمع بين وجودها أو ما يرمز إليه ... «كاليفالا» بما يستقل منه على الرغم ... في أمثلة ذلك عن القصة ما يشير إلى ... بين الآلهة، ويظن الباحثون أنه كان إله السماء في ديانة الفنلنديين القديمة

ومثل الصبغة في الكلام هي التي جعلت هذا الشعب سارحاً في قصصه، لأن ما رواه ملحمته الطويلة ليس سوى حكايات أطفال وهو وجه الغرابة فيه، وهو أيضاً ما يجعلها في أكثر الأحيان عديمة حداثة ... إلى الأطفال إذا وضعوا قصة جاءت لا رأس لها ولا ذنب، كما يقولون، أو لا أول لها ولا آخر، لأنها تعتمد على المفاجآت الغريبة والأعمال العجيبة تكرر ما روي إلا أنه ... آخر. ويظهر أن خيال الشعوب في عصرها الساذج لا يختلف عن خيال الأطفال الصغار

وهنالك ظاهرة أخرى تجعل ملحمة «كاليفالا» تختلف عن غيرها من الملاحم. ذلك أن الملاحم القديمة كالإلياذة والأوديسة ... نرى فيها ... سيرة لأبطال ... بينما لا نجد في الملحمة الفنلندية شيئاً من هذه؛ لأن موضوعها وجه خيال ساذج جامع، يحدث ... من الناس والأشياء والآلهة والقادة والأبطال

على أن جزءاً من هذه الملحمة تحوي اعتقادات الشعب الفنلندي وتصف العواطف الأصلية في قلب الإنسان

وقصة الخليقة كما جاءت فيها تعطينا صورة الشباب وسذاجة القلوب الطاهرة، وهي تتحدث في مستهلها عن «إيلماتار» ابنة الهواء، التي ... من الوحدة وظلت تتقاذفها الأمواج في وسط المحيط الضخم حتى جرى ما يأتي مما ننقله عن الترجمة الفرنسية:

«جاء طائر جميل من نوع البط فطار باحثاً عن موضع يبني فيه عشه. طار شرقاً وغرباً، وطار جنوباً وشمالاً، ثم ... على موضع يبني فيه عشه الصغير ومسكنه الجميل

طار طويلاً محلقاً في الفضاء يفكر قائلاً: ... أبني على ... على متن الهواء، أم أبني بيتي على صفحات الماء، فيمزق الهواء ... وتتلاقف الأمواج بيتي

« وعندما أخرجت عروس الهواء الأمواج الجبلية من الخضم الواسع ركبت متجهة نحوه مكاناً للعصفور يبني فيه عشه المرير

« كان العصفور الجميل لا يزال عالقاً في أعلى ركبة العروس، قائمة على منعطف اليد الزرقاء كأنها قطعة أرض خصيبة

« نهض من طيرانه، وحط على الركبة وبني عشه، ووضع فيه بيضه، وكانت بيضها ذهباً وواحدة حديداً

« وأقام الطائر على البيض يحضنه ليفرخ حتى وصلت الحرارة إلى ركبة الإلهة، وحضن العصفور بيضه يوماً، ويوماً آخر، وفي اليوم الثالث شعرت عروس الهواء بأن الأمواج الجبلية تحرق ركبتها حتى ظنت أن ركبتها تحرق وأن جسمها يذوب

« فحركت ركبتها وسقط البيض في اليم وغاص في جوف الخضم وتكسر

« ولكن البيض لم يصل إلى قعر البحر، ولم يضع في جوفه لأن كل جزء منها تحول إلى أشياء نافعة صالحة، فتحول أسفل قشرة البيض إلى الأرض وأعلاها إلى قبة السماء، وصار ما يصفر منها الشمس الساطعة، وما يبيض منها القمر المنير، وما تناثر منها من القشر نجوماً ترصع السماء »

يجوز من الفقرة التي هي القصة إبهاماً كثيراً لأنه لا يعلم جيداً ما يرمز إليه الأديب. فلنذكر ما جاء فيها من أشياء طريفة ولماذا جعل عدد بيضه ستاً ذهباً وواحدة حديداً؟ ولعلها كانت وسيلة لخلق صور جديدة، وهي على كل حال صور خلابة ساحرة.

إن تبويب ملحمة « كاليفالا » موضوعاً يحب إلى الموضوع الإنسانية كانت شبه شخصية من ذلك قصة الأم التي فقدت ولدها فصرخت في الأرض باحثة عنه حتى وجدته جندلاً، فبعثت فيه حياة جديدة، وهي رمز إلى الأمومة بطريقة شعرية بسيطة أنظر كيف أخذت الأم تبحث عن ابنها

« بحثت الأم عن الضائع، وبحثت عن ابنها المفقود، فاجتازت المستنقعات كما تجتازها الذئبة، وخرقت الصحراء كما يخرقها الدب، وطافت بين الحقول والشواطئ، وبحثت بين الأشجار ثم فتشت الأرض تنظر ما تحت العرق وجذوع الأشجار

« بحثت طويلاً من دون أن تعثر عليه، بحثت طويلاً وتحدثت إلى الأشجار تسألها عن المفقود، فتنهدت شجرة الصنوبر، وقالت شجرة السنديان: إن لدي من الهموم ما يلهيني عن ابنك، فقد خلقت لمصير تاعس ولمستقبل أليم مؤلم، خلقت حطباً للنار أو بناء الأكواخ

« بحثت طويلاً من دون أن تعثر عليه، بحثت طويلاً ثم عادت إليه، وتقدم الطريق إليها فانحنت أمامه وقالت له: أيها الطريق الصغير الذي صنعه الله، ألم تر ولدي، هاتي التفاحة، عصاي الذهبية الفضية؟

« فأجاب الطريق بتكبر، وعنده من الهموم ما لديه: إن لدي من الهموم ما يلهيني عن ابنك، خلقت لمصير تاعس ولمستقبل أليم مؤلم، خلقت لتدوسني الكلاب وتطأني أقدام الفرسان، وتسحقني الأحذية الثقيلة

« بحثت طويلاً من دون أن تعثر عليه، بحثت طويلاً ثم التقت به، وتقدم إلى القمر فانحنت أمامه وقالت له: أيها القمر، أيها الكوكب الذي خلقه الله، ألم تر ولدي، هاتي التفاحة، عصاي الذهبية الفضية؟

« فأجاب القمر وهو الكوكب الذي خلقه الله وظل في إبانه: إن لدي من الهموم ما يلهيني عن ابنك، خلقت لمصير تاعس ولمستقبل أليم مؤلم، يجب علي أن أسير في الليل وحيداً، أظل ساهراً وأن أسهر في ليالي الشتاء الطويلة، وأن أختفي في فصل الصيف

« بحثت من دون أن تعثر عليه، بحثت طويلاً ثم عادت إليه، وتقدمت الشمس إليها فانحنت أمام الشمس وقالت: أيتها الشمس المنيرة التي خلقها الله، ألم تري ولدي، هاتي التفاحة، عصاي الذهبية الفضية؟

« وكانت الشمس تعرف شيئاً عنه، فأجابت كوكب الشمس: أيتها الأم، إن ابنك التاعس قد اختفى، لقد أغرقوه في نهر « توني » تحت المياه السوداء، في مياه « مانالا » الأبدية، لقد أخذته التيار إلى شلال « توني » في وادي « مانالا » »

يلاحظ على هذه المقطوعة أنها في شكل أغنية شعبية تعجب من يعيش بعيداً عن جمال الشعر، وكأنما يعبر عنه عن عواطف جنائنية. والمعروف أن الأغاني الشعبية تعبر عن مشاغل الشعوب وحروبهم، ولا تعرض لحياة عناصر الطبيعة وما يحيط بها من إحساس متعب، لأن الشعب لا يهمه إلا ما هو فيه، ولأن التعبير عن حياة عناصرها الطبيعية يتطلب الدقة والفكر

(البحث صلة) — صبحي سرور

# تحيـــة الرســـالة

في صباح عيدها الثاني

للأستاذ محمود الخفيف

---

صباحك مشرق أعلامها … وعيدك يا عيد أيامها
صباح تهلل في المشرقين … وضيء الأسرة بسامها
على جانبيه نور الشموس … وقد غشي الفجر أكمامها
وكم أطاريه المستكين … كروب الحياة وأوهامها
من الشرق أسمع تارتها … وأن من الليل إظلامها
محارب يشكو صدا القناة … وكم شكت مصر آلامها
وكم هبت الكون من الرشيد … وأنصب الدهر ربعها
غشاها ومضى يطلق … وقد عرفت مصر إعظامها
وكم صدت من ركبها المطلب … لحبت على الليل أعوامها
تعالى لهامتي تهو لها … ويمتزج النفس أنسامها
فلا صبها العجاب الرجاء … إذا استلهم الرأي أصاحبها
ويصبو المعتز وكم طاف منه … خيال يساور أحلامها
وربى الأفق سلطان مصر … وينتهي الورد أعلامها
بيشر أحلامه القاليه … ويعود إلى الحق أحكامها

* * *

تحيي الرسالة في المشرقين … بلاداً تؤمل أرحامها
تلاقي على الشاطئ أبطالها … ومأرب مركز للغد أقوامها
فما الشرق إلا سمت موطناً … ويروي يحو الشرف أكوامها
يطوف به له سطوع اليقين … تقاسم حب الأذى أنسامها
يحب لماضيه كل حر … ومد الفلك بكبر إسلامها
يحين يشيد خطتها في الجهاد … وجل عن الشك أحكامها
ألم تر مغشيتها المهدي … وقد أرهف الحق أقلامها؟
ويرسل صريعها في الأمور … إذا استحيل العصر إرنامها؟
وكم سمعت صفحات النفوس … وتنكشف في الشرق أسقامها؟
تعلمها كيف تأتي الفرات … وترحم حق ولم إرغامها
تروض على النزكي في عوطها … عقول الصلاة وأرحامها

وكم بدعة ساقها المبطلون … فراحت تحقر لحصحاب
فما يحصى يجب الأمر … فا حسن الأهل أعجب

* * *

تجدد في الجيد عيد الوفاء … وقد صحب الصدق أقصاها
إذا أعجب في اختلاف الأمور … جلت العرفية إعجابها
وسير من حلمها عازف … يحاول بالشيب إلحاحها
وتقدم كتبها في الحياة … تريك من الخير إسحابها
لها صفحة في مجال الخلود … ينابع في الشرق من والها

* * *

نبوه شعري ميسم أربعة … وجعص الصادع عامها
وما المجد يوماً لتيار العلى … فتيَّ صدقها ولمهاتها
عرفت عهدها شعشتها … وحلمت يجدد أعوامها
بدأت بها أمس تلك المسيرة … ومن أبلغ الدهر إلهامها

# وصـــف ديك

للأستاذ عبد الرءوف جمعة

---

وديك كأن الشمس يسطع ضوؤها
عليه بالرأس تبر وترهص
على رأسه المرجان تاجاً يزينه
ومنقاره المعتاد أو هو أشقر
على جيده ثوب من الدر لامع
كمثل مياه الشمس في الصبح أصفر
وصيد أصرف من عندم ابن هاني
ومن كل نيسان من الورد يقطر
بنا صاح في جوف الدجى صيحة
يقول لأهل الحق إذا أكبر
وإن صاح في وجه النهار صيحة
يقول لي لكنوا : هلا وزمجر
لمن له مه من الحشق لازمي
وداع يحمي الليل متوان يفتر
ألست تراه شامخ الرأس مطلقا
عليه على الأكتان ريش وعسجد

## صنع في انجلترة!

جلسنا نتحدث فانتقل بنا الحديث من مثل إلى مبلغ شعورنا بقوميتنا ومبلغ حرصنا على مظاهرها، ورحنا نتساءل هل نحن كرماء لنصيبها حقاً، أم أن في الأمر شيئاً غير التكبر؟ واحتدم الجدال كالمعتاد وعلت الأصوات، وتشعب الكلام واضطرب نظامه، وساءت مخرج جميعاً حديثها وستريحها في ذلك الضجيج المتصل. وكانت أشد الدعاوى إيلاماً لنفوسنا أنا قوم نقلد في غيرنا ونحمل على أي حوة أي سوقنا حسنا نريد.

وقطع هذا الضجيج دخول صديق لك في رفقته شاب أخذ يقدمه إلينا، فحيانا، ثم جلسنا برهة صامتين، ومالت أنظارنا إلى هذا الشاب الذي جدت معرفتنا به. وما هي إلا برهة حتى ملت إلى أن سنتأثر هذا ونقع منه على شخصية أضيفها إلى ما عرفت من أشباهها من الشخصيات التي لا تكاد تتفرق إحداها عن صاحبتها في شيء.

ولي تسلية من هذه الشخصيات التي عرفت فما أستطيع أن أدعك منها أصناً، بيد أني أميل إلى تبين في كل شخصية منها، فقد يجري الأمر في ذلك مجرى التسلية، إلى حد أن ما يؤلم يضحك كما جاز أن في المصائب ما يضحك.

ونظرت فإذا صاحبنا يضطجع في مقعده ويشمخ بأنفه، ويضع إحدى رجليه على الأخرى أولاً، ثم يمدهما معاً إلى حيث يستقر قدماه على مقعد خال وهلالا مبالاة بالجالسين في غير حرج ولا استحياء.

وأدخل يده في جيبه فأخرج علبة وسحب منها سيجارة، ودفع في الجو من دخانه، دون أن يشاطرنا ما أحدثه من الأحاديث. وشعرت وشعر أصحابي جميعاً بهذا التكبر المصطنع، كأنما لم يكن أهلاً لمادته. وكيف سيكون هذا أهلاً لذلك، وليس هنا من حرج من مصر، كما يبين من كلامنا؟

وكانت تشيع على شفتيه ابتسامة تستوجب الإعجاب المغترة من نفوسنا أي فلا من جهلنا، وفي نفسه أنه ... في نفوسنا الشرقية حدة سوء للمعرفة، وعجيب أن يتكلم لأرى شيئاً من هذه العربية التي عدها من عجائبه.

ولم يطل صمتنا فقد أخذ يجيب على سؤال وجه إليه فسمعت ما لم أسمعه من كيف تحكى عبارة بين العربية والإنجليزية، من عربية الحروف إنجليزية النطق، الأمر الذي حملني في مجلسه هذه الدهشة والعجب... وكان لا يسعه ما كرامه أن كان يتكلف أن فيما كرامه لا يسعه بعض الألفاظ العربية، فكان ينطق بها محرفة ثم يشرحها لنا كأنما يظن أننا لا نفهم تلك الألفاظ منه، وكان يكرر قوله «لما كنت في انجلترة..» كأنما يخشى أن ننسى أنه كان هناك، وهو عندي ذلك حقيقة بين حين وحين ليحملنا بذلك لعظمة صاحبه.

وليته على سابق كلفنا فقد عجب الله بعد كلامه الطويل على طريق الشرقية.. وهو الشاب مجيئه صحبه شرقي ونصبها عرفي، وانطلق هو وصاحبه والتفت إلى أحد أقرانه وقال: أرأيت الدليل الذي على هذا ما أقول؟ وقال آخر: هؤلاء لا يفكرون ولا يرعون وقد انفرجت الفوهة بينهم الكتابة لمجرد ذهابهم إلى أوربا وإني بعد هذا من أكثرهم تقصيراً في العلم، وإن كثيراً منهم من لم ينظر شيئاً من الأدب العربي وإلى هذا عاطفتهم من بناء بيتهم؟

وقلت في نفسي متى يفهم هؤلاء أنه ليس بين التكلف والسطحية كبير فرق؟ وأن في المصريين من سافروا مثلهم فتلقوا العلم في أوربا، ثم عادوا إلى وطنهم متصفين بخصائص قومهم فلا تجد فيهم ما يشينهم في الكلام، ولا تجد فيهم ما يثير ضحكاً ويجدوا ما يشينهم من سخف الكلف.

وساورني خاطر غريب عن أولئك المتكلفين، وذلك أنهم يصبون أنفسهم موضع البضاعة في السوق، والبضاعة الإنجليزية يكتب عليها عادة «صنع في انجلترة» لترجح غيرها في الأسواق، وهؤلاء يباهي الواحد منهم بأنه – على حد تعبيره – England man

(عين)

# الملاحة عند العرب

## للأستاذ قدري حافظ طوقان

يهتم الغربيون بالملاحة وينفقون عليها الأموال الطائلة لما لها من أثر في الحروب والتجارة وسير العمران. وقد أصبحت مدنية الأمم تقاس إلى حد كبير بدرجة اهتمامها وعنايتها بالشؤون البحرية وبراعتها في بناء الأساطيل. وكان لها — ولا يزال — شأن خطير في مصير الشعوب، وكثيراً ما غيّرت الوقائع البحرية مجرى التاريخ واتجاه الحضارة.

والأمة العربية — وهي من الأمم التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ وكان لها أكبر نصيب في تقدم المدنية — ... وجهت بعض جهودها إلى ناحية الملاحة وخلّفت فيها آثاراً ... اعتمد عليها الأوربيون في ترقية الملاحة والتقدم في صناعة السفن. وقبل البدء في حديثي عن الملاحة لا بد لي من القول بأن ناحية الملاحة عند العرب لا تزال غامضة لم تعط حقها من البحث والتنقيب. والذي نرجوه أن يحفز حديثنا هذا بعض المعنيين بالآثار الإسلامية والآثار العربية في مختلف النواحي التي أدت إلى خروج العرب ... والتي لا تزال ... التاريخ. إنه في بعض هذه النواحي ... لأمة يحق لنا أن نباهي بها أمم الأرض وأن نأخذ منها ... للاقتداء بالسلف والسير في مناهجهم.

ومن المؤلم حقاً ألا نجد أحداً من أهل العرب ومثقفيهم عُني بناحية الملاحة عند العرب وتاريخ إنشاء الأساطيل، وعسى أن تتجه جامعة فؤاد الأول والمكتبات الحربية بمصر إلى هذه الناحية، وأن تعمل على إظهار الآثار العربية فيها، وبذلك نكشف عن روح ... التي امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم، ونكون قد مهّدنا السبيل لغرس روح الإقدام والشجاعة في أبناء هذا الجيل والأجيال التي تليه.

والآن نأتي إلى موضوع الملاحة فنقول:

كان العرب في بدء فتوحاتهم يخافون البحر ويهابونه، وكيف لا يخافونه ويهابونه وهم أهل صحراء متنقلون ... لم يعهدوا رؤيته ... ركوبه. ولم يكن الخلفاء الراشدون يشجعون ركوب البحار لحرصهم على أرواح المسلمين، ويقال إنه حين استولى المسلمون على مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله أن يصف له البحر فكتب إليه: «إن البحر خلق كبير يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد أحزن القلوب وإن ثار أراع العقول، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق...» فكان هذا سبباً في منعه المسلمين من ركوبه. وجاء أيضاً أن عمر بن الخطاب كثيراً ما عنّف الذين يخوضون عبابه، فقد عنّف عرفجة بن هرثمة الأزدي لركوبه البحر حين غزوه عمان. ولا شك أن السبب في منع الخلفاء هو حرصهم على أرواح المسلمين لأنهم لم يكونوا أهل بحر ولم يتعودوا السير على أمواجه. وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن اتسعت الفتوح الإسلامية وأصبح من الضروري العمل على حماية بعض البلاد ولا سيما بعد أن أصبح العرب يجاورون الروم، ورأوا أن الملاحة ... لحماية الشواطئ، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالملاحة فأخذوا في إنشاء السفن مثل الروم، وفي مدة وجيزة ساروا ... وركوبها وعرفوا أسرارها ... والبلاد البحرية ... الشيء الكثير. مهروا في صناعة السفن وأنشأوا ... دوراً عظيمة وصار لهم في مختلف الأمصار أساطيل أصبحت ... البحر ورئة الشواطئ، ... كثيرة العدد، ... في صنعها وأوجدوا ... على آلاتها ومعداتها، ووضعوا لها الخرائط والصور البحرية، وكانوا على علم بالأوقات الملائمة لخوض البحر وعلى معرفة تامة بأوقات هبوب الرياح ... واستعملوا الإبرة المغناطيسية لتعيين الجهات.

ولا حاجة إلى القول بأن أساطيلهم كان لها أثر كبير في ازدهار دولة الإسلام واتساع رقعته، فقد تمكن العرب بواسطتها من فتح سردينيا وصقلية وقبرص ومالطة وكريت، وكذلك تم لهم الاستيلاء على كثير من شواطئ البحر الأبيض المتوسط وبعض شواطئ فرنسا. ولقد وصل الأسطول الإسلامي الأندلسي في عصر عبد الرحمن الناصر إلى ... ، وكذلك أسطول أفريقيا بعد ... أساطيل المسلمين في دولة الموحدين من العظمة

والمقذوفات النارية لم تصل إليه في أي عصر آخر [illegible] بعصر سباقة عليه . وجاء في مقدمة ابن خلدون أن عهد استعمال المدفع في أوربا وأفريقيا في القرن الخامس والسادس الهجري ، ومن المرجح أنه أسطول . وكانت أساطيلهم تحتوي على أنواع ، منها الشاطرة ومنها الحربية . والأخيرة تتركب من سفن ومن مراكب مختلفة منها ما هو خاص للمتاع يقيمون عليها الأبراج والقلاع أطلقوا عليها اسم (الشونة) ومنها ما هو خاص بحمل المجانيق التي ترمى بها النفط المشتعل على الأعداء ، وقد أطلقوا عليها اسم (الحراقة) ، ومنها الطرادات وهي سفن صغيرة سريعة الجري ، ومنها سفن تختلف عن التي ذكر الأغراض حربية وغير حربية وللسفن الحربية مسميات وأنواع منها (البُرْد) و (العُود والقارب) . والأخيرة أنواع من خشب ليس فيها حديد وكانوا يستعملون هذه الرماح والكلاليب وسلاسل قد ذرعوها وصاغوها من حديد . وكثيراً ما كانوا يستعملون قوارير النفط يرمونها على الأعداء وهي في حالة اشتعال . ومن العجيب أنهم كانوا يستعملون أيضاً صندوقاً خاصاً من مزيج الكلس والزرنيخ يضربون به مراكب العدو فيمس الرجال ويحرقها . وكانوا يتقون حريق المراكب من الخارج بطلائها أو البرود المبلولة بالخل والماء والشب والنطرون أو الطين المخلوط بالبورق والنطرون ومواد أخرى تمنع أثر النفط المشتعل . وقد وقف العرب على سر تركيب النار اليونانية بعد أن فتكت بهم في مواقع حربية كثيرة وأوقعت في بعض الحالات خللاً وفوضى في معسكرهم وصفوفهم وصاروا يستعملونها في حملاتهم البحرية على سواحل إيطاليا وبعض جزائر البحر الأبيض المتوسط . ويرجح بعض الباحثين أنها مركب من (زيت النفط) والكبريت والقار [illegible] بنسب لا تزال مجهولة ، وينتج من هذا المركب سائل ملتهب يحدث دخاناً وانفجاراً ملتهبين كما تخرج منه نار تشعل الأجسام التي تلامسها أو التي تقع عليها . واستعمل الموحدون هذه النار في حصار (...) من أعمال البرتغال في القرن الثالث عشر للميلاد ضد جيوش ألفونسو الثاني ملك البرتغال . ويقال إنهم (أي العرب) استعملوا آلات يقذفون بها على الأعداء أحجاراً ومواد ملتهبة يصحبها دوي كالرعد ، ويرى بعض العلماء أن هذه الآلات ليست إلا قذائف النار اليونانية

ومن طريف ما يروى أنهم كانوا يستعملون طرقاً مبتكرة أثناء الحروب تدل على فطنة وذكاء وسعة خيال وبراعة في وسائل الحيلة ، فقد كانوا [illegible] ، وكانوا إذا أرادوا تضليل الأعداء ولا سيما في [illegible] يضعون على [illegible] حتى لا تظهر [illegible] وهذا يذكرنا بوسائل الوقاية التي تستعملها الدول الأوربية الحديثة من إطفاء النور واستعمال الضوء الأزرق في الغارات . وجاء في بعض الكتب أن العرب كانوا لا يتركون ديكاً في (المراكب) أثناء الحروب ، وذلك خوفاً من [illegible] على مكان المركب

ولسنا الآن في موقف نستطيع معه تفصيل الأساليب الحربية الأخرى التي كانوا يستعملونها ، كما أنه ليس هناك مصادر نستطيع منها معرفة الطرق التي كانوا يتبعونها في الحصار ، وقد يطول المقال إذا أردنا وصف الاحتفالات الرائعة التي كانت تجري عند إخراج الأساطيل العربية . وهذه كلها لا تزال في حاجة إلى من يجمع شتاتها ويعمل على تمحيصها . ويؤلمنا أننا لم نسمع عن هيئات علمية أو أفراد بحثوا هذه الموضوعات أو صرفوا لها بعض جهودهم ونشاطهم . وعلى كل حال ففي بطون بعض الكتب القديمة ومؤلفات حديثة ما يمكننا من تكوين فكرة عن هذه الناحية . ومنه يتجلى لنا مقدرة العرب وتفوقهم في الملاحة البحرية حتى إن بعض [illegible] بهم في تأليف أساطيلهم البحرية وعمارة السفن ، وكان لذلك تأثير كبير في فتوحاتهم وفي افتتاح كثير من جزر البحر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط . وبقي العرب أسياد الموقف في البحار إلى أن تغلب عليهم [illegible] الغرب بحروبه الصليبية وقيامه للغزو والفتح ووثبت عليهم عوامل الضعف والفشل فضعف شأنهم و[illegible] عزمهم وعددهم واستولى عليهم [illegible] طويلة وجمود كاد يذهب بالمزايا والخصائص التي يمتاز بها العرب على غيرهم وكاد يستحيل كل هذا إلى اضمحلال وفناء

(نابلس) قدري حافظ طوقان

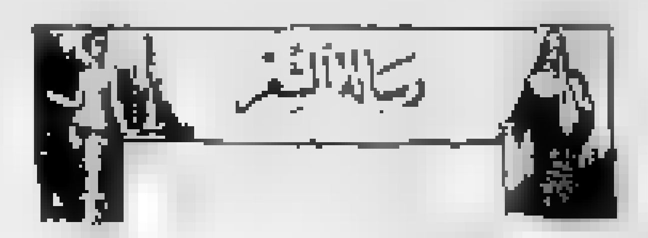


صورة تحرير

أنا يا دنياي مجبورٌ على الدنيا غريب
ودموعي في رباب الشعر ألحانٌ للنسيب
كل شدوت أنوارك عندي منحوب
بقلب ممدحٍ من ملايين لها الأكوب

فابسمي يا دنيتي حلماً من الشعور ليسعدك
حتى في ظلمة الكرسة عاطل ليهدأ

# إلى بنفسجتي

## الأستاذ محمود حسن إسماعيل

---

خانك النور فلا كان ونستك الغيوب
فوق مفتح أطفه النسيم مشوب سبي
وكتبير محفه في الروح وموالم رحيب
ذوبه الشمس عليه في الزوال وتذيب

وهو مصرع الشرق أو صوت يبكي لو حدك
رجع الوحشة كالمشرب لعل يسعدك

* * *

ورقة والفجر – يا جيري – في الوادي رحيب
حطوة حوله بسحرٍ وصلاة وطيوب
وأنا حطوي آلمة وشجو وصحب
فلتي عندك صداي شروق وغروب

أين الشمس من الأعمر قبيل حول مهدك
وبين الأحزان في نفسي سحابة لعهدك

* * *

والندى أدمع أرواحٍ حيارى ، وقلوب
راقب حزنها في الفجر فأمست لا تجيب
كل ساعة عطشى تشتاقها شعوب
ويك مثل ورقة وهي في الصحو حبيب

لهنا جنات سحر ساعدت حول مهدك
أو سحابة وأنا لك أكما يرويك

* * *

# وعد . . .

[ مهداة إلى شاعر الاسكندرية
الأستاذ عيسى شيبوب ]

## للأستاذ أحمد فتحي

---

لِمَ أخلفتَ موعدي يا حبيبي ، وسيّدي ؟
هل كاسيك ، أم نسيـ ـت ، على غير مقصد
أم تملّكك في الهوى ملل ، إذ لست ترتضي
ربما طبت موعدي لك ، فأخلفت موعدي
مت أمسي مُعذّبة قلب ما الساعة الأهدى
أصف الحبّ وعده بيه كل مسعدي
لهو كل ساعداً واجدًا ، غير مبعد
بيدي أنت وحني آخره في مرقد
مر الساعة النطق تالب خاف محتدي
تكأني وعدت من تصبح أمسي إلى غدي
تحدث بحدوثي اللا من ، إلى وكي مسعدي
حيثما أطلب المسا من الطريق المعهد ؟
أو أسري وأبحث من فؤادي للتردد
ثم أجد مسورة منه أتبع مرقد
سحره جو سعيدي واستطرت بما يدي
آه ، لو كنت أهتدي آه ، لو كنت أهتدي
ليتني بين ساحتي بين حبيبي يشهد
وأرى بين جانبي كل ما تجدد
وأعيش في أدوي كل نعمى مخلد
يا حبيبي ، وسيّدي لِمَ أخلفتَ موعدي

تحية الرسالة في عامها الثاني

# جان دارك بين العرب

للأستاد محمود غنيم

مشت مثل جان دارك بين العرب — [illegible] بأقوى سبب
نشق الشعوب [illegible] — من اسم العروبة واسم الأدب
إذا [illegible] قلب [illegible] — وإن خطرت [illegible] وثب
تبختر بالضاد [illegible] — وأكرم [illegible] عند النسب
وما وحدة الجمع مثل اللسان — ولا [illegible] الجمع إلا قلب
إذا اتحد الفكر في أمة — تجمع من شملها ما انشعب

• • •

لقد أعظمت أم هذا الفؤاد — فكانت كهند وكانوا كصب
[illegible] الفحول كما — تلاقى الوفود عند العشب
[illegible] كاتب من [illegible] — وهذا من دمشق وهذا من حلب
بكل يراع أحد من السهم — [illegible] القلوب إذا ما كتب
فطوراً يجيء [illegible] الأفاعي — وطوراً يجيء [illegible]
وطوراً له أعرف من [illegible] — وطوراً له أعرف من [illegible]

• • •

[illegible] عن [illegible] العريق — [illegible] أصداؤه من كثب
[illegible] — فلا [illegible] أو [illegible]
[illegible] بالشكر — [illegible] أنه من ذهب
وما أعلى [illegible] — بجل الأذان ومثل [illegible]
ألا ما أقل [illegible] إذا ما — تحل [illegible] وزاد [illegible]

• • •

[illegible] وما [illegible] للسبيح — [illegible] الطويل [illegible]
[illegible] وذلك — [illegible] في مهدها بالعصب
لقد [illegible] أم وجدت — سلالة (أحمد) من [illegible]
[illegible] — إذا [illegible] بالعصب
[illegible] — هل [illegible]؟

وكم (الرسالة) من [illegible] — [illegible]
إذا طلعت في [illegible] — [illegible]!

• • •

[illegible] الرسالة [illegible] — [illegible]
[illegible] بين البلاد — [illegible] وبين [illegible]
[illegible] من الأدباء — وإن [illegible] القوم [illegible]
حتى يعرف الناس أن القوى — [illegible] من حسب؟
[illegible] ولكن — [illegible]
[illegible] القلوب [illegible] قواها — [illegible] إلى [illegible]

(الإسكندرية) محمود غنيم

مدرس [illegible]

## اللصوص أو النزاع عن العصلة

تأليف شاعر [illegible] [illegible] شاعر ومعرب الأستاذ [illegible] حسن الزيات الأستاذ بكلية الحقوق ببغداد سابقا وكتب مقدمته الأستاذ الدكتور منصور فهمي بك مدير دار الكتب الملكية

[illegible] من مكتبة [illegible] بمصر

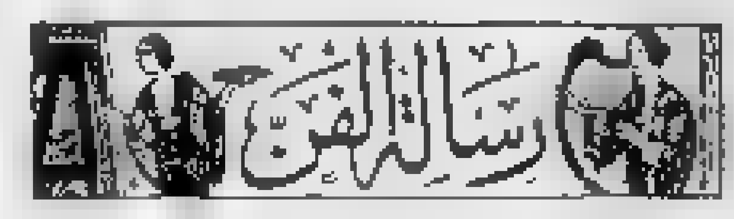


دراسات في الفن

# ٣٨٨

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— هذا اليوم أن أعرف ... كتاب في يدك ، وتقرأ في الطريق !

— ليس هذا كتاباً ، وإنما هو دليل المعرض الدولي للفن التصوير الشمسي الذي تقيمه الآن جمعية محبي الفنون الجميلة هل لك أن تصحبني إليه لكنا نرى شيئاً جميلاً ؟

— يسرني هذا ... هيا ... فهي فرصة قد أقتنع فيها بأن التصوير الشمسي فن

أو لم تقتنع بذلك إلى اليوم ؟

— أحياناً أقتنع ، وأعود في أغلب الأحيان فأشك ، وفي أحيان أنكر هذا إنكاراً .

— مادمت تقتنع أحياناً ولو قليلة ، فإن هذا يدل على أن التصوير الشمسي فن ، أما هذه الأحيان التي يبعث فيها الشك من نفسك ، والتي يبعث فيها الإنكار ، فالذنب فيها ليس ذنب التصوير الشمسي ، وإنما هو ذنب المصورين الشمسيين ؛ ولكي يتضح لك هذا عودي بالذاكرة إلى الصور التي أعجبتك ، وإلى الصور التي لم تعجبك ، وحاول أن تلمس الفروق بين هذه وتلك لترى أنها كانت إصابات من مصورين وإخفاقات من آخرين

بين المصورين من يعرف بآلته يلتقط الصور لكل ما يراه ، وهذا يشبه في الشعر الدكتور زكي أبا شادي الذي لا يستعصي شيء على شعره ، فهو يستطيع بعون الله أن يقول الشعر في الزهر ، وفي السحاب ، وفي الحياة ، وفي الملائكة ، وفي القمر ، وفي البطاطس وفي كل شيء آخر ، وفي الدكتور ... ، وفي الراقصة الرشيقة ، وفي «الفرسة» النافقة ، وفي الرعد والبرق ، وفي ... الصديم ... المصور الواحد منهم هو يجب إليه الناس يصورهم بالأجر ...

وأغلب هؤلاء يشبهون الكتاب العموميين الذين يكتبون للناس ما يريدون كتابته بالأجر أيضاً ، والذين يكتبون ما يكتبون فرحاً وترحاً ، وبشرى وإنذاراً ، وحوادث وأخباراً من غير أن تهتز في أنفسهم خلجة ولا خلقة ، وأغلبهم يطلب هم بعض الوجوه فيخرجون لها أحسن الصور ... وفي الكتاب العموميين أيضاً من يعمل على هوايته فيعجب له بعض الموضوعات فيطلق فيه بأحسن ما يكتب ... وهناك نوع ثالث بين المصورين له اتجاه خاص ، فهو لا يصور كل شيء ، وإنما يصور ما يروقه فقط ، وهو لا يروقه كل شيء وإنما تنجذب نفسه إلى معان خاصة يولع بها ، ومن هذه المعاني ما قد يبهجه ومنها ما قد يثير الألم في نفس الفنان ويحسه ، وهؤلاء المصورون يشبهون كل فنان من أولئك الذين يمتاز الواحد منهم بطابعه الخاص ومزاجه الفنان — وفي هؤلاء المصورين جميعاً المجددون ، ومنهم المحافظون ، ومنهم المتزمتون ، ومنهم المتكلفون ومنهم ... ، ومنهم الساخرون — والتصوير الشمسي بعد ذلك عالم كأنه شكل من عالم ، وفي عالم التصوير الشمسي تجار يبيعون ويشترون ، وفيه سماسرة يروجون ، وفيه نفر طيبون يستهلكون ، وفيه أدعياء يتحككون بالفن ويقتنون الصور ، ويتأنقون في صنع ... ، وهم أبعد ما يكونون عن الفن ، أبعد ما يكونون

— كأني بك تريد أن تقول شيئاً في نفسك ولكنك تمسكه

وهل عليك شيئاً لم أقله ؟ إلا أني معجب برئيس هذه الجمعية الذي يهتم كثيراً بالفنون الجميلة ، وحمد الروح الطيبة التي يرعى بها الفن كل من المسيو مرسيل فيشر رئيس ... المصري ، ويوسف عطاوي ... مدير شركة راديو ... ويوسف عطاوي ... ، والدكتور علي باشا إبراهيم ،

وحافظ عفيفي باشا ، ومحمد محمد طاهر باشا رئيس لجنة الرياضة الأهلية ، وفؤاد أباظة باشا المدير العام للجمعية الزراعية الملكية والمسيو موريس سدوفر كاتب الكتاب ، والمسيو ريشار موسيقى الوكيل للفرس لبنان ووضع اسم موسيقى (أولاد وشركاهم) ، وسائر أولئك النبلاء الذين يحتفلون على [illegible] إلا أن أسهر هذه الفرصة لأشكر فيها هؤلاء لأجل التكريم هم الذين هم من غير ذلك يبصرون كثيراً من وقتهم الغالي ، وبالتالي جاء في سبيل المذهب الروحي يرقون من طريقه بأبناء هذه البلاد

— من نعرف أن هؤلاء لو اهتموا بالفنانين الذين تؤثر فيهم في الشعب تأثيراً قوياً لأحسنوا إلى هذا [illegible] ولأودعهم الأدب والخيال والوسيلة :

— إنه حسب هؤلاء في التصوير الشمسي ، والفنون التي تحدثنا عنها شيء آخر عنه إنه هو مصوره ، فأشكري به على ما [illegible] ولكني الآن فقد وصلنا

* * *

الآن . [illegible] عدد (٤١) إنها فتاة ساحرة رائعة ، التي كمثلك

— من غير شك . و (٣٨) أيضاً رائعة . وأظنك ترى للمرء [illegible] (٤٠) فتاة مليحة أعجب بها مصورها « عذراء حائل » ، ولا ريب أنه شاب جذب القلب فيه كثير من أخلاق الصبيان . و (٢٨) شاب في أواخر الشباب أعجب به مصوره « آسيا » ، وهي لا ريب فتاة فاتنة ، فإن كانت رجلاً متنكراً فهم [illegible] ، فهو رجل فيه رقة وفيه حنان ولين ...

— وهل تعرف أنت « من هو جائل » و « آسيا » وتعرف علاقتهما ؟

— لا يا روحي . وإنما [illegible] في هاتين الصورتين . فالذي اعتبر هذا الوجه الفيروح المحرك للنبضة الذي لا يجابه فيه ولا حزون صوره هذه الصورة لا بد أن يكون من عشاق البساطة والضحك والانبساط والصراحة والوضوح . وإلا فلماذا اختار هذا الوجه وصوره ؟ .. أما « آسيا » فقد صورت هذه الشاب

المتكبر الشاذ الذي يحل الشقاء من جهة ويحل الهجر من الأخرى ، علاوة على أنه مكروب من الواقع [illegible] الوكيل والوالي يجريان إذا رأته في عيون الناس [illegible] وعلامة [illegible] لا [illegible] إلا [illegible] الثانية [illegible] وحل [illegible] يحزنه ، وبالمفاجأة يستجيب إلى هجره ، وبالتنزه يرضى شقاءه ولم لا يكون الرجل ناسياً دائماً هو أيضاً يجب أن يرى في عيون الناس الهجر والشقاء

هذا لا يكون إلا في الرجل العادي ، وأنا لا أظن أن الذي صور هذه الصورة مجرد عشوائي فمتكبر باسم آسيا

من يدري . [illegible] إلى (٣٨) هذه [illegible] منظر من الناحية مليحة مطمئنة — صاحب هذه الصورة ، ومن ثمة أمر فتكسو وسيماها انتظار ؟

— ليت هذا المصور زار هذه المرأة من الناحية قبل أن يلتقط صورة هذه الصورة . فقد كانت عندئذ تظهر صورة [illegible] لبيب [illegible]

— ويلك تحيل إلى أنه هو الذي [illegible] تنعب في الناحية هذه الزمنة ، وتحفظ هذه الإطلالة ، [illegible] هذه الأحلام ، والتلفظ هذه [illegible]

— وأنا أميل إلى هذا أيضاً ، وهذا هو ما يساعد على الاستمتاع بهذه الصورة ؛ ذلك أن هذه السيدة عندما أرادت أن تلبي دعوة هذا المصور لبتها بإخلاص شديد جداً له هو ، فقد بطت نفسها في الناحية معه ثمانية ، ثم تقرب في وجهها من علامات الأحلام ما لا يمكن أن يبدو على وجه إنسان إلا إذا كان يرقب موكب اللانهائية يوم الحشر ، وظهرت تلفظاً لا يمكن أن يعلنه إنسان إلا إذا كان يرهب [illegible] ويردون

ومع أنه أنب هذه النوازع هذه الأدوار المتكبر ، فإنها لم تستطع أن تخفي ما كان يجب عليه أن تخفيه من شعورها بأنه تعمل هذه كذلك بصورها الأستاذ أو الساكو

— إذن فهذه صورة فاشلة

— يؤلني أن أقول هذه . ولكني أعتقد أن في هذا مرة

كبير، فالأستاذ أمرلسكو، فهو مليء ... جداً على أن هذه الشابة مطاوعة له مطيعة لفكره ... من صميم قلبها أن يجمع ومنها أمس من غير ذلك برغبته ..

— من يدري ؟ هذه أخرى ... فلربما كان يريد أمرلسكو أن تخرج صورة بالجاذبية والعجب تيرك من الفنون ، ولو كان ثمن هذه الصورة ... التي تقول إنها خالصة ... ألست تعرف أصحاب الفن وتستخدم ... من صميم جلاء الخلقة إلا ابتكاره

— هذا موضوع آخر لا أوافقك فيه على رأيك هذا على الرغم من أن بعض النقاد قد تؤيده ... ولكن هنا ليس وقته ... تعال ... سأختار أنا لك صورة ..

* * *

— تعال ، أنظري إلى هذه ( ٣٨٨ ) ..

— إنتظر لأرى من صاحبها ... إنها من رسم سيدة اسمها مدام [illegible] وهي من لندن ، وقد سمت هذه الصورة «صورة» فقط ... وهي صاحبة ( ٣٨٩ ) أيضاً وقد سمتها «عيد» ...

— عظيم ... وهل تضحك ( ٣٨٩ ) هذه ؟ إنها جميلة حقاً ولكن ( ٣٨٨ ) أبدع ، وهي من غير شك أبدع ما في هذا المعرض ..

— ولكن لا يزال أمامنا جزء من المعرض لم نره فلعل فيه ما هو أبدع من هذه الصورة

— قد يكون هناك ما يساويها ولكن لا أعتقد أن هناك ما هو أبدع منها ... فقد نالت الصورة في هذه الصورة كل ما يمكن أن ينال

— ولكني أرى في هذه الصورة شكلاً كالذي رأيته أنت في صورة التي تنظر من النافذة ..

— صحيح ، ما رأيك ... أين هو الشكل ؟ ..

— الصورة صورة شاب لا شك في أنه أوربي ، ومع هذا فهو يلبس ملابس الأتراك أو الشركس ، طربوش تركي أو عمامة كبيرة كطربوش إبراهيم باشا ، وقميص من الحرير ، وصديري مفتوح ، وحزام حرير يطل منه خنجر ، و« سروال » لرفعه إلى [illegible] وكتفه يطل من [illegible] شعر [illegible] من ساقيه ... ثم هذه « البلغة الشاسعة » على أنها كان يجب أن يكون مكانها « مركوب » أحمر أو أصفر [illegible] التي لم يكن أهلها يعرفون « البُلغ » ، وأخيراً هذه [illegible] على هذه [illegible] المفروشة من الخشب التي لا طلية فيها ولا صناعة والتي لا تشبه جذع الشجرة ، والتي ليس مثلها كرسي ، والتي تكاد تكون [illegible] هذه الصورة ... أو هلا تكلمت بعد هذا كله ؟

— هذا الذي تسميه شكلاً هو ما أسميه أنا إبداعاً ... صاحبة هذه الصورة قد حاولت [illegible] منها الأسلوب الفني [illegible] هذا الذي [illegible] ملامح [illegible] الصوب والذي [illegible] كثيراً إذ تؤكد لي أنه أوربي ، لأنه قد يكون كما تقولين ولكن يكون شرقياً أيضاً ، وهو كما ترى [illegible] الرجال [illegible] ، والصورة [illegible] شبيهة النساء [illegible] ثم [illegible] هذه [illegible] وإن كان أصل [illegible] وهي [illegible] على [illegible] ، والله [illegible] محبوب ، [illegible] صناعة [illegible] ، [illegible] جميل ، [illegible] واحتفل باحتفال [illegible] ، ووجناه [illegible] يبق في وجهه [illegible] الفم [illegible] ، وهي [illegible] ثقل الظل وجمود الحس ، [illegible] ولكنه [illegible] لأنه مكون من ثلاثة [illegible] واحد منها متقدم والآخران [illegible] منه [illegible] إلى الوراء [illegible] في جانب [illegible] الرسم [illegible] للسنين [illegible] الهالة وحسن [illegible] ، [illegible] من [illegible] الصمم والإسماع [illegible] ، [illegible] الأطفال [illegible] ، [illegible] الأطفال الأسوياء ، أما [illegible] طرية [illegible] والعبث [illegible] الأول [illegible] استقراراً منه في [illegible] النساء [illegible] ، [illegible] انكشف عن القميص [illegible] في ساقيه ، والشعر في الرجل [illegible] المرأة [illegible] وهذه [illegible]

الشرقية التي تحسرين منها على حلم من الأحلام يتجدد في نفوس أهل الغرب، كما يتجدد في نفوس الشرقيين الأمل في مشاهدة باريس وفينا وبرلين ... وهذه القطعة من [illegible] التي [illegible] في القاعة التي أقامت الصورة فيها هذا الموضوع كله بما فيه من الفكرة والعاطفة والخيال بهذا الأسلوب الواضح المتقن، والتي لا أظن أن [illegible] إلا من كان [illegible] في [illegible] وعطره [illegible] الفن

وما رأيك في (٣٨٩)؟

في [illegible] الصورة [illegible] الملونة، فالمشهد [illegible] أن [illegible] (٣٨٩) وحدها فلا [illegible] أن لها [illegible] خاص بها «البعد» كما تسميه، وصورته [illegible] جميل للنظر حقاً، ولكنه [illegible]، حتى إذا رأى الناس هذه الصورة رأوا فيها [illegible] والطرق والألوان [illegible]، و[illegible] أن الصورة [illegible] أن يكون [illegible] من [illegible]، وربما [illegible] «البعد» [illegible] الصورة [illegible] التي [illegible] في الترتيب لهذا الغرض [illegible]، [illegible] من تسمية صورة الفن بأي اسم من الأسماء تكن أيضاً -

وهل الفن عيب يشكمه الناس؟

— ليس [illegible] من عيب، ولكن [illegible] يسمون [illegible] هذا [illegible]، وربما [illegible] في نظر الجمهور [illegible]، على أي حال [illegible] إنك فتاة [illegible] على أن تشبه [illegible] إلى صاحبه (٣٨٨)

فريد أحمد [illegible]

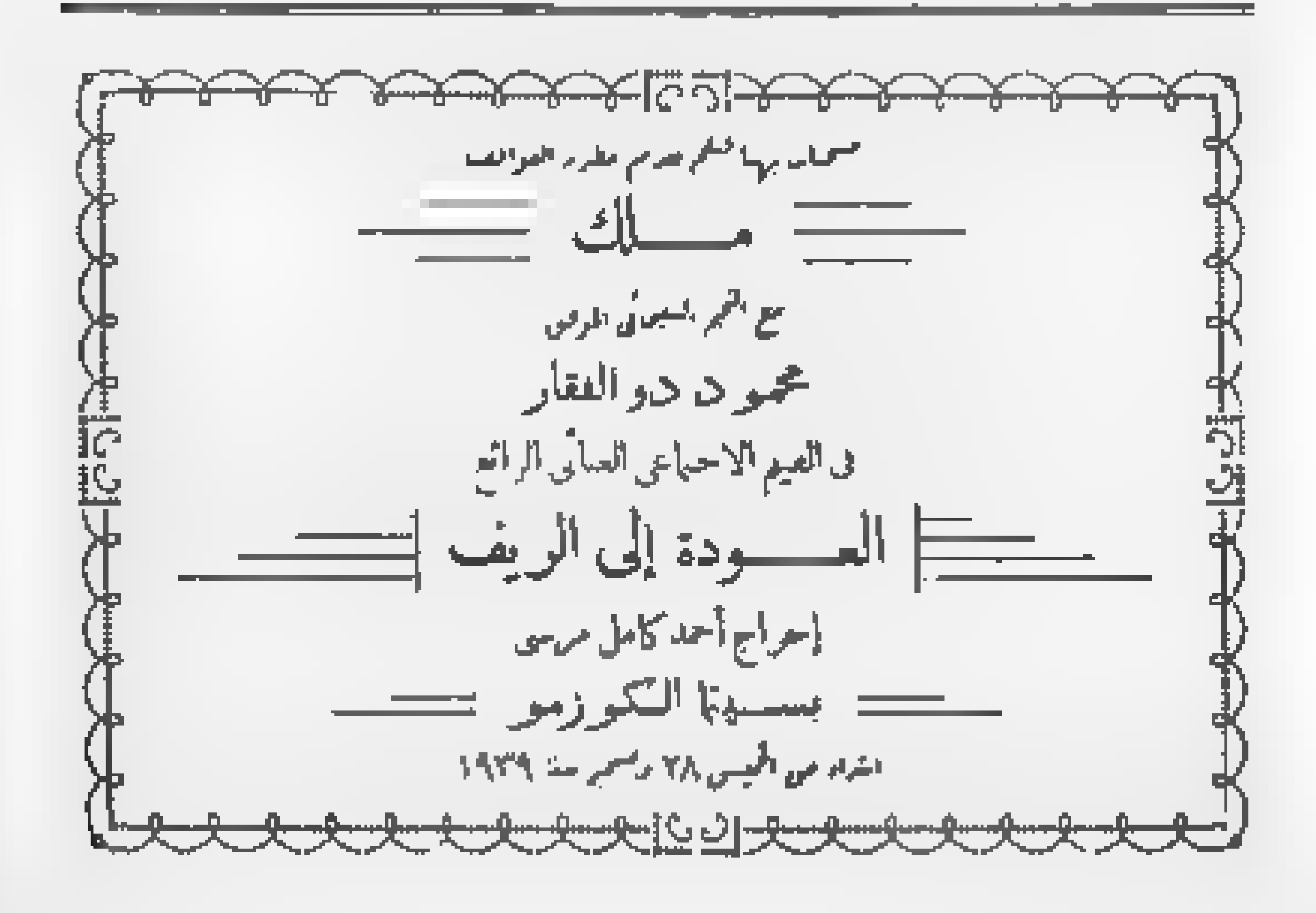

# منهجي في هذا الباب

للأستاذ محمود محمد شاكر

عهد إليّ الأستاذ «الزيات» أن أتولى تحرير هذا الباب من «الرسالة»، فأجبت إرادته بالتسليم، وإن أجد الناس في نفسي ما [illegible] لا تكاد تقر؛ فقد حبستني إرادته و[illegible] من حولي [illegible] حتى ما أحس من حوادث الأدب إلا القليل، والنفس [illegible] على حدود النشاط في كثير [illegible] والحل لا يهتدي إليه [illegible] ولا [illegible] وإذا كانت النفس كذلك لم [illegible] إلا من طول الإحساس بالمرض والآلام، فمن يريد أن يتكلم من [illegible] فأنها [illegible] كأنما يبحث عن [illegible] في مصائب [illegible] لا تتكلم، وهي على ذلك لا تطيق [illegible] في الآلام التي [illegible] إلا بقدر من الرغبة في البحث عن [illegible] في سر نفس غيرها لتجد عند ذلك أسباباً [illegible] وبعد، فلم تجد النفس [illegible] إلا [illegible] الآلام [illegible] ترى وتسمع و[illegible]، فكيف [illegible] أفكارها إلا في [illegible] الأعراض [illegible] الفكر [illegible] التي لا تجد أغاليب ولا [illegible] أعاصيرها. هكذا أجدني.

وهذه النفس [illegible] وإلى [illegible]، هي النفس التي أريد أن تتولى [illegible] ما يعرض لي من شؤون الأدب في أسبوع من أسابيع «مصر»، ولقد [illegible] على [illegible] النفس الآن هي نفس التي لا [illegible] أعرفها [illegible] إلا [illegible]، وما هو إلا أن أراها [illegible] من أوابدها في كل وجه، وأنفس [illegible] أنظرها [illegible] في ظلام الأعراف، و[illegible] أحياناً من الذكرى [illegible] في تأملات [illegible] من [illegible] وأنها أيضاً غريبة مهجورة [illegible] كأنما [illegible] هذا [illegible] كل أهله ثم يليها. وهكذا أيضاً أجدني.

في بعض الإنجيل كلمة [illegible] أساسها، ومن أضاع نفسه من أجلي وجدها». يعلمون معنى ذلك أن النفس الإنسانية لا [illegible] أبداً إلا وهي مستهلكة، وأن الأشياء الشريفة التي [illegible] في [illegible] بحيّ، وأنه لا معنى لشيء الحق إلا أن يجتمع فيه معنى الأشياء الشريفة [illegible] وأن استغراق النفس واستهلاكها في الأعراض [illegible] هو [illegible] وأن هذا [illegible] والفكر [illegible] هو [illegible] الإنساني [illegible] على الأرض؛ وعلى ذلك لا تكون النفس [illegible] أبداً إلا وهي [illegible] في [illegible] من الوجود [illegible] كل شيء من الأسباب التي [illegible] معه الحياة [illegible] أعجب الحياة.

* * *

[illegible] من المعاني التي [illegible] الآن على [illegible] واستحكمت الآلام في مواضعها حتى [illegible] للذهب [illegible] لأقدم «الكلام في هذا الباب الذي [illegible] «الزيات» للأدب»، ومع ذلك فإني لأرى [illegible] التي [illegible] أصل هذا الباب الأدبي الذي في نفسي، فإن [illegible] «الظواهر الأدبية» ينبغي أن [illegible] أسباب الاستقرار النفسي حتى يستطيع الكاتب أن [illegible] إليه المعاني و[illegible] عليها [illegible] حتى [illegible] أو [illegible] أو [illegible] من [illegible] أو يكشف أسترها أو يقدم له النظر والفكر والتوهم — [illegible] بعض النتائج التي [illegible] الأدب، وبذلك يمكنه أن يجعل للأدب ميداناً [illegible] أعماله التي هي دأب الأدباء والكتاب والشعراء وأصحاب الرأي في [illegible] وتجربة [illegible] فإن تناول هذه الأمور بالنفس التي لا [illegible] ولا [illegible] أقرب إلى [illegible] أي إلى [illegible] — من حيث [illegible] أن [illegible] ومع ذلك فإن الخير كل الخير أن تحاول [illegible] كما [illegible] بالاقتدار والنصب، وأن [illegible] على إمكان [illegible] كاتب أو [illegible] ومؤلفة كتاب أو [illegible]، و[illegible] كتاب أو [illegible] وأن [illegible] من حيث [illegible] الرأي أنه هو أجدى وأنفع، وربما فإن [illegible] على الأدب إنما هو النفس، فهو [illegible] منها موضوعاً [illegible] إما [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]، وإنما [illegible]

متصلة في مسبح الأحلام والآلام والأماني المتعبة الحرمان ، فليس إذن من المنكر أن يحسب امرؤ لا يهدأ نفسه كل هذا لباب الشعر وصفاه وأن يتداول هذا الأدب بما يجيش به من الإحساس المشبوب والشعور الناطق والرأي المصيب أو ما دون ذلك كان

وأحب أن أحدد من الذي أتكلم ، فإني رأيت الأدباء قد أكل بعضهم بعضاً بألسنة كالظبى المرهفة ، وتشاتموا بسهام الكلمة التي لا ترحم ولا تصح ، وهاجوا في الأجواء النائية المشكلة ، ومن كان كذلك فهو جدير بأن يكون هدفاً للنقد أو الاعتراض كالمحتجب المزوّج المتزلق قد أتيح من أهلاء [illegible] ، يكاد يشتد عليه إعياؤه من الغيظ والحقد والرغبة في الإيقاع بمن [illegible] أحلام تبيهه وعلم أسوأ أخلاق وأبعد عن [illegible] الأدب ، وأبعده عنه في مذهب الأدبي ، وما أظن أن في الأدب [illegible] أوهاماً عششت له أوهام «العبقرية» الطاغية بأنه قد [illegible] الشهرة وبلغ المجد والخلود [illegible] ظلاله في طلب الشهرة ! ومع ذلك فإن بعض من [illegible] الشعر [illegible] في جيل الأدب العربي الحديث [illegible] من أوهام العبقرية حتى [illegible] في نفسه ، واستكرش وحتى بما أكل حتى تصدع ، ثم [illegible] على الأدباء يتخيل أن الأدب كله قد وقف عليه من [illegible] نفسه إلى رأسه [illegible] حتى [illegible] في خلال [illegible] ومن كان هذا مثاله من الأدباء ، [illegible] قوله بالنقد ، فلا يتخيلن [illegible] هو [illegible] عن الأحلام [illegible] إن شاء الله [illegible] وإنما [illegible] للقوم على أنه كلام [illegible] يبلغ به الشهرة [illegible] ، [illegible] الصحة كما [illegible] وأنه كلام مصبوب على الناس [illegible] أسماعهم [illegible] كلامه [illegible] أن يكون له في [illegible] أو [illegible] ولكن [illegible] الإنسان [illegible] بما يأتي وما يدع

[illegible] أما ما يقع بين الأدباء من المهاترات والمنافرات ، [illegible] من هذا الباب [illegible] ، فإن بقي لنا في القوس منزع [illegible] الأصل الذي [illegible] الاختلاف [illegible] في [illegible] الشعر [illegible] والدلالة على [illegible] حتى [illegible]

وأما الشعر والشعراء وما يدور [illegible] ، فأنا [illegible]

لأحمد بن [illegible] وراق [illegible] ، [illegible] من [illegible] والله [illegible] فقد فرغ العصر من [illegible] وتجاربه الناقدة ، ووضع إليها أوراقاً [illegible] في الأرض الرحبة ، وما أظنه يجتمع في هذه الأيام إلا اثنان أو ثلاثة ، ولكل منهم مذهب ، ولكل [illegible] في [illegible] ويجتهد حتى صار أكثر [illegible] في صناعة أو وظيفة [illegible] ومع ذلك فهم يقولون ويتكلمون والمعاصرون يعرفون منهم [illegible] وأنهم في الشعر [illegible] أول ، ثم لكثرة ما يسمعون من كلام لا يحرك حلقة لأنه لا يصدر عن عاطفة ، وما زال ذلك يتوالى عليهم ، حتى إنهم لا يكادون يعرفون الشعر إلا هكذا [illegible] ، [illegible] لا يصبرون عنه ، ومن ذا الذي رضي أن [illegible] نفسه إلى «[illegible]» ويعد في العقلاء [illegible] شعر هؤلاء الثلاثة في [illegible] ، ثم [illegible] أنفسهم ولا تزال [illegible] — إلا أن يشاء الله — لا يعدون من [illegible] ، وليس كلهم يستطيع أن يقول كما قال صاحبهم الأول :

لم يبق من جيل هذا الناس باقية
ينالها الفهم إلا هذه الصور
أهمّ بالشعر أحياناً [illegible]
في [illegible] لو [illegible] شعروا
هل [illegible] حتى [illegible]
وما عليّ لهم أن تفهم البقر

وكذلك [illegible] أن يأتي على الناس زمان [illegible] الشعر الجيد أو [illegible] هؤلاء الثلاثة . ولست أدري الآن كيف يتاح لي أن أمزج بين الشعر والشعر ، مهما يكون [illegible] على [illegible] الأساليب والمعاني حتى يفقد الشعراء [illegible] من [illegible] ؟ [illegible] إلى [illegible] ، [illegible] الشعر في «مطالعهم» ، [illegible] أصحاب صناعة [illegible] — [illegible] ، [illegible] لا يعرف الشعراء مطالعهم [illegible] أرهف إحساساً وأنبل مقصداً وأحسن بياناً

وأما الكتب التي تصدر في خلال الأسبوع أو قبله [illegible] أو [illegible] لا [illegible] النقد الكامل أو النقد الشامل ، [illegible] باب «الكتب» أو «النقد» .

وإنما عرض لنا من حيث يوجه لنا الرأي في عرض الكتاب الذي بين أيدينا، وأين يقع منه، ورب كلمة واحدة في سطور كتاب أو ديوان، لم يعرض لها الكاتب إلا عرضاً أو كالشارد، ثم يكون من أثرها جانباً على الكتاب كله وعلى أصحابه أيضاً، وربما رأينا عنده وقفة تجلي لنا النفس من نواحيها، فنحتفل لها أشد احتفال وأعظمه لتكون كالشمس على الباقي الخبيئة التي تضيع في غرائب الكتب

وبعد كله — فقد أحسن «الزيات» إذ نقله إلى هذه العربية [illegible] الآن [illegible] من أبواب علمه وقد أصبح كل هذه [illegible] فإن الحرب والثورة وما في معناهما من اضطراب [illegible] أصحاب الحياة [illegible] أوصالها، فلا جرم إذن أن تدور الرءوس وعقولها دورات كثيرة حول نفسها، وتختل الأوزان والمقاييس في كل شيء، وأن تبدأ الحياة بعد الحروب بدءاً جديداً، ويكون الناس إذ ذاك كالناشر من باطن الأرض وقد خرج من أكنانه ليرى ظاهرها كل شيء [illegible] مضطرباً [illegible] ذلك [illegible] جديد لا أول [illegible] وإن كان كله خطأ وفساداً [illegible] من أسباب الفساد، وكذلك يكون الأدب والأدباء بعد الحرب، وما أعقب الحرب الماضية ثم الثورة المصرية سنة ١٩١٩ جيلاً من الأدباء استحق أسماءهم [illegible] وصرفوا في الأدب بأسمائهم مغالاة عظيمة، ومع ذلك —

فما أطيب في هذه الأيام إلى ما بعد الحرب — [illegible] روحه وهدايته الطريق الذي كان عليه الأدب إلى اليوم، [illegible] وكيف [illegible] فيه ذلك كله موقوف على نوع الحرب وأساليبه وما يجمع من فنون الشر، وما يثير من طباع الإنسان — من أنثى وذكر — وما يحتضر أو يهيج من أحلام الإنسانية المتحجرة من أطباق النفس البعيدة مع الإنسان الموروث على [illegible] على هذه الأرض

محمود محمد شاكر

# عام جديد

## للدكتور محمد محمود غالي

يسعدنا أن نزف إلى القراء أن حضرة العالم الفاضل الدكتور محمد محمود غالي رغب عنا في مستهل هذا العام أن يشكر لجمهور القراء في جميع الأقطار عنايتهم بالرسالة في وصف الصورة التي يرسمها العلم اليوم عن الكون ، وما وصلت إليه الآراء العلمية فيه ، وما يجده علم الفيزياء من تقدم . وقد تابع العلماء والأدباء والطلبة مقالاته الشائقة في تبسيط هذه الموضوعات العويصة بأسلوب سهل وعرض جميل وفرحة مشتركة . وسيتابع حضرة العالم رسالته التي عرضها في هذه المجلة متعرضاً لها في حدود رغبة الاطلاع وثقة المعرفة

---

يسمونه عاماً جديداً ، وليس القضية من حيث هي سوى أن الأرض أتمت دورة كاملة في دورانها حول الشمس ، شأن كوكب النشيط في رحلة كعادته من نقطة معينة في الفضاء وظل سائراً كعهده إلى أن عاد إلى النقطة التي بدأ منها السير ، ويستأنف الكوكب سيره من جديد لتصادفنا ما نستطيع أن نسميه عاماً جديداً ، وهو اصطلاح له معناه عند الإنسان ، ذلك أنه قد مضى من العمر الذي يتطلع إليه كل كائن حي جزء له خطره في الحياة إلا بعضاً منهم مثل هذا الجزء الذي قد لا يبادره الكثيرون ممن جاوزوا العقد الرابع أمثاله كثيرة ، أجل هو جزء له خطره وعلينا أن نحسبه من مراحل الأجل المحدود ، وقد يسأل كل امرئ عما قدم من عمل في هذه المدة وما الذي يجب أن يقوم به في هذه الحلبة

ولقد كانت غايتنا في العام الماضي أن نقوم بجهودنا في تبسيط العلوم وفي تقريب الموضوعات العلمية ممن يريدون أن يتذوقوه ، وكان ذلك لنا بداية مرحلة من مراحل الرحلة بعد ما استلزمته السنوات التي قضيناها في أعمال البحث من تعب متواصل في التفكير وتقرب طريقة في العمل ، وكان واجباً علينا أن نقوم بهذا النوع من التبسيط حتى نقرب من القراء من الشرقيين وأهل الشرق من الناطقين بلغة العرب ما يجري في عالم الغرب من بحوث في هذه الموضوعات وأمثالها ، وقد لا يكتبها إلا من كبار العلماء والكتاب ممن وقفوا جهودهم على ذلك من أمثالنا من المؤلفات ، وفي هذه البلاد الغربية لم يتأخر منهم مرموقون من العلماء في كتابة المقالات العلمية في المجلات الأسبوعية أو الشهرية يقربون من القراء أنفس ما بلغه العلم وأعظم ما وصلت إليه المعرفة . ويحضرني في هذا الخصوص مقالات جان فابري Jean Fabri القيمة التي نشرها في مجلة « العالمين » La Revue des deux mondes ومقالات جورج ... العالم الفرنسي في مجلة « الشهر » mois وما تلاها من أوائل وأشهر المجلات المماثلة في الوقت الحاضر ، بل لم يتردد آخرون في القيام بتأليف الكتب السهلة كالتي رأيناها للعالم الكبير لويس دي بروي وشقيقه الدوق موريس دي بروي ( وقد أخرجا في العام الماضي ثلاثة كتب من هذا النوع ) وكالتي نطالعها للسير جينز والعالم الفلكي إدنجتون ، وهما من مشاهير الإنجليز وممن حملوا كثيراً من الأعباء في باب تبسيط العلوم ، وقد ظهر للأخير منهم هذا الشهر كتاب في فلسفة العلوم الطبيعية لا زلت مترقباً أن يصل إليّ نسخة منه ، مستمتعاً بما سيحتويه من كتبه العديدة التي هي من بدائع ما كتب الكتاب في عالم التأليف

ولقد أصبحت لنا الرسالة ، وهي التي تسجل مظاهر التجديد في الأدب العربية ، المجال للتأليف العلمي ، وصحبت لذلك صفحة مجيدة ، وجعلت في رأيها رصد ظواهر التطور في الحركة العلمية ، وبدأنا مستعرضين في العام الماضي بتقسيم استعرضت ثلاث مقالات ذكرناها ... لماذا نحاول سبر الكون وما الآراء الحديثة ؟ وتناولنا بعد هذه المقدمة ثلاثة موضوعات رئيسية ، استغرق كل واحد منها سلسلة من المقالات المتتابعة

الموضوع الأول تكلمنا فيه عن نظرية رمل على وانتهت الصدور ونحن جمعنا فيه شيئاً من علاقة ذلك بالنظام الشمسي للمادة . والموضوع الثاني تكلمنا فيه عن الكون ، ورأينا القارئ كيف يكبر الكون في مجراته ، وكيف تبتعد جميع المجرات فيه بعضها عن بعض ،

وكيف استدل العلماء على ذلك من البحث التجريبي، وكيف أثبت البحث النظري صحة ما صاروا إليه. ولعل أظهر ما في هذا النوع من الأبحاث ما ذكرناه للقارئ من وجود علاقة بين الكون في مجموعه وبين أصغر ما فيه وهو الإلكترون. والموضوع الثاني حللنا فيه الأشعة الكونية، وأردنا بذلك أن نطلع القارئ على أعجب ما نعرفه من الأشعة، وهي الأشعة الطارقة التي تستطيع أن تخترق ما سمكه عشرة أمتار من الرصاص بينما لا تخترق أشعة الشمس غلافاً رقيقاً من الورق، وشرحنا كيف يستدل العلماء على صدور جسيمات هذه الأشعة الطارقة وهباتها، ويحصلون على صور مسارات هذه الجسيمات الخاطفة في الصور، ووضعنا في موضوع الأشعة الكونية الذي طغى على مقالات عديدة وسوق المشهورة التي هي أقصى ما بلغه العلم التجريبي من الدقة والصحة، ووجهنا القارئ بعد إلى فرع حديث في العلم التجريبي [illegible] جديدة وبحوث عظيمة الأثر، فرأى القارئ مثلاً كيف ساعدت هذه الأشعة في الكشف عن البوزيترون، الجسيم الموجب الكهربائية، وما مع ذلك من غموض في ماهية وكنه هذه الأشعة العجيبة التي تخترق أصلب حاجز أنها وجدت وأصحابها أين تكون.

والموضوع الثالث استغرقنا في كتابته اثني عشر مقالاً وانتهت بمبحث وقد تناولت فيه جسيمات المادة والكهرباء والضوء فتكلمنا عن الجزيء، وبينا أن حركة الجزيئات هي سبب الطاقة الحرارية، وشرحنا فلسفة ليبنز Leibniz وفكرته في إرجاع الحرارة والحركة إلى أصل واحد، وشرحنا المبدأ الثاني الثرموديناميكا، وذكرنا نصيب بولتزمان Boltzmann هذا المبدأ الذي شرحنا كيف تقضي قوانين الصدفة على الجسم المرتفع الحرارة أن يعمل على تسخين الجسم المنخفض الحرارة، ولماذا لا يكون العكس صحيحاً؟ وشرحنا من ذلك ما ذكره علماء [illegible] في الطريقة الغريبة التي ينتهي بها الكون، وهي عقيدة لم نرتض عنها ولم نستند حتى الآن في عدم موافقتنا هذه إلى أسباب علمية، بل اعتمدنا على عدم الاستناد في الفروض extrapolation، وقلنا بصعوبة التحكم في مستقبل الزمن، وكأن الحياة وما تبعث فيها من دهشة، والعلاقات

من كل ما نعرفه من الخواص، [illegible] العلماء الأقدمون بما ذهبوا إليه، وانتقلنا من الكلام عن [illegible] للكلام عن الذرة، فذكرنا عمل أمرسون وعجائب ماندليف، وبينا وجه التشابه بين عمل الأخير في الكشف عن [illegible]، وعمل Leverrier في الكشف عن الكوكب الجديد، التي لم تكن معروفة لسكان الأرض، وانتقلنا بعد ذلك من الذرة إلى الإلكترون فتكلمنا عن الكهرباء وذكرنا أنها كالمادة ظاهرة ذرية، وتحدثنا عن الشقيقين، الإلكترون والبروتون، أو السالب والموجب، وأتينا على تجارب مليكان R. A. millikan الخالدة التي استطاع بها أن يحصل حسياً حاملاً لإلكترون واحد، وبينا كيف تحدث الأرقام إلى هذا العالم، وكيف أنه من عملية حسابية بسيطة في عملية القسمة للشحنة الأصغر استنتج وحدة الكهرباء وقاس شحنة الإلكترون وتوصل بعد ذلك لمعرفة وحدة من أهم وحدات الوجود. هذا ما نستعرضه في علم، وما انتهينا إليه في مقالاتنا السابقة التي أرجو أن يكون قد أفاد منها عدد كبير من القراء الذين أرجو أن أوفر عليهم عناء كبيراً في مطالعة موضوعات هي من أصعب المسائل العلمية وأدقها وموردها لغير المختص في هذه العلوم كالعروف [illegible]

* * *

وبعد علينا [illegible] أن [illegible] هذا الموضوع الأخير الذي شرحنا فيه جسيمات المادة والضوء والكهرباء، فنتحدث عن قصة الإلكترون الرائعة ونذكر عمل جان بيران Jean Perrin ونتكلم عن جسيمات الكون الأخرى كالفوتون والنيوترون والنيوترينو، وغيرها من المكونات الأولى الخفية، التي تلعب على مسرح الوجود دوراً هاماً، والتي يجد الإنسان في دراستها علاقات تساعده على فهم الكون وقصة الوجود فإذا انتهينا من هذا تناولنا على الأثر، وفي بدء هذا العام موضوعات رئيسية ثلاثة، فنتكلم بها [illegible] الهيكل الرائع الكوني وما يحدث فيه، ونطلع بها أقصى ما بلغه الإنسان المفكر في المعرفة

الموضوع الأول يختص بفكرة النسبية Relativité هذا عنه

ألبرت أينشتاين Einstein ، وهي الفكرة التي أحدثت تفكيراً عميقاً على مسرح الفكر. والموضوع الثاني يختص بالنظرية Disintegration وهو الموضوع الذي يهتم العلماء الآن في بلوغه إلى الوصول إلى نوع جديد من المادة، يستطيع الإنسان به أعظم سيادة في استعمال القوة الطبيعية، وأكثر شأناً في الاستمتاع بالحياة في وجوه لا نعرفها نحن اليوم. والموضوع الثالث موضوع الـ Quanta وعلاقته بفكرة الضوء والمادة، وهو موضوع يعتبر الفيزيقيون اليوم أن لا غنى عنه في دراسة الطبيعة الحديثة، والتقرب من معرفة قوانين الكون. ونرجو ألا يفوتنا أن نذكر القارئ شيئاً عن النسبية ومؤسسها من غير بحث عن بدايات التفكير الحديث، وأن نعم موضوعاً مكنه من الإنسان القادم والآمال المعقودة عليه. وبذلك نكون قد تناولنا سلسلة من الموضوعات المتصل بعضها ببعض، يستطيع القارئ عند مطالعة إحداها أن يعرف شيئاً عن أحدث ما عرفه في التفكير، وعند مطالعتها أن يقف على صورة هي أقرب الصور لحقيقة الكون والوجود.

وقد كنا أردنا أن نتناول الموضوعات الثلاثة المتقدمة بالعناية والعرض الأمكن أن يستغرق كل منها عدداً أو ما يزيد، ولكنا ونحن نتوجه بكتاباتنا إلى غير المتخصصين في العلوم، وللأولئك الذين يودون ألا تظل العلوم الحديثة غريبة عنهم، نكتفي ببضع مقالات بحيث نستطيع بعد مضي ثلاثة أو أربعة شهور من العام الجديد أن نفرغ من هذه الموضوعات العلمية والفلسفية وبهذا عرضاً من نوع جديد.

وقد رأينا في هذا العرض الجديد أن يقف القارئ على معرفة بعض الاختراعات التي يشاهدها في حياته اليومية ويستعملها في كثير من شئونه، ويشعر إزاءها بشيء من الإعجاب. من هذه الاختراعات الراديو ونقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكي، كذلك «التلفزيون» أي الرؤية من بعد.

على أن بعض هذه الموضوعات تتصل بعلماء ومخترعين سأتي بلمحة عنهم أو التعريف إليهم. أذكر على سبيل المثال بيلان Belin مخترع البلاتوجراف، وهو الجهاز المعروف باسمه الذي يستعمل لنقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكي، وهو الذي نرى في بعض هذه الصور المنشورة بهذه الطريقة، وفي [illegible] وأذكر [illegible] مكتشف [illegible] كثيراً من الصور الخاصة باختراعاته، وهي لا ينبغي أن تكون مشكلة، بل يجب أن يستمتع بها كل قراء العربية.

وبعد هذه وذاك أكون قد وصلت بالقارئ إلى أحد أغراضي في أن يتتبع أحدث ما عرفه العلم ويقف على أهم ما يطلبه من الاختراع، ويكون قد شوقه معه على تتبع مسائل بعد في الواقع من باب الموضوعات الصعبة، إلا أنها موضوعات أصبحت لازمة لإتمام ثقافة المرء.

محمود خالد
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم الطبيعية. ليسانس العلوم الرياضية. دبلوم الهندسة

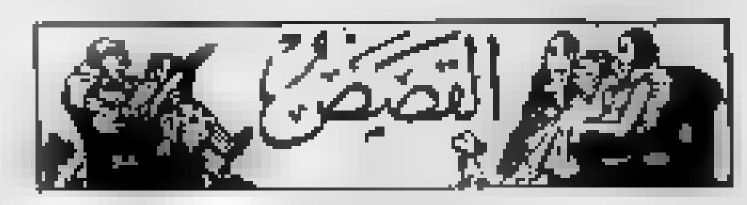


# سيدنا . . .

## للأستاذ محمد سعيد العريان

كنا في مجلسنا من شرفة النادي حين لمحنا صديقنا الأستاذ ع مفتش التعليم الأولي قادماً من بعيد، يتوكأ على عصاه وهو يميل يمنة ويسرة، ويطول في مشيته ويتقاصر؛ إذ كان في رجله عرَج قديم من التواء في إحدى قدميه؛ فلما بلغ حيث كنا جالسين، ألقى إلينا التحية ثم اتخذ له مقعداً على مقربة

ومضينا فيما كنا من الحديث، نتمرّج من فن إلى فن، وتشعّب الحديث فتمادى [illegible] إلى [illegible] وحادثة إلى حادثة [illegible] وقال واحد من السامرين: «رحم الله سيدنا ...!» فلم يكد يتم عبارته حتى انتفض المفتش في مجلسه وانتفضت عصاه في تأثر وانفعال، ثم تعلق بالحديث يقول:

«سيدنا! — رحمه الله وعمره!!»

وصرفنا بأبصارنا إلى الأستاذ ع، وقد أدركنا من حاله أن خاطراً من ذكرياته قد ألم به الساعة، وأن شيئاً ما جال في كلمة «سيدنا» قد أيقظ نفسه وهاج عاطفته، فرغبنا إليه في أن يقص علينا قصته؛ فمضى يقول

* * *

كان سيدنا الشيخ عبد الجليل له في القرية مكان واحترام، لا يبلغ منزلته أحدٌ من أهل القرية حباً ولا نسباً، فهو شيخ القرية وعالمها ومعلم بنيها؛ يستفتونه في أمر دينهم، ويستشيرونه في شئون دنياهم، وما منهم أحد إلا له عليه يد، ولا ذو حاجة إلا كانت حاجته عنده، ولا ذات أمر إلا تجب ما لمولدها رُقية من رُقى الشيخ أو حجاب من تعاويذه

وكان له «كُتّاب» لا ينقطع إليه طائفة غير قليلة من صبيان القرية يحفظون القرآن ويتعلمون القراءة والكتابة، ويقصد إليه [illegible] يطلبون مشورته أو يلتمسون بركاته

وكنت — كما كل فتى في القرية — أسمع بهذا الشيخ وأشعر له في نفسي من الحب والاحترام مثل ما يشعر الجميع؛ ولكني لم يُتح لي أن أراه رأي العين، وذلك [illegible] صباح [illegible] والدي إلى مكتب الشيخ عبد الجليل ليكل إليه تعليمي وكنت يومئذ في الخامسة من عمري وقد قضيت من العام شيئاً في مدرسة أولية بالمدينة حيث كنت أقيم مع خالي. ومضيت خلف أبي على طول الطريق لا أفكر إلا في السعادة التي تنتظرني ساعة أجلس بين يدي الشيخ المبارك أنظر إليه وأسمع منه وأحفظ من علمه..

ورأيت الشيخ يومئذ لأول مرة... فقد بدا لي أصغر سناً مما كنت أتصوره في خيالي؛ وأحسبه كان صغيراً حقاً؛ فإنه على ذيوع صيته وانتشار شهرته في القرية، لم يكن قد جاوز الأربعين بعد، [illegible] ذلك من لحيته السوداء وشاربه المصفوف، وكان في وجهه [illegible] وعليه مسحة من صور الزهد، أنبأتني [illegible] الناظر [illegible] أجداً إلى [illegible]، [illegible] على ما كان يبدو في وجهه وفي عينيه من التواضع والانكسار؛ لم يكد يرى أبي مقبلاً [illegible] حتى مدَّ له يده، مطأطئاً أبي رأسه وطلل على [illegible] حينئذ لم أملك إلا أن أسلم مثله، أما الشيخ لم يقبل يداً تمتد، حتى يلمس أبي رأسه.

ومنذ ذلك اليوم، صرت تلميذاً من تلاميذ سيدنا الشيخ عبد الجليل، على أني لم أجد في نفسي تلك من السعادة ما كنت أتوهم؛ فما هي إلا ساعة أو ساعات في مكتب سيدنا، حتى ضاقت نفسي وأحسست مثل إحساس السجين يحاول أن يفر من حراسه!

كان الشيخ جالساً في صدر المكان على فروة قديمة باهتة، وظهره مستند إلى وسادة باهتة اللون، وبين يديه [illegible]، ومن بين يديه [illegible] من خوص أخضر؛ [illegible] رجليه [illegible] غليظة يبدو طرفها من تحت الفروة التي يتربع عليها؛ وأمامه صبيٌّ من صبيان المكتب متربع في مثل جلسة [illegible] وهو يهتز بين يديه في حركة رتيبة؛ ويهمّ شيئاً من غيب صدره في نغمة واحدة ليس لها لون ولا لها معنى؛ وسيدنا مكبٌّ على [illegible] وهو يستمع إلى الصبي، لا يزيد على أن يرفع عينيه إليه بين لحظة وأخرى [illegible] وفي المكتب عشرات من مثل

يد الصبي ، قد تربعوا أفراداً وأزواجاً على حصير كبير يغطي أرض الغرفة جميعاً ، وبين أيديهم كتب وألواح يقرءون ما فيها جهراً ، ويقلبون الصفحات من وقت إلى آخر بحركة سريعة … والشيخ يخيط أو يعمل … ، والصبي بين يديه يقرأ

وكنت غارقاً في تأملاتي لا أكلم أحداً ولا يكلمني أحد ، لا … ولا يحدثني … ، حين دوى صوت سيدنا غاضباً يتوعد … وهل على ذلك الصبي … يحفظ والصبي يتلوى من الألم لا يكاد يُسمع صوته من خوف سيدنا

وكان هذا أول الشر ؛ ثم نهض الفتى الذي كان بين يدي سيدنا وحل محله صبي آخر ، ومضت فترة قبل أن يدوى صوت الشيخ في أذني مرة ثانية وهو يهوى على ذلك الغلام يضربه ولم يحتمل الفتى من الألم ما احتمل الصبي الذي سبقه ، فخرجت من بين شفتيه صرخة ألم ! حينئذ هاجت هائجة الشيخ ، فوثب إليه « العريف » يعاونه على تأديب الصبي ! وفي أسرع من لمحة الطرف كان الصبي محمولاً على الأرض مشدوداً من رجليه في خشبة غليظة يشدهما إليها حبل مفتول ، والشيخ يهوى على رجلي الغلام بالعصا في قسوة وعنف ، وهو تحت وطأته يصرخ ويتلوى ويعض على شفتيه من ألم الضرب !

أحسست قلبي في تلك اللحظة يكاد يثب من موضعه فرقاً وخشية ، فوليت بصري إلى الناحية الأخرى ، فإذا صبيان المكتب جميعاً منكبون على ألواحهم وكراريسهم في صمت وفزع ، وقد … رءوسهم وتشابكت في سرعة كأنما يحركهم محرك غير منظور ولم ألبث أنا نفسي أن رأيتني أهتز مثل هزاتهم وأحرك شفتي وليس بين يدي لوح ولا كتاب ، كأنما في هذه الحركة … من الشر الذي أخاف

كانت هذه هي عقوبة كل صبي من صبيان المكتب لا يحفظ درسه ، سواء في ذلك ابن العمدة وابن الأجير ! ومع ذلك لم يحاول صبي واحد أن يثور على سيدنا أو يشكو … أو يجرب الإفلات من عقابه … وآباؤهم وأمهاتهم جميعاً يثقون بالشيخ ثقة عمياء ، فلا يسمحون لواحد من بنيهم أن يشكو أو يتألم مما نزل به ، مؤمنين بأن « عصا سيدنا من الجنة ! »

منذ تلك اللحظة ، تبدلت صورة الشيخ في نفسي … ، حتى … أن أنتقم منه لهؤلاء الصبيان

وأقر بعض الشيء … وبات أمي … بعد أن ألقى … إلى سيدنا كما … إلى الأقلام التي … ساعة من نهار … لا أدع … مطلع الكتاب … فاستقبل بها قلباً راضياً ونفساً … وكانت أخرى … سيدنا يعلم من يحمل ذلك ، وإن كان على يقين بأن صبيان المكتب جميعاً … !

***

انقضت في مكتب الشيخ عبد الجليل شهراً وبعض شهر ، لم ينج … من عقابه ، حتى جاء اليوم المشئوم !

كان علي في ذلك اليوم أن أحفظ جزءاً من القرآن الكريم ، … في الغرفة أن أشغل ، وحل ميعادي ، فجلست بين يدي سيدنا وأنا أرتجف خوفاً من عقابه ، … في كلمة خافتة وصوت يرتعش ! … الشيخ قد قبل … حين أكون … في … ، ونهضت من … ولا أكاد أصدق بالنجاة ، فقد كان أسرع ما أخافه أن يجذبني إلى الأرض ويهوى على رجلي بعصاه

ومضت ساعة قبل أن يحل … صبي من رفاقي كان عليه … وجهة تفكيري في درس اليوم ؛ إذ دخل في عصر اليوم الماضي يسحبه إلى الحقل ليصيد العصافير ، ثم عدنا إلا وقد أرخى الليل سدوله ثم نسيا درس الغد

وجلس الفتى بين يدي سيدنا مضطرباً ممتقع الوجه لا يكاد يبين ، ونظرت من خلف اللوح إلى سيدنا فإذا هو في … الغضب ، ثم لم يلبث أن صاح يصيح بالصبي صيحة … ، فاضطربت أطرافي … كأني أنا ، وأنظر إلى سيدنا ! وطرق سمعي قوله : « وأنت كنت أمس ؟ تصيد العصافير … ! »

ولم … فأسرع … ، …

وقبل أن أرى صاحبي محمولاً على الأرض ، مشدوداً من رجليه في الخشبة ، كانت رجلاي تسرعان بي إلى الباب … وقف العريف في وجهي ، فلم أجد أمامي إلا النافذة ، فتخطيتها … وذهبت !

لم أدر بعد ذلك شيئاً مما كان إلا وأنا راقد في فراشي ، ووجع شديد … ، … من … أبيض ، وأمي إلى جانب رأسي تبكي في صمت !

لقد أفلتُّ من عصا سيدنا ، ولكني وقعت من ذلك عالياً ، فانكسرت رجلي ! ومن ذلك اليوم لا أمشي إلا مستنداً على عكازا

* * *

وهدأ المفتش وهو يبحث في الأرض بعصاه ، وغرق السامرون في صمت ! ثم عاد المفتش إلى حديثه

لم يكن لي سبباً في أن أعود إلى كتّاب سيدنا بعد الذي كان ! فدخلت المدرسة الأولية في البلد ، وانقطعت صلتي بالشيخ وكتّابه وعريفه وصبيانه ؛ ولكن ذكراه لم تنقطع قط ، ذكرى مؤلمة مرة ! ومن أين لي أن أنسى وعندي رجلي وتلك عكازتي لا تفارقني !

وثار الحقد في قلبي من يومئذ لسيدنا ، فما كان يخطر ببالي مرة إلا نزعت في نفسي شياطين الشر !

وأتممت التعليم الابتدائي والثانوي ، وكدت أنسى الصبيان من كل علم في القرية ، فكان لا بد لي أن ألتقي سيدنا أو تلميذاً من تلاميذه عابراً في الطريق ، فأطأطئ رأسي وأوغل في السير خشية أن يرى في نظرة من الشر فأهوي بعصاي على رأسه فأحطمه !

تُرى أكان ذلك شعوري وحدي ، أم هو شعور الكافة من تلاميذه الذين ذاقوا من قسوته وعنفه ما لا طاقة لأحد باحتماله ؟ ولكني أكاد أعرف تلاميذه جميعاً وهل في القرية كلها رجل واحد لم يكن من تلاميذ سيدنا في يوم ما ؟ ولكنهم مع ذلك ليوقرونه ويعرفون مكانه ؛ وإن منهم رجالاً في مناصب رفيعة ، وإن لي منهم لأصدقاء وزملاء !

وأتممت دراستي العالية ، لأكون في أول عملي مدرساً في مدرسة من مدارس البنات الابتدائية ، تتبعها روضة من رياض الأطفال ، تضم شتيتاً من الصبيان والبنات بين الخامسة والثامنة ، وتجمعهم على نظام من التربية لم يكن معروفاً لعهدنا في مثل هذه السن

وكنت أغدو وأروح كل يوم من عملي على هذه الروضة الضاحكة ، فيسرني صفاء هؤلاء الأطفال الصغار في ثيابهم المتشابهة ، بين بنين وبنات ، يلعبون ويمرحون في بسيط من الأرض تحت رعاية معلمة عطوف ، لها قلب الأم وحرص المربية ، تأخذهم باللين والرفق في التعليم والمعاملة ؛ وتشاركهم في اللهو ، وتخاطبهم في الحب ؛ وتنفذ بكل أولئك إلى نفوسهم ومشاعرهم ؛ فتنشئهم نشأة رضية ، وتصلح وجدانهم وعواطفهم ، وتطبعهم من الذل شأنهم على الخير والصحة والسلام !

وعلى قدر ما كان يسرني صفاء هؤلاء الأطفال كان يثور في شعور الأسف على أني لست صبياً ..

وكان أحب هؤلاء الأطفال أقربهم منزلة إلى قلبي ، هو الطفل « فؤاد » ، فإني لأحبه وبمرحه ، وبيني وبين أبيه صلة من الود ؛ إذ كانت نشأتنا في بيتين متجاورين من القرية التي هو مثلنا منذ آونة أن يكون في مدينة الحكومة ، وكان أبوه زميلي في كتّاب سيدنا ولكنه لم يجاوزه حتى أتم القرآن

وكان فؤاد يلقاني الصباح كل يوم بتحية طفلية رقيقة ، ويودعني في العصر مثلها ، فلا أزال من تحيته بين الصباح والمساء في نشوة وطرب ، وكثيراً ما كانت تحضرني إلى جانب صورته صورة أبيه في صباه ، جالساً على الحصير من كتّاب سيدنا ، وبين يديه لوحه وكتابه ، وهو يهتز هزات متوالية ، ويدور بعينيه بين الصبيان يبادلهم اللحظ غمزات ونظرات

* * *

واستمر المفتش في حديثه يقول

هل كان هذا الطفل وشبهه من أطفال الروضة ، إلا نغمة حية تذكرني ما كان من جناية سيدنا علي في صباي وتورث البغضاء في قلبي ؟

.. وتقلبت في مدارس عدة ، حتى بلغت أن أكون مفتشاً وعلى أني كنت أعلم ما يلقاه المفتشون من المشقة والجهد ، وما يصادفون من النصب حين تضطرهم تكاليف الوظيفة أن يعيشوا ليالي عدة بعيدين عن أسرهم وأولادهم متنقلين بين القرى والمراكز — فإني كنت جد مغتبط بما أسند إلي من عمل ؛ لا ولعاً بالمنصب ، ولا رغبة في الجاه ؛ ولكنها كانت أمنية عندي في نفسي ، ستكون في سبيل تطهير القرى من مثل كتّاب سيدنا الشيخ عبد الجليل ..

أكان ذلك مني عن إخلاص في العمل وحرص على مصلحة التعليم ، أم كان إيحاء من الرغبة الباطنة التي تحفزني للذكريات إلى بأسه ، تحاول أن تخدعني به عن حقيقة الشعور الذي يضطرم في نفسي بالحقد والبغضاء لسيدنا ؛ فتدفعني إلى محاولة الثأر والانتقام وهي تسمي ذلك إخلاصاً في العمل وحرصاً على مصلحة التعليم ؟

لست أدري ، ولكن الذي كنت أعرفه يقيناً لا شبهة فيه ،

هو أني كنت مرحاً بطبعي، طيب النفس ... فما كان لي من بعدُ إلا أمنية واحدة، هي أن يكون كُتّاب سيدنا الشيخ عبد الجليل في حارة أخرى!

ومضت سنوات قبل أن تتحقق لي هذه الأمنية

ورحت أحمل وحدي جرحي، وهذا اليوم الذي انتظره سيدنا أزهر، الكتاب الذي دخلته أول يوم وقف في شفتي بسمة الرضا والسعادة، وفارقته يوم فارقته محمولاً على أكتاف الناس [illegible] من [illegible] ... ثم لم أمش بعدها إلا متوكئاً في [illegible] وصحبتي [illegible] [illegible] أن [illegible] موعد [illegible] فما [illegible] فيها جسمي ولا [illegible] أحد

وأشرق صبح اليوم الموعود، فبكرت إلى ما [illegible] عليه [illegible] [illegible] ...

وكان بيني وبين كتاب سيدنا خطوات معدودة حين [illegible] [illegible] [illegible] من الصوت رويداً رويداً، وسمعت الناس [illegible] إلى أهل القرية سيدنا الشيخ عبد الجليل!

ما أعجب القدر!

وظللت في القرية طول اليوم حتى أمشي في جنازة سيدنا وما كان لي أن أفعل غير ذلك — وأعظم الناس [illegible] [illegible] [illegible] إلا [illegible]، [illegible] ما [illegible] نفسي في عيني!

ومشت القرية كلها في جنازة الشيخ، لم يتخلف منهم أحد، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] أحد منهم [illegible]

وعدت إلى مكتبي في المدينة مبكراً، [illegible] أحداً من الزملاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في نفسي ثورة [illegible]، وفي رأسي [illegible]، [illegible] لم يكن بي في تلك اللحظة [illegible] على أحد، ولا ... ولا كانت لي أمنية أحرص عليها! [illegible] إلى ذلك كنت في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على سيدنا وما [illegible] له من [illegible] وعن كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] كنت [illegible] من [illegible] [illegible]؟

أتكون كل سيئة في هذه القرية من [illegible] ... لقد كان [illegible] ... ولكنه مع ذلك [illegible] [illegible] لا [illegible] وما [illegible] في يوم [illegible] ولا [illegible] [illegible] ... فما يذكر أحد من القرية إلا بمعروف [illegible] أو [illegible] ... سواء في ذلك أهل العلم من تلاميذه وأهل [illegible] والأمية!

[illegible] في خواطري هذه [illegible]، إذ دخل إليَّ صديقي من [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible]

«[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]» ... [illegible] [illegible] آخر [illegible] [illegible] ... لأن [illegible] [illegible] في [illegible] أن يكون رجلاً [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليه [illegible] [illegible] ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ...

[illegible] [illegible] [illegible]

وحضرتني في تلك اللحظة صورة فؤاد الطفل الذي كان يلقاني كل يوم [illegible] في [illegible] ... على روضة الأطفال، ثم صورة فؤاد الصبي [illegible] [illegible] مع أبيه في [illegible] [illegible] ويمسح وجهه [illegible]، ثم صورة فؤاد الفتى [illegible] يمشي في [illegible] [illegible] [illegible] ويتمايل [illegible]، [illegible] إلى كل [illegible] [illegible] ... لا [illegible] من أمر شيء إلا [illegible] ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما [illegible] [illegible] [illegible]؛ ثم صورة فؤاد [illegible] [illegible] في أكفانه، ومشيّع جنازته [illegible] من [illegible]!

وسكت صديقي وسكتُّ، ولكن روح سيدنا الشيخ عبد الجليل ظلت تحدث حديثها في نفسي

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وثلاثين سنة، شعرت بأن سيدنا كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليها جهده حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

محمد سعيد العريان

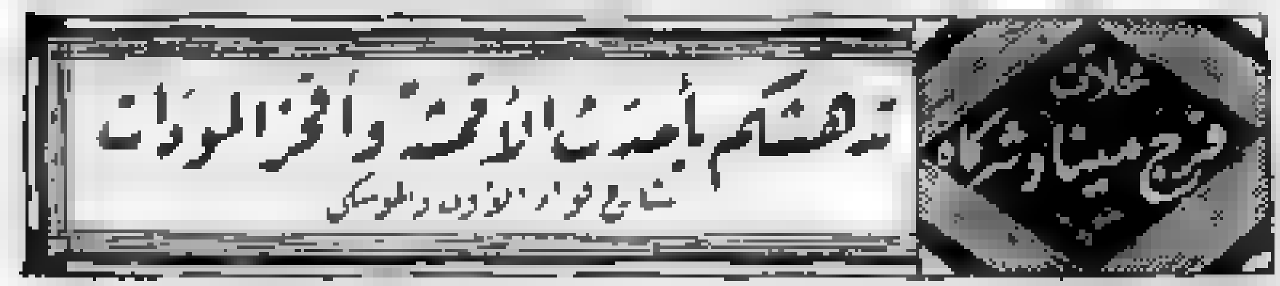

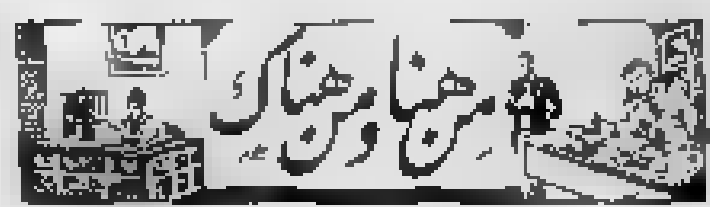


## هل تستطيع هتلر أن يغزو أمريكا

[ عن مجلة « كرنت هستوري » ]

من أهم ما يشغل عقول رجال السياسة في أمريكا اليوم هو هذا السؤال « إذا انتصر أدولف هتلر في الحرب الأوربية الحاضرة فهل يكون انتصاره هذا تهديداً للولايات المتحدة من الناحية الحربية؟ » وهل جواب هذا السؤال تكون رغبتنا في دخول أمريكا الحرب الحالية أو عزوفنا بصلة منها. فإذا دخلنا الحرب فلا الشكوك في أن يبقى نظامنا الاقتصادي الحر على ما هو عليه اليوم، وأن تبقى سياستنا الديمقراطية سليمة مع الأخطار التي تجرها الحرب. لذلك أستطيع أن أقول إن احتمال مهاجمة هتلر لنا من المسائل التي تفكر فيها ونوليها اهتمامنا

فإن كانت الضرورة تقضي علينا بأن نقف هتلر عند حده من الآن، حتى يتيسر لنا أن نحول في الدفاع عن أنفسنا في المستقبل، فإن واجبنا بلا شك أن نعلن عليه الحرب من الغد ولا تستطيع سلطة حربية أياً كانت أن تعزل عن ذلك، ولكن هل يستطيع هتلر أن يغزو أمريكا؟ الجواب « لا » بأوسع ما تحوي هذه الكلمة من المعاني. فكل من له خبرة بالفنون الحربية والبحرية في أمريكا يؤكد أنه ليس في مقدور هتلر أن يهاجم حدودنا، ولذلك لا يستند إلى شيء من الحقيقة فلننظر إلى الأسباب التي تدعو إلى ذلك

يجب أن نضع نصب أعيننا قبل كل شيء أنه لا توجد قوة تستطيع أن تهاجم شواطئنا الشرقية إلا إذا وضعت يدها على المحيط الأطلنطي. فهل في مقدور هتلر شيء من ذلك؟ إن قوة هتلر البحرية معروفة وهي لا تزيد عن ربع القوى التي لدينا الآن، فإذا وضعت الحرب عربياً من دولة، وكان على هتلر أن يحارب على مسافة ثلاثة آلاف ميل من بلاده، فإن هذه القوة وحدها تعد بمثابة واحد إلى اثنين أو ثلاثة

وقد يقول بعض الناس إن هتلر إذا انتصر على الأسطول

إن يستولي على الأسطول الإنكليزي يكفي ليستطيع أن يقف عند حده. ونحن لذلك أستطيع أن أتحدث من تجربة شخصية في هذا الموضوع، وأستطيع أن أؤكد أن الأسطول البريطاني لا يمكن أن يسلم أو يقع في يد غير بريطانية. فإذا قدر لهذا الأسطول المظفر أن يهزم، فإنه الهيئة لا تسمح أمراً من الحين بعد أن يلجأ إلى شواطئ تبعية بحسن سيرها كشواطئ كندا، ويجب أن يحارب إلى آخر قطعة له، أو يبرح به بحارته في أحواض المحيط كما فعل قائد الأسطول الألماني اليوم

إن نابليون لم يستطع أن يغزو أمريكا بعد انتصاراته العظيمة وهو سيد أمة ناشئة، فهل يستطيع هتلر أن يعد مواده الحالية بعد هذه الحرب التي نقدرها بالعشر؟ إني أعرف كثيراً من الحروب، أعرف كثيراً من لا يجوز ذكره الآن. وأستطيع أن أؤكد أن أمريكا إذا احتفظت لنفسها بنظام حربي معقول، فليس لقوة في الأرض أن تهددها أو تتغلب على جيوشها في يوم من الأيام.

## سر التسلح بعصير كل شيء

[ عن « ديلي تلجراف » ]

كم يوم من القلق وكم شهر من الجهد، إذا أتيح لنا يوماً ما أن نخرج إلى الغابات أو نمشي في الحقول، فنقتطف جوهرتنا من بعض النبات وسكاكرنا من آخر، ونلتقط من جانب آخر ونتناول اللعب لأطفالنا من نبات غير هذا وذلك! هذا حديث قد يبدو عليه شيء من الهزل، أو قد يظهر فيه شيء من الاستحالة في إمكان وقوعه، ويكاد في ملحقه في حكم المستطاع. من عالم النبات وعالم الأشجار ما يجد منها جميعه، بل وربما أكثر منه إذا أردنا. فقد تيسر أن نجد في مكان واحد كل ما نريده من هذه المواد، وكان آخرها منها (علاوة بيانية) حقيقية تحدثنا بها عما يوفر لنا أسباب الراحة

فإذا تمشيت في غابة من الغابات الاستوائية، ثم تجد شجرة ماء تبلغ ... ، أمكنك أن تروي عطشك بينبوع من ماء النبات، فإذا كنت تفضل اللبن على الماء فهناك شجرة البقرة وهي شجرة تشبه شجرة المطاط، وتغطي منه عصيرها المغذي من الطعم الشعر ... ، ويشبه طعم اللبن إلى حد كبير

فإذا احتجت إلى ملابس جديدة فهناك ما يكفيك منه

البحث عنها ، وما عليك إلا أن تمد يدك إلى شجرة (الهرنغلا) وهي من أعجب أنواع الأشجار وأنفعها ، فتأخذ منها ما تريد ، ويكون أمامك هذه الشجرة من ثلاثة [illegible] ، أشبه بالقالب [illegible] ، فإذا [illegible] وقطعت منها رأيتها كالصحيفة الرقيقة البيضاء . أما جذع هذه الشجرة وساقها والفروع الأكبر حجماً منها فتحتوي على الألياف القوية اللينة الممكنة النسج . وتستعمل القطع الرقيقة من هذه الألياف [illegible] والأوعية [illegible] . أما النسيج [illegible] فيستعملونه في الملابس [illegible] والسجاد وما إلى ذلك ، وهي من القوة والمتانة بحيث تصلح لصنع الحبال [illegible] .

ونستطيع أن نستمد من الأشجار [illegible] مادة للاستعمال [illegible] عنها إذا أردنا ذلك إلا أن [illegible] شجرة من شجرات [illegible] ، [illegible] في [illegible] من [illegible] الحية [illegible] بالأزهار [illegible] .

وإذا كان من السهل أن نجد في مخازن الثياب ما يصلح [illegible] ، فالسهل منه أن نجد [illegible] أحذية لأقدامنا . ففي [illegible] أشجار [illegible] ، لا [illegible] أحد [illegible] عنا [illegible] أحذية [illegible] فروع هذه الأشجار [illegible] من [illegible] أردنا أن نصنع [illegible] من السهل أن نقطع منها [illegible] وتقطعه وتنقيه [illegible] للاستعمال .

ولا نظن أن هذا كل ما نستطيع أن نناله من عجائب النباتات أو أننا عددنا كل ما يمكن استغلاله منها ، والحقيقة أننا نستطيع أن نستمد منها أشياء كثيرة لا يدركها الحصر

حتى أمواسي الحلاقة [illegible] على [illegible] النباتات ، فهل تعرف أن [illegible] الحشائش [illegible] تصلح لإزالة اللحى ؟ [illegible] في كل [illegible] لا [illegible] عن أقوى أنواع الأسلحة التي تصنع من الصلب

## حياة الطالب في باريس

[illegible]

يقيم في باريس ثلاثون ألف طالب من أبناء فرنسا ، وعشرة آلاف من الطلبة الأجانب ، ويقطن أكثر هؤلاء الطلاب في الحي اللاتيني حيث [illegible] عليه طابعاً [illegible] في [illegible] والطالب الفرنسي يختلف عن أمثاله في سائر الأمم [illegible] بأن يعتمد على نفسه في حياته الدراسية على الدوام ، ولو أن [illegible] بالقاعة [illegible] من [illegible] ، [illegible] أن

[illegible] نفسه مما [illegible] من [illegible] حياة الطالب الفرنسي [illegible] على أنهم يستطيعون أن يحصلوا على [illegible] من [illegible] التي تجيء في [illegible] الأولى ، [illegible] الفقير [illegible] والطالب الفرنسي

فإذا ما دخل الطالب [illegible] للدرس ، [illegible] الكتب [illegible] للدراسة لم يبق معه [illegible] إلا [illegible] القليل [illegible] — وكذلك الطالب [illegible] من [illegible] إلى [illegible] في الحي اللاتيني [illegible] لا يتجاوز [illegible] أو ثلاثين [illegible] في الشهر [illegible] بنفسه على [illegible] الصباح [illegible] القهوة الفرنسية [illegible] أو القهوة [illegible] قليل من اللبن

ويمضي الوقت من الساعة التاسعة [illegible] إلى الساعة الثانية عشرة في [illegible] المحاضرات ، وعليه أن يتناول غداءه بعد ذلك من [illegible] خاصة [illegible] الطالب في [illegible] واحداً وثلاثة [illegible] في الطعام [illegible] ولكن قليلاً من الطلبة الذين يستطيعون أن [illegible] هذا [illegible] ، [illegible] بعضهم إلى تناول [illegible] أو [illegible] في [illegible] لا يتجاوز [illegible] ، ثم [illegible] في [illegible] في [illegible] من القهوة بأحد مشارب الحي اللاتيني ، وعلى ذلك فالطالب يستطيع أن يتناول غداءه ويصرف بعض الوقت في الراحة [illegible] لا يتجاوز [illegible] .

ويعود الطلاب من الساعة الثانية إلى الساعة [illegible] بعد الظهر إلى [illegible] المحاضرات ، [illegible] هذه الفترة [illegible] [illegible] جاء وقت العشاء [illegible] بعض الطلاب [illegible] الطعام [illegible] إلى تناول [illegible] في [illegible] الأصغر ، ثم يأتي وقت [illegible] في شوارع الحي اللاتيني وأزقته [illegible] بعد [illegible] الليل [illegible] الأضواء [illegible] من خلال [illegible] ، [illegible] كذلك إلى [illegible] الأخير من الليل

وفي [illegible] يجد الطالب [illegible] والمرح ، [illegible] في بعض [illegible] — إذ لا [illegible] الطالب الفرنسي [illegible] يستطيع أن [illegible] من [illegible] ويمضي بعض الوقت في [illegible] أراد [illegible] أكثر من ذلك ذهب إلى بعض صالات الرقص حيث [illegible] لا يتجاوز [illegible]

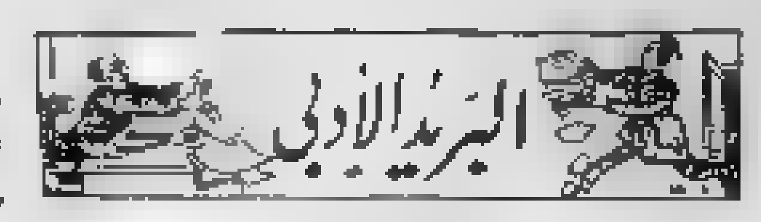


## شمال أفريقيا والعروبة

صديقي الأستاذ الزيات

قرأت الكلمة المنشورة في العدد ٩٣٦ من الرسالة الغراء بتوقيع «أبو الوفاء» وتحت عنوان «شمال أفريقيا والأستاذ الحصري» فوقعت في حيرة عميقة، فقد ادعت بأن الكاتب قد ظن أنني لا أعتبر تونس ومراكش من البلاد العربية في حين أنه يجعلني أشك في عروبة تلك البلاد في وقت من الأوقات.

فقد نقل الكاتب من مقال «بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية» بعض العبارات التي قد تصلح مجالاً لمثل هذا الظن غير أنه لو انتبه إلى الأسطر التي تلي في مقال تلك العبارات، لوجد فيها ما ينفي ذلك الظن نفياً باتاً.

فقد قلت — بعد عشرة أسطر من العبارات التي نقلها الكاتب — ما يلي حرفياً:

«لا يمكن لأي عاقل كان أن يتصور حصول اتحاد بين القاهرة وبغداد وأنقرة وطهران وكابل ... الخ دون أن يحصل اتحاد بين القاهرة وبغداد ودمشق ومكة وتونس ...»

فليلاحظ الكاتب أنني لم أقل طول حياتي ولا لحظة واحدة بأن «شمال أفريقيا التي تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش ليست عربية».

بل على عكس ذلك، قلت — في المحاضرة التي ألقيتها في بغداد، على جمع غفير من الشبان — بعد عودتي من المغرب الأقصى: «إن مراكش أجمل البلاد العربية على الإطلاق» كما حاولت أن أصف مدينة مراكش وضواحيها بقولي: «إنها تجمع بين جبال لبنان وغوطة دمشق ونخيل بغداد، وتتخللها الأنهار والنخيل والزيتون بأجمل الصور وأبدع الأساليب».

هذا وأود أن أطلع الكاتب على الأمور التالية، لإظهار مبلغ اهتمامنا ببلاد المغرب، كجزء مهم من العالم العربي:

أ — لقد أسسنا في القصر العباسي الكائن في قلعة بغداد معرضاً دائماً لصور الزرابي (السجاد) المغربية، يحتوي على نماذج من صناعة بلاد المغرب، ويريك صوراً شمسية مكبرة، لأكثر من عشرين زربية مغربية، منها القرويين والمكناسية.

ب — لقد أسسنا في القسم الأوسط من أواوين سور بغداد الباقي من العهد العباسي متحفاً للأسلحة، فجمعنا فيه أنواعاً كثيرة من الأسلحة العربية، والقسم الأعظم من هذه الأسلحة يعود إلى مراكش وتونس، وكنا اقتنيناه باسم دائرة الآثار القديمة خلال رحلتنا الأخيرة.

ج — لقد خصصنا غرفة لـ «فنون المغرب الأقصى» في «متحف الآثار العربية» فرتبنا فيها كثيراً من الأواني الخزفية والمنسوجات المطرزة كنا جمعناها خلال رحلتنا الأخيرة، لزيادة معرفة الناس بتلك البلاد العربية.

ولهذه الأسباب كلها، قد تألمت من قراءة الكلمة التي تتهمني بإنكار عروبة أفريقية الشمالية. غير أني أقول هذا، عاد القلب إلى سروره حينما قرأت العبارات التي ختم بها الكاتب كلمته وهي: «إن النزعة القومية الكامنة في حماستنا تعطف بنا أحياناً إلى إصلاح خطأ إخواننا العرب فيها».

إنني أقدر هذه النزعة القومية، وأحترمها، حتى عندما تجور علي، وتتهمني بما أنا براء منه ... أبو خلدون

* * *

ملحوظة: إنني مستعد لإرسال صور المتحف التي ذكرتها آنفاً، حالما أطلع على عنوان الكاتب، لزيادة اطلاعه على اهتمامنا بالمغرب العربي عموماً.

## الجواب حاضر

قرأت الكلمة الكريمة التي نشرتها «الرسالة» لحضرة الأستاذ (م. ص. ع.) في نقد كتاب «ليالي الربيع في العراق» وقد شاء له فضله أن يقول: إن بعضهم تعهد ذلك الكتاب حتى ليرتفع به عالياً عالياً إلى السماء. وكنت أحب أن يبحث القراء بصريح ما لم يرضوا من كتابي، ولو أنه عمل مرضو في طريقه أن هناك فرقاً بين ما نشر في «الرسالة» وما لم ينشر. فالذي نشر في «الرسالة» هو الجزء الأول، وهو جزء مصقول. لأن الزيات — ساعده الله — كان يحذف منه أشياء. وقد شاءت

الأصول الخطية ولم يبق أمامي غير ما وصف صفحات «الرسالة» فاكتفيت بعد وقيل اللام غير قليل!

أما الجزء الثاني والثالث، فقد أخذتهما من بعد فرأيت فيهما صورة صحيحة من عقل دكتور، وبها أشعر على من الجزء الأول للمذهب المعقول الزعم منه. فمن أراد أن يعرف الفرق بين الأدب الجيد والأدب الرخيص، فلينظر كيف كان إسماعيل إلى نفسي أجمل من إحسان الرجل حين حذف من الجزء الأول أشياء لم تزدنا! ثم يريد حضرة الناقد أن يتمسك بشيء، فما هو ذلك الشيء؟

فصل ننقل فقرات جيدة من الجزء الثالث تكررت فيها كلمة «من» و«فيها» و«منه». فما رأيه في كلمة «ذلك» التي كررها الدكتور مبارك في كلمة نقلها الناقد نفسه؟ هل يحسب «سكاكة»؟

وما رأيه في معلقة زهير، وقد كرر كلمة «من» أربع عشرة مرة في عشرة أبيات؟

وكيف يجزم على ما بعد الأجيال الطوال من زهير؟

وهناك فقرات للكاتب الناقد لا أصادق ورودها مثل هذا السرور، فهل يحب أن أنقلها إليه ليعرف أن التكرار قد يكون جميلاً جداً إذا اقتضاه المقام؟ وهل يسره أن أحصيه بذكر شواهد من الصور القرآنية كان فيها التكرير من أقوى عناصر البيان؟

وما هذه التكرير الطبيعية التي يدعي أنها تناقض المسائل؟

هل يظن أن في أسلوبي شيئاً من أسلوب الدكتور طه حسين؟

أنا أكره على نفسي وعلى حضرة الناقد من أن يكون أسلوبي صورة لأسلوب قديم أو حديث، وإن كان يسرني أن أحاكي الكاتب

زكي مبارك

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

حضرة الأستاذ الفاضل الجليل محرر الرسالة

قرأت مقالة طويلة في جريدة يومية سياسية تعليقاً على التصحيح الذي نشرته في الرسالة بعنوان (شعراء الشرق والطبيعة الغربية) وكأن حضرة الكاتب الفاضل لم يحسن الدفاع عن أخي علي محمود طه المهندس فوقع في الإساءة إليه. وأنا غير مؤاخذه على ما ظهر من سكوته به لأصحابه أستاذنا مثلاً «مارسيل» كما وقع مقاله. ولما لم تكن نشيره إلى لم يكن موضع إكرام عمو موضع التعليق. وأما أنهما قالوا لا أوصلها أعني بيتان الأدب الثاني من التصحيح إلى التصريح.

وأنا لم يؤلمني ثناء «الأجنبي مايل» على شاعرنا الجليل علي محمود طه كما يستحق حضرة «مارسيل» ولم يؤلمني إيثاره «على محمود طه» بالذكر، فذلك موضع الفرحة لا موضع الأسف. وإنما آلمني أن يضع كاتب «الأجنبي مايل» حجته على جهة وعلى أعين القراء فيقول لهم: إن شعراء الشرق الذين طافوا بالغرب أو عاشروا فيه لم يصفوا وصف جماله وهم أكثر الناس استحقاقاً لمثل هذا الأدب

وأنا ما رددت في كلمتي في الرسالة الماضية على أن صححت وهم كاتب «الأجنبي مايل» وبينا كيف لقد ذكرت نفسي في عداد من ذكرت من الشعراء الذين وصفوا الغرب فهو أمر ما كنت لأذكره لولا أن أرغمني عليه من علائم الصحافة والأدب والشعر في مصر. وما كان من طيبي الحديث عن نفسي في مجلس أو مكتب، فذلك منطق يعرفه عني أصدقائي ومعارفي

ويهم حضرة «مارسيل» شعراء مصر بأنهم قد قصروا عن إخوانهم شعراء الشام في وصف بلادهم ووصف أحلامهم ومطامحهم، وعندي أنهم لا أجد له نصيباً من الحق ولا موضعاً من الواقع. ولئن كان إخواننا شعراء الشام قد وصفوا لبنان الخلاب والأرز العظيم قبل أن يصفوا الغرب، فإن إخواننا شعراء مصر لم يقصروا في حق بلادهم وتاريخهم وبلاد عروبتهم قبل أن يصفوا الغرب. وبهذه القضية لا يحتاج إلى دليل: أشوقي وصف النيل بقصيدته التي مطلعها

من أي عهد في القرى تتدفق    وبأي كف في المدائن تغدق

وحافظ إبراهيم يصف «الحيرول» في ... ويطالب في قصيدته التي يقول فيها

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري    حتى أريك بديع صنع الباري

ومعهم الدكتور بشر فارس وصف الطبيعة المصرية في شعر لم ينشره بعد أن يصف الفصول الأربعة في باريس ...

ولذا كان ذكر الواقع يؤلم حضرة الأستاذ «مارسيل» فإني أستفيده في أن أذكره لأخي ... إني كاتب هذه الكلمة لي قصائد في «النيل» شغلت الأسماع والقراء فأصبحت لها مكاناً عليا

وما نسي شاعر مصري ممن أقاموا في أوربا حنينه الدائم إلى وطنه الفتان، ولم تشغله مباهج أوربا ومباهجها عن ذكر النيل وترانيم السفين فيه ... فقد كان شوقي رحمه الله في أسبانيا وقلبه في مصر

وبعد شاعر الوطن كان أقرب الناس روحاً إلى مصر وهو أبعد الناس عنها في شمال أوربا

وهناك شاعر ثالث — لا أذكر هذه المرة اسمه — [illegible] نشر في الأهرام سنة ١٩٣٢ أبياتاً في الربيع يقول فيها: يا طيور الربيع في أرض مصر [illegible] إن قلبي [illegible] حائر [illegible] كل طير [illegible] يشوق

وقد أرسل هذه الأبيات إلى مصر [illegible] من [illegible] الحياة [illegible]

وبعد فقد اكتفيت بالأمثلة [illegible] حديثنا من أهل [illegible] على [illegible] موضوعاً [illegible] الكلام كما ذكر [illegible]

وأرجو أن [illegible] (القاهرة) حتى أؤدي له واجب [illegible]

والشكر للرسالة الغراء أولاً وأخيراً

محمد عبد الغني حسن

نص محرف

سيدي صاحب الرسالة

في الصفحة السادسة من الجزء الأول من كتاب الأمالي لأبي علي القالي [illegible] على البيتين الآتيين [illegible] لم يذكر اسمه، هما:

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ
تغنت على خضراءَ سُمرٍ قيودها
صدوحُ الضحى معروفة اللحن لم تزل
تقود الهوى من مُسعِدٍ ويقودها

وقد التبس عليّ معنى (سمر قيودها) في عجز البيت الأول فأرجو شرحه على صفحات الرسالة الغراء

(الخرطوم - [illegible]) [illegible]

(الرسالة) الصحيح من شعر [illegible]

جريحٌ [illegible]
وكيف [illegible]
مطوقةٌ لم يضرب الشيخ عشَّهُ
عليه، ولم يعطل من [illegible] جيدها

هكذا ذكر الأديب أبو عبيد البكري في (سمط اللآلي في شرح أمالي القالي) قال أبو عبيد: ولم تختلف الرواية عن أبي علي في نص (عطر جيدها) [illegible] (غضراء) [illegible] الشجرة [illegible] الرأي من الشعر [illegible]

وأما رواية «عطر قيودها» [illegible] بالقيود [illegible]

بين ناقد وموسيقار

نشرت «الرسالة» في عددها السابق (٣٣٨) مقالاً للأستاذ [illegible] أحمد [illegible] تحدث فيه عن [illegible] مع أخيها في [illegible] والذي يقرأ حديثه لا يشك في أن أصحاب الكتاب [illegible] شخصيات مشهورة [illegible] في المجتمع المصري ما بين شعراء وموسيقيين وكتاب [illegible] القراء بما [illegible] حتى [illegible] الكاتب [illegible] الأسئلة [illegible] لا [illegible] من شخصية الموسيقار [illegible] الأستاذ محمد عبد الوهاب [illegible] الكثير من الأبحاث الفنية [illegible] الأستاذ [illegible] على صفحات الرسالة، إلا أني أرجو [illegible] العصبية بين الأدباء والعازفين المصريين على الإطلاق [illegible] أحد [illegible] الاعتداد [illegible]

[illegible] إن الفنون لا [illegible] الأجواء [illegible] بالشجاعة والسجام [illegible] يسيرون في طريقهم إلى [illegible] الفنون [illegible] فيه [illegible] أن الفن [illegible]

يصطفيه ويشاؤه. ومن كل ذي روح وجسد ... من إشفاق على نعمته التي في بلاده، مطلبه المتعاظم ... والتوجيه السديد. وإلا فما كان أغناني عن صحبة البشر ... في سبيل من لا أعرف ولا يعرف من إنسان أي مكانه من الأرض!

(م)

الدعوة لمكتبة إلى جانب ضريح أبي العلاء

زار مسيو بورو مستشار المعارف في المفوضية الفرنسية العليا ببيروت، معرة النعمان في شمال سوريا، للإشراف على إنشاء قبر للشاعر الحكيم الفيلسوف أبي العلاء المعري.

وقد دعا مسيو بورو، وهو من كبار الأدباء المستشرقين مع السلطات المحلية مشروع إنشاء مكتبة عربية وأجنبية إلى جانب القبر، تجمع فيها مؤلفات المعري والكتب التي كتبت عنه وعن عصره وشعره في جميع اللغات والأمصار، على أن تجرى الاحتفالات بافتتاح هذه المكتبة بعد تشييد الضريح والمنتدى الذي سيضم ... بحضور المدعوين والأدباء المستشرقين من جميع البلاد الشرقية والأقطار الغربية وممثلي حكوماتها وكبار أدبائها وشعرائها.

وسيكون هذا المهرجان على مثال المهرجان الألفي لشاعر إيران الفردوسي الذي أقيم منذ سنوات في طهران.

والقائمون بهذه المبرة منذ الآن مع الشكر كل ما يرد للمؤلفين والأدباء والمستشرقين وأصحاب المكتبات العامة في الأقطار العربية وغيرها إهداءه إلى هذه المكتبة من الكتب المطبوعة والمخطوطة والمجلات التي تحوي أبحاثاً خاصة بأبي العلاء على أن يسجل على كل كتاب اسم مهديه في سجلات خاصة بالمكتبة. والمأمول أن يتم أمر إنشاء هذه المكتبة الجامعة لما يلقى هذا المشروع من مجهود المؤازرة. ومن الثقة من أن هذا المشروع سيلقى ما يستحقه من المساعدة والتشجيع في جميع الأقطار العربية وغيرها من البلاد الكثيرة التي تعرف أبا العلاء المعري وتحرص على إحياء ذكره.

حديث أبي هريرة في ذم الشعر

قرأت ما كتب في العدد ٢٣٣ من مجلة الرسالة الغراء عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً) وهذا الحديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة وغيره، وقد جاء في رواية ابن عدي عن جابر (لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلئ شعراً مما هجيت به) والروايات يفسر بعضها بعضاً كما هو معهود في علم الحديث، ولا يصح أن يؤخذ من رواية أبي هريرة ذم الشعر على إطلاقه، وحسنه حسن وقبيحه قبيح، وهذا مع أني لم أتعرض لهذه المسألة لأني أصل كلامي في تفضيل بعض الشعر على بعض، لا في ذم الشعر على الإطلاق. وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر أيضاً (إنما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح) رواه البخاري في الأدب المفرد عن عائشة، والبخاري في الأدب، والطبراني في الأوسط، ... الجوزي في الواهيات، عن عبد الله بن عمرو، والشافعي والبيهقي عن عروة مرسلاً.

وجاء فيه أيضاً (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً) وهو حديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم

عبد المتعال الصعيدي

## في مسرح الأوبرا

تستعد الفرقة القومية لإخراج مسرحيتين جديدتين في الفترة الباقية من هذا الموسم، أولاهما رواية «ركية» ترجمها الأستاذ مطران اسمها في الأصل «كسمب»، ومعناها الآن «القضاء والقدر»، وهي مهيبة الموضوع ويشرف على إخراجها الأستاذ ... أما الرواية الأخرى، فهي مصرية موضوعة من تأليف الأستاذ صبري ... بعثته معهد التمثيل في فرنسا. وسيخرج هذه الرواية عمر جميعي، ويضع أزجالها بيرم التونسي، وموسيقاها زكريا أحمد؛ إذ أنها تميل إلى «الأوبريت» كثيراً. أما ميعاد ظهور الفرقة ... من وقت الموسم، فلم يستطع أحد أن يدل إليها بخبر قاطع عنه. ولكننا نستطيع القول بأن الفرقة لا تنوي إخراج روايات جديدة في هذه الفترة الباقية، وستعاود تمثيل بعض المسرحيات التاريخية القديمة الوثرى من عجائب.

## الموسم الأجنبي

كنا نظن أن منع الإدارة الحكومية من الفرق الأجنبية التي تزور مصر في موسم السياحة في الشتاء وقيام الحرب في أوربا بين دول كثيرة، وأن عدد السائحين كافيان لامتناع الفرق الأجنبية من زيارة مصر في هذا العام. غير أن علمنا أن الفرقة الإنجليزية التي زارتنا في الشتاء الماضي «أوبيريت» سوف تحضر بعد أسابيع قليلاً من فرقة إيطالية لا نعرف اسمها. وعلى ذلك فلن يحرم رواد المسرح الفرنجي هذا العام مشاهدة عرض بعض المسرحيات الأوربية رغم كل العوائق.

## رقابة الصحف

رقيب السينما في مصر موضوع شكايات متصلة، وأحاديث تهمس مختلطة من العجب والاستنكار، وسبب عناء دائم للمشتغلين بإنتاج الأفلام المصرية، وستوردي الأفلام الأجنبية من الخارج على السواء.

وصل الجمهور لم ينس مهزلة فلم «ماري انطوانيت» التي لم يصرح الرقيب بعرضه في القاهرة، ثم عاد فأجاز عرضه، ثم منع عرضه مرة ثانية، ثم صرح بعرضه في الإسكندرية، وهكذا حدث في عرض شريط «عمري الثامن» الذي منع عرضه مدة من الزمن بحجة أن فيه عرضاً يمثل اعتداء سابق، وقد رأى الرقيب أن يصرح بعرضه بعد أن نال نصيباً من النجاح البريطاني. وأن هذا الشريط قد صنع في بريطانيا وعرض فيها وفي سواها من بلاد العالم. وقد كان شريط فيلم «العودة إلى الريف» كثيراً من عنت الرقيب، لأن الرقيب لم يفهم فكرة إخراجه من أحداث تقوم على السخرية المرحة من فريقي منافسة يحمل أحد فريقيها على الريف فيدافع الطرف الآخر عنه دفاعاً مضحكاً عنيداً.

ولا يمكن أن ... بعض الصور الشائقة التي وضعها شريط «أربع ريشات» للمصريين وموقفهم من فتح السودان، ومع ذلك منع الشريط من الرقابة ولم يظهر عرضه.

* * *

وفي مصر عدد وافر من الشبان ذوي الثقافة السينمائية الممتازة لا ندري لماذا لا تستخدمهم الحكومة في رقابة الأفلام؟ بينما تسند أمريكا مهمة الرقابة السينمائية إلى رجل ممتاز بالكفاية والمركز كاللورد «تيرل»، وتسند الولايات المتحدة نفس المهمة إلى رجل مثله كالمستر «جوزيف براين»! كما استخدمت فرنسا بأديبها الأكبر «جان جيرودو» بعينه رقيباً عاماً بعد إعلان هذه الحرب، ولكننا بعد في مصر.

## لجنة الوشاية

في محطة الإذاعة لجنة يقال عن هذه الأيام ... أعضاؤها جميعاً من موظفي القسم العربي في المحطة، وكلهم مجهولون بالعمل في الواقع، وقد علم من ذلك أن ... أعمال اللجنة عجيبة تلك المهمة بعض الأغاني سبعة شهور قبل أن تنظر فيها أو تنقض ترفض أو تجيب ... يجعلنا نطالب الأستاذ نجيب ... بحل هذه اللجنة وإحالة أعمالها على بعض الثقات من موظفي المحطة أو غيرهم

(ابن الفتح الإسكندري)

8me Année No 340

Lundi 8-1-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

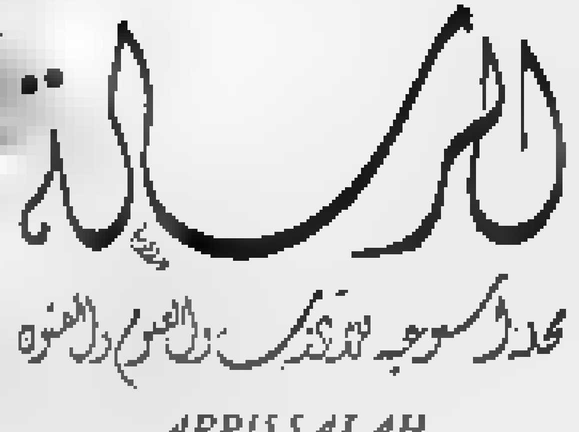


ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة — القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٨ يناير سنة ١٩٤٠ — العـــدد ٣٤٠

# هل خصب الأرض يستلزم جدب القرائح؟

من الأقوال المأثورة أن سماحة تلك الأصقاع ونقاء الطبيعة وهذه الطبيعة التي تحسبها قد عمرت الأرض وزين العالم، هي التي جعلت بيئة النهر مهبط الإلهام ومهبط الحضارة. فأنت تجد ساكنيه عند العمل والأكل والقوة، وتجد فيهم التكاسل والتهاون والزخارف. ذلك لأن النهر يسهل العيش إلى أن يحكم ويبعد التفكير، وإلى أن يعطل بعض العمل، وإلى أن يسهل عليه الشدائد ومنافسة الناس جلاداً في العيش ويسطه في الحياة ومواهب العقل كأعضاء الجسد تقوى وتنمو بالكد وتضعف وتضمر بالعطلة. ولا يصعب عليك أن ترى مصداق ذلك في الفروق العقلية والخلقية الواضحة بين أبناء النهر وأبناء الصحراء، وبين سكان مصر العليا وسكان مصر السفلى، وبين بلد كأسيوط وبلد كالفيوم، وبين مدينة كانت ومدينة كرومة في الغرب القديم، أو بين قطر كسيبيريا وقطر كالعراق في الشرق الحاضر. على كل من ذكرت لك ترى أن جدب الأرض وصعوبة الورد كانا علة في خصب العقول وذكاء المدارك وكثرة الإنتاج ووفرة الإنتاج، وأن خصب البلد وسهولة الأرزاق كانا سبباً فيما أصاب بعض

الفهرس

الناس وبعض الأجناس من البلادة والجمود والترف والعطلة

* * *

نستطيع أن نقول إن مصر في جملتها بلد غني يؤتي أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النفقة . فأهله آمنون من موت الجوع، لأن الفقير يمكنه أن يمسك روحه بنصف قرش، وما أيسر ما يجد قرشين في اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف . ومتى حصل المرء من جهده على الكفاف والراحة والأمن، نشأت في نفسه عصبية القناعة الزائفة والقناعة في الفقير كالترف في الغني، كلاهما يقتل طموح النفس، ويمكّن لقلق الروح، ويخمد شعلة القريحة، ويحمل الرجل على الرضى بالدون والتسليم بالواقع

هذا الفقير القانع الذي لا يحس الحاجة فلا يبغي الغنى، وهذا الغني الوادع الذي لا يشعر بالنقص فلا يطمح إلى الكمال، هما الأثر الحي لتخاذل الجيل كله وتمرده الباقي على أمله . فالفلاح لا يزال يزرع الأرض بالآلة القديمة على الطريقة القديمة، لأنه لا يجد في نفسه الحاجة التي تبعث إلى اختراع آلة وابتكار طريقة ما دامت أرضه تغل عليه ما يكفيه بهذه الأداة الرخيصة السهلة

والصانع لا يزال يصنع بيده كل يوم ما صنعه الآباء في بعض الساعة، لأنه يجد في جيبه آخر النهار ما يملأ به بطنه بخبيص الطعام وغليظه ! فلِمَ يشغل ذهنه بما يقلل التعب ويكثر الإنتاج ويحسن النوع !

والطالب يحصر جهده في استظهار المختصرات لأن الامتحان لا يخرج عن هذه المذكرات، والوظيفة لا تطلب إلا شيئاً من الحسب وشيئاً من المعلومات ؟ ومعنى العلم بعد أن جاز الطالب الشهادة والوظيفة ؟

والمعلم يحصر نشاطه في كتب الدراسة وما يتصل بها من مشروع الدروس ووضع الأسئلة وحلول المسائل، ثم لا يفكر بعد ذلك في حل مشكلة من مشكلات التربية، ولا حل معضلة من معضلات المجتمع، لأنه ضمن لنفسه المرتب آخر الشهر والعلاوة آخر السنة

والكيماوي أو الفيزياوي يأخذ الدرجة العلمية من السوربون أو كمبردج، ثم يرى أن أقرانه في البلاد العاملة الحية لا ينفكون يسخرون للمدنية وللإنسانية قوى الكيمياء وأسرار الطبيعة في شكول مختلفة ومظاهر متعددة في البيت والمصنع والمزرعة والمستشفى وفي السلام والحرب، ولا يفكر هو الفقير أن يجهد في كشف عنصر، أو يريح العالم باختراع آلة، لأنه لا يرى شيئاً وراء اللقب الضخم والمرتب الضخم والجاه الموهوب

والطبيب أو الصيدلي يحصر كل همه في رواج عيادته أو صيدليته، لأن المال هو غايته من الطبابة أو الصيدلة، وهو يلتمسه على حساب الطب الصحيح أو الدواء المجهول فمتى إذاً يفكر مصري عينه بالاختصاص في عمل يكشف عن جرثومة مرض، أو يجرب مفعول مصل ؟

والسياسي أو المصلح يقصر كل همه على الشهرة وجاه الحكم، فإذا أدركهما بحسن الحظ أو بعصبية الحزب فلا عليه بعد ذلك أن يظل حزبه من غير منهاج ولا غاية، وأن يبقى في حكمه الخطير من غير خلق ولا مواهب . وإذا كان الرضى في هذا البلد بنصف القرش، والوظيفة تنال بنصف العلم، والتعصب والنسب يغطيان نقص الخلق، والشهرة والجاه يدركان بالرعونة والصفاقة، والحكم يُلتمس بالمعارضة السياسية، فأي شيء يدعو إلى توطيد العزم وإطالة الفكر وإدامة النظر وإنفاق الجهد والعمر في تحرير مسألة، أو تأليف كتاب، أو معالجة كيمياء، أو محاولة مشروع، أو وضع خطة للإصلاح، أو تدبير سياسة للحكم ؟

* * *

حاولوا أن تزيلوا القناعة من نفس الفقير برفع مستوى عيشه وإصلاح فساد روحه ؟ وحاولوا أن تخلقوا الحاجة في نفس الغني بتعريفه إلى الكمال المطلق وترغيبه في المثل الأعلى، ثم حاولوا أن تحرروا الرجل من القناعة الموهومة بالأجر المحدود، ومن الأثر الطاغي الذي لا ينتفع به دون الناس، ولا يرضى الغير بأقل من العذاب

حاولوا أن تحملوا العلماء والأدباء والأطباء والمحامين على الإنتاج الأصيل والتأليف المبتكر والبحث المنتج حتى يبعث فيهم على طول الزمن وكثرة المران حب البحث لفائدة العلم، وحب العمل لمنفعة الناس

ثم حاولوا وحاولوا أن تقيسوا كفايات العاملين وأقدار النابغين بغير مقاييس الحظوة والحزب والقرابة، فإن كثيراً من الأكفاء إنما زهدهم في العمل والإصلاح اليأس من الإنصاف والقنوط من المكافأة !

احمد حسن الزيات

# ماذا ربحت وماذا خسرت

## من أسواق السنة الماضية ؟

للدكتور زكي مبارك

كتب إليّ أحد تجار الورق يقول : إنه يرجو أن أرسل إليه ما بقي له عندي ليسوي حساب تجارته في سنة ١٩٣٩

وأنا أيضاً أريد أن أسوي حسابي مع قرائي ورفاقي ، حساب سنة ١٩٣٩ فقط ، أما حساب الأعوام السوالف فموعده يوم الرجوع إليه ضربٌ من الخبال . ولن أنا من هذا وذاك ؟ يوم الله جهادي في سبيل الأدب والبيان

ربحت في العام الماضي أشياء ، وخسرت أشياء !

وأعظم ربح ظفرت به في السنة الماضية هو الصداقة العظيمة التي تصل بها مؤلفاتي ومقالاتي ، فأنا اليوم أشعر شعوراً صريحاً بأن لي أصدقاء وعشراء في سائر الأقطار العربية ، وهذا الشعور يخرج ما يعترض طريقي من عقبات وأشواك ، وبفضل ذلك الشعور أكاد أنسى الأعاصير التي تثور في وجهي من حين إلى حين والكتائب الكاوية ، فقد يعرف أنه موصول الأواصر بالعواطف والقلوب ، فإن حدثتكم أنه لا يهمه سخط القارئ أو رضاه ، فاعرفوا أنه يخرف باسم الغرور الصحفي ، أو المكتب الصحيح

وعظم عندي هذا الربح في قلبي كما تذكرت أنه يبشر بقيام دولة عربية للأدب العربي ، وهو أدب كان يسيطر في ماضيه على كثير من الأمم والشعوب ، وعلى مستطاعنا أن نشجع مواهب القراء ونجذبهم إلى الأدب من جديد كان ذلك صنفاً مما يوجه أهل الحق على الأدب والفنون

ومن الذي يمنع من أن يكون للفكر دولة في هذه البلاد ؟

أتصدقون ما يغلب المصير على أقلامنا من وقت إلى وقت حين نتهم مصر بالجمود والتخلف ؟

إن مصر في تاريخها القديم والحديث قد احتضنت كل فكرة ، والمتجاهلون لشكل هذا ، فكيف يتوهم الكاتبون والباحثون أنهم لن يلقوا منها غير الصدود ؟

ثم أقول إن العام الماضي كان من الأعوام التي احتضنت فيها

أخلاقي . ومعلوم الأدب أن أوذى بمكارم الأخلاق ، ورأيت من حيلة أن أوصل بما تمثل من وجه أحدهم محمد الهراوي . وهل عرف الأدب من هو المصروع على أخيه ، أو عرف هيكل من هو المصروع على ابنه مصروع ، من دم القلب على صديقي محمد الهراوي !

كان من حقي أن أرثي صديقي في المواسم والأعياد لأسمع شيئاً من أسرار المدينة التي تصنع اليوم بأذواق الشرق ما تصنع . ومن يصدق أن شعراء في تجلي صورة من صور الإنكار والإهمال ، لأنه خلا من وجه الصديق الغالي ، وجه محمد الهراوي ، وجه الأخ الذي عرفت بفقده كيف يكون الجزع على فقد الرفاق

وهل يسمح الدهر مرة ثانية بصديق مثل ذلك الصديق ؟

وأين الصديق الذي صحبته عشرين سنة فلا أرى منه غير كرم العهد وصدق الوفاء !

أين الصديق الذي يرى من السعادة أن يكون رأيه من رأيك وهواه من هواك ؟

إن دموعي على محمد الهراوي دلتني على جوانب من أخلاقي ، وشرحت أمام حسي ، ووجب عليّ أن أرى بأي رجل فجعت ، فقد كان الصبر عنك يا أكرم ذاهب وأعز فقيد

وكان من مغانم السنة الماضية أن تصير اللغة العربية لغة الدرس في كلية الطب وكلية العلوم ، وهي دعوة جاهدت فيها من أجل الشفاء ما جاهدت . ومن قال إنه دعا إلى هذه الفكرة منذ أعوام أو سنين أو سنوات فأنا جعلتها مذهباً أعتصم به في عظاتي ومقالاتي أكثر من خمس عشرة سنة . وبسبب الإلحاح في نشر هذه الدعوة رآني بعض أقطاب الجامعة المصرية من الثقلاء ، وأوصدوا في وجهي كثيراً من الأبواب . فإن قال أعضاء المؤتمر الطبي الدولي بعد أسبوعين إنهم قرروا تدريس الطب باللغة العربية في كلية الطب بالقصر العيني فليذكروا ويشكروا أنهم سيعلمون غلامه يوم الهيجا في يناير سنة ١٩٣٨

وفي العام الماضي قُدّمت لكلية الحقوق رسائل لامتحان الدكتوراه باللغة العربية ، وقال قائل : إن في ذلك محاولة للرجعة الفرنسية ، وأنا رجل مظلوم في وطني أن أهون إن ذلك لم يقع إلا طلباً للسلامة من القلم الذي شق الغبار على من يجهلون رسالة باللغة الفرنسية عن الأثر في الشريعة الإسلامية

وقفت الحركة دون غايتها في كتاب «المدائح» وفي رسالة «اللغة والدين والتقاليد» وفي كتاب «الأسمار والأحاديث» فإن غضب وزراء المعارف الذين حاربتهم من قبل ليهرعوا إلى أدب إليهم ساكت التوجيه أعظم الحقد، وحسبهم من الشرف أن يحسبوا كل الحق من رجل ليس له في الحكومة حمى ولا ظل

وفي العام الماضي قررت وزارة المعارف تأليف كتاب للمطالعة في المدارس الثانوية عن عصر الأدب الحديث، وأنا صاحب هذا الرأي، وقد شغلتُ نفسي بالدعوة إليه أكثر من عشر سنين

وفي العام الماضي تمت الظروف بأن تقبل وزارة المعارف إسناد تعليم اللغات الحية في المدارس الثانوية إلى المصريين، فليهمني تصحيح الغلطة التي أوقعنا فيها منذ أعوام طوال، الدعوة إلى أن يكون مدرسو اللغات الحية من المصريين لتخلق جيلاً من المتفوقين في اللغات الأجنبية، وليكون بيده الأمر في تكوين الثقافة بالصبغة الوطنية

وفي العام المقبل ... ماذا؟ ماذا؟

أراني مضطراً إلى عودة إلى الصمت، فأرجع إلى تدوين ما حصلتُ في السنة الماضية

في سنة ١٩٣٩ رأيت أن موظفاً بالحكومة المصرية تورط في أغلاط لا يقع فيها الموظفون «الجهلاء»

أنا من كتّاب الطبقة الأولى بشهادة أعدائي، ولكني لم أحط حقوقي والصحة في كتب من حديد حرية الأقلام. كنت أستطيع أن أتمتع بالدكتور هيكل باشا، ولكني لم أقابله إلا مرتين، ولم أجد عليه في جريدة المصري مرتين. وكنت أستطيع أن أتمتع بمعالي النقراشي باشا، وهو رجل يُشرب العقل، ولكني لم أقابله غير مرتين، كنت في الأولى مرتبكاً، وفي الثانية لا أتسع بحث ولا عرض، وكنت في الثانية مطروداً بجمهور المفتشين بالتعليم الثانوي، وهو مقام لا يتسع فيه المجال بين الشؤون الرسمية

أليس من سوء الحظ أن يكون لنا وزير مثل النقراشي ثم لا أظفر منه بشيء لحرية الأقلام؟

كنت أحب أن أطلب إجازة طويلة لعام أو عامين لأحقق مشروعاً حرمت من تحقيقه في بغداد وهو تأليف كتاب عن أبي علم إمام المتكلمين في القرن الثالث، فمن شغل نفسي بتقديم هذه الرغبة إلى معالي النقراشي باشا وهو من أكرم الأوفياء؟

وكنت أحب أن أقترح إنشاء نظام خاص بتوجيه ما يلقى من مصر في الأقطار العربية، فمن شغل نفسي بتقديم هذا الاقتراح إلى رئيس الوزارة المصرية أو رئيس الوزراء للمعارف؟

دوّنت هذه الآراء في كتاب «ليلى المريضة في العراق» ولكن من يضمن أن يكون هذا الكتاب مما يقرأ الوزراء؟

ماذا صنعتُ في العام الماضي؟ ماذا صنعتُ؟

كان عندي مشروع عظيم هو توحيد الأمم العربية والإسلامية ربطاً وثيقاً من القلب والعقل

فماذا صنعت لتحقيق ذلك المشروع العظيم؟

صحبت العام الماضي ... في محادثات ومكاتبات حظها قليل، وانصرفت عن تحقيق ذلك المشروع الجليل

فمن يُسعدني على بكاء ما ضيعتُ من آمالي وأحلامي؟

وكان في نفسي أيام أن صحبة جماعة من أساتذة كلية الآداب، كنت أحب أن أنظم سلسلة محاضرات الأدبية والفلسفية أستمع بها في القاهرة بعض ما يصنع أساتذة كلية الآداب في ... فأين أنا مما أردت؟ وأين ما صنعتُ لكلية الآداب وهي ترعى ... ؟

وكان في نيتي أن أكوّن مكتبة عظيمة من أسفار المتخرجين في كلية الآداب ثم أنقلها في رحلة إلى قصر ... فأين صاحب تلك النية؟ وما مصيرها في تاريخ العقول؟

وكنت أحب أن أقوم بدراسات قوية أحدد بها معالم الأدب الحديث في مصر والمغرب والشام والعراق، فأين من يعينني على صياغة هذا الأمل الغالي؟

وكنت أشتهي أن أزور الحجاز لأكتب عن وطن الرسول كتاباً لا يعرف الزور ولا الرياء، فأين صارت أحلامي؟

وكنت أحب أن أدرس خصوم المعاصرين من «أعلام» الأدب الحديث، فإلى أي أمد ... ساغ أمر في ناديي أولئك «الأعلام»؟

كنت وكنت، ... النفس المتأسية بأحزاني وأحلامي؟

(للحديث شجون) زكي مبارك

# ألمانيا بين نيتشه وهتلر

## «دين القوة»

### للأستاذ عبد المجيد نافع

حين أوشكت صحيفة القرن التاسع عشر أن تطوى ظهرت في أوربا راية دين جديد، ذلك هو دين القوة، وكان حامل لوائه بل رسوله المبشر به هو الفيلسوف الألماني فريدريش نيتشه

على أنا نحب أن نبدد وهماً قد يعلق بالأذهان، فنسارع إلى القول بأن عبادة القوة والإيمان بأثرها الحاسم في حياة الأفراد والشعوب، دين قديم جديد، اعتنقته الإنسانية في كل مراحل التاريخ منذ فجر أقدم عصوره، فكتبت كل ما أثمرت من دموع ودماء

ومن الحق أنك لو جردت الإنسان من طلاء المدنية، ذلك الطلاء الذي هو بمثابة القشرة الخارجية التي يصطنعها ليخفي تحت أطباقه نزوة، ويصنعه طوراً، لتجلى في ثياب الإنسان الأول بكل ما فيه من مظاهر الوحشية والهمجية والقسوة

والحق للقوة — كما قال بسمارك الألماني رجل الحديد والدم — ولو أن النصر لم يسعد طالعه في حروبه مع الدانمرك والنمسا وفرنسا لتحدى بأن الحق فوق القوة. ولو أن القوة حالت بين هتلر وبين أن يحكم ألمانيا، ويثبت حق [illegible] لتشدق كي تلائمه بكلمات العدالة والحق والمساواة والحرية

ولكن نيتشه، رسول القوة، ينفرد بأمور منها أنه صبغ الدين الجديد بالصبغة الفلسفية، ورسم له الحدود والمعالم، ودعمه بأسانيد الواقع والتاريخ، وأنه يصور بين جانحيه الفنون وحدة لواء الفكر الإنساني بصراحته الوحشية التي صرفت قناع الرياء عن وجه الإنسان

ولا نحسب أن مفكراً طبع العصر الحديث، في الغرب، بطابعه الفكري، مثل نيتشه، ولهذا كان — كما يجري أستاذ كثير من السياسيين، فإن نيتشه أستاذ الدكتاتوريين، وخاصة زعيم النازية

هو ملهم النازيين ومبعث وحيهم، حيث يمجدون القوة والسلطان، وتعتقد زعماء ألمانيا الحديثة بصلاحية مذهبهم في قوالب التعليم الفعلي، غير متأثرين ولا منصرفين، إذا كان طليعتها يجرح شعور العدالة، أو يثير الضمير الإنساني

كل صاحب دعوة القوة يحمل على الديمقراطية حملات الشعوب بدعوى أنها من أقوى مظاهر الانحطاط والانحلال في أوربة العصرية، وكذلك جدت دعاة النازية هذا المذهب. ولما كانت ألمانيا تنسحب من عصبة الأمم في عام ١٩٣٣ حتى قال هتلر في أعقاب ذلك الانسحاب، لبعض صحبه: لن نعود أبداً إلى عصبة الأمم الديمقراطية بحال. فقد وجد فيها مرحلة الفساد، وحسب مذهب الديمقراطية بالعدم والدمار

ويعتقد زعماء النازي بأن ألمانيا تتهيأ لانقلاب جديد، وأن على العالم أن يمشي تحت رايتها. وكل النصر بدين القوة، بعد أن ظن أنه حطم أصنام الأوهام الموروثة من دين وعلم وفلسفة ودين وأخلاق وديمقراطية، وأجهز على أعتاب القيم الأخلاقية الصحيحة، واكتشف الإنسان الأول، أنه قد مهد الطريق لظهور الإنسانية الجديدة الخالية من شوائب الضعف والانحلال المرتكزة على دعائم القوة والسلطان

وأسر هتلر إلى بعض رفاقه أنه على تمام الأهبة لأن يضع توقيعه على أي اتفاق، ويضمن أية حدود، ويمضي ميثاق عدم اعتداء مع كائن من كان، على أن ينقض كل أولئك، في دم بارد وضمير جامد، إذا اقتضته قوة ألمانيا وعظمتها. ويؤمن رسول القوة بأن الضعيف يتغنى بالسلام والوفاق والمساواة والحرية، لا يطمح بآماله إلا إلى الاحتفاظ بحياته. ولكن القوي يؤثر أن يثير المشكلات ويخلق الأمور. الضعيف يضمر الكيد خلسة؛ أما القوي فيهجم غير وانٍ ولا متردد، فإن القوة التي تمور بها جوانب نفسه تحفزه إلى التوثب والانقضاض

وأحل نيتشه محل من ظن أنه نقض القيم الأخلاقية من أساسها. فالشفقة عنده بغيضة لأنها من أخلاق العبيد، والقسوة في عرفه فضيلة لأنها من أخلاق السادة. تلك شرعة الضعفاء، وهذه شرعة الأقوياء. ولا يتحرج من أن يجهر بأن الشفقة من صفة للوحش، وينادي مع ساحر الأساطير الشمالية القديمة:

« إن موسوليني [ كبير الآلهة في تلك الأساطير ] قد وضع في صدري قلباً قاسياً » . ثم يهتف : « من الواجب علينا القسوة . فعن هذا الطريق وحده يسمو الإنسان إلى أعلى حيث يقابله البرق ويحطمه . فلترتفع إلى البرق ارتفاعاً كافياً » . ذلك بأنه يرى أن القسوة أرستقراطية تعمل على تقوية الإنسان وتربيته على ملاقاة الأخطار ، وتبعده عن الشعور بضآلة الآمال ، على حين لا شيء أخطر على المجتمع من الرحمة بالضعفاء والعاجزين ، إذ ينقص شعوره في سبيل ذلك الاحتفاظ بالطبيعي وهاء الأصلح . فنواميس الطبيعة تقضي بإبادة الكائنات الضعيفة وإقصائها من الوجود . وأما عن مصدق قوانين التطور ، ويعمل على أن يحول العالم إلى ملجأ للضعفاء العاجزين .

ومن ذا الذي خامره أقل شيء من الشك في أن هذا ما يدين به جماعة النازي ؟ أرأيت كيف فكروا فأمعنوا في الجلاد يوم قاموا بعملية التطهير بين صفوفهم في عام ١٩٣٤ حين رأوا أنهم وقد انحرفت في رؤوسهم فكرة الجريمة ، أخذوا يدبرون في الظلام ومن خلف الأستار مؤامرة واسعة النطاق ترمي إلى هدم نظام الحكم النازي ، وتحت ستار هذه الدعوى أجهزوا على طائفة من ذويهم وفي طليعتهم روهم ، وكذلك لم يبقوا على شليخر وزوجه !

وهل أتاك حديث الجستابو وما يجري من أعمال القسوة في معسكرات الاعتقال التي تضم الخصوم السياسيين لكي يخلي منهم أو يتبع من تخلا حركاتهم أنهم يضمرون الانتقاض على حكم النازي ؟

ثم هل حدثك أنباء تنكيلهم بكل من يحاول كسر القيود من الأمم التي غلبوها على أمرها وحصروها تحت حكمهم مثلما فعلوا في ... ؟

ويجهر أولئك الدكتاتوريون صوتهم بأن سلامة الدولة قبل كل شيء ، وفوق كل اعتبار .

ويتخذ النازيون الشعب عبيداً ويصورون الرحمة جوراً ، والقسوة ويؤمنون القوة إيماناً عميقاً ، فالقوة الغاشمة من شرائط المنفعة والرحمة ، والحيرة من هواجس الضعيف ومن عوامل التعس الإنساني ، والقوة هي التي تحتسب إلى حدود الوحشية أحياناً ، فلا يرهب الضعيف في وجه القوة ، ولكن يهرب إلى الظلام ، كأن ذلك آية على الضعف والانحلال ، ومظهراً من مظاهر انحطاط الفكر والإرادة .

وفي كتابه « كفاحي » : « لا يكلم وضع الروح اللطاف لتوجيه أمواج الناس إلى أية وجهة ، وما استطاعوا على أية إنسانية » .

وتدين جماعة النازي بأن الحرب هي القائل : « الحرب إنما هي حالة الجنس الإنساني في المستقبل » ، وأن على كل أمة أن تعد لها العدة ، وأن تنكر السلام ، ولا تتجهم الحرب . فالسلام يقتل حيوية الأمم ، وأما الحرب فتمنح تلك الحيوية ، ولا يجنح للأول إلا الأمم الرخوة المتفسخة ، ولا يبرع في خوض غمرات الثانية إلا الذين يحسنون القوة والمرة . فألمانيا تبني « تقسيم العالم من جديد » كما يقول وزير دعاية جوبلز . لا ، بل يرغم بيضوف النازية روزنبرج أن الشعب الألماني خلق للسيادة ، ولا مندوحة من أن يبسط سلطانه على العالم ، ويمد حضارته أعلى .

وفي سبيل فرض السيادة على الدنيا يرى النازيون على مصاير ألمانيا أن لا بد لها من التسلط على المستعمرات والتفرقة الراشبة للبحر .

وتطوف بأحلام النازيين خيالات عريضة ، وتصور لهم أوهامهم ما لا يمكن أن يتعلق به أمل ، فتراهم يعودون إلى مأساة موسوليني التي كشفت عن ضعف الحبشة وتمزقها ، وأن لا بد لهم من إضعاف إنجلترا ، وتحطيم الإمبراطورية البريطانية ، تلك الإمبراطورية التي ظل عنها كبيرهم أدولف هتلر وهو يجلس في أحلام الخيال : « إن الإمبراطورية البريطانية تمثال ضخم هائل يقوم على رجلين من طين » .

فأما فرنسا فيصفها الخيال رجال النازي فيقولون عنها إنها « أمة تحتضر » فلا مقام لها في ميدان الصراع القوي ولن أثر لها !

ولسوف تصدم الحقائق رجال النازي فتصدت أمامه أحلامهم ، وتوقظهم من أحلامهم إيقاظاً حسناً ، وإذ ذاك يعودون إلى أحلامهم التي صورها لهم سادتهم .

والحق حين تستولي الأحلام فينظرون بأعين تلك الأماني الباطلة يؤمنون في أحلام عروشهم بقول الفوهرر : « إن كل

أكثرهم يمكن أن يسود ويحكم، على شرط أن يكون من الصلابة بمكان».

وليس بجامع الروح القتالية في ألمانيا «يجعل له مكاناً ليعيش فيه» وإنما يتشبث بالأماني الكاذبة فيدفعه ذلك بالقوة الجامحة إلى حد الطموح إلى ضم الدنيا بأسرها تحت نير الشعب الممتاز! والسياسة العنصرية التي جلبت سيطرتها حكومة النازي إنما هي منبثقة من تلك العقيدة الباطلة وهي أن العنصر الآري قد خلق ليسود بينما خلقت العناصر السامية للعبودية!

ونرى النازيين يصورون تلك الروح في شبابهم، ويملأون بها جوانب نفوسهم فيتلون نشيد الشبيبة الهتلرية:

«اليوم نملك ألمانيا، وفي غد نملك العالم بأسره»

والآن من الذي أضرم نيران المطامع في نفوس الألمان حتى أسعر نار الحرب الحاضرة؟ إن الذي أهاج تلك الروح، كما هو داعية من دعاة القوة، والمبشر بالإنسان الأعلى، هو فردريك نيتشه.

لقد رزقت … مبادئه ومثالبه، بل لقد … قسوته وعنفه، ولكن لا مفر من إحالة الفكر في هذه المعالم والمبادئ إن كنت تبحث عن وجه الحقائق مهما كانت قاسية وأليمة، وكنت تريد أن تعلم من هو موقد نيران الحرب الحاضرة، ومشعل الحرب الماضية من قبل.

يذهب نيتشه إلى أن من أقوى العوامل على التطور والاستسلام التي أصابت المدنية في القرن التاسع عشر، وفشت بين شعوب أمم الغرب، تمسكهم بما يسمونه السلام العام، وتمسكهم بما يسمونه الإنسانية التي هي أنشودة الضعفاء، ووسيلة الانحلال، وعنوان الاضمحلال؛ لأن الحرب الدائمة، على ما قاله، كوارث وويلات هي الحالة الضرورية لنهضة الأمم والشعوب.

ويذهب الفيلسوف نفسه إلى أن الغريزة التي تسير الإنسان وتطبع كافة تصرفاته، إنما هي غريزة حب السيطرة، وإرادة القوة. ويعتقد أن الخير هو كل ما يعلو في الإنسان بشعور القوة وإرادة القوة، والقوة نفسها، وأن الشر كل ما يصدر من الضعف، وأن السعادة هي الشعور بأن القوة تنمو وتزيد، وأن لا رضى بل قوة أكثر وأكثر، ولا سلام مطلقاً بل حرباً، ولا فضيلة بل مهارة، وأن الضعفاء العجزة يجب أن يبيدوا، وأن هذا هو أول مبدأ من مبادئ حبنا للإنسانية، وأن أشد الرذائل ضرراً إنما هي الشفقة على الضعفاء العاجزين.

ويتأثر بحثه بأن مذهب داروين في «تنازع البقاء» مذهب باطل، فليست الحياة تنازع البقاء، وإنما هي تنازع القوة وتنازع السيطرة. وما نزعة الإنسانية إلا سلسلة متصلة حلقات من تنازع السلطان والغلبة والقوة بين السادة وبين العبيد. بأن العبيد يخترعون قيماً أخلاقية لا غاية لهم منها إلا إخضاع السادة لهم من طريقها، وما هي إلا أسلحة مسمومة يستخدمونها رجاء أن يتحرروا من نير سادتهم، ثم الطمع في السيطرة عليهم بحجة رد سلطانهم.

ويذهب ذلك الذي لا يؤمن إلا بالقوة إلى أن الضعيف يحب السلام والرفق والحرية والمساواة، لا يبغي من الدنيا شيئاً إلا الاحتفاظ بالبقاء. ولكن القوي يؤثر أن يعرض نفسه للمخاطر، ويواجه المصاعب والأهوال غير وجل ولا هياب، ويترتب بآماله إلى قمم الذروة، ويجزع الضعيف من الأمور الصعبة لا يرضى أن يخاطر بشيء، أما القوي فيخاطر بكل شيء، ويدأب حياته كلها مواثباً ومخاطراً، بل يقول له نيتشه النصح أن «عش في خطر» فذلك هو السبيل الذي يكفل له الاحتفاظ بكل مظاهر القوة.

ويعتبر نيتشه ظهور الإنسان الأعلى. ولكن كيف السبيل إلى ظهوره حتى يخلص الإنسانية من كبوتها، ويحيل العالم من عثاره؟ السبيل إلى رمي الناس بالأرستقراطية والحكم، ويكفر بالديمقراطية والمساواة! فبين الشعب والحكم خصومة عنيفة؛ لأن الأول ينادي بالحرية وينكر المساواة، ويؤمن بالفرد ولا يعنيه شيء من المجموع باعتباره مجموع وحدات متساوية. فالحكومة المكونة من الرجال لا تساوي كلها أكثر مما تساويه حبة رمل واحدة. فأما الحكم فمثل شيء … يريد أن يخرج الناس جميعاً في صورة واحدة، ويطبق عليهم مقياساً واحداً ويصيح «المساواة، المساواة» ونحن جميعاً متساوون وليس هناك أناس أعلى من أناس! ويرى أصحاب الحكم يتحدثون عن «الأغلبية» و«المجموع» و«أكبر عدد ممكن» حتى

واضطراب الحياة في جميع مظاهرها إذ أصبحت السيادة والسلطان للدهماء على أصحاب الرؤوس المفكرة والشخصيات العلمية الممتازة

فأي عجب وتلك تعاليم نيتشه التي تتمسك بها جماعة النازي، أن يسمع كثير من أتباع هتلر يدوي حتى أصمه صوت الرايشستاج « لست أدري كيف يمكن بدون السياسة العليا للدولة تقطيع من أطراف رؤوسها حتوه »

بل كيف نعجب ممن ينشد قيام الحرب والمخاطرة والهجوم للشعوب، إذا كان أستاذهم في بحثه ينادي بأن الإنسان الأعلى رجل محارب دائم في أجل المخاطر، والقوة والنصر، لا يبغيه إلا أن يسير نحو الغاية التي رسمها لنفسه، وأن أبغض شيء إليه السلام، والحرب عنده أقدس شيء

وإذا أنت اطلعت على رأي نيتشه في القيم الأخلاقية لم تعجب لتصرفات بني قومه في أي بلد احتلوه. فعنده أن الضعيف يسمى العجز « إحساناً وطيبة » ويسمي عدم القدرة على الانتقام والأخذ بالثأر « صبراً » ويسمي حاجته إلى الآخرين وقصوره عن الاعتماد على نفسه « رحمة » ويسمي عجزه عن إدراك المطامع النفسية والشهوات العالية « تواضعاً » . فأما الأقوياء فيسمون الأشياء بأسمائها ولا يعترفون إلا بالظفر والانتصار وتحطيم كل من يقف في سبيل تحقيق آمالهم السامية في الحياة غير عابئين بصوت ضمير، أو رحمة تمنعك، لأن غرائزهم الصحيحة، وعواطفهم السليمة، تدفعهم للمطامع والشهوات، ولا تجد الرحمة إليها سبيلا!

ومن تساءل عن السر في مخاصمة النازيين للمسيحية وبرمهم بمذاهبها، وتنكيلهم بهم أحياناً؛ وجد أنه لا كلفة في هذا السر بعد أن تقرأ له « فقرة من نيتشه » حملته الشعواء على دين عيسى، وتوجيه همه إلى الدين بالضعف والانحلال التي أصابت أوربا في زعمه إبان القرن التاسع عشر، كل أولئك حمل جماعة النازي على أن يعملوا كي تتجرد جوانب نفوس الألمان من تلك المسيحية التي تدعو للسلام والرحمة وتحث على الضعف والاستسلام رغم ما يتطلبه الخطر الذي خلق سعادة الدنيا في غير ضعف أو تخاذل!

ولا عجب في أن الألمان يفكرون في إسرائيل أعداء لهم سبب نكبتهم وبلاء حرمانهم في الحرب العظمى، فهم في نظر نيتشه هم أول من علموا بثورة العبيد، وهم الذين جعلوا السفلة عرباً لا اعتراف بها، وأدوا إلى انتشار أخلاق العبيد لتكون سبيلهم إلى التسلط على السادة، وكذلك كانوا يوم ثاروا في وجه روما، وهكذا عملوا حتى انتشرت في الناس أخلاق الضعف والجبن والعجز والخور تحت أستار الحرية والمساواة!

* * *

والآن أرجو أن أشير إلى الذي أوحى إلي بهذا البحث هو الكتاب القيم الممتع الذي وضعه عن « نيتشه » صديقي العالم الشاب الأستاذ عبد الرحمن بدوي، وإن أسلوبه الحار الملتهب، وعباراته التي تنبض بالحياة في كل موضع، وإلمامه الشامل بحياة نيتشه ومبادئه ومذاهبه، وتبسيطه مبادئ الفلسفة الألمانية حتى تسيغها العقول والنفوس، وطريقته في عرض الآراء وتحليلها، كل أولئك قد أغراني بأن أتجه اتجاهاً خاصاً إلى أحرى الشبان فقد ذكرني في هذا المقام الخالد

عبد الحميد فتح

على هامش الانقلاب العصرى والمذاهب

# الفصل بين القيم الذاتية

## ظاهرة من ظواهر الرق

للدكتور محمد البهي

كما أن من ظواهر التدهور والضعف في سياسة الأمة الفصل بين السلطات المختلفة، كذلك من ظواهر الرق في بعض الأعمال وفي مجال الإنتاج الفردي «الفصل بين القيم الذاتية»، لأن الثقافة تتنوع تبعاً لتنوع الحياة، ولا يصح بكل نوع من أنواعها قيمته الخاصة لأنه يؤدي غرضاً في الحياة بعينه لا يعوض من طريق آخر.

والنظر إلى إنسان اليوم قياساً إلى إنسان الأمس، أو يجب أن يكون مقياساً، لأن له وضعاً في الحياة، وفيه بيئة عن المجتمع، وله قيمة في أي ناحية من نواحي النفسي والأرستقراطي سواء في التقييم بالتكاليف العامة، وفي مستحقي التقدير على أداء الواجب المكلف به. إلا أن بعض القيم قد تختلف لا من حيث ذاته، وإنما من حيث نظرة المجتمع إلى ناحية من الحياة التي تتصل به.

فقيمة الفرد قد تكون في علمه، فهو صاحب قيمة علمية؛ وقد تكون في فنه، فهو صاحب قيمة فنية؛ وقد تكون في خلقه، فهو صاحب قيمة خلقية؛ وقد تكون في موهبته الاقتصادية، فهو صاحب قيمة اقتصادية؛ وقد تكون في إصلاحه، فهو صاحب قيمة إصلاحية ... وهكذا. وكلها مقدرة في ذاتها، إلا أن المجتمع وما يسود فيه من نظرة إلى الحياة هو الذي يخص بعضها بالتفضيل. فإذا كان المجتمع مثلاً متشبعاً بفكرة «الإنسانية» Humanism كان اتجاه تقديره إلى القيمة العلمية. وإذا كان متديناً أو يغلب عليه إلمام بالدين والعادات والتقاليد في آرائه كانت نظرته الأولى في التقويم إلى القيمة الخلقية. وإذا كان في حاجة ملحة إلى الإصلاح الإداري أو الاجتماعي لم يكد يعرف في حكمه على الإنتاج الفردي غير القيمة السياسية. وهكذا في الناحية الفنية من أدب وموسيقى وتمثيل وتصوير ... الخ

وفي الفصل بين هذه القيم والاعتراف باستقلالها الذاتي مرت سمة القرن العشرين، ومعالم التوجيه الحديث، ومقياس الإصلاح الاجتماعي.

فمنذ من دراسة اليوم إسناد الفرد للمجتمع بين نواحي الحياة والاعتراف لكل بكل مجهود في أية ناحية من نواحيها إسناداً لا يكون موضوعياً Objective ويحكم على الإنتاج الفردي غير متأثر بميوله ورغباته أو بالإيحاء والتقليد. لأن يكون مستقلاً، وهذا هو السبب الذي من أجله لا يأنف الأوروبي أو الأمريكي من مزاولة أي عمل، ومن أجله لا يبخس الغربي قيمة أي فرد في إنتاجه ولا ينظر إليه شزراً لأنه كل ما من عمل أقل من غيره مثلاً. هذا هو السبب الذي من أجله ملك الأوروبيون كل ميادين النشاط الاقتصادي تقريباً في البلاد الآسيوية والأفريقية.

والإصلاح الاجتماعي بطبيعته يقوم أيضاً على الاعتراف بالفرد – وهو غير الفردية – وعلى مبدأ الاعتراف بقيمته في أية ناحية. هناك طبقات، ويظهر أن وجودها ضرورة جماعية لا تنفك رابطة خاصة تربط فريقاً من الناس، وتشكل طبقة بعينها. وتفضيل طبقة على أخرى لتلبية نظرة من نظرات الحياة في وقت بعينه؟ ويكون المعنى من هذا التفضيل احتقار الطبقة الأخرى وإهانتها لأن الإهانة لم تعد الآن وسيلة من وسائل الحياة المتحضرة، كما أن الاحتقار لم يصبح في جملة الأحكام التقديرية.

والطابع الاجتماعي للغرب المتحضر الآن هو المساواة. وطابعه السياسي الديمقراطية – حتى داخل الحكومات الديكتاتورية؛ فهذه قامت على عدم تحكم إحدى الطبقات في الأخرى. كانت في ... من الرأسماليين والحسيين في الأرستقراطيين.

وحقاً إن الفصل بين هذه القيم والاعتراف بها يعد من مظاهر التحضر ورقي الإنسان، لأنه دليل على عدم إدخال الرغبات والميول، أي على عدم إدخال الناحية الشخصية في الحكم على عمل الغير وإنتاجه. والفرد لا يطلب حقاً في الحياة أكثر من الاعتراف بقيمته الذاتية في أية ناحية؛ لأنه على أساس هذا الاعتراف سيعيش سعيداً بنفسه، وسيعمل جاداً في عمله، ومسروراً من عمله لأنه لا غبن – في نظره إذاً – يحصه منه. والمجتمع لا يطلب أكثر من الفرد أكثر من اشتراكه في بناء صرحه، ولا أكثر من أن يشعر كل فرد فيه بسعادته الشخصية وبمتعته النفسية.

والعصور الماضية إذا قيست بعصرنا الذي نعيش فيه كانت عصور الخلط بين هذه القيم وعدم التمييز بينها عند إصدار الأحكام التقديرية. فقيمة الفرد تهمل، ووجوده يهمل كذلك

إنما كان إعجابه في غير الناحية التي ينظر إليها المجتمع ويطلب لعوامل خاصة. فالعالم صاحب النهضة العلمية أو الفنية كثيراً ما اضطهد، ولم يهمل وجوده فحسب، لأن سلوكه في بحثه كان على أساس النقد وعدم التسليم بما فرضه عليه وقته من عقائد (Dogma). وقد كانت الناحية التي تقوم في ذلك العصر ويتجاهل كل ناحية أخرى في التقويم، هي الناحية الدينية أي السلوك طبقاً لأوامر رجال الدين. ويعني المثقف كان يستبيح ويباع ويشترى، وهي صفته الرسمي، لأن الناحية التي كانت تقدر حينئذ ناحية الشرف والطاعة، وليس كذا الثقة من جاء حتى روسيا أو كالشرقية.

وهذه الظاهرة، وهي ظاهرة خلط وإهدار القيم الأخرى مع قيمة الناحية المطلوبة، نشهده في طور الأمم ظاهرة الطفولة في أطوار نمو الإنسان. فالطفل لا يميز ذاته عما في بيئته؟ وبعبارة أخرى لا يعرف من الأشياء إلا بقدر ما تشبع بعض رغباته أو تحقق بعض ميوله. فالحسن عنده ما أشبع رغبته، والقبيح هو ما لم يستطع السيطرة عليه؛ فالمرأة «حلوة» إذا مست رغبة له، و«كخّة» إذا منعت عنه بعض ما يطلب.

وبالتالي ظاهرة الفصل بين القيم والاعتراف باستقلالها عند أمة من الأمم تحاكي دور النضوج وبلوغ الرشد العقلي لدى الإنسان. فالفرد يعرف في الرشد معناه التمييز بين الكائن في ذاته والكائن في ذاته، معناه الاعتراف بالقيم الذاتية واستقلالها.

لنا الآن أن نسائل أنفسنا: في أي طور من أطوار النمو تعيش الأمة المصرية؟ هل بلغت طور الرشد أم لم تتجاوز بعد دور الطفولة؟

لنرجع إلى وصف ما يسود فيها من ظاهرة تتعلق بمصدر الأحكام التقديرية، وعلى أساس هذا الوصف المميز Characteristic يمكن أن نعرف في أي طور نعيش.

طبيعي أن يسود مجتمعنا ككل مجتمع إنساني نظرة معينة في الحياة. والنظرة الغالبة في مجتمعنا النظرة الدينية أو نظرة التقاليد. وسواء أكانت سيطرة هذه النظرة على مجتمعنا الآن دليلاً على تغلب الناحية «اللاشعورية» وهي ناحية الموروث، أم دليلاً على «إدراك» لأهمية الدين في تكوين المجتمع فإن ذلك لا يعنينا فيما نحن بصدده.

هل مجتمعنا يعترف بقيمة الفن والعلم أو الفنية، السياسية أو الإصلاحية أو الاقتصادية إن خرج في سلوكه الفردي عما رسمته التقاليد؟ ألا نحكم عليه بالمروق والزيغ عن الأخلاق من التقاليد والأخلاق القومية إذا ما فكر في بحثه في بعض العقائد أو بعض مبادئ هذه الأخلاق؟ وبعبارة أخرى إذا لم يتفق رأيه مع ما تتطلبه نظرتنا في مجتمعنا إلى الحياة؟

أصبح الظن أن هذا هو الذي يجمع النفس. فالعالم ماهر لأنه «متفرنج»؛ أي متفرنج غير ما هو شيء مألوف بيننا، ونحن نعيبه لأنه يرى «الاجتهاد» من ضروريات العصر، وهو غير مألوف أيضاً في أعماله. والمفكر لا حق له في أن يثبت ما يراه بحسب نظرة المجتمع لأنه يميل إلى النقد وعدم الإذعان لكل ما هو مألوف في نطاق التقاليد.

وإذا تجاوزنا دائرة العلم والبحث إلى العلاقات الاجتماعية، وجدنا الصديق يتنكر على صديقه الأمس كل قيمة لأنه لم يجد وعده ربما لأسباب خاصة إلى عدم الوفاء به. ووجدنا الرجل يجرد الأخر من كل اعتبار لأنه ينافسه في ماله، وربما كان شريفاً في منافسته. ووجدنا الزوجين يبخس بعضهما قيمة صاحبه لأنه أخطأ في بعض الأمور، أو أخطأ في تصرفه أو خالف المألوف من عادته.

كذلك نجد بعض الأعمال متصلاً على بعض، وبعض الناس يرفع حتى الثروة، والبعض الآخر نحط من شأنه حتى أخصاصيه نجد هذه الشخصية لا يعترف بوجودها علمياً، بل نجد كاستخدام مثل دور حكم الإصطلاحيات.

فتراءى النماذج المختلفة في الحياة، وأنواع التقاليد المختلفة لم تأخذ بعد في مجتمعنا نصيبها الذاتية. وتقديرها في الغالب مبني على التأثر بما يسود المجتمع من نظرة إلى الحياة ورأي معينة فيها، مبني على التأثر بالشعور الشخصي والإعجاب والهوى.

ولهذا أظن أن مجتمعنا لم يزل في دور الطفولة، لأنه لا يفصل في تقدير الأعمال وتقويم الإنتاج المعرفي بين القيم الذاتية بعضها تجاه بعض، كما لا يفرق بينها وبين ذاته وشخصيته.

محمد البهي

في النحو

# قد لا يكون

## لأستاذ جليل

قال الأستاذ أحمد بك العوامري في (بحوث وتعليقات لغوية مجموعة) في مجلة «مجمع فؤاد الأول للغة العربية»:

«يسمع كثيراً، ويرى في الصحف نحو: قد يجيء محمد اليوم، و(قد لا يجيء)، ونحو: (قد لا نكون مصيبين إذا قلنا كذا) وهو ما لم يرد في كلام العرب. فقد قال ابن هشام في المغني: وأما (قد) الحرفية، فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي معه كالجزء، فلا تفصل منه بشيء، اللهم إلا بالقسم. وهو هنا في القاموس. وقال في شرحه عند قوله المثبت: شرطه الخامس. ا. هـ فلإصلاح العبارة يخلص من (قد لا يجيء) مثلا قولك (ربما لا يجيء)».

أقول: وقال ابن يعيش في شرح المفصل: «اعلم أن قد من الحروف المختصة بالأفعال، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه، وهو في ذلك كالسين وسوف. وهي (أي قد) بمنزلة الألف واللام في التعريف، فكما أن الألف واللام اللتين للتعريف لا يفصل بينهما وبين المعرّف كان قد مثله إلا أن قد انفصلت العرب عنها لأنها أقوى منها، وهي منفصلة كما ذكرنا (فيجوز الفصل بينها وبين الفعل بالقسم)، لأن القسم لا يفيد معنى زائداً، وإنما هو تأكيد معنى الجملة، فكان كأحد حروفها». وقال الرضي في شرح (الكافية): «ولا يفصل بينهما وبين الفعل إلا بالقسم».

فقد ساق من أصح هذا الشرح، هذا القائل (لا) مع على الأستاذ الفاضل العوامري فاستغربت وتعجبت، فوجدت ما أثبته اليوم في «الرسالة» الغراء، ولو أنصفت(1) في التعليق لصحت إلى هذا (الإملاء) شيئاً كثيراً

(1) الشيخ الأزهري يقول: إنه لا أنصف الفصل ولا يقال أنصف صبيه. الشيء، المجلد ٧ الصفحة ٣٥٤ وفي الأساس: ومن الأصل وأنصف عليه وأنصف.

١ – كتاب (الأم) للإمام الشافعي(1) الجزء (٣) الصفحة (٦٥): «كما أكره للرجل أن يشتري الشيء على أن يفتل به ولا يحرم على بائعه أن يبيعه ممن يراه أنه يفتل به، لأنه (قد لا يفتل) به، ولا أفسد عليه هذا البيع».

٢ – لسان العرب الجزء (٢) الصفحة (٣١١): الخليل بن أحمد: الأمور على ثلاثة أنحاء، يعني على ثلاثة أوجه: شيء يكون ألبتة(2)، وشيء لا يكون ألبتة، وشيء قد يكون و(قد لا يكون).

٣ – الخصائص لابن جني الجزء (١) الصفحة (١٩): كما أن القول (قد لا يتم) معناه إلا بغيره.

٤ – الأنموذج في النحو للزمخشري الصفحة (١٠٢): ولا التي للتعليل، واللام بشرط التنكير و(قد لا يتنكر) نحو لا رجل.

٥ – إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري الجزء (١) الصفحة (١٣٥): (أن قد وجدنا) أن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، وقيل أن مصدرية و(وقد لا يتم) من ذلك.

٦ – الفروق لأبي هلال العسكري الصفحة (١٨٢): الفرق بين الطاعة وموافقة الإرادة أن موافقة الإرادة قد تكون طاعة و(قد لا تكون) طاعة.

٧ – شرح شذور الذهب لابن هشام الصفحة (١٣٨): ... أي اسم الإشارة كقولك ... والثالث حيث أن ... الإشارة كقوله:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي(3)

و(قد لا ينصب) كقوله: (أيهان كلا واديكما) ومثل ذلك

(1) في طبقات الشافعية: عبد الملك بن هشام ... الشافعي من الأئمة في اللغة، وفي الكتاب ... وكتب ... كلام الشافعي ... أن ... كلام العرب من أن يحتج به مثل هذا.

(2) ... ألبتة بقطع الهمزة، وقال ... سيبويه وأصحابه أن ألبتة لا تكون إلا معرفة، وأجاز الفراء التنكير، ... (ألبتة) في كلامه ...

(3) الشعر لطرفة ... والنصب ... رواية: ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى

في الصفحة (٢٠٠) والصفحة (٣٩٣)

٨ — شرح الكافية للرضي الجزء (٢) الصفحة (٣٧٣) وأما المنقطعة (يعني أم) فـ [قد لا يصحبها] الاستفهام، وقد يصحبها الاستفهام بالهمزة أو بهل

٩ — المقابسات لأبي حيان التوحيدي الصفحة (١٨١) سئل أبو سليمان هل يجوز أن يقال: الإنسان ذو حس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال؟ قال: أما على التحقيق فلا، وذلك أن الإنسان قد يكون ذا ثوب وذا مال و [قد لا يكون] ويستحيل أن يكون الإنسان إنساناً إلا وهو ذو حس إلا على السعة والمجاز[1]

١٠ — مفاتيح الغيب للرازي الجزء (٤) الصفحة (١٣٠) « ثم هنا بحث آخر، وهو أن العداوة والصداقة يمتنع أن تحصل باختيار الإنسان، فإن الرجل قد يبلغ في عداوة غيره إلى حيث لا يقدر البتة على إزالة تلك الحالة من قلبه، بل [قد لا يقدر] على إخفاء تلك العداوة، ولو أتى بكل تكلف وحيلة لعجز عنه. ولو كان حصول العداوة والصداقة في القلب باختيار الإنسان لوجب أن يكون الإنسان متمكناً من قلب العداوة بالصداقة وبالعكس، وكيف لا نقول ذلك والشعراء عرفوا أن ذلك خارج عن الوسع؟ قال المتنبي:

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

والعاشق الذي يشتد عشقه قد يحتال بجميع الحيل في إزالة عشقه ولا يقدر عليه، ولو كان حصول ذلك الحب والبغض باختياره لما عجز عن إزالته » ومثل ذلك في الجزء الثالث الصفحة (١٩) والجزء الثاني الصفحة (٣٠٣)

١١ — الإيضاح للخطيب القزويني الجزء الأول الصفحة (١٠٦) « لأن الجملة [قد لا تكون] طلبية كقولنا: نعم الرجل زيد »

١٢ — الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي الجزء (٢) الصفحة (٢) « وكانت الأمور [قد لا تكون] معلومة » ومثل ذلك في الجزء (٤) الصفحة (٨)

١٣ — البصائر النصيرية لزين الدين الساوي الصفحة (٤) « ... وربما وقع في أمور بعد إدراك الصفات وانتزاع القضايا منها،

و [قد لا يجد][2] إلى الحكم طريقاً في بعض القضايا

١٤ — المرزوقي ... وبين صحيفتين ...

أمم ... لا (لا) ضعف والقبر ... تكلف أمم

فقال: ... سوى أني لا أطلب غيره

و [قد يك خلف] كلم ومطالب

أرى ابنتي ... من يكون أبوها

وحياء [قد يوم الرهان عطلا][3]

على من جرى والراكبين أكنهم

إلى كل مرع ... يلد أطولا

* * *

تلكم أقوال نحويين ولغويين وأدباء وعلماء متقدمين ومتأخرين في ذلك القول بجوازه، فمصري كما حسب الأستاذ ... حتى ... وإن لم تكن العربية الأولى قد نطق به الأولون في كلامهم، ومنهم من ... والنحاة يجوزون كثيراً ... (قد جاز) ... وإذا أنت ... في العصور العربية هذه المعنى الذي جاء من (...) (٤ كتبه[3]) وما أشبه، وذلك الأدب والعلم، ألا يسوغ أن يُصحح في (قواعد) جملة صحيح بعد اللغة العربية، ... موافقاً كما جاءت السكاكية المدة. وقد قرأنا في (الكشاف) « كل ... الوصية فإنه يؤتى في غيره ... أو ... مثل (...) ... لكن كثرت قرائنه) وذلك ... في البلاغة باختيار ... بأن الوصية من ... التي يصلح ... كما هو ... على ... خلافه »

والمثل الذي أورده أبو البقاء إنما هو ... والقاعدة موافقة.

وإذا قال أبو حيان في شرح التسهيل: « العجب ممن يجيز تركيباً ما في لغة من اللغات من غير أن يسمع من ذلك التركيب نظائر، وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية، فكما لا يجوز إحداث لفظ مفرد كذلك لا يجوز في التراكيب

---

(١) قيل له فهل تقول: إن الملك ذو إنسان؟ قال: لا، لأنه ... من الإضافة، ألا ترى أنه لا يقال: إن الثوب ذو إنسان، وإن قيل: ... إنسان كما يقال: الإنسان ذو ثوب ... لأنه لا ... بالثوب إلى الإنسان ... والإنسان إلى الثوب ...

(٢) ... في ... مثل ذلك من أهل مصر ... الرازي والزمخشري والتفتازاني ... وكرد علي والزمخشري والغزالي والتبريزي ...

(٣) ... الشيخ حمزة فتح الله في المواهب كتابه ... لو لا ... فيه ...

(٤) ... الجوهري في صحاحه ... ولا يحتمل ... لا يكتبه الوصف ... لا يبلغ كنهه ... الحريري ... في السادسة والأربعين ... إليه الأمير ... وأكتمه ... البلاغة ... الأمر ... كنهه ... من السرور ... ما لا يكتبه الوصف

من الأدب الرمزي

# هكذا تكلم بردى (*) !

## للأستاذ علي الطنطاوي

تفتحت أبواب السماء حيث ينهمر المطر به من (تلك) الجبال التي علاها عشرة آلاف سنة، فاخترق الصخر واقتلع الشجر ومدّ أصابعه من خلال التراب وأدخلها من شقوق الأرض حتى نبع (بردى) وهو (جنين) في بطن أمه الأرض، فطيف به أعشابها من صلد الصخر، تحنو عليه وتفديه، فصبره فشاء حتى ضاق به مكانه، وامتد الطفل إلى غايته فخرج

وكانت الشمس قد طلعت على الأرض بعد (تلك) الليلة فحيّاها الفجر وغمرها بالنور، و(عمّه) رب مملكة البر والبحر بعد أن كانت قفراً كلها، فوجد (الوليد) ينظر مشدوهاً ويجري مهلاً أتيح جبلاً عظيماً، جبال يمشين شهباً ويمشين جلالاً، ويكلمه من أجوائها ماله عيبه ويحزنه، وودّ لو يسير في أرجاء يرى فيه مليئة ويسمع من بث المسوح (ينحدر) اللحن والقرى ولكنه كان صبياً لم يستطع أن يمشي! ، وسرعم النهار

وهو جاثم مكانه لا هو قادر على الرجوع إلى [illegible] ولا هو قادر على السير، وأوحشه سكون الليل وظلمته (إذ) [illegible] [illegible] ولا صاحبه [illegible]، خائف وحيداً حتى [illegible] (الأشب) كانت قد تعهدت به فاحتضنته أبي ولد. فلما أبصره شفقته وحنت عليه، واحتضنته على ركبتها [illegible] إلى أن أحاديث الحب [illegible] والأودية المسحورة [illegible] حتى نام!

* * *

وصحت أيام ما صب الوليد، فقعد (شيئاً) يتعثر في المسيل، ثم شب فسار (حتى إذا) مشى، (ينحدر) نحو الوادي صعداً.

وراح ظهوره أهل ذلك [illegible] فاستقبلوه معه [illegible]، ثم علوا إليه فأحبوه، واتخذوا موطنه مسكناً، فشق له السهول [illegible] وجمع له [illegible]، ووهب له [illegible] وأحبوه [illegible]، ويذكرونه بعهم

وكان (بردى) الصبي [illegible]، [illegible]، ولم يبلغ بعد ذلك السهول [illegible]، ولم يمكنه أن [illegible] له جبال [illegible] [illegible]، ولم ير إلا أن يخرج [illegible] لا [illegible] حتى عم الوادي كله، [illegible] ودخل الوادي [illegible] [illegible] على الصخر [illegible]، [illegible] أنشودة (الظافر)، [illegible] في الوادي إلا أميرات صغيرات، [illegible] صخرة [illegible] حتى [illegible]، وساقية تجري [illegible]، فلم يلبث أن [illegible]، واندفع في [illegible]، وصب الأشجار [illegible] على طريقه [illegible] عينيه (غضبى) له

حتى إذا اقترب من (الفيجة) جاءه [illegible] فقال [illegible]: هل هنا مملكة جبارة [illegible] صخرة عالية، وجيوشها علا الوادي [illegible] إلى أبواب المدينة الأبدية الأزلية التي كانت من قبل [illegible] الدنيا كلها، دمشق!

(دمشق) [illegible] من [illegible] أي مدينة وجدت من عهدها وأي شيء يعرف [illegible] إلا الله القديم بلا ابتداء، الباقي بلا انتهاء؟ [illegible] [illegible] [illegible] وأي [illegible] [illegible] الأرض [illegible] أما تلك [illegible] [illegible] ويجعل [illegible]

* * *

---

لأن جميع ذلك أمور وضعية، والأمور الوضعية تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان. والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كلية، وموضوع علم اللغة أشياء جزئية، وقد اشتركا معاً في الوضع [1]» — قال الشارح التصريح: إن القوم في اعتبارهم قد أحدثوا — مع كونهم مستفيدين — ألفاظاً ما عرفتها العربية السالفة. وبهذا كان ذلك ولم ينكر عليهم أحد (اصطلاح) أحدث لفظاً [illegible] أن يدعو [illegible] لفظاً — مركباً؟

وهنا نعود بالحديث: إن النحويين لم يحوزوا كلهم ألفاظ اللغة كلها، ولقد فاتهم شيء كثير. فهل يستطيع القاضي أن يقول [illegible]؟ ([illegible] إحاطة) وقد استظهرت قراءة كل تركيب في كلام العرب، وما ورد في (الكتاب [2]) من نحو:

هل يستطيعون [illegible]؟ [illegible]

(*) انظر مقالي عن بردى في الرسالة العدد [illegible]

(1) المزهر (2) يعني الكتاب لسيبويه

ويتابع المطلاي ردى الأخضر ، القوى ( سلطان الوادي ) الثائر الشامخ ، والهيجة ( البهية ) الفتاة ( سيدة الرابية ) واستطف البيتان عنه من هنا ، وعنه من هناك لا عطفان[1]

ثم أقبلا فاستعرضا فتبسم حوله بردى وضحكت له الغوطة وسارت تحت ركابه نايلة صاحبة ، وهي أعز منه جنداً ، وأنمى حسباً ، وأكرم عنصراً ؟

ومشى مجبوراً في الوادي وسهول ، وعلا أرجاءه بشهيقه الحلس الرحب

لم يعبر إلا قليلاً حتى قابل أميرة صغيرة تخطر على السفح الجميل ، وفي أهدابه ( الخضراء ) سماء وحب ووداعة وطاسحر ، كأن الناظر إليها يشرب حب خمرة ، تلك أخشيبا محبوب ... حلم كأنه حسن القلب في أذن الحبيب ... فاستوى إليها الجبل الأشم ، ومال من العلو عليها ، وطاقب الشمس ... فما السحرب إلى مرقتها ... جبتها[2] من كثرة البكاء ... ضعفت من حرارة الوجد غروب ( القلب ) وسالت مدامعها على خدود الجبال فاحصرت منها السفوح ، وفي ذلك سحب ( الخضراء ) ... ثم لما طالب الشمس بسم الوادي ، ومن ذلك سمي وادي ( بسيمه )[3] وكان عنده الفتاة أم وحبها حين أعشاها في ... حياة أن تحرس من القهر ، وتحسرا أن ( يخطفه ) ثم ( يحطمها ) فإنه شاب عند ... طائش

• • •

لما أحس به بردى صرخ فتالا ! من هنا الفتى حرق على أن يغني حسن في الوادي ، ويترع من عندي ، ويبسم له الشمس من دوني ، ويختبر عليه وتسمع تغريدة الصخور الصم ولا عيل لي ولا حسن شهدي !

فلما أبصرها شغفته حباً ، ووطئته غراماً ، فصعد إليه ليحتضنها ، فقامت دونها الصخور ووقفت تحجب ( الهامة )[4]

الطهيه التي سمى هناك ، ويخرج بأمواجه ... ، ... رأى له الرسول إليها ... في ... الجبل ... لا تتجاوز الوادي ... عظم الحب ... ما عمل الحب ... وشى ... فلما رآه ... ، ... نلها بأحزانه ... إليه ، ويتخضب ( بدموع ) ... وشبابه ، ... وساة أمها ، ... على ذراعيه ... جرت ذلك ... وطار به إلى دمشق

ومرّ بردى ... من السنين ، وهو المطلطل ، يجري ... أياماً ، لا ... في وجهه شيء ، حتى يجور ... ثم ... ( الصنبية ) . ثم ظهر الإنسان على الأرض ، وظهر بردى في الطبيعة ، فويل له من الإنسان

• • •

وفي ذات صباح جاءه طائر يبحث ... فلما ... أحب الطائر أن يجزيه خيراً ، فخبره أنه رأى هناك في الرمال المحرقة التي ... ( الجنوب ) أمة من الناس ، يعيشون في طلب الماء وقال له : إني أخاف عليك منهم ، فهم من أهل الحرب ، التي لا تنقلب من الحرب ... أنهم بنو الشمس ، بنو الصحارى ، بنو الموت ، أتغفل أن الموت ... أمامه ؟

فضحك بردى وصرخ بسلام !

• • •

ووصل ... رجل من ... ، وكان من أهل ( الطريقة ) وهل خرج إلى الدنيا في ... ؟ فلما رآه صاح ... أن ... انظروا كم ... من ماء الحياة ، ونحن ... ملكاً ... عليه كيلا ... من أيدينا ... في طريقه كيلا يهرب

وأراد أن يضربهم ... ووحدة ... فلم يقدر عليهم وغمروا ... عليه ... أن ... قد شرع في الأول ... من ... وظهره على ... ، ثم ... كل ... ، ... جماعته ، ... الواحدة ... ، ... أن كان ... بردى ... وروا ... والتوت و... والقناة ، ... عليه ... حتى استقروا ... ما ... الجبلين — ثم ... الغوطة ... ( ... الحديد ) إلى دمشق ...

... غضب بردى ... وصاح ، فكان يهجم على المنازل

---

(١) ... إلى اليوم في ...

(٢) أعلى ... العنق

(٣) ... الماء ... وبين ... والبين الخضراء ... رأيت ... غير ...

(٤) في ... عند ... واحدة من ... لا يجري أحد ... وقد ... في ... أعظم ... كانت في شارع ... ، في ... ، ... ابن أبي سفيان ... الكبير ... وكانت ... من ... هناك ، ... ( ... دمشق ) ... اتفاق ...

وما كنتها ، فتمر بهم شهور ، ولا يبقى منها حجراً على حجر ، ويحسب أنه انتهى منهم ، فإذا هم يظهرون في غير ما مات ، ويعودون غير ما أتيهم ... فيتكل ويأيس ... ويحس أنه صار شيخاً !

* * *

ووجدت على ردى وهو يمشي في ( الربوة ) رجلاً يمشي تحت عمر أبوه يشبه الشيخ العاجز الهاتف ، فقلت له : ويحه مالك ! صبي ؟ أو قد شخص ؟

قال : وهل يا غلام ، فإني أسماء الأيام ، فلما كانت مقبلة علي كنت أنا بها صنواً ، فلما ولت وهربت ... ولّيت

وقال : لا أبي ، وقد بلغ عندي ، وسناه تجدني ؟ ألا ، ليس ما عرف الإنسان

وسكت لحظة ، ولاح على حذ دمعة تجري مع الماء ، ثم قال : هل رأيت هنا كرامة ؟ ... وكنت أمشي بين أيديهم من الرجس المسلسل ... وكنت أمشي في الرباص على مجب السمك ، وأنام على عتاه ، وأصبح على شجره ، وأمسي على كرم ... فأين أنت يا قصر العريس؟[1]

وأين أولئك الذين كانوا بهاء البشرية ، وكانوا مثلها العليا حشمة ، أولئك السعون الذين شادوا عهداً حدع أهل الدهر ؟ أين ذلك الرجل[2] الذي مر على يوماً وكنت أمشي في طريقه على باب دمشق في الموضع الذي امتلأ عواماً ، فجر اسم ذلك الفرس القطيع ، فلا يمر به أحد إلا أصيب به الفرس الذي يمسونه ... فلا يصعب إلى الربوة من كان عنده ، لأنه لا يرى هذا الجبل إلا ... له قلبه ، ... على ذلك الرجل ... من الأغنياء ... في الربوة قصور ومنازل ، والفقراء ما لهم إلا ... ، فلم يخرجوه حتى أقام عليه ... ، ... الناس منه ، يجري تحته ( ثور ) ، ويجري فوقه ( يزيد ) ، وهو بينهما جنة ، هي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ... من اشتهوا ... إليه أيديهم ، وإن اشتهو ... السمك منها ... من الماء إلى ... [3] ، وإن

أرسوا فيه الحين وحلوا ما لا مزيد عليه من الشكر ، وقد الله في الأمر ، منهم

فأين أولئك الناس ، وأين اليوم أمثالهم ؟

وسكت ردى حنين ، ثم رجع جنون ...

لقد شاقني أمس تلك القصور وما فيها من التاريخ ، وقد ... إليها الورود ، ... الأرباب ، ( ... ) من شقوق الأرض حتى ... في الدار ... ، التي ... من ( ... الربوة ) إذا ... إليها ، ونظرت إلى ما ... إلى الشمال ، ... من تلك ... ، ... كاملاً ، أو أطلال من ... كانت هناك ... ، حسب ... من أمس ، ... وحسب

لا الربوة ... ولا ... ... الربوة ، وحسب الماء ... ... ، وقد كانت ... فيها أواني الماء ... في هذه ... ، وقد كانت ... ، ... في مصعب الفتى

... إن ... ، ولم يبق من ذلك ( ... ) الذي ... ( ... ) والربوة إلا ... في التراب ... أطرافه ، ولا من ... إلا ... الله أعلم كم ... الأحجار ، وكم ... الشمس ، حتى ... ، والرسم ... الذي كان ... والأشجار والأورد

... المستقبلون في هذه ... التي كانت ... في العمران الأندلسي ، منها ... ومنها ... ، و... ، و... الأفرنج إلى ( ... ) ... ، فأين ... التي ... ؟ ... ، وكيف ... إلى ... في ... ... ، ... ... ، ... ... !

... أن أوربة ... ولا ... ، ولكن ... في ... ... ، ... ، ... ... في ... ... ، ... في ... ،

( ... ) ... تلك ... التي ... فيها ...

(1) ... على ... قصر العريس ... ، ... الشام من دمشق ، ... العلم ... الذي لا ... من ... ...

(2) هو ... .

(3) ... ( ... ) ... من ... ، ولا ... ، لأنها ... !

الحياة أذكر ، ورأى عدم همهم ، فصاح بهم أن مال أخرج هذا الماء الآسن من هنا

— آسن ؟ أنا آسن ؟ يا ويحكم أما كنت طاهراً نقياً أسير في الربى كما خلقني الله ؟ ما أكرمني من كان قبلكم ، ويرمون بالورد والزهر على الرؤوس ، وكانوا يقولون لقد فني فلا يمسون ماذا ؟ ويحكم أيها الآسن ! ذوي النفوس الآسنة ؟ كنت أسامح من أجدادكم هذا الوسخ موضعاً منسرقة موريه وأبدياً طاهراً مطهرة عصرت لا أرى منكم إلا السوء ، تستعملون وتدعون ، وأقيم على أوساخكم ، وتدعون أنكم في عهد النور ، وأن عهد أولئك كان عهد ظلام

أعهد ظلام كان وقد سطع فيه من عندكم نور العلم حتى ملأ الدنيا ، واستعد فيه شعاع العصبية حتى أحياء ميامين القلوب عهد طلعة الشهوات ؟ وترعرعت فيه الرذيلة ، وأنتم تمشون على صعب الصعود من الأرض — ولو تجزم به أحدنا من خمسين عقداً ، ولو أمر الشعوب عند الرحمن ساحتين ، (و)مرجت على الصعيد الآخر ، ولتعد العالم من وحشية الشعر الأجنبي الذي الذي يدعون كتفاً أنهم أفضل منكم ، مغوي إبليس حين قال : ( أنا خير منه ) !

لقد هدمتم مجدنا بأيديكم ، وأمتنا صبونا على أنفسنا ، فدللنا حتى انقسمنا ، وأضعنا كل شيء حتى مقتنا . أفلا يقظة بعد هذا النوم ؟ ألا عثرة بعد هذا النعس ؟ ألا زعيم مصلح حقاً يرجع الناس إلى الطاعة التي خلوا عنها ، إلى كتاب الله وسنة نبيه ، ويعصمهم من ملحدين ... من أعداء الصرعين ، ومن متصوفة أصحاب الطرق المتشرين المعاطلين ؟

اللهم تباركت ربنا ، لك الملك ولك الأمر ، ولا حاكمة إلا إليك ولا منجى إلا منك . اللهم ... ولا أسبق للروب ، ونكن أصحبنا الأقدار فمن ألفيتها قبل ، وعبد البقي الحقة التي أسأتوها على جوانب كتب الشيطان ... وأولئك والمعجب وبقايه الروكي (السينما وما حولها ...) !

وسكت ردى ، وعلا وجهي مسحة الشيخ العاجز حزناً متألماً !

هكذا تكلم النهر بردى ... !

«دمشق» علي الطنطاوي

# الأدب الفنلندي

للأستاذ صديق شيبوب

بمناسبة العيد المئوي لملحمة كاليفالا

ظهرت الطبعة الأولى لملحمة « كاليفالا » يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٥ . وبعد النجاح الذي صادفه هذا الأثر الذي شجع « لونروت » على متابعة رحلاته ، وكان قد مضى من قبل يجمع القصائد التي ينشدها سكان مقاطعة « كاريل » ، فخرج إلى المقاطعات الشرقية وتلك القصائد المتاخمة لها ، ثم عمد إلى ما جمعه بحيث أكملت هذه الملحمة وطبعت الطبعة الثانية في شكلها الجديد سنة ١٨٤٩ في خمسين نشيداً واثنين وعشرين ألف بيت من الشعر وهي الطبعة التي يعتمد عليها اليوم . وقد نقلت إلى الفرنسية في شعر منثور وفقاً لقواعد الشعر الفنلندي للمسيو جان لوي بيره Louis Perret مدير الأستاذ المعهد للأدب الفرنسي بجامعة هلسنكي

كان لظهور هذه الملحمة فضل بعث الروح القومية في نفوس الفنلنديين . ويحبب في هذا البحث من أثرها أنها حملتهم على الشعور بلغتهم الأصلية

قلنا إن الأسوجيين بعد أن فتحوا فنلندا فرضوا لغتهم على سكانها . فصارت اللغة الأسوجية لغة العلم والأدب ، وبقيت تلك اللغة الفنلندية شبه لهجة يتحدث بها الشعب . فظلت متأخرة لا سبيل إلى التعبير بها عن خلجات النفس ورغباتها . وظلت اللغة الأسوجية مسيطرة على اللغة الفنلندية ، حتى بعد استيلاء روسيا على دوقية فنلندا الكبيرة . وكانت تعلم في مدارسها وجامعتها

ولما أخذ الفنلنديون يشعرون بقوميتهم بفضل ظهور ملحمة « كاليفالا » ابتدأ الشعب يتململ من اللغة الأسوجية التي لا تزال الطبقة الأرستقراطية متمسكة بها إلى اليوم

فلا عجب إذا احتفل الفنلنديون بهذه الملحمة واحتفظوا بها كاحتفاظهم بمآثرهم القومية وآثارهم الوطنية التي كشفت لهم عن كنوز نفسيتهم الدفينة وأوحت إلى نفوسهم الثقة بمستقبلهم

وورث عنهم جيل استقلالهم ، وقد عنوا بمعرفة في القصص الوطني جيسكي جمعوا فيه مختلف ملحماتها ورواياتها

ومن أدلة عنايتهم بها الحفلات العظيمة التي أقاموها سنة ١٩٣٥ بمناسبة مرور مائة عام على ظهورها في عالم الطباعة

* * *

بقي لنا أن نشير إلى الجدل الأدبي القائم بين الروس والفنلنديين بصدد هذه الملحمة وأصلها ، وهو جدل له خطره الخاص إذا نظرنا إليه على ضوء الحرب القائمة اليوم بين الدولتين

يقرر علماء (الفولكلور) الفنلنديون والألمان أن أناشيد هذه الملحمة جمعت من المقاطعات الواقعة حول مدينة هلسنكي ويتوسعون في ذلك فيدخلون في مطالبهم مقاطعات «كاريلي» و «إنجري» Ingrie وغيرها من المقاطعات الروسية

ويرى علماء (الفولكلور) الروس عكس هذا الزعم ويؤكدون أن «لونرو» لم يجمع هذه الأناشيد من المقاطعات التي تطالب بها فنلندا اليوم بل من الجزء الشرقي لمقاطعة «كاريلي» وهي المعروفة باسم «جمهورية كاريلي الاشتراكية السوفيتية المستقلة»

وقد نشرت صحيفة «فيتشرنيا موسكوفا» Vetcherniaia Moskva الروسية بتاريخ ٢٦ يناير الماضي مقالاً عرضت فيه هذا الجدل جاء فيه أن القصائد التي جمعت في الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٨٣٥ تلقاها «لونرو» من فلاح يدعى «أرخيب» Pertunen كان يسكن في قرية «أوونا» Chonets من مقاطعة «كاريلي» وقد ذكر السيد «دوبيه» الذي يعتبر أكبر عارف بالأدب الفنلندي ، ما ذكره في كتابه «مختصر الأدب الفنلندي المعاصر» أن الشعب الفنلندي الذي يقيم بالأرض كلها والذي يقيم بمقاطعة «كاريلي» الروسية قد احتفظ بتقاليد القبائل القديمة ، وأن هذه التقاليد أدت إلى ضياعها تماماً بتأثير العالم البروتستانتية . وأضافت الصحيفة الروسية إلى ما تقدم أنه بينما لا نجد واحداً في الجزء الغربي القبلي من فنلندا يروي هذه القصائد والأناشيد ، نجد شيوخاً كثيرين في «كاريلي» يحفظونها ويروونها ، وقد ذكرت اسم سيدة تسكن إحداها مدينة موسكو ثم قالت : إن جمعة تسمى أناشيد «كالفالا» إلى أن فنلندا لم تظهر إلا في أواخر القرن الماضي ، وقالت الصحيفة الروسية إن الروس قاموا بطبع هذه الملحمة باللغة الروسية سنة ١٨٣٣ أي قبل ظهور هذه الملحمة الفنلندية بعامين مما ذكره علماء (الفولكلور) الفنلنديون

وهكذا يحاول الروس أن ينتزعوا من الفنلنديين ملحمتهم الوطنية التي تعد مصدر إلهام عظيم لشعرائهم وكتابهم ، ومبعثاً للحماس وروح الوطنية في نفوسهم

حسين شيرين

---

JM. Amis 144

## عن جريدة حشرة الملاريا

أنا أدعى أنوفيل ولست يونانية أو مصرية بل أنا دولية ومن سكان جميع الأقطار وبعض الناس أصنافاً في كل مكان

لقد مضى زمن كنت فيه أقرب من الفقراء والقراء وكنت سبب ظهور من موضوع الحرب هذه

أذكر كنت آتي بالكثير من جماعة المسافرين غير مرغوب فيها وطرد طرفول المسكين بأمر الجبال

فمصر تتولى مثلاً تكفل بكل عمل تماماً كل المشاريع الخيرية والسبب كلنا نرى سيالاً من هذه الحشرة كانت تعمل في الظلام

ولست أمر بكل بلد للسوء حتى خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء المشاريع التي أنشئت بينها والسكان الذين عوملوا فيها بكل معاملة كل شيء . فلا يزال الإنسان يرمي بأدوية وأحياء وبعد أشهر أنا أنوفيل وأنا التي ترى بعيون منظفاً من كل منبع جميل حيث المركز بسرعة وأحمر صارماً ممتدة صدفاً في جهة السكون فتحس بعض نقط صغيرة من الدم وتختفي على قائمة المسكرة وأجمع في ثانية واحدة عملاً تاماً منهن طويلاً بكل أني موسى المجدي ولا يعرف أنها الأنوفيل ولكن مقصداً من أهل جهة تعمد بذكرى

ولكن ضرراً كبيراً يجعلنا أفكر حسب رأي جهة الملاريا في جهة الأمم فإنه عليهم أن يومياً مدة موسم البحث حتى في الأماكن نفسه من العدوى التي أصبت بها ولقد وضعت هذه الجنة ساعة إصابة الملاريا كيف يجرءون وبعد أمر جراثيم بالأمثلة منخبرتهم من الكينا يومياً الأخذ منها مدة خمسة أو سبعة أيام حتى يحس أنه هذه العدوى كي يقاوم ضلالاً بهذه القوة

## القاهرة ليــلة الجمعة !

أحب التطواف بأنحاء القاهرة ليلة الجمعة من كل أسبوع فأسير أينما يذهب بي قدماي لا أدري متى أقف ولا من أي طريق أعود، ولقد أقصد حياً إلى حيث تقوم دور الملاهي، وأنا سواء على ذلك أو غيره — حسب رأي القارئ — أجدني أبداً غريباً في ذلك الحي، بل إني في الواقع غريب في المدينة كلها على الرغم من أن قضيت بها من عمري سنين !

ومن الغريب كثيراً ما أرى ملياً وقد الأعين التي ألفت ما تقع عليه . ولعل هذا هو الذي يحببني إلى ذلك التطواف الطويل

ولقد كانت آخر مرة طفت فيها طفت على بقاع المدينة لا أسير على أي وجه ليلتئذ لو أن قدمي سارتا إلى مكان غير ذلك المكان، فلقد كنت أحس شيئاً من الحرج الرغم من أن جيبي كان لا يزال عامراً بالقروش التي تناولتها منذ يوم، ووددت أن يؤثر ذلك الظلم في تصوير ما تقع عليه عيناي

ووقع في حقيقة فأنا أرى كل شيء جلي لا يجيبني، مما هو في مناظر شاهدتها مثلها كثيراً ولكنها نزلت حالاً على قدم

عند « شلة » من الرفاق أقسم جيوبهم التي أحسب أنها كانت لا تزال عامرة مثل جيبي، وأقسام شدائهم ما يعصر بالمناظر من « الأفندية » . فأصدوا يصافحون ويهوشون وينادي الواحد منهم صاحبه بأفظع ما يتصور من عبارات السباب كأنما راحوا يتنافسون في فحش القول . وعلى أحدهم وهو يترنح . وقد عرفته من قبل وقوراً هادئاً نادراً من الخجل والحنو في هامته

وعرفت سببي، ولكنها وقتا على نوم آخرين أو ما أجد من سلوكهم الوقار والتحشم، فإن ذلك ما نقص . في الأول طرابيشهم « البيري » وسراويلهم على ريب فالأكثر منها الجز الوسخ . ولكنهم كانوا أكثر من الناس مرحاً وتبذلاً ولا عجب فهم يرجون ويصفون بهذه الملابس التي مادوا يخطرون بها على أعين الناس

ولكم كنت أحسب منهم حيناً كانوا يرجون الندوة والرعين وعلى الأخص التهذيب والأعلى .

والتفت إلى صوت عريض غليظ فرأيت فيطلق كأنه سرقة جانباً وعقب من أصحابه أن أنفذ « اللاعبين » في مكين قلمنه في صاحبه لأنه أحد منه آخر قرش بقي معه ولم يشأ أن يعطيه من تلك القروش شيئاً يعود به إلى عياله

ورأيت حول المائدة المستديرة أولئك الشبان الذين يلتفون خلفاً ... ويتراسون على ما يلقى إليهم من حبات تلك الموائد نازعي ... عليها جميعاً كما ... الكلاب ... النظر ذلك ... و...

وحسبت أخرج من هذا الحي فلم يبد لي في ذلك الليلة بعد على روحي ، فما كنت أتخطى في أول خروج حتى لقيت في السطر « فتاة » تكتنفه الريبة، فهو يضحك ضحكاً ولا تكاد تضحك حتى يطل « الخوف والقلق عليك . وعرفت ... وأنا أسائل نفسي ... له زوجة وله زوج ؟

وكأنما تأبى المسكرة إلا أن تأتي في وقت معاً ... مترنح يمسك أحدهم خوانيه مخافة أن يقع ، وهو شاب بادي الوجاهة ، ولقد سقط طربوشه حينما قربت منه ، ولست أدري لم قصدني أنا فالتفت إلي ضاحكاً وقال : « من حسك لوني السنة ، أفندي »

والتقيت عند هذه القرام أخلاطاً من الشباب ترتدي رجحت ، ورأيت منهم من جعت بهم جميع المركبات وهم مع ذلك وقوف في أماكنهم يمدون أعينهم إلى كل مركبة في مكان معين منها وعلام يستعجل هؤلاء العودة إلى منازلهم ولا يزال بينهم بين امتحاناتهم شهور !

ولقد يمكن حظي أن يكون آخر ما يقع منظاري عليه جماعة من الشبان في إحدى الطرق يلتقطون صندوق القمامة يبحثون فيه عما يقتاتون به ... فرجعت بصري إلى أعلى وقد ضاق الأرض وما عليها فرجعت النظر من فرجة بين مبنيين عاليين، وأحسست أنه في تلك المدينة غريب مثلي ولست أدري لماذا ضربت ... في تلك الساعة بأنها صحرية من حياة المدينة ومفارقاتها !

وأشد ما أحسست أني لم أر شيئاً لم أعرفه من قبل من عجب على هوئها الأشياء ، على كثرة ما جد ظهرانيها من الغرباء !

« عين »

الأدب في سير أعلامه

# بيرون

ملك الشعر الحر الذي حمل على الرياء
وأنشد الحرية ونازل الحرب في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف

## نشأته وأسرته

شغل الناس بيرون في الغرب كما شغلهم في الشرق أهل النفوس من الإعجاب به، من أحبه ومن لم يحبه في ذلك سواء. وستظل حياة هذا الشاعر الشاب كالشعلة تنتقل من جيل إلى جيل فلا تزيد على الأجيال إلا تألقاً وبريقاً. وما كان الشعر كذلك الذي جاشت به تلك النفس المتوثبة الثائرة، وعصفت به تلك العبقرية الساحرة أن تمحو الأيام رونقه وسحره مهما تجدد من ضروب القول واختلف من ضروب البيان.

وما عرفت انجلترة، بل وما عرفت أوربا كلها شاعراً كالشاعر بيرون بلغ في مثل سنه ما بلغه من ذيوع الاسم وبعد الصيت في القارة جميعاً. وما عرف تاريخ الآداب رجلاً هز عصره هزاً عنيفاً قوياً كما هز عصره ذلك الشاعر الذي تمرد على كل شيء حتى على نفسه. وما لقي رجل من مواطنيه مثل ما لقي بيرون من الإعجاب الشديد والسخط الشديد، ثم ما اختلف النقاد في رجل اختلافهم في ذلك الذي كانت شخصيته الفذة مجموعة عجيبة من المتناقضات في ذلك الفتى الذي اعتلى عرش الأدب وهو في الرابعة والعشرين ثم غيب في لحده وهو يستقبل السادسة والثلاثين.

ولد جورج بيرون في لندن عام ١٧٨٨، أي قبل أن تنشب الثورة الكبرى في فرنسا بعام واحد، فكأنما أرادت العناية أن تستقبل هذه النفس الثائرة الحياة في عصر كانت تعصف فيه أنواء تلك الثورة العاتية بأوربا كلها. وكانت الأسرة التي انحدر منها ذلك الشاعر من أعرق الأسر في انجلترة كلها، جاء أسلافه مع وليم الفاتح عند الفتح النورمندي في القرن الحادي عشر؛ وكان بيرون يفخر أشد الفخر بانتمائه إلى تلك الأسرة حتى لقد قيل إنه كان يزهى بنسبه هذا أكثر مما كان يزهى بأنه مؤلف شايلد هارولد وغيرها.

على أن الشاعر قد ورث من بعض أفراد أسرته هذه بعض ما لا يحمد من الصفات؛ فكان سيء الحظ من هذه الوجهة انتمائه إلى هؤلاء. وحسبنا أن نشير هنا إلى اللورد الخامس في هذه الأسرة، ذلك الذي كان يلقب باللورد الشرير، فقد كان عدواً إلى حد يقرب به من الجنون، فهو يبعثر أمواله وهو محتجب عن الناس، وهو لا يجد لذة حتى قتل قريباً له في مبارزة دعاه إليها على سوء تفاهم في حديث نشأ على أثر خلاف نشأ بينهما، وهو يأتي من ضروب العنف والعبث ما لا يعرف به من الصحبة!

وكان لهذا اللورد الخامس أخ يعمل في البحرية وقد وصل بعمله إلى مرتبة الأدميرال ولكنه كان يعرف بين ملاحيه ومرؤوسيه باسم «الجو العاصف» لأنه ما ركب البحر إلا هبت في أثره عاصفة، وأعقب هذا الأدميرال ولداً كان كبيراً قسيم الوجه الطلعة حسن القسمات، وقد انتظم في سلك الجندية وهو في سن الشباب وحارب في الحرب الأمريكية حيناً قصيراً، ثم عاد إلى انجلترة وهو في العشرين من عمره، فكانت وجاهته تغري الأعين به، إلا أنه عرف بسوء عواطفه وعدم مبالاته وجرأته أكثر مما عرف بجماله، حتى لقد عرف هو أيضاً بجنونه، ذلك هو جاك المجنون.

ومن جمال جاك استهوى امرأة حسناء كانت زوج أحد اللوردات حتى هامت به، ولم تتردد عن أن تهجر زوجها وتخلف لها أربعة آلاف من الجنيهات كل عام أن تهرب معه إلى فرنسا، حيث عاشت معه ثم ... ، ولكن هذه المرأة المسكينة ما لبثت أن لقيت حتفها إثر مرض كما يقول بعض الناس أو من جراء سوء معاملة زوجها إياها كما يقول آخرون

على أن بلاءه ما لبث أن أوقع في حبائله سيدة اسكتلندية لا يمكن جمعه كسابقتها فقد كانت ترث عن أبيها ثروة قدرها ثلاثة وعشرون ألفاً من الجنيهات، ولقد حسبت حبها ذلك الشاب الغريب الأطوار، ثم بنى بها فأنجبت له بعد قرابة أعوام طفلاً هو الشاعر الذي نحدثك عنه.

كانت هذه السيدة الاسكتلندية تدعى كاترين جوردون، وكانت ترعى في رضا أنفه الزهو بالأسرة التي تنتمي إليها، فقد كانت تجري في عروق أفرادها دماء من أسرة استيورات الملكية؛ ولكن هذه الأسرة لم يكن في تاريخها أسعد حظاً من أسرة بيرون، فقد قتل بعض أفرادها، وأعدم البعض، وانتحر آخرون في عدة حوادث، وكانت آخر هؤلاء والدة كاترين التي انتحرت غرقاً وخلفت تلك الثروة لابنتها. ولطالما كان رجال هذه الأسرة مصدر رعب للاسكتلنديين، إذ كانوا يلاقون على أيديهم كثيراً من البطش والانتقام.

عاشت كاترين مع زوجها أول الأمر في اسكتلندة وما لبث أن عانت منه إسرافه وعبثه بثروتها، وقد كان لا ينقطع عن المقامرة، ولا يكاد يفيق من سكره. ثم رحلت معه إلى فرنسا حين ضاقت باحتقار الناس إياها وزوجها النسيب اللاهي، وراح زوجها يبعثر الأموال في فرنسا غير حاسب، وهو لا يسد ديناً إلا وقع في دين. وانتقل الزوجان إلى لندن بعد ذلك، ولكن حالما رأت زوجها هناك رحل إلى باريس، وصار لا يزورها إلا حين يطلب المال. على أنها ظلت على الرغم من ذلك مفتونة به، وقد ازدادت به تعلقاً حين وضعت ذلك الغلام الجميل الذي سمته جورج جوردون في مستهل عام ١٧٨٨.

وبدد زوجها ثروتها، حتى لم يبق لها منها إلا ثلاثة آلاف من الجنيهات كان دخلها منها مائة وخمسين كل عام، واضطرت المرأة المسكينة أن تعيش بهذا القدر من المال، وهيهات أن يكفيها وخادمتها، وأخذت نفسها بالاقتصاد الشديد. ورحلت السيدة إلى أبردين، وجاء زوجها فاختار له مسكناً بقرب، وبينه وبينها من جفاء حين، ولكنهما لم يلبثا متصلين. وطلب الرجل منها ثلاثمائة من الجنيهات فأعطته، وصارت تدفع مالها من دخلها حتى أصبح ما تعيش به مائة وخمسة وثلاثين، ولكنها ظلت حتى بعد ذلك تحب هذا الرجل حباً عميقاً، ولم يخلص من ذلك الحب أنه عاد ثانية إلى فرنسا وتركها وابنها في أبردين، على أنه لم […]

بعد ذلك عندما […] منتحراً كما أشيع، وابنه في الثالثة من عمره.

وعاش الطفل مع أمه وحدهما، وكان عنوداً حاد الأمزجة في كثير من سلوكها لا يقل عن شذوذ أبيه؛ كانت تحنو عليه أحياناً أشد الحنو، وتقسو عليه أحياناً أشد القسوة حتى تضربه ضرباً شديداً. ولقد حدث ذات يوم أن أطفأ النار وهو في نكايتها، وكثيراً ما رآها في ساعات غضبها تشق ثيابه بالأظافر فلم يجد أمامه أحداً يصب عليه […] والغضب […] ومن ثم […] وينظر الطفل إلى أمه فيختلج في نفسه العصبي الألم والرثاء والإشفاق، ويسأل ذلك وأي ألم ورأى مواقفه من أبيه ومواقف أمه منه، فكان يتساءل عما يرى متوحشاً لا يقنع بما يجيء به حدسه.

وكان الطفل جميلاً كأبيه، ولكنه ولد وفي إحدى قدميه عاهة فكان لا يستطيع أن يطأ بها الأرض إلا على أطراف أصابعها، ولذلك كان في مشيته عرج ظاهر، وكان يتألم من ذلك أشد الألم، وما كان أشد ألمه حينما كانت أمه تعيره به، إذ ترميه بالسهم الذي لا ينقطع من شناعتها، ولكنه كان يكظم غيظه وإن نفسه لتنطوي على ثورة جامحة، ولم يملك نفسه ذات يوم، حينما وصفته بالأعرج، أن يجيب قائلاً: «هكذا ولدت يا أماه». وفي هذه الروح تلمس نفس الشاعر المتعالية حينما يجري الحوار على ألسنة أشخاص قصصه. ولقد أتى بموقف شبيه بهذه في إحدى رواياته، فقد استقرت مواقف الطفولة في نفسه وما برحت بعد ذلك تظهر في آثاره. وما كان الطفل يصبر على أحد غير أمه يشير إلى عرجه؛ لقيته ذات مرة في الطريق إحدى السيدات وهو يتحاور […] فقالت لصديقتها: «ما أجمل هذا الطفل لولا أن له […] وا أسفاه مثل هذه الساق». فصعدت في وجهه أمارات الغضب وصاح بها قائلاً: «لا تكلمي عني هكذا»، ثم ضربها بكرباج […] غضباً عنيفاً.

ويطول بنا الكلام لو رحنا نسرد ما كان يلاقيه الطفل على يد أمه من عذاب؟ وحسبك أنهم أخرجوا معه ذات يوم سكيناً أوشك أن يغرزها في عنقه يريد أن يقتل نفسه وقد ضاق بما كان من أمه. على أنه ما كان يفكر في الانتحار وحده فكانت عنده نفسه أن أمه تدري ذلك. وكثيراً ما […] على مرأى من الآخر إلى أحد الصيادلة ويطلب إليه ألا يبيع الآخر سماً إذا هو رغب في شرائه.

(يتبع)

الخفيف

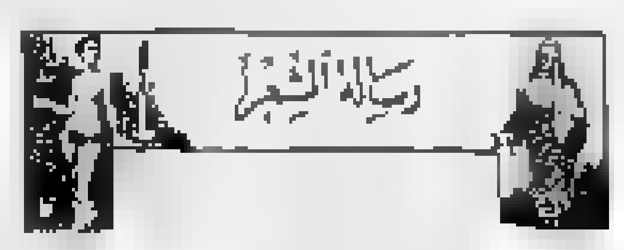


## الخفـاش

حين غابت الشمس عن عرشها · وانثنى حياً إلى موعده
تطير في الآفاق روح الأسى · جوالةً في ثوبها الأسود

* * *

عاش عهد الليل حتى ارتوى · والفجر في الآفاق لم يولد
وكهف من فتشت في ظلمة · حل بها الحب فما يهتدي

* * *

لما أتاه الصبح ولى إلى · ومنظر المكروب [illegible]
[illegible] الشمس بأنداده · وحرك الأرض [illegible]
في كل روض [illegible] · يصحو [illegible] الحب وأسراره
[illegible] من النور [illegible] · [illegible] يمضي [illegible]

* * *

[illegible] في أعماقه طائر · والنفس في كهف له مظلم
[illegible] من النور [illegible] · لم يعرف الحب ولم يحلم
[illegible] عليه الليل أعباءه · [illegible] في [illegible]
يشاهد الأعراس محمومة · [illegible] ولا يعتقه في مأتم

* * *

[illegible] من عهود الدجى · واخرج إلى النور ولا تجزع
أما ترى [illegible] في [illegible] · [illegible] في أطيانها [illegible]
[illegible] ترنو إلى أسفل · والطير في سلطانها الأروع
تشاهد الأشياء مكروسة · [illegible] روحك ما [illegible]

* * *

يا عبد، لا تخشى على ظالم · يا عبد، [illegible] الظلم لا يجمع
يا عبد، إن الطير في عدوها · [illegible] العود [illegible]
يا عبد، اسمع ما تقول الدنى · يا عبد، انظر فالصبح [illegible]

* * *

[illegible] في ظلمة [illegible] · لا يبصر النور ولا يسمع

(حلب) عمر أبو ريشة

## موكب النور

[ إلى النور [illegible]
من [illegible] ]

يا موكب النور أنا زورة · للناسك [illegible]
[illegible] الأعمى [illegible] · [illegible] الكون من [illegible]
[illegible] النور [illegible] · [illegible] على صدى [illegible]
[illegible] · أعداء الشيطان من [illegible]
[illegible] · [illegible] أو [illegible]

* * *

يا موكب النور أصبح [illegible] · [illegible] من [illegible]
[illegible] الناسك [illegible] · [illegible] قلبه المصطرم
[illegible] بالحب [illegible] · [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] في [illegible] · [illegible] إلى [illegible]
[illegible] من [illegible] · [illegible] أصم

* * *

[illegible] الأمس فلا [illegible] · في [illegible] طيوب [illegible]
[illegible] من [illegible] أثوابه · و[illegible] عندي [illegible]
في [illegible] الأهواء [illegible] · [illegible] في [illegible]
والحب من [illegible] · [illegible] على البحر [illegible]
[illegible] النور [illegible] · [illegible] الكون أنت [illegible]

([illegible]) [illegible]

## مناجاة

[illegible] · [illegible] لا يعرف [illegible]
[illegible] ما [illegible] · [illegible]
[illegible] الروح عن [illegible] · [illegible] من [illegible] النفس [illegible]
لا [illegible] · [illegible]
[illegible] ما [illegible] · [illegible]
كل [illegible] · أين أصبحت [illegible]
تستشعر الأنسام في آفاقها · [illegible] الأحلام [illegible]

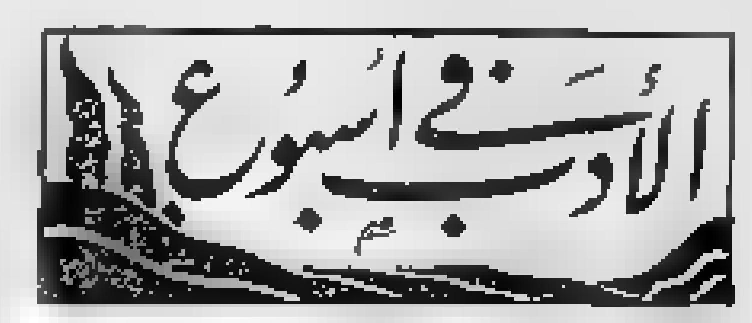


## الموضوع الموضوعي

من عادتي — إذا ما استعصى عليّ عملٌ فكرى — أن أعهد بأفكاري إلى الليل، فهو أحسنُ لها وأنجع. فإذا كان الليلُ، وهدأت الثائرةُ، وأوى الناسُ إلى مضاجعهم، واستكنت عقاربُ الطبيعة في أحجارها، تخففتُ من ثيابي إلى قميص أسود سابغ، وعتّمت أبوابها ونوافذها، وأسلمتُ نفسي لللآ مع الليل، وسكرتُ مع السكون، ثم أغمض عينيّ وأخلع ملابس من ظلام أسود، ثم أدع أفكاري وخواطري وأحلامي تتحرك فيها سابحة من زمان، حتى إذا ما جب النفس موجها بين المد والجزر، ثم ثرت وسكنت، وهدأ تيارها الغضبي رهواً ساجياً كصفحة الطفولة، ذهب بي إلى مكتبي أستعين الله على البلاء.

وأمس، حين أخذني من عرفي داعي «الرسالة» بحثت إلى ما عجزت عن قراءته من الصحف والمجلات والكتب التي من مثل هذا الباب — ولقد آمنت وأخلصت، ولا أكتم أني كتب أمراً في هذا اليوم — على خلاف عادتي في أكثر هذه الأيام —

قرأت الكتب في هذا العامد القصد لأخرج بذي عن أكثر الأمور منه وأعطيته حظاً وأشبعتها بحثاً ورويته فيه، فإنْ من القراء من يأخذ بالقراءة عدداً من الكتب أحسن وأمتن وأقرب منالاً وأيد على فهم جوهر مادته ... فنادرون من إعداد ما أحدث لهم وأدوات إلى نيل الحس للأدب، حتى أستعيد في نفسي ما رأيت وأين وقفت منه، وما ثبتت فيه مما يجوز أن أستشفه من وراء الألفاظ للجوهر، ومن تحت السياق المدبج إلى غرضه — كما هو بأخلاق الكتّاب وطباعهم ونوازعهم وحظوظهم أحسن منه بإحساس الكاتب فيما كتب. فإذا كنت أقدم الكلام بعد ذلك وأفكر في هذا الأمر وأستعرضه إلى نفسي حتى رأيتني أكاد أعجز من مكان لا مجال فيه من سوء الرأي وسوء الظن، فإن حولي نشاطي في معالق الكتّاب والشعراء أرى مسائل أنفسهم، يدلني على أن أكثر من يكتب إنما يجمع بعض الكلام إلى بعضه فيعمّي غير معقول بما يقول، فكذلك يخرج الكلام متماسكاً متسقاً كأنه مادة من ورق مصقول، ولكن أين كان تجد في إنشائه المعاني والأغراض من شخصية جامدة غير متغيرة، ولا معنقة، ولا معتقة، وأنهم إنما يحرصون على شبه القوى مجهولين للجمهور للسيد لا الرأي الحاكم، وأنهم إنما يكتبون ليلقوا كتاباً في عقول الناس ونفوسهم من طول ما تعرض عليهم المقالات متوسمة بالأسماء مدبجة بها، وأن الكلام عندهم هو أهون عليهم من مشقة القائم للتكلف على رد الكبرياء، فإذا هو دور مستنفض.

لابد للعرب والعربية أن يدأ هؤلاء من أنفسهم ثم يجردونه وأن يعدوا بجمهور القراء احتفاء من لا حس له عندهم ولا شر إليه، فيملك أيضاً جميع ما عند من القراء الذين يقرأون الأسماء دون معاني هذه الأسماء، ويومئذ لا يفكر الكاتب من وراء أسمائهم، لأنهم يحرصون للناس الحسن الذي يجيء في القلوب الإحساس بالحسن والرغبة في اختيار الأحسن، ويحبون الناس الجميل لأنه جميل يسمو بالروح، سبحت اللفظ الأعلى من الجمال الروحاني ... ثم لا يعيرون إلا الجميل، وكذلك يتراقد الكاتب والقارئ، وعندها الأمر بأسباب حياته ومعدنه بين حوافق الأدب العالي الرفيع. هذا هو بعض الرأي أدعو إليه كتّاب، والأدب على هذا جرف هار إلى البوار والبلى والفساد.



عبد أن كاتب حرفاً وصفاها
فأرسلت من أحب ...
حبلٌ بعيدٌ عاريك الشفاها
في وعدي حلالٌ سابغٌ
ويُمسك حوادي ... في
أرسلتُ ... رابطةٌ
أعلنتُ مرة حتى منتهاها
لا ... كيف ...
أطلعُ الليلَ الآكلا ومعاها
أيها الليلُ ...
حتى الليل وأطياف ...
وكان الليلُ ...
للشريعة ... في الدنيا ...
يا مجيبُ النفس ...
كل ... أساسي ...
لم يكنْ ... مرأ ...
فلكن موجوعٌ أخلاي نظامها!

والآن، وقد تحدثتُ النفس ببعض كلامها، نعودُ إلى «أدب الأسبوع» ونحيل إلى أن «وزارة الشؤون الاجتماعية» هذه التي استحدثت بعد أن لم تكن، قد كان من عمل أصحابها أن أيقظ أكثر كتابنا إلى حقيقة منسية كانوا يتناسون وجودها أيسرهم ... نفس صاحبها من الناس القرى والفلاحين ... وهي خلاصة بين الأمم أنه لا تقوم للناس ... وأسعد وأربحها، وأن مركز مصر الاجتماعي والسياسي والثقافي أيضاً قد هبط في نظر الناس وأنه في حقيقته أقل مما يحصل عليه من الرتبة والتالي ... الصحف بالإصلاح ... فقد كتب الدكتور هيكل في «السياسة الأسبوعية» عدد (١٥٢) كلاماً في «وجهة الإصلاح في مصر» ... تاريخها ومراحلها وأصحابها من عهد الثورة الفرنسية إلى هذا اليوم. وكذلك كتب الدكتور «طه حسين» في «الثقافة» عدد ٥٢ يقترح إنشاء «مدرسة المروءة» ... في ختام ... «الرسالة» الماضي ... يشكو إلى الله ... أن أكثر ... خطئوا في أنفسهم حاسة الفن فلم يعودوا يدركون معنى الجميل، وأن أدباءنا خطئوا في تفكيرهم مطالعة الأدب ... في كثير ولا قليل، وأن زعماءنا ... الشجر ... فتشكل ... دعوة و... كل دعوة ... وكل هذه تلتقي على أصل واحد، وهو أن الحياة الاجتماعية لا ... ، وأن «بين الطغام» يعني أن يطول ... في مصر الحياة حتى تقعد دون ... ، وأن الإصلاح لا بد أن يحصل حدوثه ... ولكن كيف يكون ذلك؟!

وقد ساق الدكتور طه حديثه عن المروءة ساخراً من هذا الجيل الذي ... على ... الأخلاق، وعطلت عنده مكارم الإنسانية النبيلة، ... ومشاره بالخير الأخلاقي ضرباً من الحضارة يلبسها الغنيّ والمغالبُ والموظف وطبق التاجر البائع ... حتى يكون هو في ... أعظم شيء، وظاهره ... يعاني الشرف والأمانة والنزاهة ... الوافقة ... المشتري على ... ، وغير ذلك من حق التضحية والمصابرة، فأراد أن يرجع ... إلى اقتراحه إنشاء مدرسة المروءة ... من «تنازع الاختصاص» في وزاراتنا ... أعمال كلها وهذا كله في ... لا يحاول أحد أن ينازع فيه أو يختلف فيه، ولكن ... المحض القائم ... العذاب والبلاء لا يكاد يجدي شيئاً في الإصلاح. وعلى ... أن كل هؤلاء الذين ألقيتهم الأمة المسكينة على ... وأسباب عيشها - لا يستشعرون من ذلك ما يستشعر ... من معاناة مثل الذي عند؟ أجل! ... هو ... المرض. إن أعمال الإصلاح الكبرى ... من وزارة الشؤون الاجتماعية، ولا وزارة المعارف، ولا ... إلا ... كيف يرى ما يصل، والرأي لا يمكن أن يتجه في هذا الأمر إلى ... وزارة المعارف ووزارة الشؤون الاجتماعية ... على ما يجب ... اقتراحات ومذكرات وبيانات - إلى آخر هذه ... إن عمل الإصلاح الآن موقوف على شيء واحد: على ظهور الرجل الذي ينبعث من ... الشعب المسكين ... يحمل ... الرجاء ... من كل ... للمسجونين في أغلاله من الثورة والعنف والإحساس بآلام الأمة كلها، وآلام الأجيال ... من وراء ... على هذه الأرض التي ... في اللغة «الإنسان» ... هذا الرجل الأمين ... ، ولا ... حتى يكون ! بل هذا موسم ... وكبرُ ذلك ... على الأدباء ... والكتاب والشعراء، وعلى كل إنسان ... فالأدباء ... أن ... إلى إيقاظ كل ... من عواطف الإنسان، وإلى إثارة كل كامنة ... التي لا ... ، ولا يكون ذلك شيئاً إلا بأن يجد كل ... أبداً أن تكون ... في ... في كل ... من مكان إلى مكان. إن قانون الإصلاح الاجتماعي هو ... عواطف الفرد في ... على ... من صور ... التي ... من ... ما ... الدكتور هيكل ... في مقاله الذي أشرنا إليه آنفاً ... أحد في مشكلاتنا الاجتماعية ... أن ... بل ... كل ... عواطف ... أحياناً، ... الإنسان أحياناً أخرى، وهذه عواطف قد تتعدى الأفراد ... الجماعة ... الإسلام ... الشارع

ذلك على أساس السلطة الفردية ، بل أقامه على أساس النظام الاجتماعي .

والمشكلة هي مشكلة العلم ، فيجب أن نقوم على هذا الأصل الفردي المتعصب للتمتع بحياته في أصحاب النظام الاجتماعي ، فإذا عشنا كتابنا على هذا وتكلموا بعدهم عن أنفسهم وأخلاقهم كان ذلك قبيناً أن يبعث الرجل الذي سوف يبني الحياة الاجتماعية بصدق العمل والصحة والحق والاستقلال

## أبو العباس السفاح أمير المؤمنين

أثار الأستاذ العبادي في « الثقافة » عدد ( ٤٧ ) مشكلة ابتنى عليها ، وذلك أنه وصف رحلة « أبي العباس أمير المؤمنين » أول خلفاء بني العباس كما رواه المؤرخون من أنه كان « فاخر الجسد ، طويلاً أبيض ، أقنى الأنف ، حسن الوجه واللحية » وكان « سخياً سموحاً حيياً حسن العشرة ، كريماً سمحاً » إلى نهاية ذلك من كريم الخصال . ثم استبعد أن يكون هذا الإنسان الرقيق أهلاً لتلك الصورة البشعة الطاغية التي خلعها عليه مؤرخو هذا العصر « السفاح » من الحرب وسفك الدم والإسراف في ذلك والمبالغة فيه . وقد جعل الأستاذ الحوادث التاريخية ثم جعل على ما يسوغ أن يكون « أبو العباس أمير المؤمنين » سفاحاً سفاكاً للدماء ، ورأى أن كتاب المؤرخين كالطبري والمسعودي لم يذكروه إلا مجرداً من هذه الصفة ، ثم رجح بعد ذلك بيان أن السفاح يحمل هنا على الأصل اللغوي أي الكريم للعطاء الذي يسفح الأموال ولا يضن بها . ولكن الأستاذ « أحمد أمين » رد عليه بعض أدلته في العدد ( ٤٩ ) فرد الأستاذ العبادي عليه في العدد ( ٥٠ ) وعقبه إلى العدد ( ٥١ ) . وأنا قد أعجبت كل الإعجاب ببحث الأستاذ العبادي ، وإن كنت أخالفه كل المخالفة ، وذلك لأنه مبني على منطق لا رجعة فيه ، ولأنه أراد أن يفرق فرقاً جيداً بين كتب التاريخ وكتب الأدب القديمة من حيث الحجية في رواية التاريخ ، فإذا عد كتباً من أهم كتب الأدب تحمل على الخلفاء من سيء الأخلاق ما تناقضه سير هؤلاء الخلفاء كالذي يروون من الرشيد — وهو بالمنزلة من الشرف والعلم والسياسة وطول الإخبات والتقوى والنسك — من معاقرة الخمر والملاهي والاطلاع على الحرم واستباحة الأعراض وغير ذلك مما لا يمكن أن يصح بوجه من الوجوه .

هذا ، وإني أخالف الأستاذ العبادي ، فأستحسن رد الأستاذ « أحمد أمين » ورجح من تفسيره لفظ « السفاح » بالسكر والسخاء لشهرة ظاهرة وأصر على أن « أبا العباس أمير المؤمنين » لم يلقب « بالسفاح » ألبتة في حياته ، ولا ذكر ذلك عنه أحد من المؤرخين ، وأصر مع ذلك أيضاً على أن صفات أبي العباس وخلقته تنفي عنه أن يكون سفاحاً كما قدمناه . ولا كل هذا ! فإن هذه الصفات لم يرو لنا إلا أقلها حتى يمكن أن نجعلها أصلاً يستخلص منه خلق أبي العباس من وراثته ، ومن الرقة والدعة والخجل ولين الخلق تخفى وراءها أحياناً قسوة لا حد لها ، ضراوة ، كالذي يكون في النساء فإنهن قد عرفن بين الناس بالرقة ، وهن أحفظ كبداً من الإبل ، وأن المرأة إذا غضبت لم يقع غضبها في القسوة ( أحد ) المعروفين في باب الوحشية ، ومع ذلك . . . من الرحمة بعد اللين ، وفي التبسم في التجهم ، و . . .

وكنت أحب أن أستوفي هنا القول في تحقيق هذه الصفة لأبي العباس أمير المؤمنين ، ولكني رأيت أن الكلام قد يطول علينا وأن القليل هنا لا يغني إلا بعد كثير مما يحمل ذكر المناقشة ، فموعدنا الكلمة التالية إن شاء الله

محمود محمد شاكر

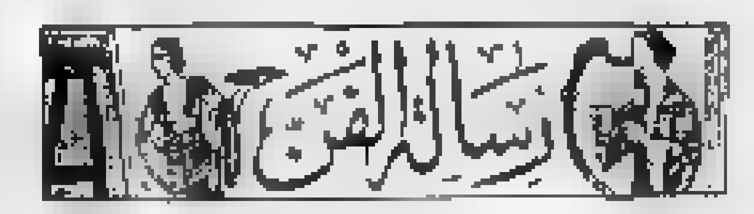


دراسات في الفن

# أعوذ بالله إنه «مكياج»!

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

---

— ما هذا التخطيط؟ أردت بالأمس أن تلعبي فاستغنت، واليوم تصورين وتريدين أن تكوني رسامة!

— أبعدوني من الألحان وقلتم كلاماً أساطير «أسكتي»، فهل يريدون اليوم أن يخطفوا من يدي الريشة فلا أسود صفحة أيضاً

لا تقلقي ولكن لا تغضبي، ولا تتمي وسمعتي في رحلة رأياً. فما الذي تريدين أن ترسميه؟ فكرة؟ أم إنساناً؟ أو عاطفة؟ أو عاصفة

— لا لا ... إنسان، كل ما أعرفه عنه هو أنه «كاتب من الكتاب» كتب مقالاً في عدد الرسالة الأخير جادل فيه بين نفسه وبين سيدنا أيوب

— إذن فستكون صورته أشبه الصور بالصورة التي تتخيلينها لسيدنا أيوب

— لا ... بل ستكون صورة أخرى، لأن هذا الكاتب نفسه أراد أن تختلف صورته عن صورة أيوب اختلافاً كبيراً

— وأنى لك ذلك؟

— من كلامه هو فهو يقول: «أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد البنين، وأنا فقدت الثروة والعافية والبنين ... أسمع الله من أساءوني ... وأيوب استطاع أن يعاتب ربه بقصيد رائع وهو في أمان من ثورة جمهور، فظفر بالخلود في عالم الفكر والبيان، وأنا لا أملك معاتبة ولو بسطر واحد خوفاً من رجس التعبير، وخوفاً من سيخ الأرض، وخوفاً من عمكة مفتعب، وأين محنة أيوب في دنياه من محنتي في دنياي! كان المبتلى لعهد أيوب يعرب الرجل شهراً أو شهرين، ولكني بعهد بيان فيه الرجل إن يكتفي بالجهاد يوماً أو يومين، ثم يقضي على وجهي فأستحل ودياه على عمره ... وكانت الأرض بعد أيوب بلا رسوم ولا حدود ... يقتل منها ما يشاء كيف شاء، ومن اليوم نفسه ... الباهدى أسعد المصدود» وهو مع ذلك يقول للذين أصابوه ... «لقد ألهمتم في رحمة البنين الذي كنت أرجو أنه حين مكرتني صروف الزمان، فأين أنتم لأشكو الحكم ما جنت أيديكم؟ وأين السبيل إلى رسم الهناء الذي كنت أستقبل به من قبل أن أفجع بالبنين الذين أوهموا به فؤادي ...؟» فهلا ترى أن هناك خلافاً بين الذي يقول هذا الكلام وبين أيوب؟

— لم أقرأ سفر أيوب

— هو رجل أعطاه الله كثيراً، فابتلاه الله، فصبر، فرفع الله البلاء عنه ... فاختاري له ما تشائين من صوره، وانظري في هذه الصورة ... فقد يحتمل أن تشبه إحدى صور أيوب

— وأين هي الصورة؟ فإني لا أرى في الورقة غير خطوط

— الصورة لا تزال في الذهن وسنستخرجها معاً ... ولنتخيل أولاً تصوير الرجل الذي فقد الثروة والعافية والبنين ... هذا الرجل ما منظره؟ وكيف وجهه؟

— أرى كل شيء في أثوابه من فقد الثروة، وهي ليست أنيقة ولا غالية، وهو بعد ذلك هزيل ضعيف لا قوة فيه ولا صحة، ولا بد أن تظهر الحيرة في عينيه ما دام قد فقد البنين وقد يكون بعد الحيرة حزن، وقد يكون بعد الجزع حقد، وقد يكون بعد الحقد قسوة، وقد تكون بعد القسوة غيرها من سائر الرغبات التي تستولي على من فقد البنين

— بعد أسبوع واحد ستأتي أنا وأنت ستروين صورة هذا المسكين — وما رأيك في قوله: «أسمع الله من أساءوني»؟ أهي كرامة منه لمن أساءوه، فرحب على وجهه، أم هي اعتذار عن فقدانه الثروة والعافية والبنين؟ فهو يريد به أن يبصر الناس مظاهر هذا النقص؟

— أظنها كرامة، وأظن هذا الرجل غنياً عنه، وأنه لو تمكن من الذين أساءوه لأساءهم

— وأنا أميل إلى أن هذه لا هي كرامة ولا هي اعتذار

قد سبق أن أنزل عليك من كلمته قوله للذين أساءوا [illegible] بالحكم في ملامحكم وملامحهم [illegible] فمالي أخشى جذوته الجزين في صفحة كتبي وكتابي !

— عجباً ! ... فهو إذن لا يكره الذين أساءوا ، وإنما يريد أن يكون معهم [illegible] فترسم إذن على وجهه شيئاً من الشيوة أو لعلها سخرية

— سخرية ممن ؟ من الذين يريد هو أن يكون معهم ؟ ألا ليست سخرية [illegible] وهو بعد ذلك يريد أن يعاتب الله الذي هو الله معاتبة لا تكون إلا من صاحب حق عند قبل منه ، ومع هذا ، فهو يخشى رئيس التحرير ، وشيخ الأزهر .. فكيف رسم الرجل الذي له حق عند الله ، ويخشى مع هذا يخشى الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وهيبة الأستاذ الزيات [illegible] كيف يمكن أن تصور هذا ؟ إني لا أتصوره !

— ولا أنا !

— ولا أي إنسان ، فأولئك الذين يفرضون الله ، ويحاورون الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهم يبرءون هذا من تلقاء أنفسهم لأنهم يعرفون الله ويعرفون أنهم يفرضونه ويحاورونه ، ويعرفون من هو الله ، ومن إلى جانبه رئيس التحرير وشيخ الأزهر

— إذن فأنت تريد أن تقول إنها ناحية مبهمة في الصورة

بل أقول إنها مكياج . وإنها لتنبه [illegible] على الذين أساءوا في الوقت الذي يريد فيه أن يكون مع الذين أساءوا في ملامحهم وملامحهم

— فكأنه لا أساء الله ولا أفرضه

— الله أعلم - وهو يحسب لأيوب من الحسنة أنه ظفر بالخلود في عالم الفكر والبيان لما عاتب ربه [illegible] وهو في أمان من ثورة الجمهور - فأين الذي يبدو هذا الإحساس في وجهه من الأمارات ؟

— أمارات الفكر ، لا شك ، وعلامات عشاق الخلود

— كلا [illegible] فقد سئل أيوب أن يحدث مرة أخرى عن قبل من سنة الله في عتابه ربه ، فذكر أنه عدو ربه ، ولا [illegible] ولا يفكر ، فما كان أيوب يبغي بالكلام [illegible] الناس عنه [illegible] بعد موته ، وإنما كان أيوب يتجه إلى الله يطلب منه أن يصلح نفسه ، وأن يكشف [illegible] عن من يأتي [illegible] أيوب الذي كان [illegible] نفسه هو الذي تبدو عليه أمارات الفكر لا شك ، وعلامات عشاق الخلود

— فمكياج هذه أيضاً ؟

ولم لا [illegible] فى رأس السنة ، ورأس السنة عيد يتذكر فيه أصحابه [illegible] فلنعص مع صاحبنا هذا ، فإنه من غير شك فيه

وهنالك وصلت إلى صورته حقاً [illegible] هل يجرؤ على نشر صورته ، وهو رجل لا يعرفه ، وقد يحسب عليك [illegible] أحوج ما يكون إلى عطف الناس لا إلى [illegible]

ولذا يحسب ذا أيوب الثاني ، من كتبين [illegible] كاتب [illegible] مصري [illegible] إنه لم يحسب لا [illegible] نفسه [illegible] من أن صورة أيوب التي يريد أن يرسمها على نفسه إنما هي مكياج

إذن فلنعص [illegible] الله ، [illegible] مكياج

— آمنت [illegible] كنت قرأت سفر أيوب [illegible] رأيت فيه أن أيوب لم يصحح من [illegible] إلا على أنه مظهر من مظاهر غضب الله [illegible] ولكن أيوب الثاني هذا [illegible] يذكر الفجيعة في قلبه على أن أطمع [illegible] ما أصابت [illegible] ؟ وأين [illegible] أيوب [illegible] من [illegible] في دنياي ؟ [illegible] تصورني أيوب الثاني

— بصورة الرجل الذي يهون جهة أيوب في دنياه إلى جانب [illegible] أيوب على ما أظن فقد في الدنيا من الفقر والمرض [illegible] كما فقد [illegible] ما يستر الجسد

— لعلك تعنين كاتباً من الكتاب الذين يكتبون ليلة رأس السنة [illegible] الرسالة [illegible] ولا [illegible] صاحب الرسالة وكتابها [illegible] وعجب [illegible] ؟ أنا لا أظن ذلك ... وهذه أيضاً مكياج

— إن الرجل يتكلم كلاماً يعتمد فيه على الفجيعة [illegible] أيوب [illegible] أيوب ... فأيوب نبي ، وعاش في عصر أو عمر [illegible] من عصر ما

— وهذا هو الذي [illegible] ولكن لا [illegible] أنه [illegible] نفسه وبين أيوب من ناحية واحدة فقط ، وهي [illegible] الشقاء الذي

يعرض أنه قد نسيه ، ويعني بعد ذلك لأيوب قبة بواديه وأولها أنه لم يكن يعرف « المحتاج » ومن لصوه أحسبه في أيوب وإن كل من يريد أن يكون كاتب

— فلندع هذه أيضاً

ولنر إلى قوله إلى الدينار والدينارين ..

— لا لا — فلندع هذه — فإن الكتاب من الكتاب الذي يشعر على الإحسان حالة في هذا العصر بذا يكتفي بالدينار في اليوم أو اليومين ... هو من غير شك قد وجد ثمة من إمكانات ما هي إمكانات لو لم يكن يعني الدينار في اليوم أو اليومين ... كل الذين هم من الكتاب ومن الكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار في الأسبوع أو في الشهر أو في العام ... إن هؤلاء هم الأيوبيون يعيشا يا سيدتي مولاه ... ومن يسطو على وحيهم فأسجل رذائله على نحو ما صنع أيوب ؟ فهو لا يسجل على وحيه الرذائل إلا إذا أسقطه على الشعر أحد ، على الرغم من موته إلى الشعر أو وحيه وأخصه ... فكيف بصورته أمام الشعر !

— لو كان خائفاً من الشعر لكان قد سكت عن الشعر ولم يشارعه ولم يعارضه الصداء ، ولو كان محتاجاً على الشعر لا مبالياً بالشعر ولا طالب الذي يسلطه عليه ويمكنه منه ، فلا هو خائف ولا هو هاجم .

— هذا يكون إلا أنه صاحب سياسة مع الشعر سكنها فهو لا يواجه على الرغم من عداله ، انتظاراً من يسلطه عليه !

— ولكنه على هذه المسكنة يصارع الشعر بالنقد ... وليس من المسكنة في شيء أن يصارع الإنسان عدوه العنيد وهو عاجز عنه خائف منه

— هذه المسكنة أيضاً مكابح أو هذه الصراحة هي المكابح والله أعلم ... على أنه قد حضرت لي الآن صورة مضحكة قد تجتمع فيها ملامح هذا الاضطراب كله : في الريف عندنا ناس يسلطهم الأعداء على سادتهم ... فيكرهون ويسعون في إيذاء ويعجزون ويقصرون ، منا لا يرضى به إليهم من يسلطهم ... وهؤلاء من كثرة خوفهم من السخط والسيف أصبحوا يساعدون من يظلمهم من الأذى فلا يأخذون بالثأر لأنفسهم ولا يستعيدون حقوقهم ، لأنه لا أحد يسلطهم إلا على أمثاله هو لا على أمثالهم هم .. فما رأيك !

— ولكن هذه لا يمكن أن تكون صورة كاتب من الكتاب إلى غلت ذلك ... فالمفروض أن الكاتب من الكتاب له رأي خاص وكيان خاص وتفكير خاص ، وهو من ثم لا يمكن أن يسلطه إنسان على شيء ...

— ولكن كيف ذكرت الريف وأنت تقف منه موقف لا حطاب ؟

— لعل الذي دعا صورة الريف إلى ذهني هو قول صاحبنا وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان الجاهل ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهي اليوم مقسمة تقسيماً يسد الجاهدين أمنع السدود ... فالأمر الذي لا شك فيه هو أن ذكر الأرض يكثر على ألسنة الريفيين

— ولكن الرجل ذكر بعد الأرض البحار فقال إنها كانت مصادر خيرات ، ثم ذكر السماء وقال إنها كانت مساقط غيث ومنابع نعم وهذا هو ما يدعوني إلى القول بأنه كان من الكتاب من الكلام ومن الخيال ، أمكنك ويدعني أن يسكت عند ذكر الأرض فقط فتكون منه عند هي الواحدة التي تهمل فيها « فلا كيف » ؟ إنه كاتب من الكتاب ... وهو إلى أنه كاتب يرى نفسه صاعداً ، وكان يجب أن تكون الأرض بلا حدود ولا رسوم ينال منها الجاهدون — وهو منهم — ما يشاء كيف شاء ... إنه يريد الأرض ويريد أن ينال ... والآن أرعديني وعرفي لي كيف تكون صورة هذا الكاتب الصديق ... هل تستطيعين أن تخرجي لي من « موديل » له أو منه

— لا ..

— وأنا قد حاولت وأسرفت بالصبر ، ووضعت هذا الخطوط التي رأيت في الورقة فلم يرض أن تقرني ، ثم قالت بأنها صورة إنسان .

— ولكن هذا الذي رسمته يا شيخ ليس صورة ما ... هو شيء

— هي صورة ، ولكنها مصورة بالأسلوب « الوحشي » !

وكم أحب أن أعرف رأي صاحبها فيها من غير غضب عليها مني والسلام ومنى لله الرحمة والبركة

عزيز أحمد فهمي

# قانون نيوتن الثالث

وارتباطه بحياتنا العامة

للأستاذ ابراهيم زكي أباظة

من معظم القوانين الطبيعية التي وصلنا إليها كانت نتيجة تجارب جمعت إيضاحاً، وإما استنتاجاً من قوانين أخرى سابقة وكثيراً ما عد العلماء ورجال البحث أهمية القانون بمقدار [illegible] وصول إلى مدى التي كشف عنها أكثر مما تطلبه من دور عام في مناح مختلفة من حياتنا العادية سواء أكان [illegible] مباشرة في ظهورها أم غير مباشرة في تأثيرها. ومن الشهرة التي يتمتع بها السر إسحاق نيوتن [illegible] للمكان الأول في قانونه الجاذبية العام الذي وضعه، ثم ما تفرع منه من مشاكل ومسائل طبيعية ورياضية جعلت صاحبه من أعاظم الرياضيين

من حسن الطريقة التي كشف بها قانون الجاذبية العام من مظاهر طبيعية [illegible]، كان الإلهام [illegible] عن الطريق [illegible] [illegible] بواسطة هذه [illegible] وتطبيقاته توصل إلى أن قانون « نيوتن الثالث » لا يترك ناحية من نواحي حياتنا إلا وله بها [illegible] وعمل [illegible] على مدى [illegible] هذا القانون [illegible] أهميته [illegible] في مقدمة القوانين العامة التي تشترك بها جميع العلوم

ينص هذا القانون على أن لكل فعل رد فعل مساوياً له وفي عكس الاتجاه

فإذا فكرت في جسم ما قوة من نوع (سالب) حينئذ وجب وجود قوة مماثلة ومساوية لها من نوع (موجب) فإن وجود الواحدة يعني وجود الأخرى أو الإثنين [illegible] الأمور التي تجري أمامنا، وبصرنا [illegible] كل جسم [illegible] كل [illegible] وكل [illegible]، وعددها [illegible] تحت مؤثرات تختلف باختلاف أنواعها ومصادرها [illegible] حتى الفكر والعلم [illegible] وكل شيء معنوي [illegible] مؤثرات [illegible] النوع [illegible]

متماسك ماسكاً منحنياً يستند في هذا القانون [illegible] هو الضمير الذي يبني عليه هذا البحث

فلو أراد شخص رفع ثقل من الأرض بحبل [illegible] حبل القطع بقوة لانقطع الحبل، لأن قوة كبيرة مساوية [illegible] القوة التي بذلها الرجل في الرفع قد وجهت في الجسم، وعكس اتجاه مساوية للأولى، وهكذا تتكون [illegible] كانت في المفعول [illegible] من [illegible] التي [illegible] تأثير على الحبل يتناسب مع هذه القوتين المتعاكستين فينقطع. ولكن لو رفع [illegible] لما انقطع، لأن القوتين اللتين [illegible] في [illegible] وطأتها على الحبل تدريجاً يستطيع [illegible] بعكس ما حدث في الحالة الأولى

هذا مثل من أمثلة عديدة لها أهمية كبيرة في علم الطبيعيات ولا أظن أن [illegible] هذا القانون في [illegible] العلوم إلا كشفاً من أسرار [illegible] أخواتها في الطبيعيات إن لم تفقها

قد أثبت علم النفس أن الشرير [illegible] في شره، وأن المرأة [illegible] مهما [illegible] في [illegible] متمكنان في [illegible] من الروح [illegible] والصفة [illegible] ما يمنع قطع الأمل من إصلاحهم. فكم من [illegible] أصبحت يوماً ما من أرق القلوب وأعطفها على الفقراء والمساكين [illegible] ما بقي من حياتها وقفاً على مواساة [illegible]. فيقتضي هذا القانون [illegible] وإن كان [illegible] — [illegible] أن [illegible] أو النسبة [illegible] من خلق الشرير لا بد وأن [illegible] مساو له [illegible]، ومكس من الناحية [illegible] أي من [illegible] [illegible] أن [illegible] على [illegible] الواحد [illegible] الطريقة التي [illegible] نوع من الكروبات [illegible] [illegible] الأصل [illegible] الشرير [illegible] [illegible] الحرب [illegible] من الكبار [illegible] على [illegible]

وما نلاحظه كثيراً [illegible] أنك إذ [illegible] من شجرة [illegible] في مكان آخر من الشجرة أي أن [illegible] في مكان ما [illegible] إلى مكان آخر [illegible] جذع الشجرة [illegible]

طلع جديد بين البذور ، حينئذ نلاحظ أن نقصاً أو سعة طارئ روت ترب المغمور هنا في أغلب الحالات ومن حسب تحول ناحية العضو المعور إلى عضو آخر تخرج من نشاطه مثلاً كل قوة بصره الموزع أو مسموع في كيفه. وهذه النظرية يمكن تطبيقها في جسم الإنسان أو في أي جسم حي

هذه الأمثال من حيث الظواهر الطبيعية التي عرضت حسب هذه القانون. نستنتج من ذلك أن كل جسم في الكون حياً كان أم جماداً يتكون من عنصرين: سالب وموجب. ففي الوقت الذي يسيطر فيه أحد العنصرين على الحالة القائمة في الجسم يختفي الثاني – ولكنه لا يزال موجوداً – فكأن نظام تشكل الفرد أو مجموعة من الأفراد التي هي من عنصر واحد قائم حتى في حالة التراكيب الكونية مهما تنوعت أصنافها. وهنا تتاح الفرصة للظروف أن تقرر سيادة أحد العنصرين واختفاء الآخر مؤقتاً – كما في الأخلاق – مع أن توازن الجسم لا يدوم إلا بوجودهما معاً وإن نشط الواحد وفتر الآخر

في الفصل الأول من مقالنا قلنا إن رجع الميل ضعف أو ضعف حسب الحالة التي قررناها ، فهناك قوتان تسيطران منذ كثيرين في أجمل وجدة ونركز فيه عند ما تم خلقه. وهاتان القوتان ساريتان في جانب الوجه مثل كون الميل لا يتحرك أو لا يتحرك في حالة سير وتوجهه تحت مؤثرات خارجية ، فتخلق القوتان كثيرين حتى تنمو وتحركت من غير ويحصل الواحد السيطرة على الأخرى. ومن هذه الميل سيطرت القوة التي كانت تقل الوطأة فتنعم ، وبالتالي سيطرت القوة الأساسية التي يطلبها الرائع فلم يتقطع. فالسالب والموجب إذن موجودان في أي كيان لا يربطه سوى إغلاب أحد الواحد على الأخرى والنصر بحتمه على شدة هذه الجانب أو الحركة

وهنا نظفر بحقيقة في علم الأخلاق على جانب من الخطورة عظيم ، إذ يمكننا تحت ضوئها أن نصنع أي خلق نريد في أي شخص إذا فهمنا روح هذه النظرية وسرنا في تطبيقها بخطوات منظمة متوازنة. فإذا فرضنا أن شخصاً مصاب بعادة الحياء أو الخوف أو الاستكانة ، فما علينا إلا أن نعمل على إيجاد الظروف والمناسبات التي تكثر فيها الحوادث التي يعوده في أثنائها عدول استحيائه أو خوفه مع الاستعانة في تنبيه فكره بواسطة غير مباشرة إلى ملاحظة ما يترتب على عمله ، ولكن هذه

الصعوبات متابعة ملاحظة. ولكن لنتخذ إنساناً غريب الشكل كالذي في أحلامه يجوب بمركز معرفة وأخرج عليه مطلقاً في أن سمة علته كمية تغشاً وتخرج حالاً نفره وتطرب موازين القوة والتصرف في حالة الأولى أي فرحه وجود الاستحياء والخوف ، فنشأ المرأة عن الأب والسماح يجعل الثاني

واستناداً إلى تفسير هذه القانون والنظرية الفلسفية التي استخلصت منه يتبع في مقدورنا التنبؤ بعد تطبيق وآراء علمية عجيبة منها ما ظهر وبرهن على وجوده في العلم الذي يعنى به ، ومنها ما يمكن التنبؤ به استناداً إلى هذه القانون ، إذا عرفنا في استنتاجاتنا الصواب المطلوب. ومن التطبيقات التي تجيء على ضوء هذا القانون – طبعاً بصورة غير مباشرة – نظرية تركيب الذرة atoms في الوقت الذي عرفت فيه بواسطة التفاعلات الكيميائية بين التراكيب من نوعي Polar Compounds و Nonpolar Compounds الكهربائية التي تسير في مدارات حول نواة الذرة atom وهذه ما تسمى بالـ Satellites منفصلة عن مجموعة من البروتونات protons لأن الكهارب electrons هي الشحنات السالبة والبروتونات هي الشحنات الموجبة وتوجد هذه الشحنات المختلفة بنسب متساوية تماماً في الذرة

وهنالك من الأحياء في الطبقات الدنيا مالا يزيد تركيبه على خلية واحدة تقوم في نفس الوقت بجميع عمليات الجسم الضرورية كالهضم والتنفس والإفرازات ، ومن هذه الحيوانات الـ amoeba والـ paramecium ، فلو تصورنا وجود هذه الحيوانات بحيث تكون الواحدة في أقصى طرف من عمود حشري يستدق في طرف ويتدرج في الغلظ وتصورنا هذه الحيوانات الدنيا كأنها تشكل بداية الطرف المستدق فلا بد لنا من وجود حيوانات تقابل هذه في الطرف الآخر من العمود ، وأنها ستكون بداية في الغلظ لوجدنا أنه يتحتم وجود حيوان متناه في قوته وجرمه كالذي في دقة تركيبه الجسمية ووظائف الأعضاء فتكون قوته وحجمه متطرفين بل متناهيين في الطرف الغليظ الذي تكون فيه الأميبا متناهية في الضعف والتلاشي ودقة الجسم. فلو رجعنا إلى الميكروسكوب نرى التناهي الأميبا ونرى جمعها من تراكيب دقيقة في النباتات ، لأمكننا أن نتصور بل نتأكد من وجود حيوان كبير جداً يسير نظرنا من الإحاطة بجرمه إلا إذا أحطنا

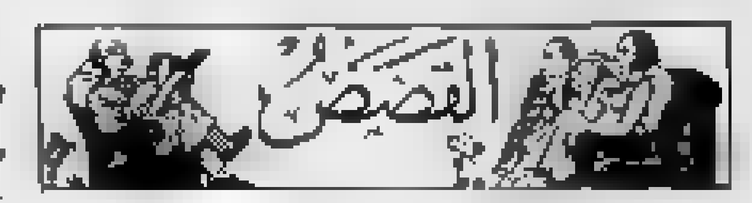


# الأب ...

لجي دي موباسان

بقلم الأستاذ مراد الكردي

---

سلتها لحظة سمعت لعيبه ... فقد كانت ذات جمال هادئ بارع ، يستطل إلى الحواس في دعة ولطف ... حتى إذا تمكن واستوى ، فعل فعله ، وطرب على صبحته حيناً وعبه وبداء ثم كان لزاماً عليهما أن يتراءيا كل صباح ، لأن عملهما كان يقتضيهما أن يستقلا عربتي كل يوم مع الذاهبين

لم يكن يعرفها ، وما كان رآها ، إنما كان يجدها في كل صباح جالساً تجاهه فتاة جميلة ، سرعان ما أحبها ، وسرعان ما ألقت أمرها في وهنه أشبه أصيلة وبهجة بهية ، صبيحة ، فشرع يحبها

كان يحس في وجهها ، وخدها أخذ يرعا بطريقة عجيبة ، وكانت إذ تحركت منه فتك يحس بها ، فلا يزال عينه صباه ، فيضطرب ، ويعمد الفم ويطير إليها ويخطف فؤاده بها ؟ وقتئذ يرداد هو شوقاً ورغبة

ولا يدري ... لا هو ولا هي ، هل كان واحد منهما يحرص أن يكون جبر ساعته في مقعد المركبة كل يوم ؟ أم هي مصادفة ساقها القدر وشاء أن يجتمعا هكذا أسبوعاً كاملاً ؟ ... كان لا معر منه من أن يجري بينهما بعد كلف صعب عسير في ابتسامة أعذب وأنضر ، سعى كي تمنحه شكراً لذاته إن آثرها وأجلسها في مكانه في يوم كان قد فرغ منه ملآن ركابها

وفي اليوم التالي سمعها بدأ به ، ثم سكتا ، ثم صادفها ثم كان له برغم ذلك شعلاً يملأ حالاً إذ عنه طول يومه وسواد ليله ، إلى أن لقاها ... وأنه يرغب مضرب وجهها على وسادة بتوق وحنين ، وأنه يفكر في نصف الساعة التي يسعد فيها بها ، حتى إذا جلسا قبالته ، وآن لها أن يحركا ، شعر بحرج هائل يداخل نفسه ، وما طلته تلك النسمة الحرام التي صحبت له من رفقتها حبيبة حراً واحداً من ثمانية وأربعين عرفاً ؟

---

لسانه بعينه حيث تمكن من رؤيته كله ... وعلماء الطبيعة ما يؤيدها مرجحاً وهو وجود حيوان يسمى بالبيستوس الذي زعم المؤرخون أنه كان ... هائل الجسم والبطش إلا أنه انقرض منذ العصور الجليدية ... وكذلك الحيوان الذي يقال بوجوده أيضاً ويسمى التراخودون من فصيلة الديصور ، ويقدرون قوته وسرعته بأنه يقطع مسافة ستة أميال بخطوة وحدة من خطاه وفي البحار ما يقارب هذه الحيوانات كالحيتان ، فهما ما يقابل ... تقريباً ... في الفكر الأحياء في العصر

ولا شك أن الحيوان الذي جسم هذه التماثيل قد وجد ووقع يوماً ما على ظهر الأرض وسوف يكشف عنه العلم والتاريخ يوماً ما

هذه حقائق يمكن أن تكتسب بالفكر والنظر السديد ، كما أنه من الممكن مع القانون الشهير ستفوت والقبة تجري ... يجري الحس في كل مصدر من مصادر العلم ... واعتقد اعتقاداً راسخاً أن هذا القانون هو الذي ... ضرب يبرهن عليها بجزئياته وحسابه وملاحظاته وتجاربه التي ، يكتب قانون ميوني الثالث البرهنة عليه صورة ساطعة

كما لا شك في أن ... ما عنده من تناقض واختلاف حسب ما نعتقد — سواء في مجرى الأحداث الطبيعية أو شتى شؤون الحياة المتنوعة أو طباع الناس وأخلاقهم ، لا يجد له سبيلاً منطقياً غير الرجوع إلى هذا القانون ... ولو عمدنا في بعض الأحيان في تجد تعليل إلا في للعصر الأول الفاعل المطلق جميع ما نرى من متناقضات ومتضادات في مجرى الطبيعة والحياة اليومية وسير التاريخ العام هو هذا القانون الخالد ما خلق صاحبه

(نابلس) إبراهيم زكي أباظة

ولما وثق مما يجيش بنفسه أن يكون رواها رحلة مع أصدقائه !
وسألها الشهب هذا الشخص لأنها قالت له في صباح يوم سبت من أيام الربيع ، وهما يتواعدان أن يلتقيا غداً في مطعم قاصر

— قبل أن نذهب أحب أن أقول لك كلمة ، وأنسنا منفردين وليمة نستطيع أن نتحول عنها كلمات -

وتتألق عيونه أحسه من اضطراب جسمها واهتزاز صوتها في مراعيه وهي تلقي إليه قولها ، ثم قالت في صوت خافت

أحب أن تعلم أنك ستلقاني بجوارك مع فتاة شريفة لا تحب أن تذهب مع رجل حتى يعلمه باعترافها -

وتوهج خداها وجرت أنفاسها وسكت اضطرابها ، فلم تملك أمر نفسها فسكتت ، وسكت هو لا يدري ماذا يقول فقد كان في حسابه أنه سيسمع منها كل ما يمكن أن يسمعه رجل يحب فتاة . وإذ لم يحضر جواباً تمتمت في تلوين

— بل لي أذهب معك حتى تسعد باعترافي

* * *

وسار بهما القطار الموعود سيراً حثيثاً على ضفة النهر بجناب أهبهم بالماء ... في حدائق الأصيل وبحر السحب الهادي وكانت ليه الصوء تنكسر على صفحة الماء الصافي ، والأمواج تتواثب وتتلاعب ثم تنسير في الماء . وأشعة الشمس تسيل فتصبغ الماء والشاطئ والأفق بلون ذهبي ، ... كان كل ذلك يزيد من جمال النهر ويكسبه روعة وجلالاً

وجاملا في روعة هذا الجمال الصافي مرحا يتسابقان ويتبادلان ... من تشيك في قراءة ثم تركه لها منه من ظهره ... ثم يجري منه مسحة ثم تؤيمنه تتمشى فتصبغ له الزهر الذي على حافة النهر ومسه له او تلقيه في الماء ... وظلا هكذا ... كطفلين يمرحان حتى عرست دموعها ، ثم سارا هادئين لحظة لأنه يريد أن تقول له

— ماذا تقلي في ، وقد جئت معك مسرورة !

— إني هنا أمس حتى ملوّب

— لا ... لست هيناً ولا مألوفاً ، ولكني مع ذلك لا أظن أنني

أكره مثل هذا الطفل ، ... أم ... وحشية كانت أول موقف منه ، ولم يكن يجب أن أتركها وأمر ... ولكني أرجو ألا تنسى في الغد

ولم يكن له جواب لهذا الخاطر الذي لم يجمعه سوى ... منها فقبلها ... أطراف جسدها وأصابع ... فسرت ... كتلي منصور وتلامست عينه ... ولم تظل ... مذكرة وعده لها أن يروا ... كالملاك ... من حين لا حين

وكان الموج تدرى وصفا ... وسرى عطري الروحة والفتور يحمل في طوايا منه شيئاً عربياً يدير الرأس حين يدور فيها منه ما يجب لي من بعد حقيقة لقاء يحو عجب ماء النهر يموت كف دون أشعة الشمس النارية ، كان يبدو من بعد كسراب مظلم أو ككهف مظلم ... ولما قربا أحست في تحدق منها بعين أرته مفتوحة ، وقالت في صوت خافت كأنه يأتي من أعمق أعماقي

ما أجمل ... ما أجمله !

ولما اقتحماه وسارا في بطن جبانه بين موحشين لا يلفه العين ، ولا يلفه الصوء ، إلا قبساً كاراً كنقوش الثوب ، ولأنت وأحسبه فيه ريح عطرة مثيرة ... فجلسا خالين ... ثم تقاربا في بطء وسكون ، ثم اعتنقا ، ... في الرعبة فلم تملك إلا أن تحس ... تشتبك ... يجلس يعتصرها بحنوه ، ويضمها إلى صدره نشوة ... وذاب وذبحها حسبه ... !

* * *

ولما أفاق لم يكن يريد أن ... ثم أحست تصيح وتصرخ ... ثم هدأت ... ثم لما رحت لم يرد أن يسمع لبكائها وهو يرجعها في أدبها ليخفف عنها ما بها من جزع وأسى ، بل جعلت تهتف في صوت خافت

... معك ... 

وساوره الخوف والفزع مما رأى من حيرة عينيها وهي ... وجعل يرتعد وهو يرجوها أن تبل لها ، ويهدئ الأمر على

قانون الزواج ولكنه تركه دون كلمة أو وداع .

* * *

ولما التقيا في اليوم التالي ألفاها ساهمة متجهمة على غير الأمس ، كأنما صحت من أعقاب مرض طويل أضناها وذهب برونقها . قالت له حين صافحها في همس :

— أريد أن أتحدث إليك قليلاً

ولما انفردا قالت له في ألم ووجد

— إنه ليحسن بنا أن نفترق ، وإنه من الخير ألا نلتقي بعد ذلك ، وبعد الذي كان لا أحب أن أراك لأني كنت صريحة وعنيدة ، فليس عندك ما يبرر أن أراه هذا المحزون وذلك العصب مرة أخرى !

فظل يتوسل إليها أن تنسى ، وهو يؤكد لها أنه سيصلح ما أفسده ، وأنه سيتزوجها إن شاءت ومتى شاءت ، ويكرر عبثاً ما حاول قبله ، وأبت أن تسمع له وتركته ومضت

ولم يعد يراها ، ومر أسبوع وأسبوع ، ولم يكن يعرف مأواها ، وبات [illegible] أو لم يجتمع في أمرها بأس ، لأنه [illegible] مرة يفتح القلب [illegible] وأفزع [illegible] أن [illegible] به ، [illegible] ، ورأى [illegible] عليها ، [illegible] في رفق وترو

ومضت ثلاثة شهور [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ... ثم [illegible] حين ذكرت له أن [illegible] في أحشائها [illegible] ، لأنه [illegible] لا يرى [illegible] — لا [illegible] ولا أخبرها إلى أين — ولا هي [illegible] أن تبحث عنه

[illegible] أن تقبل ، ولم تجد في [illegible] سوى أمها [illegible] في صدرها حزينة باكية تشكو لها [illegible] ، [illegible] والصمت والبكاء ..

* * *

وفي الجانب الآخر [illegible] الشكس [illegible] [illegible] ، لا [illegible] ولا [illegible] [illegible] ، لأن [illegible] أن يعيش — كان [illegible] في [illegible] لا [illegible] ، ولم يكن [illegible] إلا [illegible] كدأ ومللا [illegible] شبابه [illegible] في [illegible] [illegible] على [illegible] ولم يفنى

وكان [illegible] عليه أنه أحياناً [illegible] ، [illegible] أيام الأحد [illegible] قليلاً [illegible] ، وما هي إلا [illegible] حتى [illegible] الصغار ، [illegible] الأسر [illegible] بأطفالها التي تجري حوله ، ووجوه ضاحكة مستبشرة . وكان منه [illegible] في [illegible] وبعد [illegible] ، [illegible] إلى شعور [illegible] أن [illegible] ، فلا [illegible] نفسه إلا أن [illegible]

وفي [illegible] صباح وكان يسير [illegible] ، مع امرأة [illegible] بين طفلين [illegible] ، أما أحدهما فطفل [illegible] ، وأما الثاني [illegible] على العاشرة .

[illegible] حين رآها وساءه [illegible] شعور ما ، ولما لم يكن [illegible] ولم يستطع حراكاً ، [illegible] على نفسه ، ولم يعد إلا [illegible] ، [illegible] حين شعر [illegible] في صدره [illegible] أكبر الطفلين حتى ما [illegible] ملامحه

في تلك الليلة لم ينم ، فقد [illegible] أمل أشرق ثم [illegible] [illegible] طويل : أترى هل هذا ابنه ... وهل هي [illegible] ؟ وإذا كان فأنا أستطيع أن أصل ... ؟

[illegible] أن [illegible] في [illegible] لم [illegible] يستطيع أن [illegible] ، [illegible] أن [illegible] أمه تزوجت رجلاً من [illegible] ، وكان [illegible] ، [illegible] ابنه [illegible] منها .

وكان [illegible] ابنه في [illegible] حياته [illegible] ألماً جديداً من آلامه ، [illegible] الوحدة [illegible] ، [illegible] شديداً ، [illegible] اليأس والأسى ، وأصبح لا [illegible] إلا أن [illegible] ابنه إلى صدره [illegible] ، [illegible]

لوعة المرهفة التي شبت في نفسه منذ آلامه جميعها

وهمّ في دهشته أن يمر من طريقها، فتسرع نحوها فتنتزعها من كفيها؟ فلما التفتت إليه صرخت صرخة رعب مكتومة، وحنت على وليدها فطوقته وأسرعت تجري بها

ومن شهرين يلح عليه أن يراها أو يرى ولده. وحدثته نفسه أن يطرق بابها ويرى ولده من بعيد. فجعل يكتب لها، كتب لها نحو عشرين رسالة لم يظفر برد واحد منها، فأحس مرارة الخيبة تغور في أعماق الحرمان فتزعزعه وتعذبه عذابا أليما

ولما يئس من أن يراها فكر وقدّر، ثم فكر وقدر، فلمعت له في ظلمة يأسه خاطرة هي أن يكتب إلى زوجها. ولما جاء الرد أنه يسره أن يلقاه في مساء يوم معين لم يكن يأسف على شيء كما أسف لو كان أعده كما أعده من قبل. فلقد كان ذلك عليه — وهو يصعد الدرج — عسيرا مرهقا. وكان يسرع رجليه تسرعا ويدفعه دفعه — وهو يكاد — أن يرجع!

وكانت تهب الرجل الموعود ودعته هي وسعت للقيته الوجوه التي طالما [illegible] كان كل ذلك قد ملأ قلبه وطير [illegible] وحين تقدم له الرجل أبي [illegible] متماسكا مصحوب النفس، صامتا

قال الرجل في نفسه [illegible]

— إن زوجتي حدثتني عنك

فرد يجول في صوت [illegible] متقطع

— إني يا سيدي غير سعيد لأني لا أستطيع أن أرى ولدي

وهب الرجل [illegible] فدخل غلام في عمر العاشرة مسرعا إلى الرجل الذي يتحدث معه [illegible] على أنه أبوه. [illegible] وضع [illegible] إلى أبيه [illegible]

وصله أبوه [illegible] وقال له مشيرا

— اذهب وحيِّ هذا السيد الجالس هناك. وسعى الطفل نحو السيد الجالس هناك [illegible] حيى الطفل وأحس [illegible] وطفله مقبل عليه [illegible] شب في رأسه حين [illegible]

إلى عيني ابنه وهما تطالعانه وتنظران إليه

وهام الرجل (صاحب البيت) [illegible] الخائفة، حتى ولى الولد [illegible] وحين [illegible] فيهما، وحين أحس [illegible] في صدره [illegible] ودققه وكل وجهه، وحين [illegible] الطفل من [illegible] وأراد أن [illegible] وهو يدير رأسه إلى كل ناحية [illegible] لأن [illegible] عليه

ثم [illegible] لأن رقة قلبه [illegible] في كل جسمه، [illegible] يمسح [illegible] من جبينه، ويجيب [illegible]

— وداعا

وأسرع [illegible] الدرج [illegible] وحين احتواه الطريق [illegible] في الظلام كالليل

مراد الكيلاني

---

## فكرة الحرب ستزول من العالم

[ ملخصة عن « ورلد ريفيو » ]

منذ أربعين سنة كان الناس يظنون أن الحروب الدولية هي الطريق الطبيعي الذي يجد فيه النفس وتستعيد إليه البطولة في بعض الظروف. فإذا قتل إنسانًا — وكثيرًا ما يحدث هذا — كانت قتل شخصًا أجنبيًا عنه. أما الحروب الأهلية، فقد كانت من الأعمال الممقوتة؛ لأن القتل في هذه الحروب كان معناه قتل الإنسان لأخيه؛ فكانوا يعدونه مروقًا من حدود الطبيعة لا يصح أن يجري على وجه الإطلاق.

وقد كنت مخالفًا هذه الفكرة منذ بضعة سنين. ثم أعتقد في ذلك الحب الأخوي المزعوم، ولم أنخدع في يوم من الأيام بأن الإنجليزي أخو لحمًا من الفرنسي أو الألماني، أو الأمريكي. إن الإنسان حر في أن يحب هذا أو يكره ذاك. ولكني أعتقد أن الحرب الأهلية أقل خروجًا عن الحدود الأخلاقية من الحرب الدولية لسببين:

السبب الأول: هو أن النضال في هذه الحرب لا يقوم لأجل انتزاع الأرض، والاستيلاء على المدن، والتنافس على السيادة، وإنما يقوم على فكرة أو مبدأ.

والسبب الثاني: أن تلك الحرب، حرب شعبية، وثورة ضد الحكم السيئ، يترك فيها الرجل الشارع في حرية الناحية التي يريد أن ينحاز إليها.

ونظرًا إلى أن الحرب المنتظرة هي من نوع الحرب الأهلية فهي حرب مبادئ، هي ثورة يناضل فيها الأفراد إلى جانبها، أو هي نضال الناس في جانبهم لمكافحة نوع من الحكم الذي لا يطاق.

فليست هذه حربًا دولية، وليست حربًا بين حكومتين، ولكنها حرب بين نوعين من أنواع الحكومات؛ حرب بين الديمقراطية والدكتاتورية، أو بعبارة أخرى هي حرب بين الحرية والاستعباد.

لقد كتب كثير من الناس عن كلمة الحرية، وإذا أقرر هنا أن الحرية المطلقة أمر ليس في الإمكان، فإذا لم أقدر إلى حد ما أن أكتب ما أشاء، فهناك ما لا أستطيع أن أكتبه في ألمانيا أو إيطاليا أو روسيا، لا يصح أن يقال إن الصحافة هنا في أيدي أصحاب رؤوس الأموال، وهم لا ينشرون فيها إلا ما يتفق وأغراضهم. فالحر في أن أكون بين المؤيدين، والحرج صفحة خاصة في إنكلترا المستقلة، وأنا حر كذلك في أن أنشر آرائي في كتاب خاص إذا وجدت الناشر، والناشر حر في أن يقبل أو يرفض نشر هذا الكتاب. وأنا حر في أن أصبح شيوعيًا أو فاشيًا إذا لم تعدم من طريق سوى الوسائل المشروعة. فالإنسان لا يكون حرًا ومأمونًا على حريته إلا إذا كان حرًا في التعبير لنيل كل ما يريد.

فالحرية التي ننعم بها في البلاد الديمقراطية هي حرية الروح، هي حرية الفرد في أن يعمل ما تمليه عليه كرامته وظروفه الشخصية إذا لم يصطدم وحقوق غيره ممن لهم الحق كذلك في الاستمتاع بحرياتهم، وتلك تسمى بالحرية المكفولة. فالحرية المكفولة شيء لا وجود له. وكذلك فهي عارية عن الخطر لأنه يوجد فيه الحرية التامة في أن يعمل كل ما يريد. هذا نوع من الحرية التي تمنحه الحكومات الديمقراطية التي من واجبها أن تكافحه بكل ما أوتيت من قوة لأنه يتعارض وحرية الأمم المجاورة.

لقد عدنا إلى حياة الغابة اليوم، لأن هتلر يريد ذلك. أليس هذا نوعًا من الجنون؟ فإذا كان في العالم أمة تخضع لشخص واحد أوليس من الجنون أن يبقى شبحه مهددًا السلام.

إن فكرة الحرب ستقضي عليها إذا اتحدت كلمة الشعب جميعًا لكف الأيدي على القبض، وكان صوت الديمقراطية هو الصوت المسموع الذي لا يرتفع للطلاب من شر الحروب.

إن طريق السلام يسير ولا عائق، ولكنه واسع المنهج بادي للعالم، يراه كل بصير.

## حرية الصحافة في أزمنة الحرب

[ ملخصة عن « سبكتاتور » لندن ]

لم يجر على البرلمان ولا على الصحافة وقت أصبحت فيه المهمة الموكولة إليهما في حاجة إلى عناية ويقظة كالوقت الذي نعيش فيه. ومما لا شك فيه أن الديمقراطية لا تقدم على الحرب إلا إذا أعدمت كل ما لديها من الوسائل لاجتنابها. إن الحرب وعلى الأخص الحرب العصرية — لا تخلو من خسارة موجهة تقع على الديمقراطية نفسها. فالحكومة في هذه الظروف على ثقة من أن حالة الحرب ستجعل كل ما تطلبه من التعهد الدكتاتوري، ومن ثم تحسن من تأثير هذا التعهد. فالحرية الشخصية يجب أن تعد إذا ما

إلى الشيخة ، وإعداد الهمة لحماية الوطن من الأعداء . وسائر قوى الشعب يجب أن تكون وحدة لنظام معين ، تسير عليه بغيرة إذا اقتضى الحال.

هذه حقيقة لا جدال فيها . ويمكن من معنى ذلك أن شئون الحرب أو الشئون فيما يعتمد على الديمقراطية ، ويقصر وجودها بحيث يصبح الشعب البريطاني كالشعب الألماني خاضعاً خضوعاً تاماً للدكتاتورية العمياء ؟ كلا ثم كلا ، بلا شك . إن هذه الأمة لا ترجو يوماً من الأيام أن تعمل على رفع مستواها الحربي متوجهة التوجه إلى تلك الضروب التي كانت مصدر قوتها وظفرها أيام السلم إلى المنهج الاستكتلري لتصبح كالعصبة الألمانية . فالإنجليز سواء في الحرب أو السلم لا يكرهون الاستعباد ، ويريدون أن يقدروا على القيام بوسائل الآلة الحكومية التي يديرونها لكي يكون ولكن لا نستطيع أن يستمر الشعب البريطاني إذا حاول أن يقاوم في هذه الظروف من الناحية . فالاعتزاز بعمومه روح

التعاون الرسمي جسم يعنون وبكل لا يحتملون [illegible] أن حرى في هذه الحرب فلن يكون ذلك بعد كما [illegible] الأمر ولكن المحافظة على روحها الخاصة وتمسكها بالحرية [illegible] روح الحرية ووجهها ضد قوى الاستعباد.

إن الحرب تحاربه حتى وحده بمقاييس الديمقراطية وهي في أشد أحوالها . فالحالة تقضي بأن يعطي أبناء الأمة شيئاً من القوة ، ولكن دون أن يفقدوا سياسة نفسهم . وحال هذه المملكة غالب لحكومة إلى وجهتين : الأولى هي الاحتفاظ بالحياة النيابية كاملة ، وإعطاء الأمة حرية الناقد في نقد كل شيء ، والثانية حرية الصحافة ، ولم تنس البرلمان ولا الصحافة استعمال هذه الحرية ، بل إنه على الأمر في نفس ذلك هذه تأثير كل شيء . وعلى الأخص تحتفظ العموم بحرية الصحفيين في توجيه الرأي ، والعمل على نحو كل احتلال وتحول كل صحيفة في سبيل المصلحة العامة

# الرســـالة في سنتهـــا الثـــامنة

بدأت الرسالة عامها الثامن وهي أقوى ما تكون اعتماداً على فضل الله وعطف أنصارها في تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من استحكام أزمة الورق وغلاء الطبع في العالم كله ستستمر الرسالة على تخفيض سعر كل ومنح هداياها وأصدر مقدمها المقرر — في مدة هذه السنة سيكون الاشتراك في الرسالة سعراً كما يأتي

٦ ستون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر يناير ويكون للمشترك الحق في هدية تساوي خمسة عشر قرشاً من الكتب القيمة

• خمسون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان للمعلمين الأزهريين وطلاب المعاهد والمدارس تدفع في أثناء المدة المذكورة ويكون للمشترك الحق كذلك في هدية تساوي خمسة عشر قرشاً من كتب الهدايا ، ويجوز لهم دفع الاشتراك على أقساط متتابعة والاشتراك في البلاد العربية كالاشتراك في مصر من حيث القيمة والمدة والهدية ، وإنما يدفع المشترك فرق البريد وهو أربعون قرشاً في العراق ، وعشرون قرشاً في سائر البلاد العربية

# الـــــرواية

أن الرواية قد أوقفناها مؤقتاً في الرسالة حتى يسهل ورود الورق فتصدر مترجمة بشكل [illegible] ونظام أجمل وستهدي الرسالة [illegible] الأمور المفيدة . الأقصوصة فيكون في كل عدد منها أقصوصة أو أقصوصتان من أروع ما وضع أو ينقل

—— مع اشتراك في الرسالة الرواية يطلب لك ولأسرته معارف ومكتبة ——

### اتحاد دول البلقان المنتظر

إن تصفحنا العدد ٣٣٦ من الرسالة التي صدرت بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ بمقال عنوانه ( سياسة السلام ) نقل فيه إلى الدويلات الصغيرة تسير على بعد انتصار الديمقراطية إلا أن تنتظم « في يوم [illegible] ولى عهد فيه حسب ما ساع به الطبيعة حسب الجنس والعمل وهو التجمع والتكتل والتعاون ، فيكون بين البلدان المتجاورة كدول البلطيق وأمم البلقان وشعوب الإسلام شبه ما بين الدول المتحدة في أمريكا من اتحاد السياسة الخارجية والدفاع العام والدستور المشترك والرئيس الحاكم ، وبذلك لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعبادها النزاع ، ويقع من جرائها ميزان السلام » ثم ضربنا مثلاً اتحاد بلاد الوطن الإسلامي الأربعة عشر ، وقلت بعد أن ذكرها قبلنا الذي قام عليه صديق ( مرساي ) « سيكون العلماء الديمقراطيون متى جلسوا إلى مائدة الصلح غداً حتماً من ( عصبة الأمم ) ويقررون إنا وقسم الله أن يحشر الشعوب الصغيرة [illegible] على قواعد من التركيب لا من التحليل ، فيؤلفوا من الأمم الصغيرة المتجاورة في الوطن والجنس واللغة اتحادات مستقلة متحدة في الرياسة والحكومة والدستور ، ومشتركة في الدفاع والسياسة والعمل ، ثم يربطوا بين الدول العظمى والاتحادات الكبرى بروابط وثيقة من الاقتصاد العادل الذي يضمن لكل أمة سعادة عيشها من خير الله ورحمة الأرض »

ذلك ملخص ما قلته في ذلك المقال . ومن توارد الخواطر أننا رأينا في عدد الهلال الذي صدر في أول يناير من سنة ١٩٤٠ صفحة ٢٥٧ أن الكاتب الصحفي الأمريكي ( كلارنس سترايت ) أصدر كتاباً سماه ( الاتحاد الآن ) دعا فيه إلى إنشاء ولايات متحدة على نسق الولايات المتحدة الأمريكية . وهو يقترح أن تتحد الدول الديمقراطية الخمس عشرة معاً بحيث يتألف من مجموع شعوبها شعب واحد له حكومة واحدة وبرلمان واحد وقوة حربية واحدة » ثم ذكر الديمقراطيات الخمس عشرة كما ذكرنا شعوب الإسلام الأربعة عشر ، ثم قال : « وتحتفظ هذه الدول بمراكزها ورؤساء دولها كما هي [illegible] وكتبها الخارجية والحربية والبحرية لها ، وستظل كل منها بإدارة شئونها الداخلية . أما جيوشها وأساطيلها وسياستها الخارجية فتوحد معاً في صفة موحدة واحدة تكون لها ممثلة في حيث أو أشارا » إلى أن قال : « ولقد تبدو هذه الفكرة خيالاً بعيد المنال ، ولكن هكذا كان الأمر حين تأسست الولايات المتحدة الأمريكية في شعب واحد وتحت حكومة واحدة . كانت هذه الولايات متنافرة متناحرة ولكن حرب الاستقلال ألفتها ووحدتها . فلم لا تؤلف الحرب القائمة هذه الديمقراطيات التي يهددها الطغاة ويحاولون أن يفترسوها واحدة بعد أخرى ؟ »

### الشيخ عبد العزيز البشري والعربية

لا تحسبنَّ تلك الصبوة بابها ... حيث أنسنا لا أملك أنسي
اختلاف النهار والليل ينسي ... اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

أنشدنيه بعض حبيب وبعث شوقي لما رأى هذه الحالة في الثقافة التي في آخر أيامه « لا أدري لماذا تركك المسكين يعرفني ، لا أثر للتشي ، ولا للسكانه فيه ! » ورد في مقالة لأخينا الصالح الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري عنوانها « في الإملاء » وقال : لقد أنسى الشيطان نسية الشيخ الأستاذ بيتي الألفية

ورائنا صلاة في وصف مر ... من أن يرى به تأنيث حتم
ووصف أصل ووزن أصلا ... ممنوع تأنيث بها كأشهلا

وقال صاحب ( حروف القر )

وكل وصف أتى لأنثى لازم ... كحرب كريهة وما كأرحل

إن الشعراء ليسرون ، وإن الأئمة ليحشرون ، وإنما العصمة لله ورسوله محمد وحده

« شطا »

أزهري

### حساب القطاعين وحساب المثلثين

إن إحياء ذكرى ابن الهيثم من أجل الأعمال التي قامت بها الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية بالقاهرة . ولقد قابله العرب في مختلف الأقطار بالشكر والرضى والتقدير ، إذ يرون فيه خطوة نحو بعث الثقافة العربية ومحاولة موفقة لإحياء علماء العرب ونوابغهم الذين خدموا الإنسانية وكان لهم فضل كبير على تقدم الحضارة

وقد سبق أن نشرنا مقالات عن ابن سعيد في المقتطف والعرفان (أيام صدورها) والرسالة، وأتينا على بعض مآثره في كتاب « تراث ... من الخلفاء الإسلامية » وأذعنا عنه حديثين في لاسلكي فلسطين وعنوانه « ولا ... » إلى عشيد علماء العرب الذين أضافوا إلى كنوز المعرفة إضافات أدت إلى تقدم العلوم وانفساح أمام ... كادت تؤدي إلى ... الإهمال وإلى ... عيون النصوص المحيطة بآثارهم ومآثرهم

لقد كان سرورنا عظيماً حينما قرأنا في الصحف نبأ الاجتماع الرائع الذي عقد في قاعة جامعة فؤاد الأول الكبرى إحياء لذكرى ابن الهيثم، وقد شهد هذا الحفل أمير عظيم من أمراء البيت المالك الكريم وجمهور كبير من أساتذة الجامعة وصفوة منتقاة من رجال مصر، وتكلم فيه عدد من أساطين العلم وأمراء البيان

وظهر في الرسالة عدد ٣٣٨ الكلمة التي ألقاها الأستاذ الدكتور محمد محمود غالي في الحفل المذكور عن (الهندسة وابن الهيثم قديماً وحديثاً) فأقبلت على قراءتها برغبة وشغف، وقد لفت نظري اسم كتاب ورد في الكلمة هو كتاب (حساب المعاملين) من بين أسماء مصنفات ابن الهيثم التي تمت إلى الهندسة مع أن للمصادر (أخبار العلماء وطبقات الأطباء وغيرها) لا تشير إلى كتاب بهذا الاسم، بل تشير إلى كتاب آخر موضوعه حسابي ليس فيها شيء من الهندسة، والكتاب الذي تشير إليه هو (حساب الخطأين) الذي يبحث في إيضاح طريقة حساب الخطأين — وهي إحدى الطرق الأربع التي كان يستعملها العرب لاستخراج المجهولات. أما الطرق الأربع فهي: طريقة الأربعة المتناسبة، وطريقة حساب الخطأين، وطريقة التحليل والتعاكس، وطريقة الجبر والمقابلة

هذه ملاحظة بسيطة أرى أن الدكتور النبيه، وهو من أعلام البحث والتحقيق، ما يشجعني على إبدائها ولفت نظره إليها

(نابلس) قدري حافظ طوقان

## تكريم الأساتذة المصريين في كلية الحقوق العراقية

طلاب كلية الحقوق العراقية مشهورون بولائهم لأساتذتهم فهم لا يألون جهداً في إكرامهم وإعظامهم. وقد أقاموا أمس حفلة شائقة في قصر الناظرين تكريماً للأساتذة المصريين الذين سيرحلون في هذا العام، وكان يتقدم المدعوين أصحاب المعالي وزراء الحكومة العراقية، وأعيان ... وأعضاء ... وقناصل الدول العربية وكبار الموظفين. وكانت الحفلة رائعة بكل ... خطب فيها خطباء كثيرون، وكل ... في مصر ... شاعراً ... الناس ... أكثر ... وبعد أن ... العراقيون ... الدكتور عثمان ... الأساتذة المصريين ... الأثر في النفوس ... وكان الختام خطاب ... الأستاذ الكبير ... ودامت الحفلة ساعتين ... على ... وأساتذتها ... 

## بين الناشرين وأصحاب المطابع

... أحد الناشرين كتاباً من الدكتور طه حسين ... في العام الماضي ... ثم ... وقد اشترى صاحب مكتبة ... من ... النصوص كانت باقية لدى ... الأستاذ ... ثم ... أن ... كتب عليه من الصفات والألقاب ما ... الأستاذ ... فيه ... لا ... ونرجو ... أن ... 

## كلمة « ريد »

... الأستاذ ... كلمة « ريد » ... سألت (الأهرام) ... وقد ... من ... كتب الأستاذ ... هذه الكلمة ... على هذه الصورة ... الناس ... (... في كلمة « ريد ») ... من ... من أصلها ... هذه الكلمة الصحيحة

## حول مقال

سيدي الأستاذ الكبير زكي مبارك

أحييك تحية مصدرها الإعجاب بأدبك العالي وحسن ... وغيرتك على اللغة العربية وأهلها. وبعد، فقد وقع في يدي ... عدد ... « العرب والإسلام » ... فيه مقالة عنوانها « ... الإسلام » ... الأستاذ ... الشريف، وفيه ... اللغة العربية ... أنه ... العصر الحاضر ... في القراءة والكتابة ... للاستقلال ... أيضاً ... إلى العمل

في المدارس الابتدائية يستطيع بعد بضعة شهور أن يقرأ معظم المكتوب بالإنجليزية قراءة تكاد تكون صحيحة، بينما هو لا يستطيع أن يقرأ سطراً عربياً من دون أن يخطئ في قراءة كل كلمة. بل إننا نحن الكبار، وبعد دروسنا العربية الطويلة، لا نأمن من الخطأ في دوارج الشعر. وقد أوردنا بيتين من الشعر دليلاً على ذلك. كما أنه قد مر من عهد لإنشاء مصنع كامل للمادة التي تنص على أن «الإسلام دين الدولة»

فأرجو من سيدي الأستاذ أن يطلع على هذا الاقتراح ويبين رأيه فيه، ويعرضه على صفحات مجلة «الرسالة» الغراء

سليم الجبوري

### اختلاف الأزياء المصرية

إلى حضرات أساتذة العلم ورجال البحث والتاريخ أتقدم إلى ساحة علمهم بالسؤال الآتي: ما مصدر اختلاف زي المصريين؟؟

إن الناظر إلى الزي المصري يرى أن له أشكالاً عدة وألواناً مختلفة سواء في ذلك ما كان خاصاً منه بالنساء أو الرجال حضريهم وريفيهم حتى يختلف زي وجه عن آخر. فترى أن ما تحلى به زوج السويسي أو البلطاوي غير زوج الطاوي أو الشرقاوي وما يحتل عنه في أنواع البرد واللافتات حتى في الأحذية

ولقد شغلت ببحث هذا الاختلاف عدة سنين فلم أوفق توفيقاً يرجع إليه الضمير. فإني إذا رجعت إلى العصور القديمة وتابعت في تطلعها حتى العصر الحديث كأسلوب العلامة حتى بك المحسب رحمه الله بمعرفة أسباب اختلاف الأزياء وصنوف الحاجات المصرية، غم علي الأمر وأشكل! فإني إذا ما أخذت مثلاً نسيج الهيئة الكبيرة السوداء في بعض مديريات الجنوب بأنها لا تتفق وحر الشمس فلا أجد علة لبس الزعبوط الأسود فوق كل جسم وسمر من الجنوب، الأمر الذي لا يتفق مع الطقس أو الطبيعة مثلاً. فهل ذلك يرجع إلى عادات مصرية قديمة أو أن الحال لا يعدو تعدد الإقطاعيات وقد وجدت مصر في ذلك؟ أو أنه راجع إلى خلاف شاسع بين صنوف سكان مصر. وإذا كان ذلك كذلك فأين هو وأين وجه ذلك كله؟

وإذا كان حوادث غيرها فمن يرجع ذلك إلى عوامل طبيعية أو نحو الحالة النفسية أو الخلقية والفكرية دخل فيها؟ وإذا كان ذلك فماذا يقال عما لا يتفق منها مع هذه العوامل؟ هل يتفضل حضراتهم ببحث واف شاف في هذا الموضوع

محمد عبد الرؤوف حبيب

### تصويب

ذكر حين مكاتبنا من كتاب تاريخ الطب في مصر ١٩٣٥ أنه من تأليف الدكتور هاشم الأتوري، وصحته الدكتور ... وصحة الاسم الأول هاشم الوردي لا الأتوري

### اختلاف الفقهاء رحمة

قرأت في عدد «الرسالة» المؤرخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٩ مقالة الأستاذ الطنطاوي (أين هو المسلم؟) والأستاذ حيث كان موضوعه هاماً لا بد أن يكون له فقه الشرع ورجاله البالغ حدة مشقة تستدعي الالتفات إليه والاهتمام به، وهو في نظري من أوليات الذين يغارون على مفاهيم الإسلام ويعملون على تجديده، ويقدم في ذلك اطلاع على تاريخ الإسلام وتسويغهم بعيداً لدعواهم، ولذلك لا يجني لنا أن نمر بما يكتبه في هذا الصدد من الكلام. ومهما انتظر أحب أن تتفضل علي «الرسالة» بشطر من صفحاتها الثمينة لأشترك الأستاذ في هذا البحث وفي مسألة هامة من مسائله التي أثارها في مقاله، وهي مما لا يسوغ غض جمهور القراء بها على هذا الحد، لا سيما أن الأستاذ لم يتناولها بما عرفناه عنه من النظر الثاقب والفكر الجديد، بل اتبع فيها القول الشائع. وأما ما يهمني الآن لإعطاء هذه المسألة حقها من البحث، وإنه أريد أن أصحح هذا القول الشائع حتى لا يجري بعد اليوم من أقلامنا ومفكرينا من يثق به ويأخذه. قال الأستاذ: «إنه لا يضر الناس اختلافهم في الفروع (وكلهم من رسول الله ملتمس) سواء في ذلك الحنفي منهم والشافعي والمالكي والحنبلي، بل إن اختلافهم رحمة من الله وتوسيع على الأمة؛ ولكن يضر الناس اختلافهم في أصول الدين من العقائد ونحوها، ويكون الواحد منهم مصيباً والباقون على ضلال؛ لأن الحق لا يتعدد، والمصيب هو من اتبع ما كان عليه النبي (ص) وأصحابه والقرن الأول خير القرون»

فالذي يبدو من هذا الكلام أن الأستاذ يجاري من تأخر من الفقهاء من جعلهم اختلاف الأئمة رحمة للأمة وتوسيعاً على الناس في عباداتهم ومعاملاتهم ليتخيروا من أقوالهم ما يوافق أهواءهم، كما أنه يرى أن اختلاف أنظار المجتهدين في الأصول ممنوع لأنه يستدعي اختلاف الحق وتعدده. وهذا التعليل نفسه يرد على اختلافهم في الفروع أيضاً. والحق الذي لا ريب فيه أن الاختلاف لم يكن له مورد إلا في الأمور الظنية، والتي كل

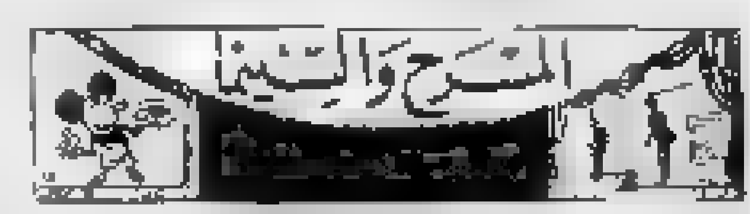


## التمصير الروائي

الاقتباس من المسرحيات الأجنبية عمل قام به كثير من المصريين، ولكننا نلاحظ دائماً أنه يكون دون تصوير جو المسرح الذي يرحل إليه. ونحن نسأل لماذا لا تخرج الفرقة ما تريد من المسرح الفرنسي كما هو؟ ولا معنى من قيام الأستاذين سليمان نجيب وعبد الوارث عسر بهذه الطريقة؟ فلا الروايات تمس مرتجية المواقف والمناظر وغيرها، ولا هي يمكن أن تلبس قناعاً مصرياً كاملاً عن ملامحها الحقيقية، وعلى هذا الفرقة في إنتاج بأن تكف عنا من إخراج الروايات المقتبسة، فضلاً عن الروايات الأجنبية الخاصة التي يصنعها كتاب مشهورون. وما دام الأدب المسرحي في بلاد الغرب وافر التحضر، فماذا لا تعهد الفرقة إلى بعض المجيدين بترجمة أحدث المسرحيات الصحيحة لكبار المؤلفين كبرناردشو وسردو؟

## القاتل

الأستاذ يوسف وهبي [illegible] عدة وأنسهم [illegible] ولا يتحدث عن [illegible] وهو [illegible] — مع الصدق — الفنان الأعظم [illegible] العظيم [illegible] من حيث أن كثيراً جمع المسرحيات نفسه، ويقوم بالإخراج ويرتب المناظر ويوزع الضوء، وغير ذلك مما يمكن الفرد الواحد أن يقوم به من أعمال المسرح.

وهو يميل إلى الروح المصرية البحت ويصور النقائص والعادات والمعتقدات الشعبية بقدر ما يوافيه التوفيق. وهو أحياناً يسخر بطبعه الأشياء، ويرمي إلى أحداث غايتها تكوين العبرة والموعظة الحسنة. وهو أحياناً يستحضر من قلمه أفكاراً غامضة تختلف [illegible] المعنى. فيجب علينا كل من يأتيه الأفكار فيكون الفصل والحد من إرضاء الجماهير.

ومسرحيته الجديدة «القاتل» هي من طراز مسرحياته الأخرى، مصرية صحيحة في كل كبيرة وصغيرة. وليس هنا مجال عرضها أو نقدها في تفصيل. وهذا لا يحول دون التنبيه إلى وصف أنها عمل من جديد

---

الجزئية التي يقع فيها خلاف الفروع ويختلف النظر إليها باختلاف الأحوال والأزمان. وهذه الأصول متفق مع ذلك [illegible] لم تصل كذلك إلا بعد أن أجمع عليها النظار وتناولتها الأجيال بالتسليم والقبول لأنها ليست مظنة اختلاف ولا موضع تأويل كخلاف الفروع. وقد بحث هذه المسألة الإمام الشاطبي في كتابه «الاعتصام» ج ١ ص ٧١ فأثبت أن الشريعة لا خلاف فيها بحسبها أصولاً وفروعاً، وأن منشأ الاختلاف في الفروع الأمور الظنية التي يقع بسببها خلاف القول بالنسبة لأنظار المجتهدين لا بالنسبة للشريعة التي نفى الله عنها في كثير من آيات القرآن الاختلاف والتضارب. وقد تعرض بعد ذلك لحديث «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فذكر أنه مطعون في سنده، وهو لا يجاري الأدلة الشرعية من حيث [illegible] في أحكام الشريعة. ثم استطرد إلى موقف المكلفين من الاختلاف وقال إن المجتهد لا يسوغ له العمل بأحد القولين من غير ترجيح، كما لا يسوغ للمقلد العمل بقول المجتهد إلا بعد الاطمئنان والتبصر في حال المجتهد [illegible] وإلا فلا يحق له اتباع أحد القولين كما يستدعيه هواه [illegible] ووجه أن يستفتي قلبه، كما قال الرسول (ص).

ونحن نرى أن من يدعو لاختلاف في الفروع كما روي عن عمر ابن عبد العزيز يقول في اختلاف الصحابة «ما يسرني أن لي باختلافهم حمر النعم» فإنما يريد عدم التحجير على الأنظار بما ليس فيه نص. وهذا في المعنى الذي تفرع من أبواب الاجتهاد، لا ما يجعل للمكلف في خير من العمل بالأقوال المختلفة دون تبصر والاطمئنان. ثم قال في فصل [illegible] «وقد أدى إغفال هذا الأصل إلى أن صار كثير من مقلدي الفقهاء يفتي قريبه أو صديقه بما لا يفتي به غيره من الأقوال اتباعاً لغرضه وشهوته أو غرض ذلك القريب وذلك الصديق. ولقد وجد هذا في الأزمنة السالفة فضلاً عن زماننا هذا كما وجد فيه تتبع رخص المذاهب اتباعاً للغرض والشهوة». أقول وفي زماننا هذا أصبحت هذه النقيصة مصدر الحيلة لتحيير الشيوخ في إيجاد المستفتي حل مشكلته أو فتاوى حرمة في الدين، وعلى قدر ما يدفع السائل من المال تتسع أمامه سبيل كثرة الأقوال. فماذا يكون أمثال هؤلاء في قول الله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)

(نابلس) [illegible]

**وزائير !**

علمنا أن قصة جعفر البرمكي ، تدبيج صديقنا « وأي » هيكل قصة سينمائية تخرجها شركة أفلام الشرق وتطلب دور البطولة فيها الآنسة أم كلثوم وهي تصور عصر الرشيد ونكبة البرامكة، وسيعرض الكثير من شخصيات هذا العصر في ملابسهم الخاصة هارون الرشيد نفسه ، والشاعر الأشهر أبو نواس . وسوف يبدأ العمل في استديو مصر في منتصف فبراير القادم

**لجان لمحطة الإذاعة**

في محطة الإذاعة لجان كثيرة جديرة بالحديث . فلجنة البرامج العليا رأسها الدكتور علي إبراهيم وتحضر في عضويتها حسني بك ... وطه حسين بك عضوين للحكومة ، وكلا من المستر « ... » والمستر « ... » عضوين لشركة ماركوني الإنكليزية ، ويحضر اجتماعاتها الأستاذ ... تنظر في الطلبات والاقتراحات التي توضع للأعضاء الجنسيين ... ما يعرضون له من المسائل

وهذه اللجنة استشارية تقريباً ، ولا تعرض لتفاصيل البرامج إلا في النادر ، وعملها قليل جداً ، ولا نرى السر في وجودها وماتجنيه على هذا النحو المختلط

وهنالك لجنة الأغاني ، وقد قرر تغيرها في الأسبوع الماضي ولكنه لم تنص ، وهي مؤلفة من رؤساء أقسام الأغاني والمسرحيات والموسيقى الشرقية والأسطوانات ومساعد المدير الفني الشرقي وهو الأستاذ عبد الرحمن ...

وقد ... الأستاذ ... بك في تأليف هذه اللجنة على هذا النحو الذي يقضي بين الشيوخ أن يحكموا على ٣ إلى ... شعراء البلاد وملوك الأغاني فيها ، فكل ما يرجى أن يعطى لكل المؤلفين أساساً من العمل والمشروعية ؛ لأنهم شبان يجب أن يتاح لهم حظاً كافياً من الراحة حتى يتصدروا إلى المستقبل !

والمعروف أن الشعراء الذين ... هذه اللجنة في ٣ إلى ... ليس لهم ... من أن موظفي المحطة شبان ... التشجيع

هذه اللجنة معروض في وجودها أن تجتمع كل أسبوع لتقارب يتقدم إليها من الأغاني ، ولكنها لا تجتمع مثلاً إلا كل بضعة أسابيع . وقد ... من هذه ... تنزل فيه كل عضو ... حتى إنه ... جميع الناس يكتبه ، وتقبل هذه اللجنة أغاني « كالسخرية » ! وقد يبلغ « المرفوض » من الأغاني إلى ما يعادل الأغاني المقبولة . وقد يمضي على بعض القطع بضعة شهور وأصحابها لا يعرفون عن قبولها أو رفضها شيئاً !

ولكنة الأغاني أو الصيغ في لجنة البرامج التي تجتمع يوم الأربعاء من كل أسبوع ، وأعضاؤها هم رؤساء الأقسام ، ويشهد اجتماعها مدير الإدارة الإنجليزي ، ويقتصر الأمر على تطبيق الإذاعات التي وافقت عليها المحطة ، حتى لا يصطدم موعد البرامج أو يرد أسبوعها من الإذاعات التالية المرسومة في مراتبه كل أسبوع

وليس في هذه اللجنة ومن قد يأخذه المصريون على البرامج فصلها الأمر على الترتيب كما قدمنا . وليس لها دخل في قبول الإذاعات أو رفضها بعد أن سلطة القبول والرفض في يد الأستاذ ... بك مما يختص بجميع البرامج العربية سوى الموسيقى ؛ والأخيرة من اختصاص الأستاذ مصطفى بك رضا وهو رجل مشهور بطيبة قلب لا نظير له

هذه هي لجان الإذاعة وأعمالها وأعضاؤها ، فلمن الشكوى

( أبو الفتح الإسكندري )

## إلى حضرات المشتركين

ترجو إدارة الرسالة حضرات الذين لا يدفعون اشتراكهم قبل منتصف شهر ... أنها ستضطر الحجة عنهم ابتداء من العدد القادم

العـــدد ٣٤١ «القاهرة في يوم الاثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

الفهـــــرس



# من مذكراتي اليومية

من عادتي كلما ثقلت على الحاضر وضاقت به حياتي أن أعود إلى ماضيَّ فأنشر عهوده وأُحضر ذكرياته. وسبيلي إلى ذلك استغراق الفكر فيما مضى من حوادث، أو العيش مع أحوال الشخصين فيما كتبت وكتبوا من رسائل، أو الرجوع إلى ما دوّنته في مذكراتي اليومية من خواطر. وكان لنهار من دون الشرود ورطة شديدة الخطب وأثر واقع في الذاكرة موضع في نفسي وأنا أهم بالكتابة بي أوجه إلى أسبوعه الثاني، أن أتصفح مذكراتي لأقرأ ما كتبته فيه منذ من السنين، فتناولت عرضاً من أعراضها المتروكة وفتحته على موضع من الشهر منه فإذا بي أقرأ في يومه الرابع عشر ما ننقله إليك بحرفه:

يوم الجمعة ١٤ يناير سنة ١٩٣٨

في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٣٣ وُلد لي ولدان: طفل وكتاب. أو كرجاء، فأذكر لأني في ذلك اليوم للغروب غبت في مستودع المصحّ من دور المصنفين بالكرخ إلى داري بالرصافة، ملازماً حبساً أمام النافذة الموصدة أكتب الفصل الأخير من كتاب (العراق كما رأيته). ثم جاءني البشير من مصر بعد ذلك بأن (رجاء) ولد في هذا اليوم نفسه. وكان طفلي وكتابي أعز شيء عليَّ؛ لأن الأول كان ثمرة أربعين سنة من غير عمري، وإن هذا كان ثمرة ثلاث سنين من غير عمل

أجل، قضيت ثلاث سنين في تأليف (العراق كما رأيته)! جمعت مادته من الآثار والأسفار والأساطير والكتب والمناظر والأحاديث في سنتين، ثم حررته وأنشأته بمصر في سنة؛ ثم لم أكتب منه في القاهرة إلا رحلتي إلى كردستان والموصل و[illegible] هذه [illegible]، وإلا عودتي إلى سورية من طريق دير الزور وحلب. ثم وضعت [illegible] إلى [illegible] القطيع وربصت به مواتاة الفرصة. ولكن الفرصة أثاقلت حتى وفد إلى مصر صديق من رجالات العراق له بصر وخطر، فرغب أن يقرأ فيه ما كتبت عن بعض الناس وما علقت على بعض الحوادث، فحملته إليه في «الكونتننتال» فحبس نفسه عليه نصف نهار لم يبرح فيه الفندق، ثم رده إلي في المساء وهو يقول في [illegible] الرزين ومنطقه النقد: «أشهد أن كتابك أول ما كتب عن العراق في صراحة ودقة وإخلاص وصدق. ولقد طربت مما كتبته في، ولكني بعد أن قرأت ما كتبته في غيري أكاد أمزجه بالاستفتاح والملح. وهل من الخير لك أن تؤخر نشر القسم السياسي منه إلى حين. أما صفاته الأدبية والاجتماعية فستكون حرة الأحاديث، والكتب في الأدب والنقد والتاريخ مصر وغيرها».

[illegible] على رأي الصديق العظيم وحملت المخطوط التالي إلى موضعه من المكتب. ثم اعتقدت أني سأنشر بعض صوره الأدبية في «الرسالة» وقد نشرت بالفعل منه صورتين أو ثلاثاً رقّت لها الآذان وأصغت إليها الأفئدة.

ولكن وا أسفاه! لم يعد العقل تطيب نفسه بجسم على نفس جهد جنه، ولم يعن من المكتب إلا وسط يتصبب [illegible] بذكرى العراق!

وا لهفتاه على ولدي الذي أنجبه الله، وعلى أخيه الذي أنجبته جاءا معاً في الشتاء، فلم أجد لو جودهما روحاً ولا جهوداً ولا [illegible]، وجئنا معاً في الربيع، فلم أحس لفقدهما رقة ولا طلاوة ولا بهجة. أرى بهما القدر العابث حداداً وتهنئة، فسلب العين [illegible] وحرمة الشعر، وجرد المتاع اليقظان من صداحه [illegible] الوجه الروحي، ومكنه صورته من البرد في العبد، [illegible] قلبي من النفس القاتل. ومثلي في الكتب الشعر المنظوم في ركام من الورق المتروك فذهب به خلفه إلى الدار القديمة!

أحسب ذلك الكتاب مات يوم من حدع المكتب لأخطر منه مثلاً الرسالة، ثم طلعت [illegible] على كتبه [illegible] وعرفتها ضاعت [illegible] عناوين الحجة وأصول المقالات، فخرجت من [illegible] أدبية ثم ألقيته إلى جانبي، وأخذت أصحح (الكلام) وأطرح الأصيل حتى فرغت من الورقتين فدفعتهما إلى خادم المطبعة، وخرجت الساعة لا في جيبي ولا في جيبي لا أزال أعد الورق المهمل لخادم البيت يكنسه من هنا ومن هنا، ثم يطرحه على بابه كل يوم في صندوق الكناسة، ويأتي الرجل فيأخذ ما يجمع في الصندوق ويحمله على عاتقه كل يوم في وسطه إلى المستوقد!

وهكذا قضي الله أن يذهب إلى العدم خلاصة العمر وعصارة الفكر في أدوار [illegible] من مراحل الحياة! وهيهات أن يكون لما في حياتي عوض، وأين لقلبي أن [illegible] من [illegible] جمع [illegible] ولا تجدد فيه، وسحر المنظر [illegible] لا يتكرر [illegible] في [illegible] وغيبته.

* * *

حولت حسرتي من قدحه [illegible] في الإدراك والاستقرار حتى سقط المخزن من يدي، وتلاشى العاصي من حسي، ووثب الماضي إلى خاطري، ووقفت أمام الصفحتين وجهاً لوجه، سكناً كما تثبت الزمني واقفاً حيث كان، وظل الطرح بارزاً حيث [illegible]، وبين الكتب وحيداً حيث يتصل، وكانا أساس كل صحب إلى مطرح، وخلعتي كل لوة حتى الأربعين!

[illegible] جبيني بالبرد، ثم استغل جبيني بالدموع، فأخطب نفسي [illegible] رويداً إلي، وتحركت يدي في فتور فتناولت الدفتر ثم جذبت أصابعه، فتقرب في ثناياه على ورقة باقية من مسودات كتابي المفقود! فقربتها بين يدي ثم أقبلت على قراءتها مهيب القلب زائغ البصر مضطرب:

« ... هذه القهوة الصغيرة التي رقدت على صدر دجلة الناعس، واستغرقت في الصمت والهدوء والسكون، كانت أحب القهوات إلى القلب المنهوك [illegible] الشاعر. كنت كثيراً ما أقصدها بعد العشاء فأجد جماعة أو جماعتين يلعبون النرد هنا، وهناك أو فتيين يساقطان الحديث هناك، وباعة الأبيض والبيض والسمك [illegible] بين هؤلاء وأولئك [illegible] الطاقات [illegible] التي [illegible] من طلب الطعام [illegible] أو [illegible] الخادمة، فأحمل ظهري إلى [illegible] القهوة، ووجهي إلى [illegible]

[البقية في العدد القادم]

# فكاهات الحرب

## للأستاذ عباس محمود العقاد

الجد شيء طبيعي في الحرب والحب، ولكنه ليس بضد الفكاهة والسخرية، بل لعله يثيرهما في النفس ويدعو إليهما

فأنت مستوجب استغراب الإنكار والازدراء إذا رأيت رجلاً يهزل ويعبث وهو يواجه الشدة ويقف في الموقف الذي يتطلب العمل والجد والهمة. ولكنك لا تستغرب هذا الاستغراب إذا رأيته يواجه الشدائد وهو يستخف بها ويتخذ منها موضوعاً للفكاهة والسخرية، بل تعد منه هذه الفكاهة ونحوها ضرباً من القوة والشجاعة؛ لأن العبث دليل ضعف ويصرف النفس عن الحقيقة؛ أما الفكاهة مع الجد فهي معوان عليه

ولا شك في أن سليقة الفكاهة مصرف للنفس الإنسانية وفسحة لها وساتر على البؤس بما يخفف منها من أوقاره

ولقد تروج النكات و«القفشات» في إبان الحروب والمصائب، وتعد «النكتة» مقياساً لطبائع الأمم وشعورها في هذه الأحوال، فلا تجد من الشعب أمة تستطيع أن تواجهه وهي باسمة، ولا تجد الأمة تضحك إلا ومعها قدرة على البؤس والصبر فيه

ونختار في هذا المقال بعض الفكاهات التي أسفرت عنها الحرب الحاضرة، ثم غلب عليها [illegible] طائفة من المصريين أن يلتفتوا إليه

* * *

تحدث الألمان والروس كثيراً بالحرب الخاطفة أو [illegible] الحرب الخاطفة كما يسمونها Blitzkrieg ويعنون بها كسب النصر في معركة حاسمة سريعة

فزعم الراوية أن أعرابياً يسأل صاحبه ما هي الحرب الخاطفة؟

فيجيبه الصاحب: إنها هي الضربة التي لا تقع مرتين في مكان واحد

فيصمت السائل قليلاً ثم يقول مصححاً!! يخيل إليّ أنها شيء أسرع من ذلك. يخيل إليّ أنها هي الضربة التي لا تقع مرة واحدة في مكان واحد

* * *

والمعروف عن مولوتوف وزير الروسي أنه بطيء يتلعثم في كلامه. فذكره أحد المتحدثين له في الدباغ بصديقه وهو يقول: ألست تعجب أن يتكلم هذا الرجل أربع ساعات ولا يتلعثم مرة واحدة؟

قال الصديق: كلا! لأنه كان يكتب!

* * *

ويروى بعض النقاد عن تعبيقة وهو في صورة فتاة تحمل مصباحاً وتلتمس الشبه بوجه وجوه

فتشرب إحدى الصحف هيئة الغرفة مكتباً وقد أسند جسمه على الحاجبين كل من مولوتوف وجورنج وهم يقولان:

هذه هي الخليفة. أليس هي بعيب؟

* * *

واشتهر جورنج بحب الألقاب والأوسمة حتى يكاد يرى الأوسمة على صدره صفوفاً يتبعها بين ساعة وساعة

فزعم الراوية أنه يخشى أن يأتي عليه اليوم يعمل فيه يستعين من أجله وشاحاً من أوسمة الصدر

لأنه إذا شحن هذه الوشوح لم تعد تحتمله إلا وشاحاً أو عدداً من كرسيه

ويعتقد أنه لا يستطيع الجلوس على كرسيه

* * *

ويقال إنه بات غاضباً مستريحاً في قبره؛ لأنه يجب أن يتشبّر بشيء على صدره

---

دجلة، وعبر إلى جسر سود، ثم أصعد ظناً عجيب الأثر الذي من الناس والأجناس والصور. فهذا خليج من النهر يعبر الجسر إلى الجزيرة في شيء رواقيه، وهو مسدد في نموذج الأمة الطائفية يجتمعون إلى مطرب، وأولئك الفتية للقمر يمضون إلى الموت، وهذا الملك يمضي مسود من قصر العرس إلى قصر الزهور من غير عرس ولا جنة، ويقف في خيرة الناس يحظر أن يعبر الخليج ورواقيه؛ وهنالك غلام وتقابل. ولكل إنسان في دنياه عندك به، وداره. ثم حاولت أن أقرأ هذه الورقة الثانية فلم أستطع!

[illegible]

وقيل إنه ذهب في زيارة إلى مستشفى المجانين مرة، فرأى واحداً منهم لم يكترث له ولم يتحرك لوجوده، فاقترب منه وسأله: ألا تعرفني؟

فأجاب المجنون: كلا!

قال: أنا مستر لويد جورج

فظل المجنون على شكه كما كان قبل أن يتحدث إليه « اللاسلكي المتكلم » وكأنما على وجهه علامة استفهام إلى جانب علامة الاستفهام الأولى

فعاد اللاسلكي المتكلم يقول: هذه هي ساعة! كيف لا تعرف مستر جورج رئيس الوزارة البريطانية؟

ولم تنقص علامات الاستفهام على وجه المجنون بل زادت واحدة جديدة

ومضى اللاسلكي المتكلم يقول: جورج ورو الطيران!

والمجنون صامت ينظر

ثم يقول اللاسلكي المتكلم: جورج يا هذا رئيس مجلس الوزراء

والمجنون في صمته وقال: أكمرانه

ثم يعود اللاسلكي المتكلم: جورج هذا... جورج! ألا تعرف جورج الصياد الأشهر؟

فتندت جبهات الأمير عند الاحتيال في رأي المجنون، فهمس همساً وهو يرد بين شفتيه

مسكين! هكذا بدأ الحال معنا جميعاً في هذا المكان

* * *

ومن الطريف أن ونستون تشرشل كان يحضر الشمبانيا والخمور قبل ولايته الوزارة

فكتب أحد الناقدين تحت صورته: هذا هو ونستون تشرشل، هذا هو صانع المعاهدات الآن وصانع المعاهدات من قبل. ولكن لا يعرف أحد أنهما يعلقان شفاعتهما في موارد، وأنه يصبح غير صحو

* * *

وصدح المذيع التركي في إحدى الليالي بعد الإذاعة إلى ما يقال عن شخص هتلر لرواية

وعندما لم يقم لم يعد بعد أن يكسر كله من كلامه

فنشرت صحيفة إنجليزية هذه الإذاعة في اليوم التالي وأضافت إليه هذه الكلمات: نعم لأن الكثير من هتلر ليس إلا دعاية!

* * *

وقال مستر جورج في مرضه الصبح

حسن... إني سأعرض بطاقاتي على الباب

فأطرق جورج قائلاً: فيها بطاقات طعام!

* * *

وشاع بين الألمان أن هتلر لا يرى الخبيثة في جلستها بما يجري من شؤون الحرب والسياسة، فقال القائلون: نعم يجب أن يتنحى جورج قليلاً!

* * *

وكتبت صحيفة فرنسية بعد تأرجح الشيوعيين أو المترددين الحمر على شواطئ البحر البلطي، فسأل الظرفاء: أيصبح البحر الأحمر؟!

* * *

والرقيب صعيب ونغم من فكاهات الصحفيين التي لا يتسع نفسهم فيه أن يعبر هذه الفكاهات

ونجري بعضها بالأبيات التي كتبها ناظم على « صرح الرقيب المهول » قال

« هنا يرقد في الهاوية رقيب تمر عليه الصحفيون العشرون فلم يجدوا رصاصاً مثل رصاصه التي لا تعد ... وقطعه رشد أنه قد تجنبه عند الراقد جرح على اسمه بتلك القلم المعهود »

* * *

تلك نماذج منتزعة من « الفكاهات » الطريفة التي تروج هذه الأيام في البيئات الإنجليزية والفرنسية، وهي كما يرى القارئ على نمو ونشاط أن يشطر في سنة الفكاهات التي أصلها من جماعة « أبناء الهول » في هذه الحرب، ولا ما يلاحظ على أصحابها من ثقة الصب بالألفاظ وكثرة الاتجاه إلى الباب

والطائفة التي نود أن نستخرج من هذه الفكاهات معناها الذي هو في حاجة إليه هي طائفة « أبناء الهول » نفسها

لأن النفس التي سموها أن تصبح بالضحك « المدني » تحسب بأننا نحجب عنه الكثير من حقائق الدنيا، وهي آفة النظر إلى الأشياء على وجه واحد وصورة واحدة، فلنا ألف أن يجري الناس الكلام بأسلوب متوازن وألفاظ محفوظة من الاختلاف فطرق عنده أن سمع بعضاً من تلك التعبيرات أو غيرها صورة واحدة على خلاف ذلك الأسلوب

وإذا ألف أن يسمع «النكتة» والضحك في مجلس من المجالس وفي هيئة من الهيئات فليس في وسعه أن يجعل «تنكيتاً» يدور في غير ذلك المجلس وفي غير تلك الهيئة وبين أناس غير أولئك الناس

ومن أكثر ما يعجب منه المضحك أن يقال له إن الأوربيين «يضحكون نكتة» كما يضحك مثلاً لو رأى طرفة من حوادث الطبيعة وانقلاباً في أوضاع الحياة، وجميع الفرس يضحكون والعجم يطربون

وإنها لآفة «وطنية» لا ضير منها على الأمم التي يجهلونها ولا يفهمونها، ولكن الضير الأكبر منها على من يحرمون منه النظر الصحيح إلى حقائق الوجود

عباس محمود العقاد

# تلك أيام خلت

## للدكتور زكي مبارك

في الكلمة الماضية عرضتُ بعض ما رأيت وبعض ما حسبته وما حسبته كله قد يوحي إلى الشيوخ بأمور ينبغي النظر فيها من وقت إلى وقت، وإن صح أني قليل الاعتبار بحوادث الأيام، فقد يكون في القراء من يضيق بالصراحة التي يصوغ بها هذا الحديث. وآفة الأدب في بلادنا أن الأدباء لا يتحدثون عن همومهم إلا قليلاً، وهذا التحرز من شرح العيوب قد أوهم فريقاً من القراء بأن الأدباء معصومون من الوقوع في الأغلاط والهفوات. ولو أنهم عرفوا أن الأديب عقلٌ وقلبٌ كسائر الناس، لأدركوا أن الصدق في الأدب صورة تشكل من يتوجه إليه، وهو صورةٌ من صور الشرف، ورجاحة العقل، وصدق الوجدان

أنا الذي لقيت من الغدر والقهر في السنة الماضية ما أوجع على نفسي الهموم والكروب؟

أعترف أني صبرت على ... كتبت في العام الماضي مرهف الإحساس، ولكن قلبي لم يسعد من جانب، والكاتب المخلص لنفسه لا يترك مواطنه ...، وإنما يسارع إلى الاستفادة من غرورها، فيكتب وهو مشبوب القلب ليستطيع السيطرة على القلوب

وما أقول إني انصرفت عن معالجة الشؤون الوجدانية، فقراء «الرسالة» يذكرون أني كتبت ... تلك الشؤون من حين إلى حين، ولكني أعترف بأني ... حين تنقلت في تسجيل ما كان يثور في صدري من العواطف في بعض الأحايين

حدثني الأستاذ الزيات قال: إن بعض القراء لا يستريحون إلى بعض ما نكتب في الشؤون الوجدانية، وإن من العجائب أن ... في مثل ... أن يجعل هذه حدود الأدب الرزين!

و«بعض القراء» هم المشايخ الذين يسيطرون على هدى «الرسالة»، ليجادلوا الزيات فيما يليق وما لا يليق من المذاهب والآراء، ومنهم من لا يرضى عن كاتب يكتب إلا إن شغل نفسه بشرح «دلائل الخيرات»!

وعلى أني راعيت رأي هذا الصديق بعض المراعاة، والزيات صديقٌ أمين، والاقتناع برأيه من أوجب الفروض، ولكن كيف كانت العواقب؟

أسعفت على نفسي وعلى «الرسالة» غرضاً من غرضه، وهل أملك ردّ العواطف التي كربت ثم تحتضر في مدارج السنة الماضية؟

«تلك أيامٌ خلت» ومن ورائها أسفٌ ولا بكاء!

إذا صح أني مطبوع على إحساس الفرح والطرب في الحياة، وإنما حسبت أني أقوى ما أكون حين أفرح أو حين أحزن، فكيف ... من يجرؤ على ... بيان الشعراء في جميع البلاد؟

وهل تستغربون أن الناس يكرهون صيحةً أن تعطيهم من ثورة الأفئدة والقلوب؟

وهل صدق الأستاذ ... حين حدّث الناس عن طرب للشجاع ... من أن يسمع نكت الشعر والوصل والحب في حروب؟

وهل تظنون أن هذا الخطيب يمضي أمام الحرب في التضحية والتعنيف أمام العواقب؟

الحب في حرب، ومستحب الحرب سلامٌ بعد عام أو عامين، ولكنكم تعرفون أن الشاعر يجاهد حرباً لا يعرف شرها عنه عن الحرب، فإن صح أن الموت يريح أرواح الشعراء من البلاء والتفكير في أسرار الوجود

وما الذي يوجب الخضوع للأفكار السود التي تتوهم أن الحرب تقضي على رقة السريرة الإنسانية ؟

الحرب تستطيع أن تصبغ السريرة الإنسانية بصبغ المواجد بأنواع السخط، حين تنقل الناس من وهم إلى وهم، ولكنها تعجز عن اقتلاع ما في السرائر من صنوف الحب والبغض والهدى والضلال

والإنسان ينظر إلى من حوله من الناس نظرات مختلفات فيرى بعضهم صحة من أطفال، ويراه حينًا رأي أسود، فالطفل لا يذكر من الحرب غير منظر « التسعيرة » من وضع إلى وضع، ويكون مثله مثل الشيخ الذي ارتاع لارتفاع أسعار القطن لأنه رأى ذلك بدوراً بارتفاع أسعار الزيت !

أما الرجل ... والشخص الحق هو الرجل الذي ... فيرى أن الحرب لا يكون منه المراقب إلا إن استطاع أن يواجهه أن تقتلع من السريرة الإنسانية جذور الإحساس بمعاني الحياة، وهل في الحياة معانٍ أشرف وأصدق من الحرص والشره والطمع في أطايب الوجود !

شغلت نفسي حينًا بتاريخ ملاهي الحي اللاتيني في باريس، فطالعت أكثر من عشرين كتابًا مختلفة موضوعها ملاهي ذلك الحي، ثم راعني أن ألاحظ أن تلك المؤلفات كتبت قبل الحرب العالمية، فعرفت أن الباريسيين بعد تلك الحرب فقدوا شعورهم بحق الحياة ولم يعودوا يهتمون بتسجيل ما يصادفهم من النعيم في ذلك الحي البهيج

فهل استطاعت الحرب الحاضرة أن تشككنا في أحاديث السمر والوصل فنكون من ذلك أنا صرنا أهلًا ضحايا لا يهمهم من الدنيا غير أخبار أسعار « الذهب والسوارج » ؟ !

أعود هنا وفي مكتبي مقال لم يسمح بنشره الأستاذ الزيات، لأنه خشي أن يفتح نفسي على الأقاويل والأراجيف، وهو مقال صحبت فيه إحساسي بجرح شارع فؤاد من أحلام الليل يوم جرت الغارة الأولى. فهل من الحق أن الحرب روعت مصر روعة تذهب بما لها من شمائل من عواطف وأحاسيس ؟

وهل من الحق أن أهل مصر لم يعودوا يأنسون بغير حديث الحرب ؟

أعترف بأني وجهت صوتي على صاحب الرسالة من غلاء الورق، وذلك وضع مستغرب، لأن الأمة التي تتكلم على غلاء الورق هي الأمة التي سرت الأفكار والعقول، وكم أتمنى أن ... من الكاتبات إلا الورق فهو ... الصور ... والجد ... المثقف قد يكتفي بالقليل من القوت، ولكنه لا يستغني أبدًا عن زاده من الحبر والورق

ونحن يوم آذنتنا الظروف الدولية أصبح الإيحاء ... ليس لنا من السيطرة الاقتصادية أو الحربية ما للأمم التي يعترف لها أو لها ...، ولكن لنا مع ذلك سيطرة عقلية نصول بها في أقطار الشرق ولو شئت لقلت إننا نملك من صدور الشرق ما لا يملك الإنجليز والفرنسيس والألمان، ولهذه القوة الروحية سلطان يعتمد عليه من يملكونه في صروف السلم والحرب ما لا يملك، فليس من العجيب أن نشكو غلاء الورق في زمن لا يشكو فيه المحاربون غير غلاء القوت

والشرق ينتظر أن نمده من حسه بما لا يعرف

فكيف يجوز أن من الواجب أن نكون أفصح من يذيع في الشرق أحاديث السريرة الإنسانية ؟

اسمعوا يا أيها الناظرون، واعلموا أنكم لن تكونوا شيئًا مذكوراً إلا إذا استطعتم أن تشغلوا الشرق عما في الغرب من لهب وأوار

هل فكر واحد منكم في أسباب انصراف الشرقيين عن الآداب الفرنسية والإنجليزية ؟ وهل خطر في بالكم أن في الأقطار العربية والإسلامية أقوامًا يعرفون من المعول الفرنسية والإنجليزية أضعاف ما يعرفون من القول المصرية ؟ ومما يجوز مع أن مصر في هذه اللهجة تستطيع أن تكون ... وتجمع أطلال ... الأدب المصري الذي يعبر عن أحاديث القلب والوجدان

سألني أحد الأصدقاء منذ أيام عن الظروف التي ألفت فيها كتاب التصوف الإسلامي وهو يتوهم أني أدق عبارة من رجال التصوف، فقلت: ذلك كتاب كتبته بروح من قلبي. فقال: وهل في القلب بركة ؟

فقلت: آنه الآلاف أن نخلى أن القلب لا يجب على القلوب والأحقاد الوجدانية التي أنصف بها من حين إلى حين من صحبه من صحابة التصوف، فكيف رأيت بعض القراء من ... الفنون ؟ وكيف يرى صديقي الزيات أن نشرها جلوة حسية حسوني وأحزاني ؟

بل كيف أستطيع غض النظر عن أمر مجلة الرسالة لأتحدث عن خواطري بما أشاء ؟

تلك أمورٌ تشغلني عن أن أرجع إلى ساحة أوهامي وأحلامي ؟

إن الحديث عن الشؤون الخاصة لا يحتاج إلى مقدمة ، أما الحديث عن سرائر النفوس وأسرار القلوب فلا يحسن إلا بأمر الأقدار الشعراء . فمتى أجد أوقاتاً تطرب لأحاديث الروح المشغوف بمجاهيل الوجود ؟ ومتى أجد قلباً يسمع وسواس قلبي ؟ ومتى أجد روحاً يأنس بنشوة روحي ؟

هل تعلم ما حدث وما صنع مشيخة الأزهر ؟

هل تستشعر الحكومة المصرية على كل من يطبع كتاباً ديني تقع فيه غلطة نحوية أو صرفية أو إملائية

هل تعلم أن غلطة أو أن حق أن مشيخة الأزهر تحظر نشر جميع طائفة من الكتب الدينية ؟

كذلك يصنع من حضري وعداني ، فلا هم يؤذون بركة القلوب ، ولا هم يسكتون عمن يؤذي بركة القلب

ورب السيد آن كشف الغطاء في الصحف على مر عمره

فقال من أي بلد أنت أيها السيد الجليل ؟ فقلت من وطن ابن الفارض . فقال : وطن الذي يقول :

كل من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا

فقلت : بل وطن الذي يقول

أنت ورد يصيب عيناك عوداً أترى الورد عاش من غير شوك

فإن كنت من الشوك فلا بأس ، فالورود لا يعيش إلا في حماية الأشواك ، والروح اللطيف لا يعيش إلا في قفص من جسم كثيف

وبعد في الأيام الأخيرة التي يمضي الجلاء بمواطني بعد أسابيع وبعد الاطلاع على تلك الحيلة لأني احتجت إلى روحي على الشواطئ والمدن ، وأنا أحب مساءلة الناس لأفرح بمحاوره حتى ، فالقلب الناصع الذي يجري على الوفاء لأقوام لا يعرفون معنى الوفاء

ثم ماذا ؟ سأعود في الأسبوع المقبل من أروع وشجون يسيل فيها عذب الهوى

زكي مبارك

# الرسالة في سنتها الثامنة

دخلت الرسالة عامها الثامن وهي أقوى ما تكون اعتماداً على فضل الله وعطف أنصارها في تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من استحكام أزمة الورق وغلائه الفاحش في العالم كله ستحرص الرسالة على تخفيض اشتراكها وضبط هداياها وإصدار صفحاتها [illegible] في هذه السنة سيكون الاشتراك في الرسالة نفداً كما يأتي

١ - ستون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر يناير ، ويكون للمشترك الحق في ما يساوي خمسة عشر قرشاً من الكتب القيمة

٢ - خمسون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان للمعلمين الإلزاميين وطلاب الجامعة والمدارس تدفع في المدة المذكورة ، ويكون للمشترك الحق كذلك فيما يساوي خمسة عشر قرشاً من كتب المكتبة ، ويجوز دفع الاشتراك هنا أقساطاً متتابعة

والاشتراك في البلاد العربية كالاشتراك في مصر من حيث القيمة والمدة والهدايا ، وإذا لم يدفع المشترك قيمة الاشتراك في الموعد المحدد فهو أربعون قرشاً في العراق ، وعشرون قرشاً في سائر البلاد العربية

## الرواية

أما الرواية فقد أدمجناها موقتاً في الرسالة حتى يصبح ورود الورق ميسوراً فتصدر بشكل أكبر ونظام أجمل . وستنشر الرسالة فيما تعني به من الأمور الحديثة الأقصوصة فيكون في كل عدد منها أقصوصة أو أقصوصتان من أروع ما وضع أو نقل

—— اشتراك في الرسالة [illegible] ——

# ذريـــنى . . . !

## للأستاذ كامل محمود حبيب

[ ... ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : بكفرهن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط ! ]

حديث شريف

ذريني أطِر بين شعاب الأرض ومسالك السماء ، أستشف سر الحياة وجمالها !

ذريني أحطم الأغلال الثقال التي أوهنت قلبي ، لأفر من هذا السجن الأسود ، أتنسم روح الحياة والحرية

ذريني أفلت من هذا الحب الشحيح ، فلقد آذى ، فما عسى أحتمله ؟ . . .

ذريني أو فدعيني ، فلقد ... [illegible] نفسي الحزينة !

* * *

يا لحبيبة ، لقد حطمت قلبي وذهبت مشاعري !

ههنا هو القمر يتألق في السماء ، والأرض نائمة في سكون ، وأنا أرمقه من خلال عبرتي ، فلا أحس فيه الجمال ولا الفتنة

ويتلاشى القمر ، فما أحس في سماته الندية بوقدة الروعة ولا نشوة الفتنة

والفجر يتفجر في الشرق عن ابتسامة الشمس ، وأنا — وحدي — جاثم على نفسي لا أستشعر ابتسامها .

والزهر يتفتح ، فلا أرى في ضحكاته سوى فنون من البكاء والحزن

والطير يغرد في ... على الغصن ، فلا تطرب له نفسي . . .

يا لحبيبة ، أكل هذا لأنك — أيتها المرأة — إلى جانبي تنفثين في روح الشر ؟

* * *

أيتها المرأة ، لطالما تراءت إلى قلبي ابتسامتك الرقيقة فتثير الهوى وتلهب الشوق ، والآن ها هو قاعد شاحب في طواياه ولكن هيهات لا تحركه

ولطالما سهرت أناجيك — وأنت في منأى عني — والآن هذا في الإعياء ؟ ... أحس أعباء جانباً ، لا أوسده حولي على أعصابي ، في خلال عمره وبهجته ، إلى جانب غدير ، تتفكر ... الربيع ... تستنشق عبير ... الطيبة وعبق الذكرى

ولطالما أوحى إليَّ شيطاني أنك أنت حواء البشرية ، وأنك ... الخالق على الأرض الجرداء ، فإذا ... ماذا رأيت الآن ؟

ولطالما ... منك جمال الفن ، وروعتك ... الخيال في أعماق قلبي ، ثم ... فإذا ... هذا وحدت ؟

* * *

أحقاً أنك أنت ... الشاعر حين يتغنى بكلمات تحفى النسوة والألفة في خلاله !

أحقاً أنك أنت ... التي ... ما هي حواء !

أحقاً أنك ... الموسيقى ... حين يداعب أوتار قيثاره فتنبعث من خلفه النغم ؟

أحقاً أنك ... الحياة ... في سكون ظلام الموت !

كلا ... كلا ! إنه هو خيال الرجل يصحب عنانك — حيناً بعد حين ... تلك الذكريات البهيجة ، ويسمو بك إلى آفاقه هو ، في حين أنك أنت ...

* * *

كان هذا خيالي حين سمو بي ... فصبت ... ولما حيرتك ... لا أطمع في حديث ، ولا أرنو إلى ... بيت هذا الرجل ... أنك قد ... على الطفل والخادم ، وقد ... على التعب والسكينة ، و... فتنتك ... من أن تكون امرأة الرجل ، وزدت ... الكبرياء ... من أنوثتك الوديعة ... فذهبت تسعين سياً لتكوني ... في الرجل

إني أفزع من جمالك وسحرك ، وأفزع من ...

وعبراتك ، وأخاف وصلك وسخطك ، وأجزع من عطفك وعنفك ، وأرهب حسنك وفراقك . . . أفأنا . . . فماذا بقي حيث أطمئن إليه ؟

هذا العمر الداوي قد ملئت بك غمة تعطر من سوالف الحياة

وهذا القلب الشاب الندي قد استشعر الوحي حين مسحت بجمالك على شغافه

وهذه حياة [illegible] قد أطلقت حين أشرقت في حب [illegible]

فدريني . . . دعيني - أيتها المرأة - انقش من [illegible] حتى ؟

* * *

دعيني . . . دعيني ، [illegible] القلب !

ولكن ، آه ، أين منك الخلاص ؟

إن شيطانك قد [illegible] بلا [illegible] ، فإذا أمره أن يسيطر على في يقظتي ، ويدنو إلي ، بين أحلامي ، في [illegible]

وهذا الجمال الذي [illegible] منه [illegible] لأن [illegible] إلى حقيقته [illegible] ، [illegible] في [illegible] — في [illegible] على الزهرة [illegible] ، [illegible] رويداً رويداً

وهذه [illegible] التي أرى من خلالها [illegible] والقمر [illegible] جميعاً ، [illegible] إلى قلب أحلامي [illegible] أسنان [illegible]

وهذا [illegible] [illegible] يهوي إلي فيا [illegible] الحالم [illegible] ؟ يحس في [illegible] [illegible]

وهذه المرأة التي أحببتها ، [illegible] إلي [illegible] حين [illegible] [illegible] الذكرى [illegible] إلى [illegible] إليها ، خشية أن أطلب [illegible] من [illegible] في [illegible]

ولكن . . . ولكن [illegible] ، يا [illegible] القلب !

* * *

آه ، لقد [illegible] . . . أيتها المرأة ، فلا أحس بالحب [illegible] ، و[illegible] منك فلا أحن إليك ، و[illegible] منك فلا أصبو إليك ، و[illegible] منك فلا أستطيع عليك

ولكن كيف ؟ وظلي ما يزال يصطدم من [illegible] [illegible]

العري والظلال ، لأن [illegible] الأمر [illegible] في [illegible] الهدوء والاستقرار

فأين أجد [illegible] ؟ . . . وهو جمال الحياة ، و[illegible] القلب ، و[illegible] [illegible] ، [illegible] حين [illegible] [illegible] [illegible]

وا حسرتا إني لن أجده إلا [illegible] . . . فيك أنت أيتها [illegible]

ولكني [illegible] في [illegible] منك ، فأنا أجد في [illegible] [illegible] الحياة ، و[illegible] ، و[illegible]

فتعال . . . تعال إلي يا [illegible] — [illegible] أجد [illegible] صورة من [illegible] [illegible] ، أو أجد [illegible] [illegible] . . . حين [illegible]

[illegible]

## الناي

هذه الأبيات [illegible] في [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible]
والشعر الأول [illegible] و[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

حنّوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

أو [illegible] [illegible] [illegible] . . . [illegible] الناي [illegible]
[illegible] [illegible] . . . [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] . . . [illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] . . . [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] الناي [illegible] . . . في الليل [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] . . . في اليوم [illegible] [illegible]

القاهرة مايو ١٩٣١ بشر فارس

صفحة مجيدة من تاريخ المسرح المصري

# عبد الرحمن رشدي

## وأثره في تاريخ المسرح المصري

### للأستاذ زكي طليمات

من الكلمة التي ألقاها الأستاذ زكي طليمات مفتش مسارح [illegible] في حفلة التأبين التي أقيمت بمسرح الأوبرا الملكية يوم [illegible] سنة ١٩.. برياسة معالي وزير المعارف إحياء لذكرى مرور أربعين يوماً على وفاة الممثل الكبير الأستاذ عبد الرحمن رشدي المحامي

في عهد [illegible] رجل عند المحفل [illegible] وعشرين عاماً [illegible] الأحمر ، [illegible] الفنون ، في [illegible] ، وفي صوته [illegible] الحرية وعناد التصميم ، [illegible] علاوة [illegible] للمتع . [illegible] هذا الشاب في [illegible] الممثل [illegible] خط تاريخ التمثيل العربي الثاني صفحة المجد الأول ، وأشرق على المسرح المصري فجر وردي جديد

وقف هذا الشاب يمثل ، ويرجع الصوت المدوي في رحب أبهاء الملعب ، فلوحت [illegible] صوته [illegible] ، بل أخذ شيء بصوت [illegible] الأعصاب وتصدع الجدران . ذلك لأن المسرح المصري [illegible] في ذلك الوقت أصبح في أعشاره ، [illegible] منه [illegible] شائعة

هذا الشاب هو ( عبد الرحمن رشدي ) الذي [illegible]

المتكئة إلى حنية المسرح ، ووقف عنده [illegible] للممثل ، وجر [illegible] الرغبات [illegible] ومسترسلاً للرغبات [illegible] ، وربما كان [illegible] شارب الشعر في [illegible] من أجل [illegible] الورق [illegible] من المصفق ، [illegible] من [illegible]

أتى كل هذا [illegible] وهو في عام [illegible] وحياة المسرح في مصر [illegible] . أتى ذلك لأن [illegible] في الساحة التي رسم الأقدار منها [illegible] بأعظم الأحداث وجلائل الأمور

أجل أيها السادة ، كان احتراف عبد الرحمن رشدي التمثيل في ذلك العهد حدثاً من الأحداث الاجتماعية في مصر

ولماذا ؟

كان المسرح المصري [illegible] الأول من مرحلة جديدة كان يحاول [illegible] أن يستخلص لثقافته طابعاً جدياً [illegible] إلى الفن الخالص من حيث فن التمثيل وإخراج الرواية ، بعد أن [illegible] قبل ذلك [illegible] . وكان العاملون في المسرح رجالاً ونساء أخلاطاً [illegible] في النظم والتهذيب والتثقيف ، ولا أقول [illegible] الاستعداد وحسب الموهبة . وكان [illegible] الفن للأكثرية . وكان الجمهور من أجل ذلك [illegible] المسرح المصري والمشتغلين فيه [illegible] الازدراء والاحتقار ، إذ يرى فيهم [illegible] من [illegible] المجتمع ، [illegible] الأوساط ، [illegible] الشعب [illegible] عن طريق [illegible] ، [illegible] الوجه ، [illegible] الصوت بالصياح والضجيج

في ذلك العهد جاء الأستاذ جورج أبيض من أوربا ، [illegible] أن يكون للأستاذ أبيض [illegible] للمسرح ، [illegible] الأول من أقرب ما [illegible] تلك العناصر التي [illegible] إلى شخصية الممثل [illegible]

وهنا جرت الأقدار [illegible] إلى [illegible] (عبد الرحمن رشدي) [illegible] في الأسرة [illegible] الرجل الكامل [illegible] هذا أيها السادة [illegible] لأنه كان [illegible] قبيل ذلك العهد من [illegible] بالنهار ليحترف التمثيل بعد ذلك في الليل

ولا لوم ولا تثريب على من اشتغل فى ذلك ، فقد كان التمثيل فى مصر دخيلاً ، وعرض نفسه على المجتمع المصرى المحافظ كلون جديد من فنون التسلية ، والجديد الوافد من الغرب لا يلقى ترحيباً ، ولا سيما أن الناس كانوا يعتبرون المشتغلين به طبقة من طبقات الكسب الأزرقية ، وكان الناس لا يحترمونها ولا يقيمون لها وزناً .

مضى الأمر وحرص عبد الرحمن على التمثيل فكانت بداية ناجحة ، صحبه فيها شباب مثقف عامل متكامل الثقافة والشخصية الاجتماعية الرفيعة إلى عالم مجهول لا يعول فيه غير المكافح ، ولا تطول فيه غير قامة المتعب والمغامر والحريص الصبور والمكافح ، عالم محيط به الريب والشكوك ، ويطلقه الكثير من سوء الظن ، ولج إليه عبد الرحمن بأقدام ثابتة ، يسير كله عقيدة واسعة بأن المسرح كالمسجد يؤمن به بالوجدان ويتحرى من النكر .

ولن يمر من حوله إيمان صادق بأن المسرح المصرى التلقائى لن يرى ولن يؤدى رسالته فى التثقيف والتهذيب ، ما لم يتوله جماعة على قسط وافر من الثقافة والتهذيب ، وما لم يشرف عليه من يعشق له لا من يعشق منه ، وما لم يكتبه الكاتب الصالح .

كان عبد الرحمن محامياً فى نظارة الأوقاف ، وكان يتقاضى مرتباً شهرياً ثابتاً قدره أربعة عشر جنيهاً ، ورضى أن يعمل ممثلاً بمرتب قدره اثنا عشر جنيهاً فى هيئة غير ثابتة فى فرقة لم يرها ... كما سبقت الفرق التى تقدمتها — مغامرة جائرة ، كسفينة مهزوزة البناء فى بحر هائج ، وفى هذا ما يعطى دليلاً على أنه لم يحترف التمثيل لمجرد عيش ، أو ليصبح مالاً عجز عن جمعه فى حرفة المحاماة .

وخسر عبد الرحمن أموراً مختلفة مواهب الممثل فى مستقبله المالى ، ودوّى عنه دوياً أحمد على هواة التمثيل مشاعرهم ، فحركت نفوسهم ، وطلبوا وتطلع عددهم عن أن يعملوا يعرضون محاسن التمثيل على يد المحامى الممثل ، وقصد فرقة جماعة أنصار التمثيل محل الفن ومنهم المرحوم محمد عبد الرحيم الذى كان يشغل وظيفة أستاذ بالمدارس الثانوية .

ولكن عبد الرحمن اضطر بعد شهور — ويا للعجب — أن يترك فرقته أيضاً موضوع الرأى ، لأن الفرقة المادية كانت تطلب كثيراً رغم الفن الخالص الذى يحبس مديرى الفرق المصرية ، فخاف نفسه من ذلك وترك أصحابه ..

وعاد إلى المحاماة الحرة فى مكتب أنشأه بمدينة الفيوم لقى فيه نجاحاً كبيراً ، ومكث عن المسرح إلى حين واستقر فيه ، وحسب الناس أن صاحبه عبد الرحمن فى اعتزاله التمثيل إنما كانت بعودة من بوادر النفس الكئيبة .

* * *

الهاتف الناعم الخفى يناجى النفس على التحدى ، ويطلق النفس على الجسد والروح ؟ ؟

لم يمض زمن طويل حتى رأينا عبد الرحمن يعاود نشاطه الأول بنفس الحماسة الأولى ويمضى بفرح الراسخ الذى كان يعمر عليه مكتبه بالفيوم ، أى كل عبد نفسياً ما أجره عليه نشاطه الأول ، مدرجاً فرص اعتقاد بتصحيح مسيرته من أصحاب المسرح المصرى ، وخرج غير محدود بالتضحية من جانب جمهرة المثقفين .

ولكن الهاتف المجهول كان بعد مسمعه ، والقدر يدفعه إلى أن يستقيم على محتوم قضائه .

عاد عبد الرحمن إلى العمل فى فرقة الأستاذ ، بعد أن انضم إلى فرقته وجيه من وجهاء مصر ، وسليل بيت كبير من بيوتاتها ، وهو عمر سرى بك نجل المرحوم حسين سرى باشا ، وكذا وجيه آخر من طرازه ، وهو المرحوم محمد تيمور بك نجل المرحوم أحمد تيمور باشا ، وتشريف حضرة صاحب العظمة حسين كامل سلطان مصر ، كاد أن يأتى نفس الناحية ، وكتب حضوره على المسرح البعيد أن أرى كيف الحربى وأترك مرسى الثانوية فى موسمها الأخيرة .

ومهما انسحب المرحوم تيمور وتنحى من الأعضاء التى حالت دون انصراف التمثيل فى ذلك العهد ، فلا أحد يدرك ما للفرقة الوحيدة فى هذا الوسط الذى أعطى فيه ما حققه ، وما للتصريح بأن تيمور كان أوسع من عبد الرحمن عرضاً وأليق فرصاً .

* * *

وجد الطور الثانى من جهاد عبد الرحمن وبدأت معه الجمعيات الشبابية مرحلة جديدة انتسبت إلى مدارس الصدق ووجوده عند العاملين فى الجمعيات ، وجلهم من جمهرة المثقفين طلبة كانوا أو موظفين .

وصحت لعبد الرحمن طريقة فى التمثيل حتى كانت فيها مسالك الشخصية من الهواة والمثقفين ، وسبب الأقلام المصرية إلى وجهه شغل الأستاذان إبراهيم رمزى ولطفى جمعة يدعوان إلى استقلال المسرح المصرى ووراثه .

أيها السادة :

يحورون إلى التاريخ جيد ... وما أصدق ... حتى فى هذه الأمور :

لم يمض وقت طويل على عبد الرحمن في هذه الفرقة حتى هبط إلى ركن لأسباب لا يتسع المقام لذكرها ، ولكنها أسباب تشرف عبد الرحمن ، الرجل والممثل ، الذي لم يسع في التمثيل ليجمع المال من ورائه ، وليستثمره كما يستثمر التاجر المعروف على المسكين متجراً انتهى إليه في آخر الزمان !

ورجع عمر سري بك إلى قصره الماضي يبحث عن أعماله [illegible] بعد أن ساق دوماً الفرقة وبنفسه ، وبقي عبد الرحمن واقفاً متفتناً في حلبة الجهاد وحده ، ويمسي قلبه ما يدمع منه نفثة الألم ، بل وآلام الحاجة والسهو إلا قلب كبير مصر ، الإيمان بالله ، وبالمبدأ ، وبالفكرة السامية

أيها الحاجة ، إنك قاسية

أيها الجوع ، إنك كافر !

ولكن شاء الله أن يشترك في خوض أمثاله من البشر ما عساهم يدرون ماهي ، فراحوا يدعون خاصة بالسحر ، ويستجيبون على الطريق فلسكافاه من العيش

ومر عبد الرحمن هذا الموقف الرائع ، فخرج منه بالقسم وحلت العقيدة ، وجلال الرجولة في أكمل معانيها

كان في وسعه أن يعود إلى الحلقة ، أو أن يقضي وظيفة حكومية تقيه شر ما يلقى . كان سبيل الخلاص ممهداً أمامه ، ولكن عبد الرحمن أبى أن يعمل شيئاً من هذا ، لأن رسالته في المسرح المصري لم تكن قد تمت بعد ، وصاحب الرسالة مجاهد وشهيد ، والشهداء ما يريدون إلا أن يكونوا شهداء وهم يكرهون خلاصهم بين أيديهم

وسرعان ما انتهى دور الاستجمام والعشاير إلى دور الوثوب والعمل ، فألف عبد الرحمن فرقة تمثيلية باسمه ، في نظام المتعصي وهو نظام جديد ، يقضي بتوزيع دخل العمل الوارد من إيراد الحفلات بنسباً لا يعطي به كل ممثل أو عاملة

فلا مرتبات ثابتة ، ولا أجور معينة

كان تأليف هذه الفرقة حدثاً جديداً في المسرح المصري ، لأنها لم تتألف من أشخاص الفرق العاملة ، وإنما تألفت في جملتها ولا سيما في عنصر الرجال منها من شباب جدد متحمسين ، ينتمون إلى بيئات اجتماعية لم تسخ بأبنائها على التمثيل ، جمعت الفرقة المدرسة المرشد الذي هو وظيفته ، والطالب الذي منع دراسته العالية أو الثانوية ، اجتمعوا كلهم في صعيد واحد ، بعد أن انتهت المرحلة [illegible] الجانب الناشئ ، احتمسوا

بعد أن ترسموا الطريق الغداء الذي [illegible] الأمم [illegible] تحمس كل منهم بما كانت [illegible] طاقته أو [illegible] مستقبل واضح ، أقل ما يقال أنه مستقبل لا يبسم أصحابه [illegible] وراء مهنة مخطرة جائرة ، [illegible] مشكوك فيه ، تكابد يهمل الناس ، بل وازدراءهم

على هذا النحو ، ألفت أول فرقة مصرية من [illegible] لا [illegible] أن [illegible] واستطاعت أن تشق طريقها ، وتركز أعلامها في القطر ، من الثغور إلى أقصى الصعيد [illegible] الرجاء هذه الفرقة [illegible] الأسبوع [illegible] وصرت الفرقة جهتها ووثبت وثباً فسيحاً في سبيل النهضة ، ومظهراً من مظاهر النهضة المصرية ، ووجهاً من وجوه النهضة القومية

في هذه الفرقة عمل الأساتذة [illegible] هذه الفرقة ، ومحمد عبد القدوس ، ومحمد فاضل ، ومحمد يوسف والكثير [illegible] [illegible] تمثيل [illegible]

أيها [illegible]

[illegible] من الأمس [illegible]

بعد جهاد مستمر ، دام ثلاث سنوات وشهوراً ، اضطر عبد الرحمن أمام الأزمة الاقتصادية التي شملت العالم بأسره ، بعد انتهاء الحرب الماضية ، أن يحل الفرقة ، وأن يترك الميدان [illegible] ذلك الشخص [illegible] لأن الكساد الذي حل سائر مرافق الحياة الاجتماعية [illegible] تلك الأزمة ، كان يفرض عليه فرضاً أن يترك المستوى السواد الأعظم من الجمهور ، وأن [illegible] وكانت رغبات الجمهور في ذلك العهد ، عهد الثورة المصرية ، [illegible] لا تستقر على حال ، ولا تمس من التمثيل ، وهو لون من ألوان التسلية ، إلا الموسيقى [illegible] لا [illegible]

حب الفرقة ، ولكنها حققت الغرض الأول من جهادها ، وهو حمل المسرح في [illegible] على الطبقة المثقفة التي اتجهت حسن الظن بفن التمثيل

حلت الفرقة ، ولكن بعد أن حققت من التمثيل المصري مثالاً جديداً [illegible] من حب طبقة من الناس ما كانت تأبه له من قبل . وهكذا بدأ عهد إصلاح في المسرح المصري والتشجيع التجديد فيه ، ثم بعث أن [illegible] الأستاذ ( يوسف وهبي ) ، فعمل للرجوع عبد الله وهبي [illegible] فتأسد المسرح من بعد فترة قليلة ، وعمل للمسرح عهداً جديداً في حياته ، متجهاً بثروته الشخصية ، وما آل إليه من مال أبيه الراحل

هذا هو عهد عبد الرحمن رشدي ، وهذا ما يسطر اسمه في رأس

فإنه أمثال المطلومة التي علت المسرح المصري خمسين للشباب

هو المثل وصدر الفرقة إلى المنامة الحرة الثالثة ، ولكنه هو إنسان في هذه الحرة كبير القلب ، لأنه استيقن أن الزمان يمضي به وأن لا سبيل إلى فرص يرانه على هذا الزمان ، الذي يأخذ من المصلحين بعض ما يريد ، لا القدر الذي يرجونه ويستطيعون تحديده

وكان بنشاطه حنين إلى المسرح ، وهو عبالة الأمم ومجالسه ، مكث له أحيانا ، وعمل عضواً عاملاً في المحافل التي ألّفت الحكومة بوزيه التمثيل ، وأذكر من هذه حياته

( بحث العام ) ، و ( المبادئ الرحيمة ) ، و ( اللاهوت )

وألّف الفرقة القومية بجل وزارة المعارف ، لم يجرمن من حب النعمة ورجع القائد والزعيم جنديا متوسطا يعمل في الصف الأخيرة ، ولا كبر ولا خيلاء .

حياتك يا عبد الرحمن في تواضعك وشجاعتك ، وأحنى الرأس إجلالاً لك ، قائداً كنت ورئيساً ، ومؤمراً أصبحت وجندياً

ولم يطل مكث عبد (الرحمن) في الفرقة القومية ، لأسباب عامة من لكن في بعض الأوراد التي وحدث منه السيل عنها

وشاء القدر أن يجمع شمل وشلة الفرقة الثالثة في مكان واحد ، وأن تعمل الفرقة واحدة في وزارة المعارف ، وهو سيئة حين حديث التمثيل ، يقص عليه ويعمل له إن استطاع ، عطفاً وحدباً

هذا هو بعض عبد الرحمن رشدي ، الذي احتفت اليوم تعارض لتأبينه ، وتكريم ذكراه ، فسكن كل واحد منا في شخصه سلمة من ماضيه ، أو صفحة من صفحات الرجولة الباهرة ، أو صفة من صفات البطولة عنه ، أو مظهراً من مظاهر الجهاد والتضحية

هذا هو عبد الرحمن رشدي الممثل فحسب ، وأتجاوز عن سائر سيرته وآثاره ، وقد كان المحامي القدير ، والموظف الكبير ، وابن البيت الكريم ، نعمل هذا عامداً متعمداً ، لأن الممثل عبد الرحمن رشدي ، أكبر من كل هذا ، وأبقى ذكراً ، وأبعد أثراً من كل هؤلاء في الصور التي عبثت في حياته ، لأن للممثل عبد الرحمن رشدي ، واحد في نسخة ، متفرد عما آل إليه أمره ، وما استقام عليه يعيش مسالمة

وما أحد أعلم كلي بالتمثيل هذا القائد الذي سقط في حومة الجهاد ، وسمعه في بيته ، منذ أن أمرض كل هذه في منع الرمان الرائي ، وفي كله تقسم بوفاء التابع الأمين ، وحميرة الصديق ، وصراحة الفنان

# كبرياء . .

## للدكتور ابراهيم ناجي

يداولك ما ظلمت كيف جاء | عفاءاً بسرة التعسف جاء
رُوحاً أيها الظان ، كلاّ | لصاحبه وما طرى لقاء
إذا ظنت لم يطع سرب | على الصحراء إلا ينقلب ماء
وأنت فراش بطل كل عود | تبحث وكل ولي له أثناء
عفو كالسدود والسرشد | وتكن انتصرت لك الصفاء
عن إنك في هوانك اصطفاء | فلست أصبح حيث دي عباء
عن سلك كأنه عرب السيل | كأن قد بقيت منك الحياء
ملف الأمد به فيه من | ولكن ما خلقت به الإباء
فر أسعد تسب منه بنا | ولا كالبعيد ولا واغتناء
وتكن سنفك هش فخر | يجوب متى أراد وكيف شاء

ناجي

---

أقضي بعد ذلك صامتاً ، واسمك عامداً في استقرار تجاريب الرجل على البطل الراحل ، كما تجري بذلك تقاليد الحياة في هذا المقام ، لأن هذا البطل لم يطلبه ، كان يغلب التقاليد ، وكانت حياته حرباً على التقاليد ، ولأن المنايا الإلهية التي رحمته ماجداً ، وحياته مصيفاً وسماحة ، أجل وأرفع من أن يطلبوا عليه الثناء ، والتنبيه بصوت مصدره شخصي الصعيد العربي

بل إن هذه المنايا الإلهية الرحيمة ، قد حملته منذ أن حان حينه ، وحياً فقدان الرمين الأعلى ، فجعلت تلك من هذه الحياة ، ومضى منها ما بين خمسة عشر وشبابه ، وكأن من نفسه به على الزمن الطويل ، وصعد به على مجاوب الأخطاء ، وحب المرضين ، ومصيبة من عذاب دونه كل عذاب ، وهو حكم أحد القضاة من إجابة الروح القوي ، والنفس الركب

أعود فأقول إني لا أحيل هنا ، لأن عبد الرحمن رشدي ، ميسوره هناك ، ورجل اختار ، ونفس من أنفاس الرحمن الرحيم

زكي طليمات

# الفروق السيكلوجية بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

---

أشرت في الكلمة السابقة إلى التجارب التي أجراها مونستربرج لاختيار سائقي الترام والسيارات وعاملات التليفون، وإلى المقاييس التي وضعها لمعرفة الأفراد الصالحين للمهن المختلفة. ويجدر بي للإنصاف التاريخي ألا أترك موضوع «الكفاية المهنية» من غير أن أذكر كلاً من الدكتور فرانك بارسنز وأحد مؤسسي «بيت الخدمة الاجتماعية» في بوسطن بأمريكا.

كان ذلك في سنة ١٩٠٨ حينما جمع الدكتور بارسنز التلاميذ الذين أتموا التعليم الأولي في حي الشرق بمدينته والأحياء المجاورة، وكانت الغاية من هذا الاجتماع أن يبحث مع هؤلاء الراغبين في مستقبلهم، ونوع المهن التي يريدون احترافها، وهل يعرفون شيئاً عنها، وما هي الصعاب الشخصية والمتاعب المرهقة التي يتقدم بها كل منهم للمهنة التي يختارها. وما كان أشد عجبه حين ظهر له أن هؤلاء الراغبين لم يعرفوا شيئاً عن الحياة العملية التي يريدونها، ولا السبب في تفضيل نوع من العمل على سواه، وما الذي تتطلبه كل مهنة من المؤهلات الجسمية والقدرة العقلية والخلقية. ولقد استطاع بارسنز أن يسدي لهم نصائح مفيدة، وأن يوجه كلاً منهم إلى الناحية التي تتفق ومواهبه الشخصية ومقدراته. وكان هذا الاجتماع التاريخي البذرة الأولى لتكوين «مكتب الإرشاد المهني[1]» الذي افتتح في نفس العام[2]. وقد أسرع إلى هذا المكتب الشبان والبنات بعد إتمام الدراسة الأولية للاستشارة ومعرفة أنسب الحرف لهم وخير... ولقد كانت للدكتور بارسنز موهبة ممتازة في معرفة خواص الأفراد ومزاياهم العقلية والخلقية والجسمية، واختيار ما يناسب كل فرد من عمل، ولذلك صادف مشروعه هذا نجاحاً وإقبالاً.

لم تكن نصائح بارسنز مبنية على اختبارات سيكلوجية ولكنها كانت نتيجة لمذكرة مكتوبة من طالب الاستشارة يجيب فيها عن أسئلة في نسبه وعمره واستعداده ونوع دراسته وآماله[1]. وقد شرح بارسنز طريقته هذه موضحاً أنها تتكون من ثلاثة عناصر أساسية: العنصر الأول درس كل مهنة من المهن الممكنة ومعرفة نوع العمل بها وظروف هذه المهنة الاقتصادية والصحية والاجتماعية والفنية، وبذلك يعرف الطالب أو الطالبة في وضوح ما تتطلبه المهنة من الشروط والمطالب. والعنصر الثاني أن يكون على صلة بنظار المدارس ومدرسيها، وأن يحترم نتائج أعماله ودرجاته الفنية المهنية، ويطلب إليهم ملاحظة التلاميذ أثناء الدراسة وكتابة تقريرات عن تحصيلهم ونشاطهم المدرسي واستعدادهم الفردي وميولهم، والناحية الممتازة في الفرد، حتى يرجع إلى هذه التقريرات عند الحاجة. والعنصر الثالث أن يطلع من الطريقة التي كانت متبعة باستقبال طالبي المهن ووضع أسئلة عامة لهم، حتى يستطيع بالطريقة الحديثة أن يجمع أكبر ما يمكن من معلومات منظمة عنهم.

كان أثر هذه الحركة أن نبهت مجالس التعليم العامة وجمعياته في الولايات والمدن الأمريكية لمواجهة مشكلة الكفاية المهنية، والفروق السيكلوجية للأفراد، فعنيت بالأمر، وأسست مكاتب الإرشاد المهني، وعين مستشارون مهنيون Vocational Counselors يزورون المدارس — كما يزورها الأطباء — ويبدون رأيهم في صلاحية من أتموا دراستهم من التلاميذ لأنواع المهن المختلفة، كما نشطت المدارس والمؤسسات الصناعية والمعامل والشركات، وجمعيات الإصلاح مكاتب الإرشاد المهني، والمستشارين المهنيين للمعونة التي يحتاجون إليها، وكثرت هذه المكاتب وتزودت. وبدأ المستشارون يصدرون نصائحهم مبنية على الاجتهاد والتجربة من غير أن يقوموا باختبارات لقياس الذكاء، أو الاستعداد الخاص، أو الصفات الفردية الأخرى، فكانوا ينصحون ضعيف الرئة مثلاً ألا يشتغل في المناجم التجارية، أو المصانع ذات الهواء الرطب أو كثير الغبار، ولا ينصحون ... في الشركات ذات المستقبل الغامض. وهكذا اتجهت هذه المكاتب عن الغرض السيكلوجي الذي أنشئت من أجله، وأصبحت «مكاتب استخدام». وهذا الغرض للمستشارين ...

---

(١) أطلقت الصحف حينئذ «مكتب الإرشاد المهني» على عبارة «مكتب التحقيق للعاطلين» الذي تنشئه الآن وزارة الشؤون الاجتماعية، يا حبذا لو استحدثت العبارة الأولى الحالية في مصر

(٢) وقد افتتح أيضاً في نفس العام «مكتب الإرشاد المهني» في أدنبرج (اسكتلندا)، وكان أول مكتب من نوعه في الجزائر البريطانية

(١) تسمى هذه الطريقة The impressionistic method

وكان همهم أن لم تظهر بعد المقاييس السيكولوجية الدقيقة لمعرفة الفروق الفردية وحتى يمكن الحكم على صلاحية نوع معين من الأفراد لنوع معين من المهن

وضع بارسونز مجموعة من الأسئلة لاختبار طالبي المهن، يستطاع بها أن يكشف عن عادات المختبر وميوله وتجاربه، ومن بين هذه الأسئلة ما يأتي

هل تصرفاتك هادئة أو مائعة، متكلفة متصنعة أو ترى للاعتلاء من الناس؟

إذا كنت مع جماعة فهل تفكر في راحتهم وتعمل حسب؟

هل مسلكك طبيعية وبسيطة أو متكلفة؟

هل أنت صريح في رأيك، أمين في معاملاتك، حريص على حسن أقوالك وأعمالك؟

هل عاداتك وأفكارك طيبة ومتواضعة، أو عدائية، أو مغرورة، أو متشككة، أو ثائرة؟

ما مقدار درجة تقبلك للشيء، وكاب الدرجة القصوى الممكنة للانتباه في مائة؟ ودرجة ملاحظتك، ودرجة تذكرك ودرجة منطقك، ودرجة تخيلك، ودرجة إدراكك، ودرجة دقة سلك الرسم والبحث الطارئة، ودرجة قدرتك التصنيفية للظروف، ودرجة تفكيرك الإنشائي Constructive thinking؟

هل تستطيع الحصول على علاقات طيبة سريعة مع من تتصل بهم؟

هل إرادتك قوية أو ضعيفة، مترددة أو عنيدة؟

أتتمتع بوجودك في الجماعات، وهل يسر الناس وجودهم معك؟

وكثير غير هذه الأسئلة[1]

وربما كانت هذه الأسئلة مفيدة نسبياً لو أن الإجابة كانت صحيحة مبنية على علم المختبر بنفسه وميوله وعاداته، ولكن من الفرد يستطيع أن يجيب عن كل هذه الأسئلة بدقة وبموضوعية الإجابة؟ وما دامت الإجابة موضع شك فلا بد أن تكون أيضاً من النتائج موضع شك. وبدأ معارضو الأسئلة هذه لا يمكن الحكم بها على خصائص الأفراد وشخصياتهم، ولا أن نكشف عن الفروق السيكولوجية بينهم

وتسمى طريقة استخدام الأسئلة والإجابة عنها بطريقة التأمل الباطني Introspection وتسمى طريقة لما فيها من عيوب كثيرة؛ ومن عيوبها أنها ليست موضوعية objective ولكنها ذاتية شخصية خاضعة لهوى الشخص وأهوائه وذاته وحالته النفسية لحظة الاختبار Subjective والعلماء إنما تعتمد في بحوثها ونتائجها على الطريقة الأولى لا الثانية

وبعد فقد عرفت حتى الآن مرجع الفروق السيكولوجية بين الأفراد عرضاً موجزاً وتطورات الاختبارات والمقاييس التي وضعت حتى أوائل القرن المعاصر على أن علم النفس بفروعه المختلفة قد خطا خلال نصف القرن الأخير خطوات واسعة كثيرة في الطريقة وفي جمع النتائج كذلك دراسة خصائص الأفراد العقلية والعصبية والخلقية والمزاجية وكل طائفة منها على حدة ووضع لها مقاييس تختلف كثيراً أو قليلاً من إقليم لإقليم، وسنعرض بعض هذه المقاييس

ويمكن حصر أنواع هذه المقاييس التي استخدمت لمعرفة الفروق السيكولوجية بين الأفراد فيما يأتي

(١) مقاييس الذكاء العام وتقاس بها الذكاء العام للأفراد[1]

(٢) مقاييس الذكاء الخاص وتقاس بها المواهب العقلية الخاصة كالموهبة الموسيقية والموهبة الرياضية

(٣) مقاييس الأمزجة والخلق وهي تقيس عواطف الأفراد وقابليتهم الخلقية للإجرام أو الإصلاح

(٤) مقاييس التحصيل المدرسي أو الفني اللغوي والعلمي

(٥) المقاييس الجسمية العامة

وسنعالج كل مجموعة من هذه المقاييس في مقالات قادمة إن شاء الله

(يتبع) [illegible] السوداني  [illegible]

(١) نظرية الأستاذ سبيرمان الشائعة الآن في أن الذكاء يقسم إلى [illegible]

(١) [illegible] Choosing a Vocation [illegible] للدكتور [illegible] بارسونز

# الأدب الفنلنــــدي

للأستاذ صديق شيبوب

بينا كان الشاعر « لياس لونرو » يجمع شتات الكاليفالا ويضم أجزاءها ، وينشئ منها بهذا الكتاب ملحمة وطنية قديمة ، قام شاعر آخر ينظم ملحمة وطنية عصرية يتغنى فيها ببطولة الفنلنديين في العصور الحديثة ، وكان اسم هذا الشاعر « جوهان لودفيج رونبرج Johan Ludvig Runeberg »

ولد رونبرج سنة ١٨٠٤ وتوفي سنة ١٨٧٧ ، ودرس اللغات واستهواه الأدب والشعر . وفي شبابه وجه عنايته إلى درس أخلاق مواطنيه في كثير من الطبقات ، ثم كتب في ذلك رسالة طريفة كما تناول مظاهر هذه الأخلاق في الأقاصيص التي كتبها بعد ذلك . وهذا ما جعله في طليعة الأدباء الذين عملوا على إنشاء الأدب القومي الفنلندي بالرغم من استعماله اللغة الأسوجية في كتبه نثراً ونظماً ، لأنه عرف كيف يصف روح مواطنيه وكيف يعبر عنه تعبيراً صادقاً . وقد تجلت هذه القوة خاصة في كتابه « أقاصيص حامل الراية » Les récits de l'enseigne Stål

كان الشعر أروع ما في أدب هذا الكاتب ، وله مكانة يعدها النقاد الأسوجيون والفنلنديون من خير ما ظهر في هذين البلدين ، وهم يرون أن أسمى شعره ما جمعه في كتابه الذي ذكرناه « أقاصيص حامل الراية » ، وهو في جزأين ، ظهر الأول منها سنة ١٨٤٨ ، والثاني سنة ١٨٦٠

تتألف هاتان المجموعتان الشعريتان من أقاصيص رواها على لسان جندي قديم اشترك في الحرب التي اضطرت أسوج في نهايتها إلى التنازل عن فنلندا لروسيا ، فوصف معاركها وقص أنباءها ، وسجل أخبارها . وقد كان من الجرأة عند الشاعر أن يجعل الهزيمة موضوعاً لملحمة وطنية حرباً تحفل بالانكسار والخذلان ؛ ولكن التاريخ كان قد سجل للشاعر فترات الأحداث التي وصف فيها البطولة ، وجعلها مستقرة الانتصار وجعلها بطولة رائعة .

قائد الجيش الأعلى أولئك الذين يعتبرهم أولياء شقاء الأمة ووطنهم ، ومن هؤلاء آخر حسن « ... » الجيش الذي غير ... يتولى أعمال الجنود المشهورين ببسالتهم ويسوم على الأعداء ... للشعب فاشتعلوا شرف الجندية ولكنهم لم يستطيعوا أن يحاربوا وينتصروا

وقد جعل « رونبرج » في شعره على قائد الجيش وقسم حياته ، ودعا الله فيه « ليتنقل ذكر أسرته وسلالته حتى لا يحملوا وزر جريمته ، ليحمل وحده عاره ، لأنه وحده جدير بالازدراء ... ليس له في وطنه أصل ولا سلالة ، ليس له ولد ولا والد »

على أن شجاعة الجنود المقاتلين كانت كافية لتعزي الشاعر عن هذه الحماسية التي تغنى فيها ببسالة مواطنيه . وقد قص في شعر رائع أخبار المعارك الصغيرة التي ضرب بها بطولتهم والتي تمكن فيها من التغلب على جيش المهاجم مرة ومرة منتصراً . ووصف الشاعر عدة أعمال البطولة الفردية التي يجب فيها الرجال التي تتجلى بها روح الشعب الفنلندي

ووصف الشاعر الجيش ، وتحدث في أكثر من أقصوصة عن العلاقات الوثيقة التي استحكمت بين صغار الضباط والجنود وقد أخذ كل الإجادة ووصل إلى أسمى الفن عندما تناول وصف جندي من طبقة الفلاحين ، هو « سفن دوفا Sven Dufva » الذي كان يظنه رفاقه معتوهاً ، ولكنه استطاع منفرداً أن يدافع عن أحد الجسور وأن يدفع عنه العدو حتى جاءت نجدة مكنت من رده

ووصف « مونتر Munter » الجندي الباسل الذي كانت شجاعته تمتزج من الحنان بشيء في كثير من المداعبة والتواضع وقد سقط صريعاً في ساحة القتال بالتصدي لضربة رفعها أحد جنود الأعداء ، فتلقاها « مونتر » بيده ليردها إليه . وقد رثاه رونبرج في ختام قصته بقوله : « لقد كان مقتدياً »

ويطول بنا الحديث إذا شئنا عرض صور البطولة المختلفة الأشكال والأوضاع التي رسمها الشاعر في هذين المؤلفين ، وقد

كان طبيعياً أن يستهل « رونبرج » الشطر الأول منها بتصوير حماسة في حبه وطنه والإشادة بذكره ، ننقل منها بعض شعرها لدلالة منها ، قال :

بلادنا ، بلادنا ، وطننا

رنّ أيها الاسم المحبوب !

لا توجد في بلاد الشمال روابٍ ترتفع نحو السماء

ولا أودية تنخفض ، ولا شواطئ تضربها الأمواج ،

أحب إلى القلوب من بلادنا

من أرض آبائنا

* * *

من يستطيع أن يحصي عدد المعارك

التي خاض غمارها هذا الشعب ؟

عند ما كانت الحرب تستعر في وطنه وواديه ؟

عند ما كان يحل البرد القاسي حاملاً معه الجوع الشديد

من يستطيع أن يحصي الدماء التي أراقها

وأن يصور شدة صبره على احتمال الأهوال

عند هذه « أقاصيص حامل الراية » التي يعتبرها الأسوجيون كأجمل ما كتب شاعرهم . وقد أخذ عليها بعضهم أن يخطئها تحرّ في بعض الأحيان من نصوص التاريخ لم تحدث ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا النقد لا يغض من جهدها لأن « رونبرج » إذا تجاوز حدود التاريخ فإنه لم يتعد الحقيقة فكان صادقاً في الصور التي رسمها والوصف الذي أجراه لنفسية الشعب الفنلندي وأخلاقه ومثله .

البعث [illegible] [illegible] شبوط

# هكذا تكلم هتلر !

[ هذه قصيدة مترجمة عن الإنكليزية ، وهي تنطوي على دعاوى هتلر وأمانيه ، منقولة عن [illegible] ١٩٣٧ ]

---

طيبُ القلبِ ، وديعٌ ! خيرُ الناس ، أراني
فلماذا صار كلُّ الناس [illegible] عني ؟
كلُّ [illegible] لي يصبو ، الناس بل ودّوا لو [illegible]
[illegible] ، ثم أُشيرَ ما أنبتُّ من طيبة قلبي

• • •

[illegible] الألمان ما أو [illegible] من جمعكم وحسبي
[illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible]
كلهم [illegible] [illegible] [illegible] في ثوب [illegible]
كان هذا بعض ما أنبتُّ من طيبة قلبي

• • •

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحب [illegible]
[illegible] [illegible] واسْتَ [illegible] « غوبلز » الخطيب
[illegible] ( [illegible] ) [illegible] [illegible] على « روبنتروب »
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من طيبة قلبي

• • •

أنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من حكم [illegible]
[illegible] ، أزل [illegible] [illegible] الأثم [illegible]
[illegible] ما [illegible] [illegible] أمس من [illegible] [illegible]
كان هذا بعض ما أنبتُّ من طيبة قلبي

• • •

[illegible] [illegible] [illegible] تحت [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من طيبة قلبي

• • •

أسعد [illegible] « [illegible] » [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] منكم [illegible] [illegible]
وعليهم أصبح [illegible] ولا [illegible] [illegible]
كان هذا بعض ما أنبتُّ من طيبة قلبي

• • •

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لاحتلالي
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أحسن [illegible]
وفي ذي اليوم [illegible] [illegible] [illegible] الاحتلال
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من طيبة قلبي

• • •

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] أو [illegible]
[illegible] [illegible] ، كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] من طيبة قلبي

• • •

[illegible] [illegible] « [illegible] » [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحكيم
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من طيبة قلبي

• • •

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وكذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ولئن [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]
فأنا [illegible] ما [illegible] من طيبة قلبي

• • •

[illegible] قلبي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أنا [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] من طيبة قلبي

« [illegible] » ( [illegible] )

---

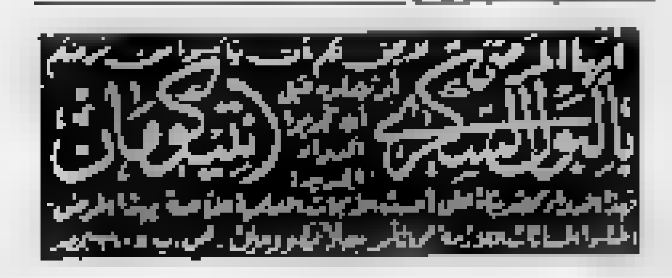

الأدب في سير أعلامه

# بيرون

ذلك العبقري المتمرد الذي غنى أروع
أناشيد الحرية، ولاقى الموت في سبيل حريته

## للأستاذ محمود الخفيف

أرسل جورج بيرون إلى مدرسة صغيرة في أبردين وهو دون الخامسة، ولكن أمه لم تطمئن إلى طريقته فيها فعهدت إلى أستاذين يثقفانه في البيت إلى جانب المدرسة، وقد حبب إليه أحدهم التاريخ وعلى الأخص تاريخ الرومان، فراح يقرأ منه في شغف قصص الأمم اللاتينية، بينما أخذ يوحي إليه سواه التوراة الكلفنية، والطفل يستمع إليه في ذلك مدهشاً متحيراً يتساءل في صمت كيف يقضي الله على قوم قبل مولدهم، وما جريرتهم حتى يشقون وأي فرق بينهم وبين الذين ضرب عليهم السعادة؟ ويستمع الصبي إلى مثل هذا في حديثه مع خادمته ماري، حينما يسألها وهو ظل الأعرج قائلاً: وما ذنب قايين قبل أن يقتل أخاه؟ ويغضب حين تجيبه أنه قدر عليه الشقاء، فيقول في غضب: وكيف يسأل عن جريمته إذاً؟ على أنه طرب لقصة الإنجيل وإن لم يفهم أكثرها ويهز قلبه لما يشبهه عقله الصغير من صور.

والصبي تروى الخيال بصوره حياله كل حين، وما لبث أن يتخيل أباه حياً، وكانت صورة الشيطان التي طالما حدثته عنها أمه تملك عليه حسه في الشك والتسرية، فلطالما رآه في خلوته وحده [illegible] صورة الشيطان حتى تمتلئ الغرفة بالأشباح، وإذا أطل من نافذته وجد القبور القريبة منه ملأى بالشياطين من كل هيئة ومن كل طول، من عفاريت وعمالقة.

ويستمع الصبي أيضاً إلى أحاديث أمه وخادمته عن أجداده لأمه وأجداده لأبيه وكيف جرف الشر أبناءهم فيرد ذلك إلى أنه قد قدر عليهم الشقاء من قبل فكانوا من حزب الشيطان كما كان أبوه من حزب الشيطان، ويخاف الصبي أشد الخوف أن يكون نصيبه من الحياة مثل نصيب هؤلاء، وهو يرى من أثر الشيطان في عرجه ما يرى ثم يرى منه في نفسه ذلك الحرج الذي يرجو أن ينقذه منه جميع السابقة.

ويعرف الصبي في المدرسة بحدة ذكائه مقدار ما يعرف بإهماله وانصرافه عن دروسه، ويجمع منه معلموه عبارات يعجز عنها أكبر من سنه ويدهشهم منه قراءته التاريخية التي لم يبلغ نصيبه منها عشرة من أقرانه مجتمعين، وكان شغفه بالشرق عظيماً فقرأ قصص ألف ليلة وليلة وألم بقدر كبير من تاريخ أمم الشرق، ولم يتخطهم الترك، وكانت أمه على فقرها تبذل جهدها لا تضن عليه بما يطلب من الكتب، فكان بعد ذلك مما أكبر حسناتها إذ كان به لها قدر حسن من حسنات.

وعرفت عن الفتى حساسيته ونفوره من التمويه والأوضاع الزائفة، وعرف كذلك باستعداده للنضال والهجوم إذا استفزه إلى ذلك أحد، عاد إلى منزله ذات يوم يعرج وفي وجهه آثار معركة فأجاب على تساؤل خادمته عن سبب ذلك بأن تلميذاً كان أهانه بحرصه حين وقع عليه في الطريق فأجابه من فوره، وأتم حديثه قائلاً: «وكيف لا أفعل ما توعدته به؟ ألست بيرون النسب؟»

ويشعر الصبي بعلائق تشده إلى مناظر اسكتلنده وروابيها الشاهقة التي تعلو ذرى الثلوج وتسير بجانبها السحائب، وكانت هذه الأجرام الهائلة في صمتها ووحشيتها أكثر ما تفعل

الزهور والرياحين وأشباهها من مناظر الطبيعة الفاتنة الروعة.

ومنذ طفولة الصبي وهو في الثامنة، شهد رأى في إحدى جولاته مع أمه ابنة أحد الفلاحين فأحبها حتى ما يطيق أن يصرفها ولما فارقها على رغمه كان تجيش نفسه وهو في تلك السن عاطفة الوجد والحنين... على أنه ما لبث وهو في التاسعة أن هام بابنة عم له حباً استأثر بقلبه، لم يفكر إلا فيها ولم يرى حسناً يعدل حسنها، وإنه يحس إذا جلسها بما يملأ نفسه من معاني الروعة واللين والعطف حتى ينسى نفسه وحده أمام الفتيات، ولا يرجعه إلا سحرها من عينيه، وكم تمنى أن لم يكن له تلك الساعة التي يحظى فيها أمام أكثر ما يحظى لقاء غيرها من الناس.

وكانت أمه ترى في قرارة نفسها أن ابنها سيكون رجلاً عظيماً في غده ... ولعل ما دفعها إلى ما تنشده الأمومة فيه لأبنائها وأمل نفسها إلى ما أخذه من حماسة ورغبة يأتي بما سيكون له من خطر في غده ... ومما ضاعف ذلك الأمل وقواه أن تحقق جانب من جوانب الفرحة، فقد كان اللورد الخامس في الأسرة وهو شيخ طاعن في السن هو الذي ورث اللقب من بعد أخيه الذي قتل عام ١٧٩٤ ... إلا أن يموت ذلك اللورد الشيخ، وما لبث أن مات ذلك الشيخ بعد ذلك بنحو أربعة أعوام، فانتقل لقب الأسرة الوراثي إلى الطفل وهو في العاشرة وفرحت أمه أشد الفرح ولكن الطفل يتجه إلى المرآة ويسائل أمه عما إذا كانت ترى فيه فرقاً بين يومه وأمسه لأنه لا يرى شيئاً من ذلك.

ولكن هذا اللقب سوف يكون عظيم الأثر في حياة غلام الغد وموقف المجتمع منه، إذ سيكون من أهم ما يولي له من أسباب الإعجاب به وبعد صيته في الأوساط جميعاً.

وتأهبت أمه لتذهب به من أبردين إلى حيث يتسلم ما ورثه مع لقبه الجديد من ثروة، وكان الصبي يومئذ في سن العاشرة؛ ولقد عز عليه أن يغادر أبردين موطنه من ابنة عمه ماري التي أحب وتلك تطل الشجيرات ومن مناظر اسكتلندة، ويحرم ...

حرمت في الأرض من ... حين ... ثلاث يوم حتى أشرف على ... ، فلم يجد ذلك إلا ... على ... 

ورحلت الأم وولدها ... وأحس الصبي ... نفسه من ملاعب طفولته انتزاعاً. ولقد انطبعت في نفسه مناظرها ... وما أعظم ما سيكون لتلك الطفولة في غده من الأثر في شعره وحياته.

وانتهى بهم السير في نيوستد ... في مهد الأسرة النبيل، في ذلك القصر الذي أتلف جدرانه العتيقة السنون الطوال وشد ما أعجب الصبي ... في هيكله وأبهائه ... جديدة ... إلى سالف أعلامه ... وأطل على ... من تلك الصور المعلقة على الجدران... فهذه صورة اللورد الخامس الذي ورث عنه الصبي ما ورث، وتلك صورة أحد أجداده الذي أبلى أحسن البلاء في الحروب الصليبية ومات في الأرض المقدسة ... والصبي ... إعجاباً شديداً وإنه ليرى أشد الزهو بأنه اللورد الجديد الذي آل إليه ذلك القصر ... وحب الصبي ... فكأنها ستكون ذكرى له.

على أن ذلك القصر لم يعد يصلح للسكنى بسبب ما أصابه من التخريب ... ذلك اللورد الخامس، ولم يك لدى أم الصبي ما يتطلبه إصلاحه من المال، ولذلك لم تلبث أن تركته وابنها إلى مدينة نوتنجهام ... واختلج في نفس اللورد الصغير الألم لفراق قصره ... الذي أمل أن يحل به ... وقد ... عليه ... ولقد كان عجيباً أن يحب مثل ... وهو في التاسعة ... على ... وهو بعد لم يتجاوز ... عشرة ... إلى أن مثل هذه العاطفة ... في مجال الفن؛ ويروى عن ... أحد شعراء ... أن قلب الصبي يجب ... وهو لا يزال في الخامسة من عمره.

(يتبع) الخفيف

# الأدب في أسبوع

## أسواق الشهادات

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه ... أني بما أنا باكٍ منه محسود
أمسيت أروح مثرٍ خازناً ويداً ... أنا الغني وأموالي المواعيد

هكذا يقول المتنبي في عصره صاحب السلطان الأدبي والسياسي من أهل مصره ، ولا يزال حديثه يعطينا إلى اليوم في البلاد الشرقية والعربية إلا قليلاً تقدم أو كرسي شهادة ومنصب إلى ما كسب أسواق الناس على تناقضه وبعده والتباعد عنه ، ويكون ضياعه الأدب من بين الصناعات أشدها اضطراباً بالحياة ... لا ، بل بالأسواق النفسية التي تقوم عليها أسواق المجتمع الإنساني ، وهي ترى الأديب في شعور مضطرب من روائع الحياة والشهوات والأحقاد ، وهو بين التنقيب إما أن يسقط في هوى من آرائه التي تخرجها عنه الفكرة الأصيلة فيفسد جسدها ، وإما أن يمضي فيها ، فيدوس حياته الوحشية ، حتى يطلب ويتقاضى حكم العصر النبيل والموهبة السامية . فكم أكره على نفسه من الحرمان والألم والعسرة والوحشة ... ثم في الصراع الذي لا راحة فيه ولا هوادة بين نفسه والرغبات السخيفة ، وبين رغباته النفسية للتوجه المختلفة . وكان أحق الناس بالتنافس ومطاولة التراث في هذه حروب للوقفات الأمجاد ، فالأديب في أمته ترجمة النفس وكيح من جماحها ، وموفق في حياتها ؛ فإذا اغتيل الأديب تشرد الوحوش الرابضة في النفس من الطباع والغرائز ، وخرج عن أمته وعكست النظرة معانيها ، وصارت أصوات الأمة تتكلم في معانيها عن البغي والظلم والعدوان والهمجية والاستبداد ، وتكسف كل معاني الحرية والعدل والإنصاف والتمييز بين الخبيث والطيب ، وهي أصول النظرة الأدبية الصافية .

إن الأديب نظر يقتضي تحرراً وتحرراً كما اقتضت روح حضارة المجتمع من وراء الرسم الأخلاقي للمرعة بالنفاق ، والتي ألبست منها أسماء عصرية للمحنة الباطلة الجوفاء ، وهو أشد انقباضاً وانقطاعاً حين يرى بمصره إلى الأدب والعلم وما للناس فيه من دعوى الأدب والعلماء أولاً ، ومنهم أولاً حسب أحكامهم العامة والغرور والتزيين موقفاً أكبر الأنصار في الأرض بين يدي فتنتهم قد أخضعوا عبقرياتهم الأدبية للتوجه إلى بعض الرأي ، حين زاحم الشعر بعض أهل الفن وأعلام والسياسة ؛ وأقامهم الشهرة الكاذبة أعلاماً يتولى أسباب الأغراض ، وتحط بها الوسائل المتخذة عليها المتكلمون في صدور العلم والأدب ، وعليهم والمعتدين عليهم وكذلك لا يستطيع أديب أو عالم أو فيلسوف أن يختار إلا بإجازة من أبنيهم وأحكامهم ، وإلا أن يشهدوا له بشهادة التقدير ، وأن يصبروا له الشعر في «السيرة» السوق الأولى التي أقامهم المنظرون فيه حكاماً ومقومين .

إن الشهرة والشهادة هما شيئان لا قيمة لهما في العلم والأدب ، فبناء العلم على عماد الصبر والسهر والنظر والأقوم الصبر ، وبناء الأدب على صدق الإحساس ودقة الإدراك وسمو العاطفة وسمو الخلق ونزاهة الضمير والأداء . فإذا لم تكن الشهرة من هذا مستمدة ومنه تتفرع ، فإنها لا تعنى على صاحبها إلا بعض الأباطيل التي تعشو في عيون الأمم الضعيفة والأجيال الناشئة والأوهام والتهاويل . والشهادة ما هي إلا إجازة الدولة لأحد من الناس أنه قد فرغ من طلب العلم والأدب على الصورة التي تحدد بها مدارس و ساعات في أنواع منها من الكلام ، وأنه قد حصل في ورقة الامتحان ما فرض عليه تحصيله بالذاكرة ، ثم دفع الشهادة يحاسبني معرفة ما وراء هذا التحصيل وما بعده وما يصير إليه من الإهمال أو النسيان أو المسخ أو الفساد ، حين يخلو أحدهم الحامل لشهادة محدداً في وجه الجماعة فتكون الشهادة سلطانها المذكور — أو هكذا يجب أن يكون — ولا يبقى سلطان إلا الحق ، وأي شيء هو من العلم أو الأدب أو العبث ؟ وهل أصاب أو أخطأ ؟ وهل أجاد أو أساء ؟ وهكذا صار لا ينظر إليه إلا مسؤولاً منقلاً من «مكتب» التعليم والمسمى والماجستير والدكتوراه — وما إليها ، وبذلك ، فأول ألا ينظر إليه من جهة أنه لم يكن سبيلاً إلى التحكم في أسواق العلم والأدب إلا الشهادات للمعتنين ، والشهرة القائمة على حين فترة وسبب واختلاط ، وحتى كان في الأمة حين كان أقل العلم وأخف الأدب يعطي صاحبهما درجات من التقدير والإجلال والكرامة .

إن هذه العصر التي تقوم على استبداد العلم والعلماء والأدب

والأدباء بصيرة واعية يجب أن تقي مخاصمهم وأن تنقل أصواتها ، ويجب أن يحضر الأدباء والعلماء المشتغلون قليلاً من أعلال الضروريات المضحكة ليحاربوا بين هذه الحصون القبل والسمو والترفع. وليهيكلوا تلك الأسطر الحربية الرتيبة الصفة على بيوت الأوطان الخاطئة التي تستعبد الأحرار لاستغلال سراعه الضرورة وحاجة والعسر ؛ بس

ويبقى للكاتب هذا الباب الجديد في « الرسالة » أن يرجع القرعة عن القمر الآن ، ويعود إليه التصوير والبيان بما يحتمل

**معهد الصحراء ... عن الحكم**

كتب صديقي « إسماعيل مظهر » في مقتطف يناير سنة ١٩٤٠ – كلمة سوية بعنوان « حق حسين » ، يعني الصحراء و عشقي المسيات ، وهو معهد الصحراء القائم على مشارف الصحراء المترامية ، في « مصر الجديدة » ، وقد شيده « الأسد المصري » الملك فؤاد رحمه الله ، عيد من ملكه حافلة ، يكون مأوى للعلماء الذين يدرسون طباع الصحراء ومعادنها وجوها ، ولكنه لم يتم بناؤه لما عرض من مرض الملك العالم ثم وفاته على شدة الحاجة إلى أجزائه وأعلامه وغيرته ، وإنعاش هذا الحرم بالبصيرة والملكة وأثره .

وكتب كاتب هذه الخطة « إسماعيل » يعني الرياضة ، يهوونه إلى البيداء للتمرة العاشقة بأجزائها الحارة ، وهو « تقلبوه » في جوفها مرى بنا أن جئنا إلى ماله خامخ قد أتى على وجه من الأرض كأنها يتحسس الرحمة ، ومع ذلك فما كاد حدث الحكم بهذا الأعجم الصموت ، وهو يتحسس بأنامه من كل الرحمة والأسر والنسل وعرب ، وأنشد « إسماعيل » عن الرمي وقصد وأبيت « ابن رشد » منزلاً

أما من الشعراء و المثلي
أمسى كسمع الموتى ، منصب
أمسى وخلا من الأحوال

وكان هذا البناء المسكين قطعة من حلم الملك الكبير رحمه الله ولقد حسب أنه قد أحاطه بما يزيد على عشرة أفدنة يقوم عليه ، وأن يعمرها ، وليؤدي أمره إلى عمران مصر ليعود حقلاً من المروج والكشف والاستنباط

هذا ، وقد خرج « إسماعيل » إلى خليفة « فؤاد » في ملكه وعلمه وعزيمه وبصيرته ، إلى « الفاروق » صاحب مصر الأعلى وحبيبه ومقدمها إلى الخير ، أن يتم ما بدأ الملك الأول من البناء ،

وأن يعيد ذلك الزاهر تاريخ العرب [illegible] بالمأمون الذي أنشأ « بيت الحكمة » وجمعه [illegible] من العلماء الذين اشتهروا بنقل حكمة « يونان » إلى اللسان العربي [illegible] لم ملكاً أن يساويه في المشهور إلا عظمة المأمون [illegible]

« ومعهد الصحراء – يا مولاي – عظم شيء الأرجاء [illegible] الملك العظيم الذي فكر في إنشائه ، فهل نطمع في أن يضم إليه جماعة علماء مصريين يهبون جهودهم على ترجمة علوم أوربا إلى اللغة العربية ؟ وفي مصر – يا مولاي – علماء انقطع النيسان عن العمل ومنعهم التحفظ من السؤال ، وعز عليهم أن يبيع العمر باستجداء العطف. أطمع – يا مولاي – أن تفيض عليهم من عطفك الواسع ما يسد حاجتهم من حطام الدنيا ، ويكونوا نواة بيت الحكمة في عهدك ، فيتركوا للأجيال القادمة آثاراً لا يعرفها من حيث الأثر في العالم العربي إلا عظمتك ، ولا يجوزها في الخلافة إلا جلالتك ؟ »

وكل أديب وعالم ومفكر في العالم العربي يضم صوته إلى صوت « إسماعيل » في هذه الصرخة النبيلة إلى « وارث ملك مصر وعهد العرب » ، ويسمعون في قلبه أن « الفاروق » سيحيي العلم والأدب بحربة مسكية ترفع عنه الظلم والاستبداد ، ويحرر العلماء والأدباء من مقارعة الأدعياء المتسللين بمنهل العلم ومطلوب الأدب ، عما أطاقوه وحملوه ، ويسهل الرحلة إلى أوربا شيع حين ، ويرفع عنهم العاشرة والمفاتنة لا بالعرض والكثرة – بعض ما يجده أصحاب النفس والعلم والأدب من لومهم لسوء الضرورة والعجز عن حمل الذي سادوا إليه ، وهم العلم والأدب أقوم ، وعليه أحرص ، وعلى المسير إليه أشد انبعاثاً

**الشباب والسياسة**

في يوم الخميس الماضي ( ٤ يناير سنة ١٩٤٠ ) ألقى معالي الدكتور ... محاضرة عظيمة القدر عرض فيها معنى « السياسة » ومعنى « الشعب » في المساحة في أصولها وفروعها ، ودافع عن حرية الشعب في أن يهتم « بالعمل العام » حتى يحمل في وقت من الأوقات مسؤولية الحكم في البلاد ، وهذا هو تعريف السياسة عنده ، وبذلك يخرج بها من النزاع الحزبي الذي شهدته السياسة المصرية خاصة ، على وجه من التنابذ والتعدي والتعصب والاعتداء على حرية الفرد وحرية الجماعة . فإذا أخرج هذا التعريف من معنى السياسة أوجب العقل أن يكون مكلفاً أحد الناس في أن يشارك أصحاب الرأي في آرائهم ، بل إن الشعور بالحرية

الشعب ، ويجب عليه أن يشارك بالرأي وأن يضحي في سبيل الهناء الوطني العام الذي لا تقوم الدولة إلا على مساهمته في أعمال الأمم والأخذ بنصيبه منها في العصر الحاضر [illegible] كانوا لا يرضون مطلقاً بالحق (المصري القديم) السياسة ، وعصروا من الفرص التي رمت إليه الحاضرة ما يعجز عن التحصيل بين ما كان وما يجب أن يكون عليه معنى السياسة ! وكيف يشارك الشعب فيها بالرأي والعمل والسياسة – كما قال [illegible] في موقفه – لا يمكن أن يكون عملاً خالصاً عرضاً ، لأن الإيمان بحقيقة ما يختص بالشخصية وسبيل الدفاع عنها ، فإذا كانت السياسة عملاً قومياً يراد به المصلحة العامة وعمل الوطن ، فهي أمر يستحق كل تضحية ، وما [illegible] السياسة إلى الحد الذي تنتهي به في مصر من [illegible] على مطامع [illegible]

ونحن نعتقد أن الإيمان أمر لا يعرف معنى هذا السؤال القديم : هل يجب أن يشتغل الشباب بالسياسة أو لا يجب ؟ فهو سؤال عليه [illegible] الدين والعبودية ! إن كل أحد في مصر وغيرها من بلاد العالم – شيخاً أو شيخاً عنياً أو فقيراً – عليه دين للأرض التي [illegible] وثروته [illegible] جيلاً بعد جيل ، وأداء هذا الدين لا يكون إلا عملاً في حفظها وسياستها والمدافعة عنها بالسلاح والعلم والعمل والفكر والنفس [illegible] أحد شيء من ذلك فإن [illegible] الدين وأسقط مروءته .

وكيف يمكن أن يمتنع الشباب أو الطالب من الاشتغال بالسياسة ؟ أيمتنع عن قراءة الصحف والكتب لئلا يعرض له التفكير في ذلك والتمييز بين صوابه وخطئه والعمل على بيان مواضع الخطأ ومحاربة الضرر على الاستمرار ؟ أم يقرأ أخبار الأمم وأحداثها مليا أقبل على أمر يلائمه طوى الصحيفة واستحضر ؟ أم يقرأ ويقرأ ولا يكون إلا كالقراءة ، يمر عليها ما يمر ليحفظ ويمحى من [illegible] الفكر الذي يطلب منه في آخرها ؟ أم يقرأ ويفكر ، ثم يحبس آراءه بين جدران الجمجمة إلى أن يجيء بها الأجل ! وكذلك [illegible] النفس [illegible] كل ، لأن الإيمان والصبر بأمرين هما جلاء النفس وصقلها لا تنفى أبداً متفرقة .

إن الشباب [illegible] الفكر في السياسة ، وبصر [illegible] الحق [illegible] العلم والأمر [illegible] ولكن لا [illegible] في [illegible] على [illegible] والسياسة [illegible] الشعب [illegible] الوطن ، [illegible] للمستقبل

## المرأة والرجل

لشد ما اعتزت المرأة في هذا العصر [illegible] أنفسها من الزينة والفطرة والجمال والفتنة ، وجعلت [illegible] من الشعر والحب والعيش والإغراء ... لم يبق لها [illegible] إلا أن يحول أو يعبر [illegible] وقد أثار « وزارة الشؤون الاجتماعية » [illegible] بين الأستاذ « محمد فريد أبو حديد » والسيدة « [illegible] » وكان موضوعها [illegible] « الأسرة » والظاهر أن السيدة الكريمة قد اعتقدت في ظلها معنى « حرية المرأة » الأمر لو انتصب [illegible] الرجل شخصاً مستقلاً حتى يحيل لنفسها أن [illegible] في كل قيود الحق ، فهو [illegible] لا يجوز في نفسه ، وهو معنى [illegible] في [illegible] ، وهو [illegible] على [illegible] المرأة لا [illegible] ولا [illegible] بالأشياء ، وهو [illegible] الأخطاء [illegible] المرأة [illegible]

وأنا لا أريد الآن أن أدافع عن الرجل ، ولكني أريد أن أسأل السيدة الكريمة ومن [illegible] من النساء [illegible] كانت [illegible] الرجل في أمسكن ، [illegible] مبلغ الاجتماع في بيوت النساء [illegible] الأم والزوجة ، والفتاة الجامعة [illegible] ؛ [illegible] إليه [illegible] بأن [illegible] المرأة [illegible] والفتاة إلى [illegible] مساحة [illegible] الرجل [illegible] أجنبي والمبتغي ؟

كلا ، [illegible] ، إن المرأة هي [illegible] أكثر [illegible] لم [illegible] وهي كل الأمة إلا أن [illegible] الأمومة في [illegible] ، فهي [illegible] مثال الإيثار والتضحية .

وهي صاحبة الفضائل كلها إذا أبرزت أمومتها وإحساسها بالعاطفة [illegible] الإنسان ؛ وأما غير ذلك ، فهي المرأة [illegible] وواجب [illegible] الرجل و[illegible] وليس للمرأة [illegible] على أن [illegible] الرجل في [illegible] ، وذلك [illegible] أن يكون [illegible] ، [illegible] إليه [illegible] ، [illegible] – كيفما – [illegible] من القوة [illegible] في [illegible] والإخلاص ، ومن [illegible] الأحرار [illegible] القلب الجميل [illegible] من جميع نواحيه

## أبو العباس السفاح

[illegible] كلمة هذا الأسبوع [illegible] لقب السفاح أبي العباس عبد الله بن محمد أمير المؤمنين ، فلم [illegible] ذلك إلى العدد القادم

محمود محمد شاكر

دراسات في الفن

# هشت . . . !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

هشت !

— ... ما لك الليلة هكذا أنك عند تناديني به في الشارع ؟

وماذا أيضاً في هذا النداء يغضبك ؟ إنه النداء الذي كان لا بد أن تليه ... وقد بعثه

— ومن أين جاءك هذا الآن كله ؟ هل جاءك أني نسيت اسمي ؟ « هشت » ؟ أليس لي اسم تناديني به ؟

— ومن أين جاءك هذا الاسم ؟

سماني به أبي ... عفا الله عنك أيها الغافل .. ألست تعرف أن لي اسماً !

— أعرف أنهم يطلقون عليك نعتاً يعرفونك به بين سائر الناس ، وأعرف أيضاً أنك رضيت بهذا الاسم وسكت عنه ولم تعارض فيه ؛ ولكنني لا أذكر أنك أخذت رأيي في هذا الاسم وفي مدى صلاحيته لك ، وفي قيمة الإشارات التي أنتجته ، وفي تحديد ما كان من هذه الإشارات طبيعياً ، وما كان منها مصطنعاً متكلفاً ...

— يا ويح نفسي ! وأتريد أن نعقد المفاوضات في هذا كله ، ثم نصر على هذا كله قبل أن تناديني باسمي ؟ من يدريك أننا قد نقضي العمر في هذه المناقشات قبل أن نتفق على اسم كل منا ، فإذا فرغنا من هذا كنا قد أفرغنا قوانا فيه فلا نستطيع بعد ذلك أن نتحدث في موضوع ما ، فإذا اجتمعنا بعد هذا قلت لك وأنا ألف من مذاهب اسمي واسمك : تشرفنا يا من الله أعلم باسمك ، فتقول لي : « تشرفنا » ، ومن يدري فلعلك تسألني « ومن أين جاءك أننا تشرفنا » ؟

— هو هذا . فالاسم إذا لم يكن تعبيراً صادقاً عن الشخص كان اسماً كاذباً ، وقد اعتاد الناس أن يسموا أبناءهم عند ولادتهم وهم لا يعرفون من أمرهم شيئاً ولا من صفاتهم شيئاً فيسمون « صبياً » من قدر الله له أن يكون « دميماً » ، ويسمون « موسى » من قدر الله أن يكون « كافراً » ... ويسمون ما يشاءون ، وفي هذا ما فيه ، وهذا ما تعنيه ... وقد لا تصح ولكن يمكن للأسماء حينما أن تتفق مع صفات الطاهرة ، ولذا فيجمل بالناس ألا يسموا أبناءهم ، وإنما يرجئوا حتى يتضح لكل فرد صفته البارزة في الحياة فيختاروا منها ويستخلصوا منها الوصف الذي غلب عليه فيسمونه به ... هذا هو ما كان يجب أن يحدث ولكن الناس متعجلون ، وقد رأوا أن الله وهب لهم نعمة النطق فاستعملوه بغير وعي ولا عقل ، وأخذوا منها غرورهم ، وراحوا يخترعون الألفاظ والتراكيب ليقضوا بها حاجاتهم العاجلة ، وزعموا أن الشعر الذي هو لغة النفس قد جاء من الله ... أو هم قد حسبوا أن أمر اللغة هذا موكول لهم تركوا يتصرفون فيه ، ولم يلجموه إلا بأوهامهم ، وإذا الاسم كان في البدء صحيحاً ، ويكتب أصحاب مهلهل ركيك ويتعصب فأسمعوا يرددون ما لا يصلح أن يكون موضع إفادة أو متعة لسامعيه ، فعادوا منذ ذلك يعلكون الكلام ، حتى تفرقوا شعوباً ... ، فتعددت الألسن وأصبح لكل شعب لسان ، وما في هذه الألسنة جميعاً من كلام ما أنزل الله به من سلطان

يخيل إلي أنك كنت تفضل أن يكون الإنسان حيواناً صامتاً

— بل كنت أفضل أن يتكلم الناس كلهم لغة واحدة فقد خلقهم الله ناطقين وليس عليهم إلا أن يتحدثوا بما أراد الله لهم أن يتحدثوه فطرة وطبعاً

— ولماذا لا تنحو إلى الاسبرانتو — ما دمت تريد أن يتكلم الناس جميعاً لغة واحدة

— الاسبرانتو لا يمكن أن يتعلمها الناس إلا جالسين في المدارس ، أما اللغة التي أطلب فلغة ينطق بها الناس أينما كانوا من تلقاء أنفسهم بلا تعلم ، ويفهمها الناس أينما كانوا من أنفسهم بلا تعلم أيضاً

— وهل هذا ممكن ؟ أو أنت لم تجد برهانك إلا أن تسرف إلى المستحيل ؟

— إن الذي أطلبه ممكن وممكن ؛ بل إنه أكثر إمكاناً من الممكن ، فهو كان وحدث

— في أي عالم كان هذا وحدث ؟ في أي دنيا وفي أي أرض ؟

— في أرضنا ودنيانا هذه ، ولكن ليس في عالم البشر ، وإنما هو في عالم الطير ، وفي عالم القرائن ، وفي عالم القطط ، وفي عالم الكلاب — في هؤلاء القائلين وفي غيرهم . جئت قطاً من أمريكا، وجئت قطاً من أفريقيا ، وجئت قطاً من أوربا، وجئت قطاً من حيث شئت ، وأجمعها في صعيد وانظر بها وأسمعها وفي غوه ونغوه ، ثم لم تقول لي بعد ذلك أقرب أن تتفاهم أم لم ترى ؟ أما أنا فأقول لك إن كلا منها يفهم صاحبه ، ويعرف ما الذي يريد وما الذي يرمي إليه .

إن كل قط يراقب حركات صاحبه فيعرف منها الذي يريده من القط من صاحبه ويرى أنهما لا يزالان يتفاهمان .

— بأي شيء يتفاهمان ؟

— بلغة القطط .

— وهل للقطط لغة ؟ ألم تسمع قطاً يموء حين تموء ، فلا يظن أن مثله قطاً يمكن أن ينال من المنطقة التي هو فيها إلا ما أراد !

— إن لغة من أنها لغة كاملة، والقطط في لغاتها الطبيعية تقضي حاجاتها جميعها بها ، وهي على هذا الفقر والضعف الذي تراه تحتفظ بمكانه لا تنسى بها بين لغات الأرض ، فالنسبة بينها وبين اللغة الصينية كالنسبة ما بين ١ : ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ وهو أقصى إحصاء لألفاظ اللغة الصينية وهذه نسبة قد تكون غير ذلك ولكن التأمل من غير شك فليس عجباً أن يكون شعب من الشعوب حيناً مثل الشعب الصيني ، ولا تشاهد الشبه بين لغته ولغة القطط أكثر من هذا الشبه الطبيعي . والقطط التي أنظر بها أنا إلى الشعب الصيني هي نظرة إجلال وإكبار، فأنا مؤمن بأنه شعب مرهف القداسة والطهر والإيمان بالنفس إلى درجة تجعل الطبيعة المتطورة للرقية إلى حب الله ، وهذا هو السبب في أن اللغة الصينية لا تزال قليلة الكلمات إلى جانب غيرها من اللغات فإن أهلها لا يحبون الثرثرة ويستغرقون في التأمل طويلاً ، ويصمتون عن أنفسهم ، ولا يتكلمون إلا في الضروري من الحاجات ، وضروراتهم القليلة قليلة إلى جانب ضرورات غيرهم الكثيرة العاجلة

— هذا وإنه ليدل على أن الميل إلى الصمت والاستغراق في التأمل هو السبب في قلة الألفاظ عند الصينيين فلا أظن أني أستطيع موافقتك على أن التأمل هو السبب في قلة الألفاظ عند الحيوان

— لماذا لا يكون هذا هو السبب ... أتنكرين على الحيوان أنه يتأمل وأنه يتفكر ؟ من العسف الشديد أن تقول هذا ، فالحيوان يتأمل ويتفكر ، ولعلو عليه ما يرى في الحق بعد أن طرائقه في الأمل ، وقد أحس بعض الشعراء والأدباء والفنانين الصادقين هذه المعاني فناجوا الحيوان ، فكان منهم المحبين الفانين أصحاب خيال ! طيب ، وما رأيك في سيدنا سليمان الذي كان يكلم الطير والنملة ، أفكان هذا نبياً وكان هذا من معجزاته ؟ طيب ، وما رأيك في مشروب شركات السحب الذي يصنع من ... وغيره من الشحوم والحيوانات الثقيل ؟ أليس هؤلاء ممن يتفاهمون مع الحيوانات ؟ إن التفاهم مع الحيوانات ممكن ، ولكن الطبيعة لغته ، ولكن من المفارقات ما لا يعطى إلا بما توجبه الطبيعة من الكلمات والألفاظ ، ولكن منها ما يعرف ، ومنها ما ... ويمنع في من الإنسان لو كان قد صبر حتى سلمه الطبيعة الكلام لكان قد اهتدى إلى أن القط يناديه بها ويجد فهامه

— اهتدى الحيوان !

هو وما هو أجد ، ألم يتل عليك في قرآنه إن هذا القرآن لو عرض على جبل لاندك ؟

— والقرآن عربي

وهل قلت لك إنه لاتيني أو يوناني ، ولكني سمعت ولقرأته على جبل ونظرت أجندك أم عندكم أسف ! إن الذي هدك الجبل هو القرآن العربي لو تري بالروح والإرادة

— ولكن الحيوان كيف تتحدث عما لا تتحدث بها ألفاظاً

— وهل أنكرت أنا أن هذه الألفاظ عربية !! إنما الذي أنكره هو أننا نطق هذه الألفاظ من أعماقنا .. أعرف لك هذه وأذكرك بأن في القرآن ألفاظاً لم يعرفها العرب قبل القرآن

— تريد السندس والإستبرق وما إلى ذلك ؟

— لا ، هذه من صنع الناس أيضاً ، وإنما أريد « كهيعص » ، و « حم » ، و « يس » ، و « طه » ، و « الر » وما إلى ذلك ، هل تعرفين معاني هذه الألفاظ ؟

لقد اختلفوا فيها أيما اختلاف ، فهل اهتديت أنت إلى معانيها

ليتني أعرف معنى إحداها ، من يعرف « يس » ينسانى الألباب ويدوم الغربة !! هاتين الحيوانين اللتين لا تنهضان على شيء إلا للاطلاع على ما قال البحتري وما قاله موشوري ! عفواً أريد أن أتكلم يا رب ولكن أعرف عن أسلوب ... في حروف متعددة أجدادي بعضها إلى جانب بعض على كتب حيوانا يتكلم ! هل سمعت يوماً حيواناً يقول

« نعم » فتقول « كم » أو تقول « صح » ؟ ولكن الناس يخطئون فماذا يخطئون ؟ وشأن لا يخطئون إلا عند ما يلتفتون إلى أنواعهم ولحسهم منه الصدر أو عند الصدر ؟ أليس ذلك لأن هذه الألفاظ التي تسمعها ليست من الطبيعة في شيء وأنها تنقل ... إليهم ... كذلك ؟

— إن هذا سبب لا يمكنه أن تنقطع باه ...

إلى آخر هذا ، واعلم أيضاً أن كل ... لا يكفي أن ... وكما ... أن ... يحتاج إلى ... ، وهذا الثبات ، وعلماء كثيرون من هؤلاء يفحصون ويدرسون ويلاحظون ويجربون ويفحصون في ... هذا السنين ، وربما القرون ... يتهون إلى تكذيب هذا الكلام وتصحيحه ، ولكن ليس معنى هذا أن أحداً من الناس يستطيع منذ الآن أن ... هذا الكلام ، ... يحتاج إلى تفكير مثلما يحتاج إلى التفكير ... ومن القرآن والأمة ... يحتاج إلى ... على ...

— ... جليل ...

أما ... أن الطبيعة ... الناس ... الأطفال في ... على ... الأب ... وعلى ... الأم ... لا زال الطفل يحتفظ ... أطلقت على « الأب » من أسماء كما لا زال يحتفظ ... وما ... أطلقت على « الأم » من أسماء ... القريبة.

— إن الأطفال ... لأن ... والميم حرفان ... من ... ومن ... أسهل الحروف ... إلى ... والأ... للإنسان

— طيب ، ولماذا لا ... الطفل ... لأمه « ... » ولأبيه « ... » ... هذا ؟ الطبيعة ... في ... تشبه حركة الأشياء ... وإلى ... « ... » ... الأب

— صحيح أو كأنه صحيح ، وكنت تريد أن ... بقرينة . .

— نعم ، إن الأرض في اللغة العربية ... وفي اللغة الإنجليزية ... « الأرث » في اللغة العربية ما ورث ، والإرث في الأ... هو الأرض أو ... للإنسان — واللغة العربية ... كل ... من اللغة الإنجليزية ، وعلماء ... الثقة

بينما ... أن يكون كلمة الأرض ... الناس ... لا يحتف ... أو ... أخرى ... أن يكون ... الكلمة من اللغة الأخرى ... أم الناس ... والتي ... الناس ... والتي لا يمكن أن ... من الشعوب ... من ... من ...

— ولماذا أيضاً ؟ —

— ليس ... أن أصل بك إلى ... الطريق ، بل يكفيني منك أن أشير إليه ، ... إذا شئت ، ... إنسان ...

... إلى ... التي ... أكثر مما ... لنا

— أول ما يجب أن ... من ... ، ... الطبيعة لا ... إلا ... يستطيع الإنسان أن يستمع إلى ... ، وإلا ... على ... ما ... كلامه ... في ... ، ... الأ... و... ... إلى « ... » ... إلى « ... » ... إلى « ... »

... أحمد ...

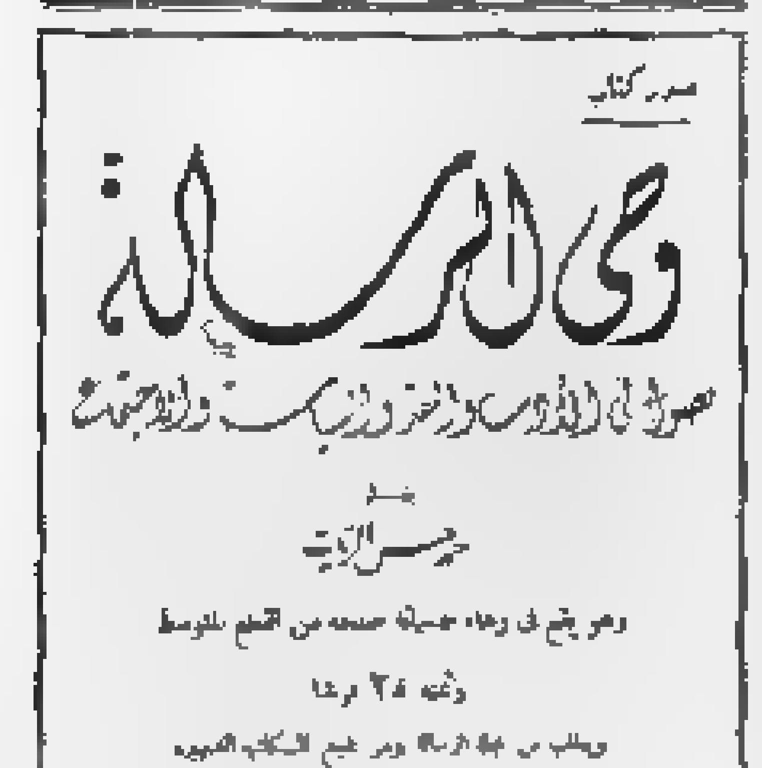

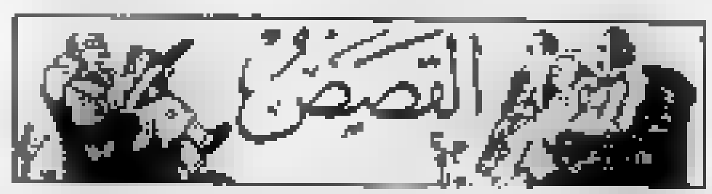


# بعد الأوان ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

---

بعد ... وفي الحب هذا الجمال!

هذا ... وما أعجب مثله فيمن رأيت!

أتراها كانت تعرف أنها من أحلام شبابي الأولى؟

وكان لها من جمالها آنئذٍ جمالٌ إلى جمال، فتجتمع لها أسباب الفتنة والإغراء.

ورآها صديقي فتبدّل غيرَ ما كان، ورأته [illegible] وبكتها — وبكته

وجاءني ذات مساء وفي عينيه دموع ... يا لله! ها أنا أرى صديقي يبكي، هذا الذي كنت أظنه لا يحمل من هم الحب الأمثل ما يحمل [illegible] من رب الأرض! يا عجبا

ونفضتُ له صدري فأوى إليه، ومضى يحدثني بخبره.

* * *

« ... وما بقي أن ألقى بعد اليوم عذابًا — وقد جاوزتُ الخامسة والعشرين! »

واستمعتُ فإذا صديقي يتحدث قبلُ عن الزواج بمثل هذا الوقار الخاشع ... لقد استطاعت امرأة واحدة أن تحمله على رأي لم يكن واحد من أصحابه جميعًا يستطيع أن يحمله على الإيمان به وربما ظللنا نحن وما ظللنا أجيب ...!

ومضى صديقي في حديثه

« وجئت أسعى إلى أن تكون لي، فإذا يحملني أبوها [illegible] كلَّ متاع الحب، لقد وجدت، وفي حسبي من دنياي.

فرجع الرسول من أبيها بإعراضها [illegible] في الطريق، وكم [illegible] بها أمر وحبوي ومكاني بين الناس! فما كان إلا أن سألته: وكم حبها يحمل في كل شهر؟

فرأى الرسول بما أجيب [illegible] ضحك ساخرًا وقال: اثنى عشر جنيهًا [illegible] يعطي الشرق ... ؟

« ويعود إليّ الرسول بجواب ... »

ونظر صديقي وحده، ثم رفع رأسه وشفته تختلج وفي عينيه دمع ... وسمعتُ أنينه، وقلت: أما ضحك صديقي كما قلت؟ إن لك في الحياة مذهب الذي يمشي به أنصار الرجال؛ وإن الحياة موازينها [illegible] أن تكون في ميزانها ما تكون [illegible] إن معك الشباب والقوة، وإن لك فمًا يبتسم ويرضى، وإن دمًا في أعراقك يتحدث به التاريخ؛ فهل تعدمك في كل أولئك أن [illegible] نقول ... ؟

وأمسكتُ عن تمام الحديث؛ فقد رأيت في عيني صاحبي ما قطعني وردّني إلى الصمت.

وعاد إلى حديثه

« ومت يا صاحبي لو لم يكن كل أولئك وكانت هي ... ! »

ورأيت منه على حال لا يجدي معها إلا أن أسكت؛ فسكت! وودعني صاحبي بالوجه الذي لقيني به، ومضى لشأنه.

* * *

يا لقرب الشيطان من سلطان الحب!

ولقيته بعد ذلك مرات؛ ولكنه كان شابًا غير من أعرف، هذا الذي كان لا يعرف من عروض الحياة على شيء إلا أن يبتسم ويضحك، ويعبث بكل شيء، ويسخر من كل شيء؛ قد جاوز عبوسه وزمّته وصرفه نظره إلى الحياة شيئًا آخر. يا عجبًا! أين ما صار مما كان؟

عرّته الحية الفاتنة قد أخذت [illegible] وأرّقت، فما يظفر منه إلا بالنظر الساهر.

وتسمع النكتة البكر تنبعث لها جنبات المجلس بالضحك والتهليل فما تنال منه إلا بسمةً خاطفة!

وكان أمامه الشيخ [illegible] يحرك الحديث من حوله فما تسمع منه إلا [illegible] خافتة!

ويتبارى الشبان فيما يحكون من أقاصيص الحب ومغامرات الشباب فلا ترى في وجهه من دلائل يقظة الوجدان إلا مسحة شاحبة من سحائب الذكرى، ثم تغشاه طرب وغبطة عجيبة!

ثم يسمع أحاديث الزواج والعائلة ... فتراه كما ترى جنديًا في إجازة يتلقى أخبار معركة حربية مظفرة وبينه وبين الميدان أبعاد وأبعاد!

ترى ماذا يتوقع أن يسمع؟

من يدري؟ فقد لم يُغيّر الزمن من أخلاق صاحبي، هو صفاء بعد! فما عرفتُ في أصحابي من قبلُ ومن بعدُ أكرم يداً منه بما يملك!

• • •

وتوالت الأعوام، ولم يتزوج صديقي — ولم تتزوج صاحبته

أتراها كانت تعرف من حبيبها ما أعرف؟ ومن أين لها!... إني لأشعر من الكبرياء ما يمنعه أن يحس إنها الرغبة بسبب ما كان ... وإني لأطلب الرحمن أن يلهمها في بابها ما تعرف كم ردت بالخيبة والخذلان!

أو تراها تعرف اسمه؟ — هذا الفتى لا تذكر من صفاته — إن ذكرت — إلا أنه طالب يبلغ محله في الشهر اثني عشر جنيهاً، بحسب أنها منة يخطب ودّه ... وكم في حضرة المرأة من شبان يبلغ معظمهم ما يبلغ محصّله؟ وحسبه هذا سببًا بين آلاف من التكرار!

ويسكن صديقي اليوم في منصب رفيع ... فقد نما به جده وجهده إلى ما لم يبلغ أحد من نظرائه! أتراه يوازن اليوم بين ماضيه وحاضره؟

• • •

لقد مضى منذ تلك الليلة التي زارني فيها صديقي زهاء خمس عشرة سنة

يا — ! ما أسرع ما تمر السنوات! — أين أنا اليوم مما كنت يومئذ!

لقد كنتُ يومئذ فتى في باكر الشباب، لم يجرحْ الدرس على طموحه بعد؛ وإني اليوم لزوجٌ وأب، وإن في رأسي بعض الشيب، ما إن يغلبها مهلُ الطروش ولا صبغةُ الحلاق!

وصديقي لم يزل عزبًا — صديقي الذي كان العاشق أن يموت على الزواج، منذ خمس عشرة سنة!

أين هو اليوم؟ وأين حاضره من ماضيه؟

لقد ضربت بيني وبينه صروفُ الدهر فلم ألقه منذ أعوام وعدة، ولم أعرف من خبره!

• • •

وخرجت أمس من داري في عجلة ... فإني لفي طريقي إذ لقيته، يا للصدفة!

وأقبلتُ عليه وأقبل عليّ، وهممت أن أسأله حين يحدثني عن حاله: «أمس أدعوك بعد غد إلى داري ... — فتقول؟

— نعم، فقد اتفقنا أن يكون الزفاف بعد غد

— من؟

— وهي صاحبتي الأولى ... أيها القارئ ... فقد ضرب القدر بيننا موعداً لم نخلفه ... إلى ... أوانه

• • •

وكما جلس صديقي في مجلسه ذات مساء، منذ خمس عشرة سنة يحدثني بخبره — كان مجلسه الليلة مني ...

وكان في جبينه بريق غير البريق الذي رأيته في مرتقى اللقاء ... وفي جبينه غضون؛ وكانت ابتسامته ترقص على شفتيه، ولكن شيئًا يكاد يخفى منه ... وسددت نظري إليه، فرأيت في فوديه شعرات سوداء في شعر أبيض، كأنما كانت تشير إلى أنه ما زال هنا بقية من شباب

ومضى صديقي في حديثه

«... ولم يعد إليها رسولي منذ كان ما كان، وما عرفت اسمي ولا جاءها خبر من خبري بعد! وكأنما كان يدّخرها لي

القدر ! ثم تزوج ، ورأيت الخاطب جيباً من بيت [illegible] ، وكان الأولى

« هل علمت يا صديقي أن مرتبي اليوم في الحكومة ثلاثون جنيهاً في الشهر ، غير ما أكسب من أعمال الكتابة !

وبعث إليها رسولاً آخر يؤاصيها للمرة الثانية »

وضحك صديقي ضحكاً [illegible] ، ثم عاد يقول

— أتذكر يا [illegible] جلست إليك أحدثك مثل حديث الليلة ، منذ ... سنة كم ... ؟

« ... وقالت الرسول وقال لها ، ثم سألته : وكم دخل صاحبك في الشهر ؟ فأجابها ... وكان القدر قد هيأ أسبابه ، فأحدثت [illegible] من بعد ، وتم الانفصال . »

قلب صاحبي

ليس عروس في أنك أب [illegible] على [illegible] تلك [illegible] خطيب حبيبة منذ خمس عشرة سنة [illegible]

فقال

« وماذا يضيرني ، عروس أو لم عروس ؟ حسبي أنها اليوم [illegible] وأن ما أردته قد كان »

* * *

ووجد المسكين صبيه رؤياه بعد خمس عشرة سنة من عمر الشباب ؛ ووجدته صبيه أمامها [illegible] رأت المسكينة شديداً وشبابه [illegible] ، حين تأبت عليه ، ومعه حرارة الشباب ونضارة العمر وسعادة الحب [illegible] من بعد [illegible] ، [illegible] آخر [illegible] وحسنة إلى [illegible] !

محمد سعيد العريان

## السيد ستالين الرهيب

[ ملخصة عن مجلة «ليبرتي» الأمريكية ]

كلما صحب الأيام وانقضت الأعوام على حالة روسيا الاشتراكية اليوم ينطبق عليها المثل الذي يقول «تتغير ولكنها لا تتغير» ويقول (هيوبرت رنفرو نكربوكر) في مجلة (نيويورك هيرالد) «كانت روسيا القيصرية في الماضي توصف بأنها دولة يحكمها طائفة من الطغاة» ويصف كاتب بلاد السوفييت في عهدها الحديث فقال: «هي دولة بيروقراطية يأتمر بها رهط من الجلادين». وهذا قول صحيح إلى حد بعيد، إذا أعدنا إلى الذاكرة حملة التطهير الكبرى التي أجريت في روسيا ما بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٨. أما اليوم فقد يكون أقرب إلى الحق والصواب أن نقول إن النظام الحكومي الذي تسير عليه روسيا الآن، هو نوع من الحكم الاستبدادي الشرقي القديم.

فروسيا يحكمها رجل واحد هو «جوزيف ستالين» ينفذ إرادته المطلقة بطريقة لم تسمع القيصرية في جبروتها، بل لم يظفر بها قط. وذلك أن النظام السوفيتي متوغل في حياة الشعب السياسية والاقتصادية، بطريقة لم يسبق لها مثيل في حياة الإنسان.

ومن ثم كان من السهل على «الكرملين» أن يغير اتجاه الشعب في السياسة العالية — ما بين عشية وضحاها — كما حدث في الوقت الأخير إذ أعلن قطع العلاقات الروسية بالأمم الديمقراطية الغربية وربطها بألمانيا. وفي مقدور ستالين أن يحصر كل سلطة في سياسة روسيا الخارجية. ولا يجسر أحد أن يرفع صوتاً ما بمعارضته بحال من الأحوال.

فروسيا وإن كانت تعد من الناحية النظرية أمة ديمقراطية، بيد أن كانت — حربا — تحكم حكما دكتاتوريا بواسطة الشيعة العاملة، فهي في الواقع لم تكن كذلك في عهد ولا ذاك. فقد يكون لينين ورفاقه يرمون إلى عدم دكتاتورية من القبيل، وقد يكون في دستور نظام الديمقراطية الروسية عام ١٩٣٦ شيء من الإخلاص.

إلا أن التجارب التي اكتسبها الاشتراكيون جعلتهم يعتقدون الطلقة ... أقنعتهم بأن الشعب الروسي يجب أن يقاد، ويجب أن يحمى ويقبض عليه بيد من حديد، فأصبح ستالين دكتاتوراً ولكن ... أسلافه من أن يكون دكتاتوراً ... وقد نال ستالين الزعيم بعد لينين ... دكتاتورية ... المطلقة أكثر مما كان لينين. ويرجع ... ستالين ... حبه للنفوذ في العصر الحاضر إلى حبه للزعامة ... الذي لا حد له.

وقد جعل البوليس في روسيا من العسير ملقيين لنفوذ ستالين، فالبوليس الروسي يقوم على نظام لا يجمع مع الأنظمة الأوربية في الإطلاق، وهو يقوم بأعمال واسعة النطاق في التجسس وسلطة المطلقة، وتشجيع السلطة الشيوعية التجسس بين أبناء الشعب حتى أن الجار في روسيا يتجسس على جاره والشخص يشي بأمره وخلفه، وقد وصل تلاعب البوليس إلى حد الإعجاز وصنع بسببها كثير من ضروب ...

فكل إنسان في روسيا اليوم خاضع لستالين، وفي اللحظة التي تقع فيها الشبهة على إنسان يختفي أثره من الوجود.

على أن ستالين لا تعوزه الوسائل التي يستحوذ بها على الرأي العام في روسيا، فهو يملك الصحافة ودور الإذاعة والمسرح والسينما وكل ما عدا ذلك من وسائل التعبير. فإذا أراد أن يطلق كلمة للرأي العام في البلاد كانت في يديه في الصباح ...

فإذا نظرنا إلى ضحايا ستالين من اللصوص، وإلى اليد الحديدية التي اشتد بها على الشعب الروسي أفراداً وجماعات، أيقنا بأن ... «عصر إرهاب الرهيب» لم يكن شيئاً إلى جانب ستالين.

## التعصب الديني من أخطر السموم

[ ملخصة عن «وستمنستر ميل» بيركاسل ]

منذ بضعة قرون خلت خربت أوربا، وخطرتها حروب باسم الدين، وتأرثت جذوة القتال بين البروتستانت وبين الكاثوليك في سبيل السيادة والسلطان، وطغت حروب الأسر التي كان يشعلها الملوك والأمراء، وقد كانت الشعوب تساق فيها كالأغنام، فانصرفت إلى تلك الحروب القائمة على التعصب الديني، وصار كل فريق من جانبه لإيقاع الشر بالآخرين، بدعوى أنه يؤدي واجبه نحو الله، ويضمن أمانه إلى المسيح.

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر، بدأت تظهر فكرة الوطنية، وأخذ التنافس يدب بين الأمم الأوربية في سبيل السيادة

ما وراء البحر ، فزالت فكرة الحروب الدينية ، وحلت محلها حروب أخرى قامت على القومية ، والتنافس في التوسع الاستعماري ، واتساع الشقة بين أمم الشاطئين

ومن مظاهر [illegible] الحرب ، ثم بدأت [illegible] أو سلاحاً بيده [illegible] إلى مذهب آخر [illegible] ومهد للحكومات الوطنية التي تسعى وراء التوسع والسلطان

فما هو الدرس الذي يمكننا أن نستخلص من هذا ؟ الحالة القائمة في أوربا اليوم ؟ إن الكتائب الدينية التي كانت تقع في أوربا في القرن السادس عشر ، والقرن السابع عشر ، أصبح لها مثيل في معاركنا السياسية اليوم [illegible] كالنازية والفاشية والشيوعية والديمقراطية [illegible] المتعصبون لها ، والراغبون في فرض نظامهم السياسي على الأمم الأخرى

نحن نؤمن بالديمقراطية ، بل ونحن على أتم استعداد للدفاع عن مبادئها [illegible] ولكننا لا نرى معنى لفرض هذا النظام على أمة أخرى [illegible] بأن الديمقراطية سوف تكون هي المحور في كل أمة في النهاية ، لأنه خير الأنظمة الحكومية وأليقها ببني الإنسان

فإذا كنا نحارب ألمانيا اليوم ، فنحن لا نحاربها لقسوة الحكومة النازية وظلمها ، فهذا شأن من شئون الألمان ! ولكننا نحاربها لاعتدائها على بولندة وتشيكوسلوفاكيا [illegible] الشعب الألماني إلى هذه البلاد مستقلاً كان من المستحيل أن [illegible] في جد ، وأن [illegible] معنا في تحالف دولي عام

إن التاريخ سوف لا يكشف لنا عن مثل هذه الحقائق ؛ ولكن الشعب إذا أخذ [illegible] قبول هذه الفكرة التي لا بد منها لإقرار السلام في العالم [illegible] على مقدرته ، ولا يقف أمام إرادته ، بل يمشي أثره ، و[illegible] أدراج الرياح

## كيف نصلح أخطاء الزواج

[ ملخصة عن مجلة [illegible] ]

نحن نقبل الزواج في الشدة لأننا نريد أن نشبع في أنفسنا الرغبة في أن نحب وأن نُحب ، وأن نظفر بالرفقة الطيبة ، ونشعر بالمحبة والسلام ، ونحن في أعماقنا جميعاً نعلم كيف [illegible] تلك هي الأسس التي [illegible] في أعماقنا فكرة الزواج وليست الفكرة [illegible] كما [illegible] بعض الناس ، فلو أتيح لنا أن نشبع في أنفسنا هذه الشعور للتآسي وأحاسيس [illegible] ولا [illegible]

إن الناحية الجنسية ضرورية [illegible] ولكني أستطيع أن أقول هنا إنني قد [illegible] أنستني إلى حديث الزوجات والأزواج وهم يعرضون على [illegible] وما يستقر من مفاهيم الزوجية ، حقيقة [illegible] الدواعي [illegible] الناحية أو [illegible] الرابطة ، [illegible] الأمن والسكينة [illegible]

إن الزوج الذي لا يعرف [illegible] في النهار ، جدير بأن يجد زوجة [illegible] في الليل ، والزوج الذي [illegible] زوجته وعينه لا يجد سبيلاً إلى أن [illegible] أو [illegible] آخر ، وليس العلاج في هذه الحالة [illegible] الذي [illegible] إليه [illegible] بعض [illegible] الذي [illegible] إليه [illegible] بينك وبين زوجتك ، ولكن العلاج هو [illegible] الذي [illegible] الأيام [illegible] من الآلام [illegible] وخلاصة القول أننا جديرون في هذه الحالة بأن نصبر الزوج معنا قدر الإمكان مع [illegible] كل من الآخر



## جيوفاني فركا يحدثنا عن الملاريا

عندما [illegible] النيل [illegible] من الحمى والأبيض [illegible] [illegible] الجيوب [illegible] الذي يصعد في الطريق [illegible] النفس [illegible] على الرأس

والآن [illegible] الملاريا [illegible] السكان [illegible] سنة ١٩٦٣ [illegible] الملاريا [illegible] الأمراض [illegible] الملاريا [illegible] السكان [illegible] العلاج [illegible] يوم [illegible] العلاج [illegible]

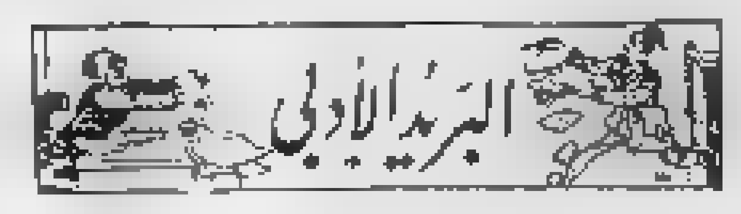


## عودة إلى المسرح

قلت في مقالي السابق في المسرح (٣٣٣) إن الفرقة القومية إذا أصرت على أن تعتاض من الفن السليم الرفيع ... ولا أقول الخالص جداً – فليعمد إلى مشروع ... تنافس به صالات ... هناك منحولة للمرسح ... و «لويس الحادي عشر» من البساطة التامة، ومن حقك أن تتوجس من تعميق خصوصاً من التعدد، فقد حكم ناقد بصير من نقاد المسرح في فرنسا وأحد مؤرخيه لوسيان دوبيك Lucien Dubech ، و «لويس الحادي عشر» من تأليف ك. ديلافني C. Delavigne وهو فرنسي ، ولو في فرنسا ... تلك المسرحية ، وأديت غير مرة يقول دوبيك في مؤلفه الضخم «التاريخ العام المزوق للمسرح» (باريس ١٩٣٣ ج ٥ ص ٤٥ ...) «إن مسرحية لويس الحادي عشر ليست بأحسن من أولئك الكتب الاصطناعية (الرومنطيقية)» ثم بين دوبيك ... المسرحية من جهة حقيقة التاريخ ومن جهة الموضوع ونسج الشاعر.

تلك هي منزلة المسرحية ، وهي من نوع الأمثلة الفرنسية للقصة ... Ficelles أو Bodrame ، أما تأديتها على مسرح الأوبرا ... الأستاذ جورج أبيض ... في الأداء في الفصل الأول والثاني ، لانقلبت المسرحية كلها ... وصيرت إلى ... le burlesque ... وحسبي النظارة ... الفصل الثالث ... أبيض في ... والتحديث ... وأكثر هذا المشهد من حول ... حتى ... أن ... طالب الاقتصاص ... وكأن الأستاذ أبيض ... أن يترك في ذلك الفصل طريقته الأولى ... أن الفرق بين ... 

ومن الإنصاف ... موقف الأستاذ حسين رياض في ... فإنه ... انحلال ... صباح ... كأنه ... أبيض في الثالثة ... باب ...

حوائس كلا ... في ... ليحصل ... المضطرب ... في الأنف ؛ وذلك ... المصباح والزوبعة ... ومن المؤكد أيضاً أن ... كانت متعلقة ... والمعارضة ... من الألف ...

لويس الحادي عشر – أي قبل تأثير الفن الإيطالي Italianisme في ... من القرون الوسطى – يجعل ... بل يطرح المطروح على المقاعد ... عارياً ... ومن المؤكد أيضاً أن المطروح لم يجد من ... القائم في منتصف المنصة ... إلى ... الملك ... على ذلك ... كان يحسن ... أن ... على الملك ، وهكذا يكون الاقتصاص ... ويكون الصراع ، مع ما يليه من تغلب الملك على الأرض ، ... النظارة.

أحب إلى كل حد أن ... من الممثلين لم يحسنوا الإلقاء ولا تنغيم الكلام ... ويحزنني أن أحسبني ... الأنشد ... وحمدي ... والأستاذ ...

بقي أن في الفصل الثالث مشهداً ... وهذا المشهد إلى نوع ... والمزاد في ... في مصر ، ولذلك ... المترجمون ... أنه ... 

وهنا ألتفت إلى الأستاذ جورج ... الذي أخرج منذ ... من ... مسرحيتين ، الأولى «تحت سماء إسبانية» ، وأظن ... في تأديتها ... ؛ والثانية «لويس الحادي عشر» ... الأستاذ ... أن يخرج مسرحيتين ... أنه ... من ... الممتع ... ، إذ إنهما من النوع الذي ... من ... وجمعت كافة ... وهو نوع يعوزه ... التأثير ... وحدوث ... ، فضلاً عن ... والاجتماعية ... ومتى ... ! ... الناس

وكم كنت ... أن أرى الأستاذ جورج ... في ... الأستاذ أبيض ... لويس الحادي عشر ، ... من تلك المسرحية ... إلى إحدى مسرحيتين ... Paul Fort ... الأولى ... «لويس الحادي عشر الرجل ... Louis XI, curieux homme» ... على مسرح «الأوديون» سنة ١٩٢١ ، وأما الثانية ...

الملك لويس الحادي عشر « Les Compères du roi Louis »
وقد مثلت على مسرح «الكوميدي فرانسيز» سنة ١٩٢٦ وهما
مصوغتان بالنثر والشعر فضلاً عن الجدة والروح الشعري

إن الأستاذ مشغول الآن في باريس وأعلم أنها سنة ... وهو
سنة ليتنقل بين جده العلمي وبين جناحيه وهو بالفن الرفيع
أشبه أرباب من يعتنقها : جماعة أو فرقة أو شيعة الفن
الخالص ، الفن الخالص

بشر فارس

## نهج البلاغة أيضاً

إلى الأديب الكبير الأستاذ النشاشيبي

قرأت بمزيد الغبطة فكركم الأدبية على صفحات الرسالة
الغراء حول نسبة « نهج البلاغة » وكنت أود أن أسجل موضوعات
الرسالة الغراء ، فلي أن حضرة الأديب وأعلم الناس عن حجم
هذا البحث ، كما أنس في تلك المسائل وحصومه ، سيكون شافياً
كافياً . ولكن مع الأسف لم يكن كذلك ، لأن الأستاذ
اكتفى بترجيح قول المنكرين بلا ترجيح حيث لم يدعم قوله
بالدليل والبرهان شأن غيره من أهل الرهان وفرسان الأدب
وسماحته . كما أن إحالة المسائل ومناظرته على كتابيه ... له
( كلمة في اللغة العربية ) و ( الإسلام الصحيح ) غير كافية للحكم

ثم إن قول حضرة الأديب « إن نهج البلاغة من كتب إخوان
الإمامية وهو مجموعة مصطنعة إلا ما يجيء سيدنا علي (رضي الله عنه)
فقد اختلف وغيره مما يرون كما زعم عندهم (كل حزب بما لديهم
فرحون) » قول مرسل لا يقنع الخصم ، وكان الأجدر بأعلم الناس
بترجيح هذا البحث المهم أن يريح الخاطر ويشفي الغلة بما لديه من
حجج وبراهين وإن كانت التي أوردها في كتابيه ( كلمة في اللغة
العربية والإسلام الصحيح ) فلئن يكون القراء على بينة من حقيقة
هذه الدعوى وصحة الفتوى التي اضطرتني إلى أن أطلب إلى الأستاذ
العلامة وأتمنى منه تنويري وإرشاد طلاب الأدب وعشاق الحقائق
بإيضاح النقاط التالية

١ — من هم المنكرون الذين جعلوا مجموعة كتاب ( نهج
البلاغة ) مصطنعة ، لأن كلمة المنكرين شكلاً تنص على أن واضعه
هو الشريف الرضي وحده بلا معين ولا شريك

٢ — هل يقصد الأستاذ بكلمة المنكرين الذين يعزون إلى
عليّ نسبة الكتب أم البدأة والتشيع له ؟

٣ — هل عن مجموعة النهج في عصر واحد أم في عصور
مختلفة مع بيان الأسباب والدواعي لوضعها على عهد المصطنعين

٤ — ما قولكم دام فضلكم في آراء الأربعين وجهابذة
الأدب من قدماء ومتأخرين من غير العلويين في صحة نسبة أغلب
النصوص المصطنعة لسيدنا علي كرم الله وجهه

٥ — إرشادنا إلى الخطب التي ثبتت صحة نسبتها لأبي الحسين
عند الأستاذ

٦ — إنا نرجو من حضرة الأديب أن يزيل عنا الإيهام الوارد
في جوابه الذي أجاب به السائل العراقي والتحمس في النقاط
المتقدمة ، وإني من ينصف مجموعة ( نهج البلاغة ) وهو الكتاب
المعظم بعد كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . هذا ما نود من
صميم الفؤاد ألا يعني حضرة الأستاذ بإعطاء الجواب الشافي
عليه ، وبذلك يكون قد أسدى خدمة جليلة جديدة للأدب العربي
الصحيح

( سامراء — عراق ) رجب التكريتي

## في معنى حب واغترام

قال أحمد شوقي في مطلع قصيدته في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم

أم تشتكي عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا

قال الشراح : إن « ليلة » فيه نصب منصوباً على الظرفية ،
لأنه يكون المعنى على ذلك لم تغتمض عيناك في ليلة أرمد ، وهو
الذي يشتكي عينيه من الرمد ، وذلك معنى فاسد ، وإنما هو
منصوب على أنه مصدر مطلق ، والمعنى عليه : ألم تغتمض عيناك
اغتماض ليلة أرمد ، أي اغتماضاً مثل اغتماضه ، فحذف المصدر
المضاف إلى ليلة وأقيمت مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه

وقال صديق العالم العلامة أبو ذر ... في تعليقاته على سيرة
ابن هشام : هذا الذي ذكره الشراح مبني على أن « أرمد » صفة
معناها الذي أصابه الرمد ، والألف فيه ألف إطلاق ، ومعنى
أن مجيئاً من هذا كله أن يكون قوله « أرمدا » فعلاً ماضياً مستنداً

إلى ألف الاثنين التي ضمت إلى قوله «عيناك» ، وعليه يكون ليلة منصوباً على الظرفية … قبل النجوم في الصباح … وصحب الليل من قبل تعب وأرمدت بالأمس ليلة» ويكون قد حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى ضمير الليل المؤنث

وقد يكلف بعضهم أو رجاء هذا الإعراب بناء على تلك اللغة التي ذكرها للصباح ، وعلى أن الفعل المسند إلى ضمير المؤنث المجازي يجوز تجريده من علامة التأنيث في ضرورة الشعر … ولو أن الأمر يقف عند هذا لسهل الخطب ، ولكن المعنى الذي أراده الأعشى لا يتفق مع هذا الإعراب ، وهو معنى متعارف عند الشعراء لا يتفرد به الأعشى وحده ، وقد ورد في قول امرئ القيس بن عابس الكندي

تطاولَ ليلك بالأثمدِ ونام الخليُّ ولم ترقدِ
وباتَ وباتتْ له ليلةٌ كليلة ذي العائر الأرمدِ

فالأعشى يريد هنا المعنى الذي صرح به امرؤ القيس ، وهو ظاهر جداً في إعراب جمهور النحاة ، ولا يريد الأعشى أن عينيه اغتمضتا في ليلة أرمدها ، لأنه لم يكن في موقف الشكوى من هذا ، وإنما كان في موقف العجب الذي يحتاج به التسهيد ، وهذا ما يريده طلابي في القسم العام بالجامع الأزهر عند موسمه من المطول الفتى

عبد المتعال الصعيدي

## في عيد القاهرة الألفي

مما عنيت به الجمعية الجغرافية الملكية — لمناسبة عيد مدينة القاهرة الألفي — إصدار كتابين عن المدينة ، أحدهما باللغة الفرنسية ، وهو يتناول الكلام عنها منذ نشأتها إلى ما قبيل حملة نابليون ، كما رآها الرحالون الأوربيون . وقد اضطلع بتأليفه الأساتذة … وموقعه … ، وأفردوا باباً كبيراً …

ويحصي هذا الكتاب الأخبار الممتعة التي كتبها عن القاهرة كثير من الرحالين الذين زاروها حين كانت أعظم مدن الشرق وأعظمها اتساعاً ، ويتعرض إلى … على وصف معالمها والمراسم التي كانت تجري في استقبال سفراء الدول الأوربية في بلاط السلاطين وحفلاته

أما الكتاب الآخر ، فيتناول موضوع «القاهرة عند الرحالين المشرقيين» ، وسيصدر باللغة العربية ، وقد أعده … الدكتور زكي محمد حسن والنقيب عبد الرحمن زكي ، وهو … الكتاب الأول

وستعرض الجمعية عرضاً كبيراً جسم مدينة القاهرة … بعمله مدة حوالي عشر سنوات … وقد أتمه المختصون في مصلحة التنظيم … على كل مبنى وشارع وبيت في المدينة

وكذلك ستعرض الجمعية مجموعة كبيرة من الصور الجغرافية والمخططات واللوحات والصور التي تمثل مساحة القاهرة وطرقها في مختلف العصور

## إلى الأستاذ الجليل «ع . د»

اطلعت في الجزء (٣٤٠) من الرسالة الغراء على مقالكم القيم «قد لا يكون» ، وفيه سقتم شواهد على صحة توسط «لا» النافية بين «قد» والفعل … إلى ما أسديتم إلى قراء العربية من أياد يشكرونكم عليها

غير أنه لفت نظري نقلكم هذه العبارة عن كلام العكبري التي قد صدقتها — أن … من الثقة … أن مصيره (وقد لا تتم) من ذلك إلى منتهى كلام العكبري

فأنت ترى من أسمى الفاضل أن «قد» في كلام العكبري … «لا تمنع من ذلك» أي أن وجود «قد» في الكلام لا يمنع أن يكون … فليس مما نحن بسبيله ، وتقبلوا عظيم احترامي وإجلالي

عوض السيد الشيخ

## ريال للصائغ منا

في العدد (٣٣٩) من الرسالة الغراء كتب الدكتور زكي مبارك — ولن يكون أخي أحمد فقد عم عليه أسلوبه — مقالته «غربة الأسلوب» … ثم يقرن بين …

وحق الحق أيوب شيخ الصابرين فيقول : « وأين شبيه أيوب في دنيانا من جلستين في دنياي ؟ كان الصبار منهم أيوب يجوع الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا في عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالإفطار يوماً أو يومين . فمن يستطيع على وهمي فاستحق زيادة على عمر ما منح أيوب ! »

وفي العدد (٣٤٠) كتب أستاذنا الزيات أيضاً « على حسب الأعمى يستلزم حسب الترائع » فكان مما قاله فيه « تستطيع أن تقول إن مصر في جانب بلد فتى ، يؤتى أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النصب ، وأهله آمنون من موت الجوع ، لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش . وما أيسر ما يجد قرشين في اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملح » !

هكذا قول الزيات وذلك قول مبارك ، وبينهما التناقض الواضح ، لأن الفقير عند الزيات يمسك روحه بنصف قرش ، فلا يصعب أن يمسك الغنى نوعه بقروش - ولكن لمبارك وهذا شأن المكتفي بيته بالإفطار يجعله في اليوم أو اليومين جهاد عظيم يأبى بعض القراء الساكين من عدن الشوابين ! —

أسرع وقع صداقتي بالدكتور مبارك أن هوى مع أستاذي الزيات ، وبكرى يعلى حيث ملك بكره البقرى ، والصداقة شيء والرأي شيء آخر يا دكتور .

ولقد كان الأستاذ عزيز عيسى الذاهب للدفن البارع موفقاً حين أراد من الدكتور مبارك (مسكوجه) و (روحه) فقال متحيراً مسكناً : « إن الكتاب من الكتاب الذين يشعرون بأن الإنسان يهان إذا اكتفى بالإفطار في اليوم أو اليومين هو من غير شك قد رحمه الله من الحالات إذ لم يكن يتعين الإفطار في اليوم أو في اليومين كان له في موت الكتاب وغير الكتاب من أبناء اليوم الذين يكتفون بالإفطار في الأسبوع أو في الشهر أو في العام . إن هؤلاء هم الأموجيون لا الأمويون يا أستاذ عزيز — »

سامحك الله يا دكتور مبارك وغفر الله لك ! . إنك ألب رحمة وحسرة على كثير من الأدباء في مصر لا يجدون الخبز الأسود إلا بشق الأنفس ، وقد يتكففون القرش - القرش لا الجنيه يا دكتور ! - في اليوم أو اليومين فإذن ألف أسف لك فليدعو الصحفيين من الكتاب والصحفيين الذين تضعهم التقاليد وتتلاعب بهم الأهواء أو الظروف ، ويرمي الصحافة والشردين البؤساء ، أقرب منهم إلى الكتاب والأدباء

إنك سعيد ومحظوظ ومحسود يا دكتور ! لأنك مثبر صابر مياناً لأنك تصوم في اليوم أو اليومين - على الأكثر - مفطراً بالكله . . . يكاد فتى أن يفطر عبادة يوم وأيام ، إذ سبح في بحار النعيم وعطر في فردوس الغنى ، وأنساك الكثير من إخوانك تصرخ أمعاؤهم جوعاً ، وأجسامهم عرى وصمتاً ، وأنت لا ترى ولا تلين ، فتطعم ما يحصل من دنانيرك من قروش وملاليم ! . . ثم لا تكتفي بذلك ، بل تحسب فتظلم وتشكو وتعاني !! . . ويل للشاكي منا يا دكتور !

(قرية الثانية)

أحمد محمد الشرباصي

## إعراب محرر

سيدي الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

في الوسط الأدبي الذي أعيش فيه خلاف على إعراب الجمل الآتية وما في حكمها

يريد أن يعرب الوقت فيحصده

يريد أن يتجمع فيرسب

يريد أن ينهض فيكبو

فهل « الفاء » للعطف فتنصب ما بعدها ؟ إن يكن ذلك فإن الإرادة تنسحب إلى الفعل الثاني ، ومدلوله غير مراد ، فالإعدام والرسوب والكبو غير مقصودة

وإن لم تكن الفاء للعطف فما معناها وما محلها في الجملة ؟

(بيروت)

ع . مصطفى

(الرسالة) لا يجوز في يحصده ويرسب ويكبو إلا الرفع ، والمعتبر في إعراب الفاء هنا أنها عاطفة على الفعل يريد ، والغرض بها الاستئناف وجملة يحصده في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو ، وهذا وجه هذا التركيب في رجز الحطيئة : « الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمه ، يريد أن يعربه فيعجمه » ؛ انظر النحو في حرف الفاء .

## الوهبية المزعومة في شمال أفريقيا

جاء في الرسالة الغراء بعدد ٣٣٦ من مقال الأستاذ أبي الوفا بعنوان (شمال أفريقيا والأستاذ المصري) العبارة التالية «أما الوحدة المذهبية فالمغرب من أعماله لانتساب على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس وليس فيه طوائف دينية كالرافضة والإمامية وغيرها (كذا) من شيعة الفرق الدينية التي توجد كثيراً في بقاع الشرق العربي والإسلامي»

إن مقال الأستاذ يشعر أن الإباضية يعدون من الفرق الإسلامية. والذي يلفت النظر أن مقاله هذا جاء عقب قوله «وليس في المغرب أقليات دينية سوى أقلية ضئيلة من اليهود»

كان الأولى بالأستاذ أن يقول بدل جملة الطوائف الدينية وليس فيه (أي شمال أفريقيا) مذاهب إسلامية أخرى كالمذاهب التي توجد كثيراً ... الخ. أما عن قضيتنا الآن فيصعد الرد على الأستاذ أبي الوفا قوله بعدم وجود إباضية بشمال أفريقيا، لأني أعتقد أن العلامة الأستاذ أبا إسحاق اطفيش نزيل القاهرة الآن، وهو من جلة علماء الإباضية بشمال أفريقيا لن يسكت عن الجواب وإيضاح الحقيقة لمن يتجاهل أو يجهل وجود الإباضية المسلمين بشمال أفريقيا بأكثر مدنه من طرابلس الغرب وتونس والجزائر ووادي ميزاب وغيرها من المدن المشهورة، من أقدم التاريخ حتى الآن وإلى ما شاء الله من الزمن، وجميعهم معتصمة عقائدهم بالعروة الوثقى من الدين الإسلامي الصحيح

أملي أن الجرائد الإسلامية المتآلفة في ... تسطر لإصلاح أغلاط إخوانها فيه. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

والسلام عليكم — أحمد البكري

صاحب جريدة [illegible] - عمان

## القصص المدرسية

أخرج الأساتذة سعيد العريان، وأمين دويدار، ومحمود زهران، حلقة جديدة من سلسلة القصص المدرسية التي يوالون إصدارها منذ سنين، ليسدوا النقص الحادث في أدب الأطفال العربي، وهذه الحلقة الجديدة مجموعة من أربع قصص في ١٦ صفحة اختاروا منها لكبار التلاميذ في المدارس الابتدائية، والأطفال الأصاغر على النهج نفسه لتلاميذ السنة الأولى في المدارس الابتدائية ودروس القصص، ورياض الأطفال

والقصص الأربع مكتوبة بأسلوب سهل عذب، مصوغة صوغاً فنياً جيداً يشوق الطفل ويلذه، ويقدم له النافع في أسلوب رشيق حلو

وثمن القصص الأربع جميعاً عشرة مليمات

فنرجو أن يتسع لأبنائهم المدرسين الابتدائية، ورياض الأطفال بهذه المجموعة الطيبة من القصص المدرسية، وأن يجد مؤلفوها من التشجيع ما يعينهم على الاستمرار في سد هذا الجانب المهمل من أبواب الأدب

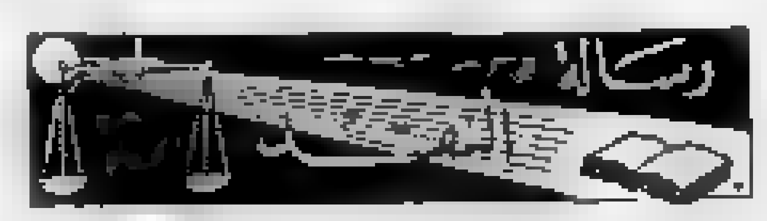


# كتاب «الإمتاع والمؤانسة»

أتحفت إلى القراء من طرفة من أنفس طرائف الأدب القديم مُنذ ظهورها في هذا العصر من خير ما أخرجت المطابع المصرية من كتب الأدب الرفيع ، كما دعت الأعلام إلى نشرها من أحسن ما دعت إلى التفكير فيه طبقة الكاتبين والمترجمين والناشرين ، على كثرة ما وجهت إليه في تفكيرها . وتلك الطرفة النفيسة هي كتاب «الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي» .

وإنك لتقرأ هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، فيملأ نفسك روعة ، قبل أن يروعك أدب مؤلفه الفذّ بما تراه فيه من روائع الحسن في جودة طبعه ، ودقة تصحيحه ، وصدق النظر فيه ، وكمال العناية بكل لفظ من ألفاظه .

وقد قرأت الجزء الأول من هذا الكتاب . وكنت قد اطلعت على عدة مقتطفات من نسخته الأصلية المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهي النسخة الوحيدة الموجودة رغبة في تحقيق بعض البحوث عن مؤلفه أبي حيان التوحيدي ، وإذا بي أرى جميع سطورها مغمورة بالتصحيف والتحريف ، والنقص والزيادة ؛ فلا يهتدي القارئ في ظلمات هذه النسخة إلا بمصباح قوي من الأدب القويم ، والصبر الجميل ، والمران الطويل ، والصبر الذي لا يعرف الضجر .

وقد مشى على تناول الكتاب من هذه الناحية مقالان قرأتهما في مجلة الرسالة للدكتور زكي مبارك ونشر فارس نفاش فيهما كل الثناء عما ظفرت به تحفة من حسن وإحسان وإتقان ، وأمثلا كل الإعجاب بتلك الجهود الظاهرة الملموسة في كل ناحية من نواحيه ، وشغلا بعد كلمات نقيه قد التقطاها في هذا الكتاب ، ناصحين في نصحهما رغبًا لم يوجه الواقع في شيء أن مصححيه الفاضلين قد تأتى تصحيحه أو شرحه ، وفي النص

الأمر مما أتيح لهم تصحيحه أو شرحه شرحًا لا يلائم السياق .

وقبل أن أتحدث إلى القراء عن عملي النقدي أريد أن أبينهما وأسلفهما من اعتقادي أنه لا يجوز أن يشترك الصحف في نقد أي كتاب إلا ما يعلن بقيمته العلمية ومنزلته بين أشباهه من الكتب ، والظروف التي ظهر بها عن غيره من المؤلفات في فنه ، وما كان يفتقد هذا الفن لو أن هذا الكتاب لم ينشر ، والفائدة التي تعود على القارئ من قراءته ، ثم الحديث عن مؤلفه ومنزلته بين أشباهه من علماء هذا الفن ، والباعث له على تأليف هذا الكتاب ؛ وما إلى ذلك من الأمور التي تهم جمهور القراء عامة دون فرد أو أفراد .

أما تلك الأمور التصحيحية التي تظهر من جزئيات الجزئيات والتي لا يعنى بها غير مصحح الكتاب وحده دون غيره من القراء ، فإن نشرها في الصحف ليس من خصيصة النقد الصحيح .

وذلك كأن يذكر الناقد كلة عرفه – في رأيه – بين ملايين من الكلمات الصحيحة ، أو حرفًا سقط منه الإهمال ، أو سهلاً منه الإعجام بين ملايين الحروف التي تُزيّن الكتب وإملاءه ، أو نقطة في موضع شولة ، أو العكس ، أو قوسين وضعا موضع معقوفين ، أو معقوفين وضعا موضع قوسين ، أو ضميرًا كلة قد استظهره مصحح الكتاب ، ثم عدّ الناقد ضميرًا آخر ، فإن أمثال هذه الملاحظات لا تساوي ما ينفق فيها من ورق ومداد . وأيضًا فإنه لا يمكن قراء هذه الملاحظات في الصحف معرفة صوابها من خطئها ، ولا تمييز حقها من باطلها ، إذ لا يمكن ذلك إلا بقراءة الملاحظة ، ثم مطالعة موضعها في الكتاب وأصله معًا حتى يتبين القارئ صواب النقد من خطئه ، ولا يتأتى ذلك لقراء الصحف غالبًا كما هو معروف .

وأولى بهذا الصنف من النقد أن يبعثوا بجميع ملاحظاتهم التي من هذا النوع إلى مصحح الكتاب ليدرسها ثم يستدركها في الطبعة الثانية إن كانت مما يستحق الاستدراك ، كما فعل الأستاذ محمد كرد علي بك في ملاحظاته على الكتاب التي بعث بها جميعها إلى الأستاذ أحمد أمين مقرونة بعبارات الإعجاب والتقدير والشكر ، وقد نشرها الأستاذ أمين

في آخر الجزء الأول من هذا الكتاب مقدِّمةً بالشكر الجزيل والثناء الجليل على صاحب

وبعد، فلنقصر في هذا النقد اطلاعاً ما نرى أنه — على طوله واتساع كاتبه في شرحه وتبرير ما فيه من الاختلاف — يرجع في جملته إلى اختلاف وجهتي النظر بين المصحح والناقد، والتباين في توجيههما، أكثر مما يرجع إلى حقائق علمية أو نصوص ثابتة، ولا يعترض بنظر على نظر ولا بذوق على ذوق

ومن أمثلة ذلك ما أطال به الدكتور بشر في مقاله من ذكر علامات الترقيم وما إلى ذلك مما يسميه أرباب الطباعة بالترقيم وضعت في غير مواضعها من عبارات الكتاب كما زعم، وقد يستغرق منه هذا الأمر قراءة نصف صفحة من مقاله؛ ولم يعلم أن هذا الترقيم إنما يتبع الذوق وحده، ولا يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة إلا في رسم العلامات؛ فربما قرأ عدة عبارات ففهم أن بعضها متصل ببعض، فوضع بينها شولات؛ ثم يقرؤها آخر فيفهم أن يضع بعد الأولى منها نقطة وبعد الأخرى فاصلة منقوطة، وهكذا، وكلا الفهمين صحيح لا يعترض بأحدهما على الآخر

وقلما رأيت مصححاً قرأ نسخة ووضع هذه الفواصل بين عباراتها حسب ذوقه في فهم الكلام، ثم عرضت على آخر بعده فوافقه على ذلك؛ بل لا بد أن يجري قلمه في هذه العلامات بالمحو والإثبات حسب ذوقه هو أيضاً؛ وكذلك لو عرضت هذه الصفحة على ثالث ورابع

وأشهد لقد عجبت للدكتور بشر أنه حمد على ما منحه الله من اتساع الزمن ورحابة الصدر وقوة الصبر وطول البال حتى استطاع أن يحصي ما تسقط هذه العلامات الذاهبة الصغيرة والفواصل من كتاب كبير به الأثر ...

ومن هذه الأمثلة أيضاً ما عده (سياقاً من سياق النص) في عبارة أوردها من كلام المؤلف يخاطب الوزير أبا عبد الله العارض قال (أي التوحيدي): «فقلت: قبلُ كلَّ شيء أريدُ أن أجيب إليه يكون ضرورى» الخ. وقد فهم مصححا الكتاب من هذه العبارة أن التوحيدي يريد من الوزير أن يجيبه إلى كل شيء يريده، ويكون ذلك سبباً لما يلي من الإمتاع والمؤانسة بمجلس التوحيدي. وقد ضبطا تلك العبارة على هذا الوجه تبعاً لما فهماه منها، وهو فهم صحيح لا غبار عليه ولا مطعن فيه

وقد رأى الناقد أن تضبط العبارة هكذا: «فقلت: كلُّ شيء أريد أن أجيب إليه» الخ، على أن أبا حيان يريد من الوزير أن يجيبه إلى شيء واحد قبل إجابته ومؤانسته، وهو فهم صحيح أيضاً مع شيء من التعسف، ولا يُعترَض بفهم على فهم كما قدمنا. وإن عددنا كلا الفهمين وأردنا الترجيح بينهما وجدنا أن الفهم الأول أليق بحال أبي حيان مع الوزير أبي عبد الله كما يتبين ذلك من خطبة كتابه

وأيضاً فلا شك في أن إرادة أبي حيان من الوزير أن يجيبه إلى كل شيء يريده خير من أن يريد منه الإجابة إلى شيء واحد.

ومنها ما عده (عابثاً من أسلوب الكتاب) وما أكثر الأخطاء فيه وأقربها إلى الفهم! وذلك أنه رأى عبارة من عبارات الكتاب ضبطت فيها كلمة: (تُعَدِّدُها) ووجد عبارة أخرى ضبطت فيها كلمة (تُعْدِدُها)

هكذا ضبط المصححان الفاضلان هاتين الكلمتين

وقد رأى حضرة الناقد أن الأصل في ضبط الكلمة الأخيرة (تُعِدُّها) بضم التاء وكسر العين، مستدلاً على ذلك بأن الازدواج الذي التزمه المؤلف في كتابه لا يتم إلا بالتوافق التام بين (تجدها) و(تعدها) في جميع الحركات

ولو تفضل حضرته فتأمل قليلاً يسيراً في قواعد السجع والازدواج في فن البديع، لرأى أنهما يتمان على أكمل وجه وأحسنه بدون هذا التطابق التام في جميع الحركات والحروف، ولرأى أن التزام الدقة في ذلك يعد من لزوم ما لا يلزم في السجع في هاتين الكلمتين، ثم لا عيب فيه ولا في إهمال التطابق في جميع الحركات

على أن المؤلف لم يلتزم في جميع كتابه تلك الدقة في الازدواج والسجع، بل كثيراً ما يكتفي بأدنى أنواع التقارب في الوزن ولم يلتزم شيئاً في الحروف، بل قد يهمل الازدواج والسجع إهمالاً تاماً

ومنها ما عده ... من الغموض والإبهام وقد أورد من ذلك عبارة ذكرها التوحيدي في معرض الحديث عن صيانة النفس والقناعة وصعوبتهما على الإنسان، وشدة احتمالها، والنقمة الشديدة في التعلق بها، فقال ما نصه: «وصيانة النفس حسنة إلا أن كلفة الصبر لها إن لم تكن فيه أطلقُ تجدُها، واللاتية تعدُها، وزلة محنة السلطان هي المكين، ولا يستطاع إلا بحبر متين» الخ. وقد نعى على الناقد

**فلما «حياة الظلام» و«العودة إلى الريف»**

[illegible] عندي من القروش الأربعة
التي خرجت من جيبي من طيب خاطر، فإني أصرح للقراء
بأني أدركت منذ الآن لماذا كانت [illegible] الناس [illegible]!

وقعت المبلغ الأول في شباك تذاكر سينما «ستوديو مصر»
ثمن تذكرتين؛ إحداهما لي والأخرى لصديقي الذي أصاحبه
في الذهاب [illegible] ووقع المبلغ الثاني في شباك
سينما «الكوزمو» وبالتبعية ذهب هذا ولا ذاك [illegible]
[illegible] أي [illegible] ذهب إلى وجه الشيطان!

[illegible] على أن أشهد [illegible] عرض في ستوديو مصر لشريط
«حياة الظلام» وقد كان يرجى أن أرى عملاً فنياً رائعاً، فلم
أر عملاً فنياً على وجه الإطلاق، وإنما رأيت صوراً تتكلف
الحركات، وأنواعاً تتكلف الكلام، ومناظر تتكلف وتفتعل
افتعالاً — كل ذلك في قصة لم يكن [illegible] كقصة، فالرواية
ولكنها كانت ساقطة أشنع السقوط برغم أنها صورت في سينما

ولا ندري عن ذلك ماذا [illegible] تسجيل الصوت
في استوديو مصر [illegible]
الكلام لم يكن يصل إلى سامع الجمهور [illegible]
[illegible] الآلات وتلف [illegible] السكات [illegible] ولا ندري [illegible]
[illegible] بين هؤلاء الناس إبراز هذه الوجوه التي جربوها [illegible]
صوراً؟! أو [illegible] النوم [illegible] على هذا الشريط في ساعته
«[illegible] من الرأس». ولا ندري لماذا لا يفتشون عن وجوه جديدة
يمنحونها الفرصة لكي تظهر وتنجح؟

والتزام [illegible] يضطر الناقد إلى الاعتراف بأن شخصية واحدة
من شخصيات هذا الشريط هي التي [illegible] بشيء من التوفيق
[illegible] التي أحسنت [illegible] بأدوار الأمراء [illegible]
في [illegible] السلام

[illegible] الشريط الآخر، أو الصيحة الأخرى من مصانع هذا
الموسم، فهو «العودة إلى الريف» الذي [illegible] السيدة [illegible]
أن [illegible] الفنية [illegible] هذا الشريط ليس به
موضوع ولا عقل ولا تلحين ولا [illegible]

وقد وضح لنا من البحث أن [illegible] جرى في [illegible]
[illegible] ولكن [illegible] جمهور المصري الذي
لا [illegible] بينه وبين الأفلام الأجنبية الكبرى التي [illegible] منها من

---

الفاضل [illegible] قوله «[illegible] السلطان [illegible]» الخ،
[illegible] في [illegible] هذه العبارة، وهي [illegible] في غاية
الوضوح والبيان لا تحتاج إلى [illegible] أكثر
[illegible] من [illegible] الطبع السليم

[illegible] هذه العبارة في صياغة النص [illegible] عن
مواطن [illegible] والأصل [illegible] كل ذلك
غير ممكن [illegible] ضرورة [illegible] وحاجات [illegible]؟
ولا يستطيع ذلك إلا من [illegible] قلبه، وملأت [illegible]
[illegible] نفسه. وبعد [illegible] لنا [illegible] إلى الناقد
الفاضل، وهي أنه [illegible] كتاب كالإمتاع والمؤانسة
أن يكون [illegible] قواعد النحو [illegible]
الفاضل [illegible]، وما إلى ذلك، وإلا رد
[illegible]، وكان [illegible] من [illegible]

قال مؤلف كتاب الإمتاع والمؤانسة في [illegible] الخلق

[illegible] والكلام [illegible] «[illegible]» [illegible]
[illegible]» الخ

وقد ذكر الناقد هذه [illegible] وكتب تحت [illegible] «[illegible]
[illegible]» [illegible] كأنه ظفر [illegible]!
[illegible] «[illegible]» [illegible] ولكن [illegible]
في [illegible] «[illegible]»! [illegible] سيبويه والخليل والفراء
والكسائي ومن إليهم من أئمة العربية في [illegible] النحو [illegible]؟
وهل في قواعدهم [illegible]: [illegible]
[illegible]؟!

ألا يعرف الأستاذ أن [illegible] يتعدى إلى مفعولين؟

[illegible] أن تلك [illegible] وجعل صاحبها
من أهل نقد كتاب كالإمتاع الذي نحن بصدده.

هذا ما [illegible] الدكتور [illegible] في المقال
الآتي من أمثلة من نقد صاحبه

(م. ص)

الأموال ما لا يكاد يُصدَّق، ولا سر السينما عندنا في بولاق الجمهور في شريط كهذا من الغناء أيا كان — قبل عرضها الاشتراك فيه — على موضوع قصته وعلم أنه سوف يخرج في مواجهة هذه الظروف الآلية الشديدة.

أما تسجيل الأصوات فكان صحيحه معتدلة! وأما التمثيل فقد كان جوا يتحرك على الستار. وأما الأصوات فقد كانت تدوى في جيوب الجمهور. وأما المناظر فقد كانت متواكاً على فشل مهندسها. وأما الإخراج فقد كان الشيء الوحيد الذي يمكن السكوت عليه.

وبعد، فهل رأى القارئ أنتجت من هذه المرسات «السكرو» بشريات للوصكي شريط «الكركشتال»؟ هذا هو موضع هذه الشريطين بين الأشرطة الأجنبية التي تعرض في هذا الموسم

**الموسيقى والإخراج**

وبهذه المناسبة لا بد من الإشارة إلى موضع الإخراج السينمائي في مصر. الواقع أن أصحاب الأفلام يعدون بين ظروف كثيرة في مصر على ساعة أخرى، ويعرض لونا من الديكتورية سطح النظر. المزيد من ممثلين بأعمالهم لا نجد أصحاب الأفلام عند من مقولهم على مصر والاستوديوهات الأخرى وأصحابها من الجمهور، على قلة سعادتها وروحها الآن، تعرض مثل هذه الديكتاتورية في إسناد الأدوار إلى ممثلين من ذوي الأسماء المعروفة من غير نظر إلى التناسب بين طبيعة الممثل

وطبيعة الدور الذي يحمله في الشريط، بالإضافة إلى ذلك الكلفة الثانية المطلقة التخبط في الرداءة والحشو.

فلا لا تؤسس الحكومة «استوديو» تؤجره لأصحاب الأفلام وتسند إدارته إلى خبراء فنيين من شبابنا ذوي الثقافة السينمائية الممتازة، وهم كثيرون بحمد الله؟

**الأوبريت في الفرقة القومية**

انتهى الحال كل عامين منذ أسبوعين إلى مسعود الفرقة القومية لإخراج رواية الشمس والقدر، وهي من نوع الأوبريت الذي يبني لهذه الفرقة عهده.

وقد سمعنا في الأوساط الفنية سطحا بجور حول الرغبة في إخراج هذا النوع الذي انعدم من حياة المسرح المصري منذ سنين. ونحن إذ الحكومة تنوي أن تعين للمعهد الملكي للموسيقى على أن ينهض بمشروع جديد يكون من آثاره أن يظفر الجمهور بألحان راقية في مسرح حديث يومه. كما يبين لنا أن نعرف مؤتمرا مؤلفا من أعلام الموسيقى والمسرح سوف يبحث المشروع من نواحيه المختلفة.

وإلى أن يتم تأليف «أوبريت» جديدة، لا نحرى لسائنا لا تقوم الفرقة بإخراج بعض الروايات القديمة الناجحة التي ظهرت منذ عشرين سنة وبعض، كرواية «العشرة الطيبة» التي تمتاز بألحان لا نظير لها من وضع المرحوم سيد درويش!

(ابو الفتح عبد المكسب)



(مطبعة الرسالة شارع المبتديان ـ عابدين)

8me Année No. 342

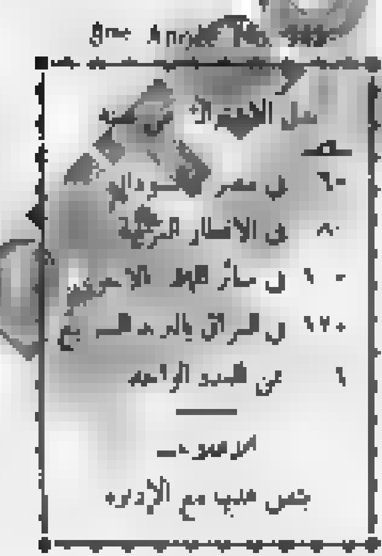
بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 22 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٢ «القاهرة في يوم الاثنين ١٣ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة


# من وراء المنظار

سافر صديقي (عين) إلى الريف يقضي عطلة الأسبوع هنالك، ويصحبني الوقت... حين يدعوه الريف الحبيب ... ويشاهد مسارح حياته، ويشاهد ملاعب جرثه، ... ويطالع جانبه ... فقلت ربما ... العودة إلى الريف في ساعة من النهار أو الليل أسرع إلى القطار أو إلى السيارة دون أن تشاور أهله ويودع صحبه ...

ودخلت صباح اليوم مكتبه الذي يكتب فيه من وراء المنظار، فوجدت الكرسي خالياً ... والمنظار ... فقلت لنفسي: لم لا أجرب هذا المنظار الذي ينفذ منه (عين) الصديق إلى ما وراء الصدور والسطور والحوادث؟ أما يجوز أن يكون من حظه في هذا المنظار شيء ما يصح أن أصوره وأنشره؟

سألت عن ذلك نفسي ولم أنتظر ما تقول، فقد أخذت المنظار وركبت ... على عيني وأنا أمشي على طوار الشارع الذي ... وأعرفه، فإذا الناس غير الناس، والمدينة غير المدينة، والدنيا غير الدنيا.

كأنما هذا المنظار من صنع الله الذي أتقن كل شيء! فإن ...

## الفهـــرس

أسس في الأكثر المظلمة والقرّة ولا كاشفة ؛ وبه غير ذلك نور الضمير ، فهو يرد كل شيء إلى طبيعته ، ويظهر كل شخص على حقيقته

مشيت به في زحمة الطريق مشية الغريب الداخل في البلد العجيب المجهول ، تزحم نفسه خواطر شتى من العجب والدهش والإنكار والخوف ، ثم لا يلبث أن يسأل لأن لسانه معقود ، ولا يستطيع أن يصيح لأن جَلَده مفقود

وما هذا الذي أرى ؟ أهذا هو الصديق البر الذي خالصته الود وصافيته ، ورأيته وعاشرته صحبة العمر ثم لا ألقاه إلا صافحني بالكف الناعمة ، وبازجني باللسان المعسول ؟ ما لي أراه كساقط من الثائفة الوحشية ، وقد علت عليه أسباب الحقارة ، فهو أمامي حمار صار كالأسد الجائع ، تتقد عيناه بالشر ، ويقطر شدقاه بالشر ، وقد جاءت الباطشتان إلى عنقي الذي لا يملك النفس إلا به ؟

وفي شريعة الوحش لا تستطيع المخالب ما دعت يدها ... ولكن الإنسان وحده هو الذي يستطيع أن يجهز به ويلطم به

أهذا هو رجل الدين الذي عرفته يتوقى الغيبة ويمثل الورع وسمات المعروف ؟ ما لي أراه اليوم قد هتكت الأسرار عن تذكره البارع ، فلسانه للسعاية تكاد أن تسقط ، وعيناه المتكبرة تهم أن تفترس ، وعقله الدنيئة تنضح من جسد ديوث تكوّنه الشهوة المسعورة ، وتحييه الرغبة الملحة ، وهو في تقلّب الوقائع والآداب في ثوب رُقيّ سحري ينال ما عرض له من لهب وطمع حتى !

أهذا هو الشيخ الثاني الذي أشاهده من حين إلى حين يمشي وأنفه في السماء ، ولتلعثمه تكاد تنشق من شدة الكبرياء ، ونظراته وكلامه يوزع على من حوله احتقار الورى والاستكبار بتبسط ؟ إني لأراه الساعة من خلف هذا المنظار الوسيم في ثوب الجلاب بيجاماً مثل الأطلال جيفة الوجه بلحب جلدها الزهري الناضب على هيكل مختل الطرى ، وعيني مشتتة إلى الشرور وكأني أنظر إلى بقايا الإنسانية تهزه في مواطن الطلي منه بكلام معناه : إحص ما بينك وبين الناس ، ووزن ما بينك وبين نفسك ومن هنا ؟ أهذا هو السياسي الذي أعرف مسحباً في لندن

الوطنية ، وطعم ديواناً في سطح الدستور ؟ أمر عن أنه الرجل تاجر يهودي الدين يتجر بالكلام كالسماسرة في الحوانيت ويعرض على الزبائن كالراهنين على الخيل في السباق ، ويسعى بالشنط الفيروزة لينال مقعداً في البرلمان ، أو وظيفة الحسين ثم يبلغ كرسياً في الوزارة ؟

وما خطب هذا الشاب الذي يتحمل بالحلة المهندسة ، ويطيل بالمركبة الفخمة ، وليس في كيسه قرش ولا في جيبه فلوس ؟ ماذا يجلس في هذه المركبة الفخمة مع هذا الرجل وهذه المرأة ؟ أيريد أن يخدع الرجل عن ماله بالصداقة ، أم يريد أن يغوي المرأة عن زوجها الزواج ؟ لقد بحثت في المنظار فإنه إن ذئب ؛ أعني ماهر في الاحتيال وعصر المرية ، والقتل معه وجان أرستقراطيين يقوم زواجهما على الرياء والمباهاة ، فتنفق المرأة أعراض المسلمين وتشتري منه عروض عينيه ، وهو يبالي الرسميين صديق الأسرة الأدنى وكلب المسوح الذليل !

وما هل هذه العصبة التي تنمو كل يوم إلى مجلس عرفي أو سياسي أدبي ، يتنادمون في التكتل على طرائف الأدب وروائع الفكر ومطايبات الصداقة ؟ لقد كنت أحسبهم جميعاً فأحسبهم في هذا المنظار حتى ... هم لا يصطحبون إلا على الود إلا في حال الشر ؟ فإذا هرتوا تكاثروا وبسط كل منهم لسانه في الآخرين يلقم ، وصرح بعضهم بين بعض بالوجهة ، ووضع كل واحد لنفسه ما تقسم من الفضل في الجماعة

* * *

أمرد بحكم المنظار من شر هذا المنظار ! فقد عبر في عيني جمال الوجود كما يشوه الميكروسكوب بشرة الوجه المرقشة ولا سيما في أن جمال الدنيا خداع وسعده المعنى وهم وحياة الناس تخيل ! جاد أزحت من عيون عثاره الإيهام والإبهام ورأيت كل شيء على طبيعته وكل شخص على حقيقته ، لا يبقى لغير سحر ، ولا لعجيب سر ، ثم لا يكون بين أحد وأحد ألفة ، ولا بين جماعة وجماعة نظام

ما كتب لي صديقي في بطاقة العيد أريد أن أرسل إليك منظارك ، أو تسمح لي أن أجربه مرة على حين له كثير سواك ؟

[illegible]

# لعل الليـــالى ...!

[ رسالة موجهة إلى الروح الذي
أهدى إليه « وحى الرسالة » ]

## للدكتور زكي مبارك

---

ما عبر القلب خاطره من خطرات الحب والوجد إلا رجعت بقول البحتري

لعلّ الليالي معقبات بنشوة ... تحرجني من عهد الهوى المتقدم

وعهد الهوى في قلبي وعقلي أرسخ من الأرض والجنادل هو تارة صورة وجدانية، وتارة صورة وطنية، وحيناً نزعة إسلامية، وأحياناً نزعة عربية، وقد يحلّق الفكر فيرتفع إلى الأجواء الإنسانية في كثير من الأحايين

ولا أعرف بالضبط متى تكون في صدري هذه المعاني، فقد تكون الشعور بالتقصير حين أذكر تخلفي عن أداء بعض الواجبات كالذي وقع يوم أهملت التنويه بكتاب «الأدب المصري الإسلامي» للأستاذ محمد كامل حسين، مع أن هذا الكتاب قدّم إليّ منذ نحواً من الأربعين حين جعلتُ نفسي على موعده بعض ليال متواليات، وكالذي وقع حين قصّرت بكتاب الدكتور طه بك حسين عن أبي العلاء في سجنه، مع أني قرأته في سهرة واحدة وقيدت بهوامشه ملاحظات كانت خليقة بأن تقنع القراء بما من الدرس والتمحيص

وهل أنسى أني قصرت في التنويه بكتاب الأستاذ سعيد العريان عن حياة الرافعي، وهو كتاب شُغفتُ به بعض حين لأني كنت أظن أن العريان لا يدرك أسرار الحب ولا يفهم أن يفهم قلبٌ مثل قلب الرافعي حين يتحدث في هواه؟ وكيف يدرك العريان هذه الدقائق وهو لا يصل إلى (شعره) إلا بتخيل مع أنه مثلك؟؟

وكيف أصبر نفسي على السكوت عن الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وقد صبر على الصراع بيني وبين الأستاذ أحمد أمين والدكتور طه حسين؟ كان هذا الأستاذ جديراً بالالتفات إليه حين أنكر عليّ أن أقول: «إن آباءنا في ماوراء أشعر من

أن المعاصي في تكون؟ أولو أني التفت إليه لخلقت فرصة لتحديد الصلات بين الأدب والدين

وكانت، مع الأسف، أن أتحدث عن كتاب ألفه رئيس الوزراء يوم جمع مديري الأقاليم بمكتبه في وزارة الداخلية ليتحدث معهم إلى مراعاة الكفاءة قبل مراعاة الأقدمية في ترقية الموظفين، وأعلن صراحة أن التقيد بالأقدمية يعطل مواهب الأكفاء، ويروض الكسالى على الاطمئنان إلى أن الزمن يصنع في الترقية ما لا يصنع الاجتهاد في أداء الواجب بأمانة وإخلاص

ولقد كانت هذه النظرة الحصيفة حقيقة بأن نتقدم إلى القراء في مقال أو مقالين عساها تصبح من التقاليد الأساسية في الحكومة المصرية

وهل ضاعت الواجبات في بلادنا إلا بسبب التقيد بالأقدمية؟

إن رئيس الوزراء قد عزم على النضال لتحطيم هذه الصخرة التي طال عهدها بتعويق خطوات المجاهدين في سبيل الواجب، فكيف نسكت وقد رأينا الكسالى الخامدين يعتمدون على الزمن في تقدير الأقدمية والحظوظ والمقادير؟

ومن الذي يشرح هذه المعاني ويضع الأعباء على الكفاية عليه وطنية إذا سكت عنها الأدباء وأكثروا من الأدب وصف القمر والشمس والنجوم والأزهار والرياحين؟

وكيف يُحجب الأدباء عن درس الشئون الأساسية في سياسة المجتمع وقد صار الأدب في بلادنا من المرغبات الملحوظة في حضرة أوروبا!

وهل يظن عاقل أن وزراءنا يرضون لأنفسهم ومراسيمهم التخلف عن مسايرة الحياة الأدبية؟

الأديب المصري هو المسئول عن العزلة التي يعانيها الجيد من محيط الحياة الرسمية، فلو أنه كان يهتم بمتابعة ما يجدّ من الشئون التي تساهم بها الدولة لعلاج أمراض المجتمع لتُعطَب لأديه مقالات، وصارت له في كل ميدان مقال؟ ولكن الأديب المصري يتوهم في أغلب الأحيان أن الأدب له عالم غير التطلع فيما يهتم به وزراء الدولة من خطير الشئون

إن الزمن يُسرع، ثم يُسرع، ثم يسرع، وأخشى أن تنقضي حياتنا قبل أن نرى تطلع دولة في هذه الظلام

فمتى يعرف الأديب أن من واجبه أن يقنع الدولة بأنه خُلق ليصف المجتمع باللغة العربية ، وهي اليوم لغة مصر ، ومصر بأمر الملك فؤاد تخدم علوم اللغة العربية ؟

ومتى يستطيع الأديب بحسن التوفيق والتلطف أن يكون له في كل معضلة قول ، وفي كل مشكلة رأي ؟ متى يعجّب الأديب ما يصنعه ، ليدرك أن الدولة تنفق في كل سنة نحو نصف مليون من الدنانير لتحيي الأديب الذي يستطيع أن يشغل الناس بأحلامهم وأحوالهم وعيشهم ، والذي يستطيع بسحر البيان أن يروض الجماهير على تذوق معنى الحياة ومعنى الجمال ؟

الأديب في بلادنا كثير التوجع والتفجع ، ولكنه لم يخط خطوة جدية في تجميل الوجود ، وهل في الوجود جمال وقبح ؟ الوجود هو هو لسائر الناس ، ولكنه كالماء يتلون بلون الإناء ، والأديب الحق هو الذي يستطيع تحويل الوجود من لون إلى لون ، فيُضحك الناس حين يريد ، ويبكيهم حين يشاء ، وفقاً لنعمه ، وصوراً يعرضها الشعور بألوان ذلك الوجود .

وأن الأديب الذي يصوره خيال الريف المصري وهو يتنقل بالسيارة أو القطار من إقليم إلى إقليم ليصف أرض مصر وسماءها وصفاً يعلن مقدار الصادق على الاعتزاز بالسكنى في أرجاء هذا الوطن الجميل ؟

أين الأديب الذي يفكر في إنشاء دار للأدب يسكن إليها من وقت إلى وقت ، كما يصنع أدباء الفرنسيس والإنجليز ، وكما كان يصنع أجدادنا الأقدمون ؟

إن الأديب يشكو من تجاهل الدولة حقه في الحياة ، فمن حفظ هو حقه في الحياة ؟

أليس من العجب العجيب أن يكون الفلاح أعرف بحقه من الأديب ؟

الفلاح المصري هو المثل الأعلى في الوطنية ، لأنه لا يبيع شبراً من أرضه إلا بعد أن يعلن الجميع ، وهو يتصور الخزي أمام نفسه وأمام زوجته وأطفاله حين يبيع فداناً ورثه عن أمه أو أبيه ، فأين الأديب الذي يحمي حمى المعاني ؟ أين ميادين الأدب تتقلص في كل يوم ولا تزور دوره من شاعر أو كاتب أو خطيب ؟

وللأدباء أملاك حبيبة وهي أسنة الأقلام ، كما ورث الفلاحون أملاكاً بالمنافع والسيوف ، فأين من يحمي تلك الأملاك ؟

أملاكٌ هي الميادين القومية والأخلاقية والاجتماعية ، ومن العار أن يستطاع ميرنا إلى التناية بشؤون المجتمع وتخلف ...عن سوء الإصلاح في أسرار المجتمع أسلافنا ما يملكون ، ونستطيع نقل المجتمع من حال إلى أحوال بما عرفناه من أحداث النادي والمعاهد ، وعرضنا على أقلامنا الجهاد للوصول في تهذيب المشاعر والعواطف والأذواق .

والى من تلقينا الآمال في تهذيب مشاعرنا وعواطفنا وأذواقنا إذا حبست عنا الأديب ؟

وما مهمة الأديب إن لم يكن تعمير قلبه بصوت مسموع في الأكواخ والقصور والمعابد والمساجد ؟

وهل سيطرت عقيدة دينية ، أو نظرية أخلاقية ، أو سريعة مذهبية ، بغير سناد من أسنة الأقلام ؟

حتى أن يكون الأدباء في مصر هم القادة في فلسطين ، فالأحداث هناك هم الذين يلهمون أملاكهم ، والفلاحون في فلسطين هم الذين عرفوا قيمة الوطن فلم يبيعوا ما ورثوه عن الآباء والأجداد .

أين في أدباء اليوم بمصر من يذكر الشيخ محمد عبده ، الرجل الفلاح الذي فرض على الدولة أن تحسب لقلمه ألف حساب ؟

وهل عرفنا شبيهاً للأزهري الفلاح سعد زغلول الذي روع مصر والشرق بدعوته الكريمة إلى إعزاز الشخصية القومية ؟

إن الأنبياء — وهم مؤيدون بروح الله — لم يصلوا إلى القلوب بغير البيان .

فمتى يصير إعزاز البيان في بلادنا شريعة من الشرائع ؟

وهل نصل إلى ذلك إلا يوم يعرف أرباب الأقلام أنهم رسل صدق ، وأن سواد الحبر في أقلامهم أنفع لأوطانهم من بياض الصباح ؟

حدثنا الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك في مقال نشره بجريدة السياسة منذ أكثر من عشرين سنة ، أنه رأى زهرة جميلة في أحد أسفاره ، وأنه لم يجد من يعرف اسم تلك الزهرة ، فقال : صبراً ، صبراً ، أيتها الزهرة ، فليس اسمك أول اسم يضيع في هذه البلاد !

وهل صنع الأستاذ مصطفى عبد الرازق أكثر مما يصنع من يهجرون قصص المجانين في صمت ؟

هل يرى من القطار منابع الزهرة إلى مصر، ويطلع عليها لمحاً من طرائف الأنحاء ؟

وهل يذكر الآن مصير تلك الزهرة، وقد وصلتْ إليه ان رأى وجاد بلطفه ؟

ولتلك الأمور شبيه من الظواهر الجميلة في هذه البلاد

هل تذكر الأديب، وهو أصح سكن من معدن « الولفرام »، الذي استكشف بحثه في الصحراء الشرقية، وهو معدن نفيس يستخرج من أمثله الذي يصدر من بلاد الصين، وقد استكشفه رجل جنى في السنة الماضية، فأين الأستاذ العليم الذي يرشد القادة إلى مستكشف الثروة الأدبية في وطن « حافظ » والشاعر عبد الوهاب، وعبد الله الذي لم يعرفه اليومان !

عرّفه أيها الأديب، ودُلَّ على نفسك كما دلّ على نفسه معدن الولفرام

إن ذلك المعدن هو أصلح المعادن لصناعة الأسلاك الكهربائية، وسماك من الكهرباء أيها الأديب، فاصنع من الجادولك في مبرجاتك، وسيطير بجدك في الوجود

ربما حتى مطران، وسمعتها تقول: عند ألوف أو ملايين من الشيخ وأنا عيونه في الصحراء، لا نحس وجوهاً مرغوب ولا حبيبه ولا سلطان ولا مالك

تحدثت بالحكيم مصطفى عبد الرازق وقلت: معذرة يا مطران، لقد كنت أول جوهر بين أهل هذه البلاد !!

وما معنى حفولي ؟

في حين يشقى ملوك من أمراض الكبد

ولى كبدٌ مقروحة من يبيعني ‖ بها كبداً ليست بذات قروح

أباها علىّ الناسُ لا يشترونها ‖ ومن يشترى ذا علة بصحيح

فأين كانت هذه العين وقد ملأت ألوف وملايين من أجسادنا الأكرمين يا كبد قرّحتها مآسي الحب ؟

وهذه العين أرى طمست بعض أبناء مصر الأصحاب في غمرة الليل ولم يصحوا

فهل يعتبر الأديب على خصومه الذين يريدون أن يحششوا عبد الله بأمراضهم !

لن يكون مصر حزن صريع إلا يوم عرف أن الله أعزها

بالقلم، وأنه عن منشأه جيل في واديها [illegible] أغراق الفكر في القديم والحديث، ومن الذي يحضر [illegible] وفي صلة الوصل بين الشرق والغرب ؟ وهل كان لأحد الشرق سواد غير مصر وفيها مات أعظم الحكماء والرهبان والصوفية ؟ وهل انتهى حديثه في الحب ما انتهى للقاصي من رهافة الصوامع والكنائس والمساجد ؟

إن وادينا هو الوادي الأخضر بين وديان العالم، و[illegible] من صنعة الله حيث لا يلتقي به الوصف الجميل ؟ ومتى من يسمح لنا بالثناء ؟

هل رأيتم جو مصر في يوم ٦ و ١١ يناير ؟

هل رأيتم ؟ هل رأيتم ؟

حدثوني في أي بلد يرى الناس مثل هذين اليومين في فصل الشتاء ؟

إن يوماً واحداً من أيام الصحو في مصر لأفضل من جميع الأيام في سائر البلاد، وبفضل أيام الصحو في مصر يسمح لأحد مراكب الشعراء أن يرى نفسه إله الأرض والسموات

ومع ذلك جاز لبعض خلق الله أن ينكر على شعراء مصر سمة الشرود والجنون

ومن يُمسك الدمع أو يعض وهو إزاء صورة الربيع في قلب الشتاء !

أيامنا كلها ربيع ولكن أين من يعرف ؟

ذلك يوم ٦ يناير، وهذا يوم ١١ يناير، فاسألوا في أي أرض عرف الناس مثل هذين اليومين ؟

سل الليالي ...!

سل الليالي يكتسي بشجعة [illegible] من عهد الهوى القديم

سل الليالي !

سل الليالي كم مرة واحدة قتلت بعض الناس إلى الكأس التي صنعوه بعد أن شربوا ما كان يحوي من دمعٍ !

سل الليالي تذكر بعض الناسين الجوهر الذي ضيعوه بعد أن غلب أيامهم بما كان يملك من رخص !

سل الليالي ترجع أحبابه الشاردين إلى معهد القديم حين كانوا يتسرون ظمأ الأرواح والقلوب !

إن عشتُ – وعمر الصادقين في مصر أقصر من عمر الورد – سأعطر من ريحاني

وهل أموت قبل أن أساعد على تأسيس دولة الفن في بلادي ؟

وكيف يموت من يظل الناس يقلبه من ضلال إلى هدى ، أو من هدى إلى ضلال !

يستطيع قومٌ أن يتناسوا فضل الفن على الوحدات الصحيحة في أقطار الشرق ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يصدّوه عن جهاده في الطب لأمراض المجتمع المصري والشرقي [illegible] يجمع من يتوهمون القدرة على توحيدها في صورة قلب واحد

نحن من صنع الله ، وهو الله لا يمنح شيئاً أو شخصاً إلا لتيه الخلود

من القائل [illegible] ؟

من القائل عظيم شعراء مصر فكره « نشيد العمل » كما [illegible] فكره « النشيد القومي » و « الأناشيد العسكرية » . وليس للأجيال مذكِّر من يسهرون على شواطئ [illegible] والغرب وصاة الأمجاد العربية والإسلامية [illegible] أصواتاً يُعيدون أسماءهم تحت أضواء المصابيح [illegible] دولة الفن الشرقي ، الفن الذي عجزت عن حربه مكايد الغرب ووثبات الحقود

لمن وهب [illegible] وهل حتى لمن أو تسمع لمن ؟؟

« ن ، والقلم وما يسطرون »

فإلى الله الذي أقسم بالقلم أرفع نجواي وشكواي ، وهو حسبي ونعم الوكيل

يا فاطر الأرض والسموات ، ويا باعث النور في غلائل الليل الأسود ، ونجاتي من دسائس المكائدين والحاقدين ، ومن همسات وساوس الشك وهواجس اليقين ، فإليك توكلتُ وإليك أنيب

زكي مبارك

# الرسالة في سنتها الثامنة

تدخل الرسالة عامها الثامن وهي أقوى ما تكون اعتماداً على فضل الله وعطف أنصارها في تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من استحكام أزمة الورق وغلائه الفاحش في العالم كله ستستمر الرسالة على خطتها [illegible] وعدد صفحاتها [illegible] من هذا الشهر سيكون الاشتراك في الرسالة نظراً لما يأتي

٦٠ ستون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر يناير ويكون للمشترك الحق فيما يساوي خمسة عشر قرشاً من الكتب القيمة

٥٠ خمسون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان للمعلمين الإلزاميين وطلاب المعاهد والمدارس تدفع في أثناء المدة المذكورة ويكون للمشترك منهم كذلك ما يساوي خمسة عشر قرشاً من كتب الهدايا [illegible] دفع الاشتراك [illegible] أقساط متتابعة

والاشتراك في البلاد العربية كالاشتراك في مصر من حيث القيمة والمدة والهدايا ، وإنما يدفع المشترك فرق البريد وهو أربعون قرشاً في العراق ، وعشرون قرشاً في سائر البلاد العربية

## الرواية

أما الرواية فقد أوقفناها مؤقتاً في الرسالة حتى [illegible] الورق [illegible] وستنشر الرسالة [illegible] من الأمور الجديدة الأقصوصة فسيكون في كل عدد [illegible] الأقصوصة أو أقصوصتان من أروع ما وضع أو ينقل

الاشتراك في الرسالة [illegible]

# حديث حول الشعر

### بين كوكتو وبيير لوفايد

### بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

[ هذه محاورة طريفة ، ودّ كثيراً لو كانت كالمحاورات التي ... تحتوي على الخلق ... المحاضرات ... وان الأديبين ... لأوردها ... الشاعر ... كوكتو ... الأدب ... وهنا ... الأديب الشاعر ، بجيبه على سؤاله ... المنجد ]

بيير لوفايد يتكلم

سيداتي وآنساتي سادتي

هذا حديث طريف ، سنحاول ان نسمعكم ، وهو يثير كل الشغل في كثير من نواحيه ... شاعر ... كوكتو » إلى الكلام عن الشعر ، بعد أن ... باريس وتعزل في ... فانس إنه لم يعد للناس عنه ، ولم يعبر الصحافة ، ولكنه سيسمعكم صوته الإنساني المتصعد من أعماق القلب

جان كوكتو

مع أنه أمر مضايق هذا الصحفي المازح ، أريد أن أحدثكم عن الصحافة ... من الطراز الأول ، ويكتب مقالات جيداً ... لأن صاحب ... لأن يشق الرجل ... يستطيع ... والرجل ... أمام هؤلاء ذكاء أو ... ، ولكن ... حاول الرجل أن يجب من الصحفيين ... وأصبحوا منه ...

إن هذا البحث عن ... للإنسان

أما الشعر الذي سأحدثكم عنه ، فهو حي يستطيع أن يتخذ أشكالاً شتى ... لقد حسب « ليوناردو دافنشي » أن الشاعر من ... لا من ... ، فنظر من الشعر أبياتاً ليكون شاعراً ، ولكنه كان في ... من تلك التشكيلات اللينة التي ... فقد كان شاعراً في ... ، وشاعراً في ... ولقد كان شعره الذي أودعه الصور والتماثيل ، أروع من ... الشعراء ... سألوه مرة عن فرق يرى بين المصور والشاعر ؟ فأجابهم ... إن المصور شاعراً لا يملك الشاعر ... أبداً ... ، ولا ... ماذا ... ؟ أأبياتاً من الشعر الرقيق ... ، أم صوره

ساحرة ؟ ... أود ...

ولقد حدث بعد « رامبو » ... كان ... قبل هذا الشاعر شعر ... ولكن رامبو أطلق الروح ... وكان لا يعني إلا الروح

وأعني به الشعر قد أصبح ... كان لا ... أيام ... أما ... فقد أصبح الشعر ...

أنا أحب « بودلير » إن شعره هو ... شعر ... لقد كان « موليير » ... يؤلف ... ، ولكنها ... واقعة ... « أوروب » ... في ... الشعر اليوم ... ولم يكن ... الأوروبت ... « ملارميه » ولا ... أولئك الشعراء الذين ... 

لقد ... « موليير » ... وجعلت ... كبيرة كتب في « ... » « ... » « ... » و « ... » ... عشرين سنة لأن ... وموليير ... أردت النظام والدقة ...

لم يكن ... « الأوروبي » ... كما قالوا ، وإنما كانت ... من ... قليل ، ولكني ... أن ... هذه القصيدة ... الشعر ...

وتستطيع يا صديقي أن تسألني الآن عما شئت

بيير لوفايد

وإني الآن من ... أسئلة لهذا الشاعر ، فلقد حدثكم عما كنت أريد أن أسأله عنه ولكن ما هو الشعر يا صديقي

جان كوكتو

... إني سأقول ... إن الشعر هو ... لا يستطيع أن ... إلا ... قليل ، وفي ... أرستقراطياً أشد إمكاناً من الشعر ... على أنه يجب أن ... أمراً ؛ ذلك أن الشاعر إذ ... الشعر ... لا ... ؛ لأن ... وكذلك لا ... الشعر ... الشعر ... بين ... الأول ... الزهور ... أما الثاني ، ... إذا أردت أن ... إنك ... إذا أرسلت ... الورد ... ، ولكنه ... أما ... دائماً ... تتفتح بين يديها ...

وأنا أعتقد أن القصائد التي لا تحدث ضجة عند نشرها هي التي تخلد وتبقى ... فها هو بودلير ... أخرج الناس ديوانه فسخروا منه، لأنهم لم يفهموه، ولكنها أصبحت من بعد حديث الناس جميعاً ... أما هو فكان ينظر إليها كأنها أزاهير وحشية في بساتين نائية مهجورة

وربما أخطأ الناس في تقديرهم للقصائد أحياناً، وربما سمعتهم يقولون عن شاعر كبير إنه ليس بشاعر حق، أو عن مطرب بارع إنه لا يطرب؛ ذلك لأنهم أحسوا أن شعر ذلك الشاعر لا يهز ولا يثير، ولأن ما أسمعه مطرب صعب

إن الشعر يعرض على العالم من كل نواحيه، ويمكن علينا أن نستنطق ونظهر. أليس في المصحف شعراً، ولكنه غير منظوم؟ وإن في الطرائف شعراً ولكن لا يدركه إلا القليل. ألا ينظرون إلى تلك النقوش وتلك الخطوط التي تزدان بها المصاحف؟ ألا يرون تلك الأشكال الزخرفية، وتلك التماثيل العارية التي عرضت في معرض الربيع؟ إن في ذلك كله شعراً يهيج النفس، شيئاً اسمه شعر

الحياة ملأى بالشعر يا صاحبي. إن صيادي الطائر الذين يصيدونه الطائرة، فيسطرون بين ألسنة اللهب، ويعومون في دخان النار، وهم يستمعون المدافع إلى رقص الشهداء وصلك الزوج في مسرح موسيقى مشبوه بالشعر ... وإن منظر تلك الأم التي أخرجت الأبهاء تجد به الصبر شعراً بديعاً، وتلك شعر عجيب محموم غير محصور لأنه يهز المواعظ ... إن المرء يستطيع بأساليب إبانة معرض الشعر بلا من أن يجمع بأكبر تأييد

بين القافية

أنت لا تريد أن تحدد الشعر بالنظم، وهذا كان ما أخرجه الناس شعراً كله، ولكنه شعر منثور ... لقد صنعت رواياتك، مثل «بوباس» و«الأطفال الأشرار» و«ميونخ» وغيره «الشعر الروائي» وحتى ما تخرج مجموعة من الرسوم الرائعة، أو كتاباً مثل «شعر اللغة» جمعته تحت اسم «الشعر التصويري» أو «الشعر النقدي» فهل هناك صلة بين هذه الأنواع كلها أو أن في هناك رباطاً يربط بعضها ببعض؟

جامعة كوكتو

كل ذلك شعر وإن لم يكن موزوناً مقفى ... وأنا شاعر، والشعر موهبة، كما أن الشعر حرية والصدق صنعته ... لكني لا أحب ما كان ناظماً. لقد حاولت أن أحب ما هو منظوم، ولكن لم أستطع. الشاعر طليق، والفنان لا يحب النظام، ولذا وأولئك الشعراء

# بعد الفراق

للدكتور إبراهيم ناجي

أتجن أمواجك أنت متى عهدي ... وأنت أحب من يسري وبلي

وهل أنساك؟ كلا. كيف أنسى ... هوى قد كان إلهامي وحسّي

نعمت من الضمير منك بروح ... فها أنا ذا ترع الأكبر درسي

وها أنا لا أدري منك أشيا ... تمرّ منت عشقي ورأيت نفسي

وهل يمحى الشكر أبد جرح ... وهل يمحو القسم أبد مدح!

فلا يبت قول وقصدا فؤادي ... كأني خيوط سحاب نرح

شعره عبير في ضلوعي ... وانظر مسرد أيامي ثاني

وقد نصب الخيال وقاس طيفي ... وطاف على جباه اليأس روحي

أسير بجر وحدي في كل حشد ... وأحمل غربتي في كل جمع

ناجي

الذين يودون أن يجيئوا كل شعر من أمر ذاتهم، ثم يطلبون من ذلك شيئاً وأسمعه طرب حياتهم يلفظه. إنهم كعميان النظم ثم يستعيرون النور، حتى في اللحظة التي تعرج روحهم فيها إلى السماء ... ولكنهم خيالون

دع الشاعر ... إنه يستمد وحيه من كل شيء ... من كلب حقير ومن ملك كريم. إنه يحس ويتقن لأنه موحى

— وهل الشعر موهبة؟

نعم موهبة، وموهبة دون الشعر

— وهل تستطيع أن تقول الشعر متى شئت؟

— نعم، أقول الشعر متى أشاء، كما يصنع النجار المقعد متى شاء

— إذن فلست بشاعر ولكنك ناظم

— إن هذا الشيء الذي أنت الشعر الذي يدل على أنه الوحي الروحاني، لم يعرف إلا بعد وسعيه ... الشعر هبة الشعر، وليس عيباً، حتى أعظم كرمى الروح

إنما في الشعر أستنتقه ثم شعراً من نوع خاص، لا ينظرون إلا وهي كموضوعه، ولا يعرضهم إلا ظواهره منهم رشيو ومالارميه وبودلير وريشار ... هؤلاء هم كبير الذي سحر بها ... هؤلاء هم الشعراء حقاً ... منهم تعلمت شعراً، وعلموني كيف أنظم وكيف أقول

صموئيل الحبيب

# الفروق السيكلوجية

## بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

---

### الفروق العقلية (الذكاء)

في سنة ١٨٥٧ ولد ألفريد بينيه السيكولوجي الفرنسي الشهير، وتخرج في جامعة السوربون. ولما نال دبلوم التاريخ الطبيعي سنة ١٨٨٩ عين مساعداً للأستاذ بوني M. Beaunis مدير معمل علم النفس وعلم وظائف الأعضاء بالسوربون. وفي سنة ١٨٩٤ نال بينيه الدكتوراه وتقاعد الأستاذ بوني فخلفه بينيه في إدارة معمل علم النفس. ومن ذلك الحين بدأ كلاهما - وضم إليهما آخرون - في تحرير مجلة « العام السيكولوجي » L'Année psychologique. وكانت هذه المجلة لسان الحركة السيكولوجية الفرنسية. وفي هذه المجلة - التي سنشير إليها في مواضع مختلفة من هذا المقال - نشر بينيه كثيراً من المقالات عن الذكاء ومقاييسه والفروق الفردية [١]. ولكن حياته الحافلة بالبحث والإنتاج لم تطل، فقد عاجلته المنية سنة ١٩١١.

بدأ بينيه تجاربه لمعرفة الفروق العقلية بين الأفراد بقياس الذكاء بالطرق التي كانت معروفة في عهده في معامل علم النفس، كطرق جولتن وكاتل - التي أشرنا إليها في مقالات سابقة - وكقياس سرعة الإحساس، وسرعة الحركة، وسرعة الرجع. ولكنه ما لبث أن ترك هذه الطريقة التي سماها « طريقة الآلات النحاسية »، وفكر في طريقة لا تحتاج إلى آلات بل إلى قلم وقطعة ورق وقليل من الحبر كما يقول هو.

وفي سنة ١٨٩٦ اختبر ثمانين طفلاً بعرض صور متشابهة عليهم، ومطالبتهم بالإجابة عن أسئلة وضعها لهم. وقد وصل بتجربته واختباراته هذه إلى أن هناك ذكاء وراثياً وذكاء مكتسباً يجب التمييز بينهما، وأنه لقياس الذكاء الوراثي يجب أن تكون الاختبارات منضبطة ومتنوعة بحيث تقيس كل مظاهر القدرة على التكيف، تلك القدرة التي سماها الذكاء.

(١) أنظر مقاله La psychologie individuelle في عدد سنة ١٨٩٦ من هذه المجلة.

كذلك عرف بينيه أن الذكاء ربما يظهر في التمرينات التي تحتاج إلى بناء وتركيب أي synthesis أكثر من التي تحتاج إلى تحليل فقط analysis، وفي معالجة الأمور التي تحتاج إلى تنظيم أكثر من إدراك هذه الأمور وتمييزها؛ أو في كلمة واحدة: الذكاء هو عملية تكوين وتركيب [١]. ومن أجل ذلك استعمل بينيه لقياس هذا الذكاء اختبارات تحتاج إلى بناء وتكوين، كأن يعطى الطفل صوراً مقسمة إلى قطع ويطلب إليه تكوينها، أو قطعة نثر محذوفاً بعض أجزائها ويطلب إليه ملء الفراغ بكلمات تكون جملاً مناسبة.

لاحظ رجال التعليم في باريس في بعض السنوات الأولى من القرن الحالي كثرة عدد المتخلفين [٢] في التحصيل من تلاميذ المدارس الابتدائية. ولم يمكن الحكم على هؤلاء التلاميذ بعلامات الغباء أو ضعف العقل. وقد حاول أولو الأمر أن يعرفوا سبب هذا التخلف، أهو عدم الانتباه، أو إهمال المدرسين، أو قلة ذكاء التلاميذ حقيقة؟ فكونت وزارة المعارف الفرنسية سنة ١٩٠٤ هيئة من أعضائها بينيه لفحص الأمر سيكولوجياً وبيداجوجياً، وإبعاد ضعاف العقول وإرسالهم إلى مدرسة خاصة بهم. وقد كان المتبع حتى ذلك الحين أن يعرف ضعاف العقول بطريق الفحص الطبي وآراء المدرسين.

شرع بينيه في وضع مقياس [٣] موضوعي objective يعرف به درجات الذكاء بين الأفراد، ويستطيع به تمييز ضعاف العقول من غيرهم. وكان كلما وضع نوعاً من المقاييس جره النقد إلى إصلاحه وتهذيبه ودراسة النقد الموجه إليه. وكان أول مقاييسه ما وضعه مع زميله تيودور سيمون سنة ١٩٠٥. ويمتاز هذا المقياس بأنه وضع ليناسب أسناناً مختلفة، وبتدرجه في الصعوبة وفقاً لتدرج السن. ولكي نعرف الفرق العقلي بين فردين أو أكثر يجب أولاً أن يكونا متساويين في السن حتى تقارن نتائج اختبارهم. ويمتاز هذا المقياس أيضاً بأنه لم يقصد به قياس الاستعدادات الخاصة، بل قياس الذكاء العام General Intelligence.

وفي سنة ١٩٠٨ نشر بينيه وسيمون مقياساً معدلاً للذكاء،

(١) صفحة ٥٠ من Psychological Tests of Educable Capacity

(٢) المتخلف من التلاميذ في التعليم هو ما يسمى بالانجليزية Backward، ولا يستلزم أن يكون ضعيفاً في عقله كله بل يختلف عنه الغبي.

(٣) أنظر مجلة العام السيكولوجي العدد الثاني سنة ١٩٠٥ من صفحة ١٩٣ إلى صفحة ٢٤٤. وكتاب ترمان « استعمال طرق حديثة في قياس ذكاء الأطفال الشواذ ونمو الأطفال في التعليم الابتدائي والمدارس الابتدائية » صفحة ٢٥٠

يجد فيه سكل عمر مجموعة خاصة من الأسئلة. فإذا ما أجاب الطفل إجابة صحيحة عن هذه المجموعة من الأسئلة كان عمره العقلي (ع ع) بحسب عمره الزمني (ع ز)، ويسمى ذكاؤه في هذه الحال متوسطاً. مثال ذلك أن يسأل الفاحص الطفل: (١) ما أصابعك؟ (٢) أأنت ابن أو بنت؟ (٣) ما عمرك؟ فإذا أجاب الطفل صحيحاً عن السؤالين الأول والثاني كان عمر الطفل العقلي (ع ع) أربع سنوات، فإذا كان عمره الزمني كذلك أمكن أن الطفل متوسط الذكاء يستطيع أن يجيب مصيباً عن هذين السؤالين. ولما كان هذا القياس عبارة عن مجموعة من الأسئلة تُرتّب صعوبة متدرجة سنة فسنة كلما ازدادت سنّ الشخص أطلق عليه بالفرنسية échelle métrique، أي القياس المتري للذكاء. ويعيب هذا القياس أنه لا يعطي أي فكرة عن العلاقة بين العمر الزمني والعمر العقلي، فشخصان اثنان في عمر عقلي واحد — خمس سنوات مثلاً — ويكون العمر الزمني لأحدهما خمس سنوات والثاني عشراً؟

وقد شاع هذا القياس في أوربا وأمريكا، فاستعمله ديكرولي في البلجيك، وجودارد في الولايات المتحدة، وبوبرتاج في ألمانيا، وفيريري في إيطاليا.

ثم عمل في هذا القياس ثلاث سنوات حتى ظهر بينيه — باسمه وحده — مقياساً آخر منقحاً سنة ١٩١١، وكان هذا آخر عمل قام به في حياته. وقد احتوى هذا القياس على أربعة وخمسين اختباراً موزعة على السنوات المختلفة من سن الثالثة إلى الخامسة عشرة. وكان هذا القياس كسابقه يبين عمر الفرد العقلي من غير تحديد النسبة بينه وبين العمر الزمني. وقد ترجم هذا القياس بعدئذ إلى لغات أخرى ولاقى رواجاً كبيراً في أمريكا.

وفي سنة ١٩١٦ نشر البروفسور ترمان — بمعونة زملائه بجامعة استنفورد — ترجمة منقحة ومهذبة ومزيدة لقياس بينيه سيمون[1] وتعرف هذه الترجمة باسم «مقياس بينيه — استنفورد المنقح»[2].

ويحتوي هذا القياس على تسعين اختباراً، لكل سنة ستة اختبارات. وهاك بعض هذه الاختبارات:

يطلب الفاحص من الطفل البالغ ثلاث سنوات:

١ – أن يشير إلى أنفه ثم عينه ثم فمه ثم شعره، ويحسب الطفل ناجحاً إذا أصاب ثلاثة من أربعة.

٢ – يعرض الفاحص على الطفل مجموعة مكونة من أشياء صغيرة (مفتاح، قطعة نقود، ساعة، قلم رصاص) ويطلب إليه أن يذكر أسماء ثلاثة أشياء من هذه المجموعة.

٣ – يعرض على الطفل صورة لولد هولندي (أو مصري) وأخرى... وأخرى... ويطلب منه أن يذكر أسماء الأشياء التي في الصور واحدة بعد الأخرى.

٤ – أن يسأل الفاحص الطفل الابن: «أأنت ابن أو بنت؟» أو يسأل البنت: «أأنت بنت أو ابن؟».

٥ – أو يسأل الطفل عن اسمه واسم أبيه أو عائلته.

٦ – أن يكرر الطفل وراء الفاحص ثلاث جمل بسيطة مثل: «أنا عندي كلب صغير» «الكلب يجري وراء القط» «في الصيف الشمس سخنة».

وقد أوردت طريقة الاختبار ولا يتسع المقام في كل الاختبار لأن هذا مما يطول ذكره، ولأن المقصود هنا إعطاء القارئ فكرة عن نوع الاختبارات المستعملة لقياس الذكاء[1].

ويمتاز مقياس ترمان بأنه استعمل لأول مرة نسبة الذكاء المسماة بالإنجليزية Intelligence Quotient، وهي عبارة عن نسبة العمر العقلي إلى العمر الزمني مضروبة في ١٠٠، أي $\frac{ع ع}{ع ز} \times ١٠٠$.

وقد أصبحت هذه النسبة[2] معتمدة في مقاييس الذكاء، وبها يمكن معرفة الفرق بين ذكاء فرد وذكاء آخر يختلف عنه في العمر. ووضع علماء النفس الجدول الآتي لمعرفة نوع ذكاء الفرد بعد اختباره:

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| نسبة الذكاء | فوق ١٤٠ | ١٢٠ – ١٤٠ | ١١٠ – ١٢٠ | ٩٠ – ١١٠ | ٨٠ – ٩٠ | ٧٠ – ٨٠ | دون ٧٠ |
| النوع العقلي | عبقري | ذكي جداً | ذكي | متوسط | غبي | على حافة ضعف العقل | ضعيف عقل |

فإذا فرضنا أن عندنا طفلاً عمره العقلي ٩ سنوات وعمره الزمني ٩ سنوات، وأردنا معرفة نوع ذكائه أجرينا العملية البسيطة الآتية: $\frac{٩ \times ١٠٠}{٩} = ١٠٠$، وهي نسبة الذكاء، وإذا نظرنا إلى الجدول السابق وجدنا أن صاحبها متوسط الذكاء.

«يتبع» عبد العزيز عبد المجيد

---

(١) يستطيع القارئ الذي يريد الاستزادة أن يراجع «مقياس استنفورد وبينيه للذكاء» لمصنفه الأستاذ إسماعيل القباني.

(٢) صاحب فكرة نسبة الذكاء هو العالم الألماني شترن... في Zeitschrift für Angewandte Psychologie... وقد اعتمد هذه الفكرة...

(١) وفي سنة ١٩٢٦ نشر ترمان كتابه المسمى Measurement of Intelligence

(٢) وقد ترجم الأستاذ إسماعيل القباني هذا القياس...

من عيون الأدب الإنجليزي

# مرثية في مقبرة ريفية

## لتوماس جراي

### للأستاذ محمد مندور

مدرس بكلية الآداب

---

ليست مراثي «جراي Gray» من الأسى. ولقد كتب شباب خاصة بكمبردج وتحدو سطورها، وفي جمال اطرادها ما يبعث في النفس هدوءاً وحنيناً ما، ورغبة إلى الماضي المضطرب اضطراباً [illegible] وصفه الجمال عند ما يسمى «بوالو» Boileau هذا النوع من الاضطراب الجميل بأنه منبع آيات الفنون.

ولطالما سألت نفسي عن سر إحساسنا إلى «جراي» على بعد القرون بين ما ألفنا في نفوس الشعراء، وما جبل عليه هذا الصديق، فوجدت جواباً في رقة النفس الحساسة تجد في اطراد الخشوع سكناً لا يجبن من الآلام.

ومن الحق أن الشعر الإنجليزي لا يعرف قصيدة أشهر من مرثية جراي في اطراد الوزن ورقة اللحن. فالقصيدة تنتظم رباعيات متناسقة القوافي متلاحقة التفعيل في غير رهق ولا عنت ينطلق فيها البصر، والنفس تلاحقه في يسر يجري مع [illegible] طرفت للنظر حتى انطوت على [illegible] فإذا النفس قد هدأت وسكن جأشها إلى اطراد النغم. ومن منا يتردد في صدق هذا وهل كيف؟

لم يعرف «جراي» ثورات النفس ولا عواصف الهوى، وفي انتظام حياته ما يملأ القلب إيماناً، فقد أمضى عمره يطلب العلم بكمبردج، وكأنه يطلب في العلم سلوى عن طفولته البائسة طفولة عاش فيها لأبوين متنافري الشعور حتى ليستحيل على أحدهما أن يسكن إلى الآخر.

ولأحب ما يعز في ذاتاً أن أتصور «جراي» رقيق النفس رقة الشباب الباكر، وفي ميوله ما يرضى بها الفن [illegible] أروع الرحل أسد الربع بأغاني Ossian تلك الأغاني التي [illegible] ولا زال يرددها سكان جبال [illegible] وساقه [illegible] إلى أساطير البلاد الشمالية يستلهمها معاني الشعر فأما بأساطيرها حسن للغاية دون ما يمكن أن يكون خلف ذلك من دم ووحشية.

وما كان جراي وهذه نفسه إلا ليعرف من آداب روما وأثينا ويغوص متأملها في معانيه حتى لتم [illegible] الإنسانية [illegible] وظله من [illegible] الصباح [illegible] الإنسانية فلأت الطبيعة عينها المضحكة، وإذا بعرائس الشعر ترقص في كل مكان، وإذا بسبب الأساطير [illegible] الرمس.

[illegible] نفس «جراي» في هذا العالم المسحور طرب لآثارهم إنما طرب [illegible] أن لو كان من متعهم [illegible] الشعر باليونانية واللاتينية، حتى لأحسب هذا الطرب قد ملأ في نفسه مبلغ الشهوة. ومن في ذلك لا تحض عليه [illegible] ومنا نؤمن أن نفساً لا تعرف الشهوة لا يمكن إلا أن [illegible] لم [illegible].

وقضى جراي حياته بغير زوج ولا ولد بين جدران كمبردج يستمع إليها تقص من أنباء الناس أجمل القصص، والطرب [illegible] على تلك الرجعة حتى دلف إلى سكون الموت.

قرأ جراي هوميروس وفرجيل، وعرف [illegible] ورحل إلى الشمال [illegible] الطبيعي المعقول، واتصلت به أثناء ذلك رحلات ورأى محاسن جلال الطبيعة ما يسمو بالقلوب علواً يحب الجبال. وكلنا يذكر كيف قاد روسو نفسه إلى قمم الجبال ليهدي السبيل إلى ربه.

أتى «جراي» إلى الألب [illegible] رحلته إلى جوار «جرينوبل» حيث يقوم معبد الرهبان الكرتيين La Grande Chartreuse.

هنالك [illegible] الجبال [illegible] كتب القابات برفع إليها [illegible] يأنس الآلات تردها النفس بذكراها. هنالك يملأ القلب شعور ديني [illegible] وإذا بنا نود أن لو استمعنا إلى مثل [illegible] التي [illegible] السحر، أنها ستحالف إلى ملائكة رحمة [illegible] كل نفس حتى نفس إبليس. هنالك يستشعر في الهواء إحساس بالجلال يحمل صوراً تأخذ النفس كارهة أو راضية إلى حيث تحس أطيب الحس، وما قال جراي عن [illegible]

من هناء . في حفلاته صديقه Horace Walpole فكل ذلك أجل الذكرى

وخلص «جراي» الزمن مرة أخرى فانطلق إلى حيث تلك البحيرات الصغيرة بين الجبال من شبه جلال الصحراء على وجه الصخر ، وانطلق إلى إيكوسيا حيث السكون الرهيب لا حركة إلا صهيب الناى [illegible] أعلى الجبال فتنساب بين الوديان أو تطفو على سطح الماء وكأنها من روح الله ، وبعد كل ذلك إلى قلب «جراي» قصيدة «بيومباث» Elegy التي طالما [illegible] أن نركن لها دليلاً باحثاً بنا إلى حيث نرجو أن نجد الجلال

وكرت الأيام و«جراي» يطير من نفسه إلى أن يطلع وجه باكر الأمل تلك المرثية الخالدة التي يحفظها عنه الكثير من قراء الطهريين Puritans الذى لا يزال يحفظها بعض بنيهم [illegible] من نزحوا منهم إلى أمريكا حيث وجدوا النفوس عند الإنجيل الذى يشع أمثال «القس» في جمع بينهم الإيمان بالمثل الأعلى مع البساطة المقدسة

وما كان جراي بحاجة إلى روسو ليحث على البساطة أو ليفسر بساطة النفوس وطهرها [illegible] في نفسه ومن ملاحظات تلك النفس ما يجوده إلى حيث انتهى في تلك المرثية الخالدة التي كتبها الشاعر في الحزن والتى لم يكد ينشرها سنة ١٧٥٠ حتى تناقلها جميع الألسن ، وحتى أخذت الأجيال أطفالهم يحفظونها كما نحفظ نحن بعض آيات كتابنا الكريم ، وأكبر ظني أنه حتى اليوم لا تزال تلك القصيدة أكثر القصائد انتشاراً بين القوم في جميع أنحاء إنجلترا

قال «جراي» : (١)

١ — دق الجرس الساعة بين النهار المدبر ، والسائمة تتهادى خلال المروج ، والفلاح المتعب يسعى إلى مأواه في خطى متثاقلة تاركاً العالم لى وللظلام

٢ — وتتضاءل معالم الأشياء فتختفي عن البصر الآن ، ويسود الفضاء سكون رهيب فلا تسمع إلا الجعل يرسل دوى أجنحته في كل صوب ، أو أجراس القطعان [illegible] ما اقتبسك في مراعي [illegible] تنشر [illegible] الذكرى

٣ — أو بعض البومة الحزين يحمل إلى القمر [illegible] شكاة [illegible] ما وصلت من شكوى إلى القمر إذ [illegible] الطواف العشوائي للوحش [illegible] السبيل فأقضوا منها المنام

٤ — تحت هذه الدردار وفي ظلال هذا التيوس [illegible] أجداد القرية في مراقدهم الأخيرة كل في قبره الضيق حيث [illegible] السكون [illegible] عشائش

٥ — [illegible] لتحتهم من رقدتهم الأبدية لا النسيم الصباحي العاطر ، ولا تغريد [illegible] من أعشاش القش ، ولا صياح الديك الثاقب ، أو [illegible] يتردد صداه من صوت البوق ، أن يوقظهم من رقدتهم

٦ — وقد آن لنا اليوم أن [illegible] لهم بعد اليوم لهيبه ! وما ربة بيتهم أن تعدو إلى [illegible] إذا جاء المساء ، وما للأطفال أن يهرعوا إلى آبائهم يتلعثمون البشرى بعودة أبيهم ، ويحلمون أن يتسلقوا ركبته ليختطفوا ما يتفاءلون فيه من قبلات

٧ — فكم تساقط الحصاد تحت ضربات مناجلهم ، ولكم [illegible] أسنة محاريثهم ما صلب من الحزون الغبراء ! فأى سرور كانوا يسوقون [illegible] إلى الحقول ؟ وأى [illegible] كانت أشجار الغابات تطأطئ من [illegible] ضرباتهم القوية !!

٨ — ما للكبرياء أن تحقر جهودهم النافعة ومسراتهم العائلية وقدرهم المستور ؟ وما للعظمة أن يحتقروا [illegible] البسيطة التي [illegible] بها أعمالهم ؟

٩ — وألقاب الفخار ، وأبهة السلطان ، وكل ما يمنحه المال والجمال ، كل هذا ساعة [illegible] بالرحيل ، إن سبيل المجد لا تؤدي إلا إلى القبر !

١٠ — ولست أيها المتكبرون [illegible] أن تلوموهم إذا لم [illegible] الأسلاب [illegible] فوق قبورهم تخليداً لذكراهم حيث تتردد أناشيد النصر في القباب المستدقة ، وعبر الأقواس المزينة بالتماثيل ، ساحبة نغمات المدح

١١ — وهل للأحجار [illegible] أو الأنصاب [illegible] أن ترد إلى مأواه ما [illegible] من نفس ؟ وهل لأصوات الفخر أن تبعث الحياة في [illegible] التراب ؟ وهل للتملق أن [illegible] من مسامع الموت البارد القاسي ؟ !

(١) الأرقام تدل على عدد المقطوعات للترجمة [illegible] وقد جعل الكلام بين مقطوعة وأخرى على نحو ما جرى في الترجمة بين الآيات في النثر العربي ولا نقرأ كل مقطوعة على أنها مستقلة

١٢ — من يدرينا [illegible] في هذه البقعة المهملة فلربما كانت تسكنه أنوار السماء؟ أو ربما كانت تستطيع أن تأخذ بصولجان الملك، أو توقظ الفتى إلى حد الإلهام؟

١٣ — ولكن العلم لم ينشر أمام أبصارهم صفحاته الطويلة التي أغناها بأسلاب الزمان. فقد أخمدت روح الفقر من حماستهم، وجمدت مجرى العبقرية في نفوسهم

١٤ — كم من جوهرة نقية الشعاع صافيته، تلك عيونها في أعماق المحيط! وكم من زهرة تورد بعيداً عن الأبصار، ثم ترسل عبيرها هدراً إلى بيداء الفضاء!

١٥ — من يدرينا، لعل هنا رفات «همدن» قريته وقد نبت بقلب جسور ليستذل الطغاة ربعه، أو «ملتون» آخر صامتاً خاملاً من أمجده، أو «كرومول» كان بريئاً من دم وطنه

١٦ — إن تحريك أيدي الشيوخ بالتصفيق، وأما احتقار [illegible] التهديد برسلها [illegible] والثالوب، ونثر الخير على الأرض الناهلة، وأن قراءة تاريخ الشعوب في أعين أعين

١٧ — تلك ما حرمهم منه القضاء على أنه لم يمنع فقط [illegible] خصالهم من أن تزهر! بل منع أيضاً جرائمهم من أن تستفحل، منعهم أن يخوضوا الدماء إلى العروش وأن يغلقوا مغلق الرحمة عن العباد

١٨ — منعهم أن يخفوا وخزات الضمير إذا أحست بالحقيقة التي يطمسونها، أو أن يطفئوا حمرة الخجل البريء، منعهم أن [illegible] الشعر من آلهة الشعر يحرقون بها أبخرة الفاخر التي يكتسبونها فوق مذابح الكبرياء والرفاهية

١٩ — بعيداً عن [illegible] المعارك المزرية التي خاضتها الجماهير المتوحشة لم تسمح لهم رغباتهم المتواضعة [illegible] وادي حياتهم الظليل [illegible] سارت مطرقة

٢٠ — على أنه حفظاً لعظامهم أن تهان [illegible] يقترب من هنا للسكان تمثال ضئيل زينته قواف ملفقة وتماثيل [illegible] يستمطر عابر السبيل واجب الزفرات

٢١ — أسماؤهم وأعمارهم كتبتها آلهة ملهمة من آلهة الشعر [illegible] النصوص المقدسة [illegible] حكيم الريف كيف يموت

٢٢ — [illegible] إلى النسيان وترك [illegible] أو ترك [illegible] الأخيرة آخر [illegible] دون أن ترنو إلى الوراء نظرة متحسرة، نظرة [illegible] المتباطئة

٢٣ — فالنفس الراحلة تسكن إلى صدر محبوب، والأعين المغلقة تستدر دموع الوفاء، ومن أعماق القبور يصيح صوت الطبيعة كما لا [illegible] من رماد

٢٤ — أما أنت [illegible] هؤلاء الموتى المقبورين [illegible] في شعرك الساذج، فإن [illegible] قريبة إلى [illegible] تقودك الوحدة إلى [illegible] من مصيرك

٢٥ — وسل شيخاً أبيض الرأس من شيوخ الريف يجيب

طالما رأيناه عند انبلاج الصباح [illegible] قطرات الندى مهرولاً إلى لقاء الشمس فوق [illegible] الخضراء

٢٦ — وهناك إلى جذع [illegible] الذي يرسل جذوره [illegible] كان يستلقي [illegible] جسمه [illegible] ثم يطيل النظر إلى الجدول [illegible]

٢٧ — [illegible] وطوراً [illegible] أحلام [illegible] الظهيرة [illegible] أو حطم نفسه حب جائر

٢٨ — وفي ذات صباح افتقدته [illegible] لا على [illegible] ولا إلى جذع شجرته الأثيرة، وجاء صباح آخر فلم [illegible] إلى جانب الجداول ولا [illegible] ولا بالغاب

٢٩ — وفي اليوم التالي رأيناه محمولاً في طريقه إلى القبر في حفل [illegible] وأناشيد [illegible] (أدن واقرأ [illegible] إن كنت تستطيع القراءة) تلك المرثية المنقوشة على الحجر تحت أشواك هذه الشجرة العتيقة

— على القبر

١ — تحت هذه الأرض يرقد في راحته الأخيرة شاب جهله [illegible] كما جهلته الشهرة [illegible] من العلم [illegible] وسمه الأحزان بميسمها

٢ — وابتسامة كانت طيبة كقلبه، وطاهرة كانت نفسه وبقلبه تلك الطيبة وذلك الإخلاص كأنه أنه الماء

لقد جاد على البؤساء بكل ما يملك، وما كان يملك إلا دمعه أراقه الماء كل ما عنى، وكل ما عناه كان سديداً

٣ — لا تحاول أن تمحي الثلاث من حسناته، أو أن ترفع عيناه من سكب الحب فقد حسبت الحسنات إلى السحاب مسحوره في أمل مضطرب مفزع، أمل من أوى إلى أحضان أبيه، أحضان ربه

• • •

ولو علم « جبران » يوم أن كتب تلك الرثية لذكاه أنه ستعج به أبواب الحب إلى الأزل ثم أبد، كذاه ما كان للمجد أو المخلوقات أن حسابه، وفي نفسه هنا الأريج العجيب من عبير الفكر وروعة الشعور وومض العاطفة

تلك الرقة التي حملته على أن يحصر كل ما يجمل أن تهبه السماء في حديثه ولو الحق أني لا أدري أيس من مس يستطيع أن يحسن الصداقة، والصداقة أبعد الناس من مجازة إلى عهدها ماثلا في أسس كل شعور قوي.

ضرب الصداقة الحب في نفس جبران الصادقة الرقيقة، بحيث لو أني أردت أن أضع على لسانه عبارة من صداقة لمونتانيه وابويه لما وجدت خيراً من كلمة مونتين montaigne الخالدة، وقد فقد صديقه La Boétie لا بويسه : « لقد كنت أقاسمه كل شيء مناصفة، حتى فقدته فأصبحت اليوم لا أصيب خيراً إلا أحسست أني أختلس من صديق عزيز النصف الذي كان يؤول إليه »

وأما اليوم، فليس لنا إلا أن نسأل الله أن يبارك تلك الأرواح الطاهرة في ملكوت رحمته

محمد سعيد

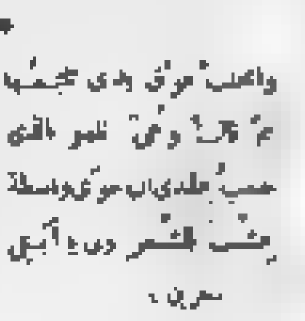

من وحي الرسالة

# ليلى

للأستاذ ابراهيم العريض

— — —

قلت يوماً لأخي ليلى وقد | حدثت دواتي تعشق
فكأن الحسن أولاه يداً | فارتبت يصبو أن يعشق
كيف ولم يرى على حسنها | ليس كالشاعر الأرض يعشق
هو من أحلامه في جنة | فلما حدثت عنها قلب حبا
كلما طاف به في قصر | إنما يطلقه الجمود قلب
وترى الضاحك في سكره | أنه يشرب حساً قاني
والسبيل يطاول إنما | سقط النجم الذي يوقد
لمن في مقبل من حبه | بما فيه ما يهب
يحسب الناس نحوه أولا | كل من شارك ما أحب
ثم يطويه قلبه فلا | هو الحب ولا من حبه »

• • •

ما أبالي غضبه في الصبا | يلقى حيث من أ أنا منك
« لا تسلني — هو مجنون عدم — | طائر يطير هنا كيف الطائر
هو يهوى الجمال ربما | حيث كان في الكون حق
قد شاهده في روضة | أو سحب مثل الإصباح حق
والتي يطويها من سحر | سطوة كف البدر أبيض
ويكن فيه مهد الحب في | قلب كل تحت العاشق دنيا
هو في شعره يعنى بها | سكنت قبلا الآفاق حسنا
لا تقل دنياه ظل زائل | شعاع الحب جناني يبقى
لو تجلت قدره الخلاق في | لحظة رائع بها الشاعر منى »

• • •

والعلى موقف بدى تجمعه | سطرا حين رأت ولي يعنى
ثم قالت ومن تقصر بالتي | قد دون أن تعيش حقا
حسب جلدي إن هو في وسطة | ما هو في الدهر حبه فشتى
يغشى الشعر دون يا أبي | أنت الشعر ولى ما أشتى

البحرين ابراهيم العريض

تاريخ

# بين الخوارزمي والهمذاني (*)

## للأستاذ علي الجندي

— ٢ —

حين غصّ المجلس بالشهود في دار النقيب، تطاولت الأعناق، وشخصت الأبصار، وانتصبت الآذان، فافتتح البديع المناظرة بكلام يجمع بين التهكم والتوريط: إنما دعوناك لتملأ المجلس فوائد، وتذكر الأبيات الشوارد، والأمثال الفوارد، ونناجيك فتسعدنا جدلاً، ونسألك فتسمعنا ما عندنا، وربما يأتي الذي ملكك زمامه، وطار به جناحك، وهو أعطف إن شئت، والنظم إن أردت، والنثر إن اخترت، والبديهة إن نشطت، فهذه دعوتك التي تملأ سمعنا بك!

وقد حسب الخوارزمي حساباً لشيخوخته، فخاف أن يكبو به رهنه في الحفظ والنثر، فآثر المبادرة بالشعر

فقال البديع: الأمر أمرك يا أستاذ

فأجابه الخوارزمي: أقول لك ما قال موسى للسحرة: «بل ألقوا»

فأخذ كل منهما دواة وقلماً، ونظم البديع أبياتاً مدح فيها السيد نقيب الأشراف، وفخر بنفسه ما شاء، وأوسع الخوارزمي همزاً وسخرية! منها:

والشعر أصعب مذهباً ومصاعداً  من أن يكون مطيعه في حكه
والنظم بحر والخواطر معبر  فانظر إلى بحر القريض وفلكه
فلم تراني في القريض مقصراً  عن مدحت أدب الإنصاف[1] فتركه
أصغر إلى الشعر الذي نظمته  كالدر رُصّع في [illegible] سبكه
لتق مجرب في القريض جماعة  فدعى بطائل له إمامه سبكه

ونظم الخوارزمي أبياتاً امتنع من إنشادها ما يحوي الرواة، فقال البديع له: إن البيت الثالث كالرمز لقائله، في أي شيء منحته ومصدره؟ أجزها العيون، وخلصها من القافلون، أما السعي

(*) تابع العدد ٢٣٢ (١) [illegible]

أن يكون المشكور أحسن منه؟ لأنه يحتسب [illegible] منطقه عجب؟

فقال النقيب: اقترحا على منوال المتنبي:

أرقٌ على أرقٍ، ومثلي يأرقُ

فابتدر الخوارزمي قائلاً:

وإذا اشتعلت جذبه يا سيدي  فأراك عند سبوق مقلقي
وإذا رأيت الشعر في ميدانه  لا شك أنك يا أخي تشقى
إني إذا خلت البديهة، قلتها  حالاً، وعنبك عند طبعي [illegible]
مثل أرائك والمستقل في الورى  شعر كأنه هاب المعترق[2]
إني أجير على البديهة مثله  ويأته، وإذا سلفت أسبقي
لو كنت من مفتر أمر قاله  من البهيمة، وأفتدي يشقى
أو كنت تأتي في البديهة خيرا  أزليت، مسكين متى [illegible]
وبديهة قد قلتها متقنا  مثل الذي قد قلت إذا الأحمق

ثم قال مفتخراً من هبة لصحبها: فقال البديع: جبر الله كسرك! إنني أراك [illegible] بين قواف مكروهة وألفاظ مختلة، كل قاف كجبل قاف: مقلق، متشعب [illegible] خذ الآن جزاء عن قوافيك، وأداء لقرضك

مهلاً أبا بكر فزندك أضيق  والعرش [illegible]
يا أحمقاً وكفاك تلك نصيحة  جربت طبعي [illegible] على محرق؟

فقال الخوارزمي: يا (أحمقاً) لا يجوز، فإنه لا ينصرف

فقال البديع: لا زلت تصفعك حتى ينصرف وتنصرف معه، ولست مع أن يومه لا ينصرف إلى الصرف، وإن شئت قلت [illegible][3]

ثم أردف البديع قائلاً: أجبني عن [illegible] البيت يا سيدي، ثم قولك [illegible]: أأصمت أم تصمت؟ على الفعلين لا يركبان في خطبة[4]، ولا يجتمعان في خلة

فابتدر النقيب قائلاً: قولا على منوال قول المتنبي:

أهلاً بدار سباك أغيدها

فارتجل البديع:

ما نعمة لا تزال تجحدها  ومنة لا تزال تكنُدها

فاعترض الخوارزمي قائلاً: الكنود كلمة لا تعرفها الكفران، فأنكر الجميع ذلك وقالوا: أما قرأت قوله تعالى: «إن الإنسان لربه لكنود» أي لكفور

(١) [illegible] في رواية رسائل البديع (٢) [illegible]
(٣) [illegible] (٤) [illegible]

حتى" الخوارزمي وقال : أنا كنت بقصيدة دونه أهل همدان في الفن ! أكنت أنت بمصك ؟ فقال البديع : أنت في حرفة الكُدْية(1) أحذق ، وبالاستجداء أحرى وأحلق ، وأما ما أنك صدى يهودي بأنك في منصبه ووجدك بعيبه . ثم مال على من فقال : أحسنا جبراً ، فتى ؟

وشبهته بمسح عارضيه ... بغير القلم في الخد الرهين

فقال الخوارزمي : أنا أحفظ هذه القصيدة ، وهو لا يعرفها

فقال البديع : أسأله ، فإن البيت على غير هذه الصيغة وهي :

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا الوشم في الوجه الحسين

فقال الخوارزمي : والله لأصفعنك ولو بعد حين !

فرد البديع : أنا أصفعك اليوم وتصفعني غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر . ثم أخذ يقول في الروي

رأيت شيخاً سمجاً ... يعرف كل سخيف
وقد أصاب شيبه ... وعرق الشيبه

ومضى على ذلك منشداً

وأراني طول الهوى ... إذا اشتد لا يعيب امرأ إلا أنا كل
أحاديثه حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أحاديثه

وحاول الجدل عبثاً بينهما حتى عبر المحضور ، وبدت الفكرة في عيونهم ، فخرج من المجلس ، ولم الناس — كعادتهم — في حلقات متناجين ، ثم انتشروا في الصباح وقد تفرقت آراؤهم في الحكم على الرجلين ، تبعاً لاختلاف ميولهم وأهوائهم

وقد عز على جماعة من الفضلاء أن يبلغ الشقاق بين الرجلين هذا الحد المقيت ، فسعوا في إصلاح ذات البين ، وحفز البديع على طلب المصالحة ، وهو دليل على أن العدوان بجريرته ، فمشى إلى الخوارزمي معتذراً يقول : بعد الكدر صفو ، وبعد الغيم صحو !

وأبى كرم الخوارزمي إلا أن يقبل عذره ، وزاد على ذلك بعده إلى أن ينقضي عنه سحابة يومه مسروراً بأريحيته

وتصافى الرجلان ، وحل الوئام محل الخصام

ولكن هذا الصلح كان كسلم (فرساي) يحمل في تضاعيفه جراثيم حرب ضروس ! فلم يلبث أصحاب الخوارزمي والمتعصبون له أن سعوا في نقضه حيث دبروا الخلاف مرة أخرى شديدة ثانية ! فلم يكن بد من عقد مناظرة ثانية تكون فصل الخطاب في هذه القضية الشائكة

وكان أن مشى على في دار أبي القاسم الوزير ، فحضره بعض الجلة على رأسهم رجل له مكانته وخطره هو الشريف أبو الحسن ، وكان البديع ميالاً متعصباً للأخير منه ، والخوارزمي مستطيباً بصحبة الشيخ ، فرحب البديع بجانب أبي الحسن ، وبرع في استمالته إليه ، فمدحه وصدح آل البيت بقصيدة أولها

يا معشراً ضربوا الزمان ... قبّاً على مُعَرَّسِهم حياته

ثم انثال الناس على المجلس من كل صوب وحدب حتى حل بحوى الخالة من رؤساء المدينة وعلمائهم وقضاتهم وشعرائهم وأهل الخوارزمي — بعد لأي — في جمع غير من أصحابه ومريديه.

وبعد ملاحاة ومشادة بين المتناظرين ، شبه الخصام طلائع الحروب اقترح إليهم بعض الحضور أن يتسابقا على عيار قول أبي الشمقمق:

أيّ الزمان به كذّوب مصادر ... دون سؤاله دونه ويأس

فابتدر الخوارزمي قائلاً

يا قاسياً ما مثله من قاسٍ ... أنا بالذي تقسى علينا واحسي وحسي

والله تُبيت بأرض مصيبتك ... لا بل بليت بجاب ذئب ناهس

فقال البديع : ما معنى قولك : ذئب ناهس ؟ فقال الخوارزمي ما معناه — هكذا زعم الرواة — فتنبه الحاضرون أنه قال : الذئب الناهس ، الذي يأكل الناس . فقال البديع : استكرت الذئب ! صار الذئب جملاً يأكل الناس

وهنا هدأت العاصفة بحضور الرئيس أبي جعفر ، والقاضي الحربي ، والشيخ أبي زكريا الحيري

( البقية في العدد القادم ) علي الشرقاوي



(1) التسول

# آلام فرتر

للشاعر الإنجليزي « إدوارد شانكس »

للأستاذ أحمد فتحي

الأستاذ الزيات

ليس « جوته » بجديد عليك ؛ فقد أخرجت المكتبة العربية منذ قليل إلى قصته الشهيرة روايته الخالدة « آلام فرتر ».

وليس « إدوارد شانكس » بجديد عليك ؛ فإنه [illegible] في عصر [illegible] الأدب في بريطانيا.

وليس فتى جديد عليك ، فقد تصفحت « الرسالة » [illegible] منبرها على الدوام.

ولكن الجديد هو أن يكتب « شانكس » عن « آلام فرتر » ، فيجتمع كل هذا الجديد الذي تردد صداه في آخر الحديث [illegible] بين [illegible] المصريين في [illegible] وبين الاطلاع على ما في الفن الرفيع. ولينظر جمهور الأدب بعد ذلك في أي عصر نعيش ! « ا . ف »

أكبر الظن أن كتاباً يصدر بهذا العنوان في أيامنا هذه لا يقدر له حظ من النجاح. ولكن « آلام فرتر » قد ظفرت منذ ظهورها بنجاح فائق ، وطافت أرجاء الدنيا باسم شاب في السادسة والعشرين من عمره. بل إن هذه القصة بعينها قد أبدعت طرازاً طريفاً ، واستحدثت مدرسة جديدة [illegible] أتباعاً ومريدين لا حصر لهم. كان المرء في بطل القصة يستأثر بحب معظمهم ! بل إن الألوف من شباب أوربا كانوا في وقتها يعمدون أن يرتدوا من الثياب مثل ما كان يرتدي « فرتر » ، بل إن بعضهم قد جرى شوطه وانتهى إلى مثل خاتمته فقتل نفسه !

قرأ « نابليون » هذه القصة سبع مرات ! واستصحب [illegible] في مصر ، بعد ظهورها بعشرين سنة. وحين مثل « جوته » بين يديه في « إرفورت » بعد ذلك بأكثر من عشر سنة أخرى ، كان موضوع القصة نصب أعين الإمبراطور في كل ما دار بينهما من الأحاديث. ولقد أبدى الإمبراطور للشاعر أنه فهم القصة فهماً جيداً ، وأحبها في إخلاص ، مما كان له أثر باق في نفس الشاعر.

وإنه لمن المعقول في هذا المجلس أن نعرض البواعث التي أوحت إلى « جوته » بتأليف قصته هذه [illegible] من وضع مسرحية اسمها [illegible] « شكسبير » [illegible] الأدبية. ولقد كان لهذه الرواية حظ ملحوظ من النجاح ، كما كان « جوته » قد كتب في ذلك الحين كثيراً من أروع شعر [illegible] يضاف إلى ذلك أنه كان موضع الالتفات إلى جمال [illegible] وذكائه اللامع ، ومظهره [illegible] غير أن أباه ، وكان رجلاً عاطفياً شديد [illegible] أراد [illegible] أن يرسم لنفسه طريق [illegible] في حياته. ومن ثم رحل ليتم دراسته القانونية في جامعة « فتزلر ». وكانت هذه المدينة حينذاك مقر المحكمة الإمبراطورية في ألمانيا. [illegible] « جوته » فتاة كانت له خطيبة [illegible] سبيل حياته إلى رجل آخر. [illegible] الحب ، بدأت [illegible] « آلام فرتر » التي احتلت مكانها الملحوظ في قلوب القارئين.

* * *

كان « جوته » في أواخر [illegible] العاطفة [illegible] الناس [illegible] مظلم الخاطر ، حتى إنه كان يحتفظ بخنجر [illegible] جانب سريره ! ويشعر أنه [illegible] لا محالة. ولقد كان من آثار [illegible] أن رحل من « فتزلر » [illegible] قبل أن تضع الأقدار لقصة غرامه البائس نهاية ما. ولو أن [illegible] كانت وقعت [illegible] « شارلوت » [illegible] الشاعر الحساس على [illegible] فما أكبر الظن أن هذا الانقلاب لم يكن ليحول بين « جوته » وبين الهرب من [illegible] المرأة التي أحب من كل قلبه ، بالرغم من استعداده الفطري [illegible] لم يكن [illegible] أو بجوته سوى استعداده الفطري لإيثار العزلة.

لقد زعم بعض من ترجموا له أنه حين رحل إلى « فتزلر » كان ينتهي بأيامه الأولى [illegible] ، لأنه لم يجد فيها فتاة تستأثر بقلبه. غير أنه لم يلبث حين رأى « شارلوت بوف » أن وقع في شراك حبها. كانت في التاسعة عشرة ، وكان له [illegible] اثنا عشر [illegible] وليس من [illegible] أن [illegible] على [illegible] التي وضعها في لقاء « فرتر وشارلوت » في قصته بعد ذلك ، فقد جاء في القصة أن « فرتر » دُعي [illegible] إلى حفل راقصة ، مع [illegible] وعده بأن يجد له شريكة في حلبة الرقص ، فاصطحب

التي حركة حب الجميع إلى بيت «شارلوت» التي لم تكن قد أصيب بعد أخيب الرجال. تحبهم، إذ لم تكن قد فرغت من تقديم وجبة العشاء لإخوتها وأخواتها الصغار

كان اللقاء على هذا النحو استهلالاً رائعاً لقصة شعرية بارعة. ومن الحق أن شارلوت كانت على أوفر حظ من الجمال والصفاء والشعور الواجب. غير أنه كان من سوء حظ «جوته» أن الفتاة جاءت لأن تكون خطيبة من «ألبرت كستنر» ولقد كان من سوء حظه أيضاً أنها لم تسمح له بغالية عواطفه نحوها قبل أن يظفر من بعد رجوعه. وهكذا لقيت من الآلام ألواناً من أجل شغف ومن أجل «ألبرت» الذي آثره آخر الأمر بطريقة حسنة إذ وجب أن تزف إليه دون الشاعر

ولقد كان يسمعاً لى أكبر درجة من الشعور أنهم أمضوا شهور الصيف التالية في جو لا نظير له، إذ كان الشاعر الفتي يهيم حبها على حب الحقول، ويقضي كل أوقاته ملازماً «شارلوت». وكان فصلاً من ذلك الذي وصفا ذكرى الفؤاد، قد ثار من النجاح في حياة الأديب حتى كان «ألبرت» يصبر إليه في مستقبله. غير أن ألبرت كان منقطع النظير بتسامحه وصفاء ذهنه، فأحب «جوته» ودنا من شارلوت. ولعله قد أدرك بثاقب رأيه أن التسامح كان حريا بكي أن يطفأ لهيبه في ذلك الوضع الشاذ. ويبدو أن «جوته» قد ترك عليه الحيل على الحرب، فظل يصور مشاعره المأساة عن النحو الذي وعى آلامه، وقد وجدت المأساة خاتمتها بعد ثلاثة شهور رحل بعدها الشاعر إلى موطنه «فرانكفورت» حيث ظل يرسل إلى الزوجين جميعا رسائل تفيض بأحزانه

* * *

على أن فصول هذه القصة على متانتها لم تكن كافية لتنسج الثوب الرائع الذي ظهرت به «آلام فرتر» بل أتاحت الأقدار لقلمها العبقري حادثين أخريين أعانا على إظهارها في ذلك الثوب الذي لا مثيل له.

ذلك أنه التقى في «ويتزلار» بشاب مصاب للقراطيس اسمه «أورشليم» ولم يلبث هذا الشاب أن أحس في حياته بحظ نفسه. وهنا انتهت القصة في شخص «أورشليم» ... ولكنه لم يكتب في تلك السنين أيضاً، بل مات ... تاركاً ما التقى له من فصول حياته الحقيقية ... في حب قصته الخالدة. إذ حدث أنه حل سنها بعد ذلك بقليل من مدى عرفاء اسمه «بيتر برنتانو» كانت له زوج حسناء اسمها «ماكسميليان» لم ترق ما يبدي الشاعر الشاب من الاهتمام بأمرها. فآثر أن يضع حداً لسياسته وطرده من بيته بدافع من الحرص على المصلحة! وبعد ذلك مباشرة انزوى «جوته» في عقر داره وعكف على كتابة قصته الخالدة، فظهرت أول طبعاتها عام ١٧٧٤

* * *

كان ظهور هذا الكتاب أشبه ما يكون بالعدوى الخاطفة وكانت شارلوت وزوجها ألبرت أول من شعر بذلك. إذ أن جوته حين آثر النهج الواضح في تسجيل حوادث القصة لم يغير أسماء أبطالها! وإن كان قد غير من حقائق حوادثها وغير الأطفال أنفسهم، فالصق بألبرت كثيراً من نقائص غريمه «برنتانو» تلك النقائص التي كان يعلم أن الغريب يرى أشد سخطاً والتي جمعها ذات الأثر الفعال في انتحار بطل قصته «فرتر»

ولقد تحدى «جوته» مواطنيه جميعاً في تقديمه القصة إليهم إذ زعم أنهم لا يشعرون بسبب في ظل الحاضر الأخرى ولا يجدون قيمة القصة إليهم أنفسهم. ولم يكن مسرفاً في هذا التحدي، لأنه إنما أصاب الشهرة في وطنه ووصف أنه موهوب قد يصيب ... وحسب، بينما استطاعت «آلام فرتر» أن تحمل الحدود إلى سائر بلاد الأرض، وأن تغزو أفكار الشباب حيثما وقعت في أيديهم، بما تحمل من صور العبقرية الفذة. وإن الكثيرين من هؤلاء قد رسموا حياتهم صورة «فرتر» كإنسان يبلى القلب من العاطفة عن الإنسانية! فتلفظه الحياة فأرغبه الموت. ولقد بلغ من تأثرهم بمعنى هذه الصورة أنهم آمنوا بأن الحياة ليست إلا هذا اللون من الإخفاق المريع، فجروا مع «فرتر» إلى نهاية الشوط، وقتلوا أنفسهم!

* * *

ولقد بين معاصريه من رجال الإصلاح الخلقي أن « فرتر » قد زين الانتحار للشباب . وهذه حقيقة يصعب إنكارها ، بل من وجهة نفسية تتصل بشكل شخصية « فرتر » هذا أدق على الزمن الباقي من الزمن ، ويكفي شيئاً من ذلك أنهم أرغموا « جوته » على أن يضع أبياتاً حكيمة يتغنى بها « فرتر » في طبعاته الأخيرة ، كأنما يقول بأنه لا عذر لمن يحذوه . ولكن إضافة هذه الأبيات لم تكن لتجدي في الواقع شيئاً ، وكل ما أثير حول الكتاب من النقد إنما كان كله إعلاناً زاد رواجه وساعد على ذيوعه

ولا يتسع المقام لتعقب الآثار الأدبية التي أحدثها ظهور هذا الكتاب ، تلك الآثار التي سرت إلى القرن العشرين وظهرت في شخصيات الأبطال القصصيين الذين نذكر منهم مثلاً « بيرون » و « شاتوبريان » . غير أن ثمة ملاحظة أخرى يجب أن تضاف إلى ما تقدم من أثر الكتاب في حياة مؤلفه نفسه . فإنه لم يصب من النضج في حياته مثل ما أتاح له هذا الكتاب وهو لم يتخط الخامسة والعشرين . وقد يكون لقصته الأخرى « فاوست » حظ أوفر من القراء في هذه الأيام ، ولكن لم يكن لها مثل ذلك في أول عهدها بالنشر . ويحتفل شعراء « جوته » أنه إلى ما أخذ لنفسه وصف أنه مؤلف « فرتر » وبهذا الوصف قدمه « الدوق كارل أوجست » إلى « نابليون » حين نزل إلى بلاده ولقاء الشعر وهو في موضع الصدارة بين رجال الشرق . ولا إذا حسب الكاتب وجرة عند من يقرأون هذا الكتاب في أيامنا الراهنة ، فهو من الكتب التي يتعذر إهمال الأديب لها . فقد نظم « جوته » فيه أحسن الشعر الذي لم ينظم بعده ولا قبله مثيل له أو خير منه ، بل إن هذا الشعر ليبز بصياغته ووضوح تعبيره كل ما صدر من شعر الألمان حتى إلى اليوم . والكتاب بعد ذلك وقبل ذلك ، حافل بجمال مصور من كلمة التعبير والأوضاع ، حافل بروح الشباب التي أرودها الشاعر مرة أخرى في شعر عذب رائع زاهر مسه الأخرى « فاوست » تلك الروح التي ردوده منه روح شبابه

(الجيزة) — أحمد فتحي

# من الأناشيد المرفوضة

للأستاذ علي الجندي

نحن جند النيل أبناء الفداء ... وكماة الحرب أبطال الكفاح
نرد الهيجاء في ظل اللواء ... كأسود الغاب أو موج الرياح
في سبيل النصر والفتح المبين

نحن أبناء الصناديد الشراة ... سادة العرب وأبطال الأمم
اقرأ التاريخ وحفظ ما رواه ... من صلاح الدين أو باني الهرم
وكذا الآباء ترعى البنين

نحن في البر وفي البحر أسود ... ونسور بين أمواج السماء
يحمل النصر لتاريخ الجدود ... فوق ظهر الأرض أو فوق الماء
فوق لج البحر تزهو بالسفين

من يحاربنا إذا جد القتال ... وجموع الحرب تهوي كالشهب
نحن في ساحاتها مثل الجبال ... لا نبالي بالقنا والكروب
أنهاب الحرب أسد العرين ؟

سائل الفيصل عنا والقنا ... هل تخاذلنا وغى بين الحروب
نرخص الأرواح للتبجيل حتى ... ونفديه بأحباب القلوب
وكفى بالمصر أن نفديه دين

مصر يا جنة للساكن والمنظر ... تنتمي الشمس وواقيك التي
فلان فاروق وهل يخفى النهار ... ترى فوق النيل حسن كالست
ملك يحمي صهوة الراشدين

قد سلمنا العهد والله شهيد ... أنا للعرش فدا والبلاد
فاحفظوا يا قومنا عرش الرشيد ... عاش فاروق لمصر حبيباً عاد
ناصراً للشعب وعاش الأمين

علي الجندي

الأدب في سير أعلامه

# بيرون

ذلك العبقري المغرور الذي عاش في ثورة
أنشد الحرية ولاقى الموت في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف

أتم الصبي في أبردين سنوات وكانت به أمه [illegible] وأحبه أساتذته حباً عظيماً وأعجب بذكائه الفائق، ودهش لكثرة ما قرأ من الكتب؛ وفي تلك المدينة أسلمته أمه إلى رجل ادعى أنه قادر على أن يبرئ عاهته، وكم كان يتألم الصبي حين كانت يدا ذلك الرجل [illegible] بالزيت، ثم يضعها في صندوق ويشد عليها الرباط في عنف شديد؛ ولكن كبرياءه كانت تأبى عليه أن يظهر الألم على ما كان من هوله وعدم جدواه. ولقد كان ذلك الرجل العنيف يرسله أحياناً إلى بعض الحوانيت ليشتري له ما يريد كأنه خادمه، والناس يبصرون ويألمون أن يحمل الحدث الجميل [illegible] للسابلة. وكان الصبي يحقد من قلبه [illegible] كبريائه، ومما [illegible] أن [illegible] ويحكم عليه

واستطاعت أمه أن تحصل له من ميراثه مؤقتاً على [illegible] جنيه [illegible] له كل عام حتى يصبح له الحق بأخذ نصيبه كله. وأخذ يحاول الصبر في [illegible]، ولكن أنه ظل على حاله من الشذوذ [illegible]

لا يبرئ [illegible] التعالم وكثيراً ما [illegible] على الرغم من عرجه؛ ولقد [illegible] وأن [illegible] بوجهه وغرته

وهكذا تظهر الظروف علائم [illegible] في هذه السن التي كره [illegible] عهد بعيد [illegible]، وهو متوقد العاطفة [illegible]، وهو في الكلمة حاضر البديهة، وسوف يكون عنده [illegible] خواص شعره يوم يحمل أسمه، وسوف [illegible] على الإعجاب بذلك الشعر

وأدخلته أمه مدرسة في لندن وهو في الثانية عشرة من عمره، وكانت تزوره هناك أحياناً فيبدو للناس من شذوذها ما يحمل الفتى التشكي منه؛ كم كان يشتهي [illegible] إذ يجيء [illegible] أمه، فيصارحهم [illegible] مرة أخرى. ولقد كان وهو في تلك السن يحمل في جيبه أينما سار مسدساً محشواً، كأنما كان يتحصن به مما لقيه من [illegible] بسبب عرجه. على أنه لا يبعد أن يكون ذلك بعض ما تطرق إليه من شعوره بسبب ما سمع من الأقاصيص عن [illegible]، فلقد كان الصبي [illegible] ما كان يقص عليه [illegible] من أنبائه في [illegible]

ونقل الصبي وهو في الثالثة عشرة إلى مدرسة هارو، وكانت من أكثر المدارس شهرة يومئذ، وفي مدرسة هارو [illegible] وكان يقوم على [illegible] أحد ذوي [illegible] من [illegible]، ويرمي [illegible] ذلك [illegible] إلى [illegible] العهد الجديد، [illegible] وكبرياءه، [illegible] على [illegible] كتب به [illegible]، [illegible] في ذلك [illegible] كبيراً، وأحب [illegible] إلى صداقته، [illegible] هو الشخص الوحيد الذي خضع له بيرون في حياته كلها

وطلب المدرسون والتلاميذ جرأته من أول الأمر، فهو يخرج على ما يحد من حريته، وهو يذهب في ذلك إلى أن يعلن [illegible]؛ على أنه ليحمل [illegible] به وجهلاً [illegible]، وهو لا ينفك يتحدث عن الثورة في فرنسا وما [illegible] إليه من حرية؛ ولو كان على رأس تلك المدرسة رجل غير [illegible] لما صبر على [illegible] [illegible] على الإعجاب [illegible] في [illegible]، يظهر من الشجاعة الأدبية في كل المواقف ما ينال به احترام الجميع، وهو لا يعرف الكذب ولا يطيق سماعه، وهو [illegible] على الرغم من عنفه، وهو شديد الإخلاص لأصدقائه لا يبخل على أحد بشيء مهما عز، وهو مشتعل حماسة واندفاعاً، وهو فصيح اللسان، [illegible] العبارة، ذكي الفؤاد، وهو [illegible]

من ذلك كله شيء وأمن الكتب ما لم يقرأ مثله أحد ممن هم في سنه عند إلى الحد الذي يقنعه ويحرصه على كرامته وطموحه وينمي ثقته

لذلك لم يمض على بيرون عام في مدرسته حتى كان شخصية مهيبة جذبت جميع أترابه، و... أساتذته، وأعجبوا به على الرغم من عرج في رجله وتكاسله أحياناً عن دروسه، وكان جميع الصغار منهم يتنبأون لذلك الغلام بمستقبل عظيم وأثر في الأدب خطير

وكان قد ملك قلبه وهو في الثانية عشرة حب جديد لابنة عم له أخرى هي مرغريت باركر، وقد ذكر بيرون حبا بعد ان أوتي حظا عظيما في الشعر كانت من حب الفتاة التي كانت تكبره بعام، على أن يد الموت لم تلبث أن قصفت عودها الغض وهي في الخامسة عشرة، فكان هذا أول حزن أرمض قلب الفتى واستقر في أعماقه حتى نهاية عمره

وكان ... ماري يحمل ... ويقصد قصر القريب إلى ... على ... وظل ... ويتأمل في ذلك المكان ... ساعات ؟ وكان ... من سفاهة في ... إلى المرآة أحيانا، وذلك ... الغموض الحالك الحرية، ولقد اشتهر عنه بعد أمر ذلك القبر الذي كان يستطيع عليه الشاعر، حتى لقد أحيط بسياج من الحديد بعد أن أصبح الشاعر في ... ، وذلك حين ... الزائرون عند المكان إلى ... كثيراً من آثار العبرة على الرغم من أنهم كانوا يعلمون ان ذلك القبر لم يك قبر بيرون

وأتيح للفتى وهو في السادسة عشرة أن يذهب إلى قصره في نيوستد ... وجهت إليه من ... ذلك القصر، وكان هذا شاغلا يذكي الوجد جراحه، ولشد ما أحب بيرون أن يرى ذلك القصر، وأن يرى تلك الشجرة التي غرسها هناك بيده، وقد أصبحت تترعرع وتكبر

وكان يقوم على مقربة من نيوستد قصر آخر في موضع اسمه أنسلي، وكانت تملكه أسرة شاورث وهم من ذوي قرباه، وكان بيرون يختلف جواداً إلى ذلك القصر أحيانا، حيث كان يرى قريبته ماري شاورث وهي فتاة كانت تكبره بعامين، وهي من سلالة ذلك الرجل الذي قتله اللورد الخبيث في مبارزة

وكانت ماري تحب فتى من أهل تلك الناحية على غير علم من بيرون ... وسكنا ... في ... ما لا ... على حين فتاة في مثل هذه السن، والتهبت بقلبه ... 

... ما ... من الخجل ... الكلام ... ذلك الفتى المشبوب الخيال الملتهب العاطفة، وتستأثر ... بالفتاة ما يرى الموجود ... ، ولا ... تنساق إلى ... ، ولكن قلبه لم يك ... فلقد ... الحب يقتص من ذلك القلب الفتى القريب ... ، وجعله في ... الورد ... ضرباً من الجنة ... من ... الزهر ... ويجذبه أطراف الأحاديث ... في ... هناك إذ ... ، وأحب إليه ... 

وبات الفتى في مدرسته الجديدة يستروح أنسام السعادة ويحلم أحلام الحب، إلى أن كان ذات ليلة من ليالي مرحه في طريقه إلى ... فسمع ماري تقول لخادمها وقد حسبته قد صار بعيداً لا يسمع: «أتظنين أني أحب هذا الصبي الأعرج؟» ... الكلمات كالسهام إلى قلبه، ورأى جنته قد انقلبت ... في مثل ... ، فخرج ... في الظلام وظل يعدو كالمجنون حتى ... نيوستد، فأوى إلى حجرته ... ، ... الليل ساهداً ... حتى أصبح الصبح، فعاد إلى أنسلي ولكنه لم يطلع ماري على ما حدث ... واستقرت اللوعة في قلبه ... ، ... ذلك القلب ... ، وإن كان ... ، ولقد كان من أثر ذلك أنه ... على ... نفسه ... حتى ... ، ولم يك ... غير شعره ... ولم ... التي كانت ... إلى جنته ... وأشد ... من كبريائه

وحل موعد الذهاب إلى المدرسة فلم يذهب على الرغم من إلحاح أمه عليه وتطلعه ... على نفسه بالعذاب مرة بعد أخرى ... ، ثم ... وبين اللورد جراي ... بسبب ... الشديد ... من أن يمضي به إلى أمه، ولقد ... ووجه ... كأنما سرت في جسده حمى ... وأخيراً عاد الفتى إلى مدرسته بعد غياب ثلاثة أشهر منذ بدأت الدراسة وقلبه مثقل بالهموم ونفسه منطوية على الثورة

وحاول بيرون أن يعزي نفسه ... على ... ماري فأنس ... من أحدثهم، ... إلى الحب ... من الحب ... في ... من معاني السحرية؛ ... الحب في نظره إلا ضرب من ... ، وإن ... الذي ... في ... أصبح ...

يقول ذلك وإن قلبه ليمتلئ بمثل الكلوم، وأوجع ما يكون القلب حين يكون مثله في ذلك مثل من يشتد به الطرب لأحزن الأمور، فلا يريد في دفع هذا الحزن إلا أن يضحك ويمعن في الضحك ويصيح بأعلى صوته إنه فرح مستبشر، حتى إذا خلا إلى نفسه أحس الهوى أشد الهوى وأقسى، وربما كان منه مثل هذا المرح المتكلف

ولاذ بالكتب عسى أن تسري عن فؤاده، وراح يقرأ منها ما يقع له ويجد أقوال شيلي [illegible] من دعواتهم، ولقد كان يرجو من وراء ذلك أن يبرأ من دائه كما كان يرى فيه ما يخفف من عذابه وكربته، كأنما كان يريد أن يصرف قلبه عن وجهته بالعنف بعد أن عجز أن يصله بالصبر

وتوالت على الأيام محبة أصدقائه، وحرصهم على مودته، فكانوا يرجعون إليه في أمورهم ويطلبون الاستمتاع بروحه المرحة في أجمل أوقات حياتهم في المدرسة ويحسون جميعاً أنهم دون هذا الفتى الذي يحب حياة التفاخر وإن لم يعمل بعد في تيار الفاخر ويعترفون له بالتفوق وإن جاوز ذلك أن لم يرتحوا [illegible] في الدروس المقررة ويظهر عليه في كثير من نواحي الحياة المدرسية

وصار يكثر من الذهاب إلى تلك المقبرة التي أحبها متخذاً [illegible] من الوحدة في تأمله وقراءته، وأقرانه ينظرون إليه ويشيرون من بعيد قائلين: ها هو ذا بيرون يصعد التل إلى مقبرته

وازداد تعلقه بالمدرسة وحبه لها حتى إنه ليحزنه أن تقرب الإجازة الدراسية فهو لا يستطيع أن يذهب إلى أمه ولا إلى نيوستد، وليس أمامه إلا أن يذهب إلى حيث كانت تقيم أمه في سوثول على مقربة من [illegible]، وهو كلما تلمست به نفسه أوجد نفوراً من تلك الأم التي ما زال ضعفها وحدتها [illegible] حتى ليضيق بها [illegible] حيناً من أجلها

على أنه ما لبث أن سكن إلى أخته لأبيه أوغستا وراح يشكو لها بثه وحزنه، وكانت رسائله إليها مبعث بهجة قلبه وترتيب روحه وموئل عاطفته، وكانت رسائلها من أكبر دواعي سروره كما كان يجد رسائله إليها، ولما علم أنها [illegible] حب كتب إليها يظهر [illegible]

وكرهت إليه قسوة هذين الناس جميعاً وصار يحترق الخجل إذا طلع عليهن، على أنه أحبها [illegible] زواج [illegible] وقد كشفت إليه [illegible] وكان يحظرها [illegible] موضع [illegible] ثم خرج مسرعاً فامتطى جواده وراح يسابق به الريح

وأحس بيرون في سنته النهائية في هارو حباً عنيفاً لهذه المدرسة حتى إنه كان يفكر كيف يطيق الفراق [illegible] وكان في سنته النهائية قد قارب السابعة عشرة من عمره [illegible] من نفسه [illegible] كل من كانوا دونه في السن، ولقد كان شديد الولوع بهذه الرحلة عظيم الفخر بها والحرص عليها، وأحب في تلك السن كثيراً من نظم الشعر في الخطب المدرسية وفي غيرها من الحفلات [illegible] من أقرانه ورؤسائه كانوا يرون منه خطيباً قد أكبروا، كانوا يرون فيه شاعراً وذلك [illegible] في إلقائه كله وما يجيء من بلاغة مثيرة وعن تحليقه وانطلاقه

وأقبل بيرون على دروس اللاتينية والإغريقية وهو في هذه السن [illegible] أحبه فيها كما تفوق في السباحة وفي لعبة الكريكيت على الرغم من عرجه

ولما حان يوم الرحيل طاف بالمدرسة كلها طائف من الحزن لفراق بيرون، وثقل ذلك الفراق على هذه النفس الشاعرة حتى ما درى الفتى كيف يطيق أو كيف يطيق البعد عن هذه المدرسة التي عاش خطوات الفتوة بين جدرانها .. وخرج منها وصوت التوديع من أقرانه ملء أذنيه وملء نفسه

والتحق بيرون عقب ذلك بكمبردج وهو دون السابعة عشرة بخمسة أشهر، وأتيح له يومئذ الحصول على حصة من [illegible] صغيراً من دخله، وفي كمبردج بدأ بيرون يستقبل حياة جديدة ويخطو خطوته الأولى في عالم الشعر

« يتبع » الخفيف

## التقليد

لم أكد أفرغ من قراءة ما تيسر لي أن أقرأه في هذا اليوم وما قبله من عيون الفكر في أصول ما قرأت من كلام الكتّاب والشعراء، ووقفت أستعيد في نفسي تلك التيارات الكثيرة التي تموج نفوسهم من حب المجد والخير والحق والشر ... ولقد طلب ... مني أقدس على ... كتابة هذا الباب من الرسالة أن ... [illegible] ... كالأدب ... [illegible] ... من بعض قومه، ويكون أصحاب ... [illegible] ... على قراءته يكاد يورث القارئ ... [illegible] ... ويدعو إلى ... العربي من الأمم واحسره ... للأدب العربي أن يكون ... مثل هذا ... [illegible]

إلى أصحاب هذا اللسان العربي والناطقين به ... أصابهم في عصور متتابعة مصائب الجهل والعلة والضعف ... عروش الدولة في بلادهم كلها وهذا ... كل ... من ... الأمم ... [illegible] ... والاستعمار ... [illegible] ... ثم ... أيام ... [illegible] ... في كل ... [illegible] ... أحلام الناس ... [illegible] ... [illegible] ... على غير نظام ولا تدبير ولا سنة فانتشرت الفوضى ... [illegible] ... ولم يكن منها ما كان ... من الثقة والفكر والبيان، وبقي الضعف في هذه الأمم العربية ... وهذه أحوالها في عصر من القوة الأوربية ... في الأرض كلها ... لا يقف ولا ...

ومن هذه الأمم الضعيفة ينبغي أن ... إلى التقليد تقليد القوي ... [illegible] ... بأسباب القوة التي ... [illegible] ... القوي أملاك ... [illegible] ... هذه الأمم الضعيفة ... [illegible] ... لا بد ... [illegible] ... كان ... [illegible] ... على ... [illegible] ... في التقليد وشكل الأمر ... فلا جرم أن يكون كل عمل موضوعاً ... من ... صاحبه، ولا جرم أن يكون أعظم ... هو تقليد الناس في ... والعمل ... سير ... [illegible]

هذه كل ... [illegible] ... بيوتنا، مدارسنا، ... [illegible] ... أخلاقنا ... كل ذلك على ... والتفصيل ... [illegible] ... كل ... [illegible] ... الأمة، وكلما ... [illegible] ... لا ... من الأشياء إلا ظاهرها ... [illegible] ... أمر ذلك ... إلا مظهر؟

... [illegible] ... وهي من ... التي ... أبداً أن ... [illegible] ... [illegible] ... كل ذلك ... [illegible] ... ليس له من ... ولا ... [illegible] ... لا ... كل ... الذي ... منه ...

وهذا الكاتب وهذا الشاعر ... [illegible] ... أبداً في تجديد ... والبيان ... [illegible] ... إلا ... من ... الأعتاب والنصر ... [illegible] ... في الأصل الذي ... منه

وهكذا ... كل ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... أن ... [illegible] ... الاجتماعية ... إلى ... الروح ... إلى الاستقلال ... والاعتداد بشخصيته، والحرص على تجديد الوراثة التي تلقاها

من ترفقه ، ويساعد في الحضارة المادية وروح المجد لا يسعف الفكر ، فيتقدم بحزم من حضارة الأسباب التي حتماً تمر بها الحضارات ، ولا يكون موقفه منها موقف المسكين العاجز [illegible] من [illegible] .. يحتطب في وجه [illegible] ليقتص من قاتليها

## سورة النفس

[illegible] في مجلة [illegible] عدد (٥٤) مقال [illegible] الأدب سورة النفس « كتبه الأستاذ « محمد مندور » ، وقد استرعى [illegible] أن أقرأه ، لأن [illegible] في الحقيقة التي [illegible] ولا [illegible] من [illegible] وقد تناولوا [illegible] ومع ذلك [illegible] من [illegible] إلا بالتسليم [illegible] ، ولا [illegible] من [illegible] أو [illegible] أو يزيل الإبهام عن مسالكها .. يقول الأستاذ « وبعد ، فالأثر الأدبي [illegible] يثير [illegible] على أسرار [illegible] النفسية [illegible] الناس . و[illegible] إلى البحث عن نفس الكاتب والشاعر في صاحبها ما يكتب .. وهو [illegible] إلى كشف [illegible] من أسرار لا تقع تحت الحصر لأول نظرة ، [illegible] إلى ذلك لا يمكن أن يكون إلا [illegible] دقة [illegible] والمعرفة [illegible] بمختلف النفوس .. » وكل هذا جميل من القول ، وهو كالشرح على عنوان المقالة ولكني رأيت الأستاذ ينظر في آثار أدبية لأستاذين جليلين هما : أحمد أمين وطه حسين ، ويشرع يتكلم عن بعض آثارهما فتكلم عن مقال « [illegible] خاطر » و « أمسي » [illegible] كل الذي [illegible] يمكن أن [illegible] كلامه [illegible] فتمنيت كيف حمل الأستاذ هذا [illegible] إلى عنوانه الأولية ؟ [illegible] متجلوة كأنما [illegible] من هذا [illegible] . والنتيجة ! والنتيجة أن الأستاذ أحمد أمين [illegible] أسلوب [illegible] ، وطه [illegible] ، والأستاذ طه [illegible] في [illegible] ، لأنه كتب عن [illegible] ، [illegible] في ظلام الليل ، وما [illegible] ؛ ولا [illegible] أو [illegible] ، ولا أدري كيف استخرج هذا من كل الذي كتبه [illegible] على الذي أورده مما نقلناه آنفاً ؟ ولا كيف [illegible] إلى هذه الأحكام التي [illegible] الآثار الأدبية وأصحابها ؟ ولا كيف كان [illegible] في التحليل النفسي الذي أسمى به [illegible] بحثها ! !

إنه لا بد لمن يتناول مثل هذا الموضوع أن [illegible] القول ، [illegible] ، لأنه [illegible] موضوع جليل ، والكلام فيه [illegible]

في [illegible] عمل في الإبانة والإيضاح ، [illegible] كان [illegible] فيه على هذا [illegible] لا [illegible] ، ويكون [illegible] أن [illegible] الأستاذ كلام النقد الأوربيين [illegible] هذا [illegible] وأمر [illegible] أو [illegible] وسموا الأصول التي [illegible] عليها في [illegible] ، وكذلك [illegible] للأدب والأدباء

## أبو العباس السفاح

كنت أحب أن أستوعب في هذا التعقيب كل الرأي الذي عرض لي في أمر أبي العباس السفاح أمير المؤمنين ، ولكني رأيته قد خرج عن أن يكون من [illegible] ، فلذلك اقتصرت على [illegible] ، [illegible] بين الأستاذ [illegible] في [illegible] الذي [illegible] ، وعسى أن يكون في هذا القول بعض الصواب الذي [illegible] إليه

[illegible] ذلك أن أبا العباس السفاح ، وأبا جعفر المنصور [illegible] الخلافة العباسية لأول أمرها ، وكان أبو العباس أصغر من المنصور بنحو [illegible] ، وأن اسم أبي العباس وأبي جعفر في نسبهما هو « عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس » ، فأبو العباس هو « عبد الله الأصغر » ، وأبو جعفر هو « عبد الله الأكبر » [illegible] ، وأبو جعفر قد لقب بالمنصور ، وأن [illegible] ، فلا [illegible] أن يكون أبو العباس كذلك ملقباً ، وأن يكون أبوه قد لقبه كما لقب أخاه

وإذا كان أبو العباس « عبد الله » هو الأصغر ، فاللقب هو [illegible] ، [illegible] بين أخيه أبي جعفر « عبد الله » وهو الأكبر الذي [illegible] « عبد الله » من قبله [illegible] هذا اللقب [illegible] في [illegible] بني العباس [illegible] إلى [illegible] [illegible] ، [illegible] « [illegible] » [illegible]

وأيضاً فإنه قد وردت في الحديث عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج منا رجل في [illegible] من الزمن و[illegible] من [illegible] يقال له ( السفاح ) يكون [illegible] المال حثياً » . وأرى [illegible] حديث لا [illegible] هذا الاسم إلى أبي العباس ، وإنما [illegible] كلمة [illegible] التي وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي لا يجري [illegible] إلا أن يكون [illegible] ، ويكون [illegible] هذا الحديث و[illegible] أمر [illegible] أيضاً [illegible] حديثاً [illegible] في [illegible] إلى [illegible] الخلافة في بني العباس ، فكانوا يروون [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « [illegible]

أو لم يبق من الحديث إلا الوهم، وأعمال الله في بني أمية. ليكون السفاح والمنصور والمهدي»، وهم الخلفاء العباسيون الثلاثة على التتابع. ولا شك في أن هذا كان من عمل العامة، ومن طويل ظل الإمام «محمد بن علي» هذا اللقب ولقب المهدي [illegible] من قديم عهدهم، وتناقلوا الخبر رووه في أحاديث الدعوة العباسية.

وإذا كان ذلك كذلك فإن اللقب لم يلبث أن صار «سفاح الدم» ـ وهو بهذا المعنى غير مقصور لمعناه ـ والسفاح من الكرم والسخاء والبذل كما ورد في الحديث الذي سقناه آنفاً من أن «منكم السفاح فكان سفاحاً»، لأنه لا يصح في العقل أن يلقب أحد وهو يريد هذه الكلمة المبسوطة وهو يعلم الناس جميعاً. وقد لقب أخوه من قبل بالمنصور [illegible] العرب في جاهليتها الأسماء المنكرة، ويسكن الإسلام جاء فحسم ذلك كله، ونهى عن التلقيب والتسمية بالمنكر من الأسماء التي في أكثر اللغة العربية، فكيف في هذا العصر ثم في أعظم بيوت هاشم، وهو بيت العباس؟ وقد كان لهم في رسول الله أسوة حسنة فيما غير أسماء كثير من الوافدين عليه من أصحابه كأصرم بن عبد [illegible] «زرعة»، وتسميته بشيراً، وحبة ابنة عمر بن الخطاب وكان اسمها «عاصية»، وخلق كثير.

وعلى هذا الأصل نرى أن الناس في صدر الإسلام هم «بالسفاح» فهم [illegible] السفاح بن مطر الشيباني، وهو ممن روى في النصف الثاني من المائة الأولى من الهجرة وكان من أصحاب الحديث، والسفاح أخو أبي سعد بن عبد الرحمن الزبيدي لأمه وهو من التابعين، وقد روى عن أبي هريرة وغيره. ولا شك أن التسمية هنا منصرفة إلى المعنى لا إلى الدم، معنيه في أبي العباس السفاح هي إلى السخاء والكرم كما ذهب الأستاذ العبادي أولاً، ثم رجع عنه حين عقبه الأستاذ أحمد أمين.

أما النص الذي نقله الأستاذ عن اليعقوبي من أنه قال «عبد الله بن علي الأصغر وهو السفاح»، وهو عم أبي السفاح والمنصور، فهو أصله منقول من ابن سعد في طبقاته حين ذكر أولاد علي بن عبد الله بن عباس فقال: «عبد الله بن علي الأكبر وعبد الله بن علي الأصغر السفاح الذي خرج بالشام»، فهذا هو الأصل ولا ريب في إرادة التلقيب كما نرى من نص المتقدم، وأنها من صفة كالسفك والقتل ـ نعم، وأنا لا أدري كيف رأى الأستاذ العبادي أنه الشهير بذلك فأعطى هذه الصفة إلى أبي العباس أمير المؤمنين، فإن الطبري وأئمة المؤرخين قد ذكروا عبد الله بن علي عم أبي العباس وأبي جعفر وأكبرهم [illegible] ولم يلقبه أحد منهم بهذا اللقب، فكيف يمكن أن يعزى إليه شهرته على كثير من جرائمه هذه الشهرة، أن اتسلط على الناس هذه الأحياء وعلى فلان وفلان، كالجاحظ وابن قتيبة [illegible] «ابن علي» [illegible] «عبد الله بن محمد بن علي» على ترب [illegible]، وكيف جاز [illegible] في ذلك الجاحظ في رواياته؟ وهو أوثق العلماء رواية وهو الذي [illegible] أكثر رواية ابن الجهم وابن الكلبي وغيرهما من أصحاب الأخبار؟

وهذه التي رواه وذكر فيه السفاح في البيان والتبيين ج ١ ص ٦٣ [illegible] «إبراهيم بن السندي» وقد قال فيه ج ١ ص ٣٣٦:

«وكان إبراهيم بن السندي يحدثني عن هؤلاء بشيء هو خلاف [illegible] كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي، وإذا حدثني عنه علمت أنه ليس من المؤلف للزور. وكان عبد الله بن علي وداود بن علي يعدلان بجماعة من الأمم. ومن مواليهم إبراهيم ومصر ابنا السندي. فأما مصر فكان صاحب أخبار وأحاديث، وكان لا يجاوز حديث ابن الكلبي والهيثم، وأما إبراهيم فإنه كان رجلاً لا نظير له [illegible] وكان [illegible] من رؤساء المتكلمين وعالماً برجال الدعوة، وكان أحفظ الناس لما سمع، وأقلهم خطأ وأصدقهم في الخبر».

فهذا الجاحظ قد روى أخبارهم من رواية غيره [illegible] على هذه الصفة التي وصف بها أبو العباس أمير المؤمنين. والجاحظ قد أدرك صدر الدولة العباسية، ولم يكن بين مولده ووفاة أبي العباس السفاح كبير زمن حتى يكون ممن يختلط عليه الأمر في مثل هذا الأمر، وخاصة وهو يروي ما يروى عن الثقات ومعرفة [illegible] من رجال الدعوة.

أما ما كتب الطبري وغيره [illegible] من متأخري المؤرخين عن صدر الدولة العباسية [illegible] على إطلاق هذا اللقب [illegible] فإنه لما كان هذا اشتهر في عصرهم من معنى السفاح على أنه السفاك للدماء [illegible] الذي يكون [illegible]

هذا كله [illegible] إلى الأستاذ العبادي أرجو أن [illegible] قد [illegible] في التعقيب على رأيه الذي انتهى إليه [illegible] إلى الذي كتبه [illegible] إن شاء الله

محمود محمد شاكر

دراسات في الفن

# دعاؤك ثم غنائي

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

---

– كل سنة وأنت طيب

يا إلهي. وماذا تذكرينها هكذا كأنما أنت آثمة؟

– وأنا أعلم! وكيف كنت تريد أن أقولها لك؟ أأكتب أحثوك على نفسي وأدعو لك كي تصومين، وأقف عليك كأنني روميو على جولييت تحية الغرام سلامة!

– لا يا شكسبيرة الزمن، كنت أريد أن أشعر وأنت تقولينها أنك تريدين حقاً أن أكون طيباً في كل سنة

– كنت تريد مني أنا أن أشعر أنت ... ؟ يا لك! فاسمح لي أن آكل نصيبك من غداء اليوم، واشبع أنت.

– لو كنت تستطيعين أن تشعريني بالسلامة في صلاتك الأولى لكنت تستطيعين أن تشعريني بالشبع في دعوتك الثانية!

– عجباً. متى كان العقل إلى هذه الدرجة للسخرية فيسهل عليك أنت. عزيز يمكن الشبع للإنسان إذا أكل غيره، ولا سيما بأنك كنت «مهدي»!

– لو كنت أنا لما أنكرت أن الشبع يمكن للإنسان إذا أكل غيره. فالأمهات كثيراً ما يشبعن إذا أكل أبناؤهن، وكثيراً ما يروين إذا شرب أبناؤهن، وكثيراً ما يسعدن إذا فرح أبناؤهن، وكثيراً ما يصلين لله على صلاح مصيرهن، إذ يدعون لأبنائهن، ولعل هذا ما جعل الله الجنة تحت أقدامهن.

ما شاء الله. أريد أن أقبلك بقسيلك هذه ... ولا أنك تعرفين ما المرأة أسألك سؤالاً طويلاً ما أفتقر ... الاعتراف ... ولكن هذا لا يمنعني من أن أسجل عليك هذا الاعتراف، وأن أسألك بعد ذلك كيف كنت تريدين أن أصوم لك؟

– أتعرفين لماذا كانت صلاة الجماعة خيراً من صلاة الفرد؟ ولهذا كانت الصلاة جماعة ... تجوز الصلاة ... جمع من طوائف المتدينين المختلفة يجلسون في الكنيسة بصلاة يطلبون من الله أن يرحمها، وفي الجامع يسعون يطلبون من الله أن يبارك؟

– وما صلة هذه «الفلسفة» بدعائك من تحية العيد؟

– الدعاء صلاة لأن الصلاة دعاء. والدعاء قد يكون تحية حقاً، ولكن ليس على هذا الصور التي تقتضيه كما تشتغلين «بالبروتوكول». أنت ألقيت علي تحية العيد كما يلقي الناس هذه التحية، وهم يلقونها كما يلقون كل تحية أخرى، تخرج من أفواههم ونفوسهم مشغولة عما يقولون، ولهذا تلقى تحياتهم لا أثر لها ولا عبرة، فكم دعا ناس لناس أن يعودوا ... وكم دعا ناس لناس أن يسعدوا فما سعدوا! وكم دعا أيضاً ناس على ناس أن يصيبهم السوء فما يصيبهم إلا الخير! وكم دعا ناس على ناس أن يهلكوا فنجوا. وكم وكم من دعوات ضائعة!

– وهل في الدعوات قدح ومدح؟

– الدعوات ككل كلام يقوله الإنسان، وفيه الفارغ، وفيه المملوء حقاً، وفيه المملوء ضلالاً، وفيه المملوء اختلاطاً من الحق والباطل. ولا يبقى من هذه كلها عند الله إلا المملوء حقاً وإن هو عند الله مطرود. ألم تري أو تسمعي ... ألم يقل النبي ما معناه ... من الأثر: اتقوا دعاء المظلوم؟ أليس في هذا دليل على أن دعاء المظلوم يتحقق؟ وأي شيء في دعاء المظلوم يجعله ... في غيره من الدعاء إلا أنه مملوء بالحق؟ فهذا كل الامتلاء. والحق هو الذي يصعد الدعاء ... ما لا يصعد عنه الدعاء ... حقاً.

– إن هذه «شطحة كشطحات» المجاذيب

– أنتم هم! والتفتي إلي. وفرضي هي أسوأ ما يمكن أن يعرض في الإنسان من الفروض، وهو أنه يلمس وجهه ويده وأصابعه شحنة كهربائية حدثت على وجه من الوجوه لا شأن لنا به. افرضي كذلك الأسوأ من هذا وهو أن عواطف الإنسان ووجدانه ليست إلا هالات كهربائية تعرض الشحنة الجسمية ... إنسانا في ظروف مختلفة ... وافرضي بعد هذه وجود إنسانين بينهما علاقات ... فكيف تتصورين هذه الهالات بين هذين الإنسانين اللذين هما شحنتان من الكهرباء؟

— لا بد أن تكون كذلك علاقة بين شخصيتين من الشعراء، فكيف تكون العلاقة بينهما؟

— تكون أحياناً وفاقاً يبعثه رعد، وتكون أحياناً اصطحاب تعاون على بعث النور في الظلمات، وتكون أحياناً صواعق. وقد تكون على نحو لا أحسه أنا ويحسه الدكتور ناجي، وقد تكون على نحو لا أحسه أنا ولا الدكتور ناجي

— حسن، فتصور إذن هذين الإنسانين وهما شخصان كما يحدث البرق، فكيف يكونان؟

— هما يلتقيان فجأة فيتعانقان ويتبادلان القبل مغرماً [illegible]

— والحالة الثانية؟

— أما الحالة الثانية فهي التي تستجيب فيها شخصية لشخصية أخرى في بعث النور، أو في تحريك الوجود، أو في إبداع مقصد ما.. إنهما من غير شك يعملان إذا اجتمعا اجتماعاً واحداً، وهذه هي حالتك أنت وأنا كما أحب أن تكون. فأنت تستمدين من نفسي التي أستمد إليها شيئاً من غير شك أنا وأنت هذا الشعف في حدة أكثر من تلك التي لم أصل فيها وحدي لأدعوك بعد ذلك إلى جانبي. وأنا لا أطلب منك أن تحسي بيديك لأني لا أستطيع في هذا شيئاً أستخدم فيه القوة، وإنما أريد منك أن تؤمني بالذي أومن به، وأنت تحسين أنه الله، وقد قلت لي صباح يوم مرتعشة: والله قد رسم المحبة سعوداً، وأنت تعرفين أني أخاف كل الخوف من الخروج على هذه الحدود، فسيري إلى جانبي والرحمة في قولك وصفك يكن أنا وأنت شخصية واحدة في الكون بين قولك وقولي وقوة المحبة الأكبر من كل قوة، وهو دعاء أريد أن يبعث من قلبك لا من لسانك تبعثين به إلى الله وأنت على القرب مني أو على البعد، فهو لا بد منه لأنه من معنى ولائك إلى جانبي، وأنا لا بد أن أشعر به كما يشعر الأب بعطف أبنائه إلى جانبه وإن لم يصرفوه جهاراً.

ألا يكافح الأب في الدنيا من أجل أبنائه أكثر مما يكافح من أجل نفسه؟ أو تحسين هذا الكفاح والتضحية عليه إلا من دعوات الأبناء...؟

— قد يصبو الآباء إلى أبنائهم، ولكن قليلاً ما يصبو الأبناء إلى آبائهم

— هذا ما أكل الإنسان جهلاً ما يقول ... وهكذا يعلم أنه لا يقول إلى أين، والأبناء يدعون لآبائهم إذا شعروا، وهم جديرون بهذا الشعور وهو جدير بهم؛ لأنهم منهم، ولأنهم ما كانوا من ... لا يعرف الأبناء شيئاً من هذا كله، ولكن هذا هو الواقع، والدليل عليه أن الآباء يجاهدون الدنيا أكثر من غيرهم، ويصبرون عليها أكثر من غيرهم، ويصبرون على مصاعب أكثر من غيرهم، وإن هذا لا يحدث إلا لأن دعوات الأبناء مبلغة. وقد كان القدماء يستكثرون من النسل ليستكثروا من الرزق، لأنهم كانوا أقرب إلى الطبيعة منا، وكان الواحد منهم إذا رزق مولوداً جديداً حس بأنه رزق قوة جديدة إلى جانب قوته، وكان الواحد منهم إذا شاخ وضعفت شخصيته الكهربائية لم يتكل على أبنائه بعدم الدعوات الصالحات

— وهل كانت هذه الدعوات تفيد — وعلى الخصوص إذا اعتبرنا الشيخ شخصية كهربائية ضعيفة؟

— ما من شك في أنها كانت تفيد، فالشيخ كان قبل ذلك قد صقل أبناءه، ومهد لهم طريق الرشاد، ومكنهم من العيش، وحملهم على موطن السعادة، وحطم على موطن الشقاء، فحاله لأبنائه بالسلامة فكأنما هو قد ذكر لهم بطريقته وتوجيهه إليه، زد على ذلك أن شخصية الشيخ الكهربائية إذا كانت قد ضعفت في مظهرها المادي فإنها تقوى في جانب المعنوي، وإذا كان الفلاسفة يعرفون الشيخوخة بأشكالها فإنك لا تستطيع أن تنكر عليهم الصفاء والنفاذ إلى الحقائق، فهم يرجعون إلى حياة كالأطفال طهارة ونقاء ما داموا قد قصروا حياتهم على المعنى، ولكنهم يختلفون عن الأطفال في شيء، وهو أنهم جازوا الشطر الأكبر من هذه الحياة وعرفوا على سرها

— وما سر الحياة؟

انظرين حتى أشرح ذلك، أو تسألي شيخاً ممن يصلون ... أو انظري إلى شيخ من الصالحين كيف يصلي والمعنى أنه يستقل هذا السر ويحنو عليه

وأين أجد هذا الشيخ الصالح؟

تجدينه في الريف، وتجدينه في الصحراء، وتجدينه في كل مكان لم تطغ عليه الحضارة بمتاعبها وخيالها، تجدينه

يأكل ويشرب وينام ، ويعاشر الأطفال ، ويدعو إلى الناس ويتلقى من الناس الدعوات ... ويصلي لربه ويطلب من الله أن يصلي عليه

— ولماذا يعاشر الشيوخ الأطفال ؟

لأن الشيوخ والأطفال متفقون على معنى واحد للحياة، والناس فيما بين الطفولة والشيخوخة يبحثون للحياة عن معان أخرى

— وما معنى الحياة عند الشيوخ والأطفال ؟

— هو الاستمرار التام فيها ، والاستمتاع التام بما فيها

— وعلام تقوم العشرة بين الشيوخ والأطفال ؟

على هذا ، ويظهر هذه العشرة الهدوء . فالشيخ يجمع حوله الأطفال ويقص عليهم القصص ، والقصص فن ، وحتى هم ويغنون معه والغناء فن ، وقد يتصابى الشيخ مع الأطفال فيرقص والرقص فن ، وقد يحمل لهم الركب ويركبونه والتمثيل فن ... فهو يخالطهم في كل فن ، وهم يحبونه لأنهم يشعرون به يحب هذه الأفانين أكثر مما يحب غيرها ، ولأنهم هم أنفسهم يحبونها . فهو سعيد وهم سعداء

— وكل من هو مثلهم سعيد ؟ أليس كذلك ؟

— من غير شك

— إذن فالسعادة عندك أن ننقلب ... إلى مسرح لا شيء فيه إلا الغناء والرقص والشعر وما إلى ذلك من الفنون !

— كانت الإنسانية في طفولتها هكذا كما تقولين مسرحاً لا شيء فيه إلا الغناء والرقص والسمر وما إلى ذلك من الفنون الملهية ، وهي اليوم كادت أن تصل إلى شيخوختها فترتد بعد ذلك إلى هذا الفن ... وآية ذلك أن الناس اليوم متبرمون من الحياة ، وأن حوادث الانتحار تكاثرت فيهم ... لم يكونوا يبرمون بالانتحار لأن أحداً منهم لم يكره الدنيا كراهية تحمله على الانتحار وتجنب مشاقها

— ألا يمكن أن تكون سعادتنا إلا في هذا الفن أو هذا اللهو . ألست ترى في العلم سعادة ؟

— وأي شيء حقق العلم للإنسان أكثر مما حقق الحس للحيوان ... ؟ العلم إلا أن بعد العلم مطلق متشائم

الإحساس ، فيكبروا شيئاً ويصغروا شيئاً ، فيكمل حجم الكبير الآتي ، ويكبر الآتي في اليوم الذي يغنون فيه بهجة العلم ولا يسخرون منه أو يجعل العلم .

— ولهذا تريد أن تحرم عليهم الابتسام من العلم إذا عندما سكنه ! .

— هي ضحكة ، وأنا لا أنكر ذلك ، ولكنها ضحكة تتبعها أنها كالدمعة يداعبها التفرج ، فهي التفرج لا يكون إلا من عوامل نفسية . إن الضحك للنفس من الخدعة ليس ضحكاً وإنما هو رد فعل عصبي

— وأنت تريد النكتة الطبيعية تضحك منها

— لست أدري إذا كانت النكتة الطبيعية تضحك أم تبكي ولكني على أي حال أطلب من الله أن يحيي الفن وبك

آمين

— أنظري ، إنك تقولين « آمين » فهو يصدق ، ولعل ذلك لأن عقلك يدلك ... ربما أوحيه منك ويحب قلبك ولكنه على أي حال صدق ، والصدق خير من الفراغ ، والفراغ خير من الكذب ... والآن هات منك وداعاً سحلباً ، ثم انطلقي من شتى كالأطفال والشيوخ ..

عزيز أحمد فهمي

# أرقام تتحـــدث

## مدى عمل جان بيران

للدكتور محمد محمود غالى

عود إلى قصة الذرات — بحيث تمر تمحيص الفروض والخطأ التجريبي على ضوء أعمال بيران في الحركة البراونية والحصول على عدد أفوجادرو — ملاحظة ديلاس

يعود بنا البحث إلى قصة الذرات(١) وأسطورة الإلكترون فيحتاج مع القارئ أن نتابع استعراض هذه الحلقة من حلقات المعرفة واستجلاء الكثير من غوامضها. وليس في طوقنا أن نهمل عمل جان بيران(٢) Jean Perrin في هذا الشأن، أو نتناسى من العمل العظيم الذي قام به هو ومن حوله من باحثين في التعرف على الذرة والتقرب من الإلكترون.

وقد تناولنا أعمال مليكان R. A. Millikan وشرحنا أثر التجربة في ثلاث مقالات: الأول «أمريكي وملكان والالكترون» والثاني والثالث «أرقام تتحدث» وهو العنوان ذاته الذي آثرنا اختياره اليوم لتلك الجهود التجريبية العظيمة التي قام بها بيران وتلاميذه، فقد تحدثت الأرقام هنا كما تحدثت لمليكان، وكان على بيران أن ينتقل هذا الحديث إلى النحو البحت ... في حياته هذه التي نشر فيها مليكان أبحاثه في سنة ١٩٠٧ وما بعدها من سنين، فسنجد ... وما انتهت إليه من نتائج كانت منذ ذلك الوقت على قدر في حياته وأعماله المجامع العلمية، وقد ظهر ذلك جلية عندما قرر المجمع السويدي منح بيران جائزة نوبل الطبيعية في سنة ١٩٢٦.

* * *

لأن يصل أحد الأمرين من طريق مستقلة إلى إثبات حقيقة في الوجود، وأن يكون هذا استنتاجه من طريق غريب ما يعين دليلا على ما ذهب إليه — أمر له قيمته. ولكن يظل هذا حد الحقيقة مرتبطاً بصدق الفروض(١) التي اتخذها الفرد مهيئاً للوصول إلى غايته، ويظل صدق النتائج التي يصل إليها من الحقيقة مرتبطاً كذلك بحد الخطأ المختص في العناصر الداخلة في طريقة التجريبي، ويظل الأمر عند العلماء الذين يحكمون على درجة قرب النتائج من الحقيقة مرتبطاً بهاتين المسألتين: الأولى صدق الفروض، والثانية مبلغ الخطأ التجريبي. وعلى قدر ما يوجه الباحثون من نقد جدي في كل هذا، وحل التجربة وتتابعها بين الحقائق الثابتة التي تأخذ مكانها بين ما يسمى في البحث العلمي القانون على كر العصور.

أما أن يكون بعد ذلك التجريب قائماً أثر في التقدم والاقتراب من حقائق الوجود ومعرفة نواميس الكون، فهذا أمر آخر يرجع التجريب إلى مصاف الموضوعات الكبرى التي تصنع انتقالاً رئيساً علمية المعرفة، ويرفع الفرد المجهول إلى مصاف الخالدين الذين يرسمون التاريخ، ويجعل النتائج بين أروع الملكية صنعة الإنسان المفكر الذي يصل إلى قصده على مر الأجيال.

---

(١) في مصطلحات المجمع اللغوي الحديثة تسمية الأتوم ذرة وجمعه ذرات، ولا نرى سبباً لاستعمال تصغير كلمة ذرة التي تؤدي معناها دون التغيير، فلم تصغيرها مع ما في ذلك من صعوبة؟

(٢) جان بيران من علماء فرنسا المعدودين ويشغل منذ زمن طويل كرسي الكيمياء الطبيعية في السوربون مخصصه علم الطبيعة، وهو من أعضاء المجمع العلمي الفرنسي، ويقوم بالتدريس لمعهد الطبيعة الكيميائية Chimie Physique، وبسط في كتب ... كبيرة، وخاصة بعد أن كشف بيران وتلاميذه عدد أفوجادرو، وشحنة الإلكترون بطريقة خاصة تعد من أرقى ما أنتجه الفكر في العلم التجريبي، وقد نال جائزة نوبل، ومن طريف أن هذه جائزة بيران الذي يشغل منذ ... من الحائزين هذه الجائزة أيضاً ... في المجمع العلمي الفرنسي.

(١) من جملة الأمثلة التي يحسب الباحثون أحد الفروض على صلاحيته في ... التي وضعها ستوكس(٣) G. Stokes ...، وتتابع الباحث إلى هذا القانون في إحدى مباحثه التجريبية قياساً في عمله، فإن هذه النتائج التي يصل إليها مرتبطة بصحة القانون الذي في عمله، ويكون صحة هذه التجربة ... الفروض، وعلى قدر صحة القانون في التطبيق العملي ... التي تدخل في عمل هذا الباحث تكون نتائج صحيحة

ولقد كان عمل بيران وأتباعه من الأعمال التجريبية الكبرى التي أوضحت في شرح العلوم إلى مثل هذه الدرجة ، وكان بيران من الباحثين الذين وضعوا الشرح بين العلماء الماديين

* * *

إنما يشتمل على هذا من أعماله التي عرفنا من صاحبها بالأمس ، سواء ما نشر منها بالمجمع العلمي الفرنسي أو ما ظهر منها في مؤلفاته[2] ، ولم يحتوِ على هذه مطالعة هذه الأعمال مرة أخرى ؛ فقد كانت طالعتها منذ سنين ، وكتب أطالعها في ضوء روحه هذه المرة . والواقع أنه عند ما انتهيت من هذه المطالعة الأخيرة وجدت في نوع من الحيرة ، أخشى القارئ منه لأن العمل منسع وطويل ، بل وجزم لا أحصيها ملخصة منبهة لأنه مبسوط بكشوفات أخرى سابقة بعضها معروف للقارئ وبعضها قد يكون غير معروف

ومن اكتشف جون جان بيران يدور بنصه المطول الذي توصل فيه كما قدمنا في مقالات سابقة طريقة مختلفة وسكيا وثيقة ؛ إلى تعيين عدد الذرة ، والتالي إلى استنتاج عنصر الألكترون. هذه الاكتشافات السابقة لأعمال بيران التي تكون الحلقة الأولى مما وصل إليه من معرفة تعرض لها في هذه الأسطر ونلخصها في ثلاث خطوب رئيسية . الأولى خاصة بقوانين بويل وشارل نبساك للغازات ، والثانية خاصة بما يسمونه فرض أفوجادرو ، والثالثة خرصنة « لابلاس » لتوزيع الضغط في طبقات الجو

ونعود بذاكرة القارئ إلى الخطوة الأولى ، فنعود إلى قوانين يعرفها كل من جلس على مقعد في المدرسة ، أولها قانون بويل Boyle سنة ١٦٦٠ وماريوت Mariotte سنة ١٦٧٥ الخاص بالغازات الذي ينحصر في أن كثافة[1] الغاز تتناسب مع ضغطه[2] وثانيها قانون جي لوساك Gay Lussac الذي يبين بصورة جلية

في سنة ١٨١٠ أنه في الضغط الثابت تتناسب كثافة الغاز مع حرارته[3] بطريقة لا تتعلق بطبيعة الغاز في ذاته

ويخلص القانون أن حاصل ضرب الغاز في الضغط يساوي ثابتاً بحسب كمية الغازات مضروباً في الحرارة المطلقة

إنما يجب ألا يعزب عن ذهن القارئ أن الغازات هي مجموعة لجزيئات حرة ، ومنها يعتبر أن الكثافة تمثل في الواقع عدد الجزيئات ، فمن ازدياد الكثافة في حجم معين تحت تأثير الضغط هو اقتراب جزيئاته بعضها من بعض ، أي هو زيادة عدد ما هو موجود منها في الحجم الواحد

أما عن الخطوة الثانية فهي خاصة بما يسمونه فرض أفوجادرو وهو الفرض الشهير الذي فرضه العالم الكبير أفوجادرو Avogadro عند دراسته لقانون جي لوساك الذي ألمعنا إليه ، فقد نبّه العلماء في سنة ١٨١١ إلى حقيقة جديدة ، ظلت منذ ذلك العهد من أهم ما دخل على التجريب العلمي . ذلك أن الأحجام المتساوية من الغازات المختلفة تحوي ، مهما اختلف نوعها ، عدداً واحداً من الجزيئات ، ما دامت هذه الغازات واقعة تحت ضغط واحد وحرارة واحدة

إنما نود أن يعير القارئ النظر قليلاً في هذه النتيجة التي أوصلها أفوجادرو العالم أجمع والتي هي في نظري كما نلمس منها من أروع ما وصل إليه الإنسان في بحث للعقل ، فهي نوع من الألفة الجديدة بين عناصر الوجود المختلفة التي جاءت ألا ترجع إلا إلى صورة واضحة في أبسط الصور

وكأن هذه العوالم المختلفة شكلاً ووزناً وكثافة وطبيعة لا تستطيع أن توجد في المكان الواحد من الحجم والضغط والحرارة الواحدة إلا بعدد واحد لا يتغير ، فهو يعيد في سر وجوده إلى طبيعة المكان الذي هو فيها ويعيش

إنما نحن نبلغ الحد الذي وصل إليه أفوجادرو ، ونقف منها إزاء هذا السر العجيب الذي كان له أثر علمي خاص في أعمال بيران التي سمعناها بعد نحو مائة عام من ملاحظة أفوجادرو السابقة ، وسيرى القارئ أن بيران قد عيّن هذا العدد بالتحسين طريق يحدد كل البعد عن قصة الغازات ، وكان من تعيين هذا العدد أن عرف عدد الذرة بل عدد الألكترون ، وكان ذلك بطريقة تجريبية أمام ما يقال فيه أنه لم يسبقه في موضوعها إلى

---

(١) تذكر الذين يرغبون في معرفة أعمال بيران الخاصة بالذرة والألكترون أن يرجعوا إلى كتابه المعروف « الذرات » Les atomes باريز سنة ١٩٢٣ الطابع فليكس ألكان Felix Alcan

(٢) أي كلما زاد الضغط

(٣) يعتبر قانون بويل قانوناً رياضياً للغازات ولكنه لا يطابقها تماماً حيث ، وقد اتضح على أنه صحيح تقريب ، عندما لا يتجاوز الضغط في الغاز عشرة ضغوط جوية تقريباً ، بحيث أنه كلما كان ضغط الغاز خفيفاً كان القانون أقرب إلى التطبيق ، ويصبح أقرب ما يكون من الواقع عندما تقترب كثافة الغاز من الصفر ، فلذا يلجأ الباحث إلى تطبيق قوانين أخرى مثل قانون « فان دير فالز » Van der Waals أو غيره عندما يحتاج الأمر إلى ذلك

(١) هذا القانون تقريبي أيضاً وتنطبق عليه الملاحظة ( ٣ )

الاضطرابات الظاهرة التي قد تقبل خطأ بل أنها استخدمت إلى أعمال تجريبية تصل بنا في معرفة هذه الأقطار إلى درجة اليقين

أما المطلوب الثالث فخاصة بدراسة قام بها « لابلاس » لمعرفة الكيفية التي يختلف بها الضغط الجوي كلما صعدنا بعيداً عن الارض . كلنا يعرف انه كلما ارتفعنا إلى أعلى قل الضغط الجوي بحيث لو أن عموداً رأسياً من الهواء يختلف الضغط فيه من نقطة إلى أخرى على طول هذا العمود . وقد توصل لابلاس إلى معرفة القانون الذي يسير بمقتضاه هذا الضغط ، وكان ذلك من طريق رياضية بسيطة يستطيع كل مبتدئ اليوم في العلوم الرياضية أن يقوم بما قام به « لابلاس » من حساب رياضي بسيط ، وهذا القانون عبر معادلة[1] تحدد في أحد طرفيها الضغط الجوي عند مكان معين ، ويحدد في الطرف الثاني الضغط عند مكان يرتفع عن المكان الأول وكثافة الهواء والارتفاع الواقع بين المكانين كما يحدد درجة الحرارة المطلقة للغاز وثابت الغازات الذي أسلفنا ذكره والذي كان نتيجة لقوانين بويل وجاي لوساك . ويعتبر قانون لابلاس في الواقع قانوناً رياضياً تاماً[2] ومن نتائجه مثلاً أن الضغط الجوي ينخفض إلى النصف عندما يرتفع الإنسان حوالي ٦ كيلو متر وذلك في الظروف العادية ولو أن الهواء كله من الأكسيجين لحدث هذا النقص عندما يرتفع الإنسان حوالي نصف الكيلو متر

* * *

هذه هي المسائل الكبرى الثلاث التي استند إليها « جان بيران » ليصل إلى غرضه الذي منه استطاع كما سنذكر للقارئ فيما بعد أن يعين قطر الذرة وأن يحصي من عدد وحدة الالكترون

إنما أردت أن أجزيء في هذا المقال مهد القارئ إدراك للغرض الذي كان لازماً لمعرفة حقائق هذه الأسطورة الذرية ، على ألا يغرنا أن نأتي على عمل بيران الإعجازي في المقال القادم

واذن من الصعاب أن يصل بيران إلى غرضه مستخدماً مجهوراً بالعين مجهرى عند ما في حيز معين من الحجم الموجودة فيه

هذا الصدد الذي يجاوز كل خيال استطاع بيران ، وبالجرأة إلى طريق تجريبي جديد ، وإلى المسائل الأساسية الثلاث التي ذكرناها ، أن يصل إلى معرفته ، وأن يصل إلى ذلك من طريق لم يستعن فيه بالمقارنات الموصولة إلى معرفة أتم ما نعرفه اليوم من جواهر .

وسيرى القارئ كيف حوت المقالات السابقة بيران الوصول إلى مسألة من أعظم ما عرفه اليوم في العلوم ، وكيف استطاع بيرين من دراسة سببه قام به البحث أهتمامين خاصة بالحركة البراونية أني يوضح ذلك وأن يهتدي لا إلى معرفة عدد أفوجادرو فحسب بل إلى التحقق من نتائج ذرية والكترونية أخرى غاية في الأهمية

ولو أن هذا العالم الذي ما زال وهو يتقدم السن يقوم بأعمال البحث ، لم يقم طوال حياته إلا بهذا البحث لكفى أن يرتفع إلى مصاف العلماء الممتازين الذين خدموا الانسانية بأجل الخدمات

« يتبع »

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) الذين يعرفون بالعلوم الرياضية والطبيعية نذكرهم بأن القانون الذي وجده لابلاس هو أن الضغط الغاز عند مكان معين و عن ضغطه عند مكان يرتفع ارتفاعه عن الأول بمقدار ما وأن . و . ووزن جزيء غرامي لهذا الغاز و . الثابتة الأرضية و . ثابت الغازات و . الحرارة المطلقة فهذه العلاقة التي توصل إليها لابلاس هي أن

$$ص = ض \left( ١ - \frac{و}{ه} \cdot \frac{ى}{ح} \right)$$

(٢) من السهل أن يدرك الرياضيون من هذا القانون أن الهواء يتدرج في الواقع وفق متوالية هندسية أي يتدرج تدريجاً لوغاريتمياً

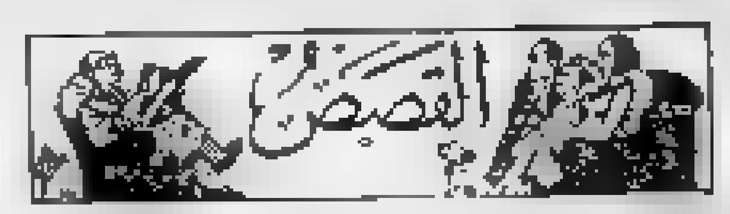


# غلطـــة

للكاتب الفرنسي موريس ليفل

---

يا دكتور، أريد أن تفحصني وتعرفني هل أنا مريض بالسل؟ أريد أن أعرف الحقيقة، وإن لي من الشجاعة ما يساعدني على سماع أسوأ الأخبار. ثم إني أحد من واجبك أن تكلمني بصراحة، ومن حقي أن أعرف حقيقة أمري. أتسمع ذلك!

ورد الطبيب عليه، ثم استطمع في كرسيه وقال: أعطني يدك ... اخلع ملابسك.

وبينما كان المريض يخلع ملابسه، كان الطبيب يسأله:

— أتشعر بضعف؟ أتعرق أثناء الليل؟ — هل تسعل كثيراً — ولا سيما في الصباح الباكر؟ — ألا تزال والدتك على قيد الحياة؟ — أتعرف المرض الذي مات به؟

قال الرجل وقد عرت في صدره: نعم ما يا دكتور

وأخذ الطبيب يفحص المريض بدقة، والمريض يخضع للفحص في صمت واهتمام. وبعد بضع دقائق وضع الطبيب يده على كتف المريض قائلاً وهو يبتسم:

— ارتد ملابسك ... إنك صحيح جداً. ليس بك شيء. لا شيء مطلقاً. يخيل إلي أنك لست مسروراً بسماع ذلك!

فأمسك الرجل قليلاً عن ارتداء ملابسه وفي عينيه نظرة حائرة، وأجاب بصوت فيه سخرية وتهكم:

— أوه ... نعم ... إنني مسرور وسعيد ...

وارتدى باقي ملابسه في سكون تام. وكان الطبيب جالساً إلى مكتبه يحرر ... فقد كرة، فسحرقته بإشارة، ثم قال:

«لا فائدة ...» وأخرج من جيبه ... ووضعها على المكتب ... ثم قال بصوت ... فيه رجفة عنيفة:

— استمحت قليلاً يا سيدي ... منذ ثلاثة عشر شهراً جئتك مريض يسألك كما سألتك أنا من بضع دقائق أن تصارحه بحقيقته حتى ... هذا صحيح .. ثم أخبرته أنه مسلول وأن حالته خطرة ... أوه ... لا تعجب، لا تدافع عن نفسك أنا واثق من كل ما أقول .. ... لا يجوز أن يتزوج، وسليه أخرى؟ يجب أن يحتسب مسلاً

فتمتم الطبيب قائلاً: لا أذكر، ومع ذلك فهذا جائز ... إن كثيراً من المرضى يزورني كل يوم ... ولكني لا أفهم ماذا تريد أن تصل إليه ..

— أريد أن أصل إلى هذا: لقد كنت أنا ذلك المريض ولقد كنت ... حين قلت لك ... إلى أعزب. كنت متزوجاً وأبا لأولاد ... وعندما انصرفت ... وراني لم أشعر بك على بال شيئاً ... لأني واحد من أولئك الذين ... الذين يزورون عيادتك كل يوم ... أما أنا فقد كان لوصفك مرضي على هذا النحو أسوأ النتائج

وأسند يده على جبينه ثم واصل حديثه

عندما عدت إلى البيت كانت زوجي وأولادي الصغار في انتظاري ... كان الفصل شتاء، ولكن البيت كان يستمتع بالدفء والراحة والسرور ... إلى ذلك اليوم مشرقاً بساعة السرور ... والهناء مع صغاري الأعزاء ... كنت أحب ملاعبة زوجي ومداعبة أطفالي — وفي أثناء النهار كنت أتوق إلى تلك اللحظة التي أصير فيها حراً لأجلس بين هؤلاء الأعزاء متاعب العمل والحياة ... ولكني في تلك الليلة عندما ضممت إلي زوجي ... وأبعدت أطفالي الصغار حتى أبعد إلي، لأن الجرثومة التي عرفتها يا دكتور في نفسي بدأت تثمر

جلسنا إلى العشاء، فكنت أحاول أن أخفي ... ولكني كنت مكتئباً حزيناً، كسير القلب، أفكر في هذه الكائنات الصغيرة التي سأتركها قريباً، وفي أسرتي التي ستفقد عائلها، في أولادي الذين سيكبرون أيتاماً

إن الذين يعرفون أن موتهم قريب مرة ، وهم آثمون قادرون على أن يصبروا إلى صدورهم من يحبون ويعلنوا عيوبهم منهم ، ولكني أنا .. ؛ أنا الخطر الدائم لكل من يقترب مني ، أنا من يحمل الموت معه .. لا أزال حياً ، وقد انقضت من الأحياء ، ولم يعد لي حق في ممارسة الحياة

وعندما حان موعد النوم ، التف أولادي حولي كما يفعلون كل ليلة ، ولكني دفعتهم عني لأن في الوجوه لا يسر أن يعي أعوامهم

أويت إلى فراشي ثم أخذ كل شيء يسكن في المنزل ، وفي الطريق ، فانطفأ النور ، وغيب ساعداً بالقرب من زوجتي وهي سمم أنفسها الهادئة

أحسست بتعب الأرق الطويلة عن مخافة كنت أحسد سعري بيدي ، وكأني أريد أن أصل بأصابعي إلى موضع الداء في رئتي ، ويكون من الألم في الضيقة ما يجعلني أحمد في مكتب بأن مثل هذه الأعراض تنتاب كثيراً من الناس ! وانتهيت إلى الاعتقاد بأنك لا بد أن يكون مخطئاً قلت في نفسي : لا ، لست مريضاً بالسل مستحيل ، سوف أستشير طبيباً آخر

غير أني سمعت فجأة سعالاً في الغرفة المجاورة ... شعرت بقشعريرة هذا السعال الآتي من غرفة أولادي كان مخيفاً ، ووحداً وصيباً يخرج من الحشرجة ، مسحت بيدي نحو زوجتي ولكني خفت أن أوقظها ضممت يدي . وعاد السعال مرة أخرى ، فقمت بهدوء وذهبت إلى الغرفة التي ينام فيها أطفالي وفي ضوء القنديل الضئيل ، أمكنني أن أراهم وهم أعوب في فرشهم حتى إلى أن أكبرهم هو الوحيد . جلست بجانبه فإذا بها مدفأة ، على طيه سعل عدة مرات متوالية وهو يتقلب في فرشه بعسر ... مكثت إلى جانبه وقتاً طويلاً كان يسعل خلاله باستمرار - رجعت إلى مخدعي ، ولكني ما كنت أقعد في فراشي حتى الشوت علي فكرة مرعبة ، هو مسؤول عني ، لا شك في ذلك

في تلك اللحظة كنت أنت تعلم هل ، حقيقة يا دكتور ، أليس كذلك ؟

واليوم التالي كان مخيفاً ... لم أجرؤ على إخبار زوجتي أن طفلنا مريض ، ولكن حدثني الشبابة الكافية لأستشير طبيب ، كنت خجلاً من نفسي ، وعندها طفق سعال مرة ...

لكن عقلي لم يسكن ... اضطربت الأفكار السوداء في رأسي لست المسألة مسألة العدوى فقط ، بل هناك شبح أبشع من ذلك كله ، ماثلاً أمامي : الوراثة ... فقد ورث أطفال مرضى كما ورثوا عيني وشعري ... وحتى لو كانوا قد نجوا من حكم هذا القانون الرهيب فلم يضرب السل عليهم لا بد أن يكون قد نقل العدوى إليهم

تحول إلى ذلك وهم وخيال ؟ كلا ، أليس ذلك ما تهمه طبيب المجهود الذي بعثه أبي وزملاؤه بالمختبرات والمجلات والجرائد فكشفوا للناس أسرار هذا المرض !

كل ما كنت قد قرأت أو سمعت تجمع في رأسي

زوجتي وأطفالي أعز الناس علي ، سوف يدفعون واحداً بعد آخر ! سوف يدفعون حياتهم ، ومعه في انتظار قلبه المؤلم وأنا ، سوف أشهد ذلك كله في وجوههم الشاحبة ، وأحاسيسهم الضامرة ... والعلم عاجز عن تبرير هذه القسوة المحتوم

وسكت لحظة ثم عاد يقول في صوت خفيض

ثم ... كلبني حيناً ... بعد مرور أيام لم أعرف خلالها غلبة تلك الأفكار المزعجة ، وبدأ عندي الاعتقاد بأن هناك حالات يكون فيها من واجب الإنسان أن يضع حداً لحياة من لا مفر منه .. من حقه أن يضع حداً ، يعني ما حتى ، يكون هو يد القضاء التي تنقذ من الشقاء من لا ذنب لهم

أنت تتعجب ؟ أنت خائف من أن تفهم ؟ .. نعم ، بيدي قتلت أطفالي وزوجتي ، أطعمتهم ، قتلتهم ، خنقتهم ، وحدث ذلك بمهارة لم يفطن إليها أحد

كنت في أول الأمر مصمماً على أن أضع حداً لحياتي أنا أيضاً ، ولكني كنت في نظر نفسي مخطئاً بالسعادة ! ألا أني قتلتهم - إذ أعتقد أن عملي في هذه الحالة مشروع ... بل لأني أوجدتهم ... وأني كنت أحكم على نفسي أشد من الموت ، متعرضاً بأنني أفضل وحدي من ، تلك الحياة المنكودة التي أعددتهم لها !!

والآن ، انظر ماذا حدث ... بعد موتهم بأسابيع ، أصبحت أعود إلى عملي ، ذهب الألم الذي كنت أشعر به ... لم يعد أثر

الدم في بصاقي ... أصبحت أشعر بشهية للأكل ... بل جاءت أحيانا
أعتقد في أول الأمر أنه اشتباه ما دام المرض متوقفا،
وسوف يعود بغتة أشد ... إلا أن بعد ستة أشهر ثبتت الصفة
الرئة، حتى أنني أصبحت أقوى [illegible] ... ولكن، لو كنت
حقا مريضا بالسل ... وتجسمت الفكرة أمام عيني ... أخفي
ماذا أمري؟ ... إذا كنت مسلولا حقا، فقد كان واجبا علي
أما إذا لم أكن، فقد قلت بلا مبرر، ونفرت مني [illegible] زوجتي
وأولادي.

[illegible] نفسي ستة كما أنا كنت متوهلا دائما أن المرض
الذي وقف سوف يعود، بل [illegible] أن أمهد إلى
الظهور ... ولكن [illegible] لم يظهر أي عرض من أعراض المرض
وعندئذ [illegible] بأنك كنت مخطئا، بل [illegible] لا أستطيع [illegible]
[illegible] كتاب لا [illegible] ... فيجب الآن [illegible]
[illegible] طويلا [illegible] من إقناعها ... لقد [illegible]، فقضيت
[illegible]، ألقيت بنفسي في خضم من الأحزان والآلام
ولم [illegible] سببه [illegible] أنت ... وقد [illegible] اليوم
أحمد أنت [illegible] ...

ونهض الرجل [illegible] وهو يقول [illegible] إلى صدره.
لقد [illegible] أني [illegible] لا أثر [illegible] إنك
[illegible] وأنت [illegible] أنت [illegible] ولكني [illegible] شيء،
لا شيء مطلقا، أؤكد لك [illegible] لأنك لم تكن [illegible]
لا [illegible] من الموت، [illegible] أني [illegible]
فتأمله الطبيب [illegible] وهو في منتهى الشحوب

— أنا [illegible] إن فكرة السل متسلطة في الأفكار
هذه الأيام ... وكثيرا ما يجأر الإنسان دون شعور منه به
من الجائز جدا أن يخطئ الطبيب أيضا، [illegible] لعوب قد
يكون [illegible] ... أنا أكون [illegible] أسر الأطباء
كثيرا ما يختلفون في تشخيص المرض ... ومع ذلك [illegible]
[illegible] كاتبة

فانفجر الرجل يضحك ضحكا [illegible]
— تريد أن تضحكني ثانية ... [illegible]
[illegible] لقد قلت [illegible] ولا [illegible] مطلقا [illegible]
في [illegible] وأنا في [illegible]

[illegible] غريبا عن غير قصد،
أنا [illegible] ولكنك كنت [illegible]
[illegible] واحدة وأجدى [illegible] وأحكم
عليك [illegible] عليك أولا ... ثم على نفسي

ودوت طلقتان في الفضاء ... [illegible] إلى الغرفة
فوجد جثتين [illegible] وقد سال دم [illegible] على [illegible]
ولم يكتب [illegible] سوى:

[illegible] ١٥ مرة
١٥ [illegible]

[illegible]

---

## كراسي أحد عالمي الملاريا[1] M. Anth. 40

[illegible] سنة ١٩٢٥

[illegible] كبير [illegible]
[illegible] كل [illegible]
[illegible] الأخيرة من حياة [illegible]
[illegible] كراسي [illegible] إلى ١٩٢٥
[illegible] الملاريا [illegible]

[illegible] كراسي [illegible] يستطيع [illegible]
[illegible] كراسي [illegible] الأحمر [illegible]
[illegible] بواسطة [illegible]
[illegible] كراسي [illegible]
[illegible]
[illegible] المرض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأنكليز [illegible]

---

## حول «الإمتاع والمؤانسة»

قرأنا في باب النقد مقالاً تعمّد صاحبه بأن يجعل توقيعه هكذا: «ع. ص» فأي يحرجني من حديث عيون الطرفين المتقشّفين؟ والمقال رد على مقالي الذي طلبت فيه من جانب الأستاذين أحمد أمين وأحمد الزين وهما محرران كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي. وكنت قد ضمنت ذلك الاستدراك توجيه اللوم وحده والإعلام الملحة لا تنقص الناشرين الفاضلين، كما زعم ع. ص. وقد كتب الرد من ناحيتهما، وأكبر الظن أنهما يدعان الدكتور كي ساركي يرى ما أرى. وقد رد بعد صاحبه إلى التمويه، فهو من الهذيان قبل أن ننزل إليه والتمويه سبب جلي؛ ذلك أن المقال يدور على التلبيس والحذف على اختلاق الكلام واجتلاب التهمة.

ووالله لولا أن القارئ المُنصف في غنى عن الناقد المكشوف لصمتُّ القلم اليوم عن الكتابة، ومعنى مشهور بحوزة العرب «لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر».

أما التلبيس الذي ذكرت فمن قوله إني نبهت على اضطراب الترقيم «استغرق نحواً من نصف صفحة من مقالي». والواقع أن ذلك التنبيه جاء كالتذييل للمآخذ الأولى ووقع في عشرة سطور على حين أن مقالي في سبعة وثلاثين ومائة سطر.

ومن التلبيس أيضاً أنه يقول في خاتمة مناقشته المتكلفة «هذا ما تعلق بنقد الدكتور بشر»، وهو يريد أن يدعي في وهم القارئ أنه ناقش كل ما أخذته على الناشرين. والواقع أنه إنما حاول الرد على مآخذ أربعة، ومن عندي أحد عشر مأخذاً، كلها مستخرجة من الأربعين صفحة الأولى من كتاب «الإمتاع والمؤانسة». ألا فليخبرني «ع. ص» أو من وراءه ماذا صنع بالمآخذ السبعة الأخرى؟ أتواها في الظلام الذي يلفه؟

بأن أوضح من صديق القارئ أحيله إلى النص ويراجع كلمة «الفاتحة» وصوابها «...»، وكلمة «المنعة» والوجه «...»، وكلمة «الصواب» والصواب «الشالية» وتصحيح «الركاكة» بسبب التأثل والرأي دون القبة، والأصل معناه، وكلمة «مطاعيه» والصواب «سابقة»؛ وكلمة «ووده واحدة» والصواب «ومعوزة». وحسبي أن أخبر «ع. ص» من لزوم الصمت إزاء هذه المآخذ، فقد سقطت عنها أوهى الاحتمال.

* * *

ذلك بعض ما في مقال ع. ص. من التلبيس. وأما الذي يشهد من أثر الحسد فلاحٍ في مناقشته المتعسفة، وسأختصر الكلام فأضرب مثلين اثنين:

يقول ع. ص — وبئس ما يقول — إن ما علمت من تنبيهي على اضطراب الترقيم — ما عرفه؛ «ولم يعلم (بحق) أن هذا الترقيم إنما يتطلبه الذوق وحده، ولا يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة إلا في رسم العلامات». فمن هذا يتبين لي أن الرجل من العاجزين عن فن الإنشاء. ولا أريد أن أعلق على علامات الرسم والجهل في أدب القدم، خشية الإطالة، ولكني أخبر ع. ص. أن في الترقيم ما يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة في اللغات الإفرنجية، فليستعن بأحد معاونيه على فهم «باب الترقيم» في كتاب القواعد الفرنسية في كتاب Hubert المختصر مثلاً (والباب في أربع صفحات: ثلاثة أرباع واحدة منها للعلامات التي يحسبها هو، نحو علامة التعجب؛ والباقي للترقيم من نقطة وفصلة أو شرطة ونحو ذلك). وأما الترقيم المستحدث في العربية فقد استمد من قواعد اللغات الإفرنجية عاماً كاملاً إلى أن صدرت رسالة أصدرتها وزارة المعارف العمومية، عنوانها «... وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها» (المطبعة الأميرية ١٩٣١) منذ تسع سنوات. يسير الكلام في فن الإنشاء على صحيح قوم ليس الأستاذ الكاتب ع. ص. منهم.

حتى إن ع. ص. تكلّف أنه ظفر بالقول حين قال: إني لم أدرك أنّ كلمة «كما» في مواضعه من التوحيدي. «وأما قولهم: حديد عن خلق، فهو مستحسن مستهجن (كذا). أحدهما يُشير به إلى أن علامة بابه (والصواب كما في

الأصل سابقة)، والأخرى أن سابقة وردت عربية؟ ألا ترى كيف يتقول علىّ ع. ح. ما لم أقله، إذ زعم من الطريقين المختلفين أني حسبت «كافة» مستعربة من النمط المصري، وأنا صريح إذ قلت: «مثلها «. . . » يعتمد لأجل ذلك ورود كافة (كافة) بإزائه من طريق يحتمل الجوع بالمجاز»! فهل له أن يسائل أهل الذكر عن موقع كلمة «كافة» في هذه المواطن فيخبروه أنها ليست المعطوفة كما زعم، ويكتب لنا كيف حكم للأصل وسبب التعدي إلى القسم الذي يليه، وليرجع ع. ح. في هذا إلى «كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري (الآستانة ١٣٢٠ ص ٢٦٧، ٢٧٠) فقد يجد أن من التقسيم الفاسد أن يدخل أحد القسمين في الآخر، وفي عبارة التوحيدي تقسيم، وبيانه هكذا: «هو محسن محسنين، أحدهما ... والآخر ...» وقد جاء التقسيم — على حسب رواية الناشرين — فاسداً، وذلك لأن «الكافة» البائنة جاءت في «الزمان القريب سابقة» وأما «الكافة السابقة» (وهي الرواية الصحيحة، كما يتضح في تعليقي مستنداً إلى موضوع الفلسفة العربية) فعلى خلاف ذلك؟ لأن «المحلات» يعد المتصور من طريق دافع الأجزاء. وعلى ذلك فالتعبير كله «كافة» من باب المجاز كما ذكرت والعجيب أن ع. ح. قليل الإلمام بأساليب الكتابة العربية . . . ورد روى مثلاً أنني إلى أني لم أجر في تعدي على الفصحى باستعمال كلمة «كيف»، بل أقول: هذا خطأ، والصواب كيت وكيت . . . أقلت: . . . والصواب «منال»؟ وبكلمة أقول إلى المختص باللغات

من كل ذلك يتضح لك ما وراء الصيحة من تلبيس وعنت مما لا يجلب للعلم منفعة ولا يعود على الناشرين الفاضلين بمحمدة ولهم (ع. ح.) أن تلقى صيحة بعد صيحة، فليس من عادة أن يجتنب سن بوابه حميد

بشر فارس

## وفد العراق إلى المؤتمر الطبي العربي

أهلاً وسهلاً ومرحباً!!

كتب إلى الأخ العزيز الدكتور عبد المجيد القصاب يقول:

«أنا أحرق شوقاً إليك، وأحزم حقائبي للسفر مشتركاً في المؤتمر الطبي رئيساً لوفد الطلبة وسيقدم معي جمع من التابعين من طلاب الحقوق والطب والصيدلة ودار المعلمين العالية . . . وما شاكل

والمؤتمر الطبي؟ إنما هو مظهر التي أسرق شوقاً إليه، وما أكثر من أهل مصر الذين يرون لقاء عقولهم وموجهيهم لتفكيرهم، أمثال صبرة ومبارك والمازني والزيات والسنهوري وحسين وأباظة. ولست أنا وحدي أفكر بهذا الرجاء، بل هنالك العدد الكثير من أطباء وطبيبات وطلاب وطالبات من سكان وادي الرافدين سيحضرون إلى سكان وادي النيل حيث بأطرف ..»

وإذاً، فسيكون عندنا وفدان للمؤتمر من أهل العراق: أحدهما وفد الأطباء برئاسة الدكتور صائب شوكت، والثاني وفد الطلاب برئاسة الدكتور عبد المجيد القصاب

سيكونون بالقاهرة في أيام العيد مئة وعشرون ضيفاً من العراق. فيا فرحة القلب ويا طرب الروح بلقاء الأهل والأحباب!!

وفي خطاب الدكتور القصاب تحية من الأخ الأستاذ ناجي القشطيني، وتحية كريمة من بعض إخوانه يقولون: «يا أبناء العرب في عهد سحائق من وقت إلى وقت، نادي يوماً أو يوماً حتى أتى وفد العراق وأنا في أمل من ثورة النفس على مطارحة الزمان!»

وفي الخطاب إشارة وجهها إلى الشاعر «يسيق» في الزعر الطبي باسم مستقر لشعر أهل العراق، وهو بعنوان إلى القاهرب لاستقبالي عطلة عيد الحديد

> وحنانيكم وجمالكم حسباً وفي *** عمري عشر حسابكم لم أحسب
>
> ولي يدعي في حبكم ووصلها *** لتشرى بقصدكم لم أتعب

سأكون في عهد، وسأكون في عيده، والحمد لله، وأقصد مشكور للعصبة الطبية المصرية التي عرفت كيف تجعل القاهرة صلة الوصل بين الأمم العربية

إليك يا ليل ... أهلك الأكرمين أعظم صدري وعراقي تتلاقى القلوب بعد طول العهد

> ومن يغلب الحب إن كان أحلته *** الحب في قلبي وعيني من أهل
>
> ... مبارك

## أقاصيص مصرية لأوسكار وايلد

نشر الأستاذ ... أقاصيص جديدة لأوسكار وايلد لم يسبق لها أن تنشر قبل اليوم، ولو أنها شرب الكاتب كتبها صغيراً؟ وسأعرض هذه الأقاصيص، وحتى أعود يوماً فأنقلها إلى القراء

### (١) العين الزجاجية

عشق هذه الأميرة عيناً أورى [illegible] الجمال ، وكان مولعاً بالصيد والقنص ... وإنه في آخر يوم من أيام الصيد ذات يوم ، إذ انطلقت بندقيته فأصابت إحدى عينيه ، وأطفأت نورها فعمد إلى عين من زجاج خاص ، وكانت عيناً جميلة ، وأنه محذرة بأن يخفي عن أهله كل ما به

ووضع العين الزجاجية أمام المرآة ، وأعجب [illegible] ووقف ... وهب ملتفتاً لمن يعشق ويروح ويروي [illegible]

فلما بلغ به الإعجاب كل مبلغ ، أراد أن يسأل صديقاً له عن حاله

— كيف ترى عيني الزجاجية ؟

— لا يستطيع المرء أن يميز أكثر منها

— ولكن أهم سبب ما ؟ إن الحياة تنقص منها ، وإن النور ينبع منها ... آه يا صديقي ، لقد غدوت لا أستطيع عين عيني الأولى وعيني الثانية ، أنظر فيهما ... ومعنى ، ثم قل أي العينين هي الزجاجية ؟

— تلك هي الزجاجية

— وكيف عرفتها !

— إنها أجمل العينين !

— أوه ، إنك مخطئ ... لم تك رأيتها من قبل لما عرفت

سال سائل الناس ، هب إلى الشارع

وخرج الصديقان ... فلمح الفتى في زاوية الشارع سائلاً يستعطي ، فاقتربا منه ، وقال له الفتى

— هل تأخذ درهماً ؟

درهم ... درهم ... ليس أحب إلي منه ... لقد ... يومان لياليين

حسن ، أنظر إلى عيني ... فإذا استطعت أن تميز عيني الزجاجية من عيني الطبيعية — كان لك ما شئت !

فحدق السائل ، وقال فوراً

— هذه هي تلك يا سيدي

— وعجباً ! وكيف عرفتها ؟

— الأمر سهل يا سيدي ، لقد رأيت فيها شفقة ورحمة بي أما الثانية ... أما الثانية ... فإنها تقول : لا تعطه شيئاً

### (٢) [illegible]

أقلعت السفن تحمل تجاراً في ملتمس [illegible] عليهم وهم فوق موج البحر ... وكانوا يسمرون ويقضون وقتاً طيباً ... ثم يبكي ... وإذا البحر يفتح عينيه ينظر إلى ... وإذا الرعد يصيح وهو ينظر ضاحكاً

وبدأ المبحرون ... حتى وصلوا إلى جزيرة نائية ، فأرسوا عندها الصخرية ، ولما رأوها ، فتعزوا في ظلها شيخاً قد أنهكتهم ... الوجه مشرق ، العين ضحوك

لم يكن الشيخ صعيداً بائساً بل اتخذ من شعره الأسود الذي استرسل على كتفيه وستر ظهره رداء ، ومن لحيته الطويلة التي ست ركبتيه صدرة

وحف الشباب بالشيخ وسألوه أن يقص عليهم قصته فضحك وقال

— كل ما أستطيع أن أقوله — هو أني أتيت إلى هذه الجزيرة الآمنة

متى هذا ؟

— وه ! لقد نسيت أيضاً !

### (٣) الرجل الغني وسره

كان فتى ثروة واسعة تفيض عيشه رغداً ، فأتاه ذات يوم رجل ذكي محتال وقال له

— لقد عرفت سرك فلن لم تعطني ألف جنيه فسأكون مخبراً غضب الخوف في نفس الفتى وسائل نفسه ... أيكون لي سر ولا أعرفه ! وما هو سري ؟ ولكن ربما كان لي سر يعرفه هو ولا أعرفه أنا ، فلأعطه ما يريد !

ومضى الرجل وقد فطن ... فكان كلما أحس حاجة أو فاقة عاد إليه فأخذ مالاً ... والفتى يعطي خائفاً

ومرت ست أعوام — وبدا القلوب بأني الفتى :

فنادى المحتال ... وقال له وهو يكاد يتقطع حسرات

— لن أعطيك بعد اليوم — قل لي ما هو سري — الذي لم أعرفه

صموئيل [illegible]

### التجديد في العروض

قرأت بالعدد (٣٤٦) من الرسالة قصيدة بعنوان (الناي) للدكتور الفاضل بشر فارس ، ممن لقد يقولون : إن هذه الأغنية منظومة على بحور مختلفين رغبة في تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول

وسمه الشاعر، وأجزاؤه : فاعلاتن مفاعلتن (مرتين)، ولكن اسمه : المطلق. وأما البحر الثاني فمن البحور المعروفة ... » ثم مضى في القصيدة مستكملاً الوزن الذي أعطاه المطلق ويبدأ بقوله:

حسْبوا الناسَ من أذى ... أذنًى زارك كلَّ سريًّا

والواقع أنه لا يوجد في أوزان البحور المعروفة بحر أجزاؤه (فاعلاتن مفاعلتن) ولكن وجد هذا الضرب نفسه بأجزاء أخرى هي (فاعلن فاعلن فَعِلُنْ) فهو إذاً الضرب الأول من العروض الثاني من المتدارك، وهو المجزوء الصحيح، وأقرب أمثلته (لوزن) الدكتور بشر هو الضرب المخبون المرفّل من هذا المجزوء الصحيح، ومثاله في متن الكافي هو:

دارُ سُعدى بشِحْرِ عُمانْ ... قد كساها البِلى المَلَوانْ

على أن هناك فرقاً يسيراً قد يلحظه القارئ بين الوزنين، ذلك أن وزن الدكتور بشر يتقدمه القرعين (وهو ريشة سبب خفيف على ما أخبره وتد مجموع) والسبب الخفيف - كما هو معروف - متحرك بعده ساكن كـ(قدْ)، هو يجعل الألف والنون الأخيرتين في عمان والملوان، والتجزي عنهما يحصل على نفس الوزن (المطلق) الذي جاء به الدكتور بشر..

والواقع أنه يصعب جداً، بل يكاد يكون من المتعذر، زيادة (بحر) مستقل عن البحور المعروفة، كما صنع الدكتور القاسم لنفسه في تسميته عروضه التي له أصل في العروض بحراً على أن له العذر الفني في ذلك، وأقول العذر الفني لأن (البحر) الذي توصل إليه أنه اخترعه لم يقع له إلا في (المتدارك) وهو كما يظهر من تسميته بحر تدارك به الأخفش على الخليل الذي كان قد نسيه أو أهمله، وقيل هو المتدارك بكسر الراء لأنه متدارك المتقارب أي الملحق به، لأنه خرج منه بتقديم السبب على الوتد، وله أسماء أخرى غير ذلك كالمخترع والخبب ... (من المعجم الشافي للصبوري)

ويطرح لي أن هناك شيئاً من توارد الخواطر بين تسمية الدكتور بشر عروضه (بالمطلق) وبين تسمية المتدارك (بالمخترع) فكلا التسميتين توحيان من قريب أو من بعيد إلى أنه وزن جديد على أوزان الخليل ... هذا وإن كنت لم أعرف بعدُ ما لحظه الدكتور في اختيار اسم (المطلق)

وربطه بالفائدة من هذا البحث المليل، أقول إنه ليس فيه التجديد في العروض - وكل ذلك ... ولكنه وزن جديد، عروض على غرار أحسن ... فليت ما حدث غير أنه من نفس المتدارك، وكنت قد نظمت لإثباته أبياتاً مطلعها:

ما أبي إلى صاحبٍ الوَرى ... أذلُّ ... ووصيل ...

والثاني أخذه من وزن إنجليزي يدعى، يمثل طريقة من سير الجواد Trotting وهو الأصح عندي بأن يسمى (الخبب) وقد جعلت وزنه: مستفعلن، أربع مرات، أو نحو ..

ولا أذكر ما نظمته فيه، ولكن المجال فيه مفتوح للناظمين.

عامر محمد بحيري
ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الأول

**عيني بجمر والأرمد**

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي اعتقادات وملاحظات تستدعي مجالاً ... وعطفه أخرى، وآراء وملاحظات تستحق نظرنا على التأمل والتبصر في محتواها عدا حملني أخالف ما ذهب إليه في إعراب قول الأعشى:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا

فله أعرب (أرمدا) مفعولاً مطلقاً مسنداً إلى ألف الاثنين العائدة على قوله عيناك، وعلى ذلك (ليلة) في البيت منصوبة على الظرفية لا أنها مفعول مطلق كما يقول الأستاذ (أبو رجاء) نقلاً عن محقق النحاة

ولنتطلع إلى معنى البيت على رأي الأستاذ الصعيدي، أيؤدي ما كان يريده الأعشى أم يعارضه ويناقضه ويخالف العقل والواقع؟ إنه يكون هكذا: «ألم تغتمض عيناك ليلة كانا أرمدين» مع حمل الاستفهام على التقرير أو الإنكار، فكيف يتأتى تطبيق ... ودون حلاوة الذكرى في وقت كان الرمد كالجمر يحرقهما ويأكل غارساً بجوار السهر والقلق وغير ذلك مما يعيده الأستاذ؟ إنما كان طيب الرمد، وحلاوة الطعم لا يجتمعان، وإذن يفسد كل معنى يترتب على ذلك، وينطبق ما يقوله محقق النحاة في معنى البيت من أنه يكون هكذا «ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة الأرمد» ولا ريب في أن اغتماض الأرمد كله سهد وقلق وأرق وسهر وغير

# كتاب «الامتاع والمؤانسة»

## ٢

حدثنا في مقال سابق عن أمثلة من نقد الدكتور بشر فارس لتصحيح كتاب (الإمتاع والمؤانسة) ووقفنا ساعة عند النقد وقفة هدوء. أما تصحيح الدكتور زكي مبارك لتصحيح هذا الكتاب فهو أقل جدوى وأبعد عن الحاد، وأكثر [illegible] وأشد [illegible] وتكلفاً من نقد صاحبه

وشيء آخر يحتفظ به الدكتور زكي على صاحبه أنه يترك عناق الكلمة الصحيحة، ويظل يضرب حولها [illegible] من التأويل البعيد يحرص على أن يحكم على حسها بالغلط [illegible] الكلمة إلى ما أراد حكم عليه هو بالغلط، ولا يكلفه ذلك إلا أن يكتب حرف الشين واللام والهاء.

وهناك أمثلة من نقده مع ردنا عليه نهيئ للقارئ [illegible] ما نقول وأن هذا النقد كله لا يستند إلى شيء من الحق

روى أبو حيان في كتابه الذي نحن بصدده مناظرة طويلة بين أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس المنطقي، وعن سؤال نحوي وجهه السيرافي إلى متى، فلم يستطع متى الإجابة عنه، وطلب إلى السيرافي أن يجيبه عن [illegible] فقال السيرافي «لو حضرت حلقة المستفيد»

وكتب المصححان الفاضلان على قوله «الحلقة» ما يفيد أن في الأصل «الحلقة» [illegible] وهو تحريف

ويقول الدكتور زكي إن قوله «الحلقة» ليس فيها تحريف وإنما صحيحة لا شك فيها، وقوله «الحلقة» بأن معناها الطلبة الذين يختلفون إلى العلم

ونقول: إن قوله «الحلقة» تحريف لا شك فيه كما رأى المصححان الفاضلان، وأن الصواب «الحلقة» كما رأيا، فإن العلم لا يقول «إذا حضرت الطلبة استغنى»، وإنما يقول «إذا حضرت مع الطلبة» أو يقول: «إذا حضرت الحلقة» أي حلقة الدرس؛ فهذا أقرب إلى الأحاديث العادية، وأشبه بأسلوب أبي حيان والسيرافي وغيرهما من الأئمة

أما أن يقول العالم لإنسان ما: «إذا حضرت الطلبة استغنيت» فهي عبارة ركيكة لا تلتئم مع أساليب الكتّاب المعدودين فضلاً عن أعلام الكتابة كأبي حيان ودليل ذلك قوله بعد هذه العبارة «فليس هذا مكان التدريس» وهذه قرينة تنادي بصواب ما أثبته المصححان الفاضلان

وروى أبو حيان في هذه المناظرة السابقة من كلام أبي سعيد السيرافي الذي وجّهه إلى متى بن يونس المنطقي بصنعته وقومه، قال «وإنما ودُّكم أن تشغلوا جاهلاً وتستذلوا عزيزاً»

وكتب المصححان الفاضلان على قوله «ودّكم» ما يفيد أن في الأصل «مولكم»، وهو تحريف

ويقول الناقد «إن اللفظ الأصلي صحيح لا شك فيه، فلا موجب لتغييره بكلمة أخرى»

ونقول: إن الصواب ما فعله المصححان الفاضلان؛ فإن قوله «وإنما مولكم أن تشغلوا جاهلاً وتستذلوا عزيزاً» حسب عبارة الأصل، غير سائغ في أي أسلوب مهما انحط في درجات الكتابة؛ فهي عبارة تمجها الأسماع، وضعيفة المعنى، فإن كون المناطقة مشغولين [illegible] ويستذلون الغير ليس قولاً، ورد ذلك قصب [illegible]، بدليل قوله بعد «وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع»

وإذن فالملائم لسياق الكلام أن يقول «وإنما ودّكم أن تفعلوا كذا، وغايتكم أن تفعلوا كذا...»

ومنها ما رواه أبو حيان في هذه المناظرة أيضاً من كلام متى

---

ذلك [illegible] وصواب الأعشى، وحجته أنه كان كما يقول الأستاذ «لم يكن في موقف الشكوى من هذا، وإنما كان في موقف التشبيب» فلا حرج عليه إذ قال إنه كان في سهر طويل، ولفظة تبيت كان كلفظة الرجل الذي آله بعد حبيبه، لا أن يقول إن عيني كانت مسهدة وإنه بات سهداً وحب إلى الذي [illegible] بأنه، ويعلم الرجل والرمد في عينه، فما هي المناسبة التي تجعل الأعشى أن يقول ذلك وهو في الموضع الذي نبه عليه الأستاذ [illegible] ما أرجو كتابته والسلام على الأستاذ ورحمه الله

أحمد رجب البيري

ابن يونس للنطق، بقوله: «لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب ... إلا بما حويناه من المنطق، وملكناه من القيام به»

وقد كتب المصححان الفاضلان على قوله: «حويناه» ما يفيد أنه في الأصل: «أحرزناه» مكان قوله «حويناه»، وهو تحريف.

ويقول الناقد: إن قوله «أحرزناه» صحيح لا تحريف فيه.

ونقول رداً عليه: إن ما صنعه مصححا الكتاب هو الصواب بعينه، لأن قوله «أحرزناه» في هذا الموضع تحريف لا شك فيه ولا معنى له؛ فأي قول المؤلف بعد: «وملكناه من القيام به» يتفق بنصه ما أثبته مصححا الكتاب، فليس «حويناه» و«ملكناه» بمعنى واحد وإن اختلفا في اللفظ، كما هو ظاهر.

ومنها ما قاله السيرافي أيضاً موجهاً الخطاب إلى متّى يحثّه على معرفة اللغة العربية، قال: «وإذا لم يكن لك بدٌّ من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة»

وقد كتب مصححا الكتاب على قوله: «الترجمة» ما يفيد أن في الأصل: «التجربة» مكان قوله «الترجمة»، وهو تحريف.

ويقول الناقد: إن لفظ الأصل صحيح.

ونقول: إنه تحريف كما رأى مصححا الكتاب، إذ لا معنى لقوله: «التجربة» في هذا الموضع؛ وإلا فما معنى أنه محتاج إلى قليل اللغة لأجل التجربة؟ وما المراد بالتجربة هنا؟

إنها على هذا الوجه عبارة غير مفهوم المراد منها. على أن سياق الكلام يدل على أن الصواب كلمة «الترجمة» كما رآه المصححان الفاضلان.

وأنا أورد لك هذه الجملة والجمل التي بعدها ليتبين لك أن السياق يقتضي لفظ «الترجمة» لا «التجربة». قال: «وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلا بد لك أيضاً من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة» (يريد الترجمة من اليونانية إلى العربية)

ومنها ما رواه التوحيدي من كلام السيرافي أيضاً الذي وجهه إلى متّى الشارح يقول له ما نصه: «ثم أنتم في منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة» إلخ.

ومعنى قوله: «لا تفون بالكتب» أنهم لا يقومون بحقها وما يجب لها من الشروح والتلخيصات، فهي كتب ناقصة غير مشروحة.

وكتب المصححان الفاضلان على قوله: «لا تفون بالكتب» ما يفيد أن في الأصل: «لا تفوزن»، وهو تحريف. اهـ

ويقول الدكتور مبارك: إن كلمة «الأصل» صحيحة وإن [illegible] للمصححين لا موجب له.

ونقول: ما معنى أن الفلاسفة لا يفوزون بالكتب كما يرى الناقد؟! الحق أنها عبارة فاسدة، لأن الفلاسفة يقرأون الكتب ويؤلفونها ويشرحونها؛ وأن ما صنعه المصححان الفاضلان هو الصواب بعينه، بدليل قول المؤلف بعد: «ولا هي مشروحة» فإن هذه العبارة تدل دلالة واضحة على أن السيرافي يريد أن الفلاسفة لا يفون بالكتب وأن كتبهم ناقصة.

ومن أمثلة هذا النقد الخاطئ أيضاً قول الناقد في عبارة التوحيدي وهي: «إن الأشياء منها ما يُدرَك، ومنها ما يُتخيَّل، ومنها ما يُخترع، ومنها ما يُنسج، ومنها ما يُحرَّر». وقد كتب المصححان الفاضلان على قوله: «ومنها ما يحرر» وهي العبارة الأخيرة ما يفيد أن في الأصل: «ومنها ما ينسج ويحرر» بسقوط كلمة «ومنها ما» قبل قوله «يحرر»، وأنهما قد زادا هذه الكلمة كما يقتضيه سياق الكلام، لأن المؤلف قد عبر في كل ما سبقها بقوله: «ومنها ما».

ويقول الناقد: «إنه لا موجب لزيادة «ومنها ما» وإن الصواب ترك العبارة هكذا: «ومنها ما ينسج ويحرر» كما هي عبارة الأصل» اهـ

في أي لغة يسوغ هذا الكلام؟ إن ما ينسج يا دكتور زكي غير ما يحرر، فإن [illegible] بالأيدي والتفصيل كما [illegible]، وما ينسج معروف.

وإذا كان المؤلف قد قال: «منها ما يتخيل ومنها ما يدرك» إلخ ألا يقول: «ومنها ما ينسج ومنها ما يحرر»؟!

وقد كان يود لو أن يترك عبارة المؤلف [illegible] على الدكتور زكي مبارك بدون أن نعلق عليها هذا التعليق الطويل.

تلك أمثلة من نقد حضرتي الكاتبين الدكتور زكي مبارك وبشر فارس قد أتينا بها ليعلم القراء قيمة ما نقدا به هذا الكتاب القيم في تصحيحه وطبعه.

ولا نريد أن نقف أمام كل ملاحظة من ملاحظاتهما موقف الرد والمناقشة فشرح ذلك يطول، ولا تتسع الصحف لمثل هذه الفصول. وإن أخذ الأمور اللاحقة في [illegible] الأمور.

وقد نعود إلى الحديث عن قيمة هذا الكتاب من ناحية مادته، وما أودعه فيه مؤلفه من علم غزير وأدب جم. [illegible]

8me Année No. 343

Lundi 29-1-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٤٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٢ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

## الفهـــــرس

صفحة



أثر المؤتمر الطبي [illegible]

# أمـــــل وذكرى . . .

كانت القاهرة في أيام عيد الأضحى حجاً للعروبة، كما كانت مكة [illegible] حجاً للإسلام. وكان بين عرفات والمقطم أمواج متشابهة من شعاع الروح الإلهي تشرق في الأنفس والأفئدة [illegible] فيمضي كل قطر إلى أخيه [illegible] [1] وكان ولا شك بين وفود المؤتمر الطبي العربي، كما كان بين حجاج البيت الإسلامي الحرام مذاكرات وأحاديث فيما يكرب الأرض ويكرب الناس من تسعير العدوان والطغيان والشر في أكثر بقاع العالم، فكان إصفاق الرأي ولا بد على ضرورة الوحدة العربية بأي شكل وعلى أي نظام

والحق أن الوحدة العربية في شتى صورها لم تكن في عهد من العهود ولا في حال من الأحوال ألزم منها لشعوب العرب في هذا العهد وعلى هذه الحال. فقد كانت بالأمس ضرباً من ضروب الكمال الإنساني تقتضيها عصبية اللسان وعزة الشعب، ولكنها أصبحت اليوم ضرورة من ضرورات البقاء تضطر إليها طبيعة الحياة وسلامة [illegible]. فلذلك فرح بها وفود المؤتمر وشهوده في حفلاتهم الرسمية والشعبية، واحتربوا [illegible]

(١) [illegible] للمرحوم [illegible] ، الأمراء

الشؤون الاجتماعية في حملته عليها من الأمور المشكلة

* * *

كان بعد النهضة عن أيامه من سلف الأمير الذي عرف منذ أمس. وكان منذ بعيد يناصحا عن مصرع الوزير رستم حيدر منذ ذكرى. ولم يكن من السهل على الخاطر — وقد امتلأ البصر والسمع بشباب العراق وآماله — أن ينصرف عن التفكير في حاضر العراق وماضيه.

رحم الله رستم حيدر! لقد كان وحده فصلاً في مرحلة العراق الحديث، ولئن كان في بعض [illegible] الكثير من البر والزعيم وآخرون التحمس والحركة، فإن رستم حيدر كان وحده في حقيقة تلك فيصل وبين خلفه والعمل. ولم أر في المهاجرين الذين جاءوا مع فيصل من قريش أمر ولا أحصى من رستم حيدر وساطع الحصري. وهما أول الرجلين في إذكاء النهضة العربية الجديدة [illegible] هذا في ميدان الثقافة، وذاك في ميدان السياسة. وكان بينهما تشابه من جوانب كثيرة، فكلاهما مستقل الفكر، له في كل مسألة رأي، وعلى كل رأي حجة. وكلاهما جاد العمل، يحتمي أطرافه ويتسلط دقائقه. وكلاهما صلب الرأي، يصعب أن يحاسب على ما يريد. ولذا كان بين الرجلين اختلاف، هو الاختلاف الطبيعي بين رجل السياسة الذي يتأثر بالأحوال والرجال والحوادث، وبين رجل العلم الذي لا يستخدم من المنطق ولا يتوخى غير الحقيقة.

كان المرحوم رستم حيدر خافض الوقار، دائم الانقباض، كثير الصمت، خافض الصوت، هادئ الحركة؛ ولكن نفسه كانت كالبحر الهادئ الصامت، تضطرب في جوفه الأفكار والأسرار وتموج كل الموج تحت الأديم.

وكان منذ اشتغاله بشؤون العراق مستشار فيصل [illegible] في سياسته الداخلية والخارجية، لبصره بعلوم السياسة والمال، وعلمه بدواخل الأمور ومخارج الحيل. فكانت أعمال الماهر العظيم [illegible] في أحوال المستقبل البعيد.

كان من سياسة رستم الاعتماد بعد الله على الفرات قبل دجلة، لأن الفرات شيعي [illegible]، وعلى [illegible] القبائل الشيعية القوية [illegible] بالمهمة حيلة من [illegible] ومعرفة إيران.

وكان يتوجس خيفة من مصر، لأن [illegible] على الترك كان مع [illegible]، ولأن [illegible] كان

من رأيه مرضاً خطراً لا ينبغي أن تسري عدواه إلى العراق، ولذلك كان السياسي العراقي الوحيد الذي لا يهتم بمصر ولا يتصل برجال مصر.

وكان من رأيه توسيع التعليم الأولي والمهني، وتضييق التعليم الثانوي، وحصر التعليم العالي في مدرسة لتخريج الموظفين ورجال الإدارة، خشية أن يكثر المتعلمون العاطلون فيكونوا مصدر القلق والاضطراب والفوضى. ومن ذلك [illegible] أرجح جداً أن [illegible] أغلق المدارس العالية جميعها إلا مدرسة الطب. وكان من أشد المعارضين لهذه السياسة التعليمية الأستاذ ساطع الحصري، لأنه كان يحاول أن يبني الثقافة العامة على قواعد العلم الحقيقي دون أن يحسب [illegible] العواطف وأغراض السياسة، وذلك [illegible] من سياسة الحصري.

وكان من سياسة المرحوم رستم أن تظل الأرض الزراعية ملكاً للحكومة لتحمي [illegible] الإقطاع [illegible] وتأديب [illegible] ومن [illegible] والتاريخ [illegible] الاجتماعية أن تنتزع ملكية الأرض من [illegible].

تلك من أقوى الأصول التي كانت تقوم عليها سياسة المرحوم في ذلك العهد، ولا يعلم غير الله مقدار أثر [illegible] في هذه السياسة.

* * *

لقد كان المرحوم رستم حيدر نزيهاً في رأيه عفيفاً في حكمه والعفة والنزاهة صفتان لا [illegible] بالعراق. [illegible] عام ١٩٣٣ وهو وزير للمالية [illegible] أن يرد على [illegible] أحدهما [illegible] الحكومة من [illegible] وهو يبلغ خمسة عشر ألف دينار، فأجلس إلى جانبه [illegible] ثم [illegible] الشيخ [illegible] أن الحكومة [illegible] وأن الشيخ [illegible] ثم [illegible] القاهرة إلى أمور تتعلق كلها بسلامة [illegible]. ولم ير نفسه في حاجة إلى ذكر السبب الأول وهو [illegible]! [illegible] مرآة الوزير [illegible] وعجب كيف يصبر على [illegible] الشيخ [illegible] خمسة عشر ألف [illegible]. ولكنه عجب من [illegible] الأمير لأنه طالب مجد، ولم يعجب من [illegible] الوزير لأنه طالب قوت!

# جائزة هـــــذا العام

للأستاذ عباس محمود العقاد

---

في اعتقادنا أن المحكمين في جائزة نوبل الأدبية والسلمية ملاحظون الظروف الحالية عند اختيار صاحب الجائزة، إذ لم يكن لها موضع من طراز وقوة شخص وآثاره عراقي ومشاركته وتقرأهم للناس بمحضور شهادة العالم على شهادة المحكمين

فقد كانت الجائزة من نصيب الكاتبة الأمريكية بيرل بك لأن القضية التي كانت تشغل الأذهان في حينه للإصابة هي قضية الصين، وقد اشتهرت الكاتبة الأمريكية برواياتها المقسمة الحديثة حتى أوشكت أن تقصر على موضوعات الصين كل ما كتبت من الروايات والقصص والمقالات

وكانت الجائزة من نصيب «إيفان بونين» الروسي المهاجر إلى باريس هرباً من طغيان الشيوعيين يوم كانت قضية اليوم هي قضية الحرب بين الحرية والشيوعية وبين عقائد الحرية وعقائد الظلام في روسيا أعوامه

وقد أصابت الجائزة هذا العام أديباً فنلندياً لم يقتصر شأنه على ذلك في أمر أوربة الشرقية على الخصوص لأن قضية فنلندة هي قضية السلم والحرية وقضية الجهاد النبيل في هذه الأوقات

ومن السهل أن نعرف مثل ذلك بين أصحاب الجوائز وبين القضايا الإنسانية التي كانت في الهند أو في إرلندة أو في إيطاليا أو في بولونيا أو في ألمانيا، ولا سيما جائزة السلم التي أصابت كارنيجي أو سيسل رودس أو من يماثلهم، لأنه كان في هذه التاريخ

* * *

ولا ضير عندنا على هذه الجائزة وإن لم يكن من موازين الأدب الخالص والنقد المجرد، لأن جائزة الدولة إنما هي قبل كل شيء جائزة السلم والمروءة، ولا ضير في الجمع بينها وبين الاعتراف للأديب الفني بقيمته والاعتراف بالقضية التي يرتبط بها ذلك الأديب، إما ارتباط الوطن أو ارتباط الشعب أو ارتباط العقيدة الاجتماعية

وعلى هذا فنحن لا نرى في هذا العام من هو أحق بها من

أديب فنلندة «فرانز إميل سيلانبا» الفائز بالجائزة واستحقاقه إلى استحقاقات أخرى للتنويه والتشجيع

ونحن هنا لأننا لم نقرأ لهذا الكاتب الفنلندي شيئاً في الكتب والروايات حين نرجع إلى تلك الناحية، وليس في وسعنا أن نحكم على أدبه أو على استحقاقه الفني بمعزل عن استحقاقه للإنسانية شهادة، ويكفي أنه أديب تلك البلاد التي ترتفع إلى الذروة العليا من مقاوم البسالة والاستشهاد

لم نقرأه ولكننا قرأنا عنه ما ذكرناه كتبت في العام الماضي حين قلنا إن المحكمين مختارون لجوائزهم واحداً من اثنين «هذا أديب من الأعلام البارزين طبقت شهرته الآفاق وحكم العالم، قبل حكم المجمع وتقليده... وإما أديب تقدم طيبه والمروءة وشيع بين الناس أواصر المودة والرحمة»

فإن لم يكن «سيلانبا» من الأولين فهو ولا ريب ـ على حسب أوصاف طريقته ـ من الآخرين

ويبدو لنا أن هذا الكاتب الفنلندي قد استطاع ما لا يستطاع في كثير من الأحيان

استطاع أن يوفق بين سيقته ومصلحة أبطال رواياته ومعيشة أبناء وطنه ومعيشة الإنسان في كل زمان بمعزل عن الأوقات والأوطان

فالأبطال الذين يصورهم في رواياته هم فلاحون فنلنديون وهم مع ذلك أناس ساذجون، وهم مع هذا وذاك مصدر ما في قصصه من وحي أسرته جميعاً من البساطة والسهولة والطيبة وقلة التعقيد والظاهر أن سيلانبا قد استمد البساطة من نشأته ومن ميله إلى السواء

فهو بنشأته فلاح، وهو بتعليمه «بيولوجي» من تلاميذ دارون المعجبين بذلك العلامة العظيم، وليس في الدنيا شيء يعلم المفكر البساطة والصدق في النظر إلى الحياة والأحياء إلا ما يتعلمه من أخلاق دارون ومثال دارون وطريقة دارون في الملاحظة والاستقراء

وقد أبدع سيلانبا في الرواية الفنلندية نمطاً جديداً غير النمط الذي كان شائعاً في وطنه بين كتاب الروايات والأقاصيص

فقد كان الرعب والحبكة والتشويق والإغراب غالباً على الكثير من

منهم ، وكان من اشتراكه فيه دم عالياً على من الحياة أو من الأقاصيص الملفقة من كتب

ولعلهم يعموا في هذه الأفكار من أمثالنا الشرقيين الذين حسبوا أن القريب لا يستحق البحث عنه لأنه قريب ، وأن البعيد حقيق بالسعي إليه لا لشيء إلا أنه بعيد . فتركوا السهولة والقرب وانطلقوا وراء الشذوذ والصعب ، وهؤلاء من حيث لا يقصدون على صعوبة الطلب القريب والتشبث على غير الجادة المطمئن

وجاء سيلانبا يعرّف القراء المتلهفين كيف يعيشون قصة تقوم على مراهقة أم ووريثها الصغير ، أو مراهقة الشهرة التي تتشابه بين الأوقات والخواطر والأحوال ، أو مراهقة الأعراق الذين لا يعرفون التاريخ ولا يأبهون بالمصائب ولا يخرجون من الشعور ، ويكفيهم هم القصة الشائقة من كتب الحياة الباقية ، وفي هذه القصة ولا شك يبرأ من يبحث عن صناعة الأصيل

وهو يحسب أن الأصيل الأكبر من مؤلفاته هو ما امتاز به من البداهة وبساطة اللغة ، ومن هنا أطلقوا القصة مسيرة اسمها « هكتور مصر » وهو أول كتب في سهولة ويسر صريح ، وهكذا يكتب أحسن الآثار

لكنه كثير المراجعة لما يكتب ، فقلما يتركه بغير تنقيح وتصحيح على الهامش . ثم يعاد إليه من المطبعة فيزيد عليه ويحذف منه ولا يستريح إليه إلا بعد تبديل كثير

وأشهر رواياته « سيلنبا » وهي كما قال قد ظفرت بالصيغة التامة من التنقيح والتبديل

* * *

رأيت صورته قلبا في سن على تركيب جبهة الفلاح الصحيح السليم

ورأيت صورته بين أبنائه وزوجته الأولى قلبا في سن على رب الأسرة القرير العين بعيشته البيتية وحياته الأسرية

ورأت تلميحي كتاباته فحسبت أنه جدير بأن يكتب مثلها ولن ... على بعض منه ، لأنها من صنعه وهو من صنعها

... الكاتب الإنجليزي إجور بنسون وكان في طليعة ملتقانا يوم إعلان جائزة نوبل فقال

كنت أنتظره بعد الزوجة نحو ... يدفع إلى الحجرة وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وفي إحدى يديه ... من الجبن ، وفي اليد الأخرى كوب ملآن إلى نصفه ، وهو يقول

« لقد تأخرت لأنني عنيت بحلاقة لحيتي عند الصباح ، وما كنت أرى الحلاقة قبل هذا ولا متى أتى سائل اليوم ... فلا بد من ... اليوم » ثم يلتفت إلى الإنجليزي يحكم على من يلقاه بأشياء ملائمة ... وجه ... وهي بيده على ذقنه ... ثم يلمس رباط رقبته وعلى وجهه ... من الهوس وعقدة عصبية ... من الشك ... ومضى يقول : أما كاتب المقال فليس في جريدته ، وقد أجور من الامتحان

« أما الثاني ، الكاتب ... ثم جلس على مقعد وسحب بين يديه كرسياً ... وقال : ولا أظنه يتجمع في هذا الامتحان ، ولكنك لا ترى »

قال إجور بنسون ما خبره : إن سيلانبا ... تحدث إلى ... الاستحياء ... حديث الصاحب الذي قد عرفني طوال حياته ، وذكر لي أن الذي يمنعه من التحدث إلى الأعلام أن يجرح شعورهم ... ، وأن ... مأمونة كل الأمن وكان يفرح منه أنه ... تلك ... أحياناً من ألم ... أنه قد أتى بجسامة مستغربة على غير ...

وجملة ما يقال في وصفه أنه رجل بين بساطة الفطرة وتثقيف الفكر والمغامرة ، وأنه في أدبه وفنه وأسلوبه على هذا المثال

عباس محمود العقاد

# اتقوا الله في أخيكم !

## للدكتور زكي مبارك

صحب الأستاذ الزيات زيارة صديقه (…) موجب … لقيه أول العهد بين عدد من المتوجه ، ثم نظر في غرفة الاستقبال فرأى « منظار » السيدين فوق إحدى النامية ، موضوعة على عينيه ليعرف إلى أي حد يعبر التقاء في يجعل ذلك المنظار العجيب ، ثم هام في شوارع القاهرة يتوسم وجوه الناس فرأى فيهم عجائب وغرائب يتعجب من … لوليه ، فجزع وقال وهو يحاور ذلك الصديق :

« ويحه تمارة ! إليك منظارك ، أم تسمح في أن أعيره على عين الدكتور مبارك ! »

وما أحب أن أعود إلى تشريح مقال الأستاذ الزيات ، لأنه مقال غريب ، وأنا أخاف على نفسي وعلى القراء من التفكير فيه من جديد

ولكن لا بأس من النظر في التجربة التي يقترحها أخونا الزيات ، وهو يريد أن أرى العالم … من وراء ذلك المنظار الذي نقل هذه الدنيا والناس من حال إلى أحوال

وأسارع فأقول : إن ما رأيته بالعين الطبيعية فيه الكفاية وفوق الكفاية ، فأي الرجال رجل في مثل حالي أنا حتى يحتاج في النظر إلى الناس بمنظار يجسم ما خفي واستتر من خفايا العيوب والعيوب

الزيات هو الذي يحتاج إلى منظار يرى به خلائق الناس ، لأنه كثير التلطف والترفق ، ومن كان كذلك فهو قليل التعرض لآفات الناس ، ومن هنا يخفى عنه ما فيهم من … الغرائز و… الخصال

أما أنا ، فقد دخلت على الناس في جحورهم وأوكارهم ، وما زلت أصحبهم بنفسي حتى أعرف أخس ما يطوون من غرور … ورياء . وهل ابتلي أحد بأهل زمانه كما ابتليت ؟ وهل لقي أحد من لؤم زمانه بعض ما لقيت ؟

وهل بين … اللغة العربية في مصر والشرق من يجهل … زماني ؟

لقد شكوت دهري وشكوت ثم شكوت ، حتى جفت … أعماقي ، فما حاجتي إلى منظار أرى به الشرور من خلائق الناس وقد اكتويت بجمر واكتويت على … الذي يعرف … ماض أو راح ؟

ويزيد في الهم والكرب مرضى بأني لم أكن رجلاً شاء حتى أتقي من الناس ما أخشى . وهل رأى الناس في القديم والحديث صحفياً في مثل أدبي وكربي و… ؟ ومن هو الرجل الذي يجرؤ على القول بأنه أغرى منى بالواجب ، وأحفظ للعهد ، وأحرص على عناية الجميل بالجميل ؟

وهل كان الناس يتوشحون بالنسيم وأقلامهم إلا عندما يبيت أعدائهم بغير ولسان ؟

ودوى على صديق واحد أساء إليه في حضور أو مغيب

لم أكن رجلاً شهدت أعماقي وضميري في يوم أو … ثم … من التعصب على … الناس … والضمير

ويشكي رجل كريم يكره الشر ويستعيذ بالله من العدوان على الناس ، وذلك حسبه من الغضب الشريف ، وأناه … عتال

وما الذي ينكر على أهل زماني حتى يصحبوني بشر … الخلق بأبناء آدم وحواء ؟

أنا أعرف ما ينكرون علىّ ، فقد ساءهم أن أسجل ما في زماني من مفاخر ومعايب وموبقات … ساءهم أن أصبح سراج الأدباء ، وأن أنصرهم على الأصدقاء … الأدب الزائف … وأن أوقفهم على الأدب الصحيح

وهل أخطأت حين قلت من يشتم ما قلت ؟

إن أعدائي يقولون في كل وقت إن مصر خادمة الشرق ، فكيف يلام من يوجه المصريين إلى أصول الصدق … لتصبح لهم السيطرة الأدبية على الشرق ؟

وهل يعرف … في دنيا غير هذا الأديب الجهول ؟

إن كان في مصر أحد من يؤمن بأنه … في سبيل الأدب … فليتقدم ليحمل بعض ما أحمل من أثقال الأدب .

ذلك رأيي في نفسي ، وهو حق ، فليكذبني من يجرؤ على مساءلتي من أهل الأدب والبيان

وما الذي يمنعني في الشرق أو الغرب أن أصبح لأعدائي ينفرون وحولي مثل ما الناس من النمل ؟

وبأي حق يدعون الناس إلى التلطف والترفق وأنا لم أر منهم غير الظلم المبين ؟

وفي أية شريعة يفرض على الرجل المظلوم في وطنه أن يعلن أنه من السعداء ؟

ومن الذي يراجع الطغاة إذا سكت لهم الأديب ؟

حدثوني كيف يسكت من يرى أعداءه يأكلون لحمه بلا حسيب ولا رقيب ؟

حدثوني كيف يجرم الشعب على وطن في مختلف الملل في بلد يستبيح أهله على الشرق باسم العقل ؟

نحن في مصر التي سبقت جميع الشعوب إلى المدنية ، فمن حقنا علينا أن نرحم حرية التعبير عما نعاني من مصائب وحتوف

ومن يسمع شكوانا إذا تجاهلت مصر أننا نعقل حيرة ما أصابنا ؟

إلى من نتوجه إذا سكت الوطن الغالي عن مآسينا الدامية ؟

آه ثم آه !!

في وطن الأزهار والرياحين تموت أحلامي وتطير .

وفي الوطن الذي شرع مذاهب العقل وفي النيل الذي لا يختلف الرواد تموت أرواح صاعدة وأعمار مسبوقة بسهام الظلم البغيض

في وطن النيل الذي لا يختلف الرواد في جمع الرواسب

اصبروا ، ثم اصبروا ، من أين أراكم حين تشاقون يا أبناء هذه البلاد

قد نظرت إليكم حين أحب أن أرى ما أنتم مستكرهون ، فكيف تكونون لو نظرت إليكم بعين الناقد المنصف ؟ كيف تكونون وأنتم حرب على الصديق الأمين ؟

ويوم أريد أن أراكم من وراء المنظار الذي كشف له من الضمائر ما لم يكن يعرف ، فهل يكون بالسعداء حتى أنجو من المحذور من عيوبكم ومساويكم ؟

أنا أجهل الناس في أعين من يرونكم من بعد ، ولكنكم أجهل الناس في أعين من يرونكم من قرب ، وأنا منكم قريب ، في أعظم شقائي

يا صبر ، يا بني آدم من أهل هذه البلاد

أنا وأنتم سواء ، وليس فيكم من يتعشق الأسباب إلا وهو حقًّا فتنه بأي سبب من الأسباب ، وسيصل هذه التلفيقات حين ما تجرحون ، فتوحوا [illegible] في أوحال الأكاذيب والأراجيف ، فإن أمثالكم شر الصحب والجيران

مات المنظار ، يا رب ، مات

مات المنظار الذي أرى به عيوبي ، وأنسى التفكير بما رأيت من أصدقائي ، ورحم الله عهداً كان لي فيه أصدقاء !

مات المنظار الذي أرى به عيوبي ، فماذا رأيت ؟

رأيت أصحابي أعظم انحطاطاً حين عرفت أن بني آدم لم يجيئوا من طراز ذلك الصديق القديم الذي عطفت عليه أو أحببت وكان يحب أن أموت

وهل هنالك جرم أقبح من الجرم الذي اقترفت ؟

مضت أعوام وأعوام وأنا ألقى في كل يوم رسائل من قلوب تشهد بأنها غيورة على القلب المجروح قلبي ، فمن أسعفت هذه تلك القلوب ؟

أنا ألقى في كل يوم رسائل من فلسطين وسورية ولبنان والحجاز واليمن والعراق وتونس والجزائر وحيا كثيرين من [illegible] في الأجوبة عن تلك الرسائل الودية ؟

وكيف وأنا أتجاهل ما يصل إليّ من أصوات القلوب في مصر والسودان ؟

وكان ذلك لأني يئست من بني آدم بعض الأصدقاء الذين صحبتهم للنشيد [illegible] العتاب

فالذي يمنع من الأصدقاء لسماع تلك القلوب ؟

ما الذي يمنع وأنا أعيش محروماً من نعيم الصداقة والحب ؟

وهل يرضى من يعيش في [illegible] أن يخرج إلى [illegible] الماحقة بأرواح الناس ؟

يجيء من ذلك أن [illegible] ، [illegible] في [illegible] صحيح لي [illegible]

الدنيا كلها هي فلان وفلان وفلان الذين [illegible] في مقالاتي ومؤلفاتي [illegible] باسم الأدب والدين

مات المنظار ، مات ، مات

طال انتظاري لأرى محبوبي ، وما أكثر محبوبي !

وآه ، ثم آه !

ما هذا الذي أرى ؟

ذلك صديق أغدقت عليه عطفاً موصولاً لا ينقطع ، ثم رماني بين الأعداء غرضاً من الأغراض

وذلك رفيق أمّنته على ناظري فلم يرعني إلا وهو عدوّ من الأعادي

وذلك صاحب تفضّل الشواغل عن زيارته فعرّاني من الضمير

وذلك أخ غيور لا يمنعه عن الظواهر ويستره عنه حين تعقصف

التي أدعو إليه في الغيب فراني من الجاحدين

فلأيّ حكمة خلق الله بعض الناس بلا بصائر ولا قلوب ؟

أيكون الله أراد أن يمتحنا بخلقه حتى نؤمن صادقين بأنه يعيننا بنفسه في الأحرى والأعجز عن طب جراحنا الدامية ؟

إن كان ذلك ما يريد فقد رضينا بما يريد

ولكن الله يعلم أننا أصغر من أن نأنس بمحبوبه ، ولا بد لنا من مخلوقات صافية كؤوس الود حين نساء ، ونرى فيها صور أحلامنا وأوهامنا حين نريد ، فمتى يمنّ الله علينا بأطياف تلك المخلوقات ؟

كم عشت أن أراك في حلقك يا فاطر الأرض والسموات ولو استطعت لشغلت نفسي بك عن خلقك ، وكيف أستطيع وأنا لا أملك الصبر إليك ، أيها الروح المسيطر على جميع الوجود ؟

أنا أعرف ذنوبي

لن أصدقك ميثاقي ، ولكني من الغافلين

عيرني ذلك الروح الذي شغل في أن يُطلق لساني بالاعتراف بأنه صديق ، والذي يكتب إليّ ما يكتب ثم لا يظفر بجوابي

وكان في يدي أن أملك ذلك الروح ملكاً أبداً وأن أسرع إلى هواه وبكرة وأصيلاً أسهر بها على الطاعة

وصل إليّ ذلك الروح أن أحفظ عهد الوفاء وإني أعلن أني له صديق ليحدث أهله بأنه موصول الأواصر وصدق له قلب

ومن أجل هذا الروح الذي أصلحت آمله كل الإخلاف

حكم القضاء بأن أعيش في دنياي بلا صديق

يا أيها الروح الذي يحدّث أهله بأني لا أسأله ولا أنساه ،

يا الروح الذي يدعوني فلا أجيب ، ليعرف ثم ليعرف أن الله

أعفر لك من ، ماذا اليوم بلا صاحب ولا حبيب

طال الانتظار ، يا رب ، طال

طال الانتظار لأرى محبوبي ، وما أكثر محبوبي !

طال انتظاري لأرى الأخيرة المكروه من أرسلة أرواحي الأسرة التي روّعتني بقصص الفرق يوم الفراق

ويا سمع ، يا رب ، أني سألقى شبة الصبر في كرم ، وبلاء ، فاعرفوا أن ذلك جزاء الشعر لن ينقضي من تلك الأرواح

عرفني منازل الأدبية فتعاطفت أقدر تلك الأكباد الرقاق ، فمتى أرجع إلى مساهرة النجوم في حب الأكباد الرقاق ؟

فإن قتلني اليأس من عدل الأحبة والأصدقاء فقد كنت الظالم الأثيم

والله أرحم من أن يعاقب قلباً يعترف بذنوبه وخطاياه

أنا أطفئ في العهد يا أصحابي ، ويرحم الله من قال

لقد صدقتنا كما صدوتم عن حبل عصمتنا كما ... كانت الشكوى سارية

# بين دين محمد ودمه

## للأستاذ علي حيدر الركابي

---

يجب للكاتب في هذا الموضوع بالنظر إلى الخصام الحالي بين طائفتين من الناس في بلاد الشرق العربي: طائفة تنتصر للإسلام وهو دين محمد (ص)، وطائفة تنتصر للعروبة المنتسبة إلى فكرة القوم ... دم محمد صلى الله عليه وسلم.

فأنصار الإسلام معظمهم في الغالب من رجال الدين الذين حسبوا أن مبادئ النزعة القومية طغيان فاحش في وجهه، يحاربون العروبة ومن يحمل مبادئها ظناً منهم أن ذلك يحمي الإسلام، وزاعمين أن الفكرة القومية مذهب حادث لا ينطبق على الإسلام الصحيح، وإنما ينطبق عليه بناؤه على ... حال المؤلفة المشروحة من الانحطاط والبعد - بشكله الحاضر - عن فكر الجيل الحديث وروحه. فهم إن أرادوا نصرة الإسلام وجب عليهم أن يجهروا بإصلاحه وذلك بإعادته إلى أصله السالف.

وأما أنصار العروبة فهم في الغالب من الشباب المتعلم، والصاحب من فكرة عامية يعتقدها الشباب الذي وقف حائراً لأنه وجد نفسه صائعاً ولا دليل يهديه في موطنه، فتوجه بأنظاره نحو الغرب حيث خيل إليه أن الفكرة القومية سائدة فاعتنقها وتحمس لها بدون روية أو تبصر. وإذا ذكر الإسلام لأنصار العروبة نفروا منه لأنهم نحو لا يرون في نشأة الخصم الرائع في الأصل سوى صراع بالية عفت بيد الزمان وشوهتها الحوادث والبدع، فكان حري بالخصم حتماً من أن يسعوا إلى إزالة التشويه وتقويم المتداعي، على الظن أنهم احتكروا الخصم بسهولة، ولأنهم يجهلون ... العنصر الأصيل ونزعته الفريدة فلا يحاولون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتنقيب.

لقد استمر الأخذ والرد بين الفريقين فكانت ساحته المجالس الخاصة والعامة، ثم انتقل إلى الكتب وظهر على صفحات الجرائد والمجلات، واتسعت أسماع المشترين وغيرها من الأصابع الأجنبية المغرضة تضرب الخلاف وتعمل في تعزيزه إلى ... مستحكم سيقضي في النتيجة على كلتا الفكرتين القومية والدينية أي العروبة والإسلام. إن لم تداركه [illegible] عقلاء القوم، فهم إن حكموا في هذه الفوضى في الأفكار والتنافس بين العقائد جمعوا صنيع المتفرجين وعضوا في يده يصفقه لما آل إليه أمرهم.

والشيء نحو كل إنسان قد يبلى بالأرهاب لا عدلاً من تحقيق معنى الفكرتين القومية والدينية بوضوح حتى يتمكن من معرفة ما إذا كانت إحداهما تعارض الأخرى من حيث الأساس أم لا؟

### دم محمد (ص)

إن المد القومي السائد كما يجسمه المتعلمون والقصاد العاملة في الأقطار العربية كلها - دون غاية سامية ثابتة، إلا وهي السعي إلى تحرير العرب وتحقيق الوحدة العربية. قد يختلف العرب على الخطة الواجب اتباعها سبيل الاستقلال، فمنهم من يؤمن بالحرب والجهاد ويسلك في سبيلها جهده وماله، ومنهم من يميل إلى اللين ويعتقد الصلاح في التفاهم والمفاوضة على أسلوب ... وطالب ... وقد يختلف العرب أيضاً على الشكل الذي ستتخذه الدولة العربية المتحدة والزمن الذي تتكون فيه: أتتألف من ولايات متحدة، أم تتكون من حكومات مستقلة متحالفة تعاهدات تعقدها على حدود المغرب العربي المقود بين اليمن والمملكة السعودية والعراق، أم تصبح دولة متحدة في كل شيء ... في ما يخصها وحكامها وأنظمتها الخ. ؟ ومتى يمكن تحقيق هذه الوحدة، أفي المستقبل العاجل، أم في المستقبل الآجل؟ قد لا يتفق العرب على كل هذا إلا أنهم على اختلاف مشاربهم يجمعون على الهدف الأسمى الذي لا يرضون عنه بديلاً، وهو الحرية والوحدة.

هذه غاية القوميين، وهي غاية صالحة يجوز تحقيقها؟ فإن في الأمة العربية العناصر الأساسية الكافية لتشكيل دولة متحدة: هنالك تاريخ مشترك قد وحد روابطه قوة لا تنفصم عراها، وهنالك لغة واحدة وروابط أخرى ...، وبالإضافة إلى ذلك فإن المصلحتين الاقتصادية والسياسية تقضيان بأن يتحد العرب.

أما من الناحية الاقتصادية فإن البلاد العربية اليوم في حاجة ماسة إلى نوع من الاتحاد الذي يوحد ... سوقاً وثيقاً لاستثمار الثروات الطبيعية الموجودة في أراضيها، ويضم [illegible] الخصبة، والسهلة، والصحارى. إن أرضاً تضم كثيراً من الحب والقطن والنفط والفحم الحجري والتمر والكبريت [illegible] وشتى المعادن [illegible]

كثيرة من الحبوب والفواكه والقطن وغيرها ، وتجرى بها الأنهار العظيمة ، أو تهطل الأمطار الغزيرة فتروى التربة الخصبة ، وتتمتع بمناخ ممتاز يصلح لمختلف الأعمال في مختلف المواسم ، وتقع في مركز متوسط بين دول العالم تستفيد منه بعمرانها ... إن بلاداً هذا شأنها يجب أن تنمو ثرواتها العامة والخاصة بشكل يضمن لها الاستقلال الاقتصادي حتى يصبح لها أثر في الأسواق العالمية بحكم من تستخرج منها الزراعة لتشييد صرح مجدها الشامخ . إن أمة أصبح الله عليها هذه النعم لا يجوز أن تعيش عيشة التكتل السكونى التى يتكل من وراءه بقسمة حقيرة بلقمة يلقاها من هو غريب عنه . يلهمه القليل يبعد النصرى ويتطاول الحكم لنفسه يبعد الحق ، ومن يقضى على هذه الأشكال غير الأعداء

وأما من الناحية السياسية ، فالأمة العربية مفتتة في أجزائها موزعة في مجموعها . ومن درس التاريخ استنتج أمرين : الأول أن جملة الأمم الصغيرة مصيرة ، والثانى أن البلاد العربية — وهى حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، ومطمع نظر تيارى الدول للاستيلاء عليه — لم تنجح في رد التعدى إلا عند ما كانت متساوية على صعيد ، كما أنها لم تنل حظها من العظمة إلا الاعتلاء وأنه على يبقى الدول العربية الحالية وجود مستقل ، ولن تنمو وتقوى إلا بالوحدة العربية لأنها عاجزة عن الوقوف منفردة في وجه المطامع

هذه حقيقة الفكرة العربية القومية وهذه مواضعها ، وبعد أوضح أمرها من حاربها من الأمة الذين حاربوا في كل اعتراض ، لأنها فكرة مستمدة من الحق والبراهين القوية . ومع ذلك فإن بعض القوميين المتطرفين يسيئون إلى الفكرة الأصلية بتحامهم الطائفي ولجوئهم إلى نظرية لا لزوم لها ، ألا وهى نظرية التي تنادي الفكرة القومية المستندة إلى أساس العنصرية البحتة لا يزيد المبدأ القومى قوة وإنما يثير بعض العناصر التي تعيش في الأقطار العربية ولكنها لا تمت إلى أصل عربى . هذا فضلاً عن أن نظرية العرقية فاسدة من أساسها وخصوصاً في الأقطار العربية وذلك بسبب الموجات البشرية التي اكتسحتها في شتى العصور مما أدى إلى اختلاط الدماء حتى يصعب إرجاع الأفراد إلى أصولهم

الحقيقى أمراً يكاد يكون — في الغالب — مستحيلاً فالتمسك إذن بالأنساب العنصرية الموجودة في البلاد العربية يؤدى إلى تحويل سيرها إلى موضوعات الحروب الأهلية الاشتراكية وأسفاً في عميق أهدافها بحرمة ما هي وراءه في التعاون معه . إنما أحرى بالمتمسك بالقوى من الفكرة العربية ، واطمئنان إلى الروابط الجلة التي ستجعلهم من بين حركاتها العادية بأنه متحد مصيره ، فذلك عاملين ولنبين فاوحدة التي تجلب للمجتمع . علينا أن نؤكد له بأنها لا ترد الشعب عليها وعلينا أن نفهمه أنها جزء مهم من أجزاء الأمة العربية التي لا تتألف من جماعة من الناس ينتمون إلى عدنان أو قحطان ، بل من مجموعة من الأفراد الذين اشتركوا في تاريخ واحد فبعثت ذكرياته القريبة والبعيدة فيهم شعوراً مشتركاً ألف بينهم فدفعهم إلى السير نحو هدف واحد يرى إلى تحقيق حريتهم ووحدتهم . ويضاف إلى هذه الرابطة العاطفية التي هي الأساس روابط أخرى تقوى العلاقة بين هؤلاء الأفراد ، كاشتراكهم في اللغة وتجاورهم في السير وأن دين الأكثرية منهم واحد

إننا إذ نحافظ على نشر المبدأ القومى على حقيقته نجعله مصوناً من كل شائبة ومما تعانيه

وجه آخر (ص ١)

إن الفكرة الإسلامية معروضين معتنقين ومخالفين ويجب بأنهم يلجئون في بحثه

فمن في نظر البعض حركة ترمى إلى (١) سيادة المسلمين على غيرهم من أتباع الأديان الأخرى و (ب) تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى و (ج) تنصيب حكومة المسلمين . هذه هي الأهداف التى يتصور أصحاب المبدأ القومى أن كل مؤيد لمبدأ الدين يقصدها . وهى الأهداف التى يحاربونها بشدة ويتصورونها سبباً مبرراً لانصرافهم عن كل ما له صلة بالدين . والواقع أن الكثرة من أنصار الإسلام — أو ، على الأقل ، الشباب منهم — لا تعمل لهذه الغايات ، وإنما يعتنقها ويعمل لتحقيقها جماعة من (الجامدين) الذين عاشوا في عزلتهم بعد أن أقاموا بينهم وبين العالم الخارجى جداراً كثيفاً يحجبهم عن (التطور) ، ويحرمه ويعدد آثامهم من أن يصل إليها منبعثات

المسلمين الصالحين في كل عصر . إنهم لا يعرفونها ولذا لا يعرفون يرشدونهم إلى عالم دينهم الفسيح وإلى ما هم في أشد الحاجة إليها ، بل يقعون في مكانهم وهم يرجعون بهتاف عجيب : « الإسلام أفضل من غيره وسينصره الله عما قريب ! الوحدة الإسلامية أولاً وأخيراً ! [illegible] لا بد للمسلمين من خليفة ! [illegible] » فقد فاتهم أن الأمر الذي يحسبه الله قد كاد يتمحى أثره حتى لم يبق اليوم سوى أشباه المسلمين ، كما فاتهم أن الوحدة الإسلامية لن تتحقق إلا بعد أن يعود المسلمون إلى حظيرة الدين ويُبعث فيهم الروح الإسلامية من جديد[1] ، وأما شعب حقيقة المسلمين فهو أصحاب مطامعهم ، ويمكن أن يعودوا إلى كتبهم ومطالعة

بحث ( الخلافة ) فيما أتذكر أن شيئاً وحيداً من شروطها غير متوفر الآن ، لا في الخليفة المنتظر ولا في الراغبين [illegible] أسمائهم مهما كان ، تظل بعيدة عن حدود الإمكان والأحرى أن ينسى خليفتنا أموراً كثيرة غير هذا السبيل

إن فهم الفكرة الإسلامية فهماً للنبي [illegible] حرية الاعتقاد ، كما أنه يحترم الأمم والملل الأخرى فينظر إلى كل ما هو إسلامي بعين الرضا ، فضلاً عن أنه يعرف كل شخص عن الإسلام [illegible] رسالة نبيه ( ص ) في الاستقلال بالشعائر الإسلامية

فهل هي إذاً الفكرة الإسلامية الصحيحة الخالية من كل هذه الشوائب ؟

( تتبع بقية )

علي عبده الزرقاني

بمجلة ( الرسالة ) دار المعلمين العربية

(1) أما الوحدة الإسلامية فتتحقق بها من خلف الوحدة العربية كما بين أستاذنا « [illegible] » في عدد سابق

# قصيدة لم تنشر

## لشاعر الحب والجمال لامرتين

### بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

عاد لامرتين في عام ١٨٤٤ إلى نابولي، تلك المدينة التي ألهمته شعره في [illegible] وزكى البحر وجدانه والحب جميعاً. وكانت زيارته الثالثة لهذه البلدة التي قضى فيها [illegible] من حياته، وخلّف وراءه فيها «جرازيلا» الحبيبة سارقة قلبه الحزين، ولوعة الحب ووجه الحنين. وطاب له المقام، فأقام في جزيرة [illegible] القريبة منها، [illegible] وعيش هادئ، وتذكر [illegible] وطافت به أشباح الأحباب في السنين الطوال، ورأى «جرازيلا» تحدثه بالنغم الفارع فوق موج البحر، وتحيره بالسكون الحزين في ذلك القصر المتين. فجاش في صدره شعر [illegible] حزين، ورغم السنين الأربعين التي عبرها، ورغم هذه الشعور التي تشبه [illegible] الفجر [illegible] الشعر [illegible] الهوى وبعد الحبيب، وهو بعيد عن وطنه، ووحيد على سيف هذا البحر [illegible] كالسلام النائم، فقال عشرين بيتاً من الشعر عثر عليها [illegible] في مجموعة مخطوطة لأشعار لامرتين في مكتبة السيد لويس بارو الخاصة، ولم تكن قد نشرت من قبل. وهاك أجمل المقاطع:

عندما كنت فتى [illegible] الخضر،
نشرت أجنحتي أمام أمواج(١) البحار
[illegible] أفكاري وصرت
وراحت [illegible] كزورق فوق [illegible] الأمواج

* * *

كنت أرى في [illegible] الموج الذي يحرق الأفق به
عوالم تزخر بالحياة، وبحوراً تفيض بالسرور!
[illegible] بالياسمين، [illegible] بأغصان الكروم
وكان الحب ينادي منها، والشعر [illegible] الهوى

(١) الأمواج [illegible]

كنت أحسب كل سفينة [illegible] من حيوانها الزبد
[illegible] جلالة من الشاطئ المجهول
واليوم، أجلس على سيف الخليج [illegible]
أذكر الماضي، فأحسب تلك الأوقات [illegible]

* * *

شد ما أحب هذه البحار التي ما أزال أعرفها
كما عرفتها طفلاً [illegible]
[illegible] أجنحتي، فما لها تطفو في كل مكان
[illegible] كما [illegible] من قبل [illegible] والأحلام

* * *

لقد رقد هنا الشاطئ [illegible] وأصابت هذه الصخرة [illegible]
[illegible] في هذا الضوء الخادع
وهنا، [illegible] ساحرة هبطت من السماء
[illegible] كل واحدة منها
[illegible] من قلبي المكلوم

(دمشق) صلاح الدين المنجد

# الفروق السيكلوجية بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الحرب العظمى

يعتبر ألفريد بينيه — كما ذكرنا في المقال السابق — زعيم السيكولوجيين الذين وضعوا مقاييس عقلية للذكاء، وقد ترجمت مقاييسه مهذبة إلى الإنجليزية في أمريكا وانجلترا، وإلى معظم اللغات الأوربية، وإلى اليابانية أيضاً. ومن هذه المقاييس المترجمة والمعدلة حتى الآن مقياس «ستانفورد بينيه المهذب». غير أن مقياس بينيه بصيغته ووضعه يتطلب أن نفحص كل فرد على حدة، وتلك عملية طويلة مملة، وتحتاج إلى زمن ومجهود، كما أنه لا يناسب الأفراد الذين يرهبون الامتحانات الشخصية التي يواجهون فيها الممتحنين، ولذلك فكر علماء النفس في نوع آخر من المقاييس يقاس به الجمع من الأفراد. وكان دخول أمريكا في الحرب الكبرى سنة ١٩١٧ من العوامل التي جعلت الحاجة إلى هذا النوع من المقاييس الجمعية ملحة، فقد أرادت السلطات الحربية الأمريكية أن تفرز من المتقدمين للخدمة العسكرية ضعاف العقول لأن هؤلاء لا يستطيعون حمل السلاح ويكونون عالة على الجيش، كما أرادت أن تختار من بين الصالحين لحمل السلاح أفراداً أقوياء الذكاء يعدون لوظائف ذات المسؤولية كوظيفة الضباط والقواد، ولم يكن من الممكن عملياً استعمال «مقياس ستانفورد المهذب»؛ ولذلك اجتمع علماء النفس الأمريكيون ووضعوا نوعين من المقاييس الجمعية: نوع يسمى «مقياس ألفا»، وهو مقياس تحريري لمن يعرفون الإنجليزية ويكتبونها، ونوع يسمى «مقياس بيتا»، وهو تحريري غير لفظي للأجانب الذين لا يعرفون الإنجليزية وللأميين الأمريكيين. وقد طبع كل من النوعين، وكان كل نوع في كراسة على حدة، وبذلك أمكن اختبار آلاف منهم في دقائق معدودة.

ومن الاختبارات التي احتوتها «مقياس ألفا» عمليات حسابية مرتبة ترتيباً تدريجياً في الصعوبة من أول الصفحة إلى آخرها، وعلى الشخص أن يقوم بهذه العمليات بأسرع ما يمكن في زمن محدود. وكذلك أن يبحث ما يحمل من الكلمات المترادفة، والكلمة التي في العمود الثاني بما يضادها أو يطابقها من الكلمات قبلها في العمود الأول أو صفحة. وكل ما يطلب من المفحوص هو أن يكتب أمام الكلمتين حرف (ض) إذا كانا متضادين، أو حرف (ص) إذا كانا متصادقين[1]. ومنها جمل كلماتها موضوعة في غير ما نظام معنوي، وعلى المفحوص أن يضعها في نظام يجعل يستقيم المعنى مثل: «النور شروق يظهر الشمس عند»[2] ومثل جملة: «[illegible]»[3]. ومنها أسئلة يختار منها الأصح من بين الأسباب المعقولة مثل السؤال: لم يستعمل معدن النحاس في الأسلاك الكهربائية؟ ألأنه يوجد في الولايات المتحدة، أم لأنه جيد التوصيل، أم لأنه أرخص المعادن؟ وعلى المفحوص أن يضع علامة على السبب المعقول. وأما مقياس بيتا فهو لا يحتاج إلى قراءة أو كتابة لفظية، ومن اختباراته: تكميل الأجزاء الناقصة في الصور المرسومة في صفحة من الكراسة، كتكملة العين الناقصة في وجه إنسان، أو الأذن في وجه حمار. ومنها تكرار رموز على نظام خاص مرسوم في الكراسة كهذا النظام مثلاً: OX + OX + . أو هذا النظام O — + OX - + X . ويتكون من مجموع الاختبارات درجة، والنسبة المئوية لدرجات كل فرد تبين مقدار ذكائه. وقد ظهرت صلاحية هذين النوعين من الاختبارات في الجيش الأمريكي، وانتشر استعمالها وبخاصة «مقياس ألفا» في المدارس الأمريكية والإنجليزية. وقد بلغ عدد الجنود الذين امتحنوا بكلا المقياسين نحو مليونين.

وقد استرعت نتائج هذه المقاييس أنظار علماء النفس، فقد وجدوا — بصفة عامة — أن أذكى الجنود هم أولئك الذين يحترفون مهناً عقلية أو أدبية كالمحامين والأطباء والمدرسين والمهندسين الخ Professional men، ويليهم في الذكاء التجار والكتبة، ويليهم الميكانيكيون العاديون، وأخيراً يجيء العمال

(١) الأصل في الإنجليزية (S) من Same أو (O) من Opposite

(٢) نظام الجملة الصحيح هو: عند شروق الشمس يظهر النور والصبح [illegible]

(٣) نظام الجملة الصحيح هو: [illegible] من الدرجة الأولى [illegible]

وهو المبين البدوي[1] . وليس معنى ذلك أن كل فرد من طبقة المهنيين والأطباء والمدرسين الخ أذكى من أي فرد من طبقة النجار والسكرتير ... لا ، بل الذي وجد هو أن الطبقة الأولى كمجموعة أذكى من الطبقة الثانية كمجموعة . وإن كان من بين أفراد الطبقة الثانية من يفوق في الذكاء بعض أفراد الطبقة الأولى . وربما يتساءل القارئ : وهل لنوع المهنة أثر في الذكاء ؟ والجواب على ذلك هو أن للذكاء أثراً في اختيار المهنة لا العكس ؛ لأن الوظائف العالية هي أن من لا يؤتيه ذكاؤه بالوظائف العلمية أو العالية يقف دونها ، وبذلك يختار من المهن ما يناسب مؤهلاته دون المناسبة . ويناسب في الوقت نفسه ذكاء الفرد

نموذج لبعض اختبارات الذكاء العملية غير اللفظية التي لا تحتاج إلى القراءة أو الكتابة ويطلب من المختبر أن يضع علامة X على الشكل الذي لا يتفق مع بقية أشكال الصف في نوعه أو جنسه المشترك كما في الصف الأول والثاني والثالث

كان من نتائج رجال العلم في أمريكا وأوربا باختبارات الذكاء الجمعية ، أن استعملوها مع امتحانات القبول بالمدارس مختلفة الأنواع والمستويات . ففي إنجلترا مثلاً بعد امتحان تلاميذ المدارس الأولية في سن الحادية عشرة لاختيار من يصلح منهم للمدارس الثانوية ، ومن يصلح للمدارس الوسطى الفنية ، وللمدارس الجانبية للمتأخرين ذكائياً . وقد أصبحت اختبارات الذكاء الجمعية مستعملة مع امتحانات التحصيل المدرسي وأثبتت نتائج اختبارات الذكاء الجمعية تلازماً مع نتائج الامتحانات المدرسية في معظم الحالات . وفي الحالات التي يحصل فيها اختلاف ظهر بعد البحث والتحقيق

(1) أنظر كتاب ... ومدرسة ... الطبعة ، للأستاذ ... ورثورث صفحة .

مرة أخرى أن اختبارات الذكاء إنما تقيس الذكاء الفطري الذي لم تستطع الامتحانات المدرسية كشفه ، أو أن الامتحانات المدرسية كانت مصدر التحصيل المدرسي فقط . ولهذا يوصي التربويون وعلماء النفس أن تستعمل اختبارات الذكاء مع الامتحانات المدرسية ، حتى نحكم حكماً صحيحاً على ذكاء الفرد وتحصيله .

وهناك نوع من اختبارات الذكاء يسمى « الاختبارات العملية » Performance tests ومن مميزات هذه الاختبارات أنه يسهل استعمالها مع صغار الأطفال الذين لم يألفوا بعد استعمال الورق والقلم كالتلاميذ عند التحاقهم بالمدارس الأولية ، ومع الناس الذين تعوزهم التجارب الذكائية العملية التي تتطلب الانتباه والتفكير ، كما تستعمل بدلاً من مقاييس الذكاء اللفظية التي لا بد أن يكون المختبر ملماً بالقراءة والكتابة واللغة . وفي هذا النوع من الاختبارات العملية يطلب إلى المختبر أن يكوّن صورة شيء ، أو شخص من عدة قطع من الورق المقوى أو أن يبني مكعباً كبيراً من مكعبات صغيرة في أقل زمن ممكن وبأقل عدد ممكن من المحاولات الخاطئة أو أن يملأ فراغات متسعة في لوحة خشبية ، كفراغ مثلث أو مربع أو مخمس أو متوازي أضلاع أو جزء من دائرة . وهذا النوع من مقاييس الذكاء هو أقدم الأنواع التي عرفها علم النفس . ويوجد منه الآن عدة مجموعات مقننة شائعة الاستعمال في المدارس الفنية والمصانع والشركات في أوربا وأمريكا .

ولعل القارئ بعد هذا العرض لأنواع مقاييس الذكاء يتساءل : وما هو ذلك الذكاء الذي كثر الكلام عنه ، وما طبيعته ، وما الفرق بين الذكاء الطبيعي والذكاء المكتسب ؟

وموعدنا المقال القادم للإجابة عن هذا كله .

(بغداد — العراق) عبد العزيز عبد المجيد

(1) أنظر صفحة ١٠٦ من Psychological Tests of Educable Capacities

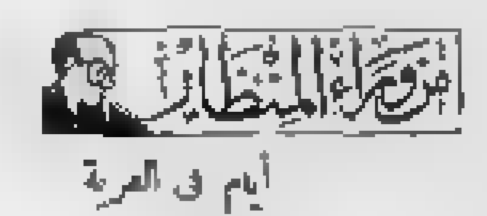


## أيام في القرية

من أجد إذا أردت التعبير عن مبلغ حبي للريف كلاماً أجمل ولا أصدق من كلام أستاذنا صاحب «الرسالة» . وكنت أريد منذ حين أن أعيش في القرية أياماً إذا أعشها كواحد من فلاحيها؛ فأنا أخالط هؤلاء الفلاحين ، وأشاركهم مجالسهم ، وأؤدي ما أريد من العمل مثلهم ، وأضرب في أعماق الحقول ، وأنهج في سمر الكلام نهجهم لا أتكلف ولا أتصنع؛ إذ لا حاجة بي إلى ذلك ، وما أروى قبل كل شيء؛ وحسبك إذا عدت إلى الريف كالنبات ، تنقله إلى بيئته ، فيعود إليه من نضارته ما لا يعود إلا في تلك البيئة ..

فصحت القرية وبيني وبين العيد يومان ، وتركت منظاري لينظر من ورائه صاحب «الرسالة» ، فيشهد فيه آخر الأمر معه ، وسألني في خاطر حديثه عن شارع الشيخ [illegible] إلى أن يجرئه على بعض الأشياء البريئة . وما حاجتي أن لي في القرية غير ذلك المنظار الذي لا ينفذ منه إلى مثل ما ينفذ إليه في المدينة ، وحسبي أن المبارك حيناً لا يحتاج للمنظار ، لأنها تنفذ وحدها إلى كل شيء ولو كان بعيداً وبينه أكثف ستار !

حرت بمنظاري عند موقع من حياة «القرية» وما أنتظر على ما لو طلبوه تحتي في سرعة ؛ لسبق منه عشرة أمثال هذا الجمال ، وحسبي أن أقصر الكلام على ما كان أقوى أثراً في نفسي من ذلك ما شاهدت

شهدت الخضرة في الحقول ، ورأيت في مجاريه [illegible] يلمع الموسم كوز القطن ، وأحببت الأرض اخضراراً وحبوب بطيبها ، يعدان [illegible] موسم [illegible] ما لا يحصل الجزاف ، فأبهجت جوها [illegible] ، وتركت الناس حيارى لا يجدون لما أصابهم من علة إلا أنه غضب من الله . وابتهجت نفسي بمظاهر الحياة والبشر في النبت الرطيب والشمس الضاحية ، بيد أني [illegible] رأيت إلى جانبها مظاهر الكرب والبؤس في النفوس الناعسة والأشطار [illegible] على جباه [illegible] من تلك الهم [illegible] ولا [illegible] منه إلا بقدر

وجاء العيد فكان من أجمل [illegible] وقعاً في نفسي [illegible] أهل القرية جميعاً صغيرهم وكبيرهم [illegible] لا يفرق بين غني وفقير ، ولا بين كبير وصغير ، ثم يزور الفلاحين [illegible] من صلاة العيد إلى [illegible] على أصول [illegible] في البلد إلا يجد من يطعمه [illegible] أو من صداقة . وكثيراً ما يقوم فيها مقام الشخص ما يدفع إلى [illegible] في صفوف [illegible] من جلاله

ولا أحب حين [illegible] لهذا الشيء غير أن [illegible] كأنه خاطر طاف بنفسي؛ وهو أن يد هؤلاء القرويين كطبيعة [illegible] هذا البشر الذي يبدو في وجوههم يكاد يكشف عما وراءه من [illegible] عليهم الأزمة التي [illegible] من [illegible] الزرع [illegible] القطن [illegible] ، ولكن [illegible] هذا اليوم حتى يعودوا إلى ما كانوا فيه من عناء ونكد

ورأيت العيد في دنيا الأطفال غير العيد في دنيا الكبار ؛ هؤلاء الصغار هم الذين يحسون حقاً بالعيد ، وهم الذين يحفل بهم معنى العيد ؛ ولكم [illegible] من النشوة في قلبي ، ووجدت من جميل الذكريات في أطواء نفسي ، [illegible] السرور [illegible] في تذكري أيامي التي خلت ، والتي كان [illegible] مع [illegible] الحديدة [illegible] بالأرجوحة التي [illegible] ملابسها [illegible] وسرور أصحابي [illegible] ، ولكن [illegible] الأثر [illegible] من أجمل هذا السرور الذي يجري في أعطافه الأسف والذكرى

وخرج الصبيان أسراباً [illegible] يوم العيد [illegible] إلى [illegible] البهيجة ، [illegible] ويتعثرون في جديد ملابسهم والشباب يأخذون [illegible] عن جانب [illegible] ، وهم [illegible] بعضهم البعض [illegible] ، ولكن [illegible] من هؤلاء [illegible] في هذا [illegible] البحث [illegible] الراقب ، وقد [illegible] وأصبحت الحرب تملأ كل شيء .

وجلست في الأمس [illegible] الغروب [illegible] ووجهه الوجد معاً ، وأوى إلى داري [illegible] أحد [illegible] من أيامي في القرية [illegible] وأعجب لسرعة انقضاء الأيام [illegible] هذا [illegible] وأمور [illegible] ما [illegible] كان آخر [illegible] خاطري : [illegible] الآن [illegible] ويضحك [illegible] سعيد ؟

( [illegible] )

الأدب

# بين الخوارزمي والهمداني

## للأستاذ علي الجندي

تتمة ؟

كان مجلس الرئيس أبي جعفر وصاحبيه الطرفي والعجري ، غاية جدة تقتضي من التطرق ، وأمست لها صمتاً من المجلم ، فهدأت الشقاشق ، وسكنت الزماجر ، وأصبحت أيما بحول الرئيس ، ويرفعها إلى عدو ... ودواً أن يجد أجلها ! ولكن الرئيس لم يحصر نفس النزاع وحسم الخلاف ... بل أن كسره ليرى صيال الفحول وتخاطر القحوم في ميدان المنقول والمعقول

فما إن فرغ من الطعام ، وأخذ مجلسه بين الصدور الفسيح حتى دعي ... المناظرة ، ... أن ... روية ... خاطر البديع بمسابه ، ... ما أنشد أبي[1] عشر بيتاً صب

| | |
|---|---|
| برد الربيع لنا برونق مائه | انظر بروعة أرضه وسمائه |
| فالترب بين ممسك ومعنبر | من نوره ، بل مائه ورُوائه |
| والماء بين مصندل ومكفر | في حسن كدرته ولون صفائه |
| والطير مثل المحسنات صوادح | مثل المغني شادياً بغنائه |
| ومن الربيع جلبت أزكى متجر | وجلوت الراغين ... جلائه |
| شكله عند الرئيس إذا بدا | في خلقه وصفائه وعطائه |
| فالبحر في زخاره والغيث في | أمطاره ، والجو في أنوائه |
| وأجل منه مواهب ورغائبا | لا زال هذا المجد حلف فنائه |

ثم أنشد الخوارزمي على هذا المثال تسعة أبيات لم ... عليه في مطالبها

وقد وصفها البديع : بأنها جمعت بين إقواء وإكفاء وأخطاء وبطلان ، وأنه أحصى عليها عشرين مأخذاً ، وذكر أنه انتبه إلى هيئتي الحس ... والرئيس ، فقال — مشيراً إلى الخوارزمي

يحمد مرآته من الإنشاد — ، وأن رجلاً ... ... لا أقول شعراً ، ثم نظم تلك الأبيات في هذه الخواطر ... ، ... خلقتون ... أصحف بجانبه ... لا ... هنا ...

ثم طلب البديع إلى الخوارزمي أن ينقد أبياته القصيدة ( برد الربيع لنا برونق مائه ... ) فقال الخوارزمي : قلت : أنظر روعة أرضه وسمائه ، ويقال : انظر إلى كذا ، ... من الجماعة وشبهت الطير بالمحسنات ، ثم شبهته بالمغني ... وأي شبه بين المحسنات والطير ؟ ثم كيف وصف المحسنات بالغناء ؟

فرد البديع ... إنما جاء الربيع ... الأطيار تحت ورق الأشجار ، ... كأنهن المحجوبات بين الأستار ، والطيور في الخدور كالمحسنات ، وكالطير في ترجيع الأصوات

ثم قال الخوارزمي : وقلت : ومن الربيع جلبت أزكى متجر هلا قلت ، جلبت أربح متجر ؟ فقال البديع : ليس الربيع بتاجر يجلب البضائع للربح

ثم قلت : كالبحر في زخاره ، والغيث في أمطاره ، والغيث هو المطر ، فقال البديع : لا سقى الغيث أرضاً لا يعرف الغيث ! الغيث هو المطر ، وهو السحاب ... الحاضرون

وهنا تدخل الإمام أبو الطيب الصعلوكي ... أي الرجلين أشعر ، وأي الخصمين أقدر ، وأي المتسابقين أسرع ، وأي الروبين أمتع ؟

ثم مال المتناظران إلى فنون أخرى ظهر فيها تفوق البديع ، ورأى ذلك ... الحضور ... في الانصراف ، وهم يثنون على البديع ويسلقون الخوارزمي بألسنة حداد

وهم الخوارزمي بالقيام فأصيب بإغماء ! فأغمي عليه البديع متمثلاً بقول بشر بن عوانة

يعز علي في الهداية أني ... قتلت مناسبي جلداً وقهرا
ولكن رمت شيئاً لم يرمه ... سواك ، فلم أطق يا ليث صبرا

ثم أخذ يمسح من وجهه ، ويقبل بين عينيه ، ويقول — على سبيل الاستهزاء — : أشهدوا أني قتلته !

ثم عمت الولائد ... هوطا الحضور ... العشاء ، وكان الظفر ... شاعية البديع ، فجعل — كما يصف نفسه ويصف خصمه — يكرع في ... ويسرع إلى الزعفران

---

(١) ... رواية ... وروايته ... الكاتب

وعضن في الأثواب؛ والخوارزمي يتناول الطعام بأطراف الأظفار فلا يأكل إلا قضماً، ولا ينال إلا شيئاً!

وقد بلغ من جفوة البديع وخبيث مشاغبه أنه لم يدع الطعام مرة؛ ألا قد خصمه هزءاً وسخرية! وتناوله بفنون من التصغير اللاذع حتى استكتّه الوزير بقوله: قد ملكت فأسجح

وما قام الخوارزمي من المائدة — وقد حققه تبرم الغيظ — قال البديع: لأتركنك بين الثيات. قال: ما معنى الثيات؟ قال: بين مهدوم، ومردوم، ومحموم، ومهموم، ومحروم! فقال البديع وأتركك بين الميمات أيضاً: بين مغموم، ومصدوم، ومجذوم، ومحموم، ومسموم[1]، ومزكوم، ومبرسم[2] ومسقوم؛ وبين السينات: بين منحوس، ومنحوس، ومنكوس، ومعكوس؛ وبين الخاءات: بين مطبوخ، ومسلوخ، ومشدوخ، ومنسوخ، وممسوخ؛ وبين الباءات: بين مغلوب، ومسلوب، ومصلوب، ومنكوب، ومكروب، ومسبوب، ومعيوب[3]

ثم انفض المجلس وخرج البديع عنه مع طائفة من أصحاب الشغب الشعبية، يداورونه في حفلته وإجلاله، ويوسعونه مدحاً وتبجيلاً!

وبقي الخوارزمي في مكانه حتى غربت الشمس، ثم عاد إلى داره كسير القلب خائف السرب كاسف البال.

وكان لهذه الهزيمة وما لابسها من مثالب أعمق الأثر في نفسه، وأجلاميهم، ووقع شديد على نفسه أضعف إليه العلل، وأقعد عليه الأوجاع، ثم لم يمض شهور حتى وافته المنية في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة هـ.

ومن الغريب أن الخليفة لم يتنصل من حقد خصومه عليه فكتب بعض أصدقائهم إلى البديع نعته بموته؛ فرد عليه البديع بكتاب ليس فيه ممسوح الرحمن، ومرضيات المروءة! ومن الإنسان أن شيء يحتوي عليه من أرجحية ومن ولعل مرد ذلك إلى الصفاء الذي يعود النفوس بعد أن يهدأ غرورها، وتنجلي عنها غشاوة الباطل! فحق أن الحمد كله لله والعزة له

(١) الغرب (٢) المجنون
(٣) زهر الآداب ج ... ص ١٠٠ ... ٢٠٦ التفصيل ... للدكتور زكي مبارك

عجب! وليس بعيد ذلك أيضاً إلى أن الخطر طغت يمثل التشبيه وعصر غليل الصدور، بل يستحيل — على تراخي الأيام — إلى عطف ورثاء. وشواهد التاريخ على ذلك كثيرة.

قال البديع في كتابه: «المرء — أطال الله بقاءك — لا يعرف إذا عرف الدهر سيرتي، ووصف أحواله بعين، إذا ملكني لم أثر ما دامت محمودة عنى أمانيُّ، وإن وجدت ... جوري، وأن عين الأمر — وإن طالت — قصيدة، وإن لم تصب فكأن قد، فكيف يشمت بالمنية من لا يأمن في نفسه، ولا يعدها في جنسه، والشامت إن أفلت، فليس يفوت، وإن لم يمت فسيموت. وما أقبح الشماتة بمن أمن الإماتة، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة، وعقب كل لفظة والدهر غرثان، طعمه الخيار، وظمآن شربه الأحرار. فهل يشمت المرء بأنياب آكله؟ أم يسر العاقل بسلاح قاتله؟ وهذا الفاضل — شفاه الله — إن ظاهرته بالعداوة قليلاً، فقد أبطنت له ودًا جميلاً، والحر عند الحمية لا يصطاد، ولكنه عند الكرم ينقاد، وعند الشدائد تذهب الأحقاد، فلا تتصور حالي إلا بصورتها من التوجع له، والتحزن لرزيته. ونقله الله إلى المكروه، ووقاني صالح المصدور جنة ... وحوله، وطوله!

ولما مات الخوارزمي رثاه البديع، واقتدى في ذلك بجرير في رثائه الفرزدق قال[1]:

حنانيك من نفس خافت ‖ وليتك عن كسبه تائب
عدتك عداتك عن أعرنها ‖ فعدتك أيامك من صامت
علمت المقدمة من معشر ‖ تبيّن من سطر الثالث
يقولون: أتت به شامت ‖ فقلت: الثرى يوم الشامت
وعرض عليَّ بمساواته ‖ ولا مقتضيه الله الآن

ورثى أبو الحسن الرفاني ناصر أمثاله:

مات أبو بكر وكان امرأً ‖ أذلّ في آدابه القسر
ولم يكن حرًّا ولكنه ‖ كان أسير المنطق الحر

ورثاء البديع للخوارزمي يصور لنا طرفاً من الطرافة والطرفة التي يجمعها النظر لفنه وخلقه! ولكنه لا يكشف عن

(١) اليتيمة ... ٩٦ — ١٩٣

شيء من عقائل العرب كما في صنعة الرثاء، حتى قال بعض الكتاب: إنه لم يخل من الغمز والقساوة!

ومهما يكن من شيء فقد كان البديع أكرم نفساً وأحسن طبعاً وأصدق وداً من الصاحب بن عباد الذي قال حين بلغه موته:

أقول لركب من خراسان قافل
أمات خوارزميكم؟ قيل لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره
ألا لعن الرحمن من كفر النعم

واشتهر البديع أولاً وبعد الخوارزمي ثانياً، وبعد ذكره واستطارت شهرته، وعمت سمعته لدى الملوك والأمراء والوزراء، وسادة الأقطار والأمصار، فلم تبق بلدة في خراسان وسجستان وغزنة إلا دخلها، ونعمت حاله وكثر ماله وطاب عيشه

ولولا - بعد امتلاء الوطاب واتساع الرحاب - أن يستمتع بالراحة، ويشمل [illegible] (1) [illegible] من [illegible] أبا علي الحسين الخشنامي [illegible] ركن شديد، واتخذ بعزته سياجاً ناضرة

ولكن القضاء العاجل كان واقفاً له بالمرصاد، فأصمته وهو يقول:

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

فمن قائل: إنه مات مسموماً، ومن قائل: إنما أصيب بالجنون!

وهناك رواية وجيهة تقول: إنه اعترته غشية ظُن بها الموت وعجل به الدفن، فأفاق في قبره وسمع صياحه بالليل، فنبشوا عنه فأصابوه قابضاً على لحيته وهو ميت من هول القبر ووحشته!

وكان ذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة هـ.

سمالوط [illegible] حسن [illegible] — [illegible]

(1) مدينة صغيرة تقع في [illegible] الأفغان [illegible]، بعد [illegible] بين كابل و[illegible]، وكانت مشهورة قديماً [illegible] وظلت [illegible] إلى أن [illegible] الاستعمار [illegible]

# الفنان (*)

## للآنسة زينب الحكيم

الفنان إنسان مرهف، يغريه الأمل فيسبح في خيالات حلاوة، أو يرقصه الشعر فيرتاح، وهو على أية حال يكون مشغول مضمن.

هاك قصة الاستقرار، وبؤرة الجمود، هو إنسان عميق الشعور مرهف الحس، يدرك من وراء الظواهر ما لا يدركه غيره؛ فينبئ أمسه بغده فيبشر، بصلاح عظيم، إذ يسمو بمداركه ويرى مشاكله ويعالجها؛ وهو كلما طال وقت اختباراته دقّ إدراكه ونفذ إلى ما وراء خيالاته ومشاهداته، وكلما صحت نظرته وقويت رويته، وجوزي عن ذلك.

### الصيني

اختبر مرة فنان صيني ماهر تلاميذه – فكلفهم رسم جبل في بلادهم يسمى «جبل الأسرار»، ومن عرفه وصوره مثلها كل الصدق.

ورسم الطلاب الجبل بإتقان، وأظهروا صورته مثلها كل التجانس، رسومهم تعلم بصحة، ووصلوا إلى أستاذهم على أثر ... ولكن كان نصيبهم خيبة الرسوب في الامتحان، إذ قال لهم أستاذهم إن رسومكم التي أرى، إن دلت على شيء، فلا تدل على أكثر من أشياء ظاهرية مادية سطحية، مما يشير إلى أن خيالكم ناحل وحسكم جاف، ولم تحاولوا فهم نفوسكم حتى تستطيعوا بحث شيء عما يخفيه تصويركم لجبل الأسرار وما يحيط به.

لقد كان على تلاميذي أن يرسموا هيكل الجبل من بعيد، وقد اختفت أجزاء منه: إما في سحاب، أو زوبعة، أو وراء السحب، وقد كان يكفي الرسام أن يوجد هيكل حوله وعلى قمته بطل راهب أو اثنين يصليان لله من عزلة البراري،

أو من مساقط المياه الغربية المحيطة به على الجبل، ويترك ما يشير إليه بعضها من وجوه الرحمة والتضحية والقسوة، فإنما يكون هذا لفهم دلالة الرسم على ما قصد به.

هكذا الحياة تلك وجهان؛ وجه مرح وبؤس، ورجاء وأمل، وصدق وكذب، وخداع ووفاء، وشدة ورخاء، وحب وكره، وغير ذلك مما لا حصر له من الأضداد.

مسكين الإنسان يصل بين هذه جميعاً، تقذفه المصيبة حيناً وتغاوده المطامع أحياناً، تقره الوسيلة وتشده الفلسفة، فيصير مرة في الأمر، ومرة في الارتياح، حياته حرب بين الشدائد والمآملات، الشدائد تستقل به من جهة وتغني حياته المآملات من جهة أخرى، فيصير إلى شخصية شخصيات متعددة كلما صدمته حادثة أو انقلبت أمامه وتأرجحت أعصابه. ولكن هل إدراكه محدود؟ هذا ما يجري. أما نشاطه فمحدود بهيكل جسده، ولكن نشاط الإدراك على بدون أيضاً ويمتد إلى الأبد كما يمتد الجسم؟!

### صورة

أتخيل الآن صورة من روائع الخيال والفن الصيني، أهديت إلى مجلة الإخاء الإسلامية العربية (مجلة القاهرة في شهري مارس وأبريل ١٩٣٩)

هذه الصورة بها أعشاب مرهفة، وبها طيور حوائمه وقف ثلاثة منها على الغصن الذي ... ولفت نظري منها الخامسة مرتعشة كأنما تجد في إخفاء وجهها، وتحاول إقصاص عينيها فلا تريد أن يراها أحد أو ترى أحداً، وهي تكاد يائسة قائلة: وما نفعي؟ ولذلك طأطأت رأسها وقد وقفت على ساق واحدة في إعياء وخفض جناح.

والناظر إلى الطائر لا بد أن يشفق عليها، ويعجب من أمرها. وفي أعلى الصورة طائران يحلقان معاً في جو القمر، الطائر وقد قاربا أزهار القصب وهما يهبطان بالتدرج، ويطمئن الناظر إليهما لما يبدو عليه من سمات الانشراح والاطمئنان والسعادة

في الصورة شيء آخر أحاول تذكره فلا تسعفني الذاكرة.

(*) الفنان كما نعنيه لا كما يعنيه قاموس اللغة

وقد صممت ألا أرى الإطار حتى أذكر ذلك الشيء ، الذي أذكر موضعه في اللوحة اليسرى من أعلى الصورة ، ولكني لا أذكر إنما كان جبلاً أو إنساناً أو حيواناً أو غير ذلك

غريب عنه . إن جميع ألوان الصورة حاضرة في خيالي بجميع دقائقها من ظل وألوان وحجم وتناسق وكل شيء إلا ذلك الشيء المنسي في أعلى الصورة من اللوحة اليسرى .. ترى ما هو وما دلالته ، ولماذا أغفله بصري وذاكرتي ولا يمكن أن أتصوره ، [illegible] أثره من خيالي هذا ؟!

إن وحي العشب الصامت بألوانه القوية الحارة والصفراء والفاترة زهوره ينطوي فيها كل معاني فصل الخريف ، الذي يهيج في كل قلب ما يكمن ، ويثير في كل نفس مشجاة شجنها

والطير المتنقل في الصورة هو نوع من البط غير الأليف الطباع ، يتصف بشدة الوفاء ، [illegible] أليفه ، [illegible] الحزن والوحشة ، [illegible] كمداً وحزناً على إلفه الراحل ، ويقاطع الطعام والشراب ، ولا يطير إلا منفرداً ، ولا يمكن أبداً أن يتخذ إلفاً غير إلفه في الفترة التي يعيشها بعده طالت أو قصرت

وهذا الطير من الطيور المهاجرة ( القرملع ) يعرف فصول السنة وبردها ، ولذلك ينتقل من الشمال إلى الجنوب في الشتاء ، وقد عرف عن هذا البط الطيار من شدة الوفاء يهدي العروسين في بلاد الصين يوم عقد القران طير دليلاً على الوفاء

أخيراً أذهب إلى الصورة لأرى الشيء المنسي . . إنه بيت من الشعر ، مكتوب في سطرين باللغة الصينية معناه « وراء هذه الزهرة تكمن معاني الخريف »

هل كان يصح مني أن أنسى هذا البيت من الشعر وهو الذي يفسر معنى الصورة ؟! لقد سرت وأنا أكتب هذا المقال بواعث فيها من معاني الذات ما يذكرني بالشيء المنسي ولم أذكره ، ولكن لا بد لي من الذهاب إلى الإطار لأراه

حقاً لكل المصور أنهم يهتمون بصورهم عن أن يفهموها ، أو أنهم الجمهور في فهم ما [illegible] وما تشير إليه صورته ، إن لم يكن له أنهم

نفسه فقد هذا في النهاية ، ولن يكن [illegible] الجمهور [illegible] فيه ، فلا يفهم المصور ما تشير إليه من معان إلا أهل الفن والخواص من الناس

والإنسان الفني لا يريد إيضاحاً كلامياً ، ولهذا كان بيت الشعر بالنسبة لذاكرتي شيئاً غير الأهمية

وكيف يمكن أن أذكر هذا وأنسى براعة الفنان الصيني في الإيحاء إلى كون معاني الخريف وراء أزهاره الشجية في صورة التمر الشكامي الاستوائية ؟! [illegible] أزهار العشب اللازورد الحمراء والصفراء [illegible] نيراً [illegible] من طرف الشمس ، [illegible] غداً دامياً ثم يقطر دماً

فيا أيها الفنانون المصريون ، هل تعيرون وحي خيالكم أو [illegible] فلا تصورون ولا تفتنون ، ولا تؤدون رسالاتكم التي [illegible] أداؤها على الصورة ؟!

[illegible] الحكيم

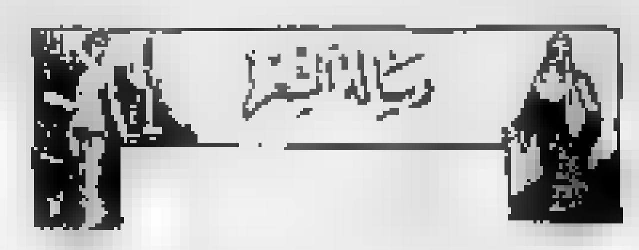


# موكب الوداع

[ بجانب مصيف الشاطئ الأول على وفاة شيخ الأدب وشيخ الشعر « المصري » ]

للأستاذ علي محمود طه المهندس

هذا الرحيل بكأس الشاعر؟ فتذوقتها الأحباب بين المعاصرا

أيا حياة وقد أسلمك قلبه لم تؤثره عنوى الحب الذاكر؟

أطيب منه بديت حين سلامه من ذلك الأدب الرفيع الباهر

لو عاش واحتجت من عواطف فنه ما لا يشبه حسنه بنظائر

وظفرت من عشقه ورثائه بأرق مشتمل وأرحم طائر

أمن هنا للقدر طيف حياته وعصفته يد الزمن العاثر

وأسار وحدته شحيل يومه مأساة ميت من الشباب الباكر

متوسدا شوك الطريق، كأنه بجراحه، مثل الشهيد الطاهر

ردوا للرفاق يا رفاق شبابه لن تحفلوا بالدمع لومة ذاكر

هذا حتى ظل الشباب وصباه وجلا تحدث عن أبي مشاعر

جيل الثلاثين التيمار مدى له وانطوى غاية عمره للقاصر

عشق الشعر الذي سمعت به أصواته لحن الحبيب الزائر

عشق الشعر الذي حفلت به أنغامه لحن الحبيب الهاجر

نغم الهوى الشرقي مشتملة ذابت على وتر للخفق الساحر

تستشعر أصداءها في موكب للموت محتشد الفواجع داجر

مشت المنية فيه بين جنائز عرس، وأمواج هناك عرائس

ولو استطاعت مددت أوزارها كفنا له، والنعش عرش أوانس

ودمت مواجع طيرها فتأنقت لما مضت إلى وداع الشاعر!

* * *

ذات الخيال بعدما ملك الثرى والشهب بين شواطئ وظواهر

وشواطئ عصفوة شرفتها فوق الرواسف والنسيم الماطر

أترى جناحك في السماء كعهده متوشحا حلو الصباح المسفرا

أترى شراعك في السماء كعهده متشحا أحلى السحب للناظر

هذا الصريح وكم من غرامه من عاش في الحب روح مسافر

وطوى هنا الأقصوصة تاهت أنّى من المثل الشرود السائر

شعر تمثل كل من عاشوا لا وصف الخاطر ورحى خواطر

ودنى معصمه الخلاد كأنه نصب للصريح موقف منتاهر

تتلو التسبيح في روقه بين المصلى وسمام الساحر

من مسح ظامئين جهد مياهم مسح الزجاج من البهاد النافر

مستطلعين عن الزمن كأنهم أشباح كعهد أو ظلال مستمر

يا قوم إن الشعر روحية ودكاه غيب في رقه خاطر

طار الضمير به فأدرك عزه نصب يد الآسي وعين الناظر

متعرفا صور الخلائق، صادرا أحلق أرواح وفوز سرائر

هدى عروس الأيم ينته اللى أدمت بكفر حلقت باساوه

والنجم اشتوى بهجة ماشي ودرع معتني، ووجهه ماسر

الشعر موسيقى الحياة موقعا متفهما من كل صوت عابر

هتاف ذابل أو شعر مسهب لم يدركوها الرحيل الذاكر

وشمس أنست حيم لمرود مرح يحسن بجبان الساحر

أو كان كلهم رحما مثله والقوم شكل الحزن ومطير

لم يستشعر موج البحور نعمت عجبت هذا العالم الكافر

علي محمود طه

### الصيف

أيتها الأيام الضاحكة بنضارة من عمل الصيف بعد الحزن من الشتاء،
أيتها الأيام المستورة المتلألئة في ظلام الزمن بأفراح الصيف،
أيتها الأيام الناصعة من سماء الآلام
أنت هكذا أبداً، وهكذا أبداً ستكونين
ولكن هل تستطيعين أن تمحي عن الناس جميعاً بعض سكونك وأفراحك ولذاتك البريئة؟
هل تستطيعين أن تمحي عن العقول المتعبة من الهم والتفكير أفكاراً مظلمة قاتمة كأحلام العذارى؟

### الحرب

كانت أيام الصيف هذه مكتظة بالأخبار الغامرة تصبها في أذهان الناس وعواطفهم ... الصحف الأخبارية دائماً في الظهور، فالتهم أكثر الحديث عن حرب الحبشة بأرهاصات من عواقبها، وهذا الناس

أذكرتني هذه الأيام الكاسدة بتأثير الحرب في الأدب، وحملني إلى ... كثير مما رأيت في الصحف والمجلات الأدبية، ولا أدري، فيخيّل إليّ أن المجلات الأدبية منذ نشأت الحرب إلى اليوم قد أفردت كثيراً من صفحاتها للحرب، وخصصت صدورها لتكبير ما يتصل بها، ومع ذلك لا أكاد أجد إلا القليل من هذه الأحاديث يصلح أن يكون من أغراض المجلات الأدبية، وإنما هو بأغراض الصحف اليومية الأخبارية أليق وألصق

ومن الوهم ... أن يدعي مدع أن الحرب لا بد أن يكون كذلك، ولكن مثل هذه الأحاديث عن أثر الحرب على الأدب، فإن أثرها في فكر العامة لا يكاد يخرج عن مثل ذلك. أما أثرها في الأدباء، فهو أشد تغلغلاً في طوايا النفس، وأشد عمقاً في العواطف الإنسانية ... فإذا أقررنا أن الحرب إنما تتجلى في صدور الأدباء والشعراء وروحها التي تعكس كل المعاني التي تنطبع بالصور يتكون منها الأمواج المتصارعة المتضخمة ... ما تركته مآسيها، ثم بعد بُعد أحداثها كالصور الحية الطاغية التي تتردى في كهوف النفس الإنسانية السابحة ... تحززها وتنحتها وتزيلها من هنا ومن هناك وإلا أخذت وتشع إلى ضميرها عجبة إلى المثل الأعلى الذي هو حلم النفوس الرفيعة الراقية أبداً إلى الأغراض النبيلة

فإذا كان ذلك كذلك، فأثر الحرب إنما هو تغيير المعاني والأغراض التي تعيش في صدور الأدباء والشعراء، وتحريك المسائل الكامنة التي يراد لهم أن يجددوها ويكونوا أولاء الناس في عامتها وسكرانها ... إن الصحف اليومية الأخبارية حسبها أن تحدث الناس بأخبار الحرب ومصائبها ومصالحها، وشعارها الخطيرة، وعواقبها الدائمة أو القريبة لأصحابها، ولكن مهمة الأدباء الذين يمارسون تحرير المجلات الأدبية أن يطلبوا معاني أخرى من هذه المعاني الثابتة التي توضع في أفكار الناس حين تضع الحرب أوزارها، عليهم أن يسموا بأصحاب الحرب ... جديد إلى حياة أخرى ... من العواطف ... إلى هذا الشر ... الذي لا غرض له إلا استعباد الضعفاء، واستعباد الناس بعضهم لبعض ... يتحدثون عن المثل والأغراض التي ... العصبية المستحدثة على هذه الأغراض عن الأصل الذي يجب عليه ... وأخذهم غير منتصرين إلى ... بسبب ... الأسلحة الفتاكة الآن في جميع الشعوب في حرب بعد ... الحرب وحدها ووحشيتها وجوعها وعريها في حرب ... الدم ... الهم، وتعرض للعواطف الرهيبة التي تملأ النفس رعباً وتقوى وحشة ... فإن استطاعوا لم يكونوا ... هذه المثل ... استطاعوا أن يمهدوا السبيل للحياة الجديدة البريئة من أسباب البغضاء، فقد ... الآلام والعواقب التي تأتي ... الحرب إلا أن ... الباقين والناجين من أهوالها

هذا هو عمل الأدباء والشعراء على الاختصار والإجمال.

أما أن يتوهم متوهم أن أثر الحرب إنما يكون في تلاوة أخبارها وأحداثها وتصفحها في لفظه وعبارة ... فذلك شيء لا يقع عليه إلا عقل العامة الذين لا يحسنون في التفكير إلا على

الزمن والصحف والمنتديات إلى أن كان الأدب الذي يصور بالتحليل ومذاهب علم الروح جد حواس الشباب، ومن أحلام الشعراء التي تقال في ترتيب وشقشقة ناعمة أو ثائرة متفجرة — هي أحب إلى نفوس الناس في زمن الحرب، لأنها تنفس عنهم من كرب الحروب، وتخرج لهم من حمأة الدم الذي ينشر رائحته مع كل نفس، ثم هي التعهد الصحيح لتهذيب النفس الإنسانية وترقيتها والتسامي بها من نفس الحيوان الضاري الذي تنشئه الحروب في جو من الأشلاء والدم

العقل المصري !!

كتب الأستاذ محمود النجوري كلمة في المجلة الأسبوعية (١٥٥) يريد أن يكشف بها عن (طبيعة العقل المصري، ومدى تأثرها بالاعتبارات) الاجتماعية أو السياسية أو الدينية. وساق حديثه حتى إلى وزارة الشؤون الاجتماعية. ونحن نختار من بعض النقط التي وقع الأستاذ فيه عصبية للعقل المصري كما يحسبه، كقوله أن إنشاء الأزهر كان نتيجة للأسباب الفكرية والاجتماعية والروحية — التي تمثلت في مصر حينذاك — فأريد بإنشائه جعل الحركة الفكرية المصرية على صواحبها في سائر العالم الإسلامي بإنشاء هذا المعهد الديني العظيم. ولا شك في أن هذا تأويل فيه جهد لمعاني التاريخ، فإن الفاطميين هم أنشأوا هذا المسجد الجامع لأول فتحهم مصر، ولم يكن للعقل المصري إذ ذاك كبير شأن ولا مصيره في دفع الفاطميين إلى إقامة هذه العمارة في مصر، وإنشاء الأزهر كان لغرض في نفس الفاطميين أبدوه أو أخفوه. فليس ذلك من شأننا هنا

وبعد فإننا إلى اليوم لا نكاد نعرف شيئاً يمكن أن يسمى «العقل المصري» أو «العقل الإنجليزي» أو «العقل الفرنسي» وهلم جرا، حتى يوضع في كتبه وحده أصبح به في موازين العقول، وتبين قيام الاتجاهات بأجزائها في «العقل» حتى يمكن أن يقال إن العقل المصري هو استطاع أن يبقى ... والاتجاهات من حوله ... — وغير مصر من الأمم التي كانت ... لاتجاهات كثيرة متباينة — قد احتكت مع هذه الاتجاهات بأشياء تمازجت بها، ولكن هذه الأشياء المتغيرة لم يكن مردّ أكثرها إلى العقل بل كان مردها إلى الطبائع التي تشكلها إرادة الإقليم المسيطرة على الطبائع الإنسانية، وإلى الثقافات المتوارثة التي لم تتناولها هذه التدبيرات ... الحروب والأحداث ... يجب هذه التغيرات ... ساترة متطرفة ... بعض ... لم يتغير إلى أعماق هذه الثقافات أنها ظواهر مقتبسة مع أن الحق غير ذلك

ونحن نجد بعض من الناس يترك أرضاً عبر أرض، ويقطع الجبال أو الصحارى حتى يبعد بالتغيرات الجسمية في سلسلة من أبنائهم وحفدتهم، ويبدأ الوطن الجديد طبيعته المسيطرة في تحويل هذا النسل إلى طبائعه التي تلائم تربته وهواءه وجوه وسحنات سكانه، فكذلك التدبيرات إذا ... ربما خضعت لا يخضع له الإنسان الحي المتحضر من أسلاب قوم غير سكانه الأوائل، ويجعلون ... عصر ... الإقليم الطبيعية

ولقد وجد كثير من الكتاب أن يبحثوا حول أنفسهم ... في العقل الإنساني؟ لا أدري، وما كاد يدري أحد من هؤلاء ما هو العقل، وكيف يستقر في الإنسان، أو كيف يتمثل في الأفكار أو التدبيرات مكان العقل من مكان غيره من الغرائز والطبائع والنوازع وما إلى ذلك من الأشياء التي تشترك في تكوين الفرد ثم في إنشاء التدبيرات الاجتماعية؟ ... لأنهم — على كثرة ما يكتبون — عن موضوع واحد يطولون فيه هذا ... «العقل» ... إن العقل المصري كغيره من العقول بشكل كل شيء. ولكن طبائع الإقليم ... أشياء وتنفي أشياء لأنه لا تستطيع ... في سلطانها إلى جوهر الأشياء كلها. لا يتغير العقل بعد العقل، ولكن الأعراض هي التي يصيبها التبدل والتغيير لأنه من طبيعتها أولاً، ولأن العقل لا يعمل بها عملاً إلا التقدير والتصريف وحسب

* * *

ولقد عرض الأستاذ (النجوري) في مقاله هذا إلى عهد الاحتلال وما صنعت سياسته في أخلاق مصر وسياستها، وكيف حطم جهوده وهواه كل الصلات القوية التي يعتمد عليها ترابط التكوين الاجتماعي، فحرف الجهود المصرية في الإصلاح،

واستبدت الشهوات مطرقة بأخلاق الطبقات كلها ، فتشل الاجتماع المصري في وحدته ، وقام على أساس فاسد من الأخلاق حتى صار أكثر ما يرى إليه هرجاً ومرجاً لا حيلة له في البناء الاجتماعي ، ومن هنا استبدت الأنانية وصارت السيطرة الفردية في كل حركة هي المبدأ ، فلم يقم بيننا التعاون على أساس صحيح ، وكذلك فارقت الشهوات أعمالنا فصار الأمر بالأنانية فيه يقوم على الأول ينفرد باحتكاره ومنفعته ، كالذي رأيناه في الحكومات الكثيرة التي تعاقبت على الحياة المصرية فسرعت ووثبت وسارت ؟ ثم جاءت أخيراً من بعدها فنقضت كل ذلك وبدأت من جديد [illegible] وكثر [illegible] ، [illegible] وأن شيء [illegible] ! ثم هكذا دواليك حتى عند وجود الحكومات عند المصريين سخرية وذلك [illegible] إلى مثل الذي يقول فيها كثير عزة :

فقع سماء [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] في [illegible]
وإن هي أعطتك الليان ، فإنها لآخر من خلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

هذه أمراض وأوبئة لا تزال تنتشر ، ولا بد من مكافحتها مكافحة صارمة غير هوادة [illegible] في الذي يسير إليهم السلطان الوازع العامل من يستطيع أن يتحرر لمكافحة هذه الأوبئة ، وهو كان في كفاحه كفاح نفسه وشهواته وأعراضه ؟ هل تجد مصر أميراً طبيباً للناس ؟ إنها تجد

المتطلق

قرأت في العدد ٣٤٦ من « الرسالة » أظنه — أو هكذا كتبه صديقنا [illegible] بعنوان « الناي » قال الأستاذ بشر فارس وهي على بحرين مختلفين رغبة في تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول وضعه الشاعر ، وأجزاؤه « فاعلاتن متفاعلن » مرتين ويمكن أن يسمى « المتطلق » انتهى

وصديقنا بشر شخصيته جولة في معاني اللغة والرقة والظرف والتطرف والابتسام والمزح ، وسائر هذه الكلمات الرشيقة بالفاظها مثل معانيها [illegible] وهو كالبحر الذي يزعم أنه اخترعه وسماه « المتطلق » فهو منطلق في كل أشياء الحياة بأحلام كأحلام الليل جميلة هادئة ساكنة [illegible] ولكن إذا جاء النهار طاردته [illegible]

هاوية وقد ترك [illegible] كرها أحمد [illegible] كما يحب العاجز في غيب الناس

وهذا البحر « المتطلق » كما سماه ، قد أوجد [illegible] على مثال الأساس

« حشدوا التاي على أذن أذن [illegible] [illegible]
شغل على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] »

وقد زعم « بشر » أنه وضعه ، وعلى رسم بشر ما يقول ، ولكن أصحاب العروض هم أبداً كبحور هم لا يتفاوتون ، فقد زعموا أن الأخفش قد تدارك على الخليل بحراً سموه « المتقن » وسموه « المتقارب » ، وسموه المحدث والمخترع والخبب إلى غير ذلك وسموه هذا الاسم « المتدارك » — أي الذي تداركه الأخفش على الخليل بن أحمد — وأصل تفاعيله عندهم « فاعلن ، فاعلن ، فاعلن ، فاعلن » مكررة ، وله ضربان مثله ومجزوءة ، فالعروض المجزوءة هي « فاعلن ، فاعلن ، فعلن » مكررة

وهذه العروض المجزوءة من بحر المتدارك ، هي التي شعر بشر قد دمجه من رقته فجعلها [illegible] وجعله مواضع لتستريح ؟ فالبحر ليس إذن « متطلقاً » ، ولكنه « مجزوء المتدارك »

وسائر أبيات القصيدة في [illegible]

« أوتار الخاطر نشرها أشباه الناي [illegible] »

و أيضاً من عروض المتدارك التامة ومطابقة التخبيب والطي كقول ابن [illegible]

« [illegible] تلك مياة لم تصد [illegible] شرك الأسد
من دون [illegible] ناظره لا تخشى منه في [illegible] »

هذا في مخترع « بشر » ولكن ما بال صديقنا الصديق [illegible] في [illegible] أنه ، وعلى مخترع [illegible] من حديث الزلازل التي حدثت [illegible] في الأصول [illegible] الصديق ؟ ولقد رضينا أن نشعر أن تزلزلت وحدها [illegible] التي تضرب ، ولا يكون طرب إلا زلزلة

[illegible] إذا قلت « شعراً » فهو أجمد الراحة [illegible] ، وإن كنت أظن أني لم أفهم الشعر كله جيداً .. فلمه شعر جديد ، والعيب في من هذا التعيب يغزوه عليه ويغنيه [illegible] عليه نفسه فلا يفهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

[illegible]

رسالة الفن

دراسات في الفن

# فكرة . . .

## للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— أين قضيت عيدك ؟ وماذا صنعت فيه من الفن فيه ؟

— قضيت العيد في البيت والشارع كما أقضي كل يوم ، ولم أشهد فيه من الفن المعروض للجمهور إلا في سينما أوليمبيا الرواية السكير شاهدت فيها فلم الفريسة

— يا لك مغامر !

— إني على سجيتي ولكنكم تستعرضون !

— وماذا رأيت في الفريسة ؟

— كمال سليم

— إنه لم يظهر في الفلم ، وأنا شاهدت الفلم في سينما ستوديو مصر قبل أن يعرض في أوليمبيا للجمهور

— ولم يظهر كمال سليم في الفلم إذ ذاك ؟

— لم يظهر إلا اسمه ظاهر عند ما عرضت أسماء المشتغلين منسوبا إليه تأليف الرواية وإخراجها

— وكيف يظهر لم تره ؟

— لأنه لم يمثل دوراً !

— آه . . يا لك من ناس لا ترى إلا بعينيك ؟ ويا لك من ناس وعين كثيراً إذا اشتغلت عربية سينما في مصر

— ما هذه الفلسفة ؟ تلك مسألة تروح من مسألة !

— نعم أنا من يقف ، ولكن أنت الكاتبة الكئيبة لا يحفل تفكيرك ولا يشعرك إلا إذا اتخذ ناصية تسير عن يمينه . . . فلو كنت ما أقول يحرك بال ما أريد . . إنه ما دام قد ألف رجل قصة وأخرجها هو نفسه ، فهو صاحب كل ما فيها وإن لم يعرض صورة هذه الناس جميعا بصورة نفسه التي يعرضها

— آه

— حدثني عن الفلاحة

— وهل كان عونك إلى أسلوب العرض ؟

— عندما كنت أشاهده — ولا مؤاخذة — السخرية بكثير من المخرجين في مصر أولئك الذين يحسبون الإخراج السينمائي إلا عرض لوحات من الصور الثابتة .. والذي ذكرني بهؤلاء هو عونك إنك لم ترى صاحب الفريسة مع أنك شاهدت الفيلم ، وهذا وجه شبه بينك وبين هؤلاء المخرجين الذين يحشرون في الفلم كل أنهم مخرجون وفنانون فلا يظهرون بصورهم وشخصيتهم إلا عند كل لوحة ولوح ..

— وكمال سليم من هؤلاء ؟

— ألم تقل إنك شاهدت الفريسة ؟ ثم أليس لك عقل تستطيع به بعد مشاهدة فيلم أن تحكم على عارضه أهو من أهل اللوحات والألواح أم هو من أهل الحياة ؟ وإذا كان عقلك لا يجري على استخلاص الحكم وحده أفلا تستطيع أن ترى مدى انسجام المنظر والناس في العمل الفني لتحكي جدا وحده على غير ما فيه من السحر ؟

حسب حسب . . . عند بيتي لا أطيق الفرق بين قل لي ما رأيك في فيلم الفريسة أو إذا شئت في كمال سليم ؟

— أرى كل شيء ، أنه ليس من أصحاب اللوحات واحد لأنه هو مخرج يعقل ويدرك وفيما فالذي ينتظر منه دائما هو ولكن لست أدري إذا كان سيوفق إلى خير بعد « الفريسة » أو أنه سيظل بعدها وقتا طويلا قبل أن يواتيه الخير ؟

— ولم هذا التشاؤم ؟

— لأنه عندي في هذا الفيلم « عصولا » ، كان سيرا على أن الصورة قد أصبح شخصا في نفسه . . فإذا كان قد أصبح له كل هذا فإني أخشى أنه كل ما يملك ..

— نحن كثيرون قرأنا هذا ، وأنا منهم أيضاً .

— يا ! أنت أيضاً منهم ؟ ! لا بد إذن أن يكون الحق غير ذلك !

أعوذ بالله منك . . . رأيت رأيا ، وكنت تراه ، الآن رأيته تنقص عليه ؟

— الصارب يعني أنك لا ترى ملي .. فكما رأيتني اتفقت معك على رأي أمركت أن مثل تام ... اعني ولا شك في أن صور الحياة وحوادثها هي مواد للوصف والفرح ، ولكن الذي لا شك فيه أن كل صورة مفتاح إلى صورة ، كل صورة منها مفتاح إلى صور ، وأن كل حادثة مفتاح إلى حوادث ، كل حادثة منها مفتاح إلى حوادث ... وهذا شيء لا نهاية له ، ولهذا كان الفنان يستطيع أن يجيئنا من ناحية منه كما يقولون

— كلام معقول ... فاقصصه لأني اقتنعت به

— قد كنت أقنعته وكنت سبقت إليه

إذن فاقتنص ما أتى : صور الحياة وحوادثها التي يستخلص منها الفنانون من ناحيتين ... وهاتان هما الأخرى . أما الأولى فهي الناحية المادية المحسوسة ولا يستطيع إنسان أن ينكر ما فيها من جمال وروعة لا تخلوان من المعاني ، والناحية الأخرى هي تلك الناحية الشفافة « المتأثرة » في أعماق هذه الصور والحوادث ، وهي أيضاً ذات جمال وروعة ومعان ... والناحية الأولى هي جوهر يستمتعون بها ويحسونه ، والناحية الثانية فرحون ، وهنالك فرحون بها ظرف محسوس تلك ... وعلى كل صورة وحادثة من صور هاتين الناحيتين وحوادثهما تنطبق القاعدة التي قررتها أنت وهي أن كل صورة مفتاح صور ، وأن كل حادثة مفتاح لحوادث ... فكما أن أصحاب الصور والحوادث المادية لا حرج من هذه الصور والحوادث ، كذلك لا تفرغ الصور والحوادث اللادية من هذه أصحابها لأن آيات الله لا نهاية لها ، ولأن كل آية منها مفتاح لآيات كل منها مفتاح لآيات ... انقص هذا ، أو قل لي لماذا تقصر أصحاب الناحية على صورهم ؟

— من قال لك إني أفضل أصحاب الناحية على غيرهم . هؤلاء وأولئك من غير شك متساوون

— أعرب منك ... ألم تسخر من ... أصحاب الوصف والافراح ... أنت ؟

— يا هذا ! ... إنما كرهت منهم أن يتركوا ميدانهم وأن يصطرعوا في الصحف ؛ هؤلاء الواحد منهم يصلح لأن يكون مصوراً بالفوتوغرافية ، يجمع ما يلقاه من صور الناس الذين يعاشرون في حياته ، ومن صور المناظر التي يراها ، ومن صور الحوادث التي يشهدها ويسمعها ... ثم يرسمها في « صورة » أو يطبعها في كتاب ؛ ... أن يلقى عدداً من هذه الصور بحيث لا يخص بعض الناس ... شاهدوني إلى ... جميعاً ، فهو إذن يخص من الناس ويستخص منهم المصورة ... فالمسرح قد ... كانت منذ نصف قرن « صوراً متحركة » يرضى جمهورها « وأرقته » ، وإنما أصبحت السينما اليوم « سينما » أول ما يطلبه جمهورها منها هو « يطلق » أرواحهم ، حينما لم يحتملهم العاملون في المسرح قد كانوا كأصحاب المناظر الذين يسقون فصاروا بدءاً من الذين هم أصحاب مصطحبين منهما جهوداً لا على الأعصاب وإن كان فيها غذاء للمعدة

— لو ضربت لي مثلاً يوضح ما تقول ؟

لو ضربت مثلاً لنصبت الدكتور زكي مبارك !

— زكي مبارك ! وما له هو والسب والإحراج وما إلى ذلك !

إنه صديق الناس جميعاً ولا يجب من أحد أن يعتقد أحداً ... أن فيه طبع للسلطة

— لم يقلها عنه أحد ، فالناس يعرفونه يتلوّن المعر .. أحسب معركته مع الأستاذ أحمد أمين ؟

— هذا لأن الأستاذ أحمد أمين « فى كلامه » كما يعرفون وعلى أي حال مثلنا على وعدنا ... ألا تحسن أن نعود إلى ما كنا فيه فتحدثت من المعركة

فقلت

فقلت ... ما رأيك فيه ؟

— لقد كنت أنت الذي بحق فراقي ناقم حديثك

— لقد قلت ما كنت أريد أن أقوله ... أليس لك أنت مصطرعة ... ؟

— بلى .. وهي إن كانت لا تدل على ضعف في الإخراج ، فهي تدل على ضعف في نفس الفرح

— يا عظمه ! وما في مصطرعتك هذه يا مصطرع ويل مرويك

— لقد هي كل سلم حكاية كبيرة يتقدم بطال قصته بطلاً بطلاً من أن يدخل في صلب الرواية ، وإنه لم يعمل هذا إلا لأنه حتى لو جاءت الرواية من غير هذا التقدم لن يستطيع النظارة فلا يجدون كل بطل من ... التمهيد الصحيح أو التمهيد الذي يرتبه هو على الأقل ... وهذا ولا شك اعتراف منه بأنه

عاجز من أن يقدم الأطفال في ملاعب حوادث تهذيباً وسعداً

— قد يكون هذا ، وقد يكون أنه لا يحس الفن كثيراً بالجمهور المصري ، فهو يكلف نفسه هذا التقدم ، وإن كان يعرف فيما بينه وبين نفسه أنه تقدم لا لزوم له — أليس لك ملحوظة أخرى ؟

— بلى .. وهي أنساً وإن كانت لا تدل على ضعف في التأليف ولا في الإخراج فهي تدل على نزوع في رجولة كمال سليم

ما شاء الله .. إن صديقك اليوم متعب .. ما ملحوظتك هذه ؟

— ليس في روايته امرأة

— وماذا كانت فاطمة وفتحى ؟

— بلى كانت بطلاً حتى بعد أن تزوجها البطل فقد كانت حسناء جسورة لا يخيفها الناس ولا تخيفها الحوادث من الرجال ، وكانت تقف مواقف صريحة قاطعة ، وليس هذا من طبع المرأة وإنما هو في طبع الصب أقرب ما يكون إلى الفتوة والسماجة ليست المرأة التي أخرجها كمال سليم امرأة وإنما هي طفلة

— ربما رجع هذا إلى أن كمال سليم نفسه حين أحب أحب طفلة صغيرة هي التي أخرجها بطلة لهذا الفيلم — وربما قد حدث له بعد ذلك ما أبعد بينه وبين المرأة ، وما زاد على ذلك ، حتى حمله على كراهية النساء ، فكانت كل نساء الفيلم ما عدا البطلة وأم البطل بغيضات منكرات أخرجهن جميعاً وهن مكروهات مشوهة وأغراض خاطئة حبيثة فمنهن من تخبع بيتها وتحسر على زوجها ، ومنهن من تسخر في السكارة ، ومنهن من تحرض على السخرية به ، ومنهن من تخرج عنا وتشمت وهذه السكرانة صراحة التي تسببها أنت في إدمان الرجولة يعرضها في هذا الفرح فكأن خالص من نفوس الرجال ، وأهتم خالص بنفوس الصبيان ، فقد وفى كمال توفيقاً تاماً في اختيار أبطال قصته من الرجال ، وفي إسناد كل دور للممثل الملائم له القادر عليه حتى أنه لا يستطيع الناقد مهما اشتد ومهما تحامل أن يشير إلى ذلك واحد من ممثلي الفيلم ويقول إنها قلقة في مكانها غير مطمئنة إلى دورها ، وقد أتيح هذا التوفيق لكمال لأنه لم أعتقد لا يكره رجال الدنيا ولا يفهم وإنما هو يحس في الناس شخصاً متفحصاً ، معبراً أستاذاً منتوقاً ، ... ولا ريب أن .... الذي أخذه في اختياره لأبطال روايته

— والصبيان ؟ ...

— لقد جعل بطلة الفيلم دمناً ولم يكن في القصة ما يوجب أن يكون البطلة أخ وسكنه لم يستطع أن يحبس ما يجيش في نفسه من الآلام بحوادث الصبيان ، فخلص من هذا الصبي الذي جعله أخاً البطلة وعرضه في صورة من « الفسحة » والتظاهر بتظاهر لبلاهته والبراءة وليس هذا عجباً من فنان ينفر من النساء ، ويحب الشباب الصبيان ، ويستمرى في عشرة الرجال تأملاً ودراسة .. إلى طبيعته وظروف حياته ، ولو كان لي أن أقترح على هذا المخرج موضوعاً لسيناريو جديد فإني أقترح عليه أن يسرع إلى موضوع تجرى حوادثه في مدرسة للبنين بجماعته أو نادية ولا يكون في هذا الفيلم امرأة على وجه الإطلاق ، وإنما يكون فيه ناظر ومعلمون وتلاميذ وحراس ... ولن يستطيع أحد أن يعترض على هذا النوع فقد سبقتنا أمريكا إليه واستقبله الجماهير بالارتياح والإعجاب ، وقد رأى من ممثليه ... ومنهم بارتولوميو ، وميكي روني .. كما رأى من مؤلفيه ميراك بوس

— وهل تحسب كمالاً يوافقك ؟

— أنا لا أحسب منه أن يوافقني اليوم ، ولكني أخبره بأن هذا النوع هو نوعه ، ولا بد أن يقتنع بهذه الفكرة قريباً أو غير قريب فيخطو بالسينما المصرية هذه الخطوة الجديدة ... وإني أحس أن في نفسه أن يصنع شيئاً جديداً

— ولكن أحد بعد المخرج الذي وجد هنا — الطفل بين الأطفال والصبيان ... ويرى أن في مصر أزمة ممثلين وممثلات

يا مالي للمدرس ، ويا مالي للشوارع ، ويا مالي للبيوت !

فإني واثق من أن كمالاً إذا بحث ... فلن يعوزه القدرة على أن يجد

— صديقك كمال أليس كذلك ؟

— والله إني لم أره ولم أعرفه ، ولكني رأيته في فنه عبوبه شائقة ، وعرفته في هذه التي ذكرتها وهي كان بين صدره بالإعجاب

عزيز أحمد فهمي

يوم السبت ٢١ يار
شيكوريل

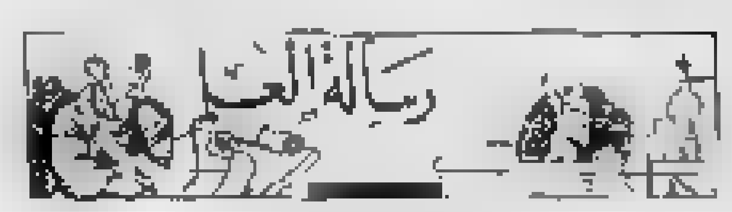


# الأسماك العجيبة

للأستاذ أحمد علي السيد

## من الأسماك الطائرة

قد يعجب البعض إن علمت أن هنالك بعض الأسماك تطير في الهواء، ويكبر عجبه إذا عرف أن بعض الأجناس البحرية تستطيع الطيران في جو الماء مدة محدودة، ثم تهبط إلى مطاردها وهو سطح الماء.

وإذا كان الطيران يقتضي تحويراً في شكل الجسم، فإن الزعانف الصدرية في هذه الأسماك قد اتخذت شكل الأجنحة، ويتراوح طول هذه الأسماك بين بوصات معدودات وبين قدم ونيف، وتعيش في البحار الشمالية والمعتدلة.

أسماك طائرة يطاردها سمك البحر

وأشهر الأجناس الطائرة هو المسمى Exocoetus evolans ويعيش في البحر الأبيض والمحيط الهندي والأطلنطي والصين، والزعانف الصدرية طويلة تصل إلى الذيل وهما مشقوقتان إلى عقلتين الشكل منهما أطول من الأخرى، ويطول هذه الأسماك ما بين قدم ونصف وقدمين.

أما كيف تستطيع الأسماك الطائرة حفظ توازنها أثناء الطيران فقد قام جدل عجيب بين العلماء حول هذا الأمر فقال بعضهم إن أجنحتها (وهي الزعانف الصدرية) تكون متبسطة أثناء الطيران كأجنحة الطائرات، وقال آخرون إن هذه الأجنحة تكون في حركة مستمرة كأجنحة الطيور إلا أن حركتها سريعة يصعب على العين تمييزها وتتبعها. والنظرية الأخيرة هي المقبولة الآن لدى الأغلبية من رجال العلم، لأنه ثبت جلياً بأن الأجنحة تكون منبسطة ولا تتحرك بأي حال من الأحوال، ولكن تكون مضطربة بعض الشيء بفعل جسم السمكة في حالة الزحف في الهواء. على أن العلماء المتعارفين يعترفون معاً بأن السرعة العظيمة لحركة هذه الأسماك في الماء وقوة اندفاعها من العوامل المساعدة على طيرانها في الفضاء. وأقصى مسافة تقطعها السمكة في الطيران هي مرحلة واحدة بحسب قوتها، كما أنها لا تستطيع أن تطير لأكثر من نصف دقيقة ثم تهبط إلى مطاردها وتغوص في الماء، على أنها قد تستأنف مرحلة أخرى بعد أن تستجم وتأخذ كفايتها من الأكسجين الذائب في الماء. والأسماك الطائرة تطير في نطاق مستقيم إلى أن تعترضها التيارات الهوائية أو يتطلع بأمواج الماء، وترتفع في طيرانها مسافة قدمين أو ثلاثة أقدام من سطح الماء، إلا أنه في الجو العاصف قد يبلغ ارتفاعها أكثر من ذلك.

والسؤال الذي قد طرأ على ذهن القارئ هو: إذا كانت الأسماك قد خلقت لتعيش في الماء فلماذا يطير بعضها في جو غير الذي خلقت لتعيش فيه؟ والجواب على ذلك أن طيرانها هو هروب من عدو يطاردها، وأعداؤها كثيرون ككلب البحر والدرفيل وغيرها. على أنها إذا كانت تطير لتنجو من عدو يطاردها في الماء، فلا تسلم أيضاً من عدو يطاردها في الهواء كالخطاف Gull وسائر الطيور المائية، والأسماك الطائرة تصلح كذلك طعاماً للإنسان.

## من الأسماك الحاضنة Nursing fish

تحتل الأمومة ورعاية الصغار مرتبة سامية وعاطفة نبيلة، ومن آيات الله أن هذه العاطفة التي جبل عليها الإنسان والحيوان والعصافير توجد أيضاً في بعض المراتب الدنيا من الكائنات الحية. وإنا وإن كنا نعرف أن الأسماك تضع بيضها في الماء ويخصبه الذكر ثم تتركه وشأنه، إلا أن بعض الأسماك تحضن بيضها حتى تفقس، وإذا ما خرجت منه صغارها تتعهدها أيضاً حتى تصبح قادرة على القيام بأمرها بنفسها، ثم تتركها بعد أن تطمئن على مصيرها وعلى أنها قد أصبحت في مأمن من مهاجمة أعدائها

ومن الأمثلة الرائعة لذلك أن جنساً من الأسماك الذي اسمه موجوداً في أمريكا الجنوبية واسمه Perches تضع الأنثى منه البيض في الماء ثم يحفر الذكر حفرة في قاع القناة فتجمع الأنثى البيض ويتناوب الأبوان حراسته حتى إذا ما تفقس وضعت الأم الصغار في فمها لتحفظها حتى يصبح عندها قدرة على أن يستقل بنفسه وحين تخرج هذه الصغار من الفم حين يكتب أي شيء أن يهاجمها عدو فإنه حاجبها فتفتح الأم فمها بسرعة وتدخل الصغار

وفي بعض أنواع السمك المسمى Cat fish الموجود في مياه البرازيل يقوم الذكر بدور الحضانة فيحفظ البويضات في فمه حتى تفقس ، وفي خلال هذه الفترة تتفقد الأنثى والذكر شهية الأكل ما دامت البويضات في الفم ، وهناك نوع آخر من هذا السمك ... بطريقة عجيبة لحضانة البيض ، إذ بعد أن تضع الأم البويضات تضغط عليها بالطرف الأسفل من جسمها التي يصبح في هذه المدة ... إسفنجياً فتلتصق به البويضات وتحملها الأم حتى تفقس

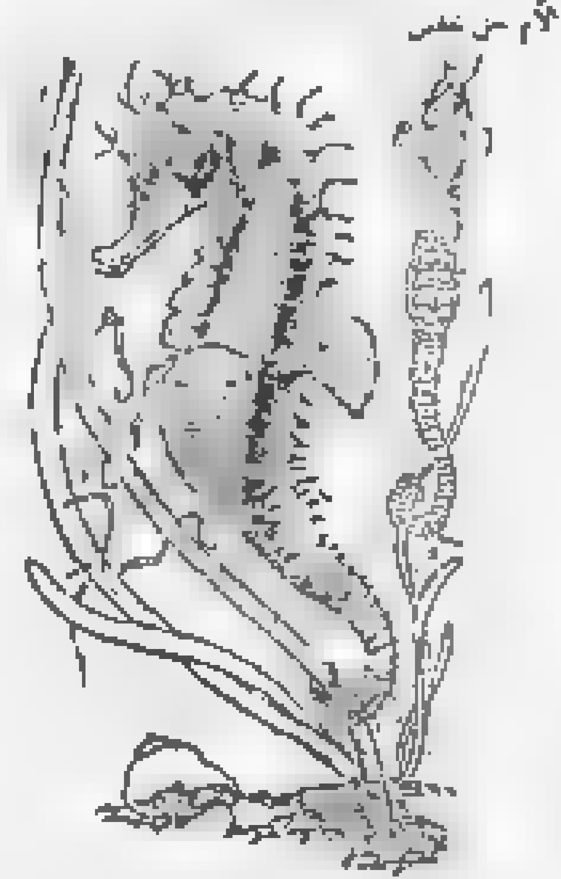
حصان البحر وصغاره تخرج من جيبه

وفي حصان البحر Sea-horse يحمل الذكر جيباً يشبه الكيس في بطنه ، وفي موسم التلقيح تضع الأم البويضات

ثم تكمل هذه الجيب وتزداد ... في أمان حتى تفقس

وفي أحد الأجناس القاطنة ... السمريان وهما كثيران ... طرف الأنثى ... السمكة عجيبة بشكل ما يشبه الكأس وهذا الالتصاق لا يحدث إلا عند وضع البويضات فقط ، وفي هذه الكأس تحمل البويضات ... تتكون داخل الكأس وتبقى البويضات حتى تفقس

التف جسم السمكة حول البويضات لحمايتها

وفي سمك Butter fish تتكون كتلة البويضات ويلتف جسم الأنثى والذكر حول هذه الكتلة بالتناوب لحمايتها

وفي أسماك Lump sucker يحرس الأب البويضات ورأسه ... تياراً مائياً بواسطة حركات ... إلى هذه الثقوب ... الماء إلى البويضات وذلك يمدها بالأكسجين اللازم ، وفي هذه الفترة يكون الأب عصبياً جداً ويهز جسمه باستمرار

وفي الأسماك المسماة Sucker fish يوجد قرص على السطح السفلي للجسم يستطيع السمك به أن يلتصق بالصخور ، وفي هذه الأسماك تضع الأنثى بويضاتها في ... ويقوم الذكر بعد ذلك بأن يلصق جسمه عليها حتى يفقس البيض

وفي نهر الأمازون وروافده جنس من السمك ... تضع الأنثى بيضها في ... النهر ... يكون قريباً ... الذكر والأنثى يتبادلان ... تيار الماء حول البيض بواسطة حركات ذيليهما وتجديد الماء حول البيض إلى هذه الدرجة حتى يفقس

أحمد علي السيد

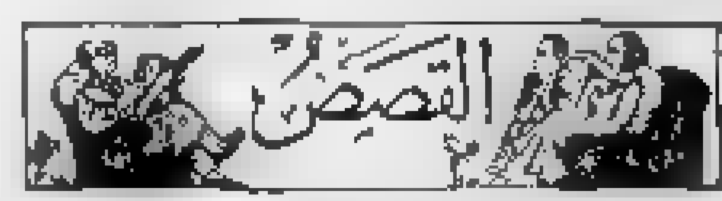


# قلب أم ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

---

صباحٌ ومساء، ويقظةٌ ونوم، وأسبوعٌ يلاحق الشهر تتراءى مثلاً ما قبل، وعجلة الزمن تدور تجاري العمر وتختزل الحياة ... عجباً من الدنيا ... !

يا عجبا ... وفي الناس من يعيش حياته كما يدور الثور في الطاحون: يدور ويدور ولا يزال يدور، لا يدري أين ينتهي، ويمضي على وجهه في طريق طويل لا يقف عند حد ولا ينتهي إلى غاية، وعمره أربعة جدران!

وهل الحياة إلا يومٌ مكرر؟

ما أمس؟ وما اليوم؟ وما غد؟ ... إن هي إلا صورٌ متشابهة تتعاقب على مرآة مثبتة في جدار قائم؛ الصورة واحدة ويكتبها فرح وعقل، ويزعم الرائي أنها ثلاثة شخوص من أطياف الخيال!

ولولا خداع النفس وأباطيل المنى ما طابت الحياة!

* * *

... واستيقظت الأم ذات صباح كما تستيقظ كل صباح؛ فلبست ثوباً جديداً وجلست في محرابها تصلي لله وتدعو.

كانت تعيش وحدها في هذه الدار الواسعة منذ سنوات!

لقد فارقها الرجل إلى الأبد، ومضى إلى الرحيل على الأماني إلى مثواه؛ ولكن ذكراه تعيش معها في وحدتها ..

... وتذكرت أنها في مثل هذا اليوم ... على قدر ... ثم تحركت منه إلى ... في صدرها ... !

وأن هذا اليوم لن يكون لها ... وأخته ... وأبوه ..

وقرّت بها وحدتها

كان ذلك منذ أربع عشرة سنة!

* * *

أما الفتاة فقد شبّت وكبرت وصارت عروساً؛

تنتقل من دار إلى دار ... وراحت ... إلى زوجها

... واستمعت إلى ... وعرفت دنيا جديدة ...

أتراها تذكر اليوم أمها؟ ... ألا إن أمها القانعة راضية ... من أمانيها ... لقد حققت لها أمنية من أمنيتين ..

وأما الفتى فقد مضى في سبيله مرحلتين وانتهى إلى الخامسة؛ لقد أصبح ... لم يبعد عن أمه منذ سنوات ثلاث، يعالج جهاده ويبلغ مأمله، ولم يبق إلا خطوة واحدة!

وأما الأم فإنها في وحدتها من تلك الدار، ما تزال ... وتشعر بحسن ما ...

يا لله! أهكذا هي؟ لشد ما غيّرت الأيام!

* * *

كان لها جاه ومال، وكان لها شباب وفتنة، وكانت حياتها أغنية ضاحكة كلها مرح وبشر ودلال ... بالسكينة! أين هي اليوم مما كانت منذ أربع عشرة سنة!

أتراها تعرف صباها ... بما كان وما صار، كعهدها يوم كانت ... أين تلك المرآة؟ ... لقد علاها غبار السنين فما لها عين تنظر ولا لسان يتحدث!

هاهنا ميدان قد تلقفا ... ولا مجرى!

وهنالك ... ليس لها أريج ولا شذى!

وهاتان ... قد أطبقت على ... حزينة ليس لها صوت ولا صدى!

وهذا القمر ... ما كان أجمله يوم كان ... قد تخطت عليه الليالي سطوراً ... في صحيفة مسودة ... أربعة عشر عاماً بلا وتر ولا كلال!

لقد ... أسمى ما كانت ... الليالي والشباب، وورثت من شهوات النفس وأوهام المنى ... كل شيء مما كانت تطمع إليه، إلا عيشاً واسعاً، عاشت ما عاشت ... ما جدّت من أجله، وخاطرت بما خاطرت في سبيله ... وأما إحداهما فقد ... وأما الثاني

إنها القرية الحزينة على ما جاهدت وجدت ! لأنها هي التائهة التي تهفو إليه على حظوظ !

* * *

وفرغت الأم من صلاتها ودعائها ، فنهضت متثاقلة إلى صوانها ، ففتحته ، فأخرجت منه كسرة جافة ، فتتها تحت المشربية وألقت بها بين مكيها ، ثم صعدت إلى سطح الدار للشمس

وأمسكت عوداً من الحطب بيمين ، على دهاليز وهي تفترش على وفتات الخبز اليابس . إن لها في هذه الدنيا الكئيبة قساوة وأنساً ،

وإنها لتجد من هذه الطيور أسرة تأنس إليها وتحنو عليها ، بعد صحبة ورباط ، بعد كل ما بقي لها من أنس القلب !

وبعثت على حرم السياج فأخرجت ما فيه من بيض ، ثم هبطت الدرج مستندة إلى الحائط حتى بلغت غرفتها ، فوضعت ما معها من البيض في كيس الصلاة ، وجلست في النافذة ترقب ساعي البريد

إنه يوم السبت ، وقد تعودت أن تتلقى في مثل هذا اليوم من كل أسبوع رسالة من ولدها المطمئن

وجاء ساعي البريد فسلم إليها الرسالة ، ففضتها متعجلة وقرأت

إنه قادم بعد يومين لزيارتها

يا فرحتا ! إن لها عيداً من دون الناس

ونزلت الأم من غرفتها متثاقلة ، وذهبت إلى السوق فاشترت ثوبها الجديد الذي خاطته منذ حين ، ورتبت ما فيه من خرق ، استعداداً ليوم الاستقبال السعيد !

وكنست ، ونظفت ، وهيأت فراش الضيف ؛ وجلست تعد الساعات وتهيئ برنامج الاستقبال ؛ وكانت ليلة عمر

ومضى اليومان وحل الميعاد ، وجلست الأم وراء الباب ترقب مقدم فتاها وقد هيأت ما هيأت لاستقباله ...

هكذا كانت تفعل كلما حان موعد زيارته وإن له زيارة في كل شهر

* * *

وتلقت الأم ولدها بالترحيب والتقبيل ، وأنفاسه تعبق بأريج الشباب ! فإن في عينيه بريقاً ، وفي خديه حمرة الصحة ، وفي كفيه الضمان ، وفي جبينه ألق !

وجلس إليها ساعة يحدثها وتحدثه ، ثم نهض يتجه إلى الخروج يبحث في المدينة جولة ، وهي تختال في زهوه وزينته ، وأمله ليشبه برضاها من النافذة فرحانة !

لا عليها مما تلقى من الحرمان ذلك والحرمان وإنه لسعيد ! حسبها من سعادة الدنيا أن يكون ولدها كما يتمنى لنفسه ، إنها تشكر الله وهي لا تملك ما تجد من القصص والحرمان وقسوة الحياة ، ومتى يعنى عليها أن يعرف إلا أنه محزون وحائر !

وتوارى الفتى عن عينيها في منعطفات الطريق ، فانصرفت عن النافذة وعلى شفتيها مسرح ورائحة إلى الصوان فتحته لتخرج صندوقها الصغير ، الصندوق العزيز الذي يضم ذكريات الأمس جميعاً ، ويضم آمال المستقبل

في هذا الصندوق أهدى إليها زوجها الذي فقدته منذ سبع عشرة سنة — هدية العرس الغالية ؛ وفي هذا الصندوق كانت تحفظ ما تحفظ من حلاها وجواهرها ، يوم كان لها حلي وجواهر ؛ وفي هذا الصندوق كانت تدخر ما تدخر من مال لتنفق على ولدها حتى يبلغ مبلغ الرجال ... فماذا يضم صندوقها العزيز اليوم ؟

بضعة جنيهات ، وقرط مكسور ، وسوار من الذهب ... هذا كل ما هنالك ! ... وإن بين ولدها وبين الغاية التي يجاهد إليها بضعة أشهر ! ... فماذا يجدي كل ذلك ؟

* * *

وتركته في فراشه نائماً بعد ، وبكرت إلى السوق وفي يدها قرطها المكسور وسوارها ، ثم عادت أمتعتها الرابحة !

وعادت بعد ساعة ومعها مال !

واستيقظ الفتى ليلقى على أمه تحية الصباح وهو يبتسم في مرح ونشوة ، ويعتذر بما ينتظر من السعادة يوم يكون ويكون ... واسمح !

ورفعت عينيها إلى السماء وعلى شفتيها دعوة خافتة ، وفي قلبها أمل

وهامت روحه إلى الباب وأمسكه ما طلب ، لم تحرمه من شيء في نفسه ، وامتدت إلى جرحها تمسح الصندوق الفارغ في موضعه من الصوان :

ومضى الفتى على وجهه لا يبالي ما خلف وراء ظهره

حتى الفتى ترى هذا الفتى الخائن المطرود يعرف من يكون ؟ إنه هو حسبه لا يعرف ! ولم حبيب ركن ، نعش من دنياها بين صباح ومساء ، ويقظة ونوم ، وأمنية بالنهار تتراءى حلماً بالليل ، وعجلة الزمن تدور فتطوى الحياة وتغرب العمر ، وهي لا تدري هذه هي دنياها ! ولكن لها يوماً تترقب مطلعه على شوق ولهفة ، ولكن متى .. ? أترى هذا اليوم حين يجيء ترد عليها الشباب الذاهب والعمر الذي ضاع

• • •

وانقضت بضعة أشهر ، وحان اليوم الذي كانت تنتظر ؛ ودخل إليها زوج ابنتها ليرد إليه المسرى وكانت راقدة في فراشها تحتضر !

وجلست في فراشها ، وأشرق وجهها بابتسامة راضية ، ومدت المشير سبحة ، ثم مال رأسها على الوسادة . وكانت تبتسم

وهتفت في صوت خافت : الآن أدرك واهي ! وعادت الابتسامة إلى شفتيها أكثر إشراقاً ورقة

ودارت بعينيها في أرجاء الغرفة حتى استقرت على صورته في إطارها ثم أطبقت أجفانها .

وتراءت أشعة الصباح الذائل في الغرفة الخالية من الأثاث إلا من سرير تمدد عليه جسد خطر !

حتى نسمة عابرة فاطفأت الشموع وعم الظلام ، وخرج الرجل ، كي ترى يغرق في سعادة إلى حيث لا روح النبأ الفاجع

وكانت روحها مطلعه إلى المرآة تترى .

• • •

وعلى حين كانت الدار تعج بالأهل والخدم يستعدون لتشييع الأم إلى مثواها ، كان الفتى جالساً في ركن من أصدقائه وصديقاته يحتفلون باليوم السعيد

أحمد منير الصباغ

## الخلق الذي سيكسب الحرب

[ عن مجلة « [illegible] » ]

للحرب الحاضرة نواح كثيرة يجب أن ينظر إليها قبل أن ينظر إلى مقدار قوى الجيوش المحاربة، وعدد طائرات العدو ومصفحاتها والسرعة التي تسير بها. ومما لا شك فيه أن الجانب الذي سيكون له الفوز النهائي في هذه الحرب، هو الجانب الذي يمتاز العنصر الإنساني فيه بقوة الأخلاق، وصلابة النفسية. ولا جرم أن البريطانيين والفرنسيين يمتازون من هذه الناحية عن الألمان.

وقد كتب الكاتب الأمريكي الشهير « [illegible] » في مجلة « [illegible] » التي تصدر في كندا مقالاً تناول فيه أخلاق هذه الأمم بالبحث والتحليل. فقال: إن الرجل الألماني لا بأس به في وجه الهزيمة، فهو شجاع، صلب، قادر على احتمال الشدائد، وهو مقتدر على الاضطلاع بسائر الأعمال المجهدة، يحمل بندقيته وقلنسوته كما يحمل رأسه.

إلا أن هذا الخلق الألماني تعتوره بعض العناصر الضعيفة، وتختل من ناحية ضعف لها أثرها السيء على سائر النواحي القوية فيه. فالشعب الألماني يفقد الإدراك السياسي الرشيد، فهو شعب لا رأي له في سياسته العامة، وأخلاقه السياسية لا ترجع إلى أخلاقه الشخصية. والألماني لا يعرف التشكك في أموره السياسية. وقد عرف النازيون كيف يستغلون هذه الصفات، فاستحوذوا على عقول الشعب بطرق لا تخطر في الحسبان. فإذا كان الشعب الألماني وهو يحارب مليوناً من الأنفس قد أخذ يصدق كل شيء يلقى عليه بغير روية، فلهذا يتكلف النازيون ... الحروب المتعسفة، والأكاذيب الكثيرة والوعود الخلابة.

إلا أن هذه الظاهرة المعروفة في الخلق الألماني منذ قرون، لا تلبث أن تتغير حسب الرأي العام حينما يحمل دفاع الشعب الألماني صبوره ويتفسخ الذي كان في ... المتكلين، وفي هذه الحالة يكون الجمهور وغير الجمهور سواء في الجانب على خطر ومصالحه واحتقارهم من يحكمه، كما أن الشعب لا يحترم حكومته منذ ١٩١٨. أما هذا الشعب فهو الشعب الإنجليزي والفرنسي وهما يستعملان الحرية السياسية منذ مائة وخمسين سنة، ويعرف كل فرد من أفرادهما المبادئ التي يدافع عنها.

فالإنجليزي لا يسير بالطريقة الآلية التي يسير بها الألمان، وهو يحتسب رجاله على كل صغيرة وكبيرة، طبع على ذلك منذ قرون، وهو يرى الحرية حقاً من حقوقه. وإذا كان الإنجليزي يضيع كثيراً من الوقت قبل أن يدخل مع خصومه في حرب طويلة الذي يعوزه الحس من النوع الذي يميل بطبعه إلى الدقة والنظام، ويسير على حد الحقائق دون أن يثير ضجة أو عنفاً.

والإنجليزي لا يعنى كثيراً بالألفاظ الجوفاء أو الفصيحة، ولكنه يعرف دائماً كيف يحافظ على الروح المعنوية فيه، ويحتفظ بروح الفكاهة ولو كان على فراش الموت.

هذا هو الرجل الذي سيحمل على عاتقه إلى نهاية الحرب، فأعصاب الإنجليزي من النوع الذي لا يعرف الاضطراب وإن كانت في الحقيقة أقوى وأشد من العصب.

والفرنسيون كذلك هم قدرة على احتمال الشدائد. وقد دلوا على ذلك مراراً عديدة في تاريخهم الماضي، وفي الأخص في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨.

ومن أهم المميزات التي يختص بها رجل الشارع في بريطانيا وفرنسا، هو أنه على علم تام بأحواله السياسية. فالصحافة تمد الشعب بكل ما يحتاج إلى علمه، والحكومة لا تستكثر منه شيئاً لخطورته أو بعده، ولا يمكر أحد في حديثه عن الموقف الحربي الذي يحيط به.

ولا يمكننا أن نقول ذلك عن الشعب الألماني، فقد ... بينه وبين الحقائق منذ ست سنوات، إلا أنه إذا هزم هزيمة عاجلاً أو آجلاً وتبين له أنه كان مخدوعاً، فسوف لا يوجه نقمته إلى الأجانب، ولكن سيوجهها إلى الذين خدعوه، وعلى رأسهم هتلر النازي.

## تدبير حسن التعاون لتوطيد دعائم السلام

[ عن « [illegible] » ]

ليس كل أنواع السلام مما يطمئن الناس إليه. فالسلام القائم على التعاون بين الأمم كبيرها وصغيرها، يختلف ولا شك في

موحية من السلام الذي يقوم على القنابل واصطناع التعريض، فالأول وحده هو الذي يستحق الاهتمام، ومهما يكن من أمر فإنه لا بد أن يحتاج — عاجلاً أو آجلاً — إلى شيء من التعاون مع الشعبين الروسي والألماني، حتى تكون دعائم هذا السلام موطدة الأركان.

وما دام هذان الشعبان يعيشان تحت سلطان الدكتاتورية، التي تعبث بشعوبها في خصوص الشيوعيين بالقتل أو السجن، فهما حريان ألا تسعيا وراء هذه المبادئ، فتكون أصعب ملاءمة للأمم الأخرى، وقد يحوطها أنفسهم في جحود بالأمم

على أنه يجدرون — على كل حال — بأن نعرف كل المعرفة أننا لا نملك الحق في إلزام الأمم الأخرى بتغيير نوع الحكومة التي ترتضيها. فإذا كان الألمان يفضلون أسلوب هتلر في الحكم، أو كانوا على الأقل لا يستطيعون تغييره من تلقاء أنفسهم، فأي حكومة تقوم في ألمانيا بعد تأثير الحركات المسلحة التي تعرفها النازي وهزيمة لا يقدر لها الهدوء.

فحكومة هتلر هي ثمرة من ثمرات الهزيمة الألمانية، وقد جاء هتلر نتيجة لانهزام ألمانيا في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨، وليس بمستبعد أن تكون الحرب القادمة نتيجة شر من تلك النتيجة، إذ عرفت ألمانيا هزيمة ثانية. وقد يعلم الشعب الألماني هذه المرة كيف يؤسس حكومة أقل سماحة وتعقلاً من حكومته الحاضرة. وعلى أي حال من الأحوال فسوف يكون من الخطأ وعدم — الأمن عاقبة — تغيير الأسلوب الذي به يحكمون.

هذا المبدأ مطلوب يعمل به المؤرخون والعلماء والاشتراكيون والشيوعيون، وإن يكن هذا المبدأ لم يساعدنا على إيجاد السلم العام هو عدم اصطناع أمة لأمة أخرى. ولكنه لا يعترض مبدأً آخر أكثر أهمية، وهو مبدأ التعاون بين الدول. وقد عرفت محاولة منه في معاهدة عام ١٩١٩ للتعاون بين الدول، فحاول بعض الأمم المسالمة حرباً، وتخلص من سببها لأمم أخرى عن طريق تقرير المصير؛ وتم التعاون من ناحية أخرى بين جميع الدول بقيام عصبة الأمم. إلا أن هذا المبدأ مبدأ التعاون الدولي قد سار بخطى وئيدة إلى الغاية التي يقصدها الجميع.

بل إن التعاون بين الأمم التي تخضع لحكومة كل من الناحية المسلحة عدواً أو غير عدو، فكل حكومة كانت تعمل لمصلحة جانب الأقلية والمالية، وتستغل الظروف لإصلاح سياستها الحربية. فالتعاون بمعناه الصحيح لم يكن معروفاً في علاقات بعض الدول بالدول الأخرى، وما زالت بعض الحكومات إلى اليوم تعد نفسها غير مسئولة إلا عن مصالح الأهالي الذين يشملها.

وما زالت هذه الحكومات تقف موقف العداء من المصالح العامة، ويجب عليها من السياسة التي تؤدي إلى توطيد السلام، إلى مبدأ التعاون الذي ستقوم عليه قواعد السلام، لأجل أن ندخل في سياسة التعاون المحدود والمساواة بين مختلف الأمم؛ ولا بد أن يقضي على فكرة الحروب الأهلية أو حروب الطبقات، وأي حكومة تبيح تلك الحروب الأهلية في بلادها لا تستطيع ولا شك أن تعاون تعاوناً شريفاً لتوطيد طرق السلام

## النشر والحرب

[ عن « ذي سبكتاتور » ]

قليل من الذين كانوا يشتغلون بالنشر في الحرب الماضية، يعيشون إلى اليوم ويزاولون أعمال النشر بيننا. ومما يدعو إلى الأسف أنك لا تجد بين هؤلاء إلا النزر القليل ممن يدرون عن مثل الحالة التي نواجهها اليوم. فلقد كانت هذه حالة عامل في حرب من قبل ما بين عام ١٩١٤ و ١٩١٨، فإن عالم النشر سيشاهد بعد المرحلة الأولى من الحرب تجارب لم تقع له منذ عدة سنين.

إن الحرب تشجع على القراءة على نحو ما في نفوس المحاربين وغير المحاربين من الأهالي بما يشعر به من لا يختلف وطأته شيء كثير من الكتب التي تثير العاطفة الوجدانية وتبعد الأذهان عن ما يقتضيه العقل، ويحمل الجنود رغبة في أن يستكثروا ويقرأوا، وهم في الوقت ذاته في موقف يكونون فيه أشد حاجة إلى الراحة والتسلية من أي وقت آخر. ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ أن هذه العوامل لا تقل قوة وتأثيراً اليوم عما كانت عام ١٩١٤، بل قد يكون الأمر على النقيض، فالقيود التي تحيط بنا وحالة الشعب العامة قد تساعد على تقوية هذه العوامل.

إلا أن عالم النشر تعترضه صعوبات كثيرة إلى جانب الصعوبات المتعلقة بالطبع والتوزيع، وقد لا تخفى على أحد. وسوف تعاني بيوت النشر والطباعة الكثير من هذه المصاعب، ويعمل الناشر في الحقيقة أكثر دقة مما يتصور الكثير من الناس.

ومسألة جوهرية قد لا تخطر على البال، وقد يكون ملاحظها من المتصلات، فما هي الورق والطبع وما قيمة الناشرين إذا لم تؤلف الكتب؟ وقد نرى في هذا العام هبوطاً محسوساً في عدد الكتب التي قدمت للمطابع وكذلك في نوعها. والسبب في ذلك

## في العروض

في العدد الماضي من «الرسالة» تعقيب عنوانه «التجديد في العروض» ... وفاته ما اتفق في بحر «وحشته»، وكتب شرحت أبياتاً منظومة منه (قصيدة «الثاني») في العدد ٣٤٠، وجعلت اسم البحر «المطلق». ولن أجادل صاحب التعقيب في حق ... كما رأيت ... وهو غير مستوي ... ولا منتصر في التجديد ... يجب تصديق القارئ بعض الحقائق، وذلك أن ... مواضع الخطأ في تعقيب الكاتب، وإليك جواب مختصر؟

يقول الكاتب إن البحر الذي قلت إن «وحشته» (وهو: فاعلاتن مفاعلتن، مرتين) ... أني اخترعته، وهنا أحب أن أشكر الكاتب على ... مواقع ألفاظ العربية فيه «الموسع» غير «الاختراع».

وقد مثل الكاتب كيف «تحيل إلى» وضع البحر بجزوءه «ووجد هذا الضرب نفسه بأجزاء أخرى هي (فاعلن فاعلن فعلن) فهو إذاً الضرب الأول من العروض الثاني (عروض ثانية) من المتدارك، وهو المخبون الصحيح، وأقرب أمثلته وزن الدكتور بشر هو الضرب المخبون المرفل من هذا المجزوء الصحيح، ومثاله في «متن الكافي» هو:

دار سعدى بشحر عمان قد كساها البلى الملوان

على أن هناك فرقاً يسيراً ... عن الوزنين، فذلك أن وزن الدكتور بشر ... (وهو زيادة سبب خفيف) والسبب الخفيف متحرك بعده ساكن كنف ... بعد الألف والنون الأخيرتين في «عمان» و«الملوان» والذين ... يحصل على نفس الوزن المطلق الذي جاء به الدكتور بشر؟

أولاً: يراجع الكاتب «متن الكافي» الذي استند إليه، وشرحه «المختصر الشافي» للدمنهوري وغيرهما يعلم أن العروض الثانية المزوءة من المتدارك ثلاثة أضرب هي: فعلاتن، فاعلان، فاعلن، ... «فعلن» الذي أتى به؟ وإذا جاء له أن يجمع ... فليذكر أن «الخبن» من «الزحاف» فما هو ملازم في ... وإن لزم في «فعلاتن» الوارد هكذا على أنه ضرب.

ثانياً: قرأ الكاتب البيت الذي استشهد به في «متن الكافي» وهو غير مشكول، فسكن النون من «عمان» و«الملوان» والصواب كسر النون (عمانِ، الملوانِ). كما سيجد ذلك موضع الشاهد من الكتاب — فيكون الوزن «فعلان» لا «فعلان».

ثالثاً: والغريب أن الكاتب يرد أن في البيت ... مصطلح الترفيل، ويضرب المثل بكلمة «...» ثم يقول «إن الترفيل بعد الألف والنون» من «عمان» و«الملوان» والصواب «أنه بعد النون المكسورة» مع إشباع الكسرة، وأن «الألف والنون» ... والنون في التذييل، فلا ترفيل كما وهم الكاتب.

رابعاً: يقول الكاتب إن بين الوزن الذي ... والوزن الذي وضعته فرقاً يسيراً ... وحذف الألف والنون. والصواب كما رأيت ... (بحذف النون مع حركتها المشبعة) نحصل على نفس الوزن المطلق الذي جاء به الدكتور بشر ... فكان الأوزان في يد الكاتب ... وزيد ونقص ... وإن توهم أن الترفيل في العروض لا يقدم ولا يؤخر كما يتوهم، فليسأل أهل التلحين والغناء عن الفرق الذي ... بين ... «الصبا» من «البياتي» ... ويستعرض «قصيدة الثاني» فيجدها على ميزان البحر الأول (وهو في وجهه عروض المتدارك) على ميزان البحر الثاني (وهو المتدارك) ... إلا في الشعر والموسيقى من طبع واحد ... أليس لكليهما ... على الأسباب والأوتاد والفواصل عند أرباب الفنين؟ ... الكاتب إلى هذا

---

والصحيح، فقد أصبح العالم الأوربي ... يعج بالأعمال الأدبية، هذه الأزمات المتوالية، التي ... من القلق والتفكير في مصير ... كل ذلك من شأنه أن يبعث ينابيع التفكير.

ولكن ما يعنينا ... على ... من أوربا، في الراجح أن يحول ذلك ... من أذهان الكتاب. فنحن في حرب يشترك فيها العالم كله بأهله وكل ما يطلب من الكتاب — إذا ... في هذه الحرب — هو أن يؤلف ويستنير الأفكار

وخلاصة القول أن أركان صناعة الشعر وسرائرها تختلط على غير الكاتب والقارئ، فكيف نطلب من نحترف إليه؟ هذا وإن لي حديثاً في «شعر التلقائي» كيف سطرته وما أصوله، وإلى لقائي الحديث يوم يخرج الديوان تتمة بحثه

[illegible] فارس

## [illegible]

أثنى على مقالات الأستاذ موسى [illegible] الفاحصة، وأعجب كل العجب أن قد نسب القول الخاص من جريدة «فقد لا يكون»، وإلى أرى الإمام العسكري — كما فهم هو — «ونقول أن مصدره، وقد لا نعثر على ذلك».

وأرجو من الأستاذ موسى الشكري أن يتفضل بقراءة «كلمة في اللغة العربية، والإسلام الصحيح» فمقالته الكريمة «تهيج أشلاءه أيضاً» في «الرسالة القديمة» عمر أنه لم ير الكتابين. وإنا تلاميذه، ولم يحضنا، فإني أحييه بإعجاب

أحمد [illegible] الشاسي

## اقتراح

كتب كاتب في «الرسالة» مقالاً نعت به فصلاً واحداً من كتاب «الإمتاع والمؤانسة» الذي أخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر بتصحيح الأستاذين الفاضلين أحمد أمين وأحمد الزين، وقد نسب للمصححين إلى بضع وعشرين غلطة أحصيتها في ذلك الفصل الواحد. وبعد أسابيع كتب أديب آخر يرد مقالاً مطولاً في الرد علي، وبكلة أستطيع أن يتبين أن أصحاب في كل وجه، كما سبق إليه، ومع ذلك دار حول بعض الألفاظ ليوهم القراء أنه قد كان [illegible].

وأقول إنه لا خوف من أن يخدع القراء بمهارة ذلك الأديب، وإنما الخوف على ذلك الأديب نفسه! فهل أستطيع أن أقترح على الأستاذ الزين أن يدعوه للأخذ ومنه الكتاب لأحيده إلى ما هو عليه من مذاهب التوحيدي.

إنه كان طالب عمل بالجمعية (مع الفاضلة) الأستاذة، وإنه ليعرف أنه وقف يسيء من محاورة من كان في مثل حاله من المشتغل بأساليب القدماء

زكي مبارك

## الكهرباء [illegible]

مما استرعى نظر بعض الأدباء في شيء من الإعجاب ما جاء في كتاب «آفاق العلم الحديث» من بحث الأستاذ [illegible] عن الأعمال الكهربائية الأصلية والمصورة، واستغرب في علم [illegible] أنه لو أن [illegible] في إحداث [illegible]، وتكرر هذه الأحداث عدة مرات، [illegible] أن يقوم بعمل الاثنين معاً في إحداث الأذى. وعلى التفسير المادي أن إيضاح [illegible] في الأعمال الكهربائية المؤذية والمصورة. والتجربة التي أجريناها في هذا الموضوع أنه أتى بمصباحين كهربائيين أو جرسين متصلين، فكلاهما يضيء أو يدق الضغط على زر، وبتكرار هذه العملية عكس من إضاءة [illegible] أن يجعل الكهرباء تسري في السلكين العاريين من الأزرار، وإلى [illegible] المصباحين أو تحمل الجرسين [illegible]. وتفاصيل هذه التجربة مذكورة بإيضاح في كتاب «آفاق العلم الحديث» وهي في الأصل مقال نشر بمجلة المقتطف لأعوام خلت.

ولست أدري كيف يوجد في الشرق العربي أناس يزعمون أنهم مصابون بالثقافة الأوربية الحديثة، وأن علم دراية آخر نتائج العلم التطبيقي في أوربا؛ ومع ذلك يعيدون مثل هذه النتائج التجريبية التي انتهى إليها أوربا، ويعدونها من أضغاث أحلام الكتاب المترجمة! مع أن هذا الباحث ليس نظرية إنما هي وليدة التجربة والاختبار. ولا شك أنه ليس للإنكار ولا للنظر أن يتنازع في حقيقته، ما دامت التجربة تثبته؛ وهذا الموقف يذكرني جداً بتلك المحاولات الفاشلة التي كان يثيرها البعض أمام كل اكتشاف علمي جديد.

ولكن أرجو أن تمكنني [illegible] من الأسس العلمية التي تقوم عليها الكهرباء الحديثة قبل التعرض لها

الإسكندرية — إسماعيل أدهم

## [illegible]

من غلطات [illegible] يختص صاحبه به الشعر، وهو الغلط الذي يكون عند ما يختلف الأمر، ويصحب فهم المراد من الكلام؛ أما الغلط الذي لا يشعر به صاحبه فهو الذي يكون عند وضوح

المراد، وظهور المعنى غاية الظهور، ومن هنا خطأ الأخير، ووقع فيه الأديب الفاضل محمد رجب البيومي، فقد فهم فهماً معكوساً ما كتبته في معنى بيت الأعشى وإعرابه:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا

ومع هذا يتهمني بأن كتبه هذه المجلة التي لا يمس لها « الأستاذ عبد المتعال الصعيدي اختلافات ومباحث يصعب حصرها كثرة وعمقاً حرى » وقد اشتكوا من مثل ذلك الفهم للمكروه وذلك الاشتباه الظاهر، وفي النفس ما هو من هذا الرجل وأمثاله.

فقد ذكر حضرة الأديب الفاضل أن أبا الفتح أعرب (أرمدا) في بيت الأعشى حالاً مسنداً إلى أنه الأنسب للمعنى على مراده فيه، وإن هنا يكون (ليلة) في البيت منصوبة على الظرفية، ولا يكون مفعولاً مطلقاً كما يرى الأستاذ أبو رجاء نقلاً عن حذاق النحاة.

ولو تأمل الأديب الفاضل قليلاً في كلامي لوجد أن الإعراب الذي نسبه إليّ هو إعراب الأستاذ أبي رجاء، وليس هو إعرابي ولا إعراب حذاق النحاة، لأني أوضحتهم على إعرابهم، والذي خالفهم هو الأستاذ أبو رجاء.

ولو أنه تأمل أيضاً قليلاً في كلامي لعرف أن البحث في سياق إعراب ليلة على الظرفية وأرمد حالاً منها أن الأعشى لم يكن في مقام الشكوى من رمد في عينيه. أما الذي ذكره في سياق ذلك فخطؤه ظاهر أيضاً، لأنك ذكرت في بعضه أنه لا يتأتى اغتماض جفون العين وحدوث ملازمة السكرى في وجع ألم العين من الرمد، فأما أن ذلك لا يتأتى في حدوث ملازمة السكرى فصحيح، وأما أنه لا يتأتى في اغتماض جفون العين فهذا هو الخطأ الظاهر، لأن اغتماض العين من الرمد لا يمكن إنكاره، وهو الذي يمكن أن يراد في بيت الأعشى على الإعرابين، ويمكن أن يكون صحيحاً جارياً على التشبيه في إعراب النحاة، ونافياً من التقابل في إعراب الأستاذ أبي رجاء. أما اغتماض العين في السكرى فيمنعه من البيت كل المنع، ولا يمنعه من يجري إعراب ليلة على الظرفية. ويسعني بعد هذا إلى الأديب الفاضل ألا يهجم على الكتابة قبل التأمل، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

عبد المتعال الصعيدي

## عرب بني أمية – محاضرة للأستاذ محمد كرد علي

هذه هي المحاضرة الثانية التي ألقاها الأستاذ العلامة محمد كرد علي بك في دمشق، وقد كنا نقدنا في «الرسالة» محاضرته الأولى « كتبنا وزنا ألفت » التي ألقاها قبل شهور، وقلنا إنها محاضرة لا ترتيب فيها ولا استقصاء، وقال صاحب الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي إنها لا تزيد عن كتب مؤلفيه ... في كتابهم، فنشر هذه المحاضرة وبعدها من القوميين.

موضوع المحاضرة « عرب بني أمية » ألقاها الأستاذ في قاعة المجمع العربي الكبرى وحضرها جمهور كبير، وكثير من تلاميذه وطلاب ومعلمين وأساتذة، وفيهم وزير المعارف، ومن القادمين العائدين من تلاميذه « أخصى هذا العصر الشيخ عارفه » كما يقول الشيخ الطنطاوي. وكان المحاضر على مقربة من مدير المعارف العام معالي عبد الحسيب ...

بدأ الأستاذ يبحث لغوي عن كلمة « أمية » والنسبة إليها، وتصغيرها، ثم خطأ من يقول « أموي » بالفتح وصوّب من قاله بالضم، ثم انتقل الأستاذ فالطرف الساحق بحديث عن أنساب أمية، ... لأن الأنساب ليس كما يتحدث به إلى الناس في عصر ما، وذكر أنهم كانوا تجاراً، ومثّل شأن تجارتهم في تلك الأوقات، وقال إنهم « أدخلوا ... في دور دمشق، وأنهم عرب عرباء لم تحصل لهم العجم والروم ... »

وانتقل الأستاذ إلى أبي سفيان، فأفاض في ذكر أحواله في الجاهلية، وانتقل بعد ذلك إلى معاوية فذكر ما كان يعوله عمر وأتقاه. ثم عاد إلى أبي سفيان فذكر أن له الفضل بنقل الخط إلى العربية، وانتقل بعد ذلك إلى عثمان بن عفان، فقال إنه جمع القرآن، ولولاه لسكان القرآن اليوم ساقطاً، وأنه كان يكرم حرمة الشاعر النصراني ... وانتقل إلى خالد بن يزيد وذكر أنه أول من ترجم الكتب المنطقية والسريانية إلى العربية، وتحدث الأستاذ المحاضر عن أبي عمرو بن عبد البر فقال إنه أول من يعمرون الحديث.

ثم رجع الشهيري وقال « ولم يكن بنو أمية من التابعين لما استعملهم الرسول على الولايات، ولما اتخذ رسول الله أكثر العمال من بني أمية، وأنهم كانوا في الجاهلية أشداء، وكذلك كانوا في الإسلام »

وانتقل الأستاذ إلى معاوية فقال وأفاض، وأطال من حلمه حتى حسبنا أن المحاضرة قد انقلبت إلى محاضرة عن معاوية لا عن بني أمية. ذكر أنه غزا الروم (وعد وكل ما جاء من عمرانه)، وما اقتبسه من الأمم المجاورة من الأسس والنظم ...

ومنادماته من مجالس الوليد، وذكر استعماله النصارى والفرس في وظائف الدولة، وقال إن ابن سرجون كان وزيره للشؤون المالية، وأنه كان ذا عقل راجح، واستشهد على سعة عقله بخبر عبد الله بن قيس إذ أتى من «صقلية» أصناماً من الذهب فأخذها معاوية وأرسلها إلى الهند فباعها ... عنها. وقال إن معاوية حسن حال الحكومة، واستطاع بدهائه أن يأخذ الخلافة من علي وهو راضٍ، ومن أبنائه وهم راضون ... وأنه أول من وضع ... للملك وأمر برفع الحراب بين أيديهم، ونظم الحرس، وأصلح الجند ورتبه، ووضع البريد، ونظم التجسس إذ عين صاحب الخبر (أي مأمور الاستخبارات)، وأوجد في مصر رجلاً كان يطوف على الناس كل يوم ينادي: من ولد فيكم ولد، ومن ... فيكم حادثة، فيأتون ... ويكتب اسمه.

وقال الأستاذ إن معاوية كان يعتمد على العطاء ثم الإقناع والإرهاب، ... هذه الأسباب كلها إلى القسر. وذكر إسرافه في الأموال لمساكنة المعارضين والناقمين، واستعماله الشعراء والقصاص ... الخ

ويترك الأستاذ معاوية ويأتي إلى عمر بن عبد العزيز فيذكر ورعه وتقواه وعفته وتقشفه

ثم قال: «ولقد كانت دولة الأمويين دولة عربية صرفة تكثر مظاهرها ...» (والحق أن هذا القول ينطبق على أيام معاوية ؟!)

ثم ذكر مروان بن محمد الملقب بالحمار (ولم يذكر الأستاذ لقبه) وقال إنه كان على جانب عظيم من العقل، وانتقل إلى ذكر قصر الحير الذي بناه هشام في الشام (والذي كشف أخيراً خارج حمص من جهة البادية، ووضع في متحف دمشق الأثري)

وجعل الأستاذ من مميزات معاوية جعله الشام «جمعية أمم» فله وجب بالنصارى واليهود والسريان والروم والسود والبيض والحمر والسمر ... إلى ما هنالك من شعوب وأمم، ثم انتقل إلى ذكر ولاة بني أمية، فأشاد بمناقب الحجاج وأكبر أفعال موسى ابن نصير وغض عينيه عنها ...

وقال الأستاذ: إن مروان كان آخر رجل مع بني أمية، لأنهم ظهروا له بعد البحث والمراجعة ... الهوى. وقد حاول الأستاذ أن يكتب ما نسب إلى بعضهم من الأمور التي لا تشرف

وختم الأستاذ محاضرته بصيحة ... بني أمية ... وعلى أحسن حال المحاضرة هذه الأسباب التي عمم بها الأستاذ محاضرته

فأحب للمستمعين، ولو ... طرباً ونشوة

... على المحاضر فحسب في هذا الاستطراد، والقارئ ... هذه الاضطراب وهذا التفكك الذي فيها ... عدم الترتيب والاضطراب في السرد من كثرة محاضرات الأستاذ في هذه الأيام؛ على أنه لا ننكر أن هذه الأخطاء التي ذكرتها ... الأستاذ ... على معرفة ... وسعة اطلاعه، وهذا ما عرف به الأستاذ. ونحن وإن كنا ننكر عدم الترتيب وذلك الاضطراب، وهنات نحوية بسيطة، فإننا نعجب بالأستاذ ونقدره، ونقدر الأبحاث التي عمم محاضرته بها

«دمشق» (ص ... م)

## توفيق الحكيم في نظر كاتب أوربي

كتب المستشرق المجري الأستاذ جرمانوس أستاذ التاريخ بجامعة بودابست فصلاً عن الأستاذ توفيق الحكيم في كتاب نشر بالألمانية حديثاً بعنوان «الله أكبر» نقتطف منه ما يلي:

يميل اليوم كثير من الكتاب المصريين إلى استخدام اللغة الشعبية والتعبير بها عن كل ما يريدون التعبير عنه ... ولكن الكتابة بهذه اللغة اعتبرت بدعة جريئة ... حر ويستطيع بفضل ما أوتيه من موهبة أن ينفذ ... ومن هؤلاء المفكر الحر توفيق الحكيم

درس توفيق ... في باريس ... هناك ... ثم عاد إلى القاهرة يشغل منصباً رفيعاً في وزارة المعارف، ونشر حوله ظلال أفكار ... أراد أن يكتب كما يحس ويتكلم، ثم نقل كل شعوره وإحساسه الفكري إلى العربية مباشرة

اقتبس توفيق الحكيم موضوعاته من تقاليد الإسلام، ووفق في تمثيل خيالاته على أحسن صورة؛ ولكن الشكل والأسلوب جديدان تماماً. وهو يصف أسطورة شهرزاد بأسلوب حواري أقرب ما يكون إلى البساطة والرصانة في الوقت نفسه. وهو يعرف ... كيف ... في موقف من ...

وقد قال لي توفيق الحكيم في إحدى محادثاته: «ليس في وسعي أن أكتب إلا في جو حريته» والواقع أنه بشخصيته ... ودقة أملاته، يمثل لنا الكاتب الشرقي في أحسن صورة

ثم أردف توفيق قائلاً: «إنني أحس أن ... إن شعوري مترتب،

علي الطنطاوي وكتابه

# في بلاد العرب

## بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

.. وها هو ذا الطنطاوي يخرج كتابه الجديد بعد تردد، وها هو ذا يلقي نفسه بين أيدي أهل النقد ينال منه ما ناله من نقد جارح وتقريظ ناعم، ومن تهجم لاذع ومداعبة لينة ويرمي بكتابه إلى الناس يقرأونه وينشرونه، ثم يشكرون في مديحه أو ينكرونه، ثاراً مديحاً لهم، ينالونه بالتقريض. فلنقض بعض مع هذا الناس ونمتع هذا الكتاب كما يلذ الطائر الأرض ليلتقط منها حب وزرع. ويتحدث الناس عن الطنطاوي الذي يخشى الناس نقده يحاورون على أنفسهم منه، ويتمنى بأنفسنا عن يده

وعكري مقتد. ولكن يحسب في نفسه هذا الشكر ورده على الورد بلفته التي أوردها، بأن الفكر والشعور يتحسسان عندنا نحن لا نملك بعد لنا صورة ولا لنا حياة أدبية صحيحة. إننا نعرف من الماضي طعاماً قد شرب السوس إليها من قرون لأننا قد تعودنا تسوق طعم اللحم الطازج. لهذا الشعب أميل إلى المذهب القديم لأنه لم نشبع بعد ولا نزال في طرب وسذاجة فلعل الشعب يعصي»

صديقي القارئ، حقاً اليوم لا يجمعك ويفرقك عن غيرك سوى بعض المستشرقين الذي في وسعهم مطالعة أعمالك وفحصها على وجه صحيح. وكذلك فئة قليلة من المصريين المثقفين؛ ولكن صبراً ستتطور أذهان الجماهير، وستضمر ثم تنفتح أسنان جديدة ويومئذ يقبلون على التهام آثارك الأدبية الشهية

ثم يتكلم الكاتب بعد ذلك عن شهرزاد وأهل الكهف وعودة الروح وعبقرية محمد، ثم ختم مقاله بقوله: ومهما يكن من شيء فإن الذي أحتفظ وأرى به أن توفيق الحكيم يستحق مجهود الفكر العربي، ويقدر جهوده الفكرية من نشرها ورفعها إلى وجهه الصحيح لييسر التذوق الفني في مصر نحو سنة الأداء.

يتحدث عنا ما يشاء. فقد وجدت طريقاً، وكيف لي أتعبه كثيراً. ولكن كيف وفي كل مرة أتعب أخرى، أما وقد أخرج الآن كتابه فلن أتعبه، أنّى يتشبه بين يدي، وأصبح كتابه بين عيني. ترى أآمن صديقي على نفسه بعد ما أهدى إليّ كتابه وسألني أن أكتب عنه ما أشاء!

لقد عشت يا صديقي مع كتابك هذه الليالي الطويلة التي ... بها هذا الشتاء الزاهد، وكنت أقرأ فيه وأسمع تلك النسمة الحزينة تارة والطروب أخرى التي كانت تنسال من سطورك وكلماتك، فتهيج حسي كما أهاجته تلك النسمة التي كان يحدثها المطر وهو يقرع زجاج النافذة، ويتساقط على أوراق الليمون والبرتقال التي حول البركة المنوية ويرقب السحاب المنثور حتى إني استمعت إلى سمعي حزينين ... ماشي ... وسمعه المطروقة تحت الأوراق ... ثم خرجت من الكتاب وأنا أحسبني نشوان، طروب منتشى فاسمح لي يا صاحب الرحلة أن أتحدث عما رأيت وما سمعت

لقد قرأت قولك في مقدمة الكتاب إنك كنت في حرب مع الحياة؛ ... وكيف أنكرته، فقد أحببت الشام أن ... الخاص ... الفريد ... فما رأيت ما رأيت ... دمشق ... مصراً ... أبداً ... الأماكن والناس ... وأحسست ... في دار العلوم طالباً وكلية الآداب ... وفي «الفتح» و«الزهراء» كاتباً ومحرراً، ... الخطيب ... ثم جئت ... وعرفت الطريق إلى وطنك، ... إليه ستعرف ... ومررت ... عليك ... وخرجت من بلدك تتخذ الطريق ... الأعراب، ثم ... الحجاز وعبرت الصحراء، ثم ... إلى بغداد، ثم رجعت إلى دمشق وإنا ... يذكرون بلك مرة أخرى

فلك لأنك من هذا البلد ... والآن هذا البلد قد اتخذ ... أنباؤه ...

صبراً يا بني ... !

فتلك شيمة أبنائك .. يكرمون الغريب ولو كان جاهلاً، ويتنكرون له ... في ... ويؤذونه

على أنفسهم [illegible] ويعرفون [illegible] من المشروع [illegible] بشكل صحيح ، ولكنهم يسمعون عنه ، ويتمنون لاستقلال عربي آخر .

نعم ، تلك طبيعتك وشيمة أمثالك يا بني ..

* * *

ولقد أعجبني أنك ظهرت في كتابك أديباً حقاً ، يحرك كل شيء ، ويحن إلى كل شيء — والأديب الحق من إذا رأى شيئاً أثر فيه ، حرك نفسه ، ودفعها إلى الكتابة . لقد طوفت في ربوع الشام — فحركت نفسك روائع دمشق ، [illegible] الناعمة التي تمتد على أطراف الصحراء ، [illegible] ويحرسها قاسيون الجليل بنفسه ، والتي يسعى إليها الملوك ليتمتعوا بنظرة منها ، ويستنشقوا عطرها .. فوصفت ما رأيت [illegible] من تلك الروائع ولم يصفوا [illegible] ثم ذهبت إلى العراق ، فرأيت [illegible] وذكرت الماضي المجيد [illegible] على شطآن دجلة [illegible] في جنات بغداد ، فقلت فيه ما قلت ، ثم أريت الفردوس حيث [illegible] فلما رأيت الأرض [illegible] ثم [illegible] من رأى ، فهاجت شجونك [illegible] وأنت في كل مرة تكتب و[illegible] ثم ذهبت إلى الحجاز — فذكرت محمداً سيد العالم — صلوات الله وسلامه ، ورأيت النور ينبثق من جانبك [illegible] مهد الدين [illegible] على الماضي [illegible] ولا [illegible] ويستبدلون [illegible] ثم ذكرت المتنبي وأيامه ، [illegible] الشعر المطروب والغناء الراقص والحب [illegible] ثم ذهبت إلى بيروت [illegible] على [illegible] البحر الحبيب ، [illegible] في [illegible] رأيت في كل [illegible] ذكرى ، وفي كل [illegible] حنين وطرب ، وفي كل مرة [illegible] قطعة من قلبك [illegible] منه [illegible]

فقل لي ما بقي من قلبك يا صديقي !

لقد تركته هنا وهناك [illegible] في بلاد العرب ، فكيف [illegible] بدون قلب ؟ وكيف تحيا بدون فؤاد ؟

* * *

ومزية أخرى أعجبتني ، ذلك أنك لست أديباً فقط ، ولكنك أديب إنساني ، والأديب الحق بنظرتنا يا صاحبي [illegible] أن يعيش أديباً [illegible] يجب أن يكون مثله في [illegible]

وحاضرها ، وأن تبدو في كل أديب مظاهر [illegible] وشعورهم وعواطفهم [illegible] ويجمع هذه الأدب كلها الأدب العربي في القرن العشرين ، كما ألف الأدب العربي من قبل أدب الشام وأدب العراق ، وأدب الأندلس [illegible] أدباء الشام في أيامنا ، ومن ظهر فيه أثر الشام [illegible] ومهبط الشعر ، وينبوع الإلهام ، [illegible] ؟

أين من وصف سورية الجنة الموعودة ؟

وأين من كتب عن [illegible] أم الأطفال ؟

وأين من أثار ذكر الوطن ، فحكى آلامه ، [illegible] ومنى إليه ؟

أين الأدب الذي يبدو فيه [illegible] عند [illegible] ومطامحها في الأمن والسلم ؟

أين .. أين ..

كل ذلك لن تجد منه إلا قليلاً واحداً عند أدبائنا كلهم أما أنت — فعندك كل شيء — فأنت كاتب « كاتب الوطن »

* * *

ولست في كتابك أديباً دمشقياً ، ولكنك أديب عربي [illegible] إنك لم تنس العراق فأشدت بأيامه الغوالي ، [illegible] ووصفت [illegible] ثم ذكرت فلسطين فوصفت [illegible] وجبالها وجبل [illegible] ثم وصفت مصر [illegible] وكتبت عن الحجاز [illegible] وحاضرها .

فيا أهل الشام

إذا أردتم أن تسمعوا الأغاني التي غنيت في بلادكم وتعرفوا [illegible] ربوع [illegible] فاقرأوا هذا الكتاب

ويا أهل العراق

إذا أردتم أن تسمعوا أناشيد حب لبلادكم ، [illegible] فاقرأوا هذا الكتاب

ويا أهل مصر

إذا أردتم أن تعرفوا شيئاً عن هذه البلاد العربية ، وتروا ما فيها من جلال وجمال وما أصابها من ألم [illegible] وتسمعوا أقاصيص هذه البلاد التي [illegible] إليكم فاقرأوا كتاب الطنطاوي لشاعر الشام العربي : « في بلاد العرب »(1)

( دمشق )    [illegible]

(1) [illegible] هذا الكتاب [illegible]

العـــدد ٣٤٤ — القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٤٠ — السنة الثامنة

# الحياة جميـــلة ...

الحياة جميلة، ورب بشرٍ جاهلا من هذا الحيوان الذي يسمى الإنسان! لم يعش فيها كما يعيش سائر الأنواع على رسم الفطرة وهَدْي الطبيعة ووحي الله، وإنما عاش على موازين من وضعه استمدها من أثَرَته وكبريائه وهواه، فكان شراً على نفسه وحرباً على غيره.

ربما اقتتل الوحش والوحش أو الطير والطير في سبيل القوت أو الفحل، ولكنه اقتتال الساعة لا يسبقه تدبير ولا يصحبه حقد ولا تلحقه جريرة. أما الإنسان فهو وحده كثير السلام [illegible] حياته. أحيا لنفسه بعقل ذكراً ماضياً يحمد الثأر، وعلى نفسه بعقل بصيرة مستقبلاً يحمل الحروب، فكان حاضره بينهما قتالاً مستمراً لا ينقطع ولا يفتر، إما دركاً لثأر الأمس الذي يذكره، وإما كسباً لقوت اليوم الذي يبصره، وإما درءاً لخوف الغد الذي يتصوره.

* * *

الحياة جميلة، وأجمل ما فيها الحب الذي يحرك هذا الجمال ويجدده ويسترعيه ويكشفه. فالطائر أجمل من الروض لأنه يعرف كيف ينقل الجمال على ريشه، ويجمع ألحانه في صوته. والإنسان أجمل من النبات لأنه استطاع أن يجمع [illegible] في وجهه، [illegible]

الفهرس

في منظره ، والظل أجمل من الصحراء لأنه اندمج فيه صبر جيشها في حركته وصور دبها في أرجائه ، والبحر أجمل من البحر لأنه قطعة من الحياة سبحت من لين سطحه وشدة موجه وسرعة تياره ، وكأنها بحركة الطبيعة ويسايرها ويجاور به كل شيء من الخلق وصاحب إلا هذا الإنسان ، فقد خرج عن سنة الله في خلقه حتى احتبسه الأحياء والرسل والمدارس والكتب ، وعليهم أن يجعل النور حين الضرورة ، ويبلغ الصوت أذن الأصم

• • •

الحياة جميلة ، وليس جمالها قصراً على قوم دون قوم ، ولا على طبقة دون طبقة ، إنما الجمال وحده الفن الإلهي أشاعه الله في الأرض والسماء ، وهيأ المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به من كل ذي سمع وبصر وقلب ووجدان في كل منظر وأحسه في كل حالة ، هؤلاء الذين يمرون عليه وهم معرضون عنه قد فسدت فيهم طبيعة الحياة ، وذهبت فيهم ملكة الحس ، فانقطع ما بينهم وبين الوجود الحي والوجدان الصحيح

إن الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحياة وبقاء النوع ، يجمع به ما تشتت ويؤنس به ما نفر ، وهو يعد ذلك سرور النفس ونور القلب وسلام الروح ؛ فمن علامة في صورة الطبيعة والمتوزع في السكون كأن له منه في كل زمان نصيب وفي كل مكان ربيع

• • •

الحياة جميلة ، ومظاهر السرور يجهلها المرح والبهجة ، فأين من الجمود والكآبة تلك الشرور التي أدركها الكلال أو أسداه الشح أو أفسده الشره فيموت به الرجل ، أو ينعكس عنه الجمال ، أو يقلب عينه الكبر ؟ الجمال في الطبيعة لا بد أن يجاوبه جمال في النفس ، والصفاء في الجو لا بد أن يساوقه صفاء في القلب ومن هنا يستحسن الجمال والصفو ذوو الحس اللطيف والضمير الطاهر

كل حياة في جمال في كل شيء حتى في الشماتة ومتى استلأت بواعث الشركة بحسنه وسأله عن الوجود في محركه ، وساح البر في فلكه ، وسبح إلى عالم الجمال في الليل والحرور والربيع تشدوت مع الطير ، وطربت مع الرواقي ، وسبحت مع السالكين وستعلم أن طلاب الأعباء في البر وتشاكيم في الشطآن ، وتقول لهم : إن السعادة بالجمال أصناف السعداء بالمال ؛ والمال لكم تجدونه عليكم ، ولكن الجمال لله تجدونه على الناس

الحياة جميلة ، وأنت بالإسكندرية وأمامك البحر ، ثم ترى منه وجهك وترسل فيك نظرك وتقف إلى البحر المطمئن ، وهم يلعبون بالقنص ، أو يرحلون على البعيد ، أو يسبحون بالسباحة ؟ إنك في الشاطئ وصواحبها من أطفال العمر والتسع الشائع ما يكشف ثورتك على الحي ، وبما سمعت عن الحياة هنا هو النيل الجليل يجري بين ضفتيه الخضر ، ويكسو على سواحله القلوب ؛ أين الذي يمنع جمهور الشعب أن يطلب أمواجه الجاذبة ، ويتنفس منه النسيم ، ويقيم على شاطئه مهرجانات السباق ومسارح اللهو ؟ إنك تمر على النيل في أي ساعة شئت من النهار أو الليل فتحسه من السكون العميق على عادته وماؤه يجري في أعماق الأرض ، وإلا أن منه حسوراً لا ينقص من عبوره إلى الشاطئ ؟ الفرق لمن ذكره الفاتحون إلا كما يذكرون القطر !

إن مسيرة الكسل والرتابة والخمول والانحصار في عيشة تتسم دون طلاقها البهجة في النيل والحرور ، حسب الناس في كوخ المستنقع والعلالي في سكون المقبرة ، وذلك نرى الناس يمشون على جنباته أو بين عدائه مطرقين ساهمين كأنهم في عمل التأمل أو في مقام العبرة .

• • •

الحياة جميلة ، ولكن جمالها يقتضي أن يكون لنا رجال الهو يمسحون عنا كآبة الحياة ، ويرفعون أذواقنا الجميل ، ويبثون فينا السرور ، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية ، والمهرجانات الوطنية ، والمساجلات الشعرية ، والملاعب العامة ، والمواكب الشعبية ، وليس أقدر على هذه الزعامة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية ، فإن هذا الذي ذكرنا داخل في مناهجها ومطالبها ، وهو يقتضي أن يكون عونها أميلاً من أمراض وزارة المعارف للطالب ، فإن سياسته في حرم الشباب قائمة على تقوية رجولته وشجاعته بالعسكرية ، وتربية خلقه وروحه بالرياضة

# قصة سامراء

## للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

قصة مدينة سامراء من أغرب وأمتع قصص المدن في التاريخ. «قطعة أرض قفراء» على ضفة منخفضة من نهر دجلة «لا عمارة بها ولا أنيس بها، إلا ديراً للنصارى» تتحول — في مثل لمح البصر — إلى مدينة كبيرة، لتكون عاصمة لدولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ، في دور من ألمع أدوار سؤددها... تنمو هذه المدينة العجيبة وتتسع بسرعة هائلة، لم ير التاريخ مثلها في جميع القرون السالفة، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة، إلا في القرن الأخير — في بعض المدن التي نشأت تحت ظروف خاصة — في بعض الأقسام من العالم الجديد.

غير أن هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة؛ لأن المدينة تفقد «صفة العاصمة» التي كانت «علة وجودها وطول كيانها»، بعد أن تبقى نصف قرن على [illegible]، فتأخذ في الإقفار والاندراس بسرعة هائلة، لا تضاهيها سوى تلك السرعة الخارقة التي كانت تجري بها نشأتها وتوسعها.

وبعد أن كان الناس يسمونها باسم «سر من رأى» أخذوا يسمونها باسم «ساء من رأى». وبعد أن كان الشعراء يتنافسون في مدح قصورها، أخذوا يستغرقون في رثاء أطلالها.

فبعد أن قال ابن الجهم في وصف أحد قصورها:

بدائع لم ترها فارس ... ولا الروم في طول أعمارها
صحون تسافر فيها العيون ... إذا ما تجلت لأبصارها
وقبة ملك، كأن النجوم ... تفضي إليها بأسرارها

رثاها ابن المعتز، بقوله:

قد أقفرت سر من رأى ... وما لشيء دوام
فالنقض يحمل منها ... كأنها آجام
ماتت كما مات فيل ... تسل منه العظام

وفي الواقع، ماتت سامراء ميتة فجائية بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن، وأصبحت رسوماً وأطلالاً هائلة، تمتد اليوم أمام أنظار الزائر، وتتجول تحت أقدام السائر إلى أبعاد شاسعة لا يقل امتدادها عن الخمسة والثلاثين من الكيلومترات.

عندما يتجول الزائر بين هذه الأطلال الواسعة الأطراف، ويتأمل في السرعة العظيمة التي استلزمتها نشأة سامراء وتوسعها من جهة، وإقفارها واندراسها من جهة أخرى، لا يمالك نفسه أن يسأل عن العوامل التي سيطرت على حياة هذه المدينة العظيمة، وسيجد عندئذ جوابه بهذا الشكل التقريبي:

إن العوامل السياسية التي لعبت دوراً هاماً في هذا المصير، لم تكن كبيرة التعقيد؛ بل إنها تتجلى لنا بكل وضوح عندما نلقي نظرة عامة على أهم الحوادث التي وقعت في عهود الخلفاء الثمانية الذين تولوا على أريكة الخلافة العباسية في سامراء.

كان الخليفة المعتصم — وهو ابن هارون الرشيد — مقدماً كل [illegible] في إدارة البلاد؛ فيرى أن يستند على جيش من الموالي والمماليك، فيكثر من شراء الغلمان — من بلاد الغرب والشرق — وعلى الأخص من بلاد ما وراء النهر؛ فيه يكون جيشاً مطيعاً يعين على إرادته في الحكم. غير أن تكاثر عدد هذا الجيش الغريب في العاصمة القديمة — بغداد — وازدحام السكان، يؤدي إلى حدوث بعض الوقائع بين العساكر والأهلين. فيقرر الخليفة إزاء هذه الحال إنشاء عاصمة جديدة — بعيدة عن القديمة — ينقل إليها عساكره وقواده ووزراءه ودواوينه وكتابه وأتباعه، ويدعو الناس إليها، ويقطع كل من جاء على حسب ما يقتضيه له؛ ليوطد دعائم سلطته من جهة، ويزيد جلال عاصمته من جهة أخرى.

يمضي الخليفة في تحقيق فكرته هذه بعزم قوي وإرادة حازمة، فينتخب موقع سامراء، ويبدأ بالتعمير والتخطيط، ويؤسس عاصمته الجديدة هناك، على أساس القطائع المنظمة، فيجعل كل مجموعة من القطائع قائمة بذاتها، مستقلة عن غيرها بمساجدها وأسواقها وحماماتها.

و«يفرد قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً، ويجعلهم معتزلين عنهم، لا يختلطون بقوم من المولدين»، و«[illegible] من التجار حتى أنه [illegible] أن يشتري لهم الجواري، فيزوجهم منهن، ويمنعهم أن يتزوجوا ويصاهروا أحداً من المولدين، إلى أن ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم من بعض».

لا شك في أن هذه الخطة كانت تنطوي على فكرة سياسية خطيرة، بل كانت بمثابة تجربة اجتماعية جريئة؛ كما لا شك في أن التدابير التي اتخذها المعتصم في سبيل تنفيذ هذه الخطة كانت

دقته وحزمه . ومع هذا فإنها لم تأت بالفوائد التي كان يرجوها منها ، بل جلبت إلى خاتم متاعب الأصناف التي كان قد دعا إليها ساكنيه مدة . ونستطيع أن نقول إن المعتصم كان قد صعب عليه بشكل شيء من هذا التعب غير شيء ، وهو الشعور الذي يحدث في نفسه الجيش — بطبيعة الحال — عندما يشكون أن لم يؤمنوا من الغرباء ، ولو كانوا في الأصل من الأرقاء .

أراد المعتصم — بخطته هذه — أن يتخلص من متاعب الأهالي ، غير أنه لم يدرك أن هذه الخطة ستؤدي — عاجلاً أو آجلاً — إلى جعل الخلافة ألعوبة في أيدي الجنود الغرباء وقوادهم الطامعين .

وقد حدث فعلاً ؛ فلم تمض عشرون سنة على وفاة الخليفة المعتصم الذي وضع هذه الخطة وشرع في تطبيقها ، حتى ساقت سيطرة القواد ووصلت بهم الجرأة إلى قتل الخليفة المتوكل قتلاً فظيعاً ، وبعد ذلك كانت الأحداث والاضطرابات وأدت إلى قتل الخلفاء وخلعهم ثلاث مرات متواليات خلال عشر سنوات ، إلى أن تولى الخلافة المعتمد ، وبعد أن بذل بعض جهوده في سبيل توطيد دعائم ملكه في سامراء نفسها رأى أن يقضي على هذه المحاولات كلها ، بغير أن يترك سامراء ، وأن يعيد كرسي الخلافة إلى بغداد بصورة نهائية .

ولذلك نستطيع أن نقول إن الخطة السياسية التي وضعها المعتصم — والتدابير الاجتماعية التي قام بتنفيذها لهذه الخطة — انتهت بفشل تام .

غير أن قصة هذه المدينة العجيبة ، إذا انتهت من الوجهة السياسية بمثل هذا الفشل التام ، فإنها تختلف — من الوجهة العمرانية — اختلافاً كبيراً ، وتحتل مكانة عظيمة في تاريخ الفن والعمران تستحق الإجلال والإكبار .

إن إقدام الخليفة المعتصم على تأسيس عاصمة جديدة كان في عصر من عصور الخلافة العباسية وعظمتها ! فكان من الطبيعي أن تتمثل في هذه العاصمة تلك القوة والعظمة أحسن تمثيل .

إن الأراضي التي اختارها المعتصم لتشييد المدينة الجديدة ، كانت منبسطة وواسعة ، ولم يكن فيها من المباني القديمة ما يعرقل تخطيط المباني الجديدة ، ولا من الدور والأملاك ما يحول دون ذلك التخطيط ؛ فاستطاع الخليفة أن يقطع القطائع كبيرة مربعة ، ويمد الطرق فسيحة طويلة ، وسيستطيع أعلام أن يوزعوا فيها القصور ، ويمدوا الشوارع ويرسموا الأبنية .

إن المملكة التي كان يملكها الخليفة المعتصم كانت غنية وكثيرة الموارد جداً ، فكان في استطاعته أن ينفق أموالاً طائلة لتشييد القصور والمساجد ، وسائر المرافق العامة ، كما يكون في استطاعة أبنائه من بعده أن يستمروا على الإنفاق في هذا السبيل بدون حساب .

إن المملكة التي تبوأ كرسيها المعتصم كانت فسيحة الأرجاء مترامية الأطراف ، فكان في إمكانه أن يجلب أمهر البنائين والنقاشين وأمهر المهندسين والفنانين ، من جميع أنحاء مملكته العظيم ، وفي استطاعته أن يجمع تحت تصرف هؤلاء كل ما يطلبونه من مواد الزخرفة والبناء ، ولو كان مما يجلب جلباً من بلاد بعيدة .

إن اجتماع كل هذه العوامل الفنية بهذه الوجوه الملائمة ، سيفسح أمام المهندسين والفنانين مجالاً واسعاً للعمل والإبداع ، وستتصف العاصمة الجديدة بأوسع القصور وأجملها ، وأعظم المساجد وأبدعها .

وكان من الطبيعي ألا تقف هذه الحركة الإنشائية عند حد القصور والمساجد وحدها ، بل تتعداها إلى الدور والشوارع والبساتين أيضاً ؛ لأن المعتصم لم يقصد — بعمله هذا — إيجاد « مقر خلافة » و « معسكر جيش » فحسب ، بل كان يقصد — فوق ذلك — إيجاد « عاصمة ملك » بكل معنى الكلمة ، إنه أراد إنشاء عاصمة جديدة ، تضاهي بغداد في السعة والعمران . فكان من المحتم عليه أن يستقدم جماعات كبيرة من الناس ومن أصحاب المهن — على اختلاف أنواعهم وأصنافهم — وأن يقطعهم الأراضي ، ويجري لهم العطايا ، ويحثهم على البناء . وكان من الطبيعي أن تتولد من جراء ذلك حركة إنشائية واسعة النطاق شديدة النشاط .

غير أنه من البديهي أن بناء الحوانيت والدور لا يمكن أن يحاكي بناء المساجد والقصور . فإذا كان في استطاعة الخلفاء وفي مكنة الأمراء أن يزودوا المهندسين والفنانين بكل ما يطلبونه من المعدات ، لم يكن في إمكان الناس أن يقتدوا بهم في هذا المضمار ... ولهذا لم يمكن لغير المساجد والقصور أن يبنى ما يبنى بالمواد الرخيصة — ولو كانت كثيرة التكلفة — وأن يبنوه بأجل المواد الأجرية — ولو كانت باهظة الثمن — لم يكن

معقولاً ليطلب الصور أن يقتصروا على شيء من ذلك ، بوجه من الوجوه . بل كان عليهم أن يجتهدوا في إيجاد الطرق والأساليب التي تضمن البناء بأقل ما يمكن من النفقة وأعظم ما يمكن من السرعة ، دون أن يحيدوا عن مقتضيات الطرافة والجمال .

كان يجب عليهم أن يستعملوا المواد الموجودة في محيطهم ، ويظهروا قوة ابتكارهم في كيفية استفادتهم من خواص تلك المواد في الزخرفة والبناء . ومن حسن حظهم أن الطبيعة في ساحاتهم كانت مساعدة على كل ذلك مساعدة كبيرة .

لأن موقع المدينة رفيع من الجهة الأخرى بعض الارتفاع ، والطبقة الترابية فيه تكون قشرة قليلة السمك تستر طبقة صخرية ؛ فالأرض لا تتعرض لخطر الغرق حتى في أشد حالات الفيضان ، كما تبقى مصونة من الرطوبة على الدوام . وهنالك مقالع طبيعية واسعة تساعد على صنع الجص جيد وهنالك أتربة كلسية كثيرة تصلح لتحضير الملاط القوي . من استطاعة البنائين أن يستفيدوا من هذه الوجوه الساعدة ؛ فإنهم يستطيعون أن يبنوا أسس الكبيرة بالجص دون أن يخشوا تأثير الرطوبة والمياه . كما أنهم يستطيعون أن يصنعوا منه تلك الأبنية باستعمال الجص بلاطاً لاحماً بين قطع اللبن وأسوالها ، ويسقفوا الطرق بالآجر أو بالطوب المصنوع من الجص . وأخيراً يستطيعون أن يصبوا رواقه على البناء طلاء المجرات الجص ، كما يستطيعون أن يزخرفوا هذا الطلاء بالنقوش أو بالنقش والحفر .

إن هذه الزخرفة يمكن أن تعمل خلال البناء كما يمكن أن تعمل بعد إتمامه ؛ والقشرة الجصية التي تتكون عليها هذه الزخارف يمكن أن ترفع بسهولة ، كما يمكن أن تعوض بقشرة جديدة تزخرف بأشكال تختلف عن الأشكال السابقة .

إن الزخرفة في هذه الطريقة تكون رخيصة ، ولذلك تتم بسهولة . فكل واحد من أصحاب الدور يستطيع أن يزخرف بعض غرفه بقدر ما تسمح له موارده ، كما يستطيع أن يتم الزخرفة في الغرف الأخرى متى سمحت أحواله المالية ، أو يستبدل بها غيرها متى شاء وأراد الأبدع والأكمل منها .

وبهذه الأسباب كلها سيكون أمام الفنانين مجال واسع للعمل في هذا المضمار . إذ هنالك عشرات الألوف من الدور يطلب أصحاب زخرفة لتلك الألوف من غرفها . ومن الطبيعي أن هذا الطلب الشديد المستمر سيؤدي إلى تنشئة جماعة كبيرة من الفنيين الماهرين في الزخرفة ، وسيحملهم على التسابق في طريق التفنن والإبداع على الدوام .

وهكذا كان من الطبيعي أن يحصل في سامراء نمط الزخرفة الجصية تطوراً كبيراً ، ويولد طرازاً خاصاً مع أشكال لا شبيه ولا حصر ، فيرتبط اسم سامراء — في تاريخ الفن — بالطراز الخاص من الزخرفة . وهكذا صارت المدينة بجانب عظمة قصورها المشيدة ، وطول مسجدها الفسيحة ، واستطالة شوارعها المنظمة ، وبضارة بساتينها الجميلة ... بزخارف دورها الكثيرة .

كما كان من الطبيعي ألا يبقى هذا الطراز من الزخرفة محصوراً بسامراء وحدها ، بل ينتقل بواسطة جنود المعتصم وأخلافه إلى النواحي أيضاً ، وتخلف هنالك آثاراً مهمة في جامع ابن طولون من جهة ، وفي المنازل المهمة في العهد الطولوني من جهة أخرى .

لقد مضى على تخريب هذه المدينة العجيبة أكثر من عشرة قرون ... ، وما الآثار والأطلال الباقية منها إلى الآن ، تشهد دلالة حية إلى عزائم مشيديها المتقنة . ومن الغريب أن آثار دورها المبنية من اللبن والمزخرفة بالجص ، قاومت حدثان الدهر أكثر من قصورها المبنية بالآجر والمزخرفة بالرخام . والسبب في ذلك أن القصور تعرضت لتخريب الناس الذين اعتبروها بمثابة معدن تنهب منه المواد الإنشائية الصالحة للاستعمال ، في حين أن الدور سلمت من تخريب الناس ، ولم تتعرض لتدمير أحد غير أيدي الطبيعة والزمان ... ويظهر أن أيدي الإنسان قدرة على التخريب وهدم ما — أكثر من أيدي الزمان !

أبو خلدون

ديوان الصبيح بالمجان للأدباء

إذا كنت أديباً ، في مصر أو في الخارج ، فابعث بعنوانك إلى « خليل شيبوب ... رئيس الجامعة الشرقية ، بالمنيا » بمثابة الديوان مجاناً ، مع المشكر ... الشاعر المكين الراقي ! وهو مرفقة ... في كتاب كبير ... أوجد موضوعاً ... يتم ... أجوده والمعروف الشعر الوجداني الحديث

أرقى ... ٢٢ ... في الخارج ... — البريد

# ويسألونك عن القاهرة

## قل: القاهرة بغداد هرون وباريس اليوم

### للدكتور زكي مبارك

أكتب هذه الرسالة وقد هربت من ضجيج القاهرة في مساء العيد. وهل في شوارع القاهرة في مثل هذا المساء موضع لقدم من يريد أن يروّض قلبه وعقله على أحاديث القاهرة من مواكب السحر وملاعب الفتون؟

في دنيا من الغرائب والأعاجيب تسعد بها قلوب، وتشقى بها قلوب. وهل يعرف حلاوة السعادة أو مرارة الشقاء غير قلب تنطوي عليه أحشاء القاهرة في يوم عيد؟

يقال في كل أرض: إن النكتة المصرية هي أروع ما عرف الناس من صور الفكاهة. وهذا حق.

ولكن هل فكر أحد في أسباب هذه العبقرية؟

إن النكتة هي النافذة التي تشرف منها على صدوع القلوب والأرواح، ومن خلت حياته من النكتة فقد قضى عليه البلد في الأيام الهواجر التي لا ينعم بها ظل ولا يعتدل ميزان.

ولعل المقادير أرادت للقاهرة هذا الشعب المصري العجيب لقلوبه الدامية: القلوب التي صرعها الهيام بالحب والوجد فهي سريعة الفرار في صباح أو مساء.

قالت ليلى: أيكون فرارك من ملاعب القاهرة في مساء العيد دليلاً على أنك تشبه الطفل الذي يزهد في اللعب؟

قلت: وما حكم الطفل الذي يزهد في اللعب؟

فقالت: يرجع عليه الأهل، ويستقدمون له الطبيب، لأن الطفل لا يزهد في اللعب إلا وهو عليل.

فقلت: وأين أهل القلب العليل ليرجعوا عليه ويستقدموا له الطبيب... ؟ وعندئذ عرفت أن قلبي يعيش في الدنيا بلا أهل.

***

هنا القاهرة!

نعم، هنا القاهرة. ولكن أين تقع القاهرة مما يريد القلب المنظور؟ أين وهي أصل العلة التي روّعت الفؤاد وهو صبيح؟

كانت القاهرة في ماضيها مدينة محدودة النطاق، وكان لها أسوار وأبواب، وكان حراسها يغلقون أبوابها في ساعة أو ساعتين ثم يصعد رئيسهم فوق منارة ويصيح:

«ناموا، أيها المصريون، فأنتم في أمان»

فأين نحن من ذلك الأمان وقد أصبحت في حياة لا تطيب غير عدوان اللصوص على الحناجر والجيوب؟

يستطيع كل مصري أن يحرس ماله أو منزله أو متجره من سطوات الليل؛ ولكن أين الأمان من عدوان الشياطين، شياطين الغرائز والخواطر والعواطف؟

من يضمن لك الأمان في مدينة مثل القاهرة وهي اليوم مدينة عالمية تصطرع فيها المذاهب والآراء، ولا يغمض فيها جفن إلا وهو مروّع بقلب ساهر لا يعرف السكون إلا يوم تقضي عليه المقادير بالموت؟

من يضمن لك الأمان في مدينة مثل القاهرة وأنت من أعدائك في حرب، ومن الإخوان في قتال، ومن الزملاء في صيال؟

يجب أن تعرف أنك في دنيا جديدة لا تسلم من سطوتها وشرورها إلا من صدمات المقادير بالصبر على ما في القاهرة من اصطراع العواطف واصطخاب الأهواء.

هل أنت من الصابرين؟ وكيف تصبر عن القاهرة، وهي تعيش في دمك وروحك أنفاس من سحرها المعشوق؟

ألم تسمع ما وقع يوم أقيمت مباراة الأناشيد العسكرية؟

نظمت الحكومة مباراة نشيد ولم تختر منه نشيداً، فقال الناظرون: هذا شاهد جديد على أن دولة الشعر يكثر فيها الأدعياء!

وكان ذلك لأننا نعيش في القاهرة مدينة الأناقة والفخامة والزخرف والبريق؛ وفي مثل القاهرة تُلهب العواطف وتُطفأ القلوب. ولا عجب حين أن ينسى الحكمون ما في تلك النزوة الشعرية أو الفطرية من الدلالة في مزدحم الأناشيد ونهاية العصور؟

مباراة نشيد؟ هون عليك، أيها الناس، أن القاهرة فيها مباراة قلب، وذلك سر عظيم. ولكن أين من يقيم الميزان لتطورات القلوب وهي لا توزن ولا تقاس ولا تكال؟

وهل يثق في الدنيا المتحكم غير أصحاب القلوب؟

***

هنا القاهرة!

نعم، هنا القاهرة. ولكن أين مكان الأديب في المدينة التي أصبحت عاصمة الشرق؟ أين مكان الأديب في القاهرة وقد شغل عن الأديب سادات القاهرة عاصمة الشرق؟ وهل عرفت ليل لا يحمل أعباء قلبي؟

أين مكان الأديب في القاهرة ، ومن هو قلبه نبضاً لوطنها الحديث؟ بل أين من تسمح له القاهرة بأن يحول إحدى مواطن عيونه؟

إني وإياها كمتقد بالنار تحرقه ويهجرها

هنا — في القاهرة — زاد المطرب والغريب والمواطن والأجنبي ، فأين مكان الأديب ؟ القاهرة يؤذيني ما أراه هناك يصعد في القدم وهناك يرقص في الحديث !

زرت حديقة الأزبكية في صباح اليوم وهو يوم عيد فلم أر فيها غير شرذمة من قطف القلوب ، فأين الأديب الذي يُبصر محدباً يأس في القاهرة حديقة اسمها حديقة الأزبكية ؟ وكيف جاز أن تخلو هذه الحديقة في يوم العيد من مواكب أنفس الوسامة وجمال الصباح ؟ ومتى حين إذ أخاف حين القاهرة من مقامة الفلاح في يوم العيد ؟

متى يجيء إذا استطاعت مخرجات الحياة أن تقسرنا على التفكير في منافعنا الدنيوية في المواسم والأعياد ؟ وهل نُحرم نحن حتى نصير من موسم الأقدار إلى أجل قريب أو بعيد ؟

هي أيام تنصبها مشدودين بسلاسل وأغلال إلى « مطار الفاجآت » في هذه الحياة فمتى نخلص إلى ما أحب النبي في صحراء الحياة من أزهار ورياحين ؟

سيجيء يوم نحل به ميسوراً من مواسم القلوب في القاهرة وسأذكر بعد فوات الوقت أني جنيت على شبابي حين أنفقته بين سواد المداد وبياض القرطاس في زمن لا ينفع فيه غير الأعمار بالقرش . فهل تخرج من داري إلى مصائد الحياة بالقاهرة في هذه الليلة ؟ وكيف ولي عواطف تحرمني الحرية في مساء العيد ؟

وهل يستطيع كاتبٌ أن يمضي يوماً واحداً بلا كفاح وهو يعيش في مدينة مقدودة من صخور الصبر على مصاولة الحياة

إن هذه المدينة التي تشتكي ، تحلى في يوم عيد ، وإنما هي مصدر الجرائم الشداد في الأجيال الطوال فهي أيام في القاهرة له عقل ودون قلبه ما نصبه على المصاعب والتحديات يؤدي الزكاة عن قلبه وحده ودونه إن كان من الموفقين ، وإلا فهو حاله مضبوطة في المدينة « القاهرة » التي تنكر وجود الغرائز ووجوه الأحاسيس

* * *

هنا القاهرة

إي ، والله ، هنا القاهرة . وما أسعد من يرى القاهرة أول مرة

لقد فتنت هذه « القاهرة » من زاروها في هذه الأيام للاشتراك في المؤتمر الطبي العربي ، وعدوا بحق على أن يكون للعروبة مدينة مثل القاهرة تحكم اللغة العربية ، فليس يمكن القاهرة أعظم مدينة في العالم كله ومن حقها كبر أعظم مدينة في الشرق بمثل ما جمعت من الخصائص الذاتية التي تحكم لها بالتفوق في جميع مدن الشرق ، وليس ذلك بالقليل

ولكن أين من يعرف أننا يصعب عليه السطح أحياء ؟

أين من يعرف أن القاهرة لا تسكن من يوم إلى يوم إلا بفريد أعباء في الحياة ! وإلى المتصعبين من إخوان في الشرق أقدم القاهرة الآتية يتعرفون في أي جحيم يعيش القاهريون

في كل بلد من بلاد الشرق يستطيع الرجل الوسط أن يعيش لأن الطب في بلاد الشرق لا يزال يتسع للأوساط من الرجال

أما مصر — ورحم الله أهل مصر ! — فليس فيها للرجل الوسط مكان

العالم الوسط لا يستطيع العيش

والأديب الوسط لا يجد الرزق

والشاعر الوسط يجوع

والطبيب الوسط لا يجد من العمل حتى يمرض

والصحفي الوسط لا يملك الوصول إلى خبر صحيح

والممثل الوسط قد لا يجد الفرصة لشهود رواية مشهورة ، فضلاً عن القدرة على الاشتراك في التمثيل

القاهرة تقول في كل وقت : كن قاهرياً

وهل يستطيع كل مصري أن يكون قاهرياً ؟

أقضت القاهرة من قبل من حسب القول على مئات من الشعراء لأنهم لم يكونوا في عبقرية شوقي وحافظ وصبري ومطران ؟

أقضت القاهرة من قبل من حسب تحول على مئات من الكتاب لأنهم لم يكونوا في منزلة محمد عبده وعلي يوسف وعبد العزيز جاويش ومصطفى المنفلوطي ومحمد المويلحي ؟

ومن كتاب اليوم وشعراء اليوم ؟

عندنا مئات من الكتاب والشعراء ، ولكنهم سيموتون بحسرة الخسران على أن ساوى في القاهرة هذا العهد ، عهد الزحام العجيب الذي لا يسمح من كره غير الفحول المبرزين

لقد قيل إن الرحمة فوق العدل ، فأين نحن من الرحمة وأين نحن من العدل ؟ أين من يرحم الأديب الوسط أو يعدل في الحكم على الأديب الوسط فيقضي بأن من حقه أن يعيش لأنه قد يكون أنفع من بعض الذين سماهم أبو الفرج الأصفهاني ؟

وأين الراعي أو الشاعر الذي يقول بأن في شعراء اليوم ، الشعراء الذين أظلتهم القاهرة ، من يفوق عشرات من شعراء « البيد » و « الحيرة » و « تلاع العقيان » ؟

القاهرة لا تسمع أبداً أنين الأحياء الذين يطويهم الزمان

وهذا جواب السؤال الذي وجّه إليّ في كل يوم

« كيف يتسع وقتك لنشر ما ينشر من مقالاتك من البحوث الأدبية والفلسفية ؟ »

وهل عندي وقت وأنا موظف مسئول أمام الواجب ؟

إنما أنا قاهريّ يحبس نفسه في البيت يوم العيد ليحصر بستان الشر ثمراً يقطع منه على سرور المظاهر القاهرية ما يقطع الناس ماله رجل عابث يستحق أن يمقت

فاين أنم أنا إذا جمعت مثل الذي أصنع اليوم أنه رجل مكدود حاول الفلم مكمة ثناء من المدينة الجاحدة التي حكمت بألا ينجو أحد من يشعرون على أمواج المحيط في قصة الغواصة العزيز وحسبها كل غواصة تفرغ بغزع من جوف المحيط

لا تحسبوا أبداً أننا نسعى في سبيل المجد ، هذه مطالب لا تخطر لنا في بال ، وإنما نسعى للخلاص من شماتة الشامتين وسفاهة الكاذبين

آه ثم آه

لو كان الفاني ينفع لجاز لرجل مثلي أن يعتمد على ماضيه في خدمة الحياة الأدبية والفلسفية ، ولكن القاهرة تنسى في وجه الرجل الذي يعتمد على ماضيه ، لأن ذاكرتها تسعى من مواجهة الأحياء ، أصداء الجاهدين الذين خطروا بأرجاء الشرق في حياة عريضة لا تعرف غير الماضي المزوّق بأطايب الثروة والعافية ، فيا ربّ كيف أكون في وطني يوم يضيق قلبي فأسعى من القاهرة إليه في يوم عيد ؟ حتى يوم العيد تعصمه في مصائب ؟

في مثل هذا العيد من سنة ١٩٣٤ كنت على أتم صحة ، ولم أكتب عنه غير ذلك المقال كتبته أقول إني سأقضي أيام العيد في الإسكندرية فلا يزعج أهلي إن حرمتني هذه الفرصة من الأنس بهم يوم العيد في سنتريس

فهل قضيت تلك الأيام في الإسكندرية ؟

لم يكن إلا حيلة لأحبس نفسي أيام العيد في البيت لأكتب فصلاً من فصول « النثر الفني » وهو الفصل الخاص بتطور السجع في اللغة العربية

وهل يسمح بنفسه هذا السجع إلا ظلمي ؟ تعمره القاهرة على النضال الميت ليجد مكاناً في المدينة التي يطرح فيها أعلام المازني والعقاد والزيات والبشري وهيكل وطه حسين ومن إليهم من الناجحين الذين سيهزمون قبل الأوان بعبث الكفاح المجهول ؟

القاهرة لا تعرف الرجل الوسط ، فاصمدوا إذن لعلّها تغفلت بأقوى هذا الزمان ، وإلا عضكم « نسيان القيم السحرية » فتنظر الأبد على نواميس الحرائق والجهالات ؟

يمنّ عليناس بعض المتصرفين على الغرب بأن القاهرة عاصمة الشرق ، فهل سرق القاهرة أن أقلامنا هي التي صانت لها ذلك المجد من الثبات ؟ وكيف وصفها ( مستحم العظماء ) الذي وضع الأديب من أجسام الهاربين ؟

وربما سمع القاهرة منذ أعوام لأستوحي روح ابن الفارض حين أن أشرع في كتابه المنسي بالبعث في كتاب التصوف الإسلامي ، فرأيت أن أصعد إلى مكان في أمنع مكان في القاهرة من الوجهة الصحية ، وكانت أحببت ابن الفارض حتى أجل مقام الأموات ، وما أحببتها حب مثله ، وإنما أخشى أن يكون أرحب القبيح إلى أن عظمة الرجل في مصر لا تكون إلا بعد الموت

رحمك الله أيها الشيخ الذي يشبه الكفاح في ملامح العيد

الآن ، وقد انتصف الليل أو كاد ، أفكر في مصيري بين حرفين

أفكر في الشباب الضائع بلا لهو ولا طرب !

وهل كنت أول من حرم على الشباب المحروم !

ولكن ، هل أنت غير الذي سمعت وغير الذي سأسمع ؟

يا ابن الوطن الغالي ، تذكّر ثم تذكّر ، تذكّر أنني كنت ولا أزال عنوان بلادك ، فإن رأيتني صدمتُ من أمر حدث في يوم عيد ، فاعرف أن ذلك لم يقع عن جهل أو عقوق ، وإنما هي فيوضاتك الغالية التي نصب بها بيتي أنا ذاك وهم وعنائي في حومة النضال

وما أدعوك ، أيها الوطني ، إلى التصدق عليّ بنظرة عطف ، فأنا لا أحب الصدقات ، وإنما أدعوك إلى مقاتلة الجبن بالجبل ، فإن رضي الله، وعدل في بر الأبناء !

وطني لقد شبت بطلتك، ومن أجل هذه امتحنت الأحباب والصعاب والعلقم في هواك !

وطني إليك أصلحت قلبي وعقلي ، فعد برماني إلى حيث كنت لأسمر دوحه تغشت فروعه البلابل ، ويا أجل روضة ترنحت فيها البلابل ، ويا أطهر جنة أنبعث منها المطارب ، ويا أشرف شجرة رفعت أفنانها الزاهية نصراً وفتحاً البعيد

زكي مبارك

# الفروق السيكلوجية
## بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

### الفروق العقلية

ما هو الذكاء؟ سؤال طريف وعسير كهذه التساؤلات الشتى التي ينشرها البريد من صفحات الرسالة. ولا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال بأكثر مما يجيب الفيزيقي عن هذه الأسئلة: ما هو الزمن؟ وما هي الكهرباء؟ وما هو المكان؟

وحقيقة أننا حين نقيس الذكاء لا نقيسه مباشرة، لأننا لم نصل بعدُ إلى معرفة طبيعته ومكوناته، وإنما نقيس مظاهره في حياة الإنسان وتصرفاته والأعمال الذكية للإنسان. والفروض تذهب إلى أن كل إنسان عنده قدر من الذكاء قل أو كثر، بل إن الرأي الحديث في علم النفس هو أن بعض الحيوان الأعلى كالشمبانزي[1] والغوريلا والكلب على نصيب من الذكاء يظهر في تصرفاته.

ولقد حاول علماء النفس منذ أن وضعت أول مقاييس الذكاء أن يحددوه، ولكنهم لم يصلوا إلى رأي متفق عليه. وفي سنة ١٩٢١ نشرت مجلة علم النفس التربوية الأمريكية آراء لأربعة عشر عالماً نفسياً كل يحاول أن يعرف الذكاء. وكان تعريف ترمان صاحب المقاييس المشهور بأنه «القدرة على التفكير المعنوي المجرد abstract thinking» وعرفه كلفن بأنه «القدرة على التعلم»، وعرفه بكنجهام بأنه «القدرة على العمل والتصرف تصرفاً ناجحاً تحت ظروف معينة». ومهما يكن من أجوبتهم [illegible] على أنهم لم يجمعوا على تعريف الذكاء الذي جعلوا المستويات الطويلة في بحثه موضع مقاييسهم.

وفي سنة ١٩٢٤ صدر تقرير من وزارة التربية البريطانية The Board of Education، وضعته لجنة اشترك فيها عدد من رجال التربية وعلماء النفس الإنجليز للبحث في موضوع الذكاء واختباراته والاختبارات السيكلوجية المختلفة له. ويشير هذا التقرير[2] إلى أن هناك ثلاث نظريات شائعة عن تعريف الذكاء.

النظرية الأولى هي نظرية من يعتبرون الذكاء [illegible] effect أسمى ملكات أو وظائف عقلية عامة. ومن أنصار هذه النظرية العالم السيكلوجي الفرنسي [illegible] وهو يقول في معرض كلامه عن مقاييس الذكاء: إنه يقيس بها ملكة الإدراك، وملكة الانتباه، وملكة الحافظة، وملكة التمييز[2] ثم هو نفسه يتحدث عن الذكاء في مقالة أخرى فيقول: «إن الذكاء ملكة أساسية أصلية، تلك هي ملكة الحكم على الأشياء، وإن شئت فسمها الحاسة العملية، وهي الملكة التي بها يكيف المرء نفسه للظروف المختلفة ...» ثم هو ينشر مقالاً في مجلة «العام السيكلوجي» في سنة ١٩٠٩ عنوانه «ذكاء ضعاف العقول»[3] يرى فيه أن الذكاء العام هو صفة عقلية ذات ثلاثة وجوه على الأقل: ١) إدراك المشكلات والمسائل والانتباه للحل المناسب لها والتبصر به ٢) القدرة على التكيف الذي يسير بالمرء ويؤدي إلى الوصول إلى غاية معينة ٣) القوة التي بها يستطيع أن ينقد المرء نفسه.

والنظرية الثانية هي نظرية من يرون أن الذكاء إنما هو لفظ يطلق على مجموعة من التصرفات الذاتية المختلفة المستقلة، وهذه التصرفات موروثة ويرتبط بعضها ببعض بسبب [illegible]. وصاحب هذه النظرية هو البروفسور ثورنديك في جامعة [illegible]. وهو يرى أن الطفل إذا كانت قدرته العقلية الموروثة على فهم مسائل الحساب ممتازة وظاهرة، فليس هناك ما يرجح أن قدرته العقلية الموروثة على فهم موضوعات الجغرافيا فوق المتوسط. ويقول: «إن الفرد الذي له قدرة عقلية ممتازة في نوع من الأعمال لا ترجح عنده القدرة على أن القوى العقلية الأخرى فوق المتوسط». وهو يقرر أن هناك ثلاثة أنواع من التصرفات الذكائية الخاصة الموروثة، وهي الذكاء الذي يظهر في فهم معاني الكلمات والأفكار المعنوية المجردة abstract ideas، والذكاء الحركي أو المهارة العملية في استعمال الآلات، والذكاء الاجتماعي، أو القدرة على التفاهم والانسجام مع من يتصل بهم الفرد في المجتمع. ومن أنصار هذه النظرية أيضاً البروفسور جودفري تومسون[3]

---

(١) تسمى هذه النظرية نظرية الملكات العقلية. وأول من استعمل كلمة ملكة faculty هو أرسطو في كتابه عن النفس [illegible] وقد [illegible] الأدب العربي — وفلسفة ابن سينا [illegible] نظريته في النفس، [illegible] وفي [illegible] كتاب [illegible] نظرية الملكات العقلية ومعارضيها.

(٢) نشره في مجلة العام السيكلوجي سنة ١٩٠٥ بعنوان L'Intelligence des Imbéciles

(٣) [illegible] تومسون [illegible] نظرية العاملين [illegible] والمعروضة تحت عنوان النظرية الثالثة

(١) انظر كتاب The Mentality of Apes, 1925 لمؤلفه وصاحب التجارب التي قام بها الدكتور W. Koehler

(٢) عنوان هذا التقرير هو The Psychological Tests of Educable Capacity and their possible use in the Public system of Education

والنظرية الثانية وهي الشائعة المعتمدة الآن هي التي تقرر وجود عامل عقلي رئيسي عام General intellective factor يؤثر في كل ما يدركه الفرد ، ويؤثر في كل الأساليب الإدراكية العقلية التي يقوم بها الفرد . ومن أنصار هذه النظرية وليام شترن الألماني . ويعرف الذكاء بأنه « القدرة على التكيف العام للمشكلات الجديدة وظروف الحياة » . والأستاذ كارل سبيرمان الذي [illegible] في العالم الغربي الآن وعاصر في الجامعة وخارجها . أعلن سبيرمان في سنة ١٩٠٤ نظريته المشهورة « بنظرية العاملين » The two factor Theory وفيها رد على القائلين بأن القوى العقلية مستقلة بعضها عن بعض – كما في النظريتين السابقتين – وقال بوجود عامل مركزي مشترك بين جميع القدرات العقلية ويسمى هذا العامل بالعامل العام The general factor ، ورمز له بالحرف (ع) . وهذا العامل يختلف من فرد لآخر ، ولكن يبقى ثابتاً في الفرد الواحد ، وبوجود عوامل أخرى خاصة مستقلة إلى حد ما بعضها عن بعض وتختلف قوتها في الفرد الواحد Specific factors ورمز لها بالحرف (ص) ، ويرمز للعامل العام المشترك هنا بالحرف (ع) ، وللعامل الخاص بالحرف (ص)[1] . فكل عملية عقلية – في رأي سبيرمان – إنما هي نتيجة مؤثرين : العامل العام المشترك وهو ثابت في الفرد الواحد والعامل الخاص المتغير بتغير العملية . فقدرة الفرد على حل مسألة حسابية تتوقف على مقدار العامل الذكائي العام عنده ، وعلى العامل الخاص المتعلق بالحساب ، ومثال ذلك كذلك في الأعمال الموسيقية والفنية . وقد يكون العامل العام قوياً عند فرد ولكن العامل الخاص بالرسم مثلاً ضعيف عنده . وقد نجد فردين والعامل العام عند أولهما أقوى منه عند الثاني ، على حين أن العامل الخاص بالرسم مثلاً عند الثاني أقوى منه عند الأول . ولذلك نجد الثاني رساماً أحسن من الأول مع أن الأول أذكى من الثاني – إن صح هذا التعبير سيكولوجياً . ولا يدخل العامل العام في كل العمليات العقلية بنسبة واحدة ، بل يدخل في بعضها قوياً وفي بعضها ضعيفاً ، فهو يدخل في المسائل المنطقية والتي تحتاج إلى الاستنباط بمقدار أكثر من دخوله في عمليات الرسم اليدوي مثلاً أو العزف على البيانو . ويفسر سبيرمان هنا بأن بعض العمليات العقلية أكثر تشبعاً بالعامل العام من البعض الآخر .

ولكن بم نسمي هذا العامل العام ؟ أنسميه الذكاء بالمعنى العادي الذي يفهمه الناس ، وهو في الحقيقة جزء من هذا الذكاء بالمعنى المحدود ؟ إن سبيرمان ينكر أن نطلق كلمة الذكاء على القدرة العامة التي هي هذا العامل العام ، ولكنه لا يرى من مانع اصطلاحاً في تسمية هذا العامل العام بالذكاء العام[1] .

ثم يعود سبيرمان ويرى عاملاً ثالثاً يسميه بالعامل الطائفي ، وذلك أن أية عملية عقلية كحل مسألة حسابية من المسائل مثلاً تتوقف على ثلاثة عوامل : العامل العام (ع) ، والعامل الخاص بهذه العملية (ص) ، والعامل الثالث هو العامل الطائفي (ط) الذي يدخل في كل المسائل الحسابية من جمع أو طرح أو قسمة الخ ، ويسمى special or group factor وقد أثبتت التجارب وجود عدد من هذه العوامل أو القدرات الطائفية أهمها : القدرة الحسابية ، والقدرة اللغوية ، والقدرة العملية أو الميكانيكية Manual ability ، والقدرة الموسيقية ، والقدرة الفنية Artistic ability . ومن أنصار هذه النظرية الأستاذ سيرل برت ، وقد عرف الذكاء بأنه : « كفاية عقلية عامة موروثة Inborn general intellectual efficiency » . وقد أجرى تجارب كثيرة لقياس ذكاء الأطفال بالمدارس الأولية في ليفربول وأكسفورد ولندن ، ووضع مقاييس خاصة للأطفال الأصغر وبناها على قياس العمليات العقلية العالية كإدراك العلاقات بين الأشياء . وهو يرى – بعد التجارب – أن هذه القدرات العقلية العالية متشابهة بين الأشقاء والأبناء ولذلك فهي موروثة . وهو يقول بوجود ذكاء عام وقدرات خاصة كتلك التي ذكرها سبيرمان .

ومع أن علماء النفس لم يتفقوا بعد على ما هو الذكاء الذي نقيسه[2] فإنهم متفقون على ما هو ليس الذكاء ؛ فهم متفقون على أن الذكاء ليس الخلق ولا المزاج والعاطفة . وهم متفقون على أن الذكاء ليس المعارف المكتسبة بالتعلم ، ولذلك يجب ألا تعرض مقاييسه لما يعرفه الطفل بالتعلم كالقراءة والكتابة والحساب والجغرافيا . وكذلك هم متفقون على أن أي موهبة خاصة محدودة – كالموهبة الشعرية أو الموهبة الموسيقية – ليست المقصود بالذكاء ، لأن الذكاء عامل عام يدخل في كل العمليات العقلية المختلفة ومن بينها الشعر والموسيقى .

عبد العزيز عبد المجيد

---

(١) نتبع في استعمال حروف الرموز وضع الأستاذ [illegible] في كتاب « النفس من المهد إلى الرشد » .

(١) أثبت سبيرمان نظريته بالرياضة والإحصاء ، إذ وجد معامل ارتباط Coefficients of Correlation بين العمليات العقلية المختلفة [illegible] العامل العام ، ولا مجال للشرح هنا .

(٢) من طريف [illegible] الذكاء تعريفاً جاء [illegible] في كتاب [illegible] [illegible] [illegible] على المتحمس [illegible] ويرتبط بالقدرة على [illegible] أكثر مما يرتبط بطول الجسم [illegible] .

# ليبيا المجهولة

## للأستاذ علي معمر الطرابلسي

قال الأستاذ ساطع الحصري بك في مقاله «بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية» (الرسالة عدد ٣٢٨): «إن العالم الإسلامي يشمل: الأقطار العربية، وتركيا وإيران والأفغان وتركستان، مع قسم من: الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس، وأفريقيا الشمالية مع قسم من أفريقيا الوسطى».

وردّ عليه الأستاذ أبو الوفا بقوله: «فالأستاذ الحصري يزعم أن الأقطار العربية هي فقط مصر والشام والعراق والحجاز واليمن. أما أفريقيا الشمالية التي تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش، فإنه يعدها بلاداً إسلامية وليست بعربية. فمن هذا هو العلم يا سيدي الأستاذ؟» — الرسالة عدد ٣٣١

فالأستاذ ساطع الحصري عدّ هذه البلاد الإسلامية ولم يتعرض إلى ذكر ليبيا مطلقاً، لأنها في رأيه ورأي الحقيقة الجغرافية قطر من أقطار أفريقيا الشمالية، لا فرق بينه وبين تونس والجزائر والمغرب الأقصى. ولكن الأستاذ أبو الوفا لم يصل إلى هذه الدرجة من أفريقيا الشمالية، ولم يفهم من كلام الأستاذ الحصري دعوته في هذا القسم من البلاد الإسلامية، فذهب يحدد أفريقيا الشمالية بأنها تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش، فأخرج هذا القطر الذي يسميه التاريخ «ليبيا»، والموجود بين مصر وتونس من حساب الإسلام والعربية.

ولسنا ندري متى انتحل هذا القطر ديناً غير الإسلام، ومتى اختار له لغة غير العربية! وقد فارقته سنة ١٩٣٩ وتركته يخبر وطنية، وقضيت ثلاث سنين بين تونس والجزائر، ثم أصبح منه ما يريب؟

لو ترك الأستاذ يتوسع كله الأستاذ الحصري، أو شرحها بغير هذا الشرح المبتور، لما صح منه شيئاً، ولكنه حرك فينا عاطفة طالما كانت تثيرها من إخواننا في تونس والجزائر والمغرب من إحساس وتألم، وجرحنا مرة أخرى بتنكرانه عروبة بلاده وإسلاميتها عند نقده شرحه لكلمة الأستاذ الحصري بك، قصد ذلك أو لم يقصده. وقد آلمه ألا تعد أمته من الأمم العربية، فما رأيه وقد أخرجنا من العروبة والإسلام؟ فما رأيه في إسلام ليبيا وقد سبقته إلى الفتح الإسلامي سنين، وكانت مصدراً ومعيناً لغزاة العرب لما أرادوا فتح بلاده وتعريبها؟

ما رأيه إذا أخبرته أن فتح ليبيا كان في زمن عمر، وإن فتح بلاده إلا في خلافة عثمان؟

وكانت هذه الكلمة أول ما رأيناه من إخواننا في الأقطار الثلاثة لما دعيتنا إلى كلام، ولكنهم ـ مما أدهشهم ـ لا يعرفون أن تكون ليبيا من أفريقيا الشمالية رغم ما بذله من مجهود وجهد الأستاذ عبد الحميد بن باديس أنفع الله. ومنه لم ينس بعدُ رحلته إلى تونس سنة ١٩٣٦ وما لاقته به البعثة الطرابلسية من حفاوة وما وجهته إليه من لوم وعتب. ومنه لا يزال يذكر ذلك العهد الذي تعاهدهم عليه بحضره وتحت جمعية الشبان المسلمين، ذلك العهد الذي أكد فيه ألا تنفصل عن شمال أفريقيا إلا وطناً من ليبيا، بعد أن حضر وحاضر ثم عثر له على مثال.

إن إخواننا بتونس والجزائر والمغرب لا يعرفون أو لا يريدون أن يعرفوا أن ليبيا من الشمال الأفريقي، وقد لا يرعون لها حق الشقيقة وواجبات الأخوة. وليس يضيرها أن تكون من هذا الشمال أو لا تكون، فما دامت لا ترجو مستقبلها غير أبنائها. ولكن يؤلمها أن تهمل من أخوات وطنها من حقه النسب والأخوة، وأواصر اللغة والدين، ويؤذيها أن تحجب إلى هذا المدى وتهضم حقها.

إن ليبيا، وهي في جهودها الشريفة المقدسة تكابد آلام الحرب، وتقضي أعوامها في القتال، بدون ناصر ولا معين — لا يضير أن يؤلم عاطفتها المكلومة وقلبها الدامي، بشيء يشعرها بانعزالها عن العالم العربي الإسلامي، ولا يعمل إخوانها... في ما هي فيه من محنة ومصاب، وأن يزيدوها ألماً على ألم.

إن إخواننا بالأقطار الثلاثة لا يذكرون، أو لا يحبون أن يذكروا أن ليبيا أخت بلادهم، حين كانوا في ذلك من المصيبين!

الذين تُهم أخطأوا خطأً فادحاً، ولن يستطيعوا قطع الجوار وقصر الشقاء، وعرى اللغة والدين، فضلاً عما بذله الليبيون من جهود، وتأسيه في ربط العلائق بين جيرانه.

وأنهم إن استطاعوا أن يتناسوا ذكرها مع أفريقيا الشمالية، فلن يستطيعوا إنكار ما لها في هذه الأقطار من أيد، وما لهذه فيها من آثار.

إن ليبيا أيها الناس: إنها القطر الذي أضاعه التاريخ وهضمه الجد والشرف، وهي صاحبة موروثات في التاريخ القديم، إنها لا زالت تحارب الثقل الذي ينسى الإنسان في ... سلامته وطهره

العصر ، وأنتم المشردون في البلاد العربية ، الشرقية والغربية شهداء على ذلك ، فهل وهم هذا أقول ؟

هل تذكرون أن من بواعث نهضة الشرق ويقظة العرب صليل السيوف ودوي المدافع في برقة ؟

ولعلها من أول بلاد أحيت الروح العربية ، وذكرت الناس عهد المهدي ومعاصريه الزعماء ؛ فهل تحفظون لها هذا الجميل ؟

لم تكن برقة ميتة الإحساس ولا خامدة المشاعر ، ولم تكن خافتة الصوت ولا عديمة الحركة ، كما قد يخطر ببال كثير

إن في برقة حركة أدبية وعلمية لا بأس بها ، ولعلها تفوق في ذلك بعض أقطار عربية أخرى ، ولكن من ذا يرى مقدار تقدمها ، ويقرب من قريب دلائل الحياة وحدث القوة منها ؟

هل زارها أدباء عرب طوفوا بالغرب ، وخاضوا عباب الشرق ، لنعلم رجعوا منها بخبر ؟

هل أخبروا عما شاهدوه من مظاهر الحياة أو مظاهر الموت ؟

هل رأوا ما فيها من مساجد وجوامع وكليات ؟

وكيف رأوا حالة المكاتب والمطابع ومعاهد التعليم هناك ؟

إن رجال العربية — عفا الله عنهم — نسوا هذا القطر ، واختفى من ذاكرتهم كله إلا قليلا ، ولو قدر لأحدهم أن يدخل إيطاليا من بحر المغرب ، أو بحور صقلية ، أو ينتقل من الشرق إلى الغرب ، أو من الغرب إلى الشرق ، لما حدثته نفسه ، أن يقف بمرسى طرابلس ، أو يتأمل شواطئ بنغازي ، ولما طافت بذهنه أن يشهد [illegible] المرسى ، أو يمتع نظره بجمال الجبل الأخضر

إن برقة — أيها الناس — لم تنس حظها في خدمة اللغة العربية ، رغم ما يعوقها من عقبات ، ويعترض سبيلها من صعاب [illegible] يمتد حاجته إلى الأزهر كما كان لأخواتها في الغرب والشرق من البلاد العربية ، ولئن كنت أعترف أنها مفتقرة إلى كثير من الإصلاحات والنظم ، وحيث يحل (الزيتونة) بجد لا يستهان به ، ولكن لا يزال محتاجاً إلى تنظيم أموره ، وتوحيد مسكنه ومراعاة مصالحه ، ورأى الحاجة ماسة إلى [illegible] بعض النقص [illegible] غير العربية ، فيكون [illegible] أخرى بإيطاليا مستقلاً [illegible]

أيها الأستاذ ، سأحدثك عن قريب عن العربية والإسلام في هذا القطر ، سأحدثك عما يعتلج في نفسي من أشواق وآمال ، وبخاطري من حقائق وأباطيل

وسأحدثك عن حالة العلم والثقافة هناك ، وعن مظاهر الحياة والطموح ، وسأريك كيف يصل الرحالون تلك القطر الجميل بجهله وجهل كثير من الناس

سأحدثك كثيراً أيها الأستاذ يوم أرجع من (عاصمة) أوربا الشمالية ، وأكون بين أهلي وأبناء وطني ، أما اليوم فقد لا أستطيع الاتصال بكثير من الحقائق التي تدعم حديثي ، وقد غاب عني كثير من الشئون التي يجب أن أحدثك عنها

ولولا خلاف مسترقات يا سيدي ، لما استطعت كتابة هذه الكلمات . وأخيراً أقدم أعطر الثناء إلى كل من ذكر برقة بخير وعطف عليها بالحنين ، ولا يسعني إلا أن أرفع إلى الأستاذين اللذين [illegible] في كتابة هذه الكلمات — [illegible] — أرق التحيات وأزكى التسليم

(الجزائر) [illegible] الطرابلسي

# شيطانة تتفلسف !!

## للأستاذ محمود كامل حبيب

« إن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة واحدة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » حديث شريف

هي شيطانة شابة فاتنة ، عرفتها في مدرستها بعد أن نالت حظاً من الأدب والفلسفة والمنطق ، وعرفت طرفاً من الكيمياء والطبيعة والرياضة ، وقرأت حيناً [illegible] من قصص الحب وروايات الغرام ، ووجدت من الحب [illegible] ؛ وتعيش — ما بين المدرسة والبيت — [illegible] فتوة شيطانية حلالة أرهقت القلب في أمرها [illegible] الطريق [illegible] الفينة بعد الفينة — وهي بين الطمع واليأس لا تدفعه إلى اليأس ولا تصده إلى الملل

وطال الحديث ودار بيننا [illegible] على هذه الفتى [illegible] ثم [illegible]

وجلست الشيطانة تتحدث إلى نفسها [illegible] الرغم — تتفلسف ... وتغلبني إلى الحديث كله ، وما هنا أنقله إلى قراء (الرسالة) الغراء ، لا أبعث [illegible] برأي ولا [illegible] قلمي في خاطره إلا أن أورد الأسلوب — وهو تصرف — على طريقته لا أمس منه الجوهر .

قالت :

يا صاحبي لا تظن أنها [illegible] الشيطانية هي التي تدعوني إليك

لقد عرفتك [illegible] التعب ، [illegible] ، لا يعوزك المال ولا العلم ، فأردت أن تكون

وحي بك [illegible] حين كنت أفكر فيك وأوسوس لك

تحقق آمال [illegible]

[illegible] — وأنا في المدرسة — أني أرى أستاذي المغرور [illegible] ، [illegible] شباباً وهي [illegible] في [illegible] حياة لا تستطيع أن تأوي إلى ركن ...

والزمن أن أكون — بعد سنوات وسنوات — [illegible] ، فخشيت [illegible]

يا صاحبي لا تظن أنني أهوى [illegible] ، ولكن [illegible]

إن المرأة [illegible]

ذات طرفين : الأنانية والخداع

والحب — في عين المرأة — هو [illegible] الرجل من [illegible] وأمله وماله

هو التضحية الكبرى التي أريدها منك

لقد [illegible] إلى قلبك سبيلاً [illegible] ، لأحدثك أني لا أحبك ، [illegible] في الحب والعبودية [illegible]

[illegible] في نفسها !

وكيف أحبك — يا روحي — وأنا لا أستطيع أن أنفذ إلى أعماق قلبك ؟ لست أنت من ذوي [illegible] ، ولست [illegible] الذكرى ، [illegible] الذكرى نشوة [illegible] إلا [illegible] من نزوات الشباب طارئ ثم [illegible] فيك

وبعد ، فأنا لا أستطيع لك حباً ، لأنه [illegible] أن [illegible] حياة [illegible]

ولكن [illegible] كتابك الذي [illegible] هو [illegible] الذي أعرف منه ...

سأعلمك [illegible] شيطانية ، فلا تفزع !

[illegible] — إن المرأة لا تستطيع أن تكون زوجة إلا أن تكون [illegible] ، أو يكون زوجها [illegible] ؛

فلا [illegible] أن أتمسك [illegible] ، و [illegible] بالتصنع ، وأحدثك [illegible] لتكون [illegible] لأني [illegible]

إن أبي [illegible] ، وأبي [illegible] إلى [illegible] بأعبائه ، وقد كبرت سنه

[illegible] أي ، [illegible] !

يا صاحبي ، إن [illegible] السعادة [illegible] بين الرجل والمرأة [illegible] تنعكس [illegible]

والمرأة الجاهلة [illegible] الزوج [illegible] ، [illegible] ، لأن عقلها الفاسد لا يستطيع أن يصعد إلى قلبه إلا أن [illegible] القوي [illegible]

أما أنا [illegible] روح الحرية ، [illegible] عمري [illegible] لنفسي ؛ لا أسمع لأمي ولا أسمع لرأي أبي [illegible] وجدت [illegible] الطاعة حين [illegible] وأسرف [illegible]

هل تطمع في أن تعبدني ؟

لا ضير ، سأعبدك عبادة يطمئن لها قلبك ، ويأنس بك الفكر الأعظم فأستمد جمالك فلا تحدث مني إلا أن يؤذن لك

ثم أرتق بك فأنتزعك رويداً رويداً – من بين نجواء نفسك وأصداء قلبك ، لتكون لي وحدي

أبتر حبائل العلائق بينك وبين أهلك فأسرقك منهم فتكون ابن أمي وأبي

يزعم الناس – يا صاحبي – أن الحب سحر المرأة

حقاً ، غير أني ساحبه بقوة شيطانية إلى قدس أنسك بين قسماته ، ولطير أنا إلى حيث يحلق

وهناك [illegible] أحلامك وطماحك ببسمة تصدع كبرياءك

وإن ترنحت بين يديك سحر الهوى ... فسرتني [illegible] لها لأنك محبي

وإن طرقتني الأسى – بعدها وذاك – وأسرت [illegible] بابك واستكبرت ، فطرحت في [illegible] بسعادتك ، ثم أغلقت أنا الأرض [illegible]

وإني ... أبي الذي يتراءى لك بحزن وراء حجب الغيب [illegible] عني ، [illegible] ساعة عقاب لك إن سولت لك نفسك أمراً

وبعد ستعرفني العابث ، ويغفر بالآل ، وتحن بالسعادة ، وسمي نفسك المفرج ، ورأى الرأي الصواب ، وأمين أنا إلى جانبك – أو في منأى منك – ذلك الذي لا تراه

وإن عشت رغب الله كل يوم فلسفة فيعطيك ناظر بك في سماء مظلمة صارت صماء ، وأنا أرى وأبسم

وحينما أدخل جنتك أرقص في الطرب والابتهاج ، أتلو في قلبه وأغني في كبريائه

فلقد ... يا صاحبي – بين جوانحي حبك

لأنك لا تطرح يا [illegible] به نفسي

ولا تلمس ثوب جلالي الشيطانية في اللحن تؤدي إلى

« [illegible] الأمل »

كامل محمود حبيب

## شاعر عبقري

رأيت هذا الشاعر العبقري، أسعدك الله، بل حظيت بشرف لقائه والاستمتاع بصحبة بضع ساعات من النهار. وليس بالأمر الهين لقاء مثل هذا العبقري في زمن قل فيه العباقرة، وحط فيه من قدر الشعر، حتى أصبح عند الناس شيئاً لا خطر له ولا قيمة من [illegible] ذلك إلى أنه [illegible] ولا يحصل الشعر عيالة هذا الزمن بسبب من الأسباب ...

ولقد [illegible] ساعة مثل بين يدي هذا الشاعر، [illegible] على شاب [illegible] الغلو فيه [illegible] فكنت ممن يجهلون [illegible] العبقرية، ظللت في حيرتك [illegible] بل لقد يدهش [illegible] إلى أن [illegible] ما يحدث [illegible] إلى الحلقة [illegible] يدك في [illegible] من حيث لا تدري [illegible] شديداً.

[illegible] أني [illegible] حين رأيته. [illegible] النظر في وجوه جلسائه في صمت [illegible] ثم [illegible] إلى السقف، ويظل كذلك [illegible] كأنه [illegible] من فم أو من [illegible] في أنى [illegible] أنه [illegible] إلى [illegible] من العباقرة، فهم كثيراً ما يجعلون [illegible] عما [illegible] عن مدارج [illegible] يكون عبقرياً ولا يسبح روحه ويسرح [illegible] كما تسبح أرواح العباقرة وتسرح!

[illegible] الشاعر قد أطال شعر رأسه، ثم تركه دون ترتيب، حتى تهدل على جبينه، وتدلت [illegible] منه [illegible] حتى كان منه ما يشبه الأكمة فوق جبينه. وهو لا يحرص على شيء من مظهره حرصه على أن يكون شعره كشعر أمراء من كبار الفلاسفة ومن أصحاب [illegible] لا تكتب على [illegible] وربما لا تعلق على [illegible] ويكلم الشاعر [illegible] الشيوخ [illegible] على [illegible] أهل [illegible] الشعر [illegible] إلى [illegible] أن [illegible] أسمر [illegible] من [illegible] وأنه لا بد أن [illegible] من [illegible] أو لم يفتك [illegible] بأنه كان في [illegible] ويكلم [illegible] الشاعر [illegible] القارة [illegible] عبقري آخر على شاكلته.

وأغلب شاعرنا العبقري في أنه يسير على [illegible] الناس

— أو [illegible] إلا [illegible] والحياة [illegible] ما [illegible] ولست أدري [illegible] إلى [illegible] من [illegible] فلان وفلان ممن لا [illegible] الزق [illegible] ويكلم [illegible] من الشاعر [illegible] لم أستطع أن أتبين [illegible] شيء من [illegible] أن أسمع [illegible] موضع الأعجاز [illegible] من [illegible] الشعرية لا [illegible].

وأشار أحد [illegible] إشارة [illegible] إلى تلك الروح [illegible] التي ألهمته [illegible] على وجه [illegible] وصاح [illegible] ثم [illegible] صاحبه بنظرة [illegible] كأنما [illegible] أن ذلك الصديق يشك في وجود تلك الروح، أو يظن أنما يعني ما يجري به الكلام في [illegible] .. وما كان شعره [illegible] فصيحة [illegible] من [illegible] فهو لا يلقى [illegible] إلا في رؤوس [illegible].

وألح عليه صاحب آخر أن يطربنا ببعض روائعه، فتمرس في [illegible] أنا ممن [illegible] الفطنة [illegible] الذين لا يفهمون [illegible] أقرب إلى الأول، إذ [illegible] أحد [illegible] من شعره [illegible] لقد [illegible] منه كل كلام من الشعر [illegible] الأوهام .. [illegible] لن أحفظ شيئاً منه، على أني أذكر من [illegible] ما [illegible] أخيلة [illegible] من [illegible] شعر [illegible] أبي [illegible] وروائع [illegible] من الطلاق [illegible] وجمع [illegible] شيخ [illegible] شوقي وجعل شوقي [illegible] في مصر [illegible] من [illegible] الشعراء [illegible] أن ينكر الأخفال [illegible] أسلوبه [illegible] من لا [illegible]

[illegible] على شوقي ما [illegible] المحدث، ويستكثر عليه [illegible] في [illegible] العبقرية [illegible] الإحسان الشرقي من الشعر [illegible] كلامه [illegible] لا روح فيه؟ [illegible] أرى [illegible] شوقي، [illegible] أمري، فظل هذا كذلك [illegible] العبقرية [illegible] إلى الشاعر [illegible] على الناس [illegible] ما [illegible] إلى [illegible] هؤلاء الذين [illegible] بعد اليوم [illegible] من الشعر [illegible] إليه ألا يجعل [illegible] على دولة الشعر، وإشفاقاً على مكانه العربية.

# وحي الذكرى والحنين

[ ابنة تناجي أباها بمناسبة
مرور العام الثاني على وفاته ]

للسيدة وداد صادق عنبر

---

في ظلام ذلك الليل الدامس، وفي صمت سكونه الرهيب، جلست بمفردي أتذكرك وكل ذكرى دمع، وأبكيك وكل دمع تذكرة من ذكراك، وقد طال حتى حسبت أن ليس له صباح، فما أطول الليل على صبر الثكلى، وما أقرب الثكل من طول الليل

جلست أنا حائرة فذكرتك أبتاه:

وأحببتني كما أحببتك في الدنيا حتى الابتسامة حين تخصني بالحديث في كثير من أوقاتك، وروت عيناك بها المنية الإلهية وقد ملأت حبيب أبوة وبرّ بنوة [illegible] وا أسفاه على تلك الصفحة السعيدة الأولى التي ما عشت بها طويلاً حتى طويت منطبقة على شعاعها وروعة سطورها، ولولا إيماني بسالب القدير لأنكرت على القدر أن يحرمني منك

أجل، لولا إيماني لأنكرت عليه أن يحرمني منك وقد كنت ساكنة لحبك لا أكل ظل سكناك. فيا لهذا البيت الذي عمر على قلبي وحسي معاً، والذي لم أجد لهمومه فرجاً سوى قبرك المعزى، فقد أجد فيه عطفاً من سلواها وبردها، فأنعم جوه حناناً بأبيك ولما ارتحلت، وأبحث عن حسرة تخفف الأسى على كبدي حين نحسن أي جرح هذا الذي شقه القدر في قلبي عميقاً لا يبرأ ولا يلتئم. وأي مجموعة من الآلام تركتها خليقتي فيك في أعماق نفسي، وكل ألم منها في وحدة مني في بعض العذاب أستصعب مذاقه ولا أرجو فراقه. وأي كتيبة من الأحزان تعسكر في أعماقي وأيسرها يمحق النفس ويجرحها، ويمحق الحياة ويمحوها. وأي ثورة في نفسي لا تسكن أبداً ولا تهدأ، وساعة لا تمضي مني في كل ساعة تجد، وأي سخط يحصر قلبي الراضي المطمئن يطل على حياة واعدة [illegible]. وأي هم ورمّ أحدثت بي في حسي فأصبحت في شبه سكرة أو غمرة

أعمر قلبي حنانك من غير كلفة حتى كنت في حياتك

عن كل الغرض عن الا يمكن [illegible] أو هزة سكون، لأنك أصبحت حباً صورته الا [illegible] أنه أصبح مثلاً يقيناً من أنه ينظر إليك ولا يقاس عليه

على أن الضعف يدعوني أن يرث على الأمس أو يبكي في الطرق [illegible] وإني لأحمد على أن يرث أو يبكي في حزنه على أني أعود فأعتبك وأنا ذاهلة [illegible] على قرار، مأخوذة على استقرار. أسمعك في [illegible] أصبحت فأرمقك ثم أدعوك، وأتسمع صوتك ثم أتسمع، فإذا هو القبر في سكنته، وإذا هو [illegible] في [illegible] وإذا بصدى صوتي يرتد إلى نفسي خافتاً خافتاً

أبتاه،

إني لأخاطبك الساعة وأنا أكتب كلي في ذكراك الثانية، أخاطبك من وراء قبرك، من وراء الموت، من وراء الزمن، من وراء الخلود، [illegible] ما أرانيه في حياتك لنفسك من [illegible] ذكراك، [illegible] لا [illegible] شبابك [illegible] للمجد أترابك، [illegible] من أمثلة الجهاد والعمل [illegible] من حيث لا [illegible]

لا، بل أخاطبك في آثارك حية بين يدي وكل أثر منها صفحة من حياتك عليها طابعك [illegible]

وأخاطبك في آخر الرحيل (كمال) الذي كان كل همك حب وتذكرت فيه آمالك وأحلامك، وقد تركته في هذه السن الصغيرة [illegible] أمامه [illegible] المستقبل الذي أردته في طريقه إلى الشهرة [illegible] الكامل [illegible]

ألا سر حانياً [illegible] وإن لم يبلغ مداك، فحسبه أن يسير على هداك

رحمك الله وأن يلهم ذلك [illegible] الذي [illegible] طريقنا السوي، وأن [illegible] وأمطر جدثك الكريم وابلاً من [illegible] رحمته، [illegible]

وإلى يوم نلتقي عليك مني السلام

ابنتك البارة

وداد صادق عنبر

نوابغ في سير أعلامهم

# بـــيرون

نفثة الشعر، للشاعر الذي ... أروع أناشيد عصره، ولا ... في ... الحب

## للأستاذ محمود الخفيف

وانصرف بيرون في كيمبردج عن دروسه كما كان يفعل في هارو وراح يقرأ ما يحب قراءته من الكتب، وأخذ يعنى بنظم الشعر في عنق التناسب؛ ولقد اصطفى فريقاً من الصحاب في الجامعة كما فعل في المدرسة، وظل في الجامعة حريصاً على أن تكون له الزعامة على من هم دونه في السن وأحب في الجامعة شيئاً واحداً وذلك هو ... الحرية التي ... من قيود المدرسة، وعاش في سعة بما أتيح له من المال، وبسط يده لإخوانه كل البسط، وكان من الأمور الشائعة يومئذ لعب الورق وشرب الخمر، حتى لقد كان يعرف الطالب بمقدار ما يشرب من الراح في جلسته، ويبلغ حدته في اللعب أكثر مما يعرف بما يحصل من دروسه؛ وكان طبيعياً أن يجاري طالب مثل بيرون أقرانه فيما استمرءوه، وإن كان يكره الخمر بطبعه؛ وأقبل الطالب على حياة اللهو، لا يعبأ بعرف ولا يهتم بلوم، حتى نفد ماله، فاستدان بسعر [illegible] ولما ضاق بالجامعة [illegible] استأجر مسكناً خارج أسوارها، واتخذ له

خليلة ألبسها ملابس الرجال وادعى أنها أخ [illegible] العيون منه؛ فهل كان يريد منها ... أن يشعر [illegible] عواطف وأحلام الحب، أم هل كان يجري فيه على عادته من [illegible] من خلال؟ الحق أننا نستطيع أن نرد ما [illegible] من الهوى إلى الأمرين معاً؛ ونستطيع كذلك أن نضيف إليهما ولعه بالرياضة التي جعلت ... ؛ وكان يريد من الرياضة أن يكفر عنه ... جسمه، لأنه كان أميل إلى البدانة، وكان يكره البدانة شديداً؛ وكان أحب ضروب الرياضة إليه السباحة التي كان يجيدها ... التي أخذ ... على أحد كبار معلميها

ولما انتهى العام ترك بيرون الجامعة وذهب إلى سوثول حيث كانت تسكن أمه، فما أن وقع بصرها عليه حتى ثارت في وجهه وقذفته بما كان في يدها، فعول على الرحيل مسرعاً وقد كانت له يومئذ مركبة اشتراها فركبها مع أحد أصدقائه وركب إلى جانب السائق خادمه، واصطحب معه كلبيه وكان يحبهما أشد الحب، وغاب زمناً عن أمه حتى أشفق ماله فعاد إليها على رغمه

وطبع في الجامعة سفراً جمع فيه شعره بإشارة من فتاة كان قد تعرف إليها في سوثول حين ذهب إليها أول مرة مع أمه وكانت تعجبه ... ؛ ولما تم له جمع قصائده دفعها إلى ناشر تحت عنوان «ساعات الكسل»، وذهب إلى [illegible] يعرض نفسه على ... ذلك الكتاب، وكان مما ... أن يرى اسمه في «[illegible]» ناشر الكتاب؛ وراح [illegible] أن تنشر الصحف من نقد شعره، ولما عاد إلى الجامعة كان يطرب فؤاده لما يسمعه من ذيوع شعره بين طلابها، على أن هذا الشعر يومئذ لم يكن من النوع الذي ينذر بمستقبل عظيم. وما لبث بيرون أن سمع أن صحيفة أدنبرج حملت عليه حملة شديدة، ولا عجب في نقد مثل هذا النبت، وكان بيرون في التاسعة عشرة، وقد أشار إلى سنه في مقدمة كتابه، فعدت الصحيفة ذلك منه [illegible] إلى ذلك السن في حملتها ذاكرة أن كثيرين غيره نظموا مثله وهم في سن مثل سنه أو أصغر منها فكان خيراً من [illegible] كثيراً. فماذا يفعل ذلك المتمرد [illegible] هذا النقد الشديد؟ لقد تمكن منه الألم أول الأمر، لقد كاد يمسي بالحياة بعد ما كان يعده [illegible]، وظن أن سيكون له في الشعر من [illegible] الصيت

ما يطلبني به وربما يحمله به [illegible] يرمي به رأسه ويحرزه من نفسه بعض الطرب الذي كان يجده من صحبته والذي ظل ملازماً له كما يجمل ذلك في حديث له يومئذ مع قسيس في سوثول كان يحدثه ويذكره بما من به عليه خالقه من نعم منها أنه وهبه عقلاً يسمو به على الناس، وكان جواب بيرون أنه يسمو بعقله عن الناس ولكنه يسقط برجله عنهم

فما يصنع ذلك المفكر العاثر؟ لقد فكر أن يرد هوانه على هذا النقد بقصيدة ثائرة، ولكنه عاد فآثر التمهل ليكون رده محكماً وليفرغ فيه كل ما يجيش في نفسه، وأخذ ينظم وقلبه ممتلئ بالسخط والحنق على نقده وعلى شعراء عصره جميعاً

وأقفل اللورد [illegible] قصر نيوستد مسكن اللورد بيرون [illegible] فيه وكان به قبل أن [illegible] بذلك القصر القديم؛ على أن الشاعر ظل على الرغم من ذلك شديد الحب له والإعجاب به، وكان أول ما اتجهت إليه عقب عودته شجيرة [illegible] فما زال [illegible] الملتقى وما بقي من [illegible] الصابيح، [illegible] في [illegible] من جيرته [illegible] لم [illegible]؛ [illegible] الشاعر [illegible]، على أنه لم يستطع أن يرفض دعوة وجهت إليه من [illegible] تزوجت وصار لها طفلة صغيرة وكأنه لم [illegible] أكثر من يوم فلقد [illegible] بما كان يحس به من أسى، وحول الكلام [illegible] إلا عبارات متقطعة لا معنى لها، وعاد [illegible] إلى قصره يلذع الأسى قلبه وتتنازع الهم مشاعره فكتب لساعته قصيدة تعد من أروع قصائده تحكي فيها لوعته في قوله

« وداعاً يا [illegible]: لا بد لي من الرحيل، وما دمت [illegible] قلبي هناك [illegible]، أما أن [illegible] فلك [illegible] إذ [illegible] ما يجود [illegible] قلبي [illegible] بجنبيك

لقد [illegible] ظننت أن الزمن في [illegible]، وأن ما [illegible] عليه [illegible] من عز وكبرياء، كفيلان أن يخمدا في قلبي [illegible] الثائرة [illegible] الحب [illegible]، ولكني لم [illegible] حتى [illegible] إلى جانبك أن قلبي لم [illegible] في كل شيء [illegible] إلا من جهة واحدة ... هي الأمل !

غير أني على الرغم من ذلك [illegible] بين يديك؛ ثم إني لم أنس [illegible] التي كان [illegible] فيها قلبي [illegible]

[illegible] له من [illegible]، وأن الآن [illegible]، ولكن قلبها لم [illegible] (1)

ويحول الشاعر عن [illegible] في رحلة طويلة في أنحاء القارة أو إلى الشرق، ولكنه [illegible] يفرغ من كتابه الذي كان [illegible] الرد على نقده

واحتفل الشاعر في [illegible] بعيد [illegible] بلوغه [illegible]، [illegible] إلى القصر [illegible] أصدقاؤه حيث أقاموا له [illegible] ساهرة، ثم ذهب ليأخذ مقعده في مجلس اللوردات [illegible]، [illegible] التقاليد التي كانت تقضي بأن يصحب اللورد [illegible] في [illegible] من أهله أو من أصحابه، ولكن اللورد بيرون لم يجد من يصحبه، [illegible] وفرغ من كتابه [illegible] الشاعر [illegible] في الأسلوب والقوة التهكمية [illegible] على نقده وعلى شعراء عصره لم يستثن منهم أحداً، وإنه ليتساءل كيف يجهل [illegible] النقاد ما [illegible] عليه؟ [illegible] الكتاب [illegible] أكثر ما [illegible] الشاعر الشاب، ولقد ظهرت فيه [illegible] في التهكم [illegible]، [illegible] قوة [illegible] وإشراق [illegible]، واطمأن الشاعر إلى مكانته [illegible] على [illegible] من أكبر شعراء العصر، وهو بعد في الحادية والعشرين من عمره، وأحس أنه [illegible] من [illegible] في [illegible]، وكان [illegible] من قبل [illegible] الشاعر [illegible] الرحيل [illegible]، [illegible] بعد أن [illegible] على نفسه، [illegible] الهم [illegible] لوجوده [illegible] على أنه قبل أن يرحل [illegible] من خلانه في [illegible] إلى قصره، [illegible] شهراً في [illegible]، [illegible] أنهم كانوا [illegible] في [illegible] آنية [illegible] من الأرض [illegible] البستان [illegible] الرحيل [illegible] الشاعر [illegible] أحد [illegible] ولم يجد حوله من [illegible] على [illegible]، [illegible] لم [illegible] أحداً منذ فترة طويلة، [illegible] أنه لم [illegible] في وجوه [illegible] بشره [illegible] يجرون [illegible] البحر [illegible] ولا [illegible] يعود

وسافر [illegible] من خلانه [illegible]، [illegible] إلى [illegible]

(1) [illegible] القصيدة بعنوان [illegible] في العدد [illegible] من الرسالة

طارق ؛ وكانت أسبانيا يومئذ في حرب مع نابليون ، وكانت الجيوش الإنجليزية تساعد أهلها على الخلاص من نيره ؛ وأعجب بيرون بشجاعة أهل أسبانيا بقدر ما أعجب بجمال طبيعتها

وترك وصديقه صخرة جبل طارق على ظهر مالطة ، ومنها توجها إلى ألبانيا حيث نزلا ضيفين على علي باشا والي يانينا ، وقد ما أعجب بيرون بسذاجة الألبانيين ومظاهر الحياة الشرقية في قصر الباشا ، وكان له من ذلك مادة غزيرة سوف تظهر فيما بعد في آثاره

وقصد من ألبانيا إلى بلاد اليونان ، موطن السحر والجمال ، بلاد هوميروس وأفلاطون ، ووادي الأساطير الخالدة ، ووقف الشاعر أمام آثارها يبدي أروع مشاعره مما يحدث من أخبارها وما يرى من مغانيها ... وتوجه بعد ذلك إلى القسطنطينية مدينة الشرق الخلابة ، وبلطة الساحرة ذات المجد الخالد والجمال الطريف ، ورأى مظاهر الحياة في محكمة السلاطين

وعاد الشاعر إلى وطنه بعد أن قضى في هذه الرحلة زهاء عامين ، وفي جيبه قصيدة طويلة لم يكن إلا خلاصة مشاهداته في رحلته هذه ، ويريد الشاعر في نشرها أيضاً ! ثم دفعها إلى صديق له يسأله رأيه ، فأشار الصديق عليه أن يدفعها إلى الناشر ثانياً لجديرة بذلك أي جدارة

وعمل بيرون بما أشار به الصديق ، ولم يكد يطوف الناس هذا الكتيب الجديد ، ويقع أعجب على ما جاء به من وصف هذه الرحلة ، حتى كان اسم الشاعر الموهوب على كل لسان ، وتحدث به رائعة وصفه وحماسة شعره وقوة عاطفته ما يصل السحر ؛ وعكف عرائس الشاعر هذا الكتيب الذي خلق من شعره أول الأمر من ذهب الصيت ما لم يتوقف الشاعر لبه ؛ بل لقد حاز بيرون من الشهرة ما لم يحز رجل آخر في أي ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية ، حتى لقد شبه يومئذ بالشهاب اللامع ، الذي يخطف بريقه الأبصار على حين فجأة ، وقال هو يصف نفسه : « لقد أصبحت ذات صباح فوجدتني من ذوي الشهرة »

منذ ذلك اليوم صار بيرون شاعر عصره في إنجلترة ، فأخذ يجمع الشعر في سرعة عجيبة أدهشت الناس وحيرت النقاد ، ومن إليه كثير من ذوي المكانة يهنئونه ويثنون عليه ، وأصبح يشار إليه في كل محفل ، ويدعى في الوصفة إلى موائد الشعب والسكبول ، وهو يزداد بذلك شهرة ويجنى كلبه زهواً وخطراً . ولم تكن إنجلترة يومئذ خلواً من الشعراء ، حتى تعزى شهرة بيرون إلى أنه لم يكن في الميدان غيره ؟ فقد كان في تلك البلاد عدد من فطاحل فحلا

فتى من أمثال وردزورث ، وكولردج ، وسوذي ، وتوماس مور ، وكامبل ، ووالتر سكوت ، وغيرهم ، وكان معظم هؤلاء أكبر سناً منه وأسبق في مراس الشعر

ولقد فاقت شهرة بيرون شهرة كل من هؤلاء جميعاً على الرغم من أن كان لأكثرهم من سمو المكانة في الشعر مثل وردزورث ، وسوذي ، وكولردج . وليس معنى ذلك أنه تقدم في ذلك العصر ، فقد كان لكل منهم ناحية تفوق فيها ، وإنما أعني أنه من الصيت ما لم يتح لأحدهم ؛ الأمر الذي جعل والتر سكوت على جلالة شأنه يومئذ يترك الشعر ويبحث لعبقريته عن مجال آخر هو مجال القصص قائلاً في صراحة : إنه إنما يفعل ذلك لأن بيرون قد أخذ عليه طريق الشعر ، وهو قول كان له وقعه في الأندية ، وكان له كذلك أثر بعيد في زيادة شهرة الشاعر الشاب ، الذي لم يكن يومئذ يزيد على الرابعة والعشرين من عمره

على أن بعض النقاد يعزون ما أصاب بيرون من النجاح إلى عوامل أخرى تتصل بشخصه أكثر مما يعزون ذلك إلى جمال قصيدته ؛ فهو شاب في ربيع العمر وهو يتمتع بلقب من أكبر ألقاب النبالة ، وهو إلى ذلك جميل الصورة موفور الرجاحة .. ويذكر آخرون يشكرون على هؤلاء رأيهم هذا قائلين إنه ليس قصيدة تستطيع أن يترتب عليه كل ذلك الأثر إلا وهي من طليعتين من أمثاله . ويحسن بهؤلاء وهؤلاء أسباب شهرته هذه في موضوع قصيدته لأي مرة شاعرها ، وعن سياحة في القارة في وقت كانت تتجه فيه الأنظار إلى ما يجري فيها من حروب بينها نابليون في أعقابها . ولكن القصيدة لم تكن وصفاً لتلك الحروب حتى يصيبها هذا الرأي

ومن كل ما أصابت القصيدة من شهرة رجع إلى موهبة شاعرها صاحبها فحسب ؟ إن الذي يقرأون ذلك أيضاً يضيفون فيما يرى من الإنصاف بعد مناقشتهم ، ولما كانت القصيدة أشهر حدث أدبي في حياة الشاعر وأحد العوامل الهامة في الحركة الأدبية يومئذ وجب أن نتبين حقيقة أسباب نجاحها على مثل هذه الصورة الفائقة

(يتبع) الخفيف

---

حكم استئنافياً بتغريم محمد موسى أحمد البقال بالسيدة زينب بغرامة ٢٢٨ قرشاً سنة ١٩٣٩ استئناف ١٨١٨٠ قضية ١٥ نوفمبر جنيهان لبيعه صنفاً بأزيد من التسعيرة

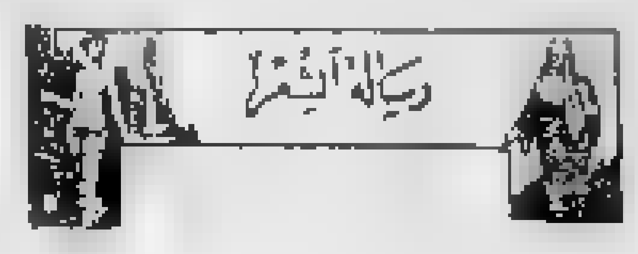


# اذكري قلبي ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي
أنا غصنٌ في رياض الحب ظمآن الصعيد
سوّحتني لفحة الوجد وأجّت في عودي
ومشت جمراً على أنوار زهري وورودي
فغدت أشلاء في أرضي آمالٌ وقصود
اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي

* * *

أنا غصنٌ كأنه السيف في دم المطرد
هزّه الشمس بعيد القعود، حصان الشرود
وتحنّى عنده الشمس على وجهي وجيدي
كم شعاعٍ نفذت في قلبي كالسهم السديد
عن في بالي مناحي لله كالحب الشرود
اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي

* * *

أنا غصنٌ شاخص الطرف إلى ريحٍ بعيد
مسركبٌ غيرُ أم ماء! يا ويح جمودي!
بيني حيث أشتاق إلى الماء البرود
في أعراقه من الوحي كالحزن المسعود
وكستني مرقة الشوق كالعشب الحصود
اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي

* * *

أنا غصنٌ حاقه الإعصار كالقانت الفريد
تحته الروح ماتت في ليالٍ أو في اللحود
وطغيني محنة الأحرار في ذل العبيد
الصدى والهدب والتربة، سحق وجودي
تتلاف حسرة آتي يا نيب الجدود
اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي

* * *

أنا غصنٌ يجرح القبر بليلٍ من ركود
يطلق تحوّله الشمس بأحزانٍ شرود
لم يكن عوده من الوحشة في ذل الوجود
لأذابت شمس الآلام .. كالدمع الهجيد
أسكرتني الشمس والقمر ودولات النهود
اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي

* * *

أنا غصنٌ عرفته الطير زكاة القنود
تسكره الزهر والنور بألحان النشيد
ثم غنى كمن نبت الروض السجود
وشبابٌ حامله الشرود ... وريد
وأنا الحسرة والأشجان تُلهي وشهيدي
اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي

* * *

غصنٌ مر ... واصالك في ركن عديد
هدّ كيانك الزي وعصمته من وشي البرد
وغصن عوده الرياب ... الخدود
فإذا الشمرة حركته أنفاسي ... يسعى
وإذا هنالك سر العشير تلقي أو تسعدي
اذكري قلبي .. فقد ينضر من ذكراك عودي

محمود محمد شاكر

من وحي العطلة الصيفية

# تحت الشراع

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

املأي أذني بالحادي الصياح ... واسكبي منه شعاع الطرب
خمسه الشمس على الصفحة لاح ... وعشي في الأصيل المذهب
وجرى الفلك على تلك البطاح ... عصبة قد صوحبت بالأعصب
وشدا الملاح بالركب ودح ... [illegible] في شرع المركب

* * *

امضي للنيل غناءً وحداءً ... مثل همس العاشق المرتقب
موجته الريح تارةً كبرا ... كلحين ذائب منسكب
إن للموج صهيلًا [illegible] ... كهزيم المقتتل المحترب
وجرى ماؤه إذ مر عبرا ... سائغ الطعم هنيء المشرب

* * *

النواتي حين يلقين الجرى ... يتشكى كلهم في التعب
ويناجي مع الطير الذرى ... قمر الأفلاك [illegible]
آه ما أحلى غنائك العذارى ... والقلاع في [illegible]
آلف [illegible] الدار ... وسلوت [illegible]

* * *

والضحى يمكث في النهر لعيب ... جيده مثل [illegible]
ولها النهر كمرآة تستتر ... في إطار مشتعل [illegible]
والنسيم الرطب مر يختفي ... [illegible]
وشدا الطير على الماء وغنى ... [illegible] من [illegible] أو طرب

* * *

وهنا الصحراء تمشي [illegible] ... كالعذارى [illegible] العرب
وسواد الظل في [illegible] ... كما [illegible]
وعلى في صمته تلك [illegible] ... هارب من [illegible]
بلغ الأصحاب منه [illegible] ... ويشق [illegible]

محمد عبد الغني حسن

## الشيخ العقل والروح الشاب

ألقى الدكتور طه حسين في قاعة الجامعة الأمريكية كلمة أريد عليها، كما قال في أول كلامه، فتسرب من هذه الكلمة من غرفة محاضرة أو بحث قليلاً، فتتعب بالتحمس الشديد للدكتور طه حين خرج على الناس ليتكلم !!

وبحث هنالك في مقام التلخيص لهذه الكلمة، ولكن بالشكل الذي يجب على به أن أشير إليه، موضع الرأي الذي يسر لهم أن يشغلوا أنفسهم به ربع ساعة من نهار، كما شغل الدكتور طه مستمعيه ساعة من ليل يوم الاثنين ٢٩ يناير سنة ١٩٤٠

وليس في القراء الذين يعرفون الدكتور طه من يجهل أن أول ما يتكلم به الدكتور إن هو إلا أن يجعل عنده كل شيء إلى الرجل! ومن يدري... فلا شك عندي في أن أول نظام صحب الشيخ العقل والروح الشاب، إنما كان في المدن اليونانية والمصادر اليونانية والفلسفة اليونانية! هذا شيء معروف منه قد جعله الدكتور طه مذهباً لا يحيد عنه، وأسلوباً لا يسلك غيره، ولا بأس بذلك.. فأنا أعتقد أن اختلاط المذاهب الثقافية في الأرض المظلمة، قد جعل لصاحب الرأي سعة يذهب منها حيث يشاء. فرض علي أن أقول إن أول نظام عرفه التاريخ لتنظيم الشيخ الروحي والعقل الصحيح، إنما كان الصين، وقد عرفه لنا ما بقي من آثار «كونفوشيوس» فيلسوف الصين الأكبر، وعجبت من الدين ما أستطيع أن أفهم به صحيح الرأي، وأرده على عشاق الرأي وصحيحه. وكيف لا أستطيع ذلك وفي كل كلمة من كلام هذا الفيلسوف العظيم توجيه قوي للشباب الصيني إلى الخير المحض، وهو الذي يقول: «من حق الشباب أن ننظر إليه بعين الاحترام، فلا يدري أن غده في المستقبل سيكون دون هذا في الحاضر؟ أما من أسلم في الأربعين أو الخمسين من عمره ولم يشتهر بشيء من العلم، فلا يستحق أن ننظر إليه بعين الاحترام» وقد جعل كل جهده في هدم تقوم الدولة الصينية، يقول: «إن الاستبداد ... بلاد بالفوضى، وإن الشعب ... لا يمكن ... أكثر الطيور والوحوش، ... الآن أكثر ... أن أكثر! لو كانت البلاد تحت حكومة عادلة لا ... في حاجة إلى أن أحاول إصلاح نظامها»

هذا وغيره من تاريخ الأمة الصينية وتاريخ فلاسفتها يعلمنا أن أول نظام كان إنما كان الصين، فلا شك أن أمور العقل والروح هي أول ما ... ؛ وأنت ترى أن للصين جميع الحضارات القديمة لسبق وأن يعمل به صاحبه إلى هذا. واليونان من الأمم القديمة تلت الحضارات القديمة، وإنما نضجها وجعلها شابة ... كل أمر يريد أن يرد إليها معنى من المعاني، فإنه كثير من آثارها، ثم جاءت أوربا الحديثة بإحياء ما طرح عنه الزمن من سمعتها، وأمر أمم الشعوب الأخرى في الأكثر آثارها أو تناولها في غير من الإهمال والنسيان، وعمود المتقدم في البلاد الشرقية التي هي أمس رحم، آثارها. هذا قليل من كثير يمكن أن يقال في مثل هذا الأمر من أمور التاريخ القديم

وبعد هذه المقدمة، ساق الدكتور طه حديثه بيراعته التي لا يستعصي عليها شيء ولا يجهد ولا يتلعثم. وأنا وإن كنت أظن أن الدكتور طه لم يوف في كلمته كل هذا المعنى ولم يعرض أغراضها إلا عرضاً سريعاً خاطفاً جيداً، فإني أعرف أنه لا يستطيع أحسن مما قدره في المقال أن يقول من الآراء ما يجب أن يُشار في أفكار هذا الجيل، حتى يمكن بعد ذلك أن يستطيع من أمورنا ... أما صوت ... بالعقل ومستبد ... وكيف، ... المصائب الرهيبة على شعب ثم لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أسبابها، ولا أن يذود الأمراض الضارية التي فرضت عليه الاستبداد أقسى ما يمكن أن يجمعه من ضروب العنف والطغيان

## الدولة والشباب

ثم ما تناوله الدكتور في حديثه هذا هو بيان موقف الحكومة من الأمة التي يجب أن تحرص على رعاية الأمر فيها وصرفه بما ينفع الناس ويبعث فيهم قوة على غيرهم. فالأمم كلها قد أسلمت إلى حكوماتها أمر القيام على الثقافة والتعليم، وأصبحت من حق سلطانها تستطيع أن تنشئ به نشأ كاملاً صحيحاً يكون فيه روح الشعب وحياته، ويعمل لحساب الوطن في المستقبل، وحمايته أغراضه من أمراض الجهل وأوبئته التي تهد قوى الشعوب

وتفتك بالعقول التي خلقها الله لتعمل في تدبير أسباب الإنتاج للوصول بها إلى الكمال الممكن في هذه الأرض.

وإذا كانت الحكومة – أو الحكومات – تأخذ من الشعب الأموال المتوافرة الكثيرة بالضرائب التي تفرضها عليه في كثير من مرافق حياته كتجارته وزراعته، فتنفق هذه الأموال في تجهيز الجيش وإعداده وتسليحه وتقويته ليدفع عن الأمة شر المطامع الأجنبية التي لا تلبث أن تغزو البلاد إذا وجدت منه ثغراً ضعيفاً تنفذ إليه منه، فإن الحق أن نجعل شأن الفرد الذي يقوم بهذا الجيش، والذي هو المدد الأول للجيش بروحه وعقيدته وفكره وقوته ... فالجيش الذي يتكون ويتجمع من شعب جاهل مجدب ضعيف الجسم ضعيف العقل والخلق، لا يمكن أن يكون حصناً مؤتمناً على ثغور البلاد يحميها من غوائل الحروب

الرأسمالية والفقراء

وإذا كانت الحكومات جميعاً لا تفرّق في إعداد الجيش بين طبقات الشعب كلها ناظرة إلى الغني والفقير، فمن العدل الذي ليس منه حلٌ أن يقوم نظام سليم عند الشعب على التفريق بين الغني والفقير؛ فكلاهما قد فرض عليه أن يبذل دمه وماله وعمره وجهده في الدفاع عن أوطانه التي تحكمها هذه الحكومة؛ فمن حقه على حكومته أن تعده الإعداد الذي يستطيع أن يدافع به عن هذا الوطن. والأسلحة المختلفة هي بعض أدوات الدفاع، ولكن الأداة الكبرى في الدفاع إنما هي الرجل الذي يحمل هذه الأسلحة، فيجب أن ينصرف أعظم همنا إلى إعداد الرجل في طبقات الشعب غنيها وفقيرها على السواء بالحرص على إعطاء الشعب غذاء كاملاً من الآراء الحقة من الثقافات المتنوعة، كلٌّ على قدر طاقته وموهبته واستعداده، مكفولاً له الحرية في الاختيار مع التسديد والإحاطة والنصح

والحكومة حين تنظر إلى نوع الدفاع تفرض الضرائب على نسبة الأموال التي يملكها الشعب غير مفرقة بين الغني والفقير في نسبة الضريبة التي تتقاضاها منه اقتداراً وفريضة، فكذلك يشترك الغني والفقير على السواء في تحمل واجبات الحرب. فأولى بها أن يشترك الغني والفقير معاً في القيام بأعباء التعليم والثقافة ونشرها والمساواة في تنصيب الغني والفقير على المساواة بغير تفريق. وليست تجري الحكومات على تفرقة بين الغني والفقير بقانون موضوع، وإنما هي تفرق بما هو أعظم خطراً من القانون الرسمي

لأنه قانون الطبيعة وقانون الفقر. فالغني يستطيع أن يجعل أبناءه جميعاً يجوبون العلم من الابتدائي إلى العالي مستمتعاً في ذلك بالمال الذي استخلفه الله عليه، والفقير لا يستطيع أن يحول بين ذلك وبين أبنائه طعاماً للعيش المنتزع بحثاً من براثن الفقر الوحشي

ومن العجيب الذي لا ينقضي، إلا منه أن يكون في أمة من الأمم رجل غني يأتيه ثلاثة آلاف جنيه في العام، وليس له من الولد إلا ثلاثة أو أربعة يتكلف في تعليمهم ما لا يزيد عن مائة جنيه في العام كله، ورجل آخر يكون ما لا يدخل عليه مائتا جنيه في العام وله من الولد مثل الذي للأول فهو يدفع مائة مثل مالكه أي نصف دخله! فما بالك إذن بالذين يصيب عليهم من الأموال ما لا يستطيعون التصرف فيه إلا أن يتكففوا على الدناءة والتكرف من العنت والحر والقيظ وما يقتضيه المال والخسيس وليس لهم ولد، ثم يكون في الأمة كلاب محكومة من الإنسانية إلى ملايين نفس وتلد وعدد الأمة بأسباب مختلفة من الأمن والبحث ولا يملك أحدهم ما يموت به نفسه فضلاً عن يقوت به ولده، وفضلاً عن يدفعه لولده للتعليم أجراً للتعليم ... إذن فواجب الأمة أن تحمل الحكومات على تغيير نظام التعليم ونظام الضرائب، فتحصل الضرائب من الشعب كله على نسبة رأس المال والدخل، فتستخدم هذا المال المجموع من الضريبة في تعليم الشعب كله على المساواة بين غنيه وفقيره، وتلغى من ورقة للتعليم نظام التحصيل، وتحصيل المصروفات المدرسية من أولياء أمور التلاميذ، ويكون التعليم كله من أوله إلى نهايته هباتاً مبذولاً مفروضاً لكل مستطيع وطالب وراغب بغير تفريق.

وأحب أن أقول للدكتور طه، ولغيره من كتابنا: إنه من الحسن أنكم تطوفون بالمدن والمسكنات في مثل هذه الفرص التي يجمع الناس ويرفع عن أعينهم ستر السودة التي يفرضها الجهل وسنة الفقر حيث كثيرة. حتى كأن الدكتور طه في ألفتها، إنما نعيش عدداً من الناس – أكثر الشعب منهم – قد طرحوا حيث التمكن من حق خرجوا من بيت الله كله، كما طرح الأجداد الخالة. وليس شيء يحمل الحكومة على الجادة وعلى سواء السبيل كالصحافة وكتابها إذا جعلت وتطورت من الحرص والتوي والإعانة والبين والصبر. هل يمكن أن يكون هذا في مصر؟

ثابت ... : كيف هي؟ فإننا

... من هذه الأكل للعصر

عناصر الثقافة المصرية

وقد جعل الدكتور طه أركان الثقافة الروحية والعقلية التي يجب أن يغذى بها الشباب، خليطاً مركباً من ثلاثة عناصر: العنصر المصري من تراث مصر القديم – الفرعوني – وهو الفن؛ والعنصر المتمثل في مصر الإسلامية، وهو الدين والأدب والفن العربي الإسلامي؛ والعنصر المتلبس بحياتنا المعاصرة منذ اتصلت بغيرنا من الأمم التي تعاوننا منها أو تنافسنا، وهو العنصر الأوروبي الحديث. وسأبين بعد ما هو عند الدكتور طه

أما العنصر الأول، وهو الفن الفرعوني القديم، فما أراه المشكلة الآتية، فإن أكثر الناس كثير فيه، وقد زل على مباحثه أكثر أصحابنا عن غفلتهم، عن صواب الرأي. وأما أنت أن أتناوله بالبيان الذي يجمع من مصر شيئاً كثيراً ويصل لنا ما تمسكه جميعاً من الخير

وأما العنصر الإسلامي من الدين والأدب والفن، فقد أخذ الدكتور طه في الدعوة إلى العناية به لأنه أصل للنهضة، ومن حيث هو بلاد مصر – أو بلاد العربية على اختلافها – تراث الإسلام قد حظ في مصر يتمتع به حينه الذي بعده إلى عصره وإلى عصره، وإلى مستقبل هذا العصر، التي سوف تبعث سورها جميعة نامية في حساب الشرق مما أرى. ويمكن للدكتور طه بعد أن نتكلم عن الاجتماع العربي أو الإسلامي الذي عاشت عليه الأمة المصرية هذه الأجيال ولم تعد به بأساً – كما يحوي هو مشعرك عليه بقوله: « بشرط أن يتابع تطور المدنية الحديثة » فأنا والدكتور طه وكل عربي قد درب بالعصر، وعرف ما يعرف أن البناء الاجتماعي هو أصل للمدنية، وأن الاجتماع إذا صلح استطاع كل التوى أن يسير في هذا العصر بعقائده وآرائه وإيمانه وطبعه؛ فإذا أردنا أن نحرس النظام الاجتماعي الإسلامي في الحسن والتشريع والسياسة من النظام الذي أسلفناه للعالم في الحياة تخضعه لتطور مدنية أخرى قد بنى اجتماعها على المسيحية في التشريع والسياسة والأخلاق. فمصر والشرق الإسلامي إذا أرادوا أن ينهض لا بد له – كما قال الدكتور طه – أن يستمد نهضته من أصول الاجتماع التي ربطه به التاريخ والدم والوطن واللسان والدين والوراثة، وإذا سار تابعاً يسار في فكره مطلقة وهي « النهضة والحضارة والمدنية الإنسانية » في الطريق الذي يوافق طبيعته

عن الاجتماع. أما المدنية الحديثة فقد بنيت على غير ذلك وقد تطورت في أسسها؛ وليس بعد خطبة المسيو ... ملكاً لا ... متمكناً لمثلها، فقد خطب الملك يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨ في الاحتفال بعيد ميلاد المسيح – صلوات الله عليه – فذكر الأعداء الألمان الفرنسيين الحرب ضد ألمانيا النازية فكان مما قاله في خطبته (رسالة الأهرام): « إني لأرجو من أعماق قلبي أن القضية التي توحد شعوبنا معاً، وروحك صفحات القضية الأعمق هي ( قضية المدنية المسيحية ). وليس ثمة قاعدة أخرى يمكن أن يبنى عليها مدنية صحيحة »

ومن نظر إلى المدنية الأوروبية عند النظر، وكلام الملك جورج هو من أصدق الصور لحقيقة الحضارة الأوروبية في نظر كل باحث مصري أو سوري أو عراقي ... فإذا أردنا أن نتابع تطور هذه الشعوب من المدنية بسبيل اجتماعنا – الذي دعا إليه الدكتور طه في حديثه – بطالنا؛ فكأنما ندعو إلى « تنصير الإسلام »، وما أظن الدكتور طه يرضى أن نصير معاً للتبشير!

والعجب بعد ذلك أن يذكر الدكتور طه العنصر الثالث وهو الحضارة الحديثة الأوروبية، فلا يعطيه إلى الأحد بشيء، كما هيأ دعوة صريحة إلا في الذي يحسن بأن يكون عند الرجل الصريح الذي يتحرى ألا يكتب شيئه على نفسه بالكذب على الناس، والرجل الذي يستطيع أن يقول « لا » أو « نعم » حين يريد أن يقولها، لا حين يكره عليها!!

ألا إنه حلال للمدنية الأوروبية قد اصطنعت حيلها في هذا العصر للتصرف في أسرار التي لا تعلم مساعيها إلا عالم الغيب والشهادة، وإن أراد أن يأخذ ... أي أن تظهر علينا من تاريخها من وجوه، من أخلاقها وحالها من الذي استطاع به أن ينكر على عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، ويقول له: « اتق الله يا عمر » فيهموا بصاحب عمر في أن يأخذ بيده بأسه، فيقول عمر: « دعوه، فلا خير فيكم إن لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم ». فلا جرم أنه ليعسب أن يقول الرجل، ولكن أن يقبل صاحب السلطان منه القول بالتصريح والرضى؛ فمن منا من يقبله يا دكتور طه؟! أو في الثقافة الأوروبية التي بالجرأة طبعاً الناس في أكثر أشياء إلا من عصم الله؟ ... لا أدري

محمود محمد شاكر

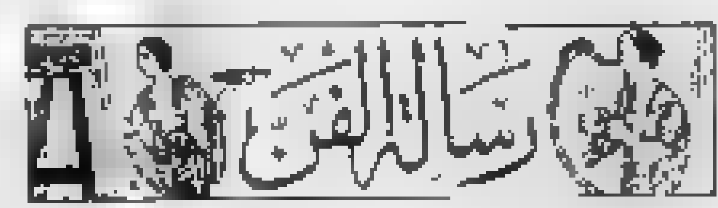


من أسرار الفن

# بطلة شارلي

## للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— عرفت الصحف كثيراً من الفلم الذي يخرجه شارلي شابلن الآن، وعرفت موضوعه، وقالت إنه سيحاول حياة الدكتاتور هتلر، وزادت بعض الصحف فسردت ملخصاً للفلم. وقد اهتم العالم كله بأنباء هذا الفلم لأنه سيكون الحرب التي يشنها الفن على القوة... ولكن هذا الاهتمام الكبير لم يصعد منه ولا جانب كله إلى بطلة هذا الفيلم... أتحب أن ترى شارلي مقصراً في إبراز بطلته، وأن الذي يدفعه إلى هذا التقصير أنانية في نفسه؟

— يجب عليك أن تعلم قبل كل شيء أن شارلي ليس هو المسؤول عن هذا، فهو على ما أعتقد أبعد الناس عن الأنانية لأنه أقرب الناس من الفن الصادق... ثم يجب عليك أن تعلم بعد ذلك أن حياة شارلي خالية من المرأة في رأي الناس. فإذا علمت هذا وذاك أدركت أن أولئك مسعودون ومقصرون ... شارلي من اهتمامك به بالأنانية لأنه لم يترك الدنيا ويكفيه من أجل ممثلة كفيئة سيصحب الجد حين يسمح لها أن تقف إلى جانبه

— يا سلام! أرأيت هذه الممثلة التائهة في الفن سيرافق بها بعض النجاح الذي يلقيه؟ إنه رجل عادل لا رياء فيه، وأكثر من هذا أنه يقصر حتى في أيسر المجاملات

— بل إن شارلي متسامح، ولكنه تناسى أنه لا يزال يصيح ... وأن يظهرن من حوله، وأن يرتفعن إلى المجد على أكتافه، مع أنه بلغ بالمرأة كل الآلام التي تقدره... إنه رجل حار، لا حسد عنده وأكثر من هذا أنه يجامل حتى في المعارك التي تخوضها في حياته

— أية معارك هذه التي يخوضها شارلي في حياته؟

كل أعماله معارك، وكل رواياته مواقع... وهو يخوضها جميعاً، ويأبى دائماً إلا أن يكون إلى جانبه في كل عمل وحيدة من نساء حياته، يخلصها من الماضي ... ويسمو بها إلى آفاق الفن كثيراً، ثم ... بعد ذلك إلى أن يتركها وأن يدعو غيرها ... في كل رواية بطلة

— إن هذه هي ما أسميه ... فقد كان يجب عليه أن يكون له بطلة واحدة يجمعها تمام النعيم، ويكمنها بقدرته على أن يهبها تمام النعيم، ثم لا يتركها ولا يتركه، فإذا كان قد عجز عن هذا بسبب من الأسباب لم يكن عليه أقل من أن يحسن اختيار بطلة من الشهود لمن يتبرع تحت ... أقلامه ... فيكف يجعل كل المتلقين المنكسرين في كل زمان ومكان ... ولا يبعد عن هذا يمكن أن ... ما كان عليه، أو إذا لم يكن يخاف أن يكتشفه ممثلة قادرة؟ وهل تعتقد أنت أن الشخص ممثلة تستطيع أن تكتسح شارلي؟ أنا لا أظن ذلك

— إنني أعتقد لا يغيب أمام ممثلة نابهة! أهو أعظم من جورج آرليس، ووالاس بيري، وبول موني، وهاري بور، وشارلس لاوتون

— ما أبعد الفرق بين هؤلاء وبين شارلي... هؤلاء كل منهم يمثل ما حدث في زمن ما وفي مكان ما... أما هو فيمثل الفكر الذي يعرفه كل زمان وكل مكان

— وهل كل فكر مكروه حتى يقتله؟

— إنه في الزعم محاربه من شر هذا معرفته ويسكنه أصحاب ذلك الفكر.

واضحاً على شهرة هتلر واهتمام العالم بما يشيعه عنه فإن شارلي يجهل بطلته

— من قال هذا؟ إنه يهدي إلى العالم في كل فلم بطلة

— إن هذا الطرح وهذا الكرم صوحبهما عجز عن أن يحتفظ لنفسه بواحدة

— بل هو العزوف عنها من اللقاء إلى جانبه مصحوب! فهو مجنون شامخ

— وما هذا الذي تريد شارلي؟ شارلي الذي حب الشعب ولم يشبع منه ولن يشبع... ألا تعلم امرأة وحدة تحبه عن أن تحتفظ به؟ حقاً إن المرأة فوقاً لا أدرك كنهه

— لعل شارلي الذي يحبه الشعب غير شارلي الذي تجده المرأة في البيت

— من غير شك ، وإن شارلي الذي تجده المرأة في البيت لو أرادت يختلف عن شارلي الذي يراه الناس . هو فنان ، وحياته خارج الاستوديو إنما هي تحضير لحياته داخل الاستوديو ، فلو أن شارلي وجد التي تحب هذا التحضير كما تحب الرغوب إلى جانبه أمام السكاميرا ووهبت له حياته ، ووهبت له عقله ووهبت له ماله ، ووهبت له نفسه شعوراً وعمراً . ولكن سترى بعد هذه الفتاة بين الرواتب تحس منه ، وبين الرأي تزوج منهن ، فهو مفطور إنما على التبديل والتغيير بطلائه ، وإنما هو من زوجاته مطالبه يشغله في حبه ويريد منه أن يرضى الثروة والجاه ، وزوجاته يعشقن سمعه وجاهه ومثله ويردن منه بعد ذلك أن يكون حارس حبه لمن لا يعرف الحب التي يستخلص منها ملوثة فنه

أليس هذا من حق المرأة على زوجها ... ؟

— قد يكون من حق المرأة على زوجها أن تستخلصه لنفسها إذا لم يكن زوجها فناناً صاحب رسالة . أما إذا كان زوجها مشغولاً حتى عن نفسه بما في الكون من آيات وبدائع ، وإذا كان يحيى في هذه الدنيا لكل من يريد أن يحبونه وأن يأخذ منه ، فلماذا لا تتكلف منه هي تستوعب كل ما يمكنها أن تستوعبه منه ... ولماذا لا تجد في هذه المتعة ... لماذا ؟ لأن يكون حسبها غيره من حقوق الحق والاستمتاع ؟

— وهل تريد من زوجة الفنان أو من خليلته أن تقضي معه لحياته متنقلة من معشوقة إلى معشوقة ، ومن حبيبة إلى حبيبة ، ومن [illegible] إلى أجنبية ، ومن مسيحية إلى مسيحية ، ولا يكون لها منه شيء ؟

— وهل تريد منه غير ذلك ؟

— نريده هو ؟

— وأي شيء فيه هو غير ذلك ؟

— نريده رجلاً ، وأباً ، امرأة

— وإنه رجل وأب امرأة ... أو أنكر أحد ذلك ؟

— إنه هو الذي ينكره ... فهو ما أظن لا يكاد يتم علاقته مع صاحبته حتى يحسب أنه قد تم له ما يريد من الاستيلاء عليها ، ثم يمد بعد ذلك إلى ما يرضيه هو لا ما يرضيها هي — فهو يفكر معها من حديث عما يراه في الحب وفي الكون وفي الكوت ويحدثها عن الشيوخ والشروس والعراسيم والحق ، وقد لا يخطر في باله طول السنين أن يذكر جانب منكمه ، أو أن يبتدع لها شيئاً من باب أو الوجاري مثير يعجبها ، أو يجد أن المرأة تهوى لا يحتق

الحياة وحده ، وأنه يخرج كل الخروج إذا أحس أنها ... تحب أن ... هو شعور لا يفتأ يعترض — علي الرجل الذي لا يحتمل الفكر

— أحسنت ، وهذا هو الذي ذكرني وما أظن هذه كرنيك من الحق . ولكن ألا ترى يا سيدي إذا ... أن الرجل إذا تزوج من امرأة كان عقده معه كتاباً يشهد أنه يحب بها وجهها وخصرها وعطرها وملابسها وزينتها . ثم ألا ترى أنه إذا اختار خليلة له ووجه إليها أحاسيسه وحبه كان هذا منه كتاباً أيضاً يشهد بأنه راض عنها ومن كتاب بما فيه عقلها وحسنها وعلى الخصوص إذا كانت هذه الخليلة ممن يليق أن يكن خلاف في أحلام شارلي ... إني أعتقد أن هذه الشهادة تكفي ، وأنه لا داعي بعد ذلك يحضر شارلي أو غيره من الرجال إذا استيقظ من النوم في الصبح أن يقول لامرأته : ما أجملك وما أروعك ؟ وإذا هي لبسها في المساء أن يقول لها : ما أحلاك وما أجملك ؟ وإذا أصيب في عمل أو في جواب يقول لها : ما أذكاك وما أبدعك .. ألا ترى أن هذا لا يمكن أن يكون إلا سخفاً لا طعم له .

إنني أرى في التكلف والتمحل علامة من علامات الرحص ، وأحسب أن شارلي كذلك ، فهو لا ... صامتاً وهادئاً مع زوجته أو خليلته كان معنى هذا أنه راض عنها ، وأظن أنه إذا رأى منها عوجاً نبه إليه ... وهكذا يجب أن تكون حياة الناس .. أساسها التفاهم والحب الصامتان لا يبادل الإطراء والمغازلة

— إنك تقول هذا لأنك تحب مثلك أن تزيل خاطب فأنا منذ رسائل الذي في عرفتك لم أسمع منك كلمة واحدة ، ولم أجد عندك إلا الكلام الذي يسمم كأنه ويكسر النفس ... يذكر شروق ، وتذكر مواقفه الغرامية في أفلامه ، وقل في علاقته على وأنه يرما معشوقا لها

— إذا كانت البالغة في مغالطة الغرام ، فشارلي يعتبر من ... إذا كانت البالغة في الغرام الصادق ، فذكرها أحببته في «أنوار المدينة» كيف عشق العمياء ، وكيف أخلص لها وكيف كان يضحك الناس من غرامه هذا ويضرع بسهامه من مآقيهم تأثراً له وتحسساً ، ثم تذكره في «العصر الحديث» كيف أحب الشريدة المسكينة ، وكيف كان يحنو على إخوتها ويطعمها ويلازم طعامه هو . وإذا ... فتذكره في «البحث عن الذهب» كيف ... مسكنه حبيبته ، وكيف جلس ينتظرها والطعام أمامه لا يذوقه ولا يمسه ، وكيف تخلفت عنه وهو ما زال ينتظرها إلى

أني عند [illegible] فكأن يحب أحلامه، وكأن في عروسها [illegible] فتلك التي
وأعرف أنه غلطت، جنى حزناً وطاشت أحلامه، ولكنها ظلت
عروس أحلامه الطائشة [illegible] إن شارل من حيث يحب هو أروع
وأجمل عشاق السينما، بصوره من صوره الذين عرف بحب غالبهم
وأمن أنفسهم، ولكنكن يضحكن [illegible] للناس المسيح
وكذلك جميل للتمثيل الصامت [illegible]. أنتن لا تعرفن
إلا الناقدون [illegible] أما الناس، فحين يضحكون [illegible] والسخرية
إن شارل صادق كل الصدق [illegible]، وفي حياته الفنية في صورة
منه من حياته الطبيعية

وهذا هو ما أريد أن أقول [illegible] هكذا أنه في حياته الفنية
لا وفاء فيه للمثل [illegible] في حياته الطبيعية لا وفاء فيه لامرأة

— تعنين أنه لا يخلص في حبه لامرأة لأنه لم يجد المرأة
التي تخلص في حياته، وهو لا [illegible] رجل طلاب لأحلامه لأنه
لا يزال يبحث من [illegible] بين النساء، وهل تذكرن أنه جن يوماً
فأخرج فلم «التلاوة» [illegible] امرأة [illegible]
كوميدي، وقد كان ذلك لأنه جن يوماً [illegible] لا يجد
عند امرأة ولا يرجع إلى أنثى [illegible] ومن أنه قد [illegible] كثيراً
من [illegible] دون التجارب في الرجال إلى
[illegible] لم [illegible] الرجل لا [illegible]
ولا [illegible]، وقد حدث ذلك لأنه في حياته [illegible]
[illegible] الحب بين النساء [illegible] التجارب إلى [illegible]
النزوات [illegible]

— [illegible] أني [illegible] شارل في بحثه هذا [illegible]!

— أغلب الظن أنه [illegible] سريعاً [illegible]
إليه من الحب [illegible]، وحينئذ [illegible] شارل
في أفلام لا [illegible]

وهل يمكن أن [illegible] من [illegible]؟ [illegible]
يكون [illegible] المرأة

هذا هو كلامكن، وكلام الذين يضحكون في
عيونكن، وإلا فقولوا لي من هي امرأة التي كانت في حياة
[illegible]

— [illegible] مثلاً

— [illegible] من مثل هذا [illegible]
[illegible] هو [illegible]!

— إن شارل نفسه مقتنع بأنه لا [illegible] من [illegible]،

وأنا أؤكد لك أن [illegible] في [illegible] الأخير
«العصر الحديث» سوف تظهر إلى جانبه في [illegible]
ومن أين جاءك هذا؟!
[illegible] أمريكا [illegible] في [illegible]
إذن فلن يكون شارل [illegible] كما قلت في البدء
— [illegible] أنا لا [illegible] إخلاصه [illegible]

— أما هو فظني أنه مخلص كل الإخلاص، وهو لا [illegible]
[illegible] والأرض أن [illegible] عليه [illegible]، ولكن الشيء الذي
[illegible]، والذي [illegible] هو [illegible] أن يكون [illegible]
على الرغم [illegible] من ملامح العمر [illegible] امرأة
[illegible] العمر [illegible] شارل حتى
[illegible] أن تظهر [illegible] في [illegible]، وهذا من غير شك
[illegible] في [illegible] ذلك الفنان العظيم [illegible] من يدري
إذا ذاع اسم [illegible]، واعترف الناس [illegible] لا تحتاج إلى
شارل ولا [illegible] اسمه في [illegible] وآمن بها [illegible] وأصحاب
رؤوس الأموال [illegible] لها [illegible]
كما [illegible] من يدري [illegible] على أي حال [illegible]
شارل الأخيرة [illegible] عرب [illegible]

# أرقام تتحـــدث

## طريقة تعـــداد الذرات

للدكتور محمد محمود غالي

من «أحمس» المصري إلى «بيرين» الفرنسي — البحوث التي استخدمها «بيرين» في تجاربه — كيف استرشد عند الجسيمات الغالبة الحركة — التطبيق الذي صنعه «بيرين» من الجزء الذي عمل فيه

قد تمكن العالم الكبير «بيرين» في القرن العشرين بعد الميلاد بمحاولاته التي تتبع «أحمس» في القرن العشرين قبل الميلاد أو ما يقرب من ذلك العهد، ومع ذلك استطاع الأول بتجارب علمية دقيقة، وتحليلات رياضية عالية، أن يعرف عدد ما في جسم معين من الجواهر من ذرات؛ بينما وقف معرفة الثاني عند حد معرفة العمليات الحسابية الأربع: الجمع والطرح والضرب والقسمة[1]، ومعرفة الكسور[2] والتقسيم التناسبي وحساب المتواليات، ولم يتعد معادلات الدرجة الأولى[3].

والذين يراجعون معنا الآن أعمال «بيرين» يدركون كيف استطاع إحصاء الذرات الدقيقة، دون أن يكون في حاجة إلى رؤيتها، وكيف تخلص من هذا إلى معرفة قدر الألكترون، أصغر ما في الكهرباء، وأحد المكونات الهامة في الوجود، دون التجاء إلى استخدام عمليات كهربائية. وهو بحوثه قدر الذرة وقدر الألكترون أمام في نص الرجت الدليل على وجودهما، فقطع بذلك مرحلة من أهم مراحل تطور العلم في كتاب عامة وعلومه، ذلك أن التحرز [illegible] في أجزاء المادة Discontinuité حقيقة موجودة.

والذين يصحبون معنا أعمال «أحمس»، ويذكرون ذلك في كتابه الذي ترجمه «إيزنلوهر» Eisenlohr[1] إلى الألمانية من الأصل المخطوط على أوراق البردي المحفوظ في المتحف البريطاني[2] يعرفون أنه كان يعرف أن يقوم بحساب أسلاك كمية مستديرة أو تحديد مساحة قطعة من الأرض، وأنه كان يعرف قدر الخبز بحجم معين من الحبوب، بل يعرف قدر الطعام الذي يزود به الأوز وتطعمه العجول.

• • •

أما «أحمس» فقد سار بالفكر في تمهيد وما كان يحتاج إليه مما مر، حسبما يراه صاحب هذا العهد، وعرف كيف يعالج ما يعرض له من مسائل التفكير الإنساني، وبحصره وجمعه من قبله أرقى الإنسان وصار يتوارث المعرفة جيلا عن جيل، واحتفظت الإنسانية بطابع من التقدم جهدا إثر جهد، وهب للعرف عرضت إليها سلبته قوته. أما «بيرين» فقد وجد ميراثا علميا ضخما كانت أعمال «أحمس» والأقدمين من بعده من أهم ما مهد لهذا الميراث العظيم، فلا يستغرب أحد ما ذكرنا من حساب «أحمس» لما يزود الأوز وتطعمه العجول، ويعجز ذلك من كان عنده الشاهد عند ما يذكر مشاعر إنسان اليوم حيال ما قام به «بيرين» من تعداد الذرات ومعرفة لأقدارها، فقد على أن ما عمله الأول يصل إلى القصد من كل ما ورثناه من علوم؛ وأننا لسنا إلا على أعتاب مرحلة جديدة في تاريخ الفكر البشري.

• • •

ولندع الآن جانبا أمر أن يكون قد بعث في النفس صورة من الماضي البعيد في شيء من التأمل لنعود ببيرين عند ذكر عهد الإنسان ونرى معا ما أفاد من المسائل الرئيسية الثلاث المتصلة بالذرات التي ذكرتها في المقال السابق. المسألة الأولى أن ثمة

(١) كما هو معروف أن معرفة «أحمس» الضرب والقسمة تختلف عن معرفتنا لها اليوم

(٢) لم [illegible] على مقدرة معرفة «أحمس» الكسور وقد ذكر صديقنا الأستاذ [illegible] ذلك وارد في كتاب «The Great mathematicians by Turnbull»

(٣) من المسائل الجديرة بالبحث [illegible] الأصل في فكرة [illegible] واستخدام الرموز في حل الموضوعات الرياضية، لأنه من المعروف أن ينسب إلى علماء العرب فكرة الجبر والمقابلة، والمذكور في كتاب «أحمس» ما يجعلنا نعيد النظر في [illegible] قبل عهد علماء الإغريق والعرب.

(١) الكتاب مطبوع في «ليبزج» سنة ١٨٧٧ واسمه بالألمانية
Ein Mathematisches Handbuch der Alten Aegypter.

(٢) يرجع تاريخ هذا الكتاب المصري القديم إلى [illegible] والذي يرجح أنه [illegible] الكتاب أو مرجعا [illegible] إلى عهد يرجع تاريخه إلى ١٧٠٠ سنة قبل المسيح

علاقة تربط الضغط والحجم والحرارة المطلقة ، بحيث أن حاصل ضرب اثنين من هذه المتغيرات يساوي المتغير الثالث مضروباً في عدد ثابت ؛ والثانية أن في الحجم الواحد يوجد في الضغط الواحد والحرارة الواحدة العدد ذاته من الذرات الغازية مهما اختلف نوع الغاز ؛ والثالثة هو تغيُّر الضغط في عمود غازي وفي متوالية هندسية

ولقد ذكرنا أنه قد أدت هذه المسائل الثلاث إلى استنباط علاقة أوردناها في مقالنا السابق[1] علاقة نعرف منها النسبة الواقعة بين مضغطين في غاز في موضعين تفصلهما مسافة رأسية ، بعد معرفتنا الوزن الجزيئي[2] للغاز والعجلة الأرضية وثابت الغازات والحرارة المطلقة . ولقد ذكرنا أن النسبة الواقعة بين مضغطين في غاز في موضعين مختلفين هي النسبة بين عدد الجزيئات في هذين الموضعين ، بحيث إذا عرفنا الضغط أو عدد الجزيئات عند مكان معين أمكن أن نعرف الضغط أو عدد الجزيئات عند مكان يرتفع عنه مسافة معينة ، وقد ذكرنا عرضاً « أفوجادرو » القائل بأن هذا العدد للجزيئات الموجود في الوزن الجزيئي — أي الموجود في الحجم الواحد لجميع الغازات هو عدد ثابت لا يتغير ، ويسميه العلماء عدد « أفوجادرو » ؛ ومن المناسب أن نورد هنا القارئ فكرة عن هذا العدد الكبير ، فهو يبلغ حوالي ٦٫٨ × ١٠^٢٣ من الجزيئات[3] ، وهو العدد الموجود في ٣٢ جراماً من الأوكسجين مثلاً أو ٢٫٠٢ جرام من الأيدروجين ، أو من أي غاز آخر ، وهو العدد الذي حاول « بيرن » بعد الإشارة أن يعرفه ، فيعرف منه قدر الذرة وقدر الإلكترون

وطبيعي أنه لا يجوز أن يخطر ببال هذا العالم أو غيره أن يحاول بطريقة مباشرة أن يحصل على أحد هذه الجزيئات أو إحصاء عدد الذرات فيتمكن من قياس وزنها أو حجمها أو كتلتها من مشاهدته في المجهر إذ هي صغيرة لا يستطيع أن يتناوله على حدة من الأجسام ، ولكن نستطيع أن نرى نوعاً من المسألة بحيث يمكن أن تدخل في جسم المشاهد الذي يقع ضمنها هذا الجسم في الشمس ، أو الأتربة التي تتجمع في عشرة مصيرة في جسم الأرض . ولكن « بيرن » عمد إلى العثور على هذا النوع من التوزيع الغازي في وسط آخر غير الغازات ذات الجزيئات أو الحبيبات الصغيرة ، وسط يستطيع أن يتحكم في وزن هذه الحبيبات ويعرف خصائصها بوسائلنا العادية وبمقدرتنا المحدودة ، فعمد إلى الحصول على كرات صغيرة من أنواع مختلفة من الأصماغ Gomme Gutte et le mastic ، يبلغ قطر الواحدة منها في معظم تجاربه كسراً صغيراً من الميكرون ( الميكرون جزء من الألف من المليمتر ) وقد وضع « بيرن » هذه الكرات في عمود من السائل . ومما يلاحظ أن هذه الكرات الصغيرة ، عندما توضع في السائل ، تقع في حرب متعادلة بين الجاذبية الأرضية التي تجذب هذه الحبيبات نحو الأرض وبين الحركة البراونية التي سبق أن شرحناها في مقالاتنا ، وهي الحركة الناشئة من حركة جزيئات السائل ذاته وهي تدفعها من كل جهة ، بحيث أنه بعد مدة معينة يحدث نوع من الاتزان بين كل هذه العوامل ، فتتوزع بعدها هذه الحبيبات في السائل أي بين جزيئات السائل توزيعاً ثابتاً ، بحيث تكون كثيفة العدد في أسفله قليلة كلما ارتفعنا فيه

وما يجدر بالملاحظة أن هذه الحالة من التوزيع لا تختلف عن حالة توزيع الجزيئات الغازية في عمود غازي أو في الجو مثلاً ، وهو التوزيع الذي تحدثنا عنه سابقاً ، فهذه الأجسام كلها تخضع أو تكون واقعة تحت تأثير عاملين : العامل الأول الجاذبية الأرضية إجمالاً والعامل الثاني حركة الجزيئات نفسها أي الحركة البراونية ، وليس ثمة فارق بين الحالتين حالة الجزيئات الغازية وحالة حبيبات الكولويد ، سوى أنه في هذه الحالة الأخيرة يوجد تفاوت في درجة التوزيع بالنسبة للارتفاع يرجع إلى التفاوت الذي بين وزن هذه ووزن الجزيئات الغازية ، فمثلاً يكفي أن نرتفع في سائل يحتوي كرات من التي قطرها كسر من الميكرون ( وهي الكرات التي صاغها « بيرن » ) حوالي ١/١٠ من المليمتر حتى ينخفض عدد الحبيبات في الحجم الواحد إلى نصف عددها الأول حين يجب أن نرتفع في عمود من الغاز مثل

(1) يجد القارئ العلاقة في هامش الصفحة ١٠١ من مقال « أرقام كسمونية » — الرسالة — العدد ٤٤٢ — ٢٦ يناير ١٩٤٢

(2) الوزن الجزيئي الجرام Molecule Gramme ، وليس وزن الجزيء الجرامي كما ذكر خطأ بالمقال السابق ، والجرام جزيء هو كتلة ذلك الجسم التي حول حالته الغازية يحوي الحجم ذاته الذي يحتوي ٣٢ جرام من الأوكسجين ، ويكرر القرب إلى كل الأوزان الجزيئية الجرامية للغازات المختلفة تحوي هذا الحجم الذي تحويه ٢٫٠٢ من الذي يحوي هو أيضاً العدد ذاته من الذرات وهو عدد « أفوجادرو » الذي أوردناه فيه

(3) معنى ذلك أن في ٢٫٠٢ غراماً من الغاز يوجد حوالي ٦٫٨ × ١٠^٢٣ من الجزيئات

الأوكسجين حوالى خمسة كيلو مترات ينقص عدد الجزيئات في الحجم الواحد إلى نصف النسبة، ووجد بحساب على التفكير في أن وزن أحد هذه الجسيمات التي استعملها بيران يجب أن يكون حوالى مائة مليون مرة قدر وزن الجزيء من الأوكسجين

ولما اتضح أنه كان من الميسور أن يصل الباحثون إلى علاقة ربط نسبة عدد جسيمات ميكروسكوبية معروفة في سائل تتوزع فيه مع عدد «أفوجادرو» السابق الذكر، وهي علاقة يمكن استنتاجها من العلاقة أو المعادلة التي تبين أثر [illegible] في الغازات التي ذكرناها في مقالنا السابق، وهذه العلاقة الثانية التي ذكرناها في هامش هذه الصفحة (١) هي علاقة نجد في أحد طرفيها النسبة بين عدد الجسيمات الميكروسكوبية أي الكروية العالقة في السائل في موضعين مختلفين، ونجد في الطرف الثاني عدة متغيرات وثوابت، أهمها بالطبع الثابت عدد «أفوجادرو» الذي ذكرناه والذي هو محل بحثنا

ولعل القارئ يرى أن وزن هذه الحبيبات أو حجمها الذي في استطاعتنا الوصول إليه هو الوسيلة الأولى الضرورية التي يجب الوصول إليها وربما كانت خارجة عن طوقنا

ولا ريب في أنه يعوزنا كتاب كامل لنشرح للقارئ العقبات الكبرى التي ذللها «بيران» وتلاميذه لتمام هذه التجارب التي استطاعوا بها حساب قطر جسيمات [illegible] وحساب أخرى يختلف قطرها عن هذه، وثمة صعوبات في صنع هذه الحبيبات بطرق مختلفة ومواد مختلفة، وتساوي الأحجام، وفي وصف الوسائل المختلفة التي [illegible] هذا العالم في قياس هذه [illegible] إلى [illegible] (٢) والى الطرق الطبيعية [illegible] أخرى، وهي الوسائل الحديثة التي [illegible] أطروحته [illegible] مدهشة [illegible] (٢)

يرى على وجه «بيران» [illegible] الجسيمات الدائرة أيضاً تلك التوزيع [illegible] في الغازات؟ وهل استطاع أن يتحقق من مراقبة هذا التوزيع مما أخذه من حسابات على عدد «أفوجادرو» الذي كان [illegible] والتي كانت تدل عليه حسابات أخرى تختلف في طرقها وموضوعها عن موضوع «جان بيران» Jean Perrin الجليل؟

هذا ما نحيل عليه القارئ في مقال قادم حيث يقف على ما استنبطه بيران من ملاحظة مستمرة لهذا العالم الجديد الذي ابتدعه وصنعه بنفسه، هذا العالم الجديد من الجزيئات الكبيرة يختلف جد الاختلاف عن العالم الذي يعيش فيه، حيث تقل أحجام الجزيء مثلاً مقدار أقل من الواحد على ألف من المليمتر

وسيرى القارئ، كيف أوصلنا عمل «بيران» للتغلغل إلى أبعد مدى في الوجود، وكيف طلع علينا هذا العالم بأسطورة خالدة من قصص الكون، وكيف اقتنع كثيرون أن للمادة وسطاً منفصلاً غير متصل وأنه مكون من ذرات تعمل في طياتها الكترونات الأجسام، وكيف وضح أن للذرة سراً وللألكترون سراً لا يقل خطراً وأن هذه وحدات في الكون تعد من خصائصه كما تعد الأصابع العشر من خصائص الإنسان

(يتبع)

[illegible]
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
أستاذ العلوم الطبيعية [illegible] بكلية [illegible]

(١) [illegible] «أفوجادرو» [illegible]

(٢) [illegible] Mouvement des Sphères dans les liquides [illegible] Gauthiers Villars [illegible] سنة ١٩٠٠

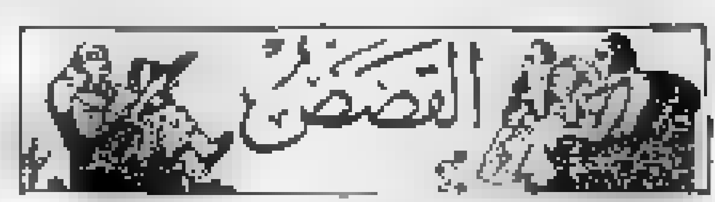


# الاعتراف

## للكاتب الفرنسي موريس لفل

ووقف لحظة أمام الباب وقد بدا كأنه يتردد في الدخول ولم أسمع الصوت إلا حين همست المرأة التي جاءت في طلبي : «هنا يا سيدي ... تفضل ...»

لم أر شيئاً عند دخولي سوى المصباح الخافت الموضوع في ركن الغرفة . ثم عطفت عيني إلى جانب الحائط فرأيت سريراً ممدوداً عليه جسم طويل هزيل تحت الغطاء . وكانت رائحة الدواء تملأ جو الغرفة ، والصمت شامل كصمت القبور .

وقالت المرأة عن الفراش : «ها هو ذا السيد الذي أرسلتني في طلبه ...»

فنهض الشيخ الممدد على الفراش قليلاً وتكلم في صوت خافت :

— حسن ... حسن ... اتركينا معاً

ثم أغلقت المرأة الباب وراءها ، فقال الرجل :

— اقترب مني يا سيدي ... اجلس هنا على الكرسي الموضوع بجانب الفراش ... إني أكاد أكون أعمى ... [illegible] إغلاق ... شيء خطير أريد أن أفضي إليك به

كان وجه ذلك الرجل بارز العظام شديد الشحوب . وقد ظل برهة يحدّق في وجهي ثم واصل حديثه بصوت متهدج :

— ولكن قبل كل شيء ، هل أنت السيد جيرو الكاتب المسرحي ؟

— نعم

فقص القصة الآتية :

«ربما يمكنني الآن أن أتكلم ... [illegible] أصبحت حطاماً ... وليس هناك ... [illegible] أنك كنت تذكر مسرحيتي ولا ما ... [illegible] ولكن دعنا من هذا —

منذ سنوات كثيرة ، كتبت ... [illegible] واحداً من الرجال الذين يعرفهم الناس ... [illegible] وكنت جاداً في ... [illegible] ما كان ينقصني سوى الفرصة لإظهار مقدرتي ؟ وقد سنحت لي تلك الفرصة في محكمة الجنايات ... [illegible] في ضواحي باريس ، وقد أثارت في حينها اهتماماً شديداً بين الناس ... في الصحف الفرنسية . كانت الشبهات قوية في المتهم ، ولكن ينقصها الإثبات القاطع . ولقد دافع المتهم عن نفسه دفاعاً قوياً حتى أحسست وأنا في كرسي ... بشعور ... بالعطف ... على ... وأي تأثير لهذا الشعور من تأثير !

ولكن ... البراهين المنطقية القاطعة ... المتهم ، ... أمام القضاء ... ولا أستطيع أن أروي ... ، ... الرجل ... كل ما في ... ، ... النائب العام ... ، وحكم على الرجل بالإعدام .

لم يكن ... على ... فلقد كنت ... في ... ، وكان ... عليه ... »

ورأيت الرجل ثانية في صباح يوم التنفيذ ... يسوقونه إلى المقصلة ... ورأيت وجه ... شيء من الاضطراب ... تلك الساعة المشؤومة لا تزال ماثلة في خيالي ! ... لم يبد أي مقاومة ... يديه ... في تلك اللحظة ... ، لأني شعرت بأن عينيه ... في ... غير معهود

ولقد صاح حين خروجه من باب السجن ومواجهته المشنقة: إني بريء! وخيّم السكون على الحاضرين كأن على رؤوسهم الطير، ووجّه الرجل الكلام إلي قائلاً: انظر إليّ وأنا أموت، فإن ذلك يستحق بضع دقائق من وقتك. ثم مات الشقي [illegible]. وكانت برهة من أفظع ما مر في حياتي.

في خلال الأيام التي مرت على ذلك الحادث، كنت مبلبل الخاطر مضطرب الفكر، كأن موت ذلك الرجل هو الشيء الوحيد الذي يستحوذ على ذهني فلا يدع مكاناً لسواه. وقد كان زملائي يحسبونني متوهماً، إن ذلك يحدث دائماً في أول مرة، وكنت أصدقهم. إلا أني أدركت على رغم الزمن أن هناك سبباً لهذا الاضطراب وهو الشك. ومنذ اللحظة التي ملت فيها إلى ذلك بدأ لي [illegible]. كنت لا أنفك أن أسائل نفسي ترى هل كان الرجل بريئاً؟

حاولت بكل ما في استطاعتي أن أبعد عن خاطري هذه الفكرة، وحاولت أن أقنع نفسي أنه مجرم، ومحال ألا يكون كذلك، ولكني كنت أعود فأسائل نفسي: أي دليل عندي على إجرامه؟ وتمثل في مخيلتي خطاب الرجل الأخير وهو واقف على المشنقة في هدوء، ويطن في أذني صوته وهو يقول: إني بريء!

قال لي يوماً أحد الزملاء:

ما كان أبدع دفاع هذا الرجل عن نفسه! لقد كان من المحتمل أن [illegible]؟ أقسم لك أني لو لم أسمع مرافعتك لاعتقدت أنه بريء.

إذن كان مصير الرجل [illegible] في النجاح، وما الذي تغلب على هذه المناظرة، وربما كان لها أكبر الأثر في تكوين رأي المحكمين. إذن وحدي كنت السبب في قتل هذا الرجل، فإن كان بريئاً، فأنا وحدي المجرم المسئول عن موت هذا البريء.

إن الإنسان لا يهتم نفسه بشيء دون أن يحاول التخلص منه، ويحاول أن يقوم بكل ما يمكن ليريح ضميره. ولقد كان هذا شأني بالنسبة لهذه القضية. فلكي أتخلص من هذا الشك المزعج، راجعت أوراق القضية من جديد. ولما أتممت قراءة مذكراتي ومستنداتي، وجدت كل ما بها منطقياً معقولاً، إلا أنها مذكراتي أنا ومستنداتي أنا، وهي [illegible] أولاً، ثم راح يبحث عن الأدلة، [illegible] وقد أعمتني الرغبة في إثبات الجريمة على المتهم [illegible] من جميع وجوهها ... أعدت قراءة [illegible] المتهم وشهادات الذين [illegible] ودرست أنا كذلك من جميع [illegible] من الغموض المحيط بالمكان الذي وجدت فيه الجريمة بدقة، وسألت شهوداً كثيرين [illegible] استجوابهم. فلما فرغت من دراسة هذه التفاصيل انتهيت إلى نتيجة حاسمة، وهي أن الرجل كان بريئاً.

وكان المفروض أن تشتغل ضميري، فصدر الأمر وخشيت [illegible] ... رغبة مني في الوقوع على الحقيقة التي [illegible].

كانت الشهامة تقضي بأن أعترف بخطئي من اللازم حتى يكون في ذلك عبرة وعظة لغيري، إلا أني كنت أجبن من أن أعمل ذلك، كنت أخشى غضب الناس واحتقار الزملاء، فاكتفيت بتقديم استقالتي دون أن أبين لها الأسباب، ثم سافرت بعيداً من باريس ولكني [illegible] أسفاً ... إن الندم لا يجب النسيان.

ولقد مر كل من في الحياة بعد أن أكفر عن خطيئتي التي لا تقبل إصلاحاً. كان الرجل مسيداً لا أهل له ولا أصدقاء يمكنني أن أعوضهم عن فقده بالمال. فحاولت أن أخصص كل ما أملك من ثروة لمساعدة البؤساء والمنكوبين من أمثاله، عازفاً عن مسرات الحياة. وهكذا عشت وحيداً منسياً حتى هرمت قبل الأوان.

ولقد أنفقت ثروتي كلها إلى أقصى حد ممكن، ففي هذا الشهر منذ شهور أوصيت لك بالرصيد الذي أموت به الآن.

والآن يا سيدي قد وصلنا إلى ما أريده منك ... »

وازداد صوت سوءه حتى صرت مضطراً أن أراقب شفتيه المتقلصتين لأستعين بلغة حركتهما على تفهم كلامه.

« لا أريد أن تموت هذه القصة بموتي. أريد منك أن تكتب على الناس درساً لأولئك الذين من واجبهم أن يقتصوا من الناس

ولكني أحمق ، لا أن يطلبوا عقاب الناس على أي حال . أريد أن تكون هذه القصة ماثلة أمام عيون رجال النيابة العمومية وهم يؤدون واجبهم في طلب رأس المجرم »

فأكدت له أني سأرسل ما يطلبه

وازدادت رعشة الرجل وهو يواصل حديثه قائلاً

« ولكن ذلك ليس كل شيء . لا يزال لدي بعض القول . ثم وضع الرسم تحت عينيه إنه مثلاً في موضع هذه الجريدة . أريد منك أن تؤرخه بعد موتي . لا تنس ، بل رسم ذلك الرجل الذي كنت سبباً في إعدامه منذ ثلاثين عاماً .. ووزعه على الفقراء باسم راثي »

فصمت مبهوتاً

– راثي !! لقد كنت أنا المحامي عنه يوم رأسه مقطعاً

أعرف ذلك . وهذا هو السبب في طلبي إياك . لقد كنت محامياً له أنت بينما كنت أنا ديرو ، وكيل النيابة

ثم حم يتمتم بكلمات أخرى لم أتبين منها سوى كلمة راثي

* * *

هل سمعت بمثل المهنة ؟ هل عرفت القواعد التي تخضع ساعتي ؟ إني أنتظر الموت لهذا الشخص الذي يموت على ذلك الحال القصة ، له استعرض الحقيقة إلى أن رحماً حتى ، صحت قائلاً

– مسيو ديرو ! مسيو ديرو ! لقد كان راثي بريئاً ! لقد اعترف لي وهو في طريقه إلى المقصلة . أخبرني بالحقيقة حين كان يودعني

ولكن مسيو ديرو كان قد سقط ميتاً ...

وما زلت حتى الآن ، كلما مرت ... أتساءل لماذا ... منذ ...

محمود ...

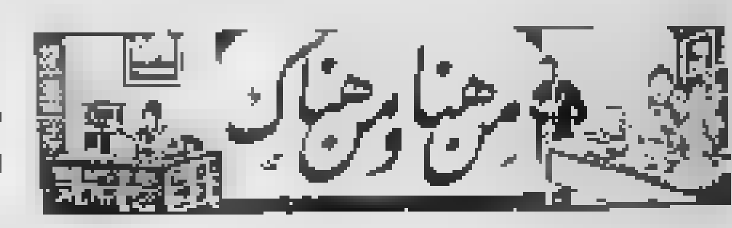


## لا تظلم فرساي!

[ ملخصة عن مقال ( الدكتور [illegible] ) ]

أود قبل كل شيء أن أقول كلمة عن معاهدة فرساي. فقد أصبح الأسلوب المعهود لساسة الدكتور ( جوبلز ) أن ينسب إلى هذه المعاهدة المظلومة كل سيئة. إن معاهدة فرساي لا تخلو من أوجه النقص، إلا أنه من السخف أن ننسب إليها كل شر في الوجود.

قال أحد الرجال المعروفين من الألمان الديمقراطيين: [illegible] إن ثلاثين في المائة من الأسباب التي أدت إلى ظهور الاشتراكية الوطنية تعزى إلى معاهدة فرساي، وثلاثين في المائة إلى نقص الروح الديمقراطية في نفوس الألمان، وثلاثين في المائة إلى وسائل [illegible] التي [illegible] الشعب منذ عام ١٩٢٩. ولكني أود أن أدخل شيئاً من التحوير على هذا الوضع، فالمعارضة في نظري هي [illegible] البلشفية [illegible] الوطني الاقتصادي الذي [illegible] سائر أنحاء العالم.

نحن جميعاً ألا ننسى تلك المبادئ التي دافعنا عنها [illegible] للعهود ما بين ١٩١٤ — ١٩٢٠. لقد بدأنا عهداً جديداً في تلك الفترة [illegible] وكانت العلاقات الدولية قبل سنة ١٩١٤ تسير على مقتضى السياسة القديمة [illegible] من الطبيعي أن تحكم كل أمة [illegible] وقل أن تفكر في شأن من شؤون الأمم الأخرى.

إلا أنه في سنة ١٩١٤ رأت الأمم الديمقراطية التي كانت لا تهتم إلا بشئونها الخاصة، بدأت تفكر في العلاقات الدولية [illegible] والديمقراطية [illegible] لا تقوم بالقوة، ولكنها تقوم بالمثل الأخلاقية العالية. وقد كانت الأمم الديمقراطية لا [illegible] على النوم [illegible] ولا [illegible] على حراسها [illegible] من الصياح.

ومنذ ظهرت [illegible] الأمم الديمقراطية بالشعوب [illegible] العامة، أصبحت [illegible] على سائر الأمم [illegible] فالإنسانية في نظرها وحدة لا تتجزأ، وسائر الأمم والأفراد لهم الحق في الحياة والحرية والسعادة [illegible] والشعوب المتأخرة لها أن تتخلص من الاستغلال للشعب ويمنع نظام الحكم [illegible] والدول الصغيرة والكبيرة سواء أمام القانون. وقد [illegible] نشوب الحرب عن إيجاد قانون صحيح يحكم بين الأمم [illegible] عن المبادئ التي [illegible] الحرب العظمى [illegible]

[illegible] معاهدة السلام في باريس عام ١٩١٩ [illegible] أن لا يفكر في إسعاد العالم. وقد دافع عنه الرئيس ولسن دفاعاً [illegible] ولكن الدول الديمقراطية لم تكن تعلم أن العالم لا يزال عرضة للمطامع وحب السيادة والسلطان، وأن المبادئ القديمة لا تزال لها أنصار يعتقدون بأنها [illegible]

وليس هذا هو السبب الوحيد في نشوب الحرب مرة ثانية، ولكنه من الأسباب القوية التي أدت إليها، ونحن لا ندري إذا كانت هذه الحرب ستنتهي بنا إلى الحرية المنشودة، أم أنها سترجع بنا إلى ظلمات العصور الخالية.

ثم وقفت الدول الديمقراطية بجهودها التي [illegible] على [illegible] في معاهدة فرساي، فأعطت كل أمة الحق في تقرير مصيرها، وجعلت [illegible] الأقليات.

إن [illegible] لا يحاسب من أجل العهود التي قررتها هذه المعاهدة، ولكنه يحاسب لهدم فكرة الديمقراطية من أساسها.

## الفن والحرب

[ ملخصة عن [illegible] ]

يشترك في الحرب الحاضرة عدد كبير من الفنانين رجالاً ونساء، إما بالعمل في ميادين القتال أو بالاشتراك في الأعمال الأخرى التي تقتضيها الحرب. وقد [illegible] هؤلاء بعض [illegible] رجال الفكر الذين [illegible] في الحروب.

هل أصبحت الحرب [illegible] أو [illegible] للفنانين [illegible] في [illegible]؟ لا، والحمد لله!

لقد نشأ شوبان في بولاندا وهي تناضل [illegible] لاستعادة استقلالها، وقد كان [illegible] حين [illegible] في أيدي الروس، فكان لهذه الحوادث أثر لا ينكر في [illegible] الإلهام [illegible] والعواطف الرهيبة [illegible] رحل شوبان إلى باريس [illegible] وطناً ثانياً، وأصبحت [illegible] مكاناً مهجوراً [illegible] الفرنسيون [illegible] من العواطف الجميلة. وقد كتبت جورج ساند التي أحبت شوبان [illegible] بعد وفاته [illegible] كثيراً من مؤلفاته [illegible] فرنسا في حرب [illegible]

مع الأعداء. لا شك أن الحرب لم يكن عاملاً مهماً في تلك الأيام كما هي اليوم، ولكن مهما يكن الحال فإن الفنانين يشعرون بأثر الحرب أكثر من سواهم وعما تربط به نفوسهم بالعالم إبان الحروب

أعيرتها (مولا سيل) في الكتاب الذي وضعته عن أبيها، أن (آليس ميل) كانت تشعر بحساسية قوية في أعماق نفسها عند نشوب الحرب. ومع ذلك فقد كتب آليس الكثير من أروع وأبدع أشعارها في تلك الأيام العصيبة

وقد يتحرك الشعراء بعامل الدفاع عن الحرية كاهتمام (بيرون) بالشعر كله في الحرب للدفاع عن استقلال اليونان. ومن الشعراء من عرفوا التصوير بأشعارهم في الحرب العظمى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ مثل روبرت بروك، ولفرد ويلفرد جيبسون، وجوليان جرنفيل، وتشارلس سورلي، وإدوارد توماس. وقد قضوا جميعاً ولم يعد أحد منهم إلى عالم الوجود. أما الذين عاشوا حتى عاد السلام فيعد من أشهرهم اليوم « سيجفريد ساسون » الذي كتب عن الحرب أشعاراً تعد من أصدق العذاب التي ظهرت لتوطيد دعائم السلام

وقد قام كثير من المصورين بأعمال فنية بين الحرب العظمى ومنهم من كانوا يحاربون في ميدان القتال، فأخرجوا للعالم تحفاً من بدائع الفن التصويري، يرجعون بها إلى شيء من التجارب والإحساسات التي صادفتهم في حياتهم الحربية

وليس من هنا أن نبحث عن أثر الفنانين بإزاء موضوع الحرب لإبراز روائع منهم، ولكنا نرى أن من واجبهم الرئيسي أن يبرزوا المتاعب بمعزل من الجوانب في أثناء الحروب

**عصام ستاليني**

[ عن مجلة « بريد » عدد مارس ]

لا تنقطع محاولات اغتيال الدكتاتور الروسي الخطير ولكنها في أغلب الأحيان تظل في الخفاء. وربما كنت أحمل في قلم الاستعلامات المختص بالكرملين معرفة الدكتاتور الروسي، فقد أتيح لي أن أقف على تفاصيل آخر محاولة لاغتياله. وكان عملي في الكرملين ينحصر في إعداد ملخص الصحف الأجنبية الأخيرة، ولكن في فترة ما كانت مهمتي هي العمل على منع تسرب الأخبار الخاصة بحياة ستالين الخاصة إلى الخارج. وذلك عكس من معرفة تفاصيل هذه المحاولة الجريئة التي قامت بها فتاة جميلة استخدمها الدكتاتور لتقرأ له الصحف الأجنبية مترجمة

في ذلك الوقت كان الرجل آبل انيكدير صديق ستالين الحميم سكرتيراً عاماً للجنة التنفيذية للاتحادات الروسية البلشفية المتحدة، وبذلك كان يستمع بسلطة لا تحدها إلا سلطة ستالين نفسه. وكان يخضع له كثير من رجال الثورة لإشرافه على مورد الحكومة الخصبة، وحتى ياجودا رئيس البوليس السري السابق كان يخضع له. وقد اشتهر أيضاً بأنه صاحب المسارح والقاعات الليلية، وقد كان مطمع أنظار جميلات النساء الراغبات في المجد الذي ابتغين كل موهبة وجمال وحدهن. وقد أدخل مهارات النساء إليه إلى مستودعه المريح. وفي ذات يوم أهدى الدكتاتور وصيفة تجيد ترجمة له الصحف الأجنبية، فجاءت بكايتر فتاة جميلة تمشي إلى أن تصل وتستقر على قدميه. وفي صباح كل يوم يضطجع الدكتاتور الآخر على أريكة وتجلس الفتاة على منضدة أمامه تقرأ، ولا يحب هو من السؤال والتعقيب، وهو يجلس إلى منضدة أخرى ويجيب أحياناً الاعتراض ولقنا كله. ومراقبة هذه القراءات ستجعلونا نعلم ما كثيراً. وفي ذات صباح أنس طرحين من الفتى التركي الذي عينه. وبعد أن خلعت الفتاة ثم شرعت فيما قامت بوضع كمية من السكر في الشاي، وبعد ذلك تناول القهوة فشرب منها. أما هو فلم يشربه. وبعد ذهاب الفتاة أخذت القهوة وبعد تحليلها وجد بها قدر كبير من السم فألقى القبض عليها. وأخذت في أحد السجون مدة ثلاثة أسابيع، ولكنها لم تعترف بشيء من كل هذا. وأخيراً أعدم بها حكم الإعدام رمياً بالرصاص بأمر صادر من ستالين نفسه

وماتت التشكولا في نفسه واتهم إنيكادر بتدبير هذه المؤامرة ولكنه لم يعثر على دليل لإدانته، ولكن هذا لم يمنعه من عزله مع بعض الأرستقراطيين أعداء النظام الجديد، فنفي إلى سيبريا ويشاع أنه توفى هناك

ونلاحظ عدداً من يعرفون شيئاً عن زوجة ستالين الأولى التي ولدت منها ولد يعمل الآن مهندساً في أحد معامل موسكو، متخذاً اسم دجوجاشفيلي، وهو الاسم الأول لأبيه قبل قيام الثورة

أما عن زوجته الثانية فما أعلمكم عن شبابها لأن ستالين يحبها جداً وقد تزوج بها وهي في الثلاثين وهي الأصل اليهودية واسمها ناديجدا اليلوييفا. وكان زواجه بها غير معروف حتى عام ... وجدوها ميتة في الصحف ذات يوم. ومما زاد في تجهيل الاحتمال بعض التشويهات على غير تقاليد الحادثة. ولما تضاربت الأخبار عن أسباب موتها اضطر الحزب إلى أن أذيع في الصحف أنها ماتت بسبب التهاب الزائدة الدودية. ولم يكن هذا آخر الإشاعات عن موتها، فقد ذكر أنها ماتت إثر تناول دواء مسموم أوعز به ستالين نفسه، وقيل أيضاً إنها انتحرت بعد شجار بكثرة

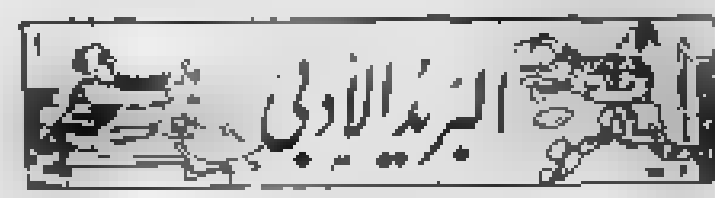


## «ولا زلزلت طرباً»

في العدد الماضي من «الرسالة» جاء للصديق الفاضل الأستاذ محمود محمد شاكر أن ينظر في قصيدة «الناي» التي كتب شرحها في العدد ٤٦١، وجاء نظر الصديق في شطرين: الأول في علم العروض، والثاني في من اللغة فيه والمجاز جانبه

فقد عرّج الصديق إلى بحر «المطلق» الذي وصفته إنما هو من بحور «المتدارك» ومن بحر ذلك موّه عند سبقه إليه كاتب آخر. وفي هذا المكان من العدد الماضي وقف القارئ على ما يؤيد ذلك الزعم. ومن الغريب أن كاتباً كالأستاذ محمود محمد شاكر غفل «وسبع» الذي به «حزمه» إن لم أصب في البحر «محمود» بل وصفته. وما أبدع عليك يجب التحسر

وأما الشطر الثاني المحصور في نقد الأستاذ «ويكفي ما قال عنه الصديق» يريد أن يرى أنه، وهي تقرع

بعد من حديث الأول الذي يحسب ما يحسب في الأطيور، فيا أيها الصديق! ولقد تريد أن ننظر أن الطرب يحدث

حرب مازلة — في الذي حرب، ولا يكون طرب

إلا زلزلة»!

ألا إن من مستوى الإدراك على غرب الصحف العربية أن يغلب على الألفاظ المتواردة معنى يحجب المعنى عند جمهور معانيه الأول ويُحمل الوارد استعماله في الأدب الموروث خلافه وبرده. فيا الصديق هو ما جمع زلزال الأرض، والأخوف من الأرض. كيف قال: أن زلزال الأرض معنى طارئ على ... ؟

من «لسان العرب» ج ... ص ٣٢٧ وفي التهذيب: الرجم الأخرى وزلزلها الزلزلة في الأصل الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض. وهو هب كذلك في التحويف والتحذير ... من ... مصطرباً منطلقاً غير ... وفي القرآن نفسه. وهو ... في مثل هذه المتكلمين — مضى إلى جانب «زلزال الأرض» و«زلزلة الساعة» (سورة الزلزال، والحج، آيتي إليك من وضعها ١) «وزلزلوا حتى يقول الرسول» البقرة، أي «أزعجوا إزعاجاً شديداً مما أصابهم من الشدائد» من البيضاوي)

(٢) «هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً» الأحزاب (أي «من شدة الفزع») وعلى هذا، مادمت ترى أن الزلزلة ... الاضطراب والتقلقل والحركة ... وهزاً، ... عرضت من ذلك — من باب إطلاق العام على الخاص — إلى المعنى الذي يقصر عنده الصديق، ولقي على ... عامة الناس ... الزمان. ومن ذلك المعنى الأول وهو الأصل ما جاء في حديث عطاء: «لا دق ولا زلزلة في الكيل»، أي لا يحرك فيه، وفي حديث أبي ذر: «حتى يخرج من ... بزلازل» (من «لسان العرب») ومن ذلك أيضاً قولهم: «جاء بالإبل ... يسوقها يزلزل» (من «أساس البلاغة» ...) كيف غاب كل هذا عن صديقي والقرآن في صدره والتفسير والحديث واللغة شواغله ... عن زول «الناي» وذكراه؟

وكم حظ الصديق محمود — ومحمود كثير خواطر — أن يقول لي: «أما تريد ألا يكون طرب أوله إلا زلزلة؟» ... ألوه بالسمر فأقول: لأن الزلزلة والطرب على ... مصداق ذلك أن استعمال لفظ الزلزلة للدلالة على الطرب الشديد قديم في أدبنا، قال في «الأغاني» (ط بولاق ج ٦ ص ٨) «...

الانفعالات وحوادث القتل التي ترتكب وزوجته، ويشكل هالة المشبهة كما وصف منها

من حين إلى آخر يقوم رجال البلاغة ... وبين بعضهم القصاد، ويسهل بها أخبار أخباراً، وفي حين كهذا أورد الدكتور الأحمر في الشرب واحد يعني وما مكشوفاً ... حملة، فأسقط ذلك زوجته «جيلرينا» التي يكن أقل منه سكراً قاتمة ومصيبة زوجته وهو ... مستقر، ... ستالين أمام القضاء اللائي ... أنها لن تقدم على الانتحار، فما كان منها إلا أن ... ووقع الآخر على ... إلى ... زوجته وحاشيته ... في رأسه

مات ستالين ... عرفاً شديداً، ... المحاضرون منها ... حفل ... على ... مكتبة ... موسكو، ولا زال ستالين ... على قبرها ... وضع ... الزهور

وقد ... الدكتور ... ينشر ... من ... جورجيا ... ولم يظهر ... في المحافل الرسمية، وإنها كانت ... إلى دور التمثيل ...

عيسى ...

( والمتكلم إسماعيل بن جامع المغني ) صوت لي ... مرزئب والله المال عليهم » ؛ وفي « الأغاني » أيضاً ( ج ٥ ص ٢٤ ) عند الكلام على غناء إبراهيم الموصلي وضرب منصور زلزل بالعود في حضرة الرشيد « ... زلزل الدنيا » ؛ ومن ذلك قول العرب « وتزلزل ... العيال لامس » ( من لسان العرب ) ؛ ولعل اسم « زلزل » المتقدم ذكره من هذا كذلك

وأما أن تزلزل الأذن من هذه الطرب دون سائر الجسد فكلام أوله معرفة الغناء ؛ وإلا فلنستحضر الحديث الشريف ... « زلزلت نفسه ... رجعت عنه القلوب في صدره » ( لسان العرب : زلزل ) ، وقولهم في وصف الزلزلة « تزلزلت الأقدام من وطأة الأمر » ( الألفاظ الكتابية للهمداني بيروت ١٩١٣ ص ١٦٧ – ٢٣٥ ) . ولكل مقام مقال ... في هذا مذهب البلاغة

فالطرب الشديد يزيد الأذن زلزلة حتى إن المستمع المطرب يحس أو يحسب الناس أو الصور حتى الإيهام ، كالناشئ ... عنده ... وجسده يود لو يحز من مشوفه اشتياقاً ...

وهو يستكثر على زلزلة الأذن أي اضطرابها وقلقلتها ساعة الطرب الشديد ، فليسأل صاحب « الأغاني » من هذا قوله ( ج ١٨ ص ١٢٧ ) « انجمع عمرو من الكتاب يمشي على جسده ... أيام الرشيد ، فلبس الناس واضطربت المحافل ومضى الإبل أعناقها ... وكاد ... ألا إن الطرب لأهله ... وصديق ... صلاح ... وطرح ... وأما ما تكلم قال عمرو ... صاحب « صرح وانطلاق إلى سائر هذه الألفاظ المنسية بألفاظها دون معانيها » ؛ بل إني أعلى أصعوبي إلى جريس بإمساء ، وإلى جريس ... حتى أمسى أذنى ... لا ... الله ولا ... – ثم ... زلزل

ثم على الأذن التي تزلزل فوق أقوال العرب مثل ... « طار القلب فرحاً ، وخلع الحزن قلبه ، ومرى أحشاءه ، وحب كبده » إلى آخر ما هنالك من التعبيرات التي تحوي اللغة من ... ملتقى أدب

وهكذا نرى أن الأستاذ عمرواً ... ملاحظة للرد ... وذلك لأنه ... من الشعر الحديث ، ... على ... سخط على معنوى ... ونعل ... بنصره ... تصيدة ... في ... أبعد ... من القلوب ... القدس ... من التحيص القريبة ... كتب اليوم على جبه ... والتأمل

بشر فارس

مرثية

عند الأستاذ صاحب الرسالة أعتبر وأعتذر من حسب الفتوة عنالاني وطغياني ، وهو يتجاهل ذلك الأعتذار كما أتجاهل ، ولكن من المحقق أن أشجع الخطاب الرائعة « ليس من الليال » على وزن « كاتب من الكتاب » كا يقول ... ذلك الشيخ ... ويظهر أن ... مست الروح ... من دهر في ... وصيال

وصعب تراثي على هو تلك الإنسانة التي أستبعد على يدي ... الأسلوب ، وما خلا دهري من خطوب منذ اليوم الذي تمت فيه ... الأولى ، وعند الله والحق جزائي

وفي خطاب « ليل من الليالي » أحس كرم إلى ... خطاب سراً مصوناً ، وسيظل كذلك إلى أن ... صاحب ... بأن الأديب كاتب محروم من الإنصاف

تقسى ... الأصل العاطف التي كتب ثلاث صفحات ... حسب ... !

وسأنقل تلك الروح من ... بعل الرسالة في العراق مع ... الزعم ... العربي ، وأقول إني انتظرت ... في ... إلى منتصف الساعة الثانية بعد نصف الليل مع الأستاذ عبد حسن ... ولم تحضر كما وعدني الدكتور عبد الحميد ... ، ومن أجل ذلك ... وأنا ...

أما بعد فقد وجب على أن أصفح تثائبي ، وأن أقول عبارة صريحة : إن ... على هو أعلى ما ... في ... ، ولولا ... صاحب الرسالة لتبعت الأصداء الكريمة التي ... الشانية في أن تحضر من ... ، ... الرسالة ذلك وهو ... على ... الشرور ... القراء ؟

حسب ... أن يتهو بقراءة ما يصل إليه من أوراق ... وأن ... لأطلع عليها حين أشاء ، وأن ينشر منها ما يريد ، ولكن من يريد !

إني لم ... عنه وأتوب إلى كاتب ... ، وهو ... يختص بكرمه من يشاء

زكي مبارك

حول الدكتور ... حماد

صديق الأديب الكبير الأستاذ الزيات

بعد التحية والاحترام طالعت في العدد الأخير من ( الرسالة ) ... إليه الدكتور ... من ... من الأولى

في صفحتين ما ورد في كتاب «آفاق العلم الحديث» من تجارب بين أن بعض الأجهزة الكهربائية الدقيقة خاصة بهذه التجارب تقوم بأعمال من قبيل التذكر والتمييز والتعلم (آفاق العلم الحديث فصل «مرحلة الخبرة العقلية عند الآلة» صفحة ٢١٦ – ٢٢٣) وقد أعلن الدكتور بالإضافة على أوراق الأحياء لترددها الآن هذه الأعمال «نتاج العلم العقلي في أوربا»

ومع أن بعض الباحث ليستنكره وإذاعيه هذه التجربة والاختبار، ولا شك أنه ليس للإنكار ولا للمنطق أن يتدرع في حقيقتها ما دامت التجربة تثبت» (الرسالة العدد ٩٢٣ الصفحة ١٩٩)

ومن غريب الاتفاق أني تصفحت أمس الجزء الأمريكي من «المجلة العالمية التجريبية» بعد مطالعة كلمة الدكتور أدهم في «الرسالة» الغراء، فقلبت صفحاتها وإذا صورة الدكتور «هل» (وهو الذي عزيت إليه هذه التجارب) في رأس الصفحة الخامسة والثمانين منها. وقد شرحت هناك لأنه كان رئيساً لقسم علم النفس (السيكولوجيا) في مجمع تقدم العلوم الأمريكي في دورته الأخيرة. وهل هذا أجدر أن يعمل ما يحمله أستاذ علم النفس في جامعة «ييل» ويرأس قسم علم النفس في «مجمع تقدم العلم الأمريكي»؟!

إني أعلم أن الشك أوسع مطارح اليقين. ولكن هذا الشك يجب أن يقتصر على شيء الموضوع مفضي إلى وسيلة البحث العلمي. أما أن يعمل ما يقدمه أساطين العلم الحديث أو أن يرتد في صوابه لأن مؤلفه لا يرضى هوى في النفس، أو لأنه لا يناسب فكرة سبقت في الذهن فذلك دليل على التعصب والجمود وأي تفكير صحيح يقوم على هذين الأساسين؟!

ولست أعرف من هم الأدباء الذين أشار إليهم الدكتور أدهم في كلمته ورد عليهم. وأما أنا فهو رأي معروف في … بين العلم والثقافة الصحيحة من صلة موثقة. فحسبي أن أشير في هذا الصدد إلى بحث ممتع في «مسألة ثقافات المعهد» عنوانه كتاب … الدكتور مصطفى … أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة … الأمريكية عنوانه «الرأي القومي»

وتفضلوا بقبول فائق احترامي فؤاد صروف

## هل في الموشحات أوزان غير معروفة في العروض؟!

إن البحور المعروفة في علم العروض العربي، هي البحور التي تألفت من التفاعيل التي عرفت في لغة العرب. وأساس هذا الكلام لا يتعدى معرفة التفاعيل وضبطها التي تجري في العربية. ثم تركيب الأعاريض الممكن تحقيقه منها على أساس حساب الاحتمال. والنتيجة أنه لا يمكن وجود بحر جديد خارج عن البحور المعروفة في علم العروض، وإن أمكن التحديث وتركيبات من أجزاء هذه البحور. والأمر الذي أشار إليه الأستاذ … في هذا الشأن، قال عنه أحمد الدكتور … «الإسكندرية»

إسماعيل أدهم

## «يوم سعيد»

إن صناعة السينما في مصر قد تقدمت وجدت ونحت بعض طرق الفن الصحيح. ومن حمى حماها ونظم … ثم أدرك أنه لا بد لها من استيفاء العناصر على توزيع واجبها من مصور ومخرج وممثل ورقص إلى جانب القصة نفسها.

جاءتنا هذه المناسبة عرض فلم الأستاذ محمد عبد الوهاب الجديد وهو «يوم سعيد»، ولا شك أن هذا الفلم يدل على تقدم ملموس في صناعة السينما المصرية … القصة … الأغراض لا تمت للقصة … وأما التمثيل، فكان على الغالب غاية في البساطة فلا تكلف في التعبير، ولا إفراط في الأداء. وكان الإخراج لطيفاً، فيه بصر ودرس.

وقد جعل المخرج – الأستاذ محمد كريم – أوصياء عديدة حبيبة إلى الجمهور. وأسمعه هذه الأغنية وعبد الفتاح «…» مكبراً ما … الأعاصير، وحركات … ، … الأعناق … بالإعجاب الزائد. وكان الأستاذ فؤاد شفيق … في … المصري … صاحب النكتة … والقلب الطيب الساذج. وفي الفلم مشاهد كثيرة طريفة. وفيه مشهدان ممثلان الأول إذ تؤدي … من مسرحية «مجنون ليلى» للأمير الشاعر أحمد شوقي، وقد جاءت على سبيل التمثيل الطريف. والثاني حين يجمع الأستاذ عبد الوهاب ألوان الرقص في طرب … بين الفلاحين، وقد جاء على … ألوان الأغاني الشعبية وفيها … القديم والنغم … إلى … العامة. … الخاصة بالشعر الرائع الجميل. وفي هذا الجو الآخر … الأستاذ محمد عبد الوهاب … وحسبه تلحينه … الذي يجري … وقد … من المزج المباشر بين النغم العربي والنغم الأفرنجي. وإذا … من الأستاذ محمد عبد الوهاب … الفلم … ومن … عام … الحديث …

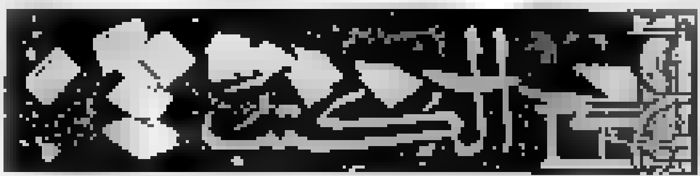

# وحي الرســـالة

من وحي «الرسالة» أن تنشر ما تفضل به صحب الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأي في كتاب «وحي الرسالة» معترفة بالفضل لهم والشكر لهم

قال الأستاذ مصطفى الصباحي في جريدة (الدستور)

كتاب أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وهو جملة من مقالاته التي كان ينشرها في مجلته (الرسالة) كل أسبوع جمعها بين دفتي هذا الكتاب ، فكان كما أتاني من روضة مؤنقة الربيع أزهارًا ذات أريج خاص في لغة واحدة مع روعة الناس

لم يقدم بين يديها عبر عليهم ويل [illegible] ويسمعها الإجادة كما يسمعون فيه من معنى موزون كبير [illegible]

وللأستاذ الزيات أسلوب شعري على كثير [illegible] كتاب العصر ، وميله من مجمعات كتاب من أهل العصر ، ومحتذيًا من لسن اللغة وعرف أدابها في العصر العباسي حتى الآن ، فلا تجد إلا صاحب بيده في أرج أدبي لا صلة بينها وبين معناها كاتب وصف له عبارة حرة ، وهذا حطيب النقي معنى حل ، وعبر عن جمع له بعض الزن من فنون العبارة أو بلاغة المعاني

ولكني هنا وقفت على كتاب وحي في التاجين قامت كلمة العصر وفي حقل الكاتب

فأنت إذن حين تقرأ مقالات [illegible] لك طلاوة العصر وجلال المعاني ، وذلك هي الغاية التي يحقق معها أدب الكاتب وتغب دونه مسلك الكثيرين من أرباب الأقلام

—

## معنى بيت في الحماسة

في صفحة (٨١ و ٨٢) من الجزء الثاني من كتاب ديوان الحماسة (الطبعة الثالثة) الأبيات الآتية وهي من شعر عبد الله ابن الصمة القشيري

| | |
|---|---|
| وما طلقتنا الخيول وجوبها | خميص الحشا [illegible] مرافقه |
| فليل صدى الهيمين بعزاه | هو الموت إن لم تصرعنا بوائقه |
| من صفحا سلكنا [illegible] كأنما | علينا وبرج من الغيظ خانقه |

وقد جاء في شرحها : «ومعنى الأبيات الثلاثة وربما طلقنا العوادي التي هي الخيل وحلفها من عيوب الحور لا يبلغ النفس من حاجته على لين ولطف ، لأن مطالبه غير مكسوة بالصبر وذلك ألم بعد النظر ليس يسهله شديد الضرر على أهبة تنجى من شدة صوته مع أنه الموت إن لم يهلكنا دواعيه دونه منه الخ»

وإني أرى أن الشارح (العلامة التبريزي أو غيره) يشرح جملة «يعلم أنه هو الموت إن لم تصرعنا بوائقه» بأنه الموت إن لم يهلكنا دواعيه فهو يقابل (تصرعنا) بكلمة (تهلكنا) وهذا غير صحيح لأن (تصرعنا) بضم التاء لا يمكن أن يكون معناها تهلكنا وإنما صرت أن (تصرعنا) بفتح التاء ... الشعر لا يستقيم إذ كيف يكون هو الموت إن لم يهلكهم دواعيه ، ولم يكن حالة إن لم يهلكنا دواعيه ؟ صورته يرد على خلال فنصبا أي حين الية فالمفهوم أن (تصرعنا) كلتان (تصرع) و (عنا) وتصرع فعل مبني للمجهول مجزوم بحذف حرف العلة من صرى أي حبس أو منع وهنا يستقيم المعنى ونفهم أن الشاعر إنما يقصد تشبيه ذلك الغم بالموت إن لم تنكشف عنهم القوادح وتحبس أو تمنع عنهم دواعيه [illegible]

(الرسالة) أصاب الكاتب وأخطأ الشارح الذي نقل عنه ، وهو غير التبريزي من غير شك ؛ فإن التبريزي يقول في شرحه «يعني بعد النظار ، وأخلص منه ، فهو أحد النظر ، وأراد بعد صرعاته أهل لشدة الشهوة ، فنحن نخاف من صولته إن لم تصر عنا ، وروى إن لم تجل عنا»

ورواها صاحب الأمالي ج ١ ص ١٦٦ وصب «إن لم تجلّ» وذكر البكري في شرح الأمالي معناه أي عام في خلاصه ثم قال وروى «وإن لم تُسَرَّ عنا بالسين والصاد»

ووجه «تصر عنا» من قولهم «صرى الشيء صريًا قطعه ودفعه ، وصرى الله عنك شر فلان أي دفعه ، يقول ذو الرمة

وودعن مشتاقًا أصبن فؤاده ... هواهن إن لم يصره الله قاتله

ووجه «تسر عنا» من قولهم سروت الشيء إذا نزعته وكشفت عنه ومنه قولهم سُرّي عنه أي كشف عنه وانكشف

وفى زماننا هذا قل أن يعنى الكاتب والشاعر إلا بما وراء اللفظ ، فإذا رأيت فى إحدى المعانى مطرزة واضحة له سلسلة من الآراء والأفكار القوية تجاور المعانى أهل العصر من ذكاء عباره وصدق سياقه

ولقد كتب أحب التيار الذى ساقنى إليه هذه الأيام من إعلاء معانى الأدب فى العصور ، وكنت أرجو أن تنقشع تلك النمة التى وصفت « تجديداً » وهى أبعد من التجديد فى شىء إذ تبع الناشئون غداً كما أهل الغرب من أخيلتهم والأخذ عنهم فى إيراد الأساليب وتقليدهم فى الأوصاف ونحوها من ضروب الكتابة دون أن يعرفوا عن الأدب العربى شيئاً من عنايتهم ، حتى ذهب كثير من أعلام دولة القلم يتحدث إلى فى معنى خاص فيقول إن اللفظ للمعنى كالثوب على الرجل ، فهو إن كان رجلاً كاملاً لم ينقص خلق ثوبه من صنعه ، وإن الرجل مهما يكن باسمه شريفاً ولكن يمسه شجرة من الفضل وثقله على من العلم لا ينصب الطيب فى شىء !

وعلى الرغم مما فى ظاهر هذا القول من تبيين حق فى جوهر الموضوع فإن القصد الشريف يدافع المعانى مسرحاً ، كما يسرح الثوب الكريم على الرجل العظيم مهابة ورفعة وجبراً ومكاناً أدنى إلى حضرته تدعى هيئته الجليل

فمن أول ما يطالعك من الرجل لباسه ، وأول ما يفاجئك من النص ظاهر لفظه ورب معنى كريم فاتت لسوء صياغتها ورثاثة أسلوبها ، ورب مقالة خلعها الرونق لطلاوة السياق وبلاغة الإيراد ودقة ديباجتها

والزيات كاتب بعث له إلى رصانة الأسلوب ووضوح السياق طلاوة المعنى ، وبلاغة العبارة ، وتسلسل فى ذلك متميزاً به فى الناحيتين ، ذلك الخيال الذى تحس منه ميلاً إليه ويخلق صورة وتمثيلاً له فى جميع نواحيه ، فانت أول ما تطالع من كتابه الجديد « فى أصول الأدب » ، فهو يحدثك فى هذه المقالة عن الخيال حديث الشاعر المتعبد والكاتب الصادق الحس ، ويحلق بالقارئ ليستقرى الحس مشاعره ويستصحب خياله الفنية الصحيحة

فهو يهدى الصحاب كلما يقول

« الخيال والفن إنما هما على أثر من الحس ، إما الفكرة وإما الفلسفة وإما الشعور الصادر من آلام الحس ، ومن ذلك شرح الخيال ، فكأن عقلياً وأدبياً وطبعياً »

هنا ينجذب يجذب إليه الخيال وهو الشيء الذي لا يشكله ، وإنما تحسه أيضاً ، ذلك الحس الذى يشعر بالجمال ويصوره ، فتخيله جمالاً عقلياً وأدبياً وحسياً لا يعطى فى الشعور ، ولا يلقه فى أية صورة ظاهرة أو حس وآية ذلك أنه يحول جمال ذلك الإحساس وحده » وجمال المرأة تحسه حواسه ومشاعره ما دامت له روح العاطفة تشع فى نظراتها ، وتسرى فى بسماتها ، وتنبع فى قسماتها ، وتنشر أمواجها السحرية على أعصاب الرجل - وهو شبيه والع - فيتمتع بنعمة الخيال ، ولذة الإطلاق ، ويجد فى الحب الذى يستشرى ويتمكن ، الطب الذى يطول ويحكم

ثم إن الأستاذ الزيات يتحدث إليك بعد هذا للقارئ عن « الربيع » فإذا هو يقول « فى الربيع ينتعش الشعور بالجمال ويطمئن إلى التصحيح ، فترى الشباب يكون ويستمتع ألوان الرياض وعبير الخمائل وصدح الطيور ، وينتشى فى حور اللآلئ ويصدر الشعور ، فيضفى على الوجود وساحة عرس ، وعلى الحياة رونق السعادة »

وفى المقالة الثالثة يتحدث الأستاذ عن العيد فيقول :

« والأعياد الأجنبية التى تشهدها مصر فى ذكرى الميلاد ورأس السنة دلالة على سمو الروح والجسم ، وآية فى سلامة الذوق والطبع ، ومرسح ترى فيه القاهرة - وهى متبرجة - كيف تتهيئ السكان بالهلال ، وتزهو الفنادق بالجمال ، وتشرق المنازل بالأنس ... الخ »

ألا ترى أن فى ولوع الأستاذ الزيات بالحديث عن الجمال وتحليل مذهبه ورديه أوصافه ما يهديك إلى سر ذلك الأسلوب الرائق الجميل وتلك الديباجة الرصينة الهادئة ؟

ثم ألا ترى فى طريقته هذه الموسوعة أسماً متقناً يشرب به الأسلوب ما يدل على ملكة مطواعة وحسبة مواتية ومقدرة على الترسل فذة عجيبة

وبعد ، فوحى « الرسالة » إلى يعنى أمس وكتب قد طالت فصولاً مما احتوى نشرت قبل فى « الرسالة » ، وهى فصول تأتى غرائب ، وإنى لشديد الحرص على ألا تخونى ، ولكنى أسجل إرسال هذه الكلمة إعجاباً إلى عمل الكاتب وعظم يده على الأدب العربى فى العصر الحديث والكتاب بعد جوهرة نفيسة جاءت الإشراق لا تخفى ديباجته ولا يحجب رونقها عن قارئها وتمتاع روحه

مصطفى الصبانى

8ème Année No. 345

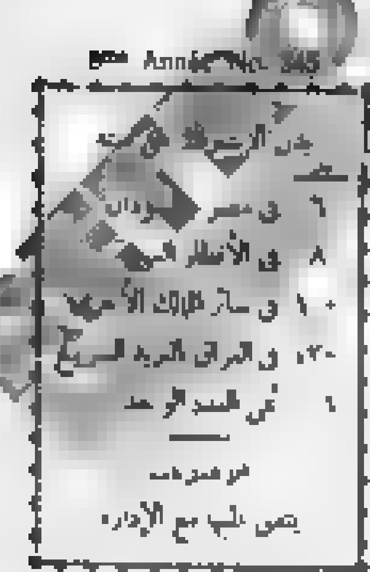

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 12-2-1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة — «القاهرة في يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠» — العـــدد ٣٤٥

الفهرس



# الموظفون والناس...

شُغلت في هذه الأيام أن أتصل بأي بعض ... في شأن من شؤون الرسالة، وأنا الأمور ... مولون الوزارة أو أقسام الإدارة؛ لأني كنت أعتقد كما يعتقد ... من السوقة الأحرار أن الحكومة من الأمة بمكان الرأس من الجسد، فيه التفكير والتدبير والقيادة، وليس فيه الاحتيال والتسويف والسيادة. ولكني ... في أمر الشرود لا أزال معتقداً أن الرأس منا أن ... جسم ... على أعضائه ويبعث في ... فإذا ... لا تجد فيها الروح الوطنية التي تبعث الحياة ... ولا الفكرة الاجتماعية التي ... للنهضة المترقبة، وإنما تجد ... على ... والظلم ... سطل معنى الإصلاح وتعطل حيفة العدالة.

وأول ما ترى ... من الشرطة والسكرتيرين والحجاب والسعاة ... وعلا ... الطرق ... ويتنقل ... وعند ... التي ... لا أدري كم من السائل لا عمل له إلا ... ويبعثر الأسئلة ... بين الناس وبين القاعدين ... من أول الباب. فلو ساعفتك ... أو ساعدتك الحاجة ... من الشرطي أو الحاجب، ... من ... السكرتير أو الكاتب، ودخلت على الموظف الكبير ... كأنه ... بالناس

وثبت بالأرائك ورى بالتحف وأجلّ بالكهرباء وقام في صدره القاتل طرفة من طرف الأثاث يقولون إنها مكتب ، ومن وراء هذا المكتب الفاخر كرسي وثير متحرك يجلس عليه الموظف العظيم وثيابه تكاد تتشقق من ورم الكبر ونفخة السلطة ، فلا يستطيع من رهبته الطالب أن يكلمه ، ولا يستطيع هو من عزة المنصب أن يكلمك

هذه المظاهر القائمة على السرف والترف يجب أن تزول أو تقصر ، لأنها تمنح الموظف بعزوة من العظمة الكاذبة تزور له ذاته ، وتفسد عليه حياته ، وتجعل مركزه الاجتماعي مقصوراً على مظهرين مختلفين : مظهر في بيته ونفسه بصغير ، ومظهر في الديوان والناس بصغير . والرجل ذو الحاجة إذا دخل على الموظف بمكتبه رأى ... إليه ولا معروفاً لديه ولا مؤنس به ! إنه لا يجد إلا النظرة القاسية ، والكلمة الجافية ، والإشارة المهينة ، والهيئة المزعجة التي تصرخ في وجهه بهذه الجملة

: بعد ما بيني وبينك ! أنا حاكم وأنت محكوم ، وأنا (ميري) وأنت (براني) ! فإن احتمل المسكين الهوان وقف على مضض ، وإن ... الجأه انصرف على ضجر !

لقيت منذ حين في فناء الوزارة الفلانية صديقي فلاناً المهندس الفلاحي خارجاً يزفر من الغيظ وينتفض من الغضب فهششت له وأنا أربت على كتفه

— كفاك الله الشر ! ماذا بك ؟

فقال بصوت يتعثر بالسخط ويهتاج من الغيظ

— والله يا أخي ما أدري أنحن عبيد للموظفين أم نحن ومع عبيد القانون ؟ هذا فلان بك .

— فلان بك ؟! إنه الرجل الذي أقصده اليوم في مسألة هامة

— تعال نعد ! لا خير لك في لقائه اليوم . فقد تركته يتوتر على الكرسي ويدق الشر على الوجه

— ولم كان ذلك ؟

طلب الإذن منه لأشكو إليه حال الأزمة واختلال موسمه ، فأبى أن يأذن لي حتى يدخل في اختصاصه مقابلة منه في ساعات ، وكان ينكر الإجازة يوماً ، فأطلق عنده سكرتيره ساعة ثم خرج غير آذن ولا معتذر فانصرفت خجلاً من سوء ما يلاقي في صدر مكتبه ،

ثم عدت إليه يوماً آخر وبالأمس فإذا هو يضاحك ويكرم كما يحسن النائب والصاحب والقريب ... الحظ ... دخل قبلي من جاء بعدي ، حتى لم يبق في حجرة الانتظار إلا أنا ورجلان من أصحاب العمل حينئذ قال سكرتيره : إن الوقت انتهى عليه الوقت ! فثار في وجهي الدم ، وطن في رأسي الغضب فاقتحمت عليه الباب وقلت له من غير احتشام ولا تهيب : يا سيدي البك ! ربما كنت أنا الزائر الوحيد الذي زارك اليوم في عمل من الأعمال التي تجلس لها وتؤجر عليها ... لكن من اللائق بأمانة المنصب أن تحجزني حجزة مسد عنها لتستجيب إلى طلاب الشفاعات والوساطات من ذوي الصداقة والقرابة

فنظر البك في غضب واستشاط ... وصاح : من أنت ومن أذن لك بالدخول ؟ فقلت له : أنا فلان ... سرى من سراة البلد وثروة من ثروات الأمة نشأت في مهد النعيم ، ثم نصب العمل ... وشربت في سبيل العيش الكريم من أمس إلى أمس ، حتى أصبح عملي الناجح مورداً لثلاث من الأسر القادرة ، وأصبحت — وأنا لا أزال في شباب الكهولة — ذا غضون تتلف جبيني ووجه أنا دائب التفكير المضني ! كرك المنصب والترف اللذين أمر كتهما يغني الدقة ، ويشبك الضجر والكسل اللذين كتفاك في إدارة العمل . إن سلطان الوظيفة يا سيدي عرض منحك ومتاع زائل ... فإذا شئت أن تعرف أين أنت مني فدع منصبك الفضين وادخل معي في معترك الحياة ومزاحمة الناس ، ويومئذ نرى أينا يرطأ الأقدام ، وأينا يرفع على الرؤوس

وهنا رأيت الرجل يكاد يخرج من الغيظ فأهوى بيده على أزرار الأجراس مستصرخاً جيشاً ، ومثل الخدم وحوله : أخرجوا هذا ... من هنا . فأخرجوني على حال من الهوان لا يصبر عليها إلا رجل ملتزم أمام موظف أحمق

فقلت له ونحن نمشي الهوينى في طريقنا إلى البيت : هون عليك يا صديقي فإن أكثر الموظفين ظلم مع الناس كما كان هذا الموظف معك

* * *

أيها القوم !

شد ما أخشى على هذا أن يصبحك في جهة يوماً يعتز وصولاً يهدم ! لقد عبرنا بالظلم وعجز الكلام !

محمد حسن الزيات

# اللعب

## للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت في مقال لكاتب فاضل «الحياة جهاد»

« ولكن جهادنا يقتضي أن يكون لنا رجال قوي يصحبون إدراكنا للحياة، ويعرفون أوقات المجال، ويهيئون فرص السرور، ويشغلون أوقات فراغنا بالمباريات الرياضية، والمهرجانات الوطنية، والمسابقات البحرية، والملاعب الفنية، والمواكب الشعبية، وليس أقدر على هذه الرسالة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية »

* * *

كلام صادق

وربما كان أروع من تعريفه بوصف الصدق تعريفه بوصف الجمال، فليس كل صادق بجميل

ولكن كم منا من المشارقة، يا أخي، يؤمن معك بحاجة اللهو إلى رعاية، وحاجة الأمة إلى لهو؟

وكم منهم يؤمن معك بأن رعاية اللهو واللعب لها من الشرف والعصمة كما لها من الرعاية في الجد أو في الأمور التي تراعى صبغة الجد عليها!

أقل من القليل

أقل من القليل مع هذه الوقائع الناطقة التي تتوالى علينا كل يوم بفضل الأمم التي تحسن اللهو واللعب على الأمم التي تتكلف التزمت والوقار

وأقل من القليل مع تلك الشواهد التاريخية التي ليس يعمى عنها ذو بصيرة تشهد في الاجتماعيات من الأشياء

فما عرف التاريخ قط أمة أحسنت الجد ولم تحسن اللهو واللعب

وما عرف التاريخ قط أمة من أمم القوة والسيادة لم تكن لها ألعاب ولم يكن لها رجاء في هذا المضمار

ومثلك بالرومان وملاعبهم في كل مدينة وضعوا حجراً في بنائها

والإغريق وملاعبهم القومية التي كانت تتعاقب كل عام أو بضعة أعوام

والفرس وشواهدهم في الكرة والصولجان والعرب وميادين الفروسية ومناظر الصيد والقنص وما اشتهر [illegible] والدولات حيثما ترتفع لهم عروش وتنعقد لهم إمامة

أما في التاريخ الحديث فيوشك أن تكون العصبية في [illegible] الأمة مرتبطاً بالعصبية في مضمار السيادة، ويصدق من يقول إن بريطانيا العظمى عرفت بالسلطان العالي يوم عرفت بالسبق في ألعابها، وشوركت في ذلك السلطان يوم شوركت في تلك الألعاب

فاللعب هو فيض الحياة

ومن يكون صاحبه بغير حياة أولاً ثم فيض في الحياة بعد ذلك؟

* * *

لا يلعب الإنسان وهو عليل

ولا يلعب وهو محسور مغلوب

ولا يلعب وهو مضطرب النفس

ولكنه يلعب حين يصح، وحين يمرح، وحين يملك زمام نفسه ويعمل ما يشاء

فاللعب والصحة القائمة صنوان، والسيادة والحياة الناقصة لا يجتمعان

* * *

ولكننا معشر في الشرق لم يفهموا معنى الحياة ولم يفهموا ما تقول حين تتكلم بهذا اللسان

رأوا الطفل يلعب وهو قليل العمل

ورأوا الشيخ يجتنب اللعب وهو كثير العمل أو كثير الاهتمام

فحسبوا أن اللعب ونقصان العقل متلازمان، وأن الرجوع عن اللعب ورجاحة العقل مترادفان

فأخطأوا

أخطأوا في الفهم كما أخطأوا في الشعور

فما لعب الطفل لأنه أقل من الشيخ عقلاً، ولكنه لعب لأنه أوفر نصيباً من رجحة الحياة

وما رزن الشيخ لأنه أعقل من الطفل، ولكنه رزن لأنه أكبر سناً وأقرب إلى الموت

ولو اجتمعت للشيخ حكمة السن وجدة الطفولة لما منعه

المسكه أن يلعب ويلهو ، ولعلمته بعد ذلك كيف ينشق في لعبه ويجد في لهوه ، ويعبر عنهما الأطفال والشبان

* * *

ورأوا المجنون يلعب والعاقل لا يلعب مثله فجزموا باتصال الجنون واللعب كما جزموا باتصال العمل والسكون

أخطأوا!

أخطأوا في الفهم كما أخطأوا في الشعور

لأن المجنون يلعب من فرط الطلاقة لا من ذهاب لبه واختلاط فكره.

وآية ذلك أنك ترى بعض المجانين يمقتون اللعب والطرب ولا يلعبون ، بل ينوحون ويضطربون ويغضبون ، لأن جنونهم يسلمهم للخوف والفزع ولا يسلمهم للطلاقة والمراح

فهل يقال إنهم إذن أعقل من العقلاء الذين يلعبون حيناً بعد حين ؟

كلا ، بل يقال إن الطلاقة تلازم اللعب في كل حين

أما الجنون واللعب فلا يتلازمان

* * *

وينبغي أن نفرق هنا بين اللعب الذي نعنيه وبين ما يلتبس به في بعض ظواهره ودواعيه

فاللعب الذي نعنيه غير التسلية

واللعب الذي نعنيه غير الرياضة

لأن الحزن والمرض والتطلع تسمى أسباباً ولكنها لا تحتاج إلى فيض حياة ولا إلى فائض شعور ، بل لعلها تحتاج إلى الكسل والراحة والفتور ، وهي في لبابها شغل من الأشغال ولكنه شغل فراغ

ولأن الرياضة وسيلة إلى غيرها في كثير من الأحوال ، فهي بين رياضة يراد بها الحرب ، ورياضة يراد بها العلاج ، ورياضة يراد بها لاحتمال المشقات ، ورياضة يراد بها التجميل والتقويم

أما اللعب الذي نعنيه فهو التعبير الملازم لحالة النشاط والإشراق فلا يراد بعد ذلك لغرض من الأغراض

هو شيء كغناء الزرزور حين يفيض عنه الكثير ويجيش عنه الغناء

فلا يقال إن الزرزور يلعب حين يغرد للناس ، ولا يقال إن الغناء وسيلة مقصودة ليسمعه السامعون ويطرب له الشعراء ويستمتع به السامعون

وكل ما يقال إنه يلعب لأن الغناء يحيط به ، ويشيع في جوه السابح فيه

وفي هذا المعنى يدخل في باب اللعب تشكيل الفنان ، وزينة الطبيعة ، وزهو الألوان في الخمائل ، وشوق العيون إلى الكشف عن المجهول ، ولألاء الجمال في الوجوه ، ولألاء الجمال في الأرواح

وفي هذا المعنى كذلك يعم اللعب كل حياة حيثما وجدت الأحياء ، فهو في الطير المغرد ، وفي الحوت السابح ، وفي الحيوان الطافر ، وفي كل ما يفيض بحياته فيتمتع في أعماقه ، ويوشك أن يخرج من إهابه

أما التسلية فليست من الفطرة

وأما الرياضة فجانب منها من الفطرة وجانب من اجتماع الجماعة الإنسانية

وليس اللعب الذي نعنيه تسلية ولا وسيلة اجتماع

وإنما هو تعبير الحياة كما يمتزج القائل بينه وبين التعبير

* * *

وبعد ، فأين من رحمة اللعب واللهو بين المتشارفين «الوقورين»

أضاف إلى :

أتحسبين الرياضة الروسية ؟

أم تحسبين للروسيين الرئيس ؟

فهيهات أن يفهموا اللعب على معناه وأنت في حل بعد ذلك من تفهيمهم معنى الجد أو تفهيمهم معنى الحياة ، وفي حل من انتظار الرحمة ، رغم ما اشتهر عنه حتى وجد المستضعفون ترحمه رغم

عباس محمود العقاد

# حول استقلال الكلمات في المعاجم

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

---

لا أزال أتذكر الحيرة الشديدة التي تملكتني عندما تصفحت المعاجم العربية الحديثة قبل سنوات ... عندما كنت أريد تزويد ابني بمعجم صغير يرجع إليه في معرفة معاني الكلمات من جهة، وفي رسم حروفها من جهة أخرى، فاستعرضت جماعة من معاجم العربية وطفقت أبحث عن أحسن المعاجم المختصرة التي تخدم هذا الغرض ... غير أنني، عندما قلبت صفحات المعاجم التي وقعت في يدي، إذ وجدتها جميعها مرتبة على نمط المعاجم القديمة، وسائرة على خطتها، لأنها ترتب الكلمات بحسب موادها الأصلية، ولا تراعي ترتيب الحروف الهجائية إلا في تلك المواد.

وتحولت هذه الحيرة إلى دهشة شديدة عندما أصغيت إلى جماعة المعلمين والعلماء، فوجدتهم يحبذون هذا الترتيب ويستغربون لاستغرابي، كأن الأمر من الأمور المقدسة التي لا مجال للتغيير فيها، ولا مساغ للاعتراض عليها.

ودهشتي هذه وصلت إلى أقصى حدودها عندما رأيت هؤلاء يتبرعون للدفاع عن خطط تلك المعاجم ... إذ قال أحدهم:

— ولكن اللغة العربية لا تشبه سائر اللغات.

وقال آخر:

— إن طبيعتها تختلف عن طبيعة تلك اللغات.

وما كنت أستفيق من الحيرة التي أوقعتني فيها هذه الكلمات حتى سمعت ثالثاً:

— وما علاقة المعجم بطبيعة اللغة! إن الغرض من المعجم هو ترتيب الكلمات ترتيباً مقبولاً، يضمن الوصول إلى إيجاد الكلمة المطلوبة بأعظم ما يمكن من السرعة والسهولة. ولا شك في أن هذه السرعة والسهولة لا تحصلان إلا بترتيب الكلمات بحسب حروفها الهجائية. ومن البديهي أن الترتيب من الأمور التي تختلف بين لغة وأخرى ... غير أن صاحبنا كأنما انتبه إلى البحث سائلاً:

— يعني، تريد أن تكتب مثلاً كلمة الاستغفار في حرف الألف، وكلمة التمرين في مادة التين؟

قلت بدون تردد: نعم.

فقال المعترض بلهجة المتحمس المعتقد الذي يثور على أمثال هذه البدع:

— ولكن هذا لا يجوز في اللغة العربية.

سألت: لماذا؟

فأجاب بلهجة ظاهرة:

— لأننا إذا فعلنا ذلك لا يعلم الطلاب، مثلاً، أن الاستغفار من باب الاستفعال، وأن مادته الأصلية هي غفر.

فحاولت أن أقنع مخاطبي ببعض البراهين، فقلت:

إن تفهيم هذه الأمور أمر واجب وضروري .. حتى إن المعجم الذي أتصوره وأقترحه يكون — هو أيضاً — من أحسن الوسائط لذلك: فتوضع كلمة الاستغفار في المحل الذي يتطلبه ترتيب حروفها الهجائية، ويذكر بجانب الكلمة مادتها الأصلية ... فيجد الطالب الكلمة في المعجم بكل سهولة، ويتعلم ... في الوقت نفسه ... من الموضع الذي كتبت فيه أن مادتها الأصلية هي غفر، وأنها تدل على طلب المغفرة ..

سكت مخاطبي كما سكت زملاؤه، غير أنني لمحت في أعينهم ما يدل على أن هذا السكوت لم يأت من الاقتناع، بل تأتى من الاعتقاد بأن كل اعتراضاتي هذه ما هي إلا نتيجة عدم إلمامي بقواعد العربية الإلمام الكافي، وعدم تفهمي لخصائصها التفهم اللازم ..

* * *

مضى على هذه الحادثة أكثر من عشرة أعوام .. ثم عدت إلى قضية المعاجم — في هذه الأيام — مرة أخرى، وعلمت — في حيرة جديدة — أن اللغة العربية لم تحظ إلى الآن بمعجم عصري بالمعنى الذي يفهم من كلمة المعجم في جميع لغات العالم ... كما علمت بأن المجمع اللغوي الذي تشكل منذ ... لم يفكر

أخرجه هذه القضية عن صورها، ولم يدخلها في عداد الأعمال التي يجب تصحيحها.

ورأيت من الواجب علي أن ... ألفت أنظار علماء العربية ومحبيها إلى هذا الأمر الهام عن طريق منبر (الرسالة) الغراء، وأن أدعوهم إلى العمل على إزالة هذا النقص الفاحش.

إن المعجم بمثابة مخزن الكلمات، معد لمراجعة جميع الناس، بحيث يستطيع كل شخص أن يدخل هذا المخزن ويختار منه الكلمة التي يقصدها، دون أن يحتاج إلى مساعدة أحد يدله على موضعها... ولهذا السبب تصنف الكلمات في هذه المخازن المنظمة تصنيفاً يسهل إيجادها وأخذها بأسرع الطرق وأسهلها. ولهذا السبب يختلف التصنيف المعجمي عن التصنيف الصرفي النحوي اختلافاً كلياً، ويكون هذا التصنيف ألفبائياً – بوجه عام – لكي يستطيع كل فرد أن يجد أية كلمة من الكلمات بعد تذكر ترتيب الحروف الهجائية في الألفباء.

غير أن المعاجم العربية تشذ عن هذه القاعدة العامة شذوذاً غريباً، لأنها تصنف الكلمات تصنيفاً حسب الاشتقاق والتجريد، بحيث لا يستطيع أحد أن يجد كلمة من الكلمات إلا إذا عرف مقدماً – بحسب الأصلية وكيفية الاشتقاق من مادة مثلها – بصورة صحيحة.

فمن أراد أحد أن يراجع المعجم في كلمة «الاستيلاء» مثلاً، فعليه أن يلاحظ قبل كل شيء أن هذه الكلمة من باب «الاستفعال»، كما يعرف – سلفاً – أن مادتها الأصلية هي «ولي»، وعليه أن يبحث عنها – مستنداً إلى هذه المعلومات – في الصحائف الخاصة بحرف الواو واللام... وأما إذا أراد أن يراجع المعجم في كلمة «الاستواء»، فعليه أن يعرف أنها من باب «الافتعال» وأن مادتها الأصلية هي «سوي»، وعليه أن يبحث عنها – مستنداً إلى معلوماته هذه – في الصحائف الخاصة بحرف السين والواو... غير أنه إذا كان لا يعرف ذلك فلا يسعه أن يراجع القاموس ويقلب صفحاته، لأن القواميس العربية لا تدل على مواضع مثل هذه الكلمات إلا لمن يعرف مثل هذه الحقائق الصرفية والنحوية حق المعرفة.

أليس ذلك مخالفاً لأبسط قواعد الفن ولأوضح مبادئ التعليم؟

فلنأخذ مثالاً آخر: لنفترض أننا طلبنا من أحد الطلاب أن يبحث في المعجم عن كلمتي «الاستعانة» و«الاستكانة»... إن هاتين الكلمتين متشابهتان ومتقاربتان من حيث اللفظ والكتابة، لأن الحروف الثلاثة الأولى مشتركة بينهما، وكذلك الحروف الثلاثة الأخيرة؛ والفرق بينهما ينحصر في الحرف الرابع وحده؛ مع كل هذا يجيء موضع كل منهما في المعجم بعيداً عن موضع الأخرى بعداً غريباً جداً؛ فعلى الطالب الذي يبحث عن هاتين الكلمتين في المعجم، أن يعرف أن الكلمة الأولى من باب «الاستفعال» من مادة «عون» فيراجع من أجلها حرف العين والواو... كما عليه أن يلاحظ أن الكلمة الثانية قد تكون من باب «الاستفعال» من مادة «كون» أو من باب «الافتعال» من مادة «سكن»، فعليه أن يراجع حرف الكاف والواو نظراً للاحتمال الأول، وحرف السين والكاف نظراً للاحتمال الثاني.

وهل يمكن المرء أن يتصور طريقة تصنيف أغرب من هذه الطريقة، وخطة تبويب أصعب من هذه الخطة ... من وجهة مقتضيات العقل والمنطق من جهة، ومطالب التربية والتعليم من جهة أخرى!

* * *

إن المعاجم العربية الموجودة بين الأيدي لا تزال تتبع الاشتقاق في الوضع الأول من الاعتبار، فتهتم بأنساب الكلمات قبل كل شيء وفوق كل شيء، وكأنها لا تريد أن تعترف بشيء من حق الاستقلال للكلمات المشتقة، حيث كان مبلغ تخصصها في معنى من المعاني، ومهما كانت درجة تباعد هذا المعنى الخاص عن المعنى الأصلي... إنها لا تعترف لها بحق الاستقلال في بيت خاص، حتى ولو كانت قد أصبحت وأسست أسرة ضخمة، وملكت ذرية كبيرة؛ كأنها تريد أن تبقى تحت وصاية مستمرة، وتحتم عليها أن تسكن على الدوام، في دار «جدتها الأولى» مع جميع أفراد العشيرة التي تنتسب إليها.

فلنترك الألعاب المقدرة جانباً ، ولنفسح لأذهاننا مجال التفكير في نوع آخر من الطرق للألعاب قليلاً . هل من المعقول أن نستمر على هذه الحالة في مدارسنا ، ولا سيما في المدرسية منها

هل من المعقول – مثلاً – أن نستمر على إدخال كلمة المصباح في هذه المسح ، فنتركها في مدارسنا سائبة بين كلمات المصباح ، والمساحة ، والسراج والسيجة والاصطباح والاستصباح . ؟

وهل من المعقول أن نستمر على عدم اعتبار كلمة « الأنبوبة » كلمة قائمة بنفسها ، وعلى إدخالها في مدرج « ا ب » ونظل نطالب من أطفالنا وطلابنا أن يبحثوا هناك ؟ وهل من الممكن في شيء ألا نوجد حلاً ملائماً لوضع كلمة « الفرانة » في حيز الخزانة المخصصة لمادة « الزون » ... ؟

وعندما أكتب هذه الأسطر يتوارد على ذهني أمثلة كثيرة من هذا القبيل ، تكاد تضايق في الشاهد من مراصد العقل والمنطق ومبادئ التربية والتعليم إلى أقصى حدود الضيق

إن كلمة الاستنطاق – مثلاً – بالرغم من معناها الخاص الذي يلعب دوراً هاماً في المحاكم والقوانين ، وبالرغم من كثرة استعمالها في ... لا تزال تلتجئ في المعاجم إلى ظل كلمة « الأنف » !

وكلمة « الاستراحة » – التي يستعملها الناس في كل يوم مثات من المرات – لا تزال محبوسة في المعاجم في مادة « الراح » ، ومحشورة بين كلمات سبق المعاني والألفاظ كالرياح والرائحة والأريحية والرعين !

حتى أن كلمة « المدرسة » نفسها لم تكتسب في معاجمنا حق الاستقلال ، بل لا تزال تابعة – في نظرها – إلى كلمة الدرس ومحيرة على الالتحاس بين كلمات متخالفة المعنى مثل « الدراس » الشائع والدارس و « مدارسة » الكتب والمدروس !

وكلمة « الاقتصاد » التي أصبحت بمعناها الاصطلاحي الجديد من أهم عناصر الحياة الاجتماعية ... لا تزال تختفي في معاجمنا بين الكلمات التي هي من طراز القصد والمقصود ، والقاصد والقصيدة وبين المعاني التي تدل على موت الكلب ، واستقامة الطريق ، وانحسار الموسج

ولكن ، لماذا أطيل الكلام في هذه الأمثلة العجيبة ؟ إن معاجمنا لم تعرف معنى الاستقلال ، حتى بالنسبة إلى الاستقلال نفسه ! حتى لا تزال تعتبرها تابعة ... « قل » ... تحشرها وتطمس شكلها في مساكن « القلة والقليل » !

نعم ، إن كلمة الاستقلال التي تثير في النفوس ما تثيره العواطف الجياشة على العموم ، والتي تتكرر في القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية كل يوم مثات ، بل آلاف المرات . كلمة الاستقلال التي كلف تحقيقه دولاً وأمماً تضحيات كبيرة في الجهود والأموال والأنفس – كلمة الاستقلال هذه لم تستقل في معاجمنا إلى الآن

فعلى كل من يود التعرف إليها في القاموس أن يطرق باب « قل » وأن يعرف أنه سيلاقيها بجانب كلمة « القليل » !

* * *

أنا لا أدري بماذا أعلل تمسك معاجمنا لأساليب هذه الخطط العوجاء ، وسكوت علمائنا عن هذه النقائص الفاضحة ... غير أني أميل إلى تعليل هذا الاستمرار وذلك السكوت بتأثير عاملين أساسيين :

أولاً : عامل قانون الألفة الذي يجعل الإنسان لا يشعر بما كان قد ألف منذ نعومة أظفاره ، ولا يلتفت إلى أوضح النقائص ، عندما يألفها ألفة طويلة ، ولا سيما عندما تكون ألفته هذه مبهمة ..

ثانياً : عامل روح المحافظة التي تتطلب إبقاء القديم على قدمه ، ... ونزع الميل عند ما يرى إلى تغيير ما نسميه في الأمور المقررة سابقاً ولا سيما عندما تكون تلك الأمور متعلقة بالتقاليد الاجتماعية ..

إني أستطيع أن أضيف إلى هذين العاملين الأصليين عاملاً ثالثاً ، وهو من رعب الأعاجم الأمور الرائجة التي تلفت الأنظار ، أكثر من الانصراف إلى معالجة المسائل الجوهرية التي لا تأتي نتائج مهمة الأثر وإن كانت كثيرة الفائدة

إني أعتقد أن الخروج على هذه العادات والشروع في وضع معاجم عصرية بالمعنى المشروح آنفاً – أصبح من أهم الواجبات التي تجب على رجال العلم والتعليم ، ومجامع اللغة والأدب ، ووزارات التربية والتعليم – في جميع البلاد العربية ... كما أعتقد

أن وضع مثل هذه المعاجم العصرية التي تعرف باستقلال الكلمات وتسهل الوصول إلى كل واحدة منها من الأمور الميسرة لكل شخص — هو أهم بكثير من البحث عن الكلمات التي تقابل «التليفون» و«الكلور» و«البروتوبلازم» وحتى من إيجاد الاصطلاحات التي تدل على أسماء الأمراض ودقائق التشريح

وأما الخطة التي يجب السير عليها لوضع هذه المعاجم فهي بسيطة وسهلة

أولاً — يجب أن يبذل الجهود اللازمة لوضع معجم مختصر يحتوي على الكلمات التي يستعملها الناس ويحتاج إليها طلاب المدارس الابتدائية. ولتدوين هذه الكلمات يجب أن تستعرض طائفة من الكتب المدرسية من جهة، ومجموعة كبيرة من الأخبار والإعلانات المنشورة في الجرائد اليومية من جهة أخرى؛ وتستخرج بطاقات خاصة بكل كلمة من الكلمات التي تصادف خلال هذا الدرس والاستعراض؛ ثم ترتب هذه الكلمات حسب نظام حروفها الهجائية، ويكتب إزاء كل واحدة منها معناها الاصطلاحي، كما يشار إلى مادتها الأصلية، وإلى كيفية اشتقاقها من تلك المادة، وأخيراً تذكر أهم الكلمات المشتقة منها، تسهيلاً لمراجعتها في سائر أقسام المعجم

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبذل الجهود اللازمة لتنظيم معجم أكثر تفصيلاً من ذلك، يكون مرجعاً لطلاب المدارس الثانوية والعالية، ولرجال الطبقة المثقفة بوجه عام؛ على أن يبنى كذلك على طريقة استعراض الكتب المدرسية من جهة، ودرس المؤلفات العلمية والأدبية من جهة أخرى

وأخيراً يجب أن يسعى لوضع معجم مفصل عام — يحتوي جميع الكلمات المستعملة في الكتب القديمة ويصنفها على حسب أنواعها ومعانيها

وأما المعاجم القديمة، فتبقى كمراجع أساسية يرجع إليها العلماء والأخصائيون

وأعتقد أنه لا يحق لنا أن نرجو تقدماً حقيقياً في تعليم اللغة العربية ما لم توجد مثل هذه المعاجم [illegible] وبعمل أمثال [illegible] ومباحث المعجم هي من الواجبات القومية

أنا لا أدري كم يكون طول المدة التي ستنقضي بين كتابة هذه الأسطر وبين ظهور المعاجم التي أشير إليها [illegible] كما لا أدري ماذا يكون مبلغ ونوع مساهمة كل من الكتاب والناشرين والهيئات العلمية والدوائر الرسمية في تحقيق هذا المشروع المهم من طريق العمل المباشر أو التشجيع والمساعدة

مع هذا أتمنى كل التمني أن تتضافر جهود الأفراد والهيئات والحكومات في هذا السبيل — بكل الوسائل الممكنة [illegible] لكي تقر أعيننا بمعاجم عصرية من هذا القبيل [illegible] قبل أن يمضي وقت طويل

(بغداد) أبو خلدون

# إنـــذار

[illegible]

[illegible]

سمحتك حتى [illegible] فأصبحت [illegible] على [illegible]

[illegible] كيرهف [illegible]
وطرفك [illegible] الصراع [illegible]
[illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible]

[illegible]

برلين [illegible] بشر فارس

# إلى الدكتور طه حسين بك

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل

تفضلت فأوصيتني بكتمان الحديث الذي دار بيني وبينك في حضرة « الصديق العظيم » الذي عرف وداده من قلبي وقلبك أطيب مكان ؛ وأنا أستطيع النص على اسم ذلك « الصديق العظيم » بلا خوف من عواقب العتاب ، لأن الحديث الذي جرى بيني وبينك في حضرته صلة وثيقة بأسس المذاهب الأدبية التي يشتجر حولها الخلاف في كثير من الأحايين . ثم إن ثناءك على « الصديق العظيم » خلع على ذلك الحديث حلة من الصدق التي تشهد بما يملك من صفاء الروح ، وإنه قد يكره أن يشار إلى اسمه في مجال المشاغبة والصراع ، فإني أجيب بأن ذلك « الصديق العظيم » أرحب صدراً وأوسع خلقاً ، وهو أكبر من أن يرى أن جدال الشعب يمنع من التعاون الجميل

لا حرج من النص على اسم ذلك الصديق ، ولكن صاحب وصيتك ليسمح لي القول بأني لا أعرف عيبك في كل وقت ، وليسمح لك الظن بأني أعتز على صراحة القلوب حين أشاء

ثم ماذا ؟

ثم أستبيح لنفسي التحدث عن بعض ما جرى بيني وبينك ويظهر أن القدر لا يريد أن أسكت عنك أو تسكت عني ، ومن ذلك يظهر كل الظهور سر [illegible] وهل ارتفع العقل الإنساني بغير الخلاف ؟ وهل يتصور الناس وجود الحيوية التشريعية لو لم يصر الخلاف بين الشافعية والحنفية ؟ وهل تأصلت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين ؟ وهل تجلى الفن المصري في العصر الحديث إلا بسبب الصراع بين القديم والجديد ، والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية ؟

إن الخلاف سنة عظيمة جداً ، وما يهمنا إن لم نختلف

فكيف تريد أن أكون صديقاً ظريفاً لا تسمع منه غير الكلام المسنون ؟

وهل من الظرف من أصدقائك [illegible] سجين ؟

إن « [illegible] الطبع » الذي كثر الكلام في [illegible] لم يكن من الغالب إلا في كلام الشعوبية ، وهم قوم أرادوا الغض من الشمائل العربية ، ولولا ذلك [illegible] الأمر [illegible] فكيف تنكر على رجل حق أن يظل صدى الطبع في عمق [illegible] فيه الصراحة وكثرت فيه شمس الأحاديث !

لابد من خلاف بيني وبينك لتحرير المباحث الأدبية والفلسفية ولو أجمعنا [illegible] التقدمي في حياة العقل والوجدان

[illegible] صحرك [illegible] خليقة [illegible] محاورة الرجل العظيم الذي يقول إن الصحراء تشكو الظمأ وأن البحر يشكو الري وأن [illegible] البحر بالصحراء . إن كان ذلك [illegible] فشرفني في محاورته وحدثني كيف شئت وكيف شاء

ولكن ما رأيك فيمن يصارحك بأن الحيوية [illegible] في أحاديثك إلا بما حاورت « الرجل الذي لا يجلو إلى قلبه إلا [illegible] رأسه عفريت » ؟

تلك كلمتك يا سيدي الدكتور ، وأنا [illegible] فما [illegible] ؟

[illegible] هو العفريت الذي يعقل رأسي حين أصير إلى قلمي ؟

أيكون هو الجن الذي سماه الفرنسيون Génie ؟

إن كان ذلك فأنت تشهد لي بالعبقرية ، والقول ما قال طه حسين

وهل تكون العبقرية إلا من [illegible] من عظائم وجلائل في سبيل الحق ؟

وما هي القصة التي أرجوها من صحبتك وأنت [illegible] يضر وينفع ؟

ما هي النعمة التي أصيب من صحبتك وقد صحبتك [illegible] سنين كانت أطيب الأوقات في حياتي ؟

يظهر أنك لا تعرف أنك على جانب عظيم من الحاذبية وأن الرجل العاقل لا يحرم مودتك وهو طائع

فما سبب الخصومة بيني وبينك ؟

إليك أنباء من البيان

منذ أكثر من سبعة أعوام ألقيت محاضرة في الجامعة الأمريكية عن البحتري ونشرتها جريدة كوكب الشرق ، وجاء

( العفريت الذي يحمل رأسي حين أخرج إلى قبرص ) أن انشر في جريدة البلاغ مقالا عنوانه

« الدكتور طه حسين يلفظ حين صيحات قطط في عاصمره وحده »

ثم لقيتني بعد ذلك في الجامعة الأمريكية وجادلتني في تلك الألفاظ فأفهمتك أني أخطأت ، وكان ذلك لأن الجمهور أحاط بنا من كل جانب يرى كيف أدفع هجومك ، وما كان يجوز لي أن أصبح غير الذي صنعت ، لأن أدبي لا يسمح لي بمصاولتك أمام الناس ، ولأن وجهك يشفع لك ، وهو وجه لا يلقاه الرجل الحر بغير الإعزاز والتبجيل

فالذي صنعته أنا من تصحيح الألفاظ التي حدثتها عنك ؟

عميت نشرت محاضرتك عن البحتري في كتابك « حديث النثر والشعر » ، وأبقيت تلك الألفاظ ، أستحضرتها بين يدي ( محمد ) فضحكت لملاحظة فتقول : إنك لا تنساها وأني قد وهبته إياك !

فالذي كان يمنع من تدارك تلك الأغلاط ؟ وما الذي كان يمنع من ترجع رأيك في محاضرتك إلى كتابك فتؤكد ما أقول في كل حين ؟؟

ثم ماذا ؟

ثم حدث في صيف سنة ١٩٢٩ أن أنكرت علي أن أعد شواهد التطور « النثر الفني » من رسائل عبد الحميد بن يحيى وقلت : إن عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرئ القيس ! وكان ذلك بمسمع من الشابين الواعيين « محمد مندور وعلي حافظ » وكانت حجتك أن عبد الحميد بن يحيى لم يرد ذكره في مؤلفات الجاحظ ، فرجعت إليك بعد أيام وحدثتك أن الجاحظ تكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة ، وأن مؤلفات الجاحظ تعرف رجلين : أحدهما عبد الحميد الأكبر والثاني عبد الحميد الأصغر ، فلم تجب بحرف واحد . ثم أقيمت وأنا في باريس محاضرة قلت فيها : إن عبد الحميد بن يحيى أحد أنبياء من أدب الديوان ، وفاتك أن تنص على اسم الرجل الذي أقنعك بأنه لم يكن شخصية خرافية

ولا حتى ( العفريت الذي يحمل رأسي حين أخرج إلى قبرص )

على أن أسجل هذه القضية في أحد هوامش كتاب النثر الفني فكانت فرصة اقتنصها صديقك الأستاذ أحمد أمين فأشار في مقال كتبه في مجلة الرسالة : إلى أن كل مبارك يعوزه الذوق في بعض الأحيان !

ثم ماذا ؟

ثم كانت لك يد مؤثرة في شؤون الدراسة الثانوية بعد أن بعد عن الدراسة الخاصة ، وكان من أثر ذلك أن فرض على طلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية كتاباً في نقد النثر القدامة في عصر لا يعرفه المدرسون إلا بصفته فصلاً من التلاميذ

وأقول بصراحة إني لم أفرح في حال للمنتمين على مدارسك ، فبرزت لك بنفسي في مقال نشرته مجلة الرسالة ، فهل ستمحو لصوب الحق وتصيب التلاميذ من كتاب تقوم ما أردته على سطحي الرسطاليس وهو يجهل كل ملمح !

انت تحرز علينا يا سيدي الدكتور ، لأنك رجل شهم ، ولكن هل رأيت أغلاطك ؟ ومن ذلك عيب يا سيدي نعتك !

هل تذكر كيف « الصديق المعظم » منذ أيام حين أرسلك وهو يبتسم : كيف سيحرم من مباراة الدكتوراه وهو رجل مشاغب ؟

أنت تذكر ذلك ولا ريب ، ولكنك تعرف أني لم أنل ألقاب الجامعة المصرية إلا بجهاد ، وأنت عملت أسقطتني في امتحان الليسانس مرتين ، واشتركت في امتحان الدكتوراه الذي أديته أول مرة مع أنك لم تكن عضواً في لجنة الامتحان ، وكانت معارضتك المشهورة تأخير الدكتوراه التي تعرف سبب الدرجة الثالثة فلم أصل إليها إلا بعد جهاد سبع سنين

فما صنعت أنا ؟ إني لم يكن مثل الأديب المتصوف ؟

هل تذكر يا دكتور ما وقع في نوفمبر سنة ١٩١٩ ؟

هل تذكر ما وقع يوم طلب سكرتيرك وكنت وحدي الطالب الذي جمع الدروس الفرنسية لكتاب نظام الأثينيين لأرسطاليس ؟

وهل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون من طلبة الجامعة المصرية من يجمع أسرار اللغة الفرنسية ؟

لن يعجبك أن الشاب الذي أدخل السرور على قلبك في سنة ١٩١٩ هو الكهل الذي تنكره في سنة ١٩٤٠ ؟

أنا أعرف ما يكره مني . أنت يكره مني المكابرة ، وكيف أتواضع وقد أعانني الله على بناء نفسي ؟ كيف وقد ألف الدين هل انتهى الأدب المصري ظهر سلطة الاعتماد على النفس ؟ وهل رأيت رجلاً مثلي أتم دراسته في أوربا وهو مثقل بتكاليف الأهل والأبناء ؟ هل رأيت رجلاً مثلي يجمع بأوطار الشباب وهو منحنٍ يجرح الزمان بعد الأربعين ؟ هل رأيت رجلاً مثلي يؤلف الكتب الجيدة في البواخر والقطارات والسيارات ؟

ومن يصدق أني أنفق في سبيل الورق والقلم أضعاف ما ينفق بعض الناس في سبيل الطعام والشراب ؟

إن الدكتور طه من رجال الأدب ، ويجب أن يعرف … في … والصعوبة … في جامعته وفي وزارة المعارف ، وهو … في جامعته وفي وزارة المعارف اسم الأستاذ عميد

في صدري أسرار وشجون وشجون لو … يضحك وقد رأيت الدمع يتحدر في شرايين الجبين

حتى نلتقي أيها الأستاذ الطيب لصحبة الأحباب

إن هذا التعريب الذي يختلف رأسي من أجله إلى … لا يحضر حين ألقاك ، لأني لا أرى وجهك إلا تذكرت أني أضحكك إلى حد البكاء

فمتى نلتقي … أن أصل إلى … ؟

وهل أحبني أو يحبني أن في الدنيا ناساً مشوا بالفساد ما بيني وبينك ؟ الله وحده يشهد أني ما أضحكك إلا في سبيل الحق

والله وحده يشهد أني لم أقل … ما … في … المجلات ومن ذلك … التعريب الذي … أني حين أعود إلى نفسي … ما هو … سبيلاً … وجهك ووجه …

زكي مبارك

# الفروق السيكلوجية
## بين الأفراد
### للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

**الفروق بين الذكاء والخلق**

الشخصية من الموضوعات التي اهتم بدراستها علماء النفس منذ أوائل القرن الحالي. وقد ذهبوا في تحليلها إلى أنها تتكون من عوامل بعضها بيولوجي، وبعضها كيميائي، وبعضها عقلي، وبعضها خلقي واجتماعي. وقالوا إنها نتيجة تفاعل هذه العوامل المختلفة تحت تأثير البيئة التي يعيش فيها الفرد في أثناء تكوين شخصيته. ومعنى ذلك أنه توجد علاقات متبادلة بين كل مجموعة من هذه العوامل وبين بقية المجموعات الأخرى. وسأعالج في هذا الحديث موضوع العلاقة بين الذكاء والخلق، وأثر هذه العلاقة في حياة الفرد.

إن نظرنا أو ملاحظتنا العامة - من غير دراسة واعية - لا تسمح لنا أن نجزم بوجود تلازم بين الذكاء والخلق الكريم، أو العكس، أي بين الذكاء والخلق السيئ أو الغباء والخلق الكريم؛ لأن الملاحظة العامة تدل على أنه يوجد بين الأذكياء، كما يوجد بين الأغبياء، الشرير والمتمرد وكريم الخلق والوديع. وإن كانت بعض الروايات[1] والأفلام تظهر شخصيات المجرمين والمحتالين في مظهر الأذكياء والمهرة. وقديماً كان الإغريق يعبدون هرمز لأنها آلهة الذكاء، وكانوا يتوسلون من يقبض عليه سارقاً، أو تثبت عليه التهمة؛ لأنه من لم يستطع أن يحمي نفسه بمهارته وحيله، فهو من أغبى الرقباء، وشأن الذكي اللامع.

والذكاء - ولا شك - عامل من عوامل النجاح في الحياة: مثل الذي يعين الطالب في حياته الدراسية، والمحامي في مكتبه ومحكمته، والتاجر في تجارته، والزارع في حقله وحديقته. ويختلف أثره في نجاح حياة الفرد باختلاف نوع المهنة التي يقوم بها، فأثره في مهنة التاجر مثلاً أقوى وأظهر منه في وظيفة ساعي البريد. فهو إذا استطاع كل منهما أن يقوم بعمله في ذكاء وجد غير كاف ما لم يؤازره خلق كريم متين. ولقد ثبت أن هذه النتائج، والمبتكرين والمبرزين في الأعمال المختلفة، قد امتازوا بالعقل الذكي، والخلق القوي، وأن من لم يجمع - إلى جانب الذكاء - الخلق القويم، قد رأى انهيار عظمته المزعزعة قبل وفاته.

وفي الحياة اليومية يساعد الذكاء على التمييز الخلقي المناسب، فالذكي يعرف الظروف المحيطة به بسرعة، ويدرك ما تتطلبه هذه الظروف، ويعرف أيضاً القانون الخلقي والاجتماعي، ويفهمها جميعاً، ويتصرف بمهارة وقدرة يناسب بين تصرفاته وبين هذه الظروف. وهذا يكون أمثل الأشخاص أخلاقاً. وعكس ذلك الغبي أو ضعيف الذكاء الذي لا يدرك بسرعة - أو مطلقاً - العلاقات بينه وبين الأحوال المحيطة به، أو بينه وبين القانون الخلقي، فتصدر تصرفاته عن جهل وعمى، ويحاول التمسك في تخبط.

وقد يكون ذكاء المرء مصدر شقائه وسوء أخلاقه، فيجعل منه ثائراً على نفسه وعلى المجتمع، أو لصاً ماكراً، أو مجرماً خطيراً؟ ويحدث ذلك في الغالب إذا كان منحرف المزاج وعواطفه ورغباته، ولم يجد إنتاجه الذاتي مقبولاً، أو لم تساعده البيئة على الوفاء بهذه المطالب والرغبات، فهو إما أن يضحي بهذه المطالب ويكبت هذه الرغبات ويكون حينئذ عرضة للتوترات العصبية والاضطرابات النفسية، وإما أن يلجأ إلى تحقيق هذه المطالب وتلبية الرغبات بطريق غير مشروع، فيحتال ويسرق ويغش، ويستطيع كل السبل التي يصل بها إلى غاياته ويهرب من عقاب القانون. وقد يخونه ذكاؤه فيقع في يد العدالة، ويلقى الجزاء. ثم يعود سيرته الأولى بعد الجزاء، ويستمر في هذا النوع الجديد من حياته الشريرة؛ لأنه سقط صريعاً ولم يجد من ينقذه بمعرفة سبب الجرم! فإن كان في حبس المجرم تخويف لزملائه وتوجيه إلى الصالح للمجتمع كله، وإن كان في العقوبة حمل على نمو وخلق تناسب بين البيئة وبين الفرد. ولذلك نجد في السجون الأوربية مساعد للتهذيب والإصلاح، وتعليم الفنون والصناعات المختلفة كالزراعة، والنجارة والحدادة. ولهذا كله الحق من يجد السجين أمامه بعد مغادرة السجن وسائل الحياة التي تتناسب مع ذكائه، والتي تساعده على

---

(1) يجد القارئ معظم الأبطال المجرمين في روايات هنجر والاس من الأذكياء الأقوياء، ورواية The Dark Eyes of London ورواية The Ringer

كسب ... يحس ... بجاه وذكاء أيضاً ... ويتحقق أكثر المعاني «السجن مدرسة تهذيب وإصلاح»

وقد لاحظ علماء الهداية المهنية Vocational Guidance أن أكثر العمال في المصانع شغباً، والموظفين في الشركات هم أولئك الذين وضعوا في مهنة أو وظيفة دون مستواهم الذكاوي، فيكون هؤلاء دائماً مصدراً للإضرابات، وتدبير الإضراب، والخروج على النظام. وكذلك وجدوا أن ميل(١) الأذكياء أو الأغبياء إذا ما وضعوا في مناصب دون ... أو فوق مستواهم الذكاوي، يشعرون بالألم دون القيام بواجباتهم فيعتريهم الاضطراب والقلق، ويتحمسون في الشغب والثورات، ويسرقون، ويكونون ... فعدم التناسب بين الذكاء وبين العمل الذي يقوم به الفرد قد يقوده لا إلى فساد في الأخلاق فحسب بل إلى الأمراض العصبية والجنون.

أنفق البروفسور سيرل برت، رئيس معمل علم النفس وأستاذ ... بجامعة كوليدج في لندن، ست سنوات يبحث في سيكولوجية الأطفال المتمردين Delinquents وقد قاس ذكاء ما يزيد على مائة ممن تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وست عشرة، وكان هؤلاء الأطفال يجلبون من كل أنواع البيئات المختلفة في لندن، وقد أرسلوا إليه لارتكابهم بعض الذنوب الاجتماعية كسرقة بعض الأشياء، وكالمشاجرة والاعتداء على المارة أو على زملائهم بقذف الأحجار، وكالتغيب عن المدرسة ... وخروجهم عن طاعة آبائهم. وقد وجد أن متوسط العمر الزمني لهؤلاء الأطفال المتمردين هو ١٢٫٥ بينما كان متوسط عمرهم العقلي هو ١١٫٢ وقد استنبط من هذه النتيجة أن الأطفال المتمردين يتأخر عمرهم العقلي عن عمرهم الزمني بمقدار سنتين(٢) كما استنبط — بعد دراسة وإحصاء — أن ٧ ٪ من هؤلاء الأطفال ضعاف العقول أو قاصروها feeble minded or defective مع أن نسبة ضعاف العقول بين جميع السكان — كما ثبت نظرياً — هي ٢ ٪ ...

(١) انظر كتاب الأستاذ وليم مكدوجل An Outline of Abnormal Psychology طبعة لندن سنة ١٩٢٦ م

(٢) انظر كتاب Mental and Scholastic Tests للأستاذ سيرل برت طبعة سنة ١٩٢٢ م

لنا مقدار زيادة ضعاف العقول من الأطفال المتمردين ... ويقول الأستاذ برت أيضاً(١) «ولا يتعارض الذكاء ... مع التمرد، ويمكن الشاهد هنا على أن وجود ... بين المتمردين يعتبر نادراً».

ويرى الأستاذ في كتابه «الطفل المتمرد»(٢) «أنه من الضروري أن ندرس الطفل المتمرد لا من ناحية ذكائه وصحته العقلية فقط، بل يجب أن ندرس بيئته ولا سيما المنزلية، لأن حل الأسرة الوجدانية المضطربة، وإهمال الطفل وتركه وحده على هواه، كل هذا له من الأثر ما يساعد على إيجاد روح التمرد والإجرام عند الطفل. والعائلة الفاسدة التي لا تعيش في المنزل إلا شقاء وسوء معاملة تسرع إلى هاوية الفساد، وخاصة لأن ... عقلها يميل ... في نقائص الاقتصادية ... والأخلاقية فلا يعرف كيف يحل مشكلاته، ويخلص من شقاء الذي يعترضه في هذه الحياة ونشر الفرص».

وقد أجرى الأستاذ تريس ... بعض التجارب لمعرفة العلاقة بين الذكاء والخلق وقارن بين مجموعة من الأطفال متوسطي الذكاء مختلفي الدرجات مبلغ عددها ... ومجموعة أخرى مساوية لها من الأطفال النابغين، ووجد أن المجموعة الثانية على حظ أوفر من الأولى في صفات الصدق والأمانة والثقة ويقظة الضمير، كما وجدها تمتاز جداً بالمثابرة والإرادة القوية.

من أجل هذا عنيت الأمم الأوربية والأمريكية بتعيين علماء نفسيين في المحاكم، وفي أقسام البوليس، وفي مجالس التعليم الإنجليزية والمدنية، ... القضاة ورجال البوليس ورجال العلم بدراسة الأطفال والكبار المتمردين(٣) والمجرمين الذين يبحث في ذكائهم وصحتهم العقلية، حتى يكون الجزاء مبنياً على ظروف الجريمة وحال المجرم النفسية. وفي لندن والمدن الأمريكية الكبرى — غير علماء النفس هؤلاء — عيادات سيكولوجية Psychological clinics يرسل إليها المتمردون والمجرمون لفحصهم والنظر في حالتهم.

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) صفحة ٢٤٨ من هذا الكتاب

(٢) The Young Delinquent طبعة لندن سنة ١٩٢٥ م

(٣) أصبحت هذه الدراسة الآن داخلة ضمن علم النفس الجنائي

# حول «السفاح» أيضاً

## للأستاذ عبد الحميد العبادي

من حسن حظ أمير المؤمنين أبي العباس أن اختصم حوله عالمان جليلان هما الأستاذ أحمد أمين والأستاذ محمود محمد شاكر لمناقشة رأيي في لقب «السفاح» الذي ألصقه بأبي العباس بعض أعداء المؤرخين أو مؤرخو الأعداء ظلماً، كما أعتقد وكما دلني البحث والتتبع. ثم رأى الأستاذان الجليلان أنهما رواه المؤرخين الأدباء أمثال الجاحظ وابن قتيبة وأبي الفرج الأصفهاني، ولكني دللتهما على طرافته وروايته ولم يمض حتى اليوم ما يمنع من الأدلة فصلاً من ابن عبد ربه. وإني لأحمل لقراء الرسالة الغر رأيي في هذا الموضوع، ثم ملخص ذلك معقباً على ما اعترض به عليّ الأستاذ شاكر.

لقد رجعت إلى سيرة أمير المؤمنين أبي العباس قبل الخلافة وأثنائها، فلم أجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال. ثم رجعت إلى نصوص من أول خطبة الخليفة التي رفع بها بني أمية، وهي النص الرسمي الوحيد لأبي العباس، فلم أجد الشاعر ذكر لقب السفاح ولا غيره ولا الأسماء، وهي المواضع التي أقام بها أبو العباس في خلافته، ولم يجئ أحد ذكر المواضع التي نزل بها هو وأبوه وإخوته عبد الله بن علي وداود بن علي بالشام والعراق. ثم رجعت بعد ذلك إلى الروايات التاريخية القديمة الثقة في العصر والتحقيق كرواية ابن سعد، وابن عبد الحكم، والبلاذري، وأبي حنيفة الدينوري، واليعقوبي، والطبري، والمسعودي، والكندي، فلم أجد من هؤلاء الأعلام واحداً لقب أمير المؤمنين أبا العباس بالسفاح. عند ذلك رجح عندي أن لقب «السفاح» لم يكن أصلاً لقب أبي العباس. ثم رأيت أن ابن سعد واليعقوبي وصاحب «العيون والحدائق»، وصاحب كتاب «الإمامة والسياسة» ينسبون لقب «السفاح» إلى عبد الله بن علي، ثم يلقبون أبا العباس بعد ذلك بالقائم. ووجدت أن سيرة عبد الله بن علي فيها ما يسوغ تلقيبه بهذا اللقب كل التسويغ، فهي سيرة جبار طاغية قتال حقاً. فثبت عندي أن اللقب لقب به أصلاً عبد الله بن علي المذكور. ولما كان عبد الله بن علي قد ادعى الخلافة مثلاً وثار على أبي جعفر المنصور، فكان يخاطب بأمير المؤمنين، فقد أصبح معروفاً بأنه ثالث الخلفاء: الأمير المؤمن عبد الله السفاح. ولكن الخليفة أبا العباس هو أيضاً يسمى عبد الله، فقد وقع نوع من اللبس بين الخليفة الأصيل والمدعي الخلافة. وربما يقوي هذه الفكرة ويرجح هذا اللبس أن ابن الأثير عند ما ذكر حادثة تحريض سديف الشاعر على قتل بني أمية أسندها أول الأمر إلى عبد الله بن علي ثم قال: «وقيل إن سديفاً أنشد هذا الشعر للسفاح ومعه كانت الحادثة»، فقد نسب إلى أبي العباس مأساة قتل بني أمية مع أن الذي كتب له هو القصيبي هو عبد الله بن علي، ويغلط في نسبة الحوادث المعضلة التي ارتكبها عبد الله بن علي إلى أبي العباس. ومن ثم ساغ انتقال لقب «السفاح» إلى أبي العباس. وإني أعترف بأن هذا تأويل مني واجتهاد، ولكنه اجتهاد في حدود النصوص والوقائع الثابتة، وليس مجرد ظن كما وصفه الأستاذ شاكر في العدد ٢٤٢ من الرسالة الغراء.

هذه خلاصة بحثي في هذا الموضوع. ولقد نشر الأستاذ شاكر في مجلة «الثقافة» مقالاً بعنوان «كلمة في التاريخ» أشار في بعض حواشيه على هذا ما حمله إلى أن الأستاذ أحمد وجهة نظري في هذا الموضوع واتخذ منها أنها انتقاد. ولكن رأيت الأستاذ محمد شاكر في العدد ٢٤٠ من الرسالة أنه يعالج كل المناقشة ويعيد بحث الموضوع. وقد بحثه في العدد ٢٤٢ من الرسالة، وبحثه يقوم على أمور: أولها أن لقب (السفاح) مضافاً إلى أبي العباس إنما هو المدح لا الذم ومعناه الكريم المعطاء للأموال. وثانيها أن أحاديث من حديث المنصور ترجح الأستاذ عريضة عند ذكر «السفاح» بمعنى الكريم، فليس بعيداً أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بهذا اللقب تفاؤلاً. وثالثها يقول بوجوب الأخذ برواية الجاحظ التي تلقب أبا العباس بالسفاح والتي تعد عندي من الأخبار الأولى مما يوجب سند تاريخي والخط من حيث اللغة يحتمل أن يكون المدح وأن يكون الذم في النص التاريخي الذي يخصصه للمدح! أما من حيث الأمر الثاني فلم أر في الأحاديث والروايات الواردة في السفاح والمهدي والسفياني والقحطاني والملاحم صحيحة، فالدليل على أن أبا العباس قد لقبه أبوه بالسفاح تفاؤلاً واستشعاراً بوجود هذه الأحاديث؟

أما من حيث رواية الجاحظ فنحسب أمرين: كيف يرى الأستاذ شاكر حين تفسيره السفاح «بالكريم المعطاء في السماح»

ذكرى مولد الفاروق

# ١١ فبراير

## خلدي يا مصر أيام المليك

### للأستاذ مراد الكرداني

وهذا يوم من أيامك الزهر قد عاد يا مولاي ، يحمل بهجته على الزمن كله ، ويختال على أيام هذا الوادي الأمين ، بأنه كان فجر السعد ومطلع اليمن ، وحادي النصر بعد عنت الجهاد ، ولمعة الأمل في أيام اليأس التي عصفت وعدت ، ثم ابتعدت واستطالت

هذا يا مولاي أول أيامك في الدنيا يعود ، وما يزال يعود أشرق — ثم أشرق — على هذا الوادي السعيد إشراق الفجر ، رطباً ندياً كصيب الغيث ، ثم سرى فيه كسرى النسيم الريان ، فكان جسراً بين يدي رحمة الله التي غمرت أقاصي هذا الوادي وأدانيه ، وكان نسمة آنست جموعه التي لا تحصى ، وجموعه التي لا تحصى ، وبشيراً بالوصول إن شاء الله

هذا يا مولاي أسعد يوم أحب أن أغني فيه ... مصر ، وكأنما مصر سابحة في مد أملها تستشرف الفجر الذي انحسرت عنه ظلمات الأسى ، وتستجلي المجد الذي عاصره آباؤها أحداً بعد أحد ، وتستقبل العهد الذي ... مطالعه مشرقة سافرة منذ آماد طوال !

ولقد شاء الله ... أن يكون ميلادك ... من الشباب ، وأول منحة بعد أطول محنة ، وأن يكون ... بعد ... البلاء ... ذلك ... من الأحداث ، فإن الفصل الصحيح أن يكون ... طهرة واستعداداً وحبوراً تشكره النعمة ... إلى الله ، وصلاة ... الله

---

في كتب الجاحظ وابن قتيبة وأبي الفرج ... القتال ... 

أليس يرى الأستاذ ... أن الأرواح ... وأني ... كثير ... وأشد ... من ... الأرواح ؟ هذا ... على كل حال

على أني قبل أن أختم هذه الكلمة ، أحب أن أعترف بأني أفدت من بحث الأستاذ فائدة كبيرة ... أن ... الجمهور ... بأن عبد الله بن علي هو السفاح ، منقول عن ابن سعد في طبقاته

عبد الحليم العباسي

ثم أشرق هذا النور من عهد إلى ... وسرى ... على ... البلد ، فوسم أيامك منه بالخير واليمن ، ... متلاحقة من النصر والفوز ، ... في وجه ... كلها ... وتوفيق ، حتى بلغ القمة ، وتسنم الذروة ... ثم ... ومضى بجنود الشرق المنتظم إلى منازل النصر ، ... الجد

ومن ثم كانت ذكراك يا مولاي تتدرج في ... هذا الوادي الأمين ، وكأنما هي ... في قلب ... موعود ، أو كأنها نسمة ... حبيب ... مولاي ...

وكان ... الكريم ، القلب الموعود ، والروح المنتظر

لقد ... يا مولاي ... وكنت ... بين ... الباطل ، ... هذا ... كالنور ... ، ... هادياً ... الذي ... يا صبي الحبيب[1] ... من النور الأول ما يزال يرحل ويصعد على ... حتى يصح كل الذي حوله ، ومن ثم ... ومنه ، ومن ثم ... معاً ... وأنت يا مولاي كانت ... على ... ، ... كما هو ، وإنما ... خلقاً آخر غير الذي كان ، أعني أنه أشخاص ، وكان ... من ... فيه سبحان الذي ... يا مولاي أن الأسوة ... من ... وإن ... في ... من ... ، ... في ... وفي ... ، ... كلاً كلها ، ... كله ، ... أمير المؤمنين ... ذلك كله ... أعذر يا مولاي ... كرمك ... حين ... إليك ... من ... وحضوراً ... ، ... حين ... حين ... ، ... أحبهم ... وكانت ... لا ... ، ... على ... وكانوا ... على ...

مولاي يا ... البدء ، ويا ... ، ويا أمير المؤمنين ، ... الأعلى ، ... يا مولاي سيد الأعياد ويومك ... الأيام ... الزمان

... ، ... كل ... أيامك ... عيدك ...

وليحفظ الله الأسرة ... في عهد المليك ، وعلى المليك ، ومن القلب للمليك الكريم

مراد الكرداني

---

(١) ... الرسول الكريم عليه السلام

## سبع في الدرجة الخامسة!

ملئت بجماعة حلته، لا ريب عندي في ذلك. ومن كان في ريب مما أقول فليراه من كثب كما أصبه، ثم ينظر فإن لم يجمع العينين من تحته فرحة فإنه الغافل وهو الصبي

وإن أصدقاءه يعجبون كيف يتسع في أكثرهم إلى تلك الدرجة التي يأتي عندهم حظاً من الأحلام، وإنهم ليقسمون أنه عدوهم في الكتابة، ويسألون عن ذلك، إذا لم يكن القسم، بالصلابة والطيب التي لم يدانِ فيها من جرى معها، وذلك ما يزيد دهشتهم وحيرتهم

ولكني أنا أعجب كيف فاتهم مهابة خلقه ورقة شمائله ولطف معاشرته، والهيبة عندها أمن من خطر؛ وهل آلت تقدير الأعمال بالكفاية عندهم؟ وإن من الكفاية ما يحبب صاحبه الأذى، وإن منها ما يقصيه ويلي ما يخشى

رأيته أول مرة فرحب عندي وصحبنا ملك قلبي، وأقبل على يحدثني وهو فتى من الأقباب جالساً بعرين الأمر ومقاعد الفريد من أجله. وما هي إلا دقائق حتى كنت منه كأنما كان يعرفني من زمن بعيد، وآية ذلك أنه صار يعرفني إلى أقرانه وهو يبسم إليهم حتى وجهه الطلاقة ويثني على كرم خلقي، كل ذلك في طلاقة وبشاشة وإن كلمه فضحكني ضحكات لست أدري حقاً كيف أضحك!

وأتت بعض إلى زيارته أمام رئيسه، ولم يطل بقائي عنده إذ دخل الرئيس فرأيته يقف من موضعه فيقدم ويضع طربوشه على رأسه ويرد ساعته ويسير تجاه القادم منحنياً، حتى إذا دنا منه أقبل على يده في لهفة وقسماته ترتج بالسؤال عن صحة «سعادة البيك» وأنجال «سعادة البيك» ويجيب في سرعة ونشاط عن سؤال وجه إليه بقوله: «نعم كما أمرت سعادتك يا سعادة البيك»... وأعجبني سمر الحي ومالة حتة هذه، واستخف نفسي من أدبه وظرفه

وانقضى يوم قربت اطلاعاً على حسن شمائله وجميل بواعثه، فهو يعزو كل شيء إلى همة سعادة البيك، وهو لا يحس شيئاً إلا «بأنفاس سعادته» وهو لا يفكر ... لا يعزو شيئاً مما يحبه إلى نفسه، وذلك عنده من الأمانة والإخلاص، وأما مظاهر الإجلال والتعظيم لهذا الرئيس فتنتهي إلى دهشة في سرعة حركاته وبشاشة، أعجب منها أن يتكرر ذلك عليه فلا تكاد تحس لا يسمع إلا أن أنكرها عليهم ثم، وإن كنت في ذلك تعلم إلا أني لا أعرف في الغيرة السبب عليه

ورأيته لا يقع بصره على رئيسه مباركاً إلا حضر إليه مسرعاً ولكنه يمشي على مبعدة خطوة أو خطوتين وراءه، وذلك لا تعلمه ذاهب منه، وإن تقوى عليه حاله ذلك للطلاب الذين يحسدون عليه لهذه موسم الدرجة التي يتحرقون شوقاً إليها

وهو صاحب على رغم ما تراه به يحس للتخلق منه؟ وإنه ليشعر أن من واجبات مهنته أن يوحي إلى تلاميذه دماثته وأدبه، وأن يعلمهم الصدق ويعودهم احترام النفس. وإنه ليعتقد أنه يجهد طاقته من هذه الناحية أكثر مما يجهده غيره من أقرانه؛ وإلا فمن يبلغ مبلغه منهم من الصدق وكرم الطبع!

ولن تفوته فرصة لإظهار دماثته تلك التي أصبحت مضرب المثل بين عارفيه، وهو لا يرى من وراء ذلك إلا إلى أن يكون فيه لأبنائه أسوة حسنة، ولن يجني عليه ضرراً ولا شكوراً؟

ومن أروع مواقفه التي تستحق أشد الأسف من حيث ما يقتدى به، أنه التقط ذات مرة على مرأى من الطلاب جيباً محفظة سقطت على الأرض من يد رئيسه فأسلمها إلى الرئيس، ولكن ما كان أعظم دهشة الطلاب أن يروا ذلك الرئيس يجمعها يوماً بعد أن أسلمها منه وهو يتلمس الوجه وعلى شفتيه ما يعلوه الازدراء، وما لا يكون إلا استنكاراً. ولقد عرف الطلاب لا شك بين رقة الأستاذ وغلظة الرئيس، ولست أدري أيهما كانت أقرب إلى نفوسهم المرينة

وتكلمت الجادة في الزملاء المتقدمين منهم والمتأخرين، فقال أحدهم: «ما أراه إلا ساعياً في الدرجة الخامسة». قلت: وكيف يكون ساعياً من كان في الدرجة الخامسة! فنظر إلى آخر نظرة عجيبة كأنما سابقه بجهلي وقال: وإنك لترى من هؤلاء من هم في الرابعة وإنه مشغول بالثالثة... والطريق إليها جيباً سهل عنده ولكن لمن يرضى أن يكون ساعياً

(خفيف)

## رسالة الشعر

# الأمسية الحزينة

للأستاذ محمود الخفيف

حطت على الأرض ظلال الغروب ... كالشبح الطارق
وراح يمحو البشر منه القطوب ... في خطوه السارق
عند المساء هنا قليل يذوب ... أنواره في صمته الداجي
سوّرني يا ليتني هذا الشحوب ... [illegible] في وجهه [illegible]

* * *

يا ويلتا ما لي هنا في المساء ... يهيج أشجانيه
يوحي إلى النفس سؤال القضاء ... أسراره النائيه
يا هول ما يحكي وجيع [illegible] ... للشيب في أطرافه [illegible]
والأنجم كم حنت لمشي الشتاء ... وأسعف الوجد أهدابه

* * *

كم أحرست روحي هدى الظلال ... وأرعبت خاطري
كم أيقظت في خاطري من خيال ... من أمسي الغابر
كأنما [illegible] ... يشكو [illegible]
والعنا تحوي بقايا الضلال ... هذا الأسى الجبار في خاطري

* * *

أرقب في الأمس [illegible] ... طافية لاهيه
يا [illegible] ما بنا أرى [illegible] ... إلا الظلمة الكاذبه
تلك الشعور التي حوله ... كم أذهب أحلامي الداعيه
بالأمس قلبي كان يهوى له ... جذلان يهوى شمسه [illegible]

* * *

ذكرى لنا قد وراء الأمس ... والليل [illegible] يرى
يحبس عنا [illegible] ... حتى يرى [illegible]
[illegible] ... [illegible] السيرا
لله لي في ملكي لا أرى ... في يقظة الليل ولا في الكرى

* * *

وراءه المكدرة بين الغصون ... ما [illegible]
تذكر القلب هواني الظنون ... وصوت [illegible]
مضطرب الخطو وعدي الجفون ... ويسرق الأرواح [illegible]
وتسبه الدمعة عنها العيون ... تدمع الرعب [illegible]

* * *

يا قامة الليل تحجب الصبا ... وعت من روعته
على الشفق من قربه الأسى ... كم هام في رقدته
كم هام لمح كل الأغصنا ... بالساكب الأسهل من همته
ورب [illegible] ... ويحمل الفرحة من طلعته

* * *

الويل لي دونه حول السكون ... إلا أنين الرياح
كأنما طاف الذكرى بالشجون ... ولفها بالصباح
[illegible] ... هذا الأسى الصدى كل النواح
[illegible] الشحوب ... حتى كأن لم يجر مس الرياح

* * *

خاب على الأفق صوت الربيع ... وطاب فيه [illegible]
وسكرت [illegible] هذا الصبيح ... [illegible]
في أمره يشكو وما من شفيع ... الصاحب المكدود طول [illegible]
وقد نام العش حول صديع ... في غصنه [illegible] الأسى

* * *

واحر ما بث من أي الأصيل ... موعد أوهاميه
يحيد الشمس مساء الأصيل ... وشرود آماليه
حين افترقنا بعد عهد طويل ... لا هول إلا الأدمع الداميه
والشمس تجري عبر عمر ضئيل ... [illegible] كأحلاميه

* * *

مضت لدان أحوم الهوى ... من حبي [illegible]
أني ودع ذكراك يوم النوى ... وعهدك الدارس
قد كنت بالقلب حبيب الهوى ... إلا بقايا من الأسى هامس
ويضحك الحظ ولي [illegible] ... وساوس من دهره البائس

٢٧ ـ ٥ ـ ١٤

## الضنى

الضنى - لا أسكنك الضر - ضنى     إنه دنيـا بلاء وعنا
طيفٌ مغدقٌ إذا حلّ على     منزلٍ فزّع فيه السكنا
وعدا الفرحة منه، ومضى     يملأ الأرجاء همّـاً وحزنا
الضنى - لا ذقت أمراق الضنى -     يُطفئ الروح وتُوري البدنا
يومه كالليل، والليلُ به     وجه الغشي وأنس رحّنا
يحمل الموتَ سريره، وكم     يركب للسطر ظهراً خشنا
صُوَرٌ للناظر إذا طاف بها     طائف الأدواء تُغري الأعينا
والد يشكو، وزوج حوله     ترسل الدمع صحابا تَمْشَنا
وأخ يدعو، وأم ربرب     ذوبه حيرى على ابن وهنا
وصحاب صحت أصواتهم     واسكاره يعضدون الرسنا
ويحهم! كم داروا الأرض وكم     عبروا الهاول صباحاً ودنا

* * *

يا صحيح الجسم حسبك! فلا     تأس إن فاتك موفور الغنى
إنما الصحة تاج طالما     تاه بالحليم ومسئول الشقى

حسن ... مبارك

## حسرة في داء

مطمعي ... أين أنت مني     أنت العمر حتى ولقاء
إنما مطمع الحياة شبـاب     ما في جسمه النحيل رجاء
كنتُ والربع طالب شادي     مجمع تطوي به الأهواء
كنتُ والعيش طالب تتناجى     بشتات يسيل منه الفناء
فلسانى قد أخرسته الرزايا     وفؤادي أودت به الأدواء
أشدني من النفس ربع     لست أدري ما خطبها ماتشاء؟
كأنني إذا عمت بسير     وإذا ساء جانبي في كساء
بينما الماء ما هنا يتغشى     يتمنى كأنه الصعداء
فإذا بالبلاء لا يرحم الله     حب حتى يجيء منه بلاء
يا جمالاً صيره الألم الممض     وصواه مالهُ الأدواء
هل تهدمت، فاصرمت أنوارا     أو ظنت أن تدانى اسماء!
لم تزل فتنة تلوبك فاهمس     إنما مطمع الحيـاة الرجاء
صدري في المنافع دامٍ من ضموري     تغني ... ... الضنى ... والشقاء
يا جمالي! إن أشدني رجل     ... الأنين ... ... بالإساءة
إنه روحي كالي الحنين بأبيه     م ... والفتاة ... الضياء

(... )

عدنان ... ...

## صراع!

ساورتني الأوهام في كل آنٍ     فبانت أحلامي ذابل وجدي
أنى يعن عند الدين مرد أمواجي     تجمع كثير وصدوا ما يطيق
جبكري أخمد شرّب عوده     فلبس جبكري مع أشباح ظلمة
طوراً أراني هادئاً مستقلاً     وطوراً أراني في ضلال ووجمة
وظلي مسحور الأناشيد تارة     وطوراً يغني في صفاء وفرحة
صراع عنيف كنت من ذراه     أعيش بلا رشد وروحي وحلقة
مشلك على الدنيا أمني .. فليتني     بقيت على الحب أرحم كنهي
وحسن من جنى قيثاري شكرتها     عطبة تحكي شبابي وصحتي
وصرت كأني عدو من حريقة     عنه من الآلام أطياف حية
أللصراع تشكى لازمني قلبي     أعود لأسلي رفاقي ويكفي
شكى لكي أهوي شكايتي     وما زال صحبي خائفاً مثل باكي
يقولون: مجنون غدت * سهرتي     وسر جنوني حيرتي وتطلعي
كرمت على الأمس كنت أسيه
وأعجبت بما كان بالأمس يفرحني
وبيض يشر الساحل يلهون في الضحى
وعجبـا عبر الأنوار نهب الصبحة

* * *

صحو من نزاعي وغاه وصلاته     وصحوا على درب شبابي وسكتي
بروى على قيثاري مترنما     أغني أغاريد الهوى والمسرة
وأسم جمال سطرون ... جر كم     لحوني سماواتي وأشدو كرمى

عبد العليم عيسى

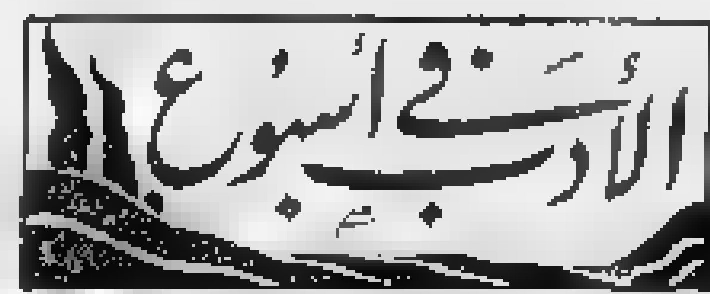


**الفن**

كنت أودّ الحديث عن «الفن الفرعوني» الذي أراد الدكتور طه حسين أن يجعله أحد العناصر في «الثقافة الروحية والعقلية المناسبة» في مصر هذا العصر، وهو رأي يتقدمون به عند فلان وفلان ممن استطارتهم العصبية فصحب أكثرهم سوء الرأي وحسن النية، وكان التقدير لا ينبغي أن تقوم عليه حضارتنا المصرية الإسلامية. والعصبية هي دين العصبيات، وهي الآفة التي تصرف عن الرأي، وهي الهدم الذي يأتي بنيان العلم والثقافة من القواعد حتى يدعه هشيماً. وسنوجز القول ما استطعنا، فإن الإفاضة والشرح والبيان مما لا يتسع له هذا الباب.

فالفنان هو القلب الناطق الذي يفضي إليه الفكر الحي الذي تمضي به حضارة أمته في عصره، وهو الفكر الفني الحافظ للعقل الذي ينقد الحياة الاجتماعية في عصره فيألفها أو ينكرها، وهو العصرية الثائرة التي لا تخضع إلا لتصوير الحياة الأعظم. والفنان بطبيعته الإنسانية فكرة معبرة عن حقيقة الاجتماع الإنساني الذي يعيش فيه، وعن طبيعة الأرض التي يمشي عليها، والسماء التي يستظل بها؛ وكل أولئك يتمثل للفنان أفكاراً وأخيلة وأحلاماً تستمد مدادها من ينبوعه الذي يتفجر بين يديه وفي قلبه.

ونحن إذا تتبعنا الآثار الفنية وتاريخها في كل أجيال الناس من الهند والصين والعرب والترك والروم، وكل الأمم القديمة، وسائر الأمم الحديثة — لم نغفل أثر الحياة الاجتماعية في الأثر الفني، ولا أثر الطبيعة الجغرافية في جودة الفن. ونعني بالحياة الاجتماعية كل ما تقوم عليه من الدين والعقائد والشرائع، وما يتصل به العصر من الأخلاق والعادات والموروثات والأساطير الشعبية التي انحدرت إليه من القدم، ثم سائر أسباب الحضارة المعاصرة بكل ما فيها وآثارها وحقائقها وأباطيلها. وأما الطبيعة الجغرافية فهي صورة الأرض بغاباتها وأنهارها وصحاريها وجبالها، وما إلى ذلك، وجو كل ذلك بصفائه ولطفه وغيومه وصحوه وتدرجه ووضوحه، وذلك مما يدخل في تصوير الفنان أثراً من ناحية الفن التصويري تحليلها أو تخيلها أو إبداعها، والأثر الفني لا يمكن أن يكون خالياً من تأثير هذين العنصرين المعرقين.

فالفن — ولا شك — نتيجة من نتائج الاجتماع الإنساني والطبيعة التي تحتضنه، فهو يتأثر بهما تأثراً بيناً، لمكان الإحساس المرهف المبدع من الفنان القدير المتمكن. فأعظم الآثار الفنية التي يعدها الفن الأوروبي — مثلاً — في طليعة العصرية الفنية، هي الآثار المسيحية الخالدة، التي نشأت وربيت وترعرعت واحتضنت تحت ظلال الكنيسة والعقائد المسيحية، التي عاش في مدينتها الفنانون الذين أبدعوها، وناصروها وأقروا في إتقانها؛ ونحن لا نحتاج هنا إلى ضرب الأمثال بفلان وفلان من الفنانين الإيطاليين والفرنسيين وغيرهم، ولا أن نعد آثارهم التي تعيش إلى اليوم أصلاً للفن الأوروبي الحديث. وهذه الآثار كما يستمتع الشاهدون بمختلف تحولات الطبيعة الجغرافية التي هي سبب أن في إنتاج الفنان. فكذلك الفنون الصينية والهندية تصور الاجتماع الوثني الذي يعيش فيه الفنان الصيني أو الهندي، وطبيعة البلاد الهندية والصينية. ونحن لا نشك أن أعظم الفنون والآثار الفنية هي كلها نتيجة لازمة للعقيدة الدينية — وثنية كانت أو إلهية — والطبيعة الجغرافية التي عاشت في ظلالها؛ وأن الدين والعقيدة هي عماد الاجتماع وأسسه وأعظم مؤثر في توجيه أغراضه ومطالبه وتدبيرها وتوجيهها، فهي إذن أصل تام في العصور التي جاءت بعدها مهما تطورت بعد ذلك وغربت عليها نواحيها. وذلك لأن الشعوب تحتفظ من الأديان بخصائص كثيرة لا يمكن أن تزول مع تطورات العصور الدينية الخاصة بالعلم والسياسة وما إليها.

**الفن الفرعوني**

فالفن الفرعوني — بغير شك — ليس إلا نتاجاً صريحاً من الوثنية المصرية الفرعونية والطبيعة المصرية الزراعية النهرية، وآثاره تبين وحدة الأبنية المنحوتة بأباطيل الوثنية المتقنة الثلاثية على المثال الديني للمصريين القدماء، وعلى الأصول

الأوضاع الأساسية الوثنية الفرعونية التي كان يحتمي فيها الشعب المصري القديم، ومن ثم الحياة الدينية الخاصة التي عبد أربابها ويقدسها بطبيعتها المطلقة، ووضعت لأساطيرها الرهيبة المخيفة، واستمدت حيويتها من الإيمان بقدرة هذه الأوثان والقوى الطبيعية القاتلة كالشمس والنيل والتمساح وكذا وكذا من الأوهام الخالية، هي التي أخصبت هذا الفن المصري القديم بمعابده وتماثيله وكتاباته الهيروغليفية الأسطورية، أدق تعبير عن حيوية الدين الحي للآثار المصرية الفرعونية.

والفنان الفرعوني لم يستطع أن ينشئ هذه الآثار الخالدة الغريبة التي غالبت هذه القرون الطوال، تتحدى الزمان المتطاول عليها، ولم ينتجها هذه الجهود الهائلة والاستعداد الفائق إلا القوة التي أنشأتها ووهبت له ملكة الرهبة الرهيبة، وإيمان المجتمع المصري به إيماناً عميقاً متصلاً أبدياً، وأوثانها الطبيعية الخرافية المصرية العجيبة بشعبها وقرها وصيفها وشتائها، وحرارتها التي تحت ظلها المتعب للنفس بسلطان طاغ كسلطان الفرعنة الطاغية … كل أولئك كان الفنان وأمده بإحساسه الرهيب الهائل الذي استطاع أن يصوغ عبادته الوثني العبقري.

ومن ذلك يجب أن نقرر أن الفن المصري الفرعوني – على دقته وروعته وجبروته – إن هو إلا فن وثني جاهلي قائم على الهياكل والأساطير والخرافات التي تمتهن العقل الإنساني، فهو إذن لا يمكن أن يكون مرة أخرى في أرض جديدة بدين غير الوثنية الفرعونية الطاغية، سواء أكان هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم غير ذلك من أشباه الأديان.

## تمثال نهضة مصر

وهذا «تمثال نهضة مصر» القائم في «ميدان المحطة»، والذي أراد المثال الفذ «مختار» … أراه فلا أرى فيه إلا تقليداً فاسداً لآثار مصطنعة قد ورثت رهبتها ولا يمكن أن تعود في أرض مصر مرة أخرى بوثنيتها وآلهتها وأساطيرها وخرافاتها، بل هو تقليد واضح يدل على غيرة الفنان الذي صنعه، ولكنه لا معنى له الآن في مصر الإسلامية … هل يستطيع الفنان الذي صنعه وأمثاله أن يجد في مصر تاريخ الوثنية الفرعونية، واجتماع الحضارة الفرعونية، وما يحيط بذلك من الأبنية الضخمة التي شيدها

أوثانها، ولئن كانت وحياً للفن الفرعوني الذي عبد الشمس وخضع لفرعون وأقر له بكل معاني الربوبية، وآمن بالأوهام والأساطير والتهاويل الدينية الوثنية الضخمة القاتلة المهيبة التي تمثلها في هذه الآلهة … مصر من الجبابرة والطغاة وهي … يجعل في أرض مصر شيئاً وحياً جديداً للفرعنة والجبروت والرهبة والرعب حتى يجاري بعض هذا الضرب من الفن المصري القديم؟ وكيف، وأي مصر الآن هي التي تستطيع أن يجد له متنفساً أو تأثيراً أو استمراراً إلا من قدم واحتبسه القدم؟ كلا … كلا

لقد ذهب كل هذا، فقد درس، وقد باد … إن الأصول الفنية التي يكون بها الفن تأخذ عناصره ومقوماته … في كل الآثار على اختلاف أنواعها وبلادها وأزمانها واختلافها، ولكن روح الفن هي دين المجتمع وعقائده وطبيعته وتربته وسائر أسباب حضارته، وهي التي تمنح الفنان القوة والقدرة على الإبداع، وهي التي توحي به أو تمنعه.

وإذن فدعوة الدكتور طه إلى الاستمداد من الفن الفرعوني – كما استمد «مختار» – ثم دعوته إلى جعل الاجتماع أيضاً إسلامياً، ثم استمداده أيضاً من الفن الإسلامي – تناقض عجيب في أصل الرأي، لا يمكن أن يكون ولا أن يحمل، إلا إذا شئت أن توجد لمصر حضارة مفككة ممسوخة ملفقة من أشياء ليست جميعها ولا جميعه نتيجة للاجتماع المصري الإسلامي الحديث الذي ندعو إليه ويدعو إليه الدكتور طه حسين!!

## وبشر أيضاً!

يقول بشار بن برد كلفت ابن أبي عمرو في حديث جرى بينهما سخيفة وخلطا.

إذا تلقى بعمرو إذا حركت سيبته … فإنه صبيٌّ من … عمرو

وصاحبي «بشر» ظرورة مطلبها شئوني من صحاب … ضرورة … مسرحة مثال يجب … من الطفه والطرب … ولكنه يأبى … إلا أن يخطر في هذي … لا يسرح … سكر، ولعل هذا … أن … كرعة اللعبة في ذكرى الحب، وفي «الرسالة» بعد ذلك من شعله ما يرود وما يجرحه وما يمسح من منح عيونه.

وبشر – على الإنسان الرقيق – يتهمني وخلاني «لا يرى …

(رسالة) زلزلة ورعداً وبرقاً وصواعق ... ويصرفني بروق اللغة بين « وضع يعرآه و « معرفته » !! وأنا بلا شك لا أستطيع أن أستقل نفسي بتسييره بمنطق اللسان العربي . ثم لا يكفي بهذا بل هو ينظر في تقديري جهد في من « الخلق » التي يجب على معاني الألفاظ العربيـة من « الإركيب » على مراد الصحف اليومية ! كلا ، بل يجوز ذلك فيتمشى مجاز العربية وحقائق بيب وحقائق ألفاظها ! أوه ، بل هو يرمي بالقرآن لأني « من هذه الناس في هذا الزمان » ممن يفهمون القرآن — كلام الله — بما غلب عليهم من عامية العصر !! ولا يكون كل ما يكتبه « بشر » من هذه هذا « إلا على وجه الفضل والتلقي » ! بل هو يرى ويشعر على أن يدخل في التأسيس العربية الدقة الناصعة التي تسبقك قوة العقل والإدراك ، هو يأخذني من ريب !! وأنا قد أسطك وأسألك وأعب وأحيط عمل ، وتحتقي أعماقي إلى عمر بشر « النفس » — هكذا قال بشر — أتمنى له انطفاءً !!

ولا تقل هذا أيها المرء ، ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، وأنا يا بشر لا أطلبك في علم ولا فقه ولا بيان ولا معرفة ، فأنت أنت ، وأنا حيث أنا من العجز والفلاحة ، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه

ومن يجهل يَسْتَشْعِر ضره ... ورأى عيوبه منه ما لا يرى

وأنا يا صديقي أقل شأناً وأضعف من أن أجري في عنانك ، ومكانك بعد كتب ورددت وأطمئن من ما أستحي في حسن تمشي من الركب التعب ، فكان أول بك أن تمهلني ، فأنا إذ أيب فلا بأس عليك بعد أنه أطلب نفسي منك : فاصبر على هذا البلاء ، فلعل يظلم أحياناً يظلم »

وقد زعموا — أيها المرء — أنه كان رجل جاهلي طلبة البيان ، فلاقى خصماً من اللغة لابد له أن يعرف ويغرض عنه ، فاستعين الله وأقبل على اللغة ... وهو إلى التكليم حسب — على دخله صاح « الفرس ، الفرس ! » يستغيث أصحابه ، فتناولوه بسيارة : ما جاءك إلى هذا وليس عربيّ ؟ فقال : « أردت أن آخذ بالحزم »

وأنت ... أيها الصديق — تأخذ بالحزم ، تعودون إلى « لسان العرب » ، و « أساس البلاغة » و « الألفاظ الكتابية » فتشد إلى ما جاء فيها من مادة العربية في قولهم « زلزل » ولا تكتفي بهذا بل تسعى إلى « الأغاني » (طبعة بولاق ؟) فتطلب فيه ما تستخرج به اسم المغنين وأصحاب الملاهي كالخاطفين في صنع وابراهيم ابن ميمون الموصلي — وغيرها من مدلولات العربية وأصول تلك ألفاظها وتجري عينيك وراء ما تمسك على حروف الكتاب حالاً فمع كل جملة يكون فيها « زلزل » وما يخرج منه وما يتداعى إليها ، ولا تكتفي أيضاً فتتناول من بين كتبك أحد فهارس القرآن الكريم ، وهو الطبعة الطيبة في مثل هذه المشكلات — كما قلت وأنت تقول ، فتجد الفعل في آيات يعانيها منه ، فتجمع ذلك كله في مقالك — أو وردك على — حشداً بعضها مثلي معاني به على « المستشرقين » القصف الأخف التصنيع المتشيع المبهرج ! الذي لا يعرف العرب مكاناً إلا هذره وتشويهه ومواضعه فرق بعض « أصحاباً من عربه البارد... » الذي عرف . وهو أسلوب فاسد مفسد لا يسول عنه في الصحة ، وإنما هو أسلوب ضروري حسن حين يراد منه القدرة والقدر لاستخراج المعاني من الألفاظ وبيان سرها من الحقيقة والمجاز ودقة التصوير للأغراض التي سدت بها هذه الألفاظ

والنصوص التي جمعتها وحشدتها وردتها تختلف في حقائقها ومجازها في العربية ، وأنت لم تشرح حرفاً واحداً منها يبين عن وجه مجازه على التعبير التي وقع عليها ، ولو كنت فعلت ذلك أو أسمعه لعرفت كل الذي تشرحه على وعلى القراء ... سعدي به ما غلب عني من « القرآن وهو في مصري ، والتعبير والحديث واللغة وفي غرائبها » — كما تقول — وأنا لا أنس عليك ، أيها الصديق ، بما يحصل فشملك هذه — التي وضعتها به حتى فتحته عليها ... قرآناً ومعاناً يمسك به ويمضي عليه ، ويعرب به من لا يعرب ـ البيان وكيف يكون عاراً على طريق اللسان العربي المبين !!

فأصل المعنى « زلزل » من « زلّ الشيء » إذا زلق فحركته تحريكاً ، فرحنا بسرعة في دهشه من مستقره ، ...

العرب أخرى، فقالوا «زلز وزلزل»، ومعناهما معنى هذه حركة، فكان معناها الحركة الشديدة العظيمة والاضطراب والترجرج، وتكرار هذه الحركة مرة بعد مرة، حتى كأن بعض الشيء يزول عن مكانه، فينقض بعضه على بعض ويتساقط ويتقوض. ولذلك، فشرط هذا الحرف أن يكون لشيء يتحرك حركة عظيمة شديدة، فالرجل يتزلزل، والأقدام والأيدي والرؤوس والقلوب وما إليها من أعضاء الإنسان تتحرك حركة ما، وكذلك الحيوان كالإبل مثلاً، ولعب بها «زلزالاً» أي يسوقها سوقاً عنيفاً كأنها تزل مرة بعد مرة، والمكيال يكال به كالبر والشعير كل يتزلزل لأنه يهتز ويتحرك. والبحار والأرض والدنيا كلها تتزلزل لأنها تتحرك أو يجوز عليها حركة يدخل بعضها على بعض، والنفس كذلك لأنها تضطرب في همومها الحسية اضطراباً شديداً يتجلى في الكرب الذي يلحقه والضيق الذي يأخذه، فيتنزع الأنفاس، ويضطرب القلب بالنبض الشديد، وترتفع الصدر، وتتحرك اليد والرجل في المضطرب حركة كثيرة شديدة بشدة النفس في نزاع الموت والحياة. ومع ذلك فثم أنواع أخرى كثيرة لا أتناولها بما أنها التدقيق.

أما الأذن فالإنسان من بين جميع الحيوان هو الذي لا يحرك أذنيه إليه، ولا في طرب ولا غضب، فما بالك وهي ليست بذات حركة، وإنما هي حركة خفيفة مدمجة لأنها زلزلة، فإذا عرف ذلك، فليقف [illegible] وأمكنته وإحداثه الشاعر عليه عرف أنه لا يمكن أن تقول «الأذن زلزلت» لأن الزلزلة تطلب أصلها التحرك وهو الحركة والاشتغال والقرار بعد الزلة من مكان إلى مكان ولو على وجه المبالغة. فدع قولك من كلام شق الله الذين صوّرهم فأحسن صورهم... إن شئت وإلا أسمع في كلامك شيئاً [illegible] كما زعم، ولكن انظر إليه كيف يتكلم الشعراء عن الآذان ومن الزلزلة، يقول بشار في [illegible]:

بعير أجدّ [illegible]     [illegible]

[illegible] آذانها، وتصوّت     إذا ما القلب والقلوب [illegible]

إذا صلصلت [illegible] العود [illegible]

طرباً [illegible]

تدعون من [illegible]     [illegible]

[illegible] الرحال [illegible]     أطيع الشوق والتي [illegible]

فانظر صلة الآذان بالطرب والإنصات والسمو بالصوت، وتأمل زلزلة أولئك القوم التي [illegible] وقيعها وركب أثم للتي يذكر [illegible] وهي قلق واضطراب وأما آت بها السرور

فلا عجب [illegible]     من [illegible]

[illegible] أو [illegible]     إذا ما [illegible] أو [illegible]

محمود محمد شاكر

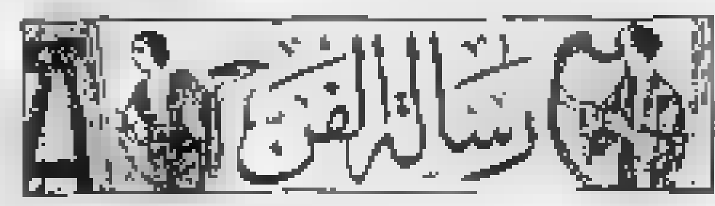


من تراجم الفن

# لو أكلت الشجرة أثمارها!

[إلى الذين يرجون من أن أكون مؤدباً]

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

– ما لك منقبض الجبين؟

– يحضرني الذين أحبهم ويسخطون عليّ

– من طول لسانك غير المنضبط على الناس – فأصبح عدو محبيك.

– إني مثلك كرهت نفسي

حقاً، ألا تحب نفسك إلا إذا كنت منتقماً!

– لست أشتم أحداً، ولكني أرى، وأفهم، وأصف والله يعلم أني لا أقصد من وراء ذلك شيئاً

– هذا أنكى وأمر. فقد كنت أحسب أنك تقصد من وراء ذلك إصلاح الذين تذكر عيوبهم

– ربما كان ذلك يجول بخاطري أحياناً، ولكني عندما أفكر أشهد على نفسي بأني عاجز عن هذا الإصلاح فلعل الكون إلا يدبره، وهو قد رضي عن ناس هداهم، وهو قد أضل ناساً لم يرض عنهم، وقد أنبأنا الله رسوله الصمد بأنه لن يهدي من أضل الله، ومن أنا إلى جانب الرسول حتى أزعم أني أهدي وأرشد؟!

– إذن فلماذا لا تسكت؟

– لأن الله خلقني ناطقاً، فإذا لم أنطق طلبت رغبة من رغبات نفسي، وأصبحت بعض مبرر وجودي، وكنت بعد ذلك جديراً بفنائه، فليس لي في هذه الدنيا عمل إلا أن أقول.

– تستطيع أن تقول شيئاً غير ذلك ... ألست إنساناً مثلاً؟

إنك تزعم أنك ناطق، وإني أرى أنك ... مستمتعاً بالتأمل في الناس ودراسة عيوبهم ... فكأنك تتلذذ بكثير من دراستك هذه ... على الإلمام بالناس وعيوبهم، وفي السيطرة عليهم واستغلالهم! – أنت صدقني تذكر عيوبي عشقاً مكبراً مهولاً، وأنت تستطيع أن تسيطر علي وأن تعبث بعقلي ... مرضي الصمت عنه ...؟

– هذا الذي تقوله يصنعه التاجر، ويصنعه رجل السلك السياسي، ويصنعه الجاسوس، ويصنعه المرأة، ولكن لا يصنعه الكاتب، ولا الرسام، ولا الشاعر – ألم تقرأ شعر المتنبي؟ أولم تقرأ سيرته؟ هل رأيت في الناس من هو أسخط منه، ومن هو أشد منه بالتبرم منه؟ ألا تظن أن المتنبي كان يستطيع البت بكل ملك من أولئك الملوك الذين عرفهم وتعالى على غيره من المقربين؟ ألا تظن أنه كان يستطيع أن يبيع سيف الدولة وأن يشتري الإخشيدي؟ إنه كان من غير شك يستطيع، فلماذا لم يفعل؟

– لأنه كان سخيفاً؟

– قل إنه كان صعباً في طبعه، وقل إنه كان مجنوناً، ولكني أقول إنه كان أميناً

– أميناً لمن؟ ما كان أميناً لنفسه، ولو كان كذلك لأقام نفسه وما كان ... أو ... فما كان كذلك لما سمم وذكر عيوبهم

– كان المتنبي أميناً لفنه، وكان أميناً لله، وكان أميناً لكل الذين عاشوا بعده وقرأوا شعره، فقد كشف لنا المتنبي عن نفسه ربما كنا ستظل عيوبنا لم يفطن إليها، ولكنه صرح بها، وذكرها وقال لنا: يا بني الله لا تشتروا العبد إلا والعصا معه، إن العبيد لأنجاس مناكيد

– أولم يكن المتنبي يعرف أن العبيد أنجاس مناكيد قبل أن تضطره الظروف إلى أن يقول هذا؟

– صدقني أني أكره في المتنبي انتظاره الطويل لكافور قبل أن يصفه هذا الوصف، وصدقني أني لا أعذر هذا الانتظار للمتنبي إلا بهذه الثورة التي ثارها على كافور آخر الأمر، وصدقني أني لو كنت مكان المتنبي ما كنت تقربت من كافور ولا من غيره لأني

رأيت أصحاب السلطان يعتزون بسلطانهم ، كما يعتز أصحاب المال بأموالهم ، وكما يعتز أصحاب الفكر بأفكارهم ، ولا يمكن أن يعاشر مصرٌ مصراً إلا إذا كان أساس العلاقة بينهما استغناء كل منهما عن الآخر ، وكان المتنبي يستطيع أن يستغني كما استغنى أبو العلاء ، ولكن مطامعه تغلب على نفسه فيرى [illegible] ، وإن كانت مطامعه هذه قد غلبت عليه أحياناً حتى ما استطعت [illegible] عليها مستجيباً ، ولكن كما يعتب الطفل على [illegible] إن قصرت فيه يداه

— فالمتنبي عندك رجل سوء

— لا ، ولا يمكن أن يكون كذلك . فالرجل الذي يستصحب أصحاب [illegible] حتى يشعر أن كرامته [illegible] لا يمكن أن يكون رجل سوء . وإنما رجل السوء الذي [illegible] كرامته كل يوم فيرضى ، والذي يهون عليه الإساءة [illegible] كل من [illegible] . . .

في المتنبي [illegible] ضعيف [illegible] ، و[illegible] الرأي لنفسه ، وحبه لأن [illegible] واستمساك [illegible] . .

أفما كان يستلزم منه هذا أن يسكت عن الإجابة بما يشعر به من [illegible] الألم ، أو أن [illegible] الذي لا يشعر به من [illegible] والمحبة ؟ وحبه قد [illegible] . أفما كان [illegible] هذه الثروة [illegible] التي [illegible] ؟ ثم ألم يكن للمتنبي مصدر ؟ [illegible] أن يقول شعراً كذباً [illegible] شعر [illegible] في مصر [illegible] ولم [illegible] غير شعر المتنبي ؟

ولكن المتنبي قال شعراً كذباً

— أي شعر هذا الكذب الذي قاله ؟

— مدحه الأول لكافور . أفكان كافور يستحق أن يمدحه شاعر كالمتنبي ؟

— ولم لا ؟ ألم يمدح الشعراء [illegible] ! كافور رجل أحسن لقاء المتنبي في [illegible] ، وأحسن [illegible] استقباله ، وأحسن [illegible] تكريمه ، وكل هذا [illegible] أن يبعث في نفس الشاعر الراحة وهذه الراحة تبعث في نفسه حب [illegible] ، وهذا الحب يبعث المدح . على أنك إذا قرأت مدح المتنبي لكافور رأيت فيه غموضاً ملحوظاً ، ورأيت المتنبي يقول [illegible] يحس أن مدحه أكبر من ممدوحه ، ويكفيك [illegible] أقل [illegible] صادقاً لإحساس هذا الفنان الذي رأى رجلاً [illegible] فيه [illegible] هذا [illegible] تكريمه له —

إذن [illegible] الأحبوب [illegible] ، والمتنبي كان [illegible] الذين [illegible] لا الذين يستحقون [illegible] الإيمان [illegible]

هذا عيب كان في المتنبي ، ورأيت [illegible] هذا [illegible] و[illegible] ، وأنا [illegible] على [illegible] وأعده من مساوئ المتنبي لا من حسناته ، وأزيد على ذلك [illegible] إن هذا العيب هو الذي [illegible] على حياة المتنبي بعد أن [illegible] على كرامته أيضاً [illegible] تذكر أنه هوجم في الطريق فأراد أن يهرب ، ولكن غلامه ذكره بكلام له [illegible] نفسه [illegible] الشجاعة ، فارتد [illegible] حتى لاقى حتفه [illegible] فلم يكن المتنبي [illegible] في [illegible] أحياناً [illegible] شجاعته وهو [illegible] غير شجاع ، ولو كان قد [illegible] نفسه [illegible] في شعره لما اضطر إلى أن [illegible] في آخر ساعة من ساعات حياته هذا الرعب [illegible] الذي مات فيه . إن المتنبي [illegible] هذه النهاية إلا لأنه اضطرب بين [illegible] وأحلامه ... بين [illegible] الذي يشعر فيه بشجاعته وبين [illegible] في مواصلة [illegible] من أرباب [illegible]

— فإذا كنت أنت في موقفه فماذا كنت تصنع ؟

— أما أنا [illegible] لا [illegible] إلا [illegible] أعلن [illegible] من الفضائل [illegible] كانت في [illegible] فضائل . [illegible] لا [illegible] على سبيل الفخر ، وإنما [illegible] كما [illegible] كل [illegible] من العيوب [illegible] أكثر من رأيت من الناس إنكاراً لعيوبهم ، وهذا من غير شك [illegible] الطبيعة التي [illegible] على عيوب الناس و[illegible] أو [illegible] و[illegible] ، فأنا [illegible] أكثر الناس ، وما [illegible] غير شجاع فلا يمكن أن [illegible] شجاع و[illegible] . وهذا هو الذي كان يمكن من [illegible] عند [illegible] لو أني كنت المتنبي .

— وما الذي [illegible] ما دمت [illegible] من إصلاح هذه العيوب ؟

— لا شيء . ولا [illegible] أن [illegible] كان هذا [illegible] في [illegible] إصلاحها ، وهو من غير شك [illegible] قليلاً ، [illegible] من [illegible] فيه [illegible] ، ومهما يكن فإن [illegible] الذي [illegible] ليس شيئاً هيناً .

— أنا لا أوافق على أن يكون هذا [illegible] [illegible]

الإنسان به عيوبه، ويجسم به عيوب الناس إلى حد [illegible] قبيح يجب أن يزول

— أما أنه قبيح فإنه قد يكون قبيحاً – ولكن هذا لا يبقيني ولا يميته، ولا يحط من قدره، فليس يعيب الصقر أنه [illegible]، ولا يعيب البلبل أنه [illegible]، وإنما الصقر المعيب هو الذي قد [illegible]، والبلبل المعيب هو الذي [illegible] حركته

— يا للباطل! أما تستطيع أن تعيش هذه الحياة [illegible] وأن تخضع لها [illegible]؟

— يا أخي! أي رحمة في الدنيا [illegible] أرجعها عن الحياة؟ إنها لا تستطيع ذلك لأنها [illegible] الوجود لا [illegible] إن الكون يتمادى في انطلاقه [illegible] – الحرة تسيح [illegible] من [illegible] إلى الأرض إذا لم تقطفها يد، و[illegible] من أن تسيح الفكرة في رأسها وأن [illegible]؟ كيف أستطيع [illegible] وآكل الشجرة أثمارها!

— إنك قد خلقت [illegible] من يأكلك

الذي يأكل هو الذي يسعى

وقد يقتلك من يمسك [illegible]

— فلتكن إرادة الله، ولست أجهل أن الله خلق من يأكل ومن يؤكل، ومن يقتل ومن يُقتل، وكم [illegible] أصحاب الفكر في [illegible]

— ستعود [illegible] حكمتك [illegible] أنت [illegible]، وأنت [illegible] الآن [illegible] على [illegible]

— لا يا [illegible]، إني لم أقل إني [illegible]، وإنما [illegible] إلى [illegible] وصلاة، وإني لازم [illegible]، وإني [illegible] للمقارنة، وأن هذه الشجاعة [illegible] أعجز الناس [illegible]

إنما [illegible] أحب أن [illegible] في حياة [illegible]، وأحاول أن [illegible]، ولا [illegible] من [illegible] على [illegible] في الدنيا قطعاً [illegible] عن أخرى [illegible] ولست أفكر إني لا أثبت [illegible] أن أقومه لأنه لا [illegible] يقاوم [illegible]، وإنما هو [illegible] إذا كان [illegible] سبيل، أما إذا [illegible]، [illegible] ذلك في الطبيعة [illegible] [illegible] ولا [illegible] لله الكريم [illegible] والكاتب تطارح هذا القانون ولا تنكر [illegible]، ومن الإنسان أن يكون [illegible] أكثر وأظهر من [illegible] في [illegible] العقل، ولذلك ترى أن أهل الفن [illegible] يستطيعون هذا القانون وأن غيرهم من الناس [illegible] على أنفسهم، ويجعلون في حياتهم من الاختيارات ما لا [illegible] الطبيعة [illegible] – [illegible] الفني

وهلا [illegible] أن تحسب الفني [illegible] [illegible] الناس الجيد [illegible]؟

— إنه فنان من غير شك، ولكنه [illegible] – كان [illegible] بين [illegible] وبين أطماعه في [illegible] وكان يستطيع أن [illegible] من هذا، وأن يستقل في نفسه [illegible] بأن يحرم عليها [illegible] في [illegible] دون الله، ولكنه [illegible] أمام [illegible] الدنيا [illegible]

كيف تقول إنه [illegible]، مع أنك [illegible] إنه كان حكيماً أو كما [illegible] الناس؟

كان حكيماً لأنه كان يراقب الناس، وكان إذا راقب [illegible] [illegible] على الحق والباطل من أعمالهم [illegible]، وكان [illegible] لأنه لم يكن يراقب نفسه، بل إنه لم يكن يعرف [illegible]، فهو [illegible] إنه عاقل، وإنه [illegible]، وإنه [illegible]، وإنه [illegible] صحيح، وإنه أهل [illegible] وكل [illegible]، ثم لا يعمل شيئاً أكثر من أن يسأل الناس أن [illegible]، فإذا [illegible] فهم [illegible]، وإذا لم [illegible] فهم أهل [illegible]، [illegible] بعد هذا [illegible] [illegible] [illegible]

— وماذا كنت تحسبه يستطيع أن يعمل، والملكة لا [illegible] ولا [illegible]؟

— كان يستطيع أن يرزق من صناعته أو من عمل، وإلا فكان يستطيع أن يصبر على [illegible] [illegible] وأن [illegible]

[illegible]

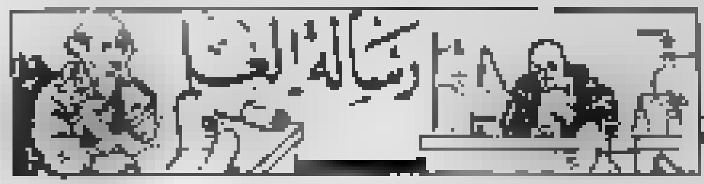


# أرقام تتحـــدث

## وتنبئنا عن أسرار الكون

للدكتور محمد محمود غالي

تجارب « بيران » وحوضها العجيب — رقصة الكرات في الماء — نظام وزنها — أنها شبيه من هذا التوزيع في نزولنا الساء قليلاً على حصان الذرة — عندما نطلع هذه السطور سيقر علينا العرب هنا

---

استطردت تجارب « بيران » مقالين ولم تكتبا بعد ، وفي هذه الأسطر نحاول أن ننتهي من أسطورة الكلف ، لنتيح بعد ذلك للقدمات لنتكلم على صميم هذه التجربة

في آنية صغيرة بها سائل يبلغ ما يحتوي عليه من ارتفاع $\frac{1}{10}$ المليمتر أجريت كل تجارب « بيران » فشل ترك فيها عدداً كبيراً من الكرات الصمغية الصغيرة التي يبلغ قطرها كسراً من الميكرون ( الميكرون $\frac{1}{1000}$ من المليمتر ) ، وعرض هذا المتاع المنتظم الذي تتوزع بمقتضاه هذه الكريات في السائل ، وكان عليه أن يرى بعد فترة من الزمن ، تتأثر حالاتها هذه الحبيبات بعوامل مختلفة[1] ، هل كان ينتج من ذلك توزيع شبيه بتوزيع الطبقات الغازية ، وقد وجد « بيران » بالفعل هذا النوع من التوزيع الذي يتبع متوالية هندسية[2] ، وللقارئ نورد مثالاً للحالة التي وزنت بها كرات صمغية Gomme Gutte من التي يبلغ قطرها ٠٫٢١٢ من الميكرون كما لاحظها « بيران »

| الارتفاع المرسومة حيث الصورة من قاع الآنية وقد حسب بالميكرون ( الميكرون $\frac{1}{1000}$ من المليمتر ) | نسبة عدد الحبيبات |
|---|---|
| ٥ | ١ |
| ٣٥ | ٤٧ |
| ٦٥ | ٢٢٫٦ |
| ٩٥ | ١٢ |

ويلاحظ أنه فيما اختار « بيران » الارتفاعات المذكورة وهي ٥ ، ٣٥ ، ٦٥ ، ٩٥ التي هي متوالية عددية[1] فإن الحبيبات بعد في أسفلها ومن فوقه تتبع الأعداد ١٠٠ ، ٤٧ ، ٢٢٫٦ ، ١٢ التي هي متوالية هندسية إذ يلاحظ أن هذه الأعداد تساوي تقريباً مع الأعداد ١٠٠ ، ٤٨ ، ٢٣ ، ١١٫١ التي تكون متوالية هندسية مضبوطة

وفي المثال الآتي يرى القارئ كيف توزعت كرات أخرى grains de mastic أكبر من الأولى ويبلغ قطرها ٠٫٥٢ من الميكرون أي حوالي $\frac{1}{2000}$ من المليمتر ، وقد أمكن عد هذه الحبيبات بطريقة فوتوغرافية بتصويرها في أربعة مستويات يرتفع الواحد منها عن الآخر بمقدار ٦ ميكرون أي $\frac{6}{1000}$ من المليمتر وقد وجد « بيران » أن عدد الحبيبات عند هذه المستويات الأربعة كالآتي

١٨٨٠ ، ٩٤٠ ، ٥٣٠ ، ٣٠٥

ويرى القارئ أنها مقادير قريبة جداً من الأعداد

١٨٨٠ ، ٩٤٥ ، ٥٢٨ ، ٢٨٠

التي تكون متوالية هندسية

هذا توافق واضح في الأعداد ، ولكن هل أدى هذا إلى أن يصل « بيران » إلى عدد « أفوجادرو » الذي ينظره عدد الجزيئات في الوزن الجزيئي من المواد ؟ هذا ما نتناوله الآن فنبحث ما تعنيه هذه الأرقام في المثال الأخير ، عندما ترتفع بين طبقات الآنية مسافة قدرها $\frac{6}{1000}$ من المليمتر نلاحظ أن عدد الحبيبات

---

(١) المتوالية العددية هي سلسلة من الأعداد في ترتيب معين بحيث أن أي عدد منها يساوي العدد السابق مضافاً إليه عدد ثابت ، وهو يساوي ٣٠ في المتوالية المذكورة

---

(١) من هذه العوامل الأرضية تجذب الحبيبات إلى قاع الآنية والحركة البراونية الناتجة من حركة جزيئات السائل تدفع بالحبيبات في كل اتجاه

(٢) المتوالية الهندسية هي سلسلة من الأعداد في ترتيب معين ، بحيث أن أي عدد منها يساوي العدد السابق مضروباً في عدد ثابت يسمى الأساس مثال ذلك ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ الخ حيث العدد ٢ هو أساس المتوالية الهندسية

يتجمع إلى القعر. وقد تبين من تجارب أخرى في الضغط الجوي أنه يمكن الحصول على مثل هذا الانخفاض في عدد الذرات الهوائية يجب أن نرتفع في طبقات الجو إلى ارتفاع مسافته كيلومترات أي إلى مسافة تبلغ الألف مليون (المليار) ضعف قدر الارتفاع السابق. وعلى ذلك فإن وزن جزيء من الهواء يبلغ الواحد على ألف من المليون من وزن إحدى الحبيبات الصمغية المشار إليها[1] ولو أن القدر الذي نعتبره هو ذرة الهيدروجين، فإنه من الممكن بنفس الطريقة الحصول على وزن ذرة الهيدروجين من وزن الجسم السابق، وهكذا توصل «بيران» من التجربة السابقة ومن أمثالها إلى معرفة وزن ذرة الهيدروجين، وكان عليه أن يتساءل بعد ذلك هل كان هذا الوزن لذرة الهيدروجين يتفق مع الرقم ذاته الذي أمكن العلماء الحصول عليه من باب آخر يختلف في موضوعه عن تجارب «بيران»، وعند ما بحث بالدقة عنه ما قرن هذا الرقم بوزن الذرة الذي توصل إليه غيره الذي عرفه العلماء من النظرية الكينيتيكية

***

ويجمل القارئ أن يقدر مبلغ ما كان لهذا من الأثر الطيب في نفسه. بعد ذلك أراد أن يستوثق العالم من صحة ما وصل إليه فعمد إلى تغيير ظروف التجربة بإبدال الحبيبات حتى جعل حجم بعضها يبلغ الخمسين ضعف حجم الأخرى، ولم يكتف بذلك بل غير طبيعة[2] هذه الحبيبات، ثم عمد إلى تغيير السائل[3] فأتى بما يجعل لزوجته تبلغ ١٢٥ ضعف لزوجة السائل الأول، ولم يجب عند البحث الكبير نحو كثافة المواد الصمغية التي كانت طوراً أضعاف كثافة السائل وطوراً أقل من كثافته؛ إذ جعل الأرض في الحالة الأخيرة فوق صعود الكرات بدل سقوطها، مد ذلك غير حرارة[4] السائل من درجة (−٩) إلى درجة (٦٠) مئوية، ومع كل ذلك وجد «بيران» ونشرته طول

(١) ذكرنا في المقالين السابقين الحقائق الرياضية التي تؤدي إلى هذه النتيجة

(٢) استعمل «جابرسكي» «بيران» في هذه التجارب مختلف طبيعة الكرات

(٣) كان تغيير السائل من مساعدي «بيران» في التجارب الخاصة بتغيير السائل

(٤) وكان البحث يجري Brillouin وهو أحد العلماء المعروفين بأبحاثه ومؤلفاته الطريفة متبرعاً في مساعدة «بيران» في القيام بهذه التجارب

هذه الأرقام المختلفة القوانين ذاتها والأمر كذلك، وكل ذلك بلا ريب يعد أمراً يؤيد كثيراً ما ذكره القارئ.

ثم كان السبيل عند «بيران» Perrin معرفة على قدر الذرة من دراسة توزيع رأسي لحبيبات معلقة وعددها أو في أي سائل، ومن له القدر أن تصحبها حركات السائل فتنتج بعمل ذلك، ووصل حجمها الأرض التوزيع الذي ذكرناه، وهذا ما حدث، فلا شرح القارئ من عمل «بيران» ما يتعلق بالحركة البراونية الدائمة، فقد عين أيضاً عدد أفوجادرو، كما عين شحنة الإلكترون من دراسة دقيقة تامة على حركات الحبيبات كل على حدة داخل السائل، ويكفي أن نذكر أنه بدراسة مستفيضة على الحركة البراونية ذاتها وتحضير الحبيبات الخاصة بها أمكن من طريق جديد الوصول إلى هذه الأقدار الذرية والإلكترونية[1].

شكل (١)
تخطيط لتوزيع حبيبات صغيرة معلقة في لحظة ما داخل سائل موضوع على منضدة ثابتة (من تجارب «بيران»)

ولا يمكن في مجالة كالتي نحن فيها أن يعطى القارئ صورة دقيقة لما قام به أينشتاين[2] في سنة ١٩٠٦ من الناحية النظرية، وما قام به بيران في سنة ١٩٠٨[3] من الناحية العملية في هذا الصدد، وكل ما يعني القارئ أن يعرفه هو أن الأول قد استطاع

(١) يجد القارئ شرحاً وافياً لهذه القوانين في الفصل السابع من كتاب «الذرة» لجان بيران ص ٢٢٣ المطابع ألكان باريس

(٢) المجموعة العلمية Ann. d. Phys الجزء ١٧ ص ٥٤٩ سنة ١٩٠٥ والجزء ١٩ ص ٣٧١ سنة ١٩٠٦ والجزء ٢٢ ص ... سنة ١٩٠٧

(٣) محاضر المجمع العلمي الفرنسي Comptes rendus جزء ١٤٦ سنة ١٩٠٨ ص ٩٦٧ سنة ١٩٠٨

بالحصول على علاقة يمكن أن نعرف منها عدد أفوجادرو إذا عرفنا المسافة المتوسطة التي يقطعها جسيم بتحركه تحت تأثير صدمات جزيئات السائل، وعرفنا طول الزمن المتوسط الذي يستغرقه الجسيم في قطع تلك المسافة المتوسطة، أي أننا قد وصلنا من [illegible] الحساب إلى تعيين عدد أفوجادرو بواسطة هذه الطريقة أنه (٦٫٠٦ × ١٠^٢٣) ومن ثم وجد وسيلة في الواقع لإثبات صحة قانون أينشتاين، ولقد كان من السهل بواسطة تتابع حركة جسيمات مكهربة الوصول إلى معرفة شحنة الإلكترون، وهذا ما قام به أيضاً الباحث الشاب في ذلك الوقت من سنة ١٩٠٨ الدوق «موريس دي بروي maurice de Broglie»[1] الذي يعد الآن من أكبر علماء الأكاديمية الفرنسية [illegible] وتتبع بالميكروسكوب كرات من الدخان أو الأتربة الدقيقة المكهربة.

* * *

إن تحرك جسم صلب موجود في سائل في إناء على منضدة [illegible] حركة [illegible] عن الحركة البراونية المعروفة التي كشفها «براون»، وعرف العلماء أنها ناشئة من تحرك جزيئات السائل، وأن [illegible] الجسم بين هذه الجزيئات [illegible] ومن الشمال [illegible] أن يكون عنه قانون [illegible] ولن يكون هنالك من [illegible] الضغط الأعلى ومن جاذبية الأرض [illegible] توزيع التراب [illegible] وأن يكون من حساب [illegible] يلاحظ حركات السائل وسبيل معرفة قدر القوة بل عدد الإلكترونات [illegible] الأمر [illegible] وموضوع [illegible] بذاته دليلاً على [illegible] الأعداد الغريبة عن [illegible] عن حواسنا، ولكن [illegible] التي [illegible] من [illegible] إليه من [illegible] الغريبة [illegible] من الطريقة الوحيدة لمعرفة هذه الأعداد. أما أن نصل إلى معرفتها بطريقة أخرى كطريقة مليكان التي [illegible] في مقالات سابقة[2] فإن هذا الاتفاق في النتائج بطريقتين لا [illegible]

إحداهما بصلة إلى الأخرى ليقوم دليلاً قاطعاً على حقيقة وجود الذرات والإلكترونات وبرهاناً ساطعاً على [illegible] أعدادها؟ وقد حدث هذا الاتفاق في النتائج بين أعمال «بيرين» وأعمال «مليكان» على وجه يبعث على الاحترام [illegible]

[illegible] أن كليهما [illegible] ثقة [illegible] الأمر، [illegible] أن هذا الذي وصل إليه [illegible] دقيقة في [illegible] العرفي [illegible] أن يكون [illegible] للمصادفة التي لا [illegible] قوانين العالم في شيء.

ومع ذلك فثمة خواص أخرى عجيبة دلت على أنها [illegible] مختلفة عن طريقي «بيران» و«مليكان» على قدر القوة [illegible] الإلكترون، وعلى أن [illegible] من المادة كما عرفها بيران وكما عرفها مليكان.

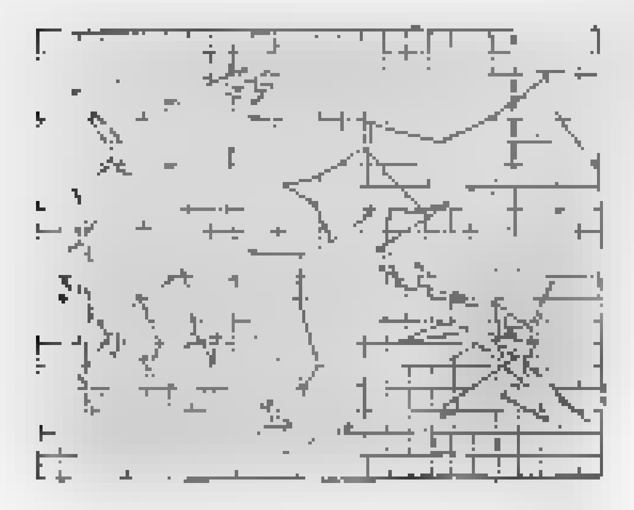

شكل (٢)

مثال من مسار ثلاثة من هذه الجسيمات [illegible] في السائل [illegible] المتأثرة تحت الصدمات المستمرة للجزيئات (من تجارب «بيران»)

على أننا نذكر بعض هذه الخواص الأخرى التي توصل [illegible] العلماء [illegible] إلى كشف الذرة والإلكترون، وإلى تعيين أقدارها، من دراسة [illegible] أو [illegible] أو نظام [illegible]

(١) محاضر المجمع العلمي الفرنسي Comptes rendus ص [illegible] ، ص [illegible] سنة [illegible]

(٢) [illegible] ما [illegible] جسيمات [illegible] تحت تأثير الأرض [illegible] تحت تأثير المجال الكهربائي [illegible] معرفة [illegible] الإلكترون [illegible] معرفة [illegible] الكهربائي [illegible] معرفة [illegible] =

= الإلكترون [illegible] وقد نشرنا أعمال مليكان في ثلاث مقالات [illegible] الأولى [illegible] والإلكترون العدد ٢١٦ ص ١٩٠١ — ١٩٠٣ [illegible] أكتوبر سنة ١٩٣٦ [illegible] العدد ٢٢٠ ص ٢١٤٣ — ٢١٤٤ [illegible] ديسمبر سنة ١٩٣٦ والعدد ٢٢٦ ص ٢٢٦٣ [illegible] ٢٢٢٨ [illegible] ديسمبر سنة ١٩٣٦

الضوء في الأرجون (١)، بل في جميع طيف ما يسميه الطبيعيون بالجسم الأسود أو في تكوّن الهليوم من العناصر المشعة، في دراسة هذه الظواهر المختلفة، المختلفة نشأة، المتباينة طريقة، وجد الباحثون كل بطريقة سبيلاً آخر لتعيين عدد أفوجادرو (٢) هذا العدد الذي يبلغ في تجارب حديثة $٦٫٨ \times ١٠^{٢٣}$ وبالتالي وصل الباحثون إلى معرفة قدر الذرة وقدر الألكترون.

هذه أرقام تتحدث وفي حديثها الشائق دليل على وجود هذه الذرات في حجم معين ودليل على قدرها وقدر الألكترون بالدرجة التي قررها الباحثون.

أجل، أن تكون السماء زرقاء بسبب هذه الزرقة التي تراها وتلذ بها العيون، وأن يكون للغازات ميوعة تدل عليها النظرية السينيتيكية التي أشرنا إليها، وأن ينتشر الضوء في الأرجون بنظام معين، وأن يكون طيف الجسم الأسود دلالة معينة، وأن يكون للأجسام المشعة نظام في إشعاعها، تلك هذه مظاهر مختلفة ومراتب متباينة، ويكفيها دليلاً جميعها على وجود الذرات بالحجم والوزن اللذين لها، ودلالة على عدد ما يوجد منها في الغازات في الحجم الواحد، وتدل أيضاً على ما للألكترون من كيان.

هذا الاتفاق في النتائج وفي الرقم السابق الذي يتحدى كل خيال يجعل الإنسان المفكر من أن ينتهي إلى نتيجة حتمية هي أن ما عرفناه من الذرة وعن وجودها والألكترون أمر لا شك فيه.

ولا نتعرض هنا لهذه الموضوعات كلها، لعل القارئ الذي يعرف منذ حداثته أن السماء زرقاء، ويحسب ذلك بديهياً، ... برجاء هذه الزرقة ... أراد أن يعرف أن هناك علاقة ... وأن ثمة بحثاً في هذه الزرقة عند الإنسان المفكر يوصل به إلى النتائج التي وصل إليها أمثال «سمولوكوفسكي» و«بيران»، وإنا نقصد أن نحدو بالقارئ إلى إعلاء على جهد هذه النفوس التي ... أن تحمل عنده على الإعجاب والاحترام.

إلى هنا انتهينا من قصة الذرات وأسطورة الألكترونات في تكوينات المادة التي نحن نوجد وعليها نعيش ومنها نوجد، وليس الألكترون بالمكوّن الوحيد في هذا الكون، فثمة كائنات أخرى تختلف عنه، ودورها في الخليقة يختلف عن دوره، وإنا لكما عندما نستمع إلى الإذاعة بواسطة المذياع (الراديو) أو عندما نتحدث في المسرة (التليفون) سمعنا أنه قد استخدمت الألكترون واسطة هذه الإذاعة أو التكلم، فكذلك لا يجوز لنا ولمن يطالع هذه السطور أن تفكر في أنك رأيتها كل أن ... ولا تنس أنه كي ترى لا بد أن يكون هناك مكوّنات أخرى في الكون سلكت في طريق بصرك ووصلت إلى العين، ومن الذي وجودها وما اعترانا من حركة استطاعت أن ترى هذه الأسطر وتقرأها، ... وثمة موجودات هامة تست دوراً خطيراً، وبلغت العين، ومن العين إلى الرأس ... في مطالعة هذه ... بمطالعة يستطيعها كل من يرغب هذه الصور.

هذا الشعاع الضوئي، هذا الذي يعتبرون أنه مركب من فوتونات Photons كما يقال عن الكهرباء إنها مكونة من الكترونات هو بدوره مكوّن هام من مكونات الكون، هذا النور الذي يسافر من الشمس إلينا في ثماني دقائق، نريد أن نحدثك عنه وعن غيره من المكونات، حتى لا يكون قد وصفنا نصراً أصلياً في حديثه عن هذه الأحاديث، ولكن قاتنا عند وصفنا إلى أن نذكر أن نختصر حديثه.

هذه المكونات الأخرى نقصد أن يكون لنا مع القارئ حديث عنها أو اثنان قبل أن نتناول موضوعات النسبية والكم Quanta والعطف، وهي الموضوعات الرئيسية الثلاثة التي نقصد من ورائها أن يكون لدى القارئ أقرب صورة للكون وأن يعرف أحدث الآراء عنه.

[illegible]

دكتوراه الفلسفة في العلوم الطبيعية من (السوربون)

ليسانس العلوم التعليمية - ليسانس العلوم الحرة - دبلوم الهندسة

---

(١) الأرجون Argon أحد الغازات الموجودة في الهواء، وقد كشفه لأول مرة العالمان الانجليزيان اللورد رالي Rayleigh العالم الطبيعي ورامزي Ramsay وقد كان كشفه نتيجة لفارقة ظهرت عند العالمين في سنة ١٨٩٢ لكثافة غاز الأزوت حينما يستخرج من الهواء أو حينما يحصل عليه من مواد أزوتية أخرى.

(٢) سبق أن أشرنا أن هذا العدد هو ما في الوزن الجزيئي Molecule gramme من جزيئات ... وهو عدد ثابت، وقد كانت النتائج ... كالآتي:

$٦٫٥ \times ١٠^{٢٣}$ بطريقة دراسة زرقة السماء

$٦٫٢ \times ١٠^{٢٣}$ بطريقة ميوعة السوائل

$٦٫٩ \times ١٠^{٢٣}$ بطريقة انتشار الضوء في الأرجون

$٦٫٤ \times ١٠^{٢٣}$ بطريقة طيف الجسم الأسود

$٦٫٢ \times ١٠^{٢٣}$ بطريقة تكون الهليوم

ويلاحظ أن ... وجد أن هذا الرقم ... يساوي $٦٫٨ \times ١٠^{٢٣}$ بطريقة دراسة ... في السوائل، و $٦٫٩ \times ١٠^{٢٣}$ بدراسة الحركة البراونية

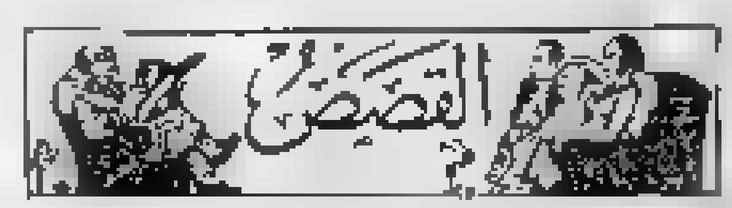


# من أدباء الجيل !

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت أشعة المصباح ذابلة صفراء ترتعش بشكل عجيب ؛ وكان الجو ساكناً ، والمطر ينهمر ويتدفق ويقعقع من بعيد ، ويسيل قطرات على الجدار ؛ وفي زاوية من الغرفة كان الفتى النحيل جالساً إلى مكتبه يكتب.

منذ ساعات ، والفتى في عمله ذلك يتمهل الفكر ويؤلف أشتات المعاني ، لا يكاد يحس شيئاً حوله ، والناس نيام ! يجب أن يفرغ من إعداد هذه الخطبة التي يكتبها على المصباح ! إن هناك من ينتظر.

ودقت الساعة اثنتي عشرة دقة ، فرفع الفتى رأسه عن أوراقه ووضع القلم وفي عينيه أثر الجهد والإعياء .. وارتمى بجسده على المقعد الذي يتخذه سريراً للنهار ومكتباً بالليل ، فسمع له مثل صرير الباب تحركه الريح .. ودار بعينيه في الغرفة التي تضم كل ما يملك من متاع ، ينقل بصره بين الحشية المتسخة بالسحب ، والطربوش الملقى على الوسادة ، والصرار الذي كان ينشد منذ عشرة في المصباح شاكراً ؛ ثم وقع بصره .. وخرجت من بين الكتب المركومة إلى جانب الحائط دويبة صغيرة تتحسس طريقها إلى الباب في تمهل وبطء .. وارتمى إليها نظر الفتى ، فابتسم .. ثم قلب شفته في رثاء : « آه ، حتى أنت يا مسكينة .. تسهرين الليل مثلي في البحث عن القوت ! »

ثم عاد إلى مكتبه وأوراقه ..

* * *

وفرغ الفتى من عمله ، فأشعل آخر دخينة في علبته .. ثم أخذ يقرأ لنفسه ما كتب ..

وأشرق وجهه رضاً ، كأنما مسحت على آلامه يد رحيمة ؛

ثم عب واتفاً وعلى شفتيه ابتسامة .. وتمشى في الغرفة ووسط أوراقه أمام عينيه .. وطفق يقرأ :

« أيها السادة .. »

وخيل إليه في موقفه ذلك أنه غنى ما حوله من الناس ، في جمع حاشد تشرئب أعناقهم إليه .. غلب به الزهو واستحسنته الكبرياء ، واستمر الخطب

« ... أشكر لكم هذا التقدير الغالي .. إن أمة تعترف بأدبائها هذه الحفاوة العظيمة .. ! »

وأحس شيئاً يحز في صدره على حين « التقدير الغالي والحفاوة العظيمة » أين هو من هذه المعاني ؟

إنه منذ سنوات وسنوات يجاهد جهاده الفني والأدبي ، ويبني كل يوم في صرح الأدب صرحاً جديداً ، وها هو ذا اليوم حيث بدأ منذ سنوات وسنوات .. لا يذكره أحد ، ولا يعترف له إنسان ، ولم يحصد من جهوده الفني شيئاً .. ولكنه مع ذلك مضطر أن يعمل ، وأن يجاهد ، لا يني ولا يتراجع ؛ لأنه يريد أن يعيش !

وغام وجهه بعد صفاء ، وبهتت الابتسامة على شفتيه ، وتخاذلت كبرياؤه ، وعاد إلى نفسه يفكر في شيء من واقع الحياة .. لقد أوشك الصبح أن يسفر ، وإن عليه موعداً لأن ينشر مبكراً على « الأديب الكبير فلان » ليدفع إليه الخطبة التي أعدها ويدس جيبه بعض ما فيه ويعتصر قلبه .. وليس شيء ، شأنه معه منذ سنوات .. !

وطوى الفتى أوراقه كأنما يلف ميتاً في أكفانه ؛ ثم أطفأ المصباح وأوى إلى فراشه

* * *

واستيقظ بعد ساعات ، فلبس بذلته ، ونفض الغبار عن طربوشه ؛ ثم سلك باب غرفته ومضى يهبط السلالم درجة درجة ، وفي يده الخطبة التي أعدها ليلقيها الأديب الكبير في حفلة تكريمه ! يا للسخرية !

وسار على جانب الطريق وبيده في جيبه يعبث بما فيه من قروش ، وفي رأسه خواطر تصطرع وتموج

أرأيت إلى الأب يمشي وحيداً في جنازة ولده العزيز ليشيعه

إلى مثواه؟ كذلك كان يمشي هذا الفتى وفي يده أوراقه مطوية في غلافها

وعرج على بائع الصحف فاشترى واحدة؛ فأخذ يقلّب صفحاتها حتى انتهى إلى الموضوع الذي يبحث عنه، فمضى يقرؤه.

لم يكن موضوعاً جديداً عليه، فقد قرأه من قبلُ مرات حتى ليعرف دلالة كل حرف فيه. أتراه يقرأ الساعة من الصحيفة التي في يده أم يقرأ من غيب صدره؟ [illegible] وانقبض نفسه حين انتهى إلى الإمضاء، ثم ابتسم [illegible]!

ماذا عليه أن يبيع المجد لطلابه بالمال؟ [illegible] إنه يستطيع بما يملك يستمتع منهم بما لا يملك، وماذا يجدي عليه المجد والشهرة وجوع الصيت وإنه لمحتاج إلى الرغيف؟

ليت شعري، أيّ الرجلين أكثرُ جدوى على صاحبه؟ ذلك الذي يعطي القرش أم هذا الفتى باسمه؟

وخُيّل إلى الفتى أنه عرض الجوع، فطابت نفسه وطوى الشعور بالرضا والاطمئنان!

ونام الفتى في تلك الليلة ملء عينيه وملء بطنه [illegible] لا يعنيه من أمر الحياة شيء.

وسهر «الأديب الكبير» ليلته يستظهر الخطبة المعدة يلقيها مساء غد في حفلة تكريمه ... !

وأشرق الصبح، فنهض الفتى من فراشه ولبس ثيابه وخرج لبعض شأنه، وعاج على مجرى في الطريق يتناول فطوره، فطاب له الجلوس...

وجلس إلى جانب الشعب يتجمع فيه كل غذائه ورواءه في الطريق، وسرحت خواطره شوطاً من مشهد قريب إلى معنى بعيد، وتنقل من دنياه يجري في عنان الأوهام... فما صحا من أحلامه إلا على صوت النادل يمد إليه يده بورقة الحساب، وعاد إلى الحقيقة وسكن بعد مشوار طويل في وادي المنى...

ودفع حسابه ونهض، ليعود إلى غرفته هناك إليها عليه ويجلس إلى مكتبه يشرب الرحي ويؤلف أشتات الفن، وانتهى من كتب والشمس في مصرع الأصيل، فغادر غرفته عجلان ليشهد حفلة التكريم!

* * *

وكانت الردهة الفسيحة ليس فيها موضع لقدم، وقد نُصب المقاعد صفوفاً مصفوفاً [illegible] وتنتظم [illegible] أصوات المتحدثين فلا يبين صوت من صوت، وسكنت الأصوات فجأة حين بدت طلعة الأديب الكبير، وتطاولت إليه الأعناق تنظر؛ ومضى الأديب الكبير في طريقه كأنه يتخطر وهو يرفع يده إلى رأسه، حتى انتهى إلى مقعده في صدر المكان والعيون ناظرة إليه

ووجد الفتى مكاناً في أدنى الردهة إلى الباب، فجلس وإنه ليشعر [illegible] كأنه غريب في هذا المكان!

وتعاقب الخطباء خطيباً بعد خطيب وشاعراً بعد شاعر، يمجدون الأديب الكبير ويمجّدون أدبه، وهو مطرق الرأس من خجل، لا يزيد على أن يبتسم

وخُيّل إلى الفتى في مجلسه البعيد من حوله [illegible] هذا الاجتماع الحاشد، وهذا الثناء الرطب، من أجله هو وحده، وكأنه هو هو ولا أحد هناك، فأطرق رأسه من خجل كذلك، لا يزيد على أن يبتسم

وماذا يضيره أن يجهل الناس اسمه ومكانه وإنهم ليعرفون من يكون بآثاره وأدبه؟ ماذا يضيره أن يكون كتابه في أيدي القراء بلا غلاف ولا عنوان ...؟

وصمت ساعة ونهض الأديب الكبير يؤدي واجبه لهؤلاء الذين تجمعوا لتكريم أدبه والحفاوة به، وأخذ يقرأ من غيب صدره:

«أيها السادة!

« [illegible] وأشكر لكم هذا التقدير النبيل [illegible] وإن أدبه يجلى [illegible] هذه المنارة بالناشئين من أبنائها لتحتفه بالخلود ...»

وقال الرجل الذي يجلس إلى جانب الفتى في الصف الأخير وتنظر إليه: «[illegible] أشكر عطفه [illegible] بيانه!»

قال الفتى: شكراً!

وحملق الرجل وابتسم، فما عرف أكثر من أن يبتسم، وإنه ليعرف أن مجالس الأدب هي أحفل المجالس بالمجانين

واستمر الأديب الكبير يخطب:

«إني مدين بالإسعاف بما أجمل هذا من أعصابي ومن حق! فأكرّ ما وهب لي من قدرتي على أن أكون بهذا المحل الرفيع بين أبناء وطني -»

« — إن الأدب الذي يسمو بضمير الأمة ، ويشرع لها طريقاً إلى المجد والخلود — »

والتفت الفتى إلى جاره يقول : « كم مرة يقرؤه طويلة إنها كانت أحلى ما في صحيفته ! »

ونظر إليه جاره فلم يملك أن تجيء ... فوضع راحته على فمه يكتم ضحكة أن تسمع ؛ ووثب الفتى بعد ... ظاهر وجهه ثم ... ؛ ثم نهض فغادر المكان — !

* * *

ونهض الفتى من فراشه مبكراً بعد ليلة ساهرة ؛ فقصد إلى دار الأديب الكبير ... على ما ... من إعجاب الناس وما ظفر به من التقدير والمكانة ، ويشيد به على أمس

وقرأ صحف الصباح في الطريق ؛ فعرف ما فاته مما كان في الليل

ودق الجرس فأصبح الباب ، وصعد الفتى حاجته إلى الخادم ؛ فخلفه واقفاً بالباب ينتظر وهل يستأذن سيده ؛ ثم عاد إليه بعد لحظة يعتذر ، لأن سيده نائم

وانحدر وجهه من الغيظ ولبث واقفاً بالباب برهة ، ثم مشى وفي نفسه ثورة مضطرمة ، ومضى على غير وجه

وتذكر الفصل البديع الذي انتهى من كتابته أمس قبل أن يغادر غرفته إلى مكان الاحتفال ؛ فأخرجه من جيبه ومشى يقرؤه

لا ، لا ؛ ولن يكون بعد اليوم ذيلاً لأحد يهبه نفسه ويقف من الظل ! إنه ليعرف اليوم قدر نفسه أكثر مما عرفه في يوم من الأيام ! ألم ... الناس أمس كلهم معجبة ... إنه هو هو وإن جهل الناس اسمه ومكانه ؛

ومضى إلى إدارة الصحيفة التي نشر فيها أول ما نشر من مسائله ... إلى الأديب الكبير ؛ وأن الصحف أولى ... ذوقه والاعتراف بفضله غير الصحيفة التي عرف منها ( الأديب الكبير ) أول ما عرف ، ثم كانت أول من دعا إلى ... والمناداة به ؟ ... هو هو وإن جهلت الصحيفة اسمه ومكانه

واستأذن على المحرر ودخل ، فدفع إليه الورقات التي في يده

ونظر المحرر نظرة إلى وجهه وهندامه ، ثم أخذ ... وضع النظارة على عينيه وأخذ يقرأ هذه الورقات ، ولكن من آخرها ؛ ثم دفعها إلى الفتى ... وفي صوت ... سمعه الفتى يقول : « يا بني ، إنها صغيرة ، ولكن الأجدر أن يكون قريباً ... اليوم الذي ... فيه ما يكتب ، بعد أن تأخذ مرانك ... وتنضج ... »

ومد الفتى يده ... أن يتكلم ، ثم سكت ، وأخذ طريقه إلى الباب في صمت ...

ومن النافذة التي طالما سهر بجانبها الليالي إلى مكتبه يتنزل الوحي ويؤلف أشتات المعاني ، وقف يطل على الناس ساخراً ، ثم أخرج الورقات من جيبه فمزقها وأسلمها إلى الريح تنثرها على الرءوس كسرب مذعور من الطير الأبيض !

* * *

وحين نشرت الصحف أن الحكومة قد رصدت من مال الدولة بضعة آلاف لمكافأة الأديب الكبير فلان ... على ... الأثر العظيم ... كان الفتى جالساً يقرأ الجريدة في ظل شجرة على رأس الحقل ، ويستريح برهة مما يجهده في الحرث والزراعة ؛ ونظر الثور المربوط إلى المحراث ، كأنما يريد أن ينبه الفتى إلى أنه قد آن أوان العمل !

ولكن الصحف لم تلبث أن عادت فنشرت في الغد ، أن الأديب الكبير قد كتب إلى الحكومة يشكر ويعتذر ؛ لأنه قد اعتزل الأدب في ... صغره إليه بعد

وأعجب الناس إذ عرفوا ما عرفوا ، ولكن شخصاً واحداً كان يعرف ، وكان يبتسم !

محمد سعيد العريان

## الجيش الأحمر في الشرق

[ ملخصة عن مجلة « جريدة » ]

كتب الجنرال « لبشكوف » مقالاً في مجلة « كونتمبوراري جابان » التي تصدر في طوكيو قال فيه إن حركة التطهير الحزبية في قادة الجيش الأحمر، قد أوجدت نوعاً من عدم الثقة في ضباط الجيش الناشئين. خذ مثلاً حالة الجنرال « بلوخر » الذي كان يوماً ما قائد الجيش الأحمر في الشرق الأقصى، فقد ظلّ يرفع اسمه أمام الجنود الروسية، إلى جانب الأبطال المخلصين والقادة المقربين، وطالما ذكر اسمه مقروناً بعبارات الإخلاص والوفاء، حتى عدّ من رجال ستالين المقربين وأتباعه الناشئين. ثم يجب أن يختفي بين عشية وضحاها، وصدرت الأوامر بتجريده من صورته ونزع اسمه من الوجود، فإذا سأل سائل عن الأسباب التي دعت إلى هذه الحالة، حيكت حوله الأكاذيب ووجهت عليه التهم، ونفس القائد الذي كان مثلاً أعلى بين رجال الجيش صار خائناً ملعوناً وعدواً لأبناء وطنه.

نستطيع أن نتصور مبلغ تأثير هذا في رجال الجيش – إنهم ولا شك يفقدون ثقتهم برؤسائهم المباشرين. فإذا كان القادة العظام الذين كانوا يوماً ما موضع إعجاب الشعب، قد دل على أنهم كانوا مجرمين في حياتهم الوطنية والعسكرية، فلا معنى لبقاء الثقة بغيرهم من القواد الحديثين الذين ليس هناك ما يجعلهم أكثر إخلاصاً وأمانة من القواد السابقين. ومن ثم انتشرت بين رجال الجيش الأحمر عقيدة ثابتة بأن رؤساءهم جميعهم متآمرون مجرمون، بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فقالوا صراحة بأنهم سواء لأن الخصوم قد ظهروا بمظهر الحماة للأمة، فلا يبعد على هذا أن يجيء قريباً أن ستالين نفسه عدو الشعب. من هنا نستطيع أن نعرف إلى أي حد وصلت الحال، فقد انتشر الشعور بعدم الثقة بين الشعب فسمم أفكار الجميع.

وقد انتشر بين شباب الجيل الحديث، وعلى الأخص ضباط الجيش الأحمر الآلاف من يعدون أنفسهم أعداء السوفييت، المتآمرين على النظام، ويعملون على هدم النظام القائم ويعتقدون في قرارة أنفسهم أن ستالين هو رأس كل خطيئة وأن الجيش الأحمر القوة الوحيدة التي في يدها أن تحد من سلطانه وتقف بالدكتاتورية المقيتة عند حدها.

ومما يزيد في إضعاف الروح المعنوية بين رجال الجيش الأحمر في الشرق الأقصى، عدم كفاية مواصلات السكك الحديدية، وعلى الأخص في فصل الشتاء، وعدم وجود قواعد عملية للتمرين، مما يصعب معه رفع الروح بين الكتائب المرابطة في تلك الأنحاء.

ويجد رجال الجيش الروسي صعوبات كثيرة في الحصول على الأماكن الصالحة لإيوائهم وإيواء عائلاتهم، فإذا استطاعوا على الرغم من هذا أن يقضوا فصل الصيف في الخيام فإنهم لا يستطيعون ذلك في الخريف والشتاء حيث تشتد البرودة إلى درجة لا يحتملها البشر، هذا فضلاً عن انتشار الأوبئة والأمراض، مما لا يمكن اجتنابه بحال من الأحوال.

ولا مفر من الفوضى وضياع النظام في الجيش، إذا نظرنا إلى هذه الحالة، مع فقد الجنود الثقة بقوادهم وتعلقهم بأعمالهم عن غير رغبة أو اقتناع.

## هتلر وكبار الرأسماليين في ألمانيا

[ ملخصة عن « ... » ]

جرى هتلر في مسألة العمال وتسليمهم إلى طبقة الرأسماليين وتوجيه هذه الهجمة على سائر أبناء الشعب، على أسلوب لا شبيه له في تاريخ الرأسمالية الحديثة على الإطلاق.

لقد قضى على اضطرابات العمال في مايو سنة ١٩٣٣، ففقدت الطبقة العاملة حقها في الدفاع عن نفسها والمطالبة بتحسين الأجور. وقد حل محل هذه الاضطرابات، جبهة العمال التي أسسها الدكتور ( لي ) وتقوم هذه الجبهة تحت إشراف الحكومة على كمّ أفواه العمال كلما همّوا بالشكوى من تدني الأجور.

ثم إن العامل في العهود الرأسمالية السابقة كان أحسن حالاً، كذلك النظام الدكتاتوري الذي وضعه هتلر لإخماد أنفاسه وتجريده من كل قوة.

تقدير المصنع ، والحكومة الأمرية في كل ما يتعلق بالعمال المشتغلين بمصنعه . ويقوم كل رئيس بتقديم بيان لموظفيه ، موضحاً فيه الشروط الآتية ليكون على بينة منها :

(١) ساعات العمل اليومية وأوقات الفراغ (٢) الأجور والأوقات المحددة لدفعها (٣) القواعد التي تتبع في حساب العقوبات (٤) الشروط الخاصة بالمرضى ونحوها من أنواع المعوقات (٥) الأحوال التي يفصل فيها العامل بدون إنذار

أما حقوق العامل الثابتة في خيار عمله ، فهو محصور في هذا ، ومع هذا فهي معتبرة ، فقد عرفت في السنين الأخيرة إلى حد أنه لا يسمح للعامل عندما أن يغير العمل الذي يشتغل فيه ، أو يرفض العمل الذي يقدم إليه ، ولا يسمح له حق بالانتقال من بلد إلى بلد آخر

لقد كان العبد الرقيق في القرون الوسطى يستطيع أن ييأس من فقره بالتدبر إلى الفرار إذا رأى فرصة من سيده ، ولكن رقيق العادي — على خلاف ذلك — يستطيع أن ينفي حيث هو ، فقد الحيلة عموماً من المساعدة إذا فتحها من أي إنسان ، أو ذهب بنفسها في أي مكان

أما صغار التجار فهم يعانون محنة أقسى من هذه المحنة ، بسبب ما يصادفونه من التخلص من منافسة المخازن الكبرى — التي تحول ملكيتها إلى أيدي الأجانب الآن — فإنهم يواجهون حرباً لا هوادة فيها تسوقهم شيئاً فشيئاً إلى الفقر والضياع . على الرغم مما يعانون من نظام الاحتكار ، ويحتقرون موجة الضرائب المفروضة على تجارتهم ، مما جعل الإفلاس والعسر يحل كالأنواء على هؤلاء التجار ، فرغبوا أنفسهم في الالتجاء إلى المصانع للاشتغال فيها

وقد أعلنت الحكومة الألمانية أخيراً بكل الرسمية جميع التجار الذين قل ما لديهم من مقدار معين ، بأن يغلقوا أبوابهم ، فترتب على ذلك إغلاق

سنة ... للأبناء الحاصلين ... وحدها ... ١٩٤٣ ، وكذلك ... من ... من العمال ... من الحكومة إلى ... إطلاق أكثر من أربعين ألف من ... أما ... العربي ، فهو ... إلى ... الصلاح

## أدب المازني

قال الكاتب القدير البصير إبراهيم عبد القادر المازني في مقدمة لكتاب أخرجه منذ سنة صديقه ... : «... وهو المصري والمفكر وأحسب أن ... أن أكون مثله لسان مصري طويل ما ألف السجع والمطلان»

وكأن الأستاذ هنا يدرج على خاصة كتابته والسجع والمطلان في غالب الأمر وأكثر ... من الثرثرة، وخاصة جنسية في الكتاب. إلا أن أسلوب صديقي المازني هو الترسل المطبوع لا استكراه لبعض الجمل، ولا فضول في تحوير الفكرة، وإنه الحديث يجيش ويسيل ويسيح على غير كسر ولا أسى. وإن كنت صديقي المازني — على مصريته المعروفة — أسلوبه المعهود فإن الناس من يرغب عن شعرات المازني ويرشحه إلى شيء الشهر ...

غير أن المذكور وإن تقيد الإنسان به مطلقة وقتوا والأستاذ المازني نحو من صدق العينين، فهو إن أطلق القلم ... عن سطر له الفكرة، فلو الفكرة ... أطراف الشك بعضه ببعض ويسيرها إلى الغاية التي تشغل صدره. ويعينه على ذلك ما وهب إليه من معرفة اللغة وسعتها — ويتافه في محصول اللغة صديق صاحب «الرسالة» — وهو أنا أستشهد إذا غاب عني المازني ثم كتاب «الأغاني» زمانا فأرجع عليه وأجري على أسنه من سحر عبارته! وليت الكتاب المحدثين يحتذون حذوه!

وترى الأستاذ المازني وسط الحكم بمذهب الوضوح، والحديث الوثني — في أدب القصة خاصة — من النهل لا من الكتب كأنهم بحثهم. وأحسن مثل على ذلك التوضيحية ... للأستاذ المازني عنوانها «مطاردة» وهي منشورة في كتابه «ابن الطريق» ولا شك عندي أن القصة وقعت ... في الحقيقة، جاء الكاتب وصاغ له حديثه من هنا وسمع عنه فكره من هنا. ومعنى كنه هذه القصة ملموس لا يعدو من خلال عرضها. وهو أن يترك المرء في حياته الاجتماعية ... الرجل المصري ... المرأة ... والمرأة في ... جرأة والرجل ... وفي كل يوم ... وهو يعلم ... لأن المرأة عنده لا ... على ... حريتها ... الكلام ... ذلك، فكيف لا يجوز رأس الرجل؟ وقد استطاع الأستاذ المازني في قصته أن يثبت من طريق الفن الرصين هذا الاضطراب الكلم.

وهذا الصديق يخرج لنا اليوم «مختارات من القصص الإنجليزي» وأسلوبه هنا غير أسلوبه في التأليف، وذلك لأنه ينقل من لغة إلى لغة، وهو يتحرى الأمانة في الترجمة حذراً من المهارة العربية فتقول: إن التركيب سليم واللفظ متخير، ولكن الماء غير عربي. وسيصعب ذلك للشغوفين بسائر الديباجة العربية. وأما أنا وأمثالي فمرحبون بالترام القريب لسرار الروح الأجنبي، لأنك إذا طلبت ناحية من نواحي الأدب الأجنبي فإنما تريد أن تقف على حقائقها لتعرفها مما تعرفه من أدبك، أو تقتبس منها نحواً جديداً. فحرص الجملة وسلامة الفكرة كلاهما رهين بالأداء، فإذا تقف على خصائص لغتك وشرائط تركيبها، ضيعت طرائف الأصل. وعلى هذا فإن كتاب «مختارات من القصص الإنجليزي» حسن الأداء والانبساط.

وقد تجنب الأستاذ المازني — وإن كان قوي التتبع لأحكامه المتين — فرحمه يحتني الأصل امتثالا وربما عبر عن الكلمة الإنجليزية المنتشرة بكلمتين أو ثلاث مخافة أن يروغ المعنى بتمامه (مثلا: prig = مغرور، مغترف، متحذلق ص ٥١) وربما حافظ على الاستعارة الإنجليزية وإن شعب في العربية بعض الشيء (مثلا: 10 pour oil = أصب على رأس من عيبت ماء نحوي ... ص ...). وهو إلى جانب هذا يحسن استعمال اللفظ المرافق على إيجاز (مثلا: I did not go on = فلم أتمرت ؟ ص ١٠٦) ولعل تركيبا أتى به الأستاذ أرى غيره مكانه. ولكن مثل هذا يرجع إلى حس الذوق، وليس لك أن تفرض ذوقك فتقاس على غيرك من يتصرف في ضروب الإنشاء أطلق تصرف، ويوجه مذاهب الكلام في دوائه وتيسير.

بشر فارس

## التحكم

في مقالة[1] للباحث الأديب الكبير الدكتور بشر فارس بحث فيها العالم الأستاذ أحمد الإسكندري [illegible] في نسب [illegible] إلى ألفاظ في الصحف في غير مظانها . وقد [illegible] إلى الذي ذكره الدكتور الفاضل عن كلمة (التحكم) فقد [illegible] في القاموس والتاج في مادة (د ل س) مشتقة أو منسوبة في مادة (ك ت م) وكان العلامة اللغوي الكبير الشيخ [illegible] استعمل (تحكم) في مقالة (العصر) فخطأه العالم الأستاذ محمد سليم الجندي قائلاً : « إنه لم يعثر عليه في كتب اللغة التي بين أيدينا » ، فرد عليه العالم الأديب الكبير الأستاذ [illegible] بعض الشيوخ [illegible] من خلقه [illegible] مستنداً إلى القياس ، والقياس لا [illegible] في كل حين [illegible] (التحكم) هو [illegible] والإمام البوصيري يقول في منظومة [illegible]

[illegible] الأعجمي [illegible] من العرب العرباء لا أتكلم

وقد تبع المعجمان (أقرب الموارد والمحيط) في [illegible] القاموس والتاج ناقلين [illegible] فأورد الأول [illegible] (التحكم) في (د ل س) ولم يذكر الفعل أو مصدره في (ك ت م) والمأمول أن [illegible] العرب [illegible] كامل [illegible] في هذه [illegible] إذ لا [illegible] في الآخر إلى [illegible] لغوية ولا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ..

(طنطا) [illegible]

## وفاة الدكتور علي العناني

نعى إلينا [illegible] المرحوم الدكتور علي العناني ، وهو من رجال الأدب الذين تخرج على أيديهم طائفة ممتازة من شباب المتعلمين .

تخرج الدكتور العناني في دار العلوم سنة ١٩٠٩ ، ثم اتصل بالجامعة المصرية في أول عهدها ، فكان هو والدكتور أحمد ضيف أول مبعوثيها إلى أوربا ، فدرس الدكتور العناني في ألمانيا الفلسفة واللغات الشرقية إلى جانب دراسة اللغة الألمانية ، وعاد من أوربا بعد الحرب العظمى الماضية ، فاشتغل محاضراً بالجامعة ، ثم انتقل إلى دار العلوم التي استقدموا للأدب [illegible] باقياً يعمل حتى سنة ١٩٣٨ ، ثم [illegible] كبيراً [illegible] الفلسفة في [illegible] الموسيقية ، وظل قائماً بعمله حتى [illegible] إلى [illegible]

## المنفلوطي في رأي مستشرق [illegible]

نشرت مجلة (إسلاميك كلتشر) مقالاً عن المرحوم المنفلوطي نلخصه فيما يلي :

تناول بعض كتاب مصر المعاصرين وفي مقدمتهم العقاد والمازني وطه حسين مقالات المنفلوطي بالنقد من جوانب ، ولكن هذه المقالات ذات أهمية خاصة لأنها تمثل مرحلة من مراحل إحياء الأدب العربي .

نشرت هذه المقالات الموجزة في الصحف تحت عنوان « النظرات » وهي تجمع بين الأدب العالي وبين إرضاء ذوق القراء لأنها كتبت بلغة موسيقية [illegible] ، فكانت [illegible] على جمهور تعود قراءة أدب التكلف والتصنع . وقد انتشرت انتشاراً واسعاً بين قراء العربية من بغداد إلى مراكش ، [illegible] على أنهم ألفوا فيها شيئاً جديداً ، كما كانت تمثل الشعور الذي وجد صداه في العالم الإسلامي أجمع تقريباً .

ومن السهل أن ندرك اليوم قيمة هذه المقالات ، فنحن رجال الأدب نشعر بالأثر القوي الذي أحدثته كتب المنفلوطي التي [illegible] على ظهر قلب [illegible] ألهمتهم [illegible] في مشاعرهم .

وهي إلى جانب هذا تمثل حالة الأدب في الشرق العربي الذي اصطبغ بصبغة الآداب الغربية .

أما أفكار المنفلوطي ، أو بعض أسس عواطف المنفلوطي ، فيلاحظ منها التسامح والتحرر [illegible] فهو لا يستطيع مثلاً أن يغلق أذنه على الاعتقاد بشفاعة الأولياء وإن كان يرى أن هذه الاعتقادات هي السبب في ضعف العالم الإسلامي . ويعتقد أن اختلاف الآراء هو القانون الأساسي لتقدم الإنسان ، [illegible] الأحزاب السياسية في مصر [illegible] وبعض الجمود الديني [illegible] قراء العربية من [illegible] العرب [illegible] ، مع أنه قد تأثر في أدبه بالطريقة الإبداعية (رومانتزم) في الأدب الفرنسي .

وكان المنفلوطي وطنياً غيوراً ، وقد [illegible] الكاتب [illegible] أشهر في الصحف [illegible] على صفحة [illegible]

---

(1) راجع (مجلة [illegible]) في المقالة ٦ ص ٥

على . وانضم إلى الزعيم سعد زغلول الذي لم يطالب والحرب لمصر بالجمعية التشريعية . وكان إلى هذا رجلاً محافظاً على التقاليد ورعاً ظل طول حياته يلبس الزي الوطني ورفض أن يستبدل به الملابس الأوربية . أما مطالبته بتحرير المرأة والطبقات العليا فكانا يقومان على أساس من قواعد الدين الإسلامي .

**المستاني**

تواصل مجلة « الثقافة الأسبوعية » في هذه الأيام نشر ترجمة أناشيد « البستاني » للشاعر الفيلسوف طاغور ، وهي بقلم الأستاذين فؤاد الشعبي ومرسي أبو الحسن . ولقد كنت أطالع هذه الترجمة في شيء من الإكبار والإعجاب ، وأحس اليسر والسلاسة في أسلوب لا تشوبه الركاكة ولا تسمع من الجمهور الصخب ! حتى كانت القطعة الرابعة في العدد ١٠٦ المؤرخ ٢٧ يناير سنة ١٩٤٠ ، فحسبت أقابل بينها وبين الأصل الإنجليزي مرة ، وبين الترجمة التي خلف شيئها عليها مرة أخرى — كما أني من حين حين — فألفيت سطراً كاملاً سقط من نص الترجمة .

وأول شيء أحسسته في الترجمة هو أن يحيد عن الطريق الذي اتخذه طاغور لنفسه أول ما كتب أناشيده ، فهو قد رتبها على نسق يحمل كل نشيد وحدة تامة بذاتها فلا تضاف إلى ما قبلها ولا إلى ما يتبعها حتى ، فترجمها بالرغم من إحصاء عدد الأناشيد في كل كتاب من كتبه ، هذا الترتيب قد أخفى منه في القطعة الرابعة ما لا يقر الأستاذين عليه أحد .

ثم انتهت القطعة الرابعة — ولست أدري كيف سوّغ الأستاذان لنفسيهما أن يصنعا هذا الصنيع — بالنشيد العاشر الذي اختلط آخره بأول النشيد السادس عشر طفرة واحدة ، وبذلك يكون قد سقط من الترجمة خمسة أناشيد كاملة تقع في اثنتي عشرة صفحة من الأصل الإنجليزي أو ما يقرب جزءاً من ثلاثة عشر جزءاً من الكتاب كله . ثم راحت الأناشيد تقدم بعضها في بعض دون أي إشارة حتى بأن نشيداً انتهى أو أن آخر ابتدأ — وفي النشيد السابع عشر جاء المقطع الثاني قبل المقطع الأول — وهكذا — وهكذا — مما يضيق عنه وقتي .

ولست هنا إلا مهيباً بالأستاذين فأرجو أن يتسعا منه في ترجمة أو أن يخلصا إلى آخره في غير عناء .

ورأي أن أنشد الأستاذين في غير عنف أن يبدلا في ترجمة هذه الأناشيد ما تستحقه من جهد ، وأن يعنيا بالدقة ... حتى تكون الترجمة أقرب شيء إلى الأصل ، والسلام .

**كامل محمود حبيب**

**نقود رائعة من عهد العباسيين**

عثر أحد الفلاحين بمستخرج السماد من بعض التلال الأثرية بناحية سيدي سالم ... بالغربية ، إلى عثر على ١٩ قطعة ذهبية يرجع عصرها إلى الخلفاء العباسيين ، وقد سكت في عهد هارون الرشيد والأمين والمهدي .

وقد أبلغ الأمر إلى إدارة حفظ الآثار العربية فأوفدت أحد مفتشيها لتسلم القطع الذهبية التي عثر عليها .

وقد نقش على أحد وجهيها العبارة التكوين ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له ) ونقش على الوجه الثاني « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وأرخت بالتاريخ الهجري وهي من الذهب الخالص في حجم القطعة الفضية ذات القرشين وسمكها أثقل منها وزناً .

**شعراء اليونان**

يذيع الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي سلسلة أحاديث أدبية من محطة الإذاعة بها المتوالي ، وقد تحدث أخيراً في مساء الاثنين ... عن الشاعر الأمير أبي فراس الحمداني ، فتناول في حديثه جميع أطوار الشاعر ، وعرض لفنه ومذهبه في الشعر وفي الكلام في هذه الصدد . ونحن مع إعجابنا بما سمعنا لا نسلم بكل ما جاء في حديثه ، فمثلاً يقرر أن أبا فراس لم يكن في عداد كبار الشعراء ، بل كان إنما مرده مثل شخصيته العسكرية وطبيعته البائسة . ويرى الأستاذ المحاضر بها أن الشاعر يحب قلبه في قصائده ومقطوعاته . ويؤيد حكمه على الشاعر بهذه الأبيات :

أراميتي كل السهام مصيبة ... وأنت لي الرامي فكلي مقاتل
وإني لمقدام وعندك هائب ... وفي الحي سحبان وعندك باقل

تسائلني من أنت وهي عليمة ... وهل بفتى مثلي على حاله نكر
ونحن أناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ولا كان ذاك الشباب حريمة ... لنا من طعان الدارعين ستائر
تقول إذا ما جئت متعرضاً ... أزائر شوق أنت أم أنت ثائر

والأستاذ الغزالي بقوله هذا يتنكر على الرجل الشرقي إحساسه وشعوره وعواطفه وهي الصفات التي تتفاوت بها معايير الشعر . ولو روّى الأستاذ قليلاً لأدرك أن الرجل في الغزل شعراً يعبر عن إحساس قوي مشبوب ، وعاطفة مضطرمة مضطربة ويرى خالجه في هذا شيئاً طبيعياً

بعد الليل أشواقي تسعّرت بعده الهوى
وأذاب دمعي حرّ حلاوته الفكر

كلما تمضي الليالي بين جوانحي إذا هي أودعها الصبابة والفكر

ومن غزله الساحر

يا من دعت إلى القلب ح معانق عهداً بعد
ينظر لي وأطوي ما اشتكت من عوده

ومن أبياته

خلف حصن مام أم ساحل ودب فيها قاحم ام مغامر
كأن طبعي والصوت والنقل والحق
هدى ه ودب الجمال صراً
أفوز وقد سح على عرسه ولي در منها الصباح باكر
يا رب حتى حلي عنا عناءه وحتى يفاض الصبح عنا عاطر

هذا ولو شئت أن أذكر للأستاذ الفاخر من شعر أو مراس الذي لا يتفق مع حكمه الجريء على غزله وتشبيهه لما اتسعت هذه الكلمة القصيرة لذلك

عبد العظيم عيسى

**إلى مراسل « من مصر والأحاديث »**

عاتبه يا سيدي أحد هؤلاء القراء الذين ذكرنا آلاءك ، وعرفوا فضلهم سحر بيانك

ما أحد يا سيدي أحد هؤلاء القراء الذين تعصيهم في مقدمة كتابك « الأحجار » ومعروف لم عتاب بعسك مكنت كريماً في مناجاتك ، ونبلاً في مبراتك

لقد رحبت القريحة بعد أن كانتا واحداً يسجل آراء الناس وأحلامهم بذلك الأسلوب المحكم الذي يدعو إلى قراءته والإعجاب به كما دعا ذلك

ذلك في الأحجار الذي هو أحوج ما يكون إليه في عصر ما هذا وقد أصبح أدبنا بعيداً عن حقيقتنا وأفكارنا

لقد سرّني أنك تتنكر لي حقد قيل حب تلك الحرب والتشبيب من الشعر إلى النثر ، في كتابك طرائف الشعر كما سرني في ذلك الأستاذ الكريم هذا ، واليوم تتكر عجباً في علم الأدب بتصور المجتمع ومنه أصحاب الصور المصرية ما حاول التصوير للنفسة فخلق المشكلة على لسانها سائقة دعمه

ذلك هي ( الأحجار والأحاديث )

دراسة واسعة ، ونقد صائب ، وفكاهة رائعة ، وتحليل لصور المجتمع المصري لقد وجدت كثيراً عند كتابة هذه الكلمة بعد أن رأيت المؤلف وهو الأديب الذي يحاول . . . ( أحجاره ) ولكن من كلمة من حق القارئ أن يعرف شعوره ويحدد إليه مصدر أفكاره ، فإن من حق القارئ أن يصرح بإعجابه

وإني لأتقدم إلى رجال الأدب أن يطرقوا مطالعته في صفحة الثقافة العامة حتى يتبين القارئ مع الحوار والمناظرة ، ويعثر على ما يضطرم في الحياة الأولى والأخلاق من آراء وأهواء وحقائق وأباطيل ، ويكلموه حال اللغة العربية وقد ترك حجر الدراسة إلى صور أحوال الناس ، وما يجري في المجتمع

. . . مصرية

**كتاب الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**

صدر الجزء الثالث من تاريخ الأندلس المسمى « الحلل السندسية » للعلامة الكبير الأمير شكيب أرسلان في نحو ستمائة صفحة بالقطع الكامل

وقد أتى الجزآن الأول والثاني من كتاب « الحلل السندسية » بأعظم تاريخ عصري للأندلس

وقد احتوى هذا الجزء الكلام على مدن الأندلس ومملكة بلنسية ومملكة مرسية وحواضرها وأحوالها وأهلها ووصف مدن الأندلس وحصونها وتراجم رجالها وملوكها والكلام على طوائفها وملوك الطوائف وسقوط مرسية وحوادث الحروب وغير ذلك من الأبحاث الجليلة

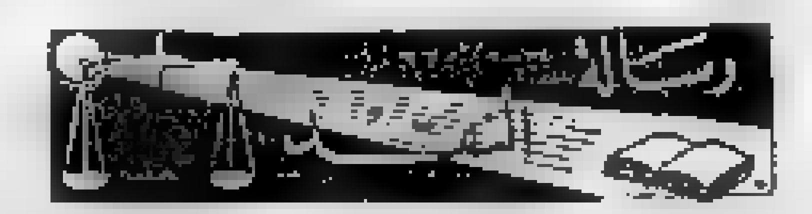


# آفاق العلم الحديث

للأستاذ فؤاد صروف محرر « المقتطف »

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

---

البحوث العلمية لا وجود لها في العالم العربي اليوم ، والدراسات العلمية نادرة في لغة العرب ، وهي إلى جانب هذا ، عبارة عن شيء من القسط الشائع من الآراء القائمة اليوم في العالم الأوربي من العلم الحديث ، وهي بذلك دراسات — غالباً — تدور حول كليات لا تعرض للتفاصيل والجزئيات التي تقوم بها. ومن هنا كانت عادة التفكير العلمي عند الكثيرين من كتاب العرب وخلطهم في المسائل العلمية وما يتصل بها من شائع العامة من الآراء والأفكار. ولهذا كانت المحاولات التي قامت بها « المقتطف » شيخة المجلات العربية منذ نشأتها لا تقدر بحسب من حيث عملها على القضاء على عنصر الخلط في التفكير العلمي العربي. إذا صح مثل هذا التعبير هنا — والنتائج التي تركتها هذه المحاولات في التفكير العربي كبيرة آثارها غير أنه قد لا يبدو اليوم للمتتبع واضحة، إلا أنه لا شك في كر الزمن ستنكشف وتتضح خطوطها وتستبين معالمها. والواقع أن مجلة « المقتطف » منذ عهد مؤسسها المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، أعطت الدراسات العلمية نصيباً كبيراً. وهذا الاهتمام يبدو اليوم على صفحات « المقتطف » في المجهود الطيبة التي يبذلها محرره الأستاذ فؤاد صروف في تقريب صورة العلم كما وضعه الباحث الحديث في الطبيعة والفلك وعلم الحياة والنفس ، وفي تقريب الأفكار العلمية إلى الأذهان. وهذه المجهودات ظاهرة في الفصول المبسطة التي تنشرها المقتطف في كل عدد منها ، والتي يجيء [illegible] من نشرها ، والتي يجمعها بعد نشرها في مجاميع ، منها كتاب اليوم « آفاق العلم الحديث » الذي خرج حديثاً من [illegible] [illegible]

والكتاب مقسم إلى مقدمة وبابين . أما المقدمة ففي أثر العلم الحديث في حياة الناس . أما الباب الأول ففي عالم المادة الجامدة وهو ينطوي على ستة فصول تتدرج من أدنى آفاق [illegible] إلى أعلى ما في الوجود ، في عالم الذرة والكهرباء.

والباب الثاني وقف على عالم الحياة ، وهو ينطوي على ستة فصول تتدرج من أسرار الحياة في الخلية الفردية إلى أسرار النمو والتكاثر والجنس Sex في الأحياء [illegible] والتركيب [illegible] والتي تجيء [illegible] الإنسان ، ثم البحث في عقل ونفسية الإنسان. وهذه الفصول كلها تجمعها وحدة [illegible] الأصل فيها الاستناد إلى التمحيص العلمي القائم على المشاهدة والاختبار ، وليس فيها من هذا أحلام وتصورات خيالية أو أشياء أولية معروضة عرضاً [illegible] في فصول هذا الكتاب أن يستند الاختبار البشري القائم على التمحيص والفحص ، ومن هنا [illegible] الكتب العربية [illegible] نظرتهم [illegible] من الوجود والحياة التي ورثناها عن الماضي [illegible] وصحة إثباته قائمة على [illegible] اليوم لنتائج التجربة والاختبار البشري.

أما مقدمة الكتاب فهي من خير الفصول التي وضعت في اللغة العربية في العصر الحديث عن العلم الحديث وآثاره المشهودة ، وفيها ملاحظات قيمة ومطالعات خطيرة — ولكن لن نعرضها على حسب — وقد جاءت في سبع فقرات : في الفقرة الأولى يرى الأستاذ صروف يكشف عن الأثر المشهود للعلم الحديث في مختلف نواحي الحياة اليوم. وهو في الفقرة الثانية يبين مقدار تأثر حيات [illegible] [illegible] الطبيعية. وهو في هذه الفقرة يكشف عن منابع العلم الحديث من حيث هي قوة [illegible] مؤثرة في حياة البشر اليوم ، وهو يرى هذه المنابع في ثلاثة مصادر : الأول الانتفاع بنتائج العلم التطبيقية أو [illegible] أقصى إمكان الانتفاع. والثاني [illegible] على نظرة الإنسان إلى الكون والحياة ونفسه. والثالث في [illegible] الدائم في مباحث العلم والذي ينتج عنه [illegible] الحقيقة شيئاً متغيراً يتطور وينمو مع تطور العلم الدائم الذي لا ينقطع. وفي [illegible] على هذه الأسس الثلاثة التي [illegible] الكاتب [illegible] لا [illegible] عليه ، وقد أشرت إليه في المحاضرة التي ألقيتها عن « أثر الرياضيات في الحياة البشرية » مساء ١٨ ديسمبر ١٩٣٩ بجمعية الشبان المسيحية بالإسكندرية ، وذلك أنه اعتبر أساس

الأسلوب العلمي التجربة والمشاهدة، وهذا صحيح من الناحية الشكلية فقط. أما الواقع فالعنصر الرياضي الذي يجمع الملاحظات والتجارب والاختبارات في نظام موحد على أساس العلاقة، هو الأساس في الأسلوب العلمي. أما التجربة والاختبار فهي بمثابة الآلات أو النتائج التي تقدم المواد الأولية إلى الآلة الرياضية لتشتغل عليها؛ وفهم العلاقة بين الآلة الرياضية والتجربة والاختبار مهم جداً في فهم حقيقة الأسلوب العلمي. وأظن اعترافي في ذلك، سبقني إلى بيانه السير آرثر إدنجتون في كتابيه «طبيعة العالم الفزيقي» و«فلسفة العلم الفزيقي». وأظنني قد أشرت إلى هذه المسألة في تقدمتي لكتاب «هندسة الكون حسب ناموس النسبية» الذي نشرته في المقتطف عام ١٩٣٨، وفيه عرضت البحث لآراء إينشتين وإدنجتون وجينز، وبينت بعض الغموض في هذا الموضوع.

فإذا صرفنا النظر عن هذه المسألة، فإن القصة تنتظم حقائقها على أساس وهمي. فالكاتب يتناول في القصة حالة تطور الفكرة الإنسانية تحت تأثير العلم تجاه كل من الطبيعة والخالق. ومن هذا الاستعراض يتبين كيف أن فكرة الأنسنة التي كان الإنسان يخلعها على الطبيعة بأساطيره عهد الخرافات قد تحولت، وفكرة اعتبار الأرض التي يعيش عليها مركز الكون وأنه محط العناية الربانية قد تلاشت.

على أننا نحس هنا بعض تحفظ من الكاتب حتى لم يذهب بفكره إلى النتائج الأخيرة التي لا بد منها؛ وسيجد في كتاباته التي تسيطر عليها الأفكار القديمة، بعض الأثر في قراءة هذه القصة. وفي الفترة الرابعة يبين الكاتب نشوء شريعة الآداب الخلقية كمصدر للحياة التي عاشها الإنسان في الماضي، ويخرج من ذلك في الفترة الخامسة إلى بيان أوجه الانقلاب الذي جدّ أخيراً في شريعة آداب الناس نتيجة لتطور المذاهب الاجتماعية في الغرب، وكيف أنه علق على عظم التضحية والتألم الملازمة عن المذاهب الأدبية الحديثة. وهكذا أصبح اليوم في العالم تعتبر الأمومة ضرباً من الاستعباد، والزواج ضرباً من الرق، وأصبحت فكرة تحديد النسل القواعد المالية التي أحاطت عصرنا على تحديدها. وكان نتيجة كل هذا أن وجد الإنسان اليوم بين طائفتين، أحدهما تذهب إلى سبيله في حدود الماضي، والأخرى لم توجد بعد؛ فهو لا يزال على الحد بينهما. وهكذا وجد العالم مجزأ! والكاتب يصور هذه الحالة في الفترة السابعة من قصته تصويراً دقيقاً، ويبين في الفترة الثامنة والأخيرة من البحث أن ظاهرات الأزمة التي تلف حضارة الإنسان في الكون وحيرته التي أنتجت هوة سحيقة بين حضارة التقليدية التي ورثها عن الماضي وبين مستلزمات الحياة التي تستلزمها اعتبارات اليوم، تحتوي رغم كل العوامل الهدامة التي تبدو فيها، على بذور حل المشكلة التي تركت الإنسان حائراً الآن، وهذه البذور تكمن في التصوف العلمي وفي النزعة الإنسانية Humanitarian التي بدأت تذيع في الناس بانتشار التفكير العلمي. وفي هذه الخاتمة التي عرضت لك موجزاً لخطوطها الأساسية تفكير سليم، ومنطق عصيب، لا شك أنه وليد دراسة عميقة وأوسع الورود من المسائل العلمية الدقيقة وبعدها الأعمق عن البحوث العلمية، ولهذا جاءت خاتمة وسطاً بين الصور العلمية التي تشغل في أذهان العلميين في العالم الناطق بالعربية.

على أن لنا ملاحظة على استعمال عبارة «التصوف البشري» للإشارة إلى كلمة Humanism الإفرنجية. ذلك أننا نعرف أن لفظة Humanism تفيد اصطلاحاً آداب اليونانية واللاتينية وتعني النزعة الإنسانية (بمعنى الرجوع إلى الإنسان لا إلى الله أو الغيب). وأظن أن صديقنا الأستاذ إسماعيل مظهر نبه إلى ذلك في النقد الذي كتبه عن كتاب «إبراهيم» للأستاذ ... وفي هذا ذلك فإنه مثال اللغة العلمية الواضحة الدالة على المدلول.

وبالرغم من المآخذ التي أخذناها، والتي لا تغض من قيمة الجهد الفكري المبذول في هذا الكتاب، فإنه يمكن بكل اطمئنان القول بأن هذا الكتاب من صفوة الكتب التي ظفرت بها المكتبة العلمية العربية، وهو كتاب لا يستغني عنه العالم ولا المتعلم ولا الأديب. والشكل بحد ذاته يليق به، وهو بالتالي موضع الثناء والتقدير. وأظن أن أدباء العربية — خصوصاً الذين لا يعرفون لغة أجنبية، أو ليست لهم ثقافة علمية — سيجدون من الحقائق التي ضمها الكتاب، ما يسعفهم في الكشف عن عنصر التصوف العلمي الملحوظ على الدوام، والذي يجنح إلى الكشف عنه أدباء الغرب.

(الإسكندرية) إسماعيل أدهم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين)

8ème Année No. 346

Lundi 19-2-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المهدي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٦ «القاهرة في يوم الإثنين ١١ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

الفهـــرس



## الربيع الأحمر!

الربيع الأحمر! ذلك هو الربيع المقبل كما يتصوره الناس. لا يزال الربيع جنيناً في بطن الأرض، وإن الطبيعة لتهيء لغصونه وبذوره الندى والثرى، والكماة ... في هذه الشمس. سيولد ولادة الملوك على حشد الحشود وحشر الجنود وقصف المدافع؟ وسيدرج في ملاءته الأرجوانية الوسنانة على هبوب القنابل وأزيزها، فيبعثر الحياة في الجو، وينشر الجمال على الثرى، وينثر أزهاره النضيرة على عشب ونور، ويوشك ألا يدري وأنت ترى حمم المدافع وورق النيران، وتسمع صفير الرصاص ورعد القذائف، أتمشي في ربيع جميل أم في شتاء ...؟ على أن الشتاء كان على الناس سلاماً وبرداً! خيمت على جبهته تلك الحرب، ووقف في طريقه طلائع الموت، واستطاع بعصفه [illegible] الشتوي المثقل أن يقف الغزاة في حدها الروسي الهائل؟ ولكن الربيع الذي جعله الله سروراً للحياة ومسرحاً للشباب ومبعثاً للحب، سيمكن قوم الإنسان بجمع عدته وحشد جنوده، على أن يجعل الأرض لهذه مجزرة ومقبرة!

* * *

الربيع الأحمر! ذلك هو الربيع الذي لا يخلقه الله وإنما يخلقه الإنسان! سيخلقه من اللهب والذهب والدم، فيجعل من

المدافع حناجر، ومن الأغصان نادى ومن الأمواج مدافع ولتن نسيم الأعشاش الناعمة المترفة العاطرة ستبدو قوى ومعامل شهاب ومستودع نار!

سيعود ربيع الله الأخضر بطيوره وزهوره ونوره وسروره إلى الجنة، وسيحشر الإنسان عامة ويصطلى الناس من جحيم؛ فيصب في كل بقعة من بقاع الأرض أجيج من شجر الزقوم لباسه الأسود، تشرق آفاقها بالطيران، وتضج في أجوائها المدافع، وتثب في مدارجها الدبابات، وتجري في مخارجها السموم، وتصدح فيها أناشيد القلاع وأغاريد الغرب [illegible] نعيب الشياطين!

فمن ترى أيها المغرورون من ساسة الشعوب، أهذا هو الربيع الربان الذي جعله الله تجديد الحياة ومتعة للحي؟ أهو الموسم الذي أمرته الحرب بالقتل، وكتبته بالتجنيع؟ أحسب نواصيها لأرض تنسج الأرواح الساقطة قبل الأوان لتحدث بها في هوى الدم؟ ألم تستشعروا أمر الله، وستسمعون يوم القيامة، وتحاولون أن تملكوا الأرض، وتسلبوا الناس، وتحرروا الكون الذي هزت القرون وحضرته الأمم كما (نابليون) أعاماً على عروش رأسه؟!

عجيب أن يصبح اليوم العدو الأعمى! قد جمع الهوى بالعقل جموح الفرس الشموس، فلا هو يسمع الصوت الذي يهيب، ولا هو يطيع الحكام الكابح!

تلك مشيئة الله، وما تشاءون إلا أن يشاء. ولعله، عزت حكمته، يريد من هذه القيامة العاجلة أن يحيي الناس مرة أخرى على نمط من الهداية جديد.

* * *

الربيع الأحمر: ذلك هو الربيع الخلاق الذي يعد الأرض مرة أخرى وثب! سيجرها من الناحية ليستقيد [illegible]

الماء. والحرب تستعيد الأرض التي تزوي بحكم النعوب [illegible] منه الجزر. وآية الحرب أنه يؤدي بالعد الحياة [illegible] على المذبح للموت؛ ولكنها كالسيول لا تفرق بين ثمارة الخير والمرابي، وتجري طغيانها الناس ولا سيما؛ فإذا انحسرت [illegible] وجدت عندها تحت الأرض بأصحاب [illegible] وأوراقه.

وربما الحرب إذا لم يكن من خروجها [illegible] أنها تقطع الفضول ومن [illegible] وتحمل أمواج الأمم إلى حدود الحرب حتى هنا [illegible] الآن لقد [illegible] على [illegible] في الشعب المتضعضع [illegible] على الصوارى [illegible] في [illegible] وأقامت في [illegible] كما [illegible] في ظلال المنبع [illegible] الأمن والنعمة، لا تعرف الحدود إلا على الورق، ولا تشهد الحروب إلا في الكتب، ولا تحول [illegible] النزاع من [illegible] الا [illegible] بحركة الزوجة [illegible] في [illegible] حتى [illegible] تطيق، وعلى عيث التواكل، وقعد بنا الزمن، فتركنا [illegible] الغرب، وركنا [illegible] وفرقنا [illegible] والقرابين إلى [illegible] من غير كتابة ولا [illegible]!

**عددنا الممتاز**

ستصدر الرسالة عددها الممتاز في اليوم الرابع من شهر مارس [illegible] بأسرع [illegible] ستتضمن [illegible] كتاب [illegible] على [illegible] والمعول [illegible] ونكرر [illegible] الرسالة [illegible]

* * *

الربيع الأحمر: ذلك هو الربيع [illegible] الذي يأكل [illegible] ومطالع الشتاء [illegible] في [illegible] القرى [illegible]!

هو وحده الذي يستطيع أن يجتاح [illegible] ويقتلع [illegible] ويجب على [illegible] الحالية [illegible] الروس [illegible] والعمار والإصلاح والبركة.

[illegible] ربيع [illegible] الله [illegible] بالسماء [illegible] يا ربيع [illegible] على الليل، ولا بد أن يضحي جيل في سبيل جيل!

**أحمد حسن الزيات**

في وزارة المعارف

# معـــارف مصر
## في حولية المعارف الأممية
للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

---

حمل البريد إليّ منذ بضعة أيام الحولية التي ينشرها مكتب التربية الأممي، عن «التربية والتعليم في جميع أنحاء العالم خلال سنة ١٩٣٩».

عندما أخذت أقلب صحائف الحولية لألقي عليها نظرة إجمالية — استعرضت فهرسها عرضاً تفصيلياً بعد ذلك — كان بعض الفصول يستوقف نظري قبل غيره أو أكثر من غيره؛ وكان الفصل الخاص بمصر (ص ١٨٠ إلى ٢٠١) من جملة تلك الفصول بطبيعة الحال.

وما كدت ألقي نظرة سريعة على الصفحتين الأوليين من هذا الفصل، وأستعرض الأرقام الإحصائية المدرجة فيهما، حتى وقفت على ما يثير الدهشة والألم في وقت واحد.

يفهم من هذه الإحصائية أن مدارس الأطفال في مصر تربي ٤٤٤٨ طفلاً، والمدارس الابتدائية الأميرية تضم ١٩٧٧٥ تلميذاً، والمدارس الابتدائية الخصوصية تجلس على كراسيها ٤٨٩٣٣ من التلاميذ؛ وهذا هو كل ما في مصر من مدارس خاصة بتعليم الأطفال — قبل تعليمهم في المرحلة الثانوية — حسب ما يظهر من هذه الإحصائية.

لو لم أكن أعرف حالة المدارس المصرية معرفة سابقة، وكنت عرفتها مستنداً إلى هذه الإحصائية وحدها، لقلت حالاً: ما أتعس مصر وما أشقى أطفالها!

لأن هذه الأرقام تدل على تأخر فظيع، لا بالنسبة إلى الأمم الأوربية والأمريكية فحسب، بل بالنسبة إلى الأمم الشرقية نفسها. وليس هذا التأخر بالكمية النسبية فحسب، بل بالكمية المطلقة أيضاً — فإن العراق، يسبق مصر في هذا المضمار مراحل عديدة. وأما إيران فتسبقها بمراحل أكثر نظراً إلى هذه الأرقام.

فإن عدد طلاب المدارس الابتدائية الأميرية في العراق يبلغ ثلاثة أمثال طلاب تلك المدارس في مصر، مع أن عدد نفوس العراق لا يبلغ ثلث نفوس مصر... وأما عدد طلاب المدارس الابتدائية في إيران فلا يقل عن ثمانية أمثال طلاب مصر، مع أن عدد نفوسها أقل من نفوس مصر على كل حال.

ولا حاجة للشك في أن كل من يراجع الحولية الأممية المذكورة من الأوربيين والأمريكيين سيلاحظ هذه الملاحظة، وسيقولون: ما أفظع هذا التأخر الواقع في بلاد شبه مثل مصر، في شعب عريق في الحضارة مثل المصريين.

* * *

قد يقول بعض من يقرأون هذه الأسطر: لا بد من أن يكون هنالك خطأ في الأرقام... ولا يستبعد أن يكون هذا الخطأ ناتجاً عن نقص المعلومات التي جمعها مكتب التربية الأممي عن المدارس المصرية...

غير أن هنالك ما ينفي هذا الاحتمال نفياً باتاً؛ لأن الفصل الذي يتناول إحصائية المعارف في مصر سنة ١٩٣٩ تقرير رسمي وضعه مندوب الحكومة المصرية الدكتور محمود فهمي — كما هو مصرح به في أسفل الصفحة ١٨١ من الحولية — فلا يحق لأحد إذن أن يشك في صحة الأرقام المدرجة هناك.

ومع كل هذا، فأنا أعرف أن النتيجة التي يصل إليها الباحث — من هذه الأرقام — لا توافق الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه... أنا أعرف أن هذا المظهر الغريب الذي تظهر به معارف مصر — في مثل هذه الإحصائيات — يعود إلى سبب مهم، كنت قد وجهت إليه الأنظار — على صفحات الرسالة — منذ نحو ثلاث سنوات.

إن نظم التعليم المرعية في مصر لا تفهم من تعبير «المدرسة الابتدائية» ما يفهمه رجال التربية والتعليم ويعبرون عنه في جميع أنحاء العالم. فإن المدرسة الابتدائية في مصر، مدرسة من نوع خاص، وهي غريبة مختلفة من وجوه عديدة...

لقد اختلفت أوضاع هذه المدارس بشدة في المدة التي

إلى الدكتور طه حسين بك

# تشريح عاطفة الحب

## للدكتور زكي مبارك

---

أيها الأستاذ الجليل :

سألتني يوم لقيناك بوزارة المعارف في صباح اليوم الثامن من هذا الشهر عن سبب تحاشي الحديث عن الحب ، وقد جرى ذكر كتاب «ليلى المريضة في العراق» ، وكتاب «الاعتذار التي شيعتْ صورها في ملامح وجهك» ، فمنعني الحياء من أن تسمع أذناي ما في أحشائي من عتب الحب المتيّم المتبول

فأجبتك بأن شواغل الحياة قد تجعل القلب آخر ما ينشغل على ، ولكني صديق عن قلبي صار مصدراً لحديثٍ أشرح به ما يتعرض له الناس في ميادين التوارح والأهواء ، وأنا أريد أن أخلق جزءاً من الشخصية أودع به ظلمات الزمان !

فابتسم ابتسامة ما صدق وقلت : احتفل بالشجاعة في الزمن إن استطعت !

ثم شغلنا بعد ذلك في شجون من الأحاديث سأرجع إليها في فرصة سنح

---

نشر في العدد ١٨٧ من الرسالة — بتاريخ أول فبراير سنة ١٩٣٧ — بعنوان «بلد نظام التعليم في مصر» ، وشرحت المضرات التي تنشأ من الاستمرار على ذلك النظام ..

وما كنت أتصور عندئذ أن كل ما سبق على حاله وسيرون إلى ظهور مصر بهذا النظام الغريب في الحكومة الآتية بعد ثلاث سنوات

(يتبع) أبو [illegible]

* * *

حاشية : إن القارئ بين الأرقام العربية في عربية ١٩٢٩ وبين الترجمة في سورية ١٩٢٨ — في القسم الثاني بصرف من صفحة وفي القسم [illegible] من صفحة أخرى — ولا سيما في الأرقام المختلفة وراء [illegible] وطلاب ومعدود من [illegible] ومرور للطلاب — أرجو أن يلاحظ هذه الأمور مرة ، ثم أن يرى ما فيها بعد ؛ إلى آخر ما لا أكتب جريه أنظار المختصين والمسؤولين إليه

ويسعدني اليوم أن أشرح ما كان يجب أن أقول في جواب سؤالك ، وأجابت بشرح الصدر لا أشكو من شخص يحاول في شؤون قد يجهلها كل الجهل ، أو يخمسون فكاً بصفة مصوغة وإعلان مصنوع .

وعن م يجكر الكلام عن الحب ، هو عاطفة من أقدم الأرواح منذ أقدم عهود الوجود ، وما يجعل الحياة إذا خلت من الحب ؟ وأي عرض تبعث الناس إذا أصيبت أنفسهم بالإملال فأي خير في ذلك الروح العجيب ؟

وهل يتعرض القلب من الحب وهو في عافية ؟

إن المتوهمين والمتزمتين يتوهمون أنهم قد صححوا الخلق الخواطر حين يستطيعون أن يقولوا : إن الحب في حرب ، وإن القلوب لا تسمع الحديث عن الحب !

وعندي : إن ما يقصدونه لم يصدر إلا عن نفوس مريضة ؛ فالحب لا يثير إلا نخوة الأعصاب ، وهو يسعد قلوب الجنود في أصعب أوقات الحروب . وهل كان عنترة في شدته إلا محباً حين قال

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ  مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها  لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

وما فعلته عنترة فعله ضابطٌ مصريٌ حين قال في حلته الأناشيد العسكرية بأن يقول :

من ذا يُحدّثني يا حضرته  في الزنة يا حسن القلب
ما يجسر على بنظره  وأنا رابع [illegible] البطل

وهذا الضابط هو عبد المنعم محمود ، ولا أعرف كيف اهتدى إلى هذه الفكرة الطريفة وهو يعيش في زمن مثقل بأسباب العسر والرياء

فقد قيل إن هذا النشيد لا يسلم الجمود ، يا أصحاب القتال

وأقول إن هذا النشيد من شواهد العافية ، فالشاب الجندي في حبه أحلام وحيه بين إليه حنين الأحباب ، وتلك الأوطار التي هي من أنضر الأحلام للاشتغال في ميادين الشرف والوطنية ؛ وأضيف أن القلب الخالي من عاطفة الحب لا يصلح أبداً للاستشهاد في ميدان الوطن الغالي ، لأن الوطن لا يبقى إلا في صدور قلوب المحبين

وأنا أختار أن يسود ذلك النشيد على سائر الأناشيد، فقد هتف به حتى أسلم الجسد والروح، وهو أحسن من الأناشيد التي ينظمها شعراء لم يعرفوا الفرق بين السيف والرمح، ولم يسمعوا صوت المدفع إلا في ليالي رمضان

من الفضول أن أحدثك عن آفة الحب، ولك فيه تاريخ، ولكني أحب أن أعرف كيف يقدر أن نعد بين كتابنا من يجب بتشريح عاطفة الحب؟ وكيف يرانا من سيدرسون آثارنا الأدبية بعد جيل أو أجيال حين يظهر لهم أننا كنا نهرب الحديث عن الحب هرب من شرور الزمان؟

الحب جده جد، وهزله جد، ولا يعجز عن هذه العاطفة إلا المتخلفون عن تأثيرها بالحس أو النفس في تكوين الوجود

الحب جيش جرار، والإعجاب به يؤدي سلطات عظيمة على النفس، فكيف نسكت عن درسه وهو يواجه الناس في جميع الميادين؟ كيف نسكت عن درسه وله صور قاهرة على العقل والضمير وله تأثير عنيف في توجيه مصاير الرجال؟

ومتى حق يخلو أدبنا من تشريح سلطة الحب؟

وكيف يجوز أن يعد في العيش في عصر التزمت على ما فيه من كتاب « بسط الرجعة في العراق » وهو كتاب يروي به خلق الحياة الأدبية عن أبناء هذا الجيل؟

إن الغرور الذي يصطنعه بعض الناس قضى على عصرنا بالحرمان من الصدق والأريحية وضيع ما يستوجبون ماضينا الجيد يوم كان لنا شعراء لا يعرفون غير أوطار القلوب

وأين نحن من العصر الذي عاش فيه عمر بن أبي ربيعة، أو العصر الذي عاش فيه العباس بن الأحنف، أو العصر الذي عاش فيه الشريف الرضي؟

وهل يمكن القول بأن الحياة الأدبية في هذا العصر تتوق لمنافسة الحياة الأدبية في عصر أولئك الشعراء؟

لا يمكن القول بذلك، فنحن بشهادة رجال عصرنا أقل حرصاً على الواجبات الذهنية من الرجال الذين عاصروا أولئك الشعراء، والله يشهد لي ولك بتخاذل أهل هذا الجيل!

الفرق بيننا وبين أسلافنا لا يحتاج إلى توضيح

كان أسلافنا أحراراً، فكانت صدورهم تجمع بين أشرف صنوف الهداية وأخبث ضروب الضلال، وكان رجل مثل ... لا يتورع عن رواية أطرف شواهد الغزل وهو ... وكان يوازن بين حقوق القلوب وحقوق العقول، فكانت حياتهم أشبه بالحديقة الغنية التي تجمع في شعابها بين حياض الأزهار والرياحين وسراديب الأفاعي والصلال

وأين نحن اليوم من أولئك الأسلاف؟

في مساجدهم رويت طرائف الأشعار، وبوركت مذاهب المزاح بلا تخاذل ولا إسراف، وفي بيوت أعيانهم درست أوهام القلوب والعقول، وعلى ألسنة أصحابهم جرت أعاجيب الشك والارتياب، وبفضل ذوقهم الأدبي والفني حفظت أصائل من عيون الآداب والفنون

أما عصرنا الذي أعيش فيه فهو عصر الرسوم والأشكال، وأخشى أن يمر بلا أثر صحيح في صحائف العقل والقلب والذوق

وإلا فأين الرجل الصالح الذي يحرك روحه على الزمام حدود الدين؟

وأين المفكر الذي يحرك إخلاصه للفكر على الزمام حدود العقل؟

وأين الأديب الذي يحدثك عن نفسه بصدق بأنه صادق كل الصدق؟

ومن أجل هذه الزعازع الفكرية والأدبية والدينية غرب عن الناس الفكر والأدب والدين، وأصبحت القلوب في مثل حال التراب المقتول

وهنا أجد الجواب عن سؤالك، أيها الأستاذ الجليل

فأنا أتحدث عن الحب بصفة جدية، وأنتقد أحداثه وأهواءه في كل ما أرى وما أسمع، وآية ذلك أني أتألم وأنزعج بعد أن رأيت قصيدتك في جريدة السياسة يوم ظهر كتاب « مدامع العشاق » وقد قلت إنه يعرض على الشهوات، سامحك الله وعفا عنك!

وأنا أجد في كل شيء، أجد في المحبة والعداوة، وأجد في الشك واليقين، ولست على حال المزاح، وكيف يصح وقتي للمزاح وما صفيت يوماً خالياً من الشقاء بالحب والناس!

فأنا أرسلها من غير حق، وما غيرك من غير حق، وما صنعتك صنعي وصاحبي إلا لأني أعرف أنك ساخر من فرح الحياة وحزن الحياة حيث ما أعاني. وأنا مؤمن بأنك تفهم عني

ما أريد ، لأنك تعرف من سريرتي ما لا يعرف سواك

فما رأيك في الحب ؟

ألا ترى أنه عاطفة تستحق أن نحاورها في جميع المسالك ؟

وإذا سكتنا عن تشريح عاطفة الحب فلن نتحدث عنها ، وعن مدى الفتنة عند الجمهور في تشريح النوازع والأهواء ؟

وهل يرضيك أن نصير إلى ما صار إليه من يختارون الموضوعات لتلاميذ المدارس ، وقد حذفوا جميع الأشعار التي تفصح عن أوطار القلوب

وكان جميع المعاصرين من « العارفين بالله » عشاق الأنس ومعان ، ولكن معاصرينا من الأساتذة يحسبون حديث الحب من القبائح ، ويرون آثاره من الفتنة الهوجاء ، وفيهم من يقضي لو سارت أنفاس بين أناشيد أم كلثوم وعبد الوهاب !

يجب أن نعرف أي ، مطلب الدكتور طه حسين الذي نشر أروع أحاديث الحب عن أهل الغرب ، والذي يحاول أن يطلع الجمهور المصري على تحرق للوسيلة الأوربية ، لأنه في رأيه من أسلم الأدوات للتعبير عن العواطف والأهواء

والأدبيون الذين نعرفهم لا يرون الحب من الترابح ، وإنما يرونه عاطفة أصيلة تنقل القلب من مكان إلى مكان ، وتسبغ عليه أثواب الصحة والعافية ، وتشرح عاطفة الحب هو عندي باب لتربية العواطف

وبيده علم الحب ؟

أمور يلفظ من الجهل بأخلاق زماني ومن التحرش لمناعة الأباطيل ومناعة الأراجيف !

ثم ، أنا أدعو إلى الاهتمام بتربية العواطف ، وليقل من شاء ما شاء

كل شيء في بلادنا موضوع اهتمام إلا العواطف ، والعواطف ستكون له أكثر أيسرها وأبعدها رياضة الشباب على رؤية الصدق الأكبر ، وهي أجمع الرذائل وأخذها تأثيراً في تكوين الشعوب

وهل نستطيع القول بأن الرأي العام عندنا يحس معنى المعاني ؟ وما الرأي العام ؟ أليس صدى لآراء الباحثين والموجهين وهم عندنا قوم حياتهم حواليهم بدون الحديث عن العواطف من مسرح القلوب ؟

وخمود العواطف هو الذي قتل الشاعر الذي عمره ، وهو الذي جعل المصريين أقل الناس إحساساً بمعاني الرجولة ، وإلا فحدثني عن أثر في شواطئ النيل من ملاعبه وما فيه من أوراق من شهوات ، حتى صبا الشعر والخيال ؟

هل حدثك عنا عن معاني الشاطئ تحدثه ؟ وهل تعرف أن إحساس المصريين بالجمال حول بعض المدن كان على أنه شيء قديماً هناك ؟ ومن تتم المنافسة في تلك المساحة المصرية وهي غنية ، رجل يشرحه مساء النيل وهو يجمع عقد الفن في شهر آب ؟

وهل حدثك عن حديقة الأزبكية ؟

أم سمعت من حديقة الأزبكية ليس فيها مكان تشرب فيه فنجاناً من القهوة أو الشاي إن جاءك أن تقضي فيها ساعة أو ساعتين هدية تفسك أو مطالعة جمالك ؟

ويتحدث الناس في هذه الأيام عن بحيرة قارون بجاذبية وتبدو حلاوة المكان لإقليم الفيوم ، فهل تعرف أنه لا يمكن قضاء ليلة بجوار تلك البحيرة إلا في فندق أنشأه هناك أحد الألمان ؟

وهل سمعت أو سمع أحد من أصحابك أن شاعراً مصرياً قضى ليلة أو بعض ليلة وهو يخاطب أمواج تلك البحيرة ؟

وما رأيك في ( بحيرة التمساح ) ؟

هل سمعت عنها خبراً في قصيدة أو رسالة أو كتاب لأديب من أهل هذه البلاد ؟

وهل خطر لك أن تقضي ليلة بجوار تلك البحيرة متأملاً من أطياف مدينة الإسماعيلية ؟

ولا موجب لتذكيرك بالأقصر وأسوان : فالناس جميعاً يعرفون أن الأجانب هم الذين تشوقهم تلك المغاني ، والسبب يرجع إلى قصر إقامة أسواق العرب بتلك التماثيل ، على أنس ويقال إطيب الصحة وأزكى السلام

وقال أحد بك فأخذك إلى تلك البقاع الفاتنة ؟

من الممكن أن تلقي درساً من دروسك بين الأشجار على مقربة من بحيرة الأرواب ؟

وهل تذكر أساتذة الذين جاءوا في جنوب ظلة الجامعة من أرسطاليس عند الدرج كما كان يصنع فلاسفة اليونان ؟

ذلك شيء سأن إحساسات الحياة بكلها يكون في حكم المفقود ، فما رأيك في الدعوة إلى الحب لهذا الزمن المملل ؟

وكيف نظن بنا الزمن ونحن نرى الحــديث من ذلك عمرنا من الزمن ؟

كيف وقد صيحت تقديم كتاب « ليلى المريضة في العراق » إلى جمهور جرائد المصرية فلا مرأ لاهتم كله تؤديني بلا موجب معقول ؟

وما رأيك إذا حدثتك بأني عجزت في مصر عن بعض ما قدرت عليه في العراق ؟

كنت أحب أن أؤلف كتاباً من « ليلى المريضة في الزمالك » أتصل به أسرار المجتمع وسرائر القلوب في هذه البلاد بطريقة روائية تفيض على شبابنا روحاً من أرواح الوجدان ، ولكني خشيت ملامة القارئين من أدعياء الأدب.

من أرجو أن يعز قلبك مما ينسب منه ظني !

لقد وضعت في الخطة بكتاب « ليلى المريضة في العراق » فأريد كيف أصنع وكيف تصور عصرك وزمانك كما صورت عصري وزماني . نحن نريد أن نتصل الناس بأحلامهم وأذواقهم وأوهامهم ، نريد أن يسيطر عليهم الأدب والفن بعد أن سيطر عليهم السياسيون بالتوحش الحربية والسياسية

هل أنت مستعد لاقتحام هذا الميدان ؟

نحن نفكر في خلق عصبية أدبية تعلو على العصبية الحزبية

ولن نصل إلى ذلك إلا يوم يؤمن الجمهور بأن الأديب هو الترجمان الصادق لشهوات الصدور ، والرسول لشهوات أعف وأطهر من شهوات الأحاسيس ، وتتجه الشهوات المثقفة بعد بنا إلى منازل الحكماء ، وبعضنا في الخلود

بقي أستطيع مصارحتك بكل ما أريد في خلق الحيوية الأدبية والفنية .

وكيف أستطيع وأنت كثير التلوم والتعتب ، ولا يصل إليك الرأي الصريح إلا مشوباً بتهمة التحامل عليك ؟

أنت على كل حال من دعاة الأدب ، وأنا أتيك على علاتك كما تطيق على علاتي

هل يكون من الفضول أن أصارحك بأنك لا تطيل على سماء الوجدان إلا وأنت غضب ، مع أنك تدري البدء في الإفصاح عن وساوس نفسك ، ونوازع قلبك ؟

وما عرفك وقد استظل بك أمر عصرك الأدبي وصار اسمك من أشهر الأسماء ؟

ما عرفتك من الاعتراف بأن فاطمة هي كــانت الشرح ؟

وما الذي يدعوك إلى الاعتراض حين أتكلم عن كتاب هذا أحسن شعراء العرب من النوع الوجداني ؟

أتخاف أهل الجمود ؟

إنهم ، يا سيدي الدكتور ، هم في شغل عن العصارة الحيوية ، ولن يتركوا لنا إلا بعد أن نفرغ من إعلام الناس بما يدعو شرح أوهام الفكر والقلوب

أما بعد فأنا أعلن حبي عليك ، لأنك جعلت الشماتة مع طلبتي من الاعتراض على قدامي بتشريح فاطمة حبي ، وأصارحك بأن هذه مدة أدنى ما حرص عليه ما دعت أمك القدرة على تشريح العواطف والأحاسيس

فأختم عليك ، يا سيدي الدكتور ، برضى الحياة والحب ، واعلم أن الاعتصام الصادق هو أغلى ما عند الرجال

وقد شاءت المقادير أن أستطيع مطالعتك في كل يوم بعد أن صرت معنا في وزارة المعارف ، وسأدعوك إلى عرضنا حزب الأمة الأدبية الذي يرى أقطار العروبة جسماً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والأنين

وستريك الأيام بعد قليل أن العراق الذي كنت احتكيت إليه في تقدير المعارف والعواطف لم يكن أحق بالوفاء . والله المسئول أن يديم عليك عافية القلب وهدوء الروح

زكي مبارك

---

# الإفصاح في فقه اللغة

معجم عربي * خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية

رتب الألفاظ العربية على حسب معانيها وصنفت بالضبط حتى يحصر الشيء أثره وزوجه للمعارف ، لا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير طبع دار الكتب

ثمنه ٢٠ قرشا يطلب من مجلة الرسالة
ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه

حسين يوسف موسى و عبد الفتاح الصعيدي

# الحق والقـــوة (*)

للدكتور ابراهيم بيومي مدكور
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

---

في هذا الجو المليء بالآلام والويلات، وفي هذه الساعات الرهيبة التي يحس فيها قلب العالم خفقاً ووجيفاً من مأساة لا يعلم مداها، ومخاطر لا يستطيع أن يقدر عواقبه؛ في هذه الساعات التي يعتدي فيها الأقوياء على الضعفاء، ويطغى المسلحون على العزل الأبرياء؛ وفي هذه الأيام التي حقت فيها حقوق الأمم ذات الأعمال الشخصية والتهبت بالقوة وطغت عليها وتلبس بثوب ذات الأصوات القوية؟ بل وفي هذه الأعياد السنوية التي كان يقصدها قديماً المسيحيون كما يقصدها اليوم المتحضرون، والتي كان حقاً من الأسلحة المحاربين؛ في هذه الظروف كلها رأيت من الخير أن أتحدث عن فكرة الحق والقوة.

وإذا ما تحدثت عن هذه الفكرة فإنما أعرض للمشكلة الرئيسية التي شغلت كل الفلسفة السياسية منذ أفلاطون إلى اليوم، هي مشكلة الماضي والحاضر، ويخيل إلي أنها ستبقى مشكلة المستقبل إلى النهاية. وكأن الحق والقوة ضدان لا يجتمعان وعدوان لا يتهادنان؛ يظهر لأحدهما الغلب ثم لا يلبث الآخر أن يسطو عليه وينتزع منه سلطانه؛ وما تنازعهما إلا صراع بين الروحية والمادية، بين المثالية والواقعية، بين الإنسانية والوحشية، بين الحضارة والهمجية. ولن أكون في حديثي هذا المشرع الذي يسن القوانين ويصوغها ويبين ما فيها من عقوبات وقصاص يعوزه حدود التنفيذ وعلم القانون، ولا السياسي الذي يهتم بالحلول العملية للمشاكل الدولية الهامة؛ وإنما سأعرض موضوع الحق والقوة من ناحيته الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية، فأبين كيف نشأت الفكرة وكيف تطورت وماذا كان لها من أثر في حياة المجتمع، ثم أشير إلى أوجه التقابل بينهما وموقف الفلاسفة والأخلاقيين منهما.

ليس من السهل أن نحدد بالدقة كيف واجه الإنسان الأول فكرة القوة، أهداه إليها حسه وبصره، وعقله وإدراكه؟ أم هداه إليها شعوره وقلبه وعرفه ووجدانه؟ وبعبارة أخرى هل عرفنا القوة لأول مرة في أنفسنا أو في الظواهر الطبيعية المحيطة بنا؟ وهل هي من أصل سيكولوجي أو من مصدر طبيعي؟ وهل هي وليدة العالم الداخلي أو الخارجي؟ وأغلب الظن أنها نتيجة هذين العاملين وثمرة هذين المؤثرين، فأدركنا القوى الطبيعية وعرفنا الإنسانية في الوقت الذي اصطدمت فيه الطبيعة بنا واصطدمنا بها. وكيفما كان الأمر فمنذ النشأة وللإنسان شعور غامض بوجود قوى في الكون متنوعة: طبيعية وإنسانية، مادية وروحية، ظاهرة وخفية، حيوية وإلهية. فإذا ما سألته عن حقيقة هذه القوى عز عليه كشفها وصعب عليه تحديدها، وكل ما تمكن منه أن يعرف بآثارها ويشعر بنتائجها، فيقول إنها ما يتم به التغيير.

بيد أنه على الرغم من كل هذا، يتردد الفلاسفة والاجتماعيون في أن يفسروا هذه الفكرة الغامضة في نشأتها والخفية في مدلولها، وكان لا بد لهم أن يعملوا ما داموا يدرسون التغير وعلله، إن في عالم الطبيعة أو في عالم الإنسان. فنرى الرواقيين في التاريخ القديم يذهبون إلى مذهب ديناميكي شبيه بذلك المذهب الذي سيصل به ليبنتز إلى القمة في القرن السابع عشر. يتصورون أن العالم كائن حي مشتمل على النار والهواء، فهي المبدأ الفعال المؤثر في المواد والأجسام المنفعلة، ولا يكون الشيء إلا بواسطتها. فالنفس الحارة أو النار هي القوة التي تضم أجزاءه وتدفعه إلى الحركة والتغير، وهي في العالم كامنة فيه تسيره على نظام ثابت وتخضعه لقوانين معينة. وإن فكرة المادة والصورة التي قال بها أرسطو ولم يوضحها تمام التوضيح وقفت في القرون الوسطى تلك القوى الخفية والخواص الكامنة التي هي مصدر التغيرات الكونية والأحداث الإنسانية، وإن كان وراءها قوة عظمى، هي قوة القوى وعلة العلل. وإذا كان لبيكون وديكارت رسالة جديدة في التاريخ الحديث إزاء المسائل الطبيعية فهي أنهما حولا عنها الصبغة الغامضة والصور الخفية التي وجدها المدرسيون. على أنه ليس يكون أن يتم علماً من آثار تلك الفلسفة المدرسية، ونحن في بحثه

---

(*) محاضرة ألقيت بقاعة الجغرافية في مساء الثلاثاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٩

الطبيعي وكأنه جلب من أمور ثابتة وصفات أولية للأشياء من سر تغيرها وتحيرها، وفكرة الحركة والدوافع التي ذهب إليها ديكارت ترد التغير في آخر تحليل إلى قوة وحيدة، إلى الباري جل شأنه. ولعل هذا هو الذي دعا ليبنتز إلى [illegible] بالقوى الروحية، فكان يتصور الأجسام كلها في صورة [illegible] بعيدة عما ذهب إليه ديكارت، ويعدها أشبه بمجموعة ذرات روحية منها نفوس من النشاط والإدراك يتفاوت على حسب صاحبها. وقد أبدعها وسلط فيها هو روح الأرواح ومنشئ الكائنات. وإذا كان مرجع التغير كله إلى الله فلم نبحث عن قوى وأسباب أخرى سواه؟ والأجدر بنا أن نرد كل شيء إليه سواء أكان من الظواهر الطبيعية أو الأحداث الإنسانية. وهكذا نرى مالبرانش يرد كل أثر من القوى الطبيعية كلها إلى الله [illegible] أن ليس ثمة قوة في نظرها غير تلك القوة الروحية.

هذا هو شأن القوة فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية، وليس شأنها بأقل خطراً فيما يتعلق بالأحداث الإنسانية، فقد سادت بسببها دول وزالت أخرى، وظل جبابرة وعلا آخرون. وللقوة في المجتمع مظاهر عدة: فهناك القوة المادية الملموسة، وإلى جانبها القوة الاقتصادية والاجتماعية، ثم قوة العقل والتفكير والعاطفة، وأخيراً قوة العزيمة الماضية وإرادة الشعوب التي دلت صفحات التاريخ. ولا يفوتنا في هذا أن نلاحظ أنه إذا كانت قوة الأفراد والطغاة هي التي سادت العالم بالأمس فإن إرادة الشعوب [illegible] عظيمة، فقد كانت حياتها أشد أثراً وأعظم إنتاجاً. ومن هذه القوة الشعبية ولدت الحركات الدستورية ونبعت النهضات الاستقلالية، وعنها صدرت قوة المذاهب والنقابات والأحزاب. وإذا ما شئنا الفلاسفة السياسيين في صفحات التاريخ العظمى، وجدنا أنهم إنما حاولوا أن ينظموا القوى المتجهة أو يوازنوا قوة على قوة دون سواها. فأفلاطون مثلاً أخذ نفسه بالتوفيق بين قوى المجتمع المتباينة بين حراس المدينة من جانب، والمنتجين من صناع وزراع من جانب آخر، والحكام والفلاسفة من جانب ثالث؛ وأراد التوفيق في الفرد بين الشجاعة والشهوة [illegible] والعقل. ومكيافيلي في عصر النهضة أو هوبس في أول التاريخ الحديث، [illegible]

إنما نصروا قوة الفرد وأيدوا الحكومة [illegible] أما [illegible] الناصحة بحكم [illegible] ماركس و[illegible] فقد نصروا قوة الشعب كل الانتصار، ووضعوا دعائم النظم الدستورية والنيابية الحديثة. وإلى جانب هؤلاء وهؤلاء نجد جورج [illegible] و[illegible] وسعد [illegible] على رأس النهضات الاستقلالية، كما نجد كارل ماركس يصور قوة اليد العاملة في أوضح صورها ويطلق حقوقها إزاء أصحاب رؤوس الأموال.

في صف النهضات على اختلافها والثورات على تنوعها ما يشهد لما للقوة من أثر في حياة المجتمع، بل نستطيع أن نقول إن المجتمع الإنساني مجموعة قوى متعددة متعاونة حيناً ومتعارضة أحياناً أخرى. وسعادة الأمة في أن توجه هذه القوى في وجهاتها اللائقة، وأن تتضافر على غرض أسمى. وأي نظام سياسي لا يستمر ولا يطرد، بل ولا يحيا ولا يثبت إلا إذا كانت وراءه قوة مادية وروحية تحميه وتسنده.

(يتبع) إبراهيم مدكور

---

# قابليات العناصر البشرية

## للدكتور جواد علي

نشر الكاتب السياسي الفرنسي « جوزيف آرثر كونت دي كوبينو » Graf Arthur Gobineau كتاباً في أربعة مجلدات ظهرت بين عامي ١٨٥٣ – ١٨٥٥ بعنوان « عدم تساوي العناصر البشرية » Essai sur l'inégalité des races humaines فأثار على مؤلفه سخطاً شديداً ولا سيما من الهيئات الكاثوليكية وأنصار مبادئ الثورة الفرنسية، كانت شهدت طرد الرجل مراراً من السلك الدبلوماسي الذي كان ينتسب إليه.

وقد استقى كوبينو آراءه من مصدرين: مصدر التتبع والبحث الشخصي الذي قام به خلال عمله السياسي للحكومة الفرنسية في طهران والهند والشام، ومصدر العلم الطبيعي الذي كان إذ ذاك يغلب عليه الطريقة القديمة القائمة على التجارب والاختبارات. فقال باختلاف الأجناس وتباين العناصر البشرية كما هو الشأن في النباتات والحيوانات. وقد كانت هذه نظرية قال بها العالم الألماني الشهير بلومنباخ Blumenbach (١٧٥٢ – ١٨٤٠) والعالم الفرنسي كوفييه Cuvier (١٧٦٩ – ١٨٣٢) غير أنه زاد عليها بنظرته في اختلاف القابليات العقلية والاستعداد الخلقي والثقافي، فتوصل إلى أن التاريخ البشري وتطور الحضارة نتيجة عقلية ونفسية هي العقلية الآرية التي تشمل الشعوب الأوربية المتقدمة الأوربية. وتخص من هذه الشعوب أيضاً الشعوب الجرمانية ذات القابليات في الإبداع والابتكار والسيادة والإدارة والزعامة في جميع نواحي الحياة[1].

وكانت أول أرض أنتجت هذه الدعوة هي الأرض الألمانية التي كانت تنمو فيها الروح القومية، وتظهر بأجلى مظاهرها، ووسائلها الفيلسوف الألماني فخته Fichte بعث فكرة القوميات في أوربا وغيرها بلدو ولا شك في تأثير هذه الآراء. وكذلك فلسفة هيكل Hegel التي تقسم العالم إلى أدوار مبتدئة بدور الشرق ومنتهية بالدور الجرماني الذي هو في نظره خير

الأمور العالمية، وأكثر أسفاً إلى تلك الآراء التي قال بها الألماني الشهير « دريتشكه »، والكاتب الاجتماعي الألماني فريدريك ياهن Friedrich Jahn والزعماء الألمان الذين قام بحبهم حياتهم، وآراؤه معروفة في القوة وتمجيد الحرب.

ومن أشهر من تأثر بهذه النظرية الكاتب الإنكليزي الأصل H. St. Chamberlain تشامبرلين ١٨٥٥ – ١٩٢٧ مؤسس الفلسفة التاريخية الأولى وأول فيلسوف حزبي أشاع هتلر آراءه بين معاصريه. والرجل مع أنه إنكليزي يختلف عقلية عن العقلية الإنكليزية، كان يحب الألمان ويحب وطنهم ووراثتهم وعاد ألمانياً يخلص للألمان ويدافع عنهم ويطعن على الإنكليز وصار لسان حالهم في سياسة الألمان في الحرب العظمى. اعتمد هذه النظرية فأعلنها في جميع أعماله متحمساً يشيد بالعامل الجرماني. ومن كتابه الشهير « أسس القرن التاسع عشر » الذي ظهر في سنة ١٨٩٩ Grundlagen des 19 Jahrhunderts بجملة أفكاره، وقد ترجم إلى لغات عديدة وطبع عشرات المرات.

يرى في كتابه هذا أن الحضارة البشرية من أولها إلى آخرها صنيعة العنصر الجرماني الآري. وكل حضارة ظهرت أو نشأت في وسط لا صلة له بالعنصر الآري، ولا علاقة له بالجرمان، فمصيرها الزوال عنه كالقاصر العاجز. يحاول تحليل الحضارات ليرد الفضل للسبب وهو العنصر الجرماني الذي حصر من بين الشعوب بجدارة هذه البشرية والشهادة العالية. حتى المسيح أو الأنبياء يرى أصلها من الجرمان، ومن الجرمان ذهبت إلى الشرق. وعلى ذلك فكرة كونها شرقية شيئاً لا يعتبر. وكذلك آراء العلماء في أن الحضارة أصلها من الشرق لا يرى لها صوتاً ولا دليلاً. والشعوب الأخرى كلها مقلدة لم تنتج من عندها شيئاً. والحضارة الغربية التي ظهرت حديثة كبقية الحضارات القديمة إلى حد سببها حضارة في صورة ظاهرية لفعل آري مكتوم[1].

ثم كان لتشامبرلين في الأوساط الألمانية أثراً كبيراً ولا سيما في الأوساط السياسية منها والأوساط الشعبية والرجعية المتطرفة، إلى درجة جعلت يعتقد أن هنالك مهمة واجبة تقع على عاتق الألمان الجرمانية، وهي مهمة سيادة العالم ومن الإشراف عليه، مهمة تكاد تكون مقدسة. وحدثتنا بعض المصادر أن القيصر الألماني كان معجباً بمؤلفات الكاتب أيما إعجاب، ولا سيما الزعامة الألمانية والمتطرفين

---

(١) انظر كتابه في طبعته الفرنسية وكذلك كتابه في اللغة الألمانية بعنوان Graf Arthur Gobineau, Die Ungleichheit der Menschenrassen, 1935.

(١) راجع كتابه Die Grundlagen des Neunzehnten Jahrhunderts الجزء ١ ص ٤٩، Seite ٢٢٩

بالدم الجديد ، على أساس القوة والسيادة التي هي من صفات الجرمان ، وأن السكان بعدها وكذلك الفيلسوف النمسوي الاجتماعي Othmar Spann كان من أهم أبطال الدعوة إلى الحرب حيث [illegible] ألمانيا الحرب بحجة أن الحرب أساس كل حضارة ، وأثبت أن العنصر الجرماني هو العنصر الفعال الذي تقع على عاتقه وحده أمور العالم وحقوق التصرف منذ آلاف السنين[1]

وفي سنة ١٨٩٤ أسست هناك جمعية عرفت باسم « جمعية كوبينو » تقوم بإعلام أبحاث هذا العالم ونشر آراء هذه الجمعية [illegible] وكان Woltmann قد ألف كتاباً عن عصر النهضة في إيطاليا ورأى إلا أن يرجع أصل جميع علماء النهضة في إيطاليا وإيطاليا إلى أصل جرماني شمالي . وعرف هذا الكتاب بعنوان Die Germanen und die Renaissance in Italien, 1905 أنشئت بعد الجمعية جمعية أخرى عرفت باسم « جمعية [illegible] الأبحاث العنصرية الألمانية » أسسها Alfred Ploetz [illegible] مهمة البحث العنصري على أسس طبيعية تجريبية لا على الطريقة التاريخية الفلسفية [illegible] إلى طريقة Blumenbach وهي الاستعانة بأشكال [illegible] في تقسيم العناصر البشرية من حيث الجسم وتكوينه [illegible] وهي الطريقة التي اتبعت اليوم في ألمانيا بعد سيطرة هتلر عليها وخضوعها لإرادة النازي وآرائه

وأصبحت فكرة العنصرية خلال الحرب وبعد الحرب ولا سيما بعد استيلاء اليهود على معظم الكراسي في [illegible] وتشكيل [illegible] بعد ثورة شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ إذ حصلوا على أغلبية كراسي الحكم [illegible] أسس الجريدة العنصرية [illegible] إلى [illegible] وطنية [illegible] تطهير ألمانيا من العناصر الأجنبية وإحياء الأخلاق الجرمانية القديمة [illegible] الأوربية الغربية [illegible] تحارب كل فكرة تدعو إلى المساواة بين الشعوب والطبقات [illegible][2] ظهر هناك أساتذة وكتاب أمثال أدولف بارتلس Adolf Bartels و Rosenberg و Günther و Clauss و [illegible] و Lenz و Scheidt وغيرهم استغلوا [illegible] العنصرية [illegible] والنوردية [illegible] [illegible] للدولة الألمانية [illegible] الدولة الألمانية الثالثة

غير أن هناك جماعة من الفلاسفة [illegible] ألمانيا [illegible] من طريق آخر وهو طريق الثقافة [illegible] العناصر الغريبة [illegible] إلى عنصر [illegible] على ذلك [illegible] أخرى [illegible] الرأي و تركيب الجسم [illegible] الشعب الأمريكي الذي [illegible] رأس جديد لا هو [illegible] ولا هو [illegible] ولا [illegible] لا [illegible] [illegible] مع [illegible] البطيء أو [illegible] وكذلك [illegible] شكل [illegible] [illegible] الألمان ، وكذلك [illegible] ، وكذلك [illegible] من عناصر مختلفة ، ومع ذلك [illegible] في الأرض [illegible] في [illegible] والناحية [illegible][1] [illegible] من ذلك [illegible] وطنيه كذلك ، [illegible] اليهود والألمان [illegible] في الخارج ، [illegible] أجنبية عن طريق الثقافة [illegible] ، ويكون ألمانيا [illegible] بدلاً من [illegible] [illegible] على الشعب الألماني

غير أن استيلاء هتلر على [illegible] تقضي على كل معارضة [illegible] العنصرية ، [illegible] كتاب [illegible] وأخذ Günther [illegible] للألمان [illegible] الموجودة في ألمانيا ، [illegible] إلى وجود [illegible] أصلية [illegible] أخرى [illegible] الألمانية [illegible] إلى [illegible] في [illegible] من [illegible] [illegible] ولكن هناك مع ذلك اختلافاً أيضاً في التقسيم ، هل [illegible] الظواهر الخارجية والتركيب العضوي [illegible] [illegible] ، أو العوامل الروحية [illegible] أو كلاهما ؟ [illegible] [illegible] للأستاذ . Fischer و Lenz و Scheidt و Clauss وغيرهم . وقد [illegible] لأجل ذلك [illegible]

(1) انظر Die Gesellschaft [illegible] سنة ١٩٢٢ [illegible] ص ٩٨ وكذلك [illegible] Othmar Spann في [illegible] [illegible] والتي طبعت في سنة ١٩١٣ بعنوان Zur Soziologie und Philosophie des Krieges 1913

(2) انظر كتاب Georg Steinhausen بعنوان Der Po[illegible] [illegible] Deutschlands 1927

(1) انظر كتاب « [illegible] الغرب » [illegible] Oswald Spengler الذي [illegible] في أوربا [illegible] ١٩١٨ بعنوان Der Untergang des Abendlandes وكذلك كتاب [illegible] Sprache [illegible]

وتجربات تقوم بها تجارب الخلقة فيكون هو جديد كمآثر الشعوب الأخرى التي لم تقل يد أعجمها

ويمكن أن نعتبر هذا العلم الذي سيكون حديثاً بحث المادة طرأ في ألمانيا الحالية ، عليه أن يقسم العناصر البشرية إلى أجناس وفروع ، وإلى أمم منحطة ذات مرتبة مع الأمم الجرمانية الراقية ، وإلى أمم كتب عليها ألا تقوم في التاريخ بأي دور أو بحث كالشعوب السامية والملونة وما يتفرع منها[1] ووظيفة العلوم الألمانية الحديثة أن تكشف عن هذه الحقيقة. ولا شك أن تلك مهمة صعبة شاقة ولا سيما أن العلوم الطبيعية منها. فالتاريخ يجب أن يكتب وأن ينقح ، والقرون الأولى خاصة التاريخ الجرماني وتاريخ أوربا ، ثم ينتقل إلى التاريخ الأشوري والبابلي والمصري والحوادث التاريخية والحضارة البشرية يجب أن تعيد تجربة تأثير على العنصر الآري الشمالي الذي هو بذرة كل حضارة. وتلك مهمة صعبة جداً كما يظهر ، فلذلك لاقى أساتذة التاريخ خصوصاً المتخصصين منهم صعوبات في هذا الفن ، أدت إلى إخراج معظم مدرسي التاريخ من الجامعات وإحلال عناصر جديدة من الشبان محلهم ، وكذلك في مدرسة الفلسفة وعلم التربية والاجتماع والاقتصاد وغيرها بل حتى العلوم الطبيعية منها يجب إحلال أعمال وأسماء الأساتذة الذين تحب أن تمت بالعرق الآري أو تنسب

أسس الحضارة الحالية والقديمة وكل إنتاج بشري عقلي أو مادي هو « السلالة » مثل الشعب الآري فلذلك يجب أن يحافظ على دمه من الاختلاط بالدماء الأخرى ، إذ متى اختلط الدم الآري فسدت حضارته العظيمة المتكاملة وذهبت الحضارة الأوربية إلى الأبد وذهبت الروح والخلق[2] ، وسقط العنصر الآري إلى أسفل درجة من الضعف والاضمحلال[3] وعلى هذا وضعت قوانين « نورنبرغ » التي تمنع أي آري في ألمانيا من الزواج بغير الآريين ويعاقب المخالف بأقسى العقوبات ، وكذلك في طرد غير الآري ، أي الذي ينتسب إلى أب أو أم غير آريين ، أو ربع آري أي الذي ينحدر من جد أو جدة غير آري — من وظائف الدولة في مثل هذه الأجسام

(١) أنظر مثلاً كتاب هتلر « كفاحي » Mein Kampf في مواضع مختلفة ، وكذلك كتب روزنبرغ وكوبلز وكيتز وغيرهم

(٢) انظر كتاب « كفاحي » لهتلر ج ١ ص ٣٢٠ وكذلك Werner Alfred Rosenberg: Der Mythus des 20. Jahrhunderts, Hitlers ... ص ٦ وكذلك Walther Darré ج ١ ص ٣ و Günther وغيرهم

(٣) انظر المراجع وكتب الشخصيات النازية الأخرى كما ذكرت في مقالاتي

بين هتلر وغيره من النازيين وفي مقدمتهم « العنصر » هذه الفكرة « العنصر » قد دام الأمر هو العنصر الأقوى الذي يجب حفظه حتى يتحقق الغاية ، وإن تلك الصفات الجليلة التي كثيرة في سبيل تربية الأجسام؟ ومن الغريب أن هتلر يرى أن الشعوب الجرمانية كانت تحافظ على الشعب القوي وكانت تدافع عنها شكراً بالشكر لاختيار الشعب الجرماني وحده من الشعوب وحمايته في الشعوب الأخرى للإنتاج والعلم والابتكار

مسألة مشكلة وهي كل مشكلة ، ولذلك يجب تقوية الجسم والمحافظة عليه في الأمة حياً سليماً. ومتى حوفظ عليه حوفظ على الحضارة والمدنية البشرية ، والسيادة الأوربية محصورة في وحدة الدماء والقوة في وحدة الدماء ، والجمال والفن كذلك

هذه هي خلاصة الوطنية الاشتراكية ، تجمع الروح ونهاية اللذة. ومن الغريب أيضاً أن النازيين الذين يقدسون هتلر في كتبه يجعلون الوحدة الروحية محصورة للدم ، مع أن هتلر وروزنبرغ يتحدثان في آخر بحثهما الثانية عن وجهة نظرهما الفلسفية في الروح

من هذه النظرة ، ومن شعبها الأوجينيك Eugénik Eugenetik وهي علم وفلسفة الوطنية الاشتراكية في نظرية العنصر ، مدينة بهذا للمبادئ العامة والقواعد التي وضعها العالم الفرنسي Francis Galton ( ١٨٢٠ — ١٩١١ ) والتي أطلق عليها الاسم العلم الأجل تكوين أجيال صالحة بصحة الجسم بقواعد عرفت « بقواعد كالتون » Galtonsche Regel ، والتي تعتمد على الوراثة في الدرجة الأولى ونظريات Mendel ( ١٨٢٢ — ١٨٨٤ ) و Gregor Mendel و Jean Lamarck ( ١٧٤٤ — ١٨٢٩ ) وغيرهم

أوجد النازيون الألمان في زمانهم إصلاح الأجناس بالإصلاح العنصري لتقوية الأجسام وتقوية النسل والإنتاج بالطرق المباشرة ، كما كان في الإصلاحات الأخلاقية والأديان السابقة وأراد الفيلسوف الألماني Feuerbach إصلاح الإنسان بالأكل والشرب وأراد النازيون إصلاح المجتمع بالأفكار القديمة ، وأراد هتلر تنمية الجسم والمحافظة على الجنس بتقوية الدماء وكل له في هذا العالم مذهب ورأي ، واستكمال نواحي العقل والفكر لكل شخص أن يقرأ ويرى كما يرى في دور الصور المتحركة دون أن يسخر من كل رأي أو يضحك من كل فكرة

محمد علي
خريج جامعة هامبورغ بألمانيا

# هـــذه هي ... !

## للأستاذ كامل محمود حبيب

أحب أن تعرفوا من أجمل عزم ... واعترفت بالجميل الجميل الوفي
والسر لولا ... ما ... وكل ... قلبي وصبري
« ... »

أطرق الرجل ساعة، وأنا بإزائه أتفرس فيه، وهو رزين الهيئة مضطرب الخواطر ... وجرى صوته، وأدرو ... شبابه .. وبدت في عينيه عبرات مترقرقة يدفعها اليأس ويحبسها الحياء، وعلى شفتيه آهة خفية لا تجد لها متنفساً .. وبدت لي خواطره تصطرع في رأسه، وهو يشعر بالقسوة في نفسه، ويضغط على ... في ألم ... فأردت أن أجذبه إليّ، فقلت «ما بالك ... وقد خلا بنا المكان؟» قال «إن في النفس حديثاً طويلاً، ولكن أأنبئك رجلاً ... في حياتي!» ووقفت رنة صوته، حتى خيل إليّ أن آلام قلبه تختلج في صدره، فحسبت في حديثاً كله أسى، ثم قال: «... وأنا لا أستطيع أن أؤمن بأنك أنت صاحب «زينب» ومن ضحيته «شهامة كاملة»، وكيف يتأتى لك أن تكتب ... وما في ... إلا الأسى والفاقة، وإلا الجوع وقلق بيته، وإلا الصحة و ...»

قلت: «يا سيدي، إن المرأة لا تجلب السعادة، ولكنها تبدأ تنسج ...!»

قال: «كأنك ترى أن تصف المرأة خلقت شقاء للمجتمع الأمر؟»

قلت: «نعم، لا!»

قال: «وهذا ... المرأة ... بقلبك معاً؟»

قلت: «... أفلا ترى أن المرأة كالماء الآسن حين تنعكس عليه أشعة الشمس الذهبية، يبدو جميلاً ساحراً ... فإذا اقتربت منه اضطربت في الحس والرجل معاً!»

قال: «وهذا معنى آخر ... يضطرب في نفسك، فهل لك أن تسمع قصة ... ما ...!»

قلت: «هات!»

قال: «أنا أنا، فقد نلت من المرأة ... كبير .. كنت ... زوجتي في ... من ... ودعة من الزمان ورغد في البال، وأنا موظف في الحكومة ... لي ما يكفي ... وفي القناعة والرضا، وهي لا تسخط على كل الأشياء ... الأيام، وأنا أجد فيها سلوة من الآلام، ... الأليم، وشفاء من الأم، وقد سلبتني ... يد القدر ...

ثم ضربني الدهر ضربة واحدة، فقذف بي بين دائي الفراش لا أبرأ ولا أستقل .. وانطوت الأشهر وأنا بين الطبيب والدواء والحكومة في ... آخر، فالطبيب ... لا ... السيل ... والدواء لا ينفد ولا ينقطع، والحكومة من ورائها ... عليلاً ... وأحسست بحاجة إلى ... رويداً رويداً ... أن تجد ... القدر وقد ... منه، أو أن ... إلى قلبها الملل وقد طالت علتي، وفي رأيي أن أمرها ... تتطلع إلى ... قلبه ... وهي شابة ... الأنوثة

ونشرت على عيني أمّ حديث نفسي، وسرحت الطرف إلى ... ووساوس .. وجاءت الزوجة ... تترقرق ... حديثاً «كيف أعيش حتى الآن؟ ... إلى جانبك ... لا ... منك إلا ... والسكر، ولا الزيارة والصحبة؟ ثم أنزع ... وأنت بين الأرض والقبر، لا أكون ... آخر ... طيبة ... ترجعه؟!»

واطمأنت نفسي إلى حديثها، فسكنت

لقد كانت ماكرة غادرة، غير أنها ... ، فأخذت ... من أدران نفسها

ألمت بي الحاجة فخرجت من ... إلى ... وبهجة، وسكرت ... إلى ... إلا ... منها ... ، وجاءت أمي ... أن ... على ... بكلام ... من ... والزهر، فأبت كبرياؤها أن ... على حين ... ، وليس لي من أفزع إليه سوى أمي، وهو بين أولاده وزوجه ... في ...

وأحسست من الزوجة ... والإهمال، حتى ... من ... بين ... تزور أمها ... وهي تنطوي عني ساعات من النهار؟ وأنا بين الشك واليقين لا أستطيع أن أمسكها ... وبلا ... ولا أن أرسب ... الرجعة ... وما ... الأرض ... وسلق بي ... الحكومة ... ، والحكومة ...

على الرغم من الإعدام . وظلت زوجتي تناضل وتسعى في سبيلي حتى أرسلت الحكومة إليّ مكافأة مالية لا تزيد عليه ولا تدفع ضراً ، بعد أن قطعت عني شكوى حرّى . . . أرسلتها الحكومة فأخذتها الزوجة وطارت . . . طارت أحوج ما أكون إليها ، فنسيتني وحيداً على فراش المرض والسنين ، لا أجد إلى جانبي سوى عظم صبيّة لا تستطيع شيئاً »

وسكت سكتة طويلة حتى انحدرت العبرات على خديه ، ولحف اليأس من صحته لا يستطيع كتمها . قلت : « لا بأس عليك يا صاحبي ! » قال : « هذا شيء ، ولعمري لقد كنت أمني بعد أن يسر أمرها لي ، وماذا أرجوه على عينيك » قلت : « لا ضير ، لقد طاوعت فلا شيء نعت بك من هموم الحياة ، لقد طاوعت فيم كان ! »

قال : « وهذا أخر رجعه من سكنه على حين قد حضرني من ثم عاملت بالنعماء ، وكانت الزوج تعبث بالذي وعدة الصحة ، وتحدثت إليّ حولي ساعة من زمان ، فإذا زوجتي عروبه حتى وراء الباب تتطلع ، وصحت تصفني بلمة المحاكم الشرعية ، والمحاكم الشرعية تسعى في عقل المرأة انتقام وتنكيل ، وفي عقل الرجل ثأر واقتصاص ، وفي رأي الزوج ضيق وسجن ، وفي عين الغريب وجود ومطلة ... فإذا ما قول الزوج ولما أبها الأحمق ، إلى زوجتك ؟ » وللغريب : « أيها العاشق ، بك إليك ! »

ومضت سنة لا أبرح السجن إلا ريثما أعود إلى ... ، وما في يدي ما أستطيع أن أدفع به نفقة الزوجة ولا نفقة القاضي . ثم أطرق وقد نفث حديثه في روح الأسى والحزن ، ولاح في نفسي شيئاً يعتصم ... ثم قلت : « وفي ؟ » قال : « أما هي فقد ... أيام عشق بين جوانب حب الحديد ، ثم سكرت به بعد أن ... فإذا هو زوجها » قلت : « أشد أوجع الرجل من المرأة »

فقال في هدوء : « من النساء كل قتيل يقتصه الله في عنق من جناه ثم لا يخرجها إلا هو »

قلت : « صدق رسول الله ، فعلام إذن تذهب نفسك حسرات ، وأنت ما تقا في شبابك ! »

قال : « لا بأس ، فلقد قر رأيي على أن أطوي الماضي لأكون رجلاً جديداً »

قلت : « نعم ولتكون رجلاً ... رجلاً عليك الرجولة »

**كامل محمود حبيب**

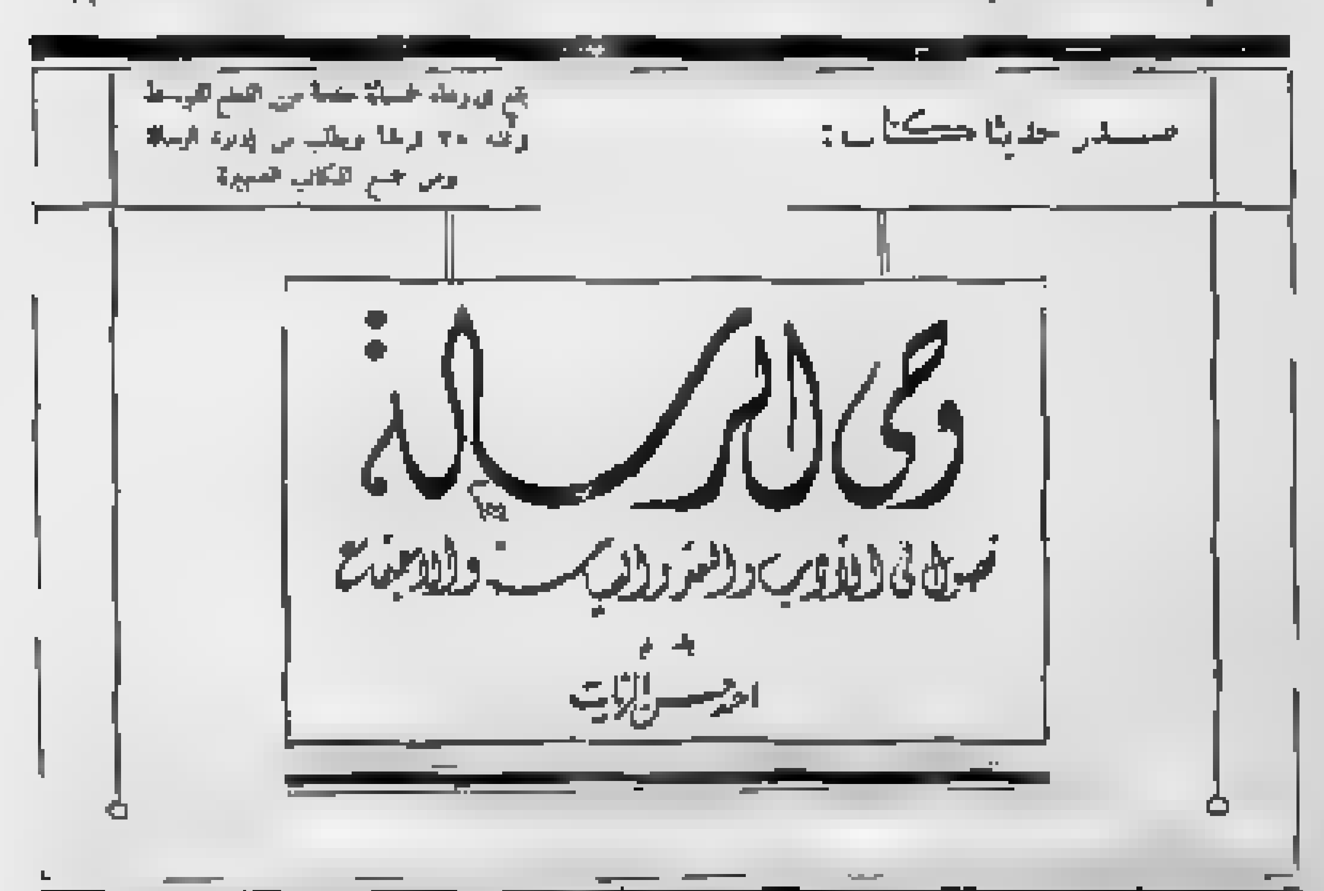

[illegible]

# أثر الإيحاء في جلب التفاؤل

## للأستاذ علي الجندي

١

للإيحاء سلطان كبير على النفوس، يدفعها إلى القيام بأعمال جليلة ما كانت لتقوم بها لو خلت من ذلك الحافز القوي.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن جل الناس يعيشون في زحمة الحياة ومعتركها التي لا تهدأ بتأثير ذلك الإلهام الباطني وإن لم يشعروا به أحياناً لأنه أشبه شيئاً بالسحر.

ومن عمل الإيحاء [illegible] أنه يجدد عزائمنا ويستحث [illegible] ويملؤنا رجاء وأملاً، ويهون علينا تجشم المصاعب والصعوبات.

فالتاجر لا يقتحم [illegible] المخاطرة ويقبل عليها بنفسه وماله، إلا إذا ألهم نفسه أن من وراء ذلك المكسب الطائل والربح الوفير.

والجندي في ساحة الحرب إذا [illegible] الروح المعنوية — وهي من الإيحاء — [illegible] أسلحة القتال، [illegible] أن يكون شجاع القلب [illegible] وقد [illegible] فارس الإسلام علي بن أبي طالب [illegible] كيف [illegible] فأجاب: كنت أرى [illegible] أنه [illegible] وهو يعتقد أني أقتله، فكنت أنا [illegible] عليه.

والإيحاء [illegible] يؤمن به أطباء هذا العصر كل الإيمان ويستعملونه علاجاً ناجعاً في شفاء الأمراض العصبية والعقد النفسية [illegible]. وقد حدثني بعض من درسوا الطب [illegible] أن الأم هناك تعود طفلها قبل النوم أن يقول [illegible]: إني سعيد [illegible] والمرض [illegible] لا [illegible] إلى [illegible] ومستقبل حياة [illegible] بالأمل [illegible].

وأعرف [illegible] أن [illegible] من أهل [illegible] وهو مرض موروث كثيراً ما [illegible] من [illegible] عن أداء الواجب [illegible].

كما أشهد أني [illegible] في مرض [illegible] كتب [illegible] مكرراً [illegible] في [illegible] حياتي الأدبية، ثم [illegible] الكتابة [illegible] الصبر [illegible] وأن من [illegible] وأن الشعر أروع [illegible] واجب

حصراً ولا [illegible] مكانه غيره، ومن [illegible] إليه [illegible] أحد إلى [illegible] وليس التشاؤم إلا [illegible] من الأوهام [illegible] في [illegible] الإيمان، ويمكن التخلص منها بالإيحاء.

وهذا الشؤم — أو الإيحاء — [illegible] الناس قديماً لأنه [illegible] فطري، إذ لا يخرج في حقيقته عن [illegible] التي [illegible] أحياناً [illegible] في [illegible] ويستقل [illegible] القلق والاضطراب.

ولنعرض الآن صورتين متشابهتين [illegible] في الأولى التشاؤم [illegible] كريه [illegible] الموت والهم [illegible] وتتجلى في الثانية التفاؤل [illegible] والبهجة والإيناس!

في الصورة الأولى نرى (ذا الرمة) الشاعر [illegible] غراباً [illegible] فوق [illegible] فتمثل له [illegible] أن الغراب [illegible] الاغتراب [illegible] البين [illegible]

ولكن كيف [illegible] التشاؤم [illegible]؟ [illegible]

قال ذو الرمة:

رأيت غراباً [illegible] فوق بانة ... من [illegible] ورق [illegible]
فقلت غراب لاغتراب [illegible] ... [illegible] ذلك [illegible] والزجر

ومثله [illegible] في قوله:

[illegible] شوقاً ... [illegible]
[illegible] ... على [illegible] (١) [illegible]
فكان البين أن بانت سليمى ... وفي الغرب اغتراب غير دان

وفي الصورة الثانية نرى الأمر على عكس ذلك مع أن [illegible] التشاؤم [illegible] كثيرة [illegible] عقاب، وطلعة حمائم تنوح على شجرة [illegible]، و[illegible] ساقط على [illegible]، [illegible] من دم [illegible]!

وكانت هذه القرائن الغريبة التي [illegible] التشاؤم [illegible] بأن [illegible] ولكنه [illegible] من [illegible] الموت، ولو [illegible] أن كل [illegible] من [illegible] و[illegible] أن [illegible] الشؤم في [illegible] وأصل [illegible] قال:

[illegible] ... [illegible] نسيح
[illegible] ... [illegible] ذبيح
عقاب بأعقاب من النوى بعدما ... جرت [illegible] طروح
وقالوا: حمامات [illegible] ... [illegible] طليح
وقال [illegible] ... [illegible] بالنجاح [illegible]
وقالوا: دم [illegible] ... ودام لنا [illegible] صريح

[illegible] القول [illegible] عند كل [illegible]

(١) [illegible]

فكأنني [illegible] الأمثلة وهي ما هي من البيان

دخل الحجاج الكوفة متوجهاً إلى عبد الملك فصعد المنبر، فانكسر تحت قدمه لوح، فنظر إلى أن الكوفيين قد تطيروا له بذلك، فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله وقال: شاهت الوجوه وتبت الأيدي وبؤتم بغضب من الله. أإن انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم؟! ألا وإني على أعداء الله [illegible] لأمكن من التراب الأيبع، وأشأم من يوم عصيب مستمر

وخطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان، فسقط القضيب من يده، فتطير له عدوه بالشر، واغتم صديقه، فعرف قتيبة ذلك فقال: ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافر

وكان الوزير أبو نصر الكندري يتولى في أول أمره [illegible] الناس، وكان الباخرزي [illegible] في العرض فقال مداعباً إياه:

أقبل من كندر[١] مسيخرة ... للنحس في وجهه علامات

يمسي ذور الأمير وهو فتى ... موضع أشغاله الطرقات

ثم ارتفعت الحال بالكندري حتى صار وزيراً محنكاً، فورد عليه الباخرزي وهو في صدر الوزارة [illegible]، فلما رآه قال له: أنت صاحب (أقبل من كندر مسيخرة)؟ قال: نعم، فقال الكندري: مرحباً وأهلاً! إني تفاءلت بقولك (أقبل —) ثم خلع عليه قبل أن يستنشد مدحه فيه. ومن الأمثلة الشعرية قول [illegible] من شعراء [illegible]:

[illegible] ... [illegible] من اليمن [illegible]

كتبت إليه: هل تجود بزورة؟ ... فوقع «لا» خوف الرقيب المشفق

فأبيت من «لا» إلا التيمن فأولا ... كالمتقلب «لا»[٢] ثم أعرض

وبعض [illegible] من شعراء اليتيمة:

إنما معناك الوداع قصير ... ولا يهولنك البعاد

وانتظر العود عن قريب ... قلب [illegible] الوداع (عودا)

ومن أروع الشعر في ذلك ما كتب به أبو الفضل الميكالي إلى قوم من أهل (مرو)[٤] اعتذروا من طاعته [illegible] في الأرض فساداً! قال:

[illegible] أما أتى خبر [illegible] ... يلزم [illegible] على الطريق النهم

أبلغ [illegible] يوماً [illegible] ... [illegible]

إذ قدموا ظلماً على سلطانهم ... [illegible] القسم للمطيع

وعلى [illegible] ولاية ... [illegible]

أجسم أو اعتنف لتعلم ... [illegible] في القوم أسوأ موقع

أما [illegible] ... من حل [illegible] يومهم [illegible]

[illegible] منهم ... أدوى [illegible] الأشنع

والشعر [illegible] ... [illegible] والأشنع

[illegible] ... [illegible]

ويلاحظ في هذه الأمثلة أنها من نوع الإيحاء الذاتي «إيحاء الإنسان إلى نفسه» وسنجمع في مقال طائفة من صور الإيحاء الخارجي، فيه قرة العيون وشفاء الصدور والله المستعان

علي الجندي

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٤) [illegible] خراسان

من الصور

# هـــذا القطيع...!

[إلى [illegible]]

وهنا [illegible] مشتبا

[illegible] أعناقه القيد ودمعه

من كل [illegible] جهودة

[illegible] يجرح [illegible]

ليس [illegible] قبل [illegible]

و[illegible] الشمس [illegible]

ويبكي الغرام [illegible] أرحم [illegible]

[illegible] الفصحى [illegible]

كذب [illegible] في [illegible]

[illegible] الأعين [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] أنه [illegible]!

[illegible] آمال [illegible]

للمستمعين [illegible] رغبة؟

[illegible] هذا القطيع، فإنه

[illegible] في القانون [illegible]!!

محمود حسن إسماعيل

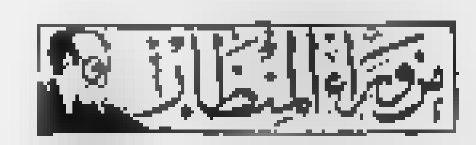


## من الماسح إلى الفلاح

عدت إلى القرية منذ بضعة أيام، وقد أغراني الصحو والبهجة أن أتم هنا عطلة يوماً أو يومين في ملاعب صباي ومسرح هواي ومهد أحلامي؛ ورحت في رونق الضحى أثب كالفراشة من حقل إلى حقل ومن غدير إلى غدير، وفي قلبي فرحة الغلام، وفي خيالي أحلام الشاعر.

وجلست أستريح ساعة في ظل على جانب الطريق، أسندت ظهري إلى جذع شجرة من التوت العتيقة التي جردها الشتاء العاتي من أوراقها، والتي طالما استروحت نسيم الأصيل الرخي في ظلها الممتع أثناء الصيف؛ وأبصرت عيناي من بعد شخصاً قادماً في زي «الأفندية»، فلما صار بحيث أتبينه، رأيته في زي «الجندي» وما لبث أن دنا مني فعرفته، ولما بلغ حيث أجلس حياني بالسلام ورفع يده إلى رأسه محيياً بالتحية التي تعلمها في الميدان؛ وعجبت إذ عرفته وانفتحت له ... وإذ مددت إليه يدي مصافحاً، وأشرت إليه فجلس على العشب على حافة الحقل.

هذا هو حسن الفتى القروي المرح، الفتى الذي عرفته القرية كلما تجوب القرية الصغيرة التي كان يسب عليه في الأفراح ما عن قلبه من حب ...، والتي ما طن به في مشهورها أحد من ... وقد طالما رأيته بالأمس يختال في ملابسه القروية في تلك المراتع، ولقد طالما سمعته من قريب أو من بعيد يغني أغانيه الحلوة بقوله: «آه ... يا ما يجري لك يا قلبي».

واليوم أراه في حلته العسكرية يختال كذلك الجندي الفتي، ويضع على رأسه الطربوش وقد ... من الخيزران، وقد زال عن وجهه سفع الشمس إلا قليلاً فبدا أكثر وسامة وأجمل قسامة وأنضر طلعة.

ولمحت في عينيه شيئاً من الشك ولكن لم يحب عن سيمائه، فلما أحسست أن ذلك الشك شكك الذي لم يجد قلبه وهي قائمة من الترحيب أو ناصعة إليها؛ وأشرت إلى ذلك ... عازماً ... فكرة جيدة تطرح ... منها الحقل، وسكن إشارتي إلى ... في نفسه ... قلته ... وأدركت أنه يهم بالانصراف فأسعفت أعجل بالحديث ...

ولم يطل ذلك الحديث فقد رأيت السرور يرتسم على وجهه ويزيد في بهجته؛ فأحسست بأني في نشوة ... قد أعجب ... هنا فقد أخذت ... ثم أسرعت فأخذت وجهها بين يديها ... في عينيها ... فابتسمت ولكني لم ... ولم تغضب، كما كنت، فوقفت ثم ... فأقبلت في حياء شديد، فسمعت بها لتقدم ... جانب ... على وجهها، فجلست ووضعت يدها في يد ... عليها ثم انصرفت مسرعة دون أن تتكلم، وأشرت إليه ... عليها ... وأرجعها على الماس، فجلس إلى جانب الحقل ... وجهه المتورد الجميل.

وانطلق لسان الجندي لم يدر ماذا يقول: «فأنعمت الوقت؟ أنا ... الجندي ... من أولئك الموسل الذين ... بأرواحهم ... الجندي الشاب، ثم ... الفرح وأنسته ... فقال وهو الذي كان يمسح ... بالأمس أنه جندي ... يريد العهد ... إليه ... إلا معاني الإعجاب والارتياح؛ وبحسب ... إلى ... برهة ... لا ...

وعجبت إذ رأيته يمسح على رأسه ... واسمعني ... فإذا هي سيدة ... تكلم ... ودنوت من ذلك الجندي أسأله لم لا يجب ذلك في موقف من مواقفه، وهو ذلك الشاعر الذي ... في موقف ... ولكنه لم ... بقول جميل.

وإنما راح يتكلم عن حب الوطن وعن معاني التضحية والبطولة ... ما ... حتى جاء ... إلى ... حب بلده ... والرجل إلى ... ثقته ... ونشاطه ... في زي الجندي؛ وأكد لي أنه لا يأسف على فراق قريته في سبيل وطنه وإنه يعيش من ... قلبه حب بلاده فوق كل حب!

واستأذن مني الجندي الفلاح ... خفيفة وطيبة ... وهو يمشي مشية عسكرية سريعة، ورحت أفكر كيف تغير ... هؤلاء الفلاحين ... السرعة، وألح علي أن أرى في ذلك الفتى ... الذي على ... في ... أن هذا الذي يجعل الناس في ... وطننا الوديع ... كفيل بأن يدر في ... السلام ... هو ... الفلاح ... ومن أن ... يجود بنفسه ... وكم بين هؤلاء ... من ... وشعراء ... وساسة ... ولكنهم ... في ... الجيل والفاقة لا يعرفون إلا أن ... الناس في ... الوادي في ... جنود ...

«خ»

# لقب السفاح

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هذا موضوع كنت جمعته في مذكراتي منذ سنين تحت هذا العنوان (من لقب السفاح)، وكان هذا بعد أن رأيت في كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة وصف عبد الله بن علي ابن عبد الله بن عباس بالسفاح، وتركه وصف أبي العباس به، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس؛ فالأول عم الثاني، وكان واليًا له على الشام، وهو الذي تولى حرب بني مروان، وسفك منهم ما سفك من دمائهم، ثم أخذت في تعقب ما رأيته من الاضطراب في ذلك الوصف، ودونت تحقيقاتي في مذكراتي على هذا الترتيب

١ — جاء في ص ١٢٧ من كتاب المعارف لابن قتيبة وصف أبي العباس بالسفاح

٢ — جاء في مروج الذهب ص ٤٦ ج ٢ تلقيبه بالمرتضى والقائم

٣ — جاء في كتاب «خلاصة الذهب المسبوك» للإربلي ص ٥٠ تلقيب أبي العباس بالسفاح والمرتضى والقائم

٤ — جاء في ص ٤٣٧ ج ٣ من كتاب (صبح الأعشى) للقلقشندي أنه اختلف في لقب السفاح، فقيل القائم، وقيل المهتدي، وقيل المرتضى

٥ — جاء في ص ٢٠٧ من تاريخ ابن العبري أن أبا العباس كان رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه، يكره الدماء، ويعاقب على أقل ذنب

٦ — قرأت ما كتبه ابن جرير الطبري عن أبي العباس فلم أجد فيه وصف أبي العباس بالسفاح

٧ — جاء في كتاب (الفاطميون في مصر) للأستاذ حسن إبراهيم حسن أن الأستاذ دي خويه كان يرى أن السفاح معناه الرجل الكثير العطاء أو الفصيح

وقد وقفت عند هذا في مذكراتي، وشغلت عن الكتابة في هذا الموضوع بما غيره من الموضوعات الكثيرة، إلى أن قرأت في مجلة (الثقافة الغراء) بعض ما كتبه فيه الأستاذان الجليلان عبد الحميد العبادي وأحمد أمين، فكنت والله كأن قد مست بعض أولادي لأن أفكاري تبلغ عندي منزلة الأولاد، وقد تكون أعز منها عندي، وفي سبيلها يهون علي ما ألاقيه من عنت واضطهاد في هذه الحياة

ثم طيبت نفسي من ذلك بما أخذناه الشيوخ من مثل هذه الآراء والأفكار، واقتربت ما يحتمل إليه أحب الأستاذين الجليلين في ذلك الموضوع، فلعلهما يتركان لي الكلام بعدهما، ويكون لي ما أعقب به عليهما، فلما قرأت ما كتباه وجدت الموضوع لا يزال في حاجة إلى التحقيق، ورأيت أنهما لم يصلا إلى تلك النصوص السابقة، وإن أعجبني وصولهما إلى تغيير نظرهما في ذلك الموضوع

فقد ذكر الأستاذ العبادي في أول ما كتبه عن السفاح أنه كان شابًا مقصدًا، مهيبًا، حسن المعشرة، كريمًا، معطاء، ذا وفرة جعدة، طويلاً، أبيض، أقنى الأنف، حسن الوجه واللحية، ورتب على هذا رأيه في معنى لقب السفاح الذي عرف به أنه بمعنى الكثير العطاء، وليس بمعنى السفاك للدم، لأن مثل تلك الصفات التي كان السفاح يتصف بها إنما تلتئم مع المعنى الأول للسفاح وهو المعطاء، ولا تلتئم مع المعنى الثاني، لأنه معنى ذم لا يلتئم مع تلك الصفات الكريمة

والأستاذ العبادي مسبوق بهذه النظرة إلى معنى السفاح الذي لقب به أبو العباس، فقد ذكر الأستاذ حسن إبراهيم حسن في بعض تعليقاته على كتابه (الفاطميون في مصر) أن الأستاذ نيكلسن قال في بعض كتبه: يقول الأستاذ بيفان الذي أدين له بهذه الملاحظات إن ترجمة لفظ السفاح وإن استعمالها قد شاع بين الكتاب الأوربيين لا تزال مثار الكثير من الشك، وقد ذهب الأستاذ دي خويه إلى القول بأن السفاح معناه الرجل الكثير العطاء أو الفصيح، وإنه من بعض ملاحظاته أن هذا الاسم قد أطلق على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية، ويقال إن سلمة بن خالد التغلبي الذي تولى قيادة بني تغلب في موقعة يوم الكلاب الأول (ابن الأثير — طبعة ترنبرج ج ١ ص ٤٤٦) سمي السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبيل الموقعة، ثم قال: والذي أميل إليه أنه إنما سمي بهذا الاسم لقوله في أول خطبة له (فأنا السفاح المبيح والثائر المبير)

وفي هذا النقل بعض من الاضطراب الذي عرف به المستشرقون الأوربيون، ويكفي فيه مع هذا تخليطًا كثيرًا عجب

أن نسبة هذا إليه ، ثم نعود بعد إلى موضوعنا ، فقد صحبت الوصفة في ذلك الشعر موصفة بني كلاب ، وهو ... في القصة ، ويوم الكلاب الأول من أيام بكر وتغلب ، وقد جاء في القاموس (والكلاب كغراب موضع وماء له يوم) وكان هذا اليوم بين شرحبيل وسلمة ابني الحارث بن عمرو ملك بكر بن وائل ، فإنهما حصلا بعد موت أبيهما على الملك ، ووقعت الحرب بالكلاب ، فأقبل شرحبيل في ضبة والرباب كلها وبكر بن وائل ، وأقبل سلمة في تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح بن خالد ، وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم انحدروا إلى ماء الكلاب مستقرا زادا عليه ، وقد قتل في ذلك اليوم شرحبيل بن الحارث ووجه برأسه إلى أخيه سلمة ، فلما رآه دمعت عيناه ، وقال :

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً ... فمالك لا تجيء إلى الثواب

تعلَّمْ أن خير الناس طُرًّا ... قتيلٌ بين أحجار الكُلاب

تداعت حوله جُشَمُ بن بكر ... وأسلمه جَعاسيسُ الرِّباب

وكان أبو حنش هو الذي قتله ، ثم بعث رأسه إلى سلمة مع عسيف له ، ولم يحضر بها مخافة منه ، فقال سلمة لعسيفه أنت قتلته ؟ قال : لا ، ولكنه قتله أبو حنش ، فقال : إنما أدفع الثواب إلى قاتله ، وكان قد جعل لمن يأتيه برأس أخيه مائة من الإبل .

وقد رد الأستاذ أحمد أمين على من يقول أن يكون أبو العباس سفاحاً بمعنى سفاك دم ، كما له من تلك الصفات الشكر فقال بل هذا لا شيء فيه ، لأن كثيراً من أعمال خلفائه كان سفاكا للدماء ، ومع هذا كان يتحمل بمثل تلك الصفة التي كان يتحلى بها أبو العباس ، كالقسوة والبطش وغيره . ورد عليه الأستاذ محمود محمد شاكر بأن الرقة والحلال ولين الجانب في وراءها أحيانا قسوة لا يجانبها قسوة ، كالذي يكون في القساة ، فإنهم قد يبيتون بين الناس طرقة ، ومن أمثلتها أكثر من الإبل . ومع هذا نرى الأستاذ محموداً ليس السفاح لقب أبي العباس من سفح المال لا من سفح الدم ، لأن أبا العباس كان يسمى عبد الله الأصغر ، وكان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر ، ولم يسمه أحد قبله أبوه بما يسر الأستاذ محمود بالمنصور ، فلا عجب أن يكون أبو العباس قد لقب أبوه كما لقب أخاه ، ولا يعقل أن يلقب أحد وهو يعمل سفح الدماء وهو يلقب الناس خيفة ، وقد روى عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يقال له السفاح ، فيكون إعطاؤه المال حثياً » وأنه الحديث لا يعرفون منه الاسم إلى ... ولكن بني العباس استعملوا مثل هذا في دعوتهم للسفاح بما ليس من سفح الدم ، وهو بهذا المعنى صار مقصوداً لغرض عندهم .

وإني لا أوافق على أن العباسيين كانوا ينظرون إلى لقب السفاح بمعنى السفاك للدم مثل نظر الأستاذ المسعدي ... الأستاذ محمود شاكر ، لأنهم كانوا يعرفون منه الصفاء لأعداء أعدائهم ، وهذا مدح لقب مدح لا ذم ، وقد عبّر به أبو العباس في أول خطبة له فقال : « فأنا السفاح المبيح ، والثائر المبير » وفي رواية الطبري : « والثائر المبير » ولا شك أنه إذا أمكننا أن نحمل السفاح المبيح على معنى سفح المال بالإباحة ... لا يمكننا أن نحمل الثائر المبيح أو المبير إلا على معنى إهدار الأعداء وسفح دمائهم وإباحة ... عليهم ، ولا مانع مع هذا عندي في أن يكون في السفاح معنى سفح الدم وسفح المال ، وربما في حديث الذي جاء فيه ذكر السفاح أنه من الأحاديث الموضوعة ، والظاهر أنه لم يظهر إلا بعد انقضاء عهد السفاح ، وأنه كان يقصد به التقرب إلى العباسيين ، كالحديث الذي روي عن ابن عباس أنه قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال الله من بني أمية ، ويكون منا السفاح والمنصور والمهدي[1]

وأما ما ذكره الأستاذ محمود من أن السفاح بمعنى سفح الدم مجاز فيناسبه ما ذكره الزمخشري في أساس البلاغة ، وهو الكتاب الذي يرجع إليه في تمييز الحقيقة من المجاز ، فقد ذكر السفاح بمعنى السفك للدماء في الاستعمال الحقيقي للمادة من غير أن يذكر ... ولا في الاستعمال المجازي معنى سفح المال ، وهذا يدل على أن استعماله في الأول أقرب من استعماله الثاني ، ولنقف الآن عند هذا الحد ، ثم نبحث ذلك الموضوع بعد

عبد المتعال الصعيدي

(1) على أن الحديث ليس نصاً في أن السفاح بمعنى السكب للدماء ، لأن الصفة كما تكون كاشفة تكون ...

**الهجرة**

يا يُمنَ الله !!

إنّ الإسلامَ قد قسمتْ به أهلهُ، والأمنُ بالناس يعدوه وعداءٌ في العالم مستكرٌ يتفشّى، وهي عندنا حسنٌ يتجدّد عند أمثالك علاّ الأمر ولكن هذه قد عطب من الإيمان والإيمانُ في ... قولٌ وعملٌ، كان به للهجرة الإسلامية ولكنه عندنا قولٌ وجدلٌ تكون به الهجرة الخامسة

فلِمْ يهجرُ كهجرةٍ يبنيك بالعزم والإيمان
ثم مجداً كمجدٍ يُجدّد الشعوب والأوطان

**الشباب والنزوع**

الطفل حياةٌ صغيرة ضعيفةٌ لينةٌ تقبلُ التشكيل وتطاوعُ على ضغط البيئة التي تكتنفه وتطبعه بها وتميل عليها؛ وبيئةُ الطفل هي أخلاق أبويه، وسلوكهما وصحبهما وما يحيط بهما من الأقارب والأصحاب والخدم وكل من يرد البيت من زائريه. وقد يُحمَل الإنسان على التشكيل من أول عمره فيكون بعدُ إنساناً جامداً مقتصراً على الحصر في نظام الجماعة بما لا يخرجه من حولها ويحده وراء حدودها التي صبغها عليه الأحوال الاجتماعية التي يحصر بها الجيل من الناس الذي يعاصرهم. وقد يحمل بهذه الطبيعة من تربيب طبيعة أخرى هي الثقة، فيسوغ له أن يكشف الحياة ويتعقب أسبابها وطرائقها وأساليبها في مدى قصير، فلا يقطع دون إدراك الطلائع الإنسانية السابقة التي يجرب أمامه من الحياة ويدرسها ويعنى لها ويجتنب منها بعض ما يمكن تجديده في نظام الجماعات. ولا يزال الإنسان — من أول عمره — عنصراً صغيراً كما هاتين الطبيعتين والتناوب بينهما للثقة، حتى يأتي عليه زمان يستطيع أن يحرر نفسه من بعض نواحيه بالمسوغ لقانون آخر هو قانون الاستقلال الفكري والعمل الذي تقوم عليه رجولة الإنسان كاملة، ولكنه مع ذلك يظل أبداً متصلاً بأسباب القوانين الأولى التي تحتفظ ببعض النواحي للتشكيل والتقليد في زمن الطفولة ونشأته وتأثيرها. فهو إذن لا يبلغ مرتبة الاستقلال إلا بعد أن يكون قد قبل من الأشكال والتقاليد ما لا يستطيع أن ينفك منه أو أن يتخلص من قيوده التي تعيبه على ضروراتها.

من هنا تبين مقدار الخطر الذي تنطوي عليه هذه الفترة الأولى من حياة الإنسان؛ ونحن لا نستطيع أن نحدد عمر هذه الفترة، ولكنها تستمر على الأقل إلى نهاية ريّق الشباب ما بين العشرين والثلاثين، بل ربما جاوزت إلى نهاية العمر إذا ما انتكس الجنين في الطفل وصار إلى حيوانية آكلة غادرة غير مفكرة!

والشاب حين يخرج إلى الحياة العملية والفكرية تستهويه أسماء المفكرين من الكتاب والشعراء والفلاسفة فتستهويه وتذهب هواه وعقله إلى الأخذ عنهم والاقتداء بهم والسير على مناهجهم، ولا يزال كذلك في تحصيل وجمع وتأثر وإعجاب حتى يتكوّن له تراكمٌ عقلي يجرئه على الاستقلال بفكره ورأيه ومذهبه. فالقدوة والأسوة هي مادة الشباب التي يتم بها تكوينه العقلي على امتداد الزمن وكثرة التحصيل وطول التجربة. فإذا كان ذلك كذلك فالكتّاب والشعراء والفلاسفة وأصحاب الرأي وكل من يعرض على الجيل الشباب، ويكون موضع الاقتداء والتأسي والتأثر — يحملون تبعة تكوين العقول الناشئة التي ترث علومهم وأفكارهم ثم تستقل بها وبإنتاجها الخاص، وكذلك يكون هذا الإنتاج الخاص منحدراً بعرق ونسب إلى الأصل الأول الذي استمد منه واتبعه وتلقى عنه.

فهذه تبعة الكتّاب والأدباء أمانة قد تقلدوها وحملوها، ثم لم يزالوا بها أيماناً وأكلوا بها ويحشو في ... المخاطرة بأسبابها، فهم على التخلي على أمانة قد فرض عليهم أن يؤدوها إلى من يخلفهم من الشباب الذي يتبعهم ويتأثر آثارهم، وعلى شكر الصورة التي يتجسم فيها الجيل الشاب الذي يتسلل من ... البشري

منهم ما يكتبون وما يؤلفون وما يلفقون التاريخ من آثارهم ليكسبوا به خلود الأمم وبقاء الذكر

وشبابنا اليوم قد جذبت عليه الآراء ، وتقسمته المدنية الأوربية الطاغية ، وهو لا يجد عاصماً يعصمه من التهور في كل مرة تعصف بين يديه وهو مقبل عليها بشبابه وفتوته واندفاعه وعنفوان قوته في الشوط الذي يجري من أشواط حياته. والدارس في بلادنا لا تكاد يخطئه من رأى أو من فن أو من الأدب ما يدل أدنى دلالة إلى شيء من هذه الأشياء ! ولكن ليس يجد أمامه إلا المجلات والصحف والكتب التي يقدمها له كتاب الشهرة من كتابنا الذي يرجع له المقوم في كل خاطرة وعند كل نظرة ، وهو لا بد يتشرب منهم أساليبهم وأفكارهم وآراءهم وما يدعونه إليه من مواقفهم

فهل يحسب هؤلاء الكتاب عند الشباب أ آراءهم قد حرموا على أنفسهم هذه الشباب مبتاً وله مؤلاء حملاً يتحمله وحرصاً على مصيره الذي هو مصير الأمة ومصير مدنيتها ؟ أنا لا أرى ذلك إلا في القليل ممن حرمهم الشباب وجعلهم نصب عينيه ، واتخذ أساليبهم قبلة يهوي إليها

## لماذا يتكلم

وقد أذاع أحد الكتاب من إخواننا الشاميين يتحدث عن بعض ما يعنى بسبيله ، وهو الأخ « قسطنطين زريق » في كتابه « الوعي القومي » فقد قال في ص ( ١٦٢ — ١٦٣ )

« إننا نعيش اليوم في عصر محنة عقل وزوابعه فكرية في عصور الترف والرفاهية قد يسمح للكاتب أن يقول ما شاء حتى أن أكتب ما أريد وأعبر عما في نفسي كما أشاء » ... إن عصرنا عصر أزمة فكرية ومحنة عقل وكما أنه لا يسمح للناس في زمن الأزمة المالية أن يبعثروا أموالهم في سبيل شهواتهم الخاصة وأمورهم التافهة ، فكذلك يجب ألا يسمح لقادة الفكر في عصر المحنة العقلية والأزمة الفكرية أن يبعثروا مواهبهم في المسائل التافهة والأبحاث الجزئية

فهل كل منا عند ما يهم بكتابة مقال أن يتساءل بصراحة : « إلى متى أرى ؟ أتراني أضيف بمقالي هذا إلى حل هذه الفوضى الفكرية التي نتخبط فيها حلاً ، وأقذف بعنصر جديد إلى العناصر التي تتفاعل في محيطي ، فأزيد في بيئة أمتي عناصر جديدة للتفكير ، أم أني أعمل لتوجيه قوى هذه الأمة المتقلبة إلى فكرة جامعة أو نهضة واسعة ؟

فإذا لم يكن غايته من هذه الأنواع الأدبية ، فالأحرى به أن يظل كاتماً ما يدعوه في نفسه ، وأن يبحث له عن طريقة أخرى يخدم بها أمته ولغته » . ا هـ

إن هذه الكلمات القلائل التي صور بها الأستاذ زريق حالة من الأدب الذي يقود الأمة وشبابها إلى إنقاذ المدنية العربية والإسلامية والشرقية من زوبعة الخيال التي تورط أهلها في أوحالها وتقذف بها مصطبغة بأن تكون من « مخطوطات » أكثر الأدباء الذين يرمون من أقلامهم آراء وعقائد وأساليب لا يمكن أن تكون مما يحتملها عقل لأمته ، بنظر إلى المستقبل الذي هو ثمرة الماضي والحاضر ، ونتاج التطاحن الفكري الذي تنسله عقول الشباب حين بدأت تتفتح من أكمامها لتحمل حملها في إنتاج الثمر لا غثاً شيئاً ولا رثاً متمتعاً موبوءاً

## هل يمكن ؟

فهل يمكن أن يكون أدباؤنا ممن يقبل النصح الخالص الذي لا يحمل عليه حسد أو رياء أو محبة ؟ وهل يمكن أن يعرف أحدهم أن ليس في الدنيا أحد هو أقل من أن ينصح ، ولا أحد أقل من أن يُنصح ؟ وهل يمكن أن نخرج النصوص التي صحبها التكبير من الروح الناقدة التي لا طائل تحتها ؟

لقد جعلت مقالي في هذا الباب مقدماً للذكر الذي يجب أن يؤديه واجبه من يقرأ كلامه ، فأنا لا أستطيع إلا أن أتكلم بحلاوة وإن أغضب من لا يرضى إلا بما يرضيه من الكلمة والمداهنة والمسحة ، وقد تقضت أسابيع طوال من أسابيع الأدب ، وأنا أزداد كل يوم شكاً في مقدرة أدبائنا على الإنتاج الأدبي الرفيع الذي يمكن أن يخلد في تاريخ الأدب ؛ وقد تتبعت أقوال هؤلاء وأساليبهم فلم أجد إلا كل ما يحمل على المصارحة والنصح وإبداء الرأي مكشوفاً غير مكتفٍ

وأنا لو كنت أحمل نفسي على تتبع هؤلاء واحداً بعد واحد آخذ أقوالهم على التفصيل دون الجملة ، ثم أنبه ما أريد بالكتابة في هذا الباب من « الرسالة » لما كان القدر الذي أكتبه ،

ولما استطعت أن أستوعب الرأي في كل ذلك في أسبوع أسبوع، فلذلك بحثت جهدي أن أعرض لأشياء [illegible] أساسيين في نقدها وتحصيل أجزائها، وبيان مكان التناقض، والدلالة على ما عليه هؤلاء بآرائهم، وحصر [illegible] بالأدب الذي [illegible] لم [illegible] صرحوا بها عند الناس، حتى صدّروا الشباب أئمة بهم يقتدون [illegible]، وكأنهم لا يعرفون أن ما يخرجونه للناس إن هو إلا غذاء جيل من الشبان يأخذ منهم ويقتدي بهم، فإن يكن في شيء يأتون به فساد فهو إلى إفساد الشباب [illegible] أسرع، وفي طبائعه الغضة أعمل وأوغل، [illegible] أسلاك كبرى في الدين يخرجهم من الشباب [illegible].

إن أمثال الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور زكي مبارك والأستاذ فلان وفلان من كبار الأدباء، هم من هذه الأمة [illegible] من الناس بمنزلة السراج الذي يضيء للشباب مسالك الحياة المظلمة [illegible] السراج [illegible] الطريق [illegible] ومسته [illegible] الشباب [illegible]

### الرحلتان

ونذكر هنا ما يقطع على [illegible] الرأي، فقد قرأت أخيرًا مقالتين، إحداهما للدكتور طه، والأخرى للأستاذ أحمد أمين، وكلاهما بعنوان «رحلة» وقد [illegible] الاستغلال أن يقترب [illegible] المقالات [illegible] أكثر في ذلك [illegible] لا يمكن أن يُستغنى عنه، وكنت أحب ألا أعرض [illegible] إلى [illegible] فلو [illegible] لا يقطع [illegible] في يوم أن كتب الأستاذ أحمد أمين ما كتب من «معرضة الزوجات» وعارضه الدكتور طه «بمعرضة الأزواج» ثم «معرضة الزوجة» ثم «معرضة ...» إلى آخر هذه الأشياء، وأخذنا بهذه الطواحين التي تدور على [illegible] مطحون قد [illegible] من ذلك اليوم وأنا لا أرى [illegible] إلا استغلالاً [illegible]، وأحسب في ذلك من الرأي ما لا يستقر ولا يتماسك.

وفي هاتين الرحلتين رأيت العجب! فالدكتور طه مثلاً [illegible] أطال في [illegible] مصر والرواية [illegible] النصب الذي [illegible] في إنشاء مدرسة له يسميها «مدرسة النصب» وحمل الدكتور طه [illegible] في الطريق الزراعي [illegible] الذي يدور من حوله [illegible] «هذا صنع السراب!»

ولم تنس الحوذة أموالنا؟ [illegible] صنع الدولة [illegible] نفس الحوذة؟!

فيصور الدكتور طه من السبيل الذي [illegible] الزراعية في أرض مصر! [illegible] الحوذة في طريق من جانبيه تلك الأرض [illegible] الواسعة التي [illegible] أهل مصر من خيراتها! كيف تلق الحوذة [illegible] الشمس والتراب [illegible] أوحال الأرض [illegible] تمر بها على الطريق الزراعي [illegible]، حتى الشمس المصرية [illegible] الرجل [illegible]؟ إن هذا كلام يقال في البلاد الباردة التي لا تحمل الشمس [illegible] ما تحمل في أرض مصر الخضراء، هنالك في «قرية من قرى [illegible]» أو [illegible] أو [illegible]، على أنه [illegible] من هذه الخيال التي ألف الدكتور طه الاعتصام بها [illegible]، والتي [illegible] «سراب» أو كما قال [illegible] إن مثل هذا يجب أن يُنفى من آراء أمثاله، إن لم يكن من أجل [illegible] فمن أجل [illegible] من الشباب. وليس أكثر آراء الأستاذ أحمد أمين في هذا المقال بأقل ابتعادًا عن الحق من التي عرضناها.

### صابر !!

والأستاذ أحمد أمين هو الذي حمل على الأدب العربي، وعلى الشعر الجاهلي، ودفع [illegible] في وجوه [illegible] هذا الأدب وذلك الشعر الجاهلي لأنه [illegible] في أدبه [illegible] وقد كنت [illegible] أن أؤدي واجبي للأدب العربي بإظهار فساد هذه الآراء التي لم تصح [illegible]، ثم رجعت عن ذلك [illegible] أن [illegible] مثل هذه الآراء حتى [illegible] الأستاذ ليس أديبًا [illegible]، والناقد أديب [illegible]، [illegible] على الأدب أكثر من [illegible] الأدب [illegible]. وقد أحببت أن أقف على كلمة في مقالة الأستاذ أحمد أمين «رحلة» تدلك على أن رأي الأستاذ في الأدب العربي والشعر الجاهلي رأي لا يؤخذ به، فقد قال: «[illegible] أولاد [illegible] كأن [illegible] من [illegible]، وكأن [illegible] من قطر الندى، [illegible] لا يحلق بها أديب [illegible]، وأنا لا أعرف كيف يعصر قطر الندى (أي الماء)، وهو لا يمكن أن يُعصر. ونحن لا نشك في أن [illegible] الأستاذ قليل، وإلا فهو [illegible] الشيخ [illegible] صاحب «[illegible]» و«[illegible]» [illegible] والزوزني [illegible] الخ» [illegible] هاتين [illegible]

# الموسيقى فن وإلهام

للأستاذ محمد السيد المويلحي

أكثر الناس في هذا الزمن يعتقدون أن الموسيقى « علم » كسائر العلوم له قواعد ومبادئ، وله مناهج وطرائق متشعبة متفرقة لا يمكن جمعها وضمها إلا بالبحث والتمحيص والتمرين، بل هم يعتقدون أكثر من هذا: يعتقدون أنها تحتاج إلى الدأب والكد، وتعلم سرها وسحرها إلى تعب أكثر من تعب في طلب

وليس هذا في مصر والشرق فحسب؛ بل في جميع بقاع العالم، وفي كل البلاد التي بلغت ذروة تحضرها ولم تدرك سماءه للتدريب ... هناك المدارس تخصص والمعاهد للدراسة، وتخصصات الأكاديمية في دروس كل (علم) من علوم الموسيقى، وهناك الأساتذة الذين عملوا كل عمرهم أو ... في التخصص والانقطاع لتدريب مهنة واحدة يكررونها صباحاً ومساء ... حتى (الصوت) استطاعوا أن يوهموا الناس أن في مكنتهم السيطرة عليه بل وخلقه خلقاً جديداً!

ولكن هذا ليس من الواقع في شيء، فإن كان للموسيقى فروع وأصول، وقواعد ونظريات، فليس معنى هذا أن كل من علمها أو فهمها يسمى (موسيقياً) أو فناناً يسمو من مواضع الناس روحه الشفافة الملهمة

الموسيقى ليست مهنة تُعلم، ولا حرفة تُجاد، ولا صنعة تكتسب، وإنما هي فن وإلهام كما قلت في رأس هذا الكلام. هي إلهام لأنه أسمى من أن تصنعه القوى البشرية التي تصنع ما ... وهي قوة سحرية روحية تفعل في النفوس ما لا تفعله قوى الأرض مجتمعة متضامنة ... فهي تُضحك وتُبكي، وتُفرح وتُحزن، وتسعد وتؤلم في لحظات، فهل ثمة قوة إنسانية (مكتسبة) تستطيع أن تفعل مثل هذا السحر؟

إن (الفرد) الذي يفسر لك الموسيقى إلى قواعد غربية وقواعد شرقية وموشحات وأدوار ثم يقول لك إن للموسيقى مقامات هي (دوزان) وأن كل ميزان له ضربات أساسية و (تيك) وضربات و (تيكات) وأن بين المركب والبسيط كذا من المسافات، أو الذي يقول لك إن المقام الأول (مثلاً) يحتوي على ثلاثة (سكوك) ونصف ضربات ... إلخ ويضع مقارنة بين الموسيقى الغربية والموسيقى الشرقية، ويفضل إحداهما على الأخرى حسب الذوق والطبع، والعادة والبيئة — هو أبعد الناس عن الموسيقى وعن الفن الصحيح وإن كان هو بين ذلك. فليس الفن أرقاماً تجمع وتطرح وتضرب وتقسم، وإنما هو موهبة سحرية سرية ... فالفهم المصري ... سحرية وهو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف النوت والتيكات والمربعات ... !

(فورلر) الموسيقار الألماني ... وهو في مقتبل ... على البيان والكمان والأرغن من غير أن يتلقى درساً واحداً عليه ... وليقل القارئ بعدئذ هل ... ما ينبغي الأساتذة

---

في فصل « كرم الأخلاق ولوازمها » ص ٢٠ الطبعة الثانية وهذا من هذا الشيخ الذي لا يقوم على أسس من البيان والبلاغة

حسن، إن كثيراً مما وقع في كتاب « النهج الوازح » — على جلالته — إن هو إلا عذوبة واستغراب ... من الشيخ المرزوقي الذي لا يحتمل إلى الحقيقة ما ... من منطق العقل. والبلاغة ليست إلا ... بين الحقيقة الفكرية وألفاظ البيان، فكل ما لم يكن كذلك من المجاز والاستعارة فهو لغو يشتغل به من ليس له طبع أدبي رفيع. ووجد اليازجي كان مقلداً من كلام العصور المنحطة في العربية، فأخذ من لغوه وزخرفه على غير نقد أو تمييز.

فكان يجب على الأستاذ أحمد أمين — الغيور على الشعر الجاهلي وروايته والعناية في الأدب العربي — أن يتخلص من هذه العبارات المبتذلة التي لا تحمل شيئاً إلى البلاغة العربية في اختلاف صورها إلا أن ينفعها إلى كلامه، وإلا فلينظر الأستاذ إلى آثار هذه الألفاظ في بيان الشباب التي تعيث وتعبث بأدبه، ويعلق كلامه بالإجلال وحب الاقتداء. محمود محمد شاكر

الذى أتى بهم لتعليمه ، وتوجيه مشرفيه فى الوجهة الصحيحة (كما كانوا يزعمون) حتى إن أحدهم بكى أمام سحر الطفل ، وقال لوالده :

« ليس عندى ولا عند غيرى ما يعلمه لابنك ، إنه ابن الموسيقى وقد علمته سرها وسحرها ! » (وبيتهوفن الذى كان يطلق عليه « إله الموسيقى ») والذى أرهقه أبوه فى طفولته وظن أن كثرة (التعلم والإرشاد) تنفعه ، كان يبكى لأمه ويشكو ظلم هذا الوالد ويقول لها : لقد أرهقنى أبي أن يحبس فى الموسيقى وفى الحياة ... إلا يترك روحه كما لا يعاود البيانو أبداً إلا فيما كان أو لهم ... ، وبعدها أخرج آيات الخلاف التى لا تزال إلى اليوم حيرة لا يدانى

قد يقول قائل وما شأنه تلك الفارس إذن ، وما شأنه هؤلاء الذين يصيرون أنفسهم للتدريس ويجعلون من أنفسهم حفظة لقواعد الموسيقى وعلومها ... ؟

شأنهم التوجيه والتهذيب فقط ، أما الخلق والابتكار والتصوير والسيطرة والتحكم فى ميدان الموهبة ، أما التحليق فى الآفاق والسرحان فى الأنغام والتلاعب بالأرواح ، فهذه كلها لا يعرفه العلم ، ولا يخضع للعلماء

إن الطفل يحس أو يحزن لا يبحث النظريات ، ولا يتعلم من هم أهل علم مبهوم موضوع ، وإنما هو ينطق بروحه فيتحكم فى لسانه أو فى نفسه وروح مسيطرة على ملكات المستمعين ، ويلهو بهم لن يأمره فيه أولاً قبل أن يطرب غيره لأنه يصل المستمع ... ولا سيما بعد ذلك ... على الوجد أم على عاطفتنا معه ، وليس من هذا الباب ... المرحوم (عبده الحامولى) الذى كان يتصور كبلبل شوان والناس من حوله سكارى من خمر الطرب حتى ... على (الوجد ، ... (مطرب القلوب) ... قائلاً ... حل الوجد ... ، إنى آمن لهؤلاء الذين يفهمون الموسيقى !

... لا يمكن لمطرب يحس على غيره ، ويترجم إحساس غيره ، أن يصل إلى درجة مطرب بلغ نفسه ويترجم إحساسه مهما أوتى من حسن الصوت وجمال الإلقاء ، لأنه يكون عندئذ وما كيا ، بل يكون كاذباً فى رسالته ، والموسيقى لا تعرف الكذب لأنها هى نفسها رسالة صادقة !

رب قارئ يقول إنه يسمع بعض المطربين والمطربات الذين يشدون بألحان غيرهم فيصلون إلى مرتبة عالية لا يصل إليها حتى من الذين يلحنون لأنفسهم ! ورداً على هذا الاعتراض أن القارئ سيقتنع إذا عرف أن هؤلاء المطربات والمطربين لا يجيدون الإلقاء ولا يستطيعون ... إلا إذا انطلقوا من ... الموضوع ... من ... التصرف الذى يلائم إحساسهم

إن بعضنا يسمع (أم كلثوم) مثلاً وهى تشدو بقطعة موسيقية مسموعة فيظن عندئذ أو يشعر حتى إذا ... إحساسها معنى ... وفقد سلطانه على نفسه !

وعند الوجيب ، هناك من هو ألمع منه صوتاً وأحسن ... ومع ذلك لا يتعالى إليه ، لم ؟ لأن هذا الوجيب لا يترجم لنفسه إلا إحساسه ، ولا يصور لهم إلا روحه

وهناك مذهب ... إن النصيحى والسهلى ... وغيرهم من آبه الملحنين فى مصر والشرق قاطبة ، ... ألحانهم بأنفسهم ... ويصيبهم ... الصوت - لأجود أحسن من غيرهم ولو كان أحلى صوتاً وأقوى أداء ، وليس ... أو ... ، فلن يكون ... أبداً ... !

• • •

لنرجع إلى الفن الملهم والفن المكتسب

فى الشرق والغرب بعض العلماء الذين تخصصوا فى دراسة النظريات والقواعد الموسيقية ... ، وأصبحوا (علماء) يشهد بعلمهم وطرقهم فى دراسة الموسيقى الذين يحسبون أن الموسيقى تخضع للدرس والبحث كما قلنا ، ومع ذلك نرى هؤلاء العلماء يحاولون مع ... - إلا الموهوبين ... فى العجز عن فهم الموسيقى الحقة وعدم القدرة على الوصول إليها ، لأنهم يعرفون الطرق والمسالك التى تؤدى إليها ويزعمون أن الإنسان إذا ... ومرن عليها ... لم ... ثم يعدون ... يتحكم ويتمسكوا إلى مرتبة الملهم المصرى الذى لم ... هذه ... ، والنظرية والقواعد ؟ ... ، ... ، ورأيتهم يستكبرون ويتعاظمون ، ويعجبون مع الملهمين ... والسحر الواضح ... ! ! وهم مغرورون ، لأنهم يظنون أن الفن

بجميع الشعر ، وكذلك ... في كل مصر يذكرون ويحاورون حاج الباقرة اللامعين ... وكم شهدت مصر ... أيام سيد درويش من صنوف الفن والتعبير لدى هذا العبقري الأوحد الذي ذاق الأمرين من رجال معهد الموسيقى ، لا لشيء إلا لأنه في عرفهم من الخارجين ... كم ستشهد مصر ولا تزال ... من صنوف الاضطهاد لمن سيجيء من هؤلاء الناس الذين لو عاصروا ... وطالبوا أن يصدر ... إلى ... واحدة من علمه

لم يعرف عن سيد أنه كان ... يفكر قبل أن يلقي بمخرج تلحينه من نغمة ... كما وجد المعنى أو النغمة ، بل كان ينزع الفن انتزاعاً من ... عليه ... دون أن يرجع أو يعرض على معيار العارفين ... من القواعد ... والقلق ، والحدة ... ومع ذلك ... كانت ألحانه ...

يضطرب به كل من الربط والضبط ...

* * *

وبعد فإني أحب أن أقول ... عن الموسيقى ... ملهم أكبر من ... معاً ... ويرجعه الملهمون ... القلوب والأرواح ... لا تخضع للقواعد ولا للتطريب ، لأنها ليست من صنع البشر

ثم ... لأن الله ... وأظهر ... في الوجود ... وهو ... الذي ... أكبر من ... لا تخضع ... من البشر ، ولا ... الشيطان ... ولا ... ولا ... لأنه ... كما يريد الله ، لا كما ... والتعلم

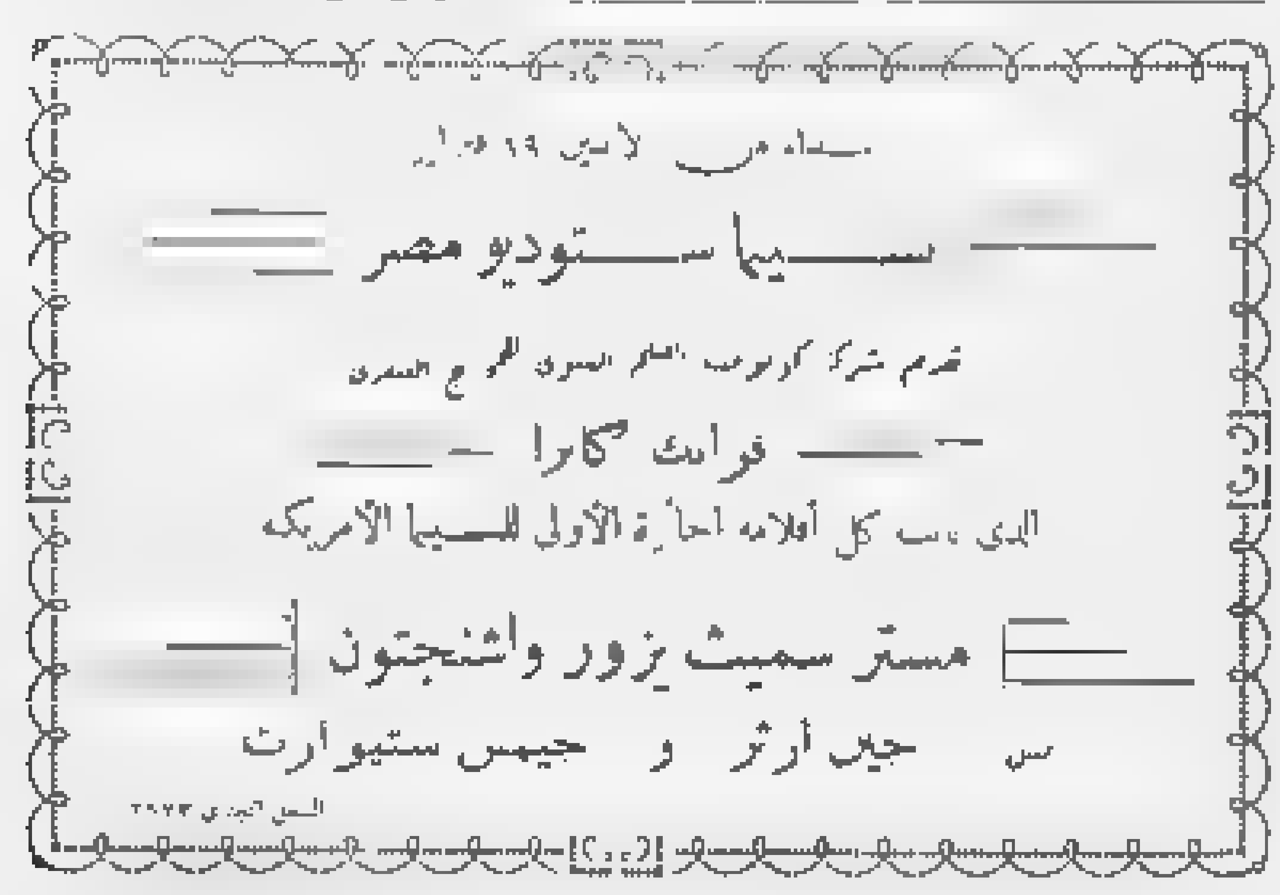

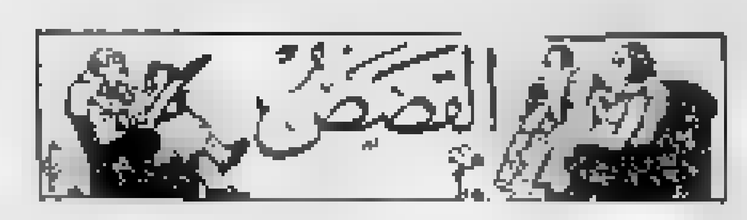


# في ظلمة الليل

## أسطورة فرعونية

[illegible]

### للأستاذ محمود طاهر تيمور

في أصيل يوم من الأيام ، كان « الشيخ حاي » في بستانه الصغير أمام داره المتواضعة ، يتعهد نخيلاته و [illegible] إذ سمع وقع أقدام ، فالتفت نحو مصدر الصوت ، فإذا فتى يسير [illegible] ، وهو يتلمس [illegible] في مشيه [illegible] ، وقد علاه الغبار ، فاستحث [illegible] بعد أن النظر إليه يستطيع أن يميز في وجهه [illegible] وكان يحمل في يده صرة ، فانتبه الشيخ [illegible] ، ودنا إلى القريب منه ، حتى سمع الفتى يقول في صوت خافت

— الشيخ حاي !

— هأنذا ... ما مطلبك ؟

ووجد « حاي » الفتى متخاذلاً أمامه ، فأسرع إليه وأسنده إلى صدره ، [illegible] ، وقال له

أمريض أنت ؟

بل جائع

وسار به « حاي » إلى داره في رفق ، وأجلسه بجوار الباب على مصطبة [illegible] ... ثم عاد إليه بإبريق ملآن باللبن ، فأخذ يعب منه الغريب ، حتى شبع . وبعد أن تنفس طويلاً ، عمر بكلمات الشكر لسانه ، ثم أطرق وقتاً [illegible] وأخيراً ، رفع رأسه ، وسرح بصره في الشيخ ، والكلمات تتراقص حيرى على شفتيه ... وابتسم الشيخ ابتسامة تنطوي على عطف ووداعة ، وقال

تكلم يا بني ، ولا تخش بأساً [illegible] الحال

لا [illegible] حاجة الغريب

فأمسك الفتى بيد الشيخ وضغطها بين أصابعه وقال :

لقد حدثوني أنك [illegible] بالمعروف [illegible]

أطلب [illegible]

فتأمل الشيخ وجه فتاه طويلاً ، يحاول أن يستكنه ما خلف تلك الصفحة [illegible] من حقيقة نفسه ، وقال

— مسحور ؟ ... [illegible] كاهناً يا بني ؟

— أنت أعظم من كاهن

— [illegible]

— إن قوة [illegible] وعقاقيرك يا أبت مستمدة من روح الآلهة

— أنا حكيم زاهد ، قد [illegible] في مداواة النفوس وتطبيب الأجسام

وحدق الفتى في الشيخ [illegible] ، ثم هبط أمامه ، وقال وقد [illegible] صوته

[illegible]

[illegible] من روحك

— إني [illegible] النفس [illegible] ... فاصطنع خلقاً جديداً ، واصطنع مني رجلاً ذا بأس واقتدار

وجعل الشيخ يلاطف رأس الفتى ، ثم أنهضه في وداعة ، وأجلسه بجواره . وبعد حين ، قال له في هدوء ورزانة

اروِ لي قصتك يا بني ... إني مصغ إليك في انتباه

ورفع الفتى وجهه [illegible] ، [illegible] يرسل النظرات أمامه في ذلك الفضاء [illegible] ، حيث يبسط الغسق على الكون ملاءته السوداء ، وأنصت [illegible] ثم تكلم [illegible] يقول

أنا [illegible] ولكني [illegible] من [illegible] ! إني [illegible] لا [illegible] وجوده أحد

— شكراً !

إني أسكن [illegible] من هنا

— في [illegible] ؟

— نعم

— دون المعابد الأبيَّة ، والمسلات الشمّ ؟

وواصل « رامسيس » حديثه ، وتدفق سروره وصحت :

وحيث تسكن الأميرة أخنسس ...

وطأطأ رأسه حيناً ، ثم رفع عينه مثبتة ، ومسحهما في وجه « حابي » وقال في صوت غير مسموع النبرات

أريد أن أكون عظيماً .. أريد أن أكون مثرياً .. تزخر خزائني بالأموال .. أريد

فاكتأب الشيخ في صدره ، وأطرق قائلاً

إنه ليس المطلب المستحيل

فاستنار وجه الشاب بمسحة متألقة — وقال

إذاً ستدلني على بصيرة !

— إنه ما تسميه أنت مصيره يا بني ، أسميه أنا أمراً قد يستعصي على بعض الناس ، ولكنه في مقدور آخرين

هوى « رامسيس » على يدي الشيخ ، وانهال عليهما تقبيلاً ، وهو يقول

شكراً شكراً ، سأذكر لك ذلك الجميل ما حييت ، وسأعوضك عنه أضعافاً مضاعفة ..

ثم رفع رأسه ، وقال

أما الآن ، فليس لي ما أقدمه لك سوى

وعثر لسانه بالكلمات ، فسكت ، وأشار إلى الصرة التي حواها ، وكشفها بيد راعشة أمام « حابي » فنظر عنها الشيخ ، خليط مخلوط من قطع المعادن ، بينه شيء قليل من الفضة والذهب

وتابع « رامسيس » كلامه وقد غض من بصره

— هي كل ما بقي لي من أسلافي !

— أبقها لك

— خذها قليلة .. أعرف ذلك

— كلا ، ليس كثيرة إنها كانت مثلك .. وهذا يكفي — ولكني لست في حاجة إلى عطاء الناس —

أجبر

ونهض « حابي » في هدوء وهو يقول

ألا ترى يا بني أن الليل قد أخذ يخيم في أطلاله رداء السماء ، وأنا كما ترى شيخ ...

هيا

* * *

وركبا المطية ، ووصلا ناحية غير وحيدة ، [illegible] بكوخ يكاد يكون خلواً إلا من حصير وطلا

وأشعل « حابي » مصباحه الزئبقي ، ثم جلس وأراح ظهره على الجدار وقد هوى بذقنه إلى صدره ، وجلس « رامسيس » قبالته مضطرباً ، لا يفصله عن الشيخ إلا المصباح

واشتد بهما الصمت لم يتكلم أحد منهما

ثم تنحنح « حابي » ، وبدأ في صوته الرزين

إني مصغٍ إليك

فرفع الفتى عينيه عن المصباح وقال

— كيف أبدأ لك قصتي ... حقاً إنه لحزين ما فكرت فيه .. فيروى أني نشأت ناعماً في ... لقد كنت أحيا حياة متعطلة ، أخرج من داري البيضاء إلى النهر أروض على شاطئه جياد بساتين الأمراء ، أمضي اليوم كله متنقلاً بينها ، أستمتع بمرأى الرياحين ، وأستنشق عبيرها الزكي ، حتى إذا حجبت الشمس بعثر الليل وأخرجت نأيي أناجيه ويناجيني

— أموسيقي أنت ؟

— لم أجرب أن أصفر إلا لنفسي ...

وأخرج « رامسيس » من بين ثنايا ثيابه نأياً من غاب ساذج الشعر ، وأراه الشيخ قائلاً

— إنه رفيقي الذي لا يفارقني أبداً .. ويبل الطامع على سري ، الناطق بما يجيش في قلبي من آمال وأوجاع !

آمال وأوجاع لعله يبدو لك بهجة المحتفي !

— إني أضعها بين يديك ، فاتحك بما أنت صانع

— ألم تكن واحداً من حاشية الملكة ؟

كلا أبداً

— إذاً فمن هي التي صيَّرت حالك ..

من هي !

تلك التي ذكرت اسمها ، فقهرتني ... مدينة ...

— هي ، هي أخنسس ، أميرة الأميرات ، وأمير حسن يفرعون الأمل

— آخر حديثك

— رأيت يوماً فتاة في بستاني، فسحرني لأول نظرة، جمالها ... وظل الخائل في حشمتها، جلست أرقبها خلف دغل من الأشجار، وأصمت نفسي على ... نحيي وطاعة الرب إلى رب عظيمة كانت غاضبة مني، وإني أصلح على نفسي عهداً بأنها لن تكون لسواي ... ولما عدت إلى داري، و... عرفت نفسي، وكل سخط وألم. ولكني عهدي ما زال باقياً على الرغم من كل شيء، لا يتغير ولا يبلى، بل يتقدم في جرأة وإقدام .. ولكن كيف أحقق ذلك العهد؟ بعد ما كان ... في قلبي. منذ ذلك اليوم صحبت طريقي إلى بستاني لا أعرف سواه، أمضي إلى شجرة منه وأرى، وأراها ولا تراني. فإذا ما صمت في صدرها الغضب نحو التنائي، وعشرون ... طويلاً، وبثثت شكواي لناي، فكنت أسمعه أحياناً يهمس لي: «لماذا لا تحاول التقرب إليها؟ ... لا يكشف لها عن كونه سحرك! »

— ولماذا لم تستمع لما أوحى لك به نايك؟

أتريد مني أن استمع لذلك المخادع الشرير؟ ألم تعلم أنك من هي؟ إنها من دم الآلهة ... وكيف ... أن ... إليها يقلوبهم ... لقد أصبحت ... الليالي الطوال أفكر في مصيري معها ... لا بد أن تقع معجزة تحولني من صعلوك بائس إلى أمير يفوق جميع الأمراء، ... وكان أن ... في ... قريب صوت النهر، وخفت أن ألقى بنفسي إلى التماسيح .. في تلك الساعة القاسية، سمعت هاتفاً يقول لي: «اذهب إلى ... الحكيم، فعنده تتم المعجزة»

فتبسم «الشيخ جاني»

أقال لك الهاتف ذلك؟

— نعم يا ... رب الأرباب، لقد سمعت صوته واضحاً يرن في أذني، وكانت التماسيح قد خرجت برؤوسها تنظر إلى منتظرة ... في ... أقرب ... من النهر، وانطلقت أسعى .. أكنت أسعى حقاً؟ لا أدري! كنت أحس أن قوى تدفعني ... غير منظورة ... وفي الغد بعت ما أملك، واستصحبت مالي، وتركت داري، وسرت وقد وجهتي دارك!

فأمسك «جاني» بيدي «راموس» ... وقال:

... إذا ... الأمراء؟ وإذا ... من ... روحه ...؟

— إن مثلي لا يتطاول إلى مثل هذه الأمور!

كيف؟

كل ما أقدر عليه أن أحمل على ظهري ...

أو ...

سيتغير فيك كل شيء، فملامحك الأصيلة ستذهب إلى ... وطول ... معاً ... والقامة ستكون ... والرحمة ستنقسم ... القسوة والعنف ستكون ... «راموس» ... لا ... ولا يمكن له تغير

مطأطئاً «راموس» رأسه، وقال:

أجب!

ليس ثمة طريق ... ما ... من ... إلا هذا الطريق!

وسكت «راموس» فترة، ورأسه منحن على صدره، وبعثه رفع وجهه إلى «جاني» وقال:

ولكني ... أتعرف للتغير؟

... إلى ... الروح ... ولكن

— ماذا؟

— أوتى أنك ستكون سعيداً ... الحديثة، وبعد أي ... المعجزة؟ وأنه لن يتحول ... إلى ... الأول؟

— ... افعل بي ما تريد!

***

ودارت عجلة الحياة ... الأيام تلو الأيام، والأشهر إثر الأشهر

وكان ... الحرب قد ... إلى ... مصر، فسيّر إليها الجيوش ... فهزمت ... الشمالية في ... ثم اندفعت في طريقها ... أمامها جند الوطن ... ولم ... الكبير «...» أميراً على الجيش الذي أرسله فرعون لإغاثة البلاد ... إذ أصيب «...» بجريمة مكرية،

وقتل في المعركة ، وكاد الجيش يتفكك ويتدهور ، ولولا أن قيض الله له شاباً من بين المحاربين زعيمه ، فأخذ بجمع شمله ، وبعث فيه روحاً جديداً ، ثم يتقهقر وقت طويل حتى انقلبت الهزيمة إلى هجوم ، ثم انتهى الهجوم إلى مطاردة العدو ، فاكتسح كل ما ... وأصبح هذا الشاب قائداً للجيش ، ولقب نفسه بالأمير الأسود ، إذ كان يرتدي السواد دائماً ... ولم يقتصر هذا الأمير على تطهير البلاد من جيش العدو ، بل تابع زحفه في جرأة عجيبة ، وفتح « عاصمة الشرق » بأسرها ، وأخضعها لسلطان مصر ، وصارت تابعة لها .

* * *

كانت « وسي » المدينة ذات الأربعة الأبواب وحصن الملوك حاضرة مصر الثانية ، تحتفل احتفالاً شائقاً بقدوم الجيش المنتصر ، وعلى رأسه أميره الأسود ، فقد عاد محملاً بالأسلاب وغنائم لم يأت بها قائد منتصر من قبل . وكان موكبه حافلاً بالأسرى العظام من الأمراء والحكام وسراة الدولة المقهورة . أما جميع الأسرى من العامة ، فقد كانت تسحب أيديهم وراء ظهورهم سراعهم ، حتى لا يعطلوا سير الموكب بكثرة عددهم . ولكنه احتفظ بملك الأعداء ، فأخذه معه ليقدمه إلى فرعون ، ورمزاً للمصرع الظافر !

وعمت مراسم الاستقبال في عظمة وفخامة جديرتين بالقائد العظيم والفاتح الكبير ! ... ولكن الأميرة « آخي » أولى أميرات البيت الفرعوني ، تخلفت عن حضور الاحتفال ، وأرسلت تعتذر لفرعون . وكان فرعون يعرف شعور ابنته واعتزازها الدائم ، فهون عليها من مصيبتها . ولكن وصول الأمير الأسود جعله يخشى من الأمير بعيد رغبته في زواج ابن الفرعون الأمير ذي جلال ، إذ تجد عنفاً من المستقبلة ، وأحرجت أن يحضر المنتصر بعد القدوم

وأخذ الأتباع يعملون بجد واهتمام في تزيين القصر ، فما كادت الشمس تؤذن بالغروب حتى بدا القصر في جنح الظلام كأنه قطعة من لؤلؤ متألق ! وانتشر الطيب الذكي في أرجائه ، فكأنه روضة فواحة من الأزاهر النضرة .

وجاء الأمير في الموعد في حفل من جنوده ، ودخل القصر وهو يضرب بقدميه صفحتي الأرض ضربات شديدة تردد صداها جوانب المكان ، ويلمع جبينه ويسره وجهه الرائع الذي لم يكن شيء من عاداته على دعوة قوية ... الوحشية يتساقط من وجهه لا تخلو عن أسرة ...

وما إن دخل البهو الكبير ، ورأى الأميرة وانتفض صدره تعجب من وصفاتها ، حتى وقف مكانه ، وبهتت عيناه ، وحدق وجهه في لحظة بنور متلألئ تشع منه الأحلام ، وأمسك بيده رمحين له يجانبه ، وشد عليهما ، وطالت وقفته على هذه الحال والناس من حوله صامتون . وأخيراً همس جيهه في أذنه :

— مولاي ! إن الأميرة تنتظرك ... تقدم !

وتقدم الأمير الأسود بخطوات لم تردد صداها جوانب المكان هذه المرة ، وركع أمامها كما يفعل أمام ربه ، فأنهضته وهي تقول :

من الذي يجب أن تركع أمامه للقائد العظيم !

ورفع وجهه إليها ، وقال في صوت مبحوح :

معذرة يا مولاتي ! ... إنه هذا الجمال الإلهي الذي هو قبسة من وحي ، ونفحة من إبريس ، يستشعر القائد العظيم ميآ له نفسه وضاعته كذا

سيدي

— ليس ثمة عظيم أمامك يا مولاتي ... كلنا من أتباعك المخلصين

وهمس الناس فيما بينهم دهشين حيارى

لم يتعاظم الأمير على هذه الصورة ، حتى في حضرة فرعون الأعظم !

وبدأت الجموع تجري والمكان يغلو بالصخب وريه القصر ، وأخذ القائد يروي وقائعه ، ويعدد أسلابه ، ويذكر ما ناله من مال وضياع تفاضي منه أموال فرعون العظيم . وهمس حديثه قائلاً إلى الأمير : أتعلم أن فرعون بلا عقب ، وهو الآن شيخ مثقل بالمرض ، وقد طالبته الكهنة بسن أمير يخلفه وريثاً للعهد ، أمير أهل لهذا المنصب الخطير ...

— وهل وقع اختيارهم للملك على هذا المحظوظ ؟

فابتسم الأمير ابتسامة ذات معنى ، وقال :

لقد تم اختياره سراً ، وسيعلن غداً في الهيكل الكبير

وعجبت « آخي » ، وقد تفحص الأمير طويلاً .. ثم اتجهت في خشوع وهي تقول

يسعدني أن أكون أول من يقدم طاعته لصاحب الأمر، ويرث ملك الفراعنة العظيم

فأمسك الأمير بيدها، وقال:

هذا الملك العظيم، وهذا القصر الرائع، وهذه الأموال التي لا يستطيع أن يحصيها أحد، كل ما أملكه وما سأكسبه، أضعه تحت قدميك أنت يا أميري، ويا مولاتي! أقدم لك كل هذا مقابل شيء واحد منك

فأسبلت الأميرة جفنيها، وتابع الأمير حديثه في لهجة مشوبة

كلمة منك يا أميرتي تجعل هذا الوادي الفسيح بسكانه وكنوزه، وهذا الملك العظيم طوع يديك... قولي كلمة الرضا، ثم تصبحي، فلن يعصي لك أحد أمراً

وصمتت الأميرة، وهي تقول في صوت خفيض

ألا نذهب إلى الشرفة فنلقي نظرة على البستان؟

فأجابها الأمير، وهو حائر

كما تريدين

وذهبا إلى الشرفة، وأطالت الأميرة النظر إلى المدينة، وهي تجيل بصرها في أشجاره وأزاهيرها. ثم قالت

أيسمح لي الأمير أن أقص عليه قصة قصيرة؟

فأجابها، وهو يرتعد عجباً:

إني مصغ إليك يا أميرة.

— كان في الزمان الغابر فتاة من الأميرات، من أسرة رفيعة النسب؛ تعيش ناعمة البال في قصرها ذي البستان الكبير حياة رغد ورفاهية، ولم يكن لها مطمع تصبو إليه إلا الحصول على الحب، فلم تجد منه نصيباً، وكان يخطب ودها كل فتى، ويجيء إلى قصرها أهل الأمراء شاناً، وأكثرهم مالاً، ولكن جميعهم ردوا يجرون أذيال الخيبة بلا أمل.

ولم ذلك؟

— لأنها كانت مفتونة بحبيب، مسرورة بحبه، فلم تختر واحداً من هؤلاء الأمراء.

— ومن كانت تنتظر أن يتقدم إليها بعد هؤلاء، وهم صفوة النبلاء؟

وترددت الأميرة في إجابتها، وهي ترسل طرفها في الأفق حيث الظلام مقبل في وحشته وسكونه، ... من حبها لم يكن ندياً، ... كانت تنتظر وتؤمل

وهل طال انتظارها؟

كلا!

— إذاً عثرت على صاحب؟

نعم أيها الأمير.

أكان قائداً غازياً؟

— كلا!

— أكان وزيراً خطيراً هو؟

كلا!

— إذاً هو ملك من نسل الآلهة!

— ولا هذا أيضاً..

— من يكون؟

— وأرسلت الأميرة تنهيدة خفيفة، وقالت في صوت الهامس

شاب ريفي الحال، رهيف الشعور!

وما مهنته؟

— ليست له مهنة، كان يقضي أيامه في ضروب البساتين، ويجري على صفاف الأنهار، ويستمتع بمحاسن الطبيعة

— إنها حياة أقرب إلى التشرد والصعلكة

فتضاحكت الأميرة بلهجة الحالم، وهي تستقبل بعينيها كتائب الظلام المقبل في صحب نوره نعس

قد يكون ذلك، ولكنه هو الذي استطاع أن يسحر كبرياءها، ويحطم تاج غرورها

فندت من الأمير صرخة.

— هو!؟... أيمكن ذلك؟

— أجل لقد أحبته الفتاة، أحبت فيه ذلك الشاعر المرهف الحس، يقتحما أصعب الأمور، ويأسرها!

— أكان شاعراً ينظم لها القصائد، ويشدها إليه!

— كان ينظم صادقاً بلا كلام، ويشدها إليها من صمته الرحيم..

فانتابت الأمير حيرة شديدة، وقال في صوت جياش

— وهل تقابلا؟

كلا ، لعله لم تره ، بل أعجب به على البعد !

ولا تدري أرآها أم لا ؟

لا ريب لي أنه رآها

بعد ذلك مر كرات [illegible] هذا الشخص حوالى [illegible] كانت أقصر من أن تحدث حائل السلطان أو جدران القصر ، [illegible] من الفتاة وتلتقي عيونها

— يا للفتى البائس ! [illegible] أمر [illegible] تعال إليه ، [illegible] في حياته

[illegible] الأمير ؟ [illegible] أنه حتى مرت الأحوال ، [illegible] حياته [illegible] إليه ؟

— محال !

[illegible] كم أحبته هذه الفتاة ، وكيف [illegible] أن [illegible] في [illegible] الوحيدة [illegible]

وعلم الأمير [illegible] على [illegible] حتى [illegible] الأميرة [illegible]

لقد [illegible] الفتاة [illegible] التي [illegible] وأحست [illegible] الرهيب [illegible] أن [illegible] من [illegible] [illegible] بالقصر [illegible] والأزهار [illegible] اللامع [illegible] لقد [illegible] كل شيء [illegible] واستطاعت [illegible] أن تهرب ، فتخلص [illegible] في [illegible] !

— وسكت لم [illegible]

— [illegible] ولكن الفتى حتى [illegible] هرب ؟

— [illegible] الناس [illegible] يوماً ، [illegible] أكله [illegible] ومن ثم أسدلت الفتاة على [illegible] ستراً كثيفاً يحجبها عن العالم أجمع !

— [illegible] يوماً ، [illegible] الزواج بأمير كبير !

— إن القصة تحدثك أن الفتاة [illegible] في [illegible] ، ولو لم تتحدث [illegible] لا تحب الأمير ، ولن تطيعه ، بل [illegible]

[illegible] الصغير [illegible]

[illegible] بأن [illegible] يحفظ [illegible]

— وهنا تنتهي القصة ... أليس كذلك !

[illegible] ، والقصة لم تكتمل ، أتريدان أن [illegible]

[illegible] وهو يبسط كفه في حسرة مكبوتة

إنها [illegible] أعجبها [illegible] !

[illegible] الأميرة ، [illegible] على وجهها ابتسامة ، وقالت

كيف [illegible] ؟

[illegible] من [illegible]

— إني [illegible] القصة ، [illegible] أحمر [illegible] الأمير [illegible] في نجوم الليل [illegible] ، كأنه يريد أن [illegible] على [illegible] أمام الأميرة ، وقال

[illegible]

[illegible] طويلة [illegible] ، ثم [illegible] لا تقوى على [illegible]

واستقل [illegible] ، [illegible]

[illegible] في أوهام [illegible] ، [illegible] سحب الظلام [illegible]

[illegible]

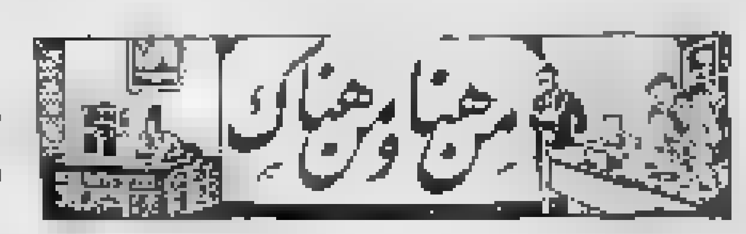


## مطلب عادل

(ملخص عن مقال ... ناجورث)

إن علاقة الإنجليز بتاريخ الهند تعود إلى الاحتلال الكبير فقد توطنت بيننا وبينهم وشائج القربى، وأصبحت رسل الثقافة الأوربية، ولم نزل نحس نفوسنا ما لم تنله أمة من الأمم

ربما كانت الحرية تصل إلى الأرض ماء السماء من آفاق بعيدة التي، فيتغلغل في أعماقه ويسري إلى أعصابه، فيخرج منه ماءً وأبدر آسر الناظرين، فإن سبل الفكر والثقافة الأوربية قد انحدرت إلينا، فأنبتت في قلوبنا حياة جديدة، وأيقظ نفوسنا من سبات طال عليه السنون

دائماً نتذوق الأدب الإنجليزي، ولم تكن قيمته إنما مقصورة على الفن الجميل الذي يعنى به، أو الحكمة النفيسة التي يهديها إلينا. فقد حركت قلوبنا إلى إصلاح كثير من أخطاء الإنسان نحو أخيه الإنسان، فسمعت لأصوات أجراس رنانة الصوت حتى تحطيم أغلال الإنسانية للعبيد، وخلف أبطالنا حماسة نحو النضال في سبيل مكافحة الاتجار بالإنسان

لقد مضى على السبعين من عمري، وكان عهدي بذلك أول العصر من تاريخنا الذي يحق لي أن أسميه العصر الأوربي، في منتصف القرن التاسع عشر وهو العصر الفكتوري الذي يسخر منه شباب اليوم. لم تكن أوربا في ذلك العهد قد فقدت ثقتها في حرية الفكر وحقوق الفرد التي حررت من أجلها في عصور الإصلاح والثورة الفرنسية، وكان الأخ في أمريكا يحارب أخاه لمكافحة الاتجار بالرقيق. ويصح للعصر الفكتوري أن يفتخر بأنه العصر الذي صدحت فيه ألحان ماتزيني الجميلة وصيحات غاريبلدي الجريئة، وأنه العصر الذي ارتفع فيه صوت غلادستون مدوياً كالرعد في أنحاء العالم المتمدن، داعياً إلى أعناق سلطان تركيا. وشعرنا نحن كذلك في عهد تفكيرنا في مستقبلنا في ذلك العهد لم تكن حركتنا تخلو من الصفات الإنجليزية. ولكنا على

الرغم من ذلك كنا على ثقة تامة بالعقل الإنجليزي لقد ... حركتنا ... خالية ... في الإدارة الجديدة

لقد رأينا الأمم الشرقية مسوقة نحو مصيرها ... تأملنا أن نندمج في صفوفهم نحيا ... من التاريخ، و... لم تكن ... شديد أسفي ... لهذا التقدم تقف بنا في السير بين الدين الثقيل الذي نطالب ... بدون هوادة يثقل كاهلنا ويحرمنا من العمر بالعيش بعيد ... المثل من الحياة. فلا تستطيع أمة البائسة أن تزحزح عنها أثقال المصيبة التي تدوس على صدرها كالصخرة الصماء، فتحطم أعصابها من الهم

## مالطة البلطيق

[ملخص عن «الأرض عن ... »]

إن السر في حنق السوفييت على فنلندا هو رغبتها في الحصول على مراكز وطيدة في الأرخبيل الواقع بين فنلندا والسويد وقد يجهل الكثير من سكان أوربا الذين يسكنون بعيداً عن منطقة بحر البلطيق أهمية جزر آلاند التي يعد موقعها من الناحية الحربية كموقع جزيرة مالطة في البحر الأبيض المتوسط

وتتكون هذه الجزر التي نصت عصبة الأمم سنة ١٩٢١ على ظل حرمة من المحميات، من ستمائة جزيرة صغيرة، ما تجمع منها بعدها السكان الذين يبلغ عددهم ٢٨٠٠٠ نفس كلهم من الصيادين

وتقع هذه الجزر على بعد ٥٠ ميلاً من الشاطئ الفنلندي، و٢٥ ميلاً من السويد و ٣٥ ميلاً من لننجراد و ٧٠٠ ميل من موسكو و ٥٠٠ ميل من دانزج و ٣٠٠ ميل من كيل و ٤٠٠ ميل من كوبنهاجن. وعاصمتها «ماريهامن» وهي مدينة صغيرة الحجم، يقتصر على أرصفة بعض المساكن الخشبية، ويخرج منها رائحة الأسماك الجديدة

ونظراً لاستقلالها صدرت من أعضاء عصبة الأمم «ألمانيا وبريطانيا» التي حلت مشكلة جزائر آلاند لتصبح من المحميات على فنلندا أن تحمي هذه الجزر. إلا أن الاتفاق الألماني السوفييتي قد أتاح استلامه في الأيام الأخيرة أن تنال موافقة تلك الأعضاء «بريطانيا العظمى، وفرنسا، واستونيا،

والدعوك» على تعصبيا، فظلت جامعة منجمة لحاوه ملوحاس وأهم أسطول خاص لحماية الجزر. ومن لا شك فيه أن وجود قوة من البحرية والطيران في جزائر آلند يجعل من السهل على أية أمة أن تسيطر على شمال غرب أوروبا ... هذه الجزائر في نظرة السوفييت ودول البلطيق، وتسهل ... الدعوك والنرويج وشرق روسيا

وفضلاً عن هذا فإن جزائر آلند بموقعها تعتبر كسيفة من السحب التي يحتمي خلفها تمام ويختفي معه سواحل ... فإذا استولت أمة على هذه الجزر تسنى لها السيادة على شبه جزيرة (اسكاندناوة) وأعالي بحر البلطيق. ومن اليسير أن تصبح الزاوية المؤلفة من روسيا الغربية واسكاندينافيا وشمال ألمانيا تحت سيطرة هذه الجزر القائمة وسطها، فتعمل الطائرات جنوباً في سبعة أيام

ومن هنا يسهل علينا أن نقدر القيمة التي لجزائر آلند في نظر السوفييت. ونعرف أن كل محاولات روسيا للاستيلاء على موانئ حرة على دول البلطيق وليتوانيا وإستونيا لا قيمة لها بغير هذه الجزر

## هل تعني الكنائس بكراهة الرذيلة

[ ملخصة عن « ذي ريفيو أف ريفيوز » ]

كانت دمشق منعطف لحملة النقد الشديد التي أثارت منذ بضع سنين حول مصرع سير أوبير الذي قال فيه: (إن الرجل الممتاز لا يهتم كثيراً بآثامه في هذه الأيام)

فقد أثر هذا القول في رجال الكنائس على اختلاف مذاهبهم، وجعل الوعاظ يبذلون غاية جهدهم في تعليمه وإقناع الناس بأن أول ما يجب على المسيحي هو أن يكره الرذيلة. وهذا مذهب طالما رددته الأوساط الدينية في السنين الغابرة، وهو راجع إلى عاطفة طبيعية في الإنسان. فقد كان الرجل العادي يعتقد أن كراهية الرذيلة أسهل كثيراً عليه من حب الفضيلة. وقد اتخذ ... وجوه تختلف باختلاف المواهب، وكان بعض رجال الدين يشعرون أنهم لا يستطيعون أن يحيوا في مأمن من الرذيلة التي يكرهونها كل الكره، ويشعرون من الوقوع فيها إلا بالعزلة والانفصال التام عن العالم

والطريقة التي يحبب بها سير أوبير روح سيدة المسيحية ... خاصة في كراهة الرذيلة، فيقول بعضهم: إن الرغبة التي تحرض أحد حولك كما تحب نفسك. وهي إحدى الوصايا العشر التي لا يمكن التوفيق بينها وبين كراهية الرذيلة ... بجعل هذه الرغبة في حكم المستحيلات، إذ أن التفكير بالمسيحي يسوقه إلى كراهية فاعله الذي قد يكون جاراً لنا ويوماً، لا يمكن التوفيق بين الحب والكراهية

إن كراهة الرذيلة والخوف منها يساعدان على فنائها. فنحن إذ نحول من الرذيلة هو مسألة في حياتنا نعمل على إحيائها ونريد أن نقتلها ونقضي عليه، فإنما نخلق «المحرمين» في الشر مثالاً خالداً. ومن كل مستمع هذه الخيال القضي عليه. إن النظر إلى الرذيلة أمر عال في حياتنا، يجعل تدعيمه الشيطان حياً في حياتنا اليومية

## كيف تنام نوماً هادئاً

[ ملخصة عن « ذي سبكوتيتر » ]

الرجل يطلبهم أحياناً نوماً من الفنادق، فأما المتعب الكبيرة تساعده على النوم العميق، والرجل الذي يجهدك في الأعمال البدنية أياماً متوالية، تنام في العادة نوماً عميقاً، لا يجعله من النعاس الذي يصيبك جراء في حين لا يظهر بمثل ذلك الرجل الذي يلازم مكتبه طيلة النهار، ولا تسمح به أعماله بالحركة والنشاط

ألا ترى أن التفكير التي تلازمنا في بعض الأحيان كثيراً ما تحرمنا لذة النوم. فإذا لم تجد وسيلة لإبعاد همومنا ونحن في وقت اليقظة، فسوف لا تبارحنا حتى تحرمنا الهدوء والراحة عند النوم. فمن الواجب إذن أن نعمل على ترويح النفس وإخلائها من مشاغلها إذا انتهى اليوم وحضرنا لنقضي الرقاد

فإذا أمسى المساء وجب علينا أن نخلد إلى الراحة، ونأخذ في تصفية حساب اليوم، فنعرض على الذهن حوادث اليوم من الصباح إلى المساء. هل كان يومنا يوماً سعيداً؟ وإذا لم يكن كذلك فما السبب؟ وما هو الخطأ الذي جعله كذلك؟ وإذا كان علينا أن نقبل تجربته بعين الصواب؟ فإذا آنست من نفسك ضعفاً ولو يسيراً فيما تقوم به من الأعمال، وجب عليك أن تبحث عن الطريقة التي تساعدك على إزالة هذا الضعف، وتجعل كل همك أن تعرف متى يمكنك أن تقوم بأعمالك على الوجه الصحيح

أما من الناحية الجسمية فيجب أن تعرف مقدار ما أديته

يئست من التفوق. هل كانت أعمالك الفكرية من الكثرة بحيث لا تترك الفرصة الكافية لجسمك ليأخذ حظه من النشاط؟ إذا كان الأمر كذلك فلا بد من الموازنة بين حاجات الفكر والبدن، إذا أردت أن تنام نوماً عميقاً هادئاً.

إن متاعب الليل، هي أثر من متاعب النهار. فمن الواجب أن تفحص حالتك العامة. هل هي متجهة إلى طريق الصواب من سائر الوجوه؟ هل يقوم جسمك وعملك وعواطفك بما هو مطلوب منه؟ إذا لم يكن ذلك فإن هذا النقص الذي تراه في النوم سيكون له أثره في أعمالك عند الصباح.

من الواجب إذن أن تراقب نفسك مراقبة دقيقة إذا كنت لا تنام نوماً مريحاً، وتعرف منك ما يشغلك في النهار لتستريح في المساء.

## ماذا يربح كبار المؤلفين؟

[عن «[illegible] دايجست»]

ماذا يربح كبار المؤلفين؟ هذا سؤال لا نستطيع أن نجيب عنه على وجه التخصيص. ولكننا نستطيع ترجمة الأرقام التي تظهر من آن لآخر، أي مبلغ الثروة التي [illegible]، فمن المعروف مثلاً أن سير جيمس باري خلف بعد موته ١٧٤٠٠٠ من الجنيهات الإنجليزية، ويعد هذا المبلغ الكبير من أكثر ما عرف في مخلفات الكتاب الإنكليز. وإذا علمنا أن «باري» أمضى [illegible] في مرضه إبان الحرب العظمى، وأنه كان يمنح أموالاً طائلة في وجوه الإحسان، أمكننا أن نقدر الأرباح العظيمة التي كان يكسب من أدبه الغزير. وترك القصاص الإنجليزي المرحوم روديارد كبلنج ١٥٠٠٠٠ من الجنيهات.

وخلف [illegible] تشارلس دكنز العظيم تركة بعد موته ٩٣٠٠٠ من الجنيهات، وجورج مور ٧٠٠٠٠ جنيه، أما توماس هاردي فقد خلف ٩١٠٠٠ جنيه، على وجه التحقيق.

وإذا جئنا إلى كل مؤلف وما أخذه في حياته من الأرباح نستطيع أن نقول إنه دفع «[illegible]» في حقوق طبع مؤلفه «[illegible]» في الأزمة الأخيرة الأولى من [illegible] ٤٠٠٠٠ من الجنيهات بشكل عام، ويعد هذا المبلغ من أكبر ما ربحه مؤلف من كتاب واحد، [illegible] «[illegible]» ترجمة «[illegible]» [illegible] ٥٠٠٠ جنيه، وأصاب [illegible] ٢٠٠٠٠ من الجنيهات، وإحدى قصصها المعروفة [illegible] «إليس [illegible]» [illegible] ٣٠٠٠ من الجنيهات في قصة مؤلفة من ٢٠٠٠ كلمة بعنوان [illegible]. وقد [illegible] كبلنج عن الأقاصيص التي دفع إليه في كل منها [illegible] الإنجليزية، وعلى هذه النسبة نستطيع أن نقدر أنه تقاضى ٢٠٠٠٠ من الجنيهات [illegible] في أعماله [illegible] التي [illegible] المؤلف للجمهور، ودفع إلى كبلنج ٥٠٠٠ من الجنيهات في حقوق طبع «كم» في أمريكا وإنكلترا، ودفعت إليه مجلة «كوزمو» الأمريكية مبلغ [illegible] جنيه في قصيدة واحدة.

أما بين المؤلفين الأحياء، فقد ربح [illegible] ١٠٠٠٠ جنيه في قصة من نوع القصص القصيرة، وبلغت أرباح [illegible] في مؤلفاته الموسومة باسم [illegible] من الجنيهات في سبعة عشر عاماً، وبلغت أرباح «بيفرلي نيكولس» ٢٥٠٠٠ من الجنيهات في بضعة مؤلفات من كوخه وحديقته في [illegible].

وبلغت أرباح لورد مورلي من كتاب «حياة جلادستون» ١٠٠٠٠، وربح ونستون تشرشل [illegible] جنيه في كتاب عن حياة أبيه. وقد بلغت أرباح كل من «[illegible]» و«[illegible]» في العام ٣٠٠٠٠ من الجنيهات.

وقد خصص «هوليود» [illegible] جديداً للربح لكبار المؤلفين [illegible] للمبالغ التي تدفع لحقوق إخراج مؤلف من المؤلفات للسينما من ١٠٠٠ جنيه إلى ١٥٠٠٠ جنيه، وقد تزيد على ذلك في بعض الأحيان. فقد دفع مثلاً في «[illegible]» ٣٢٠٠٠ جنيه، وفي قصة «[illegible] في شارع» ٢٥٠٠٠ من الجنيهات

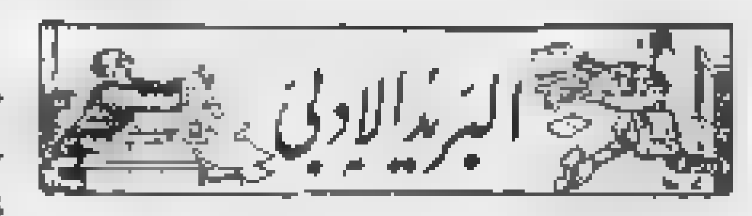


## ماعز ومناقة

هذان لفظان أستعرجهما من لغتنا الزاخرة بالغريب والتعبيرات لأدل بهما على ما يقال له « الناظرة »

والناقة في اللغة أن عنده وعندك ، كما جاء في « القاموس » مادة ن ق ه ، وهذه اللفظة أيضاً في « المخصص » ج ٣ ص ١٢٩ وقد استعمل الجاحظ هذا الحرف في رسالته الظريفة « التربيع والتدوير » ( مجموعة رسائل ، مصر ١٣٢٤ ص ١٠٢ ) إذ قال « ولو ظهرت لنا حالة كمؤال إليك ، ولا مانعة الكلام كناقتي لك » . وأما المناقة فقد استعملها التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » ص ٩ حيث قال « من هذه المناقة نشأ » وروى ٤٢ وشرحها ناشرا الكتاب هكذا : « المناقة المطارحة في العلم والأدب ومدة كرتها » . والمناقة حرف جلي الحضور لهذا المعنى ، أفلا نستعمل كلمة المناقة لذلك الجمع من ألوان الأدب وصنوف العلوم وضروب الفنون ؟

وأما الذي يحدوني إلى عرض هذين اللفظين بدلاً من « المناظرة » فترلان هذه ، في أقلام الصحافيين ومنابر الخطباء ، إلى الحاضر ، ما يدعم بعضه أشد صبر متمكن ، فتنبو رؤوسهم وتُزل أقلامهم ، فيفزعون من الحضر إلى الغث ، فيجد الذي يكتبونه كثيراً بدون أن شرحه ؛ « وهي علم إلا عبارات في أوعية صوته » غير أننا نعرف سوقه عنده إلى حد لا نفصل منه سلاطة اللسان سماعة إقلاب الرجل

وإني ليحلو لي أن أكاتب أشرف الرجال وأنقل أنساب العلماء وأكابر الأدباء ، وحديثاً نشرت الأزهر في « السياسة والأدب » ، وطلب بعد ذلك الأب الكرملي والشيخ المغربي ، ثم الزركلي ببارك وطليعته . واليوم أتقبل « استحلواً جميلاً » عالماً ثقة . ومما يورث الأسف أن لا أقوى على ما أحبه ، وهو أسم عربي غناء ومشاعر مخلص لا أقوى على به لأن صاحبه يريد أن يكتمه عن الناس ويجعله خفاء ، ومع مثاله هكذا « فلان » ، وأخرى هكذا « القارئ » ، أو « أزهري ( طنطا ) » على أن قراء « الرسالة » يعرفون من وراء تلك الرموز

مثل « أزهري ( طنطا ) » في العدد الماضي من « الرسالة » على مقال كتب نشره في « الثقافة » المصرية ، وهذا فيها أن أصحاب المعجم ربما أعيتهم لفظة في غابة نشاطهم ، فأسأل العالم المتواضع إلى الأمثال التي كنت أورده كمثل آخر هو كله « تكلم » ، ثم جمع مقالة عامية تشغل صدور العرب والمشتغلين بالعربية

وإلى جمع تلك الأمثال بشكل جديد ، وإليك قصته

كنت استعملت في مقالة « سيرة الطريق » هذه الكلمة « متعضلات » ، فجاءني صديق بصير بمفردات اللغة وأنكر على الكلمة فقال : إنه لم يرد في المعجم ، وإنما المشكل – كما جاء في القاموس ولسان العرب – هو اعتياد حدث أو لعبة مثلاً ، ثم إنشاده الشيء ، ثم الاختصاص . ووافقه الصديق أن الصواب هو « الامتثال » من قولهم « مثله له تمثيلاً صوره » حتى كأنه ينظر إليه ، ومثله هو « تصوّره » . فغلب الصديق ويكفي أن أذكره « امتثال الشيء » في هذا الموضع ، لأن الامتثال طلب فيه معنى الإذعان و« اتباع الطريقة » ثم هذا معنى بين يدي في جانبي . قال الفيروزبادي في « مصابيح العلوم » ( مصر ١٣٢٤ ص ٩٢ ) : « يقال تصوّرت الشيء إذا تمثلت صورته في نفسك ، وعقله وعلمه » فقال الصديق – وهو من المتشددين – وهل يستشهد بالفيروزبادي ؟ فقلت : هو رأيك وهو رأي

واليوم أخبر هذا الصديق أن عثرت – من باب الاتفاق على « تمثل الشيء » في معجم وهو من « لسان العرب » « وتم الشيء تمثيله وعقله كان في فرحوده أو لم يكن » ولم أجده هنا في « القاموس » ، غير أنك تجد عبرة « اللسان » في مستدرك « تاج العروس » مادة و هـ م

تقييم

وأما قصة « حوادث » « طلاع » الكاتب في عدد الرسالة الماضي ، من سيطول الناقد والعاجة إلى ميدان التطاول بالعظ وحده . فقد كنت بصرت الكاتب في مقال السابق ، وبين يدي الشواهد النواقص ، بأمور ثلاثة . الأول أن يجر « النطق » ليس من غروره « التدارك » كما رغم دول الأصح مبيناً ولم غيره ، لم يعطي هنا كلمة واحدة . والأمر الثاني أن الزلزلة في اللغة تذهب بعضهم على زلزلة الأرض كما وهم أيضاً ، هي شدة الاضطراب والتحرك أول ما تبدو ؛ لم يقرّ على المعاد

لأن أحداً من الناس لا يستطيع رد القرآن. والأمر الثالث أن الزلزلة والضرب على صدوره في أمثه؟ فلم يجد في التكرارة لأن أسلوب صاحب «الأغاني» وغيره من البلغاء غيرها؛ بل جاء به شاهداً آخر يؤيد قول (المتنبي في «زلزل مشكوكاً»)

وعلى هذا فقد سخر الكاتب ، صرفاً ، بأن يصوره بما كان يجهل ، في ثلاثة مراحل . غير أني أريد أن أنصف القارئ فقد نشت الكاتب — بعد تسليمه ذلك — جاهل قد يعرف سنه أن يعني بزلزلة الأذن ، أي اضطرابها وتحركها ، (ومن بعض المطالعين أحدهم أن ينشث جيبه) فقال غير متأول الحقيقة : إن أذن الإنسان — من بين جميع الحيوان — لا تتحرك أبداً . وهنا أعود إلى تعبير الكاتب بما وامع الناس على فلسفته وعلومه فيما جاء في كتاب قررت وزارة المعارف المصرية استعماله لمدارسها ، وعنوانه «خلاصة الطبيعة» — الجزء الرابع في الصوت ، الطبعة الـ ١٤ بمصر ١٩٣٠ ، ص ١٢٥ «شرح عمل الأذن : عند حدوث صوت بالقرب من الأذن تنقل أمواجه الهوائية داخل الأذن الخارجية وتؤثر في غشائه الطبلة فيهتز حركة ثابتة تدرك مصدر الصوت ، لأن شكل ذلك الغشاء ... ويمكنه من الاهتزاز على أثر أي صوت خارجي» إن الكاتب يظن أن كل الأذن — وهي جهاز السمع — هو ما يراه إذا نظر إلى مرآته . ألا إن هذا التعبير لحديث الكاتب ؛ وهل يبصر أحد بسائط سمعه ثم يعادي العلوم إلا على جهة التسلي والتلهي ؟

نشت الكاتب عبد الجليل الشريف — وقد عرفت بطلانه — بعد أن سخر بصحة قولي في الأمور الثلاثة التي كان الأحرى به أن ينسبه إلى نفسه بما كان يجهل أو من صعوبة ، فنظر حول قصره ما يقرب حاجة الكلام ؛ وذلك تركه لمن فليتطوقه[1] «... مكتلاً يحزن بما علق بصدره ؛ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».

بشير فارس

## الدكتور عبد الوهاب عزام

قصدت «القاهرة» في هذا الأسبوع ، واشتريت نسخة من «رحلات» ؛ فالرحلة الثامنة للدكتور عبد الوهاب عزام أستاذ جامعة فؤاد الأول ، وجدت في أحد طائفاً من أخبار الفصل من القاهرين أحرث «المستوفي» منهجاً منسجماً . فقال لي هذه الحكاية :

(١) في مجالس ... من سورة القرآن ... ثلاث قراءة وغيره

على «رحلات» عبد الوهاب عزام ...

فقال : اسمع يا شيخ ، أحق أن (مصر) مسرح كل ما في الأقاليم العربية أنها أكثر منهن عدداً ، وما دونها أشبه ... وصناعة ، في أبنائه ، وشعبه نظام ؛ ولكنها غالبين ، ومن طين — وحق له أن تنبه — يطل منه المجد ... عن هذا الكلام في «مصر وعزام» ، ومكتب في مجلة أخيه أحمد حسن الزيات

ملاحظة :

... رشيد

## فلم «ممنوع الحب»

في اعتقادي أن هذا الفلم أبلغ أفلام عبد الوهاب نجاحاً في مجال الكمال . إذ ولى مجمع الفن من حيث الإخراج والإضاءة والتصوير والتمثيل والحوار ، وبهذا الفلم الوحيد الذي لا يجرؤ المصري أن يعرض في غير مصر ، لما حوته سماته واتزانه وحوادثه وسلامة لغته وجمال مناظره وروعة أغانيه . وقد كانت أفلام عبد الوهاب تنتقد في موضوعها الفني على حساب صوته وطرائفه وشخصيته . أما هذا الفلم فبدا مجرداً من شوائب النقد ، بل دعا على قيمه وقد دل على أن الأستاذ محمد كريم أول المخرجين ، وأن الأستاذ عبد الوهاب من أوائل الممثلين . ولذا نطرب من هذا الفلم وجيد ما تتجه الشركات المصرية من الأفلام التي تقوم على الشخصيات المهرجة والتمثيل الشاذ ، ونهيب أننا لا نرى تجمع أفراداً وتشغل جماعة !

الزيات

## في المجمع اللغوي

تأجل اجتماع مجمع فؤاد الأول للغة العربية عند قدوم عضو من الأعضاء المصريين والمستشرقين حسب عادة الجمعية وقد اقتصر المجمع على مناقشة العمل في تنسيقه ، وأعمال لجانه ، وتتجه الفكرة الآن إلى تعديل تكوين المجمع تعديلاً جوهرياً ، ودمج الأعضاء المصريين بمجمع مصري مطلق التمام

ويتنظر أن يرمي التعديل الجديد إلى عرض مرسوم جديداً لاستصدار المرسوم المشكل به ، والقانون سيحدد إلى أعضاء المجمع المصريين عشرة أعضاء يختصون من كبار المشتغلين بالبحوث اللغوية ، ويعين أعضاؤه بعد صدور المرسوم المشكل تعييناً لهيئة دورة المجمع ، وربما عقدت هذه الدورة في أواخر شهر مارس المقبل

## الصحبة الروحية

صديقي

إليك أقدم تحية الأخوة وإن لم أرك ، فقد شغلت أخوة الأديب وأطلعني على رسالتين كريمتين خصصته بهما ، ومن قبل ذلك قدم إليّ طوائف من الرسائل شهدت بأنه موصول القلب بإخوان كرام أوفياء ، وبين الصداقة الروحية أعظم وأصدق من الصداقة التي تخلقها التلاقي أو تطلبها الحديث

ولن يطول اصطحاب بيني وبينك ، أيها الصديق ، فقد اتفقت مع الأستاذ الزيات على إعلان موظفي القراء من حين إلى حين ، ليرى قراء الرسالة صورة كريمة لرفاق أعزاء تجمع بينهم الأخوة في الأدب ، كما تجمع أخوة الدين بين الأتقياء والصالحين

ولا أكتمك ، أيها الصديق ، أني أتخوف من صداقتك مع الأستاذ الزيات ، فهو يهدي إليّ شعوري على أنك تحبه كما تحبني ، وهذا تلطف يستحق التشجيع ، لأن الزيات من أعز أصدقائي ، وهو أيضاً وسيلتك إليّ ، والحب يتضاعف مع الرسول

أنا أعرف سر تقربك ، أيها الصديق ، والزيات يعرف أن حبك الحبيب الأول ، فلا بأس عليك إن عاملته حين تملى إجابتك بأسلوب ، فقد يكون الأديب [illegible] أحوج من يجد النصيحة عنده من أهل الصدق

ثم ماذا ؟

أريد أن أغتنم الفرصة الذهبية التي جمعت بين قلبي وقلبك ، وإن لم أرك ، فأنصح إليك بنصح يشغلك في الأيام المقبلات

فهل أنت في دنياك ؟

يظهر من رسائلك أنك تريد أن تكون كاتباً يسيطر على مواد اللغة العربية في الشرق والغرب ، ويملك القدرة على تحويل الناس من ضلال إلى هدى أو من هدى إلى ضلال

وأنا حاضر لإرشادك ، أيها الصديق ، فما يسرني أن أخرج بصحبة الأديب والبيان ، فهل تعرف جوهر النصح الذي أقدمه إليك ؟

إن أساتذتك عرفوك أشياء ترجع في جملتها إلى فهم علوم اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض ، وهي علوم نفيسة جداً ، ولكنها لم تصل بأصحابها إلى شيء ، فقد كنت أعهد الطلبة أكتب لأساتذة ما يريدون توجيهه إلى الرؤساء والوزراء ، ولو شئت لقلت إني أديب [illegible] لم تكن دروسهم إلا غشاً مما جنوه على أولئك الأساتذة الفضلاء . فما هو سر البيان الذي أريد أن أفضي به إليك ؟

هو الصدق الأدبي ، هو التقيد الأدبي ، هو الملكة الأدبية

ولن تكون كاتباً ولا شاعراً ولا خطيباً بدون تلك الملكة وإن كنت أعرف الناس بحقائق من علوم اللغة العربية

فما هي تلك الملكة ؟ هي روحك ، أيها الصديق ، ولا قيمة لأديب بلا روح

الأدب في جوهره صورة من الروح الشفاف الذي ترتسم فيه صور الوجود ، فإن كان لك روح ، فأنت أديب ، وإلا فأنت نسخة ثانية من الشيخ فلان الذي لا يعرف من الأدب غير قواعد النحو والتصريف

الصحة الأدبية هي أن تغار على الأدب ، كما يغار رجل الدين على الدين . فأين أنت من تلك الغيرة ، أيها الصديق ؟

أنت تعرف أن في الدنيا [illegible] أشنع ضروب الاضطهاد بسبب التمسك بعقائدهم الدينية ، ومذاهبهم السياسية ، فأين أنت من أولئك وهؤلاء ؟ وما الذي أصبت من ضروب التضحية في سبيل الأدب ، وهو غذاء قلبك وروحك ؟

إن الأديب الحق يحدثك عن نفسك بما تجهل من شؤون نفسك في حرارة عنيفة ، وهو يستكشف الغامض من سرائر قلبك وروحك ؟

ما حرارة قلبك وهو يسعى لتسعد ، وهو يهدي نفسك ؟

أنا أعرف [illegible] الأديب منك أيها الصديق ، فأنت تحدثني بكتاب طيب [illegible] وذكي بيان ، وسأذكرها ما حييت ، ولكن ما الذي يمنعني أن أتقدم لك على ما أحمل من أنس ؟

أتقول : إن الزيات لا يستجيب لنداءاتك في كل وقت ؟

إن كان ذلك ، فتقدم إليّ بما يهمك نشره لأحتال في عرضه على القراء بأسلوب يرضيهم ويرضيك ، إلى أن تعرف كيف تعرض رأيك وأسلوبك على أولئك القراء

وتقول إنك كتبت ما طلب لك الزيات حين قرأت مقال أحد الكتاب في «عيبة الأسلوب» ، وأنا أكتب كما تكتب ، ولكن فاتك أن تعرف أن ذلك الكاتب لم يعجبك ولم يقنعك إلا لأنه تحدث عن قلبه بأسلوب صريح يجب أن أتحدث به عن قلبي أو تتحدث به عن قلبك ، وهنا تظهر قيمة الصدق الأدبية ، إن كانت عندك في كثير أو قليل

صديقي

ما أحب أن أطيل القول في مخاطبتك ، فأنت تعرف عن نفسك أكثر مما أعرف ، وإنما يهمني أن تعرف جيداً أن قلبي

# طب العقـــل والنفس

تأليف الدكتور محمد حسني ولاية

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

الطبيب محمد حسني ولاية من الأطباء الذين يعرفهم الإسكندرية، أديب شاب يشارف الثلاثين، متخصص في طب الأمراض العقلية والعصبية. قضى مدة في مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية دارساً، فاستعرض أحوال المصابين بأمراض عقلية واضطرابات نفسية، فتكون له من ذلك حافز شخصي على دراسة الجنون دراسة علمية من جانبيه النظري والعملي. وكان ثمرة هذه الدراسة كتابه «بين العقل والجنون» الذي أصدره منذ [illegible] وهو اليوم قد أخرج للناس كتاباً جديداً عنوانه «طب العقل والنفس» وهو ثمرة دراسة نظرية الأمراض العقلية والاضطرابات العصبية، معتمداً على آراء علماء [illegible] التحليل النفسي، والأخص فرويد وأدلر ويونج [illegible] في المجموع تلخيصاً لآراء هؤلاء [illegible] الفصول التي تقدمها من الجنون والاضطرابات العقلية ومسائل العقل والوجدان والنفس [illegible] الكتاب [illegible] ومن بارز علماء مدرسة التحليل النفسي، وهو يقف بهذا عند آرائهم فلا يتجاوزها في شيء إلى آراء المدرسة السلوكية أو الجشطالتية الألمانية أو الميكانيكية الروسية في علم النفس.

واعتماد المؤلف في دراسته للموضوع على [illegible] مدرسة التحليل النفسي أحدث بينه وبين تكوين فكرة واضحة بينة الخطوط ظاهرة المعالم من الموضوع، فكان من ذلك الاضطراب في تكوين بعض الموضوعات (لا كلها) كما هو ملحوظ في فصل «الحب التناسلي عند المرأة» وفصل «اللاوعي». وهذا الاضطراب قد يبدو أكثر وضوحاً إذا لاحظنا أن المؤلف مثلاً لم يعتمد بالنسبة لفرويد وهو رأس مدرسة التحليل النفسي، إلا على مصدرين: أحدهما مستمد من آثاره، والآخر مذكرات ورسائل له. وهذا أفقد الكتاب الوحدة المطلوبة في الكتب، ومن هنا جاءت فصول الكتاب غير متجانسة، فهذا فصل عن فرويد وآخر عن آرائه وبين هذا

---

ذلك رأيه لم يخل من [illegible] حتى يعود القيمة [illegible] عليه بلا [illegible] ولا [illegible]

وسيأتي يوم يكون فيه للقرحة دولة، وفي ذلك اليوم وهو قريب [illegible] الشاعر [illegible] والقلوب

وإن فاتك أن تكتب كما أكتب وكما يكتب [illegible] فلن يفوتك أن تكون من أهل الحسرة على [illegible]

ومن أنا؟ ومن [illegible]؟ ومن [illegible] منك؟

نحن [illegible] صروف الأيام والليالي [illegible]

كما [illegible]

[illegible]

[illegible] أن نشكو [illegible]

من [illegible] أن [illegible] لا يشكون جوع البطون، وإنما يشكون جوع القلوب

وآه ثم آه من جوع القلوب!!

زكي مبارك

---

## رأي الأستاذ النشاشيبي في نهج البلاغة

سيدي الأستاذ صاحب «الرسالة» الغراء

الرجاء أن تتكرموا بنشر ما في [illegible] كتابي علامة العربية وأديبها العبقري الأستاذ الجليل «محمد إسعاف النشاشيبي»: «الإسلام الصحيح» و«كلمة في اللغة العربية» عن صحة «نهج البلاغة» فإن الكتاب الأول ممنوع في العراق (؟؟) — كما يعلم الأستاذ الجليل بالطبع — والكتاب الثاني أندر من [illegible] في هذا الزمان

وذلك رغبة وشوقاً — والرغبة هنا ملحة، والشوق أكيد — لما عرفت من فضل أستاذنا الجليل النشاشيبي وعلمه [illegible] — إلى أن نقرأ مقال [illegible] البلاغة في (نهج البلاغة)

شاكر [illegible]

عضو جمعية الرابطة [illegible] الأدبية في النجف الأشرف

(الرسالة) الكتابان [illegible] مشهوران [illegible] في [illegible] في [illegible] الكتاب «الإسلام الصحيح»

وذلك أصل ليوضع ، ومن بعد ذلك تتناول موضوعاً واحداً ، وهذا لا يجعل إمكاناً لأن يخرج الإنسان بفكرة واضحة عن مواطن الاختلاف والتباين بين هذه الأنواع الثلاثة للوصف والتحليل النفسي في المسألة الواحدة . ثم هنالك بعض الاصطلاحات جاء بها المؤلف من الأوروبي واستعمل لفظ Sex وكأنما ذهب إلى جنس والصحيح أن اللفظ العربي الذي ينظر إليه المصطلح الأوروبي هو « شق » كما رأى الدكتور محمد بك شرف ونحوه في ذلك القاموس [illegible] العلمية في العالم العربي . ثم هنالك استعمال [illegible] للدلالة إلى Fantasies والصحيح [illegible] الأولى ، كما قلنا في [illegible] وكذلك استعمال الغرض حيناً والموضوع حيناً دلالة إلى Object والصحيح الوجه الثاني . ثم ترجمة moral بخلقي والصحيح الأدبي و En trovert بالمنتشر والصحيح أن يقال المتجه كما رأى ذلك مظهر سعيد

كذلك مما يؤخذ على اللغة الاصطلاحية للكتاب نقل المؤلف [illegible] ومعلوم أن النسبة [illegible] من [illegible] ورب قائل يقول [illegible] من [illegible] وآدمي من آدم [illegible] على أنه بعد ذلك يجب بعض مصطلحات الفرعية أصاب المؤلف في العثور على المقابل العربي لها ، من ذلك استعماله النكوصي مقابلاً لـ In trovert وهو أدق من لفظة المكتئب التي استعملها مظهر سعيد

وفي الكتاب مطالعات جديرة بالنظر للمؤلف ، عدها على وجه خاص في بحثه عن أسباب الأمراض العقلية ، وهي مطالعات لم يسبقه إلى بعضها أحد . كما نجد في الكتاب آراء ومطالعات عرضة للمناقشة ، خصوصاً ما يذكره نوع من الزواج التجريبي الذي دعا إليه القاضي Lindsey ، وما يحذره هو من العلاقات « الجنسية » التي توجد بين [illegible]

على أنه بعد ذلك على الرغم من هذه المآخذ ، فالكتاب جدير بالنظر والمطالعة بما يحتوي في صفحاته مطالعات قيمة عن الحياة النفسية والشعورية ، ومن الاضطرابات التي تستولي على النفس البشرية ، يستفيد منها الإنسان في حياته اليومية ، كما يستفيد منها الأديب والعالم في جوانبه الأدبية والعلمية ، ومن هنا فالكتاب يشكر عليه صاحبه للمجهود المبذول فيه ، وهو خليق منه بالتشجيع

« الإسكندرية » إسماعيل أحمد أدهم

## ٢ – وحي الرسالة

[illegible] الرسالة ، أن [illegible]
[illegible] والأحمد [illegible]
[illegible] وحي الرسالة [illegible]

كتب صديقه الدكتور زكي مبارك في جريدة [illegible]

هذه [illegible] وجهات [illegible] يخرجه بعض الناشئين لهذا العهد ، وهم لا يلتفتون إلى أن الكتابة صناعة [illegible] في [illegible] الكاتب صحة النص [illegible] ، والتمييز [illegible] الطرق ، ثم [illegible] للتعبير ، والسبك المحكم إلى جانب التصوير . وأسلوب الأستاذ الزيات الترسل في نسق العبارة ، والترص في تدوين الفكرة [illegible] الأسلوب في غالب الأحيان [illegible] الألفاظ ، وتكلف الأداء . وقد نجا أسلوب هذا الكتاب من هذين الخطرين فجعل سبيله صاحبه السليمة وترسم خطى البلغاء من كتاب العرب الماضين فدبجه الكاتب الأديب . وكم [illegible] من هذا الأسلوب الإطناب المقبول ، وإن قال الأستاذ في مقدمة كتابه إن الإيجاز صفته ، إلا أنه عني بالإطناب [illegible] الكلام وفضول القول بحشو وتطويل لغير فائدة

وموضوعات الكتاب إن هي إلا معرض ألوان شتى من التأليف . إنشاء [illegible] ووصف ونظر في الحياة الجارية . فمن الإنشاء « [illegible] رجب [illegible] » [illegible] ومن النقد « مصطفى صادق الرافعي » و « أحمد زكي باشا » [illegible] خصائص الكاتبين في [illegible] إذ ذكر مواضع الإكبار ومواطن المآخذ جنباً لجنب . ومن الوصف ما [illegible] من تصوير [illegible] للمدينة وحقول [illegible] وشواطئ البحر ومصائف الجبل . ومن النظر في الحياة الجارية تلك المقالات الرصينة مثل « [illegible] الوظيفة » و « القرية [illegible] الأصلية » ( وهنا أورد كلمة الفردية Individualisme كما جئت في [illegible] ) والقارئ في هذه المقالات لا [illegible] إنما [illegible] على جوانب [illegible] والحديد [illegible] الأساسي ، وكتابة الأستاذ هنا لا تنجذب إلى الأسلوب القصصي [illegible] ولكنها كتابة [illegible]

وفي تلك الموضوعات، على تنوعها، مطارح اللغة السامية تتأتى له العاطفة وصيرورتها الكبيرة؛ وذلك لأن الزيات يعرف كيف يستخرج الكلمات ويشتق من المعاني. وهو إلى هذا أفصح من أساليب الفصحاء، يكره التشدد والتنطع، حتى أنك لا تجد ... يستعمل الألفاظ الأعجمية على وجهها إذا طابت السياق ... من ذلك لفظة «الإيديال» ص ٤١ و«المثل الأعلى» و«تاكسي» ص ١٦٨ و«الفرنك والصالات» ص ٢٧٩ ... وأكبر الظن أنه ... من غنى اللغة العربية أن يحتاج مثل هذه الألفاظ، وذلك لا ... أن يكون واجبه

إن «وحي الرسالة» مجموعة مختارة مما سطر الأستاذ الزيات في مجلة «الرسالة»، وهذه المجلة تستقبل سنتها الثامنة. و«الرسالة» في مقدمة المجلات العربية في هذا العهد. ومما تمتاز به أنها صورة الحركة الأدبية ... من وجهة سجل مجرى الأدب؛ ومن وجهة ... المتحدث عنه ... الركز والوثب معاً. ومن هنا فيها من التلون ... وآية الاطلاع أن ... كل ما ... وجهها ... من وراء ذلك المحجوب ... ويدل على ذلك التلون أن أقلام كتاب الرسالة متناثرة في الشرق والغرب، وإن ... كثيرة وأخرى جامعة، وربما وصف هذه الأشياء مواضعها في بلد يكثر فيه الاضطراب ويطول العهد ...

بشير فارس

* * *

وقالت زميلتنا المصور

الأستاذ أحمد حسن الزيات كاتب تسمو عبارته على النقد، ويرتفع بيانه إلى مرتبة الإعجاز، وتمس بلاغته بالقلوب لخفته ورشاقته ... وصحة المنطق ... في عبارته. وقد أصدر مجلة «الرسالة» منذ سبع سنوات؛ واعتاد أن يسطر فيها كل أسبوع مقالة من وحي خاطره وفيض بيانه، حتى اجتمعت له باقة من هذه المقالات منتخبة الألفاظ منسابة الطرز، تنبه براعة أسلوبها ... الكتاب وترمز إلى إعجاب أمتن الأدباء.

ونحن نعرض على ... بيان الأستاذ الزيات في مقدمة الصور الأدبية الممتعة.

ولقد أحسن الأستاذ الزيات إذ جمعها في كتاب سماه «وحي الرسالة» ونشره في مطلع العام الجديد مورداً عذباً للأدب والأدباء ومشرعاً صافياً لطلاب اللغة ... والقاصدين في كل باب...

* * *

وقالت زميلتنا البلاغ

يطالع الكاتب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات قراءه المعجبين في مجلته «الرسالة» بافتتاحياته الممتعة ... مثلاً في حسن الأسلوب ... وفي تخير الموضوع ودقة التعبير عن الفكرة؛ وقد اعتبره منذ سبع سنين ينتظرون بلهف ما يدبجه يراعه سواء في الأدب أو في النقد أو في السياسة أو في الاجتماع أو في تحليل الشخصيات؛ فيكون على الدوام عند حسن ظنهم فيه ... وبصيرة نفاذة إلى ...

وقد تخير الأستاذ الزيات فصولاً مما كتبه في الرسالة في ست سنين وجمعها بين دفتي كتاب واحد سماه «وحي الرسالة» وأصدر الجزء الأول منه في هذا الأسبوع في طبع أنيق وورق مصقول؛ ... هذه الفصول ... في ... بالصدق ... كتب عنها ... خاطر ... المناسبة

ولا شك أني في غنى عن أن أقدم «وحي الرسالة» إلى القراء؛ فالأستاذ الزيات في غنى عن كل تقريظ وإطراء ... أدبه وسحره وسعة اطلاعه؛ ويكفي أن أقول إن كل قارئ منتفع لا شك ... من مطالعة هذه الفصول الممتعة من كتب الأستاذ الزيات

8me Année No. 347 — Lundi 26-2-1940

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

السنة الثامنة — « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٠ » — العـــدد ٣٤٧


# من بريد الرسالة

على غير انتظار ولا توقع وجدت اليوم في بريد الرسالة كتاباً من السيدة حياة ... والذين كانوا يقرأون مقالاتها ... على عهد ... وبمجلة الرسالة في عامها الأول لا يزالون يذكرون ولا شك هذا الاسم الجميل وتلك الأساليب الساحرة وتلك القرائح ... التي تجلو من السحر والجمال صوراً من الفكر الرصين البارع

ذلك الكتاب كدأب الكتابين[1] ورقتين ... خط مصري الروح ... مختلف ... من المحافظة والاعتدال ... والإسراف في حياة المرأة المصرية الحديثة

لا أحب أن ... شيئاً من جمال هذا الكتاب ... أو ... في ... وحده من البيان ... والقول ... لا تقل ... ولا ... لا تخالف الأصل إلا في اللفظ ، أما ... وخصيص الفكرة ، ... الصورة ، فذلك كل فن الكتابة ... أن السيدة حياة إنما ... بروح عربية وطبيعة مصرية ، ... أن ... هذا الائتلاف العجيب بين العربية والفرنسية في ... البديع

(١) ... في العدد الثامن ... عشر من الرسالة

الفهـرس

أستاذي المحرر

ما زلت أود أن أكتب إليك بالفرنسية على الرغم من بُعدي في البيان العربي جعل الرسالة مكانة لا بأس بها. وسبب هذا الإيثار أن المرء يميل بطبعه إلى جهة القسوة لا إلى جهة السحر، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص. واللغة العربية لا تزال عاجزة عن رياضة هذا القلم في يدي، فإذا كتبت بها إليك أحسست [illegible] أكتب شيئاً إليّ، أو أحسست فيه [illegible] [illegible] عليّ. وأنا [illegible] [illegible] ، فلا أحب أن أكون من الرجل في موضع الإهمال أو الكره.

أكتب إليك في صباح ليلة ساهرة، ماثلة تقسمت شاهدها الصحية خواطري ومشاعري، فكانت من أسعد لياليّ. وأرى أن ليلة (مبرة محمد علي) في هذا العام كانت رحلة في نظامها ورواجها والاحتفال بها والإقبال عليها والديمقراطية [illegible].

لقد كانت مصر للمرض بالجزيرة معرضاً عجيباً [illegible] الحديث [illegible] الأسراب والمقبلات والأصناف والمثلثات [illegible] أو راقصين أو يصدرون من الأصباء والكبراء والموظفين ورجال الفن؛ وكلهم على الصعيد العربي الرحيب في أنفه [illegible] وحركاته وأساليب التحية ومراعاة الرسوم وحلقة الرقص، حتى خيل إليّ أن [illegible] في (ألف ليلة) [illegible] لا في [illegible] البكري [illegible].

كنت أتنقل أنا وزوجي من مشهد إلى مشهد، ومن مشهد إلى مشهد، في مسرح [illegible]، وفي حلقة الرقص، وفي [illegible]، وفي (القهوة [illegible])، فأجد أخلاطاً من الناس [illegible] في المظهر، ولكنك تستطيع أن ترجعهم إلى طبقاتهم المختلفة من طريق [illegible] وطريقة الكلام واختلاف [illegible] [illegible] ذلك التمييز في الرجال ويصعب كل الصعوبة في النساء؛ لأن المرأة [illegible] [illegible] استطاعت أن تتناول الرجل في مظهر المدنية الغربية، حتى في إتقان زينتها ومعالجة [illegible] والانسجام معها لا تكاد تختلف من [illegible] [illegible] [illegible] أن هو [illegible] [illegible] [illegible] الطبع لا يغشي أمثال هذه الحفلات الا مصحوباً بزوجته أو ابنته.

[illegible] تذكر أني كتبت إليك منذ خمس سنوات كتاباً قلت فيه عن حرية المرأة إنها مسألة لا تحسن إلا بها، ولا يكون [illegible] فيها إلا [illegible] [illegible] الرجل فيها إلا أثر من اعتقاده التقديم أن في يده زمام هذا الجنس المتكوب [illegible] ويقبضه على هواه، والأمر لا يخرج عن كونه نظاماً طبيعياً يجري على سنة الطبيعة!

من سيطرة القوة على الضعف، وطبيعي [illegible] [illegible] [illegible] الأديب [illegible] المرأة حرية الأمة [illegible] [illegible] [illegible] أما الاقتناع بالقول والإقناع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] لا يدل [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] كان يجيش في صدري أن المرأة في هذه [illegible] [illegible] تستطيع أن تنتزع من الرجل حقها وحريتها ثم تثبته على [illegible] [illegible] هذه الرغبة [illegible] [illegible].

لقد كسبت المرأة في هذه الليلة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وزوجها أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسائل الغلبة، فاجتمع [illegible] [illegible] [illegible] بالأمس، أشد الناس [illegible] [illegible] اليوم، لأن [illegible] [illegible] — بالقياس إلى الحرية التي كنا نتمتع بها وندعو إليها — [illegible] [illegible]؟

وذلك في حقل [illegible] [illegible] من التفاهم بين الفتى والفتاة، فقد كان الشيء أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، فأصبح هذا التفاهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. وما دام الانسجام معقوداً بين الجنسين [illegible] يتقدم الرجل على امرأة في العمر، وربما تقدمت عليه في [illegible]، فهيهات أن [illegible] أزمة الزواج أو تستقر حال الأسرة.

كانت هذه الحفلة في [illegible] [illegible] مظهراً [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] عوامل التشبه والتجديد [illegible] [illegible] [illegible] الأنوثة و[illegible] [illegible] حتى أصبحت [illegible] [illegible] والزينة، وذلك بالطبع [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] على أي حال.

إني آلمح على المرأة في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بينها وبين الرجل، [illegible] [illegible] بالنظام والكسب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] يا سيدي [illegible] (الرسالة) إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

أدام الله عليك [illegible] وأعانك [illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible] الرسالة ..

(مهاة)

* * *

هذا كتابك يا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالتبيين والتحصيل في فرصة أخرى

(المحرر) [illegible]

# ١ – في أرجاء سيناء

للدكتور عبد الوهاب عزام

### من السويس إلى أبي زنيمة

وانتظم الركب [illegible] صباح الأحد عشري ذي الحجة سنة ١٣٥٨ – (٢٩ يناير سنة ١٩٤٠)، ووقف على مصر الجديدة ريثما ركب الرفقاء الذين ينتظرون هناك. ثم سار ركبنا في سيارات [illegible] يؤم السويس، وليس في طريق السويس ما يُتحدث عنه إلا بقايا المخافر التي كانت على طريق البريد.

ولما بلغنا السويس وأردنا أن نلحق عند [illegible] بعد أن تزود السيارات وسائقوها بما يحتاجون إليه من المدينة، وكان السائقون كلهم من هذه المدينة وممن عبروا طرق سيناء.

فارقنا المدينة ظهراً [illegible] فوقفنا بعد قليل عند معبر القناة ريثما قدمنا الأوراق والصور التي [illegible] وكان الشتاء قد حان، فرأينا أن نتزود الماء [illegible] كل واحد وحده [illegible] أنزل قول أبي العتاهية:

قد [illegible] [illegible] [illegible] بالسهم فؤاده

[illegible]

[illegible] كل امرئ ما كل زاده

ومن فرجة الوحدة التي لم يجمع عليها السفر، وكنا استطبناها تعجلاً للسير، فاتفقنا على أن يأتي كل مسافر بأحد [illegible] في اليوم الأول.

وكان في اختلاف الأطعمة مثار لأسئلة: ماذا عندك يا فلان؟ وماذا تأكل يا فلان؟ وكان أكثر الناس طلباً إلى السؤال بعض رجال التاريخ [illegible] وذكرني هذا قول أبي الطيب:

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

تهيأنا للسير، وصعد دليل الركب الدكتور [illegible] بدأنا بالسير [illegible] إقدامنا على مجاهل سيناء وسلوك طريق بني إسرائيل، لأن الطريق مطروقة، والأمن شامل، والزاد موفور، والسيارات [illegible] بإبلاغنا غايتنا قبل الغروب.

سرنا صوب الجنوب مسايرة القناة حيناً، ثم خليج السويس حتى حاذينا [illegible] وبعد نصف ساعة بلغنا عيون موسى، وهي على ٢٤ كيلاً من معبر القناة [illegible] على العيون إلا [illegible] وكنت رأيتها [illegible] من قبل [illegible] ويرى المتأمل فيها [illegible] وكل ينبوع [illegible] في الرمل [illegible] ونخيل وشجر من الطرفاء، وهي اثنتا عشرة عيناً، وقد ذكرت في القرآن الكريم: «وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين»

عيون موسى

وذكرت في التوراة باسم إيليم في سفر الخروج (الإصحاح ١٥): «ثم جاءوا إلى إيليم، وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فنزلوا هناك عند الماء»

وقد نقبت الحكومة [illegible] حتى [illegible]

سارت السيارات في أرض مغبرة قليلة الخصب، ثم [illegible] صحراء [illegible] ولاحت أشجار كثيرة من الطرفاء [illegible] إلى أرض [illegible] وجهها نباتات متفرقة من [illegible] والرتم [illegible] وعشب مختلف. ثم [illegible] وادي الطيبة بين جبال [illegible] الألوان والأشكال، فتكاثرت الأشجار [illegible] متفرقة، وبدت على وجه الأرض [illegible] حتى انتهى الوادي إلى [illegible] البحر، [illegible] يترقرق الماء فيه ويلتف [illegible] الطرفاء والنخيل، وهو منظر [illegible] المسافر الروح والسرور بعد المناظر القاحلة التي طال سيره فيها. وبعد ثلاثة كيلات من [illegible] بلغنا شاطئ خليج – خليج السويس – بعد أن قطعنا من القناة مائة وعشرين كيلاً.

هنالك يبعد الجبل من البحر قليلاً [illegible]

ومبنية مستوية ، وعلى الشاطئ شركة انكليزية تستخرج النفط وهو حجر أسود صلب يستعمل في صناعة الصلب أو الفولاذ . وهناك ميناء لتصدير كبريت كان اليوم رهناً ألف من الحديد وسكة حديد تنقل النفط إلى الميناء ، وميناء لإرساء السفن

سألنا عن منزل الحكومة للاستراحة ، فعلمنا أنه معد مؤثث كل به ، فرأينا بناء جميلاً طبقة واحدة من خمس غرف وحماماتها وأمامها صحن واسع وهذا المنزل بني حينما عزم الملك فؤاد رحمه الله على زيارة سيناء . فهو من آثار عنايته بالصحاري المصرية

ولما هناك بعد الغروب أمضينا ليلة بهيجة في هواء منعش مستمتعين بمناظر رائعة من الجبال والبحر يسطعها القمر نورها وبهجتها ولا أنسى مطلع الشمس هناك بين قمم الجبال القريبة وسعيها إلى صباح مبهج الفرات عند جبال الزعفرانة تلوح على بعد كأنها قطع السحاب أو الضباب

البدوي حامد

إن في هذه الأمكنة وما يشبهها لمستراحاً للمصريين يستجمون من عناء العمل ، ويجمعون الروح والجسم بين الهواء النقي ومرح الصحراء والوادي الجبلية ، ويعرفون عاملين وطبيعة وما فيها من معادن ونبات

وأصبحنا يوم الأحد مصممين على التجوال في البرية دورة مغارة النصب وآثار أسرة عتيقة في مكان يسمى سرابيط الخادم فاستقدمنا من الدكتور حربي كلاً من سيناء وجبالها ومعادنها ، ثم سرنا في وادي الطيبة ومنه الى الجبل حتى بلغنا مغارة النصب وهي حفر واسعة تقطع منها الأحجار لا يكلف قطعها عناء ولا عملاً في باطن الأرض . ثم سرنا نبحث عن الآثار وقيل في طريقنا جئنا من فنيه وجمل يحمل رحلة وساقه وسيدات فكاد

وأعطيناه نقوداً وسألناه عن جد سبع الآثار ونطلب الدواء فوعد أن يحضر من عنده مساعداً ... [illegible] وعرفنا يختص بيعمل ... [illegible] فقال هذا ابن عم ... [illegible] الذي خرج حرفاً عن الحضر

[illegible] النصب

وسكان سيناء وهناك عبيد وعرب واحداً منهم بالشيخ على عن رجله . وأنشدت قول الراجز

نظرت والعين مبينة التهم إلى سنا نار وقودها الرتم
شبت بأعلى عاندين من إضم

واسم الرجل مطير وهو من قبيلة القرارشه

واستأنف المسير فبلغنا مكاناً به عين ماء وأشجار وزرع قليل ، وإذا نحن نمشي في النصب فلونه قريب منه

وتركنا السيارة وسرنا نبحث عن الآثار وصحبنا رجلاً من غير البدو يدلنا ، فعرفنا بالمكان وطال السير ويممنا إلى حجر عتيق ، ورجعنا وقد استنفدنا من المشي ، ورأينا من الأودية والجبال والأشجار والنبت ما هو من الآثار المعهودة ولم نقل حتى أرضاً عالية ، وفقط أرض جامعة

[illegible] عبد الوهاب عزام

**تصدر أخيراً**

سيصدر عن دار السرور في أوائل البرنامج من شهر مارس المقبل في أربع مجلدات ... [illegible] السنة الثالثة كتاب ... [illegible] جعل العمل ... [illegible] ويذكر ... [illegible] للطبع

في الاجتماع اللغوي

# صراع اللغات

للدكتور علي عبد الواحد وافي
مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلب والسيطرة. وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف الأحوال: فتارة ترجح كفة أحد المتنازعين، فيسارع إلى القضاء على الآخر مستخدماً في ذلك وسائل القسر والعنف، ويكتب غلبه فلا يكاد يبقى على أثر من آثاره؛ وتارة ترجح كفة أحدهما كذلك، ولكنه يمهل الآخر، ويمتص بالتدريج من قوته وحيويته، ويعمل على هدم شوكته شيئاً فشيئاً حتى يتم له النصر؛ وأحياناً تتكافأ قواهما أو تكاد، فتظل الحرب بينهما سجالاً، ويظل كل منهما في أغلب الأحيان محتفظاً بشخصيته ومميزاته.

وينشأ هذا الصراع عن عوامل كثيرة أهمها عاملان: أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله؛ وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة، فيتبادلا المنافع، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادي والثقافي.

وكلا العاملين ينتهي أحياناً إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى، وأحياناً إلى تعايشهما معاً جنباً لجنب.

وسنقتصر في هذا المقال على بيان الحالات التي يؤدي فيها العامل الأول إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى، وما يمتاز به هذا التغلب من خصائص، وما يتصل به من شئون، مرجئين بقية البحث إلى مقالات تالية.

* * *

قد يحدث على أثر فتح أو استعمار أو حروب أو هجرة ... أن ينزح إلى البلد عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله، فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي أحياناً إلى تغلب إحداهما، فتصبح لغة جميع السكان: قديمهم وحديثهم، أصيلهم ودخيلهم. ويحدث هذا في حالتين:

الحالة الأولى - أن يكون كلا الشعبين همجياً قليل الحضارة منحط الثقافة، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة. ففي هذه الحالة تتغلب لغة أكثر الشعبين عدداً، سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب، لغة الأصيل أم الدخيل، وسواء أكانت اللغتان من شعبة لغوية واحدة أم من شعبتين مختلفتين.

والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ: فمن ذلك أن الإنجليز السكسونيين حينما نزحوا من أواسط أوربا إلى انجلترا، لم تلبث لغتهم أن تغلبت على اللغات السلتية[1] التي كان يتكلم بها السكان الأصليون؛ وذلك لأن عدد من نزح من السكسونيين لهذه الأقاليم لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد البريتيين؛ وكلا الشعبين كان همجياً منحطاً في مستوى حضارته ومبلغ ثقافته؛ وكلتا اللغتين تنتمي إلى فصيلة اللغات الهندية - الأوربية. ولكن النورمنديين Normands حينما أغاروا على إنجلترا في منتصف القرن التاسع الميلادي وحاولوا بسط سلطانهم، لم تلبث لغة الشعب المقهور أن تغلبت على لغتهم، فأصبح جميع السكان، أصيلهم ودخيلهم، إنجليزيهم ونورمانديهم، يتكلمون الإنجليزية السكسونية؛ وذلك لأن الإنجليز السكسونيين كانوا أكثر عدداً من النورمانديين الغاصبين، ولم يكن لأحد الشعبين إذ ذاك حضارة ولا ثقافة راقية؛ وكلتا اللغتين من الفصيلة الهندية - الأوربية[2].

وقد يحدث أحياناً في هذه الحالة أن تتغلب لغة على أخرى من غير فصيلتها. ولكن هذه الظاهرة نادرة الحدوث، ولا يتم التغلب فيها إلا بصعوبة وبعد أمد طويل. واللغة التي ينتهي لها النصر ينالها كثير من التحريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها لشدة الاختلاف بينها وبين لغتهم الأصلية، فتبعد بعداً كبيراً عن صورتها الأولى: فالبلغاريون وهم من أصل «فيني» Finois حينما نزحوا إلى البلقان واختلطوا بشعوب الصقالبة (السلافيين Slaves) أخذت لغتهم تتراجع شيئاً فشيئاً أمام لغة هذه الشعوب حتى انقرضت وحل محلها لسان صقلبي. وذلك لأن عدد البلغاريين لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد الصقالبة الممتزجين بهم؛ وكلا الشعبين كان إذ ذاك همجياً منحطاً في مستوى حضارته ومبلغ

---

(1) لغة شعوب السلت Celtes وهي شعوب كانت تقطن أواسط أوربا وغربها، ثم تفرقت في بلاد الغال Gaule (فرنسا الآن) وأسبانيا وبريطانيا.

(2) هي فصيلة لغوية تشتمل على طوائف اللغات: الهندية - الإيرانية، والأرمنية، والشعبة الأغريقية، والألبانية، والشعبة الإيطالية على الفصل اللاتيني، والشعبة السلتية، والجرمانية، والشعبة البلطية - السلافية.

تغلب. وقد حدث هذا التغلب مع اختلاف اللغتين في الفصيلة؛ فلغة البلغاريين الأصلية كانت من الفصيلة التترية[1]، على حين أن اللغة الصقلبية من الفصيلة الهندية - الأوروبية؛ ولكن هذا التغلب لم يتم إلا بصعوبة، وبعد أمد طويل، وصراع عنيف؛ وخرجت منه اللغة الصقلبية مشوهة محرفة عن مواضعها في ألسنة المغلوبين الغالبين لها، فبعدت بعداً كبيراً عن صورتها القديمة؛ فالبلغارية الحديثة من أكثر اللغات الصقلبية تحريفاً وبعداً عن أصولها الأولى.

(الحالة الثانية) أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذاً. ففي هذه الحالة يكتب النصر للغته فتصبح لغة جميع السكان، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب؛ على شريطة أن يدوم غلبه وتدوم قوته مدة كافية، وأن تقيم جماعة كافية منه بصفة دائمة في بلاد الشعب المغلوب، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من شعبة واحدة أو من شعبتين متقاربتين.

والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ. فقد نجم عن فتوح الرومان في وسط أوربا وغربيها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وبلاد الغول Gaule (فرنسا وما إليها) والألب الوسطى Alpe Centrale والإليريا Illyrie، مع أن الرومان الفاتحين كانوا في هذه البلاد أقلية بالنسبة لسكانها الأصليين. وقد نجم عن فتوح العرب في آسيا وأفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتيكية[2]؛ فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث والكتابة في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وفي مصر وشمال أفريقيا وفي جزء كبير من قسمها الشرقي المتاخم لبلاد الحبشة؛ مع أن الجالية العربية في هذه البلاد كان عددها أقل كثيراً من عدد السكان الأصليين.

ولكن كلتا هاتين الحالتين لا يتم النصر فيهما لإحدى اللغتين إلا بعد أمد طويل يصل أحياناً إلى أربعة قرون، وقد يمتد إلى أكثر من ذلك. فالرومان قد أخضعوا بلاد الغول Gaule (فرنسا وما إليها) في القرن الأول ق. م؛ ولكن لم تنتصر لغتهم اللاتينية على اللغة الغالية التي كان يتكلم بها أهل هذه البلاد إلا حوالي القرن الرابع الميلادي. ومع ما كان للعرب من قوة الشوكة، ورقي اللغة، واتساع الحضارة، وعلو الشأن، وسطوة الغالب، لم يتم النصر للغتهم على القبطية والبربرية إلا بعد أمد طويل. على أن اللغة القبطية لا تزال مستخدمة في كثير من الطقوس الدينية الأرثوذكسية؛ واللهجات البربرية لا تزال إلى الوقت الحاضر لغة محادثة بين بعض العشائر المغربية.

وغني عن البيان أن انتصاراً لا يتم إلا بعد أمد طويل وجهاد عنيف لا يخرج المنتصر من معركته على الحالة التي كان عليها من قبل. فاللغة التي يتم لها التغلب لا تخرج سليمة من هذا الصراع، بل إن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها في كثير من مظاهرها وبخاصة في مفرداتها.

ويختلف مبلغ هذا التأثر باختلاف الأحوال. فيكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان الصراع بينهما عنيفاً والمقاومة قوية من جانب اللغة المقهورة. ويقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع أو كانت المقاومة ضعيفة من جانب اللغة المغلوبة. فلطول الأمد الذي استمر فيه الكفاح بين لغة الإنجليز السكسونيين بإنجلترا، ولغة الفاتحين من الفرنسيين النورمانديين (الذين أغاروا على بلاد الإنجليز في القرن الحادي عشر الميلادي واحتلوا معظم مناطق انجلترا كما سبقت الإشارة إلى ذلك) ولشدة المقاومة التي أبدتها اللغة النورماندية المقهورة، خرجت اللغة المنتصرة (الإنجليزية) من هذا الصراع، وقد فقدت أكثر من نصف مفرداتها الأصلية واستبدلت بها كلمات من اللغة النورماندية المغيرة، واقتبست منها فضلاً عن هذا مفردات أخرى جديدة. على حين أن لغة بلاد الغول Gaule التي انتصرت عليها اللغة اللاتينية لم تترك في اللغة الغالبة أكثر من عشرين كلمة[1]؛ والبربرية والقبطية لم تكد تترك أي أثر في اللغة العربية الغالبة. وذلك لأن الصراع في هاتين الحالتين، على طول أمده، لم يكن عنيفاً، ولم تلق فيه اللغتان الغالبتان (اللاتينية في المثال الأول والعربية في المثال الثاني)

(1) هي فصيلة لغوية تشمل التركية والمغولية والبلغارية القديمة.

(2) اللغات الحامية هي فصيلة لغوية تتفرع ثلاث شعب: [illegible] والأصلية [illegible] الناجية، والليبية (وتشمل [illegible])، والكوشيتية (وتدخل فيها البجية والعفرية)، والصومالية والجالية، والحبشية [illegible] البربرية وهي لغات السكان الأصليين لشمال أفريقيا، [illegible] القسم الشمالي من أفريقيا [illegible] الصحراء [illegible] وبعض مناطق السودان.

(1) على أن بعض هذه الكلمات كان قد انتقل إلى اللاتينية قبل غزو الرومان بلاد الغول.

مقاومة ضعيفة من جانب اللغة المقهورة (كما حدث للغات السامية في المثال الأول، وللقبطية والبربرية في المثال الثاني).

وتختلف كذلك النواحي التي يبدو فيها تأثر اللغة الغالبة باللغة المغلوبة تبعاً لاختلاف الأحوال التي تحدث فيها كلتا الحالتين. وأنها لتتجلى كلها ويبدو هذا التأثر بأوضح صورة في النواحي التي تكون فيها اللغة المقهورة متفوقة على اللغة الغالبة. ولذلك كانت معظم المفردات التي أخذتها الإنجليزية الغالبة من الفرنسية النورماندية المغلوبة من كلمات دالة على معان كلية، وألفاظ تتصل بشئون المائدة والملاهي والطعام. وذلك لأن النورمانديين كانت حضارتهم في هاتين الطائفتين من المفردات أرقى، على حين أن الإنجليز كانت حضارتهم متأخرة من كل النواحي، فعمدت إلى خصمها المقهور واستمدت منه ما كان يعوزها من أن تعبر عنه. ولذلك أخذت منه الألفاظ المتعلقة بشئون الملاهي والطهي وألوان الطعام، ويرجع السبب في أسلوب الغريب في تسمية الحيوانات المأكولة اللحم، فكثير من هذه الحيوانات يطلق على كل منها في الإنجليزية اسمان: اسم جرماني الأصل يطلق على الحيوان ما دام حياً Sheep, Calf, Ox, Pig واسم آخر فرنسي الأصل يطلق عليه بعد ذبحه وإعداده للطعام Mutton, Veal, Beef, Pork.

والألفاظ الأصلية للغة الغالبة ينالها كثير من التحريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها (الناطقين لغتها)، فتبعد بذلك في أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى، ويبلغ بعضها في ذلك أقصى درجاته إذا كانت اللغة المقهورة من فصيلة أخرى غير فصيلة اللغة الغالبة كما حدث للإنجليزية إلى حد بعيد بسبب التحريف والتصحيف.

والألفاظ الفصيحة التي تقتبسها اللغة الغالبة من اللغة المقهورة ينالها كذلك كثير من التحريف في أصواتها ودلالاتها وطريقة نطقها، فتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة. ويظهر هذا التحريف بين الكلمات الإنجليزية الآتية والكلمات الفرنسية التي اقتبست منها Mutton (Mouton), Veal (Veau), Beef (Boeuf)، فبين كل كلمة منها وأصلها الفرنسي اختلاف كبير في صوتها ودلالتها وطريقة النطق بها، حتى أن الفرنسي الذي لا يعرف الإنجليزية لا يكاد يفهمها أو يدرك معناها إذا سمعها من إنجليزي — وليست هذه الظاهرة مقصورة على الأشخاص الناشئين من امتزاج بين شعبين، كما يحدث لأصحاب النصر، بل هي ظاهرة عامة تتحقق في جميع الحالات التي يتم فيها انتقال مجتمع من لغة إلى أخرى.

وتقطع اللغة المقهورة في سبيل انقراضها مراحل ثلاثاً، تتميز كل مرحلة منها بظاهرة خاصة من مظاهر الانحلال. فأصحاب اللغة المقهورة في المرحلة الأولى تقتحمها اللغة الغالبة بطائفة كبيرة من مفرداتها فتفقد بذلك كثيراً من مفرداتها الأصلية وتحل محلها مفردات من مفردات اللغة الغالبة، وتظل طوال هذه المرحلة محتفظة بقواعدها ومخارج حروفها وأساليبها في نطق الكلمات. فيركب أهلها جملهم ويصرفون مفرداتهم وفقاً لقواعدهم التنظيمية والمورفولوجية «السنتكس والمورفولوجيا، أو النحو والصرف»، وينطقون بألفاظهم الأصلية وما ينتقل إليهم من اللغة الدخيلة طبقاً لأصوات لغتهم ومخارج حروفهم، حتى إنهم ليستبدلون في الكلمات الدخيلة بالحروف التي لا يوجد لها نظير في لغتهم حروفاً قريبة منها من حروف لغتهم. وفي المرحلة الثانية تتسرب إلى اللغة المقهورة أصوات اللغة الغالبة ومخارج حروفها وأساليبها في نطق الكلمات، فينطق أهل اللغة المقهورة بألفاظهم الأصلية وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة من غير المخارج، وتتلاشى الطريقة التي يجري عليها النطق في اللغة الغالبة، ويؤدي ذلك إلى انحلال اللغة المقهورة وبعدها عن الأصول. ولكنها تظل طوال هذه المرحلة محتفظة في الغالب بقواعد الصرف والتنظيم (قواعد المورفولوجيا والسنتكس) ولم تخضع لقواعد اللغة الغالبة، فيركب أهلها جملهم ويصرفون كلماتهم وفق أساليبهم الأولى. وفي المرحلة الأخيرة تضعف هذه المقاومة شيئاً فشيئاً، فتأخذ قواعد اللغة الغالبة في الاستيلاء على الألسنة حتى يتم لها النصر، ويتم بذلك الإجهاز على اللغة المقهورة. فالقواعد في اللغة المقهورة أشبه شيء بالقلعة التي يحتمي بها جنود المهزوم، ويتقاتل فيها حتى آخر رمق، والتي يتم بسقوطها استيلاء العدو على البلاد.

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتوراه في الآداب من جامعة باريس

# ٢ ـ الحق والقـــوة

للدكتور إبراهيم بيومي مدكور
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

نبتت فكرة الحق بإزاء فكرة القوة، ونبعت الحقوق الفردية والاجتماعية من الوضع نفسه حيث سلمت الغلبة للقوى الطبيعية والإنسانية. ومن المحقق أن الجماعات البشرية خضعت لسلطان القوة واحتكمت إلى وسائل البأس والعنف قبل أن تعرف معنى الحق والقانون. ولم تتكون لديها فكرة عن الحقوق والواجبات والتبعات والمراتب إلا بعد أن قطعت شوطاً في سبيل الحضارة والمدنية. ويظهر أنها لم تعترف أول الأمر ببعض الحقوق إلا لأن أرباب القوة قد رغبوا في الاعتراف بها؛ ثم لم يلبث هذا الاعتراف القسري أن تحول إلى شعور باطني حيث يدعو بعضها إلى القيام ببعض الأعمال راحة للنفس وطمأنينة للضمير. ففكرة الحق إذن بطيئة التكوين، والحقوق الإنسانية لم تثبت ولم تتسع إلا بعد أجيال عدة ومحاولات متتابعة، على أنها لا تزال حتى اليوم خاضعة لسنة التطور والارتقاء، ولا تزال طائفة منها مختلفاً عليها بين الأفراد والجماعات.

ويظهر أن الحقوق في تطورها مرت بأطوار عدة، فكانت في أول أمرها دينية محضة وشكلية مادية مقصورة على فريق من الناس. فلا حق إلا ما أملته الآلهة، ولا التزام إلا ما أوجبته التعاليم الدينية، والحقوق في جملتها فريضة فرضتها السماء وطاعة أمر بها تؤدى ابتغاء الثواب للتقي وتفادياً للعقاب للعاصي الآثم. ومن الشارع ورجل الدين منحت الجماعات الأولى بعض الحقوق، وإليهما الحق في إقامة شعائرها والمطالبة بأدائها. وقد لم يكن ثمة فرق في الشرائع القديمة بين أمر ديني وآخر دنيوي، فهذه الأوامر كلها وحي الآلهة، ووجب لإرادتها أن يخضع البشر لها خضوعاً مطلقاً. أضف إلى هذا أن الحقوق كانت في بدء نشأتها شبه جماعية؛ فعرفت حقوق الأسرة والقبيلة قبل أن تعرف حقوق الفرد مهما كانت منزلته، وكثيراً ما ضحي به في سبيل قومه وعشيرته دون ذنب أو جريرة، فما كانت له شخصية معروفة ولا وجود مستقل محترم. وإنما كانت الحقوق حقاً مقرراً من مظاهر الحياة الدينية، فلابد أن توضع في شكل معين وصورة ثابتة، شأنها في هذا شأن الطقوس الدينية وما لها من عدم المرونة. وما كانت القبائل البدائية تفهم من الحق إلا مظهره الخارجي وجانبه المادي، فلم يكن هناك حق معنوي ولا التزام روحي. ولا يمكننا أن نعثر في هذه البيئات المحدودة والقبائل المتناحرة على حقوق تشمل الأفراد على اختلافهم، بل لأبناء القبيلة الواحدة حقوق لا يمكن أن يتمتع بها أبناء القبيلة الأخرى، ولا نزال حتى اليوم نفرق بين الأجنبي والوطني في بعض الحقوق والواجبات.

غير أن الحقوق الإنسانية لم تقف عند هذه المظاهر الأولى، بل تطورت وتدرجت، فنشأت إلى جانب الحقوق الدينية حقوق أخرى مدنية، وأصبحت العادات والتقاليد تنزل من النفوس منزلة التعاليم الدينية، وتصاغ في قالب أوامر ونواه محترمة. ورأينا الفرد يبرز بجانب الشعب والقبيلة، فعرفت شخصيته واحترمت حقوقه؛ ومن أهم مميزات حضارتنا المعاصرة احترام الشخصية الإنسانية وتقديس ما لها من حقوق. ومن آثار هذا التطور أن تحررت الحقوق من قيودها الشكلية ومظاهرها المادية، فأصبحت حقوقاً معنوية وروحية تمتاز كل الامتياز عن الحقوق الشخصية والدينية، وأضحى الإنسان، وكله حرمة، ووجوده لا تقبل النقص. وامتدت الإنسانية أخيراً إلى طائفة من الحقوق يتساوى فيها الجميع ولا يفرق فيها بين صغير وكبير، ولا بين أمير وحقير، ولا بين أجنبي ووطني؛ هي حقوق الإنسان كيف كان أصله وجنسه ومستواه الاجتماعي ومنصبه.

ولم يقف هذا التطور عند هذا الحد بل تنوعت هذه الحقوق اجتماعياً، وإنما أثرت فيها عوامل مختلفة وساعدت على نموها واطرادها أسباب شتى. فقد تحررت الجماعات من قيودها الأولى، ولولا ذلك ما عرفت القبائل البدائية حقاً ولا احترمت قيماً. وفي تشعب الحياة السياسية والاقتصادية ما يقضي بتنوع الحقوق وتوزيعها، فالنظم الدستورية تعترف للأفراد بحقوق ما كانت تسلم بها الحكومات الاستبدادية، وكثيراً ما طالبت الجماعات بحقوق تحميها من ظلم الطغاة وعدوان المعتدي، والأجراء والعمال يفرضون على صاحب المصنع ورؤوس الأموال حقوقاً ما كانوا يطالبون بها من قبل، وكلما اختلفت وسائل العمران في بيئة ما

كتب الحقوق وسنت التشريعات ، وليست الحقوق في وضعها وتطورها بخاضعة لعوامل اجتماعية فحسب ، بل للفرد في هذا التطور دخل كبير ، فكثير من الحقوق لم يتقرر إلا بعد أن دافع عنه وناضل في سبيله أفراد متعاقبون ، وكم أوحى العلماء والباحثون في فكرة الحق من جديد وتنقيح ما كان للجماهير أن تصل إليها

أظننا بعد أن عرضنا الحقوق في نشأتها وتطورها نستطيع أن نفصل في تلك الخصومة المشهورة المتصلة بأصل فكرة الحق وطبيعته ؟ الأخلاقيون ، كدأبهم في المسائل العامة والقضايا الكلية ، إزاء هذه المشكلة فريقان : فريق مثالي ينظر إلى الحقائق من حيث هي وبصورها المجردة المثلى سواء أطابقت الواقع أم لم تطابقه ، وفريق آخر واقعي يعتد بالأمور الملموسة ولا يعول إلا على الحس والتجربة . ويرى الفريق الأول أن الإنسان من حيث هو إنسان يستلزم طائفة من الحقوق ثابتة على اختلاف العصور والأزمنة لا تمنح منحاً ولا تنتزع ، فهي حقوق فرضها العقل والطبيعة دون أن تتقيد بعوامل الاجتماع أو تتأثر بها ، وأما الفريق الثاني فيذهب إلى أن فكرة الحق مكتسبة لم تصل إلى كمالها إلا بعد أن مرت بأدوار عدة وتأثرت بعوامل مختلفة ، فليس ثمة حقوق ملازمة للذات ، ولا مبادئ أولية إنسانية بصرف النظر عما يترتب عليها من أثر ، والحقوق الطبيعية المزعومة لا يؤيدها الواقع في شيء ، وإذا شئنا أن نوضح فكرة الحق توضيحاً تاماً فلا بد أن نلم بجدل الاجتماعيين ، ولنلق نظرة على هاتين النظريتين

ليست النظرية المثالية حديثة العهد ، فهي ترجع إلى القرن السادس عشر ، ويأبى أنصارها إلا أن يصعدوا بها إلى التاريخ القديم فيلتمسوا لها أصولاً لدى مشرعي الرومان وبعض فلاسفة اليونان ؛ ومهما يكن فقد كانت ولا تزال وسيلة من وسائل ترجيح طرف على آخر ، بيد أنها لم تبد في ثوبها الكامل إلا في القرن السابع عشر والثامن عشر لدى كثير من المشرعين والأخلاقيين ومن بينهم الفقيه الهولندي « جروسيوس » والأخلاقيان الكبيران « روسو وكانت » ثم جاءت الثورة الفرنسية فأخذت بها وأعلنت حقوق الإنسان تطبيقاً لها وبناء عليها ، كل التي تبدو في وضع قانون الشعوب ... وما يظهر التشريع الإنجليزي الذي يدعى به « ... » ... من القرن الثامن عشر ... به عدد من الاجتماعيين الآخرين حتى أصبحت في التشريع ... وأصبح ... والأخلاقيون يشكون في ...

وتتلخص هذه النظرية في أن للفرد الإنساني طائفة من الحقوق أقرها الناس أو لم يقروها ، فهي ثابتة لا تزول على الدهر ، ولا تسقط بمضي المدة ، وإهدارها في جيل من الأجيال لا تقوم دليلاً على بطلانها ، كبعض الفضائل السامية التي لم يستطع أفراد بيئة ما التحلي بها . وهذه الحقوق ، فوق أنها عقلية ، طبيعية أيضاً ، فهي ثمرة من ثمار الطبيعة الإنسانية وضرورة من ضروراتها ، ولا يستطيع الإنسان أن يؤدي وظائفه الجسمية والعقلية ويحقق كماله المنشود بدونها ؛ ومن هنا جاء هذا التعبير المشهور « الحق الطبيعي » الذي يصح عنوان النظرية المثالية وأنه فكرة لا أصل وجودي ، ومبدأ عقل لا ظاهرة واقعية ؛ والتطورات التاريخية على اختلافها ما كانت لتصل إلى تصوير الحقوق بهذه الصورة المثلى . وقد يسلم بعض المثاليين بوجود حقوق مكتسبة ، ولكنها تختلف عن الحقوق الطبيعية في الاعتبار ، ولا تسمى حقوقاً إلا بضرب من التوسع والمجاز ؛ ويرى هؤلاء أن الحق الطبيعي والمكتسب أيضاً الأول مصحوب دائماً بسلطة مطلقة وشعور باطني يلمسه ويحترمه ويجمع العقول السليمة على التسليم به

لا نزاع في أن هذه النظرية المثالية تسمو بفكرة الحق إلى مستوى المبادئ الثابتة والحقائق السامية ، ونريد أن نقول إنه حق لم يكن حقاً لمجرد أن العرف رآه كذلك ، بل لأن العقل والطبيعة استوجبت أحقيته ؛ ولا نزاع أيضاً في أن المثاليين بوجه عام يذهبون إلى أن الحق والخير والفضيلة ذات قيم ذاتية تنشد من أجلها الناس ، وكل ذلك اعتداد بفكرة الحق ودعم لها على أساس متين لا نتردد في أن نقره ونعجب به . غير أن هؤلاء المثاليين يتناسون الواقع والتاريخ ويغفلون كل التطورات التي مرت بها الحقوق الإنسانية ولا ينظرون إليها إلا من ناحية كمالها وتمامها ويزعمون أن الحقوق كلها نشأت على هذه الصورة ، مع أن حقوق الإنسان لم يعترف بها إلا بعد أجيال وثورات عديدة ولا تزال حتى اليوم

عال أبعد وجود ؟ والحقوق الطبيعية ليست من الخلاء والوضوح بالدرجة التي يتصورها بها أنصارها ، فإذا سلمنا جدلاً بأن الطبيعة وحدها منبته ، وهي فكرة أخرى غامضة فيها شيء من الحرية والتعسف ، لا تستطيع النظرية المثالية أن تفسر ، وهنالك حقوق يرى من الإسم الصحيح أن يعترف بها أو يعترف بوجودها إلا لأن العالم المتحضر قد أحاطها بسياج من الجلال والرهبة . ومن الجمهور ، ولئن كان المثاليون قد التمسوا في بعض الحقوق سنداً عقلياً وتبعية تؤذن بأحقيتها ، فليس من شك في أن هذه الحقوق إنما استمدت من العقل والطبيعة .

لذلك أحسن الوضعيون كل الإحسان في دراستهم للحقوق دراسة تاريخية وتتبعهم نشأتها وتطورها . والنظرية الوضعية التي تكون رد فعل للنظرية المثالية ، نشأت في القرن السادس عشر ، ثم نمت نمواً مطرداً في القرن الثامن عشر بفضل جهود بعض المشرعين والأخلاقيين ، وبلغت أوجها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . والوضعيون في حقيقة الأمر يرجعون الحقوق كلها إلى أصل من القوة القاهرة ، ويرون أنها لم تتكون إلا تحت تأثير هذه القوة ؛ ويذهب بعضهم إلى أن الحق وليد القوة ، نشأ في كنفها وترعرع في حماها ، ولولا القوة ما عرفت الحقوق ولا وجدت .

وقد كان مشرعو القرن الثامن عشر وفلاسفته أول من بنى فكرة الحق على أساس من القوة العامة ، ومن مقدمتهم أساتذة القانون الصارمون بيكاريا الإيطالي ، والأخلاقي الإنجليزي بنتام ، والفيلسوف الفرنسي هلفسيوس . ثم جاء مفكرو القرن التاسع عشر عامة ورجال المدرسة الفرنسية خاصة فساروا في هذا الاتجاه وأيدوه كل التأييد ، فنرى في الحقوق جون ستيوارت مل وسبنسر ؛ وفي ألمانيا إيرنج ؛ وفي فرنسا الفقيه الشهير دجي ؛ وكل هؤلاء يلتقون في نقطة واحدة ، وهي أن الحقوق أثر من آثار الحياة الاجتماعية ، ولولا المجتمع ما عرفنا حقاً ولا فرضنا واجباً ؛ فالحقوق إذن تتغير من بيئة إلى أخرى ، وتخضع لظروف البيئة الاقتصادية والسياسية والدينية . وإذا كانت المصلحة الذاتية تدفع بعض الأفراد إلى التمسك ببعض الحقوق والمطالبة بها ، فإن المصلحة العامة هي الحكم الفصل في كل هذه الشئون ؛ والشرائع الوضعية تستمد من هذه المصلحة العامة بشكل الحوافز ، فلا حق إلا ما ظاهرها وجاء موافقاً لمقتضياتها ، وإذا كان أنصار النظرية المثالية يعتدون بالفرد وحقوقه ، فإن هذه الحقوق إنما ترجع إلى طريق المجتمع ؛ وقد تسمى المثالية الأخرى إلى أن الحقوق أول أمرها كانت شخصية مطلقة ، ثم تطورت على مر الزمن حتى تكونت الأفراد بجانب حقوق الجماعة وحقوقها .

وقد نجح هؤلاء الوضعيون في تفسير الحقوق على ضوء الحاضر والماضي ، وربطوا فكرة الحق بالمجتمع ؛ فأصبحت ذات وجود خارجي ، وبيد أنهم لم يستطيعوا أن يحللوها ويعرفوا بعض خصائصها . ولا نستطيع في العصر الحاضر بوجه خاص أن ننكر ما للقوة العامة واعتبارها من أثر في الحياة الاجتماعية ، ولكن رد الحقوق كلها إليها يتنافى مع الواقع ، فهناك حقوق عرفت عرفاً ودان الناس بها مع مخالفتها الصريحة لها ، على أن النظم الاجتماعية لا تخضع لموازنة منظمة بين المنافع المختلفة ، وفكرة المنفعة نفسها غامضة غير قابلة للتحديد في يسر ، وقد تختلف في توضيح فكرة الخير والشر ، ولن تكون أعظم نجاحاً في تدعيم فكرة الحق ؛ ومن الغريب أن أنصار هذه النظرية الحديثة من القرن العشرين يذهبون إلى أن للآداب مرجعاً أولياً في حين أن هذا الخير ضرورة لا تحتاج إلى تأكيد . تستطيع هذه النظرة الخاطئة أن تكون رأساً للحقوق ونصيب في المقررات الأولى ؛ ومهما يكن من أمر هذه التناقضات فإن هؤلاء الوضعيين وفقوا كل التوفيق في رد الحقوق إلى المجتمع وعدهم ظاهرة من ظواهره تخضع لكل ما يطرأ عليه من عوامل وظروف .

إبراهيم مدكور

[illegible]

# شرح الأجرومية!

للدكتور زكي مبارك

---

يبتسم الزمان ويقول: ما هذا القصص الذي تلعب فيه أصابعك الموهوبة!

فقلت: وما شأنك وذلك القصص؟

فقال: ألم تعزم أن تقدم شرح الأجرومية بطريقة صوفية؟

* * *

ثم رجعت إلى نفسي أحاورها في صمت هو أفصح ما يكون من التصريح، فقد تذكرت أن حالي في دنياي كان حال الرجل الذي شرح الأجرومية بطريقة صوفية، وأخشى أن أصير إلى ما صار إليه، فلا أظفر من الناس بغير السخرية والاستهزاء

ولكن، هل أملك النجوة من التخبط والحرج فلا أقدم للناس في أوطانهم من وقت إلى وقت، ولا أشرح لهم الأجرومية بطريقة صوفية؟

وكيف أسكت عنهم وأنا أريد أن أصل إلى أن لهم وجوداً ذاتياً يسمح لهم بالرضا والغضب، والقهقهة والأنين؟

إن التعرف بالكاتب هو المشرط في يد الطبيب!

وكنت بعد اشتغالي بالطب أعرف مصير المريض بعلامة سريعة، هي إحساسه بوخز المشرط، فإن صرخ عرفت أنه صاحب العافية، وإن سكت سكوت الجرح لا سكوت الصبر، عرفت أنه صائر إلى الموت

ولن أنسى اليوم الذي سمعت فيه أصبح أقران الشباب من مريض أعمل فيه المشرط بلا حيث ولا رفق لأنقذه من أظفار المنية!!

ثم انتقلت من القلم مشرطاً أعالج به أمراض القلوب بعد أن فرغت من علاج الأبدان، فما الذي رأيت؟

[illegible] بدون أن أسمع من مرضاي صرخة جزع أو شهقة بكاء، فسكنت آمالي من سلامة مرضاي، ورجعت بشرى من مهنة الأدب كما رجعت من مهنة الطب، لأني عجزت عن أن أحرك عواطف الناس وأعرف ما في صدورهم من شعور

ثم لطف الله بي فساق تلاميذي إلى الصراخ والأنين لأعرف أن الأمل في علاجهم ليس من المستحيلات

أما بعد فقد حان الوقت لشرح الأجرومية والألفية والمتوسطة بطريقة صوفية

حان الوقت لشرح عجائب النهار وغرائب الليل

حان الوقت لعلاج العقول والقلوب والأذواق والأحاسيس

ولكني أخاف

ما الذي تخاف؟

أخاف من عواقب القلم ما كنت أخاف من عواقب المشرط

والعقوبة تسأل الطبيب الذي يجني على حياة مريض، ولكنها لا تسأل المريض الذي يجني على حياة طبيب

وهل تعرف يا مولاي كيف هجرت مهنة الطب؟

هجرت تلك المهنة فراراً من [illegible] ورأيت شبح الموت

كنت أعمل المشرط بيمناي في جسد عليل لمست أصابعاً من يسراي فارتعشت، لأن أساتذتي بكلية الطب في باريس علموني أن السم يخلط المريض قد يُفضي بصاحبه إلى الفناء، ومن هنا جاز أن تصنع جرثومة واحدة بجسم الرجل الصحيح ما لا تصنع ألف جرثومة بجسم الرجل العليل

وفي ذلك الوقت عاشت نفسي قلقة: إنما هي جرثومة قاتلة من جسم صائر إلى الفناء، ولا خوف عليّ وأنا [illegible] جسم يصارع أجسام العالمين، وبعد يوم أو يومين أحسست عواقب ذلك الجرح، ثم انصرفت إلى غير رجعة عن مهنة الطب

واليوم يصنع القلم ما صنع المشرط

أسمع صراخ مرضاي فأطمئن، لأن صراخهم يشهد بأنهم أهل للحياة، ولكن ذلك الصراخ تقع فيه أحياناً ألفاظ [illegible] بعض الأرواح، فهل يكون هذه الألفاظ كتلك الجراثيم؟

إن كان ذلك فسأستشهد في ميدان الأدب بعد أن فاتني الاستشهاد في ميدان الطب، وعند الله وحده جزائي!

وما خوفي من تلك الأقاصيص الثلاث وأنا جاهلية وأستطيع الخروج على جميع الأهواء ، وفي صدري من اليقين ما يزعزع رواسي الجبال ؟

وهل يصل الطب المختص إذا أصيب البلاد بأورام مرضاء ؟

لقد كتب مرضى على ألف مقال ، وأشعوني صرامهم في كل يد توجب إليه ، ولم أرهم غير الاستخفاف بصنيع حين ، وكنت مع ذلك آية في الصبر على مكاره الصبر ، فكيف جرح وقد أصابني الأيام بقوة الظلم والتسلط ، كما أصابني بسوء الظلم والعذاب ؟

* * *

قال الرقيب : الرسالة تنتظر منك مقالاً عن الصحة لا تكثر فيه كما كثرت في مقال السنة الماضية

سبحان الله

وأنا كثرت في السنة الماضية ، يا ويلك ؟

ألم تعلم ، يا ويلك ، أن مقالي كان فرصة جميلة للشرب أو مثلت بأكلون لذة السم الشديدة على الطين ؟؟

إن مقالي عن « القرابين الإنسانية في الرسول » سم أنواعاً من الليالي في الحب والتعذيب ، فكيف يصل بلا بعد ذلك المقال من حسناتي ؟ وكيف تنسى أنني هت به صدوراً كنت تحنى عليها القلوب بالحسد والجود ؟

وهل تصدّق أن في صدري من يحرك عظمة الرسول كما حرك ؟

إن بيني وبين الرسول صلة وثيقة عن البلاء بالحب والتعب ، فكيف يجرم قوم أنهم يضربون عليه أكثر مما ضرب عليه ، وهم لا يغضبون لنصرته إلا محوجين بالحق الذي أصيب وضرب ؟

إن من حق الله منى ما يكون الشبه يصل الرفاء ، فكيف يؤذيهم أن يضرب كرواب العاب والظلم بسبب القرب الصريح ؟

ألم يكف ما مات من الإيجاء في سبيل الصدق حتى نشرب السم من أيدي المرائين ؟

وإلى متى يسرع المرضى من أصابعهم الصراخ ؟

ألا يتقدم الطب بحد للمرضى علاقة غير الصراخ ؟

إن الصراخ كان صوت الطفل وكان أسلوبه في التعبير عن

داله عن أن يعرب عن نفسه ، فإلى أوم يحرصون على صناعة سالف العيان بالكلام المفيد ؟

وإلى يوم يصرخون وقد هديناهم إلى النطق والتعبير الأخروي بطريقة مفهومة ؟

ما بالهم يصرخون وقد علمناهم أساليب التعبير الجميل ؟

ولكن لا بأس بالصراخ من التعبير عن الألم ولا يعبر الألم غير الأنين ، وحتى ذلك أن صرخ عبر أصوات ، ولله الحمد وله الثناء

قلت لنفسي : هذا زيد الذي كان يراني من أشرف الناس ، وذلك عمرو الذي كان يراني من أعظم الرجال ، وهناك بكر الذي كان يراني من الأبطال ، فما بالهم يتوشوشون بلا رحمة ولا استحياء وكنت لهم ظهيراً في أحرج الظروف ؟

فأجابت النفس : أولئك مرضاك عادوهم العافية على يديك فهم يشمتون بك في أنهم أصبحوا من الأعداء

قلت : أما يملكون في التعبير غير هذا الأسلوب الجميل ؟

فقالت النفس : ألست أنت الذي قال بأن الكفر لا يكثر في غير الأمم القوية ؟

ومن هنا الحديث عرفت أنني نقلت مرضاي من المرض إلى الصحة ، ومن الصحة إلى المرض ، ومن الخروج إلى الصحة

أنا بعيد ، وقد كل لحظة ، أنا بعيد ، لأن عقلي ينقل في عوالم الأفكار من ميدان إلى ميادين بسرعة البرق

أنا بعيد فقد عشت ودهري داعياً كل الوعد في خلق الوردات والصعلكات ، لأن أهلي ومالي لا يرون هذه الأوامر الجلية إلا ضرباً من ضروب التأنيب ، ومنهم من يرى الشكر على المعروف أعظم من المعروف ، فلا يرضيهم إلا أن يعترف بأنك سعدت وإن طوقت أعناقهم بقلائد الجميل

وأنا والله راضٍ عن بعضهم ، لأن الفقر الذي يلقونني به من وقت إلى وقت يشهد بأنهم يذكرون من الصحة ما يغضبون به على ظلم الطبيب الجاحد الذي استجلب من أجلهم شقاء الدنيا والزمان

ولكن ما أصل البلاء الذي تعانيه من الناس ؟

يخاصمني مريض بسم الأدب ، ويخاصمني مريض باسم الدين

فأى شيء أعنى مما يريد أولئك أو هؤلاء ؟

هل يستطيعون التفرد بأنهم لا يخشون من خاصمتى غير وجه الحق ؟

إن كان ذلك فأين ما عشر به من أن الشهرة التى ظفرت بها هى التى تسهّل تحاملى على جماعة الحق فى بعض الأحيان ؟

وهل الشهرة هى أصل تلك المشكلات والعقود ، ولكن ما الذى أصنع وقد ضربت من الشهرة ضروب محنة تكاشف تلاحقنى بلا هوادة ولا رفق ؟

دلونى على جريدة أو مجلة عرضت علينا أدبى شىء أو بعض من

دلونى على نادٍ أدبى فيه محاضرة بدون دعوة

وعلى حفل وليمة بدون أن أستعد بأعنّة الفكر والعقل

من حديث الإذاعة اللاسلكية !

يسألنى الناس كل يوم عن سبب انقطاعى عن الإذاعة ، فأين منهم من يعرف أن لى بمحطة الإذاعة صديقاً كريماً هو الأستاذ سعيد لطفى ؟ وأين منهم من يعرف أن ذلك الصديق يعجب من انصرافى عن الإذاعة مع أن للشعب يرحبون بصوتى كل الترحيب ؟ وأين منهم من يعرف أن الحرص على الوقت هو الذى يصدنى عن شرف التحدث إلى المستمعين فى مصر والأقطار العربية ، مع أن تلك الأحاديث أجراً غير قليل ، ولو شئت لعددته أجراً غير محبوب كما يصنع بعض الناس

وأين يضيع وقتى ؟

وهل عندى وقت يسمح بالحفلات أو النوادى ؟

وهل أعرف وقتاً غير العبوديات التى تتكلف إحياءها بين الأهل والأعداء ؟

ومن تلك العبوديات أخلق الفرصة لمسايرة الحياة الأدبية فأقرأ جميع الجرائد والمجلات ، وأراجع ما يهمنى النظر فيه من المؤلفات العربية والفرنسية ، وأكتب ما أراه من الملاحظات على ما أقرأ وما أسمع ، ثم أخلو بعد ذلك إلى نفسى فى حيرة المحزون الذى تنمّ أجواؤه فى خطابى إلى الدكتور طه حسين !

ويحلو للتفكهة أن أذكر أنى ركبت الترام منذ أيام فرأيت بالقرب منى فتى يُشبه كلود ، فحاولت الملاطفة وأنا مرتكب

فى أنه كلود ، ثم عرفت فى النهاية أنه كلود … ولم أعرفه لأنه يزعم أنى أستبيحه كل ذلك العرف

فكيف عشت الأيام بأن أجهل وجه ابن أخى ، وأن أشهد فى طفولته أن لأبيه صديقاً أعرف منى بالود ، وأحفظ للحق

ثم أرجع فأقول إن ما تقرأونه بقلمى من وصف لما نشهد هو عصارة تلك العبوديات أو تلك المعطلات ، فما ظفر بعض الناس من الشهرة التى جناها الصبر على سهر الليل ؟

الليل ! الليل !

وأين من يعرفون سهر الليل فى هذه الأيام ، والسهر فى صحبة الورق والمداد ؟

كان من حقى أن أسوق بنات الفكر إلى صدور من يأكلون الشحم ، صدور الذين يأكلون الخبز باسم اللغة العربية وقد تمضى الأعوام ولا يزوّد أحدهم نفسه بكتاب تحمله عنه ويرشّ، فضلاً عن المساهمة فى البحث والتأليف

وكان من واجب من عادوا مقالى أن يوجهوا ملامهم إلى الكسالى الفقراء من أمثال فلان وفلان وفلان ، وهم قوم تعالج الزمن حظوظاً لى أنالها ولو عُمّرت عمر نوح ، لأن حياتى بصحبة الورق والمداد سيضيع على جميع المنافع الدنيوية ، وقد أموت بسبب التكدح الموصول قبل أن يموت فلان مع أنه وُلد قبل أن يولد أبى بأعوام ، وسيبقى على ذلك الملال يوب الساعة

ثم ماذا ؟

ثم أوجه القول إلى من يتوهمون أنهم أحرص منى على الدين وأصبحت مع هؤلاء عجباً من العجب ، فقد طلبت ما شعبت فى صحبة المؤلفات الدينية ، ثم كانت النتيجة أن أتهم بالدين وأن يظفروا بحسن السمعة مع أن منهم ناساً لا يعرفون عصر المؤلفات الدينية إلا بالسماع

إسمعوا كلمتى مرة واحدة ، أيها الناس

الإسلام دين العقل والتوحيد ، ولكن أين من يخدمه بلا جزاء ؟

فى « مصر الحديثة » نحو خمس وعشرين مدرسة أسسها رجال هم مقلدة من أتباع موسى أو المسيح فهل فى مصر الحديثة مدرسة أسسها رجال من أتباع محمد ؟

وفي «شبرا» نحو خمس عشرة مدرسة أنشأها رجل من ذلك الطراز، فهل استطاع أشياخنا أن يختاروا في «شبرا» غير مسجد واحد أنشأته إحدى السيدات للسلف؟

وفي أسيوط مدارس أقامها أمثال أولئك الرجال، فهل بين علمائنا من يقول إنه قدم حجراً واحداً لبناء معهد أسيوط الديني؟

وفي الأزهر أكثر من سبعمائة مدرس، فهل فيهم من يرضى أن يبشر بالقيمة كما يبشر المتاجرون من الفرير والجزويت وهم مغتربون في أكثر بقاع الأرض؟

وفي مصر مدارس كثيرة يديرها الرهبان، فهل بين علمائنا من خلق الروح الديني في روحه فأنشأ مدرسة لتهذيب الشبان والشابات؟

إن الأزهر يرسل وعاظاً لبعض الأقطار البعيدة من حين إلى حين

ولكن هل يعرفون مصاير أولئك المبعوثين؟

إذا نشبت حرب في الحبشة أو في الصين صرخوا واستغاثوا وكلفوا الدولة ردهم إلى أوطانهم في أقرب وقت.

فهل سمعتم أن مبشراً أجنبياً ترك مقر عمله بسبب الحروب؟

ومع ذلك يقرأ مشايخنا مقالات رجل مثلي حرفاً حرفاً ليبحثوا عن لفظة نابية يثيرون حولها الأراجيف

ومتى يكون للمؤمنين إمام، رجلٌ مثلي [illegible] الإيمان الصحيح؟

آه، ثم آه!!

أجهادي في سبيل الأدب ضائع، وجهدي في سبيل الدين ضائع

فلماذا أصنع وقد عقّني وطني وزماني؟

من ذهب الظلم صنعت الخيوط بصياغة الورق

ومن دم الظلم صنعت الحديد لسنان القلم

ومن عصبات الظلم صنعت الكهرباء التي يصاولكم بها بياني

ومن جبروت الظلم نحتت [illegible] الحروف، وهي على ضعفها أشد تماسكاً من الجندل

وسيظل الظلم والجهول حافزاً من أسباب العمل

زكي مبارك

من الديوان

# شغلتك أغنيتان

## للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[illegible] أغنيتان [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الترجيع
[illegible] [illegible] [illegible] الربيع
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] السكون
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] والحنين
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
إلا [illegible] [illegible] [illegible] الأبيض
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

محمود حسن إسماعيل

# خليفة حافظ

[ بعث بها إلى مجلة العصبة الأندلسية في عددها الممتاز ]

للأستاذ توفيق ضعون

---

لا أكتم من عشاق الشعر الشائق والشعر المتين الواضح المعنى، فلا يؤذيني صورة صادقة من عاطفة ملهمة وصنعة في الوجوه ومن كان من الإغراق والتعقيد ومراوغة المعنى للتصور وربما كتب عصب التي لا تعرفها العصبية ولا تبين عن استعمالاتها كتب اللغة ومعاجمها، بحيث يصبح الشعر كناية عن رموز وطلاسم لا تحل إلا ذوو التخصص في العلم. فلا يدع لي كلما وقعت في يدي جريدة أو مجلة وحتُّ أقلب صفحاتها حتى أعثر على سطور منظّمة، فأقرأ مطلعها راجياً أن يستفزني إلى قراءة ما يليه وإلا اكتفيتُ به وقلبت الصفحة آسفاً، نادماً على الوقت الذي أضعته، لأن المطلع عندي عنوان الرجاء الذي قد تستهويك النظرة الأولى إليه فتقبل على صاحبه، أو تعرك نفوراً منه

وكان خير ما يستهويني، نظراً إلى استيفائه الشروط المتقدم ذكرها، شعر حافظ وأمثاله، فلما انتقل من هذا الوجود أحسستُ أنني في مصيبة البلاد المصرية من خليفة له تسند إليه على عرش إتقان واحترافي خلافته، حتى وقع يوماً في يدي جزء من هذه الرسالة التي وصفت بها حالي من حيث الأدب العالي والثقافة السامية الرفيعة، فقلبت بعض صفحاته وإذ بي عثرت على أبيات من الشعر استهواني مطلعها واستفزتني إلى الإتمام حتى خاتمتها. وكنا في ندوة «العصبة» فرحتُ أتلو على مسامع الإخوان هذه الأبيات التي تنبعث منها روح حافظ وأسلوبه الفذ الأمر فشاطروني رأيي. وطفقت منذ ذلك الحين أتقصى آثار محمود غنيم الأدبية في تلك المجلة النفيسة بتذوق أجمعه الغالي في مضمار الأدب في ذلك القطر السعيد

وعلمت بعد التنقيب أن محمود غنيم مدرس في كوم حمادة إحدى قرى الصعيد [الصواب أنه في مدرسة الصنعة] يتخلل شعره الجميل شكواه من سوء حاله وضيق عيشه، فهو تحسبه سجيناً في تلك القرية تتوق نفسه إلى الإفلات منها ولا يرى الظفر بمنال الإفلات من صمته ولو كان من دعه فيكتب به وهو معدن يحيي ويشقى، فحال حين يبنى على وتيرة واحدة يعم النفس ونشره، لا مطمع فيها للأديب الذي يؤثر تغذية روحه على تغذية جسده، وكلام أطيل في تصوير الحال التي هو فيها، وقد وصفها هو على أدق وأكمل شكل في قصيدته الكافية وعنوانها «كأس تخيس» قال:

سكتُّ دهراً لعلّي غلبتها بها ... موارد من سيء الحظ تحسم
سرقت لا أدري على أي منطق ... أشاهد في مصر فلكوناً تقسم
عن بك فاترت وسهر قاتل ... بجسم وحيد لا عضين ولا عم
فلا تعجبوا أني سكتُّ بأرضها ... كما سكتت أعراب والقلم

* * *

أيجري شبابي بين جدران قرية ... ... كان الصبا فيها محتم
أكادح المتصطلي حوشان ... إلى حسب الأحياء لم الأوسم
وماشرت أعيد سنين دراتي ... عرفت بإحساسي وودي مهم
يقولون: خضراء المراتع نضرة ... نعم، هي ولكن شاة تموت

من وصلكم إلى أنتم بشعرهم ... يجود على الأحياء فيها الترحم
حياة كمصباح النائم الذي كنّا ... فليس به شيء يسر ويؤلم
وما أجل إلا حياة عصية ... تمر بأرضي ذو سوء فأحكم
حياة كليج البحر والبحر زاخر ... تلوى بها الأمواج والرعد مرعم
حياة بها جد ولهو ونهجة رضى ... وسخط ونبأ طيرين شهد وعلقم

* * *

حلاوتك إن قد ومت بجنبية ... دروح واغدو كل يوم إليهم
صغار وبهم يخشى عجولهم ... وضيمو لمكتنا جيدوم
لأعلمك أن قد قتلا طوالها ... أشكل حد الطفل عن جنهم
فصول جداً علموا وسوف سيدها ... سواليك والجحى للذكر يساهم

في كل يوم ترى له مصرعاً … فأجبن شخص يراه للشر
على كتفيه يحمل اسمه مبرزاً … لما هو إلا السنى سمح

* * *

يقولون يسطو بي أمن بيانه … فتىً لم تكن حظّ أبكم
أرى حظاً منعوا أشكل مهرجه … ماناً على الأكفاء عهو مرغم
ألا فليبقه من شاء مني تأملٍ … حسب عاد الوجه حين يكرم

فهل هناك من موازن من هذه الصور التي كتب بها عن أصابته العاثرة، وخصوصها بكونها تتسطر من أحسن العاطفيات؟ وهل هناك ما هو أدل من حصيده الرائع من أن لا تمثل في الإطلاق في بريع المخطوط! وربما صح هذا الحكم على الشهرة حسب إذ لم يلم أجيب إلا احتضن الناس في سبيل مصطرة، وطالما كانت الشهرة نصيب من لا يستحقه لعوامل وأسباب لا علاقة لها بالكفاءة الجيدة، وكان سحر الأقدار بين كفيه ما لا تحصره الكلمة من التوفيق والتجنين والزهر في هوى أو ذوي في النفس وأي هذه صورة المرأة الكاملة تنعم في النظر للعصري كالأحلام والنعم، يلي ذلك وصف السحر ونسائه، حياة المعز والأجواء التي تغلبها، فالاحتضار بعد كل الشكاوى للزلة بالصبر والاستمساك بالأنفة والإباء؟

ثم عقرب في صورة ثانية استوقف بها أبي محمود غنيم لا يعدم مخرجه عما هو فيه مستمداً من عجز صبره الذي لا يتأخر عنه كما عاد إلى صورة عود الطائر إلى متخطفٍ فرحة وعصفه والقوت وهنالك ما يقوله في وصف هذا المشهد بعنوان «حول المدفأة» آخر يلي:

وأحيب سمع لطيات عنه … خشية احلم إلى وجيبْ
فأطلس عنه إلى جانبي … وأحسس ذلك في دكيبْ
وأعرو الشفاء عوده عليهم … وأبسط من عوقه واحبْ
وأحسن بين طفل اشتماله … وأحسب حتى تصير أعتبْ
وما حاجتي لشتاء وباه … محسن عطلاني زاداً وسبا

* * *

فيا ليت شعري أتنذ بي … حباني فأحق حرس يديا

وأشبه طفل حين يشب … فتى [illegible]
أولئك أمرؤ من رجال الكلام … وكم أن [illegible]
فما المحتقر الناس إلا الأديب … ولا المعدم عند الناس إلا [illegible]

* * *

أيا ابن أحيب بما يكسر الي … وأصوب بما قلقاني علينا

فانظر إلى العاطفة الرائعة الصادقة المتجسمة في هذه الأبيات وأكثر من الصعبه إلى أقصى حدودها كرماً لتلك العاطفة النبيلة بالشعور والحنان، إذ يرى عدم الإمكان الإنسانية التامة بكل ما يكن أن يكسره الصبر من الحرمان، أو يطلقه إلى حد استعلاء الأمرين وتشجيعهما عليه، وما يتخلل ذلك من عتاب ومطالبات.

وبما تقدم رأيت كل طفل في روح محمود غنيم، على أني التمسته في وجه الشاعر في بعض صفحات «الرسالة» متاعباً على أني لا علاقة أربعة بين النظير والنظر، ولكن حسب الساعة في الظن إنما كانت التقطها مثل هذه الرسالة في الظن، وعلام أشكو عما يريد عما شبها حافظ كما يريد برشيه لخلافته ببر؟

هذا هو محمود غنيم الذي أقدمه الآن لقراء العربية عموراً بأني أقدمه شاعراً مجيداً، إذ لم يصرح حافظاً في أسبه بأنه يجاريه في صحافة وهذا حاضره يبشر بمستقبل ربما كان أخصب وأحفل وربما يرجع كمنه في نظري هو عنصر عبقه بالنسبة إلى عهد حافظ أيام كان يطل صبحه وأعزيه في القاهرة حيث امال الرحب والوجوب والمتغيرة في أنواعها، وكان من يجير الشاعرية، ويبعث الكراسي ويعين عن الإعجاب أضف إلى ذلك تمنعت قيادة حافظ في نشأته وحديثه وبإحاطته بخير الأفاظر والصور والقرائن التي عاشت بروح التصيغة، وكسبا خصة الإعراب من مراعي نفسه، ولسون حركه ومكانه الحدث الذي صور عنه أو المناسبة التي التمسها.

أنا مستفيد لنا هين وما سيل عما التمسته واجزأت به مكرها حظي حين الجمال من جمع معالك تعرب في ما أحاوله وما أعده من أبياته ملساته، وهما جاده يدعو إلى الإعجاب عجب

تراه فيه فضل سعة اطلاعه ومقدرته على الإجادة ، حتى في أتفه الموضوعات المطروقة وأبعدها من استثارة الانتباه ؛ إذ يغلب في الشعر أن يكون [illegible] هو الأخير ، [illegible] وقد رأيت الشعر [illegible] ما يجيء الاستشهاد منه على [illegible] في الاختصار [illegible] من التطويل وخشية الملل !

شعر تصويري [illegible] ، [illegible] الأمانة في الأداء ، ورؤية حرة ، وفكر طليق من [illegible] الأوهام ، ومجال واسع [illegible] في الأعماق [illegible] ، ونفس طموح لا يكبح جماحها إلا الإباء المتعصب

اسمعه يصف راتبه بأبلغ ما يدل على سهولة وسرعة التفلت [illegible] ، ويجيب [illegible] إلى [illegible] عالية [illegible] إلى أسماء [illegible] من عواقب التوكل ، وكلاهما [illegible] الأعمال [illegible] المكتب المحدود

ولي راتب كالماء تحويه راحتي ... تفلت من بين الأصابع هاربا
إلى أن [illegible] الشهر [illegible] فلم أجد ... إلى جانبي إلا غريماً مطالبا
مثل الشباب [illegible] ... تعالت به أحلامه أن يجربا
[illegible] مصر لم ترجع [illegible] ... [illegible] لم تخص [illegible]
[illegible] في كل [illegible] ... على غيرها [illegible] بمصر أجانب

• • •

وهناك مطالب أخرى لم ننقله في أدب الإخوة للبناة [illegible] مشكلة الجمال [illegible] بعنوان « مشكلة الجمال » [illegible] روحه الاستقلالية ، قال :

كم ناص [illegible] ... قلبا [illegible] الداني والقرى
ما [illegible] في مصر [illegible] ... والحق [illegible] أن يعيش [illegible]

• • •

وما هي إلا فترة من الزمن حتى [illegible] ينزع منه أطوار [illegible] والتفكير [illegible] الحكمة والاعتبار [illegible] الوعظ والإرشاد ، [illegible] حقيقة الحياة ، [illegible] بأنفسهم ، [illegible] من [illegible] ، [illegible] من أجله [illegible] ، كما [illegible] والقطاع

صرخة قاسية ، إذ يقول بعنوان « الفاقة » :

فتشت بين الناس عن زاهد ... فلم تقع عيني على واحد
ما أزهد المرء إذا لم يجد ... وأجد الزهد من الواجد
شيمة النفس إذا [illegible] ... [illegible] والواجد
قد يحمد المرء على زهده ... ولا أرى الفضل من حامد
لم يحتقر [illegible] ... بل أصبحوا بالنعت [illegible]
[illegible] الطبع في [illegible] ... مثل [illegible] والعاصد
يا زاهد الثروة في [illegible] ... ما تبتغي من كاسب جاحد ؟
[illegible] ... بل تنعم [illegible]
لولا جلال [illegible] ما لامست ... أرض الفضل جبهة الساجد
هل كنت تلقى في الورى ساعيا ... لو كان يسعى الرزق للقاعد
سبحان من يسعى إلى موته ... بالسيف أو [illegible]
كم لحية أجدى على ربها ... من ألف سهم بيد الصائد
[illegible] الروح ودمع [illegible] ... عن [illegible] الحاسد القاعد

• • •

بلوذا [illegible] على الساحل « الرملي » في الإسكندرية يجمع طرفه بزاوية المتحجبات ويشبع عينه من محاسن خلع الصدر وأجاد في وصف ذلك المشهد البديع وسال ريقه [illegible] مسلطة [illegible] كأنه يسمع [illegible] من كل [illegible] روحي [illegible] وصف [illegible] :

أهو [illegible] الذي أم كراسي ... [illegible] الأجساد !
لا [illegible] من [illegible] ... به [illegible]

• • •

أيها المتعري من الإقلال ... شبع النفس بالجمال متاعا
لم يجيبوا [illegible] للسارب ... وأباحوا [illegible] الجمال [illegible]

• • •

لا تحسبوا للنعم المكشوف ... وقولوا [illegible] الجمال المصون
[illegible] أو [illegible] ؟ ... [illegible] الحسن أن تزل العيون

وانظر إلى رغباته في [illegible] أحدث [illegible] أسبابه [illegible] إذ يقول

كلُّ نفس [illegible] جمرةٌ مستعره
ناعمةٌ يحسبها كل من تعرَّض له
أبدعها خالقها [illegible] عظيم صنعه
جسم كروح جميل [illegible] فيه الأعين
تحسب فيه كل [illegible] وحدةٌ منفصله
في [illegible] لا [illegible] تزيد رونقه
[illegible] ولقد [illegible] عجلان [illegible]
دعني أصلِّ ساعةً [illegible] ما [illegible]
ما كنت من أهل [illegible] والقرون [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

* * *

وأخيراً [illegible] في [illegible] والقوم [illegible] وانتبه إلى [illegible] يبعث في قومه الذين يزعمون [illegible] الغرب دون [illegible] أو استثناء .

يزعمون الغرب حتى [illegible] أن [illegible] الأصنام
ما [illegible] [illegible] وإنما [illegible] [illegible]
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]

* * *

هذا [illegible] المختار من جميع قصائد [illegible] قليل من كثير ، [illegible] إلى شاعراً [illegible] مثل هذه الألحان [illegible] من [illegible] كل هذه [illegible] لا يجوز أن [illegible] أو [illegible] في [illegible] ، بل يجب أن [illegible] التي اختارها وأحسن [illegible] من [illegible] الآلام [illegible] شكواه ولعل هذا الصوت [illegible] يصل إلى آذان [illegible] في [illegible] إلى إنصاف هذا الشاعر [illegible] يعود إلى مصر [illegible] [illegible] في [illegible] .

[illegible]

# الربيع
## في باريس

نظم الشاعر [illegible] الأدب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القصيدة [illegible] الربيع في باريس [illegible] الشتاء [illegible] [illegible] الأرض [illegible] الربيع [illegible]

عادني [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
كلُّ [illegible] [illegible] من فؤادي

يا [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
هذا [illegible] [illegible] [illegible]

يا [illegible] [illegible] [illegible] الفتنه
حول [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] الصواب
[illegible] [illegible] [illegible] الفياد

[illegible] [illegible] [illegible] الشكاة
[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
كل [illegible] [illegible] من فؤادي

باريس بشر فارس

# ٢ — لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

نقل الأستاذ العبادي البحث في هذا الموضوع إلى ميدان آخر غير الأول ، فأنكر أن يكون السفاح لقباً لأبي العباس ، وذهب إلى أنه لقب عمه عبد الله بن علي واليه على الشام ، وحجته فيما ذهب إليه من ذلك تتلخص فيما يأتي

١ — أن الروايات التاريخية القديمة كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم والبلاذري وأبي حنيفة الدينوري وطيفور والجهشياري والطبري وابن مسكويه والكندي لم تلقب أبا العباس بالسفاح

٢ — أن تلقيب أبي العباس بالسفاح جاء من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيبة والأصفهاني

٣ — أن رواية ابن سعد واليعقوبي وصاحب أخبار مجموعة وصاحب الإمامة والسياسة تجعل السفاح لقباً لعبد الله بن علي عم أبي العباس

٤ — أنه رجع إلى سيرة أبي العباس مع أخلاقه وطبعها فلم يجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال ، وأما سيرة عمه عبد الله وما سفكه من دماء بني أمية بالشام فتسوغ له ذلك اللقب

والحق أن ليس ما في هذه الحجة الأخيرة من غفلة ظاهرة ؛ على أن ليس يرد ما قبلها من الحجج ، فإن أبا العباس هو الذي سلط عمه عبد الله بن علي على بني أمية بالشام ، فهو مسؤول عن كل ما فعله معهم ، وشريكه في الدماء التي سفكها ، والنصوص التي ترويه ، على أن أقسى ما حصل مع بني أمية يختلف في نسبته إليه أو إلى عمه عبد الله بن علي ، ومن هذا ما روى أن شبل بن عبد الله مولى بني هاشم دخل على أبي العباس أو عمه عبد الله على اختلاف الروايتين ، فوجد عنده نحو من بني أمية نحو تسعين رجلاً ، وقد اجتمعوا على الطعام ، فأنشده

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي ... قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله ... بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلا بجانب المهراس (١)
والقتيل الذي بحران أضحى (٢) ... ثاوياً بين غربة وتناس

فأمر بهم أبو العباس أو عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الأنطاع ، ومد عليهم الطعام ، وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم ، حتى ماتوا جميعاً

وإذا لم يكن أبو العباس هو الذي فعل ذلك فقد سلط عمه عبد الله عليهم ، وانتصر به في بعض أحداثه ، ونسب ما فعل ببني أمية من القتل والتمثيل إلى نفسه ، فروى المسعودي أنه لما أتى برأس مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ووضع بين يديه سجد فأطال ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك ، الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ، ثم قال : ما أبالي متى طرقني الموت ؟ قد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين ، وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي ، وقتلت مروان بأخي إبراهيم ، وتمثل

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ، ثم جلس وقد أسفر وجهه ، وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواطع في أيماننا تقطر الدما
تورثن من أشياخ صدق تقربوا ... بهن إلى يوم الوغى فتقدما
إذا خالطت هام الرجال تركتها ... كبيض نعام في الثرى متحطم

ومن يقرأ هذا يجزم بأن أبا العباس كان يحمل سخطاً كبيراً من دماء بني أمية مثل عمه عبد الله أو أشد ، لأن كل هذا الذي سفكه من دمائهم لم يكن بحيث يروي ما عنده من الحقد

---

(١) هو مكان بأحد قتل عنده حمزة بن عبد المطلب
(٢) هو إبراهيم الإمام أخو أبي العباس

ولقد كان له مدائح أخر نسبه المؤرخون ، ولم يكن ماثل من عبد الله بن علي سفكاً للدماء ، ذلك هو سليمان بن علي أخو عبد الله وعم أبي العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بني أمية فقتل من كان بها منهم ، وألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب ، وكذلك فعل أخوه داود بن علي على من كان منهم بالحجاز فسفك دماءهم وأفناهم

وقد تولى هو بنفسه سفك بعض من الدماء أيضاً ، ومن ذلك دم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فإنه كان قد وفد عليه من الشام فرحب به وقربه واستخلصه ، فلم يكن بينه وبين ابن عمه مروان بن محمد ، فكان سليمان يختلف إلى مائدة أبي العباس في كل يوم ، فيتغدى معه ويتعشى ، وكان كأحد وزرائه أو عمومته ، وكان يجلس أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره ، وما زال هذا شأنه حتى دخل سديف بن ميمون مولى بني العباس فأنشده

لا يغرنك ما ترى من رجال ... إن تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر أبو العباس بسليمان فقتل ، ومضى ما كان من أمانه وإكرامه له ، وكذلك قتل وزيره أبا سلمة الخلال ، ولم يكن له ذنب عنده إلا أنه مال إلى بني علي ، وأمر أيضاً بقتل ابن هبيرة بعد أن أخذ عليه من الأمان ما أخذ ، فلما دخلوا عليه خر ساجداً وقال : نحوا عني هذا الصبي لا يرى مصرعي ، فضربوه حتى مات ساجداً

ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصي ما سفكه أبو العباس وأصحابه وإخوته من الدماء ، ولقد كانوا كلهم شركاء فيه ما عدا سليمان بن علي ، فإنه كان أحسنهم على بني أمية ، وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار به منهم ، حتى كان أبو مسلم يسميه كهف الأباق ، وهو الذي كتب في بني أمية إلى أبي العباس : يا أمير المؤمنين ، إنا لم نحارب بني أمية على أرحامهم ، وإنما حاربناهم على عقوقهم ، وقد دفت إلي منهم دافة لم يشهروا سلاحاً ، ولم يكثروا جمعاً ، فأحب أن تكتب لهم منشور أمان . فكتب أبو العباس منشور أمان لهم ، [illegible]

سلطانه وعشيرته ، [illegible] الأموية صرخة [illegible]

فهذا هو السفاح [illegible] الذي كان سفاكاً [illegible] بيانه بنفسه كما كان أبو العباس وغيره من أعمامه وإخوته ، وهو الذي كان يصح أن يهتم الأستاذ العبادي بحمل لقب السفاح عليه والصق به ، أما أبو العباس فإن سيرته بعد الخلافة طاهرة من سفك الدماء ، ومن الخطأ على المؤرخ أن يقول الأستاذ العبادي إنه رجع إلى سيرته قبل الخلافة ، وبعدها عن عبد ما يسوغ تلقيبه بالسفاح عمل القتال ، وهو في هذا أشد من أبي العباس تبعة على نفسه ، أو كما يرون ، فلم يكن أشد من الملك ، كما سبق من بيانه . والعباس سفاك للدماء ، ومن وصفه نفسه في بعض خطبه بما لا يرضى الأستاذ العبادي أن يوصف به

وسنبين للأستاذ العبادي كيف اختلفت الروايات بعد هذا في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبد الله ، ونبكي هذا في مقالنا الآتي

عبد المتعال الصعيدي

(١) هكذا روى عنه صاحب العقد ، وهو يخالف ما ذكرناه من أنه قتل من كان من بني أمية بالبصرة ، وأنه ألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب ، فلعل عنه العطف أدركه أسفاً عليهم

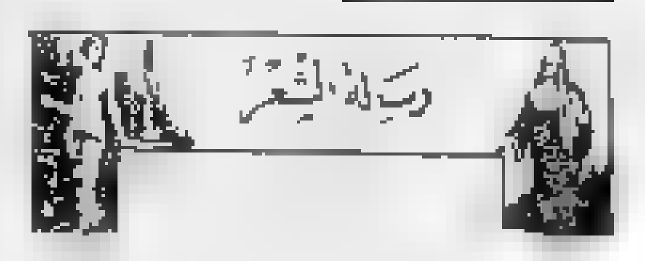


# وحـــــدة

للأستاذ أحمد الطرابلسي

أيها الشاعر [illegible] الذي ... على جناح الزمن [illegible]
[illegible] الصدى ... [illegible] الآتي [illegible]
[illegible] ... [illegible] ! ما [illegible]

هل من [illegible] البعث إلا [illegible] ؟
[illegible] الصبر فيه [illegible] ؟
[illegible] [illegible] الندى

[illegible] الذي من قبل أن [illegible] ... قدر [illegible] أن يحيا وحيداً
والغد مثل الأمس والحاضر
[illegible] الذي [illegible] يا شاعري ؟

[illegible] أني [illegible] الهموم ... والخطر [illegible] هنا [illegible] ؟
[illegible] الندي [illegible] ... [illegible] لا [illegible]
حيث [illegible] ... والنور يجري [illegible]

[illegible] أن يكون [illegible] !
[illegible] [illegible] الرسم ؟
[illegible] أم دون [illegible] النجوم ؟

[illegible] الذي من قبل أن يولد ... قدر أن [illegible] أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر
[illegible] الذي [illegible] يا شاعري

[illegible] يا حيران [illegible] ... [illegible] حيث [illegible] !
الحسن [illegible] ... حيث ترى [illegible] الذي [illegible] ..
انظر إلى حولك يا [illegible] ... فالوردة الحمراء [illegible] !

[illegible] كنوز [illegible]
[illegible] عني [illegible]
فما الذي ترجوه [illegible] ؟

أنت الذي من قبل أن يولد ... قدر [illegible] وحيداً
والغد مثل الأمس والحاضر
[illegible] الذي [illegible] يا شاعري ؟

أمس لدى الأهل وبين الصحاب ... [illegible]
[illegible] الشراب ... [illegible]
واليوم [illegible] والشباب ... [illegible]

لا [illegible] لا [illegible] ؟
[illegible] [illegible]
[illegible] الصحاب

أنت الذي من قبل أن يولد ... قدر [illegible] وحيداً
والغد مثل الأمس والحاضر
فما الذي [illegible] يا شاعري ؟

[illegible] ... [illegible] الأسى
[illegible] ... [illegible] في كل مكان
يا ليت شعري [illegible] ... [illegible]

[illegible]
[illegible] في [illegible] جبال
[illegible] في [illegible]

أنت الذي من قبل أن يولد ... قدر [illegible] وحيداً
والغد مثل الأمس والحاضر
فما الذي [illegible] شاعري ؟

[illegible] بين الصخر ... [illegible] لا [illegible]
[illegible] الذي في [illegible] ... [illegible] حتى [illegible]
[illegible] الكدر ... لا [illegible] ولا [illegible]

وأنت في [illegible] رهن الفكر
[illegible] بالكف [illegible]
[illegible] قلب [illegible] من حجر !

أنت الذي من قبل أن يولد ... قدر [illegible] وحيداً
والغد مثل الأمس والحاضر
فما الذي [illegible] يا شاعري ؟

أحمد الطرابلسي

# اثنان في سيارة

## للدكتور إبراهيم ناجي

مَنْ أيّ [illegible] وأيّ زمن ... يا ساعةً بعثت ظلال أماني

من كتب حين هبطت [illegible] ... ومداك فوق الظن والحسبان

فالعمر [illegible] ... [illegible] كأنه عجلان !

كم لحظة حضرت وعدت [illegible] ... بعد المغيب كلوحة البستان

وعمر في الذكرى خيال شبيه ... فكأن [illegible] شباب ثان !

من ذلك [illegible] عاني ... [illegible] في [illegible] !

[illegible] ... [illegible] سكون مكان

[illegible] ... يجري في الظلماء منفردان !

[illegible] ... [illegible] في الأقدار [illegible]

هل كان [illegible] إلا [illegible] ... [illegible] بها [illegible] ترجمان

هل كان [illegible] القرب إلا [illegible] ... [illegible] إلى حرمان !

والناس [illegible] كل [illegible] ... [illegible]

[illegible] على الإنسان ... من هذه الأرض في الدوران

وكأنما [illegible] ... [illegible] من الحرمان

# يا سرها !...

## للأديب محمود السيد شعبان

يا سرها [illegible] ... [illegible] في [illegible]

أنا من [illegible] الروح [illegible] ... [illegible]

[illegible] الهوى [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible]

[illegible] في [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] الهدى [illegible] ... [illegible]

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible] سلبت [illegible] !

أرجوزة لي وحدي [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] !

[illegible] ... [illegible]

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible]

لا [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible]

أنا [illegible] ... [illegible]

أنا [illegible] ... [illegible] إلى [illegible] !

[illegible] ... [illegible]

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible] روحي !

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible] !

[illegible] ... [illegible] إلى [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] !

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible] وحدي

[illegible] ... [illegible] وحدي

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... إلا [illegible] وجدي !!

* * *

يا سرها [illegible] ... [illegible] قلبي !

أنا من [illegible] الروح [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] !

## الشعر والشعراء

يحسن أن يكون أهم أركان الشعر إحساسُ الشاعر بعبارته إحساساً كاملاً تاماً مفصلاً، لا يدع للمنطق الذهني المجرد مجالاً في تكوين شعوره. وليس معنى ذلك أن تُجرَّد الشعر من المنطق العقلي المجرد، بل معناه أن يتغلب المنطق النفسي – بكيانه وكماله ودقته وسموه واستقامته – حاسةً دقيقة مدركة تعمل في حياطة الإحساس والقيام عليه ومسرعته في وجوده إلى مدًى لا يحيد عنه، فلا يشرد عن الغرض الذي يرمي إليه في التعبير عن الصور التي تنشأ عنها الإحساس. وأدنى ما أنكره على المنطق العقلي في الشاعر – أن يُعدّ الإحساس، بما ليس له من الاستواء والاستقامة والتداول، وكذلك بما هي إليه الألفاظ التي يوجه التعبير بها مفترقاً بعضه إلى بعض، بحيث لا تخرج هذه الألفاظ في الكلام جارية قلقة، يحول في مجاريها من انقطاع الرابط الذي يربط المعاني في أعصاب الشاعر، وصاحبه، ومثله فأراد التعبير عنه سيراً ماضياً متواتراً متلائماً قوياً، فيه صفة الإحساس، واهتزازه وتلتله وقوته.

وأداة المنطق النفسي هي اللغة، والعقل بغير اللغة لا يستطيع أن يستوي ويتسلسل ويحس، ولا أن تمضي معانيه في مجراها الطبيعي.

فالمنطق العقلي كما نرى هو جزء اللغة التي تحول الإحساس، فهو يقتناها ما يستطيع أن يعد منها للأداة التي تمكنه من الظهور والانتقال. وربما أخذ من اللغة ما هو موصل وجيد للإحساس، وربما أخذ منها ما هو [illegible] موصّل جيد لا يستطيع أن يسري منه إلى الحواس أو يسمعه. فإنك تعرف عند البحث أن الشعر يحمل أول ما يحمل إحساس قارئه وسامعه، ثم يثيره بقدر ما تحمل ألفاظه من إحساس قائله. فإذا أحس أن يكون [illegible]، كذلك، فارجع عنه إلى أحد أمرين:

إما أن الشاعر لم يؤت من [illegible] في الاستعداد من لغته ما يطابق الإحساس ويكون [illegible] لأن منطقه العقلي [illegible] من [illegible] التي يتطلبها إحساسه، فلذلك [illegible] هذا المنطق العقلي أكثر من إحساس الشاعر، فلا يملك منهما ما يكون التعبير عن إحساسه. ومن جهة أخرى. وهذه المسألة الأخيرة نجد كثيراً من هذه الذين يسموا شعراء، ومع ذلك ربما كان أحدهم أحدّ إحساساً وأعمق وأعنف، ويكون إحساسه أحفز للمعاني وأدق. وإنما يقطعه عن الشعر عدم قدرته، وهي قدرة المنطق العقلي من اللغة التي هي [illegible] أو استطاع المنطق العقلي دون الوصول إلى المنطقة التي يتصل بها هذا المنطق، بكيانه وكماله وموجوده واستوائه واستقامته – حاسة دقيقة مدركة تعمل في حياطة الإحساس والقيام عليه وسوقه إلى الغرض الذي يرمي إليه في التعبير عن معاني الإحساس، كما قدمنا آنفاً.

وأما الأمر الثاني – الذي يختص بصحة الشعر في التأثير – فمردّه إلى القارئ، أو السامع. فإذا كان إحساس السامع أو القارئ ضعيفاً خفيفاً، فهو يأخذه من شعر حافل [illegible] من إحساس شاعره – فهو [illegible] شيء آخر صعب لا يبين ولا يبلغ منه ولا ينفذ فيه! وهذا الضرب من الناس الذين لا يتأثرون بالشعر لا يُعتد بهم ولا يُنظر إليهم، ولكن هناك ضرب آخر يكون طبع الإحساس عنده الخلق، [illegible] التأثر بما ينقل إليه من [illegible] الإحساس [illegible] ويطرب، وقد يكون مع ذلك [illegible] من اللغة التي يعبر بها الشعر، فليس له منطق عقلي [illegible] الكلام [illegible] اللغة [illegible] ينكر، وليفهمه إذا حدث أو أنشد، فهو ربما سمع الشعر الجيد فلم يبلغ منه المبلغ الذي أريد له هذا الشعر. وأكثر هؤلاء في عصرنا هذا [illegible] الشعر ولم يجعل [illegible] إلا قليل؛ ولم يكن كذلك إلا لفساد التعليم [illegible] وأسلوب [illegible]، ولأن [illegible] والصحف [illegible] سواد الناس [illegible] راجع إلى [illegible]، وذلك الشعر وسوء التعليم [illegible] إلى [illegible] والبلادة، فكيف – مع هذا – يخلص أحدهم من ظلم العقل وبلادة التأثر بالشعر البليغ الحافل بالإحساس المشبوب المتوثب!

فأنت ترى أن اللغة المصرية الرصينة تضج من الإحساس مبرأ منه أيضاً بالنطق العملي الذي لا يدل على مدرج ألفاظ فتقتضي ملاءمته بمعاني المعاني التي وصفت فأعيد الألفاظ القوية ... من النطق المدني الذي يعرب عنه اللغة، ويستطيع أن يتحول حاسة دقيقة عندي تقوم على الإحساس وتجرداته من الضلال ... ثم المعاني التي تتطلب إحساس الشاعر حتى يجعله ما يؤثر فيه تأثيراً قوياً عتيداً. هذه الثلاثة هي وحدة الشعر الجيد، فإذا سقط أحدها أو اثنان أو ثلاث، سقط الشعر بمجموعه أو انحط أو ضعف.

وأنا أقول إن أكثر شعر الشعر العربي المعاصر قد انحط وسخف وسقط، لأن أكثر الشعراء قد فرغ منهم العجب حيناً أخذ كل ما يتحدث به من آخر « الشاعرية » التي يجب عليهم؛ ولم تخلص لأحد منهم جميع هذه الثلاثة التي ذكرنا. ولكن بقي شاعران أو ثلاثة ما يمكن أن يُلحقهم بأهل المرتبة الأولى من الشعراء المجيدين. وهذه المرتبة الأولى إنما تحتملهم ولا تكاد تعرف أحداً استوى فيها، فإن جاء بعض العربي فشعر ما يعسر فهمه كيف شاء، فيكون في تاريخ الشعر العربي عبقرية جديدة كامرئ القيس، وصريع الغواني، والمتنبي، وأبي نواس، والبحتري، وأبي تمام، وغيرهم ممن يعد لساناً وحده.

## شاعر !

وأحد هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين سيحشرون أنفسهم في مجاز المرتبة حتى يلحقوا بالمرتبة الأولى — في تقديري — هو « محمود حسن إسماعيل » : فهو إنسان مرهف الحس دقيقه، متوهج النفس، سريع التلقي للمعاني التي يصورها له إحساسه، وإن إحساسه ليبتني له من هذه الصور والمعاني أكثر مما يستطيع أن يطيق تعبيره، وهو مع ذلك قد قصر في معالجة هذه المعاني من إحساسه، وربما مر من أول الشعر إلى آخره لا يترفق، كأن في إحساسه روح « النبوة »، فلذلك تجد التطلق المتقلب في شعره متفجراً أبداً لا يبالي « أوقع على البعد من اللغة، أم وقع اللفظ عليه »، ولكنه على كل حال متعلق بنفاذ إحساس هذه الرتبة، يحاول دائماً أن يبسط هذه الإحساس التي لا تهدأ ولا تستقر، ويحتاج بعد قليل من الصبر والمرابطة لإحساس شاعريته — إلى القدرة على معالجة إحساسه وكبحه وتوجيهه على معنى واحد مؤتلف غير مختلف، وحينئذ سيبلغ قدر الشاعر الذي يفرض على الزمن الدائم والأعمار المتتابعة تتابع بريق إحساسه بصوره، وضرب بعضه بعضاً متوارياً من القوة في موازين الخطاب.

وأما الثالث، فقد ملك سبب ما يكفيه ليظهر جيداً بعض إحساسه، فيما استطاع بعد إلى مراتب العربية التي لا تعد، ويحاول في أسرار حروفها المدارسة الطارحة، وما أحوجه — ثلاثتهم — إلى تقوية الأسلوب إلى حد أبعد واحد، حتى يستطيع أن يستوي على سرير المرتبة الأولى الشعر غير مدافع.

هذا، وإني في كثير من شعره الذي نشره إلى اليوم ما يحملني على أنه — إن شاء الله — من أنه سيرقى ذلك لا محالة، فهو قد استولى على كل ما هو به شاعر، ولا أظن ظن السوء بقدر الله أن يكون هو قاصداً دون المنهج الذي سنه بين يديه، ولم يبق له إلا قليل حتى يبلغ الذروة العليا.

## قصيدة الزلزال

وقد قرأت قصيدته[1] الأخيرة في « ناصية توكيا » — كما تقدم — ثم عرضها، فوجدت قولاً على في هذه الباب أن أثبت بعض رأيي في الشعر والشاعر، ثم في « محمود حسن إسماعيل » خاصة، ثم في هذه القصيدة. ونستطيع أن نجعل موضوع الشعر وحيد هذه القصيدة النفس، التي ستكشف عن السر المتمكن وراء هذا الشاعر. وقد عرضنا مرة بعض الشعر الأسود للقائل؛ فلا بد بعده من أن نعود أيضاً ببعض آثار الشعر للشرق الحي.

ولقد كان « زلزال الأناضول » عذاباً من العذاب الأكبر بأهواله، حتى قالوا إنه أشد ما عرف من الزلازل وأخطرها وأعظمها هولاً وأثراً، وقد كان ما نشرته الصحف اليومية من أخباره هولاً هائلاً مروعاً يكاد يجعل الولدان شيباً. فلا شك يحق أن يكون هذا الرعب الراعب في إحساس شاعر مثل « محمود » رجفة يرعد بها وعده طائرة مهولة مجلجلة صاخبة.

وأنت إذا جاءت القصيدة:

| | |
|---|---|
| هلك الشدائد المرعبة منها | فالصمر في الأهوال دون أمانها |
| واحشه مرو ملك الأملاك مريعاً | لف الظلام خشب من سكانها |
| ونسيها خرب ميسور ميسنق | خر الكفاح الشرقي كسانها |

(١) وهي عربية تزيد على ثمانين بيتاً، فلذلك لم نستطع أن نعرض الكلام عنها وإنما ذكرناها هنا في سبيل ....

رأى الأرض والسماء، بماء الفزع الطاغي بطغيان أمواجه على إحساس الشاعر، فلم يملك إلا إسلام نفسه إلى اليأس، يستزيد من البلاء ويطلبه فيقول: «هب الشدائد» ثم يعود فيقول: «هاتها» يريد بذلك الصبر على هذا البلاء، فهو إذن قد يئس أن يصرف عن إحساسه ما طغى به عليه هول ما سمع من صيحة الزلزال. ويدلك على أن هذا المطلع نفسه من اليأس، عودته إلى الشك في هذه الشدائد الرهيبة بتكرها وتجيب، وإلى زلزلت أمة من الناس سكرى كما قال الله تعالى في صفة زلزلة الساعة: «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد». وهكذا عاد الشاعر بشك بعد طغيان البلاء عليه — أن يقلب كل ذلك الرعب الذي اضطرب به الناس سكرى؟ حيرى — عند الشرق الغارب على الكفاح، في وصف يرى من أهوالها شدائد رجف بالشرق رجفة كأشد ما رجفت زلزلة الأصنام، ولذلك قال: «وعلها حير...»

من أمة زلزلت تجنب يومها ... وتعصف ريح الويل حب [illegible]

وهنا الريب يكاد يكون الحد الفاصل بين يأس الشاعر الذي طغى عليه حتى أنساه روع الزلزلة التي كانت في إحساسه، وهو نفسه الذي يرده مرة أخرى فرحا ثائرا متوثبا فتحفزه بوادر إحساسه في رعب بعد رعب

كم قد تصدعت عليه جاورت ... الرحمة انفجرت بغد شعاب
عنوة الشدائد في الأرض لو صحت ... لأصبح في الأرض من حركاتها
ذئبية الشؤبوب جاع صيدها ... وأرق جوع الوحش في غرابها

وهنا موضع نقف عنده، فنبين المعنى الذي أراده الشاعر، والصورة التي تنشأ من شدة إحساسه بهول الزلزلة — نعم لم يستطع الشعر أن يستبد المعنى على جوانبها؛ فهو يريد أن يقول إنه يرى هذه المدينة الذهبية الخالدة المتماسكة المتينة تهوي على كنائسها وصوامعها من غريقها وصوتها وظلها ما يصيب ويتردى رجالا ويرى بأصواته كأنه صوت جائع يريد أن يلتهم كل ما يجده، ولذلك قوله: «وأرق جوع الوحش في غرابها» فقوله «وأرق» هنا لا يوافي المعنى، وقد أرهقه حبها احتلاط «فريد الشدة» — وهو ملازمها — بالمعنى الذي أراده، ولو قال «يذكي سعار الوحش في غرابها» أو ما يشبه ذلك لكان أجود.

ثم مضى الشاعر في تصوير ما تخيله من عذاب الزلزلة الأصول —

والناس غرقى في السكون [illegible]
[illegible] ينام الموت في سكناتها
ينام نوم المجهود [illegible] ... حتى صباب الصبح كل [illegible]
[illegible] الأرض رعب وعمة
ذلك الصبح ونائب في حطامها
واستند الأرض [illegible] ... أرضا يبيت الموت في [illegible]
[illegible] للدان والقرى [illegible]
في [illegible] على غلابها

وبين الصحوة في المهد وعدها ... فتحا مشور [illegible] من [illegible]
أرت جراح الأرض مفتاح الردى
ونتيجة الزلزال في [illegible]

وإذ الذي أتى به في وصف الزلزلة إلى آخر القصيدة مبني على خيال عظيم تقشعر له الأبدان، ولولا صدقنا طائفيا لا تكاد تقف على كلمة منه إلا صوتا قد عب شعرك من هول ما تمثل إليك ألفاظه من معاني إحساسه الحار المتصور

[illegible] الجحيم ووقوده ... عطر للتيا السود في جنباتها

## إلى بعض القراء

وبعد، فإن العالم الثقة الأديب الدكتور بشر فارس [illegible] وأنا أشكر له ما [illegible]، فأنا لا أحب أن أكون كالذي قيل في أمره: «لا يسار جهلا ولا لجوجا، فإنه يجعل المناظرة عرضه إلى الفحش بغير شكر» ثم يتشرف بجهده أيما بما كنت أجهل من العروض واللغة والبيان، فأوجب صدري، وأخرجت حول جهري ما يسكت من كفاية الكلام، وكذلك طرك نفسي [illegible] وجلبه ابتهج مهدي الشاعر، أو كما قال أو هو كذلك

ما أحمد الله الذي كفاني شر الغرور والجهلاء، ولم يجعلني كالحاقة استرها التي رهوها تأخذ بما ليس فيها، ولا هو من

طبائعهم، حتى ضربوا به المثل فقالوا « جرادة ذات بيضة[1] » واحدة فالذي لم يحسن من يرّين ؟ أليس علمك بعده ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المتشبّع بما لم يُعط كلابس ثوبى زُور » . والحديث الذي صحّح جعلاً يعرف أنه جاهل ، ومن أين لك العلم ؟ أليس قد « ذهب العلم إلا غبارات في أوعية سوء » كما قال ابن شبرمة في رواية بشر فارس عن ابن شبرمة (عدد « الرسالة » العدد ٣١٦)

رقد عود الأستاذ بشر أنه يعرف بأمور ثلاثة ، وأنى صاحب صوتاً بأنه يعرف ما كنت أجهل من أصحابها ! ولذا فرد الأستاذ بشر عليه وجب علي وفي الناس التسليم بما عود : أليس ذلك كذلك ؟ بلى . « سمعت وأطعت غفرانك ربنا وإليك المصير » !

ومع ذلك فى مقتبسة المهمل عليه أن البحر الذى وضعه وسماه « المطلق » ، لا يزال جديداً وعنه أصحابنا من علماء العروض — هو من « عروض المتدارك » أو حمل الناس الأستاذ على ضربها الحرج أو الفساد أو النقص أو ما شئت ضعفه ، ثم ألزم ذلك في سائر أبياته ، ثم قال إنه وضع بحراً . ومن عدة جهلنا أيضاً أن عنده وزناً ثقيلاً فما كثر الأوزان المشكلة التي تركبها العرب لثقله على السمع ، لم يجروا في شعرها ؟ ومن عبثه جهلنا أيضاً أننا لا نزال نعتمد أن لي وحدي أصحب الألسنة العربية من الشعراء المهتدين من جاءنا بالشعر على حسب الوزن المثالي من « عروض المتدارك » ، وكذلك أعتقد ونسميه

وأما حديث « الزرافة » ، فلا نزال نقول إن كل حرف من حروف العربية ينقل إلى المجاز ، فهو يطلب وإنما حقيقته ، وإلا فهو مجاز . فإذا كان أصل الحرف « زال » وحقيقته أن يزل الشيء من مكانه مرة بعد مرة ، أي أن ينتقل ويتحرك ويسقط ويخرج من الموضع الذي يستقر فيه ، فلابد في كل مجاز هنا مطرب أن يكون ما يقع عليه مثل الزرافة — ( أي القائب الناقل أو المحمول ) — شيئاً منتقلاً من مكان إلى مكان أو شيئاً يجوز أن ينتقل من مكان إلى مكان ، فهذا هو شرط المجاز أو الاستعارة في هذا وأمثاله ، ومن هنا الأذن كذلك ، فقولك « زال المطرب أذني » مجاز فاسد لأن الأذن ثابتة لا تتحرك

وهنا قال كتاب « ملاحظة الطبيعة » في الصوت (؟) في باب « شرح عمل الأذن » إن الصوت يهتز منه طبلة الأذن بحكم الأمواج الهوائية التي يحدثها مصدر الصوت ، فليس معنى « يهتز الشيء » هنا أنه ينتقل من مكان إلى مكان آخر ، كان ذلك كذلك ، وكان غشاء طبلة الأذن ثابتاً لا يتحرك أي لا ينتقل من مكانه ، وإنما هو اهتزاز باهتزازه ، فليس في الأدب « ثابت » أو غيره يستطيع أن يجعله يتحرك أي ينتقل من مكانه ، وهو كما يقال في قلب هذا « الناي » عشرون فرقة من فرق « المجاز بعضه » . وهو كل ذلك تحرك الشيء شيئاً من مكانه المترقرق والمترقق ، وكان الصمم . وإذن فليس يجوز في العربية أن يقال « زال المطرب أو الناي غشاء طبلة أذني » ، وإلا فهو مجاز فاسد أيضاً

وأما ما يقال من أن الزرافة والطرب على مجاورة في لفظها !! فهو شيء لا أصل له ، وهي عبارة لا تؤدي إلى معنى ، وهو كلام لا يستقل بعد الفساد في العرب .

وأخيراً ... فمن عظة نبينا صلى الله عليه وسلم قوله : « من طلب العلم ليجاري به السفهاء ، أو يماري به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار » . ومن عهود الله أن نخالف من أمن تيهاً ، أو نسكت عمن يستخف بما أخبر به ، فيا أيها الأستاذ بشر ما نعلم ، ولعل صاحب أجمل حديث عنه إلا الفرار وعدم الإسراع ، من نص أمانة العلم

حتى إذا ما الصباح لاح لهم بيّن سكرهم من الصحب
والناس قد أصبحوا صيارفة أعلم شيء بزائف الذهب

فاستأذن القراء واستغفر الله ، فإن المرء لا يجب أن يحسب نفسه إلى هو حتى نفسه أكبر من نفسه . والسلام

ابن شرمة !!

وما بعد في حديث أمانة العلم ، فقد رأيت أن الأستاذ المحقق « بشر فارس » روى نصاً عن ابن شبرمة القاضي فأسقط آخره وهو : « ذهب العلم إلا غبارات في أوعية سوء » . وقد رأيت صاحب العقد الفريد ( ج ١ ص ٥٢ طبعة بولاق أيضاً ) قد أورده بهذا النص عينه ، وهو يعرف نصاً غريباً على النور . وتحرير رواية الخبر : « ذهب العلم إلا غُبَّرات في أوعية

(١) مثل للعرب في ضرب به المثل ... يضرب للناقص الأمر ، وهو مع ذلك يدعي المعرفة .

دراسات في الفن

# هما أحدبان

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

ما هذه الأرقام التي تحسب في الورقة ؟

— هي تكاليف أحدب نوتردام أحلم بأن سأخرجه في مصر

— بعد أن رأيتها من لون شاني ولاوتون ... من يخرجها ومن يمثل فيه الأحدب في مصر ؟

— مماشي، لا أفكر فيه إلا بعد أن يحقق الله هذا الآمال كلها . أفلا تفكر فيه أنت ؟

ومن يجرؤك أن [illegible] قد قيود وأشياء وأسرار »

— رحم الله شوقي

وفيكتور هيجو ، ولون شاني ، وكل من [illegible] فيه [illegible] من [illegible] والمصريين كم أحبوا هيجو من كتب الأحدب ، وكم أحبوا لون شاني ثم لاوتون !

— أما لون شاني ولاوتون فقد أحبوهما لو قلت لا أحببتهما ، أحبهما حيث كانا يمثلان في الاستوديو فقط . أما هيجو فلا أحبه [illegible] ، لأن كتابة الرواية لا تستدعي أن يحتمل الكاتب صورها

— لم يرد الحب أحدب عاش مثله عاش أحدب [illegible] ، فلا بد أن يكون هو الأحدب الأحدب ، [illegible] لذلك لأن هيجو [illegible] . كم في الحب من شقي بحبه [illegible] وفي الحب شقي [illegible] أولئك يعصرهم شقاؤهم ويصدهم عن ذكر [illegible] ، وهذا يحق في الشقاء بحزنه والتأمل بحثاً عما فيه من عجب وألم

— وهل يجد الله من يعين في الشقاء حتى الحدبوب ؟ ...

— وأنت [illegible] ! ألم يقل هيجو على لسان [illegible] بالرجس وأراد أن يصبه عليها حرمتها « ما هذه الأرواح ؟ هذه أرواح الله [illegible] أمس [illegible] اليوم ! » ألم يقل هيجو هذا ؟ وكيف كان يمكن أن يعرفه [illegible] بأن هذه الأرواح أرواح الله حقاً ، وأنه للناس أن يعيشوا فيها كما يعيش الطير في السماء .. والله يرزقهم [illegible] وهل في الحب شعور [illegible] من شعور الطلاقة هذه ؟ لا ريب أن هيجو كان يشعر طلقاً حين كان يشعر الشعر ، ولا ريب أنه عانى من هذا الاضطراب كثيراً ، [illegible] كثير من لمنظراته هذا بلسان الأحدب [illegible] أفلتت منه معشوقته ، [illegible] لصاحبها : « رب [illegible] لماذا لم تخلقني حجراً ؟ ! » ... ونحن معه ...

— هو كان يرى الحجر أسعد من البشر ..

— وهذه الذي يراه كل من يحبه ، وهو الذي يراه أحبها

---

[illegible] يصم الأذنين للسجعة ويخرج [illegible] واشتركت جميع [illegible] وهو آخر المعنى ، [illegible] أن العلم لم يبق منه إلا قليل قد وقع في صدور رجال من الشعراء والعرب لا [illegible] ولا [illegible]

وقد ورد هذا الحرف ( [illegible] ) في حديث عمرو بن العاص يقول لعمر بن الخطاب : « إني والله ما [illegible] ولا [illegible] » . والبال [illegible] النساء يكون [illegible] ، [illegible] ومن ذلك أيضاً [illegible] في كتب [illegible] الشاعر [illegible] :

[illegible]

فهذه تحقيق رواية الخبر على التحرير والرواية ، [illegible] كانت [illegible] من ( العقد الفريد طبعة بولاق ) [illegible]

محمود محمد شاكر

كل من كفر ... أما يقول القرآن : « إن الكافر سيقول يوم القيامة : يا ليتني كنت ترابا » !

— وهل كان الأحدب كافراً ؟

— بل كان هيجو مؤمناً ...

— ما لهيجو ؟ إنما نحن الآن في الأحدب

— والأحدب من هيجو ، وليس هو وحده الذي منه ، وإنما منه أيضاً كل من في القصة ، كل صاحب ، فلقد رأيت أنه يستحيب في الأحدب الساحر حتى يشتهي أن يكون حجراً ، فانظري إليه كيف يختم حياة ملك الشحاذين بشنق يهون عليه من موته في الحرب التي يجرم فيه جرءاً عنيفة فيها ضرب وكر وفر ، ويخبأ موته وراء جبينه يتخطف الناس من حوله ولا يحسب يرونه به سهماً ثم انظري هيجو كيف يمسي في التوبيخ شاعر القصة الذي سيق إلى الملك سهماً بإمرة التلافق ويهديه الأمن أمام الشعر مادحاً فما يزال الشاعر الرومي بشعره يشفع للملك ويوجه نظره حتى يحكم الملك في نفسه الشعب حكماً عدلاً يسع عفواً الثورة التي لم تم بعهد ملك الشحاذين إلى الثورة عليها ويختط حتى يجيء الحق الذي الصادق لما لقي من حتفه ، ويفتن في آخر الأمر بالذي كان يعتقده انظري إلى هذا وانظري إلى غيره ترى أن هيجو كان مؤمناً وأنه كان ينظر إلى الأحدب نظره إلى الكافر

— إذن فقد كان هيجو يكره الأحدب ؟ ..

— لا ، وإنما كان يرثى له لأنه لما استحوذت نفسه تقرر نفسه الرحمة ، ولقد صححه وسمح كل أحدب أن لا يطمع في غير ما هو أهل وأن يرضى بما هو فيه ، كما سمح ملك الشحاذين وكل من هو مثله أن يكف من الثورة والاعتداء ، كما أظهر وماله من الشاعر الراضي الفيلسوف الذي يصبر على حبيبته أن تحب غيره حتى يهتدي إليه وحده ، كأنه حسر الناس جميعاً من التراجع عن حبيبة حبهم ، حتى جعل الله يحكم للحرين في أمر الشعرية إذ تعصب حبيبها وقال لها انظري من هذين وهذا ، فإن جمعت على حضرتي فأنت ونيقة بأن أمسك الأمر فأنت مغنية ، فاشتدت يدها تولاً إلى خنجر الحياة ولكنها تراجعت حانت بعد

ذلك ما بانت ، كل هذه ودلائل إيمان [illegible] هيجو ... فأساسها سمته هذه وغيرها والأفكار التي حملها وأيدها ؟

— إنها مكتوبة بلغة رائعة وأسلوب رائع

لا فما خلاب اللغة وما حلاوة الأسلوب تبعاً إلا من أدوات الفن وبينما الفن نفسه إلى ملايين الناس في الأزمنة والأمكنة المختلفة يحبون هيجو ، وفيهم من لا يقرأ ولا يكتب لا الفرنسية ولا غيرها ، ولكنه يحب هيجو من إشعاره للمظلومين واعترافهم وتشفع بهما إن الناس جميعاً يرون في أحدب نوتردام صدقاً وعدلاً وأحكاماً تحب في مواقف تستوجبها ، فالرب من يستحق الموت حيث يجب الموت ، والفناء لمن يستحق الفناء حيث يجب الفناء — لم يبعد هيجو عن العدل في حكم من أحكامه ولم يحب ظلاً من أبطاله ، ولم يسقط في دماء هذه التي جعلها حقاً لغير صاحبه ، ولم يزل هو مكانه على مؤمن

— وهذا القسيس اللعين الذي عشق الغجرية فكان في عشقه هلاكه ما ذنبه ؟

— ذنبه صمته ... هذا قسيس وهب نفسه لله ، واطمأن نفسه الهبة على حياته ومستقبله ، فما له يريد أن يسترد شيئاً أعطى الله شيئاً من نفسه يعطيه ثانية صغيرة ؟ ... ما له يشعر بهذا الضعف ، وما له حين يشعر به لا يصارحه بإيمانه وعقيدته ، وما له حين يعصف من خلاجه بإيمانه وعقيدته لا يكون صريحاً في إعلان ضعفه ؛ فبدلاً أن يرد في قلبه حطولات في طريق ثقواه وورعه ، فيخلع مسوح القسيس ويدع الكنيسة ويدنو إلى الحب ، كالمؤمن إذا ارتد ، يعرض نفسه على نافذته كما يعرض كل رجل قلبه نفسه فإذا اختاره سعد وإذا أعرضت عنه كان عليه أن يرضى .. كان هذا هو الواجب عليه أن يصنعه ولكنه لم يصنع منه شيئاً ، بل طرأ عليه الضعف فلم يرض أن يشهر على هذا الضعف سلاحاً من نفسه وإنما ظل يستتر منه كأن شيئاً يشكل من حسبوه ضعيفاً ، وكان سبباً حائلاً بينه وبين الحب على نفسه .. فألم به ما ألم به من نشب

قبال في الزورق بين مظاهره الظاهرة، وبين السكون من الثورة في نفسه – هذا الشخص كان سليم الضمير ولكنه كان الساخر الثائر الذي زجه حظه بهذا الأحدب العاجز بجسده عن إخراجه الصحيح – إن هذا الشخص هو أحدب نوتردام أكثر مما كان الأحدب ... فإن الأحدب قد دفعته طبيعته المشوهة إلى حركة عمياء أراد بها أن يبرئ ذاته – إذ فعل هذا يوماً البشاعة في وجهه وكشف لنا عن [illegible]، ونظر إليها كمن يحاول أن يدخل إلى نفسي من هذه النقطة؛ ولو كان في الفتاة سكينة، ولو لم يكن بها من ترى الخيال والصبا [illegible] ووجهه، [illegible] كانت تحبه إن أحسنت الفرص في مبسم ثغرها ولكنها لم تكن من الملائكة – لو لم تكن من البشر بالرأفة – وعلى أي حال فالذي يعنينا هو أن الأحدب وجد في نفسه شيئاً جميلاً فرحت به، ولكن الشخص الأحدب الروح لم يجد عنده روحه ما يبرئه على عاهته! إنه شخص، وكان يستطيع على الأقل أن يكون مثلما كان الناس [illegible] حباً على [illegible] وكان على [illegible] يستطيع أن يعطف على حبه، وكان بعد هذا يستطيع أن يسكنه «نوتردام» ما دام له أهل يسكنه في «نوتردام» راعياً ... ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا [illegible] – فكان على [illegible] شأنه وصلاته [illegible] حالاً من الأحدب، فقد رضي الأحدب أن يحمي العود والعصبر وأن يروض نفسه عليهما، وما هو فقد أبى إلا أن يضمر النار في القلب وأبى أن يصرف الناس [illegible] وقلقاً [illegible] من وجهه.

— إذن [illegible] هنا هو الأحدب

— إنه على الأقل الأحدب الأول ... وقد كنت أحب أن يمثله لاوتون، فهذا الدور من غير شك معرض لمواهب وتقاليد أكثر من القدرة على الأحدب الآخر

— ولكن هذا الدور لم يلتفت إليه أحد في هذه القصة، وإنما يهتم أبطال التمثيل بالدور الآخر.

لعل ذلك لأنه أظهر العيون، ولأن تقديمه يحتاج إلى مكياج بارع يخدع الناظرين [illegible] وهذا عيب من عيوب الصناعة الأجنبية وجل الفن [illegible] وقد كنت أحسب لاوتون يتحرر منها هذه المرة كما تحرر منها سابقه في بؤساء هيجو أيضاً ... فإنه ترك دور [illegible] لغيره ومثل هو دور جافير البوليس السري، وجافير كان أمامي من جنس نفسه ... وأدق روحاً وإن كان يظهر ... أنه الأساس ... كما أن الناس يحسبون بارع الأعراض في أحدب نوتردام أنه الأحدب بينما ذلك الشخص هو الأحدب

ولماذا لا يكونان اثنين، واحدين؟

— هما اثنان وهما أحدبان حقاً – ولكن الناس [illegible] أحدهما تجسد البؤس به وظهر [illegible] منه مكامن البؤس و[illegible] في نفسه، والآخر وارى البؤس بين جنبيه واستقر فهو يتعب منه في داخله ولا يظهر من بؤسه شيء خارج نفسه، والأحدبان أحدهما يظهر القبح منه فارتاح القبح من روحه، والآخر [illegible] هذا القبح وهو لا [illegible] يجره [illegible] عداوة [illegible] في شعره الرسوم التي [illegible] المكابرون لا [illegible] ولا [illegible] من [illegible]، وأسوأ [illegible] بلغها، وأسوأ من هذه [illegible] إليها ... ما كان أروع لاوتون لو أنه مثل هذا الأحدب

— ومن كان يمثل الأحدب الآخر؟

— أي واحد ... بوريس كارلوف مثلاً

— ولكن بوريس [illegible] أسمر

— كان أمام لاوتون لا يستطيع إلا أن يحرك. بوريس مسكين كل ما يسندونه إليه من الأدوار شاق كثير الحركة، ومن أقل الفرص التي أعطوها للتمثيل .. فلماذا لم يكن [illegible] يعجبكم فقد كان على لاوتون أن يمثل الدورين معاً وهذا ممكن في السينما ... إني حسبت حساب هذا مع هذه الأرقام التي كنت أكتبها ..

— ولكني هنا على شاطئ قد لا يستطيع [illegible]

— إن لاورين يستطيع، ولكنها فكرة لم تخطر له حين كان يتوجس الأعصاب، فلا ريب أنه أسرع في عودتها أكثر مما أسرع في مزرعة الرؤساء، [illegible] على أعصاب للظهر [illegible] أعصاب الخير، ولا ريب أيضاً أنه وضع في قرارة نفسه نية [illegible] مع [illegible] لن شافي [illegible] وهو كان قد حمل [illegible] لكن قد [illegible] فأحس [illegible]

يا [illegible] متى لاورين [illegible] من بعيد؟

— لاورين [illegible] ولاورين في الأعصاب أيضاً [illegible] بل لقد رأيت أكثر مما رأيت [illegible] شاذ ذلك أني [illegible] من [illegible] شاطئ [illegible] وإذا [illegible] الأعصاب [illegible] قد [illegible] لاورين [illegible] على الترجم له عن الأقل

— إني لا أرى الفرق [illegible] هكذا كما تراه، و[illegible] ذلك يرجع إلى طول عهدنا بين شاطئ في الأعصاب

— على أي حال فإني لا أجزم بهذا الفرق [illegible] أجزم به في نفسي، وقد يكون [illegible] اختلاف كل [illegible] في [illegible] الأعصاب [illegible] وقد يكون [illegible] اختلاف [illegible] بين ما أنا عليه اليوم من القدرة على الشروق والغروب، وبين ما كنت عليه من مضى، وقد يكون [illegible] كذلك اختلاف سواحل الشروق والغروب عندي بين اليوم والأمس

— وما سواحل الغروب والشروق عندك؟

— [illegible] أن [illegible] أو [illegible] ... ولم أكن في [illegible] فلا [illegible] في [illegible] لكني [illegible] أحب الشروق والصفاء والسحر والترص

— وما [illegible] الآن عندهم؟

— أحسب ذلك [illegible] لم أكن أحسبهم [illegible] على الأصل أحب [illegible]

(مترجم) أحمد [illegible]

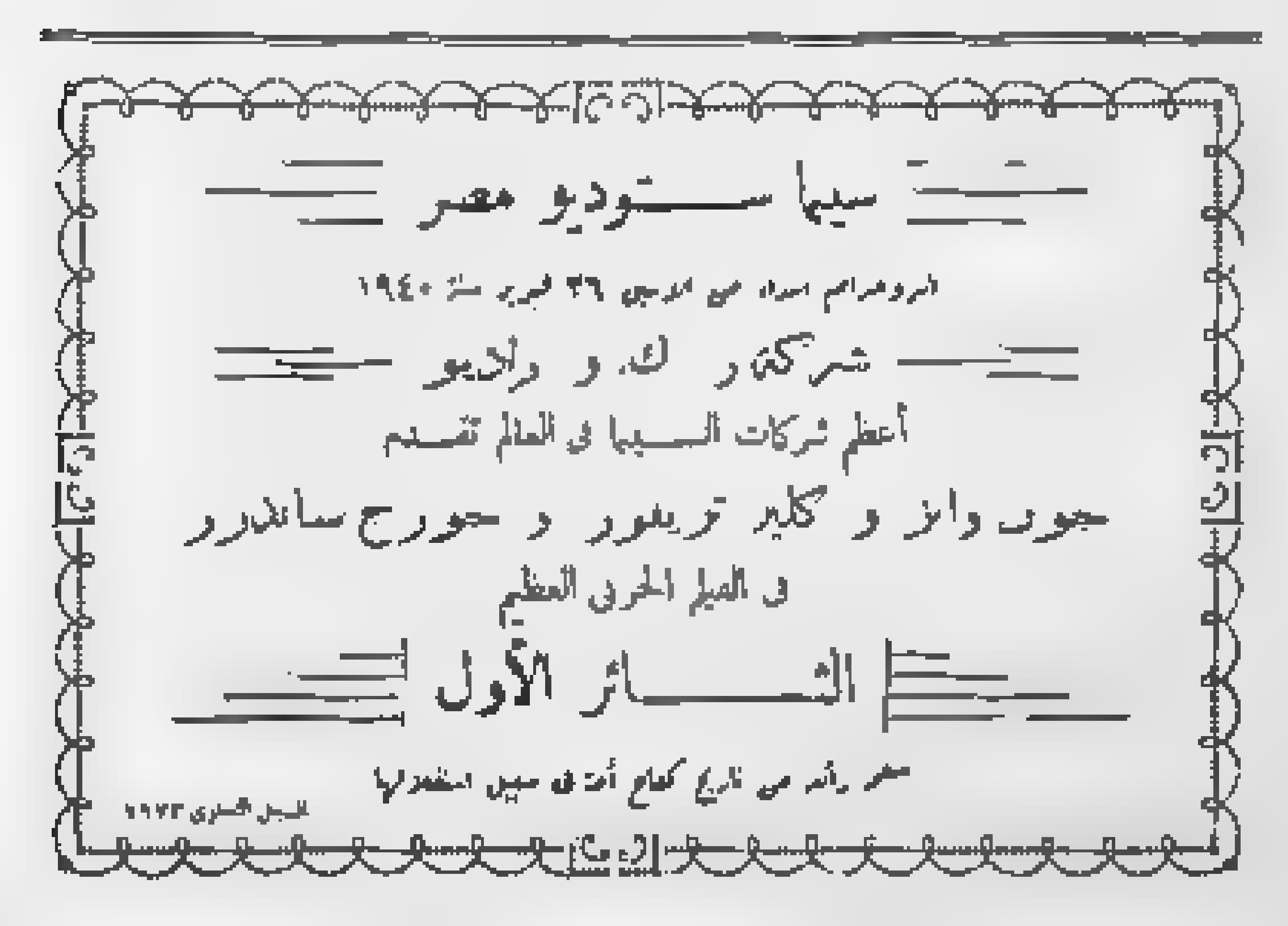

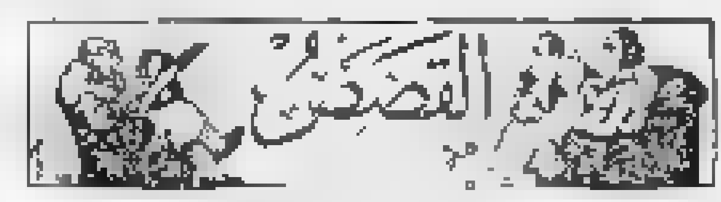


# حلم شاعر

للأستاذ محمد سعيد العريان

الليلةَ عيد مولده!

أولئك أصحابه وصويحباته قد أحاطوا به فرحين مصفقين، بصيص البشر في عيونهم، ورفرفة على شفاههم [illegible] الفرح والسرور؛ قد تنادوا إلى موعدهم [illegible] إلى [illegible] ليحتفلوا بعيد مولده.

وإنه جالس بينهم ولكنه ليس معهم؛ إنه هنا ولكنه هناك...

* * *

وفي يده زهرة يعبث بها... [illegible] عليها [illegible] فإن [illegible] الأرج حوله [illegible] ولكنه ينظر ويفكر

[illegible] ورقة تتساقط [illegible] وهو يعدُّ، وعدَّ ثلاثين ورقة؛ ثم تعرَّت الزهرة من أوراقها إلا عوداً [illegible] ليس له عطر ولا رواء. [illegible] الشاعر [illegible] في عينيه [illegible] وأطرق؛ [illegible] الأرض [illegible] تحت قدميه

ثلاثون ورقة! [illegible] ذلك كل تاريخ الزهرة! فما في يده [illegible] الثلاثين إلا عود ذابل [illegible] وورقات منثورة على التراب، وكانت [illegible] عطره [illegible] إليها الزهر [illegible] فراش البستان... فماذا يكون هو بعد الثلاثين وقد [illegible] منذ ساعات!

* * *

وعاد ينظر إلى أصحابه وصويحباته، ويستقبل تحية بتحية، وكلاماً بكلام؛ ولا يكاد يشعر أن هؤلاء جميعاً قد احتشدوا على ميعاد ليحتفلوا به في عيد مولده! فإن [illegible] من الخواطر والذكريات يتدافع في رأسه [illegible] فما يكاد يرى أو يسمع إلا [illegible] أمامه؛ [illegible] فتطلع إلى [illegible] وإلى أصحابه [illegible] والبهجة لا يكادون يشعرون [illegible] هنا [illegible] وما اجتمعوا إلا احتفاء بعيد مولده

وأحس الشاعر [illegible] الوحدة، وإنه لبين أصحابه وأحس الناس به؛ [illegible] في وجه، وإلى [illegible] يتساءله، وإلى [illegible]

وانفض الناس ومضى كلٌّ لوجهته، ووقف الشاعر معه يصافحهم ويشكر لهم؛ ثم تفرقت بهم السبل...

* * *

ووجد الشاعر نفسه وهو يمشي وحده في جنح الظلام وأحس الوحدة الرهيبة التي يعيش فيها منذ كان؛ فمضى يتحدث إلى نفسه ويحدثه، [illegible] العبرة [illegible] ثم [illegible] وهو الزمن [illegible] يجثم على [illegible] ماضيه [illegible] أمانيه

وقالت له نفسه: هذا سبيلك فامض به على حذر [illegible] وانظر ماذا [illegible] لغد؟

وقال لنفسه: وهل يرى الغد إلا صورة من أمس الذي كان؟ وهل يرتجي في غد [illegible] اليوم [illegible] في الماضي؟..

لقد جاوز الثلاثين [illegible] حيث كان يوم بدأ؛ فماذا يكون غير الذي كان؟

وأوى إلى فراشه [illegible] للصباح، [illegible] ما بقي من الليل [illegible] في فراش الوحدة لا [illegible] ولا يستقر

* * *

كان شاعراً [illegible] أن يكون شاعراً [illegible] ويوم [illegible] نظر إلى الناس في [illegible] فاستوعبهم بنظرة، ثم عاد ينظر إلى نفسه [illegible] أين هو من نفسه وأين هو من الناس؟ وشعر بالوحدة منذ شعر أنه يعيش في جماعة. وكان له خيال وفي نفسه أمل؛ [illegible] دنياه ودنيا الناس؛ فلا هو عاش في دنيا الناس واحداً منهم، ولا هو عاش في دنياه وحده!

وألحت عليه ضرورات الحياة، فأبت عليه فطرة الشاعر أن يلتمس [illegible] وسائل الناس؛ فعاش بين ضروراته وفطرته بين قوتين تتجاذبانه، لا سبيل إلى الخلاص منهما معاً إلا أن

يعيش روحاً بلا جسد أو جسداً بلا روح ! وهيهات !

ويفكر فيما خلق الله ويفكر في نفسه ؛ فكأن في كل ما يراه لساناً يحدثه ، وفي كل ما يسمعه معنى يهتف به ؛ وكأن في كل منظور حقيقة غير منظورة لا تنكشف إلا لعينيه ولا يسمع نجواها أحد غيره ؛ فإن وراء الغيم طيوفاً تتمايل له في شكول وألوان ، وإن في لسان الطير ومصاب من الأنغام ، وإن في الصمت سكوتاً أبلغ من الكلام ، وإن بين السماء والأرض لعوالم غير منظورة تفضي إليه بأسرارها

وتكشفت له الدنيا ونضت أستارها ، فألهمته أن يتغنى

وغنى ما في جنانه على لسانه سحراً من الشعر يعبر عن أخص خصائص النفس وأعمق أسرار الحياة ؛ ولكن أحداً من الناس لا تلاقت أحد في صخب الحياة وضجة الأحياء ؛ لم يستمع إليه أحد

ومضى الشاعر وحيداً بين عشرة الناس وصخب الحياة ، فأحس الخلاص ولكن ما أطل عليه من هشيم فؤاده

وابتسمت له فابتسم ، وجلت إلى الحياة عيناه في عينيه ، ووجد أنساً من وحشته حين أيقن أنه ليس وحيداً في دنياه !

وعاد يتغنى ولكن غناءه اليوم ليس له وحده إنه على مسامع من حصاة قلبين قد اجتمعا على أمل

ومضى بها من الناس ، وحسبه أن يسمعه اليوم أن يسمع الناس ما يصدح به من أغاريد الحب أو يكون لها وحدها شدوه وغناؤه ! !

آه . . . لشدّ ما تقسو عليه دنياه !

كان ذلك منذ سنين ؛ أما اليوم فقد عبثت بقلبه الجماعة تضرب بينه وبينها بسور ليس له باب ؛ وعاد إلى الحياة وحده ، لا يدري من أمرها ولا تدري من أمره

• • •

. . . وشرق الصبح عليه صبيحة عيد الميلاد ، وما زال يتلوى في جنبيه في فراش الوحشة لم تتمص عيناه !

ما هو ؟ وأين هو ؟ وما دنياه ؟

إنه يحس من حوله فراغاً هائلاً ليس له قرار ؛ وإن الوحدة لتكتنفه ، فما يشعر أن ثمة أحداً يحنو عليه يفزع إليه يؤنس وحشة قلبه ؛ وإنه ليعيش من زحمة الحياة وصخب الأحياء في عزلة ...

فيما الشعر وخلاني الصدى ومع الليالي الطوال حيران أي غاية تمضي ؟

وعاد يحس الوحدة إلى الخلاص ،

وقال له نفسه : أتحسب يا شاعر أنك قد هربت من دنياك حين خلدت إلى صمتك ؟ أن أنت يا شاعر - لئن كنت قد تخليت عن الحياة وكرهت للدم في دنياك لأمر من أمور دنياك - إن الحياة ... ال ... عليك ، فإن أديته ... وإلا ... من ... ، ولا كسب !

ما الشعر إلا رسالة الحياة إلى الأحياء تعبر عن أسرار الحياة ومعانيها ؛ وما هو إلا قبس من نور السماء ينزل على قلب بشر ليتبين به السماء ما حوله من ظلمات البشرية ؛ وما هو إلا إحساس زائد على إحساس الناس يرى ما لا يرى ذو عين ويسمع ما لا يسمع ذو أذن ؛ وما هو إلا وحي يرقى من وراء الغيب إلى إنسان ... على الإنسانية ؛ وما هو إلا إدراك كامل ينكشف من ... في الكون ويهدي إلى الحق والخير

أتراك يا شاعر قد أديت رسالة الشعر حين حسبت أنك قد هربت من دنياك ، أم أنت ... ؟

وأطرق الشاعر برهة يفكر ثم مضى لأمره ..

بلى ، إن عليه رسالة يؤديها وواجباً ينهض له ؛ فلا عليه من الناس حتى يبلغ ، فإنما الحق من أمره فإن ... له خالص نفس بها حيث يريد

وأمات في دمه دواعي النفس ونوازع الهوى ومضى لغايته ..

وعاد يتغنى ... غير آمل ولا خائف ، وما به من شيء غير ولا ملالة ؛ وإنى وجهت وجهه في آفاقها إلى ظل عرش الله ، حين قمع شهوات نفسه ونوازع هواه وآثر أن يكون نوراً يضيء للناس وهو يحترق ؛ فليس ... من يسمع غناءه !

وأطلق الناس في حق هؤلاء ساحر ينشد ... وهيب ... الدعوة إلى الحق والفضيلة والجمال ؛ ونظروا ، فإذا هو هو ، ولكنه صار شخصاً غير من كان ، لا تستعبده اللذة ولا يعبث به هواه ، وليس له في الحياة إلا هدف واحد يسعى إليه -

وجاءه المجد حين لا حاجة به إليه

وأشار ... إليه من الشاعر ... وتحول ... أو ... !

ولكنه لم ... وما كان لم يسمع

# شجاعة المرأة الكردية

( قصة تاريخية واقعية ، جرت حوادثها بعد [illegible] )

## للآنسة الأديبة سامحة أمين زكي

حدث أنه كان في منطقة [illegible] رجل نبيل مهيب الجانب قد وهبه الله من الشجاعة والكفاءة قدر ما وهبه من جمال الرجولة ونوء الشباب ، ومن ذلك كان رجاله يحترمونه ويخلصون له حتى يرفعونه إلى مصاف الآلهة . وقد [illegible] له الأقدار زوجة هي صورة مصغرة له ولصفاته ، قد حباها الله ثروة من الجمال والذكاء والشجاعة ، فهي تجيد الرماية إلى أقصى حد ، وتصحبه في الجبال [illegible] ، وتشاطر الرجال في أعمالهم ، وتشعرهم [illegible] ، وتساعدهم في عملهم ؛ فكانت بذلك مثلاً أعلى [illegible] قومها ، وصورة بديعة ناطقة للمرأة الكردية

كان الرجل يحب زوجته ، وكانت هي تبادله حباً بحب [illegible] من الزمن رفرف عليهما طائر السعادة بجناحيه ، [illegible] معاً [illegible] ويتسابقان في [illegible] ، وأتباعهما يشيعونهما بنظرات ملؤها الحب والغبطة وهما في [illegible] لا يحفلان بما يجري في الحياة !

وحدث أن عزم الملك [illegible] إلى هذه المنطقة [illegible] للاستيلاء عليها وضمها إلى ممتلكاته . فلما عرف الأمير أنه [illegible] ، دعا إليه جميع نبلاء وحكام هذه المنطقة ، وكان من بينهم النبيل ، [illegible] ؛ ثم [illegible] حباً له وصلة به ، ورغب في ضمه إلى حاشيته ليأنس به ويستمتع بصحبته ويجعله سلاحاً من أسلحته . فلما عرض هذا العرض [illegible] الملك [illegible] النبيل لما رآه من [illegible] من [illegible] ورضي أن يكون [illegible] وشد الرحال مع زوجته وخدمه [illegible] ، ولو درى المسكين ما يخبئه له القدر وراء هذه الرحلة من الشر لما [illegible] ولما خطا خطوة في هذا السبيل

وصل النبيل وصاحبته إلى قصر الملك ، فأمر له الملك بقصر فخم في وسط حديقة غناء ، سكن فيه هو وزوجته في أسعد حال وأهنأ بال ، واستأنفا ما كانا عليه من قبل من صيد وقنص [illegible] والجميع يتحدثون [illegible] هذه المرأة وجمالها الذي [illegible] الرجال من بعد [illegible] وما زال جمال المرأة [illegible] كانت أنس النبلاء ومحط [illegible] ، وما زال سبباً إلى [illegible] ، ما دام هناك رجال [illegible] أن ينظروا إلى ما لا تملك أيديهم . وكان [illegible] من النبلاء [illegible] وإن لم يكن في طبعه شيء من صفات النبيل وكرم النفس [illegible] من الملك ، مدعياً أنه لا يخطو الملك خطوة إلا من [illegible] ولا يقطع في رأي إلا بمشورته ؛ فرآها يوماً خارجة [illegible] للصيد ، ممتطية صهوة جوادها ، [illegible] الرأس ، [illegible] بجميع [illegible] الأبصار لا [illegible] ، كما ينظر الكلب الأجرب إلى صاحبه ، ولكنه على ما كان يشعر [illegible] من [illegible] ، كان من [illegible] الرجال ، [illegible] الأجرب [illegible] أن يحاول [illegible] ولكن [illegible] النبيل [illegible] وأحست المرأة [illegible] أن هناك من ينظر إليها ، فالتفتت ، وحين [illegible] نظرها بنظراته ، [illegible] ما في عينيه من [illegible] ظهر الغضب في وجهها ، وأطرقت رأسها ، كأن النظر إلى وجهه يدنسها

[illegible] ذلك النبيل [illegible] بل [illegible] ابتسامة [illegible] ورجع إلى بلاط الملك [illegible] وأخذ [illegible]

---

ومن صاحبه إليه سائلاً : أحبك الآن [illegible] ؟

قال : نعم ، فقد كان ذلك يوماً

* * *

وفي باب الكوخ المفرد على حدود الصحراء ، جلس الشاعر على الرمل متطلعاً إلى [illegible] ، يسرح بصره في [illegible] الممتد إلى ما لا يبلغ النظر ، وفي نفسه أسى ، وفي قلبه [illegible] ، وعلى [illegible]

لقد كان في [illegible] ذلك [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ، ولكنه لم يكن وحده ، لأن الله معه !

واستيقظ الشاعر بعد غفوة ، وابتسم

لقد أدى رسالته ، ولكنه لم يكن في أي أيامه [illegible] منه يومئذ !

لقد [illegible] بعد [illegible] ووجد [illegible] !

محمد سعيد العريان

٢٣ – ٤ – ١٤

ويطلب منه العون ... فأثر ذلك في نفس الملك وهون عليه الأمر وطلب منه الصبر ، حتى يحين الوقت المناسب

* * *

واختلف الزوجة بزوجها ، فقصت عليه ما رأت ، فهب يرتجف من الغضب ، ودخل إلى ما كان يشعر به من الذل والمهانة لما أصابه ... بهت الزوج المسكين لما رآه ، وذهب يستطلع الأمر وتبين أن الملك راض عن عمل صديقه ، فأخذ نفسه الأبية الجزع من صنيعه ، وزاد في غضبه ، ما رأى من سوء معاملة الملك لأصدقائه ، واحتقاره لهم ، وتنكيله بهم ، وما عرض من المصائب المرهقة على المنطقة التي يحسب لها ، والتي يشعر أن عليه حماها وما يلي أهلها من الحرية

هذه العوامل مجتمعة ، بعثت فيه في هذا الليل ؟ تحقق ما كان يشعر به من ظلم الملك ، وحملته على التفكير في قتله ، ليريح منه ، ويقضي أخيراً على ما يلحقه ذلك ، ويدام به ميراثه الشريف ، ويخلص الشعب من آسر العبودية التي رزحت تحت ظل هذا الملك الطاغية

* * *

رجع الليل إلى زوجته ، والغضب يملأ قلبه ، وهو يحمل بندقية يضعها في جيبه ، وأخبرها أنه ذاهب لقتل الملك ، فإن نجح في ذلك فقد بلغ ما أراد ؟ وإن لم يتمكن من قتله ولم يستطع الإفلات بعد تنفيذ جريمته ، فعليها أن تدافع عن شرفها حتى آخر نقطة من عمرها ... ثم انطلق بدارته ، وودع زوجته وداعاً حاراً ومضى لسبيله ... وأبت الزوجة الشجاعة أن تلجأ إلى البكاء والنحيب بلا جدوى ؟ بل اكتفت بالسكوت والنظر إلى زوجها كأنها تحاول أن ترسم صورته في مخيلتها جيداً

وصل الرجل إلى البلاط ، وتمكن من الدخول بسهولة ؛ لأنه كان معروفاً هناك ، ووصل حتى باب غرفة الملك الخاصة ، وكان الملك في ذلك الوقت جالساً يطالع متفكراً في أموره ... وحين رأى صديقه بالأمس داخلاً والشرر يتطاير من عينيه ، استولى عليه حب الحياة ، فحاول الهرب ، ولكن الرجل لم يمهله ، بل أطلق عليه بضع رصاصات من البندقية الأولى ، ولكنه لم يصبه لشدة ارتباكه ، فأراد أن يرد البندقية إلى منطقته كي يستعين بالبندقية الثانية ، ونسي أنه لا يزال هناك رصاصة أخرى فيها ، فلم تكد يستعملها حتى انطلقت هذه الرصاصة وأصابت منه مقتلاً ، فسقط يتمرغ بدمائه ، لا كما يجب أن يموت الأبطال

أما الزوجة فإنها بعد ذهاب زوجها ، ... في مرقدها ... وتذكرت ما لقيت من العذاب ... المرة ... ومن الآلام خلف الباب ... ، وجلست في حضن ... ، وهي في شك من قدرة زوجها على الإفلات بعد تنفيذ جريمته ، ولكنها ظلت تنتظره ولم يطل انتظارها طويلاً حتى قدم جنود الملك وأحاطوا بالمنزل ، فعرفت كل ما حدث ، وأيقنت أن زوجها قد مات ، فتلاشت رغبتها في الحياة ، ولم يبق في نفسها إلا تصميم يضطرم ، فأسرعت إلى الدار ، وطلب إليها الجنود أن تنزل ، فأجابتهم بإطلاق الرصاص فأجابوها ناراً بنار ، ودارت المعركة ، فلم يستطع الجنود أن يصيبوها وهي في ذلك الملجأ الحصين ، في حين استطاعت هي أن تقتل اثني عشر رجلاً منهم ... وعز الجنود أنهم لم ينالوا منها منالاً ، وصرعت عدداً منهم حيال هذه المرأة الجريئة فلم يجدوا إلا أن يشعلوا النار بالدار ليحترق بها وتموت بين الأنقاض

وأيقنت المرأة أنها على شفا الموت حرقاً ، فصاحت بالجنود تخبرهم أنها ستسلم على شرط أن يتقدم الرجل الذي سيتسلم هذه البندقية ليسحب الأمان ويضمن لها السلامة ؛ فخرج الرجل الغادر وأيقن أنه قد بلغ أمنيته ، وتقدم منتصراً يريد القبض ، فلم يكد يقترب من الباب حتى أصابته رصاصة في جبهته ، فخر على الأرض قتيلاً جزاء وفاقاً على ما سبب لهذه الأسرة الماجدة من الشقاء والبلاء !

ولما سمعت المرأة تصعب وزوجها والأرواح التي أزهقت ، هدأت ثائرة وعلمت أنها قد أدت واجبها ... فخيل إليها كأن صوتاً من الغيب يناديها إليه ، هو صوت زوجها ... فوضعت فوهة المسدس على جبينها وضغطت وهي تذكر زوجها وأحبته ثم أطلقته ، فصعدت روحها الطاهرة إلى ربها ، وانطفأت شعلة حياتها وهي في ريعان الصبا وزهرة الشباب !

بغداد ... أمين زكي

## إلى أين تتجه إيطاليا؟

[ ملخصة عن « الكونتمبوراري ريفيو » ]

لما ... من تصريح الحكومة الإيطالية في هذه الحرب عن إعلانها الحرص على الحياد، فلا شك عنه أن هذا التصريح قد قوبل بالثقة التامة داخل إيطاليا وخارجها.

وقد كانت الصحافة الإيطالية سريعة في التعبير عن نيات موسوليني في حماية المصالح الإيطالية الخاصة. فكتبت جريدة « رجيم فاشستا » بعد إعلان الحرب ببضعة أيام تقول:

« إن إيطاليا ستقف بجميع قواتها ولا شك، ولكن في حدود مصالحها الخاصة التي تحددها الحكومة دون كل اعتبار، وتنظر إليها كما تنظر إلى النجم القطبي، كما أرادت تحريك الهمة لتوجيه سفينة البلاد. فما هي مصلحة إيطاليا في الوضع الحاضر؟ قد تنضم إيطاليا إلى ألمانيا وروسيا ضد الحلفاء، ولكن الحكومة الفاشستية لا تخطو هذه الخطوة إلا إذا كانت على ثقة تامة من انتصار الدكتاتوريات الثلاث على الديمقراطية الغربية. وإذا سنحت هذه الفرص، فإن إيطاليا ستحصر في الوقوف أمام ألمانيا وروسيا إذا أرادت أن تطالب بنصيبها من النهبة في البحر الأبيض المتوسط والشرق، بل يتجاوزها ... في أوربا ... من البلاد. وسوف تنال روسيا ما تريده من آسيا والبلقان فضلاً عما نالته فعلاً في بولندا وولايات بحر البلطيق، وتترك إيطاليا لتلعب دوراً آخر تكون فيه سياستها الخارجية المالية والاقتصادية والثقافية، تابعة لأهواء الألمان المتصرفين.

وهنالك الفرض الآخر وهو الأكثر احتمالاً، وهو انتصار الدول الديمقراطية. وفي هذه الحالة تستطيع إيطاليا أن تختار بين صداقة الأمم المنتصرة كما يدل سلوكها مدة الحرب، ومعارضة ... إليها، من عدم الثقة ... الوقت ويضاعف تأثيره اختلاف ...

وإذا كنا لا نستطيع أن نصل إلى حل مشكلاتنا التي ترجع أصولها إلى الظروف والأحوال التي تظهر بالحرب، فإننا نستطيع أن نحس خوفنا، وأن ... آثارها.

إن الذين يقدرون مستقبل الشعوب بالنظر إلى موارد الثروة، ويهملون تقدير القيم الأدبية والأخلاقية، يخدعون أنفسهم في الحقيقة، فهذه القيم هي مصدر النصر في النهاية، إن الدافع الروحي قوة لا يستهان بها في حياة الأمم.

لذلك يرى رجال السياسة الذين يتمتعون بالنظر البعيد، أن يكون إلى جانب حرب السلاح حرب المبادئ والأفكار. يجب أن يعرف العدو أنهم يحاربون للمحافظة على القيم الأخلاقية لا للاستيلاء على الأرض والمال. يجب أن يعرفوا أنهم يحاربون للحرية الإنسانية والدفاع عن الضعفاء والمظلومين.

لقد كنا نقول في سنة ١٩١٤ إن الحرب قائمة لإنهاء الحرب، ونحن اليوم نقول: إن الحرب قائمة للدفاع عن الوحدة الأوربية وسلامتها.

هل تستطيع إيطاليا أن تقف أمام أوربا المنتصرة وتعارض مبادئ الحرية والعدالة التي تدعو إليها بعد الحرب؟ الجواب: لا

## الحمال والعمال في تركيا

[ ملخصة عن « لا جورنال دي روبيه » ]

ليس في تركيا إنسان واحد يعتبر حمالاً، فكلمة (حمال) لا وجود لها في قاموس اللغة التركية اليوم. فإذا وجد رجل بغير عمل فليس ذلك إلا لأنه يغير العمل الذي كان يشتغل فيه. ولا يستمر (تغيير العمل) أكثر من ثلاثة أسابيع على أكبر تقدير. إذ يذهب الرجل أو المرأة ممن يرغبون (تغيير العمل) إلى مكتب خاص صباح كل يوم من هذه الأسابيع الثلاثة فيوكل إليه عمل مؤقت بيوم، وربما يجد له العمل الدائم. وهكذا أصبحت تركيا نشيطة لا تعرف الكسل ولا الخمول

ولا تعرف تركيا كلها بلد مما من الحقوق الاجتماعية ، فجميع الحقوق التي للرجل تتمتع بها النساء . أما الرجال فقد فقدوا سلطانهم القديم على المرأة . ولئن كانت لا تزال لهم بعض المزايا على وجه العموم ، إلا أن المرأة على الرغم من الجهود التي بذلت بقيت لا تزال متأخرة عن الرجل في ميدان الحياة العامة ... ألم يكن يؤمنون بحرية المرأة ؟ إلا أن التجارب الجديدة قد وضعت نسوة مثلًا على تفوق الرجل على المرأة . وقد أتيح لي كرئيس لأحد مراكز الطيران أن أتبع بنفسي ما يقرب من مائة من الرجال والنساء ، ولم أجد من يحرك فيهم ضعف النظام بين النساء إلا النفر القليل ، والنساء من يعرفن في الأصل بالذكاء الشديد ، بينما يبرهن الرجال جميعاً حتى الذين لم يرزقوا من العلم إلا الشيء القليل على تفهمهم للنظام وحصر همهم له

لقد جربت الجوع في الأيام الخالية ، ولكني لا أجد الآن تركيًا واحداً يعرف الجوع

ولئن كانت الإحصاءات الرسمية قد دلت على أن عدداً يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف من الأتراك كانوا يموتون جوعاً كل عام ، فقد ثبت أنه لم يمت في خلال السنين الأخيرة تركي واحد بسبب الجوع

وتقوم الحكومة التركية بالإشراف على غذاء كل عائلة ، وفحصه من الناحية الصحية مرة كل شهرين . وتكلف رب كل عائلة بتقديم بطاقة عن حالة أفراد عائلته الصحية فرداً فرداً إلى السلطات المختصة مرة كل شهر

وتلزم الفتاة التركية التي تصل إلى الثامنة عشرة من سنها بدراسة منهاج خاص في الأحوال الصحية وتربية الأطفال ولا يباح زواج الشباب إلا إذا اجتازوا امتحاناً خاصاً في هاتين المادتين . وقد زاد عدد المواليد في بعض المدن التركية إلى ٣٠ في المائة بفضل الخطة التي نهجتها الحكومة

وقد بلغ عدد الأتراك الذين حصلوا على شهادات بإتقان القراءة والكتابة من الذين ولدوا منذ سنة ١٩٦٨ [illegible] ٩٥ في المائة من المتعلمين والمتعلمات ، وزاد عدد الطلاب في المدارس العليا في تركيا عشرات الأضعاف الذي تظهره في خدمة بلادها

أما عدد الجرائم والمجرمين فقد تضاءل إلى حد عظيم في السنين الأخيرة

أليس هذا كله دليلًا على أن تركيا تسير بخطوات واسعة نحو التقدم الملائم ؟

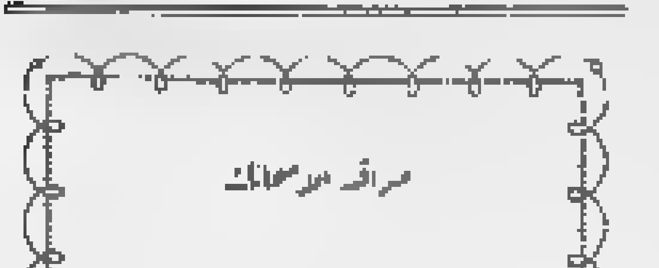

مراقبة الامتحانات

# اعلان

بشأن فصل أسئلة الرياضة عن أسئلة الطبيعة لطلبة شعبة العلوم في امتحان شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص

تقرر هذا العام أن تفصل أسئلة الرياضة عن أسئلة الطبيعة في امتحان شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص (شعبة العلوم) وأن تخصص للإجابة عن كل مادة منهما وقت خاص فيعقد امتحان الطبيعة في صباح اليوم الثالث من أيام الامتحان من الساعة السابعة والنصف صباحاً إلى الساعة العاشرة والنصف صباحاً كالمعتاد ويعقد امتحان الرياضة من الساعة الحادية عشرة إلى تمام الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم [illegible]

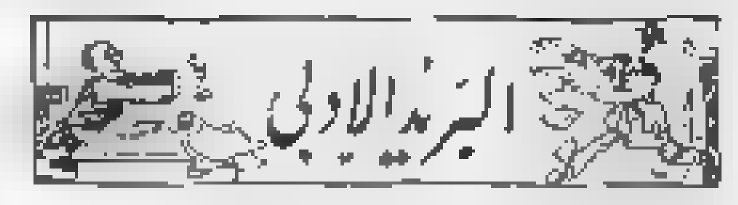


## « وحي الرسالة » في رأي مطران

بعث إلينا [illegible] الشاعر الأستاذ خليل مطران بك فأرسل إلينا الكتاب الآتي:

حضرة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

شكراً لك إهداءك إليّ نسخة من كتابك « وحي الرسالة » [illegible] وحي رسالة.

قرأت وحي رسالة، وما أراني بحاجة إلى محاولة [illegible] أستعد [illegible] لمهمة التقريظ. بل أرى لي غرضاً أجد وأعلى، ذلك أنك منذ أجريت قلمك في الترجمة ثم في الإنشاء التزمت [illegible] من سلامة العربية وفصاحتها مع قربها إلى التناول. وكان الأمر غير يسير [illegible] له صبراً، وحصلت منه [illegible] ويعلم الله وأهل [illegible] ما يعاني الأديب في هذا المطلب، وإنه لوعر شاق. وإن إدراك الغاية فيه لنصر ما بعده نصر. وقد جعلت [illegible] هذه الغاية رسالة لك، وأكثر [illegible] رسالة [illegible] على [illegible] بالحد [illegible] الفصحى، وليس هذا حسب بل [illegible]، وهي لا [illegible] ولا [illegible]، ولا [illegible] ولا [illegible]، لأجله أنق الأفكار وأروع المعاني في هذا العصر، [illegible] البيان، وأروع [illegible] الأسلوب، وأمتن ما يكون التراكيب، [illegible] ومتشبهة بما [illegible].

[illegible] مراجعة تلك الفصول التي جمعتها بين دفتي كتابك، فما زادتني مراجعته إلا إكباراً لك وإعجاباً بك، وإني لأرجو أن يكون من أثره في شبان جيلنا، ردهم إلى صحة الأسلوب التي [illegible] منها [illegible] من مظاهر الانحلال في هذه الأيام.

بارك الله فيك [illegible] وأيدك [illegible]، وإليك في الختام خالص التحية مع فائق الاحترام

المخلص

خليل مطران

## [illegible]

روت مجلة (الفتح) الغراء في آخر أجزائها هذه الفتوى [illegible] إلى عمر بن الخطاب (رضوان الله عليه) : « لا تمصروا

أولادكم [illegible] « [illegible] »

وقد جاءت ( لا تمصروا ) [illegible]

وما قيل في الإجمال [illegible]

( [illegible] ) [illegible] أن [illegible]

الإجبار أو الجبر و ( [illegible] ) [illegible] والقول المروي [illegible] إلى عمر ( رضوان الله عليه ) والحق الذي لا [illegible] أنه [illegible] كما أخبروا [illegible] أفلاطون [illegible] أو الفرج بن [illegible] [1] من [illegible] في ( [illegible] ) [illegible] من [illegible] الخليفتان الثاني والرابع ( رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة ) أن يقولا شيئاً في هذا المعنى [illegible] ذلك الكلام، إذ يستحيل أيما استحالة أن يرى صاحب رسول الله ( صلوات الله وسلامه عليه ) أن لكل وقت آياتاً ... [illegible] ( [illegible] ) [illegible] في [illegible] العربية في الإمبراطورية

قل: إن [illegible] ... برتانيون، ... أوربيون، أمريكيون، [illegible] مصريون، لا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible]

[illegible] كتاب [illegible] ( [illegible] )

## حول شمال أفريقية

إلى حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير ساطع الحصري،

في جوابكم المنشور في العدد ٢٢٢ من الرسالة الغراء [illegible] حول [illegible] إلى « شمال أفريقية » [illegible] إلى [illegible] إذ كانت [illegible] في [illegible] غير أني [illegible] الغرب [illegible]، فقد كانت [illegible] على [illegible] وعلى [illegible] وكتب [illegible] في كتابه « حول [illegible] في الغرب » [illegible] أثر [illegible] العراقي أو المصري في بلاد المغرب « أمر من [illegible] في القاهرة » [illegible]

---

(1) [illegible] في [illegible] من [illegible] الحبشة [illegible] ( [illegible] ) [illegible] ( [illegible] ) في [illegible] « [illegible] »

العرب في « سالتهم » معهم بلادهم ، متشكركم العروبة على أن جمعكم أبناؤها

وأما المقصودة التي ذكرتم عنها جوابكم ، فسنقصكم من في شأنها برسالة خاصة لعنوانكم بالعراق . والسلام عليكم ورحمة الله

٢ — حضرة الأستاذ أحمد الكتبي :

جاء في ردك المنشور في العدد ٣٤١ من مجلة الرسالة على كلمة حاولت فيها [illegible] نفي وجود الإباضية من « شمال أفريقية » وهذا ما لا أسلم به كل التسليم ، لأني إنما نفيت وجودهم في المغرب الأقصى ، وهذا نص كلامي ( الرسالة ٣٣٩ )

« ... أما الوحدة المذهبية ، فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس وليس فيه طوائف دينية كالرافضة أو الإباضية أو غيرها ... »

وهو كما ترى صريح في نفي وجود الإباضية في المغرب الأقصى « مراكش » لا في جميع شمال أفريقية كما فهمت

أما أني لا أعترف من الفرق الإسلامية فمعاذ الله أن أتعمد ذلك لأني قد حصرت الأقليات الدينية غير الإسلامية بالمغرب في طائفة اليهود وبعض الأجانب من الذين أقاموا فيه بعد الحماية ثم عمدت إلى الكلام عن الوحدة المذهبية بالمغرب ، فنفيت أن يكون فيه طوائف دينية أعني بها المذاهب الإسلامية غير مذهب مالك

أما المذاهب الإسلامية في الشمال الإفريقي غير المغرب فهي زائدة على الإباضية ( التي فصل الكلام عنها صاحب الأزهار في أئمة وملوك الإباضية ) بوجود [illegible] وتونس والجزائر وطرابلس [illegible] المذهب الحنفي والمالكي كما فصل [illegible] وجود غيرها

ويظهر من استدلالك على [illegible] الإباضية [illegible] كان يجب أن تستدل على شيخ الإسلام الحنفي بتونس ومفتي الأحناف بعاصمة الجزائر ومثيلهم بطرابلس وبرقة ، ومعظمهم أكثر انتشاراً وأعظم أتباعاً . ومهما كان من شيء فالقول بأن ( الحق أن النزعة الإسلامية الخالصة في قرارة نفوسنا ستصير للإسلام أملاكه وحواشيه ) كيف وهذه الاعتقادات والاجتهادات من أساسها [illegible] على [illegible] عاطفي

وتأمين ذلك [illegible] معك وعرفتك ، وفي كامل الشعر أن أكون أحد الذين يحرصون على الإسلام . وعليك من الله السلام

فاس « أبو الوفاء »

« الغسق » أيضاً

قرأت في العدد ( ٣٤٤ ) من الرسالة الأسبوعية رداً على نقدي لأناشيد الغسق ، وفي الحق لقد أعجبني من الأحاديث [illegible] أن يتقبل النقد في صدر رحب وأن يستفيد في عمله ، غير أني لا أستطيع أن أوافق معهما بأنه [illegible] « وحده الشاعر في خطاب من السحر والقداسة والجلال » لأني مع ذلك أرى أن هذه الجمل تعوزه الدقة والانسجام ، ويفتقر إلى العناية والأناة

وإذا كان الرجل قد أتى بمسترة الخطاب السابقة على حق « عمل الساعة » برغم أن من رواه من يراجع ويصحح ، فلا ضير ، فأنا أحصرها جميعاً « عمل الصحف » [illegible] ثم أعود إلى الأناشيد المنشورة في العدد ( ٣٤٤ ) فأقول

لقد جاء في المقطع الأخير من النشيد الخامس والعشرين وهنا من قوله أقدس بأنفاس قلبي ( كذا ) وهذه عبارة لا أستطيع فهمها على ما فيها من أخطاء في اللغة والمعنى معاً . حاول ما يجب النظر في هذه العبارة من كل : أقدس [illegible] هل كان للشاعر أكثر من قدسين ؟ وهذه اللفظة تكررت في المقطع الرابع من النشيد الثلاثين حيث كانت الترجمة أقدسها في حرة الورد [illegible] والشاعر هنا يعني معنى [illegible] من التعبير الشعري [illegible] أخرى ، فهناك فرق بين « نحو تقدسي بأنفاس قلبي » وبين « سوء أنفاس قلبي [illegible] » والمعنى الأخير هو الذي يريده الشاعر في نشيده

وجاء في النشيد السادس والعشرين [illegible] زهرة [illegible] بين [illegible] فؤادي وإن [illegible] إلا شوك [illegible] » وهنا حدث [illegible] أحد [illegible] بين الحبيبين يجب أن يكون هكذا :

لو عصفت على زهرة [illegible] بين [illegible] فؤادي

— وإن لم [illegible] إلا بالشوك [illegible] حدث بينهما

[illegible] من هذا النشيد [illegible] الأخير [illegible] كما يأتي

[illegible] إلى [illegible] الطيبة [illegible]

إذ [illegible] في [illegible] الأخيرة

— وربما [illegible] ؟

[illegible] أحمد عمر [illegible]

— نعم، نعم إني أعرفك أيها السائل الرهيب، فأنت تطلب كل ما أملك

وبعد فإن رحمة النصل تحول بيني وبين أن آخذ كل ما أجد في الأناشيد، وإن معذرة الأستاذين كفيلة بأن توفر عليَّ جهداً أدخره لأشياء أخرى، والسلام.

كامل محمود حبيب

## مجلة العصبة في عامها السادس

وعدد وصيفتنا (العصبة) في يناير عامها السادس وهي أقوى ما تكون إيماناً برسالتها العظيمة وصبراً على جهادها الخالص. و(العصبة) كما يعرف قراء الرسالة مجلة شهرية للأدب والفن يصدرها في سان باولو الأستاذ [illegible] حبيب مسعود، وتحررها جماعة العصبة الأندلسية، وهي تعنى بمصادر الأدب العربي بين أبناء الوطن وبينهم في المهجر، فتعمل ما يعمل بوشائج روحية من نسب الفكر والبيان والأمل والذكرى، وتبقى في روعهم على الدوام أن لهم تاريخاً وأمة ووطناً [illegible] حتى لا يعد [illegible] على [illegible] الزمن و[illegible] الدار مقوماتهم [illegible] والوطنية فيذوبوا في غمر الأمم

وبين يدينا الآن عددها الممتاز الذي اعتادت أن تصدره في آخر كل سنة من سنوات عمرها المباركة، وهو طرفة من طرف الأدب الفاخرة يقع في نحو ١٨٠ صفحة ويمتاز من سوابقه بتنويره [illegible] وكان بالقارئ أن يكون لسناء العروبة في أشطرها مزيجاً من هؤلاء الأولياء المجاهدين الصابرين على دعم تراثهم في بلاد الغرب، ويكفينا أن نستشهد بما أسلفنا من فاتحة هذا العدد وخاتمته لنرى أن الأدب [illegible] والصحافة [illegible] في كل مكان [illegible] فقد قال محررها الفاضل فيما قال:

« . . أما عددنا فمحدود، لأن الفئة التي تقبل على صفحة من طراز «العصبة» قليل عددها بالنسبة إلى تلك الفئة التي لا يهمها من الصحف غير أن تكون [illegible] لا معرضاً للأقلام

«وأنت ترى في آخر كل صفحة نقول [illegible] ولا [illegible] غير أن [illegible] الأمينة [illegible] وإيهام، لأن [illegible] أكثره من المشتركين لا من [illegible] أخرى تقل عن الأشتراكات [illegible] ومع ذلك [illegible] في أعمتنا، لأن [illegible] في ساحة الحرب لا يتطلب [illegible] بحسب [illegible] ألوان

الطعام والشراب ولا [illegible] و[illegible] ... صفحة [illegible] في تاريخ الصحافة العربية في المهجر».

[illegible] «العصبة» [illegible] في السنة [illegible] دولاراً أمريكياً وعنوانها:

ALQUSBA ANDALUZA
Caixa Postal [illegible]
[illegible] Brasil

## بين بشر وشاكر

الزولة [illegible] اللغة معنى الاضطراب والتقلص، ويحكي علماء [illegible] الأدباء [illegible] أن يقال إن «الأذن [illegible] طرباً» بمعنى الاضطراب والقلق؟

الدكتور بشر فارس [illegible] هذا، لأنه يرى [illegible] في لغة العرب بين الزولة والطرب، وهو [illegible] على ذلك [illegible] رأيه [illegible] من كلام [illegible]، ويكفي [illegible] أن [illegible] — في كل الشواهد التي [illegible] — معتمد على [illegible] الاضطراب والتقلقل في الشيء أولاً، ويعقب الإحساس والشعور بهذا الاضطراب والتقلقل ثانياً

[illegible] الأصل الأول سبباً [illegible] الأستاذ [illegible] محمود محمد شاكر ومن هنا كان موضع [illegible] على صاحبه أن يقول «الأذن [illegible] طرباً» وهو يقرر أن شرط [illegible] الزولة أن يكون الشيء يتحرك ويضطرب ويتقلقل، ومن هنا يصح عنده القول في الرجل [illegible] والأعضاء والأيدي والرءوس والقلوب وما إليها من سائر أعضاء الإنسان المتحركة حركة [illegible]، وكذلك حيوان كالإبل [illegible] «زولها»، ولكن لا يصح عند [illegible] القول بأن الأذن تزول من الطرب أو الغضب، أو تحت تأثير أي انفعال آخر)، لأن الأذن لا تتحرك، وهذا صحيح

ولكن الدكتور بشر فارس يرى الأذن [illegible] على جانب [illegible] كمصدر الصوت، ومن هنا يجوز عنده أن يقال إن الأذن تتحرك [illegible] رأيه في أن الأذن تزول طرباً [illegible] ولكن هذه الحركة [illegible] لا يمكن الشعور بها، وشرط [illegible] الزولة يعني الحركة [illegible]، وإنما الحركة أولاً، ثم وجوب الشعور بها ثانياً. ومن كل الشواهد والأمثلة التي [illegible] على [illegible] عند أن الإحساس والشعور بالحركة شرط [illegible] زولة الشيء المتحرك. ومن هنا نرى أنه لا يجوز لغة القول بأن الأذن تطرب

(أو نشعل) رؤاه ، لأنه لا يمكن الإحساس والشعور بحركة [illegible] طبيعة الأمر

على أن تفريع الدكتور بشر للموضوع طريف ، وطرافته تأتي من جهة أن كل عضو من أعضاء الحس يهتز وحاله ... وعنده الاهتزاز حين يصل إلى مراكز الإحساس في الدماغ يحدث الشعور بالإحساس . ومن هنا يمكن أن تكون [illegible] من الخيال ... ومن الواضح صعوبة مثل هذه الحالة! ..

ومن المهم أن نقول بأن [illegible] الدكتور بشر فارس التجديدية ، وجرأته [illegible] مذهب الرمزيين المرموقين في تجديدهم في الغرب ، حتى أنك تشعر بهذه الصورة الشعرية الذاتية من الذوق ومن [illegible] ألا ترى [illegible] في مسرحية له «[illegible] أمها وتعلقت من موسيقى [illegible] الزمن التي كانت [illegible] في القمة» (أنظر [illegible] في كتابه — الإنسان [illegible] التركية ، استانبول ١٩٣٩ ص ١١٨ — ١١٩) إن في هذه الصورة [illegible] الدكتور [illegible] «[illegible] طرباء» [illegible] من طبيعة عيونه ، أهدابه ، جاء متعمداً [illegible] الكلمة

والدكتور بشر على قدر من [illegible] في [illegible] إلى حريته (البيان [illegible] ٢٠ طبعة مصر)

[illegible]

الإسكندرية



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع [illegible] — [illegible])

8me Année No. 348

Lundi 4-3-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
٢ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٤٨ — «القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ٤ مارس سنة ١٩٤٠» — السنة الثامنة

الفهرس



# محمد الزعيم

واجب سنتنا الهجرية الجديدة وأحداثها في هذه الأيام التي احتشد فيها إنسان الغرب في جوانب الأرض [illegible] وأمسكم [illegible] [illegible] السمع فلا يتكلم إلا لسان الشر، ولا يصول إلا بأس الحديد؛ وواجب أنباء [illegible] كذلك للذين والناس في [illegible]، فلا ترى اليوم في بلاد [illegible] غير مقهور أو متحفز، ولا في بلاد [illegible] غير مذعور أو [illegible]، ومفزع الشعوب في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، ليت شعري إلى من يفزع العرب والمسلمون من هول هذه الطامة؟ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إليه الأمور في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

بالانقسام والفرقة، حتى جاءها العربي فكان في كل قطعة من الوطن ملك كبير وأمير صغير، وزعيم وعشيرة في كل جيل وفي كل قبيل يتنازعون من الرجال العصابة، فكانت كالشاة القاصية الوحيدة تتخطفها الذئاب، كشموع الأطفال لا تقوى على نسيم الريح ولا تظهر في حلكة الليل!

* * *

ما لي ولهذا اليوم؟ ألا تخشون أن أضع لكم درساً من زعامة محمد! إن فيكم زعماء أحزاب، وليس فيكم زعيم أمة؛ أما هو فكان زعيم الإنسانية جمعاء.

يقوم ملك الزعامة الإنجليزية من طريق الحرب أو الثروة أو القوة، ثم لا تستطيعون أن تعدوا صاحب القلب الصغير الذي ارتفع على كرسي الحكم؛ أما هو فقد نبغ في الزعامة العالمة من طريق الألم والصبر والغربة والجهاد؛ ثم جعل في عشر سنين من الزعامة شتات الشعوب من رمال الصحراء أمة متماسكة الأجزاء، متحدة الأهواء، متساندة القوى، متجانسة الطباع، فلما رحمه الله ملكت نصف الأرض وسادت أكثر العالم

إنكم تكونون قبل الزعامة أناساً كالناس، ثم تصبحون بعدها آلهة كالآلهة، تسخرون الخاصة، وتجرّون العامة، ثم تحوزون لأنفسكم جنس الهوادي الكبرى، والمناصب للحشرة في دم النبلاء والأغنياء، وهذا بعدئذ! أما هو فقد ملك الحجاز واليمن وجزيرة العرب كلها وما دانى من العراق والشام، وظل ينام على فراش من أدم حشوه ليف، ويبيت هو وأهله الليالي طاوين لا يجدون العشاء، ويمكثون الشهر لا يستوقدون ناراً إنْ هو إلا التمر والماء، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على الناس أنفس ما يرد عليه من الغنائم بالقسط؛ فإذا أقبل على أصحابه فقاموا إجلالاً له قال لهم: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً، إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». وكان ذات مرة في سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها، وقال ثالث: عليّ طبخها، فقال الرسول صلوات الله عليه: «وعليّ جمع الحطب». فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل، فقال: «قد علمت أنكم تكفونني، ولكني أكره أن أتميز عليكم»!

ولما استأثر الله بنبيه، وهو سيد العرب وسيد الملوك، كانت درعه مرهونة عند يهودي في صفقة شعير!

إنكم حين تحرصون لا تفكرون إلا في خطبة المحافل وخطب الصدور، ثم لا تخرج أعمالكم وآمالكم من حدود هذه الحزبية الضيقة؛ فالزعامة عندكم غنيمة الحرب، والسياسة تجارة دون الشعب. أما هو فكان يعادي في الله ويصادق في الله، فلقد كان في أثناء النصر كرمه في مكة والمتآمرون في المدينة، وقد أسلمه الله إليهم، فبسط عليهم جناح عفوه. وقال لقريش يوم الفتح وقد استقر عرشه: «ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً! أخ كريم وابن أخ كريم! قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم كانت سياسته كدعوته لله لا تعرف الحدود ولا الخصوص ولا الجنس: إنما هي صدى الحق العظيم انطلق في سكون الصحراء على لسان الرسول العظيم، فيدوّي في مسامع الآفاق ومسامع الأجيال، فيكون الصدى الهادي لكل ضال، والنداء الموقظ لكل غافل.

إنكم تسيّرون الجنود إلى الميادين وتبيتون على حشايا الحرير، وترسلون الجيش إلى المهالك وتظلون في أبراج القصور! أما هو فكان يقاتل مع الجندي حتى يدمى، ويعمل مع الجيش حتى يتعب. وكان علي إذا احتدم البأس واحمرت الحدق اتقوا به فلا يكون أحد أقرب إلى العدو منه!

ذلك محمد زعيم العرب وهؤلاء أنتم، فهل تحسبون بينكم وبينه صلة، أو تجدون بين سياستكم وسياسته مشابهة؟

لا تقولوا إنه الوحي، فما كانت حياة الرسول كلها ولا سياسته كلها من تلقين الوحي، ولكنها قوة إلهية الرحمة الكاملة ونفس العظيم والشعور الصحيح والسجية القوية. والقوة لا تدل على شيء من شخصية الرسول، فإنه لم يتأمر على أحد قبله ولا بعده على قوم بيعة وسبيل، وما ذلك إلا شخصيته تخضع لهم لقسم الزعامة على الأمة والسلطة، الزعيم الصادق الطاهر والعقل المتين والقلب الذكي، فيثقون به في الظلال، ويسيرون معه في الجيش، ويأخذون أمره في الساحة، ويحرصون على حبه وطاعته ونجدته إيماناً لا يعرفه إلا الكفر بالله. فأنوار مستقبل تجتمع، وأحلامه جمود قصد، وآراؤه أوامر مطاع، وأحكامه أنظمة تنفذ. فهذا لكم يا زعماء اليوم محمد وسياسة محمد! فهل منكم من تحركه نفحة من نفحاته القدسية فيجدد ما رث من دعوته، ويجمع ما تشتت من وحدته، ويصلح ما فسد من أمته؟ لقد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها!

أحمد حسن الزيات

# الهجرة مبدأ التوحيد والوحدة

لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغي
شيخ الجامع الأزهر

في سبيل الله هاجر سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يثرب؛ هاجر ليحطم الشرك بالتوحيد ويتابع الشتات بالوحدة. والتوحيد هو روح الإسلام وجوهره، وسبيل الرسول وغايته. وليس التوحيد الذي تسمى من أجله الدين كله مقصوراً على ما تعارفه الناس من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك والند؛ وإنما يشمل كل ما يكفل للأمة وللإنسانية الألفة والوحدة والتضامن من توحيد الله وتوحيد العقيدة وتوحيد الكلمة وتوحيد الغاية وتوحيد الرأي والهوى. وفي سبيل التوحيد في شتى مظاهره كافح الرسول ما كافح من عنت الشرك وسفه الجاهلية وإفراط العصبية.

دعا إلى توحيد الله، وقد كانت الآلهة تتعدد بتعدد القرى والقبائل والأسر، وكان الإنسان أهون على نفسه من الحيوان والشجر والحجر، يعبد ما لا يبصر ولا يسمع؛ وحاجّه قومه قال: أتحاجّوني في الله وقد هداني؟ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد. ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة؟!

ثم دعا إلى توحيد الرأي والجهد، فألف بين الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار، فأصبحوا أشداء على الكفار رحماء بينهم؛ ثم عاهد بين المسلمين واليهود فانطلقت في المدينة بعد السحر، لم تعهده بين الأهل والأهل، وتمت عهدة الوئام: «إن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس، وإن اليهود أمة من المؤمنين لهم النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن البطانة كأنفسهم غير مضر ولا آثم»(1)

ثم دعا الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً إلى توحيد العقيدة بالرجوع إلى مصدرها الصافي وجوهرها الحق: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله» «قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون»

ثم دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى توحيد الإنسانية فحطم العصبية الجنسية وثل العروش المنصوبة وسوى في القياس مراتب الناس، فجعل التقديم والتكريم بالتقوى، وبذلك زالت الفروق الاجتماعية بين العجمي والعربي، وبين الفقير والغني، وبين الأسود والأحمر: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»(2)

ثم وحد بين الدنيا والدين وقد كانت الشرائع الأخرى تفصل بينهما كل الفصل، فجعل اليهود الكهانة في اللاويين ثم انصرف سائرهم إلى الدنيا والأعراض؛ ودعا المسيحيون إلى الرهبانية والنسك وترك ما لقيصر لقيصر؛ ولكن الإسلام جعل الدين والدنيا كالروح والجسد فلا يصلح إلا بوحدة، ولا يسير إلا بهديه؛ فكان منهج الرسول هو منهج الناس، وكان إمام المسلمين هو قائد الجنود.

وأنت إذا نظرت في حياة الرسول بالبصيرة، وبحثت في أصول الإسلام بالروية، وجدت مبدأ التوحيد والاتحاد يسري في كل عمل وأساس كل دعوة. وبفضل التوحيد والوحدة جعل الله العرب القلائل الصعاليك أئمة الناس وورثة كسرى وقيصر؛ فلما انتقض العهد وتفرق المسلمون ونسوا الله ونسوا وحدته ودينهم، ضعفوا وذلوا وتفككوا وأصبحوا بين الأمم القوية طعاماً لنهم وهدفاً لسهم

---

(1) من الصحيفة التي كتبها الرسول عهداً بين المهاجرين والأنصار واليهود
(2) من خطبة الوداع

# عبقرية محمد العسكرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

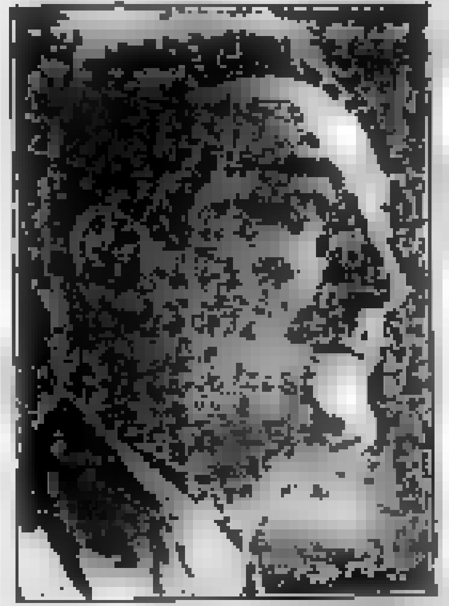

حاولت أن أجعل موضوع مقالي في عدد الرسالة الخاص بالهجرة والإسلام بحثاً موجزاً عن عبقرية النبي عليه السلام من الوجهة العسكرية، لفهم المناسبة بين القتال وبين موضوع العدد كله والوقت الذي يصدر فيه وهو وقت قتال أو تحفز للقتال

ولا على المشابهة بين الحرب في عصرنا هذا، وبينها في عهد الرسالة الإسلامية، لأن الحرب قد أصبحت منذ ابتداء القرن العشرين حرب مواقع، كالحصون التي تقام على خط ماجينو وخط سيجفريد، أو كالخنادق التي كانت غالبة في الحرب الماضية، ولا سيما في الميادين الغربية

أما في القرن الماضي فقد كانت الحرب «حرب حركة» كما كانت قبل أربعة عشر قرناً أو قبل عشرين قرناً بغير اختلاف كبير في المبادئ والأفكار، وحجة ما [illegible] على النفوس والقلوب، وأن المدافع [illegible] حلت على [illegible] الإسلامية وما إليها

لهذا اخترنا أن نقف المقال على أسلوب «الحرب المتحركة» وهو أسلوب نابليون بونابرت، لنبين الشبه في خطط النبي العسكرية، بالمقابلة بينها وبين خطط هذا القائد العظيم

فنابليون كان وجه همه الأول إلى القضاء على قوة العدو العسكرية بأسرع ما يستطيع، ولم يكن يعنيه حرب المدن ولا الاعتصام بالمواقع، وإنما كانت غايته الكبرى منصرفة إلى مباغتة الجيش الذي يعتمد عليه العدو فيصدمه صدمة حاسمة في أكثر الأحيان، وهو على يقين أن النصر في هذه الصدمة يغنيه عن المحاولات التي يلجأ إليها بقية القواد

ومن أجل هذا يتوجب عنده ثلاثة أمور: أن يختار الموقع الملائم له، وأن يختار الفرصة، وأن يباغت العدو قبل تمام استعداده

وقد كان النبي عليه السلام سابقاً إلى تلك الخطط في جميع تفصيلاتها

فكان لا يبدأ أحداً بالعدوان، ولكنه إذا علم عزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجموه حيث ما تواتيهم الأحوال، بل ربما وصل إليه الخبر كما حدث في غزوة تبوك والناس [illegible] والقيظ ملتهب والشقة بعيدة، فلا يثنيه ذلك عن [illegible]، ولا يكف عن التأهب السريع وعن حض المسلمين على جمع الأموال وجمع الرجال، ولا يبالي ما أرجف به المنافقون الذين وكلوا الفرصة [illegible] لم يحدث ما رجوه

وكان عليه السلام يعمد إلى القوة العسكرية حيث أصابها [illegible] على حرمان أعدائه القضاء عليه، ولا يضيع الوقت في انتظار ما يختاره أولئك الأعداء، وإضعاف أنصاره بتركه زمام الحركة في أيدي المهاجمين، إلا أن يكون العدو [illegible] على التقدم عليه، كما حدث في غزوة الخندق

٢ – وقد كان نابليون مع اهتمامه بالقضاء على القوة العسكرية لا يهمل القضاء على القوة المالية أو التجارية التي يعتمد عليها العدو، فكان يحارب الإنجليز بمنع تجارتهم من الوصول إلى القارة الأوربية، وبتحويل المواصلات من طريق انجلترا إلى طريق فرنسا

وهكذا كان النبي عليه السلام يحارب قريشاً في تجارتها، ويبعث السرايا في أثر القوافل كلما سمع بقافلة منها

---

لقد آن للمسلمين أن يرجعوا إلى ما دعا إليه نبيهم، ويعملوا بما جاء عنه وعلم، فيوحدوا صفوفهم، ويجمعوا أمرهم [illegible]، ويستعيدوا شعورهم بالقيام بنصيبهم الأكبر في بناء حضارة روحية جديدة تقوم على العدل، وتحتمي بالمساواة، وتتمسك بالدين، وترتفع في جنباتها الدعوة إلى ذكر الله «ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور»

محمد مصطفى المراغي

وأنكر بعض المتعصبين من كتاب أوربا هذه الفروسية وسموها « نظاماً للغزو » وهي في منشئها الصادق حصانة التي أقرها القانون الدولي، وحسب الغزاة الحيوانية في جميع العصور، وربما طبقها في الحرب الحاضرة والحرب الماضية، وشبهها آلية ونائباً منابه من النشاط والقوة مرة أخرى

٣ — وقد أسلفنا أن نابليون كان يوجه همه إلى الجيش ولا يقصد لمدن أو يشتغل بمحاصرتها لغير ضرورة

ونرجع إلى غزوات النبي عليه السلام، فلا نرى أنه حاصر مدينة إلا أن يكون الحصار هو الوسيلة الناجعة لمصادرة القوة التي يخشى أن تخرج منها قبل استعدادها، أو قبل عدتها في الغدر والوقيعة، كما حدث في حصار بني قريظة وبني قينقاع، وكان الحصار هنا كحصار الجيش المجموع في الميدان لقتاله بغير كبير اختلاف

٤ — لم يعرف من قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون

وكانت فراسة النبي في ذلك مضرب الأمثال، فلما رأى أصحابه يضربون العبدين المستقيين من ماء بدر، لأنهما يذكران قريشاً ولا يذكران أبا سفيان، صاحب القافلة التي يطلبونها، ولا يقصدان الكذب. وسأل عن عدد القوم، فلما لم يعرفا العدد سأل عن عدد الجزور التي ينحرونها كل يوم، فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذي يحتاج إليه. وكان صلوات الله عليه إنما يعول في استطلاع أخبار كل مكان على أهله، وأقرب الناس إلى العلم بمداخله ومخارجه، ويفعل ما يفعله اليوم علماء الحرب من بدء القتال، فيسمع من كل من هو خبير به، ولا يأنف من الأخذ بنصيحة صغير أو كبير

٥ — واشتهر عن نابليون أنه كان شديد الحذر من الألسنة والأقلام، وكان يقول إنه يخشى من أربعة أقلام ما ليس يخشاه من عشرة آلاف حسام

والنبي عليه السلام كان أعرف الناس بعمل الدعوة في كسب المعارك وتثبيت المقاصد، وكان يبلغه عن بعض أعدائه أنهم يشهرون بالإسلام أو يغرون المشركين بقتاله أو يخدعون في حربه [illegible]، فيعهد إليهم من يخادعهم في حصونهم أو يكفل له الخلاص منهم

ولعل هذا بعض المتعجبين من الكتاب الأوربيين وغيرهم بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان وما قيل عن محاولته أن يختطف الشاعر الإنجليزي كولردج الذي كان يخوض في ذمه ويستهوي الأسماع بسحر حديثه

ويبقى الفارق عظيماً بين الحالتين، لأن حروب الأعصر [illegible] إنما هي حروب دعوة لعقيدة أو حروب عقيدة بعقيدة، ولا [illegible] في مصدرها وغايتها كالصلح بين الترجيح والمبدأ وبين الإرهاب والرهبة، وليس وقوف المخلص أمام المخلص إلا سبيلاً من سبل الصراع بين الفريقين والتغالب بين المنهجين

فليس في حالة سلم مع النبي من يحاربه في صميم الدعوة الدينية، ويحسده بالنفس في ماضي رسالته الإسلامية، وإنما هو مقاتل في الميدان الأصيل أخطر من أعدائه ما يخطر القاتل من القتلى، ولا سيما إذا كانت الحرب قائمة ودعوته لا تستطيع غير الإلحاح بسطوة

أما نابليون فالحرب بينه وبين أعدائه حرب جيوش وسلاح، فلا يجوز له أن يقتل أحداً لا يحمل السلاح في وجهه أو لا يجيز القانون ما يستوجب إزهاق حياته. وما يحتمل نابليون لنشر دين أو تثبيت دين، ولا كان للرسول الإسلامي من عرض في جاز له أن يحيل المسألة إلى من يحاربه في دينه وإن لم يشهر السيف في وجهه، فإن الضرب بالسيف لأهون من القتل الذي يضربونه به

تلك مقابلة مجملة بين الخطط التي تنسب إلى محمد، ونظائرها التي تنسب إلى نابليون بعد مئات السنين، ومن الواضح أن نحكم في ميدان القيادة بصحة التفكير، أو أنقص من أن نحكم عليه بضخامة الجيوش وأنواع السلاح

ولم يتخذ محمد الحرب صناعة، ولا عمد إليها كما أسلفنا إلا لدفع غارة، واتقاء عداوة، ووافقه في ذلك ما جاء به القرآن الكريم: « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم، والفتنة أشد من القتل، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين. فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين »

فإذا كان محمد لم يتخذ من الحرب صناعة ولكن يتقي بها ما يحول مدفوعاً إليه، فله فضل السبق على جبابرة الحروب الحديثة الذين سنوها ونشأوا بها ولم يستطع غيرهم من بعدهم إلى أن يكون في مقامه، ولم يبلغ من نتائجها بعض ما بلغ القائد الأمي بين رمال الصحراء

عباس محمود العقاد

# شريعة الإسلام نظام لكل عصر

للأستاذ علي الخفيف
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

جاء الإسلام وكان سمحاً في عقائده، محكماً في دلائله، سهلاً على المؤمنين تقبله نفوسهم، ومتفقاً مع الفطرة فكان له سلطانه وسحره، وكان [illegible] محبباً للنفوس الجميع، يسوي بينهم جميعاً، فلا [illegible] ولا [illegible]، فأصبحوا أمة واحدة وجماعة واحدة على هذا الأساس شرعت أحكامه حتى تكون في الدوام أساساً لصلاح المجتمع الإنساني

والله أطلق الإسلام العقول من قيود الأوهام، وزكى النفوس من دنس الأباطيل، فأصبحت [illegible] من أدب، وغدا الشرك [illegible]، والاعتقاد [illegible]، والتوحيد [illegible]

إذا عقيدته التي جاء بها، هي الفطرة، عرفت الله سبحانه وتعالى، فخلصت من كل ما سواه، وعرفت أنه هو الإله وحده، وهو الخالق وحده، له الأمر وإليه المصير

ذلك التوحيد، وهذا الذي هو ما فطر عليه الناس، وما يجدونه عند [illegible]، حين يسرون [illegible]، وما يحسونه من نفوسهم إذا صحت ورجعت إلى طبيعتها، خالصة مما علق بها من شهواتها ورغبات [illegible]، وحين يسمع الرجل [illegible]، وقد [illegible] الأمر إلا أن يستجيب لتلك الدعوة، مطمئناً [illegible]، [illegible] ولذلك نفذ الإسلام [illegible] في النفوس، لا يعترضها من النفور إلا ما غشى النفوس من أوهام موروثة، وما علق بها من شهوات مشبوهة، وأصبحت [illegible]

من [illegible]، وفي [illegible] من [illegible]، ومن التطلع إلى [illegible] وأخلاقه [illegible] النفوس وصلاحاً له في الخلق

هذه الأصول هي أسس الإسلام وأساسه [illegible] عليها، وغاياته التي يرمي إليها بما شرع بعد من وسائل وما [illegible] من أعمال وما نهى عنه من محرمات، على هذا الإسلام حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، [illegible] من [illegible]، [illegible] أن ينظروا بالإسلام [illegible]، والتفكير أن [illegible] وحده كي يجد الناس [illegible] ويخلصوا [illegible] جميعاً إلى ملكوت السموات والأرض وما بينهما

ثم جاءت الصلاة والسلام بهذه الدعوة [illegible] إلى الأخلاق [illegible]، [illegible] ما بين الناس [illegible] من [illegible]، [illegible] على إصلاح النفوس [illegible] من [illegible] الإسلام في [illegible]، [illegible] ذلك [illegible] لا [illegible] من [illegible]، ولا [illegible] من [illegible] إلى أن [illegible] إلى المدينة [illegible] إلى [illegible] من الشرائع الاجتماعية [illegible] [illegible]، وما يجمع بينهم [illegible]، [illegible] أسباب الاختلاف

تلك هي غاية الشرائع الإسلامية الاجتماعية واحكامه التي [illegible]؟ لم تشرع لتكون وسيلة من وسائل [illegible]، [illegible] لتكون الصلاح الذي يشفي النفوس من عللها، ويقي الجماعة من أمراضها

فلذلك [illegible] حتى انتظمت جميع نواحي الحياة [illegible] إلى شرائع مالية تحمي المال وتقرر الحقوق وتقوم على [illegible] الاقتصاد، وإلى شرائع اجتماعية بين الأسر [illegible] [illegible] بين [illegible] حتى تكون [illegible]، ثم [illegible] الأسرة إلى شؤون النسل [illegible] وإلى شؤون التربية والصحة وغيرها من الشؤون الاجتماعية [illegible] الأسر [illegible]، ثم إلى شرائع [illegible]، وإلى شرائع الحرب [illegible] وضماناً [illegible] بين [illegible] في الأموال، [illegible] والتصرف في [illegible] ثم إلى شرائع [illegible] العلاقات الخارجية [illegible]

الإدارة الصالحة من حيث اتصال الحاكم بالمحكوم، وغير ذلك مما يؤسس عليه بناء الدولة، ويقوم عليه عمرانها.

هذه هي مظاهر الإصلاح في تشريعه وهي كما ترى جامعة لكل نواحي الحياة الاجتماعية [illegible] تشريعاً كافياً مدى الأبد في أصوله العامة ويضع الأسس الثابتة ويدع مجال التفصيل والتطبيق لهم [illegible] ولم يكن له من مصدر إلا القرآن الحكيم وبيان الرسول الكريم. أنزل القرآن بالأصول العامة وجاء بيان النبي صلى الله عليه وسلم وسنته للفروع التي تخرج منها؛ أي أن القرآن بالإجمال والعموم، وتكفلت السنة بالبيان والتفصيل؛ فإذا قرأت القرآن وتدبرت آياته وجدت في تشريعه عناية ببيان هذه الأصول العامة وحض الناس على المحافظة عليها [illegible] إلى قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم» وقوله تعالى: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا» «يمحق الله الربا ويربي الصدقات» وقوله تعالى: «ولكم في القصاص حياة» وقوله تعالى «والجروح قصاص» وقوله تعالى «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» وقوله تعالى: «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» وقوله «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» وقوله «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا» وقوله «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين».

هذه سنة القرآن في التشريع لم تتخلف إلا في النزر اليسير، بسبب يكون تشريعه نظاماً تجتمع [illegible] الأمم على ممر الزمن، فهو التشريع العام التي تهدف لتحقيق سعادة الإنسانية وتوجيه الشعوب كلها وجهة واحدة في سبيل الخير، وتقدير حريته ووضع المعاملات على أسس ثابتة، وإعطاء الأموال [illegible] وتدبير الشئون الاجتماعية على نمط يحقق المصلحة العامة؛ ثم هو مقارب بين الأمم المختلفة حتى تكون جميعاً في الحكم العام متشابهين. ذلك لأن الأحكام التي تنزل تفصيلاً في الحوادث الجزئية لا تستقر مع الزمن ولا تصلح لكل مكان، لأن الناس في تطور لا يقف إلى غاية ولا يجمد [illegible].

فإذا رجعنا إلى ما شرعه الإسلام في الأموال من أصل وجدنا أنه أسس التعامل فيها على الرضا [illegible] إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم [illegible] «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً» ولم يدخل في حد التفصيل إلا أن ترد كل معاملة إليه على ألا يتعدى ذلك حدود الله ولا يخرج عن [illegible] فقد اقترفت الإثم [illegible] وأذن الله ورسوله بالحرب.

يعجب كثير من الناس لتحريم الربا، وقد زعموا أنه ركن من أركان التجارة، وعماد المصارف، وقد أصبح في أي اقتصاد ضرورة من ضرورات الزمن. زعموا ذلك وكأنهم لا يحسون بلاء شره، ولا يبصرون مصارع قتلاه. ألم تعلم [illegible] مثلات البيوت [illegible] على رأس المال [illegible] حتى صار أضعافاً مضاعفة [illegible] إن لم يرده على أصله، وأنهم قد أصبحوا على شفا هاوية الإفلاس المدمر؟

إذا تقدم صاحب المال به لاستثماره وإنمائه فليس له إلا أن [illegible] بحيث يكون إذا انتفع به ربح أو حل خسر [illegible] وليس [illegible] حيث طبيعة [illegible] وسنة التجارة، وإذا كان هذا [illegible] وهو الحريص على [illegible] في ربحه فلم يطلب من غيره وقد علم [illegible] أن تكون الأسعار في صفقته فلا يقصد إلا ربحاً، ولا يطلب إلا [illegible] حتى لا يرضى منه أحداً إلا بالربح القدر أو [illegible]؟ أليس ذلك [illegible] والتحكم الظالم؟

وكذلك الحال في طريق الحكم وإدارة أمور الدولة، جعل الأساس فيه الشورى فقال «وشاورهم في الأمر»، فنفى الاستبداد بأنواعه ونهى عنه بأشكاله، وأمر الناس بالشورى، ولم يحدد بعد ذلك شيئاً في نوع الحكم الشورى الذي يلائمهم ويتفق مع ثقافتهم وعقولهم وبيئاتهم، ويخرج مع نوع الحكم ملكياً كان أو جمهورياً لشخص واحد أو لشخصين. ذلك لأنه لا يوجد نظام معين للحكومة صالح على الإطلاق، بل هو نسبي ووصف عرضي بمعنى التناسب بين نوع الحكم وحال الأمة التي اتخذته نظاماً يناسبها.

وفي شرائع القتال من القواعد الكلية جعله دفاعاً عن النفس والبلاد إذا وقع، ودعا فيه إلى السلم إذا أمكن، فقال «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» وقال «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» وقال «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا»

إن الله لا يحب المعتدين » وقال « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » وقال « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » والمراد بما كتب القتال ومنع الظلم وخلف من العدوان والبغي ولم تقصد في أحوالها ما الاجتماعية المعروفة وانتهت عنده هذه القتال كتب الحرب كانت مبادئ السلم وضرورة يتطلبها الرخوة من ذكر مثلث

أما أسس الروابط بين المسلمين من الأخوة « إنما المؤمنون إخوة » ويجمع وبين غيرهم البر والإقساط « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » وذلك كفيل بتوجيه العلاقات بين الأمم أكيد للتوبة بينهم ما لم يبغ بعضهم على بعض ظلماً في مال أو حرماً في الأرض أو عبثاً في الفساد. هذا إلى ما شرعه من القواعد في إصلاح حال اليتامى وبيان أموال المسلمين وما فرضه من الحقوق في أموال الأغنياء للفقراء وما جاء به من الأوامر عاماً على القتال والسيل والسعي في الأرض والمحافظة على الأحكام من كتسوب الأمة في إصلاح أمورها والمحافظة على أموالها والقضاء على الأمية بها والقضاء على البطالة ، ومن لا نجد مبادئ الاشتراكية المعرفة تسبيل إلى عروض أموالها ، ولا الأنظمة الاقتصادية الرسمية إلى الكلام عنها

هذه سنة القرآن في تشريعه في جميع نواحي الحياة بتصحيحه واجتماعية سياسية وخلقية ، إذ يرجع بها ، ثم تطور القواعد العامة إلى التفاصيل التي تطور تطور الأمم ، وتختلف باختلاف الحوادث ، وتختلف باختلاف البيئات ، وقد ضمت مباحثه عليه ، حاملين لكل الأمم ، فيتسنى لها أن تجد فيها أساساً في تشريعها حسب ما تقتضيه بيئتها ومصالحها

كانت هذه طريقته ، إلا في مسائل معدودة عمد فيها إلى نوع من التفصيل والتعيين ، لأن مصلحة الناس في تركه وتسديدهم في تركه ، به وإن تركت أسس تقدير العقوبة إلى أولي الأمر لا ينطبق على ما يحيط بالأمر من ظروف ، وما يتصل به من أسباب ، وما بها من ثقافة وبيئة المسلمين من الجرائم التي هي من الاعتداء الذي على الدين والنفس والمال والعرض ، وفي السعي في الأرض بالفساد والخمر والزنا والسرقة والقذف ، فجعل لكل منها جزاء ، يتكون أولا لأن يجد مستقرا في تقدير العقوبة على أحكامه مع من عليه توبة سارقه « وإنه عليهم بجبار مثل ما توبتهم به » عبه جزاء الأول في قوله تعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » وجزاء الثانية في قوله « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » وجزاء الثالثة في قوله « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » وجزاء الرابعة في قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله » وجزاء الخامسة في قوله « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » هذه عقوبات ذكرها تتناسب في نفسها وما يتبعها مع خطر آثارها فيما يتكون عامة من المرء وصلة النفس ومن كبير الفرد وحصر أنها عقوبات لا تتمشى مع هذا الزمن أو لا تلائم مع حق هذه الأمة وما وصلت إليه من ثقافة وحضارة وعدل لأن مصدرها أو تناسب بها حسب هذه مقراتهم هذه عنف ، كذلك من أخذ وإن القرحا كانت أزهقت الأرواح الرقيق من سكرها وقد ترك بعض الأمم عقوبة القتل وطلب أن هو البدء ، وكذلك أخذت العقوبات الأخرى ، غير أن التنويه بالسرقة وحتى القول ، ولا سيما إلا يأتي من هذه القرآن في جرائمها ، ومن يرون جزاء موافقته القوى والتلاؤم مع الليل وأنا عرض بما يجب من أثر في الردع وشيوعه في الإصلاح

وكذلك فعل في تشريع الميراث حيث شكل وحث حقه على الصورة ، لأن المال كان ولا يزال مثار الفتن ، ومصدر البغضاء والإحن ، وسبباً للخصومة والفرقة ، والإنسان على ما ركب فيه من الرحمة عصبية ، ويرجع إلى مقاييس مضطربة بموازين مختلفة غير محكمة ، فكان لا بد من أن يتجنب الورثة ما يحدث عليهم الفساد ويتبع بينهم الخلاف ، وذلك بأن يقسم بينهم بحكم العدل قسمة للورثة مبنية على كمال الحكمة والعدالة ، فتمام التسليم وسكون النفس وحسب التعبير

القرب التشريع التام في التشريع النبوي ، ومن ذكر ومما يستنبطه مثل الخال الأول ميناً لإجماله محققاً لمراده ، ومن كل ما يؤثر من النبي صلى الله عليه وسلم من التشريع ، لأنه عليه السلام بشر من الناس لهم مثل ما لهم من الأمور العامة والمهام البشرية فما يؤثر عنه في هذا العهد لا بد من التشريع ولا يجد أشياء لأمر وغيره ولكل إنسان هذه البشرية يجمع فيها عرضه رسالته ويؤثر

# موقعة عين جالوت

للدكتور عبد الوهاب عزام

أرسل إليّ كاتب [illegible] الرسالة [illegible] المصري الفاضل [illegible] تحت [illegible] التاريخ الإسلامي ، حتى [illegible] في هذا الرأي [illegible] لماذا لا يسجل في هذه [illegible] — [illegible] المصري — [illegible] الحروب الكبرى في التاريخ الإسلامي ؟ ولا سيما الحروب التي وقعت في [illegible] السنة التي تصرمت ، أو السنة التي [illegible] قد تصرمت سنة ١٣٥٨ ، وأقبلت سنة ١٣٥٩ ، [illegible] حيث سنتا ٥٨ و ٥٩ من قرون التاريخ المصري كله ، [illegible] أحداثاً كثيرة ، وعبراً عظيمة [illegible] ، [illegible] أن مقالاً يكتب على هذه الشريطة ، لا يعدو أن يكون [illegible] الحوادث مختصراً ، أو مقالاً مفصلاً [illegible] على حاجة [illegible]

لم أجد بداً من تلبية [illegible] حوادث ، [illegible] وحوادث مصر ، حتى انتهيت إلى عام ٦٥٨ [illegible] أمسكت [illegible] القلم لأكتب في واقعة [illegible] عظيمة الأثر كانت في هذا العام ، ثم جاوزتها إلى [illegible] حتى [illegible] ثم رجعت [illegible] إلى تلك الواقعة [illegible] الأثر في تاريخ المسلمين عامة وتاريخ مصر خاصة ، [illegible] لأكتب عن « موقعة عين جالوت » .

كان عام ٦٥٨ خاتمة شر مستطير في العالم الإسلامي [illegible] فيه جيوش جنكيز من هضاب الصين تحرق كل شيء ، وتدمر كل شيء ، [illegible] على التركستان [illegible] خوارزم [illegible] بالمدن العظيمة [illegible] وكان [illegible] في [illegible]

وطارد [illegible] حتى [illegible] في كل [illegible]

وورث ابنه جلال الدين [illegible] في أيدي التتار ، [illegible] بين [illegible] حدود العراق [illegible] الشمال [illegible] ومن [illegible] ومن [illegible] ومن [illegible] حتى [illegible] بعد أن [illegible] بعد أن [illegible]

وانتشر الرعب [illegible] ولا [illegible] في [illegible] البلاد الإسلامية .

وما لي أكلف نفسي الوصف ولا [illegible] [illegible] على شاطئ [illegible] [illegible] حديث هذه الوقائع

---

[illegible] بيناته ، أما غير ذلك مما يتصل بالتشريع للناس [illegible] السنة [illegible] غير أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه [illegible] كانت [illegible] من [illegible] الأول بيان التشريع القرآني ، الثاني تطبيقه على [illegible] الواقعة والمسائل [illegible] ، [illegible] القرآن [illegible] من أصول التشريع الإسلامي [illegible] وعلى الناس [illegible] على [illegible] في [illegible] وحسم النزاع في المشكلات [illegible] على [illegible] من [illegible] إلا [illegible] الذي أقام [illegible] حل مشكلاته [illegible] على [illegible] أن [illegible] جميع [illegible]

[illegible] وما [illegible] وما [illegible] ذاكرة [illegible] من [illegible] اختلاف الرواة [illegible] ما روي [illegible] ذلك [illegible] في اختلاف الآراء [illegible] المذاهب [illegible] العمل [illegible] التشريع [illegible] لم [illegible] في التشريع القرآني [illegible] الناس [illegible] عن [illegible] على [illegible] إلى [illegible] على [illegible] والتفكير [illegible] على [illegible] الاجتماعي ولا [illegible] الفردي

[illegible]

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي تصغر الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ... الخ

— ٢ —

مات جنكيز خان سنة ٦٢٤ بعد أن قسم بين أولاده ما فتح من الأرض وما لم يفتح، وامتد الفتح في آسيا وأوربة، وكانت [illegible]، حتى أرسل منكوقاآن حفيد جنكيز — أخاه هولاكو سنة ٦٥١ ليفتح حصون الإسماعيلية ثم يفتح بغداد، فاكتسح أشياع [illegible] القوة إلى عام ثلاثة وخمسين، وسوى [illegible] معاقل الإسماعيلية

ثم جاءت الطامة الكبرى باستيلاء هولاكو على بغداد وقتل الخليفة العباسي منتصف المحرم سنة ست وخمسين وستمائة (١٦ يناير ١٢٥٨) فقد طوى أحداث الممالك الإسلامية إلى الغرب، ثم أصاب هولاكو المسلمين في الصميم إذ قتل [illegible] الخلافة ومجد المسلمين في العز والحضارة أكثر من خمسة قرون

عاد بعد هولاكو ما يشاء ؟ من [illegible] الجيوش على بعض ثلاثين سنة تسير من ظفر إلى ظفر، ومن مملكة فتحها إلى مملكة قدر لها أن تفتحها؟ في آسيا ما بين خوارزم وبغداد في قبضة أبناء جنكيز، وأوربا الشرقية إلى البحر الأدرياتي خاضعة لأمرهم. ليس على هولاكو إلا أن يسير الجيوش فتطوي الأرض، ويثير الحروب فتقهر الممالك، ويوعد الملوك فيحصدهم حصداً، ويرسل بالكتيبة فتسلمها أسوارها. فوجهه تفتح له الشام وأخرى تقهر له مصر، ثم عن شماله تفتح به بحر الظلمات

— ٣ —

سار التتر إلى الشام فلم تستطع حلب لهم دفعاً، وهؤلاء المتحصنون بقلعتها لم يحمهم الاعتصام، ولا معاص لهم من الاستسلام بعد شهرين. وسارع أهل حماة إلى حلب فأعطوا هولاكو مفاتيح المدينة، ولم تثبت للقوم مدينة بين حلب ودمشق.

وأما أمراء الشام فمن بين أيوبي منهم من أعطى ملك التتر [illegible]، ومنهم من لجأ إلى مصر مستنجداً. والملك الناصر أكبر هؤلاء ترحب به الحيرة بين حدود مصر والشام فلم يجد إلا التسليم إلى هولاكو

وأما مصر التي عاهدت المسلمين [illegible]، أن [illegible] من إيمان وعزة [illegible] سنة ٦٥٨ [illegible] على عين جالوت في فلسطين [illegible] التتر [illegible] في الحروب إلا الانتصار منذ سال جيشهم على البلاد الإسلامية قبل ثلاثين سنة [illegible] من أهل مصر [illegible] جيشاً بعد جيش [illegible]. وأما جيش مصر الذي جمع الشجعان وهرب [illegible] من مصر والشام فقد أيقن أنه الوقعة الفاصلة، وأن هزيمة في عين جالوت تفتح طريق العدو إلى مصر والغرب، فصبروا أن ينتصروا؟ وكثيراً ما تلد الهزيمة النصر. ولم تزل عزائمهم أن رأوا بعض [illegible] المسلمين في مقدمة الجيش؟ ذلك الأمير [illegible] المسمى الملك السعيد

التقى الجمعان يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وستمائة، واحتدم القتال وصبر المسلمون ثم صبروا، وقتلوا من حملات التتار ما [illegible] فلم يهنوا. إلى من يكون المقام من الإسلام والعدو إن لم يثبتوا في عين جالوت؟

كتب قائد التتر [illegible]، وقاتل [illegible]، و[illegible] جيش مصر عيون في حومة القتال، وبقايا الجيوش منهم يفرون برؤوس الجبال

علم المسلمون بعد أن [illegible] هزم التتر فلم يثبت القوم في فتنة من [illegible] وأسرعوا في الرجوع إلى المشرق

جمع التتر فلولهم وأسرعوا الهرب [illegible] ثم رجعوا فاستولوا على حلب بعد شهرين من موقعة عين جالوت، ولكن عين جالوت قد [illegible] من قبل وعلمت المسلمين أن الأمل والعزم والإقدام يغلب كل عدو ولو كان التتر جنود هولاكو حفيد جنكيز

اجتمع المسلمون في حمص وسار التتر إليهم، فليشهد القارئ [illegible] جمعاً من أبطال الحرب يسيرون إلى حومة الوغى

قال الشيخ شهاب الدين الحلبي: كنت في [illegible] حمص في واقعة التتار جالساً على سطح باب الإسطبل السلطاني بحمص، إذ أقبل [illegible][1] وهم أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل [illegible] والجبال [illegible] وعليهم الكزاغندات[2] [illegible] والأطلس [illegible] والديباج الرومي [illegible] مشهور على [illegible]، وأمامهم الجنيب يجري على الركائب [illegible] يرقص [illegible]، وبين أيديهم [illegible]، ووراءهم [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

# ميراث الأوائل

للأستاذ عبد الله عفيفي بك

ما أعظم الأمم [illegible] من الأمم الكريمة [illegible] وما كذلك أهل الأمم [illegible] لمرتب العظم [illegible] ما عز المسلمين [illegible] أنهم [illegible] ذكرى [illegible] مرتع الإنسان ، وفي ميدان [illegible] للذكرى [illegible] الرأي الثاقب ، والقول للمعجب ، والشرح والتعبير ؛ ثم تنطوي تلك الصفحة ، ولا تذكر الناس إلا أن [illegible] من شاعر [illegible] وكاتب [illegible] من كاتب ، وخطيباً أصبح من خطيب !!

وما أسرع ما [illegible] للتناهي ويتجه الرأي ويثور الوجدان

ونكن شيئاً واحداً لا [illegible] ، ولا [illegible] ولا [illegible] وهو الروح [illegible] والروح وحده مصدر الحياة ومصدر [illegible] ومصدر الأعمال

وليس شيء أن [illegible] الشاعر [illegible] القلوب [illegible] ذلك من [illegible] ، [illegible] القلوب [illegible] من [illegible] موهوب . وليس شيء أن يستيقظ الرأي ، [illegible] فما من أحد من السالفين لا [illegible] كيف كان [illegible] والأمم صاروا ، وما الذي [illegible] بعد أمن ، [illegible] بعد [illegible]

ما من رجل [illegible] إلا [illegible] ، ثم يخرج [illegible]

نحن إذن لا نشكو ضعف الرأي ولا [illegible] ، ولكنا نشكو خمود الروح وضعف الروح

ومن خمود الروح أن نرى [illegible] على الناطق به ، والمستمع له ، فلا ترى لرسالة الحق من [illegible] ولا نصير

ومن خمود الروح أن يبدأ العمل [illegible] صاحبه ، [illegible] يحبو ويتساقط [illegible] حتى ينقضي أثره [illegible] حديث الناس [illegible]

ومن خمود الروح أن نأخذ [illegible] والبحث للعمل من الرأي [illegible] ، [illegible] الذي يحتاج إلى [illegible] حتى أصبحت حياتنا مجموعة من المناظر والصور والأشكال

فهم الذكرى ؟ وهم القصائد والخطب ؟ وهم الفصول [illegible] والبحوث المتلاحقة ؟ وهم الكلام عن رسول الله ، [illegible] أن [illegible] رسول الله [illegible] من [illegible] العالم [illegible] العالم الأول [illegible] والأماني [illegible] في الدنيا ، [illegible] رائعة

أرأيت كيف بعث محمد رسول الله عربياً ، وكيف [illegible] رسالته على سواعد العرب ؟

لم يكن العرب في شيء من [illegible] ، ولا [illegible] ، ولا [illegible] الفكر ، ولا [illegible] الحياة

ولكنهم كانوا في الذروة العليا من يقظة الروح وقوة الروح وبهذا الروح اليقظ القوي كانوا يسابقون [illegible]

---

[illegible] عن مراتب المشرقية طائرة [illegible] سافرة من الهودج وفي نفس

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذاماً وحميرا

ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضمرا

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

سقيناهم كأساً سقونا بمثله ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وفارقت الحرب [illegible] يوم الجمعة خمس عشر المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة [illegible] فلن تسألني كيف كان [illegible] الحادثة التي جرت بها [illegible]

فارق العالم الشام إلى قبر [illegible] — عبد الوهاب عزام

عدوان، ويؤثرون النار على العار. وكان الرجل يقول الكلمة فيرهنها بروحه وأرواح ولده وأمه وعشيرته. وكانوا يشبون الحرب لكلمة جارحة تمس قومهم، وقد يستمرون فيها أربعين عاماً.

وكان هذا الروح اليقظ أو هذه الأذن المتحفزة في حاجة إلى من يوجهه ويهديه الطريق القويم.

وبهذا التوجيه تمت المعجزة التي لم تشابهها معجزة في الوجود، فأخرج رسول الله من أبناء الصحراء الغارقين في الشقاء، المنغمسين في الجهالة الجهلاء، أعلام العلم، وطلاب الحكمة، ونوابغ السياسة، وأبطال الحروب، وكواكب الهداية. وهؤلاء الذين كانوا في نطاق فارس والروم، ملكوا فارس والروم، وما وراء فارس والروم في طرفة عين.

وهل الروح حادث غلبت فيه يقظة الروح وقوته وسطوعه بنور الإيمان حادث الهجرة. وما ظنك بهذا الرسول الأمين، وهو في غار نشر الموت ظله عليه، وأطل برأسه على من فيه، فالسيوف المرهفة القاطعة ترصده، والرماح والطلاب والقوم القاتلة تطلبه — ما ظنك بهذا الرسول الكريم وهو في ذلك الغار يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا؟!!

ثلاثة أيام تنقطع في كل ساعة من ساعاتها نياط القلوب، ورسول الله آمن قلباً من ذلك الجبل الذي يضم ذلك الغار.

وهذه الأيام الثلاثة تضم ثلاثة عشر عاماً أقام بها محمد صلى الله عليه وسلم يدعو أهل مكة إلى الله ولم يكن في يوم من أيامه أضعف متناً ولا أقل احتمالاً للأهوال من هذه الليالي الثلاث.

وفي ظل ذلك الموت الجاثم على الجبل وما حوله في ليالي الغار كانت الصبية أسماء بنت أبي بكر تحمل الزاد والماء كل ليلة من دار أبيها، لا تزال تخوض بحراً من رمال الصحراء، وحيدة واحدة، وتخوضها خائفة، حتى ترقى الجبل، وتصل إلى الغار، فتقدم الزاد والماء ثم تعود في جنح الليل، فلا ينبلج الصبح إلا وهي في فراشها كأنه لم يكن شيء.

وما كان أقوى تلك الطفلة الناشئة بنت أبي بكر حين اقتحم رجال قريش عليها البيت واستجوبوها بألوان من العذاب لتدلهم على مكان أبيها، فما كان لهم منها من جواب، ولطمها الشريد الفدم أبو جهل بن هشام لطمة أطارت قرطها من أذنها لتتكلم، فما نطقت إلا بعبرة واحدة سقطت من عينها على الأرض.

هي إذاً روح قوي شديد كان يملأ كل مسلم ومسلمة، ولا يقف أمام هذا الروح شيء مما يعترض الناس.

فهل في الإمكان أن يستيقظ الروح في المسلمين مرة أخرى؟

إن هذه الأرواح كالأجساد، تغلب عليها الغفلة وتعتريها الفتور والوهن، والتخاذل والخور، وهي كالحقل يحتجب على المحصول القوي، وكالحقل يتوارى بالنبات الفاسد، ... في السجن حاجة من رحمة الله ... وهي ... في قلب الله!

حاجة واحدة لا يقوم بينه وبين الله شيء، لا يجمع المال ولا يقصد الجاه، ولا يؤثر نعمة الحياة على رضا الله. وهو حسبي إن وجد أن يجتمع حوله رجال على غراره. داعية واحد من هذا الطراز إذا وجد أثمر الأمل وصدق الأحلام.

هل يقوم المهدي المنتظر؟

لا أدري. هل أوانه قد آن؟

عبد الله ...

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر تقدم

الجزء الثاني من كتاب

# الأيــــام

تأليف حضرة العلامة

الدكتور طه حسين بك

ثمنه ١٠ قروش

| القاهرة | الإسكندرية |
|---|---|
| ٣ شارع الفجالة | ٢ ميدان ... |

# بلاغة العرب

## كليلة ودمنة

### للدكتور محمد صبري

البيان في بيئة العرب، يجري في مجاريه وأساليبها جري الماء في فروع الصواب ووصف الذي لا يعرف غال الفروع وعرف البين الذي بين البيد والبين والنسب؟ ووصف الذي لا يحس طرب العيش وبهجة الدنيا في رحيبها؟ ووصف الذي لا يحرك السحر الذي يجرح في كل يوم صبرا!

إن لكل لفظة ولكل أسلوب لونا ولكل لون قيمته، وقد جمع أسلوب ابن المقفع بين الجزالة والسلاسة، وكأن كل لفظة منه نحتت من حجر منقطع، ومن عجب أن هذه الألفاظ والتي كتب الجملة انتظمت كان ينظمها ابن المقفع فيحدث صدورها وانسجام معناها وموسيقاها مع سكينته من نصب وجهد

وأسلوب ابن المقفع في الكتابة كأسلوب البحتري في الشعر في كل منهما تتجلى روعة الفن والصقل والذوق

قال الطائر مرة إلى الملك في كليلة ودمنة: «... أنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت عندكم من الحزن عبئا ثقيلا لا يحمله من أحد وأنا ذاهب فعليك مني السلام» وقال البحتري وقفة في الظعن أطرح ثقلا من دموعي بوقفة في الظعن

وقال

أذهب الظل عنا جاه واحدة ثم السلام

هنا نثر منظوم وذاك شعر منثور ينظمهما وحي واحد وموسيقى واحدة تتحد مع المعنى ... وطول بمعنى كروح الشعر لأنه يدل على ثقل الهم الذي يزوده ... تزودت عندكم من الحزن عبئا ثقيلا» والثاني يعبر عنه ويطرده لأنه يدل على طرح ثقل «وقفة في الظعن أطرح ثقلا»

وإني أجتزئ اليوم بهذه المقدمة وأقول إنه يجمل بي أن ابن المقفع كان عروبي النفس لأن ورد ذكره في كتابته بين آونة وأخرى كما ذكر الصداقة وكما ذكر الوطن

كانت الصداقة عنده كما كانت عند إسماعيل صبري ظلا يأوي إليه كلما كثر الهجر

جاء في باب الحمامة «قال ودخل الغراب سيد الحيسوب مدحسن مثل المتحابين ... حدثني إلى ورد من إخوان الصدق كيف يجدد تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض» وجاء فيه أن المطوقة نادت الجرذ باسمه «فأجابها الجرذ من جحره من أنت؟ قالت: أنا خليلتك المطوقة. فأقبل إليها الجرذ يسعى»

«أنا خليلتك المطوقة» أظن كثيرين من القراء يعرفون معنى (الأنوفين)، ويذكرون باب (المطوقتين الراحلتين) وسؤال إحداهما للأخرى: «هل عند خليتي المكان من الروح والمأوى؟»

وجاء أيضا في باب الحمامة المطوقة «إنه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان، ولا غم فيها يعدل البعد عنهم» وكتب الصداقة رغبت الظبي في الإقامة معه وصحبتهما «نحن بعمل أنت ودنا ومكانتنا، والماء والمرعى كثيران عندنا» ثم قال «لا عيش مع فراق الأحبة، وإذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشى بصره»

والأحبة كبيرة في مصور كل قرين ما يحتوي إليه، والأب أشغل إلى الوطن والوطنية، وأرجو في بعض فصلا عن باب (البوم والغربان) فإن فيه بلاغة وفيه دروسا نافعة

تتلخص هذه القصة في أن ملك البوم أغار في أصحابه على الغربان فقتل وسبى منها خلقا كثيرا، وكان الغارة ليلا، فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها وأخذت تتشاور معه في الأمر فتسمع ثمانا منهم «غراب» مال الملك «لا أرى سكانا هنا رأيا، أن نرحل عن أوطاننا وغيب عنهم من دون نكبة أو نبنا فيه ولا يبقى من ذلك، ونكن نجمع أمرنا ونستعد عدونا

وهكذا نار الحرب [illegible] بيننا وبين عدونا [illegible] من الدهر، فإن أحسن [illegible] إليها فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالاً غير متواكلين فيه ولا مقصرين عنه، وتلقى أطرافنا أطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة مرة وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا، وقد ثنينا عدونا عنا »

إن ملك الغربان أبى أن يستسلم للعدو ولن يخلي له وطنه وديار آبائه إلا أن يقاتل، ولن تلتقي أطرافنا أطراف العدو .. »

وأرى القائل بالصلح مع العدو أول حريص تؤديه إليه في كل صفة [illegible] من أنفسنا وسلطاننا في أوطاننا .. » أو بعبارة أخرى كمن يرى في البقاء في الوطن في ظل الاستعباد بعض الطمأنينة، وقد رد الرابع أنه لا يرى هذا الصلح رأياً « بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه، مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهم لما رضوا منا إلا بالشطط. ويقال في الأمثال: قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك ويضعف جندك وتذل نفسك. ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس: إذا أملتها قليلاً زاد ظلها، وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها نقص الظل، وليس عدونا راضياً منا بالدون في المقاربة، فالرأي لنا ولك المحاربة »

قال الملك للخامس: ما تقول أنت؟ وماذا ترى؟ القتال أم الصلح؟ أم الجلاء عن الوطن؟

قال: « أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه »

وقد كان هذا الأخير [illegible] القوي ومحاربته [illegible] والجلاء عن الوطن [illegible] ورأى أن يصيب أبناء جنسه [illegible] من البوم [illegible] قال: « وإني أريد من الملك أن ينقرني على رؤوس الأشهاد وينتف ريشي وذنبي، ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك وجنوده إلى مكان كذا، فأرجو أني أصبر وأطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتي إليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى »

انطلى على البوم حيلة الغراب وأنست له حتى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه وقال لهم: « إن البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب، وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع، ونحن مصيبون هناك ناراً ونلقيها في أنقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضرباً بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب، فمن خرج منهن احترق، ومن لم يخرج مات بالدخان مكانه » [illegible] ذلك فأهلكن البوم قاطبة ورجعن إلى منازلهن سالمات آمنات مطمئنات.

لقد أرسل الله إلى البوم من مهلكها وجندها [illegible] القرى والمدن، وإني لأتخيل الغربان ومن تراوحن على البوم بأجنحتهن حتى تضطرم النار في الحطب [illegible] أجنحة ملائكة .. ملائكة الرحمة والانتقام ..

ويعجبني في هذه القصة حكاية الصفرد التي طالت غيبته عن مكانه فجاءت أرنب فسكنته فلما عاد الصفرد نازعها، [illegible] أن يحتكما إلى السنور، وهو متعبد يصوم النهار ويقوم الليل كله. »

فلما [illegible] يسألانه أن يحكم بينهما ويقصان عليه قصتهما، حتى قال:

« قد بلغني الكبر وثقلت أذناي، فادنوا مني فأسمعاني ما تقولان » فدنوا منه وأعادا عليه القصة وسألاه الحكم، فقال:

« قد سمعت مقالتكما وأنا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما، فأنا آمركما بتقوى الله وألا تطلبا إلا الحق، فإن طالب الحق هو الذي يفلح وإن قضي عليه — » قال صاحب كليلة ودمنة:

« ثم إن السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا وأشباهه حتى أنسا إليه وأقبلا عليه ودنوا منه، ثم وثب عليهما فقتلهما »

تلك قصة المتخاصمين الذين يحتكمون إلى القوي فيجدونه [illegible] رياء وجبروتاً [illegible] « أن العاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا سكن، فإنما مثل الحقد في القلب إذا لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً، فليس ينفك الحقد متطلعاً إلى العلل كما تبتغي النار الحطب، فإذا وجد علة استعر استعار النار » ( باب الملك والطائر فنزة )

أنظر إلى كلمة « المكنون » التي وصف بها الجمر، وكلمة « متطلعاً » التي وصف بها الحقد، وكلمة « تبتغي » في قوله « كما تبتغي النار الحطب » هل رأيت أبلغ منها في مثل هذه المواطن؟

ثم انظر إلى قوله في الحقد:

« فإذا وجد علة استعر استعار النار » ترى من جمال التعبير ما يرضيك في البيان، فإن الكلام كأن يمشي رويداً ثم اندفع كالتنور في الجملة الأخيرة، وكذلك كان الفنان في قصة المطوقة:

« فأجابها الجرذ من جحره: من أنت؟ قالت: أنا خليلتك المطوقة. فأقبل إليها الجرذ يسعى » فإن هذه الكلمات القصيرة المتتابعة « فأقبل » « إليها » « الجرذ » « يسعى » [illegible] الحركة السريعة المتعجلة وتؤدي المعنى خير أداء، وإن من البيان لسحراً

محمد صبيح

# في الطريق إلى يثرب

للأستاذ محمود الخفيف

طافت الذكرى [illegible] ... واسكبي [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... كل شيء [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] البلاء

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible] النخل
[illegible] ... [illegible]
[illegible] الأجيال [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible] الأنام
[illegible] ... في [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] الوفاء

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] السلامة
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible]

قال جند الله: يا قوم هنا [illegible] | [illegible] وبادي موقف
ورأى المحتبين ما أعجبه | فشكا البث وأبدى الحزنا
قال لا [illegible] | [illegible]

* * *

ورأى أحمد لا يخشى [illegible] | ولكن [illegible] الصدى
قال لا [illegible] | [illegible] الله [illegible]
[illegible] عليه [illegible] | ورأى الحزب بن [illegible]
[illegible] الشرك [illegible] | [illegible] موصدا

* * *

[illegible] | [illegible]
[illegible] | لا يرى إلا [illegible]
[illegible] إلا [illegible] | [illegible]

* * *

[illegible] الشرك [illegible] | [illegible] الشرك [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] الشرك [illegible] | [illegible]
إن أتى النصر من الله [illegible] | [illegible]

* * *

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

* * *

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible] الشرك [illegible]
[illegible] | [illegible]

* * *

[illegible] عبد الله [illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | إلى سبيل الله [illegible]

* * *

[illegible] في وحشة البيد [illegible] | [illegible]
[illegible] إلى [illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

* * *

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] الله الذي [illegible] | [illegible] للنفس [illegible]

* * *

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] إلى الله [illegible] | [illegible]

* * *

لم يكن [illegible] | [illegible]
[illegible] | في سبيل الله [illegible]
[illegible] | [illegible]

* * *

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] الأذى | [illegible]

* * *

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

* * *

[illegible] | [illegible] الوداع
[illegible] | [illegible] كل [illegible]
[illegible] | [illegible]

# الإسلام عدو الشرك والنفاق

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي

رأى المشرع الإسلامي، أن يقضى على مرحلة الجمع، والجمع مرّ وحيل صاحب الرسالة ومن أخطر العهود، أتيح عليه للشرع الإسلامي بايته مرة طاهراً خالصاً من أدران الشرك ومن دنس الاعتقاد الرجس أبقاه الإسلام، بعد أن أشرع عليه من جلال التوحيد، وأفاض عليه من معاني التقوى ما جعله مسكاً حلالاً بالخير

وأي شيء أقدر من شهود النافع وصرف شئون الأقطار الإسلامية، وشدّ أواصر المجتمع وإصلاح النفوس تخلق أسمى التصورات وأسلم القلوب وإبداع الكلمة!

ونحن نستطيع أن نبين كيف حقق الإسلام هدفه ليصبح ميداناً لإصلاح اجتماعي خطير! هذا الإصلاح هو: مواجهة المنافق والكشف عن المنافقين وعيوبهم في المجتمع ودسائسهم، ليهتدي من المؤمنين من يعمل للأمة خلاصها وصحح مصايرها.

* * *

أنزل الله على رسوله — صلى الله عليه وسلم — في ختام ما نزل من القرآن سورة «براءة»، أو السورة «الفاضحة» التي فضحت الشرك وكشفت عن المنافقين. أنزلها الله في السنة التاسعة من الهجرة في موسم الحج.

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم — من قبل ذلك — يعرف مجموعة من المشركين المنافقين يحضرون ويشكل جمعهم ... ثم كان يعرف — أيضاً — أن بين الكتابة بعض المنافقين تكاثروا بينهم ولا يكشف عن أسمائهم ولا يعين للمسلمين مقاتل ... ابتداء على الدعوة الإسلامية وهي في دور النمو والتكوين، حتى ... من أسوء تلك الحالة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه أن صاروا فريسة مكائد النفاق وهدفاً لمؤامرات المنافقين ودسائس المشركين على صفوف المؤمنين، ويحبسون خلالهم ينبوع الفتنة ومع هذا هم لا يمقتون الجماعة المحمدية

«يحلفون بالله إنهم لمنكم، وما هم منكم، ولكنهم قوم يفرقون»

وقد بلغ من خطر النفاق على المجتمع يومذاك — أن وقعت أزمة حربية صعبة للرسول — صلوات الله عليه — وأصحابه، مكنت سائر المنافقين، أرجفوا فيها بموت محمد عليه السلام، فثبطوا العزائم، وشككوا الفريقين، والمؤمنون في ساعة عصيبة يصمدون لخصمهم ويصلون على تقويمهم، والرسول عليه السلام ثابت في مكانه لا يريم

تلك الحوادث أثبتت من أنه لا يزال بين المجتمع الإسلامي — بل وسط جماعة المسلمين — شوب مطوي على الإحن يتربص بالإسلام وبالرسول الدوائر

وإنها لحال تنغص على المسلمين أمورهم، وتهدد كيانهم، وتقلق مضاجعهم

وقد كان من أمرهم ذات يوم أن وقف واحد من هؤلاء يعيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة الصدقات ويغمز العدالة المحمدية. هذا الرجل هو «ذو الخويصرة التميمي» رأس المنافقين، فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: اعدل يا محمد... ولا والله ما قصد ذو الخويصرة عدلاً ولا طلب حقاً ولكنه قصد إلى أن يشكك الناس في العدالة المحمدية، ويثير الأطماع، ويثير الإحن. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل!»

ولنستمع لهذا الموقف الرجل المؤمن حقاً عمر بن الخطاب، شهر سيفه فقال: يا رسول الله، ائذن لي فأضرب عنقه، فأمسك صلى الله عليه وسلم يهدّئ من نفس عمر، ويذهب عنه الغضب، ويقول: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

وتوالى في تلك الحادثة من السورة «الفاضحة» قول الله تعالى

«ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يُعطَوْا منها إذا هم يسخطون»

حتى النفاق – عدو الوفاء والأخلاق – يأكل في أجزاء من جسم المجتمع، ولولا حصن اليقين، ومناعة الجسم، لأودى النفاق بالدعوة الإسلامية.

* * *

إن لله مواقيت تختفي فيها أمور وتبدأ من عندها أمور، فلما أذن الله وافتضح سر النفاق، وشاء للمنافقين أن يشتهروا ويفتضحوا ويؤخذوا بسيماهم، ثم يعزلوا منبوذين مرذولين – عن جسم المجتمع المسلم، اختار – عز وجل – لذلك وقتاً علا فيه شأن الإسلام، وعلت به الكلمة، وأخذ المسلمون في أعدائهم أسراً وقتلاً واستيلاء وغلبة، فليس يصعب أن يبتروا الأعضاء الفاسدة العليلة.

وكانت حياة الجماعة المشتركة قد آذنت بالانتهاء، ولا بد من مباعدة مخادعيه ومراوغيه وعزله عن هذا الرجس، رجس النفاق الذي أخفى الحقائق.

عندئذ أنزل الله سبحانه وتعالى السورة «الفاضحة» كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه – لأنها تفضح النفاق، وتكشف عن المنافقين، وتصور أسرارهم وأقوالهم، وتطلع المؤمنين على مخازي نفوسهم، وتنشر المطويات من أسرارهم – وقد كانوا من قبل يحذرون ذلك ويخشونه.

«يحذر المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم» ولكن الله أوقع بهم، فكان ما يحذرون ووقع ما يرهبون.

* * *

اختار التشريع الإسلامي غزوة من غزوات المسلمين ليجعلها مظهراً أخيراً للمنافقين، وهي غزوة تبوك، آخر الغزوات في حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وكان الوقت صيفاً والقيظ شديداً، والسفر شاقاً والشقة بعيدة، والأعداء هم الروم الأقوياء الأشداء.

هنا أطل النفاق برأسه، وبحث في القلوب، وبعث التخاذل، وسحب القاعدين عن جيوش الإسلامية. فقال جماعة المنافقين وعلى رأسهم كبيرهم «عبد الله بن أبي»: «أيغزو محمد بني الأصفر (الروم) مع جهد الحال، وشدة الحر، والبلد النائي؟ أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر لعب ولهو؟ والله لكأني أنظر إلى أصحابه مُقرَّنين في الأصفاد»

ثم أخذ المنافقون يقولون: لا تنفروا في الحر «قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون»

وهكذا جعلوا يعتذرون عن الخروج ويأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبولها، حتى عاتبه القرآن في ذلك وعفا عنه «عفا الله عنك، لِمَ أذنتَ لهم حتى يتبيَّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين»

فرأيت السورة «الفاضحة» أو سورة «براءة» المنافقين، وعددت أوصافهم: فمنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن، ومنهم من يلمزك في الصدقات، ومنهم من عاهد الله ثم أخلف عهده، ومنهم، ومنهم ..

ثم خاطب الله رسوله عليه السلام خطاب الحاسم في شأنهم فقال: «سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون»

ولقد تكفل الله الشرك في تلك السورة سميت «المنكلة» وأنزل واحتقر المنافق ووصمه بأنه رجس، فافتضح النفاق.

وجاء صدر تلك السورة ناعياً على بقية الشرك، ورافعاً وصمه الخبيث من أنحاء الجزيرة العربية.

فقد احتجم إلى الشرك بآثام وأوزار وخبائث، لا بد من القضاء عليها تطهيراً للمجتمع وإصلاحاً للأمة.

* * *

وفي السنة التاسعة للهجرة أمّر النبي عليه السلام على الحج «أبا بكر» الصديق. فلما نزلت السورة – المنكلة الفاضحة – بعث صلى الله عليه وسلم ابن عمه علي بن أبي طالب على ناقته العضباء ليجهر في موسم الحج على الناس كافة صدر السورة البراءة، نبذاً إلى الشرك والمشركين، فلما دنا علي من أبي بكر سمع أبو بكر رغاء الناقة، فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما لحقه علي قال له أبو بكر: أمير أم مأمور؟ قال: مأمور.

فلما كان يوم الحج الأكبر – يوم النحر – عند جمرة العقبة قام علي فقال: «أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم» فقالوا: بماذا؟ فقرأ «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله، وأن الله مخزي الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم

الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » إلى آخر الآيات الثلاثين أو الأربعين من السورة

ثم قال : « أمرت بأربع ، ألا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة ، وأن يتم كل ذي عهد عهده »

وفي هذا الموطن الحاشد ، وبهذا البيان القاطع تقررت سياسة المجتمع ، وسياسة التوحيد ، وكما تقرر في أثناء السورة — إزاء المجتمع من حرب النفاق بإقصاء المنافقين وتحريم الصلاة عليهم أحياء أو ميتين

« ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره »

« يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين »

* * *

انتهى أمر النفاق ، وانتظم شأن المجتمع الإسلامي ، فلما كان العام التالي ، أراد صاحب الشريعة عليه السلام أن يحج ، ورأى ذلك إلى أقطار الجزيرة ، فأقبل الناس من كل حدب ، حتى بلغ عددهم مائة ألف أو يزيدون . وفي يوم الحج الأكبر ، خطب صاحب الشريعة خطبته الجامعة التي بين فيها أصول الدين ، وحقوق الإنسان ، وأعلى فيها المساواة ، وسوى فيها الدماء وبين الحدود ، وحشد فيها الفضائل الإسلامية

وزاد في جلال الموقف وروعته إشعار الحضور أن محمداً عليه السلام يودع المسلمين ويشرع انتقاله من عالم الفناء ، ويستشرف إلى الرفيق الأعلى

قال صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذي هو خير . أما بعد

أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري ، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا

أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

إن لنسائكم عليكم حقاً ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فإنما النساء عوان أخذتموهن بأمانة الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيراً

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب »

بهذه الخطبة الحافلة بأسمى المعاني الإنسانية ، تمت كلمة الله صدقاً وعدلاً ، واكتمل أمر الدين ، وأتم الله نعمته على المؤمنين ، وقد أنزل الله في أعقاب ذلك من سورة ( المائدة ) « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً »

أقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد ذلك عشرة أيام ، وأخذه نزاع الشوق وهو في موطنه الأول ( مكة ) إلى موطنه الثاني ، فلما دنا من المدينة ، سار إلى المدينة

ولما أشرف عليها ، ووقعت عليها عيناه ، كبر ثلاثاً وقال :

« لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده »

محمد عبد الرحمن الجديلي

## في خمارة الشرك!

# آلهة الكعبة يسجدون..

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[ أسطورة [illegible] حقيقة [illegible] الشاعر [illegible] من [illegible] للمشركين [illegible] بخمارة [illegible] من الآلهة [illegible] اللات والعزى ومناة [illegible] ]

[illegible]

سلام لأربعة يا صاحبي — وشيخكمُ [illegible]
وعيشكمُ في شعاب الخيالِ — [illegible] لأخيلتنا [illegible]
[illegible] في الأرض [illegible] — [illegible] روعةُ [illegible]
[illegible] النجوم — [illegible] راعيه

وتلقى الزمان على [illegible] — [illegible]
[illegible] الأعياد — [illegible]
[illegible] الذي [illegible] — [illegible]
[illegible] عن الوحي — [illegible]
[illegible] وأحلامهم — [illegible]
أولئك من [illegible] — [illegible]
ومن [illegible] — [illegible]

[illegible]

[illegible] — [illegible]
إنه محمد [illegible] — [illegible] المدح [illegible]
[illegible] — على [illegible]
[illegible] — [illegible]

[illegible]

[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]

( [illegible] )

وما [illegible] — [illegible] على الأرض [illegible]
[illegible] !

[illegible]

[illegible] عظيم — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] البيد [illegible] — [illegible]

( [illegible] )

[illegible]

كم دست أقدامنا [illegible] ... من الصخر [illegible] العدم؟
تعلو باسمة [illegible] ... والقرية [illegible] نهاوي النغم
سكنا الحضيض [illegible] ... وبات [illegible] في القمم
تدرج الجبال [illegible] ... [illegible] فوق الأكم
أسد الشرى من [illegible] ... يضحك [illegible] القمم
وعند [illegible] ... [illegible] الأطم
وعند الشمس [illegible] ... [illegible] ونعم
[illegible] ... [illegible]
وعند [illegible] ... [illegible]
وعند الشهب [illegible] ... أشارت [illegible] القمم
[illegible] ... وذبر الشهداء [illegible]
[illegible] ... [illegible] الصخر [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... وتجري [illegible] النغم
[illegible] ... [illegible]
كفانا [illegible] !

الأب :

كفانا [illegible]

[illegible]

أخرج [illegible]
يحنو [illegible] ... ويجري [illegible] !
[illegible]

القرى :

[illegible] ... [illegible] !

[illegible]

الأب :

[illegible] ... والنجم في الأسمر [illegible]
على الأرض [illegible] ... [illegible]
[illegible] الشمس ... [illegible]
[illegible] ... على [illegible]
[illegible] ... [illegible] بدونا
[illegible] ؟

القرى :

شعاع الضحى ... [illegible] في البيد [illegible]

[illegible]

هو النجم [illegible]

الأب :

[illegible] ... [illegible] !
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... على الأرض [illegible]
هو النور [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

*

[illegible] ... [illegible] الأرض [illegible]

( [illegible] )

( [illegible] ) — [illegible]

# من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

# الحقيقة المؤمنة

للأستاذ محمود محمد شاكر

---

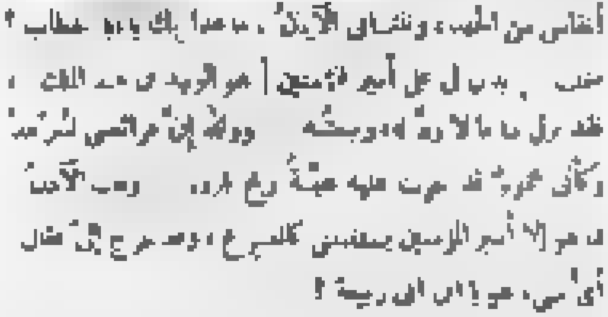

قال عمر بن أبي ربيعة :

[illegible] بكاءً [illegible] من شدة [illegible] أكبر من [illegible] وهم تحت أهدب الكبر [illegible] روضة قصر أمير المؤمنين حتى غطت أنفاس من اللهب ، ونشاق الأرين ، ما عدا بك يا أبا الخطاب ؟ [illegible] على أمير المؤمنين [ هو الوليد بن عبد الملك ] فقد نزل به ما لا [illegible] ووالله إني [illegible] وكأن [illegible] قد جرت عليه [illegible] ريح [illegible] الأحبة [illegible] أمير المؤمنين [illegible] أي [illegible] يا ابن أبي ربيعة ؟

[illegible] والله ما أدري يا أمير المؤمنين ، [illegible] كان [illegible] عروة بن الزبير [illegible] وما أدركته إلا وقد [illegible] وجهه [illegible] أسلافه !

وكأنما [illegible] الروح [illegible] أمير المؤمنين [illegible] على رأسي [illegible] إلى [illegible] أمير المؤمنين ابن أخي [illegible]

قلت [illegible] أنا ومحمد بن عروة [illegible] من قصر أمير المؤمنين ، [illegible] أشبك [illegible] . فنظر محمد إلى مرآة [illegible] في البيت ، ثم قال : أتذكر يا أبا الخطاب [illegible] ؟ فقد [illegible] كبرت [illegible] فقال [illegible] الشيخ ، لقد كبرت [illegible] يا أبا الخطاب [illegible] كان [illegible] [illegible] يا أبا [illegible] ؟ فقال [illegible] أبا الخطاب [illegible] [illegible] أن [illegible] فقلت له : بل [illegible] يا أبا [illegible] ! ولكن [illegible] الجمال [illegible] حيث كان ، ثم [illegible] إليّ ، [illegible] أي [illegible] وقد استقر وجهه [illegible] والله يا أبا الخطاب

[illegible] وتناقلنا الحديث وإذا هو [illegible] كأنما [illegible] عليه [illegible] يا محمد ؟ [illegible] والله يا أمير المؤمنين [illegible] كأنما [illegible] ، ثم قال : [illegible] الجمال الذي [illegible] يا أبا الخطاب ، [illegible] أن يكون [illegible] [illegible] إلا [illegible] من جمجمة [illegible] لقد [illegible] والله يا أمير المؤمنين حتى [illegible] [illegible] أن أسرع [illegible] أن يكون [illegible] قد أوقد [illegible] [ يعني هو ومحمد ] إلى [illegible] [illegible] ثم [illegible] إلى [illegible] إلا [illegible] رحمه الله [illegible]

قال أمير المؤمنين : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فكيف [illegible] يا ابن أبي ربيعة ؟ [illegible]

---

(١) كان [illegible] محمد بن عروة [illegible]

صبر أصبحت يا أمير المؤمنين وقد ذهب القدر بما عظم له ! فقال
أصبحت أنت يا عمر ، عجب وسار الركب ، هذا أبوه أبو عبد الله
شيخ كبير ويوشك أن يصاب في نفسه ! قلت : يا أمير المؤمنين ،
هذا مصابه في ابنه ، ثم مصابه في نفسه إلا أن يكون الصبر
[illegible] ؟ وما أحتال له . قال أمير المؤمنين : مهلاً يا عمر ، فقد
علمت أن أبا عبد الله [ عروة بن الزبير بن العوام ] كان قد اشتكى
رجله وما زال يشتكي ، حتى هذه الساعة جالس قد دخل عليه
« أبو الحكم » الطبيب النصراني ، فاستأذن أبو عبد الله أن يدع
« أبا الحكم » حتى يرى ما به ، فما راعنا إلا « أبو الحكم »
يخرج إلينا الآكلة ، وأنها قد ارتفعت تريد الركبة ، وأنها إذا
بلغت الركبة أفسدت عليه جسده كله فقتلته ، ولا بد من أن تقطع
رجله الساعة حتى لا تمتد الآكلة إلى حيث لا ينفع القطع ولا الطب

فرجع والله لهذا البلاء ، وقد انعطف به القدر على شيخ
مثل أبي عبد الله في إدبار من العمر ، وأخذ أمير المؤمنين يبكي
وقام فدخلت مجلس الخلافة وإذا وجوه الناس قد حضروا إلى
عروة أبي عبد الله يواسونه ويصبرونه ويذكرونه بقدر الله
خيره وشره ؛ وإذا منهم سليمان بن عبد الملك أخو أمير المؤمنين ،
وعمر بن عبد العزيز ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن عبد الله
ابن عمر بن الخطاب ، وقد حضره ولده هشام خارج [illegible]
لما به من الحزن على أخيه والرحمة لأبيه . وأقبل أمير المؤمنين
وأنا معه على عروة ، فصرف الناس إلى مجالسهم ، وإذا عروة
كأن ليس به شيء ، وجهه كأنه فلقة قمر وهو يضحك
ويقول : [illegible] يا أمير المؤمنين لن يضيع من صبره عند
[illegible] ، فقد حدثتني أسماء أن أبا بكر قال : يا رسول الله كيف
الصلاح بعد هذه الآية : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب
من يعمل سوءاً يجز به » ؟ وكل سوء عملناه جزينا به ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست
تمرض ؟ ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟
قال : بلى يا رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : فهو ما تجزون به ،
[illegible] يا أمير المؤمنين أي عجب [illegible]
[illegible]

قال أمير المؤمنين : غفر الله لك ، غفر الله لك ، وما أعجب
لصبرك ؟ فإنك ابن أسماء بنت أبي بكر الصديق « ذات النطاقين »
وأبوك حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته الزبير

ابن العوام ، [illegible]

[illegible] حتى أقبل أبو الحكم ، وهو شيخ [illegible] طويل
[illegible] مشبوح العظام [illegible]
[illegible]
[illegible] ودخل أبو الحكم [illegible]
يديه ، حتى وقف على عروة بن الزبير فقال : لا بد مما ليس منه
بد ، [illegible] والله لأرحمك وأخشى أن يمنع منك
[illegible] ، فما أرى لك إلا أن تسقيك الخمر حتى لا تجد من ألم القطع
قال عروة : أبعدك الله من شيخ ! ويحك والله [illegible]
ما [illegible] أن يرينا الله [illegible] على ما يرجو من عافيته !
قال أبو الحكم : فسقيك المرقد يا أبا عبد الله . قال عروة :
ما أحب أن أسلب عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك
فأحتسبه عند الله .

قال أبو الحكم : [illegible] يا أبا عبد الله ! [illegible]
[illegible] ثم التفت [ أبو الحكم ] إلى رجال [illegible]
[illegible] فقال : أمسكوا [illegible] فأخذتهم عين
عروة ، فأنكرهم فقال : ما هؤلاء ؟ فقال أبو الحكم : يمسكونك ،
فإن الألم ربما عزب معه الصبر ؛ قال عروة : أما [illegible] أيها الشيخ
[illegible] ، [illegible] ، وإني لأرجو أن أكفيكم
ذلك من نفسي ، ولا والله ما يسرني أن هذا الحائط وقاني أذاه
[illegible] أبا الحكم ، [illegible]
« إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ،
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ،
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك
لا تخلف الميعاد » .

ورأيت أبا الحكم [illegible] كأنما [illegible]
ثم [illegible] وأخرج مشرطاً دقيقاً [illegible]
[illegible] وعروة [illegible]
[illegible] وهو يقول : بسم الله والحمد لله وسبحان الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . [illegible] فقد احتسبها لله

[illegible] والله أحداً في [illegible] إلا [illegible]
في [illegible]

ينظر إليهما بوادٍ ، وكأنه سنقرٌ قد جاء إلى الأرض يستقبل آلامها بروح من السماء . ووضع أبو الحكم مبضعه في اللحم إلى العظم ، وإن عروة لصائم يومه ذلك ، فما تغير وجهه ولا تحرك ، والمنشار يأكل في عظمه كأنه لا يحس ، وما يزيد على أن يهلل ويكبر ويسبح لله ، وكأن النار ولهب المشاعل شعاع جنته يكتنفه من تهليله وتكبيره ؛ ودخل رجال يحملون مغارف من حديد يفور منها ريح الزيت وقد غلا فيها على النار ، وما هو إلا أن فرغ أبو الحكم وقد أتم عمله ونحى رجل المريض ، فأخذ أبو الحكم يغمسها في الزيت ويمسح فيشخب منه حتى حسم الدم وإذا عروة قد غُشي عليه ، وإذا وجهه قد صار من الألم ، وقد عرق فمسح وجهه بالعرق ، وبكت بنو مروان جميعاً كأنه عمارة تحت الحديد . قال أبو الحكم : ما رأيت كاليوم يا أمير المؤمنين إنه الرجل ، وإن العصبة الملتزمة ، وإن رجاله يحوطونه ويحمله ويمسكه ويمنعه منه عزم ؛ ثم ذهب إلى عروة يقول : مرحباً يا أبا عبد الله ، لأنت والله . . . الصبر في إهاب رجل

وما انتهى ، حتى إذا أفاق أبو عبد الله جعل يقول : لا إله إلا الله والحمد لله ويمسح عن وجهه الغموم والعرق بكفيه ، وينظر عروة نفسه في يد رجل يوم أن يخرج بها قبلاته . قال : ما أيها الرجل ، أين ما تعمل ؟ فأخذ قدمه في يده ينظر إليها وهو ساكن ويحرك شفتيه ، ثم يقلبها في يده ، ثم يقول لها : أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ولا معصية ، فاللهم فيه أحتسب ما قال ، ثم سيغفر لي أحتسب عندك واحداً مطلقاً إنك أنت الغفور الرحيم . . . ثم أسلمها ووجهه بالإيمان والصبر من مثل الدرة في شعاع الشمس

قال أمير المؤمنين : عظم الله لك يا أبا عبد الله ، وإن في الناس لمن هو أعظم بلاء منك ، يا عمر [ يريد عمر بن عبد العزيز ] ، هذا الرجل من أخوالك [ حي من بني عبس ] فيقبل عمر وبعث رجلاً ضريراً محطوم الوجه لا يُرى إلا دمامته ، فيقول له أمير المؤمنين : حدِّث أبا عبد الله بخبرك يا أبا . . . ، فيذهب الرجل إلى عروة ويُقبل عليه فيقول : أي الأمير ، قد والله هبطت البلاد ، يا قلبه المدينة وإلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إني والله حدثتك عن تجربتي منذ أن رأيتك فقد بت ليلة في بطن واد ، ولا أعلم عبساً في الأرض يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل جارف كأنه الطوفان ، فذهب بين يديه

مرحاً كالطفل ، فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبياً مولوداً وبعيراً صعباً ، فند البعير والصبي معي فوضعته وانبعثت البعير أطلبه ، فما جاوزت إلا قليلاً حتى رأيت الذئب في بطنه قد جمعها بأنيابه فتشمل ، فأسرعت أشتاق إلى البعير لمرح ، فركضني وجهه إلى الأرض ، فكسرت وأشرف الموت في الأرض عما رأيت ، ولذلك ذكرت الله واستعنته ولطيفُ المنير تركته الله واتبعت البعير ، فحسبت أحد بعينه يشد أحركته ، فرفس رفسة حطم بها وجهي وأذهب عيني ، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر ، وإني حمدت الله إليك يا أبا عبد الله ، فصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . قال عروة : قد أحسن الله عليك يا أبا . . . ، وإن لأرجو لك الجنة

قال عمر بن أبي ربيعة : وألاح إلى أمير المؤمنين أن أقبل ، فدعوت إليه فأسر إليّ : إن أردت الحيلة فقد أمكنتك ، فاذهب إلى أبي عبد الله فادنُ إليه وأرهبه بالموكب ، فقلت : هو والله الرأي يا أمير المؤمنين ، ثم مضيت إلى عروة وقد غشي عينيه البكاء

فلما قربت منه قلت : مرحباً يا أبا عبد الله ، قال عروة : ثم تعرفني يا أبا الخطاب ! إن كنت تعزيني برجل فقد احتسبتها عند الله رضي الله عنك ، وإن أبي ولّى بل أعزّيك ! . . . فضحك وعلمت والله أنه ما علمت إلا خيراً ، ورأيت في وجهه الشر ثم هداه فقال : ما لك يا أبا الخطاب ؟ فجلست إليه ومضى الناس حوالينا ويكشفونا ، وأحسست أحدثه شأنه ، ووالله ما يزيد على أن يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فلم يرجع من حديثه ما زاد على أن قال :

وكنت إذا الأيام أحدثن هالكاً أقول شوى ما لم يصبن صميمي

ثم رفع وجهه إلى السماء وقد غلبت عينه ثم قال : اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة ، فلك الحمد على ما أخذت وما أبقيت ؛ اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، وايم الله لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لطالما عافيت ، فسبحانك ربنا وإليك المصير . قوموا إلى جهاز أخيكم رحمكم الله ، وانظروا لا تكونوا عليه نائحة ولا صارخة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة ، وأمرنا بالصبر فالصبر ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي

# خواطر ألهمنيها ذكرى الهجرة

للأستاذ عبد العزيز البشري

ليس لما تعرب عنه القلمُ اليوم عند ما يستقبل لحني حدوده ، ونأت طرفه ، واستحصت مسالكه ومستشرفه مستحابه ، تتأخره إلى من إلا خواطر تعبر بها ذكرى الهجرة الشريفة من خواطرُ تجول في النفس كما تجول ... ( ... ) في جوبة الأسهر مثلاً . على أنها ... بحكم ... ، ويحكم أسعف المناسبات ، وأعن الأسباب

ومن ... في النفس من ... في أن ما يتحدث ... ، بل ما يكله ب... كل ... ، هذا أن أولئك العرب إلى آخر ... ، وما صاروا إليه بعد إسلامهم بيسير من الزمان

لقد كانوا في جاهليتهم ، قوماً ... جهالاً ، لم ...

---

صبياً له فقال لها : اتقي الله واصبري . فقالت : وما تبالي بمصيبتي . فلما ذهب قيل لها : إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذها مثل الموت ، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنما الصبر عند أول الصدمة

وجزاك الله خيراً عن وطني وأهلي يا أمير المؤمنين ، « فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ؛ وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم »

محمود محمد شاكر

على ... ، ولم يجدوا ... إلا من ... في قيام الأمم إذا أمسى إلا ...

لقد كانوا ... حقاً لا ... إلى ... ولا تحدُّ ... إلى شيء ، ... وراء ... يسكنون ؟ حتى لو اضطروا ما يحدوهم من ... التي أحدثت ... من الحضارة ، بحكم الحضارة وعوامل ... ، ... أنهم لم ... عن ... أن ... ، ... أنكرهم ، ... الأسماع ... ، ... لا ... الأسماع ... في الصدور ... المنظم

على أنهم لم يلبثوا في الإسلام إلا صدراً يسيراً من الزمن حتى حذقوا علوم من سبقوهم إلى الحضارة وفنونهم ، بل ... ما ... ... وجود ...

ولا ... ، في هذا المقام ، أن يعجب من للفكر أن ما نقل العرب من علوم غيرهم وفنونهم قد طبعوه أولاً بطابع الفكر العربي ، وسوّروه حتى صبّ في مسابح الذوق العربي أيضاً ، وهذا فوق ما ... في آفاق هذه العلوم والفنون ، ... من ... التي ذهبت بها إلى أبعد الغايات

وأنت خبير بأنه إنما يمتنع العجب في أمثال هذه الغرائب عن غفلة الذهن عن وصل الأسباب بالمسببات . وهنا يقال : إذا عرف السبب ، بطل العجب

... أن العرب على ما كان فيه ... من الجفاء والانصراف عن إعمال الفكر في شيء من دواعي الحضارة إلى ... أو ... إليه أسبابها — الحق أنه — مع هذا — ... ، سليم الطبع ، مستقيم الفطرة . فلما جاء الإسلام وهو دين الفطرة ، ... ، ... فكره ، وأجل ما كان ... ... ... أن ... ، لأمر النظر ... حل ... في ... ، ... إلى ... من كل سبيل !

ولقد كان من ... على ... العرب ... في الإسلام ، أن ... أيام ... ، وأول ما ... ... ، هو هذا ... علماً ... ... ... من ... في جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

طريق الرواية من الثقات من التابعين أو تابعيهم ، ثم من الصحابة دائراً صعوداً إلى من سمع منهم بأذنه أو رأى بعينه (عمل النبي (ص) وإقراره كذلك من السنة)

ولقد أفنى جمهور المحدثين أعمارهم في خدمة التحري والتمحيص والتثبت والتأكيد ، والتمييز بين صحاح الأحاديث وموضوعاتها بل التمييز بين الصحاح ، وتبيين حظ كل منها من القوة طرقاً وحظ رواتها من الثقة والتزيد … ثم كان من أثر هذا أن نشأ علم جديد هو علم (مصطلح الحديث) … ومنه كان من الخير أن يدعى علم (نقد الحديث)

ومن الحق … أنه اجتهد أيما اجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية من هذه الأصول الأربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، موفقين جميعاً بسلامة الفطرة ، وصحة الملكة ، وصحة التفكير ، ودقة الإحساس ، حتى لقد اخترعوا … في هذا السبيل قواعد وقضايا تمتاز باختصارها ووضوحها ودقتها … الشرعيين والأصوليين … يسيرة منها في جهة التمثيل : الضرورة تقدر بقدرها — الأصل بقاء ما كان على ما كان — إن كنت ناقلا فالصحة ، وإن كنت مدعياً فالدليل — … على أصله لا يسأل عن علته — لا اجتهاد مع النص — الاعتراف حجة قاصرة — البينة دليل … المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً — ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب … الخ

ولعمري لم يكن كل هذا الإبداع والابتكار أثراً من دروس أو تقليد الفكر في كتاب مكتوب ؛ إن هو إلا نتاج مباشر لسلامة الفطرة وحدة الذكاء ، وصحة التفكير

وإذا كان علماء العرب قد نقلوا بعد ذلك علم المنطق إلى لغتهم من اليونانية فإنهم سرعان ما أجالوا في مسائله عقولهم الأريبة الحادة وأرادوا عليها تلك الأفكار الخصبة ، فاستدركوا ما استدركوا ، واستحدثوا ما شاء الله أن يستحدثوا ، حتى لقد أرادوا هذا العلم على التحرر من القيود إلى حرية التفكير ، وابتغاء النتائج الحق من خلال المقدمات

ثم لم يكفهم هذا ، فلقد نقلوا عن اليونانية أيضاً علم (آداب البحث والمناظرة) ، وغاية هذا العلم تنظيم وسائل المجادلة بين المتحاورين ، وإلزام كل من الطرفين حدود المقام ، وبيان الطرق للإدلاء بحجته ، أو إدحاض حجة خصمه ، وكذلك … الفطرة … فظهر … على … أو واضحة غير مسلّمة بين … أو … على أن العرب كذلك قد طبعوه بطابعهم ، وأشاعوا فيه من … تفكيرهم ، وروح … وأجروا فيه الأمثلة والشواهد مما يعرض لهم في … من العلوم

أما وقد عرضنا لخلاصة النشأة للمنطق ولآداب البحث والمناظرة فقد حق علينا أن نقف وقفة قصيرة … القارئ معنى الترجمة

لا … إذا زعمت أن … أول نشأة … من المناقشات والمجادلات … على التصريح ، سواء أكانت باللسان في المجالس … أم … في الصحف السيارة ، لا يمكن أن تخلو التسليم من أحد … ذلك بأنا … التفكير من مقتضياته … ترتيب المقدمات للعملية الترتيب التي ينتهي بها … صحيح القياس إلى النتائج الصحيحة … أن تنكر … أما … موضوع النزاع … حسب

ومعنا الآن من المجادلات العلمية أو الفقهية ، … ألوان الحوار التي تجرى كل ساعة بين الأصدقاء وغير الأصدقاء

يقول لك فلان : إن فلاناً صنع كيت وكيت مما … ويروعك … أو … فلو … فيما … ( … ) كان الأصل أن … إلى … الأفعال أو الأقوال ، وعلى المنكر أن يقيم هو الدليل على العكس ، أي العدم أو استحالة الوقوع ، ناسين أبسط القضايا وأوضحها : (البينة على من ادعى) !

ويقول لك آخر : إن فلاناً ارتكب كذا وكذا من … فإذا أنكرت منه هذا القول قال : بل … فلاناً أنه يقيم البينة عليك … كيف وأنا أنكر منه … ؟! وقد … أن الاعتراف حجة قاصرة على المعترف … أدرك … دعوى تحتاج إلى الدليل

ولقد يروى لي ببساطة ، ما انتهى إليه من خبر غريب إحدى الصحف ، أو حدث به في المجلس من أن فلاناً أنهم في كذا ؟ فيبادرك رجل من عرفت علماً ! حسبتك مبسوط من كسبه ! . . . ويرى أن الخبر قد انطوى على الفتن الأسبقية ، اللهم إلا أن يكون فاسد الضمير تاجر النية . . .

وما يضحكك ويبكي مثل موضوعات النزاع ، إما مراراً من أروام ملحمية أو طلباً للنكبة والأذية أو جهلاً وعدم حياء

وكم أكرر عروضاً واسعاً ما وقع لي في عهد تحتّب على جهة الشيل أيضاً . . . ولم يكن ثمة موضع نزاع ، بل كان هناك سؤال استعمال في غير موجب إلى نزاع .

من بضعة أيام طلبت عيادة طبيب الأسنان ليخلع ضرساً أخ من أهله ، وورد له سعل — وبها أذى من غرفة الانتظار وبها بعض الطبيب من علاج من تقدم ، إذا رجل حسن الصحب ، أنيق البزة . . . ربطاً بالتحية ، فأردها بأحسن منها — وما يكاد يأخذ على مقعده حتى يبادر بحديث كحديثنا عن المصريين إلا من عرف ومن لا يعرف ، فأبدى الطبيب على مدى ، في الأسباب التحمد طفناً ، ومن حديثه أدركت أنه رجل متحصر مثقافة مهوّق اللسان ؟ ثم إذا هو يفاجئني بعد السؤال . . . حضرتك من أهل الريف ؟ فأجبته من فورى لا يا سيدي ، فأنا مولود في القاهرة ، وما زلت موطن إلى الآن . . . مرة عل في لوه متهمة . . . الله ، فيه الفيشة في تريف وحتة ؟ ! ! »

قد ذكرتك أري ، وبهت أبرى ، ومرجع هذا إلى قاري مؤرأ جميع الحسن وضريبة في هذا اللون من الطول ؟

أيضن ، أنه كان عليّ أن أحلف من أن أحلف ، وأن أولد قبل أن أولد ؟ حتى إذا جف سن الحفر في النشأة الأولى ، كان على الشعر أن يجري الولادة في الريف والحضر ، فأختبر أول الأمرين ثم أتحضر في الأخير ، ثم أبحث في الريف من جديد ، وإلا كنتُ اسماً . . . بحسب القوم وعائب .

وبعد هذه الرقعة الرائعة لو الكتبة المثنيه ، يجمع سياقة أعطيت على اسم الله .

لقد افترض حماة الشيعيين في الإسلام بعلوم الدين ، بعناية

غيرهم علوم اللسان ، من نحو وصرف وأدب وغيرها وذلك لأنها الوسيلة إلى فهم كتاب الله .

وفي أغلب هذا أول الأمر ، في أثنائه ، اضطر بهم كرو العرب إلى المنطق ، على أنه مما ينظم الفكر ويبسر الطرق لاستنباط الأحكام الشرعية على الوجه الصحيح ، ثم اعتبروا كذلك إلى فن فو من البحث والمناظرة على ما تقدم به الكلام

لم يمنع باشتغال مفكري العرب بهذا وغيرها وذلك من أن يلتفتوا إلى علوم الدنيا من رياضة وهندسة وطب وفلك وغيرها مبرهنين ما جدوا وما وجدوا ، ومبرهنين ما أجملوا ووضعوا ، وما ابتكروا وما ضموا . . . ولم يستطع من الزمن غير يسير بالإضافة إلى أعمار الأمم ، حتى صارت هذه العلوم اليوم وكانت تنطق معظمها بفضلهم ، فأسبغوا عليهم التصحيح فيها والمصدقين عليها بين أمم الأرض جميعاً . . . وكذلك أنشأوا أجل حضارة وأزكاها في هذا العالم

فإذا ما عظمت هذه النهضة في مثل ذلك الزمن ، فإن ما يجمع حينئذ العجب أنه قد لاءمت تلك الفطرة العربية ودين الفطرة

وين صاحب الفطرة . . . عبد العزيز البشري

ديوان المباحث الدولية

بمعرفة مع جميع الأدباء تقدم

# ديوان الصـــبـح ماجيان

إذا كنت أديباً ، فابعث بعنوانك إلى حافظ للك

عليك جرجس جميل ، ديوان الشباب الدولية بالمنيا

يصلك الديوان مع تحية النبي للسكين الرامي جرساً ؟

وهو تحفة فنية قيمة في كتاب أنيق مطبوع على ورق فاخر ، يحوي خمسة أبواب تحتضن طوائف من الطرائف ، وبدائع من روائع الشعر الوجداني للعرب

أرفق بالطلب ٣ ، طوابع البوستة — في الطريق على وسف الشحن . . . أما أصحاب الأندية المشتركة من معلمي المدارس فالنسخ اليوم

# مناجاة الهلال

للأستاذ محمود غنيم

ماذا وراءك ، مرحباً بك جئتنا ؟ | حياك رب الكون في القوم عاما
إن أخر عون بعد هلالك أسعدا | [illegible] شعوب [illegible]
وبه الشريعة عابسٌ متجهمٌ | فاجعل هلالك ثغره البسّاما
حنق على الدنيا وكفكف دمعها | وانشر عليها محبة وسلاما

● ● ●

ما بال طرفك يا هلال معوّجا | أحنتك هيفاء السنين جساما ؟
أصبحت تطوي الكون [illegible] | [illegible] وكسب علاما ؟
مالي وجدتك شاحباً يا ابن الدجى | أضنيت مثلي في الملاح غراما ؟
أم بت تخشى [illegible] | أين السماء فتلحق الأجراما ؟
في الجو طير كالحمام [illegible] | [illegible] بين طير كان حماما
فاحذر [illegible] | وجو عطر يا هلال سهاما
والنجم حولك في البحار [illegible] | [illegible] ألا نغرب الآثاما

● ● ●

السائر الثاوي سر [illegible] | [illegible] عنه تاه
هل تم أمراضي وتم [illegible] | تجري [illegible] وتجري الكتب ؟
أهلاً خلقت مثله مثلي كما | تقضي الحياة [illegible]
يحوك مسكوناً ، ويبث بقع | إن كنت [illegible]
حولك مسكوناً كأنس بينها | كأس عليه أعجبت [illegible]

● ● ●

قاد الهلال [illegible] | هدم [illegible] ودعاها
[illegible] في عصر الصبا لم أجد | إلا [illegible] تشبه الآلام
أم تستبيح بهم أفواه ، كما | كأس [illegible] الأحلام
كم أتى إليه بعد الفرد [illegible] | [illegible] في الظلام [illegible]
[illegible] ومن الفرد ليس [illegible] | هيهات ما حلم الفؤاد حواها

● ● ●

قل يا هلال الام تسري في الدجى ؟ | يا ابن السبيل أما نويت مقاما
[illegible] | [illegible] علام تسوقه والآما ؟
حتام تدلج في الظلام كسارق | يخشى الرقيب ويتقي اللواما ؟
أتبيت في جنح الظلام موكلا | بالكون [illegible] هو نام ؟
[illegible] | ماذا [illegible] الأيام ؟
[illegible] | [illegible] الحياة [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

● ● ●

يا ابن الدجى حدثنا [illegible] | [illegible] القديم [illegible]
شهدت مجد الشرق في [illegible] | [illegible] كان الوجود ظلاما ؟
أشهدت [illegible] | [illegible] والأصناما ؟
أشهدت عيسى والكليم كليهما | [illegible] الوحي والإلهاما ؟
أشهدت أحمد يوم هاجر [illegible] | يطوي الصحارى [illegible] الإسلاما ؟
[illegible] في اليمين [illegible] | [illegible] الشمال [illegible]
[illegible] | [illegible]
كانت [illegible] | [illegible] الأفكار والأفهاما
[illegible] الملوك [illegible] | [illegible]

● ● ●

# نشيد العام الهجري

للأستاذ علي الطنطاوي

سلوا عنا رمال الجزيرة ، وجنات الشام ، وسهول العراق

سلوا روح الشرق ، وجاهل الترك ، وسهول القفقاس

سلوا بطاح إفريقية ، وجنات الأندلس ، ومساكن الإفرنج

سلوا معاقل الكنيسة ، ومعاقل الملوك ، وأطراف الشعوب

سلوا عنا كل أرض في الأرض ، سلوها عن حمر من بطولاتنا ومعجزات ، ومفاخر أمجادنا ، وأعلام منها وكرام

نحن « المسلمين »

* * *

نحن « المسلمين » . هل روى ماضي التاريخ إلا مآثرنا ؟

هل رأت جنات البطولة إلا أمجادنا وشهدت ؟

هل عرفت الدنيا أنبل منا أو أكرم ، أو أرأف بالمظلوم ، أو أجل أو أعظم ، أو أرق أو أسمى ؟

نحن « المسلمين » لنا في كل أرض شهيد قضى في سبيل الإسلام والسلام والإيمان والأمان ، وتحت كل سماء روض لنا عز ، ولنا فيها حكم ، فكان الحكم للسعد العادل ، وكان الفتح الظاهر الغلاب

* * *

نحن بنينا الكوفة والبصرة والقاهرة وبغداد

نحن أنشأنا حضارة الشام والعراق والأندلس

نحن شيدنا بيت الحكمة ، والمدرسة النظامية ، وجامعة قرطبة ، والجامع الأزهر

نحن علمنا أهل الأرض ، وكنا الأساتذة وكانوا التلاميذ

نحن « المسلمين »

منا أبو بكر وعمر وعمر الدين وصلاح الدين ، منا خالد وطارق

---

صحب في زمان ... أشد ... وصدقهم

... كيف ... الشعوب وساسها

صحب ... فاد الإسلام إذ

... ... ...

ما كان عنه للمسلمين أشد من

سكينة الإيمان في ساح الوغى

... ... ...

واذكر لنا بغداد كيف بها

واذكر لنا عهد الرشيد وكبره

وأعد على أذني حديث « طارق »

أشهدت ... سلالة ... ،

... هذا الشعب كيف وحده

حفظ من الإسلام ... عهد

عهد إلى أن جار الزمان عليه

بالأرض بعد كانوا ... حكامه

من كان يرعى الشاء والأغنام ؟

... ... ...

... ... ... الأعلام ؟

... ... ولا ...

ربط القلوب وثبت الأقدام

... ... ... لنا ...

تجري النجوم وتخضع الأعلام

... ... في ... ،

« البحر ... » ... ، ...

في الفرس ... حضارة ... ؟

... إذ كان ... ؟

... ... ... أعلام

خصص الزمان ... ...

ما كان ... ... لأهله

... ... ... ... ...

* * *

يا ابن ... لا ... ...

... العروبة ... ...

... الأقوام في ...

... ... ... ...

... ... على

وترى ... ...

وترى ... لا ... هم

فاذهب ... ...

... هم منا السلام مع الأسى

لا ... مصر و...

« الإسكندرية »

قد ... ... الأوطان

... ... الأقوام

... عليهم ... الأعلام

... ... ... آلام

... وترى ... ...

... وترى ... ...

... ... ... و...

... الأقارب ... والأرحام

لا ... ... ...

... ... الأعلاما

... ...

... ...

والقتيبة وابن القاسم ، منا أبو حنيفة والشافعي ، منا البخاري وابن حنبل ، منا الغزالي وابن رشد ، منا ابن سينا والرازي والفارابي والبيروني ، منا الخليل والجاحظ وأبو حيان ، منا أبو تمام والبحتري والمتنبي والمعري ، منا إسحاق الموصلي وزرياب ... لقد أنجبنا خلفاء وقواداً ، ومحدثين وفقهاء ، ورياضيين وأطباء ، ومؤرخين وكتاباً وشعراء وموسيقيين — لقد أنجبنا مائة ألف عظيم ومعظم ... نحن « المسلمين » !

* * *

مفاخرنا منشورة مائة إلى الأبد ، وألف حسناته ، ثم لا تحصى أعدادها ولا تفنى ، لأنها لا تحد ولا تحصى

من يعدّ معاركنا الظافرة التي خضناها ؟ من يحصي مآثرنا في العلم والفن ؟ من يستقري نابغينا وأبطالنا ... إلا الذي يعد نجوم السماء ، ويحصي حصى البطحاء ، ويستقري رمال الصحراء

اكتبوا ( على هامش العصور ) ألف كتاب ، و ( على هامش التاريخ ) مثلها ، وأنفقوا ما شئتم في سيرة كل عظيم ، ثم سموا السيرة وسموا التاريخ كالأرض الغبراء والنجم الكثر !

* * *

نحن « المسلمين »

هل عرفت الدنيا البشرية الصحيحة إلا بنا ؟ هل جرب المفكرون عصراً مشرقاً — إلا عصرنا — قام على الأخلاق والصدق والإيثار ؟ جمع بين واقع الحياة وبين أحلام الفلاسفة وآمال الصالحين ، عرباً وأعاجم ... ما استطاعها بعد ... إلا في صدر الإسلام ، يوم كان الواحد منا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويؤثره عليه ولو كان به خصاصة . وكانوا أطهاراً في أجسادهم وأرواحهم وعقولهم ومنامهم ، وكانوا لا يأتون أمراً ولا يدعونه ، ولا يقومون ولا يقعدون ، ولا يحبون ولا يبغضون إلا لله . فدانت لهم الشعوب من حولهم ، فكان حولهم جماعة ما جاء به القرآن

لقد كنا خلاصة البشر ، وصفوة الإنسانية ، وحققنا حقاً وواقعاً ما كان يراه الفلاسفة والصالحون أملاً بعيداً ، نحن « المسلمين »

* * *

نحن « المسلمين » ، قوتنا بإيماننا ، وعزنا بديننا ، وثقتنا بربنا ، وقانوننا قرآننا ، وإمامنا نبينا ، وأميرنا خادمنا ، وضعيفنا القوي فينا ، وقوينا ضعيف حتى نأخذ الحق منه ، وكلنا إخوة في الله ، سواء أمام الحق .. نحن « المسلمين »

* * *

نحن « المسلمين » ملكنا فعدلنا ، وحكمنا فأعففنا ، وفتحنا البلاد فكنا الأقرباء للمسلمين ... وتركنا في العلم ... فكنا خير الفاتحين ، نحن « المسلمين »

أفلا نحن ... فكانت خيراً كلها وبركات ، حضارة وروح وعمل ، ونعمة وسعادة ، ثم نحب الناس ، ونحب أهل الأرض جميعاً

* * *

نحن « المسلمين » : لسنا أمة كالأمم تربط بينها اللغة ، في كل أمة خير وشرير ، ولسنا شعباً كالشعوب يؤلف بينها الدم ، من كل شعب صالح وطالح ، ولكنا جمعية خيرية كبرى ، أعضاؤها كل فاضل ، من كل أمة ، تجمع بيننا الفضول إذ تفصل الدم ، وتوحد بيننا العقيدة إذ تختلف اللغات ، وتدنينا الكعبة إذ تنأى بنا الديار

أليس توجهنا كل يوم خمس صلوات إلى هذه الكعبة رمزاً إلى أننا مع كثرة ... وتطيب القربى ، تدور عليه ونجتمع به ، في وحدة الرغبة وظلال المهد ؟

* * *

نحن « المسلمين » ... دين الفضيلة الظاهرة ، والحق الأبلج ، لا حجب ولا أستار ، ولا خفايا ولا أسرار ، هو واضح وضوح الشمس ... أتجيء منا ذلك الذي ؟ هل في الدنيا جماعة أو ملة يعلن مبادئها وتذاع كل يوم عشر مرات ، كما تذاع من مشارق الأرض ومغاربها عشر مرات كل يوم ، مبادئ ديننا نحن « المسلمين » : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ؟

نحن المسلمين ... لا نهن ولا نحزن ، ومعنا الله ، ونحن نسمع كل يوم ثلاثين مرة هذا النداء العلوي القدسي ، هتاف النشيد القوي : الله أكبر

نحن « المسلمين » ... البطولة سجية فينا ، وحب التضحية يجري في عروقنا ، لا تنال منها صروف الدهر ، ولا يمحوها من نفوسنا أحداث الزمان

نحن « المسلمين » : كم دق بنا من أعداء ، وكم جاءنا من مصائب ، وكم ... من كوارث ، فهل ماتت روح البطولة من جوانحنا ؟

لا ! لا ! لا نكون مسلمين إذا لم نكن أعزة في نفوسنا من أهل الأرض جميعاً ، وإن لم نعد إلى ديننا ، ونستطيع ... ونعيد أمجادنا ، نحن « المسلمين » ، المستقبل ... فقد ... على نام منذ أيام .. المستقبل لنا نحن « المسلمين » !

دمشق — ( المدرسة الثانوية الأولى ) — علي الطنطاوي

# من أسرار غزوة بدر

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

الشهور. وقلنا إن المسلمين لما أسروا من أسروا اختلفوا في شأن من أسروه من المشركين، فرأى فريق قتلهم، ورأى فريق أخذ الفداء منهم، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ليشاورهم فيما يعمله مع أولئك الأسرى.

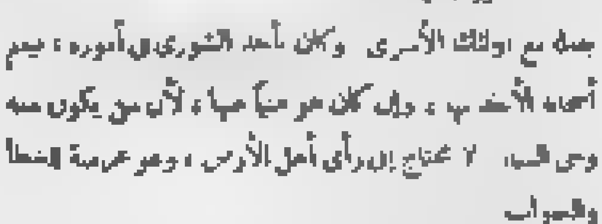

وكان يأخذ بالشورى في أموره، فيجمع أصحابه ليأخذ برأيهم، وإن كان هو نبياً يوحى إليه، لأن من يكون معه وحي السماء لا يحتاج إلى رأي أهل الأرض، وهو عرضة للخطأ والصواب

فجمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم: ما تقولون في هؤلاء؟ (يعني الأسرى). فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم، لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار.

وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، قدّمهم فاضرب أعناقهم، مكّن علياً من عقيل (أخيه) فيضرب عنقه، ومكّن حمزة من العباس (أخيه) فيضرب عنقه، ومكّني من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر!

وقال عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً. وهو رأي يتفق مع طبيعة الشعراء في أنه أبلغ في النكاية أكثر من القتل، وشأن العاطفة المغالاة في الحب والبغض، وكان القتل أحسن منه

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم، ثم دخل، فقال ناس من أهل المجلس: يأخذ بقول أبي بكر. وقال ناس منهم: يأخذ بقول عمر. وقال آخرون: يأخذ بقول عبد الله ابن رواحة. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة. وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: «فمن تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم». ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى، قال: «إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم». ومثلك يا عمر مثل نوح، قال: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً». ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى، قال: «ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم».

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اليوم أنتم عالة، فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق.

وروى ابن عباس عن عمر أنه قال: فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة منهم — فأنزل الله عز وجل عليه (ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتى يُثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم)

فهذا هو المشهور عندنا في سبب نزول هاتين الآيتين (٦٧ و ٦٨) من سورة الأنفال التي نزلت في غزوة بدر؛ وهو يفيد أن الله تعالى عتب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه لهذا العمل الإنساني العظيم الذي أشار به أبو بكر، من قبول الأسرى والفداء منهم. وهذا مع أن الذي أشار به أبو بكر هو الذي يتفق مع ما جاء به الإسلام في شأن الأسرى، ومع ما اصطلحت به الحروب الإسلامية في الحروب السابقة من الإحسان إليهم. على أن الله قد نصر المسلمين في غزوة بدر نصراً عظيماً، وشفى صدورهم من صناديد قريش، فقتلوا منهم كثيراً، ولم يبق إلا قليل منهم، وكان منهم في الأسر النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، فقتلهما رسول الله في طريقه إلى المدينة، ولم يقتل بعدهما أحداً في غيرهم من الأسرى. وهذا اختيار رسول الله رأي أبي بكر في الفداء، قال له عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام. قال ابن مسعود: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلا سهيل بن بيضاء.

ولم يبق بعد هؤلاء في الأسرى إلا العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا عقيل بن أبي طالب أخو علي، وإلا أمثالهم ممن لم يكن من أولئك الصناديد. وقد هدى الله كثيراً منهم رجاء أبي بكر رسول الله أن يتوب عليهم، فأسلم العباس بن عبد المطلب، وأسلم عقيل بن أبي طالب، وأسلم كثير غيرهما من أولئك الأسرى. والرأي الذي هذه آثاره لا يليق بحكمة الله تعالى أن يعاتب من إشارته على غيره هذا العتب.

وإذا رأى أن الإسلام إنما كان قد أباح قتل الأسير مع ما أوصى به من الاسترقاق والإطلاق بفداء أو بدون فداء، فإنه يجب ألا يصار إليه إلا عند الضرورة القصوى والأسباب الوجيهة. ولهذا نستحسن ما روي عن الحسن وعطاء رحمهما الله تعالى أنهما قالا: لا يقتل الأسير، ولكن يفادى أو يمن عليه، وكأنهما اعتمدا في ذلك على ظاهر قوله تعالى — فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعدُ وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها — المبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٢٤ — وهذا الذي ذهب إليه الحسن وعطاء في الأسير هو الذي تذهب إليه القوانين الدولية الحديثة.

ولهذا كله لا أرى أن السبب في نزول آيتي الأنفال هو ذلك الفداء الذي أشار به أبو بكر واختاره النبي صلى الله عليه وسلم على رأي عمر وعبد الله بن رواحة. ولا سيما أن هذا الفداء في غزوة بدر لم يكن أول فداء أخذه النبي (ص) من الأسرى، فقد أخذ الفداء قبلها حين قبله من الأسرى، ولم ينكر الله عليه أخذه له، وكان ذلك في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف، فوجد فيها عيراً لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجاراتهم، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فقتلت سرية عبد الله بن جحش بعضهم، وأسرت عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وساقت العير إلى المدينة، فبعث قريش في فداء الأسيرين، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم فداءهما. فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام بالمدينة حتى استشهد يوم بئر معونة، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ومات بها كافراً.

والذي أراه أن هاتين الآيتين نزلتا في أمر آخر حصل في غزوة بدر، وذلك أن هذه الغزوة كانت أول قتال بدأ به المسلمون بعد هجرتهم إلى المدينة، وكانوا لا يزالون في مبدأ أمرهم بالنسبة إلى قريش، وبعدها إلى غيرهم من المشركين الذين سمعوا بهم الحرب، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وأمر الله المسلمين ألا تأخذهم في قتال المشركين رأفة ولا شفقة، وأن يثخنوا فيهم إذا تمكنوا منهم، حتى تهن أنفسهم، ويضعف شأن الشرك بضعفهم، ويكون ما يحصل لهم عبرة لغيرهم من المشركين. وفي هذا يقول الله تعالى في سورة الأنفال (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) ١٢

ولكن المسلمين في هذه الغزوة لم يكادوا يرون النصر لهم بعد أن قتل الله من قتل من صناديد قريش حتى أدركتهم رحمتهم

من وحي الصحراء

# محمد ينبوع العبقريات!

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سأل أعرابي أصحابه [illegible] في الصحراء، الذي صفعته الرمال، وقبّلته الشمس، ومسحه القمر، وحنَّ عليه [illegible]، سأل: [illegible] هذا الفتى الجميل، ذا العينين السوداوين، والبشرة الزهراء، قد [illegible] الدنيا [illegible] وطيّب القلوب [illegible] ذكره، وأمسى يجوب الفيافي في [illegible]!..

لقد كان هذا الطفل يافعاً يتمرأى ويصعد [illegible] ويدرج [illegible] إن هاله [illegible] فاسمع [illegible] أنصت إليه!

ويحك رأيته يا أعرابي وهو [illegible] فوق الطلح [illegible] حوله الطير والسماء، ويحك [illegible] الرمال إذا رآه إلى الرمال.. ويحك رأيته [illegible] تلك النسمة من [illegible] خضرة ورمال [illegible] ويحك يصرخ بالنور [illegible] في حواشي الصحراء، ويجوع في [illegible] الجبال [illegible]، أرأيته [illegible]! والتمست حديثاً عجباً.. ويصرخ [illegible] ويعجب؟

هذه رؤى الليل [illegible] وقت الوجود [illegible] كان ليل الجاهلية والأوثان [illegible] الراعي يتأمل في مكة العروس [illegible] ابن الصحراء يخطر في الزمن [illegible] يدعو الناس إلى [illegible] إلى الله!

---

الأولى في الجاهلية، واستكثار الأسرى من المشركين طمعاً في الفداء، للإثخان فيهم، والضرب فوق أعناقهم.

لما وضع القوم أيديهم يأسرونهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحاً في نفر من الأنصار، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو، رأى رسول الله في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له: والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم، فقال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إليّ من استبقاء الرجال.

فهذا هو الإثخان الذي نزلت فيه تلك الآية التي تقول (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) وهو إثخان تبيحه الشرائع السابقة، وتقتضيه الحزم والتدبير، وقد أمر الله به في أثناء القتال، ولم يأمر به في الأسرى بعد الانتهاء منه، كما هو المشهور في سبب نزول تلك الآية.

وأما عرض الدنيا الذي عاتب الله [illegible] تلك الآية بقوله (تريدون عرض الدنيا) فليس هو الفداء الذي أباحه الله لنا بعد القتال، وإنما هو ما حصل منهم أثناء القتال من إيثار الأسر على القتل طمعاً في الفداء، والقتال في الإسلام لا يصح أن يكون لغرض من أغراض الدنيا، لأن ذلك هو شأنه في الجاهلية للسلب والنهب، والإسلام أشرف من أن يباح فيه القتال لذلك الغرض.

وهذا المعنى الذي نحوته في تفسير الآيتين هو الظاهر منهما، لأن العتاب فيهما لم يرد إلا على أمر الأسر، أما تفسيرهما المشهور فالعتاب فيه على الفداء، وهو إنما يصح تفسيراً لقوله (ما كان لنبي أن يُمن على أسرى) وقد قال ابن السبكي في تفسيرها: إن المعنى ما كان لنبي غيرك أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، فجعل هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم، وهو تفسير يخالف التفسير المشهور أيضاً، ولكنه بعيد عن نظم الآية، والذي يتفق مع نظمها هو تفسيرنا.

عبد المتعال الصعيدي

لقد رقّت حوله قلوب الأجيال ... فنزلت ... وإني به
يجمع من صمته العظيم تلك العبقريات التي تضرب منذ جيل
لا ، لا ... بل مع عبقريات السنين الأُوَل والسنين القادمات.

لقد صدحت الصحراء وهي سكرى إذ رأته ... ورقص الرمال وهي تدوي إذ نازلته .. فراحت تتغنّى متوثبة نحو لهيب الشمس صوح وتقول:

هـذا نشأنا ... هـذا نشأنا
يحدو القلب ويبكي الوجود .
حولنا يا رمال فلن توجد
هو ابنُ الصحراء .. هو بطل العالم
إليّ يا رمالُ إليه . وقبّلي قدميه
ثم تغنّي إلى عيون معاويه
ألا سميته يا أخناه ألا سميته
إنه نشيد ، رحيمٌ ساحر !
إنه مرآه مسحور ناعس !
إن لحنه عبقريٌ بديع !
أنصتي ... أنظري يا أختاه
إن جانّ يصغون إليه
هم أولاء الشياطين يفرّون منه
لقد غابت جانّ الجبل[1] الـتي طالما رددت القرآن
هاهي أولاء يحدوه وهو فرحان
يفرّون ثم يودّعه الكهوف ، ويسمعه الأودية وبقيّته جانب الجبل
إليّ يا أختاه ... فقد مرّ واختفى
فلأ يحمله الأفق ويرحل !
أيتها الشيخة ... تعالي ناجي إليه ... هنا عش أنامله
ويستجير ويلثم يديه

* * *

ومضى محمدٌ يغنّي . وجاء المهدي ... وعب الصحراء

[1] يقول العرب جانّ الجبل ويعنون بها الأصداء

يا الله ، أيّ يوم وبيئة ... هدم الأوهام وعمّ الإله
أيّ يوم وبيئة يهدي قلوب ... ورجع إلى ... 
يا الصحراء ، ما سلطانك يا محمد ... يا محمد ... أيها العربي !
لقد ردّدوه يا فتاتي عزوا سجّداً ... وقد صعدت به صوب دنيا أرواح — وكانت سحرة في الصحراء —
أنظري .. أنصتي .. أنظري

إن هذا النور الذي يرقص على صروح يثرب ، ويتهلل من ثغر أحمد ... ما زال يشع ولا يغيب .. لقد كانت تلك الرمال الشقر بيوته الحرّة ... ومن يحسب ريح عطره ما دام في تلك الصحراء رمال — وفي مكة كعبة — وفي الدنيا إنسان ، وعند الله قرآن

يا عروة هذه الشمة المتوثبة ويا خلاءها ... لقد صبّت عليه الريح الهوج ، وعصفت به الأيدي السود ، وأُمِرو يحملون بأثقالهم ودمائهم ... ولكن الشعلة ما زالت تتوثب من مكة حتى ، وهيبة خفية ، ومنها تمتد قوة وحرة ، لا تنبأ بالشرق ولا تعصى الشيعة — إنها من نور الله — إن من نوره زلزلت الأرض — نور ما وقفت أمامها كسرى ولا أعوانه — وقيصر ولا ملائكة — لقد جاءت أوربا القصور الشمّ على شواطئ دجلة وحيث فارس ، وهو تقف له الروح المتمرد في صروح الأندلس ومطالع الغرب ... إنها ما انطفأت أبداً ... ولكنها ما تزال تنمو وتسمو

لقد كان هذا النور يا أخيوتي مباركاً بيناً ، كان يمس القلوب الرحيمة بهويّتها ، ويمتد إلى الصدور الظلمة يهيمنها ، ويدفع النفوس المنكوبة بهواجسها ... في القلوب اليوم تصعد عنه ، وما النفوس لا تحنّ إليه ؟

يا حسرتا عليها يا فتاة ... إنها تشبه الجمال ... إنها وتمتعت الأرض .. إنها من نور الله ...

* * *

وما الشعار يا أخيوتي إلا محمد وأمة محمد ، أكان الناس يذكرون تلك المطالع وأولاء ... وهكذا كانوا يجوبون ربعك ... ؟
أيحسبون ملاذ الرحمة أم من بيع الخيام أم وأد البنات ... ؟ لا وهنالك

يا أمير دين .. ولولا محمد لما كان هنالك مسجد، ولما ثارت إليه قلوب وهشت له نفوس ... ولما كان العرب أسمى في الدنيا ولا نجم مشرق في التاريخ ... ! ولكانت تلك البقاع صحارى من غير أضواء، وأصواتاً من غير أصداء، ومساكن من غير أصحاب»(1)

فاتحي هذا النور، وحيي من هذا الينبوع، فقد تحقق من حزنه، ثم سرى في الصحراء، ثم أخذ يتهادى بين ربوع دمشق وسطور القرطبة، ثم ماس مرتقياً ... ووصل له النيل حتى ... وبلغ ... ...

اللهم إن دينك الذي أحببت، أتممته ورضيته لنا، فبارك لنا فيه، واهدنا به، إنك أنت الهادي الحكيم

* * *

وأنت يا نبي!

حدثني ... من يأخذني إلى تلك البقاع ... أستشير ... الظرابي، وأطأ الرمال التي وطئت أقدام الرسول

حدثني ... كيف أرى غار حراء، وأرى الحجر الأسود وأهبط الوادي الهادي ... وأرى مكة المروس متسعة فوق الرمال؟

* * *

حدثني ... متى أقف أمام قبر الرسول الشريف، والناس الصبح ... أمام ... أمة، وواسع ... ثم ... في روضته ووحده ... بصيحة وتنادي

السلام عليك يا سيدي يا رسول الله

السلام عليك يا أيها النبي الرحيم

السلام عليك يا أيها الرسول العظيم

السلام عليك يا من كنت رحمة للناس وهدى للعالمين

متى تصل يا قلبي ... متى ... متى ...؟

(مصطفى) [illegible]

(1) الأمير ... الرسائل

## نفحة نبوية

# صبراً دعاة الحق

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

هذا الهدى فاملأ به الصحراء ... وانشره في حلك الظلام ضياء

واصدع بأمر الله لا متهيباً ... ضراً ولا متحرجاً إيذاء

من كان في معنى اليقين ملاؤه ... هيهات يخشى في الحياة بلاء

يأيها الناس إلى دين الهدى ... وأبى جحافلك في الجهاد دعاء

صبوا عليك النار حاربه الثرى ... ورموا عليك الثورة الشعواء

وتوعدوا الدين الغريب مخاضاً ... فرأوك [illegible] في الطريق [illegible]

ثاروا عليك الحقد من شهواتهم ... فشربت من نبع الجلال [illegible]

نور النبوة في جبينك ساطع ... يجلو الأسى ويبدد الظلماء

فإذا جهول قد [illegible] ... والبأس أصبح في يديه رجاء

تذلل صخر [illegible] ... وحبت بها جنة فيحاء

[illegible] من [illegible] ... وسعرت ظلاً [illegible]

وتآمروا في الله [illegible] واحد ... وتنمروا [illegible] الحقد والبغضاء

متون الإسلام ركناً خالداً ... ورد الحقائق [illegible] البناء

حصن أقمت على الحق أسسه ... [illegible]

يتقلب [illegible] السحاب [illegible] ... ويزيد في كبد السماء علاء

ويزلزل الدنيا ويصدع ركنها ... ويهد من عصب الضلال بناء

بطحاء مكة أسرة [illegible] ... ما كان أكرم هذه البطحاء

ولد الهدى فيها فكان محمداً ... وهدى فكان الشكر [illegible]

هذا اليتيم [illegible] ... خلق [illegible] فرقتوا أهواء

وبسيف يهمو أواصر أهله ... ويريد ما بين القلوب إخاء

سوّى من العرب كل [illegible] ... ومحا بها العصبية السوداء

لا يستقيم الحق بين جماعة ... إن لم يكونوا في الحقوق سواء

يأيها الهادي صبرت على الأذى ... وحلمت من [illegible] الإيذاء

وصبرت صبر الجميل [illegible] ... وكشفت من نبل الخلال غطاء

قل للذين سعوا لمجد [illegible] ... هلا اقتبس من الرسول عطاء؟

ما فيه الدنيا إذا هي لم تكن ... صبراً وأخذاً [illegible] وعطاء؟

[illegible] الأذى لقيت [illegible] ... [illegible] في الصفح والإغضاء

بين الكريم [illegible] ... ويرد من إحسانه الإيذاء

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الأعداء

ولقد [illegible] عن الأذى ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] في ظل [illegible] ... ولقيت من [illegible]

[illegible] ... واستقبلوك [illegible] وصفاء

[illegible] ... في [illegible] وصفاء

صبراً دعاة الحق إن سبيلكم ... [illegible]

مهلاً دعاة الحق إن سبيلكم ... [illegible]

لا تحسبوه بالورود [illegible] ... أو رقت الدنيا بها [illegible]

لا تحسبوه ظلال [illegible] ... والعيش حلواً والليالي خضراء

هي أن تسيروا [illegible] ... [illegible]

الحق لا تحيا شريعة [illegible] ... ما ضر لو [illegible] له شهداء؟؟

محمد عبد الغني حسن

من موضوعات الإنشاء

# هل من سبيل للسعادة وأداة وآلة؟

للأستاذ محمد يوسف موسى

كل منا يحس بنفسه الحر ويصل في ذلك وسعه، وكلنا يزعم أنه [illegible] ملكه [illegible]، وهو لا يألو جهداً في القيام بالواجب في عمله، وكلنا يعمل في أمله السعادة والراحة. مع أننا لا نجد المرء أن [illegible] قلب إلا من يطلب شقاوة الحاضر، وحسرة الأمس، واليأس من الغد! وليس حال المجتمعات أحسن من حال الأفراد. هؤلاء الزارعون يشكون عدم البركة وحيث خيرات الأرض محرابها، والصناع [illegible] القائمة يجرون في مواسمهم [illegible] وحدة الأمة ومجدها في طريقها، أفلا نجد الظاهرة التي تدعو للرثاء، وليس منا إلا من يزعم أنه قلق بأنه المستقبل المظلم؟ [illegible] أسبابها منه شقاء الأفراد، والأمر منه شقاء الأمة.

يصبح الرجل ولا هم له إلا الألم اللاذع لما يرى أنه فاته في أمسه، والتفكير المرهق فيما لا يكون في غده، فيصرفه ذلك عن شعور ما في حاضره من لذة وسعادة [illegible] هذا الفلاح نادم الحسرة موصول الألم لأنه لم يبع محصوله بأربعة جنيهات كاملة، [illegible] والتاجر نادم لم يشتر الأمس [illegible] من مواسمه، وهكذا إذا تصفحنا أحوال الناس جميعاً، نجد الأسى على الماضي والخشية من الغد، يحولان علينا التمتع بالحياة وما فيها من متاعة وسرور. ليسأل الواحد منا نفسه، وليطرح الأسى الذارع على الماضي، والخشية البالغة من الآتي، فأنا كفيل بأنه سيجد برد السعادة [illegible] من سبب [illegible] ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم. [illegible] هل يرد الأسى ما ذهب؟ وهل يرد الألم ملتمساً المستقبل [illegible] يجيء به من عنده؟ اللهم لا [illegible] يحمل الإنسان نفسه شقاءه ومكدر أمله!

من المأثور عن إبكتيت الرواقي[1] أنه كان يوصي بأن يجرب المرء ما يلحق به من الأحداث جميعها على أ كل وجوهه، وما هو قد يتركه له. فالإنسان أن يحسب لقريبه في شرف وبل أو في عنى [illegible]، كل ذلك ممكن، فليحسب إذاً كذلك لقريبه في شرب [illegible] ويل، وليس له أن يحسب [illegible] إلى حيل [illegible] إدراك ما يريد إنما يحل ما في طوقه، ولأن الوصول [illegible] ومن براعة [illegible] فلسفة هذا جلاله [illegible] وكان أجل ما [illegible] أصحاب [illegible] أصحابه [illegible] وهو عنيد «ثراسيا بتسكيس»[2] كان عضواً بمجلس الشيوخ [illegible] فطلب منه الإمبراطور ذات يوم أن يتأخر عن حضور جلسة خاصة، فكان بينهما هذا النقاش:

— لا أريد أن تذهب للمجلس

— لك أن تمنعني من العضوية، أما أنا فسأذهب ما دمت عضواً

— إذا ذهبت للجلسة فلا تبد رأيك

— لك ألا تطلب رأيي، وإذاً فلن أتكلم

— لكنه إذا حضرت الجلسة فسأضطر لسؤالك رأيك

— إذاً فسأدلي بما أراه عدلاً

— ذلك معناه أنك تسعى للموت

— ومتى قلت لك إني من الخالدين! كلانا يعمل ما يتعلق به، فلك أن تأمر بقتلي، ولي أن أصبر أو أجزع، ولكني سأستقبل الموت والآلام صابراً[3]

---

(١) إبكتيت Epictète فيلسوف رواقي معروف، عاش في القرن الأول الميلادي، وكانت حياته تمثل فلسفة الرواقية البسيطة

(٢) أحد الرواقيين الرومان [illegible] في عهد نيرون، وقتل بأمر الإمبراطور فسباسيان Vespasien سنة ٧٠ م

(٣) دروس الأخلاق تأليف [illegible]

فما أجمل هذا المبدأ وما أروع غايته! وما أسهل ما يكون تطبيقه إذا وثق الله وتحرى ما فيه من حكمة فأرسى مجده.

أما الأمة في مجموعها، فأرى أن علة مرضها في اضطرابها، وابتلائها بكثير من نقص في الأنفس والأموال، وتفكك الروابط وانحلال الأواصر، وتفرق الكلمة — أرى أن ذلك كله يرجع إلى انسلاخها من الدين شيئاً فشيئاً، وإلى حديث الأثر الذي أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم يعمل بها علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في أيديهم، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم». أعتقد أن الاحتكام لهذا الحديث الذي يجد الأسى واضحاً، وأن المصاب هو عين ما نحن فيه من بلاء جلل.

لم يجب من حبس الله ما عنده، ومنا من الرجال المسلمين على الدين من لا يبالي أن يسخط الله، كما يبالي أن يغضب عبداً من عبيده! وما بالنا نجزع من ازدياد الإجرام وسببه الفقر وتأصل الحقد في القلوب ومأتاه عدم التسامح في الحقوق والواجبات! ولماذا نجأر بالشكوى من استفحال حشرات الأرض المتلفة من الزروع والأثمار، وقد منعنا الزكاة أربابها! إن الله غني عن صيام النهار وقيام الليل إذا كان لا يصحبه إعطاء الحقوق لأصحابها إن توبة نصر الله، فليت شعري كيف نخير قلوب، فلا تحس الآلام التي تصيح بها نفس الفقير، ولا يجد مواسياً؟! والله نصير، فلا يبصر الشقاء عنا في أخص لهم من الأحبة إلا الاسم يعصل جحودنا وأرثنا لها إن هؤلاء المحرومين، وهم شركاؤنا في الإنسانية، وإخواننا في الوطن، حقاً معلوماً مما رزقنا الله من خير، يصح قصاد المسيح في أوربا وغير أوربا، وتسهيج مئات الألاف من المتسولات على طول الشوارع وللنائم الدائرين ...

هل تريدون دليلاً على ما يسود أخلاقنا من أثرة وأنانية وعدم رعاية لمصالح الغير، وموضع أمة لا وطنية واضحة؟ ما تعرضون بين التنكير التنافس بين سائر الرجوات وكذلك إلى درجة شنيعة، لا توجد إلا في بلاد الشرق المسكينة؟ وفي المعرفة بين العاملين في كثير من نواحي الحياة؟ بل ماذا تقولون في المريض المعدم لا يجد له واقياً، ولا لآلامه مواسياً، ويطرد من مستشفى لآخر، حتى يموت وعياله وأهله ينظرون موتهم حسرات، وفيما يحدثنا القفطي في كتابه «إخبار الحكماء»(1) أن وزير المقتدر بالله العباسي علي بن عيسى وقع إلى سنان بن ثابت كبير الأطباء «بإنفاذ متطببين، ومعهم خزانة من الأدوية والأشربة يطوفون في السواد، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم، ويعالجون من فيه، ثم ينتقلون إلى غيره». أليس في بعض هذه الأثرة ما يبعث على ما يبعث أشياء من أثرة هي بعض السبب فيما نحن فيه من بلاء مبين؟

وأخيراً ما هو العلاج؟ هو في رأيي أن نتم عناصرنا دون أسى على الماضي، وأن نضرب الأنانية في أعماقها، وأن يسير كل منا وجهه وإن كان في ذلك أذى له، وأن يطلب من سلامته ويتبع في تقشفه نبل المسكوب من طالب الحق بعض الأصدقاء في القيام بالواجب. نسأل الله حسن الحال والتوفيق والسداد

أحمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

(1) «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للوزير جمال الدين القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ

# كمال الدين بن يونس

للأستاذ قدري حافظ طوقان

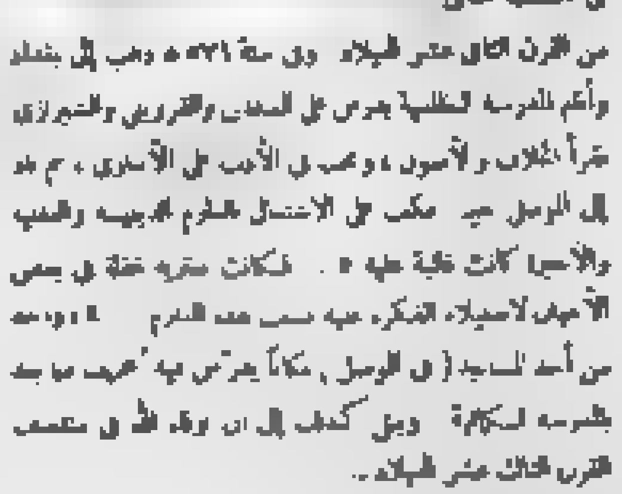

لم يكن عند كمال الدين خبر من أحوال الدنيا، يعني فلا يكلف، لا يعني بزيه أو هندامه منصرفاً بكليته إلى التبحر في دروسه وعلومه شغفه بالوصول إلى … ولد … وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد. وفي سنة ٥٧١ هـ ذهب إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية يدرس على السلماني والقزويني والشيرازي، قرأ الخلاف والأصول، وبحث في الأدب على الأنباري، ثم عاد إلى الموصل حيث عكف على الاشتغال بالعلوم الرياضية والطبيعية والأدبية كانت غالبة عليه». فكانت شهرته عالية في بعض الأصقاع لاشتهاره بالفكر … عند السلام … ووصله من أحد المساجد في الموصل مكاناً يعرف به … بالمدرسة الكمالية. ويقول … إلى أن توفاه الله في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد.

ذاع صيته واشتهر فضله «… فانثال عليه الفقهاء وتبحّر في جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد ..»

وجمع إليه الملوك والأمراء والعلماء في المسائل العلمية، واستشاره ملوك الإفرنج في ما أشكل عليهم من مسائل تتعلق بالنجوم. فقد ورد إلى الملك الرحيم صاحب الموصل رسول من الامبراطور فردريك الثاني ومعه مسائل في علم النجوم، وقد قصد أن يرد كمال الدين جوابها، فأرسل الملك الرحيم إليه يعرّفه بذلك ويقول له «… أن يتجمل في لبسه وزيه … » وذلك لما يعرفه عن ابن يونس أنه كان يجلس بيته … بلا تكلف وما عنده خبر من أحوال الدنيا. فاستعد كمال الدين، وعندما اقترب الرسول من … بعث من الفقهاء من يستقبله، فلما حضر عند الشيخ (كمال الدين) يقول أحد الحاضرين وهو من بغداد: «نظرنا فوجدنا الموضع فيه بسط من أحسن ما يكون من البسط الرومية الفاخرة … وجماعة مماليك وقوف بين يديه وخدام وشارة حسنة». ودخل الرسول ولقاه الشيخ، وكتب له الأجوبة عن تلك المسائل بأسرها، ولما راح الرسول قال عنا (يعني الحاضرين) «جميع ما كنا نراه من الشيخ … مولانا، ما أعجب ما رأينا من ساعة من تلك الأبهة والحشمة …» وقال البغدادي «…»

كان كمال الدين متواضعاً ذا روح علمي صحيح … يتجلى فيه الإخلاص العلمي … وطلبته … من جميع أنحاء … بدون … وكان يسير على القول السائر «…» فكان يجيب على ما يأتيه من مسائل من بغداد وغيرها من حواضر الإسلام ويوضح المشكلات التي … من سائر الأقطار في مختلف فروع المعرفة. وجاء إلى أحد علماء دمشق … أشكل عليه مواضع في مسائل الحساب والجبر والمساحة وأقليدس، فكتب إلى كمال الدين يستفسره عنها فأجابه عليها وقد كشف عن خباياها وأوضح غامضها، وذكر ما يعجز الإنسان عن وصفه، ثم كتب في آخر الجواب: «فليبسط العذر في التقصير في الأجوبة فإن القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان …»

لقد اعترف له الأقدمون من العلماء والمؤرخين بالفضل والتبحر، قال ابن خلكان: «… وكان يدري الحكمة والمنطق والطبيعي والإلهي وكذلك الطب، ويعرف فنون الرياضة من أقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة — معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها، واستخرج في علم الأوفاق طرقاً لم يهتد إليها أحد …» ومن ذلك كان [illegible]

والتصريف ... وقرأ سيبويه والإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي والمفصل للزمخشري ؛ وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به وأسماء الرجال يد جيدة ... » ولم يقف علمه عند هذا الحد بل تعدى تاريخ العرب وأيامهم فقد كان يحفظ الشيء الكثير من أشعارهم ووقائعهم ، ويعرف التوراة والإنجيل ، ووقف على كثير من دقائقهما ، وقد قرأهما عليه بعض أهل الذمة واعترفوا بأنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله ؟ » ... وبالجملة ، فإن مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أنه قد جمعه » وعرف أيضاً معاصروه بتفوقه ، فقال أثير الدين المفضل الأبهري — وهو عالم كبير في الخلاف والأزياج يفضل كمال الدين ويميزه — « ليس بين العلماء من يماثل كمال الدين » وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي — وهو من كبار علماء القرن السادس الهجري — إنه لما لم يجد في بغداد من يأخذ بعينه ويملأ عينه ويحل ما يشكل عليه سافر إلى الموصل سنة ٥٨٥ هـ ، فوجد كمال الدين بن يونس متبحراً في الرياضيات والفقه ملماً بأجزاء الحكمة الأخرى ؛ قد استغرق حب الكيمياء عقله ووقته ... وكان فقهاء زمانه يقولون إنه يدري أربعة وعشرين فناً دراية متقنة ، وكان جماعة من الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ... » ويحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ما هي عليه من الإشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف والعراقي والبخاري وأصول الفقه وأصول الدين ... » وعلى الرغم من ذلك ، فقد وُجد من يتهمه في دينه ، وقد يكون هذا الاتهام آتياً من اهتمامه بالعلوم الفلسفية ومشتغليها. ونظم أحد الشعراء المعاصرين لكمال الدين البيتين الآتيين اللذين يبينان سبب الفكرة التي كانت سائدة عند الناس في دينه

أجدك إن قد جاد بعد التعبس ... غزال بوصل لي وأصبح مؤنسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها ... كرقة شعري أو كدين ابن يونس

ويقول ابن أبي أصيبعة : « ... كان كمال الدين علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء ، قد أتقن الحكمة وتميز في سائر العلوم ... » برع في الحساب ونظرية الأعداد وعلوم المخروطات وكتب في المربعات السحرية والجبر والسيمياء والكيمياء والأعداد الزوجية والتسبيع المنتظم والمربع والمنطق ، وقد حل مسألة تتعلق بإنشاء مربع يكافئ قطعة من دائرة ... وبعث إلى الأبهري الذي سبق ذكره قد برهن على صحة حل ابن يونس

وعمل في ذلك مقالة ... وقد ذكر الأبهري ... ويقول إن له مؤلفات مبتكرة في علم الهيئة والأسطرلاب ورسائل نفيسة في ... والمنطق والطبيعيات والإيساغوجي

ويقول سارطون « — إن كمال الدين من أكبر علماء عصره ومن كبار المعلمين ... أو هو المعلم العظيم — ومن أصحاب ... الصحيح ، وهو مجموعة معارف عظيمة في العلوم والفنون — » ويمكن القول إنه كان لبحوث كمال الدين قيمة كبرى عند علماء عصره وأثر في تقدم العلوم

لقد سبق كمال الدين غاليلو في معرفة بعض النواميس التي تتعلق بالرقاص ، فقال سمث : « ومع أن قانون الرقاص هو من وضع غاليلو إلا أن كمال الدين بن يونس لاحظه وسبقه في معرفة شيء منه ، وكان الفلكيون يستعملونه لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد — » ومن هنا يتبين أن العرب عرفوا شيئاً عن القوانين التي تسيطر على الرقاص ثم جاء من بعدهم غاليلو ، وبعد تجاريب عديدة استطاع أن يستنبط قوانينه إذ وجد أن مدة الذبذبة تتوقف على طول الرقاص وقيمة عجلة التثاقل ووضع ذلك بشكل رياضي بديع ووسع دائرة استعماله وبين الفوائد العملية منه

ونظم كمال الدين الشعر ، وله نظم غريب ورقة تميزه عذوبة وسلاسة ، منه

ما كنت من يطيع عذاله ... ولا يسري هجره على باله
حتى كما حلت غدراً وكما ... أرخصت أرخصت ... المال

وله أيضاً

حتى رمتني وضحكتم لي زور ... عطـــل وعدت وقائل معرور
في قلبي حب حبكم مستور ... زوروا فعسى يجبر وصلا زوروا

ومن المؤسف أنه لم يصلنا من نتاج كمال الدين إلا القليل فقد ضاع الكثير أثناء الاضطرابات والفتن التي حدثت في العراق ويرد في المصادر بعض مؤلفاته التي تتعلق بالفقه والمنطق والنجوم وهي : كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في تفسير القرآن، شرح كتاب التنبيه في الفقه (مجلدان)، كتاب مفردات ألفاظ القانون ، كتاب في الأصول ، كتاب عيون المنطق ، كتاب لغز في الحكمة ، وكتاب الأسرار السلطانية في النجوم

وخلف كمال الدين أولاداً أتقنوا الفقه ، وسائر العلوم « ... وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين » كما يقول ابن أبي أصيبعة

(يتبع) قدري حافظ طوقان

# أم عربية تضحي

للأستاذ خليل هنداوي

---

وتأبى المقادير إلا أن تلقى (خالد) أخيه في ساحة القادسية، ولكن وقعة هذه الثانية تمتاز عن الأولى بأن العرب يشعرون ما تقدم من الفاقة [illegible] مقاتلة الفرس الذين أخذوا من الفرس [illegible] وأدانوا [illegible] العرب منهم!

أصبحت القادسية [illegible] الزاحفة [illegible] وأدركت أنه يوم سيصبح [illegible] النجيع، وسيطلع على سمائها كوكب من كواكب عهد جديد!

أشرق الفجر [illegible] أن يبهجه [illegible] وصهيل ورغاء! والقوم خلال ذلك متكئون على سيوفهم يتحسسون أطرافها، أو [illegible] مقابض سيوفهم [illegible]، أو يحدّون رماحهم [illegible]؛ [illegible] فريق، وكردوس [illegible] كردوس، [illegible] والأعلام [illegible]، [illegible] أن [illegible] السماء [illegible] إلى النصر [illegible] صوت [illegible] الأرض [illegible] الفارسية أن تقهرها وما استطاعت إلى ذلك سبيلاً

صوت هاتف [illegible]: «يا معشر العرب، [illegible] خير من [illegible] ولا الشبهة، استقبال الموت خير من استدباره، والطعن في ثغر الصدور أكرم منه في الأدبار والظهور، وإن الصبر من أسباب الظفر، [illegible] يا معشر العرب [illegible] ولا تعدوا [illegible]»

تسمع هذه الأقوال [illegible] اليوم الذي هو أول يوم [illegible] العرب من [illegible]، وإن هذا يوم آخر أقبلت فيه الفارسية [illegible] التي تثقل بهم الحياة!

[illegible] الأبطال [illegible] [illegible]

[illegible]، ومن [illegible] إلى [illegible] في [illegible] المكروه [illegible]

في [illegible] الأدهم [illegible] الأحداث [illegible] أو [illegible] حدار أسود [illegible] الأعين [illegible] ساحتها [illegible] في ساحة لا يصل إليها [illegible]! [illegible] الذي [illegible] تتلألأ على وجوههم! [illegible] هؤلاء [illegible] على وجوههم [illegible] حتى [illegible]

«أي بنيّ! إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين. والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها [illegible] وجالوا [illegible] تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة

أي بنيّ! اطلبوا الموت توهب لكم الحياة»

كانت تلقي هذه الكلمات [illegible] ولا اضطراب، لم [illegible] التوديع [illegible] أولادها يسمعون [illegible] ذلك [illegible] وهم الذين [illegible] إلى الجهاد [illegible] أرواحهم واستقلوا ذلك في جنب الله

[illegible] على جهادهم [illegible] لا تزال [illegible] كل حركة [illegible] إلى [illegible] لا تستطيع [illegible] إلا قليلاً [illegible] الأرض [illegible]، ولكن أين يذهب؟ في [illegible] كثيرة [illegible] ما يتعلق بالمعركة [illegible] أبنائها [illegible] كما [illegible] أم [illegible] الحروب [illegible] كثيرة [illegible] على [illegible]، ولكنا لا نريد الآن أن

نعرف شيئاً عن وجوههم وعن مصيرهم ، وإنما نريد أن نعرف كيف استقبلوا الموت ، بصدورهم أم بظهورهم . ويكفي من تشك في أشبالك ، وما علمتهم يوماً إلا أهل مروءة ونجدة !

قضت يومها تتناوب هذه الخواطر ، ومالت بها الأصيل حتى سمعت أصوات البشرى في المعسكر بهزيمة الفرس . فخرجت النساء يستقبلن البشرى والإخوة والأبناء ، ومن مثل الخنساء سعت إلى تلقي الأخبار وهي متوكئة على عصاها ترقب الأصوات من موقعها ومن تعب ، ومن ... وتعلل ، والظافرون يخطرون بالأردية الحمراء والسيوف المضرجة بالدماء ، قد ... النصر عن التعب ، يحيي بعضهم بعضاً وما تحيتهم إلا مصافحة بالسيف أو السنان .

... آنا وآنا تقلقت ، وإنها لتعلل من لن أكبر ... أو ... إلا ... يتحامل في نفسه ، أو فارساً ... بعد أن ... ويكبر ... لأولاد الخنساء لم يطل أحد منهم على هذه الصخرة المرتفعة التي ... من الرمح ... ومن ... بجيوشهم بعد أن أبطأوا عليها

ولكنها عرفت أن واحداً منهم أخو ... وأن إخوته ... يبحثون عنه بين القتلى لأنهم يريدون أن يحملوه بأيديهم

ها هي ذي تنتظر ! يمر بها أحد رجال القادسية ... مصرع أولادها ... وإنها شاخصة في الناحية التي ... وقد ... رأسه ... شكيمته ... أين ... رأسها لأنها تريد أن يكون لها الأول لأحد أولادها

شاخصة لا ... على ... عركتان ... الموت على هذه الصخرة التي ... القادسية أخطر ... حتى ... رمزاً للأمومة التي ... في هذه الرمية ... أن ... وهو ينظر ... ويلتفت إلى خلفه ، كأن شيئاً ... لا يستطيع أن يحركه – ... في نفسه حاول أن يخبرها أكثر من مرة ، ورجع أكثر من مرة ، ... نفسه في ... أنه لا يريد أن يكون ناعياً لأربعة أولاد في يوم واحد ... يكلم ... وهو لا ... على هذه الصخرة التي تنتظر ، والتي لا تزال تنتظر حتى مطلع الفجر ... ، وليرها ... قد تقع موقعاً حسناً أو لا تقع ، ويصنع الله بعد ذلك ما يشاء . وإن أعظم ما ينتظره ... وما ... أنها هي التي ... من الموت بعد مصرع ... صدرها ... : ... الخنساء ... من ...

صحب بالاضطراب ، ولكنه شعر أن ... أمراً ... وحدها ، فنادته

يا ... لا ... أيأتيك أن أولادي الأربعة

يسرعون هذا المساء مع شباب ...

كأنه ... والحزن يكاد يقطع عليه أنفاسه ، ولم يبق كله (الخنساء) إلا بعد أن قضى من ألم النفس ... من ... فتقدمت منه وكأن الخبر لم ... ولم يظهر أثره على وجهها

— ... ! أقتلوا جميعاً !

— ... الواحد يصرع بعد الآخر ، ويدفعون عن مواضعهم ... العدو على ... الحراب على الثغر

— أدفنوا مقاتلا رهيباً ؟

— إنهم — ... — كانوا جيشاً ، وكأنما الموت ... أن يردوه جميعاً ؛ كلما ... منهم ... الآخر ... وصبر ... !

وكأن هذه الكلمة ... الروح التي ... أولادها ...

— ذلك ما يبعثني على أن أقول : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وإني لأرجو الله أن يجمعني وإياهم في مستقر رحمته ، ولكن أبتني ما منح الله بكم !

— جئنا بالنصر معقوداً على ...

— هذه الصخرة التي لم ... من أيام الصحوة ، فقد ... أخي صخر ... ، لم ... بعده إلا ... الأسود ، ... أن أجد مكاناً ... ، وها ... أبنائي الأربعة ... هذا الظفر

والتفت إلى ناحية ... ، وأحست ... ، والرجل ... ساعة حتى ... منه ، ... ما ... عقلاً أنه ، ... لها ... ، ... وهو لا يكاد ... بأن هذه التي كانت مثل الأخت المفجوعة ... التي لا ... على شيء ، والتي ... حتى ابيضت عيناه من البكاء ، هذه الأخت ... المثل الأعلى للأم حين ... أن أولادها ... على أن يكونوا ... ، ... الرجل ... ... وإنما ... الرجل ... لم ... ولم ... ،

# من الإلياذة الإسلامية

## للأستاذ أحمد محرم

### الجزء الثاني

### بين غطفان وبين عيينة بن حصن

لما علم أهل نجد أن المسلمين قد خرجوا للغزو تجمع أهل [illegible] عيينة ابن حصن سيد غطفان يستنفرهم ويحرضهم عليهم ، وعلم في ذلك [illegible] [illegible] ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم [illegible] [illegible] ، فأتوه ، [illegible] ، ثم [illegible] ، فسمعوا صوتاً في [illegible] ووقع في نفوسهم أنه صوت الرؤية من المسلمين ، فأخذهم الرعب وانصرفوا على أعقابهم مسرعين

أتمنع القوم ( يا ابن حصن ) وتشكو [illegible] سوءه ؟
أمسك [illegible] ، [illegible] [illegible] النصل ، [illegible] من بابه
[illegible] الأجر [illegible] من أنفس [illegible] الحق [illegible]
أترضى أن تكون بهم حتفاً ؟ [illegible] [illegible] البليه

---

وكأنها بعد ذلك كله لم يحدث شيئاً ولم تفقد شيئاً

في [illegible] [illegible] الإرادة عنده ، وكيف [illegible] [illegible]
أن [illegible] [illegible] في [illegible] ، [illegible] للرأة [illegible]
[illegible] بأعنف الحرب ? الجبل في الماضية ، والتي لم تزل
[illegible] الفاصلة إلا [illegible] [illegible] ؟ جاء الإسلام ،
فلم يقدر أن [illegible] من حربها ، ولكنها أصيبت في الإسلام
[illegible] [illegible] الأولى عندها وفي فاجعة أبنائها ، فلم تحرك من
[illegible] شيئاً ، لأنها وجدت مصيبتها لله !

[illegible] في المصيبة الأولى ، ثم عند ما [illegible] عنها ، فاحتفظت
بآثارها في [illegible] [illegible] من مناطق نفسها ، [illegible] لها من
ذكرياتها ، [illegible] في أرجاء [illegible] . أما المصيبة الثانية ،
فقد ولاها الإيمان الذي [illegible] على نفس الخنساء كلها ، حتى أصبح
سواء عندها أفقدت واحداً أو أربعة ، لم [illegible] في المكون
في سبيل هذا الإيمان

ولذا [illegible] أصبح [illegible] على أن [illegible] للأولى ؟!

[illegible]

[illegible] وعسكر [illegible] [illegible] ؟
أصبحت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ( [illegible] ) [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ليس له [illegible] إذا [illegible] [illegible]
ذلك ( محمد ) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] وعن [illegible] السيوف المشرفيه ؟

* * *

[illegible] ( عيينة ) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النصيبه ؟
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible]

* * *

[illegible] [illegible] القوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ( عيينة ) [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible]

* * *

[illegible] ( النبي ) [illegible] [illegible] [illegible] ذو النفس [illegible]
ألست [illegible] [illegible] حتفاً ؟ [illegible] من [illegible] [illegible]
وإني قد أبيت ، فلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فقال : كذبت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النبيه ؟
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ( [illegible] )
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible]

أحمد محرم

---

لما [illegible] [illegible] [illegible] عيينة بن حصن إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] أن [illegible] [illegible] كذبت ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] — فقال [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

# ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ محمد فريد وجدي

لا تذكر ذكرى الهجرة إلا ذكر القرآن والإسلام معاً، وهي ذكرى حافلة بالأحداث، موفورة بالانقلابات التي تعتبر جميعاً انتقالاً بحال لم يسبق للعهود البشرية أن رأت مثله.

نعم لأن الانتقال الذي أحدثه الإسلام في جزيرة العرب لم يقتصر عليها، ولكنه تناول العالم كله إما مباشرة وإما بواسطة، وشكل أثره بعد أثر سحيق في تدرج العلم الاجتماعي للإنسانية من لدن نشأتها إلى اليوم.

انتقال في فهم معنى الدين، انتقال في إدراك حقيقة الحياة، انتقال في تعيين أسباب الاجتماع، انتقال في اعتبار مكانة العلم، انتقال في الاعتداد بسلطان العقل، انتقال في تقرير حقوق الإنسانية، انتقال في إقامة الحقوق الطبيعية، انتقال في تحديد معنى للمساواة والعدل.

انقلابات جرت في كل ضرب من ضروب الشئون الإنسانية، سرت إلى العالم كله بتقلب السنين والقرون، فأثرت في مجموع البشرية تأثيراً لا يشبهه شيء من الانقلابات الأخرى، فكان من نتائجه تطور جديد للمدنية في كل مجالات نشاطها العالمية، فإننا كنا

الذي استطاعوا معه أن ينظروا في حقيقة ما جاء به القرآن والإسلام، فإن أولي العلم يعرفون هذا حق المعرفة، وقد أطنبوا في تفصيله جميع ما كتبه سيديو الإفرنسي ودرابر الأمريكي وسمعون وغوستاف لوبون وغيرهما من الفرنسيين.

فما الانتقالات التي لا بد أن نعدها على ما نحن بصدده؟

كان الناس قبل القرآن ومحمد يعدون الفقر ذلاً واستكانة، واستضعافاً لدى السكان، فلما جاء الإسلام صاح بالناس: ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى في الصدر، ومن الجنة من الإيمان، ولا يحق لمؤمن أن يذل نفسه، «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

وكانوا يظنون أن العبادات مجردة، فقال لهم الإسلام: كلا، إنها صلة بين الخالق والخلق، وإنها يجب أن تكون ميسرة غير مرهقة: «قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك (أي زائريك) عليك حقاً». إن الرجل ليؤجر مأجوراً في كل لقمة يضعها حتى في اللقمة يرفعها إلى فم امرأته.

وكانت الجماعات لا تفكر في القواعد الأدبية المرجوة من الاجتماع، فلما جاء الإسلام قال لها: إنما الاجتماع التعاون على استكمال وسائل السعادة، وهي لا تكون مشتركة إلا إذا كان مبنياً على البر، وتسامي التقوى إلى أكمل ضروب الحياة: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» فليس من ضروب الإنسانية في شيء.

وكانوا لا يفهمون للعلم وزناً إلا ما يصدر عن الكهان الذين نصبوا أنفسهم بين الناس وبين الله حجاباً، فقال لهم الإسلام: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات».

وكانوا يعدون العقل عدواً للدين، ويستفظعون الخروج على أحكامه متشابهة لدين روح على صاحبه، فقال لهم الإسلام: الدين أساسه العقل، ولا دين لمن لا عقل له.

وكانوا يتخيلون أن كل من يختلف عنهم في الجنس والدين واللغة أعداء لا يصح أن تجمعهم بهم صلة، فلما جاء الإسلام صاح بأهل الأرض قاطبة: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»

إن الله عليم خبير » فكان الإسلام بهذا الأصل أول من أوجب أن يكون بين الناس كافة رابطة إنسانية يجتمعون تحت ظلالها على تحقيق أغراض الحياة العامة، بصرف النظر عن فروق بينهم من جنس ولغة ودين

وقوى هذا الأصل وشرحه فقال: « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

بل وصاهم بالرحمة ومراعاة قواعد العدل مع أعدائهم الذين قاتلوهم ليفتنوهم عن دينهم، وأخرجوهم من أوطانهم فقال « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »، وقال « ولا يجرمنكم شنآن قوم (أي ولا يحملنكم بغضكم لقوم) أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب »

وزاد في التنبيه على وجوب مراعاة الحقوق الإنسانية، فأمر ألا يتعقب المنتصر في الحرب مهزوماً، وألا يجهز على جريح وألا يقتل شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا رجلاً غير محارب حتى خدم المقاتلين، وألا يهدم ديار الأعداء ولا أن يحرق أشجارهم، ولا أن يمثل بها مسلمٌ

وكان الناس لا يعرفون الحقوق الطبيعية لإخوانهم في الإنسانية بصرف النظر عن أديانهم وأجناسهم ولغاتهم، فكانوا يجردون من ليس منهم من كل حق، ويبيحون لأنفسهم قتلهم وسلبهم إن ظفروا بهم، فإن منّوا عليهم بالبقاء استعبدوهم واسترقوهم، فلما جاء الإسلام قرر أن بني آدم مهما كانت مللهم ونحلهم وعناصرهم حقوقاً طبيعية لا يجوز العدوان عليها بغير حق

وكان الناس لا يعرفون كنه المساواة والعدل، فتقسموا طوائف مختلفة الامتيازات، فكان لرجال الدين والأمراء والقادرين حقوق ليست لغيرهم من أفراد الشعب، فكانوا يحملون العامة التكاليف والأعباء ويعفون أنفسهم منها. فلما جاء الإسلام محا كل هذه الأوضاع، واعتبر الناس كلهم سواء أمام العدل « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً »

نحن إذا ذكرنا الهجرة، وهي مبدأ تاريخ التفكير الإسلامي في سبيل الإصلاح، ذكرنا كل هذه الانقلابات الأدبية التي لو اطلع عليها علماء الاجتماع لعجبوا، لأن كلا منها لم يتقرر في العالم المتمدن إلا بعد ثورات دموية، تلتها انقلابات عنيفة، وسبقتها تطورات عقلية وأدبية دامت قروناً طويلة؛ على حين كان هذا كله طفرة على يد خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، في مدى أقل من ربع قرن، وفي أمة البداوة من عديد أشتات، فهي كبرى الآيات الإلهية، حتى صاحبه على الاقتناع من يؤمن أهل العرفان الأعلى، فإنهم قد يرون القمر ينشق، أو الجبال تندك فلا يتأثرون، ويعللون تفسيرها تعليلاً طبيعياً، ولكنهم لا يستطيعون أن يفسروا هذه الانقلابات الفجائية الباهرة تعليلاً طبيعياً، ولا سبيل إلى نفيها لأنها وقعت جميعها. ولقد ذهبت جميع الآيات التي صحبت الرسالات السابقة وصحبت بعض أيامه، إلا هذه الآية التي خص الله بها خاتم رسله، فستبقى ما بقي الإنسان فاعلاً بجهده في الأمور، وما بقي العلم يجلو كل مستور

محمد فريد وجدي

# الإسلام دين النضال

للدكتور زكي مبارك

خطر لي أن أكتب مقالاً للرسالة أتحدث فيه عن بعض الخصائص الإسلامية، ثم حسبت أن أستعرض روح الإسلام في القديم والحديث فرأيت أنه مقالة واضحة محدودة يصل به القلم إلى غرضه بعد جهاد ساعة أو ساعتين

وما هي إلا دقائق حتى انتهيت إلى موضوع معين الأطراف، ولكنه مع ذلك واسع المجال لا يكتب فيه القلم إلا بعض العناء، ويصل الكاتب إلى طوائف من الصور تعينه القدرة على المشاركة في إحياء ذكرى الهجرة النبوية

اهتديت إلى القول بأن «الإسلام دين النضال» فما معنى ذلك؟

ارجعوا إلى تاريخ الرسول وتاريخ الخلفاء، ومن تلا الخلفاء من الملوك والسلاطين في الممالك الإسلامية، تعرفوا أن الإسلام في جميع عصوره لم يكن إلا دين نضال

وشريعة الكفاح وضع قواعدها نبي الإسلام، فهو أول رسول تحمل مكاره الجندية في سبيل العقيدة، وأول رسول تعرض للقتل مرات كثيرة في سبيل المبدأ، وأول رسول عاش عيش المناضل المقاتل في جميع الأحوال

دخل عليه ابنه وهو يعاني سكرات الموت فرأته [illegible] به من الكرب فنظر إليه وقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم

والناس يفهمون أن الكرب الذي عناه الرسول هو كرب الموت، أما أنا فقد فهمت أنه يشير إلى ما عاناه في حياته من أزمات وخطوب، ولقد عاش حياته كلها وهو في بلاء الناس والزمان فما انتقل من حرب إلا إلى حرب، ولا خلص من عناء إلا إلى عناء، فهو الشاهد على أن المجد لن يكون إلا من حظوظ المكافحين

والعبرة الأصيلة من حياة هذا الرسول هي الصبر على الجهاد في ميادين الحياة. والصفة الغالبة تظهر في سيرته منذ عهده الأول، فقد نشأ يتيماً، واليتم يحمل النفس على الشعور بالغربة في عهود الوجود، والغريب يقدر على اصطناع الجد في جميع الشؤون

ومن هنا ظهر أثر اليتم في عنايته بتدبير مصالحه الخاصة والعامة، فقد كان يشعر أنه يقدم إليهما سروراً إذا الظفر بذلك وهو [illegible]

ثم اتفق له في صباه أن يشتغل بالتجارة فصاحب زوجته خديجة، فكان مسئولاً أمام قوة السوق التي لا ترحم من حرم أصول الجد والصدق من القوى، يكونون ميزان المعاملة مع أقطاب التكسب من السريان واليهود، وكان في تلك العهد دعامة الأمانة والصدق

لم يحدثنا التاريخ عن تفاصيل الصفقات التجارية التي عاناها الرسول، ولكنا نعرف أن التاريخ لم يكن يسمح بالسكوت عن ذلك الرسول لو أنه استطاع أن يأخذ عليه هفوة من الهفوات التي تجرح الأمانة والصدق، وهما ميدانان لا يصل فيهما التاجر إلا بعد جهاد شديد الشهوات والأهواء

وبفضل الكفاح الذي عاناه الرسول في ذلك العهد استطاع أن يدرس أخلاق العرب والسريان واليهود، وهي أمم كانت تتصل في سهول الشام أوثق الاتصال، واستطاع كذلك أن يتصل من قرب أو من بعد بالأخلاق الحبشية والمصرية والهندية والفارسية والرومانية واليونانية، ومن هذه التجارب تهيأت نفسه للإحساس بمعنى الجد والنضال

قالوا: عمل محمد كأكثر الأنبياء على رعاية الغنم في طفولتهم ليتعودوا الصبر، ونحن نرى أن محمداً عانى ما هو أقسى من رعاية الغنم، عانى رعاية البشر وهو يومئذ [illegible] تاجر، والبشر [illegible] يدرسون على أخلاق الصغار والكبار

ومن المؤكد أن الرسول صمم على الثورة على أخلاط الأخلاق بعد ما شهد من مكاره مليئة بالمخازي لذلك العهد

ومن المؤكد أيضاً أن اشتغاله بالتجارة هيأ له فرصة المعرفة الصحيحة بالأحوال السياسية والاقتصادية في ذلك الزمان

ويشهد على الناس أنه لم يكن يظفر بنفسه من وقت إلى وقت إلا ليجد الفرصة للسلامة من مكايد الناس، وقد عرفهم في ظروف لا يسلم من شرها غير من يتحصنون بالعزلة من حين إلى حين

وفي لحظة من لحظات الصفاء عرف محمد أن [illegible] أعده لفرص أعظم من تثمير الأموال لزوجته الغالية، ولكن كيف يسارع قومه بتلك الفرص وهو في ظاهره من المكثر الموسر في بلد قد استراح إلى الأوهام والأباطيل؟

لا بدّ من نضال جديد، وفي ميدان لا تكون أسلحته من الصخور والجلاميد، وإنما تكون ذخيرته وعتاده من الشرف [illegible] والضمائر الحرة

لا بدّ لليتيم المكفول من نضال جديد، ولا بدّ من توديع الأسفار بالعروض والأموال التي تجري في تجارة جديدة لا يكون فيها الربح غير الهلاك بالقتل والاستشهاد، إن لم يعصمه الله من الناس

وقد عرف محمد قومه فرأى كلاً في ظلام [illegible] الآراء

وفهم وهو أعزل لا يملك من السلاح غير اليقين، وهو أضعف أدوات القتال في تصور الغافلين

وما كان قوم محمد إلا قوماً عزلاً طاولوا الدهر وساوروا الزمان، ولكن فيهم من يملك التصرف بأحلام الأمة العربية، ومن يقدر على [illegible] بكلمة أو كلمتين. وما هي إلا أيام حتى شاع في جميع القبائل أن محمداً أصيب بالخبال والجنون، وفي أي أرض؟

في أرض [illegible] بأسرع من ومض البرق

فما الذي يصنع اليتيم المكفول وقد أشيع أنه مجنون؟

رجع إلى خديجة يستفتيها، فحدثته بأن النضال هو أشرف ما يعتصم به أكابر الرجال

وكان أمام محمد [illegible] أن حراسة النفس أسهل من حراسة الأموال. كان أمامه [illegible] أنه سيعود حياة [illegible] من جديد

فما الذي يصنع؟

لا بدّ من نضال، لا بدّ من نضال

لقد انتهى عهده بالنضال الهين البسيط يوم كان يحرص على زاده وتجارته ويأمن غوائل الأعراب بالبذل؛ انتهى عهده بالفرح [illegible] زوجته الغالية حين يرجع من أسفاره في كسب ما أفاد من تسويق البضائع الثمينة، وأقبل عهد جديد هو عهد الصبر على الضمائر والقلوب ليحصنها من غوائل الشرك، وليقيها شر الفساد والاعتلال

ولكن الذين يتحدى أمر عقائدهم يرونه من أهل الفسوق، ويتصورونه أقبح [illegible] المضرة والازدراء، فماذا يصنع؟

لا بد من النضال، ولا بد من الترحيب في سبيل الشهادة بالظمأ والجوع والقتل. وهنا تظهر عظمة محمد [illegible] تهون عليه المتاعب والأرزاء.

هنا تظهر عظمة الرجل المؤمن بعهده الثابت، والذي يرى أن خصومه [illegible] الأعداد في عدد، وأن خصومه أظلم السياسة والمال، وهما أقوى الخصوم

وما الذي يخاف عليه بعد ما لقي؟

لا بدّ من نضال، لا بد من نضال

والتفت اليتيم المكفول فرأى أنه وحيد، ضعيف لا يؤمن قومه برسالته، وإن كان لم يعدم عطف زوجته الغالية في ذلك الظرف العصيب

الله وحده هو الدعوة الباقية للمجاهدين من أصحاب العقائد والمبادئ. الله وحده هو سند المكروبين، وغياث الملهوفين. الله وحده هو الذي يحمي أهل الصدق والأمانة من عدوان المكذبين والظالمين. الله وحده هو الذي يقدر على مواساة المكروب المحزون، وهو وحده الذي يبعث الشجاعة في صدر اليائس من انتصار الحق

الله وحده هو الذي يوحي إلى اليتيم الضعيف أن يستبسل في سبيل الحق، ليرى انتصار الحق على القوة بعد حين

وكانت [illegible] رسالته من [illegible] أو [illegible] غير القوة [illegible] التي عودته بأنه قد يصل إلى النصر [illegible] على الكثرة [illegible] أول الأمر من الرسل

# التوجيه الأول

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

اكتفى … النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام وما جاورها من أمم … للأمم من حوله … طويلا ، بل قبل أن هزم من قريش ، وفتح مكة ، وصح له كل ما عقده مع قريش صلح الحديبية ، … وجرى ذلك مجرى الاطمئنان ، ووسع النبي أن يحرر … قريش ، … أن صاحب هذه الدعوة من العلم والحكمة … قبل مكة ساميين ، وكان هنالك اليهود أيضا ، … وقد قضى عليهم بعد عودته من الحديبية … واستأصلهم ، ثم صار اليهود هنالك شيئا غير طائل ، … يهود وادي القرى بعد قتال يسير . ولكن … ثم لا شرع … العرب . وأكبر الظن أن … قرى … إلا أن … الأفق التي تمتد إليها

ومن أول مظاهر هذا الاتجاه ، إرساله إلى هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، وملك الحيرة ، وملك اليمن ، ونجاشي الحبشة ، يدعوهم إلى الإسلام ، وقد كانت هذه دعوة عامة ، … الحبشة … فإنه … الشمال التي جاءت بعد ذلك … ، وعسى أن يكون من أول دواعي هذا التخصيص أن حدث … كتاب النبي … الإسلام بعث إلى هرقل ملك الروم … على رأس جيش ، ليعاونه صاحب هذه الدعوة الجديدة ، ولكن … من ذلك الأسباب … فقد تكفل بذلك … الرجل — على الرغم من …

هو نقل بين … والنبوة … التضحية بجميع اللذائذ وتعرض … بالأذى … فلا بأس من أن يتبع كذبا أنه … غير شريف ، … من أنصاب الأصنام ، … على ما يرضون به من الزيغ والضلال

لا بد من نضال ، … هذه … في ميدان … هو الصبر على … للمكذبين ، … محمد … فلا كرب عليه بعد اليوم

وصرخ محمد بصوت … : يا معشر قريش ، أنا رسول الله إليكم

وما كاد يجهر بهذه الجملة حتى … من الأفاعي … في …

… الشعراء والأغبياء من أعداء الحق …

ولكن القوة الخفية … أن الرجل … هو الذي …

الرجل الحق ؟ ومن الرجل الذي يجانب … الحق !

… الأنبياء … ويحتمل في سبيل رسالته أضعاف ما تحمل سائر الأنبياء !

ومضى محمد يناضل ويقاتل ويجاهد حتى نقل العرب من الشرك إلى الإيمان بعد أن … المشركين … والأساطير

ولكن ، لا بأس ، … فرصة النضال

(… )

وتربية ، فالدكتور هيكل جزاه الله عن المسلمين خيراً ...
وإنما كل ما أقصد إليه من ذكر هذه الثغرة التي وجهنا النظر إليها هو الإشارة إلى الأسباب

ومن المعروف أن عين النبي كانت على الشام خاصة، والشمال عامة، وهو يعرفها من صغره ؛ فقد سافر إليها صبياً ، وشاباً ، ورجلاً قبل البعث . ولم يكن يخفى عليه أن حياة الجزيرة ومن جاورها مع الشام ، ولهذا رأى في فتحه إلى الدفاع [illegible] على السيطرة على مكة ، والتحكم في طرق تجارتها ، وكانت مسائل الحرب حول عهده ، تستلزم ، محتاجة إلى مصادقة الملوك المجاورين ، فضلاً عن هذه التجارة ، على أن النبي — فضلاً عن ذلك — كان يرى أن الشام وما جاورها ، هي الطريق الطبيعي لامتداد دولة الإسلام وانتشار الدعوة إليه ، وتخطيها حدود الجزيرة ، وهو مضطر أن يطلع إلى ما وراء الجزيرة ، من حيث جاء للناس كافة ، لا للعرب خاصة ...

وبعد ذلك ، ولم يستعجل بفتح مكة ، لأنه كان واثقاً من الظفر بها في يومه المشهود ، ولكنه وجه إلى الشمال ثلاثة آلاف مقاتل في مؤتة ، وكانت هذه حملة تأديبية ، صارت مقدمة لغزوة ذات السلاسل ، ثم لغزوة تبوك ، لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن الروم يهيئون جيوشاً نحو حدود العرب الشمالية . على أن الروم لم يجرؤوا على [illegible] لما سمعوا أمر الجيش الذي سار به النبي وجنوده ، فآثر النبي ألا يتبعهم ، واكتفى بالإقامة عند الحدود متحدياً متحصراً ، دالاً على كفالة هذه الحدود وتأمينها ، وقد خضع له غير واحد من الأمراء هناك وأعطوه الجزية ، وسار خالد بن الوليد بأمره [illegible] في دومة ، وبذلك أمن النبي عليه الصلاة والسلام الحدود الشمالية ، وحصل من البلاد التي عاهدته مع أصحابها ، معاقل وحصوناً تحجز بينه وبين الروم ، واتقى كل خوف من العدوان على الجزيرة وأهلها

ولكن النبي لم يكتف بذلك ، فما كاد يعود من حجة الوداع حتى أمر بتجهيز جيش عظيم أمّر عليه أسامة بن زيد بن حارثة ليسير به إلى الشام . فخرج من المدينة ، ولكن الله لم يكتب له الذهاب إلى الشام فقد مرض النبي ، واشتد عليه الأمر ، فظل هناك دون مسير الجيش ، وما أن انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى حتى انصرف المسلمون إلى شئونهم الداخلية ، مثل فتنة ، و [illegible] خيار أمير المؤمنين ، ثم الردة وما استوجبته من الفزع الشديد ، ولكنهم بعد أن انتهوا من ذلك ، وانتهوا إلى الاستقرار التام في شبه الجزيرة ، شرع أبو بكر رضي الله عنه في إتمام سياسة الرسول ، فوجه جيوشه إلى الشمال

والمؤرخون الغربيون يصفون أبا بكر أحياناً بأنه المؤسس الثاني ، ولا يصفونه بذلك أكثر من أنه هو الذي شرع في دعم بناء الدولة الإسلامية التي وضع الرسول (ص) قواعدها وأسسها وقررها ، وأن موقفه من المرتدين هو الذي كفل لدولة الإسلام أن تبقى قائمة ، وأن يتيسر لها الامتداد . على أن هذا موضوع آخر لا نرى أن نستطرد إليه فنخرج عما قصدنا إليه ، من بيان أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي وجه المسلمين إلى فتح الشام وما جاورها ، ولو امتد به العمر لتم ذلك في حياته ، فقد كان من الجلي أنه بعد أن اطمأن على الجزيرة وبسط عليها سلطان الدين الذي جاء به ، فكر في أمر الشمال ، ولكن الله اختاره إلى جواره ، بعد أن أتم رسالته ، ومضى بعده أبو بكر ، فاتجه بالمسلمين إلى حيث أراد النبي أن يوجههم . ومن الممكن أن يقال إن أبا بكر أراد بالزحف على الشمال أن يشغل المسلمين بالحرب والفتح ، بعد الردة وحروبها ، وهذا صحيح ، ولكن أصح منه أن هذا هو توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ، كما فهمه أبو بكر وعمر من بعده ، فالنبي لم يعن بالعرب وحدهم ، بل وضع قواعد الدولة العالمية أيضاً ، ورسم لها مستقبلها العالمي ، [illegible]

إبراهيم عبد القادر المازني

# صيام رمضان

## ودراسة بصيام الإنسانية في أممها الغابرة والحاضرة

للدكتور علي عبد الواحد وافي

---

لا نعلم على وجه اليقين متى نشأت فكرة الصوم في المجتمعات الإنسانية، ولا نكاد نعرف شيئاً يعتد به عن الأسباب الأولى التي دعت إليه، كما أن ما وصلنا عن النظم الدينية للأمم الغابرة لا يرشدنا إلى أول شريعة جاءت به، ولا يقفنا على أول شعب ظهر فيه. وكل ما يذهب إليه بعض الباحثين بصدد هذه الأمور عبارة عن آراء نظرية تعتمد في بعض نواحيها على الحدس والتخمين، وفي نواح أخرى على مجرد مصادفة مقدمات، لا يطمئن إلى مثلها المنطق السليم.

غير أنه مما لا شك فيه، أن الصوم من أقدم العبادات الإنسانية، ومن أكثرها انتشاراً، فلم يكد يخلو منه دين من الأديان، ولم تكد تخلو منه حياة شعب من الشعوب؛ فقد جاء في الطوطميين والمجوس والوثنيين والصابئين والمانوية والبوذيين وعبدة الكواكب والحيوان، كما جاء في شرائع اليهود والنصارى والمسلمين.

وقد اختلفت أشكاله باختلاف الأمم والشرائع، وتعددت أنواعه بتعدد الظروف المحيطة به والأسباب الداعية إليه. فمنه ما يكون بالكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي والكلام، ومنه ما لا يقتضي إلا الكف عن الأكل والشرب، ومنه ما يتطلب الكف عنهما وعن الاتصال الجنسي، أو عنهما وعن الكلام. والإمساك عن الأكل والشرب يتخذ هو نفسه صوراً كثيرة، فمنه المطلق الذي يعم جميع المأكولات والمشروبات، ومنه المقيد الذي يتم بالكف عن بعض أنواعهما، وهو بجميع صوره يقتضي حرمان الجسم حرماناً كبيراً أو صغيراً من بعض حاجاته الطبيعية.

ومن أنواع الصيام ما يقتضي الإمساك عن هذه الأمور اليوم كله نهاره وليله، ومنه ما لا يقتضي الإمساك إلا نهاراً أو شطراً من النهار، ومنه ما يبدأ بغروب الشمس ويستغرق الليل كله، أو شطراً منه.

ومن أنواع الصيام ما يكون متتابعاً يجري في أيام متتالية، ومنه ما يكون مقصوراً على يوم واحد أو ليلة واحدة أو بعض من يوم أو ليلة، ومنه ما يشرع في أيام غير متتالية منفصلة بعضها عن بعض بفترات معينة.

ومن أنواع الصيام ما هو واجب يعم جميع المكلفين أو بعضهم بشروط خاصة، ومنه ما هو مستحب يندب إليه جميع الأفراد أو بعض طوائف منهم. وجميع أنواع الصيام في شريعة الدين الإسلامي تقتضي الإمساك عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وليس منها ما هو مفروض على جميع المكلفين القادرين إلا صيام رمضان.

هذا، ويشبه صوم رمضان في ظاهره صياماً شرعته ديانة الصابئين والمانوية، وهو صيام الثلاثين، فقد جاء في الفصل التاسع من كتاب الفهرست لابن النديم أن شريعة الحرانيين المعروفين بالصابئة أو الصابئين (١) تفرض على معتنقيها من الصيام ثلاثين يوماً أولها لثمان مضين من اجتماع آذار، وأنهم كانوا يؤدون هذا الصوم شكراً للقمر، وأنه كان صياماً مطلقاً عن جميع المأكولات والمشروبات من طلوع الشمس إلى غروبها. وقال في فصل آخر في أثناء كلامه عن شريعة الكلدانيين أو المانوية: إنه إذا أهل الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام يصومون حينئذ ثلاثين يوماً يفطرون كل يوم منها عند غروب الشمس. ومن المعروف أن صيامهم هذا كان تقديساً للأفلاك العلوية وبخاصة الشمس.

وقد حاول كثير من المستشرقين ومن نحا نحوهم ممن وقفوا جهودهم على النيل من الإسلام والتشكيك فيه باسم البحوث التاريخية والتحقيقات العلمية، حاولوا أن يرجعوا صيام رمضان إلى صيام الثلاثين عند الصابئين والمانوية، زاعمين أن محمداً عليه السلام قد اقتبسه من هاتين الشريعتين.

ومن هؤلاء الأستاذ كيور الألماني، فقد قرر في رسالة كتبها في موضوع صيام رمضان، بعد تحقيقات حسابية طويلة وموازنات بين التاريخ الهجري والميلادي والقمري، أن أول سنة شرع فيها هذا الصوم وهي سنة ٦٢٣ ميلادية كان أول يوم من شهر رمضان فيها يوافق الثامن من شهر آذار، وأن أول رمضان صامه المسلمون كان موافقاً في بدئه ونهايته لتاريخ صيام الحرانيين. ورتب على هذا أكذوبة في أن محمداً قد اقتبس صومه من شريعة الصابئين.

---

(١) نسبة إلى حران ... وديانتهم مزيج من الديانة البابلية القديمة والمسيحية والفارسية، وبها كثير من مظاهر تقديس الكواكب.

وذهب العلامة الفنلندي وسترمارك Westermarck إلى ما يقرب من هذا الرأي حيث يقول في مؤلفه The Origin and Development of Moral Ideas « إن وجوه الشبه بين صيام رمضان وصيام الثلاثين عند الحرانيين والمانوية لتحمل على الجزم برجوعهما إلى أصل واحد . فلا بد إذن أن يكون محمد قد نقل صيامه عن الحرانيين أو عن المانوية أو عنهما معاً » .

وهذه نظرية خاطئة مرتجلة من معظم من تصدى من الفرنجة لبحث عقائد الدين الإسلامي وشعائره ، فهم يحرصون على أن يجعلوا المشرع الإسلامي الذي يصدرون عن دراسته من الغرب ، ويعمدون كل عمدهم إلى البحث عن نظيره في الشرائع الأخرى ، ولا يستقرون أن يعثروا عليه حتى يزعموا بأنهم وجدوا أن هذا منقول عن ذلك ، ثم لا يتورعون عن الحيل والتلفيق لإلباس أقوالهم ثوب الحقائق .

ومع أن المقام لا يتسع لمناقشة هذه النظرية بصدد صيام رمضان ، فإن في النقط الآتية ما يكفي لنقض هذه النظرية من أساسها .

(أولاً) لم يحدث في الجاهلية أي اتصال فكري أو ديني بين قريش التي نشأ فيها الرسول وبين الصابئين أو المانوية ، وقد حال دون هذا الاتصال أمور كثيرة منها اختلاف اللغة وبعد الشقة والحضارة ، وبعد المسافة بين مواطن هؤلاء وأولئك ، فقد كانت بلاد الصابئين والمانوية في حدود فارس من الشرق على حين أن القرشيين كانوا يقطنون الحجاز والوطن المتاخم له ، وكانت أسفارهم التجارية لا تتجاوز طريق الشام واليمن ، يسلكون أحدهما في رحلة الشتاء والآخر في رحلة الصيف ، ولم ينقل عن الرسول عليه السلام أنه اتصل قبل بعثته بأحد من الصابئين أو المانوية أو عني بدراسة شرائعهم أو وقف على شيء منها ، وظل هذا حاله إلى ما بعد رسالته بأمد غير قصير .

(ثانياً) إن صوم رمضان يختلف اختلافاً جوهرياً في شروطه وقواعده ومقاصده ووقته وطريقة أدائه وحكمة تشريعه عن صوم الثلاثين عند الصابئين والمانوية ، فليس بينهما من وجوه الشبه إلا الاتفاق في عدد الأيام وتقاربها ، وهذه ناحية شكلية من الصعب الاعتماد عليها في أن أحدهما منقول عن الآخر . على أنهما يختلفان في هذه الناحية نفسها اختلافاً غير يسير . فالصوم الإسلامي مدته شهر عربي ( وهذا الشهر يختلف باختلاف السنين ، فتارة يكون ثلاثين يوماً وتارة تسعة وعشرين ) ؛ على حين أن صيام الصابئين والمانوية مدته ثلاثون يوماً . والصيام الإسلامي يبتدئ بإهلال الشهر وينتهي بانتهائه ، أما صيامهم فيبتدئ من اليوم الثامن من الشهر وينتهي في الشهر التالي له .

(ثالثاً) إن اختيار رمضان بالذات ليس مرجعه اتفاق هذا الوقت مع ما شرع فيه الصوم مع معاصري صيام الصابئين ، كما ذهب إلى ذلك الدكتور جاكوب ، وأكثر مستشرقي الغرب ، كما صرح بذلك الكتاب العزيز ، وكما يدل عليه التاريخ الإسلامي الصحيح — أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن ؛ فلا غرو أن اختصه الله بهذه المزية من بين سائر الشهور .

(رابعاً) هذا إلى أن القرآن الكريم ينص على أن ما سن لنا من الشرائع قد سن مثله لكثير من الأمم قبلنا . قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى .. الآية » ، وقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ؛ فلا غرابة إذن في أن يكون صيام الثلاثين عند الصابئين والمانوية مستمداً في الأصل من شريعة سماوية تقادم عليها العهد فعبثت بها يد التحريف والتبديل وبعدت عن غايتها الأولى وصبغت بصبغة تقديس الكواكب ، وأن يكون الدين الإسلامي قد كتب نفس الصوم الذي كتبته هذه الشريعة ، فأعاده طاهراً نقياً وقضى على كل ما علق به من أدران الشرك .

وقد ذهب بعض المؤرخين من المسلمين وغيرهم إلى أن صيام رمضان كان معروفاً عند بعض قبائل العرب في الجاهلية ولا سيما قريش ، ويؤيدون رأيهم هذا بأن النبي عليه الصلاة والسلام نفسه كان قبل بعثته يمضي في غار ( حراء ) شهر رمضان من كل عام متعبداً صائماً . وقد اختلفوا في أصل هذا التشريع ، فمنهم من يرى أنه من الشرائع التي جاء بها إبراهيم عليه السلام ، ويستدل على ذلك بأن الذين سنوا أوائل هذه الشعيرة في الجاهلية كانوا من الموحدين الذين اتبعوا ملة إبراهيم ؛ ومنهم من يرى أن عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام هو أول من سنه وسار عليه ( وقد أخذ بهذا الرأي الأستاذ هيكل في كتابه « حياة محمد » ) .

ولكن لم يثبت بصدد شيء من هذا كله دليل قاطع . ومهما يكن فإنه لا يضير الدين الإسلامي في شيء أن يكون صيام رمضان متبعاً عند العرب قبل بعثة الرسول ، فمن المعلوم أن الشريعة الإسلامية أقرت كثيراً من عادات العرب وشعائرهم ، وأن ركناً كبيراً من أركانها وهو الحج قد حافظ على أوضاعه ومناسكه في الجاهلية حفاظاً كبيراً .

علي عبد الواحد وافي

# باسمك اللهم

للأستاذ محمد سعيد العريان

اليومَ هلالُ المحرم من السنة السابعة بعد البعث.

وقد بعث أبو الحكم ابن هشام [illegible] من نادي قومه، واجتمع إليه قبائلُ من أشراف مكة وذوي الرأي من قريش يتسمعون مقالته، وما منهم أحد إلا كان له [illegible] في إيذاء محمد وصحابته حتى يلقوا في الكعبة [illegible] ما صنعوا ولم ينالوا منهم منالاً؟ على أن أبا الحكم وأصحابه اليوم لفي أمر عجيب وأمر عظيم

إن أمرهم ليوشك أن يفلت من أيديهم، وهم أهل قريش منزلة ومكانة بين سائر العرب، من الساحل إلى أطراف البادية، وهذا محمد وإنه لرجل فرد ليس له منعةٌ من أهل ولا عصبيةٌ من دم ولا [illegible]، وإنه على ذلك ليجاوز [illegible] ويتحدى آلهتهم وما يعبدون حتى ليوشك [illegible] سبيله أن يكون هو صاحبَ الرأي والسلطان في العرب جميعاً، وأين هو من هؤلاء وأين يبلغ!

ولقد نقمت قريش في حربه ومناهضة دعوته والكيد له ولأصحابه ما بلغ بهم جهده [illegible] عن وجهه [illegible] من حزبه؛ فما بلغوا شيئاً مما أرادوا، وإن دعوته لتنتشر وتتسع حتى يتسامع بها العرب، وإن أصحابه ليزيدون ويكثرون، وإن قبائل العرب من قريب ومن بعيد لتسمع عنه وتعرف من خبره ما لا يريد أبو الحكم بن هشام وصحبه أن يعرف أحد! بل، وإن [illegible] الدعوة لتطوي البيداء وتعبر البحر من ساحل إلى ساحل حتى عند النجاشي [illegible] والسلام [illegible] من [illegible]

«[illegible] في رأي محمد ما أقرب!»

* * *

وجمع وجوهُ قريش وأصحاب الرأي في مكة يتشاورون ليدبروا أمرهم أمراً

وقال أبو الحكم بن هشام:

«يا قوم، أما إنه ليوشك أن يكون أمرٌ شديد! وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كأن ما كان من أمره؛ فإن لم يكن قطعه واستئصال خضرائه حتى يذهب بذوره ويذهب به، فليكن تدبيرٌ جديد»

وتطلعت الأعناق تترقب ما يكون من تدبير أبي الحكم في جهاد محمد وأصحابه، واسترسل يقول:

«[illegible] ألا إن هذا نفرٌ من بني عبد مناف هو منا ومنكم حيث نعلم، وإنهم ليطلبون [illegible]، أفتتركهم وما يحاورون حتى يثبوا بكم إلى أمر؟

«[illegible] وهذا أبو طالب بن عبد المطلب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره [illegible] فليجتمع أمرنا على ما يريدون ويجتمع أمره، ولتكن [illegible] بيننا وبين هذا الحي من قريش: لا صلة بيننا وبينهم في أمر؛ فلا نبيعهم شيئاً، ولا نبتاع منهم، ولا نخالطهم في شيء. ولتكن [illegible] مقطوعة حتى يفيئوا إلى أمرنا؛ فإنهم ليشكون أي شيء هذه القطيعة أن [illegible] ليموتوا جوعاً وعطشاً وعرياً؛ أو يسلموا إلينا محمداً وما يجرد سيف من غمده ولا أديم دم!

«يا قوم، فذلك رأيي [illegible]، وليكن بيننا عهد مكتوب معلقه في جوف الكعبة [illegible] لا ننقض منه [illegible]»

وصاح صائح من أقصى المجلس: «رضينا يا أبا الحكم!»

وجاء كاتبهم منصور بن عكرمة فأملى عليه:

«باسمك اللهم

«هذا ما تعاهد عليه أشراف مكة وذوو الرأي من قريش: أبو الحكم بن هشام، وأبو لهب بن عبد المطلب، ومنصور ابن عبد شرحبيل، و[illegible] بن [illegible] أنهم [illegible] من بني هاشم وبني المطلب، لا يبيعونهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم، ولا يخالطونهم

في شيء ، وكل رحم بينهم مقطوعة ، حتى يقتلوا محمداً »

وتناول أبو الحكم الصحيفة مطوية ، ثم علقها في جوف الكعبة ، يشهد الله أصنامهم وأمر بني عبد مناف !

• • •

وأوى محمد وأصحابه إلى شعب أبي طالب من شعاب مكة ، حتى يقضي الله أمراً بينهم وبين بني عمهم من قريش ، ليس لهم ما يمنع إلا ما بين أيديهم من طعام ولباس وشراب ، ولا يعرفون إلى كم يمتد الحصار المضروب عليهم في هذا الشعب الذي ليس له إلا باب واحد يقف الأعداء على رأسه ، يتلفتون أن يدخل إليهم داخل بشيء من الزاد أو الميرة

وتتابعت الشهور شهراً في أثر شهر ، والمسلمون في مقامهم من شعب أبي طالب ، لا يجدون من الطعام ما يغني من جوع ولا من اللباس ما يقي من قر ، إلا ما يصل إليهم في جنح الليل من شيء يسير يحمله إليهم من يرق من أبناء عمومتهم على حذر وريبة

وجاء الموسم ، وأم الحجيج من بلاد العرب سوق مكة يسوقون الإبل قد أوقرت طعاماً وثياباً ليبيعوا ويشتروا ويحضروا

وطمع المسلمون أن يكون لهم من ذلك شيء ، فإن هؤلاء التجار العرب في حل مما تعاقدت عليه بطون قريش ، فإن لهم أن يبيعوا أبناء عبد مناف ما يطلبون من بضاعتهم بما في أيديهم ، فما كان لهم في تلك ( الصحيفة ) الظالمة رأي ولا عهد

ويخرج من يخرج من المسلمين يبتغي ويلتمس عند القوم ما يسد رمقه ، ويقف على سلعة من التجار يريد أن يشتريها ، ويمر به أبو لهب فيقوم في السوق منادياً

« يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم »

ويسمع التجار ما قال أبو لهب ، فيزيدون على المسلمين في السلعة قيمتها أضعافاً ، فيرجع المسلمون إلى أهليهم وما باعوا ولا اشتروا وليس في أيديهم شيء يطعمونه ، ويشتري التجار على أبي لهب بربحهم بما معهم من الطعام واللباس !

ومضى عام وعام وأوشك ثالث ، وما يزالون حيث حصرهم أبناء عمومتهم من قريش ، حتى جهدوا وأشفى كثيرهم على التلف جوعاً وعرياً

ويرى محمد أصحابه وأصحابه في سبيل الله ، فيثبتهم ويربط على قلوبهم ، ويقول :

« لقد كان من قبلكم يمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه »

مهداً نفوسهم مطمئنين إلى العاقبة

وبلغ بهم الجهد حتى يأكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر ، وحتى يستغنوا بما يصنع الشاة ، لا يجد أحد أكلاً إلا ما يقتسم من حشائش الأرض ومن عرض التيب في مسيل القرى

ويقص سعد بن أبي وقاص على صحبه من آلام الجوع حتى يكاد يخنس بظهره ، ويقال منه الجوع حتى يخرج في سواد الليل يتحسس ويلتمس ، فيطأ على شيء رطب ، فيضعه في فيه فيبتلعه ، لا يدري ما هو ، ولا يجد له في فيه مذاقاً ! !

ويعلو بكاء أطفال المسلمين من الجوع ، ويُسمع أصواتهم من وراء الشعب صائحين من الصخب والتضوع !

والمسلمون على ما بهم لا يزل منهم الكبار صابرين بما صنعوا لأنهم وهبوا نفوسهم لله ، فلا عليهم أن يموتوا جوعاً أو عرياً مجاهدين في سبيل الله !

• • •

ويسمع المشركون بما نال محمداً وأصحابه من الجهد والمسغبة فمنهم من سره ذلك ، ومنهم من ساءه

ويفرح أبو الحكم بن هشام بما نال المسلمين من الجهد والمسغبة ، ويضحكه الفرح حتى يأمل أملاً ...

ويغضب من يغضب من قريش لما نال إخوانهم وأبناء عمومتهم من بني عبد مناف ، وإن كانوا على دين محمد !

ويأسى هشام بن عمرو بن ربيعة على ما نال أهله لأن أمه كانت من هاشم بن عبد مناف ، وكان مع المسلمين في شعب أبي طالب ، فيأتي ببعيره قد أوقره طعاماً وبراً ، حتى يقبل به فم الشعب ليلاً وقريش في غفلاتها ، ثم يخلع خطامه ويضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ليقتسموا ما يحمل من طعام وبر ، وماذا يغني بعير واحد والمسلمون كثرة يكاد يقتلها الجوع والعري ؟ —

ويقول أبو طالب لابن أخيه : « لقد بلغ الجهد منا ما ترى ، وإن رجالاً من قريش قد استشعروا الندم على ما تعاقدوا عليه ، ولولا شرف السمعة وتهمة الخيانة لأعلنوا أنفسهم وتبرءوا من عهد الصحيفة ! »

وابتسم محمد في صدق، وقال: «يا عم، إن الله قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان...»

ونهض أبو طالب وهو يقول: «أربك أخبرك بهذا؟»

قال: «نعم!»

وخرج أبو طالب إلى قريش في ناديهم فتحدث إليهم في أمره

ويعطف على هشام بن عمرو ما يلقى أخوه صلة والمسلمون معه، فيمشي إلى جماعة من أشراف قريش لهم في بني عبد مناف صهر وقرابة، فيحرضهم على نقض الصحيفة، ويؤيده في رأيه طالب النسب وعطفاً على من لهم، فيجتمع على رأيه جماعة منهم، يتواعدون على ميعاد إلى حيث كانت وجوه قريش تجتمع في ناديهم من الحطيم؛ ويتقدمهم زهير بن أبي أمية (وأمه عاتكة بنت عبد المطلب) فيطوف بالكعبة سبعاً ثم يقبل على الناس فيقول:

«يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة!»

ويرتفع صوت أبي جهل من بينهم لا يسمع، فلا يكاد يرد رأيه حتى تأخذه الأصوات من كل جانب: «مزقوا الصحيفة، لا رضينا ما كتب فيها ولم نشهد إلى الله منه!»

تلك كانت أصوات هشام بن عمرو وأصحابه الأربعة: المطعم ابن عدي بن عبد مناف، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والعاص ابن هشام، وزمعة بن الأسود.

وبلغ الغيظ بأبي جهل وأصحابه ما بلغ، أن رأوا ما أجمعوا عليه يحاول أن يخرج من أيديهم حتى ظنوا أنهم من الذين الذي يدعون إليها على صواب، وأن محمداً وأصحابه يوشكون أن يغلبوا!

فقال أبو جهل: «هذا أمر قضي بليل، وما أحسبكم إلا دبرتموه في غير هذا المكان!»

ويتقدم أبو طالب بن عبد المطلب في جماعة من بني أبيه قد لبسوا أحسن ما يجدون من الثياب، فما إن يسمعون ما يقول أبو جهل حتى ينتصر أبو طالب: «بل هو أمر قد صدق رب محمد!»

والتفت أهل النادي إلى حيث كان أبو طالب في أهله، لا يدرون ما يعني مما يقول!

وتعلقت أبصار الناس على أبي طالب يستمعون ما قال وهو يمضي في حديثه:

«بل، ويلٌ بيننا وبينكم هذه الصحيفة المكتوب في الصحيفة، فإن ابن أخي أخبرني من أمرها... فهلم إلى صحيفتكم؛ فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتم أو استحييتم!»

ووثب المطعم بن عدي إلى حيث كانت الصحيفة في جوف الكعبة، وفض غلافها، ونظر، ونظر القوم؛ فإذا الأرضة قد لحستها لم تترك منها من شيء ... إلا «باسمك اللهم»...

* * *

وخرج المحصورون من شعب أبي طالب إلى فضاء مكة كيوم ولدوا من ذلك الحصار الذي كان مضروباً عليهم ثلاث سنين لا يبيعون ولا يبتاعون؛ وإن كانوا من عنادهم المشركين لم يهتزموا في حصار أمتع ولا ... ولكن شيئاً من ذلك لم ينل من نفوسهم ولم يوهن عزائمهم.

ومضت أربع سنوات أخر، ثم انطلق المسلمون من الحصار المضروب عليهم حول مكة كلها مهاجرين إلى حيث يؤلف محمد وصحابته حكومتهم في دار الهجرة؛ ولا تمضي إلا سنوات من بعد، حتى يكون محمد وأصحابه في طريقهم إلى مكة يقودون الجحفل اللجب يحاصرون مكة كلها، وينزل إليهم أهلها صاغرين!

ودار الفلك دورة؛ فإذا تلك القلة من بني عبد مناف وحلفائهم الذين كانوا بالأمس محصورين في شعب من شعاب مكة لا يجدون ما يأكلون — قد وثبوا أكبر وثبة عرفها التاريخ، فإذا منهم القادة والسادة والأمراء، يمضون بدعوتهم على مصابيح مرائي الدنيا ويبشرون بدين الله في أربعة أقطار الأرض... وترفرف الراية الإسلامية على قلاع فارس والروم والغرب وأوربا؛ ويمضي جنود المسلمين من أبنائهم وحفدتهم يطئون العروش ويقتحمون الممالك ومناصيهم يتردد في صدى كأنما: «باسمك اللهم... باسمك اللهم!»

محمد سعيد العريان

---

حكم استئنافياً بحبس مصطفى حسنين صالح بنزلة ... في القضية رقم ٢٢٤ الجيزة سنة ١٩٣٩ استئناف ٥٦ سنة ١٩٤٠ بجلسة ١٦ ديسمبر عشرين يوماً ... التصوير

---

# ضع يدك في يد محمد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

ضع يدك في يد محمد وسر معه في الطريق الذي شقه له باري الطبيعة بين السبل المتفرقة إلى الحقيقة والسعادة والسلامة الاجتماعية، ودعوة الإعزاز والتكريم على الشعوب والأرض، وشدة الحرص على اتباع أسراره في حفظ الفطرة سليمة من زيغ النفس وخداع الهوى وأمن الرأي والأهواء الأنانية. يسر لك نفسك أولاً، والإنسانية ثانياً، والطبيعة كلها ثالثاً.

ثم يبين لك بعد أن تنتهي إلى هذا الرجل وتصحبه في جهاده ما يجتاح الأرض الآن من الشر والتدمير النفسي للنفس الإنسانية والحياة والاجتماع.

ولم يبق لك بعد ذلك أن تعجب للمثل الأعلى الذي رسمه الله في خلق هذا الرجل وخلقه وتقيس به على الأمثلة السفلى التي رسمتها الأهواء الكثيرة في هذا الزمان.

ثم إنك ستعرف حقيقة هؤلاء الجبابرة، وستكون من هنا ستكون للبشرية [illegible] محمد في صرع هو الطاغوت الجبروت وطغيانه وحرب الإنسانية وردها إلى الوحشية الأولى.

بل سترى رأيك على الذي مع محمد وتعرف الباطل الذي مع هؤلاء، فاعرف سريرتك ووجهتك وأي السبيلين يجب أن تتبع. ولن يغفر لك رب الحياة القيوم عليها والقيوم على اطراد أسراره بها أن تحمل شيطاناً أخرس ترى الإنسانية تهدد أمن وسلام الله في الأرض فتعطلها الشرور وتقررها الأباطيل وتمسخ ما كان وجه الحقيقة والسعادة وتخرب ما بناه أنبياؤها ومصلحوها بعد ما طال وجدها.

لقد سئم شباب كل أمة وراء من كاذب يقول لهم: نحن نحن! ولا أحد غيرنا! فالشمس والهواء والثراء والثروة لم تخلق إلا لصنف هؤلاء الأعلى. وهذا كذب صارخ على الله، وحرب مصرحة مستطلقة لا أوله من تنويع الناس، وشره خلع عجيب من عقل الإنسان من التشعب.

ونحن لن نبحث عن رجل آخر نسير وراءه يحقق لنا ونكمل له ونطلب منه مبادئ أخرى غير مبادئنا، وإنما سنبحث محمداً في [illegible] ونسير وراءه فيتكشف لنا ويكشف معه بما نطقت به السموات والأرض وكل قائم حق في الفكر والحياة والزمان الأول والأبد الآخر.

نحن شباب بعبادة الأشخاص وتأليه الأفراد. وهذه إحدى نعم الله في محمد على الديمقراطية وسيرتها. فقد كرم الله كل نفس عن عبوديتها واستقلالها بالعلم والرأي حين سوانا القرآن « عباداً لله في أرضه » وجعل عبادته واضحة أمامها دائماً « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وعلى قدر الاستعلاء من مبادئ محمد و« تمثيل » الأشخاص قد يكون ممن كرم من قيادة أمتهم من غير سيادة موروثة أو حيلة ماكرة أو عهد شخصي بطغيانه ... وإنما هو علو عند محمد وقع عليهم فأضفى عليهم لوناً من ألوانه.

إن محمداً نفسه لم يطلب [illegible] يذكره العبد الإنساني على لسانه، وإنما كان يعرف أن العبد لله كله والعبودية [illegible] وما كان مثله ينبغي له أن يطلب هذه المظاهر التي تذهب تم الطغاة، وإنما كان يذكر كلمة « العبد » و« العبادة » كثيراً ...

وإن من طبيعة الرسالة المحمدية أن تحطم الأنانية الفردية والكبرياء والخيلاء والأحقاد، لأنه يعرف أن هذه المظاهر لا تقوم معها حق ولا عصبية ولا دولة ولا سيادة قومية ولا بشرية. ولذلك سترى الغرب بعد ما وصل [illegible] أنواع هذه الرسالة تخفي المواهب من الطاقة والرحمة والتواضع في حيرة « [illegible]

ويمضي بجسمهم أو بهم فهو يركب جدهم إلى داره والمسجد يسير بجواره وقد يضع ابن الهيماء لأن الحرباء حين من التراب استتاراً من تسيره حية بصوته وتركها لا اعتداء ...

لقد أوشك أن يختفي اسم الله من إنسانية هذا العصر، ويختفي ما كان يحيط بهذا الاسم من هالة السحر والخير والصبر والخلود الهواء من وجهه في ظلال، ويظهر وجه الشيطان والإنسان وحدها . فأبطال الدنيا المعاصرة يختفون باسم الله عن أعين الناس التي أصابت فيها لهم، وهم يحسبون بذلك كل جهاد أولى الهرم من الرسل والصالحين الماضين الذين أوصلوا الإنسانية إلى ما وصلت إليه، ويدعون لأنفسهم أنانية ، ولا يرون من حقائق الحياة الطيب إلا القوة

إنهم شككوا الناس في رحمة الله وعدله وأوشكوا أن يريبوهم في وجوده! وبذلك حبلوهم وحرموهم من رؤية أولى حق يجب أن يرى ..

لقد تساءل بعض الذين يجهلون بأصول الحياة، أين رحمة الله في حرب مثل حرب الظلم أو هذه الحرب التي يوشك أن تكون أعظم؟ وأين صبغة الإنسانية التي يزعم لها القداسة مع أن بعضها ينظر لبعض الآخر باحتقار؟ إن معنى الإنسانية لم يتحقق حتى صرح عنها بالفلسفة: إن الأبيض يحتقر الأسود، والأحمر يحتقر الأصفر، والأصفر يحقد على الأبيض، وهكذا، فهي إلى الآن لم تعرف نفسها بعد، ولم تعرف وجهتها في حياتها ولم تعد ... ، ولم تتفق على كلمة سواء فيما بينها، وهي لا تزال في بلبلة من آرائها ومشتتاتها ومعاهدها ... وهي لا تزال تتخبط بين الأمواج والزوابع، ولم تقطع بعد من ... وتصرفاتها وضلالاتها من ظلم البشر والشر الذي ما خلقت إلا له

وهذا التساؤل وهذا التشكك لا جواب له ولا شفاء منه إلا في «الكتاب» الذي طبع اسم الله على كل شيء، وفي كل وقت حتى يرى الناس ما أخفى دائماً ولا ينسوه ... وهي يشعر كل شيء من عالم الآفاق وعالم الأنفس في مكانه إلا إذا طبع اسم الله عليه. وهنا يطلب ... استقرار النفوس ما لم يكن هذا أداءه الأولى ... وهذه هي طريقة القرآن في كل آية، أن يذيلها بذكر جانب من صفات الله وشئونه

إن منطق الإسلام يستمده من نواميس الفطرة العامة نشكل

ما أخرجته من الأحياء حتى الحياة وأمواتها ... وهي ... على التي يملأ كل ذرة من ذرات الطبيعة

إن هذا التسلسل يجري بالفطرة ويضع قوانينها التي لا يستبدل وأن يحسنه ووحدته دائماً أمام عين الإنسان، حتى لا ينسى أخلاق الله في ملابسه لجميع أحوال دنياه ..

ألم يقل: «تخلقوا بأخلاق الله»؟ فما أعجب هذا القول وما أعظم ربطه بين النفس الإنسانية والطبيعة ذات القوانين التي لا تتبدل ولا تختلف!

وخلافة الإنسان في الأرض هي أن يسير على أسلوب الله. أي أن يحقق الحياة ... في ... ويسع ... بين الناس، ويحصل قدره، ولا يبطلها بالجهل والرعب ويخلق من طين الأرض ... آلاف بعد ... ويسيرها بعلمه وذكائه كما يسير الله الأحياء بروحه وإلهامه ... على شريطة ألا يخرجه ذلك عن نطاق الطبيعة فينسى أنه من أبنائها وأحيائها، ولكنه دائماً يحس ويمشي هناك لأنه هو المختار وذكاؤه ... تباعد بينه وبين أسلوب الطبيعة، وتجعله من هنا — هو يخلق بذكائه جواً ... يجعله منفصلاً عن سير الحياة بما عداه من الأحياء، ويجعل بين عالمها وعالمه حاجزاً ..

... وفطرته ... حياته ... ونظره في النجوم ... نجوم السماء ونجوم الأرض، وقال له القرآن التي هي معنى الإسلام: «إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً» ومضى مع ... الطبيعة هارباً مما يقلق ... ذاتياً ... في المنطق ... أيضاً طريق الحياة ... بما يبعث فيه ... والصبر ... والمنطق البسيط للأمور ... النظرة الواضحة ... الناس ... في الحياة ، في الجهل والظلم ... أنانية ... ما دام كل إنسان لم يخلق ...

ومن ... أن هذه النظرة الأولية الطبيعية تتفق مع النظرة الناشئة من ... لأساليب ... الإنسانية أي ... الحياة الديمقراطية التي ... الإنسان ... الأولى من الحياة ... بشكل جماعة ..

ومن حسن الحظ أيضاً أن مراكز الديمقراطية الآن – وإن كانوا أقل من المسلمين حرية عقيدة في تقديرهم معنى المساواة والحرية والرحمة والأخوة الإنسانية – مستعدون أن يسمعوا دعوة الإسلام لهم وأن يأخذوا أسرارنا القديمة والحديثة في الدعوة إليها والدفاع عنها ويسمعوها إلى أقوى منهم وهم يحاربون أعداءهم

مع نحن نشترك معهم في الفكر وفي الغاية، فنحن نطلب الحق والحرية والعدالة لذاتها ولنا إحساس نحوها يسمونها إحساساً مستقلاً عن حرية الإيمان وبعض المعاهد الدينية، وهم يطلبونها ويقدرونها حفظاً لما في أيديهم من السلطان وأغراض الدنيا

غير أننا نحب أن ننتهز هذه الفرصة لتدعو عبادي محمد إلى طريق مراكز الديمقراطية، فلعل ما لم فيه من الحق والتشكيكات تجعلهم يعملون على الخير والحق لذات الخير والحق

وما دمنا نعتمد على إثارة روح الغلبة التي تستمد من قوة وروح الدفاع عن أسلوبه في الطبيعة وحفظ فطرته كما أرادها ربنا، وأحسب أنه سيتيح لنا شيئاً في حياة المسلمين يعقد منها نوره الذي وضع بشعلة الأعظم في يد محمد

وأحسب أن هذا الزمان يتمخض عن انقلاب خطير: إما إلى عصر ترديد وشكاك وجاهلية جهلاء... وإما إلى عصر نحو حقيقي للإنسانية على الدين وغير أهلهم الحق الذي عرفوه أن أخذوا مكانهم في الصف الذي اختاروه تحت الطبيعة ورب الطبيعة في هذه المواقع الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر

إن قلب الإنسان يحمل الأعاجيب إذا ما اتصل بالخير...

إن الرصد الذي يرصد إرادة الخير ووجهها حين ربط رب القدرة يخرق أمراً حكماً أو يبرمه

إنه مفتاح أرضي يذيع النداء العلوي المتجدد

* * *

ويريد من الذين لا يعرفون بالمذاهب ولا يؤمنون بالغيب وبكمهم مأمورون من مجلة الشرقي في الأرض الآن، أن يعملوا في حب محمد من أنه بطل يمثل آراءهم ... عقيل وأبوهم

وإن في عبادته عناصر بشرية خالصة مستمدة من طبيعة الأرض لا من روح السماء

فليحتذوا عبادته هذه فقط، وليحتكروا ... التي في قلوبهم لواحد يرى ما لا يراه الشعوب الصحيحة

وحل العصر التي يلاقونه من الشيء ... إلى أن فيه جانباً آخر، فيحملهم ذلك على الإيمان ...

وأؤكد أن ما فيه من السمو العجيب سيحمل كل منصف على أن يرى تفرد قلبه وعقله بصفات لم تشبهه بعد. وأحسب أول مرحلة الاعتراف به الاتصال بعالم خارج عن نطاق الأرض ما دام قد تفرد بين أبطال الغيب الذين نظروا إلى الحياة من جهة واحدة، بأن فيه وسع كل جوانب النفس، واستوعب عصائرهم، وأقوى الذي يستسلم الذي لا يطمع في الأمر والامتلاك والأرسال. ولا يعرف غير محمد رسول الله نخبة تفرده بين البشر إلا الذي أعرض عن تاريخ أبطال الغيب. إنه لن يجد قلباً ولا عقلاً ومن ما رأى عقله وقلبه من الحق الصدوق وشكه اليائسة ووسائل الإنسانية على حقيقة المعنى

وكثيراً ما أعرض أن شباب غير مسلم، وأعيش حياتي المغلية على حب الفرص، وقد أصابه ما يصيب أي عقل باحث من الشكوك وآخر استعراض الآراء والمعتقدات، فأحدى حيث كأني محيط في صحراء، كل ما فيه من الإيمان نابع من شعوره بالسحر المطلق أمام جبروت الكون ورهبته وإصراره على إعداد ما وراءه من أسراره – فإذا عنده أن يحمل إزاء هذا غير البكاء الدائم من هيبة المنتهين المطلقين إن كان عبثاً الحياة مفتراً مصيره المجهول –! وغير الحنين الدائم للسموات والسير بالإنسان في الأرض إن كان لديه الإحساس الحياة، متقلاً من مصيرها ! وغير الكيد بعصر بشرى أو حجرى أو شجر أو شمس أو قمر أو سحاب أو نجم بين كل ... مثل الحياة ؟!

أما الإيمان المنزل الرصين فهو يمر كل من، ويضعه مكانه، ويعرف رب الكون بما يشبع رغاب العقل من غير إفساد لانقلاب المحبة مع الخير ومع الفلسفة ويضع الإنسان ثانية مصيره الحياة ... بذلك ما كنت اعتقده لو لم أكن مسلماً

وهكذا، يرجع التحرر العقل المديد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسيصبحون حب المؤمنين به الباحثين فيه إلى حب عاقل وتقدير بمقاييس موضوعية لا ذاتية إذ هو أعظم ... ورسالته لا تنحصر بمدرسة حديثة أو قديمة في كتب عن الدنيا في المعتقدات والمذاهب والآراء

(القاهرة) عبد المنعم ...

# خباب بن الأرت

للأستاذ كامل محمود حبيب

«رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً» (علي بن أبي طالب)

هذا هو (خباب ابن الأرت) فتى في ربيع الثلاثين من سني حياته، أخذ [illegible] من الأركان مشاكل العيش [illegible] على ساعد مولاه (أم أنمار) [illegible] قريش [illegible] يصنع [illegible] وهو هنا في شغل [illegible] عن حديث في أرجاء مكة يزلزل القلوب والأفهام وعلى كل لسان كله واحد: محمد [illegible] محمد! وإن زعماء قريش ليدوي أصداؤه فيها يتشاورون [illegible] كما جاء به محمد

وخلص خباب إلى نفسه يقلب الرأي، ويتدرج في حاجات [illegible] محمد؟ أي يأس في الرجل، وهو الصادق الأمين! لقد ما عهدنا عليه من سوء منذ كان! أيفترون عليه الكذب بعد أن [illegible] الشك في صدقه؟ ثم ما هذه الأصنام التي أراها معبودة؟ أخلقنا لنعبد آلهة؟ ليت شعري أي الطريقين أهدى سبيلاً وأقرب رشداً؟

ثم [illegible] خباب على رسول الله (ص) يريد أن يستطلع سر الدعوة الجديدة! وإن رجليه لتتعثران من الرهبة، وإن قلبه ليرتجف من الفزع، خشية أن يراه أحد عيون قريش فيخطر به، وهو هنا وحده لا [illegible] ولا وشيجة قربى تحميه كهدم أو حليف من عشيرة [illegible] النبي الكريم [illegible] وفي حلاوة [illegible] ووساوس [illegible] وفي الإشراق الإلهي ليختلج في قلبه [illegible] ثم [illegible] من تلك اللحظة [illegible] رجلاً [illegible] من إسلامه في غير رهبة ولا حذر

يا عجب! أي سر حق انبعث في قلب الرجل فأصبح لا يخاف من شر قريش جميعاً وهو كان يفرق من أن يراه عين وهو يدلف إلى حانوت رسول الله (ص)؟ لا ريب أنه هو الإيمان الحق حين يتغلغل في النفس، فينتزع الإنسان من معاني الأرض ليكون في معاني السماء فحسب

ورضي رسول الله (ص) عن خباب فكان يغشاه [illegible] ويعجب بثباته ورباطة جأشه [illegible] وتناهى الخبر إلى سيدته (أم أنمار) فحاولت جهداً أن تحول بينه وبين سيده [illegible] فلما أعجزها أن تنال خباباً راحت [illegible] العذاب [illegible] في غير شفقة ولا رحمة [illegible] ثم [illegible] إلى رسول الله (ص) يكشف له عن أثر [illegible] في رأسه، [illegible] من [illegible] الأذى، [illegible] له النبي: (اللهم انصر خباباً) فلم يلبث غير قليل حتى أصيبت أم أنمار [illegible] تعوي عواء الكلاب، [illegible] خباب يكوي رأسها [illegible] أو تخور [illegible]

وكبر على قريش أن يقوم رجل منهم يثلب آلهتهم ويسفه أحلامهم ويعيب دينهم، [illegible] الأذى عنهم وعن النبي الكريم، [illegible] بضروب شتى من العذاب، [illegible] الشيطان يوسوس لهم [illegible] أن يدفعهم إلى غاية [illegible] وهم [illegible] في الصلاة، [illegible] ومن أيديهم جماعة من ضعفة المسلمين: خباب وصهيب وبلال وعمار وأمه وأبوه [illegible] أدرع الحديد، ثم يطرحونهم [illegible] رمضاء [illegible] على [illegible] الحديد وأوار الشمس، وخباب من بينهم [illegible]

يا لله! إن في الإنسان نوازع إذا سيطرت عليه استحال إلى حيوان لا يجد في نفسه معنى من معاني الإنسانية، وهكذا كانت قريش حين أعماهم [illegible] التعصب والغيظ [illegible] عليهم [illegible] السلطان [illegible] فجعلوا يفتنون [illegible] المستضعفين من المسلمين ...

أي شيء جنى خباب فيصلوا ظهره بالرمض في قسوة وغلظة ثم ما يزالون به حتى يذهب ألم متنه ؟

أي ذنب ارتكب خباب فأخضعوه إلى نار تستعر يلقونه بها ، ثم ما يبرح الواحد منهم يضع رجله على صدره ، فما يتقي الأرض إلا بظهره ؟

ويستشعر خباب العذاب يأكل لحمه ويبري جلده ، وما له مفزع سوى رسول الله (ص) فانطلق إليه يستنصره على ما يلقى من غلاظة قريش وجبروتهم فقال له رسول الله (ص) وإن أثر الغضب ليبدو في وجهه « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه ما يصرفه عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه عن دينه . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » . فخرج خباب ورفاقه من لدن الرسول يستعذبون الأذى في سبيل الله

وخرج المسلمون بدينهم إلى الحبشة ، وخباب يرقبهم ويودعهم إلى مهاجرهم ، وعيناه تفيضان من الدمع حزناً على فراق أحباء نفسه في السراء ورفقائه فيه في الشدة ، ثم هو ما يريد أن يصدر عن مشرق النور من وجه النبي الكريم ، على حين يرى فيه السلوة والعزاء ، ويرى ثقته في معاده ، فما ينال منه أربا ، ولا تبلغ منه عرضاً دون ظله الإيمان ...

وهاجر ، فيمن هاجر إلى المدينة ليبقى إلى جانب نبيه يشهد المشاهد كلها لا يستشعر الوهن ولا يتسرب إلى نفسه الخور ، ثم هو بين صحابة الرسول (ص) في الذروة والشرف

ولحق النبي الكريم بالرفيق الأعلى ، فتحطم خباب صدراً حين أحس لذع الفراق في مرارة نفسه . غير أن الأسى ما كان ليظهر فيه عرض الوهن في وجهه أو الضعف في إيمانه ، فانطلق إلى غايته يبذل النفس والمال في سبيل الله ، وصحابة رسول الله (ص) يعرفون له حقه ويكرمون وفادته . وكان عمر ابن الخطاب في خلافته ليراه يدخل عليه فيقول له : ادن ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار بن ياسر . فيأخذ خباب يريه آثاراً في ظهره مما صنعه المشركون ...

لقد كشف من ظهره [illegible] [illegible] أو يكشف من تحت جلده في دين الله ، [illegible] كثرة ما ناله من أذى ..

وانشقت العصا وصدع الأمر وراح كل حزب [illegible] بما لديهم ، وخباب بالكوفة بين صحابه من عصبة الفتنة ، ويقعده السقم ! فلا يجد القوة على نصرة علي بنفسه وألح عليه المرض يدفعه إلى غاية كل حي وفي نفسه أن يتمنى الموت ، من طول ما عركه المرض ، ولولا انه سمع رسول الله (ص) يقول « لا يتمنين أحدكم الموت » ..

وعاد خباباً نفر من أصحاب رسول الله (ص) وهو في مرضه الذي مات فيه فقالوا له « أبشر يا أبا عبد الله ، إخوانك تقدم عليهم غداً » . فتدفقت العبرات من عينيه وهو يقول : أما إنه ليس بي جزع ، ولكن ذكرتموني أقواماً وسميتموهم لي إخواناً ، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي ، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا من بعدهم ، فما هو كفن مهلهل ، ولكن حمزة عم النبي (ص) كفن في بردة كانت إذا مدت على قدميه تقلصت عن رأسه ، وإذا مدت على رأسه تقلصت عن قدميه حتى جعل عليه إذخر[1] . ولقد رأيتني مع رسول الله (ص) ما أملك ديناراً ولا درهماً ، وإن في ناحية بيتي الآن ، في تابوتي ، أربعين ألف وافر ولقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا

لا عجب ، فها هو ذا خباب بن الأرت سادس ستة أسلموا أول ما بزغ النور الإلهي من جبين الرسول (ص) هو حديث الإيمان الصحيح الذي ما زال يجرب في القلب ويتمثله من آلام نفسه يدور بين التسبيح والخوف

ودفن خباب - أول من دفن - بظاهر من الكوفة

وتمثل علي - حين رجع من صفين - بقبر خباب ، فيشيع الرجل يكلمه « رحم الله خباباً ! أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلي في جسمه أحوالاً ، ولن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً »

فرحم الله خباباً

أمين أحمد حبيب

(١) هو حشيش أخضر طيب الريح

# في دار الأرقم

للأستاذ علي الطنطاوي

حتى إذا أمسى مكة وراء الأفق الناجي ساعته ما سال من أشعته الذهبية على قمم الجبال، وعلى صخور الهضاب المتموجة ... حب ... كأنما بعث الدفء والنور والحياة، وبدأ الأمس في مكة وبدأ ينحسر عنه الظلام، وما هي إلا عشية حتى تغشى الليل بردائه الحالك، وظهرت الكواكب في علائها تلمع خافقة واجفة، وزينت تلك السماء الرهيبة الواسعة كما تزين الأوسمة الذهبية اللامعة صدر القائد الكبير، وأوى الناس إلى دورهم يستقبلون فيها نسيم الراحة بعد نصب الهجير الطويل، ويلجئون فيها إلى الدعة والسكينة بعد صخب النهار الشديد، وبدأت أضواء المصابيح الخافتة في الليل الأسود كأنها رقع في ثوب أسود أو دنانير في جيب.

ولم يبق إلا سكون رهيب، وصمت بالغ، والصفا (الصفا) في ذروة هذا الجبل رحباً واسعاً جميلاً، يمتد مع (المروة) جنباً إلى جنب، يحسبن بجمع دور على جانبيه هي دور نفر من أهل مكة رغبوا عن مساكن ... التي ... بالأعين، فأحبوا الانطلاق إلى الفضاء الواسع، إلى الطبيعة الفاتنة، إلى النسيم العاطر العليل، فلم يلبثوا حيناً من حقبات العمر يختارون عليه ... ويبنون بها دورهم، ويحيون فيها حياة هادئة سعيدة.

وكان الناظر إلى هذه الناحية الغربية من الصفا ... على أرض الصفا، يستقر بصره على دار قد نأت ... دار متواضعة صغيرة، ليست بالعالية ولا الضخمة، وأخفى شيء عليها الأكنة والستور الجدد، ولا يبدو منها دار الأرقم بن أبي الأرقم ذلك الرجل الغريب الذي كان يعيش في ... من الناس، وهم عون أرحمه من الشيوخ، لا يعرفه إلا نفر قليل من صحابه، ولا يدري بوجوده إلا أفراد معدودون من أهله.

كان الأرقم مغمور الذكر، مجهول الاسم، يحيا كما كان يحيا رجال قومه حياة ساذجة بسيطة فارغة ... على عادة أمثاله، يمضي نهاره في جمع المال، والعمل وسوق الزرع واستدرار الضرع والأنعام، ويمضي ليله بين أهله يحدثهم ويحدثونه ثم يستلقي نائماً حتى الصباح.

وقد كان من الممكن أن تظل حياته سائرة على هذا النحو ثم يموت فلا يدري به أحد، كما مات كثير من قومه ... وكرم، وقد كان من الممكن أن تبقى داره متواضعة صغيرة لا يعرفها أحد ولا يهتم بها إنسان، ولولا أن الله سبحانه أراد بحكمته أن يجعل اسم الأرقم في ... ويكون في التاريخ الإسلامي كما كانت الهجرة النبوية في العصر المظلم، وأن يجعل تلك البيوت الخاشعة الصغيرة المتبددة بالطين والماء، منبع ... هدى العالم، ومنبثق ... السكون.

كانت الدار حقيرة كما كانت دور العرب في زمن الجاهلية الجهلاء، يقطنها عربي جاهل ساذج مع أمه ... وزوجه ... لا يعرف ... إلى الحياة ... فكان يدور بخلده أن حياته ستنقلب رأساً على عقب؟! أكان يعلم أن داره ستصبح في يوم قريب أعظم مجلس ... على الأرض؟! كان يظن أن شمساً ستشرق من داره فتنير أرجاء الأرض ويمحى بها الظلام؟

خرج صباح يوم من داره يجوب جولة بين قومه على عادته، يتسقط الأخبار ويصغي إلى الأحاديث ... فسمع حديثاً عجيباً ... يتحدثون عن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، حديثاً أكبر

لقيانه، فأسرع إليه بكل جوارحه، ولاح له من كلامهم أن دعوة جديدة حية مبتكرة يقوم بها هذا الرجل، ويدب فيه شبابه هذه الدعوة، ويصحبها من كثرة الشتائم التي تصبها على صاحبها، ما كبر الأمر، وهاله أن يكون في قومه من يبتدع مبتكراً من الدين يقف به الناس عن دين آبائهم وعاداتهم وأخلاقهم، وهم يستنكرون من محمد، ولينخسن به، ويسمن كلامه الجديد...

ومشى ذاهلاً يتملكه العجب من هذا الذي سمعه، وهو يعرف «الأمين» أحسن قومه خلقاً وأطهرهم نفساً وأبعدهم عن المفاسد والمآثم، وأكثرهم أدباً وعقلاً ورزانة وحلماً وعفافاً، وأصدقهم، وأرحمهم قلباً وأكثرهم عطفاً على الشاكين والأطفال واليتامى والمساكين... إنه لا يعرف رجلاً أطهر ولا أشرف ولا أكرم ولا أصدق من محمد... إن قومه لم يعرفوا له كبوة واحدة، ولم يستطيعوا أن ينسبوا إليه عملاً سيئاً قبيحاً واحداً، فما الخبر؟ وما هذه الدعوة الجديدة؟

وسار الأرقم، وظل سائراً، وهو يسأل الناس الذين يلقاهم عن محمد، حتى دل عليه، ووصل إليه، فرآه في جماعة من قومه يدعوهم ويعظهم، فجلس لا يشعر به أحد، وأصغى، فسمع محمداً يقول: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون»

وسكت محمد رسول الله، وبعض القوم ساخرون، واقترب الأرقم منه وقال: إن كان الإسلام ما تقول، فأنا على دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

* * *

قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتلو عليهم بعض آيات القرآن التي كان يتنزل عليه، فلا يجد منهم إلا الإعراض والهزء والسخرية، بل كانوا يتجاوزون ذلك إلى إنزال الأذى، وبأصحابه القلائل الذين فضلوا الإسلام على الشرك، وأصلوهم ألوان الأذى، وعذبوا المسلمين الضعفاء، ورأى الأرقم ذلك فدخل قلبه الهم والتفكير والحزن للمسلمين، وعظم على تعذيب آلامهم وتعذيبهم [illegible] كأنه كلف [illegible] على تضحية روحه وأهله وما يملك في سبيل هذه الدعوة، [illegible] يخفق في كل جارحة من جوارحه

جلس في إحدى زوايا داره الفسيحة يفكر ويمعن في التفكير: لقد كنت سعيداً لما أنعم الله علي بالإسلام، وكنت لا أعلم سوى نفسي وأسرتي فأصبحت يملأ رأسي التفكير في هؤلاء الإخوان الذين ربطتني بهم أقوى رابطة في العالم ألا وهي رابطة الإسلام. وكان أكبر ما يحز في نفسي ويلح علي هو تأمين معاش هذه الأسرة الكبيرة، فأصبح من أوجب الواجبات علي اليوم أن أعمل لأدعو إلى الإسلام، ولا أقل من الأخذ ما لأخلاء إخواني، أو أن أحميهم بما أحمي به أهلي وولدي، وكيف لي حمايتهم؟ أم كيف لي بدفع الأذى عنهم؟ لا بد من العمل، لا بد من العمل

وراح يستعرض المسلمين في خياله يتعرف على عددهم، فوجدهم ستة ورأى نفسه السابع(1)، وفاجأته فكرة سعيدة نورت وجهه، وطافت بأنحاء جوارحه: إن في داري متسعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللإخوان المسلمين، وإن فيها أمناً لهم وخلاصاً من عنتهم، فلا أستطيع أن أحميهم بها من عنت المشركين؟

وأسرع إلى رسول الله، وأطلعه على الرأي الجديد، وبسط بين يديه الأسباب التي دعته إليها وقال:

— إننا ضعاف يا رسول الله، ولا قبل لنا بهذه الوحوش الكاسرة، وإن الأذى الذي يصيب المسلمين قد اشتدت وطأته، أفلا تأوي إلى داري لنجتمع فيها آمنين ونحتمي من أعين أعدائك، وننتظر فرج الله؟

فأكبر له الرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم هذه النصيحة، وأذن له بإيواء المسلمين

* * *

نشر الفجر البهيج أجنحته اللؤلؤية الفضية على أرجاء الكون الغارق في السكون، المتلفع بالسواد، الرازح تحت أعباء الوحشة، النائم تحت كلكل الليل، فانحسرت جحافل الظلام وغيهبه، وأصابت

(1) المعروف السابع

أرجاء الفضاء الرحيب وأقطارها، واحتبست الحركة بين جنبيه حتى الجن الذى أنهكه طول السهر وكثرة السمر، وحتى الشعر الذى يملأ رأسه عزم الشباب وحمية الأخلاق العذاب، واعتل الشمال عن بعد الشقة وإشراق النور، وأطل ذكاء من وراء الأفق البعيد الصافى، باسماً طروباً جذلان، واقترب نهار مكة وجبالها وصورها من لذاذة منظره جنابه، فأصبحت بها مكة عيناً شاكرة، ورقصت على جنبات الأرض الوضاء أمواج من السحر والشعر استيقظ الناس على منظرها الخلاب، ودبت حياة تدب فى أرجاء مكة التى نفضت عنها رداء النوم لتستقبل يومها فى الجد والنشاط، وهب المشركون غاضبين حانقين متحمسين على إيذاء محمد وصحبه الذين أسلموا، فأذاقوا كل منهم، ونالوا من عشيرتهم بعيداً جوراً تقضى على كل من يعبد غير الله والأجداد من آلهة، ولم يستطع أن يحولوا بينهم الصبح الذى يعدون فيه لتعذيب القائلين بالدين، فلقد كانوا يعذبون فى الليلة الماضية — وفى كل ليلة — هؤلاء الأفراد الذين صدقوا كل أنواع الأذى فى سبيل عقيدتهم، ولم يكن يعنو على أحد منهم أن يستنفد صبره وينصب مقاومته، كانوا يستمدون القوة وروح هذا الدين الجديد فى النفوس وعكفه حب [illegible] كل أنواع الأذى والعذاب فى سبيل الله صابراً، وكانوا يخشون بين هم حلوم وصبروا صبر الأبطار ولم يأبهوا لهم، ولن يجدوا إليهم بعداً كثيراً من الحرب يستعجلون بها لا طاقة للمشركين بها،

وراح المشركون يفتشون عن الأفراد الماشين فى الأسواق وفى الساحات العامة، وفى ظل الحرم، وفى دور مكة المختلفة، ولكنهم لم يجدوا منهم أحداً، ولم يجدوا لهم أثراً، كأن الأرض ابتلعتهم وغيبتهم، فعادوا خاسرين أذلاء كما يعود الجيش مهزوماً مدحوراً. أجل، لقد اختفى المسلمون فى تلك الدار النائية القائمة على الصفا، حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف عنهم الأذى ويزيل عنهم الألم، فتحلقوا حوله فى خشوع وسكينة يستمعون إلى آيات القرآن الكريم التى أوحى الله إليه بها، ويصغون إلى مواعظه فتحمل آثاره بهم برداً وسلاماً وإيماناً ويقيناً، وتبعث فى نفوسهم شجاعة وعزماً، فتمنى كل واحد منهم أن لو استطاع أن يقاتل الأعداء المشركين وأن يهزمهم ويرد ثم على أعقابهم خاسرين

جلس إلى جانب النبى صلى الله عليه وسلم فتى فى ربيع حياته، فتى له مكانة كبيرة عنده حتى إنه كان يدعوه [illegible] لقب بعد يصلك حين أخرجه رسول الله إلى [illegible] الشهداء أنه زيد بن حارثة حب [illegible] وكان أبيض أسمر مربوع للوقار، وجلس إلى جانبه رجل وسط حسن الوجه رقيق البشرة، عظيم اللحية، بعيد ما بين المنكبين، وهو أبيض مشرب بصفرة، جعد الشعر، وهو جثة عند أعلى أذنيه، جعد الساقين، طويل الذراعين، ذلك هو عثمان بن عفان ذو النورين الذى يقول عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبى رفيق، ورفيقى فى الجنة عثمان. وجلس إلى جانبه طفل صغير لا يتجاوز العاشرة من عمره هو الزبير بن العوام حوارى رسول الله وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، علمه عمه في صغره ودخن عليه ليعود إلى الكفر فقال: لا أكفر أبداً. وظل متمسكاً بعقيدته يحرص عليه حرصه على روحه. وجلس إلى جانبه رجل طويل القامة أبيض مشرب بحمرة، حسن الوجه، رقيق البشرة، أهدب الأشفار، أقنى الأنف، طويل النابين الأعليين، ضخم المنكبين، غليظ الأصابع هو عبد الرحمن بن عوف. وإلى جانبه شاب فى العشرين من عمره نشيط قوى حديد الناظرين مفتول الساعدين هو سعد بن أبى وقاص. وجلس فى الناحية المقابلة رجل مربوع إلى القصر، أبيض يضرب إلى الحمرة، ضخم القدمين، رحب الصدر، آدم، كثير الشعر، ليس بالجعد ولا بالسبط هو طلحة ابن عبيد الله الذى أسلم على يدى أبى بكر. وإلى جانبه رجل نحيف، معروق الوجه، خفيف اللحية، يبدو عليه الخشوع والتعقل هو عامر بن عبد الله بن الجراح أمين هذه الأمة. وإلى جانبه أخو لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع هو عبد الله بن عبد الأسد الذى يكنى أبا سلمة. وعثمان بن مظعون والزبير وعبد الرحمن وسعد وطلحة على يد أبى بكر الذى كان يجلس إلى يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتفتاً بجانبه متوجهاً بقلبه وجسمه إلى إخوانه المسلمين يؤنسهم ويكبر فيهم الثبات على الحق

وكان بالدار الأخرى فى الدار نفسها أفراد آخرون من المسلمين كعثمان بن مظعون وأخويه قدامة وعبد الله، وكعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة ابنة الخطاب. كانوا يتحدثون كلهم ويذكرون الله أخرى، ويتواصون بالصبر والثبات على كل أذية حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا

في هذه الدار المتواضعة ولد الإسلام من جديد، وشُيِّد أول ركن من أركانه، وسطع أول شعاع من أشعته الوهاجة التي أضاءت العالم – في هذه الدار المتواضعة كان يأوي كل يوم أفراد من العرب يخفون أنفسهم عن أهلهم وأصحابهم ويتلقون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستمعون إلى آخر ما [illegible]. ولم تمض إلا أيام قليلة حتى أصبح المسلمون ثلاثة وثلاثين يعبدون الله مستخفين ينتظرون الفرج والنصر من الله، ولكن [illegible]؟ لا [illegible] ... أن يبقوا مستخفين مختبئين بها؟! [illegible] الله، ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: والله لنخرجن، ولا بد من الخروج. ذلك هو عمر بن الخطاب.

وكانت هذه الدار التي كانت أول مرحلة من مراحل الإسلام، [illegible] رهبة عظيمة [illegible] يوم خرج منها المسلمون وهم يكبرون [illegible]، فتكاد جدرانها وأرضها وسقفها وكل شبر فيها [illegible] روح القوة والتحدي والجرأة

فأصبحوا لا يبالون شيئاً في سبيل الإسلام.

لك الله أيتها الدار! لقد ضممت شمل المسلمين [illegible] ووحشية المشركين، ولقد آويت المسلمين وأخفيتهم [illegible]. لقد كنت المعقل الذي يرد عن المستضعفين [illegible] ولقد كنت أول مسجد جمع المؤمنين بربهم ورسول الله [illegible].

ستظل ذكراك كلما ألمت بنا النكبات، وحاقت بنا المصائب، ودهتنا الدواهي، وستأتي بذكراك كلما رأينا ضعف المسلمين وخلافهم، وتأخرهم وذلهم، فلا يتسرب اليأس إلى نفوسنا سبيلاً؟ وفي [illegible] الأمر. لقد كان المسلمون هناك أفراداً معدودين لا سلاح لهم إلا إيمانهم وعقيدتهم، [illegible] عليهم [illegible] وصبروا [illegible] والأذى [illegible] ولكن النهضة كانت للإسلام الذي قضى أيام طفولته في دار الأرقم.

فعليك وعلى صاحبك [illegible] رحمه الله، وعلى أصحاب [illegible] صلاة الله وسلامه

دمشق

ناجي الطنطاوي

# من معاني الهجرة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

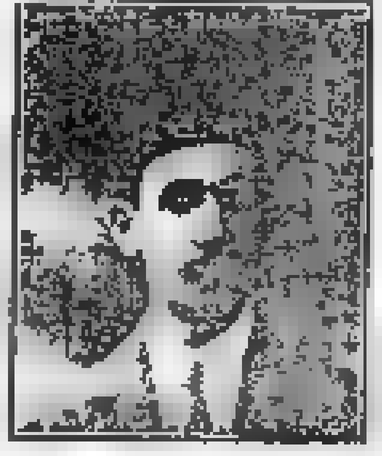

لعل أكبر أيام الإسلام بل أيام الإنسانية كلها بعد يوم الرسالة هو يوم الهجرة.

لقد كانت الهجرة الكريمة بدء عهد عزة الإسلام وظهوره، وعهد الجهاد الإيجابي في سبيل الله بالنفس والمال. إن النبي صلوات الله عليه كان طبعاً يجاهد في سبيل الله بالنفس منذ الأول، ثم يحمله معه الشر بعد الخطر الشديد في جميع العهود قبل الهجرة. أما المسلمون قبل الهجرة فكان جهادهم جهاد المستضعفين، كان جهاد صبر على الأذى وتمسك بالحق رغم الاضطهاد، ومن يقرأ تاريخ الإسلام قبل الهجرة، ير عجباً من أمثلة ذلك التمسك رغم الأذى البالغ والتعذيب الشديد. لكن جهاد في سبيل الله يجب ألا يقتصر على الجهاد السلبي، جهاد الصبر على الأذى من غير مقاومة إيجابية للمؤذين. صحيح أن المسلم يجب أن يتمسك بدينه وأن يصبر رغم كل المتاعب ورغم كل المصاعب، لكن يجب عليه أيضاً ألا يقر الذل، ولا يقيم على الضيم، فإن الإسلام دين عزة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين». فإذا وجد المسلم بدار ذلة، لا يستطيع أن يقيم فيها دينه كما يجب أن يقام، وجب عليه أن يهجر تلك الدار ولو عزت عليه، وأن يهاجر منها إلى حيث يستطيع أن يعبد ربه ويقيم دينه حراً عزيزاً لا يخضع إلا لله، ولا يرى لأحد حقاً عليه إلا بحق الله.

وهذا هو درس الهجرة الأول. لقد هاجر النبي صلوات الله عليه من مكة وهي أحب بلاد الله إليه، وهاجر المسلمون الأولون وغيرهم تخلف إلى ما خلفوا وراءهم من أهل ومال ووطن [illegible] ولكن لا نزور على الحق من ذلك كله [illegible] إعزاز الدين وإعلاؤه وإقامة أحكامه إلا بمفارقة ما يعز من أهل ومال ووطن، فيهجرونه المسلم ويهاجر في سبيل الله ورسوله ابتغاء مرضاته وطلباً لأجره «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» وصدق الله.

إن واجب الإنسان الأول هو واجبه نحو خالقه الذي خلقه ورزقه الأهل والولد والمال والوطن. الأهل والولد والمال والوطن والنفس من النعم التي أنعم الله على الإنسان، لكن من الحق أن يجعل الإنسان نعم الله عليه سبباً لمعصية الله أو الكفر به، من الحق أن يؤثر الإنسان على ربه شيئاً مما وهبه ربه، فإيثار الدين على كل ما يعزه الإنسان من مال وأهل ونفس ووطن هو درس الهجرة الثاني، الذي يجب أن يتعلمه المسلم ولا ينساه. فهذان درسان متلازمان من دروس الهجرة النبوية الكريمة، يجب ألا ينساهما المسلم: درس عدم الإقرار بالذلة في الدين بأي صورة أو لأي سبب، ودرس إيثار الله ودينه على كل شيء مما خلق الله ومما يعز على الإنسان.

إن قلب المسلم يجب ألا يستشعر خوفاً غير خوف الله، ولا رجاء إلا رجاء الله الذي خلقه والذي له مقاليد السموات والأرض وبيده نواصي العباد. هذا هو التوحيد العملي، وهذا هو الإسلام لله، ومعنى التفاضل والتفاوت في هذا واسع عظيم كما نرى، لكن على المسلم أن يجتهد في تحقيقه ما استطاع. عليه أن يحب الله فوق كل شيء، ويؤثر الله على كل شيء، ويضحي في سبيل الله إذا لزم الأمر بكل شيء، ولو النفس. ذلك الخروج في سبيل الله من المال، والتضحية في سبيل الله بالنفس والأهل، والمهاجرة في سبيل الله من الوطن، إن كان الوطن مما لا يستطيع المسلم أن يقيم فيه الدين.

لكن من فضل الله علينا وعلى المسلمين اليوم أن عافانا من ذلك الامتحان الشديد، امتحان ترك الوطن في سبيل الحق، فوطنك والحمد لله وطن إسلام وليس وطن كفر، وهو والحمد لله وطن أمن لدى والله يقين وليس وطن اضطهاد كما كانت مكة

حين هاجر منها الرسول صلوات الله عليه. فموقف المسلمين اليوم في هذه البلاد وفي كل بلد مسلم ليس هو موقف الرسول صلوات الله عليه والمسلمين في مكة قبل الهجرة، ولكن هو موقف الرسول صلوات الله عليه والمسلمين في المدينة بعد الهجرة. أمروا الإسلام فيها ودافعوا عنه كل مهاجم أو معتد، ولم يعد [illegible] أن يكون كله في معيشتهم من كلمة الله، أو يكون الحكم في أرضهم بالإسلام وحده. هذا هو واجب المسلمين الآن، وعليهم أن يعرفوا دين الله في بلادهم كما أمره ورسوله والمسلمون الأولون، فلا يسمح في دينهم مطعناً، ولا لأحكامه مخالفة، وواجبهم أن يثبتوا في بلادهم ويمكنوا الإسلام فيها كما فعل النبي في المدينة، وأن يحموا عن دينهم وبلادهم كل مهاجم ومعتد.

وليس الدفاع عن الإسلام وبلاده بالسيف والمدفع فقط، فذلك هو آخر الدفاع، وهو ثاني الدفاع، وأوله هو الدفاع عن روح الإسلام في بلاده. إن روح الإسلام إذا ضعف في المسلمين فلن يجاهدوا في سبيل الإسلام أبداً ولا جهداً، فضلاً عن أن يبذلوا في سبيله من دمائهم شيئاً. إن روح الإسلام وحده يجب أن يتغلغل في قلب كل مسلم، فإن تغلغل فسيحرص المسلمون على إقامة الدين ويعرفون كيف يبرزونه ويعززون أنفسهم به.

ولكن أين روح الإسلام الذي يتمكن من قلب المسلم وهو يجهل الإسلام ولم يُنشَّأ فيه؟ إن النشأة والتربية هي التي تصبغ الناشئ بصبغتها وتوجهه في الحياة. والنشأة الإسلامية مفقودة في الأقطار الإسلامية منذ أمد طويل، ولو كانت موجودة كما ينبغي لوجد حرص للمسلمين على دينهم كما ينبغي أن يعرفوه، ويجب أن يعرفوا كيف يحبونه ويعززونه كما يجب أن يحبوه ويعرفوه. ويجب أن يعرفوا كيف يجاهدون شر العوامل المختلفة التي تحاول أن تضعف الإسلام في نفوسهم وتشوهه في نظرهم، وأن يعرفوا ماذا يجدون من هذه المدنية الغربية المغيرة عليهم وماذا يجهلون. إنهم عرفوا الإسلام، إنهم لأدركوا أن المدنية الغربية ليس فيها ما يحتاجه المسلمون إلا هذا العلم الطبيعي التجريبي الذي هو ملك العقل البشري عامة، والذي ينبغي أن يكون مشتركاً للأمم كافة، لأنه نتيجة استقلال العقل السليم في بحث ما خلق الله وليس نتيجة السلطة، فليس فيه شيء من خصائص الأمم التي ظهر منه في آدابها. العلم التجريبي هو كل ما يحتاجه المسلمون من هذه المدنية الغربية. أما جوانب الغرب فليس المسلمون في حاجة إلى شيء منها، لأن رب الشرق والغرب [illegible] شرع للمسلمين وللإنسانية كلها أحكام الأخلاق والسلوك مفصلة في الإسلام، وكما أجمل للمسلمين وللإنسانية كلها أسس طلب العلم الطبيعي في القرآن إجمالاً هو أشبه شيء بالتفصيل.

ولكن إذا كان شباب المسلمين قد فاتهم أن ينشأوا نشأة إسلامية، فإن عليهم أن يتداركوا من ذلك في أنفسهم ما فاتهم. ولا يسوّفنّ في هذا، فإن الأمر ليس أمر حياة أو موت، وصحة أو علة، في الدنيا فقط، ولكن هو أمر سعادة أو شقاء إلى الأبد في الآخرة. ولا يجوز أن الفرصة فاتت ما داموا لم يتعلموا الدين على وجهه في المدارس. إن الفرصة موجودة والطريق إلى تدارك ما فات مفتوح بسيط ممتع. أوَحقّ المسلمون وشباب المسلمين ما هو؟ قراءة سيرة الرسول صلوات الله عليه، وقراءة القرآن، وقراءة الحديث، ثم بعد ذلك أو مع ذلك قراءة تاريخ الخلفاء الراشدين.

إن المتعلمين من شباب الإسلام من بنين وبنات يقبلون على قراءة الروايات، فماذا لا يقبلون على قراءة السيرة النبوية وهي تاريخ نشأة دينهم وحياة نبيهم؟ إنها أمتع من أي رواية خيالية، وهي بعد ذلك حق واقع، وفيها يعرفون من أمر دينهم كيف نشأ وكيف نما، مما لا يعرفه كثيرون ممن لم يدرسوا الدين إلا في كتب الفقه والأحكام.

ثم إنهم يقرأون الأدب الغربي، يقرأون لأدباء المحدثين وقد يقرأون للأقدمين، فماذا لا يقرأون الأدب السهل الخالص البالغ في كتب الحديث؟ إن كتب الحديث الصحيح ليست كتب حواش وشروح كتلك التي يعسرونها الشبان [illegible] في الأزهر، إنها كلام الرسول صلوات الله عليه عاش به أصحابه، يأمرهم وينهاهم ويعظهم ويوجههم ويشير عليهم بما يستشيرونه فيه من أمور الحياة. إنها أمتع لطلاب الأدب من أي أدب آخر يمكن أن يقرأوه أو يدرسوه، لأن أمور الحياة كلها يتناولها ذلك الكلام الكريم بأعذب لفظ وأسهل أسلوب، لفظ الرسول صلوات الله عليه وأسلوبه في بلاغ رسالة الله تعالى. فليأخذ شبان المسلمين من كتب الحديث الصحيحة ما شاءوا، فليقتنوا البخاري مثلاً وليقرأوه

بين الذكرى والعبرة

# معجزة الإسلام الخالدة

للأستاذ محمد عرفة

[ ... على شعوب ... على أديانها ... لغاتهم وحضاراتهم ... ورث الأرض ومن عليها ]

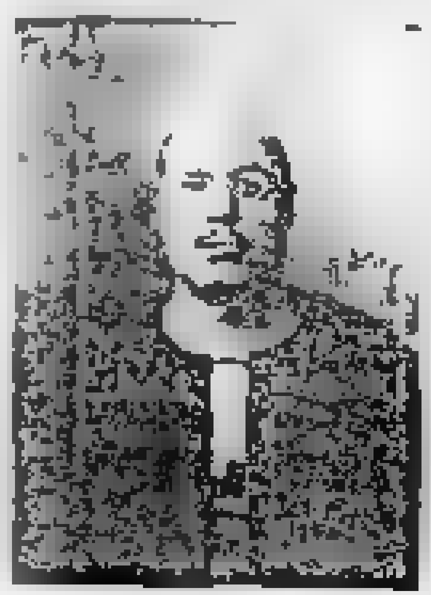

يعجب كثير من الناس كيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع هذه القلة من ... العرب والأعراب ... التي كانت ... للذين ... وكيف ... يظهر بهم على جانب الجزيرة العربية ورجالاتها ، وعلى ... وأن ... في ... ، ومكان ...

... الأساليب ... عنصر ... عنصر ... الأساليب الملوية والأحاديث ... إلى ... العرب ... من ... العربية ... كانوا ... وسعوا من أحكام الدين ... لا ... أو ... إلا الذي ... من هذه ... القياس ، وكل ذلك في ... كلمة ...

ثم القرآن ... لا يقرأ الشباب الإسلامي القرآن ؟ ... لا يجدون لأنفسهم ... يقرأ ... من القرآن كل يوم ؟ لماذا لا يعني المسلم ... من القرآن كل يوم شيئاً يسيراً حتى يتم القرآن ... في ... الذي ... أو طال ؟ إن القرآن كلام الله عز وجل ، حفظه الله للمسلمين ... من التحريف والتبديل ... الناس ، فهل ... الشباب عن كلام

وحضارة الإسلامية ... على ... في ... العرب ... الفقه ... التوحيد ، ودانته أهلها طائعين ... ثم كيف استطاع أصحابه من بعده أن ينتصروا على دولتي العالم ... فارس والروم وبلاد السند ومصر وأفريقية والأندلس ... كانوا أقل عدداً ، وأضعف جنداً ، وأقل ... الحرب ... على ... من أمة كفارس والروم

... من شأن هؤلاء ... الأولين ، لقد كانوا ... تلك الأمم والشعوب ، ... الحضارات والديانات ، كالشعرة البيضاء في ... ، وكالطفل ... يصارع شجاعاً جباراً ؟

ولكني لا أعجب ... ؛ بل أعجب كيف لم ينتصروا الأرض جميعاً ، ثم ... بعد ذلك ... ؟

كيف ... من ذلك ؟

... أعمل ... والقوة ... والفنون الحربية ... الدروع ... والحصون الشاهقة ، والعساكر ... والسلاح ، والقوة والمنعة ... والشوكة ، والعلم والرأي ، ... والتدبير

لا ، ... أعمل شيئاً من هذا كله ، ... ؛ ... القوة ... ، ... ، ... وبين كل ذلك ؟ ... كان

كانت ... ، وكان ... في آخر

... فلا يقرأونه ... على ... كلام الناس ؟ ... القرآن ... القرآن ... لم ... ، ... لم ... على ... إلى ... في ... القرآن ... التي لا ... من لا ... القرآن

يقرأ المسلمون القرآن والحديث ... الرسول ... الخلفاء الراشدين ، ... لا يخشى المسلمون على شبابهم فتنة ، ولا ... شبهة ، ولا ... الإسلام على ... ، ... على الذين ... والنصارى ... أي ... الإسلامية ... حين أرسل صاحب المعجزة صلوات الله عليه رسولاً منه إلى الناس

محمد عرفة

وكان من حتم أن تنصب القوة المعنوية في كل شيء حولها

كل في هذه الفئة القليلة من المسلمين قوة معنوية ، وبث بينهم دينهم ، وأجمعت في صدورهم نبيهم ، فانسكبت كل حين بجلال وسيم ، وظهرت بها معجزات الإسلام الخالدة على يد هؤلاء العرب الأرواع حتى فتحت أرضاً ، وقهرت دينا ، ومكنت لله في هؤلاء الأبرار الظاهرين في الأرض ، ثم بثت الحضارة والمدنية والثقافة والرقي في الشعوب جميعاً

إنه ليطيب للباحث أن يبين هذه القوى المعنوية التي كانت تعمر بها قلوب المسلمين ، والتي أتت بهذه المعجزات الباهرة الخالدة بعد قليل من السنين

فلنبحث عنها ، ولنكشف عن مصادرها ومظاهرها ، ورأيتها تتمثل فيما يأتي

١ — الإيمان

آمن المسلمون بشريعة الإسلام ، وآمنوا بأنهم على حق في عقائدهم وآرائهم وأعمالهم ، والناس جميعاً على باطل ، ومن حق هذه العقائد الحقة ، والآراء الملتة والأعمال الصالحة ، أن تنتشر وأن يؤمن بها الناس جميعاً ؛ وآمنوا بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الإنسانية السعيدة على أسس العدالة والحق والسلام . لقد آمنوا بأنهم مصلحو البشر ، وهداة الكون ، وأنهم إنما مكن لهم في الأرض ليملؤوها هدى ونوراً وعدلاً ، وأنقذوها من يد الظلم والوحشية ، ويخرجوها من استبداد الطغاة وجبروت القساة ، وغطرسة المترفين والمتكبرين « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وآمن المسلمون مع ذلك بأنهم منتصرون ظافرون ، لأنهم على حق ، والحق لا بد ظافر منصور ، يستوي في ذلك قلة الأنصار والأعداء ، فكل موقعة لهم ، وكل حرب تنشب لهم ظفرها ، هم فيها الرابحون ، وأعداؤهم هم الخاسرون ، فالمحاربون من المسلمين إما أن يَغلبوا أو يُقتلوا ، فإن قُتلوا فلهم الفوز بالسعادة الأخرى الباقية ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، وإن غلبوا فلهم النصر والهناء في الأرض ، والعزة والقوة

لقد غرس هذا الإيمان القلب العربي في نفوس المسلمين كأنهم عندكم ، ورسولهم الكريم أحب إليهم من النفوس والعشيرة والآباء والبنين ، وهو عندهم [illegible] « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » . ولقد تمكنت من الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الروح تمكناً قوياً وحسبك أنه لما سعت قريش إلى عمه وطالبته وهو يحوطه بالحنو على الرغم ، والحقد المحور ، وكف محمد عن تسفيه أحلامهم والطعن بأصنامهم ، طلب أبو طالب من ابن أخيه أن يبقي عليه وعلى نفسه ولا يحمله ما لا يطيق من عداوة قومه ، وخصومة عشيرته ، فثار هذا النبي الكريم ، ونطق هذا الروح العظيم « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » . وكان هذا القول الفصل بين قريش وبين محمد الرسول الكريم ، وضرب بها أروع مثل للأجيال السابقة واللاحقة

وحيي المسلمون هذه الروح ، فتمثلت في أسارير وجوههم ، وتجلت على صفحات قلوبهم ، وبدت في كلامهم ، وفي أعمالهم ، كأنها الشهاب الثاقب ، أو الصبح المبين

هذا رسول الله يستشير المسلمين في محاربة قريش وقد خرج للقائهم في غزوة بدر الكبرى ، فيقول « أشيروا علي أيها الناس » فينطق سعد بن معاذ « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ » قال « أجل » فقال « يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله »

وهذا زيد بن الدثنة يرسله النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من الصحابة مع وفد من العرب ليفقهوهم القرآن ويعلموهم شرائع الإسلام ، فيغدر هؤلاء الأعراب في الطريق بزيد وأصحابه ، يقتلون بعضاً ويأسرون آخرين ، ثم يبيعون زيداً لقريش فتقتله بمن قتل من رجالها بيد المسلمين ، ويقول له أبو سفيان حين قدم ليقتل « أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ » فيجيبه زيد « والله

ما أحبّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي

هؤلاء هم المسلمون، آمنوا فلم يقف في طريقهم شيء في الأرض، وساروا كالسيل العرم لا تردّه سدود ولا تقف [illegible] تمسكوا بدينهم وعقيدتهم [illegible] في الأرض أخرجوا من ديارهم وأموالهم [illegible] ولا استكانوا ولا [illegible] ولا أخلدوا إلى الأرض، بل صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً.

٢ — الوحدة والمؤاخاة

وإن من الثمرة الحلوة في عهد المسلمين الأولين وحدتهم، كما رأيناها في إيمانهم ويقينهم، فقد اجتمعت قلوبهم، وتقاربت نفوسهم، وصاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وأصبح المسلمون جميعاً جسماً واحداً، تسري فيه روح واحدة قوية، فكان يشعر بشعور واحد، ويفكر بفكر واحد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء.

وقد نتج من ذلك الإخاء الحق والمحبة الصادقة أن آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار حين نزل المدينة ليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والوطن، ويشد أزر بعضهم ببعض، فكان الأنصاري يقسم ماله بينه وبين المهاجر، ويؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة.

وقد ضرب المسلمون في هذا السبيل أبلغ الأمثال للأمم التي تسعى إلى المجد والسؤدد، فكان عطف بعضهم على بعض، ومواساة الغني الفقير، والبر بالمريض، وتوقير الصغير الكبير، وحنان الكبير على الصغير، فكان كل ذلك مضرب الأمثال في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يزال ذكراً جميلاً لهؤلاء الأجداد الأبطال، والأخيار البررة الصالحين.

أين نحن من هؤلاء؟ وأين الأرض من السماء؟ لقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا إيمانهم، وخرجوا عن تعاليم الدين، فتفرقوا شيعاً، وتحزبوا أحزاباً فصاروا على كثرتهم وذلك [illegible]

فإذا شاء المسلمون أن يعود لهم مجدهم التليد وعزهم القديم، فليرجعوا إلى إيمانهم الذي فقدوه، وإلى تعاليم الدين التي هجروها، وإلى أنفسهم التي أضاعوها، وليكونوا أنفسهم [illegible] كتلة [illegible] ويصير

التعصب نحوه، ويرجع إليهم العظمة الداثرة والسؤدد الدارس

ويؤنس رجال الدين أنفسهم كإيمان السالفين إيمانهم وعزمهم، لا إيماناً ضعيفاً ونية، فمجرد التصديق لا يكفل مجداً ولا عزاً ساكناً، إنما الإيمان هو الحركة المتقدة، والشعور الملتهب بالحق، والمحبة للبشر، والإخلاص لله، والتبرؤ من شهوات [illegible] وتسامح [illegible] أوامره، إنما هو الحس على أن يأخذوا بأيدي الناس من الظلام الدامس إلى النور المبين. ومتى عاد الإيمان إلى أهل الدين أنفسهم أعادوه إلى الناس جميعاً

ويؤازره الأمة والحب — يستعيد الماضي المجيد، ونأمل المستقبل الجديد، على عبر اليوم وعظات الأمس — فلننظر كيف ألف الإسلام بين قلوب أتباعه، وكان فيما مضى سبب العداوة والإخاء؟ لقد جمع الإسلام بين قلوب المسلمين ونزع أسباب الفرقة منهم. كان العرب قبائل متفرقة كل قبيلة وحدة برأسها، تتعصب لأفرادها، وتعادي كل قبيلة الأخرى، فكان بأسهم بينهم شديداً، وحاربوا أنفسهم بأنفسهم، وأذكوا [illegible] في الخصومة والفرقة، وأصبحت بينهم [illegible] الجميع. ثم جاء الإسلام فوسع أفقهم الضيق، وبعد أن كان المرء يرى نفسه فرداً من قبيلة، أصبح يرى أنه فرد من أمة، ورأى الجميع أنهم أعضاء من أسرة واحدة هي أسرة الإسلام. [illegible] الإسلام [illegible] إلى ما كانوا عليه أشلاء ممزقة وقبائل متعادية [illegible] التعصب إلى القبيلة [illegible] وقد [illegible] خطيراً وإثماً كبيراً

فلنتبع المنهج الذي ألف به الإسلام بين المسلمين، ولنستمد [illegible] الرشيدة من حقيقته [illegible] [illegible] والحياة [illegible]

لست حيالي أدعو إلى توحيد المسلمين جميعاً [illegible] الأمة [illegible] منهم، فأطلب الكثير وقد عجزت عن القليل، وأطلب الفرع مضيعاً الأصل

كل أمة من الأمم الإسلامية قد قطعت أحزاباً وفرقاً شيعاً، ففي مصر لا يتحد المصريون، كل يرى نفسه فرداً من حزبه، قبل أن يرى أنه فرد من أمته، وفي الأمم الشرقية الشقيقة كما في مصر من الفرقة والانقسام

فداء الصلح

# أبو جندل بن سهيل بن عمرو

للأستاذ شكري فيصل

---

جلس أبو جندل بن سهيل بن عمرو في محبسه ، وقد سجى الليل على مكة ، فلفها وجلاها من الصمت والسكون [illegible] لا يسمع فيها إلا همسات الريح ، وحديث النجوم [illegible] وحيداً حبيساً بينه وبين الحرية من أحجار الوادي ، كأنها من الصخر ، أو تحوي الحنين ويستمع الحق الجرى إلى نفسه ، وأسلم يديه إلى الذكريات تعبث على صفائحها الزمان [illegible] فتعرج به من هذا الأمر الذي أراده له أبوه ، واضطره إليه ، لتطوف به في دنياه الحبيبة من الأرض ، حيث يتعرف النور [illegible] وتنتشر الهداية ، ويخفق الوحي ،

ويجلس النبي الكريم في طائفة من المهاجرين الناهضين والأنصار الناصرين ، والصحابة الذين آمنوا بهذا الدين [illegible] وهجروا عشيرتهم من أجله

وعرضت لعينيه صور ، وتتابعت في نفسه [illegible] في قلبه الحنين [illegible] لأنه بعيد عن رسول الله ... وأن بينه وبين رسول الله عشرات الأميال ، وعارك إيمانه ، ونزع في قلبه الراحة والهدوء [illegible] بين قومه ، وهو لا يملك سبيله ؟ ولقد صدوه عن هجرته إليه ، وأقاموا من دونه الأرصاد والرقباء ، ورموا به في هذه الغرفة الضيقة ، لا يملك أن يخرج منها أو ينصرف عنها

وتقاطرت دموعه على خديه ، كقطرات الندى الناعمة تنساب على أطراف وجهه ، وفي أسفل ذقنه ، على غير نظام ، كالغيث السائل .

ومضى في هذه التأملات العميقة ، ويسترسل فيها [illegible] صافياً من الوحي ، في دنيا الذكريات ، وظلال النبوة ، وهدي الإسلام [illegible] وحس الشعور يجري في عروقه ، ويسري في دمه ، ورفع بصره إلى السماء ، يسأل الله الفرج في دينه أن يجعله منه أهله بقرب قريب

ولم يطل به هذا السكون ، فقد سمع حركة خفيفة في صحن الدار ، فقام يسعى [illegible] إلى الباب [illegible] فإذا هو في ظلام الليل [illegible] ومقبل الفجر [illegible] من ظلام الليل [illegible] فيرى سبيلها [illegible] ولمعها [illegible] فإذا الفتاة [illegible] في سوء ما صنعت أهله ، فقبل على الباب يفتحه ، وما إن يسع أن يتيح حتى [illegible] في جنبات الأسرة ، [illegible] السلطة : [illegible]

[illegible] كان يذكرها في أيامه ولياليه [illegible] فقد أتى أوانا من وقتها المنتظر ، وعرف الجبل ، حين كان يشتد عليه أذى أبيه ، سهيل بن عمرو ، فيدفع به إلى رمضاء مكة ، في لهب الظهيرة واشتداد الهاجرة ، مع طائفة من المستضعفين يعذبون للصلب ، ويحرقون فوق الرمل المكروب ، ويدوقون أصناف العذاب الأليم ، ليرجعوا عن هذه الهجرة التي اهتدوا بها ، [illegible] فما زادهم ذلك إلا إيماناً فوق إيمانهم القديم

ويجلس إليه [illegible] ويلقي إليه رأسه ، فيحس عليه [illegible]

---

[illegible] في جدوى هذه الانقسام الماضي أولاً ، فإذا أصررتم مصيراً إلى الاتحاد الحقيقي

لقد كان من شرور الحرب ما عصم أولاها وشاهدتم أعراضها حرب واحدة ، وكراهية وانقسام ، والتهافت على [illegible] والأمر بالمناصب والألقاب ولو كانوا غير أهل ، وحرمان للآخرين وهم على ودكانوا من ذوي الكفايات

من خلال العصبية الحزبية فانظروا إليها شعر واعلموا أنه داعي فرقة وانقسام ؛ أنظروا إلى الحزبية كما تنظرون إلى [illegible] الموقف المنهك ، والشر اللاحق البغيض ؛ إنها فرقت أوصالاً ، ومزقت شملاً ، وورثت أحقاداً ورضيت جهلاً ، وأصمت عقلاً وعربت جهة ، إنها أبعد المصلحة العامة وأدب للعصبية المرذولة ، الزائلة

حرّموا اليوم الشعار الحزبي ، كما حرم الإسلام [illegible] القبلي ، وكونوا أمة واحدة لا شيعة من أحزاب

الإيمان والاتحاد

حطموا عليهم اليوم مجدكم ، واحرصوا فيها ستنشأ بكم لتحقيق للعزة مرة أخرى ؛ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

محمد [illegible]

المعتمين ، ويعد أسراه ، ويكشف أشلاءه ، ويمسح به الحرم ويسأل عن أبي بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وعن أم كلثوم أخت الوليد ، وعن فلان وفلان ، من جيء به واحرزه ... على من الله أن فتنهم ، فصبروا على العذاب ، وصمدوا للفتنة ، وسكنوا على الإيمان ؟ ... ومستقبلها خير ؟ يارب ؟ والنبي ! ... وهذا النور الذي ملأ الظلمات ، وكانت قلوب الأولاد وعيون الصحب .. ما شأنه ؟ ! ! ... ألم تشع سناه في أفق مكة ؟ ... ألم تر ريقه في سماء البيت الحرام ؟ .. ألم يبلغ صدى هذا الوادي غير ذي زرع ، يبعث في حنايا الإيمان ، ويثير في أعماقه الرحمة ؟ ويصعد من حجرته الصلاة الخاشعة تهيج القلب وتمسكه ؟ ..

ويحرك نفسه هذا الأمل الخاطف يلمع في خاطره ، وهذه الأصداء الخافتة تصافح روحه الحزين ، فيهز رأسه للتطلع ويتحرك .. فتسمع حركته أصوات الأغلال في رجليه ... فتصحو أخته ، ويتحرك القلب ، وتخشى أباها أن يصل إلى سمعه هذه الحركة في هدأة الليل ، فيكشف من أمرهما ما أخفته عنه ، وتطلب إلى أخيها أن يستمر في مكانه فإن له معه حديثاً ، وإن الكلام يحدث في فمها فلا تعرف كيف تبدأ

وصمت أبو جندل إلى أخته ، وقد أصغى هذه السكنات تتوالى على شفتيه ، وأدرك أن وراء هذه الإثارة الحديثة في هذه الليلة ولهذا القول لأمراً جللاً - فعل الله حامل له فرجاً .. ولعل النبي قد أصغى إلى صلواته الخاشعة في سحاب الليلة الهادئة

وكشف أخته هنا وهناك - كأنها تخشى الرقباء ، ثم تنهض إلى النافذة ، وتلقي نظراتها لتأمنه على غرف البيت ونص الدار ، وتجلس لصق في [illegible]

— إن مكة يا أخي تنعم منذ أسبوع في مهاد من القلق ، وأنها لتتقلب على الشوك .. فما ندري ما هي صائرة إليه ... فقد جاء إلينا أن محمداً غادر المدينة ، وأنه استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب يخرجوا معه ، وأنه سائر بحوشه في سبعمائة رجل .. يقول إنه يريد زيارة البيت .. فما تصدقه قريش في دعواه

ويتسعد أسارير أبي جندل - وعلا شفتيه ابتسامة عريضة وتعاظم الآمال في صدره ، ويعرض له هذه الخروج في طريقها إلى مكة ، وبهم ينادي : « الله أكبر » ... ولكن أخته لا تلبث أن تضع يدها على فيه ، وتسأله أن يكتم الفرحة الظاهرة ، ويكظم الصيحة الفائرة ؛ ويخفي هذه الفرح الشديد في صدره خشية أن يسقط عليها سهيل أبوه سوط العذاب

ويتطامن أبو جندل بالخضوع والرجاء ، ويلح عليها يبيه الحديث ، ويسأله

ومتى يطلب ثم متى يا أختاه ؟

— لقد خرجت حين سمعت يصرخه الصوت للظاهر قد أعلو على الحنين ، وقد زوايتهن قرى بما فعلوا الله لا تحمله عليهم أبداً ، فقد رأوا أن النبي قد خالفهم عن طريقهم وخرج منذ أيام إلى مكة ، واستطلعهم للناس في حذر ، وما أدري ماذا صارت إليه حيل قريش يا أخي ... لقد كانت زاهية بحرونة ، تقرأ في وجوه الناس ، فإذا هي اليوم كاسفة كابية ، ليس لها ذلك الزهو ، ولا تلك الإشراقة المنيرة ... وما قلبت من في أن ذلك هو أول الاضمحلال ومبدأ التراجع ، وطلائع الفتح المبين الذي ترجبه من عيد ! !

— متى يا أختاه ... ليتصرن الله محمداً ودينه ... ثم ماذا كان ؟

— لقد أرسلت قريش رجالها إلى النبي تستوضح نياته ، ومقصدهم منه ، وتسبر أغواره ... وقد رجع هؤلاء الرسل يحدثون بذكر محمد ويقولون إنه « كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه » وأنهم لم يروا ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ؛ ويجمعون منه آثار الأحاديث ، ويكبرون حديثه ، ويخشون نومه ، ويحبسون نفسه ... فقد قال لهم بديل ابن ورقاء حين جاء مع وفد من خزاعة : « إنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته » وأقبلت عليها خزاعة تقول « يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ... إن محمداً لم يأت لقتال »

وكذلك صمت قريش ، وهذه الصيحة التي صدعت في نفسها ، وهذه الحيرة التي تتأجج في صدورها ، وهذه الرهبة التي تبوأتها من الحرب ... وقد خشيت لذلك أن يتحدث الناس بينهم أن محمداً دخل عليهم عنوة ... ثم يطمئنوا إليه ، ولم يسكنوا إلى هذه الهدنة ؛ فاتهموا وفد خزاعة وحبسوهم ، وهم اليوم يتداولون الرأي ، ويجادلون المشورة ، ويعدون

الثاني . . . بعد أبوك يذهب إلى أبي سفيان ، وعند أبو جهل يتسعر في وقدة الظهيرة ، فيتنقل من بيت إلى بيت ، وقد ركبه الغم وعناه القلق ، وعلت جبينه كآبة الهموم .

— يا لبشرى يا أخت عبد الله(١) ! من لي بجناحين أطير بهما من هذا الأسر . . . فأكون مع النبي في هجرته ودياره ! فأين هو الآن يا أختاه ؟

— إن محمداً وصحبه في « ثنية المرار » بأعلى مكة — وأحسبهم الآن إلى جانب تلك الشجرة(٢) الضخمة هناك . . . ألا تذكر أننا رأيناها في البكور والأصائل . . . وشاهدناها في الظهيرة والضحى حين كنا نعبر بها في طريقنا إلى المراعي . . . نعبر تحت ظلالها ، ونقضي العمر ، ونعبث بالأحلام . . . ! لقد رأينا لها طلوعاً ، وبث حب النور — فآمنا — ومن يصبح الله إيماناً يأتي — وسيستمع إلى النبي ، ويستمع منه ، ويستقرأ القرآن — وما أحسب إلا أن رؤيته مكة تعيد للأمور — وأن ظلامها سينجلي . . . وأن جبالها ستضيء بالنور الذي يملأ الأرض .

فلقد اضطرب قلبها الأمس فقام الحليس في حشد من الأحابيش يهدد قريشاً ويمن بجمعها ، ويقول في قلب الحرم عن ربه : « يا معشر قريش — والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له — والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد — »

— وهل حسبت قريش لهذا التهديد ؟

— إن قريشاً لا تدري ما تصنع وما تأخذ يا عبد الله . . . وهي متقسمة مختلفة فيما بينها ، لا يستقر لها رأي ، ولا تستقيم لها خطة . . . وهذا ( أبان بن سعيد بن العاص ) يجير عثمان بن عفان رسول النبي ، وقد وصل مكة اليوم . . . وسيأخذ فرصتها بعد فترة سكوت ، وجاء يبلغ رسالة محمد إلى أبي سفيان وعظماء قريش . . . فتحبسه قريش عندها ، وتعقد ندوتها

ويخرج أبوك منذ الصباح الباكر . . . فلا تعود إلا مع الساعات التي كانت ودعت المدينة ، لتنام في أحضان الأمس . . . وتجد أهلك لا يكلمنا ولا يتحدث إلينا . . . ويستدعي أمك يطلب إليها أن تسرج فرسه ، ويجمع بعض متاعه ، فهو مسافر غداً إلى . . . في جهة المرار .

* * *

وتنتصف الفتاة من أن تنتهي من كلامها الأخير . . . ويطلع إليها أبو جندل ، فيرى وجهها من جديد على أنوار القمر المتسللة التي اخترقت النافذة الضيقة ، فيود لو أنها جثت إلى جانبه تؤنس وحدته وتطرد وحشته . . . ولكن الليل مضى إلا أقله . . . وعدت خطى الفجر في طرف السماء ، وما من شك في أن أباه سيبتدر الصباح ، وسيخرج مبكراً ليبلغ النبي قبل أن يرتفع الضحى ، ويفد عليه ويتعقبه قبل عدوه ، فيحرص على ألا يرى أن أخته هنا .

وتقترب الفتاة من أخيها — وتلامس شفتاه جبينها الوضاء ويطبع عليه قبلة كأنما يشكر لها هذا الحديث الشائق ، ومسه فيستمر الخاطرة . . . ويهم بتركها لولا أن طرأ له خاطر .

لم لا يهرب من الأسر ؟ . . . إن أخته تستطيع أن تعينه بما لها من حيلة ، وإن فيه بقية من عزم لم تأت عليه هذه القيود ، وإن في قلبه لإيماناً يملأ الجبال . . . وإن كبده لتطوي بحنينها الملتهب إلى النبي وإلى الجهاد . . . وإن أباه مسافر غداً ! وسرع هذه الفكرة التي تظل تعاوده تتخلص من السلاسل والقيود .

وتختمر هذه الفكرة في رأسه وتتكامل صورها وأجزاؤها إن النبي قريب من مكة ، فليمض إليه وليضع نفسه ليسعد في كنف الرحمة والإيمان والخلاص .

ويهمس في أذن أخته هذه الكلمات — ويسألها في صراحة ووضوح أن تعينه . . . فقد سئم هذه الحياة الصعبة وهذا القيد الثقيل ، وإن الله لناصره . . . والنصر قريب فلن يحتاج إلا إلى صبر وتصميم . . .

ويتمهل الأمر — وتنصرف إلى مخدعها ، وينصرف إلى فراشه . . . وينام . . . ملء عينيه الأحلام الجميلة ، وملء رأسه الأماني الحلوة .

* * *

(١) الرواية مختلفة في اسم أبي جندل فبعضهم يثبت له اسم عبد الله هنا كما في ديوان الحماسة من أسد الغابة ، وبعضها يجردها ويكتفي بكنيته كما في الطبقات الكبرى لابن سعد .

(٢) هي شجرة الرضوان حيث بايع النبي أصحابه على الموت — أو عدم الفرار كما في رواية ثانية — حين بلغه خبر مقتل عثمان رسوله إلى قريش .

وفي أمسية اليوم القائل كان النبي صلوات الله عليه في خيامه مع سهيل بن عمرو ، وبين يديه علي بن أبي طالب يكتب صلح الحديبية ، وإلى جانبه أبو بكر وعمر وعبد الرحمن وسعد ! وقد تناثرت في السماء قطع من السحاب الذهبي كأنها حلقات السلام البيضاء ... وتلتقي الأذن ترف ورفيف جميل من أثر النسيم العليل ، وكان يحس الناظر في جانب من جوانبه كأنه هو لا يستطيع أن يحدث عنها ... والنسيم يروح ويغدو هيناً يحمل السلام إلى كل نفس والهدوء إلى كل قلب ... وجماعات الصحابة تقوم لوضوئها ، وتستعد لصلاتها ، وتتمم هذه الهدنة الخالصة

في تلك الساعة سمع الناس جلجلة قيود ، وأصوات أغلال وأبصروا ... شبحاً شبح لا يبين ... حتى إذا اقترب رأوا فيه « أبا جندل » يرسف في الحديد ! وقد ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب في جوار الأمان ، ويرجو السلام ، ويبغي حياة لا عذاب فيها ... فيطرق منه جانبهم وأنفسهم ... وعيونهم تبكي من الدمع

ويحول النبي الكريم كل شيء ! ويستعصم الصامتة لا يجد ... عمر أبي بكر في جواره ... فقد كان سمعت منه قولة « عهد ما بيننا وبينه وبين رسول الله سهيل بن عمرو ... » فإذا هو قائل في أبي جندل ؟

ويرى سهيل ابنه أبا جندل ، فيقوم إليه « يضرب وجهه ويأخذ بتلبيبه » والمسكين ينظر إلى رسول الله وينادي : « أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ ... »

ويخفق قلب النبي الرحيم وتطرف عينه ويستجيب الدمع ، ويحس جنبيه يحسه أن يضاربه ، وتتراءى له في عهد الإخاء الطيبة أنوار « جبريل » ، وتنتشر من أمامه صحائف المستقبل ويرى له يوم الفتح القريب وقد أقبل « سهيل » يطلب جوار ابنه ويحنو به ، ثم تعرض له صورة سهيل بعد ذلك « كثير البكاء ، رقيقاً عند قراءة القرآن » وتطير له الفتنة في حاجة هذا الطوفان وأبو جندل وسهيل أبوه إلى جنبيه ، قد خرجا من الحرب تهديان فيسري عنه ، وتتلاقى أجزاء ابتسامة حلوة ، ويهمس بكلمات سامية ، ويقول :

« يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم »

ويتعالى الحزن في قلوب المسلمين ، ويتملكهم الرعب ... وبلغ الحزن إلى القلوب أن تحرك ... ووثب عمر ابن الخطاب فكاد أن يفترس في الرجل ... وقد اطمأن إلى وعد رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ... وواسى له أحبه القريبة القدر ، وقد انتقل من الأمر ... وعوى تحت راية نبيه ... وتبرق في نفسه بوارق الأمل ، ويستعذب بعد أن يقبل يد النبي ، ويضع رأسه في صدره

ووثب عمر بن الخطاب إلى جنبه وهو يقول : « اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب »

* * *

ثم لا تكون إلا لحظات ... حتى يغيب القيل في رده الملائك عند الفتى الصابر ... فتردده عيون الصحابة ، وتتبعه بطرف تفكر فيه ، وتتبع خطوه ، وتتساءل عنه ... ويسير هو إلى مكانه من التعب ، وإلى موضعه من القيد ، وإلى عذابه من المشركين

( الإسكندرية ) شكري فيصل

---

# الله أكبر! هلكت خيبر!

للأستاذ أحمد الشامي

[ خرج النبي من المدينة لغزو خيبر في جيش
نحو من ألف وستمائة [illegible] في صفر ]

— ١ —

مر «كنانة بن الربيع» على «حيي بن أخطب» سيد بني النضير، فرآه واجماً يحكك الأرض بعود في يده، ثم يصعّد الطرف بين الخيمة والقيمة في حصون خيبر.

فقال كنانة: أرى هذه القرية قد راقتك حصونها، وحلت من فؤادك محلاً، حتى صار [illegible] وطاب خيبر.

قال حيي: وكيف تطيب نفسي! وها نحن أولاء منذ ثلاث سنوات نعيش في غير أوطاننا متشردين في الآفاق! ونحن الذين بنينا «يثرب» بأيدينا، فأصلحنا أرضها، وأجرينا ماءها، وهيأنا جنانها، وأقمنا حصونها؛ وإذا اليوم نحل في غير دارنا، ونأكل من غير زادنا، لأن محمداً اقتحم علينا، وأخذنا على غرة منا!

ثم تلك الأمم الغريرة التي صحبناها هناك أعواماً أشتاتاً!!

كنا نقاتل الأوس بالخزرج، ونقاتل الخزرج بالأوس، ونصير بين العدوين [illegible] ونمدهما بالأسلحة ويمدوننا بأموالهم فنجر الربح في مناقص وشتاء، وما زلنا في نعمة سابغة، وسيادة شائعة

ولكن جاء ذلك الساحر الطريد، ففرقهم منا، ونفر موالينا، ولا ندري كيف جمع بين قلوبهم النافرة، وصفى أحقادهم الثائرة، وسوى بين حيهم المتناحرة، وجعلهم أمة واحدة [illegible] العرب

قال كنانة: ولكنك أحسن الأمن بين حصوننا هذه أحد [illegible] أموالنا ما [illegible] غير هذه القرية [illegible] الحصينة فأورث إلى [illegible] أفلا نتجهز [illegible] على أعدائهم [illegible] من المدينة [illegible] في أقصى الجنوب على مسيرة [illegible]

وسيف [illegible] إن ظن بطلع [illegible] كما [illegible] فلما حلوا حتى يحكم محمد السيف في [illegible] خلف من يهود

— وكأنك أنت الذي جنى عليهم [illegible] يثوروا على محمد وجندوا له جيشهم وأهلكت في [illegible] الأحزاب عليه، ولكنه سرعان ما هدى الأحزاب، ونفض عنه شملهم، وسرعان ما تغلب محمد على بني قريظة، فقتل منهم [illegible]

أجل! وما أردت أن يطمئن محمد بيثرب، فإنه يطعمها الذي يأتيه من وراء ظهره. ولكني كلما دبرت كيداً أحاط بمحمد، وكأنه ملهم يوحى إليه

أو تشك في أنه النبي؟ وأنت من أهل العلم والكتاب

كلا، [illegible] ولكنه جاء من العرب وحسبناه من إسرائيل! كيف تشهد صدري أعلام الأعراب على أهل الكتاب؟ لا ورب موسى لا تطمئن إليه اليهود أبداً، وسنظل على بغضه وحربه حتى نفنيه أو نفنى دون ذلك

— أتظن الرجل الذي صحبت ورقيته وطلبت منه السلام في «الحديبية» يتكسر لنا! ما أظنه أسكت قريشاً إلا ليثور علينا وعلى قبائل العرب. أليس هو الذي يقول

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا كلمة الإسلام فإذا قالوها عصموا مني دماءهم»

— ولكن قريشاً لم تقتله

[illegible] يوم أن يطلب منها [illegible] ويخيّرها بين الكلمة أو السيف

— ومن أخبرك بهذا؟

[illegible]

— أو ظننت هذا؟

أما من محمد فلا! كيف يدري الناس من أصحابه وهو حول قلب؟ إذ أرادوا أن يحاربوا شعباً أتجه حربياً؟

— ومن أدراك إذن ما تقول؟

— إنه رؤيا رأيتها بنتك التي عتق [illegible]

— [illegible] إنه [illegible] رأت المدينة؟

[illegible]

— إنه والله محمد!

٢

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر [illegible] ما اقتفينا [illegible] سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فلما توسط هذا الجيش المتقارب ، وارتفع صوت الحادي الشجيّ بسورة الفتح المسلمين تحت ظلال الراية البيضاء تتبع محمد ابن عبد الله ، وما رأى حصون خيبر وهبط على مرامي النبل حصونها شامخة تمس السماء ، وقد شبّهت على الصخر ، وعلى بعد أميال منها وقف النبي يتأملها حوض الركب معه ، ورفع يديه يناجي ربه ويدعو :

« اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ؛ ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها »

وأمضى المسلمون ليلتهم على مرأى منها ، فلما أصبحوا قام النبي يقول :

« الله أكبر ، الله أكبر ، خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

وانطلق المسلمون يكبرون ، وكأنهم كلما رفعوا بالتكبير أصواتهم ، يقوون في أنفسهم إخلاصهم بإيمانهم ؛ وإن من الصعاب لا يهون بتكبيرهم ودعائهم ، وإن منها لا يتصدع من خشية الله

فقال لهم النبي : « اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم »

* * *

وخرج عمال خيبر إلى مزارعهم ، فلما رأوا جيش المسلمين رجعوا إلى أهلهم يصيحون :

— محمد والخميس !

وانتفضت خيبر وأغلقت أبوابها ، وظل المسلمون يحاصرونها ويضيقون عليها ، ومن برج مشيد أطل « حيي بن أخطب » على جيش المسلمين فرأى راية البيضاء في يمين « علي بن أبي طالب » مكافحا وأبي ملك الموت يدنو إليه ، فقال :

يا مسكم ! ألا في خيبر هذه يحمل الوباء ؟
والله ما فيها السلب إلا تحت رماحه !
أخرجنا من بيوتنا بيثرب ، وها هو ذا جاء يحارب قريتنا !!
فلما سمعه الإمام تكلم بصوت جهير ، فقال :

— ماذا تقول يا عدو الله ؟!

قال حيي : وماذا يريدون منا — معشر المسلمين — ألم يكفكم أن أخرجتمونا من ديارنا وأموالنا ؟ جئتم وحللتم رحالكم بهذه القرية ، فما كدنا نستريح وقت بعد أن تمهدت لنا عيشتنا حتى جئتم إلينا بخيلكم ورجلكم ، فإلى أي أرض نهرب من شركم ؟

قال علي : ألست يا عدو الله الذي جمعت علينا الأحزاب من كل فج ، فحصرونا في المدينة من كل جانب ، ولم تكتف بذلك حتى جئت بني قريظة فأخرجتهم إلى ساحة الحرب حتى يجتمعوا علينا ، وحسبت أنك بذلك قضيت علينا ، وكفى الله رسوله شر كيدكم ، وكتب على أحياكم القتل

قال حيي : إنكم لن تصلوا إلينا ، فأسوارنا من الأرض وحصوننا في السماء ، وإن سهامكم لن تخترق حصناً ، وحيلتكم لن تكون مجدية ، فاتركوا ما جئتم له واذهبوا وإن كنا قد كفرنا بكم ، فنحن لنا سنة

قال علي : أتحسب أن حصونكم مانعتكم ؟! أين الذي كان الجبل تحت أقدام موسى هو الذي خسف به الأرض فخلى بني سواء ، وكأني بكم يا بني النضير عند القتال ، ففارقتم حصونكم ، وأكلت لحومكم الطير والسباع ، فأصبحتم تقصوا

قال حيي : ما يأخذنا وعيدكم شيئاً

قال علي : وأنتم لا تعجزون الله ، يا حيي الله ربكم !!

* * *

واستمر المسلمون أياما يحاصرونهم ، فلما جهدوهم نزل اليهود إليهم بالخروج ، فطارت الدائرة عليهم فأسرت رجالهم ، وسبيت نساؤهم وذراريهم

قال علي لحيي وهو مقدم للقتل ، أأغنى عنك حصونك شيئاً ؟ أو لا تأوي إلى ركن شديد !

قال : وما هو ؟

قال : دينك الذي نسبت ، ودينه الذي أنزل ! ونبيه الذي أرسل !

قال : هذه رأسي إن كانت لك به حاجة

قال : أجل ، إن السيف ليمسك حتى يجز رقاب أعداء الله

* * *

وتقدم « دحية الكلبي » إلى صفية بنت حيي وقال لها : تعالي يا ابنة حيي ! لقد وجدت فيك عروسي التي أنتظرها ؛ فأمسك بيدها ، فانفلتت منه كالمهرة العربية وقالت له :

ومن تكون أنت ؟

قال : رجل من بني كلب

قالت : لست هناك ! مالك وسيدة قريظة والنضير ؟!

قال: ومن تخبرين؟

قالت: القمر المنير!!

قال: أتطمعين في رسول الله؟! لقد [illegible] نفسك، وحدثتك الأماني. أسيد يثرب من [illegible] يهود [illegible] إلى الطلاق الطيب؟

قالت: إني الكريمة كريمة الكريم

وسمع النبي حديثها فاختارها لنفسه زوجاً وجعل [illegible] [illegible] ...

ودنا النبي بصفية منه، وهو في طريقه إلى المدينة تحت قبة ضربت لها. فلما انشق نور الفجر وخرج النبي لصلاته، رأى [illegible] الأنصاري، متوشحاً سيفه قريباً من بيته

فقال له: ما لك يا أبا [illegible]؟

قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وهي امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك

فقال النبي: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني»

[illegible]

وقالت: يا رسول الله لأنت أحب إلي من أبي وأمي وأنا على دينك

*

وبلغ قريشاً بمكة [illegible] أخبار الرسول مع خيبر، و[illegible] [illegible] على المسلمين، فتكلفهم يهود خيبر [illegible]، وقد كانوا يرصدون الطرق منهم يتحسسون كل خبر يطل عليهم، وفيما أولى مجالسهم [illegible] قادماً في [illegible] من [illegible] فقيسوه فإذا هو الحجاج بن علاط السلمي.

قالت قريش: هذا لعمر الله عنده الخبر!

قال لهم: وما ذاك؟

قالوا: بلغنا أن القاطع خرج إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز

— بلغني ذلك وعندي من الأخبار ما يسركم

— إيه يا حجاج!

— هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأُسر محمد أسراً، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم

فصاحت قريش طرباً، وقالوا لأنفسهم: قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم

قال الحجاج: [illegible] أعينوني على جمع مالي [illegible] وعلى غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هناك

قالوا: لك ما تحب وترضى، وأعانوه حتى جمع ماله [illegible]

فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر جاء الحجاج وهو [illegible] وقال له:

— ويحك يا حجاج! ما تقول؟

— أكاتم أنت على خبري؟

— إي والله

— فالبث عليّ شيئاً حتى تخف مواضعي، ثم سار إليه العباس

فقال له الحجاج: الخبر والله على خلاف ما علمت، خلفت رسول الله وقد فتح خيبر، و[illegible] [illegible] ملكهم، وما جئت إلا [illegible] مالي

ولكني [illegible] لا [illegible] أظهر الخبر ثلاثاً حتى أمضي [illegible]

قال العباس: ويحك، أحق ما تقول؟

إي والله

— ولكنك كذبت الناس، [illegible] لا يسع [illegible] الكذب

— استأذنت الرسول في أن أقول فأذن، وكانت حيلة لأجمع مالي وأخرج من بين أظهرهم إلى [illegible] والآن أذهب

— في حفظ الله

فلما كان بعد ثلاثة أيام تقلد العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت

قالت قريش: يا أبا الفضل، هذا والله التجلد لحر المصيبة

قال: كلا والله الذي حلفتم به، لقد فتح محمد خيبر وأعرس بابنة ملكهم، وأحرز أموالهم

قالوا: ومن جاءك بهذا الخبر؟

قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً، فأخذ ماله، وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه

قالوا: يا لعباد الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن!

أول [illegible] انفلت عدو الله!

قال العباس: الله أعلم بمصيره [illegible] ... !

أحمد [illegible]

أحدث مطبوعات
مكتبة النهضة المصرية
الدكتور طه حسين بك
الأستاذ توفيق الحكيم
مسرحيات توفيق الحكيم
الأستاذ إسماعيل مظهر
تأليف
Hermann RAUSCHNING

من سجل البطولة

# روعة التضحية

دولة شعرية عربية [illegible]

[ كان للخنساء أربعة أبناء أوصتهم في الجهاد في سبيل الله فاستشهدوا جميعاً في موقعة القادسية فقالت: « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم » ]

— ١ —

« تقضي أهل السواد على الفتى في خلافة عمر ، وتهب الجموع إلى الجهاد »

الخنساء:

عسجد لامع الشعر | دارج الطيب فاستعر
ثوب الفرس ثوبه | وعصت كل ما استقر
واستطال [illegible] | كل ما شيد أو عمر
[illegible] القوم في [illegible] | كل ما فيه [illegible]
يوم [illegible] | [illegible] وجدهم الخطر
[illegible] | [illegible] على الأثر

يدخل بنوها [illegible]

إيه يا أم

الخنساء:

أبصروا | قد غدونا على خطر
[illegible] | [illegible] في الوطن [illegible]

أما علمتم [illegible] الفرس [illegible] | على [illegible]
أحدهم: بلى علمنا

الخنساء:

فماذا [illegible] | من [illegible] وأنتم أهل [illegible]
أحسم الحرب أن [illegible] | حب السلامة [illegible]

كبيرهم:

[illegible] يا أم [illegible] أن يكون بنا | ما [illegible] جبن [illegible]
وقد يكون [illegible] | لكننا [illegible]
[illegible] | من [illegible] لا في [illegible]

الخنساء:

فاجمعوا أمركم [illegible] إلى عمر | [illegible] الثائر [illegible]
فإن [illegible] جميعا | [illegible] الثائر [illegible]

أحدهم:

سنؤثر [illegible] —

الخنساء:

بل جميعكم

كبيرهم:

لا [illegible] | [illegible] أو [illegible]
ومن [illegible] | [illegible] منه [illegible]

الخنساء:

بني [illegible] النفس [illegible] | [illegible] أكون [illegible]
لئن كان [illegible] الحرب منكم [illegible] | فلي [illegible] أصبحت [illegible]
فلا [illegible] | من الله [illegible] على [illegible]
[illegible] لأنتم [illegible] | ومن [illegible]
[illegible] | واحد [illegible]
ولكني أرى منكم [illegible] | [illegible] العزة والمجد
[illegible] الوطن [illegible] | [illegible] الأم [illegible]

كبيرهم:

كفى يا أم [illegible] | [illegible] إلى القتال
[illegible] في سبيل الله [illegible] | [illegible]

الخنساء:

وداعاً [illegible] | [illegible] بالعزة والإجلال

— ٢ —

« في [illegible] جيش [illegible] إلى حرب [illegible] »

[illegible] رجال [illegible] | [illegible] الله [illegible]

إلى موجهكم الفرس

بعض الجنود وهم ومن يشايعهم كفراً وعصيانا

هيا بني العرب هيا

عمر بل جندكم حتى أزودكم في الحرب ميدانا

لا تقتلوا الهرم الفاني ولا تحرقوا مسالماً لم يرد للحرب ميدانا

ولا تعدوا يداً بالسوء لامرأة ولا تذيقوا طعام الموت صبيانا

الجنود السمع والطاعة

عمر : فاسعوا حول قائدكم

واسعوا إلى الحرب أبطالاً وشجعانا

يد الله تحوطكم وتصحبكم وأعين الله ترعاكم ورحمانا

الجند يسيرون منشدين :

موكبي صوت الردى موكبي مرح الخطوب

إنا جنود الفدى الوطن الحبيب

أملي داعي الوطن جنا طيبه

حبيبي يا عربي وودي يا حبيبه

مكل ظل يرون في نصرة الأوطان

سه الشباب الحنون وروحه الفتيان

هيا يا هيا هيا بني العرب

نفدي العلا حب إلى وحي الحرب

( تسمع الخنساء بالنصر العربي فتسير إلى الله الجنيم في عار دارها )

الخنساء: مرحباً بالبشير

البشير أهلاً عاصر غر أحاسنا ومن الشواعر

الخنساء نصر ؟

البشير أعز نصر وجوده

الخنساء : لك الحمد والشكر الا كابر

أيها البشير ألهمت صدري بأصب التي وأذكى البشائر

فتحدث وصف الحديث من الحر ب فذكر الوغى سير الشاعر

البشير !

قد رسمنا النصر سحباً إلى النصر

من كل جنب في الأرض حاضر

ميتا اللهيب واستبسل الجند وحنت بنا الجهاد ترأثر

واستعر القتال وارتجت الأرض ومن وقعات الحروب الحناجر

كم أطبقت بها الرؤوس أنواعاً وطافت بها أفانين بمنايا

ثم دارت رحى الحروب على الفرس فباءوا بخيبة وهزائم

ونصرنا فكان نصراً عزيزاً ورأينا الذى وعده الله كفى

الخنساء

عرب البيد كل أبنائه الرسل سيوف الحق للطغيان يبادر

وبني هل يرد بعد حب الوغى

البشير أبلوا بلاء لا يجاد جزاء

الخنساء

ومن استطال به الحمد ومن نوى يقيب الحمام

البشير جميعهم شهداء !

أحمد المحسن

لا حسرتي ما بهم

الخنساء لا والذي بنى وكل المسلمين فداء

لعبوا بالحروب فإن عليهم في نصرة الدين الحنيف سماء

ماتت من العز الحياة ووجهه هذه بل لم عسى الحياة

شريف خليل شركا

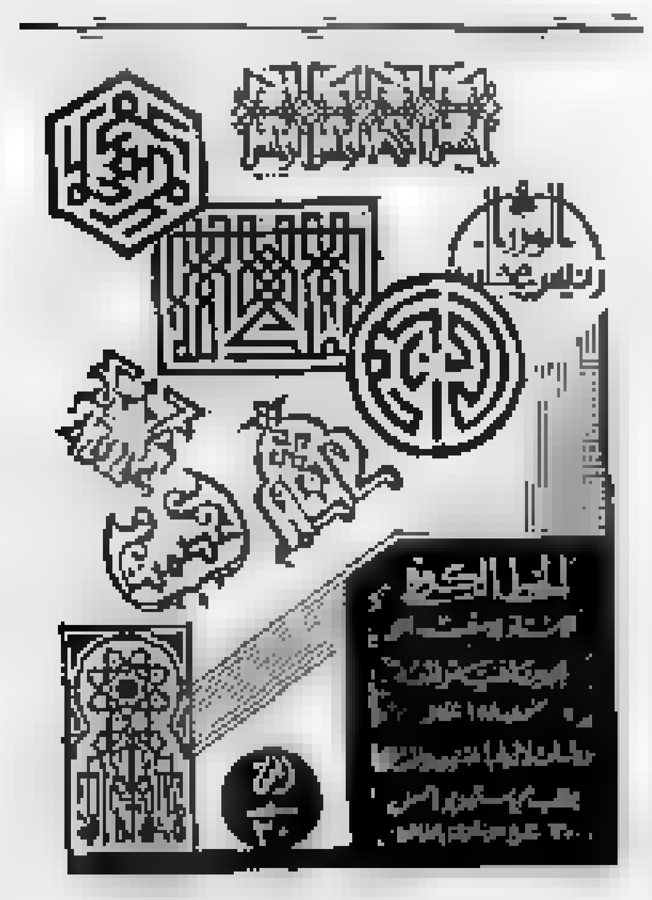

8me Année No. 349

Lundi 11-3-1940

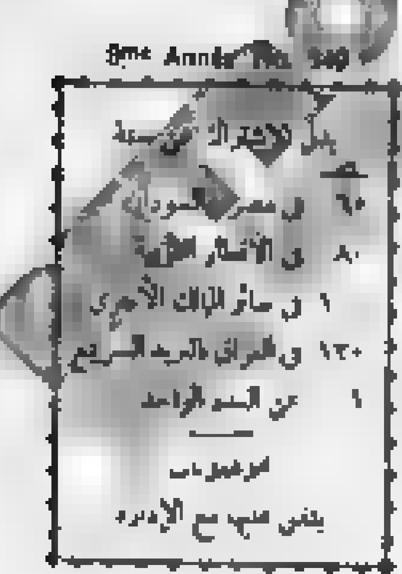

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البرجاس رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٤٩ — « القاهرة في يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١١ مارس سنة ١٩٤٠ » — السنة الثامنة

الفهـــرس



## عبقرية محمد السياسية

### للأستاذ عباس محمود العقاد

السياسة لها معان كثيرة في العرف الحديث: فمنها ما يكون بين بعض الدول وبعض من المراسم والمجاملات، ومنها ما يكون بين هذه الدول من معاهدات وخطط في أحوالها الخارجية، ومنها ما يكون بين الراعي ورعيته أو بين الأحزاب والجماعات من ولاء وخصومات، ولكل معنى من هذه المعاني اصطلاحه في العرف الحديث، وإن جمعتها كلها السياسة في اللغة العربية.

وقد روي عن النبي عليه السلام أعمالاً كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة في عموم مدلوله، ولكننا لا نعرف فيها عملاً واحداً هو أدخل في أبواب السياسة وأجمع لشروطها وأبعد في الآثار كلها في صفة القدرة العسكرية أو صفة الوعظ الديني أو سائر الصفات التي اتصف بها عليه السلام من عهد الحديبية في صياغة [illegible] بالدعوة إلى الفتح إلى أن [illegible] بفضل الخلق على أيدي قريش

ففي عهد الحديبية تجلى تدبير محمد في سياسة خصومه وسياسة أتباعه وفي الاعتماد على السلم والعهد حيث يحسنان ويصلحان، والاعتماد على الحرب والقوة حيث لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود

[illegible] بالدعوة إلى الفتح لم يقتصر في هذه السنة على المسلمين المصدقين لرسالته، بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل

الحربية التي تشترك فيها الدعوة المسلمين في معظم البحث والسعي إليه، يجتمع له العرب أجمعين عصبة واحدة في وجه قريش، ومصلحة واحدة في وجه مصلحتها، ويفصل بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى

ثم أفسد على قريش ما صنعوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى عداوة محمد والرسالة الإسلامية. فليس محمد وأصحابه أعداء محاربين عن الشعوب العربية يصدون عن شأنها ويطلبون مفاخرها، ولكنهم إذن حرب يحصر بينهم العرب ولا يعلون باحترامهم، أو يعطلون ما بينهم وبين آبائهم وأجدادهم. فإذا خالفوا قريشاً في شيء فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المتعصبين من قريش بالسيطرة على مكة، وليس هو بشأن القبائل أجمعين

ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما صنعوه من إقناع العرب بأن الإسلام عدو لهم من حيث عداوته للأوثان وتهديده للأسواق التي يحضرها الحاج ويستفيد منها القادمون إلى مكة والراغبون فيها. فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين إلى مكة كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين ليقصد البيت الحرام، فإذا حيل بينهم وبين ما يقصدون إليه فتلك جناية وهاك تبعته على نفسه وعلى قومه، ولا وزر فيها على أصحاب الأوثان أو أصحاب الأسواق على التحقيق

وقد سمعنا كثيراً في العصور الحديثة عن المقاومة السلبية أو المقاومة التي تجتنب العنف ولا تعتمد على غير الصبر والحجة، وسمعنا بها في الحركة التي قام على رأسها غاندي زعيم الهند حيناً بعد حين، حتى كان لها من الأثر في إزعاج الحكومة البريطانية ما لم يكن للقنابل ولا للمنشقات النارية

وقيل يومئذ إن غاندي قد تعلمها في مبدأ الحركة من الروسي الكبير ليون تولستوي. وقيل بل هو أحرى أن يرجعها من آداب البرهميين والبوذيين التي تحرم إيذاء الحيوان فضلاً عن الإنسان قبل أن يشرع ليون تولستوي مذهبه الجديد

والذين قالوا بهذا الرأي الأخير سيقنعوا أن يقصروا الشعوب والبرهميين والبوذيين على حركة غاندي ويحسبون تلك المقاومة السلبية لاعتقادهم أن الإسلام قد شرع القتال فلا يلائم المسلمين ما يلائم البوذيين والبرهميين من اجتناب العنف والتزام السلم وترك المقاومة

ولكن المثل الذي ضربه النبي صلوات الله عليه في رحلة الحديبية ينقض ما توهموه ويبين لهم أن الإسلام قد أخذ من كل وسيلة من وسائل نشر الدعوة بنصيب يجري في حينه مع مناسباته ودواعيه، فلا هو يركن إلى السيف وحده ولا إلى السلم وحده، ولكنه يضع كليهما حيث يوضع، ويضع مكانهما حيث ينبغي أن يوضع، وهو المتحكم المتصرف حيث يختار ما يختار، وليس بالآلة التي يسوقها السلم أو الحرب مساق الاضطرار

وقد خرج النبي إلى مكة في رحلة الحديبية حاجاً لا غازياً يقول ذلك ويكرره ويقيم الشواهد عليه من ساعته، ويظهر بهيئة المسالم المتجرد من السلاح إلا ما يؤذن به لسفر الظاعنين

فلم يفصل بهذه الخطة بين العرب وقريش وحسب، بل فصل بين قريش ومن معهم من الأحابيش، وجعل الزعماء وذوي الرأي يختلفون فيما بينهم على ما يسلكون من مسلك في دفعه أو قبوله أو مهادنته، وهو عليه السلام يكرر الوفادة لإقناعهم بالمسالمة والصبر معاً للاتفاق بين خصومه على قرار واحد، وقلَّ من أتباعه من أدرك قصده وحكمته حتى الصلح الظاهر

ولما اتفق الطرفان – المسلمون وقريش – على التعاهد والتهادن كانت سياسة النبي في قبول الشروط التي طلبتها قريش غاية في الحكمة والقدرة و«الدبلوماسية» كما تسمى في اصطلاح الساسة المحدثين

دعا علي بن أبي طالب فقال له: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم»

فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش: أمسك! لا أعرف الرحمن الرحيم، بل اكتب: باسمك اللهم

فقال النبي: اكتب باسمك اللهم

ثم قال: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو»

فقال سهيل: أمسك! لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك

وروي أن علياً تردد فمسح النبي ما كتب بيده، وأمره أن يكتب «محمد بن عبد الله» في موضع محمد رسول الله

ثم تعاهدوا على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً من رجال محمد لم يردوه عليه، وأنه

من أحب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه ، ومن أحب محالفة قريش فلا جناح عليه ، وأن يرجع محمد وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا إليها في العام الذي يليه ، ويقيموا بها ثلاثة أيام وليس معهم من السلاح إلا السيوف في قربها ، ولا سلاح غيرها.

ولو كان عهد الحديبية هذا قد كتب بعد قتال انهزم فيه المشركون وانتصر فيه المسلمون لوجب أن يكتب على غير هذا الأسلوب ، فيعترف المشركون كرهاً أو طوعاً بهذه الهزيمة ولا يجوز أحداً من مواليهم أو نصرائهم [?] يذهب إلى النبي ويلحق بالمسلمين

ولكنه عهد مهادنة أو عهد « إيقاف أعمال العداء إلى حين » كما يسمونه في اصطلاح العصر الحاضر ، فلا يجوزه شيء من الأصول المرعية في أمثال هذه العهود من أسباب صحة التسويغ [?] التي لا يرغم فيها لأحد الطرفين ولا محاباة لدعوى الفريقين ، ومن حفظ كل طائفة في تحقيق دعواه واستقلال مسلكه [?]

على أن النبي عليه السلام شرط على قريش أن ترد إليه من يصطحبها [?] من رجاله لنقض بعدك [?] دعوى الدعاة الإسلامية ، ونقض الرعب الذي يصحب به المسلمين ، فإن المسلم الذي يتركه النبي باختياره لينهض ربما يسيء بصحبه [?] ولكنه سيركب به مرجعاً في دينها وهو أولى به من بني الإسلام

أما المسلم الذي يُرَدّ إلى المشركين مكرهاً فإنما الصلة بينه وبين النبي الإسلام وهو شيء لا سلطان عليه للمشركين ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب. فإن كان الرجل ضعيف الدين فتنته [?] عن دينه فلا خير فيه ، وإن كان وثيق الدين يبقى على دينه فلا خسارة على المسلمين

وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها هي الخاسرة بذلك الشرط الذي حسبته غنماً لها وخذلاناً لمحمد صلوات الله عليه ، فإن المسلمين الذين فروا من قريش ولم يصحبهم محمد في عودته رجعوا [?] قد خرجوا إلى طريق القوافل يأخذون على تجارة قريش وهي آمنة في عهد الهدنة بين الفريقين ، فلا يستطيع المشركون أن يشكوهم إلى النبي لأنهم خارجون عن ولايته بحكم الهدنة ، ولا استطاعوا أن يجبروهم في مكة كما أرادوا يوم أصروا على شروطهم في عهد الحديبية ، وصار [?] العهد وبالاً [?] على من يفر [?] من مسلمي مكة تجار المشركين أن يغتصبوه أو يطالبوا النبي بالماطلة [?] عليه. وتم العهد عرضت [?] من لم يعرف ما جناه على الإسلام بعد قليل

صغير [?] بمحالفة النبي من قبائل تهامة [?] واستخرج [?] من قريش صريخ يهود خيبر والدول الأجنبية وصل الرسل إلى ملوكهم يدعونهم إلى دينه ، وفتح الأبواب لمن يصغون إليه من أشكروا [?] ، وأمنوا أن تكون نصرتهم للإسلام حرباً يتعرضون بها لما لا يطيقون

ويوم نزلت الآية الكريمة على أثر اتفاق الحديبية « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً » لم يفهم المتحيرون معناها ولم يفهمها ولم يجيئوا [?] موضع الفتح من ذلك الاتفاق الذي حسبوه نقصاً تسليم ، ولكنهم فهموا أي فتح هو بعد سنتين ، وعلموا أن من الفتوح ما يكون بغير السيف ، وما يشبه الهزيمة في ظاهره عند من يحسبون ولا يحسنون النظر إلى بعيد

وهكذا غلبت عبقرية محمد في سياسة الأمور كما غلبت في قيادة الجيوش ، فكان على أحسن حظ [?] في سياسته إذ هدى بعبقرية الجيش وهو لم يفتح مكة بعد وحدة [?] ، وإذ هدى المسلمين وحمى المسلمين إلى مصاحبته في رحلته ، وإذ حمى ما أوتي من طريقه المسالمة وإقامة الدعوة [?] في إنفاذ عزيمته ، وإذ قبل العهد الذي كثر عتواه [?] على أقرب للفريقين من صبره ، وإذ عبر إلى عقباه ووصل به إلى القصد الذي رجاه .

عباس محمود العقاد

# إنما يزدهر الأدب
## في عصور الفوضى الاجتماعية

للدكتور زكي مبارك

[ ألقيت في كلية الآداب مناظرة بين الدكتور زكي مبارك والأستاذ نظمي خليل برئاسة الدكتور إبراهيم مدكور ، واشترك فيها فريق من طلبة الكلية ، واقتنع الحاضرون بالرأي الذي دافع عنه الدكتور مبارك بعد خطبة الصريحة والخالصة من شوائب التردد والجمود ]

سيقولون أن أمثال هذه المناظرات لا يراد بها غير إيقاظ العقول بعرض طوائف من المذاهب والآراء ، فالمناظر لا يؤاخذ بالرأي الذي ينتصر إليه ، ولا يطالب بالوقوف عند ما يؤمن بصحته من الأدلة والبراهين

ليست هذه المناظرات إلا حركة عقلية يراد بها عرض صور مختلفة للوجه الواحد من وجوه الفكر والرأي ، فليس من حق أحد أن يقول : إني أدعو إلى الفوضى حين أعرف أنها من الفرص الصوالح لازدهار الآداب والفنون

وهنا سجيل عليكم أنني مؤمن بالرأي الذي أعرضه اليوم من فوق منبر كلية الآداب ، فلا يضيرني أن أتهم بتحبيذ الظروف التي تُشيع الفوضى في المجتمع ، ولا يؤذيني أن تكون أصواتكم في صف خصمي ، وهو صديق أحييه في هذه الساعة تحية مؤقتة

وأسارع فأعترف بأني أخاف أن تكون الغلبة من نصيبي ، لأن انتصاري يجعلني الشاك من مناظرة اليوم ، ولأني أخشى أن يميل السامعون إلى إيثار السلامة ، فيطلبوا تأييدهم رأي الخصم المحترم ، حتى لا يقال : إن كلية الآداب تشجع من يرى أن « الفوضى الاجتماعية » قد تعود بالنفع على الآداب والفنون ، وهي نعمة يجود حولها القدر من حين إلى حين

وأنا أعرف سلفاً أن الغلبة ستكون من نصيبي لأن رأيه في هذه المناظرة جريئة المنطق الصحيح ، ولأني أعرف نفسي حين تروقني أجيب في الدفاع عن رأيي أحسن الدفاع

ومن أجل هذا ، وقفت في قراءة الخطابة ، وأشرت [illegible] خلقي ، وأقبلت بها مكتوبة ليطلع من شاء ، فتكون شاهدة على صدق الرأي الذي حدثت به واعتززت إليه

أنا أرى أن الأدب لا يزدهر إلا في عصور الفوضى الاجتماعية فهل مد المجتمع التي تؤيد هذا الرأي الجريء ؟

أستطيع أن أقول إن الفوضى الاجتماعية ترج الأذهان رجاً عنيفاً ، وتفتح أمام الأذواق أبواباً ومذاهب ، وتقهر العقول على التفكير في مصاير الإنسانية عند اضطراب المجتمع

وأستطيع أن أقول إن الفوضى هي التي مهدت السبيل إلى ظهور الحكمة على ألسنة الحكماء ، وهو شيء نقف إلى الظهور لم تظهر إلا في الأوقات التي غلبت فيها الفوضى على المجتمع

فيكم من قرأ القرآن ، وفيكم من قرأ التوراة ، وفيكم من قرأ الإنجيل ، فهل فيكم من يجرؤ على القول بأن تلك الكتب المقدسة خلت من الثورة على اضطراب المجتمع ؟ وهل فيكم من ينكر أن أعظم الجوانب في تلك الكتب هي الجوانب الخاصة بالتشريع ؟

ولمن وضع قواعد الشرائع إن اطمأن الأديب ، إلى أن المجتمع في أمن من شر الفساد والاعتلال ؟

وما قيمة الفضائل التي نعتز بها لو عرفنا إذا صح أن الله لم يصنع الأمم وأنه لا يعرف التمييز بين الفاضل والمفضول ، ولا يشهد الفرق بين الصحة والاعتلال ؟

وهل تحببت الفضائل ما كان إلا بالقياس إلى الرذائل ؟ وهل تصور الناس معنى الحياة إلا بعد أن شهدوا صورة الموت ؟ وهل أدركوا روح اليقين إلا بعد أن أدركوا ظلم الارتياب ؟

اسمعوا كلمة أخرى

إن سلامة المجتمع من الفوضى والاضطراب لا توصل الناس إلا إلى غاية واحدة هي الاطمئنان للطلق ، والاطمئنان للطلق يقود الناس إلى هاوية البلادة والغفلة والحمق

وأنا لا أنكر أن السعادة قد تكون من نصيب الأحمق والغافل والبليد ، ولكني أنكر أن يكون التفوق في الأدب من نصيب هذا الطراز من « السعداء » فالأدب فن من الفنون بإصطراع العقول ، واصطخاب الأهواء ، واصطراع الأجيال ، وهو التعبير الصادق عما يجري في المجتمع من الأحوال العجيبة بين الرشد والغي

هل عرفتم وصف الجنة في الكتب السماوية ؟ إنها من كل

فاكهة وريحان ، وفيها حورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، عُرُب كل الطيبات . وفيها الأمان المطلق من المرض والموت ولكن هل سمعتم أن الجنة سيكون فيها كُتّاب وشعراء وخطباء وجرائد ومجلات وكلية آداب ؟

وكيف يكون هذا للناس في الجنة وقد أراح الله أهلها من سيال الشهوات والأهواء ؟

قيل إن أهل الجنة سيكون أكثرهم من البُلْه ، وقيل في تفسير ذلك إن البُله تقلّ عندهم الموبقات فيخرجون من الدنيا بسلام وقد أهّلتهم البلاهة لاحتلال الفردوس

وأقول بعد ذلك التفسير ، أقول إن أهل الجنة سيكونون بُلْهاً لأن الله سيريحهم من التعرض لآفات التخبط والخروج في ميادين الفكر والعقل والوجدان

وما حاجة أهل الجنة إلى الذكاء وهو عناء ؟ إن الذكاء وسيلة التخلص من المعاطب ، وأهل الجنة في أمان من المعاطب

والأدب في جوهره تعبيرٌ عن جلاد الإنسانية بالصراع بين الحُسن والقُبح ، والنضال بين الشك واليقين ، فما حاجة أهل الجنة إلى ذلك التعبير وهم يُرزقون بلا حساب ، ولا يخشون الخوف من تقلب الظروف وتقلب القلوب ؟

وأنتم تستطيعون الوصول إلى ما يشبه نعيم الجنة في كل وقت ، إن رضيتم بحظوظكم في الحياة ، ولكنكم لن تكونوا أدباء ، لأن الأدب ليس إلا تعبيراً عن قلق الأرواح والقلوب إلى غاية عالية لا يدركها الراضون عن حظوظهم في الحياة

الأدب يأخذ زاده من قلق الأفئدة والأرواح والعقول ، ولا يقع ذلك القلق إلا عند اضطراب المجتمع . فليت شعري كيف يجد حسّه صحته وهو ينتظر ازدهار الأدب في رحاب المجتمع الهادئ الرزين ؟

الأدب من صور الحياة ، والحياة تغضب وتفرح وتصارع ، وهل يعرف السلام المطلق غير الأموات ؟

إن أساتذة الآداب يحدثون بأن عصور الاضطهاد السياسي في الدولة العباسية كانت عصور تقدم في العلوم والآداب والفنون وهم يعللون ذلك بالتنافس بين الرؤساء والأمراء والملوك

فما رأيكم فيمن يذكر لذلك سبباً آخر هو الجلجلة التي نشأت لاختلال المجتمع السياسي في العصر العباسي ؟

وهل كان الصراع بين العرب والفرس إلا صورة من صور الاضطراب في المجتمع الإسلامي ؟ ولا [illegible] من ينكر أن الصراع بين العرب والفرس عاد على الحياة الأدبية بأعظم النفع ، وقدم للأدباء فرصاً ثمينة للتعرف بخصائص الجمهور ؟

وتسمعون في كل يوم أن مصر لها الزعامة الأدبية بين الأمم العربية . فمن أين وصلت إلينا الزعامة وهي حقٌّ ؟ أو وهبها الله لنا من السماء بعد انقضاء عصور الوحي ؟ أو زفّتها الأمم العربية نفسها إلينا هدية ؟ لا هذا ولا ذاك ، وإنما كانت لنا الزعامة الأدبية لأننا نفوق سائر الأمم العربية في الحظ بأكبر نصيب من اضطراب المجتمع ، وإليكم بعض البيان

في بلادنا تصطرع جميع المذاهب والعقائد . وفي بلادنا تتقاتل جميع العادات والتقاليد . وفي بلادنا يلتقي البحران : بحر المدنية الشرقية وبحر المدنية الغربية . وفي بلادنا يجتمع الضب والحوت ، وتمتزج أنغام المؤذنين بأصوات الراقصين

عندنا برج بابل المشهور في التاريخ ، بل عندنا برجان في الأرض وخاصة المصرية ، يتجه أحدهما إلى الشرق فيكون حصن المدنية الشرقية ، ويتجه ثانيهما إلى الغرب فيكون حصن المدنية الغربية

وهذا اضطراب بلا جدال ، لأنه تقلّب الوجوه بين الشرق والغرب ، ومن هذا التقلب ظفرت مصر بالزعامة الأدبية بين الأمم العربية

فالأديب المصري يضرب في شتاء فيرى القاهرة في ثياب (أنجلوسكسونية) ، ويترفق [illegible] في [illegible]

وبفضل هذه البلبلة بين الحضارة والبداوة نهضت قواعد الأدب المصري الحديث

وقد حدثت تلاميذي بكلية الآداب في سنة ١٩٣٣ أن الأدب في مصر [illegible] إلا لأنها اشتركت المرأة في صياغة المجتمع

ومعنى ذلك أن المرأة عاشت في حياة الرجل ألواناً من الرعب والغضب ، والقسوة والحب ، وسوقت إليه صنوفاً من الرق والعتب والبؤس والنعيم

المرأة مصدر اضطراب في حياة الرجل ، ويكفي أن تتذكروا أن حواء حرمت جدنا آدم نعيم الفردوس ، فحرث وزرع وحصد ، وعرف معاني اليأس والرجاء ، ومهّد لأبنائه سبيل الأدب الرفيع بوصف ما في الحياة من أوهام وأشواك ، وحقائق وأباطيل

والمرأة التركية لا تعيش الأدب ، وهل في الأدب حياة ودعة ؟

لتستوى الله على جميع تلك صوره !

ولا يهمني أن أدعوكم إلى الاصطلاح والاتفاق بما عند الرغائب من ترف وطيش ، فقد [illegible] من أخطار الفوضى الاجتماعية واشتراك المرأة في المجتمع يجر حتماً إلى الفساد والاضطراب ، وإنما يهمني أن أنص على أن الفتى الذي يصحب حياة المرأة يورث ملامحه الأدبية والفنية ، مثل ما يورثه من الأذواق والأحاسيس

وفي [illegible] ما أعجب [illegible] وشبان وأشياخ كتب لهم عشرة المرأة ، [illegible] سعداء ، لا يخلون من البيت إلا إلى المعهد ، ولا من المعهد إلا إلى البيت ، وذلك نموذج للجهلاء [illegible] من شوائب الفن والإبداع

ولكن هؤلاء لن يصيروا أحياء ، ولن يكون لهم مكان بين أقطاب الفكر والعقل والذوق ، وإن ظفروا بسمعة عظيمة في السلامة من شر الناس

وهل يُعد بكم في عرض التواضع ؟ عن الجوع في كلية الآداب ، فما هو السر في تفوق هذه الكلية من الوجهة الأدبية ؟ أيكون السر في أنها [illegible] لا نظير له في الأزهر ودار العلوم ؟

إن كان اختلاف [illegible] هو سر التفوق فمن حق الأزهر أن يقول إنه يعرض علوماً لا تعرض في كلية الآداب [illegible] ليس السر في [illegible] وإنما السر في المكان ، كما يقول أهل [illegible] الرجعية

إنما تفوقت كلية الآداب بسبب ما [illegible] من الفوضى الاجتماعية ، حين أذن [illegible] بأن يختلط فيه الفتيان والفتيات بلا تحجب ولا استتار ، ولن يكون أول معهد يختلط فيه الفتيان والفتيات في العصر الحديث ، فهو أول معهد كثرت فيه [illegible] على [illegible] الثالث

ومن المؤكد أننا غير [illegible] في [illegible] أنفسنا من هذه الصورة من صور المجتمع ، وليس منا من يطمئن كل الاطمئنان إلى أن يكون ابنه عرضة للعيون ، [illegible] من شاء من أهل الفضول

كلية الآداب في موطن اجتماعي يشهد [illegible] أهل الفن [illegible] ولكن هذه الفوضى أثمرت [illegible] ما هي تلك الثمرات ؟ هي إذكاء للمشاعر والعواطف والأحاسيس – هي [illegible] الفتيان والفتيات على تحصيل [illegible] الحيوية في تأمل شؤون الوجود

وهل من العجب أن يقال إن كل فتى يسره أن يكون موضع الإعجاب من إحدى الفتيات ؟

اتركوا [illegible] لحظة واحدة واسمعوا صوت الحق

إن الطالب في كلية الآداب لا يستطيع ولن يستطيع أن ينسى أنه محوط بأرواح [illegible] حياة [illegible] بالحيوية والتجميل [illegible] وهنا الطالب [illegible] يتجمل بالظواهر والأشكال فيحرص على هندامه [illegible] ليظهر أمام الفتيات بمظهر مقبول ، [illegible] الروح لا بهذه الظواهر والأشكال ، وإنما [illegible] أن يكون [illegible] بعد السيطرة بالمنطق والعقل والبيان

ومن هنا يجوز لكم أن تنتظروا سطوع الشمس من هذه الكلية ، يوم يكون فيها طالبات لا يرون المروءة في الظواهر والأشكال ، وإنما يرون المروءة في قوة الأفكار والآراء والعقول [illegible] وإنما أعترف كما ترون بهذه الصورة العصرية لأن [illegible] هذه الكلية [illegible] سيكونون [illegible] في [illegible] « مصلون » الرجال في [illegible] الصحف والآراء

ولن يتم ذلك بدون فوضى اجتماعية ولكن تلك الفوضى ستصنع الأعاجيب في تاريخ القلوب والعقول

أنا أكره الفوضى ، وأرجو أن [illegible] وحماية الاستقلال بهذه الكلية ، إن صح [illegible] من [illegible] التقدير بالشكر من أقطاب المجتمع الجديد

ولكني أشرح هنا موقف المؤرخ ظاهرة من الظواهر الأدبية في معهد قد [illegible] به العصبية أربع سنين ، ومن حقه عليه أن يعترف بأن [illegible] في رحابه [illegible] ، فأقرر أن الأدب [illegible] في عصور الفوضى الاجتماعية

وهل أراك في حاجة [illegible] أيها [illegible] ؟

اصحوا ، اصحوا

( البقية في العدد الآتي ) زكي مبارك

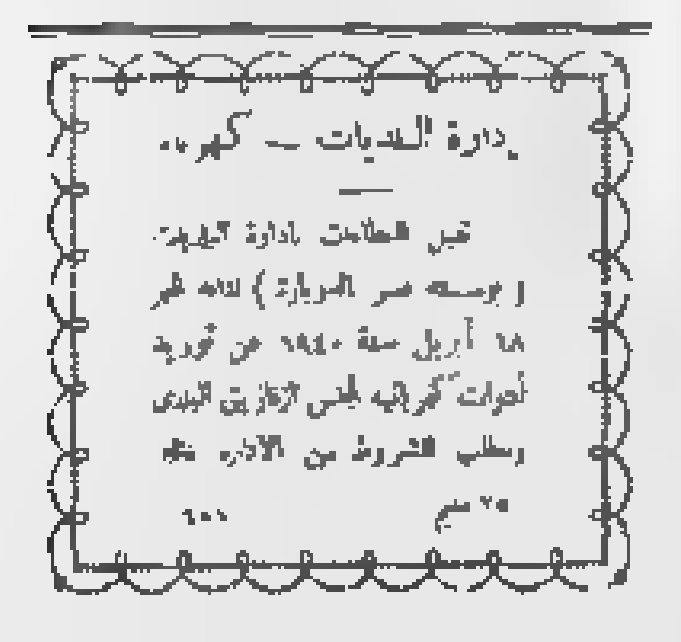

[illegible]

# صراع اللغات

للدكتور علي عبد الواحد وافي
مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ذكرنا في مقال سابق(1) أن الصراع بين اللغات يحدث في عوامل كثيرة أهمها عاملان: أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله؛ وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة، فيتبادلا المنافع، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادي والثقافي. ثم تكلمنا عن الحالات التي يؤدي فيها العامل الأول إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى وما يمتاز به هذا التغلب من خصائص وما يتصل به من شؤون.

ونستعرض في هذه المقالة الحالات التي يؤدي فيها العامل الثاني إلى مثل هذه النتيجة.

* * *

يتيح تجاور شعبين مختلفي اللغة فرصاً كثيرة للاحتكاك بينهما، فتشتبكان في صراع ينتهي أحياناً إلى تغلب واحدة منهما على الأخرى فتصبح لغة الشعبين؛ ويحدث هذا في حالتين:

الحالة الأولى: إذا كانت نسبة النمو في أحد الشعبين كبيرة فيتكاثف فيها سكانه، وتضيق مساحته عن حاجاته، فيتجه بفضله إلى حدود الشعب المجاور له، ويكثر فيما هنالك فرص الاحتكاك والصراع بين اللغتين. وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له؛ على شريطة ألا يقل عن أهلها في حضارته وثقافته وآداب لغته، وربما كذلك اقتصاره إنما كان أرقى من أهلها في هذه الأمور.

والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ، وأكثرها دلالة في هذا الصدد ما كان من أمر اللغة الألمانية، فقد تغلبت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة للألمان بأوربا الوسطى (تشيكوسلوفاكيا كما ورومانيا والنمسا ... الخ) وقضت على لهجاتها الأصلية(1).

الحالة الثانية: إذا تغلغل نفوذ أحد الشعبين في الشعب المجاور له؛ وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب القوي النفوذ على شريطة ألا يقل عن الآخر في حضارته وثقافته وآداب لغته، وربما كذلك اقتصاره إنما كان أرقى منه في هذه الأمور.

والأمثلة على ذلك كثيرة في مختلف مراحل التاريخ، فلغة شعوب «الباسك» Basque قد أخذت تنهزم أمام اللغة الفرنسية في المناطق التي يتغلغل فيها نفوذ الفرنسيين، وأمام اللغة الإسبانية في المناطق التي يتغلغل فيها نفوذ الإسبانيين، حتى كادت تنقرض في كلتيهما(2). واللهجات السلتية(3) التي كان يتكلم بها معظم السكان بإيرلندا واسكتلندا وبلاد الغال قد أخذت تنهزم أمام اللغة الإنجليزية منذ أن تغلغل نفوذ الإنجليز في هذه البلاد، حتى زالت من لغة الأدب والكتابة، وكادت تنقرض انقراضاً تاماً من لغة الحديث. وهكذا كان مصير اللهجة السلتية التي يتحدث بها سكان البريتون Bretagne في القسم الغربي من فرنسا على سواحل الأطلنطي)، فقد أخذت تنهزم أمام اللغة الفرنسية منذ أن تغلغل نفوذ فرنسا في هذه المقاطعة، حتى أوشكت

(1) عدد ٢٤٤ صفحة ٢٢٥ وما بعدها

(1) ويرجع معظم مظاهر هذا التغلب إلى ... في هذه المناطق، أي إلى أمور تتصل بالعامل الأول. ولا يعد العامل الأخير هنا مقصوراً على الحالات التي لم تتغلب فيها اللغة الألمانية في صورة ... تحت تأثير الجوار وكثافة السكان.

(2) تقطن شعوب «الباسك» منطقة جبال البرانس الغربية في الحدود الإسبانية والفرنسية، فتقطن ... Biscaye وألافا Alava وجيبوزكوا Guipuzcoa ونافار Navarre (في إسبانيا) والمناطق المجاورة لبايون Bayonne وموليون Mauleon ... الأسكا ... Eskuara ولغتها ليست من فصيلة اللغات الهندية الأوروبية، ولا من ... سابقة.

وقد قام ... لويس لوسيان بونابرت Louis Lucien Bonaparte عام ١٨٦٣ ... بإحصاء المتكلمين بهذه اللغة ... في إسبانيا ... على أن هذه اللغة ... كانت لغة أوسع كثيراً مما يرشد إليه هذا الإحصاء ... ٤٧٢ ... اللغتين الفرنسية والإسبانية على كثير من ... وخاصة في إقليم نافار Navarre.

... وقد هاجر إلى أمريكا ... ولا يزال يتكلم بها الآن ... الآلاف من أعقابهم ... بعض عاداتهم وتقاليدهم.

(3) هي لغات شعوب السلت Celtes التي كانت قديماً تقطن أوروبا الوسطى، ثم تفرقت ... معظمها في فرنسا وإسبانيا وبريطانيا ... وهي من الفصيلة الهندية — الأوروبية.

لم إلا آثار ضئيلة في لغة الحديث بين الأميين من الشيوخ[١] –

واللغة الفرنسية قد تغلبت على مقاطعات الطليان المجاورة لها ببلجيكا وسويسرا ؛ فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لجميع سكان والونيا Wallonie[٢] ببلجيكا ونحو ٢٣٪ من سكان سويسرا –

واللغة الإيطالية قد تغلبت على مقاطعات الناطقين المجاورة لها بسويسرا ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٢٠٪ من سكان هذه الجمهورية.

وعلى هذا الأساس نفسه تتغلب في المملكة الواحدة لغة المقاطعة التي يكون بها العاصمة أو يكون لأهلها السلطان والنفوذ؛

فوجود عاصمة بلجيكا ( بروكسل ) في مقاطعة والونيا ذات اللسان الفرنسي ، ولأن سكان هذه المقاطعة يتمتعون بقسط كبير من النفوذ والسلطان في هذه المملكة ، أصبحت اللغة الفرنسية تتغلب على الفلامندية ( لغة القسم الشمالي من بلجيكا المسمى « فلاندر » ) وتقتنص من أطرافها. ولوجود عاصمة سويسرا ( برن ) في القسم الناطق بالألمانية ، ولأن سكان هذا القسم يتمتعون بأكبر قسط من النفوذ والسلطان ويتألف منهم الأغلبية الساحقة ( يتكلم الألمانية في سويسرا نحو ٧٠٪ من أهلها ) أصبحت اللغة الألمانية تطغى على ألسنة الناطقين بالفرنسية من السويسريين. وقد أصبحت لغة برن سبيل الإسلام تتغلب على اللهجات العربية الأخرى ، لما كانت تتمتع به من سلطان قوي ، ويستأثر به أهلها من نفوذ ديني وسياسي.

وفي كلتا الحالتين السابقتين لا يتم النصر غالباً لإحدى اللغتين إلا بعد أمد طويل يبلغ أحياناً بضعة قرون ؛ فالصراع بين الألمانية والفرنسية بسويسرا قد بدأ منذ عهد سحيق ؛

ومع ذلك لم يتم للألمانية النصر النهائي. والصراع بين اللغة الفرنسية واللسان الكلتي الذي يتكلم به البريطونيون ( سكان مقاطعة البريطون Bretagne ) قد نشب منذ عدة قرون ؛ ومع ذلك لا يزال كثير من شيوخ البريطون في العصر الحاضر يتكلمون بهذا اللسان. ولا تزال اللهجة الكلتية لغة محدثة بين طبقة الإرلنديين في العصر الحاضر ، مع أن تغلب الإنجليزية عليها قد بدأ في هذه البلاد منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. ولقد أصبحت لغة قريش تطغى على اللهجات العربية الأخرى منذ العصر الجاهلي ؛ ومع ذلك ظلت هذه اللهجات حية في كثير من المواطن إلى أواخر العصر العباسي.

وغني عن البيان أن انتصاراً لا يتم إلا بعد أمد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه في الحالة التي كان عليها من قبل. فاللغة التي يتم لها التغلب لا تخرج سليمة من هذا الصراع بل إن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها في بعض مظاهرها وبخاصة في مفرداتها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المقال الأول[١]. غير أن مجرد العامل الذي نحن بصدد الكلام عنه من عنف النزاع وشدة المقاومة ، وحدوث تغلبه في صورة سمحة متدرجة بطيئة ، كل ذلك يعمل على وقاية اللغة الغالبة ، ويخفف من مبلغ تأثرها باللغة المغلوبة.

والألفاظ الأصيلة للغة الغالبة ، يتناولها بعض التحريف في أفواه المحدثين من الناطقين بها ( المغلوبين لغوياً ) ، فتتحرف بعض الانحراف في أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورها الأولى.

والكتابة الدخيلة التي تقتبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة يتناولها كذلك بعض التحريف في حروفها ومعانيها وأساليب نطقها فتبعد في جميع هذه النواحي عن شكلها القديم.

* * *

وتقطع اللغة المتغلبة في سبيل انقراضها نفس المراحل التي أشرنا إليها في المقال الأول[٢]؛ فتتجه الانحلال أولاً إلى مفرداتها ثم إلى أصواتها ومخارج حروفها وأساليبها في نطق الكلمات ويتم الإجهاز عليها بالقضاء على قواعدها.

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة باريس

---

(١) عدد ٤٤٤ صفحة ٣٦٦ – ٣٦٧

(٢) عدد ٤٤٤ صفحة ٣٦٩

(١) ظلت هذه المقاطعة تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي حتى عام ١٩١٨ ( في عهد شارل الثامن ) ، وفي ذلك العهد أصبحت تابعة للتاج الفرنسي. ولكن لم يتم ضمها إلى فرنسا إلا عام ١٥٣٢ في عهد فرنسوا الأول – وقد انقرضت اللغة الكلتية في هذه المقاطعة انقراضاً تاماً من لغة الكتابة والأدب. وانقرضت كذلك من لغة الحديث بين أبناء الجيل الحاضر وكانت لا تزال تسمع من أفواه الشيوخ المسنين – وقد زرت هذه المقاطعة وقضيت بجهة أدبير حفلات بلغتها ، فلم أسمع هذه اللغة إلا من عدد قليل من الشيوخ الأميين. وحتى هؤلاء أنفسهم لا يتكلمون لسانهم هذا إلا بالجهر؛ أما مع غيرهم فيتكلمون الفرنسية. وتسرب إلى كلماتها وتراكيبها وأساليب في النطق كثير من التحريف.

(٢) هو القسم الجنوبي من بلجيكا ، ويتحدر سكانه من أصول سلتية ولاتينية. على حين أن القسم الشمالي المسمى بالفلاندر Flandre يتحدر سكانه من أصول جرمانية ويتكلمون الفلامندية وهي لهجة من شعب اللغات الجرمانية الغربية.

# العقلية الألمانية

من حقول الدراسة اللغوية

للأستاذ أبي حيان

---

كنا في ساعة من تلك الساعات الجميلة التي تتكاشف فيها الأرواح، وتتساقط فيها الشجون، وتنطلق فيها الخواطر؛ وقد هزتنا الذاكرة بين أطوائها، فتكون ذخيرة من السعادة، تستمتع النفس في أيام الشقاء، وتنعم باستحضارها كلما طاف طائف الآلام، وحزبها الأمر. وكنا نتدارس في تلك الساعة طرفاً من علم اللغات المقارن، مما يتصل بعلامات الإعراب، ومكانها في مختلف اللغات، وأنها عدة من عدد اللغات البادية كاللاتينية القديمة، واليونانية الأولى، وما يقابلها في اللغة العربية الشريفة، وقد جاوزت دور البداوة، وشاركت في بناء الحضارة، وأصبحت في ذلك إعجاباً، لأنه مظهر من مظاهر القدسية التي أسبغها القرآن الكريم عليها، بنزوله بها. والقرآن ثابت محدود النص: لا تبديل لكلماته، ولا تغيير في نظمه، ولا تحوير لوضعه؛ وكذلك اللغة العربية التي ترتبط كيانها بكيانه، وتخلف من مكانه. فهذه العلامات الإعرابية هي في حقيقة وضعها وصميم أمرها، مظهر من مظاهر البداوة الإنسانية في دور من أدوارها.

ولقد تنزل هذا الرأي من عقولنا ومشاعرنا منازل متفاوتة؛ فمنا من تلقاه وأعجب به لطرافته، ومنا من أنكره لغرابته، إلى غير ذلك من الحالات المختلفة باختلاف المزاج العقلي. ولكنه لم يلبث أن أثار في أنفسنا طائفة من الخواطر شاردة، ثم ما لبث ذلك المجلس الهادئ الفاتر أن يخرج عن هدوئه، حتى انطلقت تلك الخواطر متناقضة متعارضة.. فعلا الصوت من حولنا وكثر، وطال الجدل واشتد... وقد اختلفت أساليب الحديث، وتشعبت طرائق القول وأفانينه، على ما يقع في المناظرة، وعلى ما يوحي به المنافسة.

ولكن أحدنا، وكان في معارضة الرأي متشدداً، وكأنما كان يدخر — حاجة في نفسه — هذا الوجه الأخير من المعارضة، أخذ يقول: «كيف يستقيم هذا الرأي لكم، وكيف يجمع في الاعتبار العقلي، بما كان بين حديثنا بأمثلة من الشواهد؟ أتعلمون أن اللغة الألمانية من اللغات المعربة التي تلتزم الإعراب التزاماً لا هوادة فيه ولا تسامح في مواقعه؟ فهل يصح في حكم المنطق بين الشيئين لا ائتلاف لهما ... من ... وعليها التي «الجمال المجرد» بحكمكم؟ وربما أنكم تلتزمون في ... — وأعيذكم من المجاجة في الباطل حتى يكشف عنه غطاؤه — تزعمون أن اللغة الألمانية لغة بدوية، وأن الشعب الألماني لا يزال في دور من أدوار البداوة؟ فيا لهذه من جرأة على الواقع ومكابرة بالقول! إذ ما كان لأحد أن يذهب به ركضه هذا المذهب، فاللغة الألمانية هي — كما يعرف الناس جميعاً — لغة الحضارة في أوسع معانيها، وأكمل ما عرفه من صورها.»

ثم أخذ صاحبنا يعد شعب الحديث في كل مناحيه الممكنة، ويفيض في بيان هذه الحضارة وعظيم أصحابها، ويستشهد من هنا وهناك، في حماسة متقدة، وبلاغة مسلاقة، حتى انتقل — وتحتمر معه — واحة بين ذاك المارق، فهو يجرب فيها أساليبه، ويتخذ منا موضوعاً له. وهكذا لم يلبث الميدان أن تحول — في غير تراخ — من بحث لغوي ومعارضة علمية، إلى جدل سياسي، يهدأ ويثور، ويشتد ويخور! وبقيت المسألة الأولى في موضعها حتى اليوم ... لم يبت فيها برأي، ولم ينته فيها إلى مقطع.

انفض هذا المجلس وتفرق كل منا فيه، إلا من هذه النفحة الروحية الخالدة ... التي أودعها الله فينا — وأطلقنا عليها كلمة «الذكرى»، فقد أصبح فيه معنى الخلود، ويسعد به غير من لا يغترب، مما يعمل دائباً في تكوين شخصية هذا الإنسان الظاهرة والمستكنة، والحاضرة والمستقبلة؛ حتى إذا هاجته الحوادث، واستثارته الأحداث والمناظر، انبعث من مكمنه، وأخذ يؤثر في حياتنا كما تؤثر العصارات في حواسنا.

وأنه منذ تلك الساعة لا تزال الذاكرة تطلق من صورة ذلك المجلس، وما تفتأ هذه الصورة تتمثل لي، وترود أمامي، وتخرج لتطل بين أسئلة شتى: أيكون الشعب الألماني لا يزال يعاني البداوة في دور من أدوارها؟ أليست هذه المظاهر المختلفة في مسلكه من الحرب وتكوينها، ومن تقديره الحرية الشخصية ونحوها، ومن تلك النظرة العنصرية التي لا يحيد عن مواردها ويلح فيها، وفي غير ذلك من الأساليب التي تنتظم الناس والعصر، أليس كل ذلك

بحث تاريخي

# عام الفيل وميلاد الرسول

[ بحث في ... الدكتور محمد حسين هيكل باشا ]

### للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

---

**عام الفيل**

كان الرأي الشائع في الدوائر التاريخية العلمية أن المصادر اليونانية لم تتحدث عن مرض الأحباش بالحجاز، ولا عن حمل الفيل[1] غير أن المباحث الدقيقة التي نشرها المستشرق العلامة نولدكه من تاريخ صلات الفرس بالروم[2] يثبت أن المؤرخ بروكوب اليوناني تحدث عن مرض الأحباش المعسكر

(1) Essai sur l'histoire des Arabes في Caussin de Perceval [illegible] باريس ١٨٤٧ ص [illegible]

(2) Theodor Nöldeke: Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden ليدن ١٨٧٩ ص [illegible]

بمعرض الروم[1]، ومن ذلك الحين عُدّ هذا الأثر التاريخي وجهة أخرى يبدأ منها دراسة الوقائع من وجهة النظر اليونانية، وتحقيق ما يصاب ما ورد في كتب المؤرخين العرب[2]، وهذه الوجهة التي عمل عليها المستشرقون حتى الآن؛ لأن مؤرخي العرب تأخر بهم العهد نحو ثلاثة قرون من الزمان، خرجت فيها وقائع الجاهلية العربية على الأفواه وتنقلت على الألسنة في فترة من الزمان، حتى في ساعتها من الأساطير [illegible] ما جعله يتناول الوقائع والحوادث التاريخية [illegible]، فيخرج من حول هذه الأقاصيص المنسوجة بروح العصر. وهكذا كان أن سلمت وقائع الجاهلية العربية لعصر التدوين في القرن الثاني للهجرة، بعد أن غابت حقائق هذه الوقائع في تيه من الأساطير التي حيكت من حولها والتي غطت على أصلها[3]، ومن هنا تعد المصادر اليونانية قيمتها التاريخية، باعتبارها مصادر معاصرة للوقائع التي جرت، ومن هنا يمكن اتخاذها محكاً لدراسة الروايات العربية، واستخراج العناصر التاريخية منها.

يذكر لنا بروكوب أنه في السنة الخامسة من حكم الامبراطور جوستنيان، أي حوالي سنة ٥٣٠ ميلادية، عبر الأحباش إلى اليمن واستولوا عليها. وهو يصور أسباب هذه الحملة اعتماداً على ما يذكره لنا المؤرخ اليوناني [illegible] أن يوسف ذا نواس (هوميريتي اليهودي، [illegible]) بطش على بعض النصارى من [illegible] وقتلهم، واستعبد نصارى نجران، وأخذ يضيق السبيل على تجارة الروم، فكان نتيجة ذلك أن كسدت التجارة وساءت الحالة الاقتصادية. وقد تضرر من هذه السياسة [illegible] الحبشي، فخرج على ولاية أصحمة، وهو «أصحمة» النجاشي، وجرت بينهم وبين ذي نواس معارك وحروب لم يصب فيها [illegible]، وانتهى أمره بأن قتل. واستولى الأحباش [illegible] على بلاد اليمن تحت قيادة «أبرهة» — الذي كان في الأصل عبداً لأحد تجار الروم النازلين ثغر أدوليس — وتمكنوا

(1) Procop في De Bello Persico، ب ١٨٣٣ ج ١ ص [illegible]

(2) Leone Caetani في Annali dell'Islam ميلانو [illegible] المقدمة [illegible] ٢٠٢

(3) A. Edhem في Islam Tarihi استانبول ١٩٢٨ ج ١ ص ٢٩١ وكتابي مصادر التاريخ الإسلامي، الإسكندرية ١٩٣٦

---

أليس المنطق البدوية؟ وهذه المظاهر الضخمة للحضارة التي تقوم أمام أعيننا واضحة [illegible]، ووثيقة أركانها؟ ألا يمكن أن يكون وراءها روح بدوية [illegible] متغلغلة في الثقافة الألمانية، هي التي تهيج خلفها الشعب جميعها، وتحرض عليه [illegible]، وتعمد له [illegible]! وهي التي بعثته إلى هذا [illegible] وإلى [illegible] في التاريخ في القريب، كما هي في [illegible] وآثاره المروعة؟

ليس ذلك كله مجرد مقبول، وإن الدراسة الإثنوية هي — فيما نعتقد — من أهم الدراسات المتعلقة بعلم الإنسان Anthropologie، ومن خير المقدمات التي تهدي إلى معرفة طبائع الشعوب وخصائص الأجناس. فإذا اقترنت هذه الدراسة النفسية مع نتائج الأبحاث الاجتماعية كان ذلك أقوى لها، وأجدر أن يخرجها من دائرة الفروض، ويدفع بها إلى منطقة الحقائق الثابتة. فهل لنا أن نطلب ذلك للشعب [illegible] عن الآن بعيد جداً؟

(أبو عبادة)

بأبرهة ، وأخضعوا اليمن لسلطة نجاشي الحبشة[1]

غير أن المصادر العربية تجعل من أبرهة هذا قائداً حبشياً ، وتسميه أرياط وأنه هزم الحميري ذا نواس ، وبعد أن تغلب عليه حكم اليمن ؛ إلا أن [illegible] أبرهة الأشرم ، أحد قواد الحملة الحبشية ثار عليه ونجح في إزاحته عن السلطة ، وتمكن من ثقة [illegible] وبسط نفوذه على اليمن كلها وحكمها باسم النجاشي[2]. ومسألة الاختلاف هذه من الممكن تحقيقها ، [illegible] لا نفع من بحثها في هذا البحث ، وإنما الذي يهمنا تقديره أن المصادر العربية تلتقي والمصادر اليونانية في أن اليمن سقطت تحت حكم الأحباش بعد عهد ذي نواس (دونواس[3]) ، وبعد أن استولى الأحباش على اليمن واستقروا فيها مدة ، حدث أن أرسل الإمبراطور جوستنيان سفيراً يدعى جوليان ، غرضه من قبله حث النجاشي لفكرة عقد محالفة مع الروم ضد الفرس ، ويكون دور الأحباش حرب الفرس من جهة بلاد العرب الشاسعة لجنوب غربي الحدود الفارسية ، وذلك لتخفيف الضغط على الروم في صراعهم مع الفرس على تخوم حدود بين الإمبراطوريتين[4]. وهذه السفارة حدثت في حدود سنة ٥٣١ ميلادية[5] ، كما يشير ذلك التاريخ المصادر اليونانية ، في وقت كانت العلاقات قوية ووثيقة بين النجاشي وإمبراطور الروم. ومما لا شك فيه أن جوستنيان اعتمد على هذه العلاقات أولاً وعلى العقيدة المذهبية التي تجمعه بنجاشي الحبشة ثانياً ، ليطلب مؤازرة النجاشي له في حرب التي اشتعلت بينه وبين كسرى أنوشروان سنة ٥٤٠ ميلادية[6].

ولم يكن فكرة إمكان مساعدة الأحباش الروم في صراعهم ضد الفرس ، إلا فكرة خيالية لا يمكن أن تتحقق في عالم الواقع ، إذ لم يكن الأحباش أصحاب أسطول بحري ضخم يمكنهم من عبور فارس من جهة الخليج الفارسي ، ولا كان في إمكانهم إرسال حملة من اليمن تخترق بلاد العرب عبر صحرائها لمحاربة الفرس في الجهة الغربية الفارسية ، لأن طبيعة صحاري بلاد العرب لا تجعل وجهاً لإمكان نجاح مثل هذه الحملة[1]. وقد أدرك الحبشيون [illegible] هذه الحقيقة ، لإدراكهم الموقف الذي غاب عن الروم [illegible] ، ومن هنا كانت المحالفة مانعاً من جانب النجاشي والاعتذار عن إمكان تقديم مساعدة فعالة للروم في صراعهم ضد الفرس[2].

فلما اشتد الصراع وطغى أتونه سنة ٥٤٠ ميلادية ، وأرسل جوستنيان رسولاً خاصاً (سفيراً) هو جوليان ، [illegible] النجاشي أن يأمر عامله على اليمن (أبرهة) ، أن يرسل جيشاً من عنده شمالاً على أن يتحرك الفرس بتخوم الفارسية. والطريق الطبيعي الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة وينتهي عند وادي الرمة أحد روافد الفرات [illegible][3]. ومما لا ريب فيه أن الأحباش اختاروا هذا الطريق مسلكهم نحو الشمال. غير أن القوات التي أرسلوها حين تصل إلى الحجاز ، كان التعب قد حل بهم والمرض قد أفنى معظم رجالها ، والجدري فتك بجنودها[4] ، فاضطر الأحباش أن يسحبوا قواتهم ويصدروا [illegible] إلى الروم ، ويظهر [illegible]. غير أن العرب من سكان الحجاز كان قد [illegible] تقدم الأحباش في حينهم [illegible] (الكعبة لهم) ورأوا أنهم يبيتون لهم شراً ، فلما أصيبوا بالوباء ورجعوا ، أيقن العرب أن ذلك أثر من عوامل القدرة الإلهية التي حفظتهم من كيد الأحباش يبيتونه لهم[5]. وهذا هو المصدر التاريخي الذي حيكت من حوله

(١) Prokop في المرجع السالف الذكر

(٢) حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام السياسي ، القاهرة ١٩٣٥ ج ١ ص ٤٤ وإسرائيل ولفنسون في تاريخ اليهود في البلاد العربية في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص ٤٦

(٣) [illegible] في المرجع المذكور سابقاً ، ص ٢٩٢

(٤) [illegible] في المرجع السالف الذكر ص [illegible]

(٥) Caetani [illegible] في الكتاب المذكور ، فقرة [illegible] ، الطبعة الإيطالية

(٦) [illegible] في الكتاب المذكور [illegible] ص ٢٩٣ وكذلك ص ٣٠٠

(١) [illegible] كاتب في الحروب الإسلامية ، ميلانو [illegible] فقرة [illegible]

(٢) Prokop في De Bello Persico ج ١ ص [illegible]

(٣) Charles M. Doughty في Travels in Arabia Deserta ، Cambridge 1888 ، ج ١ ص ١٣٤ و D. G. Hogarth في The Nearer East ، لندن [illegible] ص [illegible] و ٣٦

(٤) انظر تاريخ الإسلام ص ٣٩٤ وكذلك انظر كايتاني في الحوليات الإسلامية ، ميلانو ١٩٠٥ ، الفقرة [illegible] وتاريخ الطبري ، بولاق [illegible] ص [illegible] ، ٢٩٦ ، [illegible] وكذلك [illegible] في الاشتقاق ص [illegible] سطر [illegible] وابن خلدون طبعة بولاق ج ٢ ص [illegible] [illegible]

(٥) تاريخ الإسلام ص ٢٩٥

كل روايات العرب عن سفر الفيل[1]

* * *

وفي المصادر العربية أن السبب في حرب الأحباش لمكة يرجع إلى أن أبرهة الأشرم شيد هيكلاً في صنعاء عاصمة اليمن[2]، وذلك بنية صرف الناس عن الكعبة. غير أننا نجد من المصادر المسيحية أنها لم تشر أية إشارة إلى مسألة بناء هيكل جديد في صنعاء عاصمة اليمن (العربية السعيدة Arabia Felix) على عهد أبرهة[3]. هذا فضلاً عن أن المؤرخ أدولف هرنك في بحثه عن «تاريخ الكنيسة»، يتناول بالذكر النصارى من العرب وقساوستهم وأصحاب الأبرشيات منهم على الكنيسة، وهو لا يذكر شيئاً عن أبرهة، وعن تشييد هيكل في صنعاء[4].

غير أننا نعلم أن المسيحية كانت منتشرة في نجران، وفي بعض المناطق من اليمن، وأنه كان بنجران قس من النصارى على عهد حكم الأحباش لها[5]. ولا شك أن هؤلاء القسس الذين يرعون شؤون طائفتهم الروحية، كانوا يتخذون لأنفسهم في حاضرة اليمن هيكلاً، ويظهر أنه كان النواة التي حيكت من حولها روايات العرب. هذا، وربما كان الأحباش وهم نصارى اهتموا بهذا الهيكل ودعوا إلى إتيانه كنصارى ما كان في البلاد؛ وربما كان هذا السعي منه بحسب الصحراء، وحرص الحاكم على عداوة الأحباش أن يجعلوا من هيكلهم نظيراً للكعبة. ولا شك أن هذا الزعم لم يكن ليكفي سبباً، خصوصاً وأن الأحباش إنما حرصوا على أن تحل هذه العقيدة التي ينسبها مؤرخو العرب لهم، مستكرين هذه الحادثة وقفاً على النصارى من العرب

وهؤلاء بحكم دينهم منصرفون عن الكعبة. فإذا جاز أن نحمل هذه الحادثة على الرغبة في التبشير بالمسيحية بين العرب، فلا نظن أن مثل هذه الحادثة الخطيرة لم تكن لتم بدون إشارة في كتب تاريخ الكنيسة الشرقية. ومن هنا لا نرى محلاً لما يدعيه رواة العرب عن سبب حرب الأحباش للحجاز[1].

* * *

إذا صحت هذه الروايات ونظرنا للموضوع، فإن الصلة تكون معدومة بين حرب الأحباش للحجاز ومكة، وبين وجود هيكل النصارى بصنعاء. على أنه بعد ذلك مما يستوقف النظر ما نراه من الاتفاق عند مؤرخي العرب في تسمية الحملة الحبشية بحملة الفيل، وذلك على اعتقاد وجود بعض الفيلة في قوات الأحباش[2]. على أن اعتقاد وجود بعض الفيلة في جيش الأحباش باليمن يسوقنا إلى مواقف على جانب كبير من الخطورة، يميل معها بعض المؤرخين الأعلام من الغربيين إلى إنكار وجود الفيلة في حروب الأحباش[3]، ذلك أنهم يزعمون أنه لا يمكن تصور إمكان الاحتفاظ بالفيلة في اليمن وسيرها في صحارى نجران، فضلاً عن أن الفيلة الإفريقية (التي قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن إذا صح هذا الاعتقاد) من الصعب ترويضها حتى إن بعض النقاد الأثبات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك[5] وعدم الاستفادة منها للأفريقيين، ويرون أن تكون الفيلة التي ورد ذكرها في حروب القرطاجنيين مدربة آتية من الهند[6]. غير أن اعتراض علماء الأحباش عليهم من الهند يقف في سبيل قبوله أن الأحباش لم يكونوا على دراية بترويض الفيلة[7]،

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣٠ وما بعدها، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣، ٤٤، وأخبار مكة للأزرقي ص ٨٦ – ٩٢، وأحكام الأرب لابن سعيد ص ١٩ — ٢٠ وسيرة أبي الفداء المختصر في تاريخ البشر، تحقيق ١٤٥٦ ص ١

(٢) أبو صالح الأرمني في كتابه وهيم حصر ونقلي الأقطار المصرية طبع لندن ١٨٩٥، ص ٣ – ٤ – ٣ من الترجمة الإنجليزية وص ١٣٦ من النص العربي

(٣) البرنس ليون كايتاني في حوليات الإسلامية، ج ١ فقرة ٨ ١ الحاشية رقم ٩

(٤) المرجع السابق ذكره نفسه

(٥) Adolf Harnack في Die Mission und Ausbreitung des Christentums in den Ersten Drei Jahrhundert طبعة ليبزج ١٩٠٦، ج ١ ص ٤٤٦ سطر ٢

(١) أنظر تاريخ الإسلام — [illegible] ١٩٣٥ ص ٣ و ٥ و ٦

(٢) أنظر المصادر الإسلامية والعربية في هذا الباب

(٣) البرنس ليون كايتاني في الحوليات الإسلامية، فقرة ٩ ١ الحاشية رقم ٤

(٤) أنظر لنا — تاريخ الإسلام ١٩٣٥ ص ٣ وما بعدها

(٥) Edmond Perrier في Vie des Animaux Illustrée ج ١

(٦) Edouard Charton في Voyages anciens et Modernes باريس ١٨٦٣ ج ٢ ص ٣٩ وكتاب Armandi في Histoire militaire des éléphants باريس ١٨٤٣، ص ٢

(٧) ليون كايتاني في الحوليات الإسلامية فقرة ٦، ٩ وهو الذي يرى وجود إشارة إلى أن الأحباش مستعملين الفيلة عندهم في حروبهم أنظر Henry Zale في The book of M. Bo ج ٢ ص ٤٣

معادين جهة ، ومن جهة أخرى لأنهم لم يكونوا أصحاب أسطول يعبر مضايق البحر بنفسه ، حتى يحكمهم جلب الفيلة بالقتيه [1]

على أن هذه الاعتراضات من الممكن دفعها إذا لاحظنا أمرين فاتا عن هؤلاء الباحثين . الأول أن الأحباش استعانوا بأسطول الروم لنقل جيوشهم عبر باب المندب والبحر الأحمر حين غزو العرب على اليمن [2] وثانياً أنه كان للروم سفن حربية وأخرى تجارية في البحر الأحمر [3] وهذا يجعل من الممكن جلب بعض الفيلة من الهند بواسطة سفن الروم وأن يستعين الأحباش ببعض الجنود في تسيير هذه الفيلة في حملتهم على العرب . ولا شك أن تعاون الروم مع الأحباش أولاً ، والفرس من الحملة وهو مساعدة الروم ثانياً يفسر تسيير سفينة حملة الأحباش بصغر الفيل وجيشاً مجهولاً ؟

نعم الأحباش شنوا بهم شمالاً ، لكنهم لم يكادوا يقربون مكة حتى ألمت بهم كارثة أودت بهم . وبعض المراجع العربية ترجح أن تكون هذه الكارثة هي مرض الجدري في جيش الأحباش [4] والقرآن الكريم يؤيد كلام المؤرخين العرب .

على أن إشارة القرآن إلى أصحاب الفيل ، تحمل في تضاعيفها دلائل قوية على معرفة العرب لقصة مسير الفيل من جهة ، وعلى أنها حديثة العهد بهم ، على أن ما قصه القرآن لنا في سورة موجزة توسع فيه رواة العرب ومفسروه بالأقاصيص وشحنوا به كتب التاريخ والسيرة والأدب . وهناك بعض الشعر المزعوم قوله في حادثة الفيل ، نجد بعضه منسوباً لابن الزبعرى والبعض الآخر لأمية بن أبي الصلت . فمن المنسوب للأول هذه الأبيات

تنكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

أما الأبيات المنسوبة لأمية فهي :

ومن صنعه يوم فيل الحبوش إذ كل ما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولاً إذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصباً فلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

ويفهم منها أن الكارثة التي ألمت بأصحاب الفيل كانت مجهولة . ريح سموم هبت عليهم ، ووباء تفشى فيهم ، والحل لوباء عند العرب هو الريح السموم [1] على أنه مما يستوقف النظر في هذه الأبيات ورود لفظة « الأحبار » في البيت الأخير مع أن الأحباش لم يكونوا يهوداً ، حتى يصح افتراض اصطحابهم لأحبارهم ! والذي عندي أن هذه الأبيات منتحلة في العصر الإسلامي .

إذا وضعنا أمام النظر كل هذه الملاحظات يأتي لنا أولاً أن سبب مسير الأحباش إلى مكة بقصد هدم الكعبة دون غيره ليست جانبية ، وإنما تعود بأسس إلى الإسلام

ومن هنا نجد أن تعليل تعرض الأحباش للحجاز في طريقهم إلى فارس بأن القصد منه محاولة هدم الكعبة وصرف الناس عنها ليست إلا أسطورة تشكلت بعد أن تم الإسلام وذاع وانتشر بين العرب واستقر في الشرق وارتفع شأن مكة وأصبحت الكعبة بيتاً للمسلمين . فعمل الرواة على أن يربطوا بين وجود هيكل النصارى في اليمن وبين حملة الأحباش على الحجاز في سيرهم إلى فارس فكان لهم من ذلك قصة محبوكة . ومما لا ريب فيه أننا قد وصلنا إلى موضع الصنع في هذه القصة التي روتها الكتب العربية ، وكشفنا عن الخطوط التاريخية التي استمد منها النسيج الأول الذي حيكت بعده خيوط القصة كما تجيء في المصادر العربية . وهكذا نميز هنا الجانب التاريخي من الجانب الأسطوري فيه ،

(١) المرجع ذاته ، ج ١ ص ٢٩٥ والبرنس كايتاني في الحوليات الإسلامية ، ج ١ فقرة ١٢٠ ص ١٦٦

(١) ابن جرير الطبري طبعة دي خويه ج ١ ص ٩٢٦ س ٨

(٢) نولدكه Geschichte der Perser ص ٢٠٥ حاشية رقم ١

(٣) نفس المرجع

(٤) الطبري ، ج ٢ ص ١٠٦ وما بعدها وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢ ، والمسعودي مروج الذهب ص ١٨ — ٢٣ ، وابن خلدون طبعة بولاق ج ٢ ص ٦٠ — ٦٢ والزمخشري في الكشاف طبع القاهرة ج ٢ ص ١٦٣٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٠٧ — ١٠٨ طبعة مصر ١٩٣٠ وتاريخ الخميس طبع بولاق ج ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٦ وبلوغ الأرب ج ١ ص ١٩ ورسالة الأشتقاق ص ١٠١ س ٣

واتضحت ناحية منه من نواحي تاريخ العرب في الجاهلية[1]

## مولد الرسول

ربط الكثير من مؤرخي العرب ميلاد الرسول (ص) بعام الفيل ليتخذوا من ذلك دليلاً آخر على نبوة الرسول بأن منع الله ودفع كيد الأحباش عن مكة مكرماً له إذ كانت أمه آمنة في ذلك الحين حاملة به[2] والواقع أن سيرة الرسول تحمل في ذاتها آيات صدقها، حتى لا تحتاج لدليل خارجي يدعمها. وحياة الرسول تثبت أنه كان عظيماً طيلة حياته. وهذا وحده برهان كل عظمة براء من التشكيك في نبوته[3]

ولما كانت حملة الأحباش التي عرفت بعصر الفيل جرت سنة ٥٤٠ ميلادية[4] كما تبين من التحقيقات التي كشفنا لك عنها من قبل، فإن المدة بين عصر الفيل وبين السنة التي كانت بين عصر الفيل وبين ميلاد الرسول (ص)، فنحن نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام ولد في حدود سنة ٥٧٠ ميلادية كما حقق ذلك الباحثون[5]، فإذن هنالك نحو ثلاثين سنة تفصل بين عام الفيل وميلاد الرسول. وبعض المؤرخين العرب يذهب هذا، فالأزرقي يقول: إن عصر الفيل حدث قبل ميلاد الرسول بنحو أربعين سنة[6] ومحمد بن السائب الكلبي يرد هذه السنين إلى ثلاث وعشرين سنة[7]. وللاحظ أن علماء أوربة حسبوا النبي ٢٩ سنة[8] وأنه في سنة ٥٧٠ ميلادية حسب قوانين الفلك لتخليص النبي من الأحباش[9] وهذا يجعل حكماً أوربة الذي أخذوا عن أعمار حوالي عام ٥٧٠ وهذا ما يؤيده عن طريق غير مباشر بعض المصادر العربية التي تقرر أن الرسول

ولد بعد خمسين سنة من تقهقر الأحباش [illegible] وأنهم طردوا منه خمسين من ميلاد الرسول[2] وعلى كل فإن [illegible] يجب أن المدة محصورة بين ميلاد الرسول وعام الفيل وأن محمداً ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة تقريباً[3]

ومن المهم أن نحول هنا إلى هذه الحقيقة التاريخية ووضوحها ورغم ثبوت أن حملة الأحباش على الحجاز كانت في حدود سنة ٥٤٠ ميلادية وأن ميلاد الرسول كان سنة ٥٧٠ ميلادية، فإننا نجد معظم المشتغلين بالتاريخ الإسلامي يعتقدون، ويعتمدون ميلاد الرسول مقترناً بعام الفيل. وربما كان يعذرهم العذر في هذا، حيث خفيت عليهم هذه التحقيقات المعروفة في دوائر التاريخ في العالم المتمدن، ولكن ما عذر بعض الأساتذة المصريين الذين نجد في مؤلفاتهم مجموع صور هذه التحقيقات، وبعد ذلك يعتقدون ويحاولون أن الرسول ولد في عام الفيل[4] ومهما يكن من شيء فالتاريخ يرفض كل محاولة يراد بها ربط ميلاد الرسول بعام الفيل كما أن التحقيقات التاريخية تبين أن المدة محصورة بين التاريخين بنحو ثلاثين سنة. ونرجو أن يكون في هذا البحث مصحح لما يجري به أقلام الباحثين في العالم العربي من أن رسول الله محمد بن عبد الله ولد عام الفيل

( الاسكندرية ) إسماعيل أحمد أدهم
دكتور في العلوم والفلسفة من موسكو
ودكتوراه فخرية في الآداب من [illegible] موسكو

(١) البيروني في Chron. ص ٤ سطر
(٢) الأزرقي في تاريخ مكة [illegible] ص [illegible] وما بعدها
(٣) Sprenger Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft جـ ٤٣ ص [illegible] و [illegible]
(٤) حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ، [illegible] فصل عرض الأحباش لليمن ، [illegible] وراية ما يذكره من مولد الرسول

(١) أنظر أثر ذلك في التاريخ العربي الجاهلي ، في تاريخ الإسلام ، ج ١ ص ٣٩ وما بعدها
(٢) الطبري ، ج ١ ص ٩٦٢ — ٩٦٥
(٣) [illegible] كايتاني : [illegible] الإسلامية [illegible] المقدمة
(٤) ولهاوزن في تاريخ [illegible] ص [illegible] ، الهامش
(٥) Caussin de Perceval في Essai sur l'Histoire des Arabes ج ١ ص ٢٨٣ و ٢٨٣ ، de Sacy في Mém. de l'Académie جـ XLVIII ص [illegible]
(٦) [illegible] كايتاني في الحوليات ، ميلاد الرسول
(٧) المرجع السابق الذكر توا ، ميلاد الرسول
(٨) [illegible] في تاريخ [illegible] ص ١٩٠ الهامش رقم ٣
(٩) نفس المرجع

# محمد تيمور

## الممثل والناقد والمؤلف المصري

### للأستاذ زكي طليمات

[ من الكلمة التي ألقاها الأستاذ زكي طليمات مفتش عموم التمثيل بوزارة المعارف في الحفلة التي أقامها جماعة أنصار التمثيل والسينما بدار الأوبرا الملكية مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٣ فبراير ١٩٤٤ تكريماً لذكرى المرحوم محمد تيمور ، وذلك بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته ]

إن الحديث عن تيمور لا تخلق جِدّته لمن تمّ بصداقة تيمور الراحل ، ومن قرأه في أشعاره وفي مسرحياته . وحديث اليوم حديث الوفاء لمن حمل إلى جانب تيمور للمسرح والفن ، وأمضى رفاقه في الصفا والفكر الشامل . وحديث اليوم أيضاً موجه إلى الجيل ، الشباب الناشئ الذي فاته أن يعرف تيمور أو أن يطالعه في كتبه الثلاثة

حينما لبّى تيمور نداء ربه منذ عشرين عاماً ، وبعث مصر بنفسه واستقلت جنازته في شبه موكب كبير تَروِي حافل ـــ لم يشيع المصري ابن الماء الواسع والحسب الأصيل ، لم تشيع الشاعر القلم فحسب ، وإنما شيعنا رجل المسرح المصري ، وكبير كتابه ، وأخلص نصرائه

على هذا الاختيار الذي يطغى على أي اختيار آخر ، انتهت محمد تيمور إلى مرقده الأخير ، ولما يجاوز العقد الثالث من عمره ، وليس في ذلك إرهاص بشباب مصر خوى قبل أوانه ، وضمن رمس متواضع غضباً تفتح عنه في شهب الأعمال وأبناء الأرستقراطية التي حسبت أن النعيم وقف على أبنائها ، ولا عفوي لشأن البيان الذي كان تيمور من فرسانه ، وإنما إعلاء لشأن تلك النهضة الفنية الخصبة التي أمدت المسرح المصري ، وهو في أول مرحلة نموه بكثير من مقومات كيانه بعد أن ركّز به تيمور أعلاماً من العمل الباهر والجهد الصادق

وما يجمعنا اليوم إلا بعض الصالح للذي دفع الناس من قبل إلى تشييع جنازة تيمور ...

يجمعنا اليوم ذكرى تيمور في جهاده للمسرح المصري ممثلاً وكاتباً وناقداً

وقد يجتمع هذا النفس الدافع ، والمهتمين بالمسرح المصري الجيل القادم لرؤية هذه الرسالة بسبب تطوره إلى الجيل الذي يليه . هذا أمر أعتقده ، وأومن به ، لأننا ، وقد شملتنا اليقظة القومية ، لابد من أن نعيد ذكرى من عملوا لهذه القومية .

لأننا ، وقد أصبحنا بصدد أسباب مسرح مصري صحيح ، لا مناص من أن نشيد بذكر من جاهدوا في سبيله ، وأن نخرج من النسيان تلك الوجوه الكريمة ، التي شقت أفقاً ، ومهدت طريقاً ، وأصبحت بعدها تثوى في جنادل ! —

تيمور والمسرح

أعتقد الآن من ذلك الجيل الذي عاش فيه تيمور ، جيل المجاهد الأول من جانب الشباب المثقف لاستخلاص طابع مصري لفن التمثيل العربي ، ولإعلاء شأنه ، جيل الهواة الذين يرجع إليهم الفضل فيما انتهت إليه الحركة المسرحية اليوم

لئن فتك إلى التمثيل كان محبة تيمور في مختلف أطوار حياته ، فإني لا أخرج عن الواقع الذي شهد به كل من اتصل بتيمور

في كان تيمور الراحل الذي كان يعد من أبناء تيمور آنذاك مسارح مرتجلة ، ومن شقيقيه ومنّي ومن صحابه عقدت الفرقة مسرحية

هذا الموكب الصغير لهواة التمثيل في حين لا يحسن فيها الذهاب إلى دور التمثيل ، هذا الفقير (سلامة حجازي) في إنشاده ، ما كان تيمور عنه إلا ذلك الشاب اليافع ، الذي أعجب به الجمهور بعد ذلك متألقاً على خشبة المسرح ، وفي حفلات الجمعيات الخيرية ، ثم حب هذا حربيًا ، ثم عمد مؤلفاً لمسرحيات مصرية طريفة هي الأولى من نوعها في العهد الذي عاش فيه تيمور

وإننا نحاول أن نقيم صلة بين غرام تيمور بالمسرح وبين نشأته وبيئته وتقاليد أسرته لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، ولا انتهينا إلى أن الإنسان حقاً لا يستطيع إلا على مقدور قضائه ومكتوب مصيره . (تيمور) سليل بيت عريق في المجد واحد رواد التقاليد التي تعود للجنس نسباً من أصول العثمانيين ، و (تيمور) ابن تيمور عرف بالاشتغال بالأدب ، عمته الشاعرة عائشة

التيمورية ، ووالده المؤرخ واللغوي المحقق أحمد تيمور باشا و (محمود) اجتاز مراحل الدراسة في مصر ، وسافر إلى أوربا لدراسة الحقوق ، ولم يكن بينه وبين نيل إجازته شيء ، ولولا أن قطعت عليه الحرب العالمية الأخيرة سير دراسته ..

ومع كل هذا ، فقد احتل تيمور المسرح ممثلاً قبل عودته من أوربا وبعد عودته منها وعلى الرغم من تبرم أهله وعشيرته بفن التمثيل ..

احتل المسرح وهو يشغل وظيفة التشريفات لدى عظمة السلطان حسين في عصر جهادي ! فضرب بذلك المثل على أن التمثيل مهنة شريفة جديرة بأن يعمل بها أكثر الناس حظوة من العلم والجاه والمركز الاجتماعي الممتاز . وهذا المثل فيه ما فيه من دلالة على أن المسرح يجب أن يكون ما يعنى به الشعب للعلم والتهذيب والتكريم الحق ، وأن المسرح ليس بالأرض التي عمى عليها بألا يعمل إلا الأصاغر ومن تتكسب بهم سبل العيش ومن حلت مواهبهم إلا من الجرأة والصوت الجهير ! ..

## تيمور الممثل

رأى (تيمور) أكثر من جيفة تمثيلية ، وعمل عضواً وممثلاً فيها بيد أن حياته في فن التمثيل بحسب حياة الطويلة ، ولكنها على قصرها دعت إلى المثل في ... العالي ، وأظهرت مدرسة من الإتقان والتجويد لم تكن معروفة في ذلك الوقت ، لأنها مدرسة كانت تقوم على الاحتفال والاتزان وصدق التعبير وجمال الأداء . جمع تيمور في إتقانه قوة التصوير والإدراك إلى قوة الأداء والتعبير في تلك البساطة الفنية والهدوء الساحر الذي يعمل على إرهاف الحواس وإعلاء جوهر الكلام ، والذي يحمل الجماهير إلى طرب التصفيق ، لا إلى آذانهم !

هكذا عني تيمور المصري الأول بما يجب أن يكون عليه الإتقان والتمثيل من جانب الممثل والفن

إلا أن الحركة التمثيلية لم تستفد الإفادة كلها من مواهب تيمور الممثل ؛ لأنه لم يكن في وسع تيمور ... والظروف حينئذ على ما أجمعنا وصفه — أن يحترف التمثيل في الفرق العامة

وظني أن تيمور لو احترف التمثيل لما أصاب فيه خيراً ، ولا انتصرت مواهبه على كثير من الأعوام ، ولا انصرف بذلك عما هو أهم وأجدى ، وأعني في النهاية بالمسرح وعصره

## تيمور المؤرخ والناقد

إذا صح أن المسرح المصري قد فقد بانصراف تيمور عن احتراف التمثيل ممثلاً قديراً كان في وسعه أن يرى عن المثل الأعلى المرغوب فيه ، فإنا نقرر هنا أن المسرح لم يفقده في تيمور نقداً له ومؤرخاً لعصر من عصوره

إن ما كتبه تيمور نقداً ومؤرخاً للمسرح المصري منفرد في بابه بالدقة والصراحة ، منفرد في بعده عن التشيع وتلمس العيوب وحرب المهاجر تحت ستار زعماء المسرح المصري

كان تيمور لا يكتب لشهوة الكلام ، أو التظاهر بأنه حاذق المسرح وفنونه ، ولا لأي غرض من الأغراض التي تدفع بعض نقاد المسرح إلى امتشاق القلم ومواجهة معترك النقد ، وإنما كان يكتب ليجلو الأشياء حقائقها الصحيحة ، وليخط النقد المسرحي طريقاً ، ويرسم له منهجاً ، وليذيع اسم المسرح في كل مكان ، ثم يرسم للعاملين في المسرح الطرق والوسائل التي تؤدي بهم وبجمهورهم نحو الكمال المنشود . ولعل تيمور أول من كتب منادياً بوجوب استقلال المسرح المصري عن المسرح الغربي برواياته وتقاليده ، ووسائل تأليفه وتمثيله

لو قلت تيمور هنا وسكت هناك لما تعدى نظريات استلهمها من تاريخ المسرح الغربي وتطوره ، وهو المسرح الذي ... تيمور أخصب الموارد

## تيمور المؤلف

وكان تيمور ... القول الحسن والعمل بالتفهيم ، فألف للمسرح مسرحيات تمتاز بطابع مصري أصيل ، حديث حوادثه وحفلت مشاهده بملاحظات بعيدة وتأملات واسعة في حقائق الأدب المسرحي العام ، امتزجت بوفرة الاستعداد وخصب الموهبة وروح الشاعر

كتب تيمور ثلاث مسرحيات (العصفور في القفص) ، و (عبد الستار أفندي) و (المخبأ رقم ١٣) كما وضع مسرحية (القنبلة) ، والجديد في هذه الروايات أنها تعالج موضوعات منتزعة من صميم الحياة المصرية والشرقية في أسلوب أحد نصيبه الوافر من حرارة الحوار ، ووضوح الفكرة ، ويتنقل عامداً في أعماق النفس البشرية ليسجل منها أصدق الخلجات وأخفى الشاعر

والطريف في هذه الروايات أيضاً ، أنها كتبت باللغة الفصحى ، وهذا موضع العجب ، لأن تيمور كان يملك ناصية البيان العربي وله شعر رصين ينم عن عمق في دراسة اللغة ، والأخذ ببيان الأقدمين

وكان لتآليف المسرح من جانب من هم على شاكلة تيمور في ثقافته وأدبه أن يجري باللغة العربية الفصحى

تيمور واللغة العامية

يعتقد أن تيمور كان يعتقد — كما تبين أن جاهر بذلك في مقالات عديدة — بأن لغة المسرح يجب أن تكون غير لغة المقال والأدب ، وأنه يجب مخاطبة الجمهور المستمع باللغة التي يفهمها ويتحدثها ، أياً كانت لهجة هذه اللغة ونصيبها من البيان ، وأنه في سبيل ذلك لا ضير على المؤلف للمسرح أن يكتب باللغة العامية ما دامت هذه اللغة في متناول كل الأذهان ومختلف الطبقات ، وأن لا ضير من إهمال جانب العربية في الكتابة للمسرح حتى يجتاز التمثيل المصري المرحلة الأولى من مراحل تكوينه ، وحتى يصح نشره وإذاعته بين الجماهير

كان تيمور أول من سن هذه الشرعة الفنية في وقت كانت مصر فيه أحوج إلى المسرحيات في أسلوب عربي لو نظم كاتبه بمقتضيات الفن في نسج الرواية عنايته بتحسين اللفظ والتحري في البيان ، لكان للمسرح المصري اليوم روايات عربية مطبوعة بطابعها الأدبية والفنية معاً

تيمور والمصرية

ومن هنا فقد كان محمد تيمور شديد الحرص على « المصرية » وهي فكرة ترمي إلى أن يكون الأدب المصري مستقلاً عن الأدب العربي ، لا في مناحي التفكير فحسب ، ولكن في العبارة وأسلوبها إلى أبعد الأمد

وهذه « المصرية » تجلت في كل ما كتبه تيمور قصاصاً وشاعراً

وللمصرية اليوم فكرة قد لا تلقى رواجاً عند بعض الرؤوس المفكرة ، ولها ما لها هذا البحث ، وتحاشيا ما يتطلبه هذا البحث الآخر ، إلا أنني أقول ... وقد تحدث عن تيمور الكثير من نقاد الفنية والأدبية — إنه سيكون للمصرية وأشباهها ، يوماً في القريب العاجل ما دمنا قد تمسكنا بمظاهر استقلالنا السياسي ، وما دمنا قد استشعرنا العزة القومية ، وأخذنا بأسباب نهضة ترمي في النهاية إلى استقلال الفكر والأسلوب في جميع نواحي الحياة الأخرى

ولم يكن غريباً بعد أن أصدر تيمور مسرحياته باللغة العامية وفي صميم موضوعات مصرية ، لم يكن غريباً أن تقوم مدرسة جديدة في الأدب المصري ، والأدب العربي المستحدث ، اتخذت نحوها مريدين وأنصاراً

وقد ننسى أن تيمور كان مجدداً فذاً ، وكان ناقداً جريئاً ، وأنه أضاف جديداً إلى دولة الشعر والبيان ، وأنه دعا إلى الإصلاح الاجتماعي بمقالات عديدة ... قد ننسى كل هذا ، ولكننا لا نستطيع أن ننسى أن تيمور عمل للقومية المصرية خدمة جليلة بتأليفه مسرحيات جديرة بالخلود تراعى فيها شرائط الفن الرفيع ، مسرحيات تعتبر بحق من أصدق ما أخرجته الأقلام المصرية القادرة على أن تجعل للمسرح ثقافة من الأدب العربي المستحدث

كما لا نستطيع نسيان شيء آخر ، وهو تحول شاب مصري في الحسب والجاه ، إلى العمل في حقل جديد ، في وقت كان حديث العهد بشئون هذه البلاد وتقاليدها ، ترمقه الأكثرية الغالبة من الناس بعين ملؤها الشك والازدراء

لا شك أن تيمور كان سبباً في أن أخذ الناس يحترمون التمثيل بعد التفتيش ، وقد ما يحتاج هذا الفن إلى حض على الناس ، وأنه حمل ، عاصفة أعدائها ، حتى ما وجهته يقظته ورسالته ، وأنه لم يأن من العهد حتى الساعة الأخيرة ، وما هي من ساعة تنهب ذهبه بقطر الشباب ، تتنفس من عطر ناعم ، بعد أن حادت روائحه ويتورها ومطارفه لتبين مناهب الورد موارد الإلهام ومصادر الخيال ومباهج الخيال

أيها الصامتة :

إن التي تحتفل اليوم بتمجيده وذكره ، شباب قضى في ميعة العمر وصبوح الصبا ... غيوراً من الغرور المقتضى ، وأرسلوا الشباب ساخطة ، لأن الدموع على الشباب الراحل ضرب من السخرية ، ولون عالمي من الذوق الرخيص

زكي طليمات

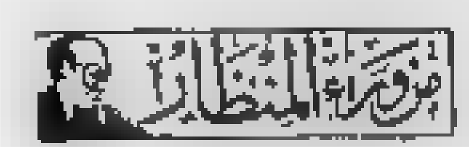


## مجلس ظريف

تبينت من كثب ذلك المجلس في مقهى، ومن عجب أن تقع عيناي على مجلس ظريف في مثل ذلك المكان. أقول ذلك وإن عجب القارئ لقولي؛ على أني أرجو منه الصبر، فإنا أكره للقارئ حتى ما أظن المقهى فيها إلا ضرورة. ولئن أنكرت وجود مجلس ظريف في أحد هذه المقاهي فذلك إلى حق ما لا ريب في ذلك. ولست أدري لم أسأل نفسي أبداً كلما مررت بمقهى أزحم الجالسين فيه على الساحة، ولم أرهم بعض من للمروحة يعرج عليهم اللذة فيما يخرجون منه من مروحات الشرع؛ أنا من نفسي فإنما أنزع دائماً عن هؤلاء الجالسين ساخطاً، وكم يحصب جبل في نفوسهم في مطعم في أطلوع ظني ويذكرها.

جلست في المساء أطلب الهدوء في أحد الأطراف القريبة ذلك المقهى حتى كاد يكون خالياً، وقد اجتذبني ما بدا لي من هدوئه. وجلست وحدي في ركن من أركانه أمتع النفس بجلسة هادئة ... في القهوة؛ ولكني لم أكد أستشعر الهدوء حتى أقبل جماعة بأصواتهم من خالي نفسه ... وآية ذلك أنهم كانوا يضحكون في جلسة عديدة، ويطلع بعضهم في بعض الحديث قبل أن يأخذوا أماكنهم؛ ورأيتهم جلسوا في نصف دائرة، أكثرهم واحد منهم جعل في الصدارة، وكله ينم منظره على أنه جدير بهذه الصدارة. ولعمري لقد كان في مجموع شكله يحمل إلى أنه نكتة تمشي بشراً!

وبدأ الحديث أول ما حضر، فلم يحكوا منه رأيتهم مقبلين وكأنما اعتزم هؤلاء أن يضحكوا أكثر ما يستطيعون من الضحك كأنما كانوا واثقين أن هذه آخر فرصة للضحك في حياتهم!

كانوا إلا واحداً أو اثنين قد جاوزوا الأربعين ... رأيهم ... أما كبيرهم فأحسبه كان يجمع الخمسين من عمره المديد، وكانوا جميعاً يشتركون في صفة واحدة؛ ذلك أن عليهم طابع الموظفين ... ولو من غير منظار — أن أرى فيهم عمراً من هؤلاء الذين يدبون أمام المكاتب أثناء النهار وقد ارتسمت على وجوههم ... دلائل المكرمة.

وهذا صبيهم أول ما حضرون؛ فحسبت أنها أجواء مرحة عوكم، فلا أسمع إلا الضحكة تلو الضحكة. ولقد نابت من نفسي الضحك أكثر ما نبت النكات من كل يطلق من أمر صغير من الضحكات ... متواصلة! ورأيتهم يسلون ضحكاتهم فريدة بين هذا ... وهذا، فما تفرح حتى ترهقهم حتى تنبعث الضحكات متتابعة من بين شدقيهم، وإن لم يتسع ما يقول. فقد كان يضحك الواحد منهم أحياناً من غير ضحك، ثم يحيل على جليسه ... هذا كان النكته! وكانت تسمح بعض النكات، ولكن الضحك يظل على حاله من الشدة، حتى لا أدري أيضحك هنا على المجاملة أم أن مصدر النكته هنا شيء قد يكون في ذاته باعثاً من بواعث الضحك منها! على أني رأيت للمجاملة هنا شأناً كبيراً، فكل من هؤلاء يضحك حتى يضحك لتراه الآخرون يجودهم، وإنه جاد في الضحك أبعد حدوده.

ومن عجيب أمر هؤلاء الظرفاء أنهم لم يجوزوا من ذكر ... لشكلهم أكثر من مرة، ولم يذكروا شيئاً ... من العلم، ولا مما رأوه من مطالع ... إلا ... موضعاً لفرضهم وقلبوه على أوساطه جميعاً، ... لا ... عن «النكتة» و «النقد»، كان يقتضي أن تقدم في طالت التسهيل؛ ... من «للصدمة»، ... على سؤال عن قديمه لم يبق بلا ذلك، أو ذلك الرحال من «... الكبار» وذلك الأطباق والكلامي لا شك رقبت ... من أولئك المرحوم ... ما لا إذا أرادوا أن يفهم شيئاً من الرئيس فلان جعل أتمتع في الاعتام منه من أن يحضره إلى مثل هذه «الأكلة» ..

وليتهم استمروا على ما هم فيه، ولم يخرجوا منه إلى استعراض الكثير غيره من أعراض الناس في حديثهم الظريف، والحديث شجون كما يقولون، وليس يبالي هؤلاء القوم في ساحة «حديثهم» إلى من يطرق الحديث، ولا أي موضع يتناول.

وعبثت نفسي حتى طلبت من هدوئه، فانصرفت مسروراً برؤيتي هذا المجلس الظريف؛ وأنا أعجب في نفسي كم يوجد من أشباه هذا المجلس الظريف وأمثاله في الطبقات الأخرى من المجتمع وفي غير أركان المقاهي من النوادي، وما تلك المجالس إلا واحدة ... على أن قد بدأنا نأخذ أنفسنا بجلد من الأمور، وأننا إذا لهونا فإنما نحس اللهو كما نحسن الجد في هذه الحياة.

«عين»

# ذكرى أخي الهراوي

## للأستاذ علي الجندي

قبل وفاة صديقي المرحوم الهراوي بشهور، أرسل إليّ بطاقة بعيد [illegible] (ألف قبلة وعيد) ورجاني أن أزوره بمقر وظيفته ليحادثني في شأن من الشئون الأدبية. وقد عاقني عوائق من [illegible] عن الحضور في حينه، ثم ذهبت بعد ذلك إلى دار الكتب فسألت عنه، فقال لي البواب: «ميت» فقد ورد أمس إلى رحمة الله!

كانت الصدمة عنيفة أذهلتني عن كل شيء حتى عن واجب الشعر لأمره؛ وحسبت أن أرثيه لم أستطع، فقد غل الحزن يدي وغطى على مشاعري، وكان أشكى إليّ من ذلك ما سمعته من بعض الناس من أني أهملت واجب الرثاء، كأنهم لا يعرفون — عفا الله عنهم — أن من الألم ما يعيي صاحبه الكلام كما يعييه القلم.

والآن وقد انكسرت حدة الحزن وذهب سعيره في الأعماق، أهدي إلى روح صديقي في مثواه الأخير هذه الباقة الشعرية مستمطراً عليه الرحمة والرضوان العميم

جلل الحادث الذي هدّ مصابي — فاعذروا تلاحقي وعتابي
واعذروا: أني بكيت بدمعي — [illegible] على أثر المصاب
[illegible] بأنه تجري — ما أتاني من حرقة واكتئاب
رب [illegible] يجري دموع الناس — [illegible] خلل الركاب
[illegible] من جلا — [illegible] الأوصاب
وعلى الفؤاد من لاعج الحب (١) — [illegible]
[illegible] الناس من دهشة الرزايا — [illegible] من الشكاب
[illegible] لم يبكوا [illegible] — [illegible] عذابي
[illegible] تشكو من الهو — [illegible] الإصابة [illegible]
[illegible] — [illegible]
لا يحس الآلام من [illegible] — [illegible] الصبي [illegible]
كثرت [illegible] ولكن — [illegible]
[illegible] يبكي [illegible] — حتى يبكي [illegible] الركاب
كيف [illegible] — [illegible] أكرم الصحب

[illegible] يجري على الـ — [illegible] الأكواب
لا [illegible] — [illegible]
أنا [illegible] الدائم [illegible] — [illegible]
وأسوخ [illegible] — [illegible] الأحباب

* * *

يا أخي في الوداد [illegible] أني — أترا [illegible] الأسباب
[illegible] على [illegible] — [illegible]
[illegible] الشك حولي — [illegible] عن طريق الصواب
[illegible] من أسطنيهم — [illegible] الأنس في صباح الشباب
كيف أمحى [illegible] — طارق الموت لم يقع في حسابي
أي [illegible] كالنبـ ـه [illegible] في [illegible] الثياب
[illegible] وأصيل — [illegible] الأمس [illegible]
[illegible] الزمان من [illegible] — [illegible] والأمس والأماني [illegible]
[illegible] الربيع [illegible] — [illegible] الباب
[illegible] كأنها [illegible] — [illegible] الأحداث [illegible]
[illegible] الوجد [illegible] — [illegible] الأحباب
كيف [illegible] — [illegible] الأكواب
أو [illegible] — [illegible] الأصحاب
[illegible] — [illegible] الخطا [illegible]
آه لو [illegible] — [illegible] بشبابي

* * *

[illegible] الشوق [illegible] — [illegible] والإعراب
بالأديب [illegible] — [illegible] في النطق [illegible]
[illegible] — [illegible] والألباب
[illegible] — [illegible] الشباب
[illegible] من الأخلاء في [illegible] — [illegible] في [illegible]
جامع [illegible] الآ [illegible] — [illegible] الأوب

* * *

يا ذكرى [illegible] — وأطرت قلبي [illegible]
[illegible] — [illegible] الحرب
[illegible] من [illegible] — [illegible] من كل باب
[illegible] (٢) [illegible] — [illegible] جلل [illegible]

---

(٢) [illegible]

# ٣ ـ لقب السفاح

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

وعجبت في مقال الفاضل أن أرى الأستاذ العبادي كيف اختلفت الروايات في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبد الله ابن علي ، وقد سلك الأستاذ العبادي في اختلاف هذه الروايات مسلكاً ليس من الإنصاف العلمي في شيء ، فجعل تلقيب أبي العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيبة والأصمعي وهذه لا يوثق بها عنده ، وإنما يوثق بالرواية التاريخية القديمة التي سكتت عن تلقيب أبي العباس بهذا اللقب ، كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم وغيرهما . ويؤخذ من رواية غير أولئك المؤرخين الأدباء من تلقيب عبد الله بن علي بالسفاح ، وأرى أن هذا ليس من الإنصاف العلمي في شيء ، لأن سكوت أولئك المؤرخين عن تلقيب أبي العباس بالسفاح لا يصح أن يطعن به في رواية من لقبه به ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، ورواية [illegible] مشهورة عند [illegible] الأزهريين ، ولا يمكن أن يطعن فيها الأستاذ العبادي ، وإنما يصح الطعن في رواية أولئك المؤرخين لو ثبت نفي ذلك اللقب عن أبي العباس فحينئذ يكون [illegible] ومنه . وقد اختلف علماء الأصول في تقديم أحدهما على الآخر على أن الأستاذ العبادي لا يمكن أن يدعي أنه استوعب الرواية التاريخية القديمة كلها في ذلك ، وقد فاته من هذه الرواية رواية أبي الحسن المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، فقد جاء في كتابه « مروج الذهب » تلقيب أبي العباس بالسفاح ، والمسعودي مؤرخ مشهور ، وقد كان معاصراً للطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو من عند الأستاذ العبادي من أصحاب الرواية التاريخية القديمة فيكون المسعودي من أصحابها أيضاً ، وسيجد الأستاذ العبادي بعد هذا كله أنه لا تعارض بين هذه الروايات ، وأنه ليس في حاجة إلى إنكار بعضها أو ترجيحه على الآخر

وقد أراد الأستاذ محمود [illegible] أن يسلك هذا الطريق في الجمع بين هذه الروايات المختلفة ، فذكر أن قول اليعقوبي (عبد الله بن علي الأصغر وهو السفاح) منقول عن ابن سعد في طبقاته حين ذكر أولاد علي ( عبد الله بن علي الأكبر وعبد الله بن علي الأصغر السفاح الذي خرج بالشام ) ، ولا يريد ابن سعد بذلك التلقيب كما فهم اليعقوبي ، وإنما ذلك صفة كالسفاك والقتال ، ومن هنا لا يكون السفاح لقباً لعبد الله بن علي ، وإنما يكون لقباً لابن أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ، وقد كان يسمى عبد الله الأصغر أيضاً ، كما كان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر . ثم ذكر الأستاذ محمود أن أبا جعفر قد لقبه أبوه بالمنصور [illegible] ، فلا يبعد أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بالسفاح كما لقب أخاه بالمنصور

ولما قرأت هذا للأستاذ محمود سألته عما يعتمد عليه في إسناد تلقيب أبي جعفر وأبي العباس بالمنصور والسفاح إلى أبيهما محمد ابن علي ، فلم أجد عنده ما يعتمد عليه في ذلك . وقد بحثت بنفسي لعلي أجد ما يؤيده ، فلم أجد إلا ما ذكره صاحب العقد الفريد ، من أن محمد بن علي ولد له من امرأته حارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله ، وكنى الأكبر أبا العباس ، والأصغر

---

كل طائر في السماء شهاب … طار خلفي [illegible] وراء الشهاب
أو كالبرق [illegible] جثة[1] [illegible] … [illegible] الأمر [illegible]
[illegible] … [illegible] عظم الأعصاب

■ ■ ■

يا صديقي [illegible] … [illegible] السحاب
[illegible] … [illegible]
ووداع الأحباب [illegible] … [illegible] الشباب
بت [illegible] بالعراق [illegible] … [illegible] الصبح في طريق الركاب
كذب الشعر [illegible] … [illegible]
[illegible] من جنة الإله عليها … [illegible] أسرار [illegible]
[illegible] الناس [illegible] … [illegible] الأحباب
[illegible] سراباً … [illegible] يجري وراء السراب
[illegible] … [illegible] والآداب
[illegible] كل جميل … [illegible] الآل والأصحاب

[illegible]

---

(١) الجثة : [illegible]

أبا جعفر(1) ولم يذكر أنه لقب بذلك الشيخ ، بل الظاهر مما سنذكره فيما يأتي من صبح الأعشى أن أبا جعفر تلقب بالمنصور بعد انتقال الأمر إليه من أخيه أبي العباس

والرأي عندي أن أبا العباس لم يلقبه أبوه بهذا اللقب قبل أن تقوم دولتهم ، ولم يلقب هو نفسه به بعد أن صار إليه الأمر ، لأن مثل هذا اللقب لا يتفق مع الألقاب الإسلامية التي عرف بها الأمراء قبل أبي العباس وبعده ، وإنما هو لقب لصق به لصوقاً ، وأطلقه عليه الناس وكثير من المؤرخين ، لوصفه نفسه به في خطبته عند مبايعة الناس ، فقد ذكر الطبري أنه لما بويع صعد المنبر فقال : الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة ، وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ... إلى أن قال مخاطباً أهل الكوفة وقد زدت في أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير

وقديماً لقب العرب كثيراً من الشعراء بمثل ما لقب به أبو العباس ، فلقبوا عائذ بن محصن بن ثعلبة العبدي بالمثقب لقوله :

رددن تحية وكنن أخرى ... وثقبن الوصاوص للعيون(2)

ولقبوا عمرو بن سعد بالمرقش الأكبر لقوله :

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم

وكذلك كثير من الشعراء غيرهما

ولهذا يكون لقب السفاح في أصله وصفاً بالنسبة إلى أبي العباس ، كما كان في أصله وصفاً بالنسبة إلى عمه عبد الله ابن علي ، ثم اشتهر به أبو العباس عند بعض المؤرخين ، كما اشتهر به عبد الله بن علي عند بعض آخر منهم ، ولكل منهم في ذلك رأيه وحجته ، وليس فيه شيء من الخلط والاشتباه الذي يدعيه الأستاذ الصعيدي

وعلى هذا لا يكون لقب السفاح هو اللقب الحقيقي الذي اختاره لنفسه أبو العباس ، وإنما هو لقب غلب عليه عند المؤرخين بحكم الصيت السائر ، حتى أنسى الناس لقبه الأصيل الذي اختاره لنفسه بعد أن صار إليه الأمر ، بل دعا هذا إلى عدم الاهتداء إلى لقبه الحقيقي يقيناً ، وإلى هذه الخلافة التي سنذكرها نميل ونتمسك مع هذا هو اللقب الذي يصح أن يسميه لنفسه على أنه الصحيح ويتلاءم مع ألقاب من أتى بعده من العباسيين

قال الخطيب البغدادي : عبد الله أمير المؤمنين السفاح ابن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا العباس ، ويقال له أيضاً المرتضى والقائم ، ثم قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق ، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء قال : أبو العباس المرتضى والقائم عبد الله بن محمد الإمام بن علي السجاد ابن عبد الله حبر ابن عباس ذي الرأي ابن عبد المطلب شيبة الحمد

وذكر القلقشندي أن خلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك ابتدئ بابتداء الدولة العباسية ، فلقب إبراهيم بن محمد حين أخذت البيعة له بالإمام ، وأن اختلاف وقع في لقب السفاح فقيل القائم ، وقيل المهتدي ، وقيل المرتضى ، ثم تلقب أخوه بعده بالمنصور ، واستمرت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك إلى أن ولي الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون ، فتلقب بالمعتصم بالله ، فكان أول من أضيف في لقبه من الخلفاء اسم الله ، وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء

وفي هاتين الروايتين وخصوصاً الأخيرة من القلقشندي تحقيق تلك الألقاب بما يجعلنا نثق بهما ، ونطمئن إليهما ، وفيهما لا يدخل لقب السفاح فيما نص به لقب أبي العباس ، وهذا يؤيد ما ذهبت إليه فيه ، وقد جاء بعد أبي العباس من تلقب بالقائم بأمر الله ، ومن تلقب بالمهتدي بالله ، ولم يتلقب أحد بالمرتضى بعده ، فلعله كان اللقب الذي اختاره لنفسه ، على أن ظاهر رواية الخطيب البغدادي أنه كان يقال له المرتضى والقائم معاً

هذا ولا يفوتنا في ختام كلامنا أن نبين حقيقة ما جاء في تاريخ ابن العبري من السفاح ، من أنه كان رجلاً طويلاً أبيض اللون ، حسن الوجه ، يكره الدماء ، ويعطف على أهل البيت ، ولكن هذا لا يراد منه إلا كراهته دماء أهل البيت وحدهم ، بدليل ما عرفنا من أمره في دماء غيرهم ؛ على أن العبري يقيس في ذلك أمره بأمر من جاء بعده من العباسيين

عبد المتعال الصعيدي

---

(1) هذا يخالف ما سبق من أن الأصغر هو أبو العباس ، ويخالف المعروف أيضاً من أن أم المنصور كانت أم ولد بربرية يقال لها سلامة

(2) الوصاوص : براقع صغار تصنع للبنات

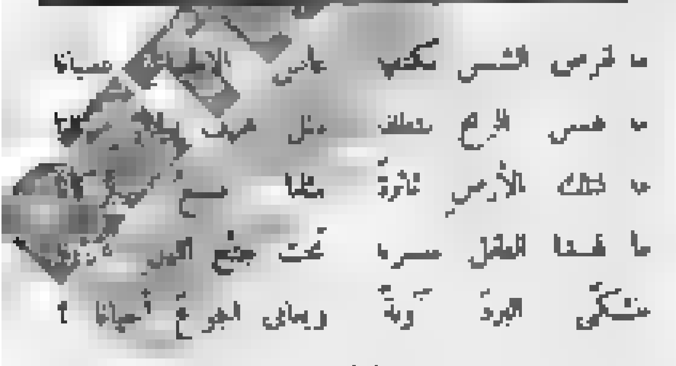

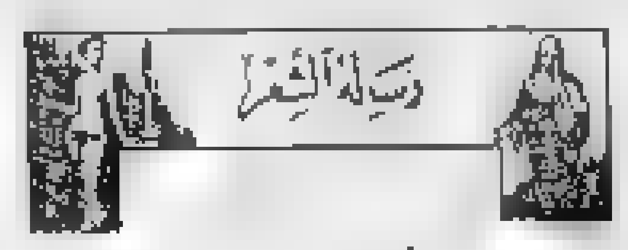


# البعث...

## للدكتور ابراهيم ناجي

يا حياةً وصلاةً يتدفقْ    رجعَ البعثُ يوم عاد الربيع!
بهر النور عيوني وترقرقْ    حين نادوني لا أستطيع!

* * *

أيها الورد الذي حفَّ بها    أيها الظلُّ الذي ترَّ لنا
لا أراك الله حالي وأنا    نُعماً البشرى ومرزوق الهنا

* * *

يا أمانيَّ وحبي وخيالي    لا تضيع حظه فالعمر ضيع
لا أراك الله حالي والليالي    كاسف نفسي من نفس مضيَّع

* * *

قد جهلت الروح منها لا نحوها    ونا أعياً يجري بقسمه
ومضى كالضيق ضيق القلب مني    وإذا جفن الكون تهاوى يعاده

* * *

لا وربي ليس الحب خالدْ    حين تنشر البعث تُحيي من حبيب
حين يستيقظ قلبٌ من ممات    والفؤادي أنت، وأنت الحبيب!

# مطارف الربيع

[ لك الصامتين دفعاً على الأيام الزرقة العصيبة ]

## للأستاذ محمد عبد الغني حسن

ما لهذي الأرضِ تلألأ؟    ما لهذا الزهرِ بستانا؟
ما لتلك الأرض قد لبست    من نسيج الموت أكفانا
ما لهذا النهر مُرتقباً    وتصبّ البحر جريانا
ما لقرص الشمس تحجبه    عابس الأطياف غضبانا
ما لهمس الريح منعطف    مثل همس ... ...
ما لتلك الأرض ثائرة    مثلما ... بركانا
ما لهذا الطفل حسرته    تحت جنح الليل ...
يشتكي البردَ آونةً    ويعاني الجوعَ أحيانا؟

* * *

الشتاء امرؤٌ هرمٌ    والربيعُ ... ريانا
مطرفٌ وشيٌّ جوانبه    وحبابُ الحسن ألوانا
ما لتلك الأرض فاتنةً    ما لهذي الروض سكرانا
ما لهذا الزهر موقفا    يُفعمُ الأرواحَ ريحانا
ما لهذا الطيرِ مُنطلقاً    يملأُ الأنحاء ألحانا
ما لهذا النور منسكب    قد أضاء الكونَ عرفانا
ما لقرص الشمس طلعتها    ضاحكَ الأحلام فتانا
ما لهذا الطفلِ تبشره    في مروج الخضر جذلانا
يتلقى في حياته    ما مضى الأيام وسنانا!!

* * *

رحمة الأيامِ صافيةٌ    لم تزل صافيّ بإحسان!
قلْ عن صفت صالحةٌ    يا ليالي خشية الآنا
الشتاء الهمّ بعثه    أربيعُ الطلقُ مزدانا

# أناشيدي!...

## للأديب محمود السيد شعبان

هذه ذي أناشيدي    ... يا قلبُ اللآلي
جمعتها كما شئتَ    لنا أوهامنا ذكرى!
وصُنتها من الأقلا    ـم والإلهام ألحانا
... ... ...    ... يا قلبُ سطرانا
وتُرتّلها ... الأنفا    س في ذي الأمس سحرى!

وتعـــلا قومي وقفـ [illegible] والأعراس قربانا

* * *

ألا يا ربة الأطـ [illegible] من غنّاك ألحاني؟!
ومن يا ربة الدنيا سقاك السحر من حبي؟!
أنا الشادي وأنت صدى [illegible] وأنسي
إليك فقد اهتدى وحيي وسكن [illegible] إحساسي
تعالينا يا هدى روحي نرتل النغم القدسي
[illegible] منا وإن كنا من الناس

* * *

شغلنا [illegible] الدنيا ومفاتنها كما [illegible]
ملاحن [illegible] أحد ولم [illegible] من الشكوى

[illegible] أعمـــالي [illegible]
[illegible] يطوف به [illegible]
[illegible] ذكراه في [illegible]
[illegible] من [illegible]

* * *

[illegible] حسنك من هدى قلبي ومن وجدي!
[illegible] من جدي
[illegible] ناجينا
[illegible] إليك [illegible]
[illegible] ومدى
ومن كل [illegible] ؟!

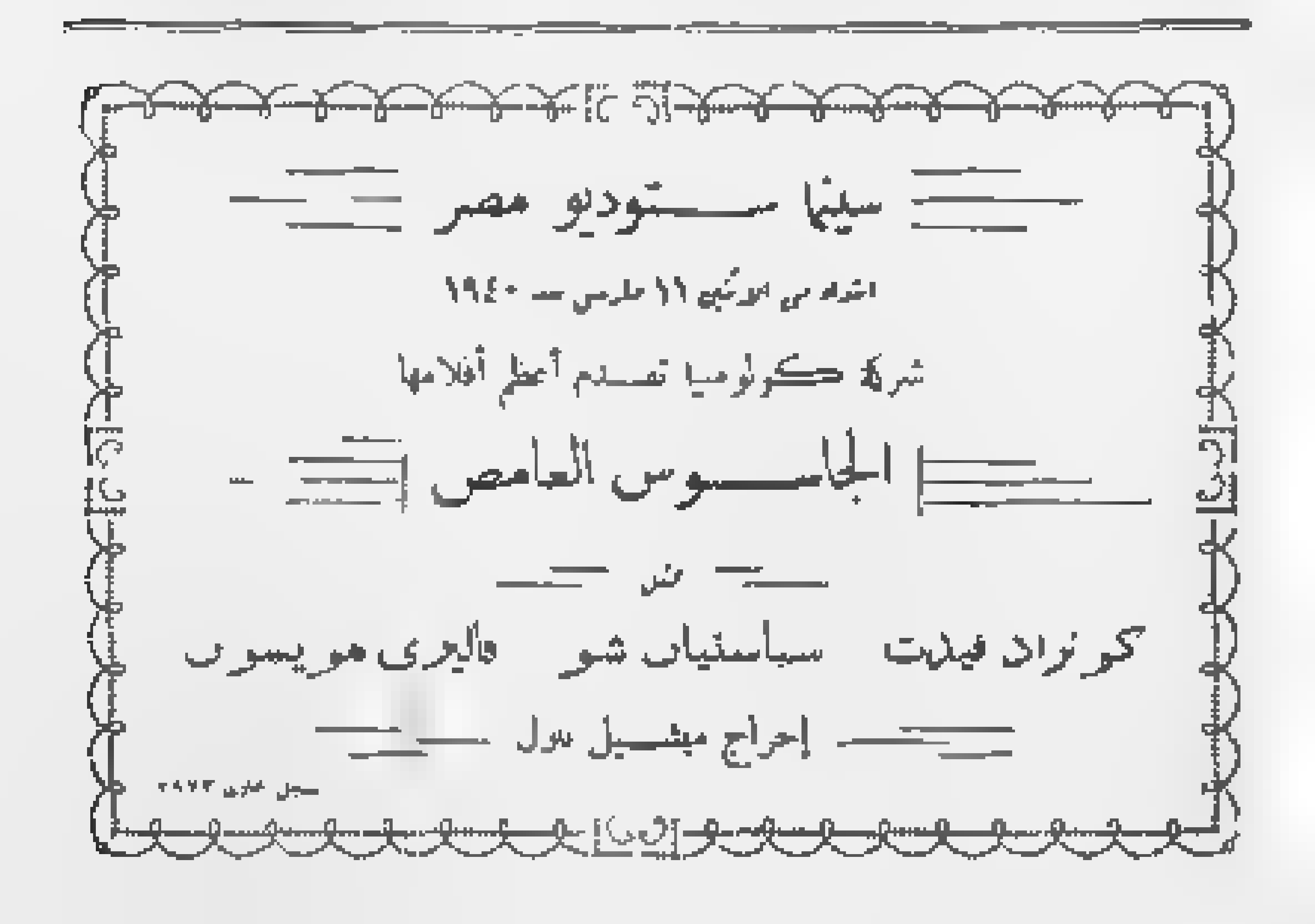

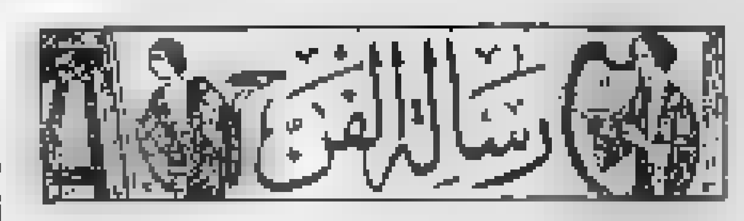


تأملات في الفن:

# يا علماءنا ... نريد أن نعرف!

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— عد كل من هنا الطين إنه من السيد البدوي

— وهل كنت في طنطا؟

— نعم. قضيت هناك يومين

أو لم يعجبك شيء في طنطا غير الطين؟

— الطين هناك جيد، والفخار أجود

ثم يطلبك ولا شيء يشغلك غيره، ألم تفكر في زيارة السيد البدوي الذي تأكلين حمصه هذا؟

— زرته ولم أنس أن أدعو لك

— شكراً ... فلست أدعو غير الله — أو لم يعجبك شيء في مسجد السيد البدوي؟

— لا أذكر، فهو مسجد كبقية مساجد ربنا

صحيح ... ولكن فيه منبر آخر نفسه صلاة صامتة ناطقة بالغة

— بالسلام ... لم يلفتني أحد إليه

وهناك مأذنتا البرتقان شامختان ولكنهما لا يريان أصحابه.

— تركنا منبر السيد البدوي وعدنا إلى أصحابه ونرحل، فما بالأصحاب؟ كل ما حدث أني شغلت عن النظر إلى المنبر بالنظر إلى السيد نفسه ..

— ولا السيد ... بل لعلك إلى الزوار

— أي، كنت أنظر إلى الزوار ... أليس في النظر إلى هؤلاء الخلائق في وجوههم لذة؟

— وأي لذة أحلى من أن ترى هؤلاء منافقاً في وجهه

— كأن الزوار كلهم نساء

ولماذا هذا التخصيص، ولماذا أسرع إلى وجهك هذا الخاطر الذي يتسرع إلى إنكاره ... أظنني أنك هربت من السوء إلا إلى الأسوأ!

وهل يسوء جمع النساء أكثر مما يسوء إلى جمع الرجال!

— من غير شك ... فعين الرجل قد تعطي فيخشى، ولكنهن إذا أعرضن أطلقن كل عين في الأخرى وتفرش كل عين الأخرى ... وما أشبهها إذن بمدرسة حين تشب في حريق أو مسجد، يتشبب للمسجد من مطهرة إلى — إلى مدرسة!

— مدرسة! هل أنت شاكر أنك قد وصف أن تكون شيئاً آخر .. ولكني لأنا نقول إن اجتماعنا في المسجد يحيله إلى مدرسة

لأسكن جليستكن، إما أن تكن تلميذات، وإما أن تكن معلمات، ولا يمكنكن أن تكن غير ذلك إلا إذا حسب جليستكن ... فإذا وصف إنسان اجتماعاً من اجتماعاتكن بأنه مدرسة كان يعني وصفه هذا على غير الغروض ممكن ...

— كلامك يحتاج إلى رهان

— هل يحتاج رهاناً؟ لا بأس ... انس ... منبر السيد البدوي

— عدنا إلى منبر السيد البدوي ... لن نعود إلى ذكره حتى نقضي ما كنا فيه ...

— سنقضي معه وما كنا فيه معاً .. أريد أن أقول لك إنه آية فنية رائعة، وإنه على صناعة محكمة ودقيقة زكية، مؤلف من قطع صغيرة الحجم يضم بعضها إلى بعض من غير غراء ولا جمع ولا مسمار واحد، وإنه صنع في عهد واحد من ... للآخرين. ولقد أتيح للأستاذ الذي صنعه استوديو أو ... أنه ... كان مؤلفاً من عدة عوام، وإنه الشيخ طلب يوماً أن يجرب هذا الاستوديو بأن يساعد المنبر أثناء تأليفه، فأخبر الأستاذ بأنه لا يستطيع أن يعمل إذا كان عليه رقيب غير الله ... كما أنه لا يستطيع أن يعمل وبينه وبين القبلة إنسان ممتنع عن الصلاة جالس أو واقف ينظر إليه ويحصي عليه حركاته وسكناته ... فهو

لا ريب بشخصه وبموقفه من إحسان الصلاة على الأقل

— عجيبة! ومن هو هذا الأستاذ الفيلسوف، وهذا كان ره الحقد عليه

— ما كان لحاقد على الفن إلا أن يقدر مثل هذا الاجتهاد وأن يجيء إكرامًا لفن الأستاذ « بل جلط »

— على ماذا « جلط »؟! يا له من اسم مضحك!

— و « ميكلانج » أليس اسمًا مضحكًا؟! ألأن عيا مصري يضحكني من اسمه ولأن الآخر من سادتكم أهل الغرب سنسيغ اسمه على ما فيه من غثاثة؟! إن ميكلانج وديك طرمي ليساميان أسماءنا، وإنه من أسمائنا « حلطا » و « جهيني » و « طرطش » ونحوهم وما أشبه... فلماذا تضحك من أسمائنا وتسمعك سماعها صاخرين؟ وحقنا أن نسمعك — إن شئت — سمعين بها من الفكاهة فلا ريب أن هذه الأسماء الغربية لا تخلو في مصر إلا للغستاب

أريد أن أسألك عن هذه الغانيات، ولكن أخشى أن نخرج من الأستاذ على إليها، فلا نعود منها، وقد كنت قبل هذا وذلك في موضوع آخر هو موضوع « الفرصة »، الذي أظن أنك لا تزال تذكر أنا تركناه سابقًا —

المسألة مرة أخرى لا تنتقل ولا تنسى، وهو من شروط الطبيعة الناجحة، والفطنة البارعة. أما الأستاذ على وأمه، فالعلم قليله بقليله، لأنه « جلط » وربما عرفه بما صاحبه أو حدث منه شيء، كيف — وأما مقره، يا آنسة، فهو الأثر الفني الذي لا يمكن أن يوصف، وإنما يجب أن يرى وأن يحس، وأنت أنت تحسينه، وما تحتاجين إلى هذه الآثار الفنية الصحيحة، لأن أحدًا لم يعجبك إلا هو، وهذا شأن الغانيات، وأنا أزعم أنك إذا رأيت الشيء البحري بعد اليوم، فإنك ستعجبين بصاحبه أو تحنين إلا الشيء، إلا أن تلتفتي أنت إلى الغير فتكوني لها صحبة وتكونا عاطفتين، ولست أوافق على هذه إلا الثقة منه، وثبت واطمأنت إلا بأنه شيء في طبيعتكن، فإنه أحد كل فكر أنيق، والأمهات صحيحات، والزوجات مطلقات، والنساء يكن عاطفات على أن يعجبن بمحبات ولا شيء غير هذا يا بنت البنات —

— تقولها وتزعمك! لعمري أكثر ما تقول، فنا الآن محتسبات وطيبات وغاليات وعاطفات كما أنه منا صاحب؟

هؤلاء جميعًا تقلب، حتى الغانيات يكن من وسكن

— أسمك؟ إني سكت من ثقل الرأيته عن ثقلك من بإجلالك واختلافك على ما سمعت وقرأته، كيف أسكت وزعمت للسمعين غانيات؟!

— لأنهن مثلنا، قليست عيون وسعة طريقة خاصة بها في حب أو غيره وعلى الرغم من أن الحقد أبدعهن يكن مختلفات، لأنهن لا يعلمن إلا ما علمن...

— وهل يرضين بعض ما لم يعلمن؟

— أعني لا يعلمن إلا إذا نشئن ؟ .. لله لا يعلمن حكمت من تلهاة وأساة... أفلست متوطن في تجارب وخبرين ومتخصص في كل شأن من شئون الحب إلا للمسألة الحبيبة!

— كلا إني لا أوافقك في هذا فإن فيها بلغات وعلى المسرح وفي التربية وفي الفنون، كيف يمكنك أن تجمع المربية مونتسوري، والممثلة جريتا جاربو، والمغنية جريس مور، والراقصة جنجر روجرز و... و... و

— أما مونتسوري فعالمة جمعها الزمن في القرن العشرين بعد أن غلا الزمن بعلماء التربية من قبل سقراط وأرسطو وعلى أي حال فإن مذهب مونتسوري لا ريب على أن يكون محترمة بعض الأحيان الأطفال. وأما النابغات الثلاث ذكرتهن هؤلاء فلا أزال أعجب لإيهن جريتا جاربو لم تكن شيئًا قبل أن يكتشفها أستاذها المخرج السويدي الذي نسيت اسمه وأظن أنك تذكره، وأما جريس مور فأبى أصحابها أن تغني شيئًا إلا ما يعجب له اللحون الأولى، وأما تلك التي ترقص كالمضاريب التي اسمها جنجر روجرز فقد جربت أن تتخلص من أستاذها فريد أستر فأخفقت فعادت إليه ومع ذلك فهي لا تزال تتطاول عليه وتكون عنه إنما ذكرها أنه رسمها وليس شيئها وأستاذها...

— وكل هؤلاء الناس على حبها؟

— أنا أحب منهن أكثر من أحب لي

منهن!! لقد قلت مرات إنها عقدة نفسه

— إن ربهما لله ما بين المهين ما كان كلمة وما كانت عقدة عن مهان لم يروضها رجل لا استطاع إلا أن يكون عدوًا وإنما من غير ما هي إمرأة منها عقاد وخصمه منها يحتمان

بما وراءها من فكرة أو عاطفة ، فصاحبها لا يستطيع أن يكذب إلا إذا أغمضها أو صوّبها إلى السماء لا يوجهها إلى عيني محاوره ، [illegible] على الكذب والصدق أهون منه ، فإذا [illegible] صاحب هذين العينين الصدق [illegible] الكذب في أول الأمر فإنه سيداويه بعد ذلك اعتياداً له ، ثم يلازمه أمراً [illegible] له ، والصدق كما [illegible] لك [illegible] من الخطوة الأولى [illegible] الله ... وعلى هذا كانت كاي فرانسيس صاحبة العينين [illegible] أصيبها [illegible] أن تكون ممثلة ... فحسب !

— إنني قد [illegible] على شيء لا يعارض الآن الكذب ؟ فليس التمثيل إلا الكذب

— لو كانت كاي فرانسيس تكذب ما كانت أعجبتني ، وإنما هي تصدق ، ولا تمثل إلا ما تحسه أو ما أحسته ، ولذلك [illegible] أنها لا تكثر من الظهور ، ولعلك أدركت أن سبب هذا هو أنها تنتظر حتى توافيها الأدوار التي تلائمها والتي تكون قد أحست بمثله في حياتها ... وحياتها كما أظنك عرفتها [illegible] ، وأبعد ما يجب أن تمثل صاحبة العينين الصادقتين [illegible] المرح [illegible] أليس كذلك هي ؟

— نعم ، ولكني [illegible] أن [illegible] كاي فرانسيس [illegible] بأنها أستاذة

— ليس ما يمنع من ذلك طبعاً أن تكون أستاذة ، [illegible] أنت أيضاً ذلك إذ [illegible] مرة أخرى [illegible] من التأمل والدرس [illegible] على [illegible] ، ولا [illegible] في [illegible] النظر إلى [illegible] من أترابك [illegible] من [illegible]

— ولكنك قلت إن هذا من طبع المرأة

— هو طبعها في الطفولة ، [illegible] أن تكون أستاذة ، والأستاذة هي التي فرغت من النظر إلى غيرها [illegible] نفسها [illegible] وأظن أن المرأة لا [illegible] هذا إلا لسبب واحد

— ما هو هذا السبب أيضاً ؟

— هو [illegible] من [illegible] ، [illegible] النظر إلى غيرها [illegible] أنها [illegible] ، لا تزال في حاجة إلى [illegible] حتى إذا ما [illegible] التجاعيد آمنت بأنها أستاذة ، ولكنها [illegible] في [illegible] بدلاً من أن [illegible] في [illegible] سنة [illegible] التي عاشت لكي أن [illegible] في هوليود .

سأقنع [illegible] أزور القبر ...

— زره أولاً [illegible] ، فستعرف [illegible]

ويبحث [illegible] من [illegible] على [illegible] محمد البقري وغير [illegible] من أهل الفن العربي الذي يقدره الغربيون حق قدره ويودون لو [illegible] من أنحاء الأرض [illegible] ليتمتعوا بمشاهدته ويأخذوا منه ، حتى إذا [illegible] عن أنفسهم من آياتنا [illegible] ، فلم أنا لا أعرف

— أما الأستاذ [illegible] فقد عرفته بعض الشيء ، ولكنك لم تذكر لي من هو محمد البقري ..

— صاحب الزخرفة العربية الرائعة التي يحفل بها « [illegible] مصر » [illegible] حديقة الأزبكية ... وإذا كنت أنا أعرف هذا فإني [illegible] صاحب [illegible] السلطان [illegible] وصاحب [illegible] والرفاعي ، وغير ذلك من الآثار العربية الخالدة ... فهل لك أن تسأل لي واحداً من علمائنا عنهم ؟

— بإذن الله سأسأل — ولكن لماذا لا يهم أن [illegible] أخبار هؤلاء ، وهو أمر شديد الصلة بعملك ؟ ..

— قد يكون هذا حقاً ، ولكن [illegible] ، فإن [illegible] الآثار العربية ، قد أرجعت نسبتها إلى الملوك الذين أنشئت في عصورهم ، ولم تنسب إلى [illegible] الذين [illegible] من [illegible] ، وقد جرينا على هذه السنة حتى في عصرنا الحديث فنحن لم نذكر [illegible] ولا محمد البقري [illegible] مع أنهما [illegible] لم [illegible] لأنهما كانا [illegible] من أمثال الغربيين ، ولم يكونا [illegible] الفن إلى الذكر الباقي ولا إلى الربح [illegible] ، وإنما كانا يؤديانه زكاة عن [illegible] الله من [illegible] ، ولقد كانا [illegible] به [illegible] ، ولو [illegible] لأحدهما أن يستغل فنه استغلالاً [illegible] الأموال الطائلة والصيت الرنان ... ولكن الواحد منهما كان لا يعمل إلا إذا احتاج إلى القوت ، فإن عمل [illegible] في [illegible] بالمعجزات الكبيرة ... وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، والذي إذا سئل عن [illegible] قال إنه [illegible] في [illegible] فأي شيء هو ؟

— إنه [illegible] وحرفة [illegible] ما يصوره عقله من غير أن يستعين على ذلك برسم التصميم على الورق ... وهذا شيء لا يستطيعه إنسان في الغرب وعلى الخصوص إذا [illegible] الزخرفة العربية [illegible]

[illegible] أحمد [illegible]

# الكون يكشف عن نفسه

## خفايا الذرة

للدكتور محمد محمود غالي

أينحصر الكون في ست وحدات أساسية يرد إليها كل ما فيه؟

هذه ما تعالج هذه السطور ... وإنها ... الوحدات الست وهي كالكائنات ... أن تعرف إليه

تُشَيَّد دوراً للسكنى ونُدخل مواد عديدة في تشييدها من أحجار البناء إلى الحديد، ومن رخام الدرج إلى ما يحيط بسلالمه من نحاس، ومن أخشاب النوافذ إلى ما يتوسطها من زجاج، ولا تذكر ما تحتويه الدار من العناصر الكثيرة والمركبات العديدة وأن في الزجاج وحده من العناصر ... والمركبات المختلفة ما يجعلنا نصل إلى العدد الكثير من المواد التي تستخدم في إقامة البناء، بل إن هناك من نوع آخر، مواد عضوية تدخل أيضاً في تشييد الدار وهي ما تختلف في حديقتها من أشجار وزهور من سائر ما في البناء؛ هذا النبات له دور من الإنتاج كدور الإنسان ومن الشباب كشبابه ومن الهرم كهرمه، وله أعمار تنتهي عندها الحياة، فيجمع البستاني ما يبس من النبات ويضع مكانه كما يضع الآن نبتة مكان أبيه بعد أن يجرفه في الرمس، ويترك الآن الدار بحديقتها فنجمع منها ما جفت أجزاؤها متمسكة بسبب المركبات وطغيانها في أعضائها، بقيت بالحديد منها سنين طويلة وسقطت هذه الأجزاء من الآلة بين الرخ طوراً وعادة الأنهار كثرة؛ بل إن مواد حية غير المعدنية والعضوية قد تدخل بين مكونات الدار تستمتع فيها تأكل وتشرب وتتناسل فيها كما يتناسل ربها، فقد تشيد في الحديقة أنواعاً من السمك أو تقتني داخل الأقفاص أنواعاً من طيور الزينة؛ وما عدا ذلك إلا مجموعة من العناصر المختلفة ... من أسماك ... ولا تختلف عن الأولى إلا ... وآمال تقارب آمالنا

مديدة هذه العناصر ومشابهة هذه المركبات التي دخلت الدار بسبل المهندس وعمل البستاني، فنشأ منها مكان صالح تأوي إليه بعد التعب وتقضي فيه ساعات من العمر بين لحظات سعيدة وأخرى مكدرة؛ ولو أن أحداً قال إن الدار مكونة من عشرات العناصر ومئات المركبات لما كان في قوله انحراف عن الواقع، ولو أنه قال أيضاً إنها مكونة من ست وحدات أساسية في الكون وإن كل ما رآه فيها من عناصر عديدة ومن كائنات متباينة يتكون من هذه المكونات الست فإنه قد لا يعدو الحقيقة، ولو أنه خطر ببال أحد أن من يسكن الدار من أحياء كأولادنا، ومن يوجد من دواجن كأصدقائنا، وما يعيش بين جدرانها من أسماك وطيور يتحولون أيضاً في عدد المكونات الست القديمة، فإن ثمة علماء عديدين يعتقدون اليوم بصحة ما خطر بباله، ولديهم من الأسباب القوية ما يستطيعون به محاولة إقناعه بأن ما ذهب إليه بعيد عما يتطرق إليه الشك.

ولا يجوز لأحد بعد الذي ذكرناه أن ما نعنيه بهذه المكونات الست هي «عناصر» مثل الحديد والنحاس، فإنما بذلك نصل إلى تعداد العناصر جميعها التي تبلغ ٩٢ عنصراً والتي عثر على الكثير منها ... ولا يعتقدن كذلك أننا نعني بها بعض المركبات كالماء والسكر ... أن ما يوجد من هذه المركبات في الدار يملأ الكتاب، بل إن هذه المكونات الستة إنما هي وحدات تكوينية نستطيع أن نرد إليها كل ما يتعلق بهذه الدار.

هناك أمر آخر أود أن يعلق بذهن القارئ، ذلك أن الوحدات الست التي تكون كل ما يتعلق بالدار، والتي من بينها وحدة يتسنى لنا بها رؤية الدار وما فيها، هي بذاتها الوحدات المكونة لمجموع الكون، فهي كافية اليوم لرد الفضاء كل ما عرفناه في الكون إليها.

هذه المكونات الستة سنعرفها من المسائل التالية التي

يحسن معرفة شيء منها ، فهي اليوم موضع بحث أقطاب العلم ، ولذلك نذكرها للقارئ في الجدول الآتي ، ليعرف شيئاً عاماً عن هذه العناصر التي يتكون منها بل الكون الذي نعيش فيه ونجوب

| المكونات أو الوحدات التي يتكون منها الكون في مجموعه بما فيه من مادة أو كهرباء أو إشعاع أو طاقة | | | الشحنة الكهربائية |
|---|---|---|---|
| مكونات كهربائية سالبة | خفيفة | الألكترون | e |
| | ثقيلة | غير معروفة | |
| مكونات كهربائية موجبة | خفيفة | البوزيترون | +e |
| | ثقيلة | البروتون | +e |
| مكونات مادية | خفيفة | النيوترينو أو الأرجون | صفر |
| | ثقيلة | النيترون | صفر |
| مكونات ضوئية | | الفوتون | صفر |
| مكونات معقدة (Complex) | | الديبلون | +e |
| | | الهليون (نواة الهيليوم) | +2e |

إذا رمزنا للوحدة الصغرى الكهربائية بحرف e والمقصود به شحنة الألكترون أي الوحدة الكهربائية السالبة نكون ( e − ) وشحنة البروتون أي الوحدة الموجبة نكون ( e + ) وفي هذه الحالة تكون الشحنة للوحدات الأخرى كما هي مبينة في الجدول

هذه المكونات هي الأصل في كل شيء ، فهي مكونة للمواد التي نستنشقها كما تكون الرئة التي نستنشق بها هذا الهواء ، وهي التي تتكون منها السمكة التي تسبح في حوض الحديقة كما تتكون منها النجوم النائية والسدم البعيدة ، ومنها الزلازل والأزهار والطيور ، بل وما يطوفها من كواكب وعوالم . الأمور ترجع أصولها إلى هذه المكونات السبعة التي يتألف منها الكون

* * *

ونود فيما تأمل الجدول السابق الذي يلخص لك موقف العلم من الكون ، ونود أن يعتبر القارئ وهو يطالع هذه الصفحات العلمية التي قد تكون جديدة لديه أنها من المسائل التي يلزم معرفتها ، . كيف لا يجب علينا أن نعرف ما يكوّن منازلنا والأرض التي نسكنها والعوالم التي نعدها والكون الذي يحتوينا بل ما يكوّن أجسامنا وطعامنا ، وحيث يكون في أجسامنا الكون ، فإننا لا نستطيع أن نستوعب كل الأشياء إلا على الصور التي نجدها فيه ، والأوضاع التي أسلفنا ذكرها . ثمة عدد قليل من الأوضاع نستوعبها في المكونات ظهوراً ونستوعب الكون فيه كرة ، وهذه الصور أو الأوضاع هي المادة والكهرباء والإشعاع وكذلك الطاقة . وقد ذكرنا في الجدول هذه الصور ، وترجعها بالكون إلى وحدات كهربائية ومادية وضوئية ، كما ذكرنا في ذيل الجدول مكونات أخرى معقدة

أما المكونات الكهربائية ، فهي سالبة كالألكترون[1] ، وموجبة كالبوزيترون ، وقد حدثنا القارئ عنه في مناسبة من المقالات . كذلك البروتون Proton الذي يكون نواة الهيدروجين . أما المكونات المادية ، فهي وحدات أخرى لا تحمل الكهرباء ، وهي وحدات النيترينو Neutrino أو الأرجون Ergon والنيترون Neutron وقد تناول البحث هذه الوحدة الأخيرة[2] حديثاً سنة ١٩٣٢ إثر كشف عرضها جوليو من أساتذة السوربون . ولا يخفى القارئ أن الكهرباء أو الألكترونات موجودة في الأنابيب الكهربائية . وكما أن الكهرباء في تكوينها ترجع إلى هذه الوحدات الأولى التي يسمونها الألكترونات أو البروتونات ، كذلك الضوء يرجع في تكوينه إلى وحدات أصلية يسمونها فوتونات جمع فوتون Photon . ونعتبر أن الوحدة الثقيلة الكهربائية السالبة غير معروفة ، ونعتبر أن الوحدات المعقدة كالديبلون[3] Diplon والهليون[4] Helion قد ترد في تكوينها إلى غيرها من الوحدات . فإنه يجب على أن الكون يمكن أن يرده

(١) الألكترون Electron هو الوحدة السالبة للكهرباء وقد اخترع هذه التسمية الأستاذ ستوني Johnstone Stoney في سنة ١٨٩١ وقد عرفنا القارئ كيف استطاع « مليكان » R. A. Millikan في أمريكا وجان بيرن Jean Perrin من السوربون في فرنسا أن يقيسا بطريقتين مختلفتين حجم الذرة وشحنة الألكترون

(٢) كما هو جدير بالذكر أن بوت Bothe وبيكر H. Becker كانا قد عرضا في سنة ١٩٣٠ إلى وجود النيترون

(٣) الديبلون وحدة من وحدات الكون المعقدة كتلتها ضعف كتلة البروتون أو ضعف كتلة الهيدروجين ويسمونه الهيدروجين الثقيل Diplon أما شحنته الكهربائية فتساوي شحنة البروتون

(٤) الهليون نواة ذرة الهيليوم وكتلته أربعة أمثال كتلة البروتون وشحنته ضعف شحنة البروتون

بما فيه من مادة أو إشعاع أو كهرباء أو طاقة إلى وحدات صغيرة من الإلكترون والبوزيترون والبروتون والنيوترينو والنيوترون والفوتون.

وقد يصل العلماء إلى الكشف عن وحدات جديدة، ويكون بعيداً عن الظن أن هذه الوحدات ستظل قليلة وستظل اللاعبين على مسرح الكون بهذا القدر المدهش.

* * *

ندع الآن المسميات لنتعرف على أحدها وهو الفوتون أو الذرة الضوئية، وهو المكان العجيب الذي يلازمنا في مطالعة هذه السطور.

فكل ما نرى في الليل من النجوم اللامعات، أو مختلف الصور التي تنعكس على الكواكب في الليل البهيم، أو تقع العين ذاتها على صورتنا في المرآة، أو نحصل بواسطة الجهاز الفوتوغرافي على صورة شمسية، أو نرى على الشاشة حوادث العالم، أو نرى في الراديو (التلفزيون) إحدى هذه الحوادث في حينها، فإنما قد استخدمنا الذرة الضوئية أو الفوتون كأداة كبرى لتسجيل هذه الأشياء.

ويبدو لي غريباً التعرض في هذه المقالات للتركيب الطبيعي للفوتون، ولذكر أنه على رأي البرنس دي بروي Louis de Broglie مكون من نصفي نوترون، وإنما أكتفي بأن ألفت النظر إلى ثلاثة أمور: الأول أنه أحد المكونات الثلاثة في الكون غير الكهربية إذ لا يوجد في كل ما نعرفه من وحدات كونية غير الفوتون والنيوترينو والنيوترون كوحدات لا علاقة لها بالكهرباء بشيء. والثاني أنه المكون الوحيد الذي لا يوجد إلا في حالة حركة بالنسبة للمادة. ويسرني أن أذكر أن للأستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفة بحثاً أحدث ضجة علمية في علاقة المادة بالإشعاع أود أن أعود لذكرها فيما بعد. والثالث أنه كان سريعاً جداً بالنسبة للمادة وتبلغ سرعته أي سرعة الضوء (٢٩٩٨٠٠) كيلو متر في الثانية.

ولقد توصل العلماء بوسائل جديرة بالإعجاب إلى قياس هذه السرعة العظيمة وإلى الوصول إلى معرفتها معرفة دقيقة. وللقارئ أن يتصور عظم هذه السرعة إذا ما عرف أن الضوء يقطع المسافة من مصر للإسكندرية في أقل من واحد على ألف من الثانية.

وقبل أن نستعمل المذياع (الراديو) والتلغراف اللاسلكي، استطاع عدد عديدون أن يقيسوا سرعة الضوء وأنه هذا القياس العجيب؛ وكان لقياس هذه السرعة وما ترتب عليها أثر كبير في معارفنا الحديثة، وقد نعزي هذا الأثر كل شيء، حتى إنه يحتمل أن يكون عاملاً مهماً في معرفتنا نواميس الكون.

ولعل القارئ الذي عرض ونحن نوجه إليه هذه السطور أنه من غير المشتغلين بالعلم أو المتخصصين في العلوم الطبيعية قد سمع بالتطور العظيم والرحلة الكبرى التي تمت في العلوم من معرفة سرعة الضوء في اتجاه ومعرفة سرعته في اتجاه مضاد للاتجاه الأول، وما كان لذلك من الأثر في تدعيم نظرية «أينشتاين» النسبية في نتيجته. ولعل القارئ يستنتج الآن نوع الاتجاه الذي أحاول أن أوجهه إليه فيما سأقدمه إليه من مقالات قادمة، ولعلنا في الختام قد وفقنا بعض الشيء لكي نعطيه شبحاً من الآثار التي يسكبها والكون الذي نعيش فيه.

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم الهندسة

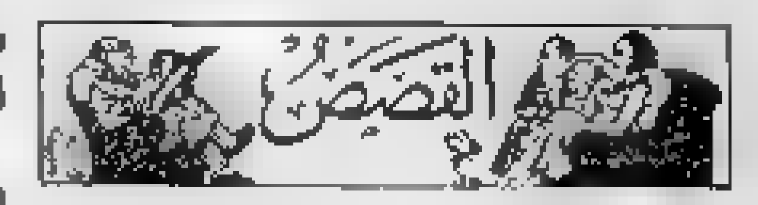


# نهاية الطريق

للكاتب المعروف [illegible]

للأستاذ محمد بدر الدين

في سنة ١٩٢٣ كنت أجول في أنحاء إيطاليا ، أطوف بمراحلها الريفية والجبال معاً ...

وكنت أستجيب لنداء هوى نفسي ، حتى خلفت روما ورائي ، وسرت نحو جبال الأبنين ، دون أن أحمل من المتاع سوى حقيبة صغيرة ، ودون أن أترك عنواني لأحد ، كيلا أدع الفرصة لشخص [illegible] ، وفي الحق أن خطوت وحيداً ، إذا أردت أن تشاهد بلداً من البلدان أو أن [illegible]

انطلقت في طريق وحيداً لا يرافقني غير [illegible] الكروم وحقول [illegible] الخضرة ، [illegible] وفلاحي إيطاليا ذوي البشرة السمراء ، لوحتها أشعة الشمس الحامية . استطعت أن [illegible] تتكشف أمامي عن حقيقتها ، ولئن [illegible] الطرق المعبدة التي تخترق أرجاءها ، [illegible] لا تزال [illegible] إيطاليا القديمة التي كانت في عهد [illegible] أوربا

وفي ذات أصيل ، انعطفت في الطريق إلى منحنى [illegible] إلى اليمين ، لا يخرج إلى جواره منزل أو بناء ، وكأنما [illegible] في مكانه منذ [illegible] يرحب بالقادمين الذين أنهكهم السير ، ويعرض [illegible] الراحة ، وعلى [illegible] في كل [illegible] من الشراب ..

أغراني الفندق [illegible] في عزلته ، والذي [illegible] خيوط الشمس ، [illegible] ...

« أوصلوا [illegible] » [illegible] ، فإذا بكهل يخطو إلى [illegible] الدخل ، [illegible] الأصيل [illegible] إلى جواره [illegible] سوداء . [illegible] أن [illegible] صاحب الفندق الذي قدم نفسه إليّ باسم « [illegible] » ... [illegible] ما كنا نجلس في [illegible] الأشجار [illegible] أغراني الحديث ،

ومن تجرع [illegible] التي [illegible] الرجل [illegible] ونحيا

تكلمنا عن إيطاليا ، وعن محصول الكروم ، وعن الضرائب ، وعن ذكرى غاريبالدي [illegible] الذكرى التي [illegible] الرجل إلى سني عمره الباكرة ، وما لبثت أن عجبت أن المدينة التي كنت أسعى إليها بعيدة عن الدرب بما يعادل ستة أميال

فاقترح الرجل أن أبيت عنده تلك الليلة ، وراح يعرض بما سوف أجده في حضرته من طعام وراحة ونظافة ، قائلاً :

— إنه ليس بالفندق الفاخر ... فنحن هنا لا نرى من السائحين غير الرحالة الذين يقصدهم التعب إلى التماس كأس من الشراب . ولكن حديقته [illegible] ، حتى لقد ملت إليها ، [illegible] الرعب والسمعة

كان [illegible] رحالة مثلي يجوب البلاد على قدميه حاملاً معه مالاً ، أن يخشى من [illegible] دعوة [illegible] ، أو أن يتوقع حيلة من أجل هذا المال الذي يحمله [illegible] يستحقون [illegible] والريب ، كأني [illegible] الشخص الذي يستطيع الإقدام على سرقة أو قتل

ومع ذلك فقد [illegible] .. وقال [illegible] لي إن [illegible] دعوة حتى [illegible]

— جيوفانا !

فأجابه صوت نسائي من داخل الدار ، ظهرت على أثره امرأة [illegible] تحت [illegible] فأمرها — والشمس ترسل شعاعها الأخير — أن تعد العشاء ، وأن تهيئ الحجرة [illegible] ، [illegible] الأواني [illegible] ، ثم [illegible] إلى الداخل ، بينما عدنا إلى حديثنا عن غاريبالدي ثانية

فلما فرغنا من تناول العشاء ، عدنا إلى مقعدينا خارج الدار ثانية ، وراح الكهل يقص عليّ قصة — [illegible] التي لم أسمع في حياتي مثلها ، ولم أسمع لقصة من قبل أو من بعد ، [illegible] فقد [illegible] يتكلم كأنما [illegible] قطعة سوداء ، [illegible] الزمن [illegible] كأنه ينادي كل مظهر إنساني ، فتنقل حديثه حيوية الشخص الذي يتفانى في عشق [illegible] ، وحرارة الخطيب يحاول أن يأسر بفصاحته وبلاغته ألباب السامعين —

قال : ولدت في [illegible] ، وكان والدي تاجر ماشيات ، يقوم متجره على ناحية الطريق الذي [illegible]

وجبة وبسمة تمر من خلفها ظلال « أوجيوان »

وقد عجبت لهذا ـ لأول وهلة ـ أن الوضع كان كذلك ... بيد أني واثق لم يكن بالرجل الذي ينصب شراكه في مكان غير ملائم، إذ كان يعرف كيف يجتنب العملاء، ويغري الآخرين على الالتماع منه.

وكانت أسرته تتكون من اثنين .. أنا ولويزو، وقد كنا رأيين متشابهين كل الشبه. غير أن أوزو كان ذا روح مغامرة جنحت إليه البحر، فلم يلبث أن مضى بعيداً، حيثما مرت سنوات ... ولكني أكبره بخمس عشرة تقريباً ـ تجارة السمك لمساعدة أبي.

كانت المهنة ... أنها تتطلب دراية تامة بالأشياء، وبخصوصيات الأشخاص — تعتمد كل الاعتماد على الخبرة التامة بتقدير ثمن السمك وتأكد من أنه حقيقية غير زائفة. وقد كانت تواتيني هذه الفطرة الطبيعية، إذ انحدر من سلالة عملت هذا الفن هواية أو احترافاً — كما كان لي نصيب من الثقافة إلى حد ما، فقد كانت إيطاليا القديمة تعيش في دماء والدي، كما كانت تسري في عروقي بكل ما كان فيها، وبكل ما كانت تعبر عنه، و[illegible] بكل ما تعرف فيه من عواطف ومن حقد وكراهية ...

وسارت الحياة سهلة لينة، حتى بلغت العشرين ربيعاً، وإذ ذاك جاء يوم تغيرت فيه حياتي.

في ذات يوم، ذهبت إلى [illegible] « [illegible] » [illegible] كثيراً ما ساعدني من قبل، وطالما تلاقينا في بعض المناسبات، إذ كانت تصحب أبي قرابة [illegible] وكانت تسكن في ذلك الميدان الذي يطلق عليه الآن اسم « فيكتور عمانويل » ... ثم كانت تتحدر من أسرة [illegible] شابة في عمر [illegible] أصبحت [illegible] جمالاً أخاذاً رائعاً، تبدت لي في ذلك اليوم في أبهى زينتها .. فقد [illegible] لي [illegible] وجمال الربيع [illegible] « [illegible] » ولاحت لي، مع أني كنت أعرفها ـ كما ذكرت ـ وكأني لم أرها قبل ذلك اليوم.

وبالرغم من أني كنت أحس جمالها .. إلا أنه لم يحدث في نفسي يوماً أكثر من إعجاب وثقة، لا يلبث أن يتلاشى. أما في ذلك اليوم، فقد لاح لي أكثر فتنة وسحراً .. فما من لحظة [illegible] حتى [illegible] كيانها.

وحتى هذه اللحظة، لم يبد لي الأمر مدعاة [illegible]، [illegible] إذ ذاك [illegible]، ولا [illegible] كثيراً!

لم أقل لها إذ ذاك شيئاً، ولم أخبر أحداً بحبي لها، بل [illegible]

في سهولة، كشخص [illegible] على كرسي [illegible] وأسرع [illegible] في [illegible]، وانطلق [illegible] في [illegible]

حتى إذا كان اليوم التالي، ذهبت [illegible] أخرى [illegible] أيضاً، أشعر [illegible] لم أجرؤ أن [illegible]

كنت [illegible] ثم لم أدر ما أفعل .. ولو أني خرجت بها في مكان [illegible] في وسعي أن أقدم على [illegible] صريح، دون أن أقوم بعمل واحد. أما وقد كنت في وجودها لم يكن أمامي غير أن أزورها حيث تسكن، أو أن أبوح لها بحبي في [illegible] الطريق، في جرأة أشجعها على أن أبوح بها ...

وما كان لأحد في [illegible] هذه المرأة، [illegible] الأمور [illegible] ولكنها لم تلبث أن ظهرت الحقيقة!

[illegible] إلا [illegible] ما كانت [illegible] أبداً، بعد أني كنت [illegible] إذ أدرك المرء أن الحب في قلبي، وأصبحت أرى في الجبهة التي كنت [illegible] كما كنت [illegible] أمام [illegible]، وقد [illegible] والرجه [illegible] والأمل [illegible] حقاً، لأن الحب جنون.

لست أريد أن أطيل عليك، ولكني أحببت أن أريك كيف [illegible]

واستمر الرجل [illegible] كأسه، ثم انبعث صوت الجمهور من داخل البيت

— [illegible] إننا الآن في ساعة متأخرة

[illegible] ثم عاد يتابع حديثه

— [illegible] حتى [illegible] هيكل [illegible] ثم [illegible] حتى [illegible] اشتهرت مع [illegible] كثيراً من [illegible]

ولو أن الأمور سارت على هذا المنوال [illegible] إلى [illegible] فقد ذهب جيوفاني إلى المدينة، [illegible] في الطريق [illegible] فأطرقت [illegible] ثم تحولت [illegible] في عيني، وابتسمت بعد ذلك، [illegible] أصبحت لي، فصرت رجلاً آخر ...

كانت [illegible] لا [illegible] وكانت أحلامي [illegible] لا [illegible] جيوفاني بعد ما [illegible]

فلتلب بعده ... وصار لنا أن نلتقي كل مساء ، خلف بحيرة بديعة خارج المدينة ، عند الكروم الفناء ... ملتقى العاشقين –

وقررنا أن يكون الزواج في الصيف ...

ثم حان عيد « الكرنفال »

كان « الكرنفال » في تلك الأيام الخوالي أكثر مرحاً وبهجة منه الآن ... فكان الناس يطرحون عنهم همومهم ، ويتحررون من كل شيء ، لينغمسوا في ملاهيه وأفراحه

وفي آخر ليالي « الكرنفال » كنت على موعد مع جيوفانا عند بقعة قريبة من « دومو » ، وقد حلا لنا أن نتنكر في رداء غانية أسبانية ، بينما حضرت أنا لابساً حلة دومينو كحلية وقناعاً قرمزياً

ولما كانت حلة والدي [illegible] قد لزم [illegible] اليوم بعد أن [illegible] الأماكن التي أعرفها ، وبالرغم [illegible] هناك حتى يكون في وسعه الاتصال بي ، إذ كانت له حاجة عند الاتصال

كان موعدي مع جيوفانا في الساعة السادسة إلا عشر دقائق عند « فونتي ملاجيوري » على مقربة من « دومو » ... وقد يخيل إليك أني كنت هناك قبل الموعد شأن كل عاشق متيم ...

بيد [illegible] وصلت إلى مكان اللقاء متأخراً ... إذ كان [illegible] صديقي ماتريدي الذي [illegible] عنده فترة الظهيرة ، [illegible] في الوقت ... بينما [illegible] أن أترك ساعتي في البيت خشية أن يسلبها اللصوص الذين كانوا ينتشرون وسط المهرجانات في مثل هذا العيد ... فلما وصلت إلى فونتي ملاجيوري ، كانت [illegible] ، لم أكد أصدق عيني ، لا ولا بصري ، عندما رأيت الساعة [illegible] ولم أجد جيوفانا ؟!

ثم [illegible] ... فلا بد أنها حضرت في الموعد ، حتى إذا لم تجدني انصرفت غاضبة ... ولو أني [illegible] لأدركت مدى [illegible] وحيدة في الانتظار عند فونتي ملاجيوري في ليلة العيد ، ولأخذت اللوم على نفسي بدلاً من أن أسمح للغضب أن يطغى فيجتاح قلبي .

كنت أعلم أن جيوفانا لم تبرح بيتها [illegible] طالع [illegible] ... وانتقلت أطوف حول [illegible] الفكرة [illegible] إلى [illegible] كل [illegible] الغضب [illegible] بينما كان القوم [illegible] في طريقهم إلى الساحة لمشاهدة موكب العيد ، وهم في أحاديثهم وضحكهم [illegible] ثم تحولت إلى حانة ، فأغرقت نفسي [illegible] وطلبت شراباً [illegible] أحتسيه [illegible]

من رجل [illegible] ، كان يجلس إلى منضدة قريبة

لم أسرف في الشرب [illegible] أسرفت في تلك الليلة [illegible] لاح لي الكحول [illegible] بعد [illegible] وأجل [illegible] التي لم يلبث أن تحول إلى شعور من [illegible] وتناسيت جيوفانا ، واندمجت في الحديث مع الرجل الآخر الذي [illegible] ، [illegible] إلى [illegible]

كان الرجل أحد تجار [illegible] في بيزا ، وقد رأيته في [illegible] والذي [illegible] ، إذ [illegible] – يمس [illegible] صفقة بيد أنه لم [illegible] وكانت [illegible] ثمينة [illegible] ، إذ حصل عليها في سرقة [illegible] يوجد أن من [illegible] في حوزته في بيزا [illegible] ... [illegible] من الذهب الخالص [illegible] للأحجار الكريمة ، [illegible] ، [illegible] من الخناجر [illegible] ذا مقبض [illegible] عرضت عليه أن أبتاعها منه ، غير أني لم [illegible] الثمن الذي ابتغاه ، [illegible] إذ كان [illegible] ذلك [illegible] منه هذه الأشياء ، [illegible] الصليب في صدر [illegible] ، ووضعت الخنجر – وقد [illegible] في جيب [illegible]

وما [illegible] [illegible] بسبب [illegible] النوم ولما [illegible] كانت الأضواء [illegible] في المدينة وقد [illegible] الجماهير المتدفقة في مهرجانات « الكرنفال » كهذه الأمواج الصاخبة [illegible] الخاطر [illegible] ثم [illegible] ساحة الاحتفال ، وأنا أسائل نفسي – أما كان يحسن بي أن أتم [illegible] جيوفانا ؟! ..

لاحت لي المدينة كمجنونة [illegible] نشوة الفرح التي [illegible] العيد ، وقد [illegible] كتلة من النيران ، [illegible] الناس وهم [illegible] من الخبل [illegible] ، [illegible] الساحة [illegible] « [illegible] النيران » [illegible] ، وقد تناسيت جيوفانا حتى [illegible] الصراخ ، [illegible] القوم [illegible] أمامي !

كانت في [illegible] رجل [illegible] أريها [illegible] ، بينما أحاط الرجل [illegible] بذراعه ، ومضى [illegible] طريقاً وهم يتضاحكان في [illegible] ، [illegible] في [illegible] الرعد ... إذ كان يخيل لي أن الرجل [illegible] ، التي [illegible] جيوفانا [illegible] ، [illegible] إليه –

وقفز الخنجر من جيبي إلى يدي ، مكثت أعمده في ظهر

وبينهما لم تدم كركة من الليل إلى الساعة ثمانين ، فلاف بيني وبينها ، فقد مضت لم يلبث ثمة أن جيوفانا وحدها ! ...

ولك أن تتصور موقفي ، ولقد أحسست ثورة الغضب ، بيد أحد المتجر غمر راحة يدي ، وحكاك القوم تتكسر وحتى أنهم جميعاً يعرفون قصتي ويسخرون مني . بيد أن إرادتي كانت قوية لم البث أن أمسكت لنفسي إلى حيي وأنا أحمل النفس على الصبر وعللتها بالأماني ، واندمجت مع القوم

وما لبثت أن ظفرت بثمرة صبري ، إذ عثرت على جيوفانا وصاحبها في طريق « فيكولو أمبرتو » ، ورحت أقترب منهما حتى بات في وسعي أن أحصي الشعيرات خلف رأسيهما ، أو أن أحل الرباط الذي يشد القناع على وجه صاحبها . ولكن يدي لم تمد لمحاسبة المتجر منه الى ، فقد وجدتني في أهدأ الحالات ، أعيش اللحظة اللازمة لإنجاز انتقامي دون أن أعرض نفسي لأحد الأخطار

سبقتهما في دربي « فيكولو أمبرتو » وهما يسيران في صحبة من القوم لاهيين ، وقد غابا في غمرة سحيقة أسمعهما ما عرفني ، حتى أنهما لم يختفيا عني مرة واحدة

ثم لحظة واحدة يا سيدي .

وهما أوى من غمشه على رحابه الشراب الفارهة ، وطلب في النزل — وسمعته يسأل جيوفانا عن مفتاح الغرفة ، فأجابته بصوت لم يحن قصبها لإطلاق وأمثالها ، وكأنما كانت متدعمة حنانه ساخراً حتى تلك الساعة المتأخرة ، في جو البهو الرطب البارد ، يتناول الشراب مع شخص أجنبي لم يعني في التعرف إليه

ثم هو يحمل زجاجة جديدة من الشراب ، فأعد عنده ثانية وتابع حديثه وكأنما لم يقطعه على نفسه

اتبعته في الطريق ، حتى وصلنا إلى ألحرى تلقى إلى جبها وجهل بعيد المنازل الفرجا .

لم أصدق عيني وأنا مجدو في خطا في الطريق ، فقد كانت جيوفانا بأسرها — لا الحل وحده — تعرف أنني خطيب وأنا سأصبح بعد قليل زوجها . ومع ذلك ، فأنها أرادتها قبيل الزواج ببضعة أسابيع تختار شخصاً غريباً على أثر إخلال بسيط صغير من عمراً وعدت بدرك ذي شخصاً التقطته من بين الأمواج المتدفقة في ساحة « الكرنفال » !

وراح في بيتها ، بيد أنه عن في الطريق يسير قريباً منزلاتها فالى أبعد من ثلاثين خطوة ، حتى سقط في أثره ، وقد مررت

— بعد أن رأيت ما بينه وبينها من ملاقية ... أن القوم عرفوه الذي يستحق ... كان يجب أن يموت ، وكان يستطيع أن يموت هو أيضاً ، ولكنه الأجدر الأخلاقية في تلك الجزاء .

كان من السهل أن أقتله في ذلك الطريق ذات الأسوار المظلمة ، التي لا تكاد تعرى على مكانه الظلام الطاغي — ولكن ألا يجوز أن يبصروا بي ، فتضيع مني متعة انتقامي ؟

وسمعت المجوز مرة أخرى ، لم يرع عن الإجابة متهلاً ، متهلاً كما سبق ، بيد كل النعمر قد اختلى كبد السماء ، ولرداء صوته التعس نافقاً ، حتى رأوا لنا الأمر اضطرابه ، وكأنه يسد فمه الصبح الرهو ، حتى إذا أخرج كلمة من جوفه ، ما يلبث مغالباً ضيقه

« سيدي تقدر موقفي يا سيدي ، فقد كان علي أن أحرص على حياتي ، حرصي على كنز عين ، حتى أتم انتقامي كاملاً ، وعهد لا يجاري إلا إذا فرغت من حساب جيوفانا على ما قدمت .

ومع ذلك خلفت أتعقب الرجل

والظاهر أنه كان قد استطاب السهرة « شعشعة » أحد المرحين أثناء المهرجان ، فراح ظلة الطريق يمرها يمنة ويسرة ويضرب بها جمهور الناس خلال الزحام وهو يضحك مرحاً لاهياً في متعة من ذلك الذي يصحب عطاءه سعداً عندما تضاءل في حياته

كان لم يكن يبقى احتجاب أنظار القوم ، فكان يسخر من كل فتاة أو شاب يعترض طريقه ، ويهزأ بكل عجوز أو كهل يصادفه ، مرسلاً قهقهته عالية في الجو ، وكأنما هو لم يكتب بما يمر به من سعادة في رفقة جيوفانا ، دأب أن أوصل أخبوثته هذه أخرى ، أحاطها بذراعه ثم وضعها معه ، وقد سخر صوبها وهو غير مكترث بي ، ولذلك كان يحمل خموداً ويسرة إلى ما إلى مشرب ومع يصرعها فيه بغير حساب

ما كنت أرى وجهه ، فقد كان قناعه يخفيه ، بيد أنني كنت أرى أنه قد وفق في أن يسمو بالروح الطيبة التي ظهرت في المشرب وطفت على كل من فيه ، ثم تفرق الجميع كل إلى وجهته ، فعاد وحيداً يسلك طريق « أمبرتو » ،

وهنا وجدت الفرصة اللائقة

كانت الطريق مقفرة ، ولم يكن ثمة من يرانا ، وحتى لو وجد أحداً فقد كان الظلام المسدول على بين المصابيح ، لا يدع لأحد الفرصة كي يتأملنا جيداً ! ثم أنت لن أستطيع مكانه ، ورحت أنظر إلى وجهه الذي كان شاحباً ، تعلوه كآبة تبعث في النفس

الرعب في مشيته كنت متوترا، وقد أحدث الوقائع التي حدثت في ذلك اليوم شتائج متزاحمة في رأسي، كان هناك حبي لجيوكاندا وحيرتي وحقدي، ثم، مسيو الكمونت القوي. كل هذا كان يحتشد في حلقي حتى أحد الشعب يتوحش في عماله، وأحسست بسكين حيث كتفي الأيسر، ثم هويت إلى الأرض بينما كنت أشد خنجري في ظهره بكل ما أوتي به الحقد والغيرة من قوة!

سقط الرجل عند قدمي جثة هامدة غاضبة، وما زال الخنجر مغروزا في صدره. ولكنني لم آبه لذلك، ولم أسع إلى الفرار... ولعل هذا أعجب ما حدث. فقد كنت أجري قبل جيوكاندا، ثم أتحسر، ولهذا لم أجد ما يحث على الفرار!

لم أك أدري لذلك كله سببا؟ غير أني أدركت من بعد، أن حقد الإنسان لا يطيعه في كل الأحوال، وإنما هو في المآزق لحرجة والمآسي المروعة يجبره عليه ليعمل بإملاء روحه..

جررت الجثة إلى مدخل البيت المظلم في الطريق فاستندت ظهرها إلى الباب حتى بدا صاحبها تحت ضوء المصباح الغازي الضعيف المعلق فوق المدخل، وكأنه مغمى عليه. ثم انطلقت في طريقي بعد أن ابتعدت عن المكان الذي تركت فيه جثة غريمي لم يعد لي بعد هذا إلا أن أصاحب جيوكاندا، فلذلك بحثت عنها طويلا، ودققت الباب ثم ولجت...

كانت أسرتها ما تزال غائبة في «الكرنفال»، وكانت هي لم تأو بعد إلى فراشها، فما لبثت أن هبطت لملاقاتي...

وكنت أقف في الحجرة التي اتجهت إليها عند حضوري، متكئا إلى منضدة في مواجهة الباب، فعندما دخلت ما رأتني حتى حملقت في وجهي دهشة وسألت:

— لماذا حضرت الآن؟

فأطلقت ضحكة عالية، ولم أجب بغير كلمة. ولكن راعني ما لاح على محياها من الفزع؟ غير أنني لم أفكر في أن هذا قد يكون ناشئا عن هيأة مظهري ومن إهمالي لنفسي. وأنها ظنت أني حضرت إلى أنني كشفت خيانتها، فكان هذا مصدر رعبها، ولذلك صحت بها:

— ما أنت؟

— نسيم من؟

من؟ الرجل الذي أوصلك إلى باب هذا المنزل منذ ساعة

— إنني لم آت بسؤالك عن الماء.

لاح بي أن كانت تتعلق من حقيقة الأمر... ولا بد أن له شخصا آخر فضلا عن عجز مظهري ولكنه إلى شخصين فلما أصبحت إليها ما حاولت أن أضحك ولكني كنت أبدو الحيرة والقلق، ولما وصلت على وجهها قناعا زائفا ... ثم كان موعدنا وهذا الذي موقفي من جيوكوندي، وهذا ما لا يعرفه سوانا؟ ..

— يا أمي... ولكنني لم أغادرك إلا متأخرا عن موعدنا...

حيل إلي أنها ظنتني مخمورا أو كاذبا... وتراءى لي الأمر ... فطلبت سفها بعد ملتي الشك في صحة هواي الخائنة! بل لقد أيقنت أنني مجنون، فرفعت القناع القرمزي عن وجهي وأطرحته إلى الأرض ثم... تذكرت الرجل الذي طعنته مستندا إلى الباب في تلك الطريق المقفرة بعد أن سبقته. وإذ ذاك خيل إلي أن ثمة قوى خفية تسيطر علي وتدفعني إلى أن أغادر البيت الذي دخلته لأعثر على جيوكاندا، فغادرته وأنا شبه مجنون، تسوقني قوى خفية — رغم إرادتي — إلى حيث لا أدري..

وجدتني أخيرا عند باب بيتي... وكان المنزل مظلما عند ما ولجته، فأغلقت الباب خلفي وتحسست... وإذ ذاك سمعت والدي يصيح متسائلا عن القادم، ثم كان ملازما حجرته لمرضه فلما وصلت إليه، وجدته جالسا في الفراش، متدثرا بالأغطية، وعلى ركبتيه كتاب مفتوح، وإلى جانبه المصباح... فلما رآني صاح مرتاعا:

— آه، أهذا أنت؟ ... وأين أرميرو؟

والآن... لعلك تذكر أنني أشرت لك في بدء القصة، أنه قد كان لي أخ أصغر مني كالأخ، وأنه كان يشبهني كل الشبه، إذ كنا توأمين

صحت بصوتي أسأل والدي:

لماذا سيدي؟ ... إن أرميرو في البحر...

بيد أنني لم أتم كلامي حتى خالجني شعور رهيب، كاد يخلع قلبي من الرعب، بينما صمت والدي برهة

فقد عاد أرميرو اليوم، فانطلق يبحث عنك، بعد أن أخبرته أنك في وسعه أن يعثر عليك عند موعدك مع جيوكوندي في الساعة السادسة، إذ أخبرتني أنك ستلقى جيوكاندا..

وإذ ذاك، شعرت بالأرض تميد بي، فتهالكت على مقعد

بجوار موقد ... ، وبصحبة أنزل دون وعي

— لقد ناصرت من قومه ، وسيقي أرتورو إلى حتفه ، ملك جيوفانا إياي ، وتعجب إليه ، ولما كان يعرف أن حبيبتي قد شاءت — ... في الزواج ... أن يجمعني على أنقاضها ، وبعد أن طاف برهة في ... ، ... حتى ... ثم ... وهو ... مشتعلاً ... عند ... ، ... الأمل في أن يظفر ... في الفصل الذي ... بعد أنه لم يك يعرف أني أمسكته طيلة ذلك الوقت ، ظاناً أنه شخص غريب ... ، وأوقد في أعماق ... الشر.

فانتفض واقفاً ... في ... ، وكأنما أصابعه ... ، وصاح :

— ... ! ما الذي ... ؟ أين أرتورو ... التي لا تزال في صدره

... هذه الكلمات وأنا ... كل ... ، كأن ... أشباح شخص آخر كنت لا أستطيع أن أتصور ما حدث ، وأن أعتقد حقاً أني ارتكبت تلك الجريمة !

أجل يا سيدي ، كان ... ما حدث

وأطرق الرجل ... ، وكأنما ... الأسى ... الذكرى ، ثم ما لبث أن عاد يقول

... لم ... ، ... أحدهم في ... ، كما أرويها لك الآن

وما لبث بعد ذلك أن ... جيوفانا ، ... إلى ... ، فاستقر بها المقام ...

كان ... سنوات ، وقد ... عقب ذلك في الحياة ، دون أن يوفق إلى جمع ثروة أو عقار ، فلم ... إلا ... التي ... أخيراً ؟

ومع ذلك فأنا في ... الرحلة ... !

... من ... ، ... إلى الغرفة التي ... كنت ... في ... ، ... أتأمل شعاع القمر ... ساقطاً على جدار ... ، وأصغي إلى ... أشجار ... بجانب ... الأخير ... ، ...

— ... إلى ... أخيراً ! ... أن ... حتى الآن في انتظاري

محمد ...

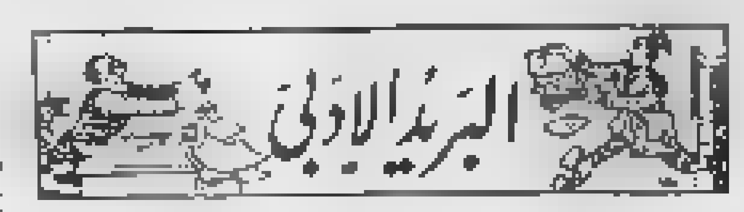


## تعقيبات

١ — قرأت كلمة العالم اللغة المتواضع «أزهري (طنطا)» في العدد الـ ٣١٧ ذهب به الكتاب والرواة إلى أن أفلاطون هو الذي قال: «لا تقسروا (تكسروا) أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم». ويطول لي أن أعود إلى مناقشة ذلك العالم ومناقشته، فأخبره بأن هذا القول ورد منسوباً إلى أفلاطون أيضاً، في نحو أسطر من «... يحيى الآداب» — مصر ١٩٣٥ ص ٣٣٧

٢ — كنت استشهدت في مقال «مناقشة ومناقشة» (الرسالة ٣١٦) بكلمة بليغة لابن شبرمة، وهي: «ذهب العلم إلا غبارات في أوعية سوء». فعقب صاحب «الأدب في أسبوع» في العدد التالي إلى أن هذه الكلمة ... مظلم النور». فقال — مسترسلاً —: إن تحرير روايتها يكون بوضع «غبرات» (أي بقايا الشيء) موضع «غبارات». وعقب لأجل ذلك قولاً لعمرو بن العاص وآخر لأبي بكر الشبلي، وردت فيهما كلمة «غُبّر» وجمعها «غبرات (الآل)» ليقيم الحجة للعثرة أنها الفتاوى(1). ثم خرج المعترض من وراء ذلك تعقيبه على التحرير والتعريب، وهو يقول: «فمن كانت عنده نسخة من العقد الفريد (طبعة بولاق) فليصححه». (وذلك لأن تلك الكلمة مثبتة في العقد وروايتها «غبارات»).

ألا إن مثل هذا الضرب من التصحيح ينطوي تحت ما يسميه علماء الفرنجة خطأ المنهج في النهج الذي يجرون عليه في تحرير المخطوطات والمطبوعات: «التحكم في رواية النص» ويصح القوم في ذلك ... اليوم (وهو على كل حال مسألة انتقاد من ... وأخطأ في عهد ...). وقد عنيت بكتاب «الإمتاع والمؤانسة» (الرسالة ٣٢٧) مثل على ذلك التحكم. وبيان هذا أن نص رواية من الروايات لا يرضي إذا صح نسبةً وإسناداً وبياناً؟ وليس للقارئ أن ... دونه بمحض التسمية على أن يطلق على ... أو على ... وتوجيه؛ وإن صح رأيه من جانب، وعلى هذا يجعلنا أن الغبارات — أي البقية منه الغبار القليل(1) ... الرطل المعسّل فسد ما فيه وحقق في روايتها، فلا خطب ... إلى ... جلاب مستشار، قد يجوز على بعض الأذواق. ولو كان استشهد المعترض بنص ورد فيه قول ابن شبرمة و«الغبارات» فيه «غبرات» لكان رأيه نجا من عيب التحكم؛ ولو كان عيب مستنداً فيه «غبرات (الآل)» قلنا «أوعية» سوء أو نحو ذلك لكان رأيه مقبولاً؟

هذا والغبارات وردت في عدة طبعات بولاق (مصر ١٢٩٣) للعقد الفريد، كذلك صحيحها في طبعة المطبعة العثمانية مصر ١٣٠٢ ج ١ ص ٢٠٥، والمطبعة الشرفية مصر ١٣٠٥ ج ١ ص ١٥٥

وبعد، فإني أريد أن أكون حسن الظن بالمعترض في أنه لم يكتب ما كتب عن غرض ... «إن العالم الذي أتقن ... الدكتور بشر فارس قد ...». وهاك في دار الكتب المصرية — أتاحها الله عوناً للمحققين — وإلى جانب الصديقين الأكرمين (ولي الناس من يكرم صداقته) الأستاذ كامل المهندس رئيس قسم الفهارس العربية، والأستاذ عبد الرحيم محمود المصحح بالدار، وبين يدي جانب من نسخة مخطوطة قديمة تصعد إلى المائة السادسة(2)، مشرقة الخط، مشكولة، إنما هي الجزء السادس من كتاب العقد، وهو يحتوي «كتاب الياقوتة في العلم والأدب». وفي أسفل الورقة الـ ٢٢ ما نصه بالشكل الكامل المحكم: «ذهب العلمُ إلا غبارات في أوعية سوء».

هذا كله في أرجحها بالنسبة لمعترض أن يقول

بشر فارس
دكتور في الآداب من جامعة باريس

---

(1) ثبت منه أن ... هو الغبير، والغبيرة النبيذة ... «وأصبت إلى ما غبر من ... مشروا» ... في مطارحة ... عن البيضاوي

(2) طيب العثور عليها الأستاذ الشيخ محمد عبد الرسول مفهرس المخطوطات العربية في دار الكتب، وهي مخطوطة غير التي عول عليها طابعو بولاق، ... المعترض ... عند الرسالة، ورقم المخطوطة ٦٠٦ أدب

«الرجل الغامض»

جاءت في العدد ٣٢٧ من الرسالة مقالاً في البريد لكاتبه الأستاذ إسماعيل أدهم يحاول فيه أن يرجع تعبير الدكتور بشر فارس هو «أدى رؤوس طرباء» إلى تعبير إيطالي يقاربه في ترجمة الكاتب المسرحي لويجي بيرانديللو عن ترجمة تركية

ونحن لا نريد أن نناقش هذا الأسلوب في ترجيع تعبير إلى آخر في غير اللغة التي كتب بها مباشرة (من الإيطالية إلى التركية ثم إلى العربية)، وإنما نريد أن نبين للقارئ كيف يعمل الأستاذ أدهم طريقته في «الرجل الغامض» (وليرجع هنا إلى مقالة الدكتور بشر فارس نفسه في هذا العدد: الرسالة ٣٠٩، ٣٣٠) وإليك الحديث:

لقد كتبت رسالة عن الكاتب المسرحي لويجي بيرانديللو ونشرتها تباعاً عام ١٩٣٥ على صفحات مجلة الحديث الحلبية، وذلك بمناسبة فوزه بجائزة نوبل، وكنت أثبت في هذه الرسالة المصادر الأجنبية التي اعتمدت عليها في اللغة الفرنسية، ومن بينها كتاب مستر من أوربا Carte d'Europe لمؤلفه الناقد Daniel Rops وفي هذا الكتاب وغيره وردت مصادر إيطالية وجب من كتبه البحث أن أذكر عناوينها، ومن هذه المصادر كتاب L'uomo Segreto أي «الإنسان الخفي» لمؤلفه فردريكو فرديلي

وقد تبين لي بعد ذلك أني أخطأت في ترجمة عنوان هذا المصدر بأن ذكرت «الإنسان المقدس لمؤلفه فردريكو فرديلي» وجاء هذا الخطأ نتيجة وهمي أن كلمة Segreto تفيد «مقدس» والصواب أن الكلمة التي تؤدي «مقدس» هي بالإيطالية Sacro وهكذا يرى القارئ أن مصدر خطئي جاء من تقارب حروف اللفظين الإيطاليين

هذا وقد استند الأستاذ أدهم في مقاله المذكور آنفاً إلى هذا الكتاب، وادعى أنه راجع ترجمته التركية (ص ١٠٨ - ١١٩) فذكر عنوان الكتاب هكذا: «الإنسان المقدس». ونحن نقول إن هذا الكتاب لو كان ترجمه أحد إلى اللغة التركية فمن الممكن أن أخطئ في ترجمة العنوان وهو سهل الألفاظ واضح. (ولا تشكل الترجمة خطأ ولا يحول عيب بطلانها)

والحقيقة أن الأستاذ أدهم نقلها عن هذا العنوان نقلاً — كما رأيت — من صلب الرسالة التي كنت نشرتها في مجلة الحديث عام ١٩٣٥ كما نص

ويزيد من هذا أن الأستاذ أدهم في كتابه أشار إلى الكتاب المذكور استناداً إلى الترجمة التركية (١٩٣٠) على صحيفة ... «نوبل الحكيم — الفنان الخالد» تحت عنوان ... ذاته في حدود مصادره باللغة الإيطالية كأنه اطلع عليه ... إلى ترجمة تركية لكتاب ... أن اطلع عليه في لغته الأصلية إلا لأنه يعرف أن التركية الحديثة غير شائعة عندنا، فمن يتتبعه!

وربما كان الأستاذ أدهم في هذا الصدد قد ... الرسالة الترجمة التركية المزعومة بمجرد الاطلاع عليها والإفادة منها

محمد أمين حسونة

## الحجر على الخليع

سيدي الفاضل الأستاذ الزيات

تحية وسلاماً. وقع نظري على إعلان صغير نشر في جريدة البلاغ يوم الجمعة الماضي أو السبت الذي قبله على ما أذكر، وقد أردت أن أحتفظ بالعدد المنشور فيه هذا الإعلان ولا حيث أحتفل به ... لا يأبهون بما فيه، ومع ذلك إليك نصه (وفي وسعك أن تراجع أعداد البلاغ المشار إليه للتحقق منه):

«في يوم ... سنة ١٩٤٠ سيجري بيع المنقولات الآتية وهي ... (تركة ...) ملك ... وهذا البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالي وزير الأوقاف وفاء لمبلغ ... قرشاً»

وكان بودي لو نشرت ذلك لأعلق على هذا الإعلان اللازم بعد أني خشيت أن يكون في نشره ... أو ... في جد طفل ... والموضوع يحتاج إلى صراحة ... القلوب، وأنت ... البحث، ... من التقاليد المكتوبة، ... في معالجة الأمور ... أكثر من ...

إن بعض القوانين تحرم الحجر على كثير من أنواع الخليع ... بالحجر على القوت الضروري ... الأوقاف على أموال هذه ... المكثرون من أبناء الأثرياء الذين أسرفوا أموالهم على الخمر والقمار ... أصبحوا يعيشون على ... من المرتبات التي تصرف لهم من الأوقاف من غير استحقاق أو عمل يصدره لا ... وها هي ذي ... هؤلاء ممن يعرف

وبما يرجوه ... أن يصدر هذا التصرف الشاذ في عهد وزير ... حق ... الشؤون الاجتماعية خدمة الإنسانية

حتى يعرف الفرد بالتقتير إذا كانت وزارة البر والإحسان تأخذ اللقمة من فم الفقير لتطعم بها أبناء الأعيان أو تزين بها مكاتب موظفيها بأنواع الأثاث الفاخر!

يا لله! ... وزارة الأوقاف تفرع من تقتير «سنة وآخر» وكيلة عنه «وعن التقتير كل ما يملكه من حطام الدنيا!

أين الرحمة؟ أين الشفقة؟ يا للإنسان من ظلم الإنسان!

[illegible]

## استفهام

في كتاب «تاريخ الأدب» المقرر بالمدارس الثانوية تحت عنوان «نماذج من شعر المخضرمين» شعر لأبي دهبل الجمحي على أنه مخضرم، وعلى أنه قيل في مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأول الأبيات هو:

إن البيوت معادن فنجاره ... ذهب وكل بيوته ضخم

ويروي الأغاني في الجزء السابع «طبعة دار الكتب ص ١٣٤» أن هذه الأبيات في مدح عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بابن الأزرق، والي عبد الله بن الزبير على بعض أعمال اليمن. فأي هاتين الروايتين أصح؟ ومن أحق الأساتذة الأجلاء المؤلفون روايتهم تلك؟ وكيف يصح أن يكون مخضرماً وقد عاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان؟

عند أستاذنا ... أن يعرف الحقيقة ... فعلى أكثر يجد ... «محموداً مشكوراً»

قارئ

## البروفسور دوفر ويلسن

وصل إلى القاهرة عن طريق الجو في الأسبوع الماضي البروفسور دوفر ويلسون أستاذ البلاغة والأدب الإنجليزي في جامعة أدنبرة، قادماً إلى مصر بدعوة من المجلس البريطاني، والاتحاد المصري الإنجليزي، لإلقاء طائفة من المحاضرات العامة، يدعى إليها كبار رجال التعليم في وزارة المعارف والجامعة، كما أنه سيباح الاستماع إليها لكل راغب في ذلك.

وسيلقي الأستاذ دوفر أولى محاضراته في الساعة السادسة من مساء يوم ١٤ مارس الحالي، بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية، تحت رعاية الاتحاد، ويتحدث فيها عن «شكسبير ومصر».

ويلقي بعد ذلك محاضرات أخرى عن نظم التعليم الحديثة في انجلترا وعن الحياة الاجتماعية والسياسية في لندن يلقيها في المعهد البريطاني وفي دار الجمعية [illegible] ثم يلقي محاضرات أخرى في الإسكندرية وبور سعيد والسويس.

وللأستاذ ويلسون أبحاث قيمة عن شكسبير ومؤلفاته، وإليه يرجع الفضل في إخراج الطبعة الحديثة من مؤلفات شكسبير الشاعر العظيم التي أصدرتها جامعة كمبردج أخيراً. وقد أخرج في شئون التعليم وطرقه كتباً يسترشد بها رجال التعليم في انجلترا إذ كان أستاذاً للتربية والتعليم في جامعة لندن، ثم أستاذاً للأدب الإنجليزي في جامعة كمبردج.

## حول لقب السفاح

قرأت في مجلة (الرسالة الغراء) في الجزء ٣٤٢ وغيره ما كتبه الكاتبان الأستاذ محمود شاكر والأستاذ السعيدي عن (لقب السفاح) ويجب لتعزيز الأستاذ السعيدي — في ما قاله الأستاذ السعيدي — إن الروايات التاريخية القديمة كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم والبلاذري والدينوري وطيفور والمسعودي والطبري والتوحيدي والكندي لم تلقب (أبا العباس) بالسفاح فالمؤرخون كالمحدثين على تلقيبه بذلك، بل هو أشهر من لقب بهذا اللقب جاهلية وإسلاماً.

ونقل من المفيد أن أنقل ما قاله الحافظ بن حجر في كتابه (نزهة الألباب في الألقاب) من مخطوطات دار الكتب المصرية قال: «السفاح أول خلفاء بني العباس، هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. ولقب به من القدماء سلمة بن خالد بن كعب التغلبي رئيس بني تغلب أحد فرسان الجاهلية، وقيل له ذلك لأنه سفح المزادا يوم الكلاب الأول».

[illegible]

## حول لوبيا المجهولة

حضرة الأستاذ علي مصطفى الطرابلسي

قرأت مقالك المعنون بلوبيا المجهولة في العدد ٣٤٤ من مجلة الرسالة الغراء، فكانت دهشتي منه كبيرة، ولو كنت تعلم أن الإنسان الذي حلت عليه تلك الحالة يحس في قلبه شيئاً من الأسى الممض والألم المبرح على شقيقتنا (طرابلس الغرب) الإسلامية العربية ... أحرص على إتاحة قلبه بكتابة ذلك المقال ... لو كنت تعلم أن ذلك الإنسان لا يعترف بالوطنية الضيقة، بل هو يعتبر كل وطن إسلامي — بله العربي — وطناً له

يعتز به ويفخر بالانتساب إليه ويعتقد أن له عليه من الحقوق مثلما لوطنه المولد ... ما جرحت قلبه بمثل ذلك الرد

ومع ذلك فالذنب ليس ذنبك ولا هو ذنبي ، إنما هو ذنب السياسة وسياسة الظروف ، وكفى بأستاذنا الزيات شاهداً على أني ما أغفلت ذكر طرابلس الغرب من كتبي ولا سهوت عن معتقدي فيها

لقد ذكرت طرابلس الغرب على انفراد وفي أسطر خاصة ، لأن لها في قلبي مكاناً مختاراً ، ثم جاء ظلم من الأقلام هذه المرة ربما الظروف الحاضرة ... ولم أجمعها في معنى واحد من « الشمال الأفريقي » لأن هذه المنطقة بفعل السياسة أصبحت لا يراد بها إلا الأقطار الواقعة تحت حكم فرنسا أو استعمارها وهي تونس ، والجزائر ، والمغرب — أقطاراً ما زالت عصرة الأحداث مقصرين في حقوق الحضارة الشقيقة وحاملين عهودها وبلاد وعصب التي ينتظر لها كل قلب عربي مسلم ؟

ثم أسألك كيف جاز لك أن تسمى طرابلس الغرب « ليبيا » وهو لفظ أطلقته عليها السياسة تمحو به الحق العربي ، والتاريخ العربي لهذه البلاد ، وتنقل السامعين به عوداً إلى عهدها الأول من الإسلام يوم كانت أحد أجزاء الإمبراطورية الرومانية ؟ وأنت طرابلسي فهل ترضى أن تسميك إلى ليبيا !

إن المسلم حين يسمع لفظة ( الأندلس ) يمر بخياله تاريخ مجيد للإسلام والعروبة ، مضى وترك مآسيه مخطوطة في القلوب ؛ ولكنه قد لا يمر بخياله شيء من ذلك بعد سماع لفظة ( أسبانيا ) ، مع اعترافي بأن طرابلس الغرب أمة عربية خالصة تكاد لا تمحوها الأسماء ، لكن شديد الحب يأبى ... العرب وحدة لا تتجزأ ، وفي المعجم العربي ... في مسقط وصناعه وفي تعميم أواصره بين حاضر هذه الأزمان وبين سلفه من الأوطان ، والسلام عليكم ورحمة الله (القاهرة) « أنور المعداوي »

تصويبات في العدد الماضي

جاء في آخر المقال الافتتاحي ( محمد الرحيم ) « قد جاءتكم بصائر من ربكم » والصواب جاءكم

وفي مقال الأستاذ البغدادي « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » والصواب حذف ( كله )

وفي مقال الأستاذ قريد وجدي : « ولو على أنفسكم أو الأقربين » والصواب ( ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين )

# ٣ — وحى الرسالة

[ من واجب « الرسالة » أن تنشر ما تعقل ... الأدباء الزملاء والأصدقاء من مقالات النقد وجميل الرأي في كتاب « وحي الرسالة » تسجيلاً لفضل هؤلاء وشكراً لهم ]

قال رئيسة المقتطف في عددها الصادر في أول مارس

قال الأديب ... « قارئ العربية ... ضروب شتى عنده المنسوبة مما كتبه الرسالة في ست سنين ، وكان من عادتي أني أكتب الفصل منه أسبوعياً من كل أسبوع ، ثم لا أكتبه طوعاً لخاطر قراءة ، أو عبرة فكرة ، أو تصحيح رأي ، وإنما كان أثراً لوحي حادثة أو حديث يومه أو معنى أسبوعه ... من جزئيته متصل بمنابت ... ملابسة للحادث ، وتحقق مناسبته في التاريخ ؛ لذلك أثبت كل فصل بذكر اليوم الذي كتب فيه ليتضح موضعه حمله ورضاه وظرفه »

هذه خير ما وصف به هذا الكتاب . فأنت ترى أني لا أستطيع أن أزيد في سعته من حيث التأليف والتبويب ، ولكني أستطيع أن أضع بين يدي قارئه بعض الرأي في أدب صاحبه

وأنت إذا تناولت هذا الجزء فقرأت فهرسه ، رأيت مائة وعشرين باباً من أبواب الفنون قد اختص « الزيات » بعضه وشتاها برأيه ، ومحضها حسن بيانه ، ولكل باب منها غرض ، ولكل غرض أسلوب ، ولكل أسلوب لفظ يصلح عليه ولا يصلح سواه ... ولو كان الكتاب كذلك كانت الملكة فيه أظهر من ملكة التأليف المرسل إلى غرض واحد لا يحسن إلا الاعتناء بأن الغرض الواحد قلما يخرج أسرار البيان من قلب الكاتب وحسه ، لأن الأسلوب إليه فيه ينحصر فإن اختلفت الأساليب باختلاف الأغراض نحس قدرة الكاتب على ما تعرض له وقام إليه من الكتابة

فإذا أنت أخذت هذا الكتاب بين يديك وسايرته فصلاً فصلاً وأسلوباً أسلوباً ، عرفت الجهد الذي ألقيه صاحبه في إبداعه ، ورأيت « الزيات » في كل أسلوب هو « الزيات » لا يختلف

ولا يتنافر ، والكاتب إنما صار إلى هذه الغاية حيث وصل هو مهما اختلفت الأغراض وتباينت الأساليب — فاعلم أنه إنما يشتق لك كل ما يكتبه من عرض نفسه ، ويضعه ويحكمها غالباً سافراً لا يعرف . وإذا كان الكاتب كذلك فهو كاتب لا يرهب لك ولا يجهل الرهب ، وهو صديقك ولا يسألك ، ويحمل لك ولا يمن عليك ، ويظلك ولا يدعي لك أنه أعلم منك ذلك بأنه قد جمع من العقل والفكر والصفاء والبيان حيث يعلم أنه معطٍ غيره لا أن القارئ معطيه ، وأنه مجتهد لا مستجدٍ ، وأنه أعرف الناس يأخذك الحديث وإن كان بمنزلة الأب

و « الوحي » — كما عرفته من كتابته — روح هادئة متمكنة مسترسلة ، فكأن ما يعمل في نفسه حين يفكر كأنه فيلسوف من فلاسفة الصين يمشي هادئاً ، ويفكر ساكناً ، ويحاسب نفسه ويكون على التسامح والرضا والاستسلام ، ثم أراد أن يقيد أحلامه وأفكاره وخواطره على هو الهادئ الساكن المتسامح ، جاء الحنق وحيث وارد أن يتفجر ، فخيل إلي أنه حين حنقه وصل لرأيس سكوناً ساجناً حانياً كماء إذا قر ثم هدأ أول مرة لا يضطرب بعضه في بعض وكذلك ترى نفسه إذا هو غضب آلماً ، ولكنه رضي غير متعب ، ويكتب على ذلك ما يحس سواعفه . وهذه الروح التي وصفتها هي التي تجعل كل كلامه نظماً صريحاً خبيرة تحكيه صفوة الألوان لا يختلط شيء منها بشيء ، ولا يجور لون منها على لون وهي التي تجعل كل لفظة مبنيةً على الإيجاز دون الإطناب ، وعلى مذهب السكة دون المذهب الكلامي ، وهنا أردت أن تبين كل ذلك فيه التبيين فلا تتكلف أكثر من أن تقرأ بعض كتابته بقول الرافعي « وحيه » التي اختصه بها في سنة ١٩٣٦

« إلى روحك الطاهرة الحبيبة — يا روحي وحياة — أقدم هذا الكتاب ، فلولاك ما أنشأت الرسالة ، ولولا الرسالة ما أنشأت هذه الفصول »

فهي في هذه الكلمات القلائل لوحة مستكنة باقية إلى يومنا هذا ، ولكنها ما كتبتها باسية هادئة لا تثور ولا تهيج ، ولكنها تسري وتخبو وتعلق في روحه القوية الحوية

هذا سر أسلوبه وأما أسلوبه وبيانه وأكثر ما يخفى في وصف تصريفه لألفاظه في وجوه أغراضه وتركيب جمله — ولا أغلك هو بقية أصحاب الأقلام العربية التي لا تخلط ولا تقتحم من هنا وهنا — فإنه إذا نظرت إلى كل جملة من كلامه في هذا الكتاب لم تجد إلا عربية خالصة مطاوعة لينة لا يتنافر حرف منها حرفاً على كثرة الأغراض التي وضع لها واختلافها ، ودل على من لا يعلم أن العربية لا مطمع في التعبير عن الضرورات الحديثة التي فرضتها علينا مدنية القرن العشرين من ميلاد المسيح

فهو أبلغ الله هذه العربية من يخلص لها في مناهج التعليم على اختلاف أغراضه وأنواعه ، وأراد أن يرد على عربيته شباب أولها حتى تكون لنا مدنية في الأدب والعلم والفن ، لوجد في الناس أمثالاً يحملون لواء اللسان العربي في هذا العصر ويوماً قد استطاعوا أن يجعلوا عربيتهم أملاً في الحياة ، إذ جعلوا الحياة أملاً فيها ، وبقية هؤلاء هو « الزيات »

السنة الثامنة
العدد ٢٥

السنة الثامنة — «القاهرة في يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٨ مارس سنة ١٩٤٠» — العـــدد ٣٥٠



بمناسبة انتصار الروس على مأساة فنلندا

# فشل العقـــل ...

فشل العقل في السياسة كفشل القلب في الطب معناه الاعتلال أو الاعتلال والموت . ونحن في مقدورنا عن أصحاب الكلام وأرباب الأقلام إلا أن نسمع ما يصنع صاحب القصر الأبيض في وشنطون ورب القصر المقدس في روما : فموضوع العقل والشعور صيحات ومآسي وأماني كلا مثل الضمير والعقل، فات ... حلق والصدى ، وكان ... منها من الأمم والناس ضميرا أمدوا ... بين الألم والسخط !

أصبحت الشعر الفنلندي أول أمس على مأساة الفنلندية القديمة بعد ما ظلت ثلاثة أشهر وصفا تقتل على مسرح من الثلج والدم اصطرعت فيه الموسولينية والنبل والبسالة والكثرة والسحق والقلة والحمية ، والعالم كله يشهد هذا الصراع الهائل وهو شاخص البصر متسمر القلب لا يملك إلا التصفيق للبطل والتصعير للمعتدي !

كان كل واحد من الفنلنديين أمام ستين من الروس ! وكان عند الواحد سليل الفخر من الحرية والتصميم والسلاح والقوة ؛ وكان هؤلاء الستون وراء صفوف متلاحقة من آلات الحديد والنار ، ومع ذلك استطاع هذا الواحد أن يمحو في أولئك

السنين تقتيلاً ونكاية وأسراً ، وهو يغوص في الثلج ويكز من البرد ولا يكاد يجد الحس، ولا القوت ولا النوم !

ذلك هو الإيمان الصادق القادر الذي يأذن به الله أن تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة . وتلك هي الفطرة القائمة على حب الناس وكرامة النفس وإيثار التضحية وتقديس الوطن . ولو أن المثل السياسي في جارتي فنلندة ساعد هذه المزايا النادرة فيهما لناصرتاها، ولكنهما استحيتا من مؤازرتها، فلبس ستالين جلد الجبان، وورثت الشجاعة في الأبد !

* * *

حاربت فنلندة مكرهة ثم سالمت مكرهة . أكرهها عدوها على الحرب ، وأكرهها أصدقاؤها على السلم ، فدافعت مظلومة، ثم صالحت كريمة . والحائل عنها في الحقيقة هو مدى القتال بين عادي وبين مستحق . على أن ستالين لم يحسب بإحراز النصر في مقاومته لفنلندة قبل الحرب ، فالظفر منها بخير مما ظفر به بعد الصلح . إنه اقتطع من أرض الفنلنديين مساحات عزيزة ، ولكنه أحدها بعد أن حسبها الرجل البطل من أعدائه عائدة ، ودفن تحت ثلجها ألف جندي من الروس منهم ألف وخمسمائة ومسيطرة طائرة ، وكل أولئك مكفن بهيبة الجيش الأحمر وكرامة مولده وقيمة عتاده .

ولو أن الدول الشمالية لم تحسب حساب العقل لتكرب قبل هذه الحرب أو انتهائها مما تتذكر فيه اليوم من التحالف العسكري بينها ، فإن ذلك كان حسبه أنه يثني الدب عن غروره ويكسر من طماعه .

ولو أن الدول الديمقراطية لم تحسب بحدود الحياد طرقت صدد السويد والنرويج لتدفع الدب الروسي عن الحدود الفنلندية الصغيرة وهل عليك من بأس إذا وقفت من أجل قطعة الحرمين في بيت جاره ؟

* * *

إن فنلندة حاربت في سبيل الحق والسلام والمدنية ، وكل لها على المجاهدين في هذه السبيل المعونة والنصرة . ولو لم يكن لها والمعتدى عليها نسبة عزة مشتركة توجب التضامن والتعاون، لكان من شيمة الطبع العادل الأبدى هو هذه الفطرة السليمة التي أدهشت العالم في مشرق الأرض ومغربها بما تأتي من المجد والبطولة وتستحق القداسة !

لقد أصبحت الشعوب الكبيرة في حرب هذه العواطف الإنسانية النبيلة، الواجبات التي يفرضها عليهم اليوم ! لقد تثاقلوا عن إسعاف هذا الشعب المقاتل وأنصر الأهل وأجنب الخصم ، فأصبح أرحامه ألف من أهله لا يجدون موردا ولا مأوى . إنهم ساعدوا العدو على التدمير ، فليساعدوا إيجابا على التعمير . ومن لم يعوض بهبات الشعوب الصالحة ، فلا أقل من أن يساعد على العطاء واللازم .

هنا أوائل الحر الرحم من حلف الديمقراطية في أوربا وأمريكا على فنلندة البائسة . وإن جماعة الشك في أن دولة حرة وحماة للمدنية سيدركون اليوم أن فنلندة أصيبت بنقص شديد في الأنفس والأموال والثمرات ، فقدت من شعب الغر العادل خمسين ألفا بين قتيل وجريح ، وخسرت من أرضها الخالي الخصب ثلاثين ألف كيلو متراً من أركان الأرض تربة وأوفرها ري . وسيدركون حتماً متى جلسوا للصلح على أنقاض الديمقراطية والنازية أن صلح فنلندة قد انعقد على دخن وبرزت به أسوأ الفصل من جرح[1]، وسيرون يومئذ أن هذه الجرح لا يزال تحت جلبته[2] المطوية يجيش ويهيج ويضطرب . ومن عرف أنه مد عاربه منهم بالقوة ، وإن لم تستطع مباشرة هذه الحرب بالفعل .

* * *

إن في أصلاب الناس وأرزاقه للبشر خيراً لا تقتضي الإنابة عنها ، فالاستشهاد بالحلفاء والمستغفرين فنلندة جديرة للأمم الصغيرة يحطم التواكل والتخاذل والعزلة . وقد قلت مرة في هذا المكان إن سياسة الإصلاح هي وحدها الأمان من صدمة السماء ، فإذا أرادت الدويلات الصغيرة التي تحكم عليها الطبيعة بالضعف لنفسها أو جوانبها أن تحافظ على سلامة حياتها وتصون شعوبها الحرية ، فليس لها غير سبيل الولايات المتحدة الأمريكية ! فإن في الاتحاد القائم على سلامة الدم والروح والحدود تظهر القوة الحامية للعالم ، والضمان الدائم للسلام !

**أحمد حسن الزيات**

(١) انعقد الصلح على دخن أي على فساد ، وانقض الجرح على بُغي أي على فساد (٢) الجلبة : القشرة التي تعلو الجرح عند البرء

# في أرجاء سيناء

## للدكتور عبد الوهاب عزام

– ٢ –

### من أبي زنيمة إلى الدير

خرجنا من أبي زنيمة والساعة ثمان من صباح الثلاثاء ثالث عشر ذي الحجة، فسرنا على الساحل بين البحر عن يميننا والجبل عن يسارنا صوب الجنوب زهاء أربعين دقيقة، ثم ملنا ذات اليسار تلقاء الشرق في سهل واسع كثير الحصى والجلال قد تسايلت به الطرق واستقامت، فأسرعنا عشر دقائق حتى بلغنا واديا تشرف على جانبيه جبال رملية مصفرة ثم جبال حمراء شاهقة، أدى بنا إلى صخور عظام عليها نقوش بخط سرياني، فنزلنا عندها قليلا والساعة عشر، ثم ركبنا فسرنا بعد ساعة في واد فسيح وجبال راسية شاهقة محمرة لا تختلف الألوان.

وجبال سيناء كثيرة الأشكال والألوان، قد أتت عليها الشمس والرياح والأمطار على مر العصور نحتاً وتشكيلاً وتلويناً، فما يزال الرائي في عجب من اختلاف جوانبها وكثرة أشكالها وقد وصفت فيها تفسيراً بيناً للآية:

«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء»

وبعد نصف ساعة من الراحة الأولى رأينا أشجاراً ونخيلاً تملأ الوادي، عرفنا أننا في وادي فاران. وبعد مسير خمس دقائق في هذه الخضرة بلغنا ديراً عليه سور قصير وفيه حديقة، وهو دير فاران التابع لدير سانت كاترينا الكبير. نزلنا هناك لنستريح في الدير ونرى ما فيه.

دخلنا الدير فرأينا مجرى ماء يرد حديقته، عرفنا أنه ينبوع الحياة في هذه الراحة الكبيرة. وصعدنا على سطح الجبل المشرف على الدير فإذا فناء متهدم من الأبنية هو بقايا كنيسة، ورأينا على عدوة الوادي الثانية وفي وسطه أنقاض أبنية وحجارة مبعثرة، هي من آثار مدينة فاران، وصوامع كان يتعبد الرهبان فيها.

وهي على ١٢ كيلاً شمال الطور وعلى ١٣٠ كيلاً إلى الجنوب والغرب من قلعة النخل.

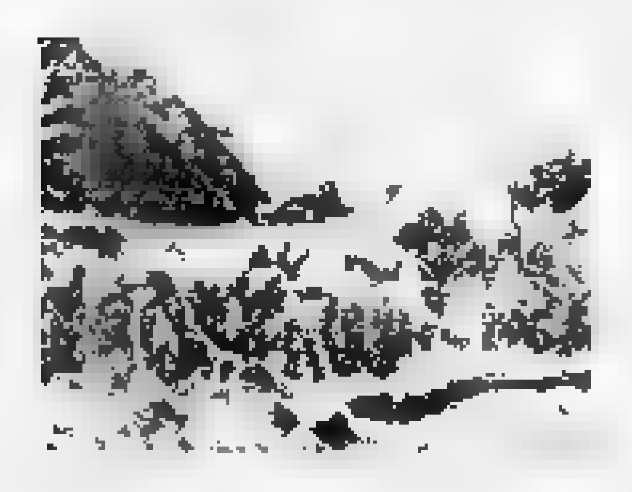

في وادي فاران

وهي مذكورة في التوراة في أخبار إبراهيم وموسى. في سفر التكوين أن إسماعيل سكن برية فاران وأخذت له أمه زوجة من مصر. وفي التثنية: «هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران ...»

وعلى مقربة من الوادي جبل شامخ جداً أمرع الجبال كلها يسمى جبل سربال، ويقال إنه جبل المناجاة الذي تجلى فيه الله سبحانه لموسى عليه السلام.

وبعد أن طعمنا خرجنا من الدير والساعة واحدة بعد الظهر فسرنا بين أشجار ونخيل متكاثف خمساً وعشرين دقيقة بالسيارة، ورأيت على عدوة الوادي اليسرى أكواماً من الطين يقال إنها قبور قديمة كان أهل فاران يدفنون موتاهم فيها.

والنخيل في هذا الوادي متروك بطبيعته لا يؤبر ولا يلقح

فسيله تشري عظام كثيرة من أصل واحد، وترى جريد النخلة أو كرمه يابساً حول جذعها ... بعضها فوق بعض لا يقطع ولكن يجف فيسقط أو يبقى معلقاً في الجذع

وقد سألت رجلين هناك: لماذا لا تقطعون الجريد؟

قالا: لنستدفئ به

قلت: إن النخل لا يثمر كثيراً إذا لم يقطع جريده كل عام، هل تعرفون ما يفعل أهل مصر بالنخيل؟

قالا: نعم

قلت: فلماذا لا تفعلون مثلهم فيكثر ثمر نخيلكم؟

فسكتا.

وبعد ... ساعة وقفة في فاران، رأينا أشجاراً كثيرة من الطرفاء، ثم سرنا في أرض جرداء إلى أن صرنا بين جبلين متقاربين مشرفين على الطريق، بينهما ممر ... يسمى «نقب فاران»؟ ثم عطفنا إلى اليمين إلى واد يسمى «وادي الشيخ»، أو وادي النبي صالح، وسيأتي ذكره فيما بعد

وجئنا إلى أرض سهلة ساعدت فيها بعض السيارات ... التي عنيت بهذه الوجهة، فوقفنا عند تل عليه مقابر ... من الطين فيها يسمى التنور، وكنيسة وقبر يقال إنه قبر هارون عليه السلام. وبعد ... الوادي ... إلى اليسار، فترى ... جبالاً شاهقة جداً، فيها واد ... ينتهي إلى بناء كبير أبيض يخرج من وراء الشجر ويتضاءل على ارتفاعه بجانب الجبال الشاهقة المشرفة عليه، وهذا الدير «دير سانت كترينا»

وقبل أن أصفه، أنقل ما ذكره صاحب مسالك الأبصار نقلاً عن الشابشتي:

«وهذا الطور هو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام. والكنيسة في أعلى الجبل، مبنية بحجر أسود، عرض حصنه سبعة أذرع، وله ثلاثة أبواب من حديد، وفي غربيه باب لطيف، وقدامه حجر ... إذا أرادوا رفعه رفعوه، وإذا قصدهم قاصد أرسلوه، فانطبق فلا يعرف أحد مكان الباب وداخله عين ماء، وخارجها عين أخرى

قال:

«وزعم النصارى أن بها ناراً من أنواع النار الحديثة التي كانت ببيت المقدس، يوقدون منها في كل عشية السراج، وهي بيضاء ضعيفة الحر، لا تحرق، ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها»

وهو عامر بالرهبان ... فلا يخلو من أحد من أهل البطالات ... فيه ... في رأيهم ...»

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة، وممن وصفه ابن عاصم قال فيه:

يا راهب الدير، ماذا الضوء والنور ... فقد أضاء بما في ديرك الطور؟

هل حلت الشمس فيه دون أبرجها ... أو غيب البدر عنه فهو مستور؟

فقال: ما حله شمس ولا قمر ... لكن تقرب فيه اليوم قورير

عبد الوهاب عزام

---

# الحرب ومستقبل الإنسان

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

---

كلما رأيت أن الحكومة تجرب أسباب الوقاية المدنية من الغارات الجوية، أو رأيت خندقاً محفوراً وعلى جانبيه أكياس الرمل، أو سمعت صفارة تطلق الإنذار وتدعو إلى الاختباء وإطفاء الأنوار، أراني أتساءل: «أترى سيعود الإنسان إلى حياة الكهوف والنيران؟» ولست أعني الكهوف بالمعنى الحرفي، وإنما أعني الحياة في جوف الأرض. وهكذا يكون مصير الإنسان يا ترى إذ ينتهي به الترقي في القدرة على التخريب إلى باطن الأرض؟!

وتذكرت «ه. ج. ولز» وكتابه «آلة الزمان» وهي آلة يصور الكاتب أن صاحبه يركب بها مطوفاً في الزمن (في الماضي أو المستقبل كما يشاء) كما نركب الآن سيارة أو عربة وترامًا أو حوذيًا — ويقول ولز إنه في رحلته بعد أن قطع مرحلة كافية من الزمن الآتي، ألفى الإنسان قد صار إنسانين — واحداً يعيش في جوف الأرض وواحداً على ظهرها. فأما الذي تحت فيها، وألف الحياة في السراديب والظلام، فقد ارتد إلى الحيوانية في مظهره وطباعه وعاداته، فهو يمشي على أربع، وبدنه يكسوه الشعر، وعينه واسعة ترى في الظلام وتحجب النور، وتؤذيها [illegible]. وهذا الإنسان السفلي صناعاته وآلاته، وهو يستدرج إلى سراديبه أبناء العالم العلوي ويفتك بهم، ويأكل لحمهم. وأما الذي بقي فوق ظهرها فصار من سلالة المترفين الأغنياء، وقد انحط وضعف وتشابه ذكوره وإناثه في اللين وصغر الجسم، وضعفت القدرة على العمل والاحتمال والصبر، وصار مصيره في حياته على العالم السفلي، وما يصيبه منه، لفرط ما أتاه من الانحطاط والطراوة.

ويقول ولز إن بداية هذا الانقسام ظهرت في زماننا، وإن الإنسان سريع ينحدر إلى باطن الأرض بيننا ومصانعنا ما خفي منها تحت الأرض، ومن مواصلتها على النظر في سراديب إلى آخر ذلك.

وقد كنت وأنا أقرأ كتاب ولز هذا قبل سنوات [illegible] عجباً، ثم وأنا أنقله إلى العربية منذ سنين أو نحو ذلك، أقول لنفسي إن ولز مبالغ، وإن الهجرة إلى جوف الأرض لا يستدعي أن يصبح الإنسان إنسانين منقسمين على نحو ما يصف، وإن الناس يختلطون ويتصاهرون [illegible] أن يصير بهم إلى مثل هذا المصير المرعب الذي يصوره ولز كأنه يراه.

ثم جاءت هذه الحرب، وعرفنا ما صنعت الطيارات الألمانية في بولندة، وما صنعت الطيارات الروسية بالمدن الفنلندية، وشهدنا صوراً من آثار التخريب في عرض دور السينما، وكنا قبل ذلك رأينا مناظر من تخريب الطيارات اليابانية في الصين، ولكن الحرب اليابانية الصينية كانت لبعدها عنا كأنها تجري في غير كوكبنا، ولم أكن أتصور أن تجري الحرب على هذا النحو في بلد قريب. ثم أصبحت الحوادث [illegible] وعرفت مواضع الأمم المحاربة وبلادها الكبيرة في ظلام دامس، وكانت حكومتنا تتخذ الأهبة لدفع الأذى من [illegible] إننا نعيش في حرب [illegible] الأنوار إلا أقلها، [illegible] وأطفئت الأنوار الكاشفة في الليل، [illegible] نفسي أتساءل: أتراني لا أزال أعد ولز مبالغاً في التهويل ومشتطاً في التصوير؟

فهل سيكون الأمر بعد هذه الحرب؟ أتظل [illegible] من الأرض وتتم الصنائع على ظهرها؟ لا أظن؟ إلا إننا انتهينا إلى حد لا تنال معه القنابل المدمرة والمحرقة، وحتى [illegible] جداً — كما يقول الناس — [illegible] فإن العلم الذي وصل إلى ذلك خليق أن يهتدي إلى ما يحميه، [illegible] أن كل ما يخترعه العلم يسخر لأغراض الحرب كما يسخر لأغراض السلم. فلا سبيل إلى السلامة إلا بالفرار إلى باطن الأرض، ومن يدري؟ عسى أن يكون له أثره في هندسة البناء أو [illegible] في شيوع طراز جديد، فقد ظهرت في البلاد

الغازية سحائب ذات طبقات كثيفة في جوف الأرض يلجأ إليها الناس ويحتمون بها من الغارات الجوية.

وفي هذا المعنى يقول الجنرال جوشيري في فصل له نشره بمجلة Monde Souterrain وشغله فيه بحث بريطانيا: « إن الحرب الحديثة تعرض سكان البلاد كلها لأخطار القتال، وتفرض على الأمم أن تحمي الأهمية السكانية المتاع التسلح، ولهذا يستوجب أن تجرى الأعمال الحيوية كلها — من مدنية وعسكرية — في جوف الأرض، ومن الحق أن الناس كل المدينة يجب أن يكون له مخبأ حصين أو منطقة يجلى منها عند الغارة، ولهذا يستطيع أن يكون بعيداً عن الناس كل الغارة، إذا اقتضت الحاجة الالتجاء إليه ».

ومن أبناء هذا العصر، من يستغرب أن تنتقل حياتنا من فوق ظهر الأرض إلى بطنها، فإن ظهر الأرض معروف في أذهاننا بالحياة، أما بطنها فمعروف بالموت والدفن، ويمكن أحفادنا لن يستغربوا هذا التحول، أو ينكروه، لأنهم سيألفونه من الصغر. والبيت من يجرى على نصحي الفارس والمستضعف، كما تنص اللوائح في جوف الأرض! وإلى أي حد يا ترى يضطر الإنسان أن يحفر وينقب، ويسوى ويوسع؟

وفي الأيام — بل القرون الطويلة والأعصر البعيدة — يألف الإنسان بطن الأرض، ويطول مكثه فيه، ويقل خروجه إلى نور الشمس، وينكر آلاف السنين ومئات الآلاف، والناس أكثرهم يسعون تحت الأرض ولا يكادون يبرزون إلا في الفترة القليلة والمدة المفرقة. فيكتسب الإنسان خصائص الحيوان الذي يأوى إلى الجحور، ويصدق ما تنبأ به هـ. ج. ولز في كتابه « آلة الزمان ».

وكيف سيكون الحروب يا ترى في ذلك المستقبل البعيد، إذا بقيت الحروب عنصراً من حاجات الإنسان؟ أحسب أن انحباس الإنسان في جوف الأرض سيكون بداية انحطاطه، وفي احسب أن يكون رعب الطفل منصباً إلى احتضاره وموته! وتلك جناية استخدام العلم في الحرب، فإذا تجنب الحروب عند مآل الإنسان، ولا نجاة له من هذا المصير إلا بالقضاء على الحرب، فما أرى، أي بإمكانه من بواعث الانحطاط تحت الأرض، والتمسك إلى الحياة فيه.

مآل الإنسان مرهون بالسلام الدائم، لا السلام الطويل الذي يمهد، على الرغم مما يقال من أن دوام هذا السلام يفضي إلى الترف والبطر والرخاوة! وكفى بالكفاح في سبيل العيش واقياً من هذا البطر. وعلى أن البطر خير ألف مرة من الارتداد إلى الحيوانية. ولأن يكون المرء طرياً ليناً، آثر عندي من أن يكون أرضاً!! والحرب عيب أو مصيبة في دنيا تقوم فيها الحياة على العنف، ويكثر فيها الفتك والبطش، ويحتاج الإنسان فيها من أجل ذلك إلى القوة والخشونة. أما في دنيا يعم السلام ولا يرعبها حرب الفتك وروعته، فلا ضير أن يلين الإنسان ويطرى، إذا تجنب له قوة العقل!

إبراهيم عبد القادر المازني

# إنما يزدهر الأدب
## في عصور الفوضى الاجتماعية
### للدكتور زكي مبارك

[ تتمة ما نشر في العدد الماضي ]

أيها السادة

يقال في كل يوم: إن جو مصر مضروب بالاعتدال، فما الذي جنينا في ذلك الاعتدال؟ كانت النتيجة أن نخلو من الاضطراب في طبائع الأنفس. وكانت النتيجة أن نشعر بالفتور حين ننتقل من الحرمان إلى المطلوب. وكانت النتيجة أن نحسد العواطف بمصر ما تحتوي عليه من عرام وسكون

أعترف بأن مصر استفادت من اعتدال الجو ثقافة عقلية هي الجمرة العظمى في التأليف، فمصر أقدر الأمم الإسلامية والعربية على التفكير المنظم الدقيق بفضل هذا الجو المعتدل الجميل

ولكن مصر في ناحية تتخلف في ميدان الأدب عن الشام وفارس والعراق، لأن الفرص الجوية لا يعرفها المصريون كما يعرفها الشاميون والفرس والعراقيون، وإلا فأين وصف الثلوج والأمطار والأعاصير في أشعار من يعيشون في صيانة النيل؟ ثم شاء القادر أن نكون في الأدب بعد تخلص، فما مصير ذلك الشوق؟ لم نعرف صورة الطبيعة كما يعرفها الناس في الشام وفارس والعراق، وإنما رحمنا القادر بصورة أعنف من صورة الطبيعة، هي الثورة الدائمة التي تعصف أعاصيرها الفورانات في الأرواح والعقول والقلوب

نحن كل يوم في هذه الثورة. إن المطامع الشرقية جرحتها، وإن المطامع الغربية [illegible]. ألم تعرفوا أنه كان مفروضاً عنده أن الميدان الأول في الحرب الحاضرة سيكون حول ضفاف النيل؟

ومن هذه المزعجات التي تتجدد كل يوم، بل لم أقل في كل ساعة أو كل لحظة، من هذه المزعجات تخلق لنا مكاره تشبه غضون المكاره الجوية في الشام وفارس والعراق

وما هي شدة الانتقال من وضع إلى وضع في الأدب الحديث؟

... أن أرجع إلى ما تحدثت به في مؤلفاتي ومقالاتي، فيكفي أن أنص على أن الأدب في مصر لم يزدهر إلا في عصر الفوضى السياسية، وهي صورة من الفوضى الاجتماعية

النهضة الحقيقية للأدب الحديث ترجع إلى عهد مشئوم هو النزاع بين الرجلين العظيمين: عدلي يكن وسعد زغلول. في ذلك العهد عرف الكتاب والخطباء فتصرفوا أحسن تصرف في تكوين الأدب المصري الحديث. وحين انتهى النزاع بين عدلي وسعد خلفه مرقد وغفلات، وأخذ ما يرى في ميدان الأدب مكان محفوظ

وبعد استطعت أن أضع في الشرق شيئاً جديداً، هو الأدب السياسي، وهو من ثمرات النزاع السياسي بين أشياع بني أمية وأشياع بني العباس. وإليكم هذه النكتة

كان شاع أن أخاصم الأستاذ الدكتور طه حسين، فكتبت في الهجوم عليه مقالات كان لها وقع حسن أو سيء عند قراء اللغة العربية، واطلع الأستاذ محمود بسيوني على بعض تلك المقالات فارتاع أشد الارتياع وسعى بالصلح بيني وبين الدكتور طه في حفل مشهود حضره الصحفيون وكبار الأساتذة بكليات الجامعة المصرية، فهل تعرفون حين ذلك الصلح المشئوم أو الميمون؟

تلفت الناس متوجعين لضياع فرصة ثمينة هي فرصة الجدال حول المذاهب الأدبية، فهل فيكم من يتصور بالمصالحة بيني وبين الدكتور طه حسين لأرجع إلى مصاولته من جديد؟

كان بيني وبين الدكتور طه وداد دفين، ولكن رعاية ذلك الوداد لم تنفع الأدب بشيء، لأن كل ما يصدر عنه كان يقع من نفسي موقع القبول، فلما ثار علي وقصف عليه أتيت في مصاولته بالأعاجيب، فمن ذا الذي يفصل خصومة ما بيني وبينه لأجد الوقود لنار [illegible]؟ أليس فيكم رجل ظريف يفعل ما يأتي [illegible] من هوى كلية الآداب؟

اعترفوا وأنصفوا بيني وبينه وبين سائر الأدباء فتصوروا [illegible]. وهل فيكم من ينكر أن مجموعة نهج البلاغة من أعظم الذخائر الأدبية؟ فهل كان يمكن أن يظفر الأدب بتلك المجموعة النفيسة لو انتهى النزاع بين أنصار علي ابن أبي طالب وأنصار معاوية أو أنصار خليفة بعد الرسول؟

إن [illegible] ابن أبي طالب على أعدائه [illegible] هو الذي أرث

في صدره ميدان تلتقي فيه الحب والبغض عزم بتلك الخطوب الروائع التي غالبت العقل وصاولت الزمان

وما هي الظروف التي خلقت مواهب الشيخ محمد عبده ؟

هي ظروف الفوضى الاجتماعية في انتقال الأزهر من حال إلى أحوال ، يوم كان تدريس العلوم الحديثة موضع جدال ، ويوم كان القول بكروية الأرض يلقى أعنف اعتراض

والشيخ المراغي من آثار هذا الزمن ، ولكنه سيحتجب بعد عمر طويل بلا تاريخ طويل ، لأن نهضة الأزهر قد صحت واستقرت ولم نعد نحتاج إلى مصلح يتشرف بعنوان الاستشهاد

فإن أراد الأزهريون أن يكون لشيوخهم تاريخ طويل فليتكلموا الثقة من مطالب العصر الحديث ليجد شيوخهم فرصة الدعوة إلى اعتناق مذاهب التفكير في الجيل الجديد

أيسمح لي القراء [illegible] أن يذكروا أني لست من أنصار الفوضى الاجتماعية ، وإنما أنا مؤرخ لطائفة من الظواهر الأدبية والفلسفية ، والمؤرخ غير مسئول عن حوادث التاريخ

وكم تمنيت السلامة من شر الفوضى التي تثور في صدري والتي جعلت قلبي ميدان قتال بين الملائكة والشياطين

في صدري أشواق لاهبة وكروب من الأحلام والأوهام والأماني والأباطيل ، ثم يقول في كل لحظة هل من مزيد ؟

وبعض القراء يعرضون عليّ أحياناً أن أقدم [illegible] ما كدسوا من الآراء تشبه الحلوى الطيبة لتسكت عني لحظة أو لحظتين كما يقدم الأعراب للرضيع أكداساً من [illegible] ! ويشهد الله أني أكره أشد الكره بعض ما يصدر عن قلمي ، ومع هذا أصنع وفي صدري [illegible] الصبر والكروب حين يهمها أن تعد الوقود الصالح من جذوع النصر والتحليل ! ولكني أصرح كما ذكرت الحكمة التي تقول : لو أنصف الناس استراح القاضي ! فشيوع الظلم بين الناس هو الذي خلق الثروة الشرعية ، وهو الذي قضى أن يكون في الدنيا قضاة ومفتون ومحامون . ولو سلم المجتمع من الاضطراب لانقطع الحاكم ، ولم يبق أمام الأستاذ علي جمعة إلا الفرار إلى الريف يأخذ منه ما تخرج الأرض بجهود الفلاحين والحراث ، ويومئذ يحرم الأدب من حلبة خصبة يجاولون فيها المسرح الأكبر لمكتبة الآداب ، ويحرمون تكلف الرقي في التصفيق له بغير حساب !

لو أنصف الناس واستراح القاضي لظفر الأدب بالمؤلفات النفيسة التي صدرت عن الرومان والعرب وخدمت [illegible] التشريع . ولو أنصف الناس واستراح القاضي لحرم الأدب من الأدب الرائع الذي صدر عن رجال الأخلاق من أمثال [illegible] وأحمد أمين . ولو أنصف الناس لكانت [illegible] غير مسموع ، ولما قرأنا الوثيقة الأدبية الرائعة التي جاد بها أفلاطون ، والتي [illegible] سقراط حين رآه [illegible] فتلقى [illegible] بختام [illegible]

ولو أنصف الناس لحرمنا نفثات ابن مسكويه في أدب النفس . ولو أنصف الناس لضاع على الأدب حظ نفيس هو أشعار أبي العلاء في نقد أخلاق الحكام والقضاة والفقهاء . ولو أنصف الناس لأمن هابيل شر قابيل فلم يصنع المثال الرائع الذي رأيناه بمتحف (اللوفر) في باريس . ولو أنصف الناس لحرم الأدب قصائد ابن الرومي في تشريح [illegible] والغضاء . ولو أنصفت الطبيعة لحرمت الإنسانية من عبقرية بيتهوفن في حرب المراثي . ولو أنصف المجتمع لأمن بعض الرجال شر الاغتراب وهو فرصة تنبيه العقول . ولو أنصفت ليلى [illegible] من ليلى — لحرمنا نفثات المجنون القديم والمجنون الجديد

أنا أكره الفوضى لأنها كدرت حياتي ، ولأنها جعلت صدري ميداناً لاصطراع الهدى والضلال ، ومع ذلك أحمد الله حين أنعاه

وبفضل الفوضى في تقسيم [illegible] نشأت مذاهب أدبية وفلسفية واقتصادية تتمثل فيما صنعت في توجيه الأذهان والعقول في الشرق والغرب . وبفضل الفوضى في توزيع الثروة كانت الحروب التي خلقت مآثر الأبطال . وبفضل الفوضى في تكوين مدرسي اللغة العربية قام الصراع بين الأزهر ودار العلوم والجامعة المصرية ، وهو صراع محمود العواقب ، وسيؤتي ثمره بعد حين . وبفضل الفوضى في صور الشؤون السياسية للأمم العربية والإسلامية تخلفت عبقريات الكواكبي وجمال الدين ومحمد عبده ومصطفى كامل وسعد زغلول . وبفضل الفوضى في فهم المذاهب الأدبية كان الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد . وبفضل الفوضى في أحوال [illegible] كان التنويع الطريف بين الربيع والصيف والخريف والشتاء . وبفضل الفوضى في الأخلاق والعقائد كان الجمال الموجود في [illegible]

الوجود المضطرب بين الشعور والعقل والكفر والإيمان ، ويتصل الفوضى في تحديد الآراء كانت للمناظرات التي تتخللها المعاهد والأندية والجامعات . وبفضل الفوضى في فهم الغاية الصحيحة من الإنسانية كان النزاع بين الطبقات ، وكان الصراع بين المذاهب المختلفة في الدين الواحد ، وتلك فتن وجوامع تتألف منها آداب وفنون لا ينكرها إلا غافل أو جهول

لما كلفت وزارة المعارف العراقية بتدريس الأدب العربي بدار المعلمين العالية في بغداد ، سألت من سمع بغداد من المصريين ، فقيل لي إنها تشبه طنطا ، فجزعت أشد الجزع ، لأن طنطا يقل فيها الصراع بين المذاهب والآراء ، وإن كانت عامرة بالقصور والمتنزهات ، وهو البلد الوحيد الذي لا أجد فيه حين أمسي إليه نهمة روحية

ودخلت بغداد فرأيتها أقل من طنطا في العمارة والعمران ، ولو شئت لقلت إن أصغر شارع في طنطا أجمل من أكبر شارع في بغداد . وكذلك أحسست بسوء الوحشة حين دخلت دار المعلمين ، ولولا الخوف من غضب « العيون الآدمية » لرجعت في السيارة التي أقلتني إلى هناك

وبعد يومين اثنين رأيت أن مدينة الجيزة غير طنطا المصرية ، في طنطا شوارع عريضة وقصور شوامخ ، ولكن سكانها لا يعرفون الصراع الجميل بين المذاهب والآراء ، لأنها مدينة مصرية صميمة يقل فيها الأجانب ، ويكثر فيها ائتلاف الأذواق ، وهو بلاء من السكون والجمود

أما بغداد الجاهلة التي لا تعرف العمارة في غير شارع واحد فهي مضطرب عريض لاختلاف المذاهب والمشارب والأذواق ، فيها عصبيات عربية وفارسية وهندية وكردية وسورية ، وفيها طوائف تركية وإنجليزية وأمريكية ، وفيها كل جنس يعتز من المشارب المختلفة ، وفيها ألف عالم وعالم لاصطراع الأهواء والأحاسيس

وكذلك ألقيت نفسي في صراع عنيف مكثت فيه نحو تسعة أشهر أتلوّن من المصاعب بشرب منها ما شربت ، وطويت ما طويت

في طنطا المصرية يعيش شعب واحد ، وفي بغداد تعيش شعوب ، ومن الاختلاف والائتلاف يحيا الأدب الرفيع

ليس في بغداد كما حسبت فيه أصغر قصر من قصور حاضرة « الغربية » ، ولكن بغداد فيها جرائد ومجلات وأندية لا نعرفها حاضرة « الغربية » ، لأن المحدودين في طنطا يعرفون حياة هناك في بغداد . وكذلك أحسست أن الأدب وحي من صور الفوضى الاجتماعية ومن أخطار الفوضى الاجتماعية ، فهو يحيا ويعمل ويدرس وينتقد ويؤلف ، على شرط أن تقع الفوضى في أحشاء ، لا يقتلهم الاضطراب ، وإنما يدعم قوة إلى قوة ومعنى إلى معنى . وما رأيكم في الشواطئ المصرية ؟ ألم تسمعوا أن رجال مدرس الشعب كلهم من أبناء الأزهر ؟ ألم تروا حيرة شيوخ الأزهر في تلخيص ما صنعت مصر من مآثم تلك الشواطئ ؟

لا جدال في أن شواطئنا في الصيف تمثل الفوضى الاجتماعية أصدق تمثيل ، فهي مضطرب طويل عريض يكون حوله الآراء في الإسكندرية وبور سعيد ودمياط ، وبعدها تتحرك حتى يصل إلى رأس البر ، ثم تنتقل معتدلة إلى حاضرة مصر الخبيثة والطيبة والمقاهي والملاهي

ينظر الرجل المؤمن إلى هذه الشواطئ نظرة مخوفة ، ثم يهتف : الشر هنا مستقر لا يرحمك ! وأقول وأنا صادق : إني أنظر إلى شواطئنا أحياناً بعين الغضب والمقت ، ولكن هذه الشواطئ المجرمة خلقت فنًّا جديداً في اللغة العربية هو « أدب الشواطئ » ، وقد ألفت فيه كتاباً سأنشره يوم أطمئن إلى أن الجمهور يفهم أن الأدب غير مسئول عن حوادث الشارع

ويوم يظهر هذا الكتاب ستعرفون أن مصر دانت الأدب العربي بثروة طريفة من تشريح العواطف والأهواء ، وسترون الغرائب حين ترون أن تلك الشواطئ نطقت رجال الدين أنفسهم بأقوال هي من عيون الأدب الرفيع

لكن الأستاذ الأكبر قد اتفق مع صاحبة مصلحة الشواطئ على تخصيص جزء من شاطئ الإسكندرية للعلماء بلغة العصر القديم ، أو السيدات بلغة العصر الحديث ، وسامح رجال الأزهر فأمطروا شيخهم الكبير وابلاً من بركات الثناء

ثم ماذا ؟ ثم أجيء بالتفاصيل القصوى إعداداً عقلياً وأوجب منه القهوة المصرية التي تمنع من الأشربة ما عرف وما جهل

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم شاع أن هذا شاطئ خاص بالعلماء لم يقبل عليه ستّ ولا ستّوت ولا بنت ولا بنيّة ، وصمتت أسواره بعد يومين اثنين ؟

لا تكونوا خلقتم هذه النكتة ، فما هي إلا واقعة وقعت ،

وهنا حوادث ودول سيحصون أنباءها بعد حين

حياة الشواطئ لغط وسفاهة وضلال ، ولكن الأدب يستفيد من كل شيء ، لأن مهمة الأدب هي الوصف والشرح والتحليل ، وحياة الشواطئ معدن موفور رائع جزيل

الشواطئ كلها مآثم ، ولولا الخوف من بغي الحاسدين والحاقدين لقلت إن المآثم لا تخلو من بعض دروس الحب والأشواق والشجون ، ومن هذه النزلة تكون الوجهة التي تثير شياطين الشعر والخيال . والشواطئ المصرية لها سوابق في تاريخ الأدب العربي . وقد وقعت تلك السوابق فوق أرض مقدسة تتطهر أرجاؤها بأنفاس الرسول . هل تعرفون ما أعني ومن أعني ؟ عندكم عمر بن أبي ربيعة وعندكم الشريف الرضي ، وهما شاعران جعلا مواسم الحج منازل صبابة ومسارح قلوب

عمر بن أبي ربيعة فاجر بحسب الاصطلاح وجعله وقرأت مكة حرم الحب ، ولكن أشعار ذلك الشاعر محسوب من ذخائر الأدب العربي وقد عرف وعرف حتى عجزت بعض المذاهب الأوربية عن إفراد أشعاره بدرس خاص

كان يقال : ما عُصي الله بشعر أكثر مما عُصي بشعر عمر بن أبي ربيعة

وهنا حين ! هل تستطيعون أن ترفعوا اسمه من مطبوعات وزارة المعارف ؟ وكيف وهو من الذين ستخلد أسماءهم في كتاب « أعلام الإسلام » بجريدة يحررها الأستاذ عباس العقاد ؟

وتسمعون في كل يوم أن مصر تحاول الجمع لأنها في طليعة الأمم الإسلامية ، ولكن رجال الأدب في مصر لن يستطيعوا غض النظر عن « حريات أبي نواس » لأن الأدب وإن كثر في مصر تواجهه سلطان قهار لا يملك جبروته غير الأدباء

أنا أبغض الفوضى أشد البغض ، وأرجو الله في كل وقت أن يحفظ على مصر نعمة السلامة من مكايد الشياطين ، ولكني أؤرخ الأدب ، والمؤرخ لا يهتدي إلا إلى تناسي مناقشة القضايا ، والنظر في الحوادث بلا غرض ، والتراجع عن الغرض حتى تمس هذا الموضوع الشائك فلنتحدث عن بعض القول بأن الأدب لا يوجد إلا في عصور الفوضى الاجتماعية ، وهو قول يعبر عن نوازع الاضطراب والتصرع

ولكن ماذا أصنع وأمامي دعوى مواجهة للعقل والمنطق فوق منبر كلية الآداب بين شباب وكهول يتلقون الحق عن رجل لا يعرف غير الصراحة والصدق ؟

أحب أن أعرف كيف يطيش السهم الذي صوّبه إلى صدر الباطل بعد المكاتب التي تصوب إلى صدره ؟ أحب أن أعرف كيف يصبح الرجل الصادق في هذه البلاد ؟ أحب أن أعرف كيف يقال خفتت أصواتكم بعد هذه البيانات ، وعلى صوته هذه المكبرات ؟ له أن يصرح وينطق كيف شاء ، ولكن أن تحكموا له أو عليه كيف شئتم ، أملك من القدرة غير سرور القلب وهدوء الوجدان ، وليكن ، ما الذي يستطيع أن يكون ؟

أيقول : إن النظام أفضل من الاضطراب ، وإن الأدب الذي يصدر في الحالة الأولى أفضل من الأدب الذي يصدر عن الحالة الثانية ؟

أصبت وصدقت ، ولكن هل يستطيع القول بأن النظام صدر عنه أدب رفيع ؟ وما حاجة الناس إلى الأدب حين يعيشون في نظام وأمان ؟ وهل للآمنين أدب وهم يعيشون في عيونهم بفضل الراحة والاطمئنان ؟

الأدب حقًّا ، مجاعة للمفكرين بالحب والبغض ، وليس لسوانا غير الأحلام ، أحلام الناعمين بجنّات النعيم ؟

هنا يصدر قلق التفكير واضطراب البال ، وهنا تصدر يقظة الرأي والعقل ، فالآن هم يتوهمون أنهم قادرون على صيانة الشعر والخيال وهم يشتركون في الهموم والاطمئنان ؟ هنا يصدر الإحساس بالحب والوجود ، لأنها أشياء بالحب والوجود ، فالآن هم يتوهمون القدرة على التكسب بصحيح الأدب وهم يجعلون ضبط النظام مستحيلاً ؟ هنا يصدر الأدب الصحيح ، لأنها أشياء ، وهل يحس وجود الأمم غير من يهتك حجب الظلمة ؟

من أسعد في عالم الفكر والعقل ، أبنا الوادعون في ظل الأمن المكفول برعاية القوانين ؟ نعم أشبه بالأطفال الذين يعيشون في ظلال ما ورثوا عن الآباء والأجداد ، ومن عصوا من قبلها أكثر مما عصى هؤلاء ، أما من قد كتب عليهم أن يعيشوا بين صخب وخوف مشبوب ، يحمل البلاء بالحب والبأس ، والفرق بيننا وبينكم أيها الـ ... أن تخرجوا الاطمئنان إلى الوهم المخادع ، إنه يسع المريض الظمآن أن ينخدع بالسراب !

النظام جمود ، والاضطراب حركة ، والحركة أدل على الحياة من السكون ، جعلني الله بلا كرسي الأدب .

زكي مبارك

أقاصيص

# أثر الإيحاء في جلب التفاؤل

## للأستاذ علي الجندي

– ٢ –

أوردنا في مقال سابق أمثلة للإيحاء الذاتي، كان سبباً في رد التشاؤم عن أصحابها، وجلب التفاؤل إليهم.

وسبيلنا في هذا المقال أن نسوق شواهد طريفة للإيحاء الخارجي، أي إيحاء الإنسان إلى غيره.

وطرافة هذه الشواهد أن جلها بل كلها وليدة حضور البديهة وسرعة الخاطر؛ ولولا ذلك ما كان لها هذا الأثر الذي يشبه عمل السحر! لأن مجيء الإيحاء في وقته أشبه بما يطلبه المريض في إبان طروقه ... ثم إن ذلك يطبعه بطابع الإلهام العلوي والنفحات القدسية، ويجعل له وقع المغنطيس الذي ينزع خبث النفوس في حين عند طلبها!

وظني أن هؤلاء السحرة أو الأُساة – على الأصح – الذين استطاعوا أن يطمسوا بالنفوس، فأروها النحوس سعوداً، والسواد بياضاً، واستنقذوها من القلق والشك والارتياب، لم يكونوا إلا جماعة من أهل الحس والبيان. ومن أقدر من أهل الحس والبيان على فك المعاني والتصرف في أهواء النفوس؟ وإن من البيان لسحراً!

على أن البلاغة وحدها لا تنهض بمهامها في هذه المواقف العصيبة، ما لم يسعدها حضور البديهة وحدة الفطنة وحسن التأتي وبراعة الاحتجاج وجودة التعليل.

وسنذكر هذه الشواهد مرتبة بحسب الزمن قدر الاستطاعة

١ — بنى عبد الملك بن مروان(١) باباً من أبواب المسجد الأقصى ببيت المقدس، وبنى الحجاج باباً إلى جانبه، فجاءت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك، فتطيّر بذلك وشق عليه، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إليه: بلغني كيت وكيت فليهنئ أمير المؤمنين أن الله تقبّل منه! وما مثلي ومثلك إلا كابني آدم إذ قرّبا قرباناً فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتقبَّل من الآخر.

فلما وقف عبد الملك على الكتاب سُرِّي عنه واستبشر.

قال صاحب المثل السائر: وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم، ولكن الحجاج من حذاقة الفكرة أن يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك.

٢ — خرج المنصور العباسي إلى قتال أبي يزيد الخارجي في جماعة من الأنصار، فلما واجه الجيش سقط الرمح من يده، فأحسّ بتشاؤم نفسه وقال:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فسمعه المنصور وقال: لِمَ لا قلت: فألقى موسى عصاه؟!

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أنت تكلمت بما عندك من إشارات المتأدبين، وتكلم أمير المؤمنين بما أجرى الله على لسانه من كلام رب العالمين.

فكان الأمر على ما ذكر، فأُبيد الجيش وتم الظفر للمنصور.

٣ — سيّر المأمون(١) خالد بن يزيد بن مزيد والياً على الموصل، فلما خرج انكسر اللواء، فاغتمّ خالد بذلك وتطيّر منه! فقال أبو الشمقمق:

ما كان مندقُّ اللواء لطيرةٍ ... تُخشى ولا أمرٍ يكون مُبدِّلا

لكنّ هذا العود أضعفَ متنَه ... صِغرُ الولاية، فاستقلّ الموصلا

فسُرّي عن خالد! وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون، فزاده ديار ربيعة، وأعطى خالدٌ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم.

٤ — كان المنصور(٢) بن أبي عامر الأندلسي إذا سافر للغزو، عقد لواءه بجامع قرطبة، ولم يسر إلى الغزو إلا من الجامع.

فاتفق له في بعض حركاته للغزو، توجّه إلى الجامع لعقد اللواء، فاجتمع هناك القضاة والعلماء وأرباب الدولة، ورفع حامل اللواء اللواء، فصدم رأسه قنديل المسجد، فانكسر على اللواء، وانسكب عليه زيته! فتطيّر الحاضرون من ذلك، وتغيّر وجه المنصور!

(١) المثل السائر ١٢٢

(١) العمدة ( ٤ )

(٢) ثمرات الأوراق ( ١ — ١٥٣ )

فقام رجل وقال: أبشر يا أمير المؤمنين بعمرك هذه وبقية صورًا فقد مست أغصانك الثرى، وسقاك الله من شجرة مباركة. فاستحسن المنصور ذلك، وكانت هذه البادرة من أروع النوادر!

٥ — كان سيف الدولة[1] في [illegible]، قد ضرب خيمة كبيرة عجيبة الصنع (يعني قبة[2]) فهبت ريح شديدة فقوضتها! فتكلم الناس في ذلك وأكثروا، فقال المتنبي:

أيقدح في الخيمة العذّلُ ... وتشمل من دهرها يشملُ
وتعلو الذي زحلٌ تحته ... محالٌ لعمرك ما تُسأل
تضيق بشخصك أرجاؤها ... ويركض في الواحد الجحفل
وكيف تقوم على راحةٍ ... كأن البحار لها أنمل
فلا تنكرنّ لها صرعةً ... فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بُلِّغ الناس ما بُلِّغت ... لخانتهم حولك الأرجل
ولما أمرت بتطنيبها ... أُشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها ... ولكن أشار بما تفعل
فما العاندون وما أثّلوا ... وما الحاسدون وما قوّلوا
هم يطلبون فمن أدركوا؟ ... وهم يكذبون فمن يقبل!
وهم يتمنون ما يشتهون ... ومن دونه جدك المقبل

٦ — كان أبو إسحاق[3] إبراهيم بن عبد الله النجيرمي يومًا عند أبي المسك كافور الإخشيدي، فدخل عليه الفضل بن عباس فقال: أدام الله أيام سيدنا الأستاذ (بخفض أيام وحقه النصب) فتبسم كافور إلى أبي إسحاق النجيرمي فقال مرتجلا:

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... وغص من هيبة بالريق والبهر
فمثل سيدنا حالت مهابته ... بين البليغ وبين القول بالحصر
فإن يكن خفض الأيام من دهش ... من شدة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلت في هذا لسيدنا ... والفأل مأثورة عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن دولته صفو بلا كدر

٧ — كان سعد الدولة[4] أحد الرؤساء ابن [illegible] خُلع عليه خلعة سنية، وركب إلى منزله والناس بين يديه، فعثرت[5] به فرسه فسقط من فوقها، ثم ركب [illegible] فلهج الناس بالقول في العثرة، فقال الوجيه [illegible] الشاعر:

لا تحسب الفرس التي عثرت ... بك أمس [illegible] قدرا
قد [illegible] مقالا لو تحدث به ... لم يولنا لوما ولا عذرا
[illegible] أبى الأملاك أن علا ... سرجي [illegible] أهل الورى قدرا
[illegible] جثى حتى تمكنها ... [illegible] جدى الأخرى

٨ — كان[3] السلطان حسن الناصري المصري يريد أن يبني لمدرسته (مسجد السلطان حسن) أربع منائر، فلما بنيت ثلاث منها سقطت المنارة التي على الباب، فهلك تحت أنقاضها من الأيتام الذين كانوا يقرءون القرآن وغيرهم من الناس!

فتحدث الناس أن هذا نذير بزوال الدولة! فقال في ذلك الشيخ بهاء الدين السبكي:

تلك المنارة لم تسقط بل هبطت
من خشية الله، لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت
بنفسها لجوى في القلب مشتعل
لا يعرف الحزن بعد اليوم معرسة
فسبحت مباني العلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها احتفلت
ملئا، بعلم بعصر غير منتقل

ومن بديع ما يحكى أن الشاعر دخل على ابن الرومي وهو ينظم قصيدة في مدح أبي العباس المرتضى ويهنئه بمولود له، وكان أول القصيدة:

شمس وبدر ولدا كوكبا ... أقسمت بالله لقد أنجبا

فقال الشاعر: لو كانت لأبي العباس بنية من أهله لأن مكسوس أبي العباس أو السابع، وهذا الهجاء الذي طرحنا له! فقال ابن الرومي

(١) مثل هذه قول ابن حيوس في محمود بن نصر وقد [illegible] كان عنده
منت الأعراق [illegible] ... [illegible] والملك [illegible]
واهنأ بين الأملاك [illegible] ... [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) زهر الآداب ج ٢ ص ٨

(١) ديوان المتنبي
(٢) [illegible]
(٣) زهر الآداب ج ٣ ص ٣٣
(٤) هو سعد الدولة [illegible]
(٥) معجم الأدباء ج ١٢ ص ٦٠

# ١ - تأملات

في يوم سبت من يناير من عام منصرم تحركت عاطفة مكبوتة حينًا من سطوتها، وهذا الضرب الطارئ طبع أربعة عشر عامًا من حياتي بطابع خاص. كانت العاطفة في غضونها موزعة تشب حينًا وتخبو أحيانًا، وتضطرب موجاتها بتفاوت الظروف لكنها ظلت موزعة يتجاذبها حب وألفة وجهل [illegible]، حتى كان يوم السبت، فنالت العاطفة شيئًا آخر بدأ [illegible] بكتمان وذهول واستسلام، ثم [illegible] التعب إلى [illegible] جديد لا يعرف الاستقرار، واستقر بين المصرع شيء [illegible] من الأيام [illegible]، فأحسست اليوم [illegible]، وكان حزينًا، أطل كل شيء من [illegible] ووجوم، وبسط على نفسي [illegible] سلطانه، فاضطربت واضطرمت، ونم ذلك مني عن قول [illegible] كما يشبه الهذيان

وبعد بين السبت والسبت سبعة أيام، [illegible] منها [illegible]

| | |
|---|---|
| وبعد نقاوس له راجز | كتيته، لا زاجر [illegible] |
| إلى [illegible] حكية | بها [illegible] أعجبا |
| [illegible] أبا [illegible] | لا كتب الله ولا حيثا |
| بل ذلك قال [illegible] | مثل [illegible] |
| يأتون من [illegible] ماجد | وذلك قال لم [illegible] |
| وله أن [illegible] | [illegible] |
| في [illegible] | [illegible] الله له [illegible] (٢) |
| [illegible] | أجل من [illegible] من كيكب |
| كالبدر وإلى الأرض من [illegible] | [illegible] |
| ويشكر [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | أشكر ما أشقى وما [illegible] |

هذه الشواهد وما عداها تدل دلالة واضحة على أن التفاؤل والتشاؤم من عمل الإنسان نفسه، وأن المصاب [illegible] يستطيع بقوة الإرادة، واصطناع الرجاء، والنظر إلى الحوادث بمنظار أبيض [illegible] في ظل الثقة بالله وبنشوة الإيمان، أن يبرأ منه [illegible]

[illegible]

(١) [illegible] الأول [illegible] الثانية [illegible] الأحد والثانية للمرة الثانية (حاشية شرح [illegible])

يومين، وعندي ثلاثة، [illegible] بين الحب والشك، مرة آلم، ومرة آسى، وطورًا [illegible] سمتًا، ولا أملك أن أدفع عنه شيئًا [illegible] في حياتي أحدًا، [illegible] هذه المرة، [illegible] من أن [illegible] ما كنت

كنت أحب [illegible]، والظلام الذي لا يعرفه [illegible]، لأنه [illegible] التأملات. وكنت أوزع مودتي على غير واحد من بني البشر، وأحس [illegible] إلى غير واحدة من جانبهم [illegible] في التوزيع [illegible]. وكنت أعجب أحيانًا كيف [illegible] الناس [illegible]، وكيف [illegible] إلى هذا الحد من سلطان [illegible] والتحليل، ولكن هذه المرة قد اضطرب [illegible] [illegible] إلى [illegible] كل الليل، [illegible] التي [illegible] كنت [illegible] في [illegible]، [illegible] على [illegible] في [illegible] وشباب، [illegible] لم [illegible] بل [illegible] ولكني لا [illegible]. وكيف [illegible] والآن [illegible] وهي [illegible]، وأنا [illegible]؟

[illegible]! الشباب الذي [illegible] في [illegible] و[illegible] في [illegible]، [illegible] فنصبح مع هذا [illegible] [illegible]؟ [illegible] في [illegible] الفزع، وكل شيء يضطرب به [illegible]، [illegible]

أأحس [illegible] الإنسان في [illegible] حين [illegible] [illegible] الشباب؟

[illegible] أذكرك [illegible] في [illegible] كل [illegible]، [illegible] على [illegible]، [illegible] مني

[illegible] في [illegible]، [illegible] في حياة [illegible] مع الناس [illegible] في كل مكان، ولا أكون إلا [illegible] على [illegible]، والآلام التي [illegible]. والتشاؤم على [illegible] [illegible] ولا أملك أن [illegible] نفسي [illegible]

أعجبني [illegible] أن [illegible]؟ [illegible] [illegible] التي [illegible] المصيح، [illegible] من هذه الناحية [illegible] خلالها [illegible]

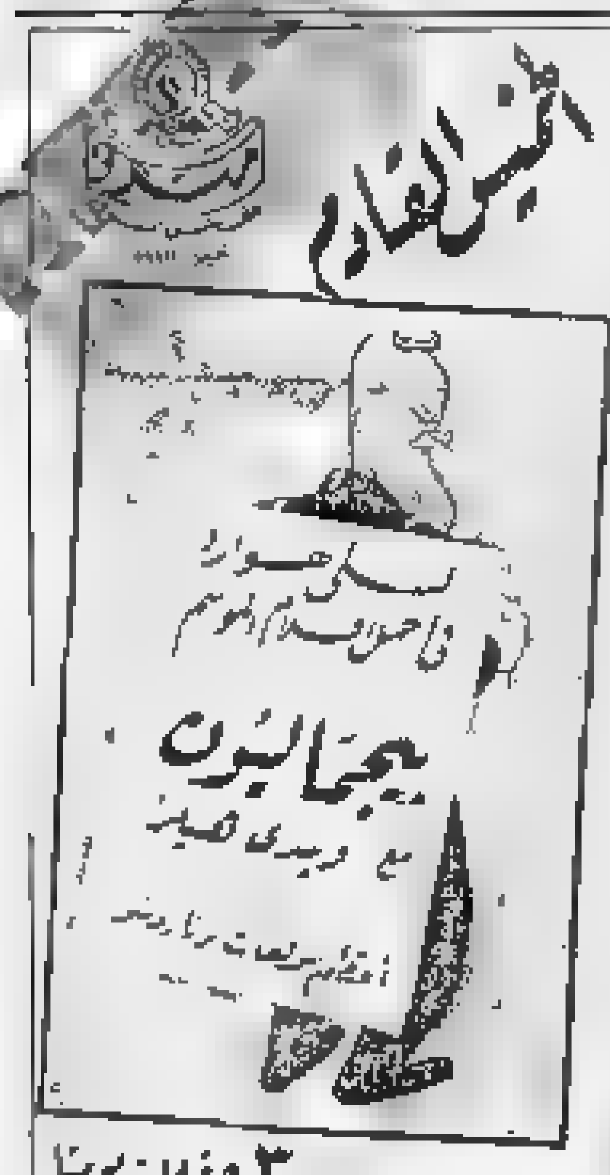




إنك يا فتاتي اللذ ، بعرك الكبرى ملوّحاتك ، فأنت بحديث عينيك وبمحياك على السواء. ولا يعدّ اللذ ألا يكترث لك بين حالك بالفتاتي ولا يلقي عليك النظر. وقد تمر الأترف من دون أن تستوقف أحداً ، ويمر بك الأترف من الكرام. لكن كيانك حيي كل الحي ، فأنّى كل الفتنة ، ولا بد من الرهوب عندك والتأمل فيك ليملكك من يشاء ، ومن تشائين ، ويأسر ، منك إلى الأبد ذلك النظر ، الواهنة ، والأجساد الخائرة ، والروح التي لا يجاز بشيء في تلمسه وتكتنه في جنته وحدة أشتاقه

ما حولك يا فتاتي تمضي على أربعة عشر عاماً على رأي واحد منك ، وبين واحد حولك ، وكنت في حلاقها طفلة في العاشرة ، وصبية في الرابعة عشرة ، وغيره شبيه في العشرين ، فما فكر في غير الحب عليك ، ومستشاق عبيرك ، واستطلع إليك. لكنه لم يعشقك ولم يحبك

كانت زهرتك تمري بالعطف ، لكنه كل فيك ما يرد الأيدي عنك. وكانت ثمرتك ناضجة شهية ، لكنها كانت الثمرة المحرمة. وكنت عزلاء إلا من ذلك الغلاف الذي يبعث من كيانك سهراً وراءه.

ثم صعدت يوماً إلى قلبي نظرتك المسهوبة وعبق بريق غير مسهوره ، ورسما حاشية طيعة من الصمت الواعي الثاني عليه المياه. ورأيتك في معنى صوحة قد رجع عمك ما زي الكلام ، ورمت إيماءاتك عليّ

ثم ظللت جبينك العالي غمامة فأطرقت رأسك ، واحتويتك كآبة وصمت صوتك ، وكأن سكون طال عليه الزمن أو قصر لا أدري ، أو على الأقل لا أدري

واحتويت راحتك راحتي كأنا عاشقان ، ورحت أن أحدق في عينيك مع رهبة لي ، وأتقيت عليك كلة من صو الساعة لم يجئ لي

وبقينا هنيهة على هذه الحال من الصمت كأنا نحن نتساءل ما : هل سألت إليك !!

وكيف ستعيش يا فتاتي وقد أعمرتني غلفاء التي كنت أحوّم حوله أيام الشباب ولا أناله ، حتى كان يوم الحب من بأيدي من علم متصرم فتلقيت حقاً آخر بدى لك هو جوه

## من وراء المنظار

### عرفان الجميل

تهيأت الفتاة وقد أقبل عليّ صاحب عجباً ، وصافحته شاكراً له تحيته عجباً علينا بأحسن منها ، وجلست وجلس وهو يحمد الظروف التي جمعت بيننا في القرية على غير انتظار

وكان يسرّ أن لا تتاح له فرصة للمجيء إلى القرية إلا انتهى بالحديث إلى ذلك المعنى ، وأنه يحنّ ويهفو في جنان مسقط رأسه القرية ، وهو من يرى أبلغ من أن ينطوي إنه يكرهها بقدر ما أحبها ! وأنه يجيء إليها مضطراً في بعض شئونه ثم يغادرها بأسرع ما يستطيع

وما كنت أجهل العلة الحقيقية لتلك الكراهية ، إذ أنا أن أباه من أحد [illegible] من العلل الزائفة ، بل لقد تعثر على كلامه وأنكرت ما يحس به من تكلف سخيف وما ينطوي عليه من خبث بغيض

ورأيته يبالغ في الحرص على ملابسه أن يعلق بها التراب صورات يمسحه عن حذائه بين آونة وأخرى لا يمل ذلك ولا يفتر عنه ! وكيف يطيق أن يرى الغبار على حذائه [ الإفرنجي ] ؟ وإنه ليرى أكثر الزهو بأن يفخر بها على أعين الناس في القرية [illegible] كيف أنه أصبح ذلك « الأفندي » الوجيه الذي لا يقل في وجاهته وعظمته شأناً عن سراة القرية ووجوهها وهل هذا للضمير الذي يبتهج له هو وحده الذي يحمله يطيق البقاء يوماً أو بعض يوم في تلك القرية

وقطع علينا الحديث قدوم شيخ أرى فيما عرفت على السنين يتوكأ على عصا [illegible] ، ويكاد من الضعف لا تقوى على حمله رجلاه ، ولم يكن ذلك الشيخ الهرم إلا والد ذلك الأفندي الوجيه ! ونهضت أستقبله مظهراً له سروري به ، ووجبت أن أرى ابنه يقف متثاقلاً متباطئاً ، وأسند الرجل عصاه إلى أحد المقاعد وهمّ ليجلس على الأرض فأمسكت بيده وأجلسته بعد إلحاح على المقعد

وأطرق الرجل لحظة ، ولكني [illegible] في وجهه كلاماً ، وصمت إلى أنه يرتاح لوجود ابنه معي في تلك القرية قد يستطيع أن يسمعه ما يريد ويشهدني على قوله [illegible] من ذلك بما رأيته من اضطراب وغيظ على ملامح ابنه الوجيه

وسعل الرجل سعلة طويلة ثم انطلق يتحدث ولم يكن حديثه إلا شكاة مرة موجعة من هذا الفتى الذي أنفق عليه الرجل ماله جميعاً حتى صار إلى ما صار إليه ، وذكر لي فيما ذكر والدموع تملأ عينيه المبيضة ، أنه ذهب إلى بيت ابنه في المدينة فأنكر الابن وجوده هناك ، فذهب إليه يطلبه في مقر عمله فدله عليه بعض الخدم ، فالتقى به الابن جانباً وهو يحاول كتمان غيظه ثم صرفه بعد دقائق ، فما كاد الرجل يبلغ عتبة الحجرة حتى سمع ابنه يقول لزملائه ضاحكاً : إن هذا الرجل كان من قبل خادماً أجيراً عند أسرته وأنه يطلب إحساناً ... وخنقته العبرات لحظة ثم عاد إلى حديثه يسألني : هل يكون ذلك نتيجة التربية ؟ وهل يكون جزاؤه على بيع ما كان يملك في سبيل تعليمه أن يقابله بما قابله به ؟

والتفت أطلب الجواب من الوجيه للمرة التي يكره القرية وحياة القرية ، فعاقني ما [illegible] من عبارات [illegible] إلى الذي كان سبباً في محنته ، ودون أن يستحي ، وكانت أقل تهمة ألصقها بأبيه أنه قد صار شيخاً خرفاً لا يؤاخذ

وبلغ بي الغيظ كل مبلغ فتحدثت إلى الرجل أن يرجع إلى [illegible] ، فنظر إليّ نظرة شكر وبكى ثم قال : « يا بني [illegible] عليه النور وقسمة [illegible] الناس ؟ لا ، أنا عندي أموت من الجوع ولا يقول الناس إن ابني ناكر للجميل »

وأحسست [illegible] من الرجل بما أستطيع من الكلام [illegible] في هذا الوجيه الكلام كل ذلك وابنه صامت كأنه جماد ، ثم ودعت الشيخ أني سأبذل قصارى جهدي من أجل راحته وودعته مواسياً مشفقاً

وفي أثناء الانصراف [illegible] على كره مني ، وسمعت وأنا أتولى : أيكون بعد ذلك غريباً أن يعيش القرويون ومساكن القرى وأن تظل [illegible] وكأن ما بيننا وبين هؤلاء الذين [illegible] من كد الآخر ؟ وإذا كان هذا شأن بعض الأبناء مع الآباء ، فكيف يكون الحال فيمن لا يربطهم بأولئك [illegible] صلة قربى أو قرابة ؟

« خفيف »

# حول لقب «السفاح» أيضاً

## للأستاذ عبد الحميد العبادي

وأخيراً يدلي الأستاذ عبد المتعال الصعيدي دلوه في الدلاء بمجرى البحث عن لقب «السفاح» من هو على التحقيق. وقد كتب الأستاذ في هذا الموضوع ثلاث مقالات نشرت في الأعداد ٣٤٦ و٣٤٧ و٣٤٩ من «الرسالة» الغراء. ونحن لا نعنى الآن بالمقالة الأولى من هذه المقالات، لأن الأستاذ ذهب فيها إلى أننا مسوقون إلى تفسير لفظ «السفاح» بالسفاك القتال، وقد عدل عن ذلك المقالة بما ذكرنا من هذه الصورة عند ما قلت فيها أن القرن لقب الإمام أبا العباس بذلك اللقب لم يقصدوا إلى مدحه بل إلى ذمه ووصفه بأنه سفاك قتال.

أما مقالتاه الثانية والثالثة فهما اللتان نعنى بمناقشتهما اليوم. وقد حاول الأستاذ في المقال الثاني أن يثبت أن أبا العباس لم يكن سفاحاً، كما حاول في المقال الثالث أن يبين لنا كيف اختلفت الروايات في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبد الله بن علي.

* * *

ولقد كبر على الأستاذ الصعيدي أن نقول: «إذا رجعنا إلى سيرة أبي العباس قبل الخلافة وبعدها لم نجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح» فادعى أن فيها المنقبة الظاهرة، والحض على التحرج، وزعم أن سيرة أبي العباس بعد الخلافة «طافحة» بسفك الدماء. ولقد تلمس الأستاذ سبيلاً في الأمر فعثر فيها بما يعزو إلى أبي العباس ثلاثة حوادث: أولها قتله ابن هبيرة غدراً، وهذا ما بينت أنا فيه في أول مقال نشرته من الثلاثة في هذا الموضوع. وثانيها قتله أبا سلمة الخلال، ولم أعتبر أبا العباس مسئولاً عن هذه الحادثة شخصياً، فالناس عليه من قبل ما نسميه الآن بتهمة الخيانة العظمى، ولذلك لم أعتد به على أبي العباس. على أن هذه الحادثة قد تولى كبرها أبو مسلم الخراساني من قبل عمه. والحادث الثالث قتل أبي العباس سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد أن آمنه،

ولو تتبع الأستاذ قصة هذا الأمير في أثناء تاريخه وهو تاريخ ابن جرير الطبري لعلم أن الخليفة ... بكثير من العتاب والإرهاب حتى سنة ١٣٢ ثم لا يعود الطبري إلى ذكره بعد ذلك التاريخ، وسياق حديث الطبري يشعر بأن هذا الأمير كان في صحبة مروان بن محمد التي كانت سنة ١٢٩ بين جيش ابن مروان الخارجي وبين جيش ابن هبيرة أمير العراق؛ وربما يكون سليمان ابن هشام قد توفي بعد ذلك قبل قيام الدولة العباسية بنحو أربع سنوات على أقل تقدير. وإذاً لا يمكن أن ينسب من هذه الحوادث إلى أبي العباس إلا حادث واحد فقط هو مقتل ابن هبيرة، وحتى هذا لا يعدم عند ذوي النظر توجيهاً وتأويلاً؛ فقد كان ابن هبيرة رجلاً عربياً قوياً، وكان له حرب عربي عظيم في مدينة واسط، وكان أبو العباس يعتقد أنه يترقب الأمور ويتربص الدوائر ليثب وثبة يرد بها ما ضاع منه، فرأى أن يبادره من استئصال شأفته.

ولا لم يجد الأستاذ الصعيدي من حوادث القتل ما يصح أن ينسبه إلى أبي العباس رأساً أخذ يلتمس مزاعم عدة، فزعم أنه هو الذي قتل من قتل من بني أمية كأنه على مائدة بتحريض شاعره مع أن هذا الحادث الفظيع إنما كان بفلسطين وهو المعروف في تاريخ الطبري بيوم أبي فطرس، والمسئول عنه هو من غير شك عبد الله بن علي وحده. بل إن الأستاذ الصعيدي يجعل أبا العباس مسئولاً عن قتل عبد الله بن علي بالشام وداود بن علي بالحجاز وسليمان بن علي بالبصرة، لأنه هو الذي «سلطهم» على بني أمية في البلدان المذكورة. وهذه حجة تتفق مع ظروف عصره بشكل آخر، ولست أدري على أي مصدر يعتمد الأستاذ في دعوى هذا «التسليط»، فالمصادر لا تذكر إلا لفظ «التولية» على تلك البلدان، والتولية ليس معناها «التسليط» حتى يقال ثم أين عدالة الإسلام وأدب القرآن الذي يقول «كل نفس بما كسبت رهينة»، «ولا تزر وازرة وزر أخرى»؟ وأين هذا من شخصية المرء وشخصية العقوبة وهو من الإصلاحات العظيمة التي جاء بها الإسلام، وكانوا في الجاهلية ربما أخذوا القبيلة كلها بجريرة فرد واحد منها؟ الحق أن أبا العباس كما بينت في مقالاتي

الساحة كان منطوياً على أمره لأبي مسلم بالمشرق وعمه عبد الله ابن علي بالشام ؛ ولو رجع الأستاذ الصعيدي إلى تاريخ الطبري وقرأ فيه سيرة أبي العباس لتبين له ذلك بأجلى بيان ، فليته نظر إلى هذا كله

وقد بلغ من حرص الأستاذ الصعيدي على اتهام أبي العباس أن وقع في تناقض عجيب حقاً . فقد كتب في مقاله الثاني يقول : « وقد كان له » (أي لأبي العباس) سفاح آخر نسيه المؤرخون ، ولم يكن يقل عن عبد الله بن علي سفكاً للدماء ، ذلك هو سليمان بن علي أخو عبد الله وعم أبي العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بني أمية ، فقتل من كان بها منهم وألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب » . وبعد أسطر قليلة يقول الأستاذ الذي يرميه بالتناقض : « ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصي ما سفك أبو العباس وأعمامه وإخوته (مع العلم بأن التاريخ لا يعرف لأبي العباس إخوة سفكوا كما سال من غيرهم من الدماء) . ولقد كانوا كلهم شركاء في هذا ما عدا سليمان بن علي فإنه كان أرحمهم على بني أمية وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار منهم الخ » والظاهر أن الأستاذ أحس هذا التناقض الصريح وأراد أن يتلافاه فكان تلافيه له أعجب وأغرب ، إذ عقب على النص الأخير بقوله في هامش المقال الثاني : « هكذا روى عنه صاحب العقد وهو يناقض ما ذكرناه من قتله من كان من بني أمية بالبصرة ... فلعل هذه الشفقة أدركته أخيراً عليهم »

ولولا أن الأستاذ الصعيدي هو الذي يقول هذا لقلنا إنه قصد أن يورد في هذا البحث الجاد فصلاً مضحكاً يرفه به عن القراء

والواقع أنه لا أبو العباس ولا عمه سليمان بن علي يمكن أن يوصفا بأنهما سفاحان سفاكان ، وذلك لسبب واضح هو أنه لم يكن في العراق في وقتهما أمويون يمكن أن يبسطا إليهم يد القتل والنقمة . ومن يحصي درس التاريخ الأموي يعلم أن العراق لم يكن في وقت من الأوقات موطناً لبني أمية وخاصة في أخريات عهدهم عند ما اشتدت عليهم فتن المشرق التي زعزعت سلطانهم ، وكانت تأتي على سلطانهم قبل زحف الهاشميين من المشرق

إنما كان موطن بني أمية ومحل عصبيتهم الشام والحجاز ... ولو سكتت المصادر التاريخية القديمة عن أي نسب إلى القتل الفاجع على بني أمية أو قال صاحب العقد إن سليمان بن علي كان يجير الأمر على من يلجأ إليه من بني أمية ، كان هذا السكوت وذلك القول هو المعقول والمنطق وحقيقة الحال . ولذا اقتصر الطبري على ذكر من قتل الأمويين أنه إنما كان في الشام وملحقاتها كان ذلك منطبقاً على الحقيقة والواقع

مما تقدم يرى القارئ أن الأستاذ الصعيدي في نعت حكومته « بدولة » أبي العباس وتسويغ تلقيبه بالسفاح ، لم يكن موفقاً ، بل هو لم يخرج في واقع الأمر عن عبارة هي مضمون قولنا « إن سيرة أبي العباس من خلافة وبعدها لا تسوغ تلقيبه بالسفاح بحال من الأحوال »

* * *

وننتقل الآن إلى مناقشة موقف الأستاذ الصعيدي من المصادر وخلافها في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبد الله بن علي وهو موقف عجيب حقاً . فالأستاذ الصعيدي ينظر إلى المؤرخين والأدباء الذين تعرضوا لسيرة أبي العباس وأخباره نظرة واحدة ، ويضعهم في مرتبة واحدة من حيث العدالة والضبط والشخصية ، لا فرق عنده بين متقدم ومتأخر ، وبين متخصص في الرواية التاريخية وغير متخصص فيها ، وبين من يتتبع الرواية بإسنادها إلى من شهد الوقعة ومن يتسقط الأخبار من هنا وهناك . وما هكذا كان السلف الصالح من علماء المسلمين ، فإنهم كانوا يزنون الرجال والأخبار بأدق موازين النقد ، وما علم الحديث منا ببعيد ، فقد رجحوا كتاب البخاري على غيره من كتب الحديث ، لأنه أقل من غيره رجالاً تكلم فيهم بالضعف ، وأقل من غيره أحاديث شاذة أو معللة . فإذا جئنا إلى التاريخ ، وجدناهم يقولون : إن أصح التواريخ تاريخ ابن جرير ، وإن كتاب فتوح البلدان للبلاذري لم يؤلف مثله في موضوعه ، وإن طبقات ابن سعد أهم وأعظم كتاب في السير وتراجم الصحابة والتابعين . وقالوا في ابن قتيبة إنه قليل الرواية

وقد أدى هذا الموقف الأستاذ الصعيدي إلى شبهة هي عجب من العجب، فالمصادر التي تعيب أبا العباس بالسفاح مخالفة لأن أبا العباس عنده سفاح، والمصادر التي تلقب عبد الله بن علي بهذا اللقب مخطئة لأنه كان سفاحاً. والمصادر التي سكتت عن تلقيب هذا أو ذاك بهذا اللقب المذكور لا يصح الطعن بها في روايتها للمصادر التي ذكرت هذا اللقب؛ لأن «من حفظ حجة على من لم يحفظ» وهي قاعدة مشهورة عند الأزهريين ويقرأ الأستاذ أنه لا يمكن أن أخطئ فيها. وأنا لا أجادل في القاعدة ولكني أجادل في تطبيقها فليس هذا محل تطبيقها، والمسألة ليست مسألة حفظ وتضييع، وإنما هي مسألة تخليط وعدم تخليط، فهل يصح الأستاذ بقول من يقول: «إن من خلط حجة على من لم يخلط»؟!

أما من نظر إلى المصادر نظر نقد وتقدير كما يعمل الأخصائيون من علماء الحديث، فوجد أن أقدمها وأوثقها وأشدها تمحيصاً للرواية التاريخية لا تلقب أبا العباس بالسفاح، وتصور هذا الخليفة في الصورة التي أجملناها غير مرة، ووجدنا المصادر التي شوهت صورة هذا الخليفة ولقبته بالسفاح ونسبت إليه الفظائع هي من وضع رجال ليسوا متخصصين في الرواية التاريخية النقدية ولا معروفين بالدقة والضبط الذين يعرف بهما أصحاب الرواية التاريخية القديمة كابن سعد والبلاذري والطبري وغيرهم. هذا هو موقفنا بإزاء المصادر القديمة من حيث موضوع «السفاح».

وبعد فلقد كنت حزمت نفسي وأنا أقرأ المقال الثالث والأخير للأستاذ الصعيدي فقد سرني العبارة التي علق بها على حجة لابن العبري المؤرخ المسيحي الذي اعتمد. فقد قال ابن العبري «وكان أبو العباس رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه يكره الدماء ويعادي على أهل البيت» فعلق الأستاذ الصعيدي على ذلك بقوله: «إن هذا لا يراد منه إلا كراهته لسفك دماء أهل البيت وحدهم» مع أن المؤرخ وهو مترجم لأبي العباس لم يسند إليه حادثة قتل واحدة، ومع أنه في ترجمته السريانية المطولة والترجمة إلى الإنجليزية لا يلقبه بالسفاح مطلقاً

عبد الحميد العبادي

من وحي الفرص

# الدكتور مبارك يناظر

للأستاذ شكري فيصل

منذ أيام وقف الدكتور «زكي مبارك» يناظر الأستاذ «[illegible]» في موضوع «تردي الأدب في عصور الفوضى الاجتماعية». وكان طبيعياً أن يؤيد الدكتور المبارك هذه الفكرة، وأن ينتصر لها، ويدافع عنها، ويجرد سلاحه على خصومها، ويسوق عليهم القوي والضعيف من منطق العقل ومنطق العواطف.

وقد ود الناس لو حضروا الدكتور خطيباً وتمثلوا صيحته وسط هذا الجو المضطرم، ويقذف آراءه من قلب هذا التيار العاصف، ويجمع سامعيه بلفتاته الصغيرة الجارحة. ولكن الدكتور زهد - كما يقول - في البراعة الخطابية، فانصرف عنها، وآوى إلى قلمه في ساعة من ساعات الفوضى والاضطراب فكتب مقالة في دائرة محدودة وصفحات معدودة ومنهج بيّن.

وكان هذا في الواقع صدمة شديدة الأثر.. تجاوب صداها أماني وأحلام الناس ومنعهم من هذه المناظرة أنها متعة من متع الفكر، يشتهون منها الحس، ويقتنع معها العقل ويستطرف بها الحياة، ومضى في خلالها المعنى والطرف كما يبدو لنا. فلذا هم — هذه المرة — في حاجة من الفكر، وفي معنى من سلسل، وفي عمل سبق قد وجدت فيه الخطوة، ويحسب الإعجاب وضروب من أمل مكبوت.

ولكن غلب الناس أن يستمعوا بيانه الدكتور الخطابية التي زهد فيها، فقد عوضهم أن يروا مقالته الرجولية (الفصيحة) من فوق منبره (1)

* * *

وأنا أشهد يا سيدي الدكتور أنك استطعت أن تأسر الناس، وأن تأخذهم بالإعجاب بك، والتحمس لك، والانسياق معك

(1) الدكتور يرى أن تكون مجموعة مقالاته [illegible] وأن ه خطب !

في هذه الوديان المترعة بالمعاني التي حملهم إليها ، وهذه الروح الملتهبة بالجمال التي جسمتهم نحوها ، وتلك الأجواء النبيلة التي حلقت بهم فيها

ولقد حدثت يا سيدي حديث العواطف الثائرة والشعور الطاغي والقلب الذي كره الشر والصدر الذي تضطرم فيه الحب ... وحدثت الناس تقرأ لهم صفحة من بلاغتك بالحب ، وحدثتك مع الناس ، وحربك مع هذا العالم ... وأسمعوا يهمسون بهذا النشيد الدائم الخالد مثل « الأحلام والأوهام » و « الشاطئ والأبعاد » و « الأزهار والأشواك » و « الفلول والقلوب » ... فشت فيهم بواعثك وبالأخص السحر والسطر والجمال

وأنا أتمنى يا سيدي أن تقص علينا طرفاً من حياتك .. أنت في كلية الآداب ، وسكنه الآداب في طريقك مصحف وصحف ... حيث لا تنشر هذه الصفحات في مدرج الكلية ، وعلى عيون طلابها وطالباتها ... ليروا معنى ركة بها ، وميلك إليه ، وعبرتك عليها !؟ وإلا تنتهز هذه الفرصة لتضع أيديهم على أمور وأمور ستجد أن من واجبك أن تنبه إليها ، وتحدث عنها !؟ ..

وحدثت ليل يا سيدي ... عن ليل هذه كان لها في حياتك نصيب ، وفي موضوعاتك حظ ... وفي أوراقك ذكر ... وكانت عيناك بيض — وليلتك جباه ..

ولقد استطعت يا سيدي بما آتاك الله من طلاقة وبما وهبك من اندفاع وبما أنفست من روحه وقربت من راحتيك أن تهدي نفوسه وتشكى نفوسا ، وتمسكت ظنيني .. وأن تخرج من وسط الصحة الثائرة ، والصخب الثائر بالغناء الذي ملأ الجو والتحميس الذي كان يحل بصاحب القلوب المختلفة

وهل لك هذا الأسلوب المرح ، وهذه الصورة الخطابية ، التي عز يكثر من التصنيا ... فتعرض على الناس طرفاً منها وجهاً لها ، ثم تخلص منها إلى غيرها على أتم تعبئة منه ، وحقيقة واقعه .. ولقد بلغت أكثر من ذلك .. حين حدثت طريقاً شائكاً وعراً ... وقفت الناس فيه ، وخرجت منه مظفراً

إلى هذه التي تعم ، ولم يغب في طريقك إلا شيء من طريق الظنون من طوبت وحواجز

ولكن ، أليس من حق الناس ، وقد أكسبت المعركة وظفرت بالنصر ، وأكسبت الخصوم الأنواء ، أن يقفوا عند هذه القصة التي طويت عليها كتابك أمس ... فيتحدثوا عنها ، وقد هدأ الحماس الثائر ، وسكنت الأكف للصفحة ، وتفسح الصبح في الوضح البين !؟

* * *

ومن حقي أن تتساءل عن موقف وإني أكثر أهل الحلبة من البلد ؟ كيف استطعت أن تمحو سمعاً من إخواننا الأزهريين الذي كانوا يلأون جنبات المدرج ؟ وكيف سكتوا عنها حتى لكأنها لم تمر بهم !؟ ... إن تعليلك غريب حقاً ... ولكن هل وراءه الآن بعد أن خرجت من ميدان المعركة ؟

وشيء آخر يا سيدي — إنك تقول إن الأدب لا يرضى في البيئات المتأخرة ، وإن رجال الدين ومن في مثل مراتبهم لم يصدر عنهم أدب صحيح قيم ... فهل أنت مؤمن بهذه النظرية الغريبة ؟ ... وهل يستطيع أحد أن ينكر أن النهضة الحاضرة أدبها الحديث الجليل ... وأن كثيرين من رجال الدين والمتدينين قد ساهموا من هذا النصيب الذي سموا به ، وهذه المذاهب المختلفة التي خلفوها في الوجدانيات من الأدب الرفيع !؟

وهل يجهل الإنسان على الحقيقة الخاصة في أن طائفة كبيرة من أدباء الشرق العربي في الجيل الماضي وفي الجيل الحاضر هم من رجال الدين الذين قرأ لهم الناس الشعر ، وقرأوا لهم النثر ، وكانوا من عمد هذه النهضة الحديثة !؟ —

أو ليس صحيحاً أن الأكاديمية الفرنسية تضم فيمن تضم بعضاً من رجال الإكليروس ... أم أن ذلك كان بعد رجوع الدكتور من باريس !؟ —

وبعد ، فإني لأخاف أن أجور إلى الناحية الخاصة التي استوقفتني في خطاب الدكتور ، ولا أني أخشى أن أتهم بالعصبية أو الإقليمية أو غيرها ... وإنما حرصي مع مصر وتعصبي لها ... ولكن ما يعنينا أن نكون أقرب إلى الدقة

وإلى الانتصاف ؟! .. وهل يطلب الحق إلى مصر أن تسوق بعض الأقطار الغافية ؟

ما على بأس إن أنا وصفت هذه كلمة الدكتور « إن مصر أقدر الأمم الإسلامية على التفكير الدقيق وعلى التأليف » وما على أن أتساءل ويتساءل معي كثيرون ، وأن يرجو الدكتور أن يكون متئداً هادئاً ، لا يغلو ولا يجبه الشعور ويصدم العالم العربي [illegible] في موطن أمله [illegible] وموضع رجائه ، ومعقد أمانيه ! ومن يجد رحابه ومتنفس آماله ، ومبعث التورية [illegible] ولكن هذا لا يمنع يا سيدي الدكتور ألا تكون الأقطار الإسلامية الأخرى قادرة على شيء من الدقة في التفكير ، وشيء من الكثرة في التأليف

والذين هم في مكان القيمة يا سيدي ، يأخذوا بيد الضعيف ، ويعينوا في يومه العاجز ، ويهدوا السبيل الضال [illegible] لا يعيبون على الضعيف ضعفه ، ولا يأخذون عليه عجزه [illegible] لأن هذا لا يتسق مع مواضع النعمة ، ومن الأخوة ، وشكر الله

وفي الأقطار التي تعنيها يا سيدي نهضة وحركة [illegible] وهذه على ( التفكير الدقيق ) تجد أن أنواناً من الجهاد تطغى على هذه النهضات ، وتكتب هذا النشاط ، وتغل هذه القدرة ، وتحاول أن تخلق شعلة التورية

لقد كتب وتحدث [illegible] عن أثرها على القلب أحداث الحرب في بنان وفي ميدان ، وعن الشعوب وقرونها الأولى وتحاور

أن يعدوا الأدب المصري ولن يتأثرونه ، وإنه يجب أن يعدوا طائفة كبيرة من الأدباء [illegible] وأن يأخذوا بمفهوم العصر [illegible]

[illegible] فإنه موضعاً لا يختلف في حقيقته عن الموضع الأول في بعض في الأقطار الإسلامية الأخرى ومن يشك هذه الجهود التي يبذلها مصر ! ومن ينكر هذا النشاط الذي يرى في أجوائها ساطعاً كالنور ؟ ومن ينسى نهضتنا وأوعى بكل ما يطالع من طليعة شعرائها ، وصفحات كتابها ، ومن ينكر هذا العطر الذي تنشره مع النسائم ، وهذا الأمل الذي تشعه في صوب الفكر [illegible] ولكنا نريد ألا تتقل هذه الأفعال ، ولا تجري هذه الإحاق

إن زعامة مصر أمر لا شك فيه [illegible] متى تعدى نائش في الأمور البديهية للسفه ، ثم تخرج الأمور إلى مغالطات ومقارنات لا تعين في تقرير رأي ، ولا تنفع في الوصول إلى نتيجة ، ولا يكون من ورائها إلا الضعف !

وبعد [illegible] فإن لك يا سيدي في نفوسنا حرمة ، وفي نفوسنا منزلة ، ونحن نخاف عليك أن تعصف بك زلة بعلو هذا الذي استعلى على الناس ، ولقد تشعرهم بصفحة زلته ! ونحب منهم موقف الخطيب الرفيق [illegible] ونحب لك الثقة وولا الأكثر من كل جانب [illegible] ونأمل أن تلقى عليك العاطفة صورة راضية مغتبطة ، فتقبلها ما كنت منصفاً [illegible] فهلا تقضي مني هذه الكلمة ؟

« القاهرة » شكري فيصل

# النسر المهيض

للأستاذ محمود الخفيف

---

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أيها النسر، أين [illegible]

# إعصار

للأستاذ أحمد الطرابلسي

هذي الليالي السودُ — كيف أضيئها ؟
أشدو وهل في العودْ — من وترٍ مشدودْ ؟
والكأسُ — هل بها ؟
الريحُ ، تجوبها — تتصدى الآفاقْ
والصمتُ ، أقواه — قد [illegible] سواها
[illegible] من الأعماقْ
رنّت أبواقي — يا لطب الإعصارْ ...
أطيافٌ أشباحٌ ! — أشباحٌ أوهامٌ !
كيف خبت النار !
يا ذكرى النارْ — [illegible] كما بانا
لا تقلق الساهرْ — في وحشة المحشرْ
[illegible] مهتاجا .

هذي الليالي السودُ — كيف أضيئها ؟
أشدو وهل في العودْ — من وترٍ مشدودْ ؟
والكأسُ — هل بها ؟

بيروت — أحمد الطرابلسي

---

أسبهت [illegible] المطامع [illegible] — [illegible] [illegible] و[illegible]
يصبح الخير كان [illegible] وأفنا — وتريّا يكشو المطامع حسنا
ومن يميل للهوى أو يج أو[illegible]
ومن كالبرق ومضة وانطفاء !

الخطيب

# تحت الليل

للأستاذ محمود محمد شاكر

أهيمُ وقلبي هائمٌ وغضابي — [illegible] فهل يبقى الشقيّ المعذّبُ
وهل يهتدي نحو أضاع حياته — بحيث تضيع المطامع التعبرُ ؟
وهل [illegible] الأيام [illegible] — ويسكن هذا الناس المقعرُ ؟
وهل [illegible] الأيام [illegible] — [illegible] نارٌ في ذي [illegible] ؟

لئن [illegible] الآمال مني ، [illegible] — [illegible] في آلامها [illegible]
[illegible] من كل وجهٍ [illegible] — [illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] هاجسي [illegible] — بأشواقها الأخرى إلى البعث ينظرُ
[illegible] من صخر [illegible] — تهاوى إليها [illegible] [illegible]

[illegible] القلب إلا أن [illegible] — كأن [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] القلب في [illegible] — [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] — كما [illegible] الليل نجمٌ [illegible]
[illegible] القلب [illegible] — [illegible] الزهر أو [illegible] أقصرُ

[illegible] — من القلب [illegible] من الوجد [illegible]
[illegible] الأسحار [illegible] — [illegible] لا [illegible]
[illegible] — [illegible] في ذي [illegible]
[illegible] الأيام [illegible] — إلى [illegible] ولا [illegible] يقدرُ

محمود محمد شاكر

تأملات في الفن

# مدرســـة الإحساس

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لا أدري القطة هذه الشوهة ، كوني صاحبة إحساس وكوني ذات رحمة

أرحمة بقطة تسرق طعامي ؟

ليس مكتوباً عليه لقطة تقرأها من أنه طعامك ، وإنما هو طعامها ورزق يسره الله

— ولكنها كانت تحب إليه متخفية مرتعشة محذورة متهيبة متلفتة يمنة ويسرة كاللص الذي يدرك حين يقترف السرقة أنه يقترف المنكر

هي مضطرة لهذا بعد ما عدت [illegible] منا ! فمن لا أراها تفترس ما تأكل وإنما أراها ترى الحيوان والطير ثم تهب إلى فريستها [illegible] التي تستحق حياته استلاباً لا يسبقه صراع ، ولا يسبقه إنذار ... ولم يكن القط هكذا إلا منذ استأنس ، وقبل ذلك كان يفترس ، أو يأكل ما تخلفه كبار السباع

— وهل في القط ذكاء يدرك به هذا كله ؟

— إن الأمر لا يحتاج إلى ذكاء ، وإنما هو يحتاج إلى إحساس . ألست تستطيع أن تحكم على جماعة من الناس متفرجين بين كانوا على حزن أو على فرح ، أو على حمق أو على عقل ؟

— قد أعرف ذلك مما أرى في وجوههم من أثره ...

— ومن الناس من يعرف وهو مطرق إلى الأرض ، ومن الناس من يعرف وهو مغمض العينين والأذنين ، ومن الناس من يعرف وهو على البعد لا يمكن من نظر ولا سمع

— بالإحساس ؟!

نعم ! [illegible] كل [illegible] جاز بدله ، ومن هذه الأحجار طويل الموجة ، ومنها قصير الموجة ، ومنها [illegible] متصل بتيار لا ينقطع ، ومنها ما يبدأ (بالاضطراب) [illegible] ومنها ما يستقبل القريب فقط ، ومنها ما يستقبل [illegible] البعيدة ... وهكذا ، فالكون كله إذاعات ومستقبلات [illegible] ماركوني وإن سامحت الأستاذ حسين كامل

— هذه الصور التي ظهر كثيراً في [illegible] ؟ إنه عمل [illegible] ولكني لم أكن أحسب أنه يتم ما لا يحسبه ماركوني

— ويتم ما لم يكن يعلمه [illegible] كذلك

ما شاء الله ! إنه [illegible] ومعجزات [illegible] من الآلات والصبيان .

بل أعلى من [illegible] إنسان يعيش من غير ظهوره [illegible] يستطيع أن يتحدث مع الطير والحيوان

— في طريقة سيدنا سليمان ؟

— إن لم يكن هناك إلا طريقة سليمان فهي أقرب إلى طريقة سليمان . وهو يظل يعيش بين دجاجه وأرانبه [illegible] وكلابه [illegible] مسكناً مدوراً حتى لا [illegible] إلا أنه يأكل [illegible]

— وكيف يريد ألا يأكل منها

— ربما كان هذا أجل ، ولكن الذي يصنعه على أي حال حلال ، فلا ريب أنه للإنسان على ما هو دونه ومن في حاجة من الرعاية [illegible] أن يتقاضاه روحاً وجسداً

أتعرف أن [illegible] الذي بيننا وبين الحيوان عشرة أطلق له حقوقاً قوانين وأصولا ؟

— الطبيعة فرضت هذه القوانين والأصول ، وقد كان القدماء يدركون الاعتراف بها ، ولا يزال الفلاحون يحترمون هذه القوانين والأصول فيما بينهم وبين ما يخدمهم من الطير والحيوان ، وإن كنا نحن في المدن قد أنكرنا هذه القوانين إنكاراً [illegible] أن نقوم بها جميعاً [illegible] الحيوان [illegible] في آذاننا [illegible] رحمة كان يجب علينا أن نحسها من تلقاء أنفسنا لولا أننا قد [illegible] نفوسنا و[illegible] من شدة إقبالنا على [illegible] المجد والعلم والكسب ... فلم يعد أحد منا يعطف على حيوانه عطفه على ولده الذي في [illegible]

هذا الذي خلفه كثير ، وهو ليس من الطبيعة في شيء

— ولم يكن من الطبيعة الشيخ إبراهيم والده

فلو أنك كنت تشعر بالحياة حولك لـكانت تباعدت الحس مع الحيوان ... ولكنك أدركت الحس في أول ... ولكن كيف أطلب منك الإحساس بالحيوان وأنت تصرفه حتى عن الإحساس بالناس ، وحتى عن الإحساس بنفسك

— حتى نفسي ترميني بالغفلة والبعد عنها ! ...

— وليس وحدك هكذا ، وإنما أنت أهل هذا العصر هكذا ، وأكثرهم ترددا فيه أهل الفن ، وأكثر أهل الفن ترددا فيه وتخبطا أولئك الذين يحشرون في المدارس ، وأكثر المحشورين تخبطا فيه وانحطاطا أبناء معاهد الفن في مصر ، هؤلاء يبشرون صوراً مختلفة للحس ، ولكنهم لا يحسون منه واحدة منها وقفة التأمل المتذوق ، وإنهم يحسون نماذج ويحسبون هذا الإحساس عملا ، فيهم حوت به إلى الحس وخضوعهم مقرونة مختلطة حائرة ، ومع هذا كله ، فروحه متنكرة

— وهذا في مصر وحدها أو في العالم كله ؟

— أظنه في مصر وحدها ... فهم في الغرب إذا كفروا لم يكفروا حتى يؤمنوا بكفرهم ، ونحن هنا ننتظر حتى يكفروا فنجري وراءهم ، فإذا آمنوا آمنا ، وإذا كفروا كفرنا وعشنا نحن لا يعمرنا إيمان ولا كفر ...

— وهل يضر الـكفر المتحمس ؟ ...

إذا كان كفراً خالصاً لوجه الحق كذلك الكفر الذي شاع في أوربا في القرن الماضي وفي سوابقه ، إذ تفتحت عيون عشاق الحق هنالك على أباطيل رأوا أهل الدين يتمسكون بها ، فقالوا لهم سالموا منع هذه الأباطيل وعمروا أحسنا ونتنكر ... فقال لهم أهل الدين حسبنا ما نقول إذ ربنا المعول مما وجدنا عليه آباءنا ... وهذا الذي أنت به ... تحولت عنه ، فقال لأهل ذلك الدين عليكم إذن ... ويكن لنا ديننا ، ثم قال للناس جميعاً إنما نحن نسعى إلى تحقيق حاجتنا وعقولنا ، وليس لنا شأن بإحساساتنا ، ... مصير الناس إلى جنة أو نار ، فالجنة والنار حسبهم ، إنما نحن نقول إن هذه الشمس ... إذا أصيب إلى ... كما نقول إن ... من الأ ... وكانوا ... المكرمون ، وإن الأرض مجذوبة إلى الشمس ، وإن الشمس تسبح في الفضاء ... ويستمع لنا من يريد

وليستمع لهم أيضا ، فإذا شاء أن يوضع ... [illegible] ... في هذا وهو متذرع حتى إذا جاء المستحضر ... [illegible] ... في أوربا ... [illegible] ... في أوربا ... [illegible] الأكاب هذا وقفنا إلى النموذج ، وإن الموضوع شيء ... [illegible] هو العلم نفسه ، وهو العقل نفسه ، ولم يحدث أن ... [illegible] مراده ، أو أقل بخلاف ... وإن كان بعض أصحاب المرحين وتلوا في حواشيه بعض ما يأتيه ، فما هو نقض للعقل ... وهو عن سلامة الفطرة وحكمة العقل ... وعقل الغرب ربما أعطاني غير من شيء حتى يبدأ الشك فيه وينتقل بعد ذلك إلى نهايته حتى نصل إلى حقيقة أمره ، فيرها يقوم فيتقدم به ، ولم يقبل الغرب هذا إلا من ... قبل ما كان يريد به أن يحدوه في إيجاده من أوهام وأكاذيب ... فقلت نحن أيضاً عند عقل الغرب ، لن نؤمن بشيء حتى نشك فيه أولاً وبدأنا نشك في كل ... حتى لقد شككنا في نصه إبراهيم يوماً

هل أثبت التاريخ نصه ويعصم ؟ العلم لا ... إلا بالإثبات العلمي ، وللإثبات العلمي شروطه

— وهل أثبت التاريخ أن الأرض كانت جزءاً من الشمس إثباتاً علمياً بالشروط بيانه ؟ وهل يستطيع التاريخ أن يثبت كل حقائق الوجود ؟ إن كان الأمر كذلك فقول لي كيف يثبت التاريخ أن ... كان ... مثل ... مع أن هذا ... لم يرد في وثيقة تاريخية ... شروط البحث والتحقيق التي تطلبونها بل إنه لم يرد في وثيقة أصلا ؟ أتستطيعين أن تشك في أن ... وأنه كان ... لأنه لا ... تثبت ذلك ؟ أيقبل صاحب منك شهادة ميلادك فلعل أنك ربما تكونين فيه ... لأنه لا ورقة رسمية معك تعرف بك ؟ حتى لو حلف الناس ... وجيرانك وشهد أهل بلدك بمثلك !

فتذوق العلم .. وتذوق الأدب ... وتذوق الفن ... وتذوق الحياة ... عيني على حيل ، فعرض في كل شيء ... ينطلق إحساسك ، ولا تغرى نفسك إلا بعد أن ترجع إحساساتك إلى ما أنت فيه ... فلو عملت أنت هذا ، ولو عند الناس جميعاً ، ... أهل الغرب في الحسوس ، فحسب كورث التعريه ولسان من مصائبها الـكبير ... أكثر من أولئك الذين يحرمون ... السنة والتقابل والبلاء في الرسم ... كالتي ، وحسبي ... بصائرهم ... عندها ... من ...

# الأسماك العجيبة

## للأستاذ أحمد علي الشحات

حدثناك في مقال سابق عن بعض الأسماك التي تعنى بصغارها عناية ، تدفعها إلى القيام بالمحافظة على بيضها والصغار التي تخرج منه ، وأريناك بعض الطرق الغريبة التي تقوم بها هذه الأسماك في سبيل حماية نسلها . وسنرى في حديث اليوم كيف أن تلك الغريزة تدفع بعض الأسماك إلى القيام ببناء مأوى لصغارها يحميها من عوادي أعدائها ، حتى يشتد عودها وتستطيع الذود عن نفسها . وأشهر هذه الأسماك من البناة « حوت الأشواك الظهرية » أو النوع ذي ثلاث الشوكات على الظهر ، فيشتغل الذكر في الربيع والصيف بأن يقوم ببناء عش على رمل عند القاع ، والمواد المستعملة في بنائه من النباتات المائية والحشائش والقش وغيرها ، ويلصق بعضها ببعض بمادة مخاطية يفرزها الذكر ، وبعد المنتهى من بناء العش أخذ يبحث عن أنثى يدعوها لتضع بيضها في هذا العش ، فإن لم تسمع ، أخذ يطاردها حتى تضطر أن تدخل لتضع . وقد يحدث أنها لا تضع من البيض ما يكفي ، فلا يقنع الذكر بها ، عندئذ يبحث عن أنثى أخرى لتزيد كمية البيض ، ومتى تم وضع البيض في العش ، قام بحراسته وحمايته ، وإذا اقترب غريب منه أخذته بالمروج يعمل أشواكه ليبعده عنه ، حتى إذا كبرت صغار السمك هدم الأب الجزء الأعلى من العش ، واستطاعت الصغار أن تنطلق في الماء تبحث عن رزقها

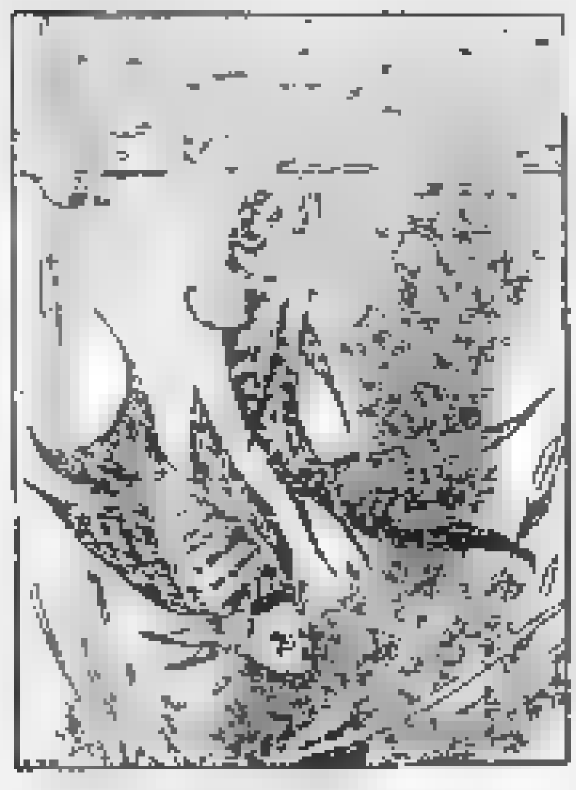

سمكة [illegible]

ولعل أغرب عش يبنى هو الذي تصنعه سمكة الشوكة التي تعيش في المحيط ، وليس هذا العش إلا فقاقيع هوائية يخرجها الذكر من فمه ويحيطها بمادة مخاطية لزجة ، وإذا تم بناء هذا العش العجيب العائم على سطح الماء أخذ الذكر يبحث عن أنثى ، فإذا ما وجدها أتت تضع البيض واحدة واحدة يلتقطها الذكر

أكثر من [illegible] للناس كأنهم [illegible] من [illegible] شيطان رجيم . [illegible] أن هؤلاء الضعفاء [illegible] ، وحدوا [illegible] [illegible] من [illegible] ولكنهم [illegible] تريدني أنت أن أكون مثله

— وأي شبه بيني وبين هؤلاء ؟

— هؤلاء يحسون من الحقائق ما يقتل النفس ، وأنت تحس من الحقائق ما يقضي على الإحساس ، وهؤلاء [illegible] ضعفوا عن احتمال حقائقهم [illegible] على الناس ملاكاً لا [illegible] ، وأنت [illegible] أنك ستنقلب عن حقائقك [illegible] على نفسك ملاكاً لا [illegible] كذلك ...

— وهل أنا ملاك ؟

وأي ملاك ! إني لا أستطيع [illegible] إلا أن [illegible] إذا كان قد حدث أو إذا لم يكن ، ولم تحاول أن [illegible] مسكينة أنت ... ما أحوج أمثالك إلى [illegible] الإحساس !

عزيز أحمد فهمي

ويرعيها إلى الشاطئ ، ويحرس هذه البيض بالمثابرة اللازمة . ولما كانت الأنثى شرهة تأكل بيضها إن لم يحمه الذكر ، فإنه يحاول المحافظة عليه حتى يفقس ، ويظل بضعة أسابيع أخرى يرعى صغاره خشية أن تنقض الأم عليها وتأكل أولادها

وفي أحد أجناس الأسماك الشرقية المسمى Lamprey — وهي كلمة مشتقة من اللاتينية Lambere بمعنى يمتص ، و Petra بمعنى صخر ، وسمي بذلك لأنه يمتص بالصخور بواسطة فمه — يتعاون الأبوان في عمل جحر صغير حيث تضع الأم البيض ، ثم يحركان الأحجار المحيطة ، فينتج عن ذلك أن ينحدر سيل من الرمال يغطي الجحر فيصبح محجوباً عن أعين الأعداء الفتاكة الأخرى التي تبحث عن غذاء لها

وهناك أسماك في كاليفورنيا تضع بيضها وتدفنه في رمال الشاطئ حين يجزر الماء عنه ، ويبقى هذا البيض جافاً بعيداً عن الماء مدة تناهز أسبوعين حتى يمد الماء الشاطئ ثانية فتخرج الصغار من البيض الذي تنطلق منه الصغار آخذة إلى الشاطئ

## الأسماك المرحة

ومن الأسماك ما يحب الطبيعة وتأخذها نشأة تستطيع معه أن تقوم ببعض الألعاب السهلة ، ولذلك فإنه يحتفظ بها في أحواض الزينة ، ومن الشائق أن يجمعوا هذه الأسماك بقرية أجل الأعراس منها بمهاجع حتى تخرج ... وإلا فإن الأسماك الناجحة تعيد تدريجياً بناء الأدوار التي كانت تلعبها ، وقد حدث هنا مثلاً عند ما وقف على أدرج منظر إحدى المراكز الراقية في أسفل الملعب ، وأحيوا بهذه الأسماك ... حين ... راغبين إلى ... الألعاب من هذه الأسماك وأطلقوها في أنهارهم . ولما أن كانت تجربة الطبيعة لا تجدي نفعاً بل تنتج ضرراً ، كما حدث مثلاً حين نقل الإنسان الأرانب إلى أستراليا ، فإنها راجت وتكاثرت بحيث انطلقت بعيداً عن حدودها ولم تبق على حصر هنالك وهم ما قامت به الحكومة من مجهودات للقضاء على هذا الحيوان . وكذلك هذه الأسماك حين كف أهل المجرية إلى بلادهم ، فلما أن قضت هذه الأنواب لأنه لم يبق بحرية أدنى الأفراد منها عششت فيها

نعثر على النوع الوحيد من السمك الذي يمكن أن يبني كوخاً تلك المأوى ، والذي كان يعتمد الأطفال عليه في عدائهم

نموذج من الأسماك الذهبية

ويصبح هذه الأسماك الذهبية اللون ماقناً فقد يكون بعضها بيضاً أو أحمر ، وقد تكون الزعانف الظهرية عالية وتقوم عظمة ... المركب حين تسبح السمكة . وتسمى هذه الأسماك عيون محدبة على جوانب بارزة من الرأس ، وتسمى بذات الأعين التلسكوبية ، ولا تظهر هذه الصفات إلا بعد أشهر من عمر السمكة

وتستطيع هذه الأسماك أن تعيش خارج الماء لمدة محدودة ، فقد وضع العلماء ... بعضها وسط حشائش رطبة وأخرجت بعيدة من الماء ، فظلت محتفظة بنشاطها مدى أربع وعشرين ساعة . ومن الممكن أن تزود هذه الأسماك في أحواض بها مقدار وافر من الماء ، ويتكون غذاؤها من قطع صغيرة من لحم الحيوان ودود الأرض ويرقات الناموس وبعض النمل

ومن المدهش تدريب هذه الأسماك على التعلم ببعض الألعاب

للصيد ، كذلك تفتح فمها إذا كانت في حاجة إلى الطعام . وكيفية ذلك أن يربط بالقرص جماعة من طعم خاص كالفلين ، ويتدلى حبل إلى قاع الحوض الذي به السمكة ، ويتصل بهذا الجهاز الصغير كأس بها الغذاء الذي يطعم السمكة ، فإذا ما جاءت تجذب الحبل إلى أسفل فيدق الناقوس وتنقلب الكأس فتدر إليها محتوياتها

ويمكن تمييز الذكر من الأنثى في دور التناسل بتغيره يحدث في منطقة الخياشيم لوجود زوائد صغيرة لا توجد في جسم الأنثى ويستطيع الأنثى أن تضع سبعين ألف بويضة ، إلا أنها قد تضع أقل من ذلك ، حتى يكون في نتاجها من عمره سبع إلى عشرة ولا تضع بعد العمر سبع عشرة أكبر . في الثالثة مثلاً تضع خمسة وعشرين ألف بويضة تقريباً ، والأنثى في هذه الأسماك شرهة جداً حتى أنها لا ترحم صغارها بل تلتهمها ، وقد يجب في أحواض التربية فصل الكبير منها عن الصغير

## من أسماك الكهوف

هناك أسماك قد حرمت حاسة البصر إلا أنها تروح وتغدو تبحث عن غذائها بنفسها ، وقد يكون عجيباً أن تستطيع سمكة ضريرة أن تبحث عن غذائها بنفسها ، وأن تحافظ على حياتها

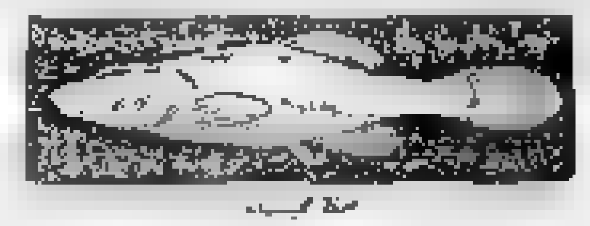

سمكة عمياء

في وسط حيوانات يتغذى أحدها على الآخر فتلتهمها هذه لها إلا أنها تعيش في وحدة وتحت كل نوع . فالإنسان الضرير مثلاً قد يسمع غالباً نوعاً من أصوات السمع وفي حاسة اللمس ، فكذلك هذه الأسماك قد عوضت بحاستيها في السمع وباعتمادها على حاسة وقد يكون فقد البصر هنا كلياً فلا توجد عيون لها ألبتة ، وقد توجد في بعضها بقايا أثرية ، حتى أنه تكون هذه الناحية كالعضو الأثري ، ويمكن القول عن هذه الأسماك من العيون لا يلحق بها أذى لأنها تعيش في ظلام دامس ، فلو فرض أن كانت لها عيون لا تستطيع

الإبصار في هذا الجو المظلم . والظلام هنا مرتكز إلى العمق البعيد من سطح الماء حتى أن الأشعة الضوئية لا تستطيع أن تخترق هذه الطبقات المائية الطويلة إلا أنه لا يحتم أن تكون جميع الأسماك التي في قاع البحر عمياء ، لأن هناك نوعاً يعيش في قاع البحر يبعث من جسمه إلى الأشعة الضوئية التي تخترق الطبقات العليا ، وربما ترجع إلى إشعاعات فسفورية يتسبب تقريباً من كل الكائنات التي تعيش في قاع البحر ولا توجد هذه الإشعاعات في المياه العذبة

وتتناول هذه الأسماك غذاءها مما يطفو بسطح الماء ، وقد تمور شكل الفم فأصبحت فتحته قريبة من السطح العلوي ، وقد يستطيع الإنسان أن يمسك سمكة منها بيده حتى يصعد إلى سطح الماء إذا لم يحدث أدنى صوت ، وإلا فإنه نادرة أن تشعر بأقل حركة وعندئذ تختفي سريعاً

أحمد علي الشحات

كبير المحلل الكيماوي

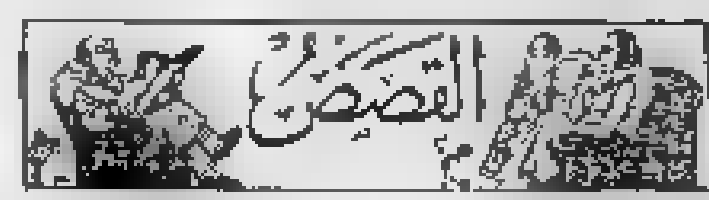


أدب وتاريخ

# حقيبة الذكريات

للأستاذ محمد سعيد العريان

---

في حارة «قصر الشوق» من حي الجمالية بالقاهرة، وإلى الشمال الغربي من مسجد «أبي عبد الله الحسين» حيث لا تزال القاهرة التي بناها المعز لدين الله تعيش في عصر الشبيب والمآذن، وبين الدروب والمسارب، وعند القبور الرهيبة الفخمة التي تتمشى إليها من باب إلى باب إلى أبواب.

هناك، حيث التاريخ الثائر ما يزال حيث ماثلاً في كل ما تقع عليه العين من مشاهد وآثار ومغانٍ؛ كأنما اجتمع تاريخ مصر الإسلامية كله في زمان ومكان، فلا يزال النظر ينتقل من منظر إلى منظر يذكّر بالماضي كأنه يوم كان، من جيل إلى جيل إلى أجيال...

هناك، حيث لا تزال ترى وتنظر ألواناً من الناس في سمات وأزياء وملامح كأنما تشهد بقايا من سلائل الفاطميين وأبناء المماليك وجند السلطان سليم

- هناك في هذا الحي نشأ «وحيد»

تراه، فلولا طربوشه الأحمر ولسانه العربي لحسبته واحداً من أولئك السياح الأجانب الذين يفدون إلى بلاده كل شتاء لدرس أو لنزاهة. أما أبوه فهو في ملء جد واعتبار، ولأنه ميراثاً من ترجع هذا الدم العربي بعده إلى أجيال، منذ فتح مصر جيوش السلطان سليم. وأما أمه فنازحة من صعيد، فلبسها بقية من سلالة بني أيوب. وأما هو فابن أمه وأبيه...

وتنشأه أمه على صلاح وتقوى ودين؛ لا يعرف له طريقاً إلا إلى المدرسة أو المسجد، فلم يعبث به الهوى مرة ولم يتسرّه الشباب...

وأتم في المعلم دراسته، ... أبوه ... بعثة دراسة، ولكن ميراثاً في ... كان ... سافر إلى إيطاليا ليدرس فنون الملاحة ويهيأ ...

* * *

وانتقل وحيد من جو إلى جو، من حي الجمالية في ظلال الشيب والمساجد وأضرحة الأولياء، إلى دنيا الهوى ومسارح اللهو وملاعب الجمال... ورأى، وسمع، وعرف...

ونظرت إليه عينه مقسطاء، فما كان إلا نظرة وجواب حتى كانا مرتفعاً إلى مراح...

وعاد وحيد إلى غرفته في الفندق وقد أوشك الصبح، وإنه من صاحبته على ميعاد؛ وكأنما كان في حلم فاستيقظ؛ لم يأوِ إلى فراشه إلا بعد ما أخرج دفتره يكتب في مذكراته... إنها لحادثة جديرة بأن يذكرها في غربته... ثم أغمض عينيه ونام.

وعرف وحيد منذ اليوم أن في الحياة أشياء غير ما كان يعرف...

وكان في طريقه إلى صاحبته ذات مساء، حين اعترضت سبيله فتاة، ونظر ونظرت، ثم كان مرح، وذاق وحيد لوناً جديداً من ألوان الحب!

وعاد إلى غرفته يكتب في مذكراته، وطوى صفحة وبسط أخرى، وكتب...

وطال ... وأتى بعضه في ... الحياة؟ وكانت حوادثه في فصول وأبواب، وانتظمت حقيبته صوراً وذكريات...

* * *

وتجرّد وحيد من ماضيه، فلم يبق في ذكراه من صورة الأمس إلا رسوم باهتة تكاد يمحوها النسيان؛ ولكن شيئين اثنين لم يفتقدهما وحيد: دروس الملاحة التي جاء من أجلها وطنه وأمه، ومذكراته التي يعتب فيها مغامراته في الحب كل ليلة قبل أن ينام!

وانتهى وحيد من دروسه، فالتحق بشركة كبيرة من شركات الملاحة الإيطالية التي تجول في البحر بين سواحل البحر الأبيض؛ وركب ظهر البحر ينتقل بين البلاد، وفي يده «حقيبة الذكريات» يضيف إليها فصلاً من مغامراته كلما هبط ميناء من الموانئ... حتى واجهه ... في ليلة من ليالي الأرض أو ليلة من ليالي الله...

لكأنما كان يجوب البحار عن عمد ليبحث عن فتاة وحده ، في أن يذوق الحب في كل ميناء تُرسي فيه السفينة فيكتب ويصف ... !

وذاق الحب في كل ألوانه ، إلا اللونَ الواحد الذي يكون معه الجسم .

لقد كان يجمع منه ذكرًا في الظلام قبل أن يحترق الغرفة المعدة للبحار ويطلق القلبُ وريده ؟ فإذا عاد إلى غرفته من الفندق أو من السفينة بسط أوراقه وكتب ! وتخطئ قصة حب خلا فيها منها إلا سطور مكتوبه !

ومضى توفيق في وجهه ، والشر يجري بالشر ... !

* * *

واجتازت السفينة مضيق جبل طارق في طريقها إلى الشرق ، وأسرّ إليه صاحبه « ماجنو » حديثًا فابتسم ؟ ومضت السفينة بها تشق عباب الماء ، واجتازت الدردنيل إلى البحر الأسود ، لترسي في ميناء « كونستنزا » على ساحل رومانيا ، بلاد الجمال والحب .

وهبط توفيق وصديقه إلى البر ، وراحا يضربان في المدينة يبتغيا الحب ... الحب الذي يختبئ في الظلام ، في غرفة مسدلة الستائر مغلّقة الأبواب

وقال ماجنو : إني في هذه المدينة يا صديقي قتلت الحب لقد أخبرني صديقي زار « كونستنزا » من قبل ... !

ودخل الصديقان المقصف وراحا ينظران ، وذهب « ماجنو » يتحدث إلى فتاة الناحية ومضى توفيق إلى جارتها ! ونظر إليها ينظر ... إليه ، وتحدث عيناه إلى عينيها ... وقالت الفتاة تسأل : أتشرب ... هل تريد سيدي ... ؟

ولكن توفيق لم يكن يريد شيئًا غيرها

لقد ذاق توفيق من الحب ألوانًا وصنوفًا ، ولكنه لم ير من قبل مثل هذه الفتنة وهذا الجمال !

لكأنما كان يتنقل في البحار من شرق الأرض إلى غربها يتحرك موعدًا وأعده القدر في هذا المكان !

ولكن صوتها يتغلغل في أعماقه وهو يرجع إليه كأنما كانت تهتف به من وراء البحار : إليّ يا حبيبي إليّ ! فإني أنتظرك منذ أزمان !

وأحس لأول مرة أنه وأنها ... وأحسب ... وواعدها على اللقاء

والتقيا على موعدهما ، وجلس يحدثها ، ويطيل ... ، وعرفت أن صاحبها مصري ، فصاحت فرحة : مصري ؟ ... إن بيننا نسبًا يا صديقي ، إن في عروقي ... دم جدتي إلى نسب رومانية خالصة ، ومع ذلك

وسكتت « ماريا » فلم تتم ، فقد رأت في عيني صاحبها نظرة رحمت أنها تتهم صدقها

وأحس توفيق إحساسًا جديدًا منذ الساعة ... إنه يشعر كأنما يتحدث إليه القدرُ بلسان هذه الفتاة حديثًا لا يكاد يعيه .

وتناول يدها بين راحتيه ، وطال عليها تحسسها ، وإحساسه بجسده !

لقد جس توفيق مثل هذا الجسم من قبل مرات ومرات ! ولكنه لم يكن في صحبة مثلها في مثل هذه الليلة

هذه فتاة لم يعرفها إلا منذ ساعات ، ودعاها إلى حيث الخمر والشراب ... ولكنه يحس في عصب هذا الإحساس الناعس حتى لا يكاد ينظر إليها نظرة ويطيل إلى أسبابه ! وما يشعر في نفسه شيئًا كأنه قد ارتفع عن بشريته حتى سما عن الجسم لأنه يدعوها إلى هذا المجلس من مجالس اللهو الحرام !

وشعر كأن روحًا خفيًا يهمس في نفسه ، وشعاعًا لطيفًا من نور الله يتعد إلى قلبه ؛ فكأنما قام بينهما سحاب من الوهم يمنعه أن يمتد إليها ويمسها

وأطال به طائف الحيرة ، ثم رفع إليها عينيه ونظر ... وأعجبه كل معاني (الجنس) تتحول فيه معاني (الإنسان)

... وعاد إلى نفسه يبحث عنه فيسخر من نفسه ، ويلح يقاوم هذا الطارئ الجديد في قلبه ويسكب في كأسها وفي كأسه ؟ وراحا يشربان ... واتصف الليل وصحبته الفتاة إلى غرفته ... فإنها تحرص أن عليه ... حقًا ينبغي أن يؤديه ؟ فما يعرف شيئًا من رواد البحر إلا مثل ذلك ... !

... ولكنه ... ولكنه في تلك الليلة كان غيرًا من كان ، ونام وكانت كما يقتسم الأخوان الفراش !

ولما قام يودعها في الصباح إلى الباب ، كانت مطرقة رأسها إلى الأرض وفي عينيها دموع !

وتلاقيا من بعد مرات ، ودعته إلى دارها أهله ... ، ونشأ بينهما صداقة الحب على طهر وصفاء !

وتلقى توبي رنّا من الحب لم يسمع مثله من أهله

وقال لها : ماريتزا ! سنفترق يا حبيبتي ! وستبحر السفينة بعد أيام لتضرب في مجاهل البحار ! فاذكريني ، واكتبي إليّ كلما سنحت لك فرصة !

وتضرجت وجنتا الفتاة وقالت : توبي ! ربّاه لا تذكر الفراق ! خذني معك ، إني لا أطيق !

وفكر الفتى قليلاً ، ثم ذهب إلى الربّان يرجوه أن يقبل ماريتزا وصيفة في السفينة . ولكن السفينة لم تكن في حاجة إلى وصيفة على متنها ! فعاد توبي إلى صاحبته بوجه ساهم !

وأبحرت السفينة بعد أيام ، ووقفت ماريتزا تودع صاحبها ، وهي تتنهد ! ووقفت على الرصيف تلوّح بيدها وتحييه ! ثم ضربت السفينة . وراحت تشق الماء ، وسقطت الفتاة بين يدي أمها في غشية !

وجاءوا لإسعافها ، وجاء الطبيب ، ولكن ماريتزا كانت من الصدمة التي ألمّت بها بحيث لا يجدي فيها احتيال الطبيب !

وجلست أمها بجانب فراشها تبكي ، ووقف الطبيب حيران ، ولم تصح ماريتزا من غشيتها !

وراحت السفينة تشق البحر بجبروتها ، وعلى ظهرها توبي وخلّفت على الشاطئ فتاة بين الحياة والموت !

ولكن السفينة لم تكد تمضي في وجهتها ، حتى جاءتها الأنباء بأن المجاز مغلق في طريقها ، فصدرت أوامرها إلى كونستانزا ، حتى يصدر إليها الأمر بالسير

وأرست السفينة ، فهبط توبي مسرعاً إلى البر يرى فتاته ويأنس بها ساعة ، وهو لا يعرف من أمرها شيئاً

ودق الباب ودخل ، وكانت تهذي باسمه ، وفزع توبي ، وجرى إليها وهو يصيح : ماريتزا ! ماريتزا !

وأفاقت ماريتزا بعد غشية يومين ، وشفاها لقاء حبيبها حين عجز الطبيب

وعادت إلى الفتاة صحتها رويداً رويداً ، ولكنها لم تفارق مرقدها ولم يفارقها توبي . ومضت أيام ، وصدر الأمر إلى السفينة باستئناف رحلتها . وخاف توبي أن ينال الفتاة ما نالها أول مرة إن علمت أنه موشك أن يهجرها ؛ فأسر الخبر إلى أمها تحتال في أمرها —

ومضى توبي ليؤدي واجبه في السفينة ، وفيما هم يتأهبون للسفر وكان فتياً في إبحار السفينة ساعات حين جاء ... يسأل : « توبي ، إنك تعرف فتاة كانت تريد أن تعمل وصيفة في السفينة هل يمكن أن تدعوها الآن ؟ إن إحدى وصيفاتنا مريضة وقد نقلت من السفينة إلى المستشفى ونحن في حاجة إلى بديل »

ولم يجبه توبي ، فما هو إلا أن أسرع إلى صديقته يدعوها ، وأبحرت السفينة وعلى ظهرها الحبيبان

وكانت على رصيف الميناء امرأة عجوز تلوح بمنديلها !

* * *

توبي وأخته ؛ هكذا كان يعرفهما ركاب السفينة جميعاً الملاحون والركاب

وظلت السفينة بهما تشق البحار من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، يمرحان في الحب وسعادة اللقاء ، لا يخشيان أن يفرق بينهما شيء . وتآلفت روحاهما حتى ليس بينهما سر ، وسالمتهما الليالي — ومضت سنوات

وكان أشد الفراق حين جاءت الفتاة رغبة إلى أمها تحتضر وكان الفراق ؛ واتسعت المسافة بينهما ، ولكنه لم ينس ، ولكنها لم تنس ؛ فإنه ليكتب إليها وإنها لتكتب إليه !

وطال به الفراق ما طال حتى لا قرار له ! فليس له أمنية من بعد إلا أن يعود ما كان ! وتصرمت السنون والفتى في حنين دائم وشوق لا يغلب !

* * *

ومضى توبي إلى أهله ، فآثر العمل في شركة مصر للملاحة ليكون بجانب ملاذه ! ولم ينس « حبيبة الذكريات » فإنها لمنه أن يكون ؛ يستروح منها ... ويأنس إليها في ساعة الوحشة ...

ومضت الباخرة « زمزم » تتهادى عن ميناء السويس في طريقها إلى « جدة » في ديسمبر سنة ١٩٣٨ وعلى ظهرها الملاح « توبي » ثم وصلت ، وركب الملاح الفتى إلى رصيف الميناء جثة ، وصعد ومعه محشرجا بالملح

وتألف الملاحون حوله ، ووقف الفتى حيث يراه الناس ، لا يتقدم ولا يتأخر ؛ وحضرته الذكرى فرأى كتابه منشوراً على عينيه بما فيه من خطايا وآلام ! ثم يرفع رأسه

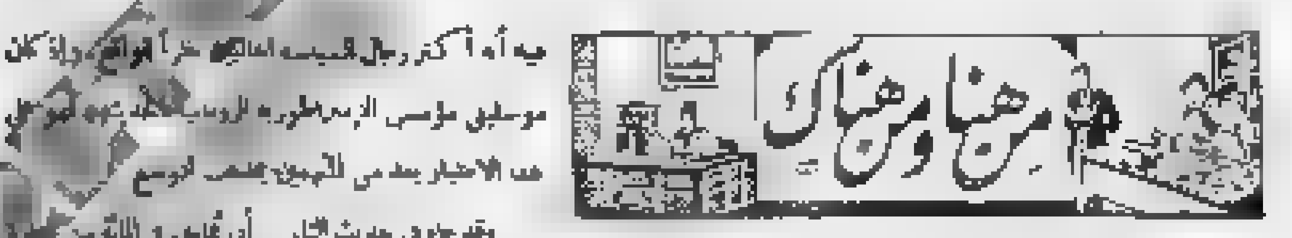


## هل تصبح أوربا وبلاد البلقان مستعمرة نازية

[ ملخصة عن «ذي سباين» نيويورك ]

إذا انتصرت ألمانيا في الحرب الحاضرة، فليس هذا الانتصار مجرد نهضة وحسب ... من أن تصبح أوربا ولا سيما جنوبها الشرقي حقل واسع مستثمر ودول وسط أوربا ... ؟ أم أنه مجرد وهم وتخمين؟ لقد طرحت هذا السؤال للبحث مع عشرين من كبار رجال السلك السياسي البريطاني. أحدهما ... والآخر (بنوماليس)

جاء في حديث الأول عن الدول البلقانية، أن كل إنسان في الجنوب الشرقي لأوربا يشعر بأنه ... من يوم لآخر قد أصبحت ألمانيا عنصراً ... إلى قلب البلقانيين ... وسواء أكانت ... كانت الحرب، فلا يقال أحد أن موسوليني يخرج من هذه الأزمة، ولا ينال من ... نصيبه الأول. قد يكون موسوليني أكثر صبراً من هتلر وأبعد نظراً، ولكن مما لا شك فيه أنه أكثر رجال السياسة العالمية ... وإذا كان موسوليني مؤسس الإمبراطورية الرومانية ... عن الاختيار بعد من ... التوسع

وقد جاء في حديث الثاني: أن ثمانين في المائة من تجارة ... دول المحور، ويبلغ ما ... ألمانيا إلى ... الجنوب ضعف ما ... الدول الأخرى

أما إيطاليا فتستورد ما ... من البرتقال والليمون ... الزيتون والأرز. ولا يصح هنا أن نهمل الصلات الحربية والاقتصادية التي ربطت تلك البلاد. لا شك أن هؤلاء ... الذين يبلغ عددهم أحد عشر مليوناً ... ولكننا نحن لا ... أن نكون ... الأمور عن كثب. لا شك في أن ... لا ... اليوم من استقلالها، أكثر مما كان ... قبل ... على طرف ... أعني: إن اليوم الذي ... فيه الجنرال ... وهو في السبعين من عمره الآن، سيكون علامة لتغيير جوهري في حياة تلك البلاد

ومن رأيي أن سادة النازي يعرفون ... وراء ... وهم اليوم في حاجة إلى ... باعتبارها قنطرة بين الرايخ والبحر الأسود ... الزيت، والحبوب، و الخشب،

---

قلّ أخلاق، كأنما يحمل أوزار الناس على كاهله؛ ونَدَّت عيناه بالدمع ... وتذكر يوم كان ... حتى ينظر إلى ... في «قصر الشوك» لا يحصل من عمر وليس له ماض! ... على أسطر الكلمة ... ، والتهب ... على خديه

* * *

وهناك ... على ... وعلى ظهرها ركاب ... على شفاههم بسمات الرضا والاطمئنان!

وقد وصل إلى غرفته من السفينة ... كما كان يوم ركب السفينة أول مرة من ميناء الإسكندرية منذ سبع سنين ...

ونظر إلى متاعه ... وكأنما ... أول ما ... إلى ... الذي ... من كتبه منذ قريب!

وطرقته الذكرى ... وأحس في نفسه ... والصراع في نفسه ... ، فعاد ينظر إلى ... بين يديه ... ، ثم دنا منها ... حتى ... ظاهر السفينة — ... : «أيها الماضي الذي كان، اذهب إلى غير معاد»!

* * *

وفرغ صديق من قصته ... حتى ... ونَدَّت عيناه بالدمع ... ثم ...

يا صديقي! لقد أذكرتني ما كنت أريد أن أنساه ... ! ... الذي ... ! ... لا، لا ... ماض ... من ...

وصمت ساعة ... وأطرق، ثم ... رأسه وكأنه ... من ... ثم تناول قلمه وبسط بين يديه ... يكتب إليه

« ... »

« ... »

محمد سعيد العريان

والسائرين من الشرق إلى الغرب من هذه الطريق . ويرى هتلر ، وجورنج وريبنتروب وهس أن الألمان يجب أن يطهروا شيئاً غير البلطيق هذا الفضاء

وفضلاً عن هذا ، فإن هتلر يجاري بعد هذا كله روسيا في نظر النازي للتوغل في رومانيا ... في الحلقة التي يشعر معها المتحاربون بأن قوى الريح غريبة عن روسيا وأنهم سيشيرون بالعاصمة إلى الحكومة الرومانية . أما روسيا التي أصبح لها مركز ممتاز في البلطيق ، فهي تطمع في أن يكون لها مركز ممتاز في البلقان ، فقد كانت فكرة الحصول على نافذة تطل على البحر الأبيض المتوسط حلم رجال السياسة الروسية منذ عهد بطرس الأكبر . ومن السهل مهاجمة القسطنطينية وهي العاصمة السابقة للبلاد التركية من الناحية البرية

وإذا كانت تركيا تقف اليوم موقف الحياد بين فريقين ، فإننا لا نستطيع أن نعرف موقف هتلر في هذه الظروف . إن هتلر قد يتقدم نحو الغرب أو يتجه إلى الشرق ، ولكنه في الواقع لا يستطيع أن يتقدم أو يتحرك . إنما بيد الله مصير مواطني هتلر !

إن المشكلة الحقيقية التي يعانيها موسوليني ، هي أن رجاله مع هتلر لا تزال سمعتهم موسى في روسيا ، لم يستطع أن يظهر فيه موقف الشعب الإيطالي بإزاء فرنسا التي تربط معها بصلات لم تنفصم عراها منذ ٢٥ عاماً

إن الحرب والمال يصلان بمصلحة الملتقاة ، ولا شك أن الشعب في هذه الحروب المتوثبة له الشبه على السلاح . فإنه لم يقسم موسوليني فرنسا الفرس ، فقد وصل حكمه أضعاف هذا إلى سياسته

الشعوب هم فاشستية

[ عن مجلة « بريد » ]

كتب الصحفي والمؤلف المشهور « فنسنت شيان » مقالاً في العدد الحديث من « كارنت هستوري » التي تصدر في نيويورك قارن فيه بين البلشفية والفاشية

ويقول « فنسنت شيان » في هذا المقال إن البلشفية هي في حقيقتها نوع من الفاشية في ثوب الماركسية ... والفاشية تأخذ على الشعوب بعقول الناس بالأماني والوعود الخلابة والآمال التي لا ظل لها من الحقيقة ، فتضع في الميدان الحرية صوتاً خلاباً من ألفاظ البطولة والتضحية حتى يكون آلامها ومتاعبها سائغة للذائق إلى حد ما . وظن أن مختلف الوسائل التي تتبع في ألمانيا منها في روسيا ، فالشعب في كلا البلدين يلزم

بأشق الأعمال ويقتطع منها أقل الجزاء ، وهكذا أتيح للحكومات الفاشية والبلشفية أن تمنح للآلاف من الشعوب بعطائها

إن حجر الزاوية في الحكم الفاشي هو تعبئة الطبقات الشعبية التي تحرص دون حد على الأعلين ، وإحساسهم الشعور بالقوة يدركه مواطنهم نحو الرقي والتقدم . وقد سار هذا المبدأ بنجاح في روسيا كما سار في ألمانيا على حد سواء . وما زال الملايين من العمال في روسيا ، وكذلك في ألمانيا ، محرومين كل شيء . فلا يستطيعون اختيار العمل الذي يريدونه ، أو المكان الذي يسكنون فيه ، ونوع المعيشة التي يرغبون بها ، وهذا ما يحسون على الدوام ولا يحسون شيئاً غيره ... إن هذا هو النوع الرهيب من الحياة التي يجب أن تسود العالم أجمع بفضل مبادئهم

ولكن الفاشية روسية كانت أو ألمانية ليست في الحقيقة نظاماً دولياً عاماً سواء من الناحية العسكرية أو الناحية الشعبية بل هي على النقيض من ذلك ، فقد ثبت أنها تقوي العصبية وتدفع الوطنية إلى حد لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم

وتستعمل الدعاية الروسية كافة الوسائل لإقناع الشعب بأن حكومة روسيا السوفيتية تمتاز في سائر أهدافها على حكومات العالم ، وأن الشعب الروسي خير من سائر الشعوب ، وأن الجيش الروسي أفضل الجيوش التي في العالم

لقد كانت البلشفية التي دعا إليها لينين وتروتسكي على شيء من الشك ، لذلك كانت غير فاشية ، وكذلك كانت تعمل بعض الشيء . أما البلشفية ستالين ، فتعتبر بنظرية « الاشتراكية داخل المملكة الشعبية »

فإذا عرفنا أن الفاشية أتيح لها أن تتغلب على أوروبا ، فسوف لا يستقر ما أمن أو سلام بعد أن ميدانها الشاغل هي نالية بعض ، وتقديس الوطنية ، ودعوى التفوق والامتياز سوف تصطدم بمطامع الأمم الأخرى التي ترمي لتغلب مثل هذه المزاعم

إن الفاشية لا تعترف بدعوى التفوق أو المساواة من أي شعب من الشعوب . والمثل الفاشي يعتقد كما يعتقد موسوليني - أن السلم ما هو إلا فترة بين الحروب . وخير ما تنعم به الإنسانية هو أن تقضي هذه الفترة في التدريب والتأهب على الدوام

فإذا أصبحت أوروبا قارة مقسمة بين فاشستية ستالين وهتلر وموسوليني ، فمعنى ذلك أن أوروبا لا تخرج من الحرب إلا لتعود إليها ، ولكن الحرب في المستقبل لا تكون إلا بين الفاشيين المتنافسين

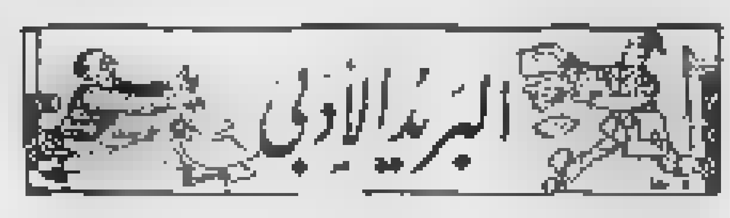


## كتاب كريم

تفضل إمام المسلمين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر فقرأ كتاب (وحي الرسالة) ثم أرسل إلينا هذا الكتاب الكريم .

عزيزي الأستاذ أحمد حسن الزيات

إن كثير الثناء عليك قليل بجانب ما قدمته للأدب والعربية والثقافة من جهد وعمل ، ولن أبالغ مهما أثنيت عليك وإني أطالب وأطلب ، ولا من تقدرك وإن أطنب وجود . وعجيب ألا يكون قراء الرسالة من أهل الرسالة ، فما هو إلا حين أستطرفه وأعجب أصحابه ، حتى قرأته وحتى سمعت أن كاتب مقالاته وقربت إليه بعد أن كانت شاخصة ، ولقد كنت في هذه الفصول مترجماً صادقاً منصفاً للشرق حين ترجمت عن الرجال ؛ وكنت مصوراً ماهراً حيا صورت من عيوب المجتمع وآلام الحياة ، وأبرزت حقائق النفوس وعيوب المواضع حتى تكاد تلمس وتحس ؛ وقبل هذا كنت عربياً بعاطفته وعقله بأسلوبه لهم نعوت ، كل أولئك بأسلوب ينزل في القرطاس تتصل فيه بسلائقك الأولى من طول الفرنجة الأدب ، في أدواتك جريت على سنتهم دون أن تقصد ، وسرت على منهجهم دون أن تحاكي

ولست أملك بعد إلا أن أدعو الله بحياة طويلة سعيدة يقوم لك فيها الأقلام ، وتتابع في رسالتك حتى يقرأ لك الناس مجلدات صيغت من وحي الرسالة

والسلام عليك ورحمة الله

[٦ مارس سنة ١٩٤١] محمد مصطفى المراغي

## تحريف أو تصحيف

قال عثمان أبو عثمان الجاحظ في « كتاب الحيوان » يذكر ما يعرض للكتاب المنسوخ من آفات الناسخين

« ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك لإنسان آخر فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الأول ، ولا يزال الكتاب تتداوله الأيدي الجانية ، والأعراض المفسدة ، حتى يصير غلطاً صرفاً وكذباً مصمتاً ، فما ظنكم بكتاب يتعاقبه المترجمون بالإفساد ، ويتعاوره الخطاط بشر من ذلك أو بمثله كتاب متقادم الميلاد ، دهري الصنعة »

ولم يزل الثقات ومحققو أصحاب العمل من علماء العربية يردون الكلام المنقول المكتوب إلى النقل بعد التحري لضبطه المكتوب — اتقاء لما عرض له من تحريف الناسخين ، واتصال السطور ومنعة الطالبين ومحن أعاجمي على مختصم ... ولا يحب هذا القول عز عليه مبتدأ آخر ، ومصوغاً لنسخه ولكن ضمنا في الله ما حفظ النقل وبقي النصف الآخر متردداً بين قال فلان وكتب فلان

وعلى ذلك ، فقد تحققت من تحريف في رواية صاحب العقد الفريد في العدد (٣٤٣) من الرسالة ، قلت « وحب الغم الأعشاب في أرضه سوء » ، ووقعنا على العقد وهو « الأعشاب » ثم رأيت في البريد الأدبي من الرسالة (٣٤٩) كلمة للدكتور بشر فارس يرد ما ذهب إليه ثلاثة أوجه شبه بالترتيب من تحت إلى فوق

الأول — أن الحرف (عجارات) قد ورد كذلك في جميع نسخ العقد الفريد المطبوعة ، وكذلك في مخطوطة منه بدار الكتب يظن أنها كتبت في القرن السادس

الثاني — أن هذا النص يصح لغة وأداء وبياناً ولا يصح كذلك في الاستبعاد أن يرد على العربي

الثالث — مخالفة بحثي في ذلك لمنهج علماء العربية ، واستشهد في وجوابنا على الترتيب من تحت إلى فوق

أما أنا فأرى بأساليب هؤلاء الأعاجم الذين اغتصبوا العربية حقلاً من أعمالهم — من أن غلطهم في الجثث من مباحثهم في تحرير النص ومراجعته على جميع النسخ التي ذكرها وما إلى ذلك ، فهل مردود مشكل بحث ولكن هؤلاء الأعاجم قد سبقهم سلائقهم من معرفة أسرار العربية ، فلم يتجاوزوا الوقوف عند النص المكتوب ، وذلك لتحرزهم من بعد هذا عن ذلك

من أنفسهم ، فكل من أمانتهم أن يتوقفوا ، فلا يقطعون برأى فى صواب أو خطأ ، وهى أمانة مشكورة لهم

ولكن المرء إنما أخذ بأسبابهم ، فلا بد له من أن يتحرى بمريته إلى ما عبروا عنه بأحكامهم ، فكذلك فعلنا فى كلمة ابن شبرمة وقلنا « إنه نص صحيح على تقدم النور » . وبيان ذلك أنه ليس من قياس العربية أن يجمع « فعلا » على « مبارك » ولا غيرها من الجموع ، وأن ابن شبرمة لم يرد تفسير العلم نفسه فيحصل ما بقى منه « ضيراً » ، وإنما أراد أنه بقى من العلم شيء هو من صحيح العلم ، ولكنه وقع فى صدور رجال من أهل الباطل يحترق الناس بفضل ما يهم من يصل به بحسبهم لا يطيقون يبطل ما دعوى أصحاب فقه ودين وعلم . ولم يكن الشبهات وأقتابها خرجت لعهد ابن شبرمة حتى يكون فى التى تغير العلماء وعوام الناس ، وإنما كانوا يبصرون العلم ، فإذا لم يكن عنده من لم يعدم الناس فى العلماء . ثم إن النص لا يمكن أن يزكى عليه فى وجه حتى يصح أن يحمل ــ ما أطلقت عليه صدورهم من بقية العلم ــ ضيراً فهو صحيح نص المعنى يكون المراد عقيم العلم وأصحابه جميعاً

وأخيراً ، فنحن ومن نص النقد من جهة بيان العربية وتحريرها ، ونقول إنه لا يصح أن يروى إلا هكذا : « محنة العلم الإغراب فى أوجهة سوء » وإذا كان الدكتور بشر أو غيره يريد أن ينصر إلى رأيا نص آخر ، فلا بأس عليه أن يجد عليه فقد روى ابن عبد البر فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله » — المطبوع فى سنة ١٣٤٦ عن نسختين قديمتين ، إصدار الإمام الشيخ الشنقيطي ، وعليه خطه فى الجزء الأول منه ( ص ١٠٣ سطر ٦ ) بإسناده إلى محمد بن سيرين ( وليس ابن شبرمة ) قال « محنة العلم لا بس إلا تجرأ فى أوجهه سوء » فهذا نص ، وحقاً صحيح غيره ، فمن شاء أن يبحث فليبحث ، وتصحيحها إلى من عنده نسخة من النقد ــ أن الشيطان كان ــ فليصحح الذى أنجاه ، وما سوى ذلك ، فهو — كما قال — أمر متأن خطأ صرف وكذب محض ... والسلام

محمود محمد شاكر

## الأدب الإنجليزي والروح الإنجليزية

ألقى الأستاذ د. م. روبسون ، أستاذ البلاغة والأدب الإنجليزي فى جامعة أبردين ، بمعهد الإتحاد للتعليم فى الإسكندرية ، أول المحاضرات التى دعى إليها المعهد هذا العام ، وكان موضوعها « الأدب الإنجليزي والروح الإنجليزية »

فاستهل كلامه بقوله إن بريطانيا استطاعت أن تصير أعظم العالم ، وإنها مهد الديمقراطية ومؤسسة الصناعات الحديثة ، وهبتنا فنانا كثيرين ومؤلفين وعلماء . وقد تقدمت مع أجيال القوة الحية حيث يتربع شاعرها العظيم شكسبير كأنه امبراطور تتجه إليه أمم العالم بروحي الطاعة والولاء

ثم قال إن الأدب الإنجليزي أقدم أنواع الأدب الحديث ، إذ يرجع عهده إلى القرن الخامس الميلادى ، أى قبل أن يجد الإنجليز والسكسونيون طريقهم إلى بريطانيا ، وبين هذا التاريخ وبين عصر النورمانديين الذى مضت سبعة قرون ، كانت حافلة كلها بالشعر والنثر

وعرض للصفات التى كان يتحلى بها من ترجموا الشعر فى هذا الحين . فأبان أنها كانت فى حسبها ما يتحلى به الخلق الإنجليزي الآن ، فالبريطانيون ينصبون إلى الحرب وكأنهم ذاهبون إلى مشاهدة مباراة فى كرة القدم

ثم بين أن تراث الأدب الإنجليزي كان حافزاً لقوة هذه الأمة يتمشى مع انتصاراتها فى مختلف الحروب التى خاضتها ، وقال إن أهم ما يلفت النظر فيه اعتماده على آداب الشعوب فى البلدان الأخرى إلى حد كبير . ولقد ظهرت فى أوربا اليوم اصطلاحات كثيرة كالأوتوقراطية والعنصرية ، ومقدرة الدولة على سد حاجاتها بنفسها ، فلم يلتفت إليها نظر الشعب الإنجليزي ولم يعن بالخوض فيها ، لأن قوة إنجلترا تتوقف على اختلاط أجناسها وتعتمد على امتزاج العناصر المختلفة فيها . ولذا كان قليلاً أن تجد شخصاً تركب أصلها من هذه عناصر كاللغة الإنجليزية ، وكان أقل من ذلك أن تجد أدباً اعتمد على مختلف العناصر كالأدب الإنجليزي

وعدد الأستاذ روبسون بعد ذلك إلى أن الكتاب الإنجليز تأثروا من كل مورد ، وضرب كثيراً من الأمثلة فقال إن الشاعر

النظم شوسر ، من أكثر شعراء الإنجليز الذين تأثروا بشعر الفرنسيين والطليان. ومنذ عهد الإصلاح إلى منتصف القرن الثامن عشر كان الأثر الروماني والإغريقي هو السائد في الأدب الإنجليزي. وفي خلال هذا القرن تلقى الإنجليز أصول الأدب عن الفرنسيين. وفي أوائل القرن التاسع عشر كانوا مدينين لألمانيا إلى حد كبير. وفي الوقت الحاضر تدين الشعراء الإنجليزية بوجودها للشاعر النرويجي ابسن. وكذلك تأثر كتاب الروايات القصصية من الإنجليز بالكاتب الروسي الشهير دستوفسكي.

ثم قال إنه إذا صح القول بأن انجلترا منفصلة عن أوربا ، فإن هذا الوصف لا ينطبق عليها في الزمن من ناحية الأدب. وقد يكون من متناقض القول أن شعباً كالشعب الإنجليزي عرف بأنه أنجب في ميادين السياسة والعمل والتجارة رجالاً أفذاذاً لا يكون أيضاً من أوائل الشعوب في ميادين الأدب بجميع أنواعه.

وذكر المحاضر بعد ذلك أن انجلترا لم تتزعم دول العالم في السياسة والتجارة فحسب ولكن في الأدب أيضاً. وإن الإنجليز في الوقت نفسه أكثر الشعوب تديناً. وقد يكون أهم ما يلفت النظر عند زائر انجلترا أن يلاحظ أن الشعب الإنجليزي شعب لا يعرف اللهو ، أو هم كما يسمونهم « شعوب مجربة » ولكن قد يوجد شعب آخر في بساطة التفكير ووداعته مثلهم.

وبعد أن ذكر الأستاذ ويلسون أنه يجوز أن تجد عند [illegible] المتأخرين من الرياضة والتصور والخوف من الله ، وتوضح ظاهرة غريبة ، فإن رجال الأدب في انجلترا هم بدون شك من أشد الناس تمسكاً بأهداب الدين والفضيلة. قال إن [illegible] والفضيلة كانا على الدوام رائد الشعراء الإنجليز من أشعروا. فهذا ملتون كان يسعى في كتاباته ليظهر للناس طريقهم إلى الله. وكذلك كان يعمل من قبله لانجلاند وسبنسر ودن ووردزورث [illegible] وبراوننج وغيرهم [illegible] ، ولم يكن يعترف بالله ، كان يبشر في كتاباته بأعيان اجتماعي جديد. وقد أصبح ذلك عند العصر الفيكتوري ، وما زال حتى الآن يحمل لواءه أشهر الكتاب المعاصرين أمثال برنارد شو وولز وهكسلي.

ومثل من يتهم هذا النوع من الكتابة بأنه ليس من الأدب في شيء ، ولكن الأدب لم يكن في يوم من الأيام [illegible] على [illegible] الشخص ، وإنما يتوقف على أسلوبه ، ومعه كتاباته [illegible] لا تخرج عن أنها دعاية دينية ، فمن هذا [illegible] أدبياً [illegible].

ولما كان الإنجليز في جميع العصور مدينين سياسياً إما عبيد الأحرار ، وإما عبيداً مستعبدين ، فإنه ليس غريباً أن كان [illegible] شأن أي شأن في الأدب الإنجليزي.

وقد كان شوسر من أصحاب المذهب الأول ، وقد عرف عنه العطف على كل مخلوق ، وإحساس ديني ، واهتمام خاص بالحياة المادية [illegible] في حين كان معاصره لانجلاند على نقيضه [illegible] من أنصار الأحرار الذين يعتقدون بالحق الإلهي للإنسان.

وأما من وجهة شكسبير ، فهي عاطفة شوسر ولكن على نطاق أوسع ، فقد كان شكسبير من أشد رجال الأدب الكاثوليكيين في العالم تديناً.

وفي [illegible] هذا العصر ظهر ملتون أكبر شاعر بروتستانتي [illegible] دعا إلى التعصب لمذهب البروتستانتية البريطانية في أوسع معانيها وكان يعتقد بالقضاء والقدر في حياة الإنسان.

وبعد أن أبان المحاضر أن هذه المعرفة صفة ثابتة عند [illegible] ووردزورث وشيلي ، ختم كلامه بقوله : لقد كان [illegible] في كل عصر أنصارها المتحمسون ، ومع أن [illegible] فإن انجلترا يجب أن [illegible] من طيف خاطر [illegible] ذلك [illegible] أجانب. ولكي يفهم الأجنبي الروح الإنجليزية على حقيقتها يجب عليه أن يدرس الشاعر ووردزورث الذي تعبر أشعاره [illegible] عن جميع الشعراء.

ولما حارب الإنجليز في عام ١٩١٤ [illegible] وهم لا يضمرون لهم حقداً ولا ضغينة ، كذلك نرى هذه الروح في الشعب [illegible] في جميع حروبهم [illegible] الروح التي تتسلط عليهم في حربهم الحاضرة [illegible].

مشروع جديد في طب الأسنان

تذكر المجلة الطبية الأمريكية أن طبيب أسنان من [illegible] وصل إلى إجراء عملية جديدة في جراحة الأسنان ستحدث ثورة [illegible] في عالم طب الأسنان. وتقول المجلة المذكورة إن الطبيب يخلع الأسنان الفاسدة والمسوسة من أماكنها [illegible] وبطريقة خاصة

من استراحة ردها إلى مكانها من الفك بعد تطهيرها وإزالة الأجزاء الفاسدة وفي مقدمتها السوس

ويعاد السن إلى الجيوب وتستقر في مكانها الأصلي بواسطة شيء من الشمع حتى تنمو حولها اللثة والنسيج. والأسنان التي تعاد بهذه الطريقة يصح أن تدوم مدة أقلها عشر سنين

## حول آلهة الكعبة

قرأت العدد الممتاز من رسالتكم الزهراء الخاص بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، فأقدم لكم جميل الشكر والثناء على عنايتكم بهذه الذكرى المباركة، كما أتقدم بالحمد لحضرات الكتاب الكرام الذين عاونوا على إصدار العدد بما جادت به قرائحهم بارك الله فيكم وجزاكم عن نبيه وعن الإسلام والمسلمين خير جزاء

ولقد استوقف نظري عنوان قصيدة الأستاذ الشاعر محمود حسن إسماعيل «آلهة الكعبة» وإضافة آلهة إلى الكعبة فالمتبادر في القصيدة الجمهور بين مناة واللات والعزى، وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها. فمناة كان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة. واللات كانت بالطائف وكانت موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم. والعزى كانت بواد من نخلة الشامية يقال له حُراض بإزاء الغُمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة. راجع كتاب الأصنام لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي: ص ١٣ و ١٦ و ١٨

وقد يعتذر عن هذا الإيهام بأن إضافة آلهة إلى الكعبة لأدنى ملابسة كما يعرف النحويون في مثل هذا، كما يعتذر أيضاً بأن ما تضمنته القصيدة إنما هو أسطورة غير واقعية بل خيالية كانت من قريحة الشاعر، وقد أشير إلى هذا في الرسالة. غير أنه حدث أن بعض طلاب العلم كانوا يدرسون بأنفسهم بعضاً من القصائد والمقالات من عدد الرسالة حتى قرأ «آلهة الكعبة» فتبادر إلى ذهن البعض منهم أن هذه الأصنام كانت في الكعبة فصححت لهم ما ظنوا. وتبين لي أن ما اشتبه على هؤلاء ربما يشتبه على غيرهم؛ لذلك رأيت أن أكتب إليكم هذه الكلمة إيضاحاً وكشفاً لهذا الإيهام غير المقصود

ومما يناسب هذا البحث ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت «الكعبة» وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قاتلهم الله! أما والله لقد علموا ما استقسما بها قط، ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت. (مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٣٤)

محمد صبري

## إلى الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم

قرأت مقالك في عام الفيل وميلاد الرسول فأعجبني رأيك في تحقيق ذلك الميلاد، وكنت موفقاً كل التوفيق في تأييدك وجوه التغاير في حملة الأحباش. ولما أشكل عليّ في مقالك أمور أعرضها عليك لتتفضل بإيضاحها

١ — ذكرت أن النجاشي كان يرى أن مكة مدينة خيالية لا يمكن فتحها، فكيف يعلم النجاشي هذا وهو من شعب عربي، ثم يحجب على الروم وهم أهل علم ومعرفة ودراية يعرفون العرب وطبائع البلاد؟

٢ — وذكرت أن مساعدة النجاشي الروم لم تكن موجهة ضد الخليج الفارسي، لأنه لم يكن له أسطول يمكن أن يوجهه إليه، مع أنك ذكرت أنه كان للروم أسطول بالبحر الأحمر والمحيط الهندي، وأن هذا الأسطول هو الذي نقل جنود الأحباش إلى اليمن، وكانت الأفيال تأتي به إليهم من الهند

٣ — وذكرت أن الأحباش يرمون للحجاز بتحريض الروم، ثم عدت فذكرت أن الأحباش لم يكن مقصدهم الفرس بالحجاز، وإنما كانوا يقصدون مساعدة الروم

٤ — ويفهم من كلامك أن الزحف والوباء الذي حصل للأحباش عند وصولهم إلى مكة لم يكن بسبب إلهية. وأن أهل الحجاز هم الذين صوروا ذلك حين سمعوا أن الروم يقصدون هدم الكعبة، ولكن الأمر في هذا لا يقف عند فهم أهل الحجاز فقد جاء القرآن الكريم موافقاً لما صوروه من هلاك الغزاة، وذلك في قوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل) الآيات

٥ — وقد جعلت الرواية اليونانية تناقض الرواية العربية في سبب حملة الأحباش، مع أنه لا تناقض بينهما، والشيء

الواحد قد تختلف أسماؤه ، ولا يصح في الرواية العربية أن تجعل أمر سفير الروم إلى النجاشي ، لأن ذلك جرى بين النجاشي وجوستنيان ، ولم يكن العرب في ذلك الوقت في حالة تمكنهم من الاطلاع على هذه السفارة

(قارئ)

« سؤال »

جاء في مقال الأستاذ الكبير عبد الله عفيفي بك بالعدد الممتاز « ميراث لا وارث له » :

« وما كان أقوى تلك الفتاة الناشئة عائشة بنت أبي بكر حين القسم [illegible] وطلبت الشريف [illegible] أم حبيب في [illegible] أطارت [illegible] من أدب التكلم فما نطقت إلا بحبة واحدة سقطت من حبها على الأرض »

وجاء في قصيدة الأستاذ محمود الخفيف [illegible] « في الطريق إلى يثرب » :

حيث أسماء كالظبي الربيب ... تسرق النظر على عين الطريق

يا ابنة الصديق هل من نبأ ... [illegible] من الشرك وثبى

أسمعي [illegible] الفتاة [illegible] ... طرحت قرطك من وقع صعبى

فيتضح من مقال الأستاذ عفيفي بك أن الفتاة أي [illegible] كانت [illegible] بنت أبي بكر ، ومن قصيدة الأستاذ محمود أن الفتاة كانت لأسماء ، فمن أي شيء جاء هذا الاختلاف ؟ أسبب أحدهم فأورد القصة على غير ما هي ، أم ماذا ؟

(أبو الخير) السيد محمد أحمد [illegible]

(الرسالة) الصحيح أن الفتاة كانت أسماء ذات النطاقين [illegible] ذكر [illegible]

« [illegible] »

سألني (قارئ) عن كلمة وردت في كتاب « تاريخ الأدب » الذي وضعه مؤلفو وزارة المعارف المصرية حيث زعموا أن أبا دهبل الجمحي من شعراء المخضرمين (بين الجاهلية والإسلام) وذكروا أنه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبياته التي أولها :

إن البيوت معادنٌ فنجارهُ ... ذهبٌ وكلُّ بيوته ضخمُ

ونحن نقول إن الأساتذة المؤلفين قد أخطأوا الفهم وتنكبوا المحجة واعتمدوا أساليب [illegible] من أمثالهم في الاستنباط والتحقيق العلمي ، فأسندوا إلى الرسول ما [illegible] أبي دهبل الجمحي ، وكان طريقهم إلى ذلك [illegible] الحماسة التبريزي ج ٣ ص ٧٥ ما نصه :

« قال أبو دهبل الجمحي — وهو يمدح النبي صلى الله عليه وسلم » ثم ذكر الشعر ، فاستخرجوا من ذلك أن أبا دهبل مخضرم وعدوه نابغة في التحصيل

أما تحقيقنا فهو يخالف ما ذهبوا إليه ، فإنك إذا قرأت شرح هذا البيت رأيت التبريزي يقول في شرح قوله « وكلُّ بيوته ضخم » : « يعني بما أكتنفه من أصوله وأعمامه من بني هاشم وأمية ومخزوم » والتبريزي لا يجهل بلا شك أن بني أمية وبني مخزوم ليسوا من أعمام رسول الله أو أصوله ، وهو يعلم بلا شك أيضاً أن الأبيات في مدح عبد الله بن عبد الرحمن ابن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي (ابن الأزرق) كما جاء في الأغاني ، وهو الذي أعمامه وأخواله من بني هاشم وبني أمية وبني مخزوم

وإنما تصحيف المصحح في التبريزي قد جاء في قوله « وقال وهو أمي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم » فرفض بعض النساخ لم يفهم ، فحذف قوله « وهو أمي » ، فصار الكلام « وقال يمدح النبي » ... وصار أبو دهبل في رسالتنا هذه مخضرماً بعد أن عرفه علماء العربية كل هذه القرون شاعراً أموياً

(م)

# من التاريخ الإسلامي

تأليف الأستاذ علي الطنطاوي

« يصدر في الأيام القريبة هــذا الكتاب للأستاذ علي الطنطاوي مصدراً بهذه المقدمة الجميلة . ونحن نبادر إلى نشرها تعريفاً بالكتاب وتنويهاً بأمره »

لو رجعت إلى أصول هذه القصص التي يشتمل عليها هذا الكتاب ، لرأيت أني لا أجاوز بضع صفحات من التاريخ الإسلامي ، متفرقة في مواضع منه شتى ، وفصول مختلفة لا يضمها باب الشعري ولا يعد منها . وليست أروع ما في تاريخنا ولا هي من أروع ما فيه ، وإنما هي أخبار عادية يستطيع كل أديب أن يصنع منها هذه القصص وأن يعرضها على الناس شيئاً جديداً أو هو كالجديد . فكيف إذا تولاها من هو أقوى من هذا القلم ؟ وكيف إذا اختار لها مواقف من التاريخ رائعة عظيمة حقاً ؟ وإذا كان أصل هذا الكتاب الذي خرج منه ، وأساسه الذي بني عليه ، بضع صفحات من هذا التاريخ العظيم فكم صورة رائعة ، وكم قصة بارعة ، وكم من الآثار الأدبية الخالدة يمكن أن تخرج من هذا التاريخ ؟ أما في ذلك مزيد من الصدق ومجال من الحسن ، وإن السيرة وحدها لتمد الأديب بأكثر من كتاب أدبي . ولكن أدباءنا لم يردوا هذا المورد !

وليست هذه القصص كاملة ولا هي في الذروة العالية لهذه الروعة الفنية ، ولكن ما أكبر عيوبها ، وإن فيها لنقائص وعيوباً أدرك أنا الآن بعضاً منها ، وإن غفلت عن كثير . ولعل الله أن يسهل سبيل الأدب سالكاً للسائر المطمئن ، لا العثر الضال ، وأن يحمي من عم الشك المميت ويكد الحياة الخصبة الماتعة في حياة الزخارف .

فأعرض على الناس قصصاً من التاريخ يبكي منها عيوب العصر ويرى عيب الجاد ، وإني لأقرأ في التاريخ ما يزلزل شعوري ويعلو من احتقاري ويجوره على أساليب الصادة ، لأنه لا يصنع الأعاجيب إذا وصل ووسع وطار في آفاق الأعاجيب !

وإن الناس قد عرفنا أشرف ما أخرجته الأمة ، إن نحن جمعنا الحب والإخلاص والنبل والحضرية والعزة والمروءة به ، في وجه ملامح وجه من كل يبحث عرف الأكبر .

ويكن عيب هذا التاريخ ذلك ، وأنه ليس لأنه ليس فيه إلا الأمم منه ، وأن علماءنا — أعني الفقهاء والمحدثين والمفسرين — قد انصرفوا عنه جملة ، وكانوا يعدونه إلى عهد قريب من فضول الكلام ، ويرون الاشتغال به مضيعة للوقت . ثم إنه إذا عرجوه لم يفهموا من قيمته ، في حين يحسنون الكلام عنه ، لأنه ليس لأكثرهم أقلام ، ولا يصير لجمودهم الأدب ، ولا يعرفون من البلاغة إلا صورها الجافة وتعريفاتها الجامدة التي بقيت في الكتب وتضعف عليها الشروح والحواشي ، فهم يعرفون الاستعارة وأقسامها ، ولكنهم لا يستعيرون ، ويعرفون أنواع المجاز ولكنهم لا يتجوزون . فأولئك العلماء وقف على القصص الذين اشتغلوا به من الفن ، وكانوا هم المرجع فيه وكانوا عمدته ، وأكثرهم قد غلب على عرفنا في صحة أهله ، وقرأ في غير كتبه ، ولم يأخذ من التاريخ رواياته ، ولا من الرجال أخبارهم ، ويكون أحد آرائهم وأحكامهم بحسب أن التاريخ يكون بالنقل ، وأنه يرحل ويرعاه ، وهو أول من لم يعرف أن العقل لا يصنع في التاريخ شيئاً إن لم يكن معه الرواية ، وأن الخبر فيه للنص الصحيح ، وأن نصوص التاريخ هذه لا نجد غيرها — والبلية بهذا النص من التاريخ كبيرة . ثم إن هؤلاء كلهم أو من عرفنا منهم لا يكتبون ولا يبينون عن أنفسهم ، وأنهم في البعد عن الأدب كالعلماء ، إلا أن العلماء حفظوا قواعد النحو والصرف والبلاغة ، وقرأوا فيها الشروح المطولة والحواشي ، وهؤلاء قصروا عن ذلك كله . بقي الأدباء فاسألوا الأدباء : أي ما حال بينكم وبين التاريخ وما منعكم أن تمدوا أيديكم إلى هذا الكنز العظيم ؟ وانظر ماذا يقولون !

• • •

على أن من الإنصاف أن نقرر أن هذا التاريخ الذي انصرف عنه علماؤنا وعدّوه من فضول الكلام ، وأخذه شبابنا من غير مأخذه ، إنما هو التاريخ السياسي ، تاريخ الملوك

والأحياء ، والحروب والوقائع ، وهو أضعف جانب في تاريخنا — على قوته وعظمته إذا قيس بتواريخ الأمم الأخرى

أما التاريخ القوي حقاً ، الحافل بالأعاجيب والعجائب المعجبة فهو تاريخنا العلمي الذي عني به العلماء بعض العناية ، وانصرف عنه الشبان الانصراف كله ، ولم يكونوا منه في قليل ولا كثير ، لأن دراسته تحتاج إلى آلات لا يملكونها ، من اطلاع على اللغة وتمكن منها ، إلى معرفة بمصطلحات أهل الحديث والفقه ، إلى وقوف على التفسير ومعرفة بالأثر ؛ فلذا هجروه إلى جهل منها كله ، فإذا يرجعون هوسهم إلى الصحيحة [illegible] كما انصرف من هو أعلم منهم ، من « أولئك » القوم ، وانصرف عنهم ، [illegible] إن تاريخنا القوي حقاً المعظم الأمجد هو التاريخ العلمي ، تاريخ الرجال . وابدأ فيه بسيرة سيد البشر وسيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي ألف فيها المئات من الكتب ، ثم عرج على سير الصحابة فاقرأها في الإصابة أو في أسد الغابة أو في الاستيعاب ، ثم انظر العمل الذي قام به مؤرخو رجال الحديث [illegible] الأئمة والمحدثين والمصنفين ، وانظر هل أفلت منهم حبر ، أو ذهبت عليهم حقيقة . وهل صح عنده أنه كان أو يكون كالذي صنعوا ، أو تصوروا إمكان مثله في العصر الحاضر ؟ لقد صنفوا في الرجال الكتب المطولة ، وأفردوا الضعفاء والمتروكين بالتآليف ، ووضعوا الكتب في ضبط الأسماء وبيان ما تشابه منها وما اشتبه ، وكتبوا في تواريخ الرواة ، وحققوا الأسانيد . ثم انظر ما ألف من كتب رجال في سائر العلوم والفنون ، كطبقات الأطباء وأخبار الحكماء ، والنحاة ، والأدباء ، وفي المذاهب ككتاب السبكي الجليل القيم : طبقات الشافعية ، والديباج في أعيان المذهب المالكي ، وطبقات الحنابلة والحنفية ، وما ألف منها في البلدان كتاريخ بغداد الذي ترجم لكل من دخل بغداد من كبير وصغير ، والكتاب الذي لم يؤلف في بابه مثله كتاريخ ابن عساكر العجيب الذي ترجم لكل من دخل دمشق من عالم وشاعر .. وما ألف بحسب العصور ، وهذه سلسلة كاملة لأعيان كل عصر من العصر السابع إلى الثاني عشر الهجري ، وما كان منها عاماً كريحانة الألباء [illegible] الكتاب النفيس للمقري ، وغير ذلك مما يعسر الإحاطة به ، ويقصر عنه في مثل هذا المقام ، وفي كل

صفحة من صفحات هذه الكتب تبدو أعلام العظمة ، وآيات المعرفة الكاملة ، وكثير من كنوز العلم والفن لا يحصى .

ومؤلفو التاريخ لا يعرفون هذه الكتب ولا يقرءونها ، بل هم يتهيبون منها في جهل بها ، ويحتجون بأن كتب العصر [illegible] وإنما عرفوا الطبري ومن إليه ، لم يعرفوا التفريق بين رواته ، ولا درجة علم رجاله . وإذا وقع أحدهم على خبر في تاريخ الطبري أو ابن الأثير طار به فرحاً ، يحسبون أن كل ما بين دفتي الطبري في درجة واحدة من الصحة ، مع أن الطبري يروي القوي الثابت من الأخبار والواهي ، وهو حين يذكر سند الرواية يسقط عن نفسه تبعتها . ومنهم أنه ربما عرف السند الموصول من السند الواهي — ومن الرجال من هو معروف بالكذب كابن الكلبي . ومع ذلك فقد رأينا بعضاً من « هؤلاء » المؤرخين يعتمد عليه في رواية عن صاحب ابن الكلبي صحيفة التصحيف ، ويقرر لتلاميذه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجنح للإسلام في أعماقه ، وأن ذلك معنى قوله تعالى « ووجدك ضالاً فهدى » . ومنهم من ادعى على الخبر عند فقهاء العراق ظناً منه أن النبيذ معناه الخمر المعروفة .

ومما يقع فيه « هؤلاء » المؤرخون الذين يحسبون حقاً مثل الشهادة الرسمية ، وما أخذ مثل عمل ( قال ) في العصر . أنهم لا يعرفون مراتب الحديث ولا مصطلح أهله . وهم لذلك يروون الحديث الموضوع على أنه صحيح ، ويأخذون الأحاديث من كتب الأدب والمحاضرات . ولقد قرأت في كتب لأديب من أدباء هذا العصر نسبة حديث إلى الصحيحة ( كذا ) من كتاب الأغاني ، وإثبات ذلك في حاشية الصفحة كما يعزو العالم إلى « البخاري » و « مسلم » .

وأكثر « هؤلاء » المؤلفين ، يعرضون التاريخ العربي ، ويصورون فيه بالغرض ، ويضعون النتائج أولاً ، ثم يتلمسون لها المقدمات ، على أسلافهم من المستشرقين . فالشعوبي منهم يعرض التاريخ صورة شعوبية ويصرفه مصارف هواه ، وهو يجر على الملك أو خلف الرواة ، والقومي « النازي » وحده يقرأ فيه ويراه ، فيكتب فيه على الرأي الراجح بحول أن العرب كانوا في الجاهلية ما بلغوه ولو لم يأتهم الله بالإسلام ، وأن الإسلام فرع من العروبة ، وعمل على

# رضا شـــــاه بهلوي

تأليف الأستاذ أحمد محمود الساداتي

بين مصر وإيران صلات تاريخية عريقة ، وقد ربطت بينهما الصلات بالمصاهرة الكريمة بين الأسرتين الملكيتين ، وكان أن اهتم الكتاب والباحثون بفرصة جديدة للإشادة بمجد الشعبين ، وما كان التجاذب بينهما سريعاً رائعة الدين والعلم ، ودواعه الأصل المشترك ، والأغراض المتفقة ، ومعاني الوحدة والأخوة الكاملة

وهذا الكتاب الذي كتبه الأستاذ الساداتي ... هو ثمرة من ثمار هذه الروح الطيبة ، فقد أراد أن يقدم صورة رضا شاه بهلوي وما قام به من عظيم جهوده من ضروب الإصلاح ، ولكنه رأى من حسن البحث أن يرجع إلى الماضي البعيد ليتناول تاريخ إيران من عهد الإمبراطورية القديمة ، ثم الأسرة الصفوية في العصور الوسطى ، ثم ما كان من شأن آل ساسان ، وما زال يتدرج في البحث حتى انتهى إلى نهضة إيران الحديثة ، وما كان يصطرع فيها من نزاع بين الشرق والغرب ، والجمود والتقدم ، والرجعية وروح الإصلاح !
ثم ما كان من جهود رضا شاه بهلوي في إنقاذ بلاده والسير بها في سبيل الرقي والتقدم حتى بلغت إلى ما وصلت إليه وما زالت تواصل الجهود

وهذا الكتاب في الواقع هو كما يقول الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه « يحسن طرفاً من تاريخ إيران وصلاتها وأحوالها الحاضرة ، وهو يجدي كثيراً على قراء العربية ... بأمة إسلامية لها مكانها في ماضي الإسلام وحاضره ، وبعد فهو طيبة تكتب أخرى تحمل الكلام في تاريخ إيران ومكانها بين الأمم عامة وصلاتها بالأمم الإسلامية خاصة » وحسب الأستاذ الساداتي أنه السابق

ولا شك أن الأستاذ الفاضل قد وجد عناء كبيراً في كتابه كتابه ، لأن المصادر التي تناولت تاريخ إيران فيها كثير من الشبهات وبعضها قد كتب بروح التعصب ، وخصوصاً ما كتبه الاستعماريون الذين عمدوا إلى ... في بعضها وأن يطمسوا جهود رضا شاه فراحوا يروون عنه الأراجيف والأكاذيب ، وقد جهد الأستاذ في الاستفادة من هذه الشبهات ، وحرص على تخير الصحيح الثابت من الروايات ، وهذه لا شك مزية تحتاج إلى كثير من الذكاء والصبر والفطنة التي تنفذ إلى ما وراء الظواهر

صدق القائل بقوله « عربي عرب قبل أن يكونوا مسلمين » مع أن العرب ما كانوا شيئاً لولا الإسلام ، وأن تاريخ العرب ملئ بما سجله كل عربي لخاتم الأنبياء محمد رسول الله إلى الناس كافة ، الذي قال « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » وتحريماً حرب الثأر ، ودور الأعراض والمال ، ودعوتهم إلى الإسلام وأخوتهم

* * *

وبعد فهذه طائفة جليلة من القصص التاريخية ، ليست كاملة ولا هي تامة العيوب ، ولكنها تكون الفكر وهي مكتوبة في أزمنة مختلفة وفي أساليبها تفاوت ، ونسأل الله أن يوفق إلى الخير الناصحة ، والكتاب والمنشئين النصاح ، ويلهم الكمال العمل ، ويعين أبناء الأمة التي كتبت حافلا بها « التاريخ المجيد »

شارع الأول (دمشق) علي الطنطاوي

8me Année-No. 351 — Lundi 25-3-1940

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣١
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٥١ — القاهرة في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٤٠ — السنة الثامنة



# التبشير عدو السلام

## وهو في مصر عمل لا يليق

كان التبشير والتجارة رائدين للاستعمار السياسي منذ اعتزم الغرب الطموح الإغارة على الشرق الغافل. وكان المبشر أنشط الرائدين عملاً في نفوس الناس، وتغلغلاً في أصول المجتمع، لما يواتيه من شتى الوسائل في التعليم والتطبيب والتمريض والإسعاف والخدمة العامة، فاستطاع أن يُدمج بين الأمة [illegible] الطائفية، ويزرع بين [illegible] الزرع الخبيث، ويخلق في كل شعب من شعوب الشرق بالعصبية الدينية والتربية الدخيلة فئةً خالفة تنازع الكثرة في الرأي، وتخالفها في الهوى، [illegible] وتأبى عليها السمو، وتحاول أن تتصدر في الشكل والعمل، وتتمسك بالمسمار والعصا، فلا تكون من قومها في دنيا ولا آخرة

ليس التبشير بهذا المعنى وبهذا الغرض من أسلحة الدين ولا من سبيل الحق؛ فإن الدين الحق مهما تعددت أضواؤه وعبقت به أنداؤه، لا يزال في حقيقته الحبل الذي يصل به الله من انقطع ويصلح عليه من عرق. وإنه مهما تفرقت سبله ونصوصه ووسائله لا يزال له غاية واحدة يهتدى إليها من سبيل، ويرقى إليها من آخر. وبهذا لا يكون هذا التبشير القاطع

العرق إلا وسيلة من وسائل السياسة الماكرة، أو حيلة من حيل المكر الرخيص.

وأعجب العجب أن الدول الديمقراطية الثلاث هي التي تحمي هذا النظام الضئيل وتموله وتكرمه وتحميه، وكان أقرب الظن بها أن تنكره بعد ما أمكن الشرق من يده وعلى لسانه وبين جيرانه؟ فإن السلام والوئام والحب هي التي تقرب إليه من نفوس، وتحفظ صدورها عليك. وهؤلاء المبشرون الذين سخرهم الطمع أو البؤس أو الضعف إلى الإغراء بالعرى والدس على ضلالات العقول ومراوغات النفوس ومخادعات الألسن، لا يستطيعون أن يبذروا غير الخلاف، ولا أن يحصدوا غير الضغينة.

* * *

إن مهمة الدعوة إلى الله لا يكون لها طيبة إلا في بلاد الوثنية والجهالة. هنالك يجد المبشرون في سبيل الحق والخير ملايين من عُمي القلوب يعيشون في الظلام ويعبدون الشرك ويمارسون الحيرة ويكابدون الذنوب، فيخرجونهم إلى نور الله ويلحقونهم بركب الإنسانية. ولكننا لا نرى جمهرة المبشرين ولا معركة التبشير إلا في مصر، كأنما انحصر جهد هؤلاء المتطفلين في فتون المسلم عن دينه، وإخراج المسيحي عن مذهبه! فهل حسب أولئك الناس أن الإسلام بالنسبة إلى المسيحية كفر، وأن الأرثوذكسية بالقياس إلى البروتستانتية ضلال؟ لا يمكن أن يقع هذا في حسبان عاقل، والقوم قد جربوا العقل والفطنة إلى الإلحاد والشك؟ فهم أكيس من أن يجهلوا حقيقة الإسلام وينكروا أثره الإلهي العظيم في تكريم الإنسان وتنظيم العيش وإصلاح الأرض! ولكني لأخشى أن يكون بعضهم [illegible] في العيش الغرير وظلال النيل، فأمنوا وحبوا وسعدوا، وعز عليهم أن يبعدوا عن نعمة الوادي وخيره والفرنك في بيوتهم القاهرة، فجعلوا في روع الشيوخ والصغار من المؤمنين الذين في أوربا وأمريكا أن البلد الذي يقوم فيه الأزهر هو المكان الذي لا يزال يعيش فيه المسيح، واستدروا في جيوبهم ما أفردته [illegible] الزحف على الإسلام من الزور الغني والكسب الأخس. وأوهموهم أنهم إنما أمسوه بالمال [illegible] بالفرد حتى [illegible] وأسكنوا [illegible]، وجنوا على الإسلام [illegible] في عقر داره

من أجل ذلك كان المبشرون حرصاء على أن يحصروا الأزهريين للمناظرات أو المحاضرات [illegible] ثم ما يجمعون أحيانا صورهم في أروقة المكاتب أو [illegible] المدارس، ثم يبعثون بها إلى صحفهم ومؤتمراتهم مشفوعة [illegible] صحيفتين بإرجاعهم [illegible] ([illegible])، وإلا [illegible] في مساعفة الحرب!

وفي سبيل أن ينعم المبشرون بالطعام الشهي، والشراب السائغ، والفراش الوثير، والفراغ الوادع، تمزق العلائق بين الإخوة في النسب والوطن والعقيدة، وتنكر المودة بين المسلم والقبطي في مصر، وبين المسلم والماروني في لبنان!

* * *

إن التبشير عدو السلام، لأنه تأريث للعداوة وتشبيب للوحشة في غير طائل. وهو في مصر عمل لا يليق، لأن إيمانه وخلقه هيئنا وعقلها، وإن لها في تاريخ الحضارة والثقافة والمدنية صفحات لا تزال إشراقتها السماوية تضيء جوانب الحاضر وتسدد مذاهب المستقبل.

قد آن للديمقراطيات التي تقاتل عصبية الجنس في ألمانيا، وتقاتل عصبية المذهب في روسيا، أن تخلص سياستها من عصبية الدين؛ فإن ذلك أدعى للسلام الأمثل الدائم الذي تحارب الطغاة على سلطانه، وترجو أن تقيم العالم الجديد بعد الحرب على أركانه.

إن التبشير في مصر جرائم لا تزال المدارس [illegible] على [illegible]، ولعل أرمضها للقلب وأبعثها للدمع مأساة بنت [illegible] التي حال المبشرون بينه وبينها بالقوة لأنها هربت من [illegible]، ثم أخذوها من [illegible] حيناً من الدهر، ثم [illegible] على [illegible] الأسرة وحاكموها إلى [illegible] فانقطعت الأسباب بين أبيها وبينها [illegible] إلى الأبد!

* * *

ذلك ما خطر لي أن أكتبه ساعة قرأت ما كتبته مجلة [illegible] من حركة التبشير في مصر. وإن في ذلك القليل الطيب من [illegible] على [illegible] ووطني [illegible] التبشير ومنعه في [illegible]، وإنشاء المدارس الأزهرية بنفقة [illegible] والإبداع في القرى، لبلاغاً للقائمين على سلامة الشعب وحمايته من صور الاستعمار وشياطين الغرب!

احمد حسن الزيات

# عبقرية محمد الإدارية

للأستاذ عباس محمود العقاد

---

في الإسلام أحكام كثيرة مما يدخل في تصرف رجال الإدارة كما نسميهم اليوم.

وفيه وصايا كثيرة من المعاملات، كالمساقاة والمزارعة والاستقراض والشفعة والتجارة وسائر شؤون المعيشة الاجتماعية يقتدي بها المشترعون في جميع العصور.

ولكننا لا نريد بما نكتب عن النبي أن نسرد أحكام الفقه ونبسط وصايا الدين، فهي مشروحة في مواطنها من كتب الشرع لمن يرجع إليها.

وإنما نريد أن نعرض لأعماله ووصاياه من حيث هي ملكات شخصية وملامح نفسية تلازمه حيث كان مؤديا لرسالة الدين، أو مؤديا لغير الرسالة من سائر أعمال الإنسان.

كذلك لا يعنينا هنا أن نتكلم عن «الإدارة» كأنها نصوص للمنشورات و«اللوائح» التي تدار بها الدواوين وتجري عليها تفصيلات الحركة في مكاتب الحكومة، فإن هذه وما إليها هي أعمال منفذين مأمورين وليست أعمال مديرين آمرين.

وإنما نعني الملكة الإدارية من حيث هي أساس في التفكير من اعتمد عليه استطاع أن يقيم بناء الإدارة كله على أسس موطدة، ثم يدع لغيره تفصيلات الأضابير والأوراق.

فليس في وسع رجل مطبوع على الفوضى مستخف بالتبعة أن يؤسس إدارة نافعة ولو كان مع هذا ذكي الفكر كبير العلم.

أما السليقة المطبوعة على إنشاء الإدارة النافعة فهي السليقة التي تعرف النظام وتعرف التبعة وتعرف الاختصاص بالعمل، فلا تسلمه إلى كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم على هواه.

وقد كانت هذه السليقة في محمد عليه السلام من أتم ما تكون.

كان يوصي بالرئاسة حيثما وجد العمل الاجتماعي أو العمل المجتمع الذي يحتاج إلى تدبير. ومن حديثه المأثور: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم». ومن عمله المأثور أنه كان يرسل الجيش وفيه أمير وخليفة للأمير وخليفة للخليفة إذا أصيب من تقدمه بما يقعده عن القيادة.

وكان في عنايته بإسناد الأمر إلى الرئيس القادر عليه حريصاً على تقرير التبعات في جميع الشؤون ما كبر منها وما صغر، وعلى توزيعها التي أوجبها صلوات الله عليه حيث قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه. ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

وقد كانت أوامر الإسلام ونواهيه معروفة لطائفة كبيرة من المسلمين أنصاراً كانوا أو مهاجرين، ولكنه عليه السلام لم يترك أحداً يدعي لنفسه حقاً في إقامة الحدود وإكراه الناس على طاعة الأوامر واجتناب النواهي غير من لهم ولاية الأمر وسياسة الناس.

فلما قتل بعض المسلمين غداة فتح مكة رجلاً من المشركين غضب عليه السلام وقال فيما قال من حديثه للناس: «... فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة ...»

ولم يرد أن يصادر الخمر حتى جعل في ذلك منهجاً ينتهي به إلى التنظيم والاستئذان كما جاء في رواية ابن عمر حيث قال:

«أمرني النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن آتيه بمدية، فأتيته بها، فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها فقال: اغد علي بها. ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام، فأخذ المدية مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها، وأمر الذين كانوا معه أن يمضوا معي ويعاونوني، وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته، ففعلت، فلم أترك في أسواقها زقاً إلا شققته».

وهنا نعرف المدير بعد أن نعرف النبي الذي يبين الحرام والحلال.

فالخمر شربها وبيعها وحملها حرام يعلمه جميع المسلمين من فقه منهم ومن لم يتفقه في الدين، ولكن المحرمات الاجتماعية ينبغي أن تكون في يد ولي المسلمين لا في يد كل فرد يعرف الحلال والحرام. وليست المسألة هنا مسألة تحريم وتحليل ولكنها مسألة إدارة وتنفيذ في مجتمع حافل يشتمل على شتى المصالح والأهواء.

ولا يصاب بلاء، هو أسوأ عقبى من بلاء الفوضى والاضطراب واختلاف الدعاوى، وتنازع الطاعة، وتخاذل السلطان، لم يكتف النبي بتشريع التحريم في القرآن، ولا اكتفى بإسناد الأمر إلى غير معروف الصفة في تنفيذ الأحكام، بل صرح بنصه ثم عين رجلاً بعينه وأناساً بأعيانهم أن يحضروا في إقامة حده، ولم يجعل ذلك بدءاً لمن شاء أن يفعل ما شاء.

ومن أكبر ما عنيت به في أبواب الأخيرة من الأمر والنهي، وتوطيد أركان الشريعة والقانون، وتمكينها لا يعوق في كل ما يعلن كلاماً هو أجمع لوجوه الصواب في هذه المسألة من قول النبي في السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية، «فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» ومن قوله فيما رواه عبادة بن الصامت: «ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان» ومن قوله: «الإمام الجائر خير من الفتنة، وكلٌّ لا خير فيه وفي بعض الشر خيار» ومن قوله: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» إلى أحاديث في هذا المعنى هي جماع الضوابط التي تقوم عليها الإمارة الحكيمة، والخطط السوية للرعية، بين آمر ومأمور وحاكم ومحكوم، وفوق النظام سلطان، وفوق السلطان وجدان من الشرع والعقل لا شك فيه، وجميع أولئك على قواعد لا تستهدف الفزع ولا تستهدف الريبة ولا تلتمس الشر.

هذا الإمام الناقد البصير في تدبير المصالح العامة، وعلاج شئون الجماعة، هو الذي أوحى إلى الرسول الأمين قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر الصحي بين الدول، وقبل تنظيم الحديث بنشرات القرون، أن يحتاط في مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بمثل الحكم الذي لم يأت العلم بمثله بعده، حيث قال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»

تلك وصية من ينظر في تدبيره إلى العالم الإنساني بأسره لا إلى سلامة مدينة وحدها أو سلامة فرد وحده، إذ يحمي أصقاع العالم من خطر الوباء في مكانه، ويحمي من حوله مدينة أن تنشد السلامة لنفسها أو لأحد من سكانها بتعريض الناس كلهم للعدوى.

* * *

على أن الإدارة النبوية إنما تتجلى في تدبير الشؤون العامة حين تصطدم بالأهواء، وتتشعب بالفتنة والنزاع، فتكسب الإدارة كلها نصوصاً وقواعد تجري الحاكم في تطبيقها مجرى الآداب والعادات التي تصرف الشؤون على سنن واحد، وتمكنها في كثير من الأحيان علاج حوادث وقتية وأخطار لا أمان فيها من الأعراض القليل منه أو الأعراض الكثير منه.

وذلك هو المثال الذي يجب أن يحتذى في حلول الحروب واتقاء الشرور، أحسن ما تم ... تعرض به تدبير أمر من معضلات الشؤون بعد الرسالة ولا عبرة إلا بالأخذ منه بأصل الأمر، والأولوية إلى السلم والأمن.

ومع ذلك حين اختلف القبائل على أيها يستأثر بإقامة الحجر الأسود في مكانه، وهو شرف لا ترضى عنه قبيلة لقبيلة، ولا ترضى بالفصل فيه لواحد يحكم القبائل على غيرها، ولو جاء الأمر من طريق المساومة والاقتراع، فأشار محمد بالرأي الذي لا رأي غيره لحاضر الوقت ومستقبل المجهول: جاء بالثوب ووضع الحجر الأسود عليه وأشرك كل زعيم في طرف من أطرافه، فكان من حسنه هو أن جنب الخلاف بين الناس أن يحمله بيده حيث كان، وأن يتحدث الحجر وهي مذكورة في طويا الزمان، ولو عصوا به يومئذ لما عصوا ولا سلم من عدوان وشنآن.

ومع ذلك يوم هاجر من مكة إلى المدينة فاستقبله كل فرد يتنافس على ضيافته ونزوله، وهو يتمنى أن يحدث في موضعها شرور الغيرة بينهم على أحد أو اختيار حقه دون حقه، فترك ناقته تمضي حيث يسير ويفسح الناس لها طريقها حتى بركت حيث طاب لها أن تبرك، ونزل حيث لم يصل عنه إنسان كريم أو صغير لن ينفي نفسه بغير حرج، لا يؤثر صاحباً بعد صاحب ولو أنسى في ذلك الساعة حل محل رسول طوبه.

ومع ذلك يوم فضّل النبي أناساً من أهل مكة المصيب إعطائهم على أناس من الأنصار الذين نصروا الإسلام ونصروا على الجهاد، فلما غضب المغضوبون لم يكن أسرع منه إلى إرضائهم بالحكمة التي لا تطلب ... بل يريه أنه هو الغالب الكاسب، وأنه يحتسب منه القنع والإقناع في وقت واحد: «أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر

الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . . »

كلام مدير فيه الإدارة والرياسة هبة من هبات الخلق والتكوين ، فهو مدبر حين تكون الإدارة تدبير أمور ، ومدبر حين تكون الإدارة تدبير شعور ، وهو كفيل ألا يبقى مصلحة من المصالح تتروعها النفوس وتطرق إليها الاختلال ، لأنه يسوسها بالنظام والتبعة والاختصاص والمباحثة وما من مجتمع يساس بهذه الخصال ويبقى فيه منفذ يصلح للاختلال أو اعتلال ، أو خلل فى إدارة الأعمال .

عباس محمود العقاد

# ليـــــلة نابغيـــــة !

للدكتور زكى مبـــارك

---

أخى الأستاذ الزيات

فى حقى أن أدع وراء « الرسالة » من شفعات طلب شهر أو شهرين لاأترع لواجبات أدبية لا يصح معها الانشغال بمراجعة الفكر من أسبوع إلى أسبوع ، ومن واجبات كواجبات الفكر .[1]

وقبل أن أشرع فى تناسى الشوق إلى قرائى ، وهو تناسٍ موجع ، أحب أن أقص ما وقع بينى وبين الأستاذ طه جمعة ليلة المناظرة بكلية الآداب ، وكانت مناظرة عنيفة لا يزال صداها يقرع سمعى بين ما أسمعه من الأنس بالعدو والصديق .

وما ذكرتُ تلك المناظرة إلا جرحتُ ، ولولا العزم على الاشتراك فى محفل يضيق به صدر الغالب والمغلوب ، لأنه لم يجئ ملائما لمعوت شرعى

وللمناظرة تاريخ

سألنى فريق من أعضاء اتحاد كلية الآداب أن أشترك فى مناظرات هذا الموسم ، وعرضوا على جوانب من الموضوعات لم يرقنى منها غير موضوع :

« يرضى الأدب فى عصوره الفوضى الأخلاقية »

ولكنى اقترحت أن يُبدَّل لفظ « الفوضى الاجتماعية » مكان « الفوضى الأخلاقية » فرارا من الصخب على كلية الآداب باسم الغيرة على الأخلاق !

ومضت أيام وأسابيع ، والاتحاد مشغول بالبحث عمن يناظرنى من أساتذة كلية الآداب ، ثم عرفت أن الأساتذة لم يرضهم أن يناظروا « الشافعى الأكبر » على حد تعبير الدكتور هيكل باشا .

وهل من الممكن أن يتقدم أحد الأساتذة لمناظرتى وقد شاع وذاع أنى أكبر الشافعيين ؟!

هى تهمة طائلة ، كما تعرف ، ولكنها حقّت علىّ ، وما أقصى غاية العمر فى الدفاع عن نفسى ، ولكن ما نفع ولا قتال ، لأن الناس عندنا يؤذيهم أن يصححوا رأيهم فى رجل ظلموه بلا بينة ولا برهان

وأخيراً ، ظفر اتحاد الكلية برجل يناظرنى ، ولكن ، أى رجل ؟ كاتب مشهور كانت لى معه وقائع فى بعض الجرائد والمجلات !

قلت فى نفسى : هى مكرمة من مكرمات الأستاذ طه جمعة ، فقد هداه القلب الطيب إلى أن يدعو بهذه الأنصاف والفروق من الاستحقاق بأعطر الزملاء .

واتصلت به تليفونياً لأقول : « إنى أريد أن يكون هذه المناظرة مثالاً فى التلطف والترفق ، وإنى سأجعلها معلقة بكلمة فى الثناء عليه ، وإنى أعتذر أن يقابل الجميل بالجميل !

وكنت صادقاً فيما قلت ، ولا خطرٌ وحيد كدَّر صدق فى بعض التفكير ، وهو الحرص على أن يبقى هذا المناظر فلا يطير من يدى ، كما طار من كنت أرجو مناظرتهم من أساتذة الكلية سامح الله منهم وعفا عنى !!

كان الأستاذ طه جمعة مترفعاً فى الفنون ، ثم نبل بعد علمٍ ، والطرفُ قد يتخدع فى بعض الأحايين !

وفى تلك الأثناء قلت الإذاعة اللاسلكية مناظرة قامت بين الدكتور طه والدكتور هيكل فى كلية العلوم ، مناظرة صريحة قام بها الرجلان بدون استعداد ، فقلت يجب أن أستعد لتكون

---

(١) منذ ... [illegible] ويريد الكاتب أن يفرغ بعد المباحثة لمراحل بعد بواعث الجهود من الفراغ مع أننا فى الرغم من الأمور سوف تنال منه من يعرفه

مناظرة كلية الآداب أقوى من مناظرة كلية العلوم ، ولأعلن الدكتور طه والدكتور هيكل عرضاً في وجوب الاحتفال بفصاحة الكلام ، ولأحمي نفسي من شر المرجفين ، ولأدافع عن رأي عاقلت لا ينظر إليه المجتمع بغير الاستخفاف

ورجعت إلى مذكرات كنت أعددتها يوم عُرض عليّ الموضوع أول مرة ، ولكني لم أجد تلك المذكرات ، فأقبلت على الموضوع من جديد وشغلت به نحو ساعتين طويلتين لعمل في الخلوة والثورة إلى ما أريد

وبعد أن فرغت من تحريره وتصحيحه، عرضت أحد أبنائي ليقرأه عليّ فكانت فرصة لدرس طريف من دروس التربية ، فقد عرفت أن الرجل لا يدرك ما في أسلوبه من عيوب إلا حين يسمعه من رجل سواه ، وكذلك هذّبت بعض الألفاظ وعدّلت بعض التعابير ، فظهرت المقالة وهي حظ من الكلام المعقول

* * *

ثم مضيت إلى كلية الآداب في أصيل اليوم الأول من أيام آذار ، ولا يمكن الوصول إلى كلية الآداب إلا بالسير في شارع فؤاد الذي يصل الزمالك بمصر، ويشق النيل مرتين ، ثم انطلقت السيارة مسايرة النيل حتى وصلت إلى شارع الجامعة المصرية ، عليه وعليها أطيب التحيات !

هو اليوم الأول من أيام آذار ، وأيام مصر كلها آذار ، لا تعرف ملاذاً غير نضرة الزهر في جميع الفصول

ووصلت في الساعة ولم أجد من فسحة الوقت غير دقائق ، وهي مدة لا تسمح باجتلاء المحاسن في شارع الجامعة ، ذلك الشارع الجميل الذي كان يسوقني فأسير فيه خائفاً واستحياء رعاية لحقوق الحب والقلب في الليالي التي صارت صباحها ظلماء ، وصباحها أسود

الله أكبر ولله الحمد !

هذه كلية الآداب التي قضيت فيها صدر شبابي ، يوم كنت فتى تائهاً مغروراً يتوهم أن ليس في الدنيا كتاباً لم يطلع عليه ، ويوم كنت مسحور القلب بأرواح الأماني ، ويوم كنت أتوهم أن المجد في طلب العلم لا يظفر صاحبه بغير الإعزاز والتبجيل ، ويوم كنت أتوهم أن المكافح في سبيل الأدب تنصب له الموازين

ويوم كنت أومن بأن المجد لا يضيع في عهد … !؟

تلك كليتنا الغالية في عهد من … حرم … جامعة فؤاد الأول … لأن فؤاد العظيم كان أول رئيس للجامعة المصرية ، وكانت الغالية … الناس مذاهب التفكير في الآداب والفنون ، ولأنها أول معهد في مصر فتح أبوابه لحرية الفكر والعقل بلا تمييز بين المعاند والآراء

كم اشتهيت … من حين دخلت كليتنا الغالية ، فقد خُيّل إليّ أن أحجارها لا تنطق ، وإلا فكيف غابت عن تسجيل ما فيها من حسرات وحركات ؟ وكيف نسيت الأماكن التي كنت ألقي فيها دروسي ومحاضراتي على قرب العهد ؟ وكيف غفلت … عن … وقد صحبتها طالباً ومدرساً من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩٣٧ وعرفت صحبتها من … إلى ميدان الفلكي ، ومن … إلى قصر الزعفران ، ثم إلى حديقة الأورمان ، ولم … في فؤادي غير الأعوام التي قضيتها بكلية الآداب في جامعة باريس ؟

ودار في أساي وشجوي أني سأخرج مهزوماً في المناظرة التي تقيم كليتنا الغالية ، لأني سأدافع عن رأي جريء لا يقول به إلا من يخاطر بنفسه فيتعرض لغضب المجتمع ، ولكني لا بأس فكليتنا الغالية قد عودتنا الثورة على أوهام المجتمع

ولكن ما بعد من … ومضيت إلى غرفة الأساتذة ، الغرفة التي عرفت فيها من صولات ، وكانت من كبوات ، يوم كنت أحس أن محافظة الرجال لن تكون لها عواقب سود … فماذا رأيت ؟

رأيت الأستاذ … قد … إلى شابين من طلبة الكلية … فأردت أن أحمد ذلك … إلى الساحة للدخول إلى المدرج الأكبر حيث ينتظر جمهور المستمعين ولكني لم أفلح فقد … بأنه ينتظر … من الجمهور ، ورجاني أن أعفيه من حضوري …

وسألت عن مصيري في المناظرة فرأيت … ، … أختنا …

ووصلت إلى المدرج بعد أن أعفى الدكتور إبراهيم مدكور … ثم تقع الوجهة بين …

وبعد قليل تمكنت من حضور الأستاذ الذي جعلته وسط جمهرة من الطلبة ، وحضر ثالث هو الدكتور أحمد موسى ، وهو فيما أحسب أديب متمكن من ناحية الفكر والبيان

ثم صرح رئيس المناظرة بأنه أستاذ وكاتب ، وأنه سيجتنب الإخلال بالنظام إذا وقع بين المتناظرين شجار ، فعرفت أن الأمر جد في جد ، وأن ما أراه من هذه المناظرة ليس مباراة أدبية

ونهضت ليلى تتكلم ، ليلى يوسف ، وهي فتاة جمّلها الله بالأدب والحياء ، فما كانت إلا دمية مصقولة صيغت من الفتنة والجمال ، وسيكون لها في حياة الأدب تاريخ ، وقد تعرف الفتاة الممدوحة الصوت التي سمعت من الأوتار ما أضحك لها الزهر والخيلاء

وكانت ليلى ستخطب كما تخطب سائر « البنات » ستخطب لحناً مبهماً في مواطن لا تسمح فيه ألسنة « بعض » الأساتذة ، ومع ذلك يثور الجمهور ويصخب ليصح له أن يستمع ويصفق باسم الثورة على قواعد اللغة العربية !

ثم تكلم الشاب أفندي مقترحاً أن يحال الدكتور زكي مبارك إلى المعاش لأنه من دعاة الفوضى الاجتماعية ولأن مؤلفاته تشهد بأنه يسخر بالعادات والتقاليد !

وتكلم بعد ذلك محمد عبد الرحمن صدقي أفندي بأسلوب يشهد بأنه من طلبة كلية الآداب ، كليتنا الغالية التي نذكر عهدها بالحب والعطف ، وعرف ضعفي في تأليف الأعوان والصحب

وقام عبد المتعال أفندي على أدهم فصرح بأنه قد يستبيح ما لا يباح في تحقيق الرأي الذي ارتضيه ، فأذنت له بذلك ، لأني من أقوى أنصار حرية الرأي ، ولكن الذي يخفف عني هو كل الإصلاح فيمنعني من أن أكون مفتناً بروح التعصب مع أني من دعاة الفوضى الاجتماعية ، ويدعو الجمهور إلى الحذر من آرائي

ومضى موريس في الكلام فأبدأ عجبه من الطالبين اللذين شاءا بلا رفق ولا استئذان ، لأنهما من طلبة كليتنا الغالية ، ولأنهما صحبا أصوات مصطفى عبد الرازق وطه حسين وشفيق غربال ، ولأنا حضرنا بحوثهم في الضلال والصواب

ثم أسرع في الخطابة التي أسمعها في صورة طريفة ، وبعد لحظات يقوم شاب ثائر مخاطباً متاعبه ويلقي على الجمهور بشطط وإسراف ، وأذكر تاريخ أحمد ثلاثيني ، الذي

الذي كنت أشتاق في مجالسهم إلى عهد قريب

وينحدر رأسي من هول ما أراه ، فهذا الشاب كان موضع ثقتي ، وكنت أكرمه لنفسه ولأخيه ولقربه مني من شعوري

ونعلوه بدمي أحلة مرعبة نفس هذا الشاب وأخيه يشعر ويحوث ، وليست تلك أول ليلة في الرجعيات والمعجزات ، ولن تكون آخر العهد بتفاني في رحاب كلية الآداب ، فسأرجع إليها خدمة الأدب والفلسفة بعد عهد قريب أو بعيد ، يوم يعتدل الميزان وأنظر فأرى الأستاذ الذي جعلته قد اطمأن واستراح ، وأرى أنصاره في جدل وانشراح

هي إذن معركة جديدة سأنهزم في ميدانها الشنيع وسيلحقني عارها الباقي ، والله المستعان

وينهض رئيس المناظرة بتهديد الشاب الذي يعطيني ، ويهدده بالطرد ، فيخشع الشاب ويستكين ، ويصيح الجمهور إيذاناً بالشوق إلى سماع صوتي ، فأمضي في إلقاء خطبتي وهي ما جرح ، وأضيف إلى خطبتي كلمة أشرح فيها أني قضيت في التدريس في كلية الآداب أربع سنين ومن حقي عليها أن تسمح بأن أحضر في رحابها بكلمة الحق

وما قيمة الاشتغال بالتدريس أربع سنين في معهد مصري ؟ وقد صرح شاعرنا شوقي بأن كل شيء في مصر يمضي بعد حين !

ما قيمة الاعتماد على الماضي وهو دمر العدين ؟ وبأي حق أعتب على شاب يستطيع وحد آخر من أصول الفروة والعيال ؟

ثم أمضي في خطبتي كالسيل الجارف فأرى الجمهور قد أعجبته ملاحظة يصيح لها صيحات تتحصن الإعجاب فيسمعوا من سخرية الجمهور التي سيطرت بياني

وتنقل الأستاذ نظرات حائرة على أدهم وهو يقول : أحلفك على أن عرضت نفسك للأراجيف في سبيل الحق ، فانتقم وأنتظر أن يصنع كما صنعت ببطش بعنائي ! ويصيح الخصم الشريف بسلك في ختام جميع المسالك ، وتدعي أي موضوعي أتم ، ويعود الجمهور عن الاقتناع بآرائي ، ويطير عجبه من أن يكون في كتاب اسمه التصوف الإسلامي في مجلدين كبيرين مع أني من أنصار الفوضى الاجتماعية ، وتمضي في مطاعنه ومجتنبه ساعة وبعض ساعة وأنا ساهم مطرق أكاد أذوب من الخجل والحياء

وأعود إلى مصر فأقيم على تعريض صحتي لهذا السم البغيض

وأحسب أنى أخطأت فى قبول المناظرة مع هذا الخصم الشريف ، وأحمد الله على اعتزال الناس إلى يوم البعث . وما الذى يغرينى بصحبة بنى آدم ولم أر منهم غير شحنا مطلوق ، وخلق الميون ؟

لقد أنفت دارى على حدود الصحراء لآنس بظلمات الليل ، ولأنسى أنى موصول بالأواصر بهذا الخلق ، ولأنجى من لب البادية حتى أنشاه ، ثم عجزت عن العزلة على أن أعيش واحداً وحدى فلا أرى الزبيدى إلا باوهام من طيف الخيال

تعلق جمة الرجل الفاضل الذى أنجيت منه فى حضنى بحس فى خمس ساعة ونصف ساعة ! ذلك إحدى الأعاجيب ، إن كان الفكر فى رسالتنا من الأعاجيب

أين أنا من دعوى زمانى ؟ أمثلى يُشتَم حصره فى كلية الآداب ، وقد جنت على كاهل أصحر الأساس ؟

هو ذلك ، ولعل نفسى أنا الملك ، فقد عرضت حتى الجدال الذى يسمونه مناظرات ؛ وتعلق الأستاذ لطفى جمة من خطبته بعد أن مزق آرائى كل ممزق ، وبعد أن شق صدره منى ، وكانت بينى وبينه ترات وضغائن وحقوق

وحلق رئيس المناظرة أن ليس لى غير خمس دقائق وما الذى أستطيع أن أصنع فى خمس دقائق وقد جرحت أشنع تجريح ؟ ما الذى أستطيع أن أسمع وقد نسيت ما أذكر فى صعيد يؤذينى أن أذكر فيه سير الجيل ؟ فى خمس دقائق يعرف الأستاذ لطفى جمة أن على حق للدفاع ، ويؤمن وهو كاره بأن التطاول على رجل مثلى لا يمر بلا جزاء ، ويعرف من قاموس أن شأنى أعظم مما يظنون فى خمس دقائق تحول الناس إلى من حال إلى أحوال فصاروا جميعاً من أنصارى ، فى خمس دقائق ضجت أحجار كلية الآداب بأن النطق أعظم من التشكيك ، فى خمس دقائق عرف الحاضرون أن سير الجيل فى الاستشهاد العربي أصح وجوه النقل الصحيح

وبعد كلمات ألقاها الأستاذ منصور والدكتور موسى طلب رئيس المناظرة أصوات الحاضرين فكانوا جميعاً فى صفى ، وهتف هاتف : « نحب التوفيق الاجابية ! »

فأجبت : « تسقط التوفيق وعاش التعالم ! »

والآن ، يا صديقى الزيات ، أحب أن أسجل فى مجلتك ظاهرة من ظواهر العقل الحديث ، فتعرف أن القياس الذى يساوره قد يكون من الأوهام فى أكثر الأحيان

وعهد الطاعن فى يقظة الجمهور عند شهود وثيقة التجاوب بالتزاوير والتهاويل . وأؤكد لك أنه كان مفهوماً منه أن تنتهى أن لى أخرج من تلك المعركة بغير هزيمة ، وأن تقال التشكيكات سيجمع جمهوره يشكرون بالنصر المبين

وقد أراد الأستاذ لطفى جمة أن يشفى من جمهورى فقال إنى شغلت نفسى بالموضوع أياماً وليالى ، ولكن هذه المعاذير لم تنفع ، لأن الاستعداد للجدال من أصول التشريف ، وهو يقابل عند الجمهور بالإعزاز والتبجيل . وهل كان يجوز لى أن أستخف بمناظرة تتم فى كلية الآداب ؟

وهذا النصر الذى يظفر به من وقت إلى وقت هو الذى يصحبنا ما قد نحس من الخطل فى الحياة الأدبية ، وهو الذى يؤيد ما سنى من طرق الإملاء ، أو « يمسى » الإملاء

وقد حدثتك فى مطلع هذا الحديث أنى سأودع قراء الرسالة من شطحات فى شهر أو شهرين ، مصر ويمضوا أنى قد أشتاق إليك وإليهم فأرجع بعد أسبوع أو أسبوعين ، والسلام .

زكى مبارك

* * *

تنبيه : قرأت المكتبة العربية التى نشرتها الرسالة للأستاذ شكرى فيصل ، وأنا واثق بأنه رأى أنى أعجب بعد أن قرأت فى الرسالة أنه اعتزالى للأقطار العربية ولى فيه وعتل بما هو أشهر من أن يحتاج إلى براهين

في الاجتماع اللغوي

# صراع اللغات

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ذكرنا في المقالين السابقين(1) أن عوامل الصراع بين اللغات يرجع أهمها إلى عاملين: أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله؛ وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة فيتبادلا المنافع، ويتيح تجاورهما فرصاً للاحتكاك المادي والثقافي (والقتال)؛ وقلنا إن نتائج هذا الصراع تختلف باختلاف الأحوال: فتارة ترجح كفة إحدى اللغتين المتنازعتين فتصرع اللغة الأخرى؛ وتارة تتكافأ قواهما أو تكاد فتعيشان معاً جنباً لجنب.

ثم عرضنا الحالات التي يحدث فيها تغلب إحدى اللغتين على الأخرى، فذكرنا أنها ترجع إلى أربع حالات: اثنتان منها تتصلان بالعامل الأول (نزوح عناصر أجنبية إلى البلد) واثنتان تتصلان بالعامل الثاني (تجاور شعبين مختلفي اللغة)؛ فأما حالتا العامل الأول فهما:

1 – أن يكون كلا الشعبين همجياً قليل الحضارة منحط الثقافة، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة. ففي هذه الحالة تتغلب لغة أكثرهما عدداً سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب، لغة الأصيل أم الدخيل؛ على شريطة أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين؛ كما كان شأن الإنجليزية مع النورماندية.

2 – أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته، وأشد منه بأساً، وأوسع نفوذاً. ففي هذه الحالة يكتب النصر للغته، فتصبح لغة جميع السكان، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية، وأن تقيم جالية كبيرة منه جالية يعتد بها من أفراده في بلاد الشعب المغلوب، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين؛ كما كان شأن اللاتينية مع لغات كثير من الأمم التي غلب عليها الرومان في العصور القديمة، والعربية مع لغات معظم الأمم التي تغلب عليها العرب في العصور الوسطى.

وأما حالتا العامل الثاني (تجاور شعبين مختلفي اللغة) اللتان تؤديان إلى هذه النتيجة، فهما:

1 – أن تكون نسبة أفراد أحد الشعبين المتجاورين كبيرة، فترجح بكثرتها قلة ما كثروه، وتضيق مساحته يوماً فيوماً، فيلتقط منه على حدود الشعب المجاور له، ويتكاثر تبعاً لذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين. وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة القاطن المجاور له؛ على شريطة ألا يقل عن أهلها في حضارته وثقافته وآداب لغته؛ وربما كان حضاره إذا كان أرقى منهم في هذه الأمور؛ كما كان شأن الألمانية مع لغة القاطن المجاور لألمانيا بسويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا.

2 – أن يتغلغل نفوذ أحد الشعبين في الشعب المجاور له. وفي هذه الحالة تتغلب لغة الشعب القوي النفوذ على شريطة ألا يقل عن الآخر في حضارته وثقافته وآداب لغته؛ وربما كان انتصاره إذا كان أرقى منه في هذه الأمور؛ كما كان شأن الفرنسية والأسبانية مع لغة شعوب الباسك القاطن الفرنسي؛ والإنجليزية والفرنسية مع اللغة السلتية ببريتاني واسكتلندة وويلز ومنطقة البريتون.

وسنختم هذا البحث في مقال اليوم بالكلام عن الحالات التي تتعرض فيها كلتا اللغتين من التغلب على الأخرى.

* * *

في غير هذه الحالات الأربع السابقة تتكافأ قوى اللغتين المتنازعتين فتعيشان معاً جنباً لجنب، وتسلك كل منهما في سبيل تطورها النهج الذي يتفق مع طبيعتها، ويرجع إلى نواميس الارتقاء اللغوي. والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم القديمة وفي العصر الحاضر.

فاللغة اللاتينية لم تقو على اللغة الإغريقية، مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب؛ وذلك لأن الإغريق، مع خضوعهم

(1) انظر عدد ٣٢٥ صفحة ٣٦٥ وما بعدها، وعدد ٤٢١ صفحة ١١٢ وما بعدها

الرومان ، كانوا أرقى منهم حضارة وأوسع ثقافة وأقدم ملكاً وقد سبق أن انهزام لغة الشعب المغلوب أمام لغة الشعب الغالب لا يحدث إلا إذا كان الشعب الغالب أرقى من الشعب الأول في جميع هذه الأمور

ولهذه الأسباب نفسها لم تتمكن لغات الشعوب الجرمانية التي قوضت الامبراطورية الرومانية الغربية في فاتحة العصور الوسطى من التغلب على اللغة اللاتينية في البلاد التي تعرف باسماء جديدة مثل ( فرنسا ) وما إليها

واللغة اللاتينية لم تتمكن من التغلب على لغات أهل بريطانيا العظمى ، على الرغم من فتح الرومان لبلادهم واحتلالهم إياها نحو مائة وخمسين سنة ، وعلى الرغم من أن الشعب الغالب كان أرقى كثيراً من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته . وذلك لأن الجالية الرومانية في الجزر البريطانية لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولم تمتزج امتزاجاً كافياً بأفراد الشعب المغلوب . وقد تقدم أن التغلب اللغوي لا يتم في مثل هذه الحالات إلا إذا أقامت في البلاد المفتوحة جالية كبيرة من أفراد الشعب الغالب ، وتم الامتزاج بينها وبين أفراد الشعب الآخر

واللغة العربية لم تتمكن من الانتصار على اللغة الفارسية ، على الرغم من فتح العرب بلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلاً ، وذلك لأن الشعب العربي لم يكن إذ ذاك أرقى حضارة من الشعب الفارسي ، ولقلة عدد الجالية العربية بفارس وضعف امتزاجها بالسكان ، ولانتماء اللغتين إلى فصيلتين مختلفتين ( فالعربية من الفصيلة السامية ، والفارسية من الفصيلة الهندية — الأوربية )

واللغة العربية لم تتمكن من الانتصار على اللغات الإسبانية على الرغم من فتح العرب للأندلس وبقائها تحت سلطانهم نحو سبعة قرون . وذلك لانتماء العربية إلى فصيلة غير فصيلة اللغات الإسبانية ولعدم امتزاج الشعوب القوطية بالشعب العربي

واللغة التركية لم تتمكن من التغلب على لغة أية أمة من الأمم التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية بأوربا وآسيا وأفريقيا ، على الرغم من بقاء هذه الأمم مدة طويلة تحت سلطان تركيا ، وذلك لاختلاف فصائل اللغات ( فالتركية من الفصيلة الطورانية ، في حين أن لغات معظم الأمم التي كانت خاضعة للترك من الفصيلة السامية — الحامية أو الهندية — الأوربية ) ، ولأن الترك كانوا أقل حضارة وثقافة من معظم الشعوب التي كانت خاضعة لهم ، ولقلة عدد جالياتهم في بلاد هذه الشعوب ، وضعف امتزاجهم بالسكان

ولم تقو الانجليزية على التغلب على اللغات الهندية ، على الرغم من خضوع الهند للانجليز منذ أمد طويل ، وذلك لأن شعوب الهند أعرق حضارة من الانجليز ، ولقلة عدد أفراد الجالية الانجليزية بهذه البلاد ، وعدم امتزاجهم بالسكان

والجوار بين فرنسا وانجلترا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال لم يؤد إلى تغلب لغة شعب منها على لغة شعب آخر ، لأن احتكاك اللغات لا يحصل في حالة من الحالتين اللتين يحدث فيهما التغلب بالمجاورة

ولهذا السبب نفسه لم يؤد الجوار بين الفرنسية والإيطالية والتركية والألمانية إلى تغلب لغة منها على لغة أخرى

وكذلك عاشت الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية جنباً إلى جنب مع الأسبانية المتداولة في المكسيك ، وعاشت البرتغالية التي يتكلم بها في البرازيل مع الأسبانية التي يتكلم بها في جمهوريات القارة الجنوبية بأمريكا الجنوبية ، وشأن [illegible]

* * *

ولكن عدم تغلب إحدى اللغتين لا يحول دون تأثر كل منهما بالأخرى

فقد تأثرت اللاتينية بالإغريقية في أساليبها وآدابها ، واقتبست منها طائفة كبيرة من مفرداتها

وقد تركت اللغة العربية آثاراً قوية في الأسبانية ، وبخاصة في المناطق التي كانت تسمى بالأندلس أو أندلوسيا Andalousie حيث دام سلطان العرب عدة قرون

والصراع بين العربية والفارسية ، وإن لم ينته إلى تغلب إحداهما ، قد ترك في كل منهما آثاراً واضحة من الأخرى ، وبخاصة من ناحية المفردات .

والصراع بين التركية وبين لغات الأمم التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية ، وإن لم ينته إلى تغلب لغوي ، قد ترك في التركية آثاراً قوية من هذه اللغات ، وبخاصة من اللغة العربية ، وترك كذلك في كثير من هذه اللغات آثاراً ظاهرة من التركية . وقد بلغ هذا التأثير مبلغاً كبيراً في بعض هذه اللغات : فلغة العراق في العصر الحاضر مثلاً قد أخذت من التركية كثيراً من المفردات

وبعض الأصوات التي لا نظير لها في العربية ، (كالصوت الذي ينطق به بين الشين والجيم المعطشة في مثل «جرينجي») وطائفة من القواعد الصرفية كقواعد النسب والنعت والإضافة في مثل «فرنجي» (نسبة إلى الفرنجة) ، «خوش ولد» (خوش كلمة فارسية الأصل معناها : حسن) ــ كتبخانه «دار الكتب»

والإنجليزية الحديثة في إنجلترا والفرنسية الحديثة في فرنسا تتبادلان المفردات منذ أن أتيح للشعبين المتجاورين فرص للاحتكاك وتبادل المنافع

* * *

وكذلك تبادل الفرنسية بفرنسا مع الألمانية بألمانيا(1) ومع أخواتها المجاورة لها في جنوب الشرق والغرب بإيطاليا وأسبانيا والبرتغال

وتجاور التركية والفارسية ، وإن لم يؤد إلى تغلب إحداهما على الأخرى ، قد ترك في التركية آثاراً واضحة من الفارسية ، وخاصة في المفردات ، وترك كذلك في الفارسية بعض آثار من التركية

وتجاور الفارسية والعربية في العصر الحاضر ، وإن لم يؤد إلى غلب سوى ، قد نقل إلى كل منهما كثيراً من آثار الأخرى في المفردات والقواعد والأساليب

وتجاور الجرمانية واللاتينية في العصور القديمة ، وإن لم يؤد إلى تغلب واحدة منهما على الأخرى ، قد نقل إلى أولاهما كثيراً من مفردات الثانية(2) ، وترك في الثانية بعض آثار من الأولى(3)

وقصارى القول : متى اجتمعت لغتان في بلد واحد أو تجاورتا لا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى ؛ سواء أتغلبت إحداهما أم كتب لكلتيهما البقاء . غير أن هذا التأثر يختلف في سعته ومبلغه ومناحي ظهوره ونتائجه في الحالة الأولى عنه في الحالة الثانية

فإذا كان التغلب كتب لإحداهما فإنها تخضع كل ما تأخذه من الأخرى مهما كثرت كميته ، فيستحيل إلى عنصر من عناصرها ، فتزوده بقوة ونشاطاً ، دون أن تدع له مجالاً للتأثير في بنيتها أو تغيير تكوينها الأصلي ، على حين أن المغلوبة لا تقوى على مقاومة ما تقذف به الغالبة من مفردات وقواعد وأساليب ، ولا تكاد تسيغ ما تقتبسه منها ، فيتمثلها ويمسخ بنيتها ، فتضعف قواها ، وتفقد أصحابها شيئاً فشيئاً حتى تزول ، كما كان شأن الإيبيرية مع الرومانية ، والعربية مع القبطية

وإذا كتب البقاء لكلتيهما فتعمد كل منهما إلى ما تأخذه من الأخرى فتسيغه ، وتخلع عليه من حيويتها ، وتقاوم آثاره الهادمة ، فتبقى كل منهما محتفظة بشخصيتها ، موفورة القوى سليمة البناء ، كما كان شأن الفارسية مع العربية .

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة باريس



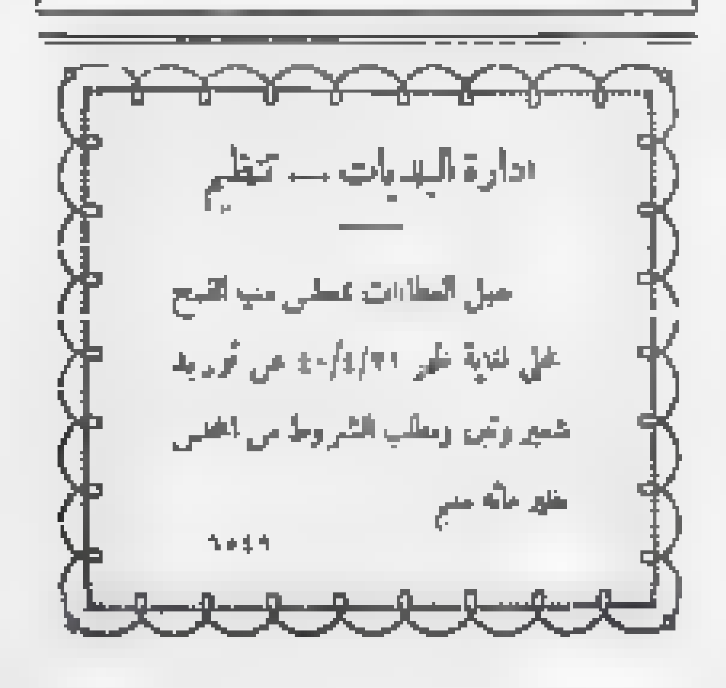


(1) انتقل إلى الألمانية الحديثة ، تحت تأثير جوارها لفرنسا ، كثير من المفردات الفرنسية ، [illegible] وحلت [illegible] محل مفردات ألمانية [illegible] كبيراً من جهودهم في هذا الصدد قد ذهب أدراج الرياح

(2) كثير من المفردات الألمانية بجذور جرمانية خالصة ، ولكن يظهر عند البحث أنها منقولة في الأصل من اللاتينية ، فمن ذلك مثلاً : Schreiben يكتب [illegible] ، pflanze نبات [illegible] planta [illegible] من الكلمات اللاتينية [illegible]

(3) من أهم آثار الجرمانية في اللاتينية [illegible] هجرات الجرمان على الأمبراطورية الرومانية الغربية في أواخر العصور الوسطى

# الانتاج العقلي للأمم

للدكتور جواد علي

كانت الفكرة السائدة حتى أوائل القرن الثامن عشر تقول بتطور البشرية تطوراً من النقص إلى الكمال، ومن الجهل إلى العلم [illegible] في البدء ، [illegible] كان الإنسان في بدء خلقته كاملاً ، ثم تنكس وتدهور [illegible] ، ثم [illegible] ويكفر عن سيئاته ، أو أنه [illegible] الآن ، ثم هو آخذ في التطور إلى التكامل [illegible] ، حتى يعود الإنسان الكامل [illegible] التي [illegible] الفلاسفة وأصحاب الأحلام البعيدة[1] [illegible] العلم الطبيعي ، و [illegible] في صفحات [illegible] والأحياء ، [illegible] هذه الفكرة [illegible] في [illegible] من أبناء [illegible] فكرة الاستكشاف [illegible] والتقسيم [illegible] الشعوب [illegible] إلى طبقات وأجناس [illegible] حسب خواص وأوصاف كما هو شأن علم الحيوان والنبات [illegible] النبات أو الحيوان [illegible] العالم النباتي أو الحيواني إلى فصائل وأجناس ، [illegible] لا [illegible] الأجناس البشرية [illegible] إلى فصائل وأجناس كذلك [illegible] بالفصائل [illegible] والأوصاف [illegible] ثم [illegible] الفصائل التي [illegible] ثم الأحد [illegible]

وبعض الآراء [illegible] العالم [illegible] من مجموع حضارات[2]

مستقلة تشكل [illegible] خاصة [illegible] الحضارة Kultursseelen ؛ كما هو رأي الفيلسوف Spengler و Oswald [illegible] جميع أدوار الحياة [illegible] من ولادة وطفولة وشباب ثم شيخوخة [illegible] ، [illegible] هذه [illegible] أن [illegible] ثلاث حضارات [illegible] على التوالي [illegible] الحضارة اليونانية [illegible] ( apollinische ) والحضارة العربية [illegible] ( magic ) والحضارة الأوروبية [illegible] ( faust-ische )[1] [illegible] الفيلسوف الألماني الآخر Graf Hermann Keyserling ( كونت هيرمان كيسرلنك مؤسس مدرسة الحكمة في مدينة دارمشتد Darmstadt ) [illegible] الحضارات [illegible] واختلاف [illegible] كلها إلى أصل واحد [illegible] هو القوة [illegible] الموجودة في [illegible] التي [illegible] الأمم [illegible] إلى الأمام [illegible] ( weisheit ) [illegible] وجوب الاستفادة من الحكمة بدلاً من العلم المجرد[2]

وقد نشأ من جراء البحث المتوالي في [illegible] الأمم [illegible] علم خاص يسمى Kulturmorphologie [illegible] في دراسة [illegible] ، واستخراج الأسباب التي [illegible] إلى [illegible] A. Sutherland [illegible] شعوب العالم إلى أربع طوائف

١ — الشعوب [illegible] ، أو التي [illegible] على [illegible] الأولى وهي Naturvölker

٢ — الشعوب المتوحشة [illegible] Barbarvölker

٣ — Zivilvölker أو الشعوب المتمدنة

٤ — Kulturvölker أو الشعوب المتحضرة . ولكل من

---

(١) [illegible] scholastik [illegible] Fichte [illegible] ١٨١٣ [illegible] Herder [illegible] zur Philosophie der Geschichte der Menschheit [illegible] Hegel [illegible] ١٨٣١ [illegible] Die Vorlesungen über die Philosophie der Geschichte

(٢) [illegible] Kultur [illegible] Culture [illegible] Colere [illegible] Heinrich Schmidt, Philosophisches Wörterbuch [illegible] Zivilisation [illegible] Civis [illegible] =

= [illegible] Geschichte der Z. in England

(١) [illegible] Phil. Wörterbuch [illegible] Lehrbuch der Geschichte der Philosophie, Windelband [illegible]

(٢) أنظر Phil. Wörterbuch [illegible] Der Mythus [illegible]

عند الأقسام درجات ثلاث: روحية، وجسمية، وعقلية[1]

ولكن هنا مشكلة عظيمة عالجها الباحث، وهي العوامل الأصلية التي تدفع بالشعوب إلى حضارة وإلى نتائجها الروحية، هل هو عامل داخلي يدفعها إلى ذلك دون مؤثر خارجي، أو عامل خارجي بحت كما يذهب إليه الداروين وأتباع كارل ماركس، أو عوامل المحيط الخارجي كالزمان والمكان كما هو رأي العالم Les ... (وله ١٨٣٣) (أنظر ص ١٨٣ Phil. wörterbuch) ومن المسألة من شاء كما يظهر. ومن أتباع المذهب الأول العالم الفرنسي Gobineau و Gustave Le Bon (١٨٤١ – ١٩٣١) و H. St. Chamberlain و Reimenbafer و Waltmann و V. Eickstedt في ألمانيا و Ward في أمريكا جعلوا العنصرية العامل الأساسي في تكوين الحضارة. ومن هذه النظرية استنتجت الفاشية رأيها من أن الحضارة العالية نتيجة العنصرية الآرية فقط، وأن العالم يتألف من طبقات ثلاث حسب رأي هتلر مؤسس هذا المذهب، وهي:

١ – شعوب أسست الحضارة Kulturbegründer

٢ – وشعوب تنقل الحضارة دون أن تضيف إليها شيئاً أو تغير منها، وحاملها Kulturträger

٣ – وشعوب هدمت الحضارة وأسقطتها تماماً: Kulturzerstörer ومن هذه الشعوب الروسي السلافي، ولا أدري أغير رأيه الآن بعد اتفاقه مع البلاشفة أم لا

وتتلخص فكرته في أن الحضارة البشرية نتيجة عاملين فقط: الدم والأرض Blut und Boden والعنصرية هي الناشر خارجي الروح[2]

على عكس هذه النظرية تماماً نظرية «كارل ماركس» Karl Marx (١٨١٨ – ١٨٨٣) مؤسس المذهب الشيوعي إليه والاشتراكية والشيوعية التي تجعل المادة أساس كل شيء، إذ يقول: «الآراء السائدة في زمن ما تمثل آراء الطبقة الحاكمة في ذلك الزمن[1]» وكذلك قوله: «تغير الوضع السياسي والوضع الاقتصادي تغيرا معه البشر[2]» ولذلك تحارب الشيوعية النظام الرأسمالي لأنها تعتقد أنه مصدر كل شر، وبزوال هذا النظام تتغير العقلية البشرية وتفكيرها ويظهر تفكير عالٍ جديد. وهذا الرأي مأخوذ بصورة مكبرة من المبدأ المادي الذي يجعل المادة أساس كل شيء، والروح نتيجة عن المخ، بل لقد غالى الفيلسوف فويرباخ Ludwig Feuerbach (١٨٠٤ – ١٨٧٢) حتى قال: «الإنسان يكون حسبما يكون أكله[3]».

بعد عرض هذه النظريات أقول: الفرق بين عظيم، وكلا الرأيين قديم في تاريخه يرجع إلى العصور اليونانية وربما يرجع إلى أقدم من ذلك. وإني أرى أن هنالك آراء هامة تنطوي إليها عقل كل إنسان، وكل على حسب ثقافته ومحيطه، ومن هذه الآراء هذه المشكلة، ولكن الأساليب في معالجتها تختلف والمشكلات تتغير، والآن كانت الدم والأرض في حين الإنتاج المادي الأم أس عنده الوانع. وأرى أن التطور الاقتصادي مثلاً قد قلب أوروبا رأساً على عقب وغير مذاهب الأدبية والأخلاقية والنزعة الروحية التصوفية التي سادت ألمانيا والعالم بعد الحرب العظمى، وأن حب التهتك الذي ساد كذلك، وظهور ما يسمى Sexualität أو الهوس الجنسي ناحية مظاهره ومنطقه، وظهور مذهب expressionismus ومذهب Impressionismus[4] تدل على أن المادة مؤثرة في الروح لا محالة. وكذلك من جانب المذاهب جعل الإنسان آلة تحركها قوة خارجية كالآلات الصماء التي تشتغل في المعامل، وما يجعله من العوامل الروحية في العامل في حالات المرض الطبيعية، ولذا كان

(١) انظر كتاب Phil. wörterbuch ص ٢٠٣ وكتابه المشهور über den Ursprung und das Wachstum des ... 1898

(٢) انظر كتب هتلر كتابي Mein Kampf جـ ١ ص ٣٨٨، ٤٦٦ وكذلك كتاب روزنبرج Der Mythus ص ٣٠ ... وكتاب Blut und Boden ...

(١) انظر كتاب الاشتراكي الفرنسي Henri de Man المسمى Der Sozialismus als Kultur bewegung ص ٥

(٢) انظر نفس الكتاب ص ٦

(٣) انظر كتاب Vorländer Geschichte der Philosophie ص ٤٤٢

(٤) أنظر كتابي Der Untergang ... Deutsche Kultur ... Geschichte der Neuzeit ... بعد الحرب العظمى

أو الجمود الفكري يختص النظرية الثابتة عامة؟

ولكن ما هي المقاييس التي ستصحب الحكم على أمة بأنها متحضرة وعلى درجة حضارتها؟ أحسب أن الأساليب المتبعة الآن في أوربا في تعيين الحضارات كلها مقاييس واهنة، إذ هي تقيس كل حضارة بالنسبة إلى المقاييس التي اتسمت بها، وبالنظر إلى الغرب أو النعوت أو الذوق الذي تراه، وربما ما يدعو إلى الحكم الخطأ عليها. أضف إلى ذلك أن مرحلة الإنتاج الروحي أمر عسير جداً ويحتاج إلى إلمام كثير بالظروف والأحوال التي تحيط بتلك الأمة التي نحن بصددها ونحكم عليها. فالمؤرخ [illegible] مثلاً يعده كتاب أوربا اليوم من أهم مؤرخي الأوربيين، وكذلك حب السيطرة Die Eroberung ولكن وصف الظروف والأحوال التي خلقت هذه الحروب، وهو الشعب الحربي وحياته الكثيرة

وبعد، أما أن نقف لنعتد بسيرة مطلقة إزاء هي طبيعة ورثت من طرق الماضية والمحيط

إن الفيلسوف نيتشه يحمل الحضارة وراءه «إرادة القوة» التي يحددها بأنها will zur macht. وقد أحدث النيتشية ذلك، وموسوليني من أكبر المتحمسين لفلسفة نيتشه، فجعل الإمبراطورية تشمل النزعة الروحية كذلك، فهو ينص في كتابه الذي أشرنا إليه في مبادئه على أن السيطرة والاستيلاء Impero لا تقتصر على السيطرة بكثرة الجنود والأراضي، بل تشمل سيادة العالم الروحي وتقوية الإرادة والعزم، وبحسب هذا معنى الاعتماد والتفوق (1)

جواد علي

خريج جامعة هامبورغ بألمانيا

---

(1) أنظر كتاب موسوليني Benito Mussolini, La dottrina del Fascismo. Con Una Storia del Movimento fascista di Gioachino Volpe 1932

---

# عبقرية الشريف الرضي

## للدكتور زكي مبارك

في الأسبوع المقبل تصدر الطبعة الثانية من كتاب «عبقرية الشريف الرضي» في مجلدين كبيرين، وفي ورق جميل. وفي الطبعة الجديدة زيادات وتعقيبات يمثل بها المؤلف أثر تأمله في عبقرية الشريف منذ صدر الوقت في بغداد. والطبعة الجديدة بزياداتها وتحقيقاتها هي تحية المؤلف إلى الشريف بمناسبة مرور ألف سنة على ميلاد صاحب «الملال والنوال» وصاحب «المجازات» وهي كذلك استجابة لدعوة الأدباء الذين اشتاقوا إلى رؤية هذا الكتاب في طبعة فاخرة تناسب موضوعه الجليل

وقد كان الشريف الرضي يعد خلفه من العباسيين بأن له في مصر أصدقاء يشهدون على مجدهم حين يشاء، وبهذا الكتاب صحت آمال الشريف فكان له في مصر صديق يتحدث عن عبقريته بالأصالة وباستقصاء بعد مرور الأجيال الطوال

ومؤلف «عبقرية الشريف الرضي» يسره أن تظفر طبعة القاهرة بما ظفرت به طبعة بغداد من حسن القبول، ويرجو أن يكون لما في الطبعة الجديدة من زيادات وتعقيبات وقع جميل عند المشغوفين بدرس الأدب الرفيع

على أني راعيت أهل الهوى ... وأمرح خمسه لا عليّ ولا ليا

زكي مبارك

# تأملات

لا أمري يا خالي كم عانيتك، ولا أخدع نفسي بصورك؟ أما عيناك سوداء يظهر سواد فؤادي، ويذيب حرة جناني. أسمع صوتك الهادئ يحاول أن يخفي عنه المستحيل من شكاتك، وأحس حسنك قلبي يطويه هذا الشعر الغم، ويخفي مرارة على وجداتك

عمر بين يا خالي في حدود الثلاثين، وقد تنكدت، وأغر أنا الصبر والأرمون من ورق! فيما يسوغ لك سداك يا أبي، وكم تحمل هذا الشذاء من عنف ومن حربه وكم تتحول فيه الحقيقة المرة، وتتفرق به النفس الفارى إلى قبس أحب

كم وصل إلى الياس عمر ما أرنه إلى الأمل... لكن، يا فتاة، هذا آونتك بعبوسي، ومن تجيء بك وبسبب، من تستجيبين؟

وكيف تستجيب يا صديق، وقد كان ما على كله عبثاً في عبث... لقد خبت عيني عليه، وكأنا متصعبين، فروعي ما رأيت: رأيت سداً ماثلاً يقوم بين ويمها، هو فرق ما بين ويمها من حق، حيوى إلى الكهولة، وصعودها في مطارف الشباب هو الذي أرح على لها، وزوال المشوه من عيني.

رأيت الأوهام بين الحقيقة عمي فروا لا تكوى على شيء، وكأني حتى أن عنادي وجيا توجه، فأبصر من من الحقيقة على وجيها. محضت أرهاني فأبصرت من بصيرتي، وحلمت أري في الشكاية فلن لا يجرح كلامي

فلتني يا خالي حين أرجعت لي في حيل الأمل فصلت به وتعوضت عليه، وتشبثت وكأني أتثبت الحياة، وأيه إطالة حادة كانت ستكون تقطع الحبل لأنه من عمل الشعور وعانية الحاني، والنص من المعبود، لكن حبلي لم ينقطع بشيء خد. نظرة لا حياة فيها، لأنه لا أكترث بها، كيف لأني طلع حين آمان بعد إذ كانت عيها في سالف الأيام نظرة أخرى. وتعود أدب إلى الطلاب وأرجي منه، فتمتن في النسيم مكانت الصرخة التي قمحت عيني على حبي المنكوب

بلى يا خالي! لقد سكت كلام يتكلب قاتل، ويساورني الرشد غير رشيده، ومرت الحسرة في فؤادي وهي تقول لي: يا بني الأبد

كيف ماتت سرق، في اليقظة وفي المنام قال: الصبر أفعم النمي، وخلفاً ومشتوكاً، ومنبسطاً ومكموداً

ومات سرق بعد نخلة أخرى ما مكوية، وأصير ما تكوني، سو شعلتك تلك الابتسامة الحارة فريد في جوفي ويبكي من حسرتي

قربت الزلة لوحشي من حلوك، وأفرحت حواسي بعدها لأمر من طيفك. ثم عدت إلى خيالي وقد خثت على نفسي الخيال فسحت منه صورتك إلى حين. ثم ضبطت حياتك معجباً بالسحر على ولني المضطرب وأعصابي المحطمة ولنفسي بها أهاب لقاء فالقصة، وأحسست عيني موته، وذهبت ألمس الموتى

وكيف سلو يا صديق، بل كيف تقص من أسئلة الذكرى وتهيب وجه الحبيب؟ أتراك حملت الآلام وزرعة الهوى، وما طوى من دون لوعة وألم؟ أتريد القصة الرحيمة؟ إنك إذن لأمال أرحامك، وإني لأعهدك يا صديق أن تكون عند أو ذلك

تلتهمن حملك طيف الحبيب، ودعنك رعيه ويبكي تذكيرك فيه وعيشك به وله، ولكن بعد ذلك ما يكون. فالنار التي تأجج في قلبك والجرح الذي يحسه صدرك، يطوران نفسك التي بين جنبيك وما هو ينثر الروح على الجسد إن لم يكن في نفسك وعقدتك، والطارح الإعياء من جانبك وجانبها

يبكي حال نفسها هو الذي يصورك لا نخته نفسه، وليكن صوتك في حبها كصوتها في حبك رحمة وصبراً لا تراه وإخراء

سلام حين لا يعني أن القمه لم فيك الأجساد فما سمك بجنة نفس الإيمان وحب القلب؟ إنما سمك بالآلام التي ومض صحتك، وعض نفسك، وتحسم جسمك. إنما ذلك في الفناء لا الفناء في بقاء ألم مناصحة، ونفسك أبداً، بقاء ذهب الذي لا تعرفه اللذة ولا يحسي أن يعرفه، بقاء روحانيه الشر التي تكمل في الآلام، الآلام يا صديقي وحدها تذهب والشكاية في طيب جسدك كالقصة تحترق وتضيء

كل أرائك يا صديق عناصر تجعل منك الإنسان المنشود لا الإنسان الموجود.

(م م)

## مجلس أدباء

طالما بغيت أن أرى هذا المجلس حتى أتيح لى عهد قريب ملتجم فقادنى إليه حيث يمضيه أحد الرفاق ؛ وكان المجلس حسن حتى بنية صعب إليه حقلام يسى عنه كما عهدت إلا واحد أو اثنان ممن يشتركون فى حلقته

وأنا رجل طالما أحسنت الظن بالأدباء حسن ظنى بالكتب من سلف وإن كان أكثرهم من معصوبا أن ممتكبر أجيبى فى حلقة لا ... حتى مثل هذه الليلة لا أعرف أكثر هؤلاء إلا فى آثارهم

جلست بين هؤلاء الشباب صامتاً أنقل بصرى من وجه إلى وجه، وأتبين الأشخاص من حديثهم، وهم قد وضعوا أنفسهم بحكم رسالتهم فى مركز وسط بين الملائكة والناس ؛ ولم يمض لحظة حتى عرفت من كلامهم أولئك أنهم جميعاً شعراء ؛ ثم تبين لى بعد ذلك أن كلا منهم يعتبر فى نفسه على الباقين حتى ما يلحق به أحد وإن كان لا يصرح أحدهم بذلك ، وإنما يشير إلى ذلك المعنى فى صورة عجيبة

وأعجبنى منهم لمصر الحق أنهم كانوا يديرون بينهم كئوس الثناء بعد كئوس الصهباء إن جاز فى دوعهم هذا التعبير ... فهذا يثنى ما وسعه الثناء على القصيدة الأخيرة لصديقه ؛ وذلك يمدح ديوان صاحبه حتى ليجعله من مفاخر العصر ومآثر جيل ، وفلان يستزيد فلاناً من طرفه ... وهكذا يتبادلون بينهم الثناء حتى لا يتركون معنى من معانيه

ويختلف ما يقف على الرغم من ذلك أن يبعث فى حديثهم أمراً ما ، وساعدنى على فهم ذلك ما عرفته من مصالحهم كذلك ، فهذا شخص أعرفه من قبل قد جعل لصاحبه الزعامة فيما كتبه عنه ... وأراه فى المجلس يقبل عليه إقبالاً شديداً لا يبدو منه سكتة إلا طلق ورد معاملة تجعل منهم مستحقاً منها منح من صاحبها ، وما يدل ربما إلا اعتراف فيه إليه سيد جالب فيه كل قياس ومرجع به على كل دون ... وهذا شخص آخر يعلم أن بين فلان وفلان حقداً وهو يعمد على أحدهما فيما أعرف فلا يزال يمدح الآخر بكل ألوان المدح ، وأنا الآن الأشخاص على وجه المنسوب عليه فاطلب وأسمع

رأيه بهذا التنافس الغريب ، وهم كانوا قبل ذلك يعيبون على وعد ألف العمر بين ... وذلك بالقهوة ... من سائل الفناء ثم من القمر إلى الأنعام والقاهرة ... ويخلع عليه ... ومأثر الإعجاب حتى ليترك سمعها دونه ... وذلك يهاجم على معاملته كذا للعصين ولكنه يغض ... بالشعر من التكسب والتسول ! وكان يقول لى شخص ... أنه يشعر إليه فى كل ... وما يحس الفتيان والفتيات ... ورد عليهم من قد كركب يحرص على مودة أصحاب الصحف اليومية والأسبوعية على ... ويحكى أحدهم طرفاً لصاحبه المعروف ، أن ... منهم من حالاته ما يحجبون من الشهوة ... ذلك الشعور الذى يصل به إلى الخلود ، ولكنه فى أى حال لا يقصر إلا بأنه شعور العبقرية وجنون الملهمين ... وإن كانوا يعلمون أنه متكلف يبلغ غاية التعسف فى تكلفه .

واجتمع هؤلاء الشباب على رأى واحد ، وذلك هو رأيهم ... شيوخ الأدب فأولئك عندهم قوم نالوا من الشهرة ما لا يستحقون ، وليس فيهم إلا من يحقد على الشباب وعبقرية الشباب وطموح الشباب ، ولذلك فهم يحاربونهم ويسعون فى طريقهم العقبات ، ويكن النعمة فى ... لا شك الجيل الناشئ

ويحمل هؤلاء الملهمون حملة صارمة على هذا الجيل الجامد ويأخذون عليهم ... ويتساءلون ... أحسب الشدة على هذا الجيل إلى مثل هذا الحد ؟ ... تحدثت إلى أحد من أصحاب الأدب رأيت بين هؤلاء الذين يرمون الجيل بالعقم ... و ... شيئاً حتى يصعب على من يقرأ مثل آرائهم أن يصدق أنهم يعيشون فى عصر واحد ... وكيف يلتقى هؤلاء على ذوق أدبى والمسألة بينهم ... وتقدير لفنه ؟

وبعد ، فلا ... على بعد أن عرفت مبلغ ... هؤلاء بعضهم ... أصدق ما يقال من مبلغ صدق أكثرهم فى ... ذلك ... من آيه أن يفتح أحدهم ... رأى من جمال الربيع وهو لم يخرج من مكتبه ، أو يصف الشروق والغروب والليل فى القرية وهو ... ، أو يتوجع ويتوجع ويشكو إلى ... وهى لا توجد إلا فى خياله ! لقد أسرفنا فى ... ، وبالغنا فى الاستهتار فى ... !

« الخفيف »

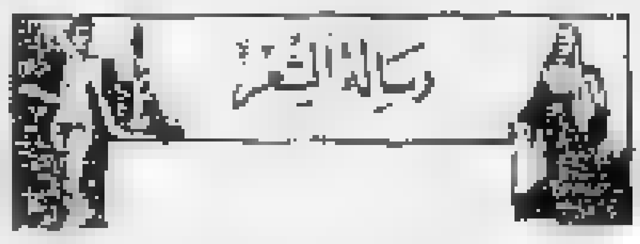


# من شكوى الزمن

للدكتور ابراهيم ناجي

يا ويلتا من مجرى الباقي ... هذا سراق تحت أحداقي
[illegible] بياض الشيب [illegible] ... من مُغْرِب في زي إشراق
وبي [illegible] كأس مترعة ... وعلى فم [illegible] تُراق
وعلى [illegible] وعلى ... [illegible] المحب [illegible]
[illegible] الآمال [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] الهدى [illegible] !
يا دهر [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... والناس [illegible]
يا كم عجبت وكم تعجبت [illegible] ... [illegible]
ما ضيق الأرض [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
إن [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
إن كنت لم [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

# احترق . . . احترق !

للأستاذ أحمد [illegible]

لا تقف يا طائر ... لا [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible]
[illegible] لا تحترق

[illegible] الفضاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في الدجى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأحمر

[illegible]
[illegible]
[illegible] الأحمر
[illegible] !

# يومان

للأستاذ صالح جودت

اليوم الأول

[illegible]

هو – [illegible] ... [illegible] ؟
هو – [illegible] ؟
هي – [illegible]
هو – وكيف [illegible] ؟
هي – [illegible] !
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] الإنسان
[illegible]
هو – [illegible] ؟
هي – [illegible] الملاك والشيطان !
هو – [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

عهد جنتيه من الشرق قد انثنا [illegible] لا يثنوان
عبر أنى أحس [illegible] وهما [illegible]

هي : ثم ماذا ؟

هو : أهواك يا ربة الحسن

هي : وماذا أعجبت الترباني ؟

هو : كل مستفتى لاهوى وعينا [illegible]

هي :

ثم [illegible] الهجر !

هو : وهل أستطيع ما [illegible] ؟

هي :

[illegible] على [illegible]

هو : [illegible]

هي :

[illegible] من الوجدان
[illegible] الأعماق
أو ما قلت إنه لي [illegible] ؟ [illegible] الآن [illegible] بالهجران ؟

هو : [illegible] !

هي : [illegible] ؟

هو : أنت [illegible] في [illegible]

هي :

كيف [illegible] هوى [illegible] ؟

هو : [illegible]

هي : هل رأيت [illegible] ؟

هو : [illegible] الظلال والأنوار
[illegible] المعاني
[illegible] تصوير ما [illegible]

اليوم الثاني

( [illegible] )

هي : كنت [illegible]

هو : ليل أمس في [illegible]

[illegible]

هي : [illegible] الساعة ؟

هي : لا [illegible]

[illegible]

هي : [illegible]

هو : [illegible] ؟

هي : [illegible]

هو : [illegible] العدن

[illegible] من أكوان

هي : [illegible]

[illegible] ؟

هو : [illegible] القربان
[illegible] جيل [illegible]

صالح [illegible]

---

## العروبة

إن من الحوادث في حياة الرجل لحوادث [illegible] الآية المحكمة تمسح ما كان قبلها ، ثم يأتي بعضها كالقنبلة تنسف الأرض أمامه فلا يرى إلا هوة وظلاماً ، فإذا تلاحقت لم يجد المرء ما يتلقى من أمسه ولا من مستقبل ، وإنما هو الحيرة والضلال والرعب ، والتردد كلما أتقدم أو أحجم .. بلى ، إن علينا أن نصارع الحياة بالقوة ، وأن نعودها بالحيلة ، حتى نخلص إلى الأرض الصلبة ؛ ولكن من يستطيع أحد بعد ذلك أن يصل إلى هذه الأرض ؟! ولولا أن اليأس هو باب الموت ، لكان هو في الحقيقة – إحدى الراحتين ..

س

ولقد ... أصدرت المطابع المصرية في الأسابيع الماضية طائفة كبيرة من الكتب العربية ، بعضها لأصحابها من المعاصرين ، وبعضها مما أخذه الناشرون من المكتبة العربية القديمة في جوانب المكتبة ، ونحن نختار من هذه الكتب ثلاثة يجري الحديث فيها مجرى واحداً في الغرض الذي نرمي إليه ، وهي كتاب « التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية » وهو دراسات لكبار المستشرقين مثل « بكر ، وجولد تسيهر ، ونلينو ، وماير هوف » ترجمه إلى العربية الأستاذ عبد الرحمن بدوي ؛ وكتاب « الرسالة » للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي نشره العالم المحدّث الثقة الشيخ أحمد محمد شاكر ؛ وكتاب « الذخيرة » لأبي الحسن علي بن بسام ، نشرته كلية الآداب مصححة بمراجعة الأساتذة محمد عبده عزام ، وخليل عساكر ، و[illegible] ، وأشرف على طبعه أساتذة [illegible] أحمد أمين ، ومصطفى عبد الرازق ، وعبد الحميد العبادي ، وعبد الوهاب عزام ، وطه حسين

وهذه الكتب الثلاثة لا يجمعها جامع واحد من حيث موضوعها ، فالأول آراء للمستشرقين في نواح من الحضارة العربية والآراء الإسلامية ، والثاني في أصل من أصول الشريعة ، والثالث في ذكر [illegible] الأندلس وشعرائها وعلمائها وكتابها ، ولكن [illegible] واحد من ثلاثة هو الرأي في المستشرقين ، وما يجب علينا أن نقاسمهم عليه ، وما [illegible]

## المستشرقون

لقد قرأت مقدمة كتاب « التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية » – كتبها الأستاذ « بدوي » محررة للشباب الذين تصدروا في [illegible] ، وجعل يهدم فيها على الموروث العربي آراءه كالمارق ، مضروب في الجذع بعد الجذع على غير هدى ولا كتاب منير . فلما توغلت في الكتاب رأيت أن آراء المستشرقين الذين زعم لهم كلامهم – هي التي وضعت في [illegible] هذه المعاني ليصل به ، ونحن لا نرى أن مثل ذلك مما يضير التراث الإسلامي شيئاً ، ولكننا نرى أنه يضر بأصحابه والمطلعين عليه أولاً ، لأنه يأكل [illegible] شيء لا يمكن أن ينال منه شيء ، ولو كان [illegible] كبيراً » والمشكلة كلها هي فتنة أكثر الناس بأسماء المستشرقين ، وأن ما يكتبون في التاريخ الإسلامي والعربي [illegible] من قلوب كثير من شباب الجامعة وغيرهم منزلة الكلام المقدس [illegible] بعض معانيه إبطال لقوة « الاستشراق » في نفوسهم . ونحن – حين رأينا بعض آرائهم في ترجمة الأستاذ « بدوي » – وجدناها عملاً صالحاً للنقض من ناحية [illegible] ، وأما من ناحية التحقيق العلمي ، والنتيجة التي يرمي إليها ، فهو عمل غير صالح . [illegible] هذه التي عرفناه هو الذي دعا إلى تخصيص هذه الكلمة بالكتب الثلاثة المذكورة آنفاً ، ونصاحب المستشرقين في تناول الكتب العربية القديمة بالتحقيق لنشرها ، ثم مناهجهم فيما يحاولون من تاريخ الفكر الإسلامي أو الحضارة الإسلامية ، وليس غرضنا هنا أن نعرض لنقد شيء بعينه من آرائهم ، وإنما نريد أن ننبه على [illegible] ونحذر شبابنا من الانخداع ببعض من يخالطهم

ويعلم أمر المستشرقين كما [illegible] أحدث مناهجهم في الكتب العربية القديمة التي نشروها منذ بدأ توجههم إلى هذه

الترجمة؛ والآخر ما كتبوه من دراساتهم في الآثار العربية؛ وما أنتجوه من تاريخ الإسلام، وتاريخ آدابه ومذاهبه الفقهية والفلسفية

### نشر الكتب العربية

فالمستشرقون حين بدأوا ينشرون الكتب العربية القديمة لم يقتصروا في بدء الأمر والتحري لاستجلاب الأصول التي يطبعون عنها هذه الكتب، ثم يشرع أحدهم لمقارنة الأصول بعضها ببعض، وإثبات الاختلاف بين النسخ الكثيرة التي تجمع لهم، وتحرير ذلك بطرقه والضبط والشكل على ما هو عليه في أصل من الأصول؛ وأمانتهم في إخفاء الحرص على تحريفه وتصحيحه على صورته ... إلى غير ذلك من الدقة والأمانة في إعطاء القارئ صورة كاملة في نسخه وحده من الكتاب المطبوع - نسخة مع محققة منقولة من الأصول المخطوطة - حتى أنهم يثبتون في «الهامش أو الاستدراك» ما هو خطأ بيِّن لا يصح على وجه من الوجوه، وإنما هو تحريف ناسخ واستدراك ناسخ، ثم لا يصححونه رأياً ويختصرون لفظاً على لفظ ... حتى إنهم يثبتون غلطاً فيضعونه في صلب الكتاب ويكون صوابه في الاستدراك؛ وحجتهم في ذلك أنهم يلتزمون أقدم النسخ عندهم، فيطبعونه كما هي؛ وأما اختلاف سائر النسخ فهو حق للمستدرك وإن كان هو الصواب الذي لا صواب غيره

وهذا — على علاته — عمل جيد وأمانة صحيحة. ثم جاءتنا هذه المطبوعات في بلادنا على فترة جهل وإهمال، وعلى زمن كثر فيه أصحاب العلل الذين ينشرون الكتب فيه، إنما هم تجار لا يهمهم إلا الربح من طبع الكتب عروضاً قد جمع بعضها إلى بعض على غير نظام ولا تحرير ولا دين؛ فلما قرأنا بعضنا هذا ... ونحن قريب ... لا يعنيهم من مروءته ما يجب أن ... أخفى شيء التمحيص، وعد الناس عمل هؤلاء المستشرقين الأعاجم ... وصار علم، وحمل جماعة ممن تلبس عليهم يقلدون القول بعد القول في تطبيقهم والأمانة منهم بغير الحق ... ثم مضى ذلك واستحب التقليد على آرائهم في الفكر الإسلامي والتاريخ العربي كما انسحب على أعمالهم في نشر الكتب — وأين هذا من ذاك؟

ثم انتهى حين آخر، فظن بعض الناس أن المذهب الذي سلكه المستشرقون في التصحيح، هو المذهب لا مذهب غيره، وصاروا يتشدّقون على من يخالفهم من أصحاب العلم العربي في طريقة نشر الكتب العربية؛ ومع ذلك فهم لا يجهلون شيئاً مما يقولون، ولكنه ليس كل الحق؛ فإن المستشرقين لم يحسنوا هذا المذهب، ولم يجدوا منذ الوقت من خلال المستشرقين إلا القليل من ترجيح بعض الكلام العربي على بعض، وذلك يستلزم شيئين أولهما جهلهم بالعربية على التمام، فإن علم العربية هو السليقة التي لا تكتسب، كما أن علم الإعراب والعربية هو السليقة والنشأة والاجتماع في الوسط الإعرابي أو القريب من هذا الوسط ... والثاني أنه قلما يوجد فيهم المتخصص في علم بعينه حتى يكون حجة فيه، فهمّهم إلا أن يكونوا الحجة — عندهم — في جمع نصوص كثيرة في موضوع واحد من كتب شتى، ولكنهم لا يدّعون أبداً أنهم أصحاب رأي في البيان والتأويل والترجيح

### رسالة الشافعي

ويجب أن نقرب للقارئ هنا «رسالة الشافعي» التي طبعها العالم الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر، فهو طبعها عن أصول مخطوطة ومطبوعة، وأقدمها نسخة بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي وراوي كتبه؛ والأستاذ الشيخ شاكر حجة في علم الحديث النبوي، ويعتبره مختصو السنة التي هي أصل من أصول الدين، فلما ساوى «الرسالة» بحدّته الطابع لم يترك شاردة ولا واردة من اللفظ إلا ردّها إلى مكانها من عربية الشافعي وأصوله التي في كتبه، وأثبت الاختلاف ورجح بعضه على بعض، وعمل في ذلك عمل العالم المفكر بعد أن ضبط كل اختلاف برأيه إلى غير ذلك من أبواب التحرير والضبط، فجاء أقرب مراتب الأصل دون التطويل، ورأيته قد خلا من كل عيب، وصار بياناً كله، بعد أن كان في الطبعة الأولى من «الرسالة» عبثاً مختلطاً يعوص فيه البصير، فلا عليك بعد أن تقارن من يقرأ دليلاً له في صنعه العلم بغير ميزه أو مشاركة! وأنت إذا قارنت هذه الرسالة بأي كتاب من الكتب التي أخرجها أعاظم من تحدث المستشرقين، وجدت الفرق الواسع، وعرفت فضل العربي على الأعجمي في نشر الكتب العربية، فإنما هو عمل أصولها في أصول الفقه والدراية والنقد، ولم يخدعه فيها برأي عنده فهو أقوم منه وأجود

وأنا أذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ قد أرسل إليّ في (إبريل سنة ١٩٣٣) يسألني عن كلمة وردت في حديث من مسند أحمد ابن حنبل ، ولم أكن قرأتها قبل ذلك ، فكتبت إلى الأستاذ رحمه الله أسأله عنها وعرضت له ما رأيت من رأى ، فخالفني الأستاذ ، ثم بعد أيام حتى وجدت في الطبري ما يوافق بعض رأيي أو يدل عليه ، ورأى الأستاذ أيضاً ثم رأيت أن وجدت نصاً يعينه على الذي رأيت ، وهذه الكلمة هي في الحديث « رجل قد جرد نفسه » قد (أطنب) على أنه مطنوب » ورأى أن قراءتها « أطنّها » والهمزة فيها منقلبة عن الواو فهي « وطب » وكذلك وردت في الطبري ، ولكن أصحاب كتب اللغة لم يذكروا ذلك في كتبهم كما أشير « وكد » و « أكد » ، و « وقت » و « أقت » إلى غير ذلك فأنت ترى أن الطابع والمطبعة ربما تعجب إلى ما لا يقع إلا بعد طول التنقيب والبحث والتصحيح

التصحيف

وعندنا أيضاً كتاب « التذكرة » لابن حمدون الذي بذل في تصحيحه وضبطه على الأصول المخطوطة التي طبع عنها وبيان اختلاف النسخ ، قد أوفى على الغاية ، وقلّ من المستشرقين من يستطيع أن يصل إلى إجادة مثله في التحرير ، ومع ذلك فقد وقع فيه بعض ما كان يمكن تجنبه ، ولولا أن الأساتذة المصححين قد تهاونوا في بعض أسلوب المستشرقين الأعاجم ، في الحرص الذي لا معنى له عند العربي ، وحرصوا إلى مناقشة أخرى ، هي أنهم يبالغون في تخصيص لشيء يعينه من شرح الأصل وآدابه ، فكذلك بين بعض الخطأ كما هو ، وأصر على ذلك وليس له معنى وترك مثل تلك الشذوذ لا يصح ولا يستحسن ، ولنضرب لذلك مثلاً أو مثلين ففي ص ٨٢ « ... فروا جميعاً عليه فظلوا يلاً ... » وفي نسخة أخرى « جبروا » ، وكلا الحرفين لا معنى له في الجملة ، والصواب عندي أن يكون « فاندرأوا عليه ... » أي هجموا عليه واندفعوا ، ومن قرأ النص عرف أن هذا هو معنى السياق ، وكذلك في ص ١١٠ « وفارس ميدان البيان ، وخالب صدر الزمان » وفي نسخة « وأنفث » وكلاهما ليس له معنى ، وهو محرف عن « ونزّ » أو أي شيء يكون حلاًّ للصدر ونحن لا نطيع بأننا نتعب بعض أوراقه الآن على غير ترتيب ،

ومع ذلك فهو أجود بكثير من أصح كتب المستشرقين عندنا ... ، وليس كل المستشرقين من يصل إلى الإجادة في كل شيء ، فقد طبعوا كثيراً من الكتب ... ، ولكن كتباً وأوراقاً مما طبع في مصر هو خير من مثل هذه الكتب مثلاً « كتاب الزهرة » لابن داود الظاهري ، الذي طبعه الأستاذ « لويس نيكل » بمساعدة الأخ « إبراهيم طوقان »[1] ، وجدنا كثيراً خطأ ، بعد التصحيح للأستاذ طوقان في الاستدراك عليه ... ومن شك أن نضرب للخطأ بعد الخطأ على ذلك تساقط المتكلم عن أعلم ذلك

ما يهم

أما مباحث المستشرقين عندهم في موضوع الإشكال كله ، والمستشرقون - كما لا يجهل أحد - ثلاث فئات : فئة المبشرين الذين تعلموا العربية في الكنائس لخدمة التبشير ، وهم الأصل ، لأن الاستشراق في أوله كان قد نشأ هنالك بين رجال الدين ... وفئة المستشرقين الذين يخدمون السياسة الاستعمارية في الشرق العربي ، وفئة العلماء الذين يظن أنهم تجردوا من الغرضين جميعاً فأما الفئة الأولى والثانية فما نظن أكثر آثارهم في المباحث الإسلامية إلا جامعاً إلى غرض أو من كونها يدعونه إليه ، وهم أكثر المستشرقين ، ولا نظن أن كلام هؤلاء مما يمكن أن يعتمد عليه إلا أن يكون منقوداً حاصلاً وأما الفئة الثالثة ، وهي أيضاً موضع الإشكال ، فمن غير الممكن عندنا أن يتجرد هؤلاء من الغرض الذي يجب من وراء الكلام ، هذا على أنهم لا يحسبوا أصحاب سليقة في فهم النصوص العربية على التحري موضوعها ، وعلى الفقه لمناسبة التي يستطيعونها ؛ وإذن فمن واجب قارئ كلامهم أن يقف عند آرائهم موقف الناقد الذي لا يقبل إلا ما تقبله الطبيعة الفطرية للغة في المعاني التي يستخرجونها من الكلام ومع ذلك أيضاً في عيوب هذه الفئة أنهم ربما استخرجوا قولاً مبهماً قصداً ليس شيء في تاريخ الإسلام والعربية ، ثم يكتبون وقد اعتمدوا هذا الذي أصلاً ثم يجرون متساهلي الأقوال ويلزمونها إليه ، ثم يحشدون لذلك شيئاً كثيراً مما يقع في تاريخ مجهول

---

(١) ترجم الأستاذ طوقان هذا الاسم بلفظه « نوقل » ، ص ١٠ من كتابه

تأملات في الفن

# نبئيني غداً عما تسمعين

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لست أدري لماذا تحب أن تسمع موريس شفالييه وهو يغني الإنجليزية، مع أنه إذا غنى بالفرنسية كان أبدع

— من غير شك يكون أبدع، ولكني أحبه يغني الإنجليزية لكي أضحك لا لكي أطرب؛ فهو ينطق الإنجليزية بلكنة فرنسية غريبة هي التي تزيد تهريجه حلاوة وخفة

— وهل موريس شفالييه مهرج؟

— وأي شيء هو غير هذا؟ إنما هو مستساغ ومحبوب لأن تهريجه في طبعه، فلو لم يكن شفالييه مهرجاً محترفاً يربح من تهريجه المال الوفير، لكان مهرجاً في أي عمل يعمله وأينما كان وكيف كان

— ليت عندنا مهرجاً مثله

— وهل عندنا قوم [illegible] ولكن [illegible] لا يحترمون التهريج ويحترمون الوقار ويستثقلون [illegible] والهزل من سفاسف الأمور

— مثل من؟

— مثل من هنا، فأهلنا هنا في مصر [illegible] يعودون بنا إلى موريس شفالييه ولا أرى له حسنة أخرى إلا ما ذكرناه من حسنة التهريج الصريح

— حسنة روحه

— إنها مع تهريجه ومن خلاله، بل إنه سببها [illegible] له حسنة أخرى لا صلة لها بالتهريج.

— مثل ماذا؟

— مثل [illegible] أليست تدل على شيء طيب في نفسه؟ ألست تشعر بأن موريس شفالييه قوي الشخصية، ومن قوة شخصيته هذه الفترة الفرنسية التي لم تضعف رغبته في الربح وطمعه في الدولار الأمريكي أو [illegible] الإنجليزي [illegible] إني أرى في شفالييه هذه الحسنة

— ولكني أرى هذه سيئة لا حسنة. فالمثل هو المطبوع الحسي الذي يستطيع أن يتشكل بسهولة لا الجامد الحسي الذي يستعصي عليه التلون

---

لم يحص كالتاريخ الإسلامي، وكذلك يعسر على من لا يعلم تعليماً محكماً لأنه حشد وجمع، وتترى بالجمع والاستقصاء التي يرجون. وسنتناول ذلك بعد قليل بعرض بعض الآراء التي رجحها الأستاذ [illegible] في كتابه [illegible] كل ذلك إلى جانبه، حرصاً على أن نحصر النقد في أضيق حيز

العقاد

وأنا لا أحب أن أختم هذا الحديث بغير مثل أيضاً. فهذا الأستاذ «العقاد»، وكلنا يعلم أنه قلما كان يتناول الأغراض الإسلامية بالتحرير والبحث، ولكنه منذ العهد [illegible] كتب مقالة عن [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم العسكرية، ثم عن عبقريته السياسية، فاستوفى القول في ذلك وأحسنه، ورد كثيراً من الشبه التي كان يلبس بها الأعاجم على الأعراب من طبائعنا؛ وليس يستطيع مستشرق أن ينفذ في صميم التاريخ العربي، والاجتماع الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، كما يستطيع كاتب عربي مطلع كالأستاذ العقاد. ثم هو فوق ذلك أديب عربي يستطيع أن يحس بطرقه العربية الأدبية موضعاً على الكشف في أسرار تاريخية مطموسة، لا يطيقها المستشرق بفقدانه مثل هذه الفطرة؛ ثم لأن البيئة العقلية والاجتماعية التي نشأ بها وتغلب على أساليبه لا تطاوعه أو تلين معه، حتى يكون في نظره إلى التاريخ العربي أو الفلسفة الإسلامية، مركباً ولائياً على طبيعة العرب وطرائقهم في تحول مسالك حياتهم، وحياة أفكارهم وعقائدهم. ونحن نرجو ألا يغفل الأستاذ العقاد بحاجته من هذا النوع المجيد من التفكير في تاريخ تنعقد عليه كل يوم جهالات كثيرة متعسفة ليس لها أصل ولا مباشرة

محمود محمد شاكر

— هذا حق، ولكن أعتقد أن موريس شفالييه لو مثل شخصية إنجليزية معينة فإنه سيكون في تمثيله هذا أقرب إلى سلامة النطق منه، وهو يمثل شخصيات غير مضبوطة لا يتطلب الإنجليزية بسبب ضرورة فنية، وإنما لضرورة تجارية ألزمته إياها شركات السينما الأمريكية ... ولو لم تكن الأدوار التي يخرجها موريس شفالييه كلها تهريج ومرح وعبث وفكاهة لا يحتاج معها للتأكيد على سلامة كيانها الذي تمثل موريس شفالييه ولعاد إلى التمثيل بلغته الفرنسية كما عاد إميل جاننجز إلى التمثيل بلغته الألمانية على ما تمكن في ذلك من خسارة مادية هائلة، إذ كانت أمريكا تعتبره ممثل الشعب الأول

— أو إلى هذا الحد يصعب على الإنسان أن يمثل بغير لغته؟

— إذا كانت لغته متغلغلة في نفسه قابضة على زمام روحه

— وكيف يكون هذا وكيف لا يكون؟

— اللغة في لسان فريق من الناس يقال لهم شعب لأنهم تشعبوا من أصل البشرية إلى أبناء إنسان خاص يستدعي سلوكه مؤثرات نفسية خاصة. وهذه المؤثرات يظهر بعضها في التفكير، ويظهر بعضها في الذوق، ويظهر بعضها في الأعمال والحركات، ويظهر بعضها في اللغة وفي طريقة إلقاء هذه اللغة. وكلما تأصلت هذه المؤثرات في نفوس الشعب وضحت آثارها في المظاهر التي ذكرناها، وليس هذا الوضوح إلا دليلاً على تمكن هذه المظاهر من تلك النفوس، وشدة ارتباطها بها، فإذا أكرم شعب من الشعوب أفراده تأصلت في أفراده مظاهره حتى يتكونوا في الطابع الذي يطبعهم، وإنهم ليحبون هذا مدفوعين إليه بما يشعرون به من الاعتزاز بانتسابهم إلى أصلهم، وهم لا يشعرون بهذا إلا إذا كانوا على حق، وإنما كانوا بهذا الشعور واثقين. وليس هناك شك في أن موريس شفالييه يعتز بانتسابه إلى فرنسا، كما أنه ليس هناك شك في أن إميل جاننجز يعتز بانتسابه إلى ألمانيا، كما أنه ليس هناك شك في أن شارلي شابلن يعتز بانتسابه إلى العبرية. أما موريس فإنه رأى الناس لا يطلبون منه إلا أن يضحكهم وأن يهز بهم عجباً بأي لسان يتحدث إليهم ويضحكهم، فهو ينطق أحياناً بالفرنسية وأحياناً بالإنجليزية، وهو كلما استدبر مصر حاجته من المال لقلة الحرية ولم يجد مانعاً من ذلك ما دام يرضيه ويرضي الناس معه من البيت، وأما شارلي شابلن فإنه يمثل من غير أن يتكلم لأنه لا يحتاج إليه، كان يستطيع أن ينطق الناس على أنفسهم، ولأنه وجد في تمثيله الناس جميعاً شعوراً من كل طبقة في طرق البشرية وتشتتها، وقد كان شارلي يستطيع أن يمثل بالإنجليزية وهو موفور عطاء، ولكنه يشعر بالحرب بينه وبين نفسه طارئة على سكوته حريصة على نفسه تلك العبرانية التي أسر الله بها على بني إسرائيل، وهذا الشعور مع رغبته في الشيوع مع النفوس المختلفة هما اللذان يلزمانه التمثيل الصامت وإلا فقد كان يمثل بالإنجليزية وهي لغة جمهور الشعب أو بالعبرية وهي لغته

ولكني أحب هؤلاء جداً وحرام أن نخصهم شارلي وحده بحبه مثلاً فمن إميل جاننجز أحد الألمان وحدهم بحبه بين كل الوجه الإنساني عليه أن يظل في أمريكا يمثل صامتاً مثله مثل شارلي، وقد كان منحه كل النجاح وأوتي كل الخصوص عون للمنسيين آه ... أذكر أني رأيته مرة في فيلم يبكي بكاء أبكاني وأبكى كثيرين معي، وليس كل ممثل يقدر على هذا

فما أقسى منعه!

— لست أدري، ولكن كنت أظن أن إميل لو كان صاحب ثروة مدخرة لبقي في أمريكا ومثل الذي يمثله شارلي ولما اضطره المال إلى أن يعود ... الذي لا يرضى الأمريكان من التمثيل الناطق، وما يرضيه الألمان من التمثيل بالألمانية وحدها

— إذن فلو كان إميل غنياً لكان قد تخلص من ألمانيته، فالألمانية إذن ليست متغلغلة فيه كما تدعي، وما دام الأمر كذلك فقد كان يمكنه أن يظل في أمريكا وأن يمثل بالإنجليزية

— لا، إن الألمانية متغلغلة فيه، فلا أحد ينكر أن الألمان من الشعوب الذين يعتزون بأنفسهم، بل الذي يصل بهم اعتزازهم بأنفسهم إلى أن يصبح عيباً ومكروهاً معروفين، وكل الذي كان يستطيعه إميل مع هذه الألمانية المتمكنة فيه من أقوى الكفاح هو صرخة بالصمت، ولكنه لم يكن يقوى على أن يصرخ بأي لسان نطق غير لسانه الألماني، ويظهر فيها صلفه وكبرياؤه وغروره، والصلف والكبرياء والغرور من الصفات التي يراها البشر عامة شذوذاً وانحرافاً عن الفطرة الإنسانية السمحاء وليس يقبل فريق من الناس أن يكون الإنسان ذا صلف وكبرياء

وغرور إلا الأبله، لأنهم كلهم هكذا أصحاب صلف وكبرياء وغرور، فتجسيمهم لهذه الصفات حتى إنهم لم يوجدوا دون حب عرفاه ولا شعوراً ولا حياً. وقد يخيل للناس من غير الأذكياء أن يروا إميل جاننجز في دور تتجلى فيه صلف وغرور وكبرياء، ولكنهم لن يجدوه في هذا الدور بهذه الصفات إلا إذا كانت هذه الصفات مما يستدعيه الدور، كأن يكون دور ملك من الفراعنة الفاتحين المتوجين، أو حاكم من الحكام المستبدين المغرورين، أما إذا لم يستدع هذا الدور هذه الصفات وظهرت هذه الصفات في شخصية إميل جاننجز إتقاناً للإخراج أو الفرصة على الناس سيضحكون منه من غير شك لأنها صفات غريبة على الدور غريبة عن طبيعته — أولا تستكين أنت من التفكير في الدور يوم لم يكن له فيه يوم — ولو الفرعون — كبرياء وغرور؟ —

هذا عن إميل جاننجز من الممثل الإنجليزية

— وهؤلاء الممثلون جميعاً الذين يمثلون في هوليوود باللغة الإنجليزية وهم من شعوب مختلفة ولهم ألسنة مختلفة، ألا ترى في هذا الذي يراه إميل جاننجز وشارل شابلن وموريس شفالييه!

— أما شفالييه فهو لا يرى شيئاً كما قلت لك، والفارق يراه هو شارل شابلن من إميل جاننجز فهما من ممثلي الشكل الفني، وقد ذكرت في كل منهما خصائص قومه، فهو في فنه يمثل قومه في حياته، فهذا شارل صاحب النجرة، صمت وانتشر بصمته في الأرض، كما صاحب الأرض للقصة من بني إسرائيل، صمتوا منها وانتشروا في الأرض، وهذا إميل جاننجز صاحب الألمانية، فتشبث به وانحصر في حدود بلاده يعتز بكرامته وسلطته وغروره كما صاحب ألمانيا نفسها بأنانيتهم لم يستحوا من سلطتهم وكبريائهم وغرورهم، وإنما حصروا في أرضهم يأكلون مرارتها وعتقاً ومضحاً وجلبة ولو كانوا على شيء من الحكمة، لبرئوا من شيء من صفاتهم هذه، ولكانوا كالإنجليز مستبدين بأنفسهم ولا غرور، أو كانوا كالسلطين معتمدين على الله سائحين في أرضه الواسعة بالحق والسلام والصبر في البأساء ويوم الباس — كم أريد أن أسمع صوتاً مسموعاً في حديث أو غناء أو ترتيل أو تمثيل أو موعظة حق — ولكن أين نحن من هذا — إنه لن يكون إلا يوم أن نسمع كلامي من المتكلم، فاهتدي إلى موضوع مصر، فنكبه، فيهديه إلى مخرج مصري، فيهديه إلى

صالح ... وممثلين ... وممثلين ... ، ... سمع الصوت الممثل »

— وهذه الأصوات التي تسمعها؟ ألا يعجبك منها ولا صوت جورج أبيض؟

— فيه ورقة البيانو كثرة التعب، ولكن فيه أيضاً نغمة فرنسية تشربها في فرنسا بسبب طول التمثيل، وإنه في هذا يشبه الدكتور طه حسين بك في إلقائه، فهو ينطق الحروف العربية سليمة مستقيمة جيدة، ولكنه يلتوي إلى حد ما بنوع صوته في إلقائه نوعاً فرنسياً فيه التنفس، وفيه القصد إلى التأثير، وفيه التأني في الاسترسال والتأني في الوقف؛ وهذا شأن مستشرق فرنسي من العربية فأجادها، وليس شأن عربي يتكلم، والدكتور طه مصري في هذا فقد نشأ في مصر ولكنه تربى في فرنسا وقد اختار أن يدرس ثم يستشرق لأنه رأى المستشرقين الفرنسيين أرق طبعاً وأحسن حالاً من المصريين ومن العرب، وأنا أؤمن بأن الدكتور طه لو كان قد احتك بعض إخوانه من أهل مصر و... أدبه من المصريين أو العرب فكان قد مكن لغته العربية من نفسه على مثال عكسها من نفس ذلك المثل الذي لم يره ولم يجد بداً من أن يبحث عنه بين المستشرقين، كما سمع الأستاذ جورج أبيض التمثيل عن يد أستاذ فرنسي فطبع له نفسه حتى ترجمت تلك النفس الفرنسية تلك العربية بروح فرنسية هي صدى لأصوات الإحساس الفرنسي التي درج عليه أصحابه.

— وهل للإحساس أساليب؟

— من غير شك، فصوت الشعر النبيلة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويقبل على الحياة صابراً وهو يقول: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، والمؤمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصوت الكافر السيئة يهلع هلعاً ويتصدع من حزنه في أرجائه فلا يخرج منه — إنه خرج — إلا صوتاً كأنه الغنة كفراً وجحداً من الله ومستعلياً على نفسه، له أسلوبه في الحس والصمم وسلوكه، وأسلوب الكافر ظاهر في لهجته وكلامه فهو مضطرب حائر يلتقط الكلمة بعد تعبها أو يأكل حسية أن تضيع منه في نفسه، فلو أصبح الفصيح اضطرابه وقلقه وحيرته، وأسلوب المؤمن ظاهر في لهجته وكلامه، فهو مطمئن هادئ مستبشر واثق من رحمة ربه. ولكل شعب من الشعوب أسلوب في الحس يختلف من الإحساس عنه

# تضارب في الرأي
## يؤدي إلى كشف خطير
### للدكتور محمد محمود غالي

النظرية الموجية والنظرية الجزئية — فالنا نصيب الصواب النظرية الجزئية أو الموجية — ظاهرة التداخل الضوئي والانعطاف

ثم كان التضارب ! وفي أي الناس لم تضرب أزمة علمية ؟ لقد كان في أهم مرحلة من المراحل العلمية التي تتصل بهذا الكون وبرؤيتنا له ، وللقارئ بيان ذلك

حاولنا في أن نرجع الكون في مجموعه إلى خواص أربع الكهرباء والمادة والإشعاع والطاقة . وحاولنا أن نرجع كل هذه الخواص إلى بعض وحدات أساسية ، وذكرنا أن ظاهرة الإشعاع

ترجع إلى ذرة ضوئية يسمونها الفوتون ، وذكرنا أن ظاهرة الإشعاع تتكون من الفوتون ... مستصحبة له ، وذكرنا أن هذه الذرة الضوئية تسافر بسرعة عظيمة تبلغ حوالي ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية . ولا نتوسع اليوم مع القارئ في شرح الطرق التجريبية المختلفة التي توصل بها العلماء لقياس سرعة الضوء التي لا يمكن أن نتصورها إلا وهو في حالة حركة سريعة بالنسبة للمادة ، ولكننا نتعرض لمناحي التفكير في فهم الظاهرة الضوئية ، والوسط الذي ينتقل فيه الضوء ، والكيفية التي تصور بها الباحثون هذا الوسط الذي يتصل في أساسه بالكون وبالوجود والمادة التي اضطر لها العلماء في تعديل تصورهم والأعمال العلمية التي تناولت هذا التعديل ، وبهذا نتعرض موضوعاً تضاربت فيه الآراء ، وأزمة كانت من أشد الأزمات العلمية ، أزمة لم تنته إلا بتطور علمي جديد ، عدَّل تصوراتنا عن الكون وهذب طريقتنا لمعرفته

* * *

ولا شك في أن ظاهرة ترجع في تكوينها وفي معرفتنا لها إلى ظروف معينة يجمل بنا أن نذكرها ، فالضوء الذي ترسله إلينا الشمس مثلاً أو المصباح يصل لنا في الغالب من أجسام عديدة لا نعرف على وجه التدقيق ما حدث فيها من عمليات يصل أثرها إلى حاسة من أهم حواسنا هي البصر نعرف به صور الأشياء بالمظهر ذاته الذي يراه كل من وهب هذه العيون

كذلك عندما يتفق الكثير أن هذا اللون هو اللون الأحمر وذاك هو الأخضر ، فإنه يبدو أن الإنسان يعرف دائماً الأحمر من الأخضر ، ولا يحدث خلاف بين بني الإنسان في تمييز لون معين من بين الألوان فيه اتفاق عام على أن هذا أحمر وذاك أخضر ، تلك مسألة نقررها بتجاربنا اليومية ، ولكنها تجارب جانبية تقف في حد ذاتها عن الكشف عن طبيعة الظاهرة التي تتحدث جميعاً عنها في هذا التمييز

وقد يكون غريباً على القارئ أن نقول له إن الضوء عبارة عن حركة موجية ، وإن اللون يترجم عنده من التموج في الزمن ، وإنه إذا تغير الأحمر عن الأخضر لأن ثمة عدداً من التموجات في الثانية أثرت في العين لترى اللون الأحمر وثمة عدد آخر من التموجات يختلف عن العدد الأول وصل إلى العين لترى اللون الأخضر ،

وينسبه من عنده ويخيل إليه أنه يظهر في طبعه وكلامه ... فالألمان يعتقدون أنهم أقوى خلق الدنيا ولذلك فإنهم يتشدقون عن الغيب به الإحساس ويعتدون كل من لم يعاملهم بقلوبهم وكلامهم كأنهم الناس ، والفرنسيون يعتقدون أنهم أحق من في الدنيا وأشد منها عصفاً وهم لهذا يقبلون على الحياة مطلقين متأنقين متطلعين ... من الناس بأنفسهم قد أرهقوا أقلامهم إلى حد يخلطهم فيما يخلطونه حتى يتوهمون أنهم يحسنون حتى يرضوا ... طبيعة الجيل للنسل الأصيل أو كل هذا في نفسهم ومطالبهم الرشيقة ووفقاً لهم الأنيقة كما يبدو في مواصفات أقلامهم ودوائهم إذا هم غضبوا ... وأهل بنان في أقلامهم العربية جلوسهم الدينية وتحشيد الشعور

وأهل الغرب في سرعة أقلامهم ومسح الحروف و « كركبة » الألفاظ بعضها فوق بعض لا يزالون في الطلع الذي أصابهم منه أثر عرا من الأطلس بما كانوا يعيرون به

وأهل مصر ؟

— لست منهم أنت ... ولست منهم أنا يا مسكين

عزيز أحمد فهمي

فقد أن القارئ لا يرى هذه التجارب وليس في تجربته اليومية ما يؤيدها ، ولكن بإمكانه أن يصنع خيالاً يرى معنا منه ما تكونه هذه الظواهر العجيبة التي عرضت عندها الأشياء بصورها وستوعب الألوان بطائها

* * *

أول معارفنا عن الضوء ترجع للأسئلة الظواهر الطبيعية التي تتصل بما يسمونه الضوء الهندسي Optique Géométrique التي يبين تسيرات الأشعة الضوئية . كما يعرف أن الضوء يسير في خط مستقيم ما دامت المادة التي يسير فيها لا تتغير ، ويعرف أن الأشعة تتكسر عند انتقالها من مادة إلى أخرى ، وما السراب إلا ظاهرة حادثة من انكسار الضوء في الهواء الذي يتكون منه في الرابع طبقات مختلف كثافتها لاختلاف درجة حرارتها وقد عرف نيوتن ظاهرة انكسار الضوء في الزجاج ، وعرف من ذلك ظاهرة تحليل الضوء الأبيض إلى الألوان المعروفة ، وبذلك عرف أن الضوء الأبيض الذي يصلنا من الشمس خليط من أشعة مختلفة ألوانها وقد أثبت ذلك بأن جعل الضوء يمر في منشور زجاجي يتحلل إلى الألوان المعروفة : الأحمر ، والبرتقالي ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، والأرجواني ، والبنفسجي ، وهي ظاهرة الطيف التي نشاهدها أيضاً في قوس قزح حيث تلعب كرات الماء المنتشرة في الفضاء دور المنشور فيتحلل الضوء عند اختراقها إلى ألوانه السبعة

( شكل ١ ) تحليل الضوء الأبيض بواسطة منشور زجاجي

ويرى القارئ في الشكل ( ١ ) تحليل الضوء بواسطة المنشور ، ويرى المنطقة التي يكون فيها اللون الأحمر واللون البنفسجي ، كما يرى المنطقة التي يكون فيها الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية

وإن أننا وضعنا - كما عمل نيوتن - أمام الأشعة المحللة منشوراً ثانياً فإن هذه الأشعة تجتمع مرة أخرى بعد خروجها من المنشور وتكون الضوء الأبيض من جديد

ولقد كان الانكسار في الضوء الأساس في اختراع كل الأجهزة البصرية كالمنظار الفلكي ( التلسكوب ) والمجهر ( الميكروسكوب ) والجهاز الفوتوغرافي . بهذه الأجهزة جال الإنسان بنظره وفكره في العوالم البعيدة إلى الحقائق التي لا تراها العين ، واستطاع أن يحفظ صور الأشياء وحوادث الحياة كانت أم خالية ؟ وهكذا يتدبر في شكل الزجاج حرفة صناعة هامة هي صناعة العدسات ، وتقترن هذه بأعمال الإنسان حتى بلغ درجة كبيرة بصنعه على العيون ليرى العالم صورة أوسع من التي تسمح له بها حواسه ، وكان ذلك امتداداً عجيباً لوظيفة العين البشرية ، أي امتداداً لحياتنا البيولوجية

لم تكن هذه الظواهر : من سير الضوء في خط مستقيم ، وانكساره عند اختراقه المواد وتحليله إلى ألوان مختلفة ، كافية لتعرف حقيقة الضوء ؛ وكان على الباحثين لمعرفة ذلك أن يدرسوا خواصه دراسة وافية ، وهذا ما عكف عليه العلماء الذين ذهب التفكير بهم إلى افتراض احتمالين :

الأول أن يكون الضوء مكوناً من جسيمات مادية مقذوفة في الفضاء

والثاني أن يكون الضوء حادثة وقعت على جسيمات أخرى مادية ، وليس هو الجسيمات ذاتها ، وفي الحالة الثانية يكون المكون للضوء تموجاً حدث في المادة التي سموها الأثير Ether وهذه الحالة لا تراها بالعين إنما نرى ما يحدث فيها من تحليل أو تموجات وظل الرأي يتحول بين الشكل الأول عند العلماء الذين اعتقدوا أولاً في الفكرة الثبتية ( أي الجسيمية ) ثم اعتقدوا ثانياً في الفكرة الحركية ( أي الموجية ) ، ولأسباب سنذكرها هنا انتصرت الفكرة الأخيرة عهداً طويلاً ، وظلت النظرية الصحيحة إلى أن حولت النظريات الحديثة ونظرية الكم Quanta مرة أخرى الفكر نحو الفكرة الأولى

أما النظرية الثبتية فقد أسسها نيوتن Newton فرض أن

الضوء مكوّن من جسيمات صلبة صغيرة مقذوفة في خط مستقيم في الفضاء ، وكان لا يتكون من ظل لأي جسم موضوع أمام منبع ضوئي دليل عند نيوتن على ما اتخذه الجسم من هذه الحركات التي حل الجسم دون مرورها

أما النظرية الموجية ، فقد أسسها الرياضي الهولاندي هيجنز Huyghens وقامت في المبدأ على اعتبارات نظرية وحسابات قام بها هذا العالم ، ولكن لا بد من أسباب علمية هامة تدعو جمهور العلماء إلى ترك نظرية نيوتن الجسيمية Corpusculaire على ما لواضعها من مكانة ليعتنقوا المذهب الجديد

على أننا نلخص المهم من هذه الأسباب التي جرى بها العلم التجريبي

السبب الأول كان في ظاهرة يسمونها ( التداخل الضوئي ) Interference والسبب الثاني كان في ظاهرة يسمونها الاستقطاب[1] Polarisation ، وللقارئ موجز الظاهرتين :

عندما يقع شعاع على جسم يصيبه شعاع آخر ، فإنه من البديهي أن يزيد وضوح الجسم بهذا الشعاع الثاني ، وهي نتيجة حتمية لنظرية «نيوتن» التي تقول بازدياد عدد الجسيمات الضوئية الواقعة على الجسم ، وبرغم هذه البديهة التي نشاهدها في تجاربنا العادية توصل العلماء إلى تجارب من نوع معين يتبين منها أن هذه الإضافة لشعاعين من الضوء ينتج عنها ظلمة حالكة بدل أن ينتج عنها زيادة في الضوء

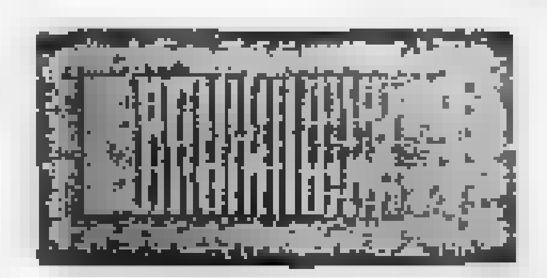

شكل ٢ : ما نراه في ظاهرة التداخل الضوئي

وقد كشف هذه الظاهرة العجيبة والطبيب المعروف توماس يونج[2] Thomas Young وتتلخص تجربته في أنه وضع حاجزاً به ثقبان أمام منبع ضوئي وشاهد على حاجز أبيض موضوع خلف الأول سلسلة من الخطوط المضيئة والمظلمة المتعاقبة ، وإلى القارئ هنا مظاهر هذه الظاهرة من صور خلال الفحص ، وفي الشكل (٢) يرى القارئ صورة هذه الظاهرة التي لا يمكن تفسيرها بنظرية «نيوتن» ويمكن تفسيرها بالوسائل الرياضية إذا اعتبرنا الضوء ظاهرة موجية[1] ، وذلك لأن موجتين متضادتين وحادثتين في مكان واحد تمحو إحداهما أثر الأخرى ، ويظهر ذلك في هذه الخطوط السوداء التي رغم مرور الشعاعين لا يظهر عليها أثر الضوء

وليس المجال هنا لشرح التجارب المختلفة التي وضع فيها العلماء رؤية هذه الظاهرة ، ولا بد أن يكون قد رآها كل من أسعدته الفرصة بعمل تجارب في إحدى كليات العلوم ، مثل التجارب المعروفة باسم حلقات «نيوتن» أو «مرآة فرنل» وغيرها . كذلك لا ندخل في تفصيل التطبيقات العجيبة التي استخلصت من ظاهرة التداخل ، فكل مهندس أتيح له الفرصة في معرفة ما تقدمه العلوم الطبيعية من تطبيقات يعلم أنه يستطيع أن يعرف بوجه عام أو مدقق بعض الأطوال الدقيقة المحصورة المتطيف[2] وباستعمال أجهزة بصرية تستند إلى ظاهرة التداخل الضوئي ، كما يعرف أنه من السهل الآن تبين سمك ورقة رقيقة أو دراسة ما على سطحها من تموج أو حركة بالانتساب إلى أمواج الضوء ، وتستعمل ظاهرة التداخل في التنجيم بما يصعب قياسه بالطرق العادية[3]

أما الظاهرة الثانية فهي ظاهرة الاستقطاب التي تخرج أيضاً للمهندس والعالم «فرنل» ونشرحها هنا بالكلمات الآتية .

ثمة نوعان من الأمواج في الظواهر الطبيعية المختلفة ، أمواج طولية حيث تتذبذب الجسيمات في اتجاه سير الموجة ، وأمواج مستعرضة حيث تتذبذب الجسيمات في اتجاه عمودي على سير الموجة وأشهر مثال للأخيرة تلك الأمواج التي نشاهدها على سطح الماء حيث يرتفع الماء ويهبط في مكانه عمودياً على الاتجاه الظاهري لسير الموج دون أن يتحرك الماء من مكانه نحو هذا الاتجاه ،

---

(١) في عبارة لا أدري مدى صوابها أعتقد أنه ربما يستطيع ... مرضى الرؤية في الطبقة المجاورة لقاع البحر والتوجه بالأشعة إلى ظاهرة الاستقطاب دون ما انحياز لاستخدام الجهاز المعروف لدى مهندسي الري باسم «السكر فيتر» Current meter أو moulinet Hydrométrique الذي يصعب استعماله في اللجنة القريبة من القاع

(٢) أعتقد أنه كان يونج طالب يستطيع الإلمام في صغره من الأكثر المعرفة

(١) يرجع فضل تفسير ظاهرة التداخل إلى المهندس الفرنسي المعروف «فرنل» Fresnel الذي قام أيضاً بتجربة حاسمة في أمر النظرية والذي توفي سن ٣٩ عاماً

(٢) قام بهذه التجربة الأستاذ ميكلسون من أساتذة جامعة شيكاغو والمسيو بنوا

(٣) ما هو جدير بالذكر أن ثمة ظاهرة أخرى اسمها ظاهرة الحيود الضوئية Diffraction ولا ندخل في تفاصيلها ، هي أيضاً مع النظرية الموجية وعارضت النظرية الجسيمية

وقد ذهب «فرنل» إلى أن الضوء ظاهرة موجية من النوع الأخير من كموجة الماء تنتشر في اتجاه عمودي على مسار الموجة، ولا تختلف عنها إلا في أنها مع مرور الوقت تدور هذه الذبذبة في المستوى العمودي الذي تنتشر فيه. وقد لاحظ «فرنل» أن الضوء عند ما يخترق بعضاً من البلور فإنه يتذبذب عمودياً كما كان من حركاته الطولية، ويكسب الضوء بذلك صفة جديدة، ذلك أنها تتذبذب في مجال واحد، ويسمى هذا الشعاع مستقطباً؛ وقد بيّن «فرنل» أن ظاهرة التداخل لا تحدث بين شعاعين من هذا النوع إلا إذا كانا مستقطبين في اتجاه واحد. وتلك فكرة «فرنل» التي تتلخص في أن الضوء ظاهرة موجية مستعرضة تستلزم وجود مادة أثيرية لحدوث هذه الموجات فكرة غير مقبولة من العلماء الذين لم يؤمنوا بوجود مثل هذه المادة في الكون، وهي الآراء التي حاربها كل من «فرنل» و «أراجو» لتفسير ظاهرتي التداخل والاستقطاب التي عجز عن تفسيرها نظرية «نيوتن» الجسيمية، ومثل الأثير وسطاً يتطلب الفروض.

وهكذا لم يكن من المستطاع التعرف على الضوء كظاهرة موجية دون أن يكون هناك هذه المادة الأثيرية التي تملأ الكون، وكان شأن الأثير من الضوء شأن الماء في بحيرة سقط فيها حجر، وإلا فكيف نفسر كما أنكر البعض أنه لم يوجد الماء، وكيف تمثل لنا هذه الدوائر على سطح البحيرة تتسع رويداً رويداً حتى تبلغ الشاطئ، إذا جفت البحيرة مما يحمل هذه الدوائر؛ ومع ذلك ظل الأثير فرضاً لا نعرف من خواصه شيئاً، وكل ما نعرفه أنه مادة صعبة شبيهة بالغازات، لا نستطيع تعريفه مهما كانت أجهزتنا قريبة، فهو مثلاً يسمح للكهرباء مهما كان مصدرها، وبواسطته ينتقل الضوء من الشمس للأرض في الثلاث الدقائق والنصف ورائه هذا الخلاء.

ولقد صحبت فكرة «فرنل» عن الموجات الضوئية ووصفه بأنها مستعرضة عقدة جديدة، ذلك أن الأثير يجب أن يكون شبيهاً بالغازات لا يحمل غير الموجات الطولية، ولقد استمسك «فرنل» برأيه في أن الضوء أمواج مستعرضة حتى أنه عند ما أثبت «بواسون» Poisson بأن الموجات الطولية هي وحدها الممكنة في الأجسام الغازية، لم يتبع «فرنل» إلا أن يطلب من هذا العالم أن يصحح رأيه في خواص الأثير التي قد تكون «خواص الأجسام الصلبة». ويقول «ريشنباخ» Reichenbach إن تمسك «فرنل» هذا كان سبباً لكي تتبع رسمه «أمبير»

Arago من أن موضوع هذه النشرة العلمية الأثيرية التفكير فيها الموضوع وفي القرن التاسع عشر عكف العلماء في بحث هذا الموضوع، فيتساءلون عن وجود هذا الأثير ويتعرفون على شيء من خواصه، ويتساءل بعضهم عما يحدث في الأثير عند تحرك جسم فيه؟ وهنا احتمالات ثلاثة:

الأول أن يحمل الجسم معه الأثير بأسره المجاور فيتبع حركات الجسم. والثاني أن للأثير صورة مطلقة يسمح أن يمر الجسم فيه دون أي حركة خاص.

والثالث أن يكون للأثير حالة متوسطة، أي أنه يشترك جزئياً مع حركة الجسم، وهو رأي مال إليه «فرنل» وعرضه بحساب أراد منه أن يعرف درجة اشتراك الأثير في مثل هذه الحركة.

وقد قام «فيزو» Fizeau لتحقيق ما وصل إليه فرنل، وفي تجربة معروفة أرسل شعاعاً في أنبوبة تحتوي بالماء الجاري كما أرسل في الأنبوبة ذاتها شعاعاً آخر في الاتجاه المضاد، بحيث يسير مع الماء أحد الشعاعين ويسير بعكسه الشعاع الآخر، وباعتبار أن المادة الحاملة للضوء هي الأثير وأن هذا، وهي النظرية المتبعة، يتحرك مع الماء بعض الشيء، فإنه يجب أن تختلف السرعة لشعاعي الضوء في الحالتين. وبالعودة إلى طريقة دقيقة استخدم «فيزو» فيها لقياس السرعة ظاهرة التداخل الضوئي استطاع أن يقيس الفرق بين السرعتين، فأيدت نتيجة هذه التجربة فكرة «فرنل» عن وجود الأثير وعن معرفة شيء عن حركته[1]

على أن تجربة أخرى كان لها في نظري من أهم التجارب التي أحدثت انقلاباً في التفكير الحديث قام بها العالم المعروف «ألبرت ميكلسون» Albert michelson في سنة ١٨٨١، وكان لها أثر في حقيقة العلماء في بحث الأثير هذا الوسط الوهمي، وسنرى في العدد القادم كيف سبب عمل ميكلسون صارماً في الرأي وأحدث أزمة علمية عصيبة، وعلمنا كان أثرها في التفكير الحديث في علم الكون.

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية  ليسانس العلوم الحرة  دبلوم المهندسخانة

(١) سنجمع من التجربة التالية لكتب خطأ «فيزو» وقد يكون من أهم تجربة «فيزو» هذه، فإنا نرى البحث بفكرة أخرى تبحث في حيات العلماء، وفي استنباط قياس السرعة المتوسطة للماء الأنهر كالمسالك وهذه عمومية في اتجاه سير الضوء، وبيانها كيف بعد صفة الكهرباء، وبرهان ذوية عالية في الاتجاه المضاد، ومحاولة استنتاج السرعة المتوسطة لماء النهر ولكان تعرف النهر من نظرية افتراض المعين وحدث فيها هذه الضعف نوعي حركات لسرعة الضوء في الماء.

# عفراء الغجرية

## للأستاذ محمود الخفيف

---

كان في صهوة مهره الجميل ذات صباح من أصباح بشنس البهيجة في طريقه إلى حقل من حقول أسرته المترامية الفسيحة ، وقد برزت الشمس من وراء ركامها الوردية وأخذ قرصها المسجدي يرف في مرى الاغصان وأطراف السعف وأجنحة الطير . وكان نسيم الصباح الندي يتمايح النخيل والشجر والدروب في تلك المطالع المنبسطة التي لم يمر بها ... إلا عذوبة النسيم ، والتي تلمع العين فيها في أبعاد ، مخضوضرة الحقول الخضراء ، وقد أخصب حب الخلود في شجيراته الموموقة المصفوفة ....

وكانت الحقول آهلة بالناس ، هنا وهناك جماعات الحاصدين قد عكفوا حول القمح والسنبل ، أو عكفوا على درس محصولهم ، أو أخذوا يرامون على السنابل الذهبية يحصدون بمناجلهم ... وهنا وهناك حاملات للسطور بين دوابهم وأعقاب ، ولأقطاب السنابل لا يزال حشيبين يلتقطنها ، بينما يقطر منها الأعرقت عرقاً على رؤوسهن يرددن مع قرائهن رشاقة وملاحة ، والطرق إلى قريته تتقاطر فيها الإبل تحمل السنابل ويحمل عليها الفلاحون — وهم بين هاتف ومترنم — وبينهم بعض البدو ممن يهبطون القرى حيالهم في هذا الموسم لنقل أحمال الحصيد إلى البيادر

كان كل شيء باعثاً على البهجة ، فلا ترى العين ولا تسمع الأذن إلا فيض السرور ، ولكن ... حسيناً ، كان يحس وحده الانقباض وسط هذا المرح الشامل ... وكم كان يحسد هؤلاء الفلاحين على ما يرى من مظاهر سعادتهم ، وكم كان يحس لو أتيح له مثل ما يتاح لهم من نعيم ، وهو سرور بما عنده جميعاً ! بل لقد كان يحسد مهره ، وقد خيل إليه كأنما طاب به طائف من هذه السرور ، فهو يلتفت لسحر الشروق ، حتى لو تكلم بالحق

مخرجة وجمال مرحه ، ولام صاحبه على تبرمه بالحياة !

وتنبه الفتى ، وقد ذكره ذلك المرح شجونه ، واستحث مهره وحدا أن يصل به سريعاً إلى حيث كان يريد أن يمضي الضحى في متنزهه ، في ذلك الكوخ القائم في سفح الربوة الكبيرة ، بالقرب من أكواخ تلك الأسرة البدوية التي تقيم هناك منذ سنين طوال تحت الروح ؟ وما كان يأوي حسين إلى ذلك الكوخ إلا حين كان يضيق صدره ، ويثقل على نفسه الحياة

واستوقف مهره عند سياج فتاة بدوية تجري وسط مزارع أسرته ، فلم يكد يعبر مجاهده الجديد ، حتى وقفت عيناه على شجرة كبيرة على بعض أحبية البدو لم يرها من قبل هناك ، ويمتد الدخان من كوبه ، وتنبح الكلاب للطارق ... ونظره إذا هو يرى بأحد هذه الأخبية فتاة مصطحبة ، فعجب لأول وهلة كيف يتأتى وجود مثلها في هذا من الشعر ، وهي لولا ملابسها البدوية ، وحليها البدوية ، لظن الرائي يحدى تماثيل التصوير ، فإن وجهها الرائع المشرق ... في جسمها البض ، تنحل النعيم والترف وفي عينيها معاني الكبرياء والأنفة ، هذا إلى رأس يشرئب على نحو لا يكون إلا في الأعطاف المليحة من ربات الجمال

ورشقته الفتاة بنظرة من عينيها الدعجاوين ثم تمضي ، نظرة فهم يحملها معنى كثيراً من التحدي ... منها الإعجاب ، والإدلال ، ومنها الإعجاب بنفسه ومهره الجميل ، ومنها الأنفة وعدم المبالاة ، ومنها الازدراء بما يموج عليه من جاه ، ومنها الإغراء ، إليه بجانب هو ذلك كان من نوع آخر غير جاهه ، نوع كم قال له كل جاه ، وكم وثبت له من جاه ... ومضى ، وقد انطبعت في مخيلته صورة هذه البدوية الجميلة ، ورآها بين من أحلى ما كان رآه ، وثبته في يده من الشوك ... وحدثته نفسه وهو من لا يهب ولا يضطرب أن يرجع ، فيقضي ساعة بين هذه الأخبية يرى سحر كبرياء تلك الفتاة ، وهو لم ير هناك رجلاً ولا فتى ، ولن يضيره أن يحضر الرجال جميعاً ، فهم يعيشون في ملكه ، ولا يعصمهم إلا الأمان بسلطانه ... ولكنه ما لبث أن رغب عن ذلك ، ومضى في سبيله إلى متنزهه ..

• • •

وبلغ كوخه فترجّل وأسرع إليه صبي من البدو الذين

هناك فأخذ الغير إلى صاحبه ؟ وجلس حسين في الكوخ ينظر إلى السماء في القرية الساكنة الهادئة وفي نفسه يوم هادئ ؟ وطاف برأسه أول الأمر طيوف عمه ، ثم طاف بها خيال تلك البدوية الجميلة ، وعنت له عيناها البراقتان الساحرتان ، فسرى عنه بعض ما به لحظة أسلمه بعدها إلى وجد عميق إذ تداعت إليه آلام حبه ورواعج قلبه . وأفاق من أحلامه على صوت يرتفع من قريب بالتحية ... ونظر فإذا الشيخ مصطفى مقبل نحوه ، وانتصب حسين ومكنه أمر انشاته وبسمه متكلفة قائلاً : « وعليكم السلام يا عم الشيخ مصطفى . من أين أنت قادم ؟ »

— من عزبة علي بك ، حيث كنت أصلح في شأن الأطيان التي يريد عمك البيك استئجارها وقد صحت النية عنده

— هنيئاً لمن ما يملك وما يستأجر ... أما أنا ... ولكن ماذا أقول وما موجبه يا عم الشيخ مصطفى

يا سي حسين بك دائماً تشكو ، قريباً ساعة ستملك وتتمتع به ، إن شاء الله زيادة عرض من سيدنا البيك عمك

— قريباً ... نعم قريباً ، بمشيئة الله وإرادتي أنا لا بإرادة سيدنا البيك

وخشي الشيخ مصطفى أن يسمع من سيده ما لا يحب ، فاستأذن ومضى يريد الانصراف ، وما بعد إلى حسين فسلم عليه وهو مضطجع والشر يلمع في عينيه وقال ، وفي وجهه جهومة الغضب : « قل لسيدنا البيك إن حسين لم يعد صغيراً وهو لن يطيق بعد اليوم أن يحيا هذه الحياة وقد حملت أكثر من ثلاثة [illegible] لكي ... كي أتخلص من التعليم بسبب [illegible] وكنت قريباً من النهاية ... لا ! لا ! الصبر بعد اليوم مذلة »

ومشى الشيخ مصطفى ، يشيعه حسين بلعناته ، وقد كان هذا الرجل من أبغض الناس إليه ، لما عرفه عنه من الملق والتداهن وعقة المكر ، هذا إلى أنه لا يذكر عند عمه إلا بالسوء كأنه يرى في ذلك وجهاً من الزلفى

وتشاءم حسين برأي الشيخ مصطفى كأنه [illegible] عمه [illegible] من أعماله ورأه [illegible] على هم ؟ وذكر أنه ما كان يراه مرة أيام كان طالباً بالأزهر في سعيه أو أيامه [illegible] إلا لم يطلب [illegible]

والتفت حسين نحو القرية يريد أن يجيب في سكونها ثورة نفسه فأسر تلك البدوية الحسناء وقد حسرت برقعها عن وجنتيها الجميلتين ووقفت في دلال تغترف منه في إناء صغير من النهر ، ومست شفتيه كأنها تلك الجنية التي كان يسمع عن أوصافها وهو صغير ما كان تحس له قلبه رجفاً ... ولقد خفق قلبه الآن لرؤياها وتكلف اليوم خفقات الإعجاب بهذا المنظر الساحر الفاتن ...

وكأنما كانت بما تأتيه من حركاتها الرشيقة تدعوه ليحدثها وما كان بحاجة إلى هذه الدعوة فقد سعى إليها وحياها في جرأة فردت في فتور وفي ثغره بسمة وتشكف الحياء فتسبح بوجهها عنه وهي منحنية على الإناء ، وسألها عن اسمها فما أجابت لحظة وهي تبسم له ابتسامة نفذت إلى قلبه ثم قالت : « [illegible] ... » ووضعت على الشاطئ ووضعت الإناء فوق رأسها وهمت مسرعة بالانصراف ، فاستوقفتها حانت ، فقال : [illegible] إلا على موعد . فضحكت وقالت : هل ترى القمر في الضحى ؟ وأحسب من قوله : ها أنا رأيته ، وأشار إلى وجهها الجميل

ولم تكد تخطو حتى مر بالكوخ فتى في نحو الثلاثين كره حسين مرآه ، [illegible] الذئب [illegible] ينظر نحو عذراء نظرة ملؤها الغضب والغيرة

عاد حسين إلى القرية بعد عشرة أيام قضاها في عزبة على صحة القرية ، حيث كانت تواتيه إليه تنزله كل ليلة فتطلي معه ساعة أو بعض ساعة

ووصل إلى منزل عمه بعد غروب الشمس فوجده جالساً على كرسيه أمام داره وحوله جلساؤه وعلى مقربة منه كاتب زراعته ! وألقى الفتى إليهم السلام فردوا جميعاً إلا عمه فقد نظر إليه نظرة كريهة لمح فيها لأول مرة إلى جانب الغضب ما يشبه القلق ... وعجب حسين أن رأى معاني الرثاء واضحة في نظرات من لقيهم من الخدم وقرأ على وجوه الخادمات وخاصة عزيزة أن كلاً منهن تريد أن تفضي إليه بنبأ ، فاضطرب قلبه في جوانحه وقد تجهم كل شيء ...

ولمحل عزيزة فأقبلت عليه لا تدري كيف تفضي إليه بما تريد من نبأ ، فارتسمت على شفتيه ضحكة متكلفة حزينة كأنما يقول

لها مهاذ عنه لا تخاف . وقالت عزيزة : يا سيدي حسين متى ثريا هانم خطوبها خلاص وكتب الكتاب بعد شهر ... »

وأحس كأن قلبه يهوي في جوانحه ، وتقلصت أنفاسه كأنما مسه عصب شديد ، ولكنه تجلد ريثما صرفها ، ثم أسند ظهره إلى حائط البيت يخشى أن يسقط على الأرض .. ثم مشى يجر رجليه فأوى إلى مضجعه وجلس في الظلام ساهماً ..

وبث اليأس في قلبه الأسى والقسوة على حياته منذ اليوم حتى وهو يريد أن يعرف أولاً متى تزف ابنة عمه لمن أراد لها ، ولكنه وثب من مكانه لا يدري أن يذهب ولا من يسأل ، وفي عينيه نظرة عمه وما فيها من معاني الشر ، وفي نفسه وساوس وهواجس وحيات سود تزحف حتى في ساعة يأسه ... وما هي حرمة ما تبث إلى جانب حرماته من أمه التي لا ترى الحياة معنى من دونه ؟ ولم يكد يفطن من سعيه إلى منزل عمه حتى رأى عزيزة تلقاها ولم يسألها ولكنه لم يعرف كيف يدير الحديث إلى غرضه فتجهت ما يريد فقالت في لهجة الراثي : « ما تخافش أبداً يا سيدي حسين أنا عارفة ... »

— عارفة إيه ؟ هل قالت لك حاجة ؟ لازم أعرف

— لا ما قالتش حاجة إنما أنا عارفة وبكرة تشوف وابقى قول عزيزة قالت لي ولم تقتك بحلاوة

وانصرفت عزيزة عاجلة أن يراها سيدها ، ووقف حسين في مكانه يدير كلامها في عقله متسائلاً هل أتت به من عندها أم سمعت شيئاً من سيدتها ولكنه لا يذكر لأنها لم تؤمن بذكره ؟ وفزع بأمله إلى الرأي الذي تشأت نوره قليلاً ؟

مضى حسين إلى (دوار) عمه وجلس وحده في ركن منه ، وظل يفكر في عمه مطرقاً حتى أحس بيد على كتفه فرفع بصره فإذا هو ابن عمه أحمد ، وكان هذا على خلاف أبيه ، يبدي المودة لحسين ، ويكاشفه بما في نفسه ... وطال الحديث بين الفتيين أولى الأمر إلى الأرض التي يريدان يستأجرها الشاب بالقرب من عزبة علي بك ، وأظهر أحمد خوفه من مآتي هذا العمل ، ثم أفضى إلى حسين أن علي بك يستأجرها كل عام من الشركة ، وعلي بك رجل خطر شاك وبينه وبين أبيه صداقة وأخوة قديمة وليس من الحكمة أن يأتي أبوه هذا العام فيشترى البنك بل يطلبها منه لكثير زيادة في الإيجار ، وبحث به حاجة إليها ، بينما عمها يحتاج إليها على ذلك أشد الحاجة لأنها تزرع قطناً ماثلته التي يملكها بعد ... فضلاً عما في ذلك من معنى التحدي والتصدي وهو أمر له خطره الشديد عند الأمير

وثب إلى ذهن حسين صورة ذلك الفتى الذي مر به قبالة دهب إلى كوخه ، والذي كره حسين مرآه ورأى الإجرام واضحاً في وجهه الشنيع يرجبه القلب ؛ ولم يجد حسين ليذكر الآن ذلك الفتى ولم يحدث لذكره في قلبه الرهبة ويشيع في نفسه الكآبة . ورأى حسين في وجه ابن عمه أنه يريد أن يحدثه في أمر ، فسبقه حسين إليه وقال ضاحكاً : « مبارك القسم الجديد يا بن أحمد »

— لا دي مسألة وتعدت . عاوز بس مساندتك ... إنما كنا عملنا سبيل للإنصاف ابن العم ويحسل القريب ... لا تهم غايته في الأمر لا تساند عمك . وازدادت الثقة في قلب حسين لابن عمه أحمد ، وقد تبين في لهجته الجد والصدق

• • •

لم ينم حسين ليلته إلا غراراً وقد عبثت به الهواجس كل مذهب ، ولما أغمضه سنة رأى في نومه أنهم قد ذهبوا به إلى القبر وأنه فزع من ظلمة القبر ووحشته ، وأنقذه الدكة صائحاً من حمة الفزع ، فهب ، ولكنه تمنى لو كان الحلم حقيقة .. أترى ثريا إلى غيره وهو حي ؟ ... ثريا ابنة عمه التي ما أحب غيرها ومن منذ الصغر مقبلة عليه ! أكان يحسن عمه ذلك لو كان أبوه حياً ؟ ولماذا حتى يطمئنه عنه تلك الطلعة ؟ لا شيء إلا أنه يطالب بحقه ... وما تهمة الهيئة مع هذا الهوان ؟

وتمثلت له أيامه الخالية ، أيام سارية يجتمع ابنا عمه ، أيام كان يبادلها الأحاديث السمحة ، وهي مطرقة في سذاجة حلوة لمشروع صبوات الحب ، وتهم أحلام الحب ، وتقبل في ابن عمها ويرى فيه حقه أحلامه

وحاول من فوره أن يذهب إلى منزله على صفة الترعة ، فما يطيق البقاء على مقربة من عمه ... بل إنه ما يطيق الوجود

كله ، واستقل مهره وانطلق بعد أن قال عبارة ؟ ومن في طريقه تيهاء الصحو مر بي عمراء هناك ... على أنه كان من همه في شغل عنه ومن سائق مهره معها

* * *

— كيف حالك يا شيخة العرب ؟

— الحمد لله .. ربنا يخليك ويسعدنا اليك

— هل مهره الجدع الذي كان هنا الغريب هو ؟

— ربنا يكفينا شره ... الله يسهل له ... ما يهمه عملك ما يقتل الرجل بعينيه أو بكلتين حب

ولم يأتي عنه كم ؟

— يا روح عنه أي حاجة من الغريب ، ما حدش يقدر يكلمه ... إلا واحد من هنا هو وشرشدى

وكان حسين يعرف الكثير من أحوال هؤلاء الأعراب الذين يحترفون القتل ، وليس يدري لم لاح له شبح الجريمة منذ رأى ذلك الأعرابي — هل جاء ليقتل عمه ؟ يقتلها في بلده ولا يبالي —

مكر حسين وأطال التفكير ، وبينا هو يقلب الأمر على وجوهه ، إذا سمع عمراء مقبلة نحوه باسمة ودعت عيناه السوداوان سم في وجهه ، فقالت مداعبة

— أعرف البخت وأقرأ النصيب — هل تريد ؟

أين الرمل والودع ؟

— لا — يكفي هذا الطمى — أروح يا سلك

ودهشت الغجرية أن رأت حسيناً يرمي إليها جنيهاً براقاً كعين الشمس ، ولم تصدق أنه لها أول الأمر حتى استيقنت من ذلك ومدت تقول وهي تمسك الطمى بأصبعها :

— عندي جديد — حلوه ، ولكن الوردة لك لا للعباءة على عن التي — واحد يكرهك وواحد يحب عليك والثاني يموت وأنت منصور ... شر كبير ومكن يموت وربما يسلم

وسكتت العرافة وتلثم لسانها ، وجرت صفرة في وجهها الوردي ، ثم ختمت عينها واضطربت شفتيها ، ثم قالت :

— وفيه وردة ثانية ، لكن آه ! سرطشو تمشي بركه ، وانت موش عارف

وهم ما رجع وسكته حالي ، وتصطليه إنه يسلم ولمس في أدن كلاماً دني به عنه وحدث حرة وجهه واحتقنت عيناه ، وانطلقت وودها لو عرفت بوبه الأخرى وشيها شيئاً

إذا أحمد أصبح اليوم حبيبه ... عنه القتل ما جاء إلا ليقتله بعمه ، ومكن من أدرى عمراء ؟ سهما كتمه يعنى سره ، إلا رجل أمن البدو ... وماذا يعمل حسين ؟ لقد صحت رأسه بفكره وواع عمها وتحصى لنا جسمه — لا ، كيف يسكت ؟ أيطيق أن تضيع ثروة أبيه ؟ ... وعمه ؟ أليس هو عمه على الرغم من كل شيء ؟ ألم ينحدر هو وأبوه من صلب واحد فهو يجتك قطعة من أبيه ... أو كيف يقتل الله ودم عمه على يده ؟ وكيف يجا بيشه منه جريمة ... إنه يخشى أن يسكره ... إنه يكل مسائل الاشتراك

ويوسوس له الشيطان فيقول : عمك لم يعرف وملك عمك أفلا تتمتع بملكك وحصة مليك ؟ كلا ... كلا ... إن الدم لا يهوننا وهو يعز ما يجب لنفسه ... ولكن كيف ترد ثروة إلى قبره ثم لا يحدث ذلك إلا نكابة فيه ؟ ويعد ما بقي ألا تلازمه هذه الهواجس والأسى بين أما يبحث عن الترعة ؟ أتريد أن يجر إلى العدم حتماً ؟

* * *

مضى ليلته مشرد اللب خائر البدن مرقعه الرزي الحرد وعيش أحلامه الغارب ، وبات يخشى على نفسه هو ، ومن يجرؤه هل وذلك الذنب عند من حيث لم يجد هو ولم تغير عمراء ، بما أحسبه إليه ... لعله رأى شيخص في أحلامه رمته من وثب في كل شيء ، ومن سمى بالصحة العاطفة ، وأحسن جسمه ، فرأى وهو بين اليقظة والنوم أنه ماثل أمام أبيه بطول الردين واليده على ملابسه ويديه ، ووجهه في أكفانه ينظر إليه من كثب ولا يستطيع أن يتكلم ... وصحت بوجهه أمامي القصر الذي قدم وهو لا يكاد يقوى على القيام ... ثم قصد أن يخبر الشيخ مصطفى بما عزم وهو المكلف بأن يقضي على الذنب قبل أن يقضي الذنب على عمه

وأرسل من جاء بالشيخ مصطفى ، ودخل كاتب عمه بين يديه ما كفاه ، وسكت حسين خلفه

— ما أنت والله يا سيدي حسين تا صحت بينا بالطلوع الجديدة

— يه ! هذا حسب قال ...

على كل حال [illegible] من الغريب [illegible] ما حيلة؟

[illegible] يا سيدي [illegible] عجب [illegible] يكون لعقله بعد شهور صحيح؟

— لا، وما كان مثل ذلك [illegible]

وأمسك حسين [illegible] يصرف الشيخ مصطفى [illegible] واستأذنه [illegible] القرية [illegible] وهو [illegible] في وجه الشيخ مصطفى [illegible] إليه [illegible]، ثم صحبه إلى القرية [illegible]

[illegible] أيام [illegible] حسين [illegible] أن كل موضع [illegible] وبكى الشيخ مصطفى [illegible] وأجل [illegible] آخر [illegible] على الأسرة [illegible]

إلا [illegible] الباقي من حياة الملك [illegible] كان يتحدث في [illegible] بلا [illegible]

ثم [illegible] دون أن [illegible] الأسرة [illegible] الملك وهو في [illegible] إلى بيته

[illegible] إليه [illegible] أنه [illegible] تحت جنح الظلام وهو من [illegible] كيف [illegible] في طريقه من [illegible]

[illegible] أو بعضها في [illegible] صريحة، ونظروا إلى [illegible] من قلب [illegible] وهو متجه إلى السماء

[illegible]

## الحصار لا يكفي

[ ملخصة عن «ذي كونتمبورري ريفيو» لندن ]

كثير مما يقال عن تأثير الحصار في الحرب الحاضرة، ويعتقد بعض الناس أنه سيحسم الموقف. فعلى الرغم من موقعنا الممتاز وتفوقنا البحري المنظم، فإن هذا الحصار لم يؤت ثمره إلا بعد اشتراك أمريكا في الحرب. إذ تستطيع ألمانيا أن تحصل على البضائع التي تصدرها دولة قوية محايدة كالولايات المتحدة بعد من الأمور المستحيلة. فإذا حاولنا ذلك تعرضت لنا كل صعوبة لا حاجة بنا إلى الإشارة إليها. أضف إلى ذلك أننا كنا إلى منتصف عام ١٩١٧ غير قادرين على منع كثير من البضائع اللازمة التي تصل إلى ألمانيا عن طريق اسكندنافيا وغيرها من الأمم المحايدة.

ولم يكن الحصار تلك القوة الحاسمة التي تقضي على خصومنا القضاء المبرم كما يعتقد الكثيرون، حتى حين أصبح أمراً واقعاً على الأعداء. فلا نعرف أن حملة حربية واحدة أخفقت بسبب نقص السلاح أو الذخيرة وكان الحصار السبب المباشر لهذا النقص. ولم يشك أحد من قواد الألمان في جميع الهزائم من نقص السلاح أو الذخيرة طيلة الحرب، وإن كانوا يشكون قلة الرجال. ولا نستطيع أن نعزو انهيار المقاومة في الجيش الألماني إلى الحصار، كما أننا لا نستطيع أن نعزو إليه الاضطرابات الداخلية أو الثورات التي حدثت بسبب الحصار.

ولكن صحيح أن الحصار كان واضحاً في تأثيره على السكان المدنيين دون الجنود أو البحارة أو الطيارين. ولم يكن حتى هذا الضغط الذي يؤدي إلى كبتهم وشل حركتهم كما يعتقد الكثيرون. ويستدل من الكتاب الذي ألفه «ج. ال. واطسون» بعنوان «الجوع» — وهو كتاب موضوع في هذا الشأن — على أن ضغط الحصار لم يكن إلا نوعاً من حرب الأعصاب التي تصيب السكان بحرمانهم من الحصول على المواد التي اعتاد الرجل المتوسط الحال أن يحصل عليها في سهولة ويسر، ولم يكن جوعاً أو سقاماً يصل إلى الإضرار بمصانعهم ومزارعهم كما كانت تمدهم ... أستطيع أن أعبر عنها بالأخطار الشخصية.

ولا يفهم من هذا أن الحصار كان عديم الفائدة أو أن العدو لم يعان من أجله مصاعب لا يستهان بها، ولكني أرى أن الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أننا لا نستطيع أن نحصر آلامها وأن نحكم على هذا الحصار، ولكن لا يمكن أن نلجأ بذلك إلى التسليم.

قد يكون من المعقول أن يعمد الألمان إلى ... أمامه موقف المدافع في جميع حركاته، حتى إذا أنهكت قواه ... عليه بقوة الاحتلال، ولكننا لا نعرف حتى الآن مثلاً كما كان جارة الشرق على ... هذه الوسيلة.

وقد يكون من المعقول كذلك أن تتغلب أمة عظيمة على أمة أخرى بإحكام الحصار عليها، ولكننا لم نر ولم نسمع أن حرباً كسبت عن طريق هذه الوسيلة، ولا نستطيع أن نكسب الحرب الحاضرة عن هذه الطريق.

فإذا أردنا أن نربح الحرب يجب علينا أن نضع خطة حربية هجومية نقدم عليها بكل ما لدينا من القوة، فإذا كنا سنتعرض في سبيل ذلك إلى بعض الأخطار، فإن هذه الأخطار ستكون معينة لنا على قهر الأعداء.

## يجب أن نجوع الفرنسيين

[ ملخصة عن «ذي نيوستيتسمان» لندن ]

منذ بضعة أسابيع دعا أحد الرجال الأعلام البارزين ممن ينتمون إلى سكرتارية الأعلام الدولي، شخصية مختارة من الرجال الفرنسيين البارزين إلى اجتماع في أكسفورد. شرح الإنجليزي رأيه في النظام الأوربي الحديث، وصور نتيجته للفرنسي نظرة الأعلام الدولي الأوربي، والأساس الذي يقوم عليه، ثم استطرد قائلاً: «سوف ينتخب الجنس بطبيعة الحال من الموت القوة، وسوف يكون عدد المتطلبين فيه بنسبة عدد سكان كل دولة». فاعترضه الفرنسي قائلاً: «ولكن عدد الألمان ٨٠٠٠٠٠٠٠ وعدد الفرنسيين ٤٠٠٠٠٠٠٠، فهل تعني أن يكون عدد ممثلي الشعب الألماني ضعف عدد ممثلي الفرنسيين؟» فقال الإنجليزي: «أوليس هذا هو المنطق المعقول؟»

لقد وقع هذا الحوار بين رجلين من رجال الأعمال، ولكل فرع التي أوقعه كل منهما في نفس الآخر، هو مقياس ما بين وجهتي النظر البريطانية والفرنسية في السياسة الخارجية. فهذا الإنجليزي ينظر إلى الحق بالطريقة العملية المجردة، وينظر إلى جميع الاعتبارات التي تمسها بعين الحساب الوطني، كشيء لا يتفق مع قواعد الأخلاق. بينما يهتم الفرنسي بالعواطف الحربية التي تطلب بلاده، ويرى أن فكرة الحكومة الدولية ما هي إلا فكرة (يوتوبية) خيالية أو سياسة مكيافيلية تعود إلى موازنة القوى الدولية ضد فرنسا، ومن ثم فالفرنسي … بالخشية … بالسخط.

إن من الواجب علينا قبل أن نطالب حكومتنا بالبيانات اللازمة عن المقاصد الحربية، وقبل أن نتقدم إليها بمزيد من المقترحات، أن نضع حلاً للمشكلة الإنجليزية الفرنسية … من الحرب الماضية، ومن الاختلافات التي لا تنكر … العلاقات … بين الدولتين في بعض الظروف، لم يكن … جوهرها في المبدأ، فنحن مرتبطون مع الفرنسيين برباط وثيق من تقاليد المدنية الغربية القديمة … في القتال إلى … بين الشعبين.

ومع هذا الاختلاف … أن كلا الشعبين … بينما تستطيع الدول الدكتاتورية أن تحكم … على … الرأي العام، وتحمل الأمم تأييدها … فرجال السياسة الديمقراطية مرتبطون بشعور الرأي العام وهو ينظر إلى الظروف الحاضرة من وجهة نظره المحدودة الضيقة.

فالرأي العام الفرنسي والبريطاني كلاهما يساندان تلك الفكرة الديمقراطية … فإذا أردنا أن نجد حلاً لهذه المشكلة يجب أن نضع قواعد وأسساً صالحة لفهم وجهتي النظر التي تذهب إليها كل من الدولتين، بدلاً من مناقشة فكرة العصبة التي تتمثل بها الوطنية الفرنسية يجب أن نفكر في … كنا نستطيع أن نوجد منها … بين الدولتين.

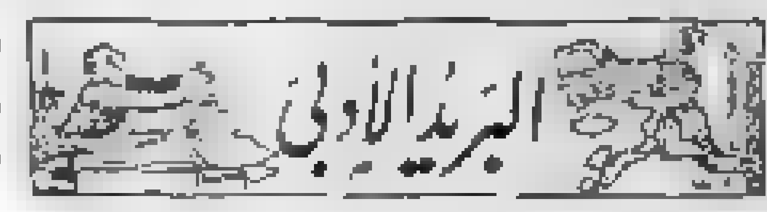


## «وحي الرسالة»

تفضل صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم فبعث إلينا بهذه الرسالة الكريمة:

صديقي العزيز الأستاذ الزيات،

أتيح لي أن أستمتع ساعات بقراءة ذلك الكتاب النفيس «وحي الرسالة» الذي تفضلت بإهداء نسخة منه إليّ. وليست هذه هي المرة الأولى التي أشرف فيها إلى روح أسلوبك، وبلاغة تعبيرك، وسمو أخلاقك، ولكنها قد تكون المرة الأولى التي [illegible] بين [illegible] تلك الفصول، والآراء، والأفكار، والمشاهد الحية التي [illegible] من مواهبك، فوضعت كتاباً ينبض في كل صفحة من صفحاته شيء من حياتك وروحك، ويهمس من بين [illegible]، وذكريات ثابتة عرفت كيف تحرص عليها وتحفظها، ثم تنشرها ذكرى للناس وموعظة لهم.

إن أدب المقال يا صديقي من فنون الأدب الكبرى. وقل أن نشهد أديباً خلاقاً لم يصب أدبه وعقله آراءه الاجتماعية وحركات فكره، واتجاهات ثقافته. و«وحي الرسالة» يمثل صورة ناصعة حية من ذلك «الأدب الكبير» الذي أشرت إليه، يصور في الواقع مرحلة من مراحل حياة ناهضة للمجتمع، ويصور بعض التطورات الخلقية والنفسية، والتطورات [illegible] وتحولات مرتقبة في الأدب والحياة، استقرت مواطنها في أجمل عبارة، ورسمت [illegible] بأبهج معانيها.

جميل منك إذن أن تحرص على تدوين هذه الذكريات الثمينة، ونشر هذه الفصول النبيلة، لتكون ذكرى للماضي، وعظة للحاضر، وإيماناً بالمستقبل.

المخلص

توفيق الحكيم

## عرب الجاهلية في فجر الإسلام

كتب الأستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي «بدمشق» مقالاً رائعاً من الدفاع عن تاريخ [illegible] الأدب العربي، تطرق فيه إلى الرد على بعض ما وهم الأستاذ أحمد أمين في بحثه عن الأدب الجاهلي في كتابه «فجر الإسلام». وقد رأينا أن من الخير لقراء الرسالة أن ننقل إليهم بعض ما في مقال الأستاذ الجندي [illegible] وما [illegible].

قال الأستاذ الجندي: «وأنت إذا أنعمت النظر رأيت أن البيئة كل البيئة [illegible] من الكتب [illegible] ومؤلفيها [illegible] من [illegible] وعدم الاستقراء. فأنت ترى أن صاحب فجر الإسلام قال في صفحة الأولى من كتابه ص ٥٥ [illegible] في العصر الجاهلي كان في منتهى [illegible] والسذاجة [illegible] [illegible] من ضروريات الحياة في البيئة [illegible] الإبل حين [illegible] مشربهم ومركبهم و[illegible] حياتهم، ولذلك لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بها إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً.

«وإذا انتقلت من الجمل إلى السفينة رأيت اللغة في تلك العصور [illegible] لم يوصفوها كما وصفوا الجمل، ولم يحصوا كل [illegible]، ولم يضعوا [illegible] لكل نوع من أنواعها [illegible] [illegible] [illegible]، ولكنك لا تكاد [illegible] الألفاظ الموضوعة لا بقي [illegible] بل [illegible] الألفاظ المستعملة في السفن ومتعلقاتها، وجدت كثيراً منها معرباً غير عربي كالسكان و[illegible]، وكثير منها لا تجده في الشعر الجاهلي» انتهى كلام الأستاذ أحمد أمين.

قال الأستاذ الجندي: «وأنت إذا رجعت إلى كتب اللغة تبين لك أن هذا الحكم قائم على [illegible] غير [illegible]، وأن العرب في الجاهلية لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة تتصل بالسفينة المعروفة في عهدهم إلا وضعوا له لفظاً أو ألفاظاً [illegible] أوسع بعد ذلك في العصور التالية، وأنهم [illegible] وشبهوا بها.

ولو تذكرنا أن السفينة في ذلك العهد كانت تتألف من أجزاء بسيطة، وليس لها أنواع كثيرة التعدد في الأشكال والمقادير، ونظرنا ما وضع لها ولأجزائها من أسماء ونعوت، وجدنا أن اللغة ليست في قصور في هذا الأمر.

انظر إلى دقة العرب في التفريق بين الأنواع والأجزاء عند [illegible]، فإنهم سموا ما يركبه الإنسان فوق الماء إلى نوع بل كل من قرب [illegible] [illegible] بعضه إلى بعض فتجعل كهيئة سطح فوق الماء [illegible] [illegible]، وربما [illegible] من خشب [illegible]، [illegible] ذلك [illegible]. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ودكوة وسير والكير، فلك وحبة وقرقور وحاجرة وصلب وجارية وعدى وعدول ... وما يختص بالقتال منها الحرة

ووضعوا لكل جزء اسماً خاصاً به : فالسقائف ألواحها ، والدُّسُر خيوط تشد بها الألواح أو المسامير ، والطابق ما بين كل خشبتين منها ، والشراع رواق السفينة ، والسارى خشبة في وسطها يمد عليه الشراع ، والقلس حبل الشراع من ليف ، والصاورة ما يوضع في بطنها من الثقل ، والمداور خشب عنها يُشد به الموجل ، والمرادى خشبة يدفع بها الملاّح ، والكيثل خشبة في رأسها لوح عريض تدفع به السفينة ، والبرسالة حديدة تلقى في الماء ، والكلفو الحبل الذى تقال ،

وكذلك احصوا كل قسم منها باسم : فالزعمة صدرها ، والكوثل مؤخرها ، والسكان ذنبها ، والجنة الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح

وحلوا لكل عامل فيها اسماً خاصاً به : فالملاّح صاحب السفينة ، والمرى الملاّح الذى يلى الشراع ، والرجال ملاحان يكونان في مؤخرها ، والربان رئيس الملاحين

وقد وضعوا لكل حالة تعرض لها اسماً يميزها عن غيرها ، فقالوا مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء مع صوت ، وسخرت إذا أطاعت وطاب لها الريح ، وسرت للماء بصدرها إذا شقته ، وجنحت إذا تركت قصدها فم يضبطها الملاحون ، وجنحت إذا انتهت إلى ماء قليل فلزقت بالأرض لم تمض ، وماصت إذا دخل عليها الماء ، وكمت إذا سحبت إلى الأرض فحُوّل ما فيها إلى أخرى وقمص البحر بها إذا حركها الموج ... ولولا أن الإطالة تدعو إلى السأم لأتينا على كثير مما يتعلق بالسفينة . فلا يجوز بعد ذلك أن يقال إن اللغة في غاية القصور ، وإنما القصور في الباحث والقارئ . وإذا كان ما جمع من كلام الجاهليين في الخيل أكثر مما جمع في السفينة فذلك يعود لأسباب : الأول أن صاحب المخصص أغفل كثيراً مما أحاط به علمه في السفينة ، ولم يحصها كل ما يعلم بها . الثاني أن السفينة لا تساوى الخيل في كل شيء ، فهو أكثر أجزاء وأطواراً وأعراضاً وأصنافاً وأمراضاً ... والسفينة في ذلك العهد مؤلفة من أجزاء قليلة بسيطة . الخ ...»

هذا ما كتبه الأستاذ الحديدى ، والقارئ يلاحظ معنا أن الأستاذ صاحب المقترحه ، وهو الوهم الذى وقع فيه الأستاذ أحمد حسين

لا قول أولئك الذين يرمون اللغة بالقصور ؟ ... صبوح الدين الحريرى

## مكانة اللغة العربية في العالم

نشرت جريدة «يوركشير بوست» البريطانية مقالة افتتاحية عن المؤتمر العام الذى قدّر أن اللغة العربية من لغات العالم ، جاء فيها :

« اللغة العربية حادية حاسمة تعجب الشعب البريطاني في الشرق . ولقد كان هنالك فيما مضى كثير من المستشرقين ولكنا لا نتالى إذا قلنا إن بريطانيا هى التى أطلعت العالم فى الأعوام الأخيرة على أسرار الثقافة العربية »

« كثيراً ما كانت الإمبراطورية البريطانية تعبر عن إدراك أهمية اللغة العربية ، ومع ذلك فهى اللغة الرسمية فى مصر والسودان والمتكلم بها فى معظم افريقيا حتى الجنوب الصحراوي . وهى اللسان السائد فى جميع أصقاع شبه جزيرة العرب ، كما أنها لغة التخاطب فى العراق . وهى اللغة التى يستخدمها مسلمو الهند — إخوان فى العرب وعددهم ثمانون مليون نسمة — كل يوم فى صلواتهم وفى تلاوتهم القرآن الكريم . وهى لغة مهمة كذلك فى الجزائر وتونس

وهى اللغة التى يستطيع بها الشعراء فى إيران وأفغانستان أن يدرسوا أحاديث النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

ولا تقل الحروف العربية انتشاراً عن الحروف الرومانية ، فهى ليست قاصرة على اللغة العربية وحدها ، وإنما هى تشمل اللغات الفارسية والهندستانية ولغات البوشتو والملاوية والأوردية وغيرها من اللغات الشرقية

ولا عجب فى أن اللغة العربية من أعظم ينابيع المعرفة التى يغترف منها العالم

وبينما كانت أوروبا تتخبط فى ظلمات الجهالة كان علماء العرب فى بغداد وقرطبة عاكفين على مدنية اليونان والرومان وأورثوها العالم من بعد

ومما يبرهن على أهمية هذه اللغة العالمية ، أنها كانت أول اللغات التى استخدمتها هيئة الإذاعة البريطانية . ويزداد عدد المتكلمين باللغة العربية يوماً عن يوم ، وتتسع حدودها ، فهى لغة التخاطب فى زنجبار ومدغشقر وفى بلاد بعيدة كل البعد عن الملايو ، وتدرس اللغة العربية بمكان الشرف فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن

ولقد أدركت الحكومة البريطانية أهمية اللغة العربية ، فلا تستطيع

## بطل الاستقلال الاقتصادى
## طلعت حرب

تأليف الأديب مصطفى نامق الحلكى

هذا كتاب وضعه مؤلفه ليبين ما لزعيم مصر الاقتصادى طلعت حرب من أثر فى نهضة مصر الحديثة ، فبدأ بالإشارة إلى أحوال مصر الاقتصادية والسياسية فى أواخر القرن الماضى ، مبيناً ما كانت تتطلبه مصر من أوجه الإصلاح وعلى الأخص فى الجانب الاقتصادى ، مشيراً إلى حاجة البلاد يومئذ وتطلعها إلى « المصلح المنتظر » حتى أذن الله لها بطلعت حرب

ثم تتبع المؤلف جهاد الرجل العظيم منذ استهلال القرن الحالى ، حتى ظفر بتحقيق أمنيته ، فظهرت المعجزة فى هيكل بنك مصر وشركاته ؛ وأورد المؤلف كثيراً من خطب طلعت حرب عند افتتاح الشركات المباركة المختلفة ، وهذا لا ريب من خير البراهين على ما أسدى هذا الرجل العظيم من جليل الخدمات ، كما يعرض المؤلف صحيفة أعماله مجلية

ولما كان المؤلف كما يذكر : « قد أتيحت له فرص حسنة لم تتح لكثير من دخائل ذلك النضال العملى الرائع » ، فإن عمله لا ريب عمل جدير بالعلم . والكتاب مطبوع طبعاً جيداً وعلى كثير من الصور الرسمية الفخمة فى كثير من مواقفه المشهورة ، وهو جدير بأن يطلع عليه شبابنا اليوم ليكون لناشئتهم نبراساً و[illegible]

## رحلة الباخرة المصرية مباحث فى المحيط الهندى

تأليف الدكتور حسين فوزى

يذكر قراء العربية ذلك الكتاب القيم الذى نشره فى مصر منذ سنين الدكتور حسين فوزى مدير معهد الأحياء المائية [illegible]

---

لأى موظف من موظفى الاحتلال فى الشرق الأدنى والأوسط ما لم يكن له مؤلفات فى اللغة العربية

**الشعر والنقد**

وافانا العدد ( ٣٤٩ ) من مجلة « الرسالة » الغراء بقصيدة عصماء للأستاذ [illegible] يرثى بها صديقه المرحوم الحاج محمد الفريدى ، والقصيدة من مطلعها حتى ختامها تمثل عبارة الشعر ، ورقة الشعور ، ودقة الأساليب ورصانته ! ومع تقديرى لشاعرنا الناصح بأنى لا أرى مانعاً من لفت نظره إلى بيت من الأبيات لاحظت فيه خروجاً عن الوزن وهو :

تسد الأكراب أعينا وأنتى ... فمكرياتى عطر الأعصاب

وأرى أنه لو كان كما يلى لكان أحكم

يسد الأكر أعينه وأنتى ... فمكرياتى عطر الأعصاب

أبو الفضل السباعى [illegible]

**إلى الدكتور مبارك**

قرأت مناقشاتك الطريفة ووقفت عند فقرة يشطرها الثانى المنشور بالعدد ٣٥٠ من الرسالة الغراء هاك نصها : « الشواطئ كلها مآتم ولولا الخوف من بنى الحاسدين والحاقدين لقلت إن المآتم لا تخلو من رنين يزلزل القلوب والأذواق والعقول ، ومن هذه الزلزلة تكون الرجفة التى تهز شواطئ الشعر والخيال » .

ثم رجعت إلى أستاذى العالم الفقيه فى دمشق معنى الزلزلة عن تفصيل شرحه الأستاذين شاكر وبشر فارس ، فذهب إلى أن العربى لا يزلزل القلوب والعقول مستنداً على أن المطرب لا يزلزل الأذهان .

وأظن سيدى الدكتور لا يزال يذكر هذا النقاش حول كلمة الزلزلة فعلى الأستاذ أن يتفضل بشرح هذه الكلمة التى شككنا فيها الأستاذ [illegible] وله الفضل والشكر

محمود [illegible]

« صحفيو مصري » وصفته أثر رحلته في هذه السفن جوفن سوري على ظهر الباخرة المصرية صالحت في أغسطس سنة ١٩٣٣

ذلك كان كتاب الأديب والفنان والشاعر ؛ أما الكتاب الذي نتحدث عنه اليوم فهو كتاب العالم والباحث والرحالة ، يصحب فيه الدكتور حسين فوزي الرحلة منذ بدأت حتى انتهت ، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة مما تهم معرفته والاطلاع عليه إلا عرض لها بأسلوب شائق ، ووصف دقيق . والكتاب يقع في أكثر من ١٢٠ صفحة من الحجم الكبير ، وهو مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ، ومحلى بكثير من الصور الجميلة

وقد صدره صاحب المعالي الأستاذ سابا حبشي وزير التجارة والصناعة بمقدمة تدل على قيمة هذه الرحلة التي يتحدث عنها الدكتور فوزي ، كما يتحدث عن قيمة هذا الكتاب

وعاب الكاتب على أن الشعور بأن يكون وصفاً علمياً — لم يستطع مؤلفه أن يتجرد من روحه الأدبية وإحساسه الفني في وصف بعض ما يعرض له ، فجاء كتاباً جميلاً في متنه وفي أسلوبه

وقد ختم الكتاب بفهرس كامل للموضوعات والصور .

---

# أخطاؤنا في الصحف والدواوين

### تأليف الأستاذ صلاح الدين سعد الزعبلاوي

هو كتاب جديد في اللغة ، جعله مؤلفه في بابين : باب للموضوعات ، وباب للمفردات ؛ وعرض فيه لكثير من الأوهام المنتشرة التي تشيع على أقلام الكتاب في الدواوين والصحف ؛ ثم وزع هذين البابين إلى فصول ، فباب الموضوعات أحد عشر فصلاً جمع كل فصل منها ما تداخلت أو تقاربت مباحثه ؛ وأما الباب الثاني وهو باب المفردات فقد بوبته الفصول على تتابع أحرف الهجاء . وقد سلك المؤلف في ترتيب المواد طريقة الجمهور في اعتبار أوائل الكلمات ، ثم جعل في خاتمة الكتاب فهرساً للموضوعات والمفردات التي تناولها بحثه حتى لا يتعب القارئ في التماس موضوعه

وقد تناول المؤلف في كتابه طائفة من الأخطاء الشائعة التي يهم كل قارئ وكاتب عربي أن يلم بها ، وعالجها علاجاً يدل على سعة اطلاعه وبعد نظره

والكتاب يقع في ٣٦٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو مطبوع طبعاً جيداً على ورق مصقول في المطبعة الهاشمية بدمشق

---

# علم الصحة

### تأليف الدكتور عبد الواحد الوكيل بك

صدرت الطبعة الثانية من كتاب « علم الصحة » للدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، وقد صدرت الطبعة الأولى منه منذ سنوات فاستنفدها إقبال القراء ؛ فزاد فيه ما زاد من الفصول ثم أصدره في هذه الطبعة الحديثة

وكتاب علم الصحة من الكتب التي لا يصح أن تخلو منها مكتبة قارئ يلتمس أسباب الوقاية مما قد يعرض له أو لأهله ويقيهم من المرض ؛ وفيه عون كبير للمعلمين والمعلمات في المدارس على المنهج الذي يدرسونه لتلاميذهم من علم الصحة الوقائي ؛ وفيه للوالدات والوالدين والممرضين وزائري الصحة وطلاب الخدمة الاجتماعية نفع لا يجزئ فيه كتاب غيره

ويقع الكتاب في نحو سبعمائة صفحة من الحجم المتوسط ، ويباع في مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

---

# ٤ — وحي الرسالة

[ من واجب «الرسالة» أن تنشر ما يتصل بها من الآراء والأقوال، من مقالات النقد وجميل الرأي في كتاب «وحي الرسالة» تسجيلاً للفضل منهم والشكر — ]

قالت جريدة (الأهرام) الغراء:

للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات، أسلوب فني امتاز بالأناقة والطلاوة، وحسن البيان.

وقد عرف قراء العربية هذا الأسلوب العذب فيما أخرجه المؤلف من كتب بعضها مترجم وبعضها الآخر من تأليفه، ثم عرفوه في مجلة الرسالة، حيث ظل الأستاذ الزيات منذ صدورها يطالع قراءه كل أسبوع بمقال افتتاحي يعنى فيه بمختلف الموضوعات. فكان له من قرائه الكثيرين في العالم العربي معجبين. أليس هؤلاء المعجبون قد كونوا عواطفهم وأخيلتهم وأذواقهم؟ نعم، وفي هذا بلاغة لسحر بيانه.

وإن للأستاذ الزيات معجبين من هذا الطراز الرفيع يدينون من بيانه بما كان أسلوبه القوي الرصين، وهذا في الواقع ليس كثيراً على رجل يقدر ما هو كسب للبيان العربي الصحيح.

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع الجزء الأول من «وحي الرسالة» وهو مختارات مما نشره في مجلته «الرسالة»، ولعل هذا التعريف الموجز يكفي للدلالة على ما لهذا الكتاب من قيمة أدبية عظيمة. ونكتفي بهذا [illegible]، إذ أنه في رأينا غني عن الإطراء بحسن الأسلوب وقوته.

وكتاب «وحي الرسالة» يقع في ٥٠٠ صفحة من القطع الكبير وطبعت طبعاً أنيقاً على ورق مصقول، وهو يباع في جميع المكتبات العامة، وثمن النسخة الواحدة منه [illegible] قرشاً.

• • •

وقالت مجلة (المسامرة) الغراء في عددها الأخير:

نعتقد أن نبخس الأستاذ أحمد حسن الزيات حقه ونقلل من قدره إذا كنا نحاول أن نقدمه هنا إلى القراء. فالأستاذ الزيات أعظم من أن يحتاج اليوم إلى تقديم، لا هنا في مصر وحدها بل في أنحاء الشرق كله.

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع كتابه الجديد «وحي الرسالة» فكان هذا حدثاً في محيطه ومحيط قرائه.

ماذا نقول في هذا الكتاب؟

أنتكلم عن أسلوب الزيات الأخاذ الجذاب؟ أنتكلم عن أفكاره وموقفه الممتاز في انتقاء ألفاظه؟ أنتكلم عن «الفكرة الرائعة» يقصدها الزيات إلى قرائه في عبارة قوية ومعنى متين؟

ولكن هذا كله معروف، والإفاضة والحديث عنه من قبيل تحصيل الحاصل. أنسكت إذن ولا نكتب شيئاً عن الكتاب؟ ولكن هناك شيئاً، توضح فيه الصحف جميعاً، أن نكون [illegible] من كل ما بعد في عالم التأليف!

وأخيراً نفكر في تقديم جديد: أن نذكر هنا أن الزيات قد أخرج كتاباً، والقراء من أنفسهم يدرون!

وهنيئاً للزيات كتابه الجديد

وهنيئاً للكتاب هذا مؤلفه

وهنيئاً لقراء العربية أديبهم، وهنيئاً لهم كتابهم الخالد



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين)

8me Année No 352 — Lundi 1-4-1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البديولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٣٥٢ — «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق أول أبريل سنة ١٩٤٠» — السنة الثامنة

فهرس



# فقهاء بيزنطة

فقهاء بيزنطة هم الذين كانوا يتجادلون في البيضة والدجاجة: أهذه أصل تلك، أم تلك أصل هذه؟ بينما كان محمد الفاتح يرسل الصواعق جرافاً على أسوار القسطنطينية؛ فلا تزحزحهم عن شغف الخلاف ومتعة الجدل مزعجة من هول القتال، ولا ما حولهم من صرخات الفزع!

وفقهاء بيزنطة هم الذين يجادلون اليوم في محراب المسجد بعد ألف وثلثمائة عام: أهو سنة عيسى، أم هو بدعة فرعون؟ وفي ظل شجرة الدر: أهو موافق للشرع فيبقى، أم هو مخالف له فيذهب؟ يجادلون في هذا وفي ذلك بين أحضان الجرائد والمساجد، ويتصرفون في الجدال حتى يتشعب الخلاف ويتمادى، وينقسم الرأي ويتعادى، فيكون لكل شيخ شيعة، ولكل شيعة عصبية جاهلة تفرق ما وصل الدين به القلوب من وشائج الإخاء والمودة.

ثم يجادل فقهاء بيزنطة اليوم في الترب والصلب، ومن قبل كانوا يجادلون في زر الطربوش أيبقى أم يقص، وفي شعر اللحية أيعفى أم يحلق، وفي قبر الميت أيسوى بالأرض أم يسنم؟ حتى أوشك في مربع العامة من حول ما تنازع فيه العلماء أن الدين هو

هذا وليس من هذا. فلو تسنى لك أن تكشف عن شهيد الإسلام في ذهن العامي أو شبه العامي لما رأيته إلا صورة مشوهة من رسوم الطقوس وأوضاع العادات وألوان الأوهام. أما الإسلام الذي وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية في كل زمان وفي كل مكان، فذلك معنى لم يجر في شعوره ولم يدخل في علمه. والعوام وأشباه العوام هم جلة الأمة الإسلامية اليوم، فإذا سمعت من هذا كلمة من ذلك، فما وراء هذا لا بد أن وراءه هناك. وعلة هذه الجهالة الفاشية هي طريقة أهل الدين في تعليمه وتفهيمه ونشره: فهم يقصرون في تحقيقه عند النقل، ويقصرون في تطبيقه على الشكل، ويكتفون في نشره بهذه المظاهر الصورية الباطلة؛ فكان من جراء ذلك عليهم أن انصرف عنهم أكثر من سواه، وانطلقوا من النفر الذي تشكوه منه الضيق والسخط والجمود، ووهم الناس أن ما عندهم هو الدين كله فزهدوا فيه ونفروا منه.

● ● ●

إني والله لا أزال أشبهه بوضعه يفرقون بين الناس بمذهب الرأي والهوى في المراتب والعمل، وفيما هو أدنى من المراتب والعمل، ولم يعلموا أن الأديان السماوية التي وضعها الله تهذيباً له وتوجيهاً إلى غايته، تعلو بقوة الحق وسعة الفكر ومعاني الهداية أن تحصر ذكر الله في كل أرض، وتطلق نوره في كل سماء. وهذه المذاهب الأرضية إنما تحاول خصومها ما وضعه بعضها من قبل اليأس وعن الغرور ومن السفاهة، لا مما يسمونه تشدداً من دين، أو تجديداً للظاهر من شكول.

ثم جعلوا نافلة الطلب أن يخرجوا الفروع، ويتفقهوا في مذهبه بتحصيل الحل وتوليد الألغاز وتعديد الدروس؛ فإذا زادوا على ذلك شيئاً فهو طرف من علم بيت المصروع وعقد المرأة وعلم الدين، وهي النصوص المنقولة التي أدوها النور الهادي والصوت المعجب؛ لأن سر الإسلام يقوله المشرفون على الإسلام من الأباطيل ويرددونه عليه من الشبه.

● ● ●

ليس من البر بالدين وعزة الأمة أن [illegible] فضل الله لتنصروا دعوة الإيمان.

إن الدعوات السياسية التي تحمد شعر الإصلاح والوطنية صوح الدين، تساندها في النفوس المؤمنة المشيئة سبيل العزة والقوى في نفوس من النبل أو سورة من الحماسة، فتدفع إيمانها بالشكوك، وتدفع الملتمسين بالضعف. فإذا أعوزهم حماية هذه النفوس الغريرة المنقسمة من وساوس الفتنة وهواجس الجهل؟ إني أرى هؤلاء الشيوخ في كل يوم، وأسمعهم في كل قبة، وأتكلمهم في كل حديث، فلا أجد عندهم من الإسلام إلا ما كان عند شيوخ القرون الوسطى منه؛ ثم لا أسمع منهم إلا الأحكام من الأحاديث المكرورة المكرورة في الزواج والطلاق ومن الحكم وعلاقة الجنس. فهل أحسب تقرير هؤلاء كيف كان الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاجاً لأدواء المجتمع ونظاماً لفوضى المعيشة، ودلل على أن مبادئ الإسلام التي تقرر أنه صالح لكل زمان تساير التطور وتطاوع الزمن، فلا يمكن أن يكون فيه منافاة للمدنية الصحيحة ولا منازعة للتقدم الحق، سألوا مشايخهم: وأي تجديد هنا؟

والصلة التي لا تجد لها إلى اليوم حلاً هو رجاؤهم في هذا السؤال: وأي تجديد هنا؟ الواقع الذي يكشف الحسر ويرمض الفؤاد أنك لا تجد في مكتبة الأدب الإسلامي على ضخامتها وسعتها كتاباً واحداً يشرح للناس جوهر هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده، على ضوء العلم الكاشف ونظام التأليف الحديث. وما أظن ديناً من الأديان قد نكب في نفسه وفي أهله بمثل هذه النكبة!

هل أن الشيوخ (جماعة كبار العلماء) ماشوا هذا الكتاب بدلاً من تأليفهم في (المياه التي يجوز بها التطهير) مثلاً لمحوا عن أنفسهم معرة الجمود ومن دونهم تبعة التقصير.

ولكن كبار العلماء لم يجدوا عند (الهيئة) إلا بمنظار التدبر ومنطق الرهبة، فكيف تحثهم أن يطلبوا كتبه الشرقي أو من هنا الكتاب، أو يمنعوا بين الجاهدين الغافلين في العمل والحرب؟

أحمد حسن الزيات

# ٣ - في أرجاء سيناء

## للدكتور عبد الوهاب عزام

دير سنت كترين

١

وصلنا إلى الدير في شعب من وادي الشيخ، فمررنا بأبنية قليلة للإقامة كلها حجرة مصبوغة، وعرفنا من بعد أنها كانت للجنود الذين رافقوا عباس باشا الأول حينما أقام في هذه البقعة من سيناء. وقد رأينا بناء كبيراً على جبل شامخ قريب من الدير وهو قصر عباس باشا، وكان يحب الإقامة في البرية، ولا سيما في برية سيناء. ووصلنا الدير قبيل الغروب، فرأينا حديقة إلى اليمين ذات سور قصير، بينها وبين الجبل طريق ضيقة تؤدي إلى الدير، والدير بناء واسع طويل محيط بسور متين علوه أحد عشر متراً.

وفي جداره الشرقي باب صغير يفضي إلى باب آخر وراءه باب ثالث إلى اليمين. وهذا السور قديم، وهذه الأبواب الصغيرة المتتابعة تدل على ما كان يخشاه أهل الدير من غارات البدو وغيرهم في العصور السالفة. والدير في أعلى جداره الشمالي باب عليه وقاء من الخشب، أُعدّ للدخول إلى الدير وقت الخوف، يرفع الداخل في سلة معلقة يرفعها حبال على بكرة كبيرة تسمى «الدوّار»، وتشد الحبال إلى عمود له ترس كبير يدور به عدة رجال، فتلف الحبال وتجرّ على البكرة فترفع السلة. ومن هذا الباب أدخلت أمتعتنا.

ودخلنا إلى أبنية كثيرة لا ينتظمها رسم، ولم تبن في وقت واحد، بل بنيت في عصور مختلفة. صعدنا درجاً إلى مسكن، ثم صعدنا حتى لقينا رئيس الدير فدخلنا إلى حجرة كبيرة، فجلسنا فيها وقدمت إلينا القهوة على الطريقة المصرية وعرض علينا النبيذ، والنبيذ يصنع في الدير من الزبيب في أنحاء سيناء، وهو من الجيد، وخمور الأديرة معروفة في الشعر العربي، ومن أجل هذه كثر ذكر الأديرة في الشعر عند العرب في مواضع، كان الشعراء يقصدون لبعضها من البلاد ونواحيها وما فيها من خمور.

ثم خرجنا من الحجرة لنرى الكنيسة على أحدث ترتيبها،

فصعدنا إلى حلقه ثم أخرى في الجهة الغربية ... رئيس الدير، ثم غرفة كبيرة للطقوس واللغة، ثم ... من الحجر ... إلى المفتاح ... الغرفة، وقد ... حديثاً ولا سبيل للسلم فكان ... في هذه الأنحاء ...

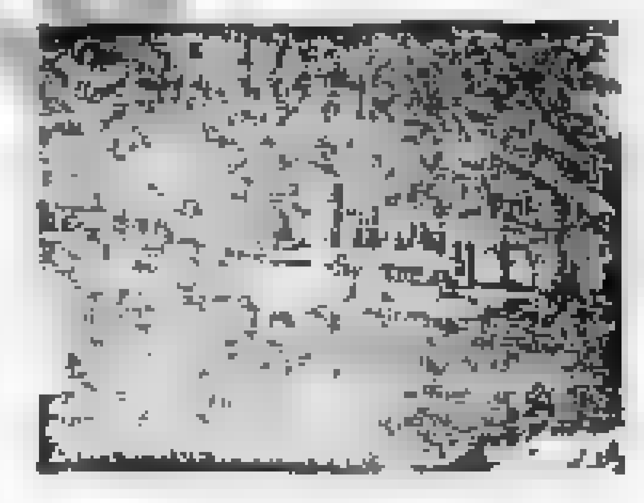

منظر عام للدير

ويُفضي الدرج الصاعد إلى سطح ... يمتد من الشمال والغرب ... على حديقة الدير وتمتد ... وهناك مدافع صغيرة يقال إنها من أيام السلطان سليم، وقد أهديت إلى الدير ... للتبرك.

أكرم القوم مثوانا وأرونا في غير ... في كل مكان ... فأصبحنا ...

٢

بنى هذا الدير القيصر جستنيان حوالي سنة ٥٤٥ م، باسم كنيسة ... التي عرفت من بعد باسم سانتا كترينة، في موضع يعلو سطح البحر بنحو خمسة آلاف قدم، وهو ... منه ثلاثون متراً. وله أوقاف كثيرة في سيناء ومصر وبلاد اليونان. وكان له أوقاف كثيرة في بلاد الروس ... وله في سيناء بساتين كثيرة وأديرة وكنائس. وله ... في القاهرة والإسكندرية ... مطران سيناء ... والقاهرة ...

وأعظم ... الدير الآن ... له عباس باشا الأول. وكان دخل الدير زهاء ستة آلاف جنيه نقص كثيراً بعد استيلاء الروس على أوقافه.

ويتولى بعض الربع ... أعراب سيناء ... يطلبون خبز كل يوم ولكل واحد من الأعراب الذين يخدمون الدير أن يأخذ الخبز

يوماً بعد يوم ، ثلاثة أربعة بكل إنسان . وكان في الدير رهبان كثيرون ثلاثمائة أو أكثر وهم الآن زهاء الأربعين .

— ٣ —

وفي صبيحة يوم الأربعاء ١٥ ذي الحجة ( ٢٣ يناير ) سار بنا أحد الرهبان ليرينا بعض أبنية الدير فقصدنا إلى الكنيسة الكبرى . باب ضخم من الحديد ثم باب خشبي دقيق الصنع فني يقال إنه من عهد جستنيان

ويلي المدخل بهو كبير على جانبيه صفّان من [illegible] ثم رواقان بين الأعمدة . وفي الكنيسة من النقش والتذهيب ومن الصور والألواح ما يبهر الناظر إحساناً به للتأمل فيه ومعرفة دقائقه

ولا أذكر من هذه المناظر غير الهيكل عليه صورة الدير وأهله [illegible] ، وهي من تصوير الأب كوزماس الكريتي من مصوري القرن الثامن عشر الميلادي ؛ ومن الصور القديمة صورة السيدة مريم تحمل عيسى عليه السلام ويقال أنها من صنع لوقا الإنجيلي ، وصورة أخرى يقال إنها صنع جستنيان

وبهو هيكل الكنيسة عقد قد صور عليه المسيح والرسل والأنبياء بالفسيفساء في جمال وإتقان الخ

ووراء هذه الكنيسة كنيسة صغيرة تسمت [illegible] وتسمى كنيسة العلّيقة ويقال إنها في مكان شجرة العليق التي رأى منها موسى عليه السلام النار ، وفي الجدار الشرقي كوة تقابل محرابها في الجبل . وتدخل الشمس يوم ٢٣ مارس من الصدع إلى الكوة فتقع على مكان الشجرة . ووراء الجدار شجرة يزعمون أنها هي شجرة موسى ، ولكني لم أرها

ويُلزم داخل هذه الكنيسة الصغيرة بخلع نعليه اقتداء بموسى عليه السلام في القصة التي ذكرت في القرآن الكريم : « إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى »

وخرجنا من الكنيسة إلى مشاهد أخرى منها مكتبة الدير وفيها كتب دينية كثيرة قليل منها باللغة العربية . وقد رأيت هناك تمثالاً لإسماعيل باشا الخديو مصرّي جداً في رأيه في هذا المكان فعرفت أن سلطان مصر ممتد إلى هذا الدير

ثم رأينا مسجد الدير ، ولا ريب أن القارئ سيعجب حين يقرأ هذا التركيب المتناقض « مسجد الدير » ، ولكنها حقيقة . ففي الدير مسجد صغير ملاصق كنيسة صغيرة . وهو مسجد جامع له منبر قديم قد وضعت عليه أغطية حرير كتبت جديدة مستوردة من مصر ؛ على الستر الأخضر وأنها قسطنطينية [illegible] من [illegible] الأول . وعلى كل من [illegible] مطابيع لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين . من [illegible] الأول . والتاريخ ١٣٤٩

منظر في الدير تظهر فيه مئذنة المسجد

وفي جانب المسجد منضدة عليها كسوتا ضريحين مستوردتان من مصر أيضاً أهداهما الملك فؤاد رحمه الله ؛ إحداهما لقبر النبي هارون والأخرى لقبر النبي صالح ، وترسلان في موسم الزيارة ، ثم تردان إلى الدير فتحفظان في المسجد

وبجانب المسجد مئذنة مربعة لها سلم خشبي وفيها للأشعة طاقات أربع صعدت فيها مع بعض الرفاق وشاقني الأذان هناك فأذنته وليس هذا الأذان كان إيناساً لهذا المسجد المتوحش

وكنت رأيت في كتاب نعوم شقير عن سيناء أن على منبر هذا المسجد كتابة قديمة ، وأن فيه كرسياً قديماً ، ولكني لم أجد الكتابة ولا الكرسي ، فسألت المطران ، فقال حفظناهما في مكتبة . ولست أدري لماذا لم يحفظا في موضعهما من المسجد . وكان المرحوم أحمد زكي باشا زار الدير ونسخ الكتابة التي على المنبر والكرسي . فأما الكتابة الكوفية التي على المنبر فهي مصورة في كتاب شقير ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه أبي علي المنصور الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين

# مزامير للنفس العربية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

محمد

أستوحي روح موحد قومنا وسيد عقولنا وآخذها إلى رب الحياة ومقدمها إليه بصفته ... ( محمد ) ، فيا لها نفس ونورها على نفس وجهها وإسعاده في وقته له والتوجيه التي جعلت أجل الأعمال ... في الفكر والنظر والخلق والعاطفة

أستوحي هذا الروح الأكبر ، وينصرف قلبي الصغير إلى قلبه الكبير ، كما ينصرف الجدول المتضحضح إلى النهر الثجاج ! وأستمده في خدمة النفس العربية الساعية في حنين إلى إدراك مثالها وحاجته الإنسانية إليه

وإنما أتوجه إليه إذ هو باعث روح أمته العجيبة وخالدها على مر الأيام وكر الأعوام ، وموحد قبلها ، وغارس أمجادها في القلوب والعقول

---

أمر بإنشاء هذه المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس ميه ... بالله »

وخليفة الآمر الفاطمي على الخلافة من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤

وأن الكتابة التي على الكرسي هي أعظم خطراً ودلالة على عناية الفاطميين ببناء المساجد في هذه البقعة

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمل هذا الشمع والكرسي والجامع المبارك الذي بالدير الأعلا والثلاث مساجد التي فوق ظهران والمسجد الذي تحت كران الجديدة والمنارة التي بحضرة الساحل ، الأمير الوحي المنتخب منير الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين الآمري »

والآمري نسبة إلى الآمر بأحكام الله . فالكرسي والشمع صنعا في زمان الخليفة الآمر

( للكلام صلة ) عبد الوهاب عزام

---

وأرى أننا لا نزعم أن أمته ستبعث إلا بالوحدة في القلوب أولاً كما بعثت على يديه حتى تعود الشمس ... السماوي الماثل ... الشمس من الشرق لتسطع إلى الغرب

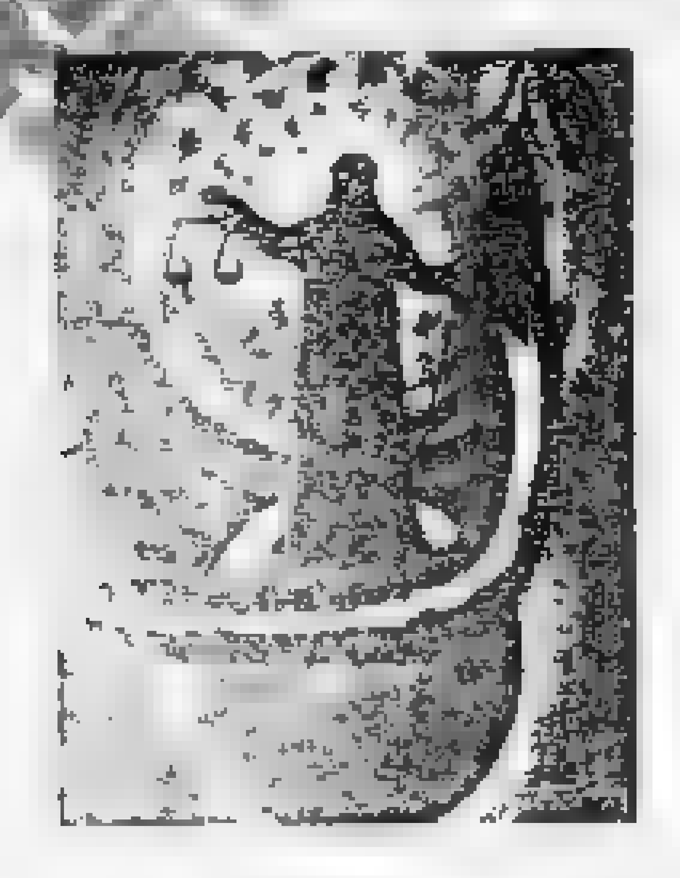

صورة ... الصحراء

بريشة الأستاذ ...

وأستوحي المهد الأول الذي درجت فيه هذه الأمة المعجزة وانبثق منه ينبوعها الأزلي ... ذلك المهد الناطق بالصمت ، العامر بالنجوم ، الخصيب بالجدب والجفاف ، الذي ... المفروش بالرمال ، مهاد الأرواح ، ومُطلّ الإنسانية ، ومهبط النبوات ، ومسرح ... الصقور ، وملتقى الشرق بالغرب

كما أستوحي بلادها الثانية التي ... عليها أمواجها ، وتلاحقت أرجلها ، وتحركت فيها ... الروح والنور ، وسطرت على أديمها تاريخها ... سيوفها وأقلامها

ومن أستوحي كل أولئك أجد ... والأرض ... وكل شيء ... ومعاً إلى التسطير والتحرير ... هذه الأمة والتفاني في ... والصدق في ... الأعلى الذي ... الله في ... محمد ... بأناشيده ... ومن ... الدنيا وتشغل الناس ...

أسحاب وكلاهما الصامتة والناطقة في مجاهل الأرض ، كما تنتثر النجوم في مجاهل السماء.

غير أنى أبتهل تائباً إلى الله من العصبية القومية الجاهلية وصيحتها وسخافتها على عمرها ، وإنما أرجو أن تقوم العربية كما قامت أول أمرها على يد أبي محمد أبانا خطيب البشرية وتوكيد أرحامها ، ولذلك أبتهل تائباً إخواننا وأصدقاءنا من الشعوب الإسلامية الأخرى إلى هذا حتى يعلموا أننا لا نريد مفاخرة ولا منافرة جنسية عصرية قائمة على زعم فروق جوهرية بين الأجناس والألوان ؛ وإنما هي دعوة العرب [illegible] وهم حملة الإسلام الأول وقوم القرآن [illegible] إلى الاتحاد والاستمساك بالمثل العليا التي اختارها الله للقومية العربية لحملها إلى الناس ، وبالمسالك الطبيعية العربية العليا التي كانت منبعاً لهذه المثل

وقد وصل إلى أخشى هذا الزمان فيبرح بهذه الأماني التى طالما رفت بها بعض معانى مطلقة حرة غير محصورة باللفظ ، أنني وجدت الأقدار تحول بها وتتلاشى بسرعة وتتحول تغير مصورات الأرض وأوضاعها الشعبية والجغرافية ، ووجدت صراع القوميات والآراء والمذاهب والفلسفات في رءوس الناس وقلوبهم لا يقل قسوة وعنفاً واحتداماً من صراع القوى الحديدية المسلحة النارية التي تأكل الأخضر واليابس وتحطم العظام والجماجم ، ورأيت في مدن الصراع بعض قوى العرب متفرقي الرأى في الحاضر متفلتي التقدير للمستقبل حائرى الألباب لا يكادون يعرفون في أى الفريقين موضعهم ، ولا في أى الآفاق مطلع مستقبلهم ولا يكادون يعرفون ما في صفاتهم [illegible] من المثل العليا التي تستطيع أن تجمع أمم الأرض كلها على حدود العدالة والسلامة الإنسانية متى وجدت قوماً يؤمنون بها ويحملون ذلك الإيمان ، ويغالبون عنه ويدعون إليه بأسلوب هذا العصر الذي يعتمد على رواية الاستهلاك والإعلان.

وذلك لأن قومى فقدوا « الأب » الواحد الذي يجب أن « يوجد » في كل جيل ليتكلم بلسانهم ويتبنى قضيتهم ويتولى حراسة ميراثهم الفكري والعسكري والمادي حتى لا تجرفه النقمة أمام الأحداث التي لن تزال تغير أوضاع الناس ومقدرات الأمم ، ولا ترحم الضعيف المتكاسل المتواني في حراسة حقه وأمجاده بالسيف والقلم ، ولا تقيم وزناً لمن لا يقيم وزناً للقوانين الطبيعية وسنن الله فيكتفي بالأماني والأحلام وزخرف الكلام [illegible] الله به وأولو العزم وهو الوحدة والصلاة والعزم والعمل.

غالي أن يوجد الأب الواحد العظيم العالم الذى يتولى وحده فكره وقلبه وضع القضية العربية الوضع الحكيم وتبيين قواعدها التبيين الصحيح ، ويتولى بنفسه توزيع الأحكام والشئون على كل بقعة في الوطن العربي الأكبر ، ويتولى بنفسه الإحاطة بالصغير والجليل من شئون أمته في حضرها وبدوها وشبابها وشيوخها [illegible] من الخليج الفارسي إلى الأطلسي ، ويتولى بنفسه جمع أيديها حتى تكون يداً واحدة [illegible] في مواثيقها وعهودها صفحة واحدة ، ويخرج بها لأعدائها قبضة واحدة ويضرب بها عدوها وأحلافه ضربة واحدة

أقول إلى أن يوجد ذلك الأب لا أقل من أن يتقدم المقتدرون على الإنشاء والبيان بجرائدهم وأوراق [illegible] في أرجاء الأمة بنداء اليقظة والانبعاث في حروبه الحديثة التي لا تحتمل تعالي الجد من التفكير السبق في النصر

وإن قدر الله — لا قدر ! — فاتت الحاضر الراهن من أيدي العرب من غير أن يحسموا أمرهم ويمضوا في طريق الحياة مع الزمن الذي يجرى بالناس ، ويحصنوا أجسامهم وعقولهم لضرورات الدم والقوة والاتحاد وملاقاة الصعاب بجبهة متحدة ، فسوف تموت آمال وتسقط أعمال وتحدث أهوال

وستأتي أمم تأكل أصلح قطعة في تحقيق الجبهة العربية الواحدة ، وتؤدى إلى الإعلان بها من هذا الزمن الذي [illegible] الأمم العصرى ، ولا يكون فيه لغير القوميات الكبرى وزن ، أو اعتبار في أى مصير

وستأتي أمم كسلك قوماً لم تمثل أوطاننا الضيقة المكورة من مجموعة صغيرة قريبة من الوديان والسهول والهضبات والأنهار ، ولم تمثل أمم واحد في العقيدة والتقاليد والأخلاق ، ولم لغة واحدة يعرج عليها التاريخ والدين جلالاً وسحراً ، ثم يتوانى قادتهم وزعماؤهم في استغلال هذه الظروف والفرص هذا التوانى الذي يورث التفكك ويضيع الميراث

ويشهد الله أنى لا أبغى قيام القومية العربية للاستمتاع فقط بما فيها من القوة لكل فرد ينتسب إليها ، ولا لما فيها من الخيلاء والكبرياء اللذين يصاحبان الغرور القوى لدى أكثر الأقوام .

ولكنني أعني بها « الامتياز أولاً بتلك الأمم التي وهبته ورضي الحياة » أيام أن كان لها السلطان والصولجان ... ذلك المثل الذي لا يحقق توازن القوى ، والعدل الطبيعي إلا به ، ولا يصنع علاقات موثقة ، وصلات جديدة بين شعوب الأرض إلا هو لأنه مثل أعلى يقوم على كلمتين من كلام الله رب الناس جميعاً ، وجاعلهم شعوباً ، وأنواعاً وأجناساً ، وألواناً كما يصنف الصناع أوعية الصناعات ... على كلمة مطلقة تدور بها الألسنة وتستوحى منها الأفكار ، ومن القرآن ! وعلى كلمة سامعة مستخفية عن أسرارها وأوكارها وأصواتها وأوعيتها ومن القلب الذي !

وفي الكلمة الأولى اعتمد الله في بلاغة هذه الأمة وصحتها وصراحتها في الكشف عن كل غموض في التعبير وفي الشعور وفي الفكر وتسجيله بلغة موسيقية موجزة مبينة ، وإلقائه في الأسماع والأفهام آيات منزلة من حول العرش

وفيها يجمع الله كل شيء في الطبيعة في موضعه أمام الفكر البشري « إنا كل شيء خلقناه بقدر » « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » فلا مجال للاعتراض والخروج على نظام الكون ومحاولة تبديله « لا تبديل لخلق الله »

وفيها ينظر الله إلى أمم الأرض كلها وحدة « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وفيها يجعل الله الأصنام الحجرية والبشرية ويسحق الصنم الحي وعبادته ، ويكسر كل قيد يقيد النفس بذاته ويجذبها إلى الأرض وتعبد الأهواء آلهة وتتبع الشهوات في كل وحش في الأرض في غفلة عن جلال الأعلى ، ويخرج الإنسان بعد هذه كله طليقاً حراً نقي الروح نقي الجسد متحرراً من كل شيء إلا الذي أطلق كل شيء

وفيها يعقد الله بينه وبين الإنسان صلة مبينة في معنى الفكر ومعنى الوجدان ، فيصيره الله في الطبيعة بصره يبصر به الإنسان ويصيره ما يبصره الله ويحبه بحبه العقل الإنساني ويرضاه؛ فالعقل البشري صورة مصغرة من العقل الأعلى الذي دبر الكون ويحرسه ويمسكه أن يزول . ألم يقل « ونفخت فيه من روحي » « إني جاعل في الأرض خليفة » ؟

ويدعي بعد ذلك أن يعمر العربي من بين يدي القرآن الذي

يبعثه في الحياة هذا الوحي الأكرم الأعظم ويعتقد أنه قوة من قوى الله مستخلفة لحراسة الأرض ومراقبة البشر والإصلاح من فوق أعباء وقوى الشر والإثم ، وأن ينظر إلى الناس كما ينظر إليهم الله نظرة رحمة وعبرة في مصالحهم وفي حقوقهم ، لا كما ينظر المغرورون إلى أنفسهم وإلى الناس نظرة سباع وحيوان بين القوى الضعيف ، ولا يعتقدون أن القوة المسلطة على الكون ثأر لهم أو تقيم لهم وزناً ، نعم كذلك لا يفهمون الغرائب في الطبيعة ورعاً ، وإنما يفسرون الحياة ويخرجون منها كما تخرج السباع من كاسر أمرها ، أو كما تهب هوب الرياح إلى كل صحراء

ويدعي كذلك أن يكون هذه السياسة المقصودة بين العربي ورب الطبيعة مبعث اعتزاز وقوة واعتصام بقوة القوي بين السماء والأرض ، فيتحول به إلى قوة متصلة في قوى الكون التي في يد الله ، وينظر به إلى ما في السماء والأرض وكأنه ينظر إلى أشياء موضوعة مهيأة في دراية

* * *

أما القلب العربي ، وهو الكلمة الصامتة ، فنشأ حياً كل ورائه متحررة من بساطة الحياة في الصحراء وانفساحها وعراقة الفكر فيها عن القوات الصناعية ، وإشراق النجوم عليه ، واحتكاك الفكر فيها بالسماء دائماً ، وانطلاق النفس من غير حدود وقيود ، واعتماد الإنسان على نفسه ، واعتماده على قواه الذاتية ، وسبح الخيال وراء المجهولات والغيوب ، وتجرد الحياة فيها من الزينة الصناعية والتكاليف الموضوعة التي لا تطلق النفس لدواعي الفطرة بل تجعل عليها ركاماً من قيود التقاليد

يضاف إلى هذه الوراثات الاستعداد الدائم لبذل الدم والمال في سبيل الشرف وحسن الأحدوثة ، وعدم الارتباط بالأرض إلى درجة التضحية بالحرية والخضوع لسلطة عالية واستعداد مستمر لمكرمات الإنسان وعرض الحياة

وهذه صفات ترشح قوم لحمل دعوة كالدعوة الإسلامية التي تطلب الدم والمال والوصاية على كل حي في الحياة . ولن تستطيع نفس مترفة مقيدة الفكر بتقاليد الحياة التي تغلب فيها ، مثقلة النفس بقيود الحرية الصناعية ذات الأوضاع والقرائن الكثيرة ، عبء الدعوة حريصة على ما فيها من الترف والنعمة ، بعيدا عن الطبيعة لأنها تحيا سجينة بين جدران أو مكتبة

على مبادئ الزراعة والصناعة ، مثقلة بالأموال والحروب الكثيرة ، فليس لها فرصة التفكر في السكون وروحه ... أن تستطيع هذه النفس أن تعمل ما تعمل النفس القريبة من رسالة البساطة والمساواة والرجوع إلى مواطن الطبيعة والنظر إلى أواليات الحياة وسذاجتها والتحرر من التعقيد وركام التقاليد .

ومن أجل ذلك لم يصطف الله أمة من الأمم المتحضرة كالروم والفرس لحمل رسالة الإسلام مع أنهما كانتا على علم كثير وحضارة عظيمة ، بل اصطفى العرب لتلك الرسالة ، رسالة الفطرة والبساطة ، لأنهم أقرب الناس في حياتهم من سذاجة الحياة الأولى التي تجعل الإنسان شيئاً من الطبيعة غير منفصل ولا مغرور بعبقرية صناعية ، ولأنهم يكونون وهم الغالبون أسرع من المغلوبين إلى ما تقتضيه العدالة والمساواة ، إذ لا يشعرون بفرق كبير بين حياتهم في الحكم وأتباعهم ، وبين حياتهم على قدم المساواة مع أقل الناس متاعاً .

واعتقادي أن الرجل الأوربي أو « الرجل الأبيض » على العموم لا يمكن أن ينهض برسالة المساواة بين الناس ، لأنه يعد في نفسه عقلاً وفي دمه امتيازاً وفي خلقه تركيباً ، وفي حياته على العموم رياضة لا تجدها عند سواه ... بل إن بعض أنواع الرجل الأبيض ... وهم الجرمان ... قد رأوا طبيعة محددة في الفروق الجنسية لا يمكن مطلقاً أن تقرب منها مساواة أو مسامحة حتى بين أنواع الرجل الأبيض نفسه .

وقد يكون للبعض بعض العذر في ملاحظة الفروق الظاهرة بين بيئاتهم وبيئات الأجناس الملونة ، فلا يحصون [illegible] على مناصبها ، والفروق بين غيرهم من بني البشر على قدم المساواة ، لأنهم ... من عدم الرحلة عن الأصقاع الأجنبية الملونة التي تسكن في وسط الأرض وحوله ، فلا يعرفون عن ... ولأنهم ثانياً يعرفون تشكيلات الحياة اختلافاً كبيراً ، ولذلك ... حياتهم بها ، فلا يمكن مطلقاً أن يتصوروا الفرق بين الملونة البيضاء والملونة الصفراء والسوداء والحمراء ... وأنهم ليضعون الفروق بين الإنسان والحيوان ، ويحتضنون الكلاب ويقبلونها ويكونون رحمة لها وعطفاً بالحيوان ، ولكنهم يأنفون من رؤية الرجل الأسود ويبعدونه ولا يرحمونه ولا يجهدون في رفع حياته وإنقاذه من وثنيته وخرافاته ... مع أنهم قد حكموا عليه بالقوة منذ أكثر من قرن ، وعندهم من وسائل إصلاحه بالتعليم والتهذيب

بالإحسان والقوة الفنية ... ولكنهم مشتركون فقط بالبحث عن الذهب الأصفر والذهب الأسود .

والذين شاهدوا الشريط السينمائي الذي عرض في مصر منذ قليل باسم « [illegible] » قريب من حياة « المستكشفين » في الكنغو الإفريقي المشهور ، يذكرون تماماً ما يرى إليه واضع هذا الشريط وغرضه من عرضه ، لإظهار الجوانب المظلمة عن حياة الرجل الأبيض في تصوير هذا الشيء من الإنسانية الهاوية على وجهها وعراتها وانقطاعها عن حياة النور والهدى .

ومع ذلك المؤثرات الطبيعية والصناعية التي جعلت الرجل الأبيض ... في وجهته نحو إخوانه من بني البشر هذا الإهمال ، وسأل من ينظر إلى ... الله على القومية العربية حيث وضعها هذا الوضع الوسط العجيب بين أجناس الناس وبقاع الأرض .

إنه وضعها ... من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلسي وسطاً بين أمم الشرق والغرب والشمال والجنوب تلتقي عندها الألوان والأجناس والدماء والأهواء والنباتات والحيوانات والطبائع والأمزجة ، وجاءت بالعرب من جميع القارات ، وخلقها من جميع العناصر ، وأخذتها وأنبتها من جميع الأجناس والألوان ، ثم أخرج كل ذلك وصهره في طبيعتها المتفتحة وأخرج للناس منه ثقافة خاصة وسياسية تلتقي عندها الشرق والغرب لقاء يحطم القيود ويجتاز الحدود ... لأن فيها من كل جنس رحماً ، ومن كل جيل مدداً ، ومن كل قطر وداً ؟

فإذا خاطب الله برسالته الأخيرة وكلمته الخاتمة هذه الأمة التي في مركز الأرض فإنما يخاطب البشر جميعاً ممثلة في هذا الجنس .

وإذا خاطب العربي المتحضر أمم الشرق والغرب المتحضرة ، أصغوا منه لسانه وعقله ، لأن فيه مسحة من بيانهم وثقافتهم ، ولأنه أقرب الأجناس إليهم وأكثرهم اختلاطاً بهم .

وإذا خاطب العربي الشيخ أمم الجنوب والشرق ، أصغوا منه ومثلوا معه ، لأن فيه من أخلاقهم وعاداتهم ، ولأنه من أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم .

وتلك منة عظمى تفرض على العرب أن يحفظوا لها وحدتهم جامعة ، ورسالتهم عليهم ، ويذكروا امتنان الله عليهم بها في قوله « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس »

« القاهرة »

عبد المنعم خلاف

# نشر الثقافة
## وكيف يكون
للأستاذ محمود المصري

---

نشرت الصحف في الشهر الأخير أن وزارة المعارف قررت مكافأة بعض المؤلفين لوضع كتب في سير أبطال الإسلام، وعهدت إلى بعض المترجمين بترجمة مؤلفات أجنبية إلى اللغة العربية.

ولا شك أن عناية وزارة المعارف بنشر الثقافة أمر توجبه ظروفنا جميعاً، بل الحقيقة التي لا مفر من الاعتراف بها أنه لا يغني عن البلاد كثرة حملة الشهادات المدرسية شيئاً، وليس مما يشرفها أن يقال في التدليل على انتشار التعليم إن الناجحين في امتحان شهادة كذا بلغ عددهم كذا ألفاً. ولكن الذي يدل دلالة حقيقية على انتشار التعليم أن يقال إن أحد المؤلفات قد بيع منه كذا ألفاً. هذا وحده هو المظهر الصحيح الدال على أن التعليم انتشر انتشاراً حقيقياً كان له أثره في أمرين لا غنى عنهما في كيان أمة، أولهما: انتشار الثقافة وسريانها سرياناً طبيعياً اختيارياً تتكيف به حياتها الفكرية، وثانيهما: حياة طبقة من المؤلفين.

أما أن تقتصر الحياة العلمية على نظم المدارس وتحصيل الشهادات فتلك ظاهرة سطحية مصطنعة. وقد شعر المفكرون منذ عهد بعيد بأن كثرة عدد الشهادات لم يكون حياة الفكر، بل قد نزل مستوى التعليم إلى حد ما، وفطنت الأمة إلى ذلك بعد أن قطعت شوطاً بعيداً في الإكثار منهم. كما تبين أن من أكبر أسباب ضعف التعلم المدرسي عدم وجود المؤلفين والباحثين الذين يتحدى التعليم غذاءهم وعونهم، وعدم الحركة العقلية في جمهورهم حياة مستقلة ترجع إلى حيث تدفع مع عناصرها وتحيي الثقافة الفكرية التي تتخذ مادتها من بحثها أساساً للعلم والتطبيق بدلاً من أن يكون مقصوراً عليه.

ولا شك أيضاً أن مساهمة وزارة المعارف في زيادة الثروة الفكرية على النحو الذي اتبعته لا تخلو من فائدة، ولا سيما إذا أحسنت الاختيار ووضعت مسائل فروع، كما فعلت في سير أبطال الإسلام، وفي ترجمة كتاب هانوتو في تاريخ الأمة المصرية؛ إذ أن أول ما يخص بالنقل إلى العربية ويترجمها هو تلك الصورة التي في طاقتنا في الوقت الحاضر، الكتب التي لا نجد متأخراً منها سابقها إذا هي رجعت إلى لغتنا، والتي تتمشى مع حياة الحركة في المرحلة التي نجتازها الآن. أما مؤلفات ديكنز وتولستوي من أعلام الأدب الغربي الذين رجعت وزارة المعارف كثيرهم في عهود مضت وتزمع الآن ترجمتها، فإن كثيراً مما يعد نقله إلى العربية من الكماليات.

يعرف القارئ للأدب الغربي أن أكثر المؤلفات التي تفيد ترجمتها أمر في هذه الصفة، وذلك أن كثيراً منها يرجع فهمه إلى البيئة الأدبية وإلى الفنون الأدبية والأوضاع الاجتماعية الخاصة، ومعنى ذلك أن يشارك له مستوى في معنى قريب من بلاده أو في الأكثر في البلاد الغربية الشبيهة بها في البيئة. وهنا لا نأتي بجديد إذا قلنا إن الناحية الفنية في الأدب الغربي تتأثر كثيراً بالنقل إلى العربية لبعد الشبه بينها وبين اللغة الأجنبية، بل إن المعاني الأدبية المعروفة في الأدب الأوربي تتعرض كثيراً لخفى على غير المتحققين فيه من المتعمقين في الاطلاع، مستندين إلى مجرد فهم المعنى اللفظي دون أن ينفذوا إلى ما وراء اللفظ وما بين السطور.

خير لوزارة المعارف أن تعنى بعناية بالنقل إلى العربية الكتب التي تستطيع أن تقرأه العربية دون تعرفه من اللغات، فتجد صعوبة في هذا المسلك ولا تعد سابقها عنا بالترجمة لأنها تتناول مادة عامة، وعلى الأخص الكتب التي تتناول مادة أصلها عربي ككتاب هانوتو، فإن معانيها تزداد في العربية وضوحاً.

والكتب التي من هذا القبيل كثيرة في اللغات الأوربية، من أهمها كتب المستشرقين في تاريخ العرب والإسلام، وقد سبق أن عرض كاتب هذه السطور مقترحاً ترجمتها أيام وزارة المرحوم زكي باشا أبو السعود، كما ذكر ذلك صديقنا الأستاذ المرحوم الشيخ شاويش.

ولا جدال في أن ترجمة المؤلفات المذكورة تعد من قبيل رد مادة إلى أصلها العربي فتزداد بالترجمة وضوحاً كما أنها تعمل مع ثقافتنا في نسق واحد مستقيم.

على أن أهم ما أقصده من كتابة هذه الكلمة أن أحول الرأي الأساسي في نشر الثقافة عن طريق مكافأة بعض المؤلفين أو المترجمين لوضع كتب أو ترجمتها

هذا الرأي على عدم جدواه من ناحية كما قلت لا يجري في النهاية إلا ثمرة محدودة الفائدة، وليس فيه دواء حاسم للمشكلة الأصلية وهي قلة القراءة وعدم انتشارها.

لا شك أن الأفاضل المؤلفين والمترجمين الذين كلفتهم الوزارة القيام بذلك العمل سيبذلون جهداً مشكوراً وستظهر لهم كتب قيمة، إلا أن الداء الأصلي سيظل كما هو.

قامت الوزارة منذ مدة بعمل آخر في تشجيع الثقافة جرت فيه على عادة شراء مقادير من المؤلفات التي تصدر من وقت إلى آخر تشجيعاً للمؤلفين وتعويضاً لهم عن قلة ما يباع من كتبهم. ولا ريب أن هذا التشجيع بشراء الكتب وإن لم تبعه في مخازن الوزارة كان فيه بعض الفائدة في ذاته، إلا أنه كان من قبيل معونة الحكومة وتسوية القطن بالشراء إنقاذاً للمحصول من أن يباع بقيمة دون قيمته، وصوناً لثمرة جهود المخلصين أن تضيع هباء، وتشجيعاً لهم على المضي في الإنتاج.

غير أن الناس لم يحتاجوا أن ينتبهوا إلى ما نبه إليه [illegible] الاقتصادي المحض بشراء القطن وهو أن هذا العلاج محدود الأثر؛ لأن القطن الذي تشتريه الحكومة اليوم لا بد أن يباع غداً ويعتبر زيادة للعرض فيهبط السعر. وإن شراء الحكومة ليس شراء بمعنى الكلمة لأنها ليست مستهلكة في واقع الأمر، وإنما الشراء الحقيقي من الوجهة الاقتصادية شراء المصانع التي تستهلكه في الصناعة وتستنفده نهائياً من حيث أنه خام وتقوم بتصريفه في شكل جديد.

يحضرني عند التفكير في حل هذه المشكلة حلاً طبيعياً أساسياً ذكر ما توجهت إليه دول أوربا للنهوض بالزراعة ووضعها على أساس متين.

لقد بذلت الدول في أول الأمر جهوداً عظيمة من الناحية المباشرة فصرفت معونات هائلة، ثم إنها غيرت تبعات فيها ظروف ساعدتها على رفع أسعار المحصول الزراعية بسبب اتساع الأسواق العالمية وسهولة النقل، إلى أن أصبحت الزراعة مهنة رابحة وبرز ما تستحقه من الكسب وانطلقت عجلة الزراعة بأقصى ما أوتيت من قوة فأثمرت الجهود البادئة من الناحيتين العلمية والعملية، وهكذا خرجت المشكلة من صميم أسبابها.

* * *

ما حدث في السنين الأخيرة أن اشتغل به في تحسين انتشار المؤلفات الفرنسية، وذلك لأسباب منها انتشار الراديو والسينما والألعاب الرياضية، حتى صرفوا الناس عنها وعن مطالعتها. وخافوا أن يحدث ذلك نوعاً من الإدمان الأدبي في الناس كما خافوا أن يحط الإنتاج الفكري عندهم لقلة ما يباع من مؤلفاتهم عن القدر الكافي لمعيشة لائقة بمؤلفيهم وتشجيعهم.

أجمع هؤلاء المفكرون أمرهم وأنشأوا جماعة برياسة جورج دوهاميل الكاتب المشهور واستعانوا بوزير معارفهم جان زاي وهو الوزير الذي رآه المصريون عند ما جاء هنا يفتتح المعرض الفني الفرنسي الذي كان للكتب الفرنسية فيه حظ كبير. وقد تمت إجراءات مهمة بتعاون الوزير المذكور مع تلك الجماعة.

لا شك أن تصريف الكتب في مصر قليل جداً لأسباب تختلف عن أسبابه في فرنسا، وأن ما يباع حتى الآن من الكتب لا يكفي لسد حاجة البلاد إلى طبقة من المؤلفين المحترفين الذين يستطيعون أن يعيشوا من ثمرة أقلامهم. فلا يمكن أن تخرج البلاد مما هي فيه من المشكلات إلا بإيجاد الحل.

قال أحد الأدباء في عصر سعيد ينصحه: « كان الناس في الزمن الغابر يسألون: ما صناعة هذا الرجل؟ فيقال: هو أديب. والآن إذا عرفوا أدبه يسألون: ما صناعة هذا الأديب؟ »

هذه حال لا يصح السكوت عليها، ولا بد أن تكون هنالك انتشار للقراءة في خارج حدود انتشارها من شأنه أن يجعل المؤلفين من القراء في غير حاجة إلى ما زيد على عددهم في مصر أضعافاً مضاعفة.

لا أريد في هذه الكلمة أن أتكلم عن أسباب قلة الميل إلى القراءة، ولكني لا أشك في أن الكتب، حتى على أساس هذا الميل القليل غير منتشرة؛ وأن عدم انتشارها أمر غير طبيعي! ومن الأدلة على ذلك كثرة انتشار الصحف والروايات الخفيفة انتشاراً يدل على أن عدم الإقبال على القراءة قد بلغ هذا المبلغ البالغ في الكتب.

صحيح أن الجمهور أميل إلى القراءة الخفيفة السطحية، غير أن هذا السبب لا يكفي لتعليل البون الشاسع بين انتشار الصحف وانتشار الكتب. إنما العلة الكبرى أن الصحف والروايات الخفيفة أصحابها يشتغلون بنشرها على أساس تجاري وإداري محكم، أما

الكتاب في مصر فيتم ليس له من يقول أصبح ، إذ أن كل مؤلف على حدته لا يستطيع شيئاً ، والحركة التجارية عاطلة معه ، وذلك لسببين: أولهما أن التجارة في مصر راجعة بصفة خاصة إلى نشاط الأجانب ، وهؤلاء لا يقبلون على الكتب العربية إقبالهم على النواحي الأخرى. والثاني أن تجارتها صورة من صور الاحتكار ، فتجارة الكتب تختلف عن غيرها في أن الطلب في أصلها يتبع العرض إلى حد بعيد ، مع أن العرض في أمر غيرها يتبع الطلب بدرجة عظيمة . وهذا ظاهر في كل بلاد وفي كل جهة حتى ليخيل للإنسان أنه لا يوجد سبيل إلى الاطلاع إلا بين المدن. فاطلبوا الزوار في حي معين به مكتبة يستوقف ما في واجهتها من الكتب نظر المارة ، بل لقد يدخل أحدهم بغير قصد شراء كتاب بذاته فيخرج وإنما بيده كتب.

يعرف المؤلفون في مصر أن كتبهم لا تباع إلا حيث توجد المكتبات في مدينة واحدة وهي القاهرة ، فيخيل إليهم أن الميل إلى القراءة غير موزع بين سكان القطر وأنه مقصور على حي معين ثم ما هي إلا أن يتطوع صديق في جهة نائية فيبيع له عدداً كبيراً

لا ريب أن تشجيع نشر الكتب أمر حيوي وفيه شفاء لعلة الأمية من أساسها بشكل يؤدي حتى في ظروفنا الحالية إلى انتشار الثقافة خارج العاصمة ، ونشاط المطابع ، وتقوم في البلاد طبقة من أهل الفكر على أساس الجامع الطبيعي الذي لا يقتصر على ما لا خدمة للمؤلفين من الاستقلال المادي والأدبي. بل إن في انتشار مؤلفات أحدهم ما يقوم في نفسه دليلاً على أنه أدى رسالته ، كما أن في الإقبال على كتبه حفزاً من القراء له وحملاً به للكثير من الصدق في التعبير عن أهم آرائه ، وهذه علامة طبيعية آية من الحركة الفكرية في ذاتها

ولست أريد أن أرسم خطة معينة تنتهجها وزارة المعارف في تنفيذ برنامج عملي لنشر الثقافة عن طريق الكتب ، ولكني أبدي على سبيل المثال ما يعن لي من الوسائل

١ — أن تتفق الوزارة مع مراقبات مناطق التعليم ونظار المدارس على أن تخصص مساحات بقدر الإمكان في المكتبات القائمة في المدارس نفسها

٢ — أن تتفق مع مصلحة البريد على إعطاء الأسبقية في بيع طوابع البريد وطوابع الدمغة للمكتبات دون الصيدليات ومحلات العطارة وحوانيت التبغ

٣ — أن تعتمد مبلغاً معيناً لشراء الكتب على أن يعين القطر ليرجع إليه الناشرون وأصحاب المطابع والمؤلفون القاطنون فيه ، وأن تقوم مراقبات مناطق التعليم بالاستيثاق من أن [illegible] مكتبات حقيقية

٤ — أن تذيع الوزارة أسماء الكتب ومختصرات موجزة عن محتوياتها

٥ — أن تتفق مع وزارة الشؤون الاجتماعية على تشجيع [illegible] في المراكز الاجتماعية التي تزمع إنشاءها برامج ثقافية

٦ — أن تشجع على إنشاء هيئة مركزية في القاهرة تجمع لديها نماذج ما يصدر من الكتب وتوزعها على جميع المكتبات في القطر ، وتشترك أصحاب المكتبات في هذه الهيئة بقيمة أو تأمين لكل منهم مائتي جنيه مثلاً يجعل لكل منهم حق أخذ كتب يبيعها حسب [illegible] عن طريق الهيئة ، وكما تعود هي ما أخذه [illegible] بعلامة معينة ما تعوده حتى إذا كلف شططاً في البيع على هذه [illegible] مع الحساب [illegible] أو شهراً ، فيكون قد أخر في رأس مال قدره ألف أو ألفا جنيه دون أن يدفع شيئاً ، ثم إلا [illegible] قدره مائتا جنيه . وبهذه الطريقة تعمل شركات من شركات التوزيع الأجنبية في مصر

ولا بد لي أن أختم هذه الكلمة بتكرار ما قلت من قبل ، وهو أني ما أعرض لمعالجة موضوع عدم الميل إلى القراءة ، إذ أن هذا أمر يتصل بمشكلة التعليم والرأي السائد في البلاد وفي الحكومة من هذه وأهميته

[illegible]

من الاجتماع اللغوي

# تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

## وأثر ذلك في الصراع اللغوي

### للدكتور علي عبد الواحد وافي

---

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافاً كبيراً. فمنها ما تتاح له فرص مواتية ، فينتشر في مناطق شاسعة من الأرض ، ويتكلم به عدد كبير من الأمم الإنسانية ؛ كما حدث للاتينية والعربية في العصور القديمة والوسطى ؛ وللإنجليزية ، والأسبانية ، والبرتغالية ، والفرنسية ، والألمانية في العصور الحديثة . ومنها ما تصد أمامه المسالك ، فيقضي عليه أن يظل حبيساً في منطقة ضيقة من الأرض ، وبين فئة قليلة من الناس ؛ كما حدث للأينو[1] والبسكية[2] والليتونية[3] ؛ ومنها ما يكون حاله وسطاً بين هذا وذاك ، فلا تتسع مناطقه كل السعة ، ولا تضيق كل الضيق ؛ كما هو شأن الحبشية والتركية

هذا ، ولانتشار اللغة أسباب كثيرة يرجع أهمها إلى ما يلي :

١ — أن تشتبك اللغة في صراع مع لغة أو لغات أخرى وتخضع لنواميس الصراع اللغوي المتقدم ذكرها في المقالات السابقة[4] أن يكتب لها النصر ، فتحتل مناطق اللغة أو اللغات المقهورة ، فيتسع بذلك مدى انتشارها ، وتصل أمم جديدة في عدد الناطقين بها . كما حدث للاتينية في العصور القديمة ، إذ تغلبت على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وبلاد الغال (Gaule) ما (فرنسا وبلجيكا) والأمم الوسطى والإليرية (Illyrie) ؛ فأصبحت لغة الحديث والكتابة في منطقة شاسعة في الجنوب الغربي من أوربا بعد أن كانت قديماً محصورة في منطقة صغيرة في وسط إيطاليا ، هي منطقة اللاتيوم Latium ؛ وكما حدث للغة العربية إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية ، حتى بلغ الآن عدد الناطقين بها نحو ٥٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة بعد أن كانوا قديماً لا يجاوزون بضعة آلاف يقطنون منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من بلاد العرب ؛ وكما حدث للألمانية إذ طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لها بأوربا الوسطى (بألمانيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا ... الخ) وقضت على لغاتها الأولى ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٧٠ مليوناً من سكان أوربا بعد أن كانت قديماً محصورة في بعض المناطق الألمانية

٢ — أن ينتشر أفراد شعب ما ، على أثر هجرة أو استعمار ، في مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم الأولى ، ويتكون من سلالاتهم بهذه المناطق أمة أو أمم عديدة كثيرة السكان ، فيتسع بذلك مدى انتشار لغتهم ، ويتعدد الجماعات الناطقة بها ، ويكثر أفرادها . والأمثلة على ذلك كثيرة في العصور الحديثة فقد نجم عن استعمار الإنجليز والسكسون لأمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقية أن انتشرت الإنجليزية في هذه المناطق الشاسعة ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ١٧٠ مليوناً موزعين في مختلف قارات الأرض ، بعد أن كانت قديماً محصورة في منطقة ضيقة من الجزر البريطانية . ونجم عن الاستعمار الأسباني في العالم الجديد أن أصبحت الأسبانية لغة الكتابة وجزر الفيليبين وجميع دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ما عدا البرازيل ، فبلغ عدد المتكلمين بها نحو ٧٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة ، بعد أن كانت محصورة في منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من أوربا . ونجم عن الاستعمار البرتغالي في العالم الجديد وأفريقيا والأوقيانوسية أن أصبحت البرتغالية

---

(١) يتكلم بلغة الأينو Aïnou نحو عشرين ألفاً من سكان جزر هوكايدو Hokkaïdo وسخالين Sakhalin وشيكوتان Shikotan ، وكلها تابعة لليابان — ولم تثبت صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى ، ولذلك تعد فصيلة على حدتها

(٢) يتكلم بالبسكية Basque الآن نحو ٥٠٠٫٠٠٠ من البسكيين الذين يقطنون جبال البرانس الغربية في الحدود الأسبانية والفرنسية ، ولم تثبت بعد بصورة قاطعة صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى ، ولذلك تعد فصيلة على حدتها

(٣) يتكلم بها سكان ليتوانيا Lituanie الذين يبلغ عددهم الآن ... مليونين ؛ وهي من شعبة اللغات البلطيقية من الفصيلة الهندية الأوروبية

(٤) انظر أعداد الرسالة ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥

لغة سكان البرازيل بأمريكا الجنوبية وسكان المستعمرات البرتغالية بإفريقيا وجزر المحيط الهندي، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٥٠ مليونا ينتمون إلى عدة أمم، بعد أن كانت محصورة في منطقة ضيقة في بلاد البرتغال نفسها.

٣ — أن يتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنمو الطبيعي في أوطانها الأصلية بسبب تزايد عدد أفرادها واطراد نموهم في الزيادة المطردة، ونشاط حركة العمران في بلادها، فتكثر بها المدن والقرى وتتسع الأقاليم والنواحي، فيتسع تبعاً لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها، كما حدث لليابانية والفرنسية والإيطالية. فبفضل هذا العامل بلغ عدد الناطقين باليابانية في اليابان نفسها نحو ٦٠ مليونا، وبفضله كذلك مع مضاعفة العاملين السابقين بلغ عدد الناطقين بالفرنسية نحو ٥٠ مليونا[١] وبالإيطالية نحو ٤٥ مليونا[٢].

* * *

ومتى انتشرت اللغة في مناطق شاسعة من الأرض تحت تأثير عامل من العوامل السابق ذكرها، وتكلم بها جماعات كثيرة العدد، وطوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، فلا تلبث مسافة الخلف أن تتسع بينها وبين أخواتها، حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها. وبذلك تتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللغات يختلف أفرادها بعضها عن بعض في كثير من الوجوه، ولكنها تظل مع ذلك متشابهة في وجوه أخرى؛ إذ يترك الأصل الأول في كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قرابة. وقد يبقى سوى ذلك، وكثيراً ما يبقى الأصل الأول لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منه؛ ولكنه لا يلبث أن يقضى عليه بعد أن يكتمل نمو هذه اللغات.

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر. فاللغة الهندية — الأوروبية الأولى، قد انشعبت في غضون الإنسانية إلى مجموعات كثيرة، وكل مجموعة منها تفرعت إلى عدة طوائف، وكل طائفة انقسمت إلى شعب، وكل شعبة إلى أفخاذ، وهكذا دواليك... ومثل هذا حدث للغة السامية الأولى ولجميع الفصائل اللغوية الأخرى.

وقد شهدت عصورنا التاريخية نفسها كثيراً من آثار هذا القانون، فاللغة اللاتينية، وهي إحدى لغات الفرع الإيطالي المنشعب من الهندية — الأوروبية، قد أصبحت هي نفسها في أواخر العصور القديمة وفي العصور الوسطى تنشعب إلى عدد كبير من اللهجات، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها، حتى انفصلت عنها انفصالاً تاماً وأصبحت لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها. وقد بقيت اللاتينية مدة ما لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا...) ولكنها لم تلبث أن تنحت عن ذلك بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات.

والعصر الحاضر نفسه يشهد كثيراً من آثار هذا القانون؛ فلانتشار اللغة الأسبانية في مناطق شاسعة من الأرض ولاختلاف الطوائف المتكلمة بها، أخذت تفقد وحدتها، فانشعبت عنها في أمريكا الجنوبية لهجات كثيرة تختلف كل منها عن الأسبانية الأصلية اختلافاً غير يسير في كلماتها وأصواتها، بل إن بعض هذه اللهجات أخذ يختلف عن الأسبانية الأصلية في القواعد نفسها[١].

وهذا هو ما يحدث الآن للإنجليزية والألمانية. فقد أصبحت إنجليزية الولايات المتحدة بأمريكا تختلف عن إنجليزية بريطانيا في كثير من المفردات وأساليب النطق؛ وأصبحت ألمانية سويسرا تبتعد عن أصلها ويزداد تأثرها بجارتها الفرنسية، حتى توشك أن تكون لهجة متميزة عن ألمانية الأصلية. وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المتشعبة عن العربية حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض؛ فلهجة العراق في العصر الحاضر مثلاً لا يكاد يفهمها المصري. غير أنه قد خفف من أثر هذا الانشعاب اللغوي بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين.

* * *

(١) منهم بفرنسا نفسها نحو ٤١ مليونا والباقي ببلجيكا وسويسرا وكندا والمستعمرات الفرنسية.

(٢) منهم بإيطاليا نفسها والباقي في سويسرا والمستعمرات الإيطالية.

(١) وقد ألف بعض العلماء كتباً مستقلة في بعض هذه اللهجات، ككتاب الأستاذ [illegible] في قواعد لغة شيلي.

والعامل الرئيسي في تفرع اللغة إلى لهجات ولغات هو سعة انتشارها. غير أن هذا العامل لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى هذه النتيجة. وباستقراء هذه العوامل في الماضي والحاضر يظهر أن أهمها يرجع إلى الطوائف الآتية:

١ — عوامل اجتماعية سياسية تتمثل في استقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويربط ما بينها من علاقات. وذلك أن اتساع الدولة وكثرة المناطق التابعة لها، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها... كل ذلك يؤدي غالباً إلى ضعف سلطانها المركزي، وتفككها من الناحية السياسية، وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض. ومن البين أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية.

٢ — عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان... فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير.

٣ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها... وما إلى ذلك، وما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وصحراوات... وهلم جرا — فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي، عاجلاً أو آجلاً، إلى فروق وفواصل في اللغات.

٤ — عوامل شعبية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها والأصول التي انحدروا منها. فمن الواضح أن هذه الفروق آثاراً بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

٥ — عوامل جسمية فيزيولوجية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق[1]

في الحال، ومع فروق كهذه، لن تلبث اللغة منفصلة عن أصلها الأول أمداً طويلاً.

• • •

فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة، تحت تأثير هذه العوامل، إلى جماعات متميزة، واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض في شئونها السياسية والاجتماعية، وفي خواصها الشعبية والجسمية والنفسية، وما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية، كل ذلك وما إليه يوجه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتية والدلالية وغيرها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها، فتتعدد مناهج التطور اللغوي حسب تعدد الجماعات، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد، حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها.

• • •

ويبدأ الخلاف بين هذه اللهجات من ناحيتين: إحداهما الناحية المتعلقة بالصوت، فتختلف الأصوات (الحروف[1]) التي تتألف منها الكلمة الواحدة، وتختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات؛ والأخرى الناحية المتعلقة بدلالة المفردات، فتختلف معاني بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها.

أما القواعد La Grammaire فإنها، سواء في ذلك ما يتعلق منها بالبنية (المورفولوجيا) أو ما يتصل منها بالتنظيم (السنتكس)، فلا ينالها في الغالب كثير من التغيير. وإليك مثلاً اللهجات العامية التي انشعبت عن العربية بالعراق والشام والحجاز ومصر وبلاد المغرب... فإنه لا يوجد بينها إلا فروق ضئيلة في نظام تكوين الجملة وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والتأنيث والوصف والنسب والتصغير... وما إلى ذلك؛ في حين أن مسافة الخلف بينها في الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حداً جعل بعضها غريباً عن بعض، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولكن هذه الوحدة في القواعد لا تقوى على مقاومة عوامل التفرقة إلا لأجل محدود؛ ثم تبين قواها وتستسلم لهذه العوامل،

(١) ترجع هذه الفروق إلى عوامل كثيرة منها العامل الجغرافي والشعبي المشار إليهما آنفاً تحت رقمي ٣ و ٤

(١) الحرف هو ما يرمز إلى الصوت في الكتابة، فالتعبير هنا بالأصوات أدق من التعبير بالحروف.

موضحين بها ما أصاب الصوت والدلالة من قبل، وحينئذ تقوى وجوه الخلاف بين اللهجات، وتسير مرحلة تحولها إلى لغات مستقلة، ولا تنفك تذهب حثيثاً في هذا الطريق حتى تبلغ غايته

غير أنه يبقى بها، على الرغم من هذا كله، وجوه شبه قريبة أو بعيدة في أصول المفردات وبعض مظاهر القواعد العامة. وإليك مثلاً عائلة اللغات الهندية الأوربية، فعلى الرغم من استحكام ما بينها من حلقات الخلاف، بقي الأصل الأول قد ترك في كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قربى وتشهد بخروجها من أرومة واحدة

ومن هذا يتبين أن اللغة لا ترث حسب أهلها. فإذا لم تعرضها لغة أخرى على الوجوه التي تقدم شرحها في المقالات السابقة، لا يطرق إليها الفناء، وخلودها هذا يبدو في أحد مظهرين: فإما أن تعمر وحدها، وذلك إذا ظلت حبيسة في منطقة ضيقة وفئة قليلة، وإما أن تنشعب إلى لهجات ولغات، وذلك إذا انتشرت في مساحات فسيحة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس

ومن ثم يظهر كذلك خطأ من يحاولون علاج تعدد اللغات بإنشاء لغة عالمية (إسبرانتو Espéranto) يتحدث بها الناس من مختلف الأمم والعصور. وذلك أن هذه اللغة الصناعية على فرض إمكان اختراعها وإلزام الناس باستخدامها [1]، لا تلبث بعد تداولها على الألسنة أن تخضع لجميع القوانين التي تخضع لها اللغات الطبيعية والتي خضعت لها أول لغة تكلم بها الإنسان. فما دام أفراد الأمم الناطقة بها مختلفين في أمزجتهم الشعبية وفي تكوين أعضاء نطقهم، وفي الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم، وفي نواحي الإدراك والوجدانية، وما دامت سنة الطبيعة تقتضي أن يختلف كل جيل عن الجيل السابق له في كل هذه الأمور، فلا بد أن تختلف هذه اللغة الصناعية في كتابتها وأصواتها ودلالاتها وقواعدها باختلاف العصور وباختلاف الشعوب الناطقة بها، وتنقسم إلى لهجات تختلف كل منها عما عداها، وتتفرع منها لغات تتسع مسافة الخلف بين لهجاتها قليلاً قليلاً حتى تنفصل كل لهجة منها عن أخواتها انفصالاً تاماً وتصبح غير مفهومة إلا لأهلها، فتؤول في ذلك إلى حال غيرها من اللغات. وهكذا لا يمضي زمن غير طويل حتى تتولد من هذا العلاج نفس المشكلة التي يحاولون القضاء عليها. «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم» — «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين»

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السوربون

(١) هذه فرضية، وإن كانت ممكنة نظرياً، يحول دون تحقيقها عقبات عملية جمة لا حصر لها

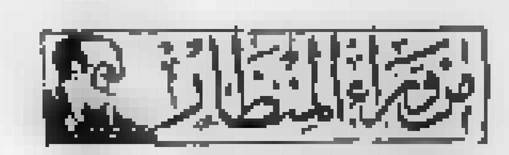


## صاحب الديوان

يؤلمك أن تلقاه صاحب «ديوان شعر»، فلقد كنت أخاف من أن تصاب به إلا من كانوا مثله من ذوي الأحلام والأوهام في هذه الدنيا التي أنت لا تعيش بالأحلام ولا تجري وراء الأحلام

وماذا علمت بعد هذا إلى من أعنيه بهذا اللقب؟ ثم لماذا صحت أن أسميه «صاحب الديوان»، وقد كان لفظا «الموظف» و«المتخصص» وما يجري مجراهما عندي من الترخص في عرض الحديث عن ذلك الشخص الذي تؤول له من أسباب الجاه والسلطان ما يسمو به على الناس، وسموا بذلك أم لم يرضوا؟ وما أرى مثل تلك الألقاب للتواضع إلا ضرباً من الخطأ أسبق مع الثقة في كلامه، فجمع له هذا الاسم الجديد، وجدي لو وفقت، على سمو أمر أكثر فائدة وأعظم جرساً وأجلى رنة

ولست أدري وقد وضع منظاري على أنماط وأشكال من أصحاب الدواوين إلى من أدور بحديث منهم أولاً، فإنه جملة في طليعة أصحابه فإني لست أعتبرهم جميعاً من حيث في ولو لحق بعضها من سطوتهم ما أحسن أحسبه القلم عليه

أأبدأ بالحديث عن ذلك الشخص الناجي المتعارف الذي لا يساوي الدنيا في نظره شيئاً؟ أم أبدأ بصاحبه الأرستقراطي المتحكم الذي يحمل الدنيا كلها على رأسه؟ أم أدعهما إلى ذلك المتكامل الذي أخذ يتثاءب على مكتبه وهو يتحدث إلى الناس في حسرة ويعامل الحاضر في ملل وينظر إلى المستقبل في يأس، ولا يني عن [illegible] من [illegible] والحقد على من يخلفوه ويرثوهم وكانوا [illegible] في صف واحد عنه بهذه الشروط؟ أم أبدأ من على غير ترتيب، فأتحدث عن ذلك الذي يجتمع له هؤلاء جميعاً وصفاته أكثرهم؟ وإن منهم من لا يكره أن يجمع كرسيه في أقرب فرصة!

[illegible] هذا، ولا حرج علي من هذه الحيرة إلا أن أعرض حديثي في هذه الكلمة صورة قريبة من أصحاب الدواوين في [illegible]

من طعامهم، على أن أتناول هذا الإفطار بجانب [illegible]

[illegible] تلك القاعة في شكل من [illegible] عشر من هؤلاء يتسعون إلى من حولهم [illegible] وهم [illegible] يرنون إليه حتى إذا فرغ من قصته انطلقوا يضحكون في [illegible] عظيم، ثم أخذ كل منهم يباري الآخر في التعجب على [illegible] من نكتة أو قصة مشابهة، ومضى على ذلك وقت ليس بالقصير، وأنا واقف في ركن من مدخل القاعة لا أدري من أقصد ولا أحد من يلتفت إلي؛ كأنما ركبت «صاحب ديوان» منهم لا حرج علي ولا مريبة في أن أكون معهم في حجرتهم

وكان قد مضى على بدء العمل أكثر من ساعة، ولكن أتى المكاتب كان لا يزال خالياً من الأوراق، وبعضها كان خالية حتى من أصحابها؛ ونظرت إلى الجانب فإذا نفر من الصبية يسعون وفي أيديهم صحاف «الصيجان»، و[illegible] يحمل «الفول»، وذلك يحمل «الطعمية»، وذاك لا يحمل غير القهوة

وأخذ أصحاب الديوان في تناول طعام فطورهم أو في شرب القهوة، ثم حلا ثلاثة أو أربعة، [illegible] أحدهم بصره إلى جريدة الصباح [illegible] الآخر ينظر إلى السقف كأنه يفكر في حل معضلة، ولعله كان ينتظر أن يفرغ صاحبه من جريدته ليتناولها بعده؛ وأخذ الثالث يفتح أدراج مكتبه ويغلقها ولا يخرج منها شيئاً؛ أما الرابع فقد تناول بعض «الدوسيهات» وجعل ينظر فيها واحداً بعد الآخر ثم يضع أحدها أمامه وأخذ يصفر بشفتيه لحناً جميلاً

وكنت قد جلست على مقعد حول [illegible]، ولبثت ما يقع وإن لم يكن في بدء عمل أن أكون أحدهم، ولعلهم ظنوا — إن كان منهم من [illegible] — أني أنتظر أحد الغائبين منهم على موعد سابق؛ وكان علي في الواقع أن أنتظر ولكني كنت أنتظر الحاضرين حتى يفرغوا من طعامهم وشرابهم أو من قراءة صحفهم لأستطيع أن أعرف منهم من يوجد فيه حل مسألتي

وأزف موعد [illegible]، [illegible] بالحافظ من الأوراق وأخذوا يوزعونها على أصحابها، وحال ذلك دون أن أتقدم إلى أحد فخرجت على أن أعود مرة أخرى إلى الديوان

«عين»

# عقيدة النازى المالية

للدكتور جواد على

تعتبر سياسة الوطنية الاشتراكية المالية وآراءها الاقتصادية (عقيدة) ؛ لأن النازية لا تعتقد بالنظريات العلمية ، ولا تعترف بالقواعد التجارية التي تسير عليها الدول الأخرى ؛ بل تدين بمبادئ ثابتة مكتوبة ونصوص تخضع لها ولا تحيد عنها من نصوص العنصرية والدم والأرض Blut und Boden وهي الفعال لتكوين حضارة أو مدنية في العالم ، والحضارة والثروة من نتائج الحضارة البشرية ، والحضارة البشرية Kultur في النظر الخارجي الفعال العامل الأساسي الحقيقي : العمل

فإن الخصوصيات شعب محتفظة بقوة وسلامة العنصرية من الامتزاج بالدم الأجنبي الدخيل[1] والروح التي تكون في كل جسم ، كما أنها في كل أمة ، هي التي تسيّر اقتصاديات أمة وتكيفها حسبما تريد ؛ لا الإنتاج كما هو مذهب كارل ماركس إذ يقول : « يسير الإنتاج بسير البشر[2] » ولا المادة كما عليه الماديون وأصحاب المادة ؛ والروح ليست من قبيل الأحلام أو الأفكار أو الاصطلاحات العلمية أو التي ترد في فلسفة أفلاطون ؛ بل هي حقيقة واقعة لا شك فيها ، يعلمها العلم لا المفكر البارد فقط[3]

وبما أن لكل شعب روحية خاصة وعقلية تميزه عن عقليات الشعوب الأخرى ، فاقتصاديات كل أمة وطلب التجارة يجب أن تكون وفق طبعها وقواعدها السياسية والعقائد الاجتماعية والشرعية وآرائها الثقافية المالية . وعلى ذلك يجب أن تعمل القواعد الاقتصادية وأساليبها خاضعة لمصلحة جماعة الأمة Volksgemeinschaft والدولة ، لا أن تجعل الاقتصاد خاضعاً لنظريات وقواعد عالمية وأمور عامة وحسبما أوجدته العلماء بصورة مجردة

نظرية لم تستند إلى قواعد العنصرية والنظريات التي تحيط بكل أمة ، هي لذلك مضحكة من كل من يحاول وضع قواعد عالمية عامة أو آراء أممية بحسب هذا المذهب . وهي تعتبر كل النظريات العلمية الثابتة اليوم والتي صارت قواعد مكتوبة بعيدة عن آرائها ومعتقدها[1] . وهي تحارب فكرة حرية التجارة وإلغاء الرسوم الكمركية ومبادئ « آدم سميث » و « ريكاردو » وجميع الـ Klassiker وهي بالجملة تقارب أصحاب فكرة حماية التجارة Patrioten وتفكر بها وتقرب من مذهب الـ merkantilismus الذي يحاول أن يجعل الدولة المسيطرة على جميع اقتصاديات المملكة ومواردها التجارية[2]

ولكنها تختلف هنا عن الشيوعية والبلشفية في نظرية إشراف الدولة في المسائل الاقتصادية رأساً . فالوطنية الاشتراكية ترى كما ترى حق الإشراف المطلق على سياسة الأمة الاقتصادية وتسييرها وفق مبادئها وآرائها ، فلا تتساهل مع كل متهاون أو متحايل لأنظمة النازي بواسطة القوانين التي تصدر والعقوبات التي تفرض على التجار وبواسطة المحاكم التجارية التي تنصب من بين رجال حزبها لا بطريقة الانتخاب وبواسطة هيئة وضع الأسعار التي تشرف على توحيد الأسعار Preiskommissar إلا أنها لا ترى وجوب اشتراك الدولة في البيع والشراء وإدارة المعامل والإنتاج رأساً ، ولو أنها تتدخل في الحقيقة في كل شيء ، ولها في كل معمل أو محل رجل معين من بين أعضاء الحزب يسمى Obmann لها يقين من كل شيء وذلك ما يخالف مبدأ البلشفية والمركسية التي تدير المعامل رأساً وكذلك الاقتصاديات الكبرى

وترى النازية أن خير حل لمشكلة العمل والعمال هو الاعتراف بعداً للملكية الشخصية والأعمال Der Kapital ولكنها ترى أن صاحب المال أو العمل من جهة أخرى هو مدير لماله أو عمله أو قائداً يتصرف به وفق الأنظمة والقوانين والطرق الشرعية

(١) انظر كتاب Probleme des Deutschen Wirtschafts- lebens 1937 ص ٦

(٢) انظر Hendrik de man Der Sozialismus als Kultur bewegung ص ٥

(٣) انظر Probleme des D. W. L. 1937 ص ١٦٤

(١) انظر كتاب الوزير Dietrich Klagges Reichtum und Soziale Gerechtigkeit 1933 ص ٤٠ وكتاب Deutsche Sozialismus 1935 ص ٥

(٢) انظر كتاب Friedrich Bülow Volkswirtschaftslehre Kröner verlag ص ٨٦ وكذلك ص ١٦

الشركة ، فيسمى Betriebsführer أى مدير عمل ، ويعتبر مسئولا إذ يتصرف المالك تصرفاً كيف يشاء بما يضر منه عملا على هذا . وعلى ملك موضع الأسعار والأجور وأرباب العمل وأسعار التصدير إلى الخارج أو البيع في الداخل لما به من حق أصحاب المال بل من حق الحكومة فقط[1] . وكل من يحاول استغلال ماله من طريق يخالف مصلحة الدولة يكون نصيبه العقاب الصارم أو الإعدام لأنه خائن للأمة وخطر[2] . كما أن كل عامل وكل مؤتمر على العمل حسب الإطاعة والخضوع لأنظمة العمال التي هي أنظمة الشعب والدولة وإطاعته أوامر من هو أعلى منه مرتبة ، وكل مخالفة سيكون عقابه العقاب الصارم أو الإعدام أيضاً .

تعترف النظرية بالأملاك وحب التملك كصفات غريزية في البشر ، ولكن تكافحها بشعار « النفع العام قبل النفع الخاص Gemeinnutz vor Eigennutz » وبهذه القاعدة ستؤدى وضع درجة سياسية حديثة تكون أسسها مرتكزة على التوجيه من الحكومة وعلى الإطاعة من أفراد الشعب أو الباعث وهو الطابع الخاص الذى تطبع به فلسفة الوطنية الاشتراكية . ونظراً إلى ذلك وجب محاربة الأرباح التي تنمو إلى كل شكل[3] وتخليص البشرية من عبودية الرابين ، وذلك بجعل أصحاب المال تحت سيطرة سياسة الدولة ، لا الدولة تحت سيطرة أصحاب رؤوس الأموال الذين يطلقون عليهم اسم Goldene Internationale كما هو الشأن في الدول الديمقراطية والأمريكية ، ولذلك يعتبرون هؤلاء مصدر كل حرب ويسعى إلى الأفكار ويتهمون هذه الدول بكونها تصنع السياسة اليهودية التي تؤدى إلى هذه الغاية[4] .

ولإنقاذ الشعب والحكومة من عبودية الربا وجب تنظيم الأرباح على الصناعة والربح على قدر العمل[1] وتخطيط تأميم كل المشاريع الكبرى والشركات الاحتكارية وتقسيمها إلى مقادير معينة ( ١٠٠ ) أسهماً من وجود على شركات كبرى لا يمس حصة المال الكبرى للميل إلى الأرباح دون الالتفات إلى التحصيل[2] ، وتخليص الفلاح من الديون . والفلاح هو العنصر الأول الأرى وكل سياسة اقتصادية لا تستند إلى محصولات الأرض Landwirtschaft تكون سبباً لهلاك الشعب ودماره ، والفلاح ويرى كما يقول هؤلاء ، أن سبب سقوط الشعوب هو إهمال الزراعة ، وبسبب تقدم الصناعات الكبرى توسعت المدن وظهرت روح حديثة هي روحية المدن بأمراضها المختلفة وازدراء الفلاحة وسكان الأرض وهذا مبدأ الانحطاط القاتل . لذلك كان من واجب الوطنية الاشتراكية مقاومة توسع المدن وإرجاع السكان إلى العمل في الأراضي خارج المدن وتعديل سياسة الاستيطان حديثة وإلغاء القوانين التي تجعل الفلاح في مرتبة من أهل المدن أو أقل منهم مكانة واحتراماً ، وتحويل المدنيين إلى قرويين ، وذلك حوداً للحضارة البشرية والروح الجرمانية التي يحلم بها هتلر ، وتحقيق الفروق الموجودة بين الشعب الواحد ، وتتميماً لهذه السياسة يرى وجوب الإشراف على جميع الأراضي وتوزيعها بحيث تحقق ما أراد بصورة عملية[3] .

أما التجارة الخارجية للشعب فيجب أن تشرف عليها الدولة كذلك وتحدد أسعارها . وتقوم بذلك الدولة بعقد معاهدات تجارية حسب رغبات الدول وحاجاتها لا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة أو الدول المقابلة الأخرى ، ويكتب هذه المعاهدات بالمقايضة لا بالنقد الذهبية كما هو الشائع الآن[4] . وأساس هذه المعاهدات هو نظام المقايضة أو مبادلة بضاعة ببضاعة ، وهو نظام تراه الوطنية الاشتراكية أكمل نظام طبيعي ، وقد كانت تتبعه قبل الحرب العظمى بسبب حصول التوتر الشديد فيما بينها وبين بريطانيا وهو الذى يجعل

(1) Friedrich Bülow و Volkswirtschaftslehre ص ١٩٤

(2) Gottfried Feder و Das Programm der N. S. D. A. P ص ٩ . و Feder هو من أهم الوطنيين الاشتراكيين والمفكرين في جماعة هتلر وهو الشارع لبرنامج هتلر وتمسك هتلر به في آرائه لم يتم في البوادر الأولى كما هو الآن حتى ظهر الحكم ولم يزل مستمراً حتى الآن

(3) انظر كتاب الاقتصادي الشهير الدكتور شاخت Dr. Hjalmar Schacht المسمى Grundsätze Deutscher Wirtschaftspolitik 1932 ص ٩

(4) انظر Hermann Göring في خطابه المطبوع سنة ١٩٣٨ ص ٢٦٩ وكذلك البرنامج المذكور ص ٩

(1) انظر نفس المصدر

(2) Das Programm ص ١٥

(3) Das Programm ص ١٦

(4) Rudolf Baumann و Wirtschaftspolitik des nationalsozialistischen Kraftquell 1938 ص ٤٥

إلى نقل الأمريكيين وغيرهم من سوق التجارة الألمانية إلى أسواق أمريكا الجنوبية، وذلك الذي تطلب منه واتخاذ أساس الشراء الحر

ونظراً إلى أن ألمانيا فقيرة في المواد الأساسية في الواجب إيجاد مصادر لها في الخارج ومن المستعمرات، وقسم ألمانيا سدس العالم إلى قسمين: أمم مستعمرة مستهلكة ومصدرة وأمم كتب عليها أن تقتصر لتزويد هذه البلاد الفقيرة ولكن ما هي القوانين التي تحدد قاعدة الشراء؟ الذهب أم الإنتاج؟ في نظر ألمانيا ليس الذهب بحجر عثرة وليس قاعدة للأمن ويظن في البلاد التي تمارس، وأن النشاط Fleiss والعمل هو رأس المال فقط وعلى ذلك فكل دولة تشتغل بنشاط وتكافح في سبيل قوتها ستكون هي المالكة الغنية في العالم، ولهذا وضع مشروعاً تحت مشروع أربع السنوات غايته الاعتماد على الشعب الألماني واستخراج كل ما يمكن من الأرض الألمانية بتحويل كل ما هو أجنبي إلى بديل ولو كانت أقل جودة وأرخص ثمناً. فالمطاط يجب أن يستخرج من مواد ألمانية صرفة، وكذلك الصوف والقطن والبنزين من الفحم الألماني، وكل مملكة تستغني عن الخارج هي دولة منحطة متأخرة؟ حتى مواد الأكل يجب أن تكون ألمانية محضة، ولذلك ستستخدم خطة مشروع أربع السنوات كل ما لديها من وسائل في سبيل إخضاع الأصوات وخصوصاً المصانع، عدم شرب القهوة أو الشاي بكثرة، ويحرم أكل القشدة المخفوقة على الأطعمة Sahne بالمرة اقتصاداً وحفظاً للنقد الألماني من التسرب إلى الخارج. ولكن ذلك ليس من السهولة بمكان، فقد اختفت الأقمشة الصوفية الجيدة من الأسواق الألمانية، وظهرت عوضاً عنها الأقمشة الصوفية المخلوطة mell woll واختفت [illegible] ولكنها أصبحت تكافئ أحسن الأقمشة البريطانية في الخارج، وتنافس منتجات الأمم الأخرى حتى في أسواقها. كل ذلك يجر النقد الأجنبي إلى ألمانيا وتقوية العملة الورقية فيها[1]

جواد علي

[illegible]

---

(1) انظر كتاب غورنغ [illegible] Göring Reden und Aufsätze 1938 ص ١٦٢

# عبقرية الشريف الرضي

## للدكتور زكي مبارك

ظهرت الطبعة الثانية من كتاب «عبقرية الشريف الرضي» في ورق جميل، وفي ورق فاخر، ورغم غلاء الورق، وهذه لمقام الشاعر العظيم الذي تفرد بإجادة التعبير عن خواطر المزاج والأرواح والقلوب

وكتاب «عبقرية الشريف الرضي» هو فن مبتكر في شرح عواطف الشعراء، وسيكون له تأثير شديد في توجيه الدراسات الأدبية

وهو أيضاً صورة دقيقة لمشكلات العقل العربي والإسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع [illegible] الذوق وبواعث الأدب

وتمتاز الطبعة الجديدة بزيادات وتحقيقات تتصل في شؤون طال حولها خلاف

يباع هذا الكتاب في جزأين كبيرين وثمنه معاً ثلاثون قرشاً، ويطلب من المكاتب الشهيرة في البلاد العربية

# أيها الأطفال !

للأديب أحمد محمود فهمي

أنتم أولاد الطبيعة أما نحن فأولاد الحياة

أنتم مصورون لنا الطبيعة في شكل آدمي لأنكم صورها الحية !

تفرحكم الدمى وتسركم الأضواء وتبهركم الألوان

لا تحتاجون إلى أسرار أيها الأنقياء الأطهار

وما حاجتكم إلى صدور زاخرة بالأسرار وأنتم الذين لا تفهمون الحياة إلا بسيطة سمحة لا تعقيد فيها ولا إشكال

تغنيكم عن كل مباهج الكبار ومسراتهم ، دمية صغيرة حقيرة ، تسعدون بها في عالم الفرح والسرور

حسبكم أنه ليس لكم بغض ، وحسبكم أنكم لا تعرفون الظنون

أأنتم لاهون عن الحياة أم الحياة لاهية عنكم ؟

تمر عليكم قافلة الحياة حافلة بالأماني والآلام ، وأنتم عنها لاهون ، كأنكم من غير أنين ولا آلام

لا تعرفون من الحياة إلا طفولتكم ، ولا تعرفون من الطفولة إلا الفطرة والسذاجة والإخلاص !

نحن نحتاج أحياناً أن نصاحبكم فنتذكر في ظل طفولتكم أيام كنا مثلكم ، ونشعر من مرحكم ولهوكم وعبثكم ما كان لنا في ماضينا الطفلي العجيب من لهو طاهر وعبث لاه ، في قلوب مطمئنة مملوءة صفاء ، تعرف كل شيء ، ولكنها لا تعرف غشاً

حياتكم هادئة مطمئنة لا يزعجكم فيها شيء ، ونحن نهرب إليكم دائماً كلما كدرت بنا الحياة ، أو اضطرب علينا صفوها ، وطاب لقاؤنا بكم في حجر الطبيعة الأم الحنون ، نحتضنكم ونتنقل بين أغراسكم الورود والرياحين

إن الحياة تفسد الطبيعة ، ولكن الطبيعة تصلح الحياة ، وإلا لما كانت الحياة تطلب من تعلقت به أحسن صلاح الطبيعة وبقاء الفطرة

أيها الأطفال !

لو كنتم تعرفون ونحن نريدون أن تتخطوا الطفولة سعياً إلى الكهولة ، ونحن كذلك نجري في طريق العمر في شوق لا يسعه إلا الله

إن منكم من سيظل طفلاً برغم تقدم الحياة والسن ، لأن الطبيعة قد طبعته على رضاه

وإن منكم من ستسلب منه الحياة فطرة الطبيعة ، فيصير كأهل الحياة ، يضمر مكرهم وحقدهم ، وتتلاشى من نظراته تلك الأضواء البراقة التي تعرب في طفولته أسراراً من لذة الطبيعة . والناس بعد الرجوع سيتنافسون مع الكبار ، وتتسمر عواطفهم في الصخب بعد الطفولة لا تعرف الناس في كبرهم ، ولكن هل كانت الحياة تستقيم على هذا النهج ؟

إننا إذا خرجنا من نطاق الصحبة أو دخلنا في نطاقها وجدنا نفسنا أحوج ما نكون إلى أن نتحلى ببعض أخلاق الطفولة ، فليست كل ميزات الطفولة غير صالحة ، فإن بين طباعها الطهر والعفة والصفاء ، وما أحوجنا في كل حين أن نكون أنقياء مثل صفاء السماء !

إن الطبيعة والحياة لا تتنافران ، بل ما أحوج المجتمع أن يمزج بين عناصرهما ليتحقق الانسجام والاتصال

يريد المصلحون أن تقل من المجتمع الشرور والآثام ، وهل يتحقق ذلك إلا إذا مزجنا حياة الكبير بطبيعة الأطفال

وماذا يمحو الشر والإثم غير الصفاء والنقاء ... ؟

الواقع أننا في حاجة إلى مدرسة الطفولة تحبب إلى الكبار فطرة الأطفال ، فتعلمهم أو تذكرهم بطبيعة الطفولة حتى تعرفهم بمباهجها ومزاياها من الطهر والسذاجة والنقاء

وهل يخشى من تربيتنا على الطفولة أنه كثير من أبناء الطبيعة ما أصبح من أبناء الحياة

أحمد محمود فهمي

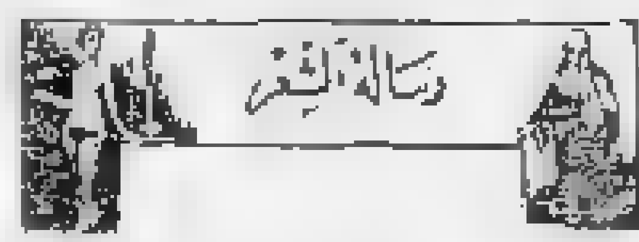


# عيد الربيع ...

للأستاذ أحمد محرم

هتف الداعي ، فلبوا يا رفاق ... واجمعوا شمل الهوى بعد الفراق

وجه الشمس صفا ، والجو راق ... [illegible] الساجع ، [illegible]

لا [illegible] فيه من [illegible]

[illegible] في بهجة عيد الربيع ... [illegible] من لحن البديع

[illegible] من الهوى عيد الجميع ... ليس [illegible] فيه من شفيع

عيدكم عيد اجتماع وتلاق

كان [illegible] ... [illegible] من شعره [illegible] الهوى

كم جريح فيه [illegible] ... كم جريح فيه [illegible]

كم مشوق [illegible] مشدود الوثاق

[illegible] الزهر ، ما أجمل [illegible] ... [illegible] يا [illegible]

[illegible] ... [illegible] الصب للحسن في هواه

[illegible] [illegible] صب [illegible]

لك من شعري ربيع دائم ... كل بيت فيه [illegible]

كل معنى فيه حب هائم ... كل حب فيه [illegible]

كل حلم [illegible] السمع [illegible]

مرحباً بالعيد ، عيد الشعراء ... [illegible] الحب ، وأبطال الوفاء

[illegible] ، [illegible] حول [illegible] ... [illegible] ، وجه الشهداء

[illegible] [illegible]

[illegible] ، ما هذا الجمود ؟ ... أقلوب تلك منهم ؟ أم جلود ؟

[illegible] موتى ؟ [illegible] الحب شهود ... ليس في الدنيا حياة أو وجود

حيث لا يوجد حب واشتياق

لا يحب الله من لا يعشق ... يشهد العقل ، ويرضى المنطق

كل حسن أو جمال يخلق ... [illegible] ؟ [illegible] يطلق

[illegible] في [illegible] يساق

كل حب [illegible] ... وقلوب [illegible]

[illegible] ، فلا [illegible] ... كل [illegible]

في كتاب أزلي [illegible] باق

يا كتاب الحب [illegible] ... حكم الأحباب [illegible]

في [illegible] ... [illegible]

وهو الناس عن [illegible]

[illegible] يا طير آيات الحبيب ... [illegible] حديث العندليب

[illegible] الأشواق في رفق [illegible] ... [illegible] في قلوب [illegible]

[illegible] ، والحب [illegible]

[illegible] الريحان ، يهديه [illegible] ... [illegible] الورد في الروض [illegible]

[illegible] الجو في دنيا [illegible] ... [illegible]

كل هذا من [illegible]

كلما [illegible] آيات [illegible] ... في [illegible] بين [illegible]

[illegible] وظلت في اضطراب ... إنما الحب [illegible] في [illegible]

[illegible] الدنيا [illegible] لا يطاق

[illegible] يا رفيق [illegible] ... [illegible] لأهل [illegible]

[illegible] في المهد [illegible] الصبوات ... [illegible] كأسي [illegible]

[illegible] يا صاح من كأسي دهاق

نحن في [illegible] ... [illegible] الأخلاق ، [illegible] النبيل

لا نبالي في كثير ، أو قليل ... كل من لام [illegible]

[illegible] والحب [illegible]

يا رفيقي ليس للحب [illegible] ... [illegible]

[illegible] ، أو [illegible] ... لا نرى إلا [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] عيد الزهر [illegible] ... [illegible]

[illegible] من بعد [illegible] ... [illegible] ، من [illegible]

[illegible] ، [illegible] ، وعناق

يا نشيد الحب من ذا صدحك ! ... [illegible] وقل ما أبدعك

كل طير يشتهي أن يسمعك ... [illegible]

كاذب من قال [illegible] بالعراق

أحمد محرم

من الشعر العربي

# الجبل الأبيض

[illegible]

[ مهداة إلى الدكتور بشر فارس [illegible] ]

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

يُطِلُّ على الكون من شاهقٍ ... كنسرٍ يُرفرفُ من حالقِ
ويلمعُ بين [illegible] الثلوجِ ... ويبرقُ كالماسِ [illegible]
له [illegible] كُسِيَتْ بالمشيبِ ... على طُهرهِ الأبديِّ القُدسي (١)
رصينٌ وسكنُهُ لم يَزَلْ ... [illegible] الغروبِ والناسِ
فما [illegible] عوذُ السنين ... ولا ضربةُ الزمنِ الساحقِ
شَمّاءُ في [illegible] السماء ... وطالَ على [illegible] الساحقِ
تموجُ عليه [illegible] ... ويبدو به [illegible] رائقِ
تمرُّ عليه ليالي العصورِ ... [illegible] الزجرِ والسابقِ
ويطرقه [illegible] السنين ... فيهزأ بالحدثِ الطارقِ

* * *

[illegible] صعدتُ إلى قمّته ... وطُفتُ على [illegible]
وقد دار [illegible] حوله ثورةٌ ... تذكّرني [illegible]
صعدتُ [illegible] إلى عالمٍ ... [illegible] للسمو [illegible] رائقِ
تخلّص من [illegible] الحياةِ ... ومن [illegible] الناعب الناعقِ
ومِنْ [illegible] بين القلوبِ ... ومن ضحكة الفجر [illegible]

* * *

هناك [illegible] صرح القرون ... يَدُبُّ على الثلجِ كالسارقِ
وقد طال [illegible] والمعترك ... كما طال ليلٌ على العاشقِ
وسال بياضُ الثلوجِ الكثيف ... على حُمرةِ الشفقِ [illegible]
وقامت على سرح أبراجه ... [illegible] الصباح [illegible] الخافقِ
[illegible] كلَّ طريفِ الجلالِ ... وكلَّ [illegible]

محمد عبد الغني حسن

(١) [illegible] (الرسالة)

# الفيلسوف المجهول

[ إلى روح المرحوم الدكتور [illegible] ]

للأستاذ عبد الرحمن الكيالي

صدفت ركائب الفكر عن [illegible] ... [illegible] في [illegible] آثاره
[illegible] الزمان إلى الزمان فعصرته ... من [illegible] الأيام في [illegible]
[illegible] بأدمعه الهموم وجلجلت ... في صدره [illegible] أفكاره
[illegible] فوق السماء وأرسلت ... [illegible] بالسحر من أنواره
كالنجم أبرق في السماء [illegible] ... [illegible]
لم يصبه [illegible] لم يزل ... [illegible] العروس [illegible] في [illegible]
ويرى الخلود نظرة أو صورة ... [illegible] أسمى [illegible] من أقطاره
ما [illegible] في [illegible] إلا [illegible] ... [illegible] في [illegible]
[illegible] أوطار الصبى ولم يكن ... [illegible] بالحادثات من أوطاره
ما ضره [illegible] نجيم حوله ... [illegible] بالسود من أستاره
[illegible] ... وهج [illegible] من أسراره
فيرفع عن [illegible] متكبراً ... [illegible]
[illegible] في [illegible] مترعاً ... ويرى النعيم الحق في [illegible]
[illegible] لا [illegible] ... [illegible] على [illegible]
لا [illegible] ... [illegible] في [illegible]
[illegible] ولم يكن ... [illegible]
[illegible] الفجر [illegible] ... [illegible] العين من أنواره
ويحكم الروض الأريج عبيره ... من كل [illegible] أزهاره
[illegible] الفكر [illegible] ... [illegible] الأبصار من [illegible]
[illegible] ... [illegible] القلب من [illegible]
[illegible] سبيلاً مرجعاً ... [illegible] فيه العقل من أسراره
[illegible] من دنيا الفنون ولم يكن ... [illegible] الفكر من [illegible]
[illegible] ... [illegible]
كشف الصباح [illegible] ... صبح الأنام [illegible] في [illegible]

## تواضع

كنت – في هذا الباب – منذ أسابيع بعض رأيي في الشعر والشعراء، ولم يكن من همي أن أستوفي كل الرأي فيها وليس من همي الآن أن أفصل ذلك، ووراءه من إشارات في بعض ما يغني من يأخذ، ويرضي من شاء أن يرضى، وأنا أحب أن أختم من يقرأ كلامي – فإن بعض من يتناول نقده من حدود الألفاظ ومعانيها ينطلق من وراء حدودها فيوسعه معاً مبهماً حتى يخرج بما يكتبه من اللغو الذي يرجعه إلى أحلام ووساوس وخطرات تجيء ثم تزول ثم تنقضي... ثم لا يكون رأيه فينا إلا وعاء من موضوع وهم، من غير معاد، فلذلك ... بعضها دون بعض

فأنا حين أقدم على التعرض الذي أريد من النقد أو البيان، لا أتشجع ... أستمده من تلك القسوة التي يوكل بها بعض من ... ولكنه إلا من الفراغ الذي يتملكه في اختلاق الأوهام واتساع ... ثم هو يخفى إليها – بعد أن تتصل

وفي الرقاد تلفعهم برموسه ... رحب الرداء ... يشعاره
فانساب تحت الليل يبعث لحنه ... كالمستجير من الصقيع بناره
ورنا عن أفق الظلام مُعبِراً ... [illegible] الأعماق حزن [illegible]
متنقلاً بين الأنام ووراءه ... [illegible] من وثيق إساره
حتى بدا صبح الظلام [illegible] ... [illegible]
أرست [illegible] وأشرق [illegible] ... ورنا الأرجة في [illegible]
[illegible] آماله من قلبه ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
ورد الحياة [illegible] من آمالها ... [illegible]

(عكا – فلسطين) ... عبد الرحمن الكيالي

منه ... لياليها ... وأنا أحب أن ... من صديق وكأن ليس بيني وبينه حجاب من مودة، وأن أكتب في عدوي وكأن ليس بيني وبينه حائل من غضب ... ليس من يتصل أن أمدح صديقاً أو أنتقد في عدوي فقد أخطأ، وإنما الطيب منه لا ... وذلك عيب عليه أن يعد عدواً وهما صديق، فهو من وراء اللفظ ومن تحته ومن فوقه ومن بين يديه معاني ليست منه ولا تمت إليه، وإنما نحن نستوفي الكلام ونحمله على وجوهه في الرضا والغضب، ونأخذ أنفسنا بذلك ما استطعنا، فإن الحق في هذا الذي نكتبه هو حق القارئ لا شهوات من يكتبه، ثم هو بعد ذلك رأينا أصبنا أو أخطأنا، وليس علينا أن نوافق هوى قارئ لأنه هواه، بل علينا أن نجتهد له في إخلاص الرأي الذي يراه ليأخذ منه أو يدع على تمييز من اقتناعه أو مخالفته، فهذه كلمة أرسلنا بها بيننا وبين القراء، نعتذر بها إليهم ونقيم لهم في ميدان مستقل من الرأي والنصيحة ... ونضيف ... كثير ... ونتشكى من ...

## الملاح التائه

أما «الملاح التائه» فذلك هو الصديق الشاعر المهندس «علي محمود طه»، وقد مضى بعد خمس سنوات فأنشأ في شاعريته ديوانه الثاني «ليالي الملاح التائه» ثم نشر شراعه ومضى. وقد أحدث ظهور هذا الديوان الجديد – في صومعة الأنس وشعره القوي الجميل – آثاراً في توجيه أنظار الشعراء إليه وإلى صاحبه ثم إلى الشعر عامة، ثم حسب الأدباء فيه بأحاديثهم وآرائهم، ولمسوا نبراً كثيراً من الأعراض التي اشتملت عليها صفحات هذا الديوان الثاني من شعر «الملاح التائه» ونحن لن نعرض لشيء مما قيل في ذلك إلا كما يخرج الكلام عن موضعه بالإشارة والتنبيه والدليل على مقدار السياق

## والشعر أيضاً

ولا بد من أن نعود مرة أخرى للحديث عن الشعر عامة، ليكون بعض الرأي فيه مدخلاً للكلام عن «الملاح التائه»،

بل أكثر ما قيل — من مراتب هذا الشاعر — إنما مرده إلى آرائه المستترة في معنى الشعر، وما هو؟ وكيف هو؟ وإلى اتصال طبيعة الشاعر وفطرته ومن أين تأتى، وأنى تتوجه، وكيف تجرى به إلى أهدافه على بساط لا ينفك منه أراد أو لم يرد.

وليس يشك أحد أن الشعر في أصله هو مصادر يردّها الشاعر، وأن هذه المعاني ليست إلا أفكاراً عامة يشترك في معرفتها كثير من الناس، وأنها دائرة في الحياة على صورها التي تأخذها بها كل مفكر، ويحاولها من جهته كل مفكر وأديب — إذ كان كذلك — فليست شيئاً جديداً في الحياة ولا في مذاهبها وأوساطها ومطالبها، وإنما تصير هذه المعاني شعراً حين يمر بها الشاعر في صورة من قلبه وخياله وإرادته ونفسه، فيجدد الله هذه المعاني تجديداً ينقلها من المعرفة إلى الشعور بالمعرفة، ومن إدراك المعنى إلى التأثر بالمعنى، ومن فهم الحقيقة إلى الاهتزاز للحقيقة، فيجد المعنى الغريب وقد شقت النفس إلى أعماقه الأخفى وأسراره الخفية، وكأنه قد خرج من صورته التي تُعرف عنه في الحياة إلى الشعر الأول الذي جمع هذه الصورة، وإلى الصلة التي تصل ما بين القديم إلى الجديد البعيد الذي لا يُرى ولا يُحس.

فالشعور والتأثر والاهتزاز هي أصل الشعر، ولا يكون شعر يخلو منها ومن آثاره وتأثيرها إلا كلاماً كسائر الكلام ليس فيه من الشعر إلا الوزن والقافية، وهذه الثلاثة لا يكتسب الكلام من معانيه من حيث هي معانٍ معقولة مدركة، وإنما هي فيه من روح الشاعر وعصبه، ومن حيث الشعور الأبدي التي تجرى في دمه، ما كان يستحق من نفس الشاعر، وما صوّره وآمن به، وما إحساس أحس به. فهو لا يكون من شعره إلا حين يتحول في روحه وأعصابه ودمه إلى أخيلة خالصة حرة تبحث عن ربها وتبعثها من أسلوب الشاعر وألفاظه، ثم تريد بعد ذلك زينتها من حسن الشاعر المتصل منه في معانيها الجلية كأنها صفاته له وبعثت أحلام شعره في رضاها وأمرها، وتصير كيماني حرّ في الشاعر من تطلبه حيلة الخلاقة المعرفة، يكون الشعر الذي يحس الصدى الجلية التي تصبح في دمه من معانيه.

والشعر على ذلك هو فن تجميل الحياة، أي فن أرواحها الرائعة في سحب من الألحان المرددة التي الغريبة، ومن أعراقها الناعمة في صفاء التأملات الخالصة في الشعائب الحبيبة المتولة، ومن ثوراتها الزاخرة في أمواج من الأفراح والأحزان والأشواق، قد كُشفت وراء أسرار الحقيقة القديمة المتولة في وقت معاً.

وهو على ذلك طبيعة الحياة، أي طبيعة السمو الحي، إلى السر الأبدي الذي يبث في الحياة سروره للمشاهدة المبهمة التي تُرى ولا ترى، وتظهر ولا تظهر، وتترك العقل إذا أرادها حائراً مبالغاً مشرداً في سبحات من الجمال تغنى به بأفراحها كما تغنى بأحزانها، وتفرح بكليهما وتحزن، فربما سعدنا أحياناً، وحزنا سعدنا أبداً.

وإذا كان الشعر هو طبيعة السمو بالحياة، فمعنى ذلك أنه النظام العقلي الحسي الذي يبلغ من دقته أن يكون منطقه إحساساً مسدداً لا يخطئ ولا يبيع ولا يخطل ولا يتناقض في أسلوبه الفني ونظامه الشعري البديع، وهذا النظام العقلي الحسي الذي يقتضب علة أفكاره من طبيعة لا يستطيع أن يشعر أحياناً، ولا يشعر أحياناً، كما قال بعضهم، ولا يستطيع أن يفيد زمان ومكان يستوحى منه الشعر ثم لا يكون هو يستوحى من غيرها، كما ذهب بعض أصحاب الكلام إلى القول حين ظهر «بالي نلاح الفائدة» في شعر الطبيعة المصرية، وشعر الطبيعة الأوربية وما إلى ذلك من فضول الحديث.

إن هذه الحاسة النافذة للفكرة القابعة في الشاعر تأخذ مادتها من تساقط الرؤى في كل أرض وتحت كل سماء؛ ورب حزن أو فرح تأخذه هذه الحاسة في موطنها ومنشئها ومدرجها ثم يكون اللألاء المنبعث في مطارح الضوء، هي التي تمحص عنه مهارها وتمسحه حتى تطويه جلاء الرآة إمحاءً ما تمثل صورها التي تجرى في حلب إلى دم الشاعر ثم إليه منه أخرى، ولا تزال كذلك بين الأخذ والإعطاء حتى تجنى ماء الينبوع من سكرة الحياة الشاعرة.

فلا يخدعنك ما يقول فلان وفلان، فإنهم إلا أعلم قد ركبت في أقفائها تركيباً مرجباً على خطأ وفساد، كما ركبت حضرموت ويطشه تركيباً مرجباً على صحة وصواب.

### ليالي الملاح التائه

كل من الديوان شعراً من شعر « علي طه » بعد رحلته من مصر إلى أوربا في خلال هذه السنوات التي انقضت بعد نشره الجزء الأول من ديوانه وهو « الملاح التائه » . وقد كانت هاتان الرحلتان وحياً جديداً في نفس الشاعر وأحاسيسه وأحلامه ، وكانتا تطوراً في حياته عامة وفي أفكاره خاصة ، ولم يكن بد إذن أن يجد القارئ بين الديوانين فرقاً بيّناً بين شعر « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » . وليس هذا الاختلاف بشيء أنشأه فإن شاعريته لم تزل هي ما هي في كليهما على عهد لم يختلف ، ولكنه نزع في هذه الطور الجديد إلى السهولة وطرافة وصياغة المعاني والألفاظ صوراً وبين من موضوعاته . ولعل ذلك من رأى أنه انطلق من قيود مصر في أول رحلته وخرج مشغوفاً يستمتع بروائع الحياة الأوربية الزاهرة بروائع الفن ويسحر من الحضارة والعلم ، وراح للفنون الشعرية بحث في مواسم الفن الأوربية ، وعدّ من مسكرات الخيال المصري والمعاني البديع الذي تستعيده أعين الحضارة الرتيبة السمحة اللاهية ، والتي أبدع للعين مشكلاً إلا لبث به واستخرجت كثيره وتلاعبت بها في أصول أخرى غير التي بين حلب الفن القديم المترع المسكر ، وعرضت له الصور التي تسرق الناس عقولهم وتهديهم حقدهم ، ووقع في مذاهب موقفاً لا تبعث منه إنسانية الإنسان أن تستمع من جميع ما حبها الحبيب من الكد والسكر والفرح . كل ذلك حر ، وحر أحسه وأتى عليه من وحيه وتركه يتحول من الشعر على السجية غير متكلف ولا متقصّع ولا راغب في الكد والعناء ... وحقيقة النفس التي تريد البديع فإذا أدركته طلبت الأبدع ، ثم تبعث منه إلى ما هو أبدع منه ؛ لا تهدأ ولا تقر ولا تستريح إلى جيل

كان هذا — فيما نرى — وكانت نفسه الشاعرة القلقة — والتي تهجم بصاحبها على أبكار المعاني مشوقة الشباب المتمرد — قلقت نفثت الصاعقة ، تكاثر الصبح بين يديه ، فما يدري ما يأخذ وما يدع . وهو مع ذلك لا يزال يذكر مصر وأحبابه ويهوى قلبه ، ومن يريد أن يصنع فم حياة من تحييه ؟ فهو يشتت إليه يحنّ إليه حنيناً ، ويذكر وصاياه . هذه العواطف المتنافية تكون شاعريته ، والتي تمزج بألوانها وتعاريجها ، هي التي جنحت به

إلى السهولة والرقة والتزل بأحلامه ويحياته وأشواقه ، ومن غير الممكن أن يظل الشعر الشعري غير مستجيب إلا أحسن تكلفاً واستكراهاً وحيرة .

### الجندول

« وإذا أردت أن تعرف مدى الذي نلنا به من الشعر المتعمدة في تجربة هذا العمر ، فاقرأ هذه الأغنية الجميلة التي ترنم بها الشاعر للموسيقى ، ثم أعطاها للموسيقى المبدع « عبد الوهاب » فجرى شعرها في ألحان هي من شعر الموسيقى —

فإن الشاعر حين نعت به ملك « عروس الأدرياتيك » في كرنفال الشهير ، ونظر في أحسن الطبيعة المتطرّفة وطافت نفسه من حيث التي عرضت في صبابته — أرى هذه في أجمل حيّ في سحر الليل اللعوب في أجمل من الحضارة وأحلى الدين اللهو والعبث ، والضحكات التي تتردد بين أصوات كبرياء حتى كأنها أمواج من الصوت تصحك ضحكها — لم يستطع أن يحبس تلك الأمواج المرحة للمرح في إحساسه الشاعر ، حيناً يترنم

أين من عيني هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال
أين عشاقك سمّار الليالي أين من واديك يا مهد الجمال

ثم انطلق بعنف عاطفته وجو خطفته وعطر عاطفته ، كل ذلك بالفرط غزلية عاطفية ، تقتبس أنغامها من المعاني المرحة ، حتى في بعض الرومة المتحكمة وراء نفسه ، والتي استمتعت في قوله « أنا من ضيع في الأوهام عمره »

بعد أن قال :

ذهبيّ الشعر شرقيّ السمات مرح الأعطاف حلو اللفتات
كلما قلت له : خذ ، قال : هات يا حبيب الروح يا أنس الحياة

كل ذلك والشاعر في مرح ونشوة وخيال وافتتان ، وكأنه نسي الدنيا التي وراءه جميعاً كأنه نسي الشرق أو أنسي ذكره — ولكنه لا يلبث بعد ذلك قليلاً حزيناً عجباً ، هو دليل الشاعرية الصحيحة التي تشتمل على مكونته النفسي ... يقول :

قال : من أين ؟ وأصغى ورنا قلت من مصر ، (غريب) هنا

( غريب ) ، هذه كلمة الشاعرية في سكانها من العاطفة وفي أقصى مداها من التأثير ؛ إنه غريب يبكي من الغربة والحنين

[illegible]

# هـــــذا أستاذ

## للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— هل تستطيعين أن تتحمسي في ترشيح صاحب ديوان (الجداول) ليكون أستاذاً في كلية الآداب ؟

— ديوان «الجداول» هذا ، ومن صاحبه ، وأي شيء ... وما الذي يحملك على تحمسي حتى تطلب له أن يكون أستاذاً في كلية الآداب عندنا ، وأنت تعرف أن للأستاذية شروطاً ، منها أن تكون الأستاذية متصلة على الدكتوراه ؟

— ديوان الجداول هو مجموعة من شعر إيليا أبي ماضي ،

وهو «مستحق» أن يكون أستاذاً في كلية الآداب ، أما الدكتوراه فشهادة يلتمسها [illegible] ولكن إيليا أبا ماضي لم يدرس [illegible] ولا كتاباً [illegible] بعد من هذا الوجود المحسوس الذي يعيش فيه ، ثم جاء إلى الناس يروي لهم ما رأى وما سمع وما أحس وما أدرك ... وهو من كثرة تجواله في آفاق الكون ألمّ بالكثير من حدوده ، وأحاط بالكثير من ظواهره ، فهو يستطيع أن يكون رائداً لجمهور من التلاميذ ينبههم ، ويرشد منهم من يسترشد ، ويوجه منهم من يتحير ، ويمنع منهم من يرتبك ، ويعدل منهم من يضل ... وهذا هو عمل الأستاذ ، أستاذ الأدب .

— هذا عمل المتفرغ من حياته المتخلي عن عمره وليس عمل أستاذ الآداب .

— ولن يكون الإنسان أستاذاً للآداب إلا إذا تفرغ من حياته واستغنى عن عمره ، واشترى بهذه الدنيا شيئاً آخر ، هو الأدب . والأدب ليس كما تحسبين كلاماً منمقاً منسوقاً يبعث الناس قدرة على تذوقه ، ويحسن الأمر يحبرون عنه ، وإنما الأدب روح قوية يجاهد الطبع في تقويم نفسه بها ، وغير قليل [illegible] بما يربيه عليه أبوه أو أصحابه ، والناس [illegible] كثير ، قليلاً ما يرتقون إلى المعنى ، وكثيراً ما [illegible] منهم من [illegible] ينطلقون في الحياة [illegible] حيناً ، ويتخبطون أحياناً بين الرذائل والفضائل ، ولكنهم لا يستقرون في صيغة إلا ما [illegible] مجتمع الناس المتمردين الذين يعيشون [illegible] ، وليس يعرض هذا المجتمع كثيراً من الفضائل ، فهو كمجتمع المتمردين والمتسوقين من الناس ولكن الذين [illegible] .

— وهل تفرغ إيليا أبو ماضي من حياته حقاً ووفر على تأديب نفسه ، هو إنما قدر على أن يؤدب غيره ؟ وإذا كان قد فرغ من حياته حقاً فأين يأكل ... وكيف يعيش ؟

— إنه يأكل كما تأكل الطير في السماء ، ويعيش كما يعيش الحر الكريم [illegible] سنوات وسنوات هبط مصر وأراد أن يستقر فيها ، فأعد لنفسه عملاً يجيء به [illegible] والمحل ووضع عليه

---

والذكرى [illegible] هذه الشكاية من الشعر [illegible] كل الشعر والسلامة ورأيه في العرائس التي [illegible] بعد [illegible] أوربا [illegible] قال : من مصر [illegible] الذي لا [illegible] والذي يكون في شعر [illegible] الشعر إلى سؤال [illegible] من فصول قائم على طريق [illegible] استخرجه الفصول والأحجية — ثم في بعد ذلك [illegible] إلى [illegible] أن الشاعر [illegible] فقال : من مصر ، ثم أقبل بوجهه إلى مصر ، [illegible] يومها بيده ويمسح [illegible] بيده ... [illegible] الفرح [illegible] — وهو يقول : (حبيب [illegible])

هذا ... وقد أحدث [illegible] للوضع [illegible] من القصة [illegible] الآن ، [illegible] من [illegible] من أمثال ذلك كثير ، [illegible] دليل [illegible] التي لا [illegible] ولو أحسب [illegible] على هذا الأساس الذي كشفت لك عنه في حديثنا عن الشعر [illegible] على روائعه التي هي روائعه

محمود محمد شاكر

أصحون الجبل بك فرآه يكتب شعراً في الدكان ، فقرأ شعره فأعجبه شعره في مجلة كان يصدرها ، فقامت قيامة الأدباء والشعراء المصريين عليه فأوسعوه نقداً ، وأوسعوه تجريحاً ، وتناولوا ألفاظه ونحته وراحوا يناقشونه في هذه الفاء ما موقعها من الإعراب ، وهذه الشين لماذا هي مفتوحة وهي في الأصل مضمومة ، وهذه الهمزة ، لماذا حذفها وهي همزة وصل ؟ وتكاثروا عليه ، وكان في مصر إذ ذاك أمير الشعراء هو المرحوم أحمد شوقي بك ، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول كلمة يقطع بها ألسنة من يجد رأى هؤلاء الذين ينعون الشعر بمصر ما يصلح نقداً للشعر ، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول لهؤلاء النقدة : إن أربابا بالشعر أن يعيبه هذا الذي يرون ، يعيب اللغة والعروض والنحو وسائر ما يتصل بالقواعد والدرس ، وإن أروع الشعر فوق هذا كله ، هو حديث النفس للنفس من الله وليس لله لسان ما ينطق به ، كان شوقي بك رحمه الله يستطيع أن يقف من زيليا هذه الوقفة ولكنه — رحمه الله — كان مشغولاً بشعره هو وبنفسه هو ، وبالتاج العريض الذي أوسعه فيه الرأي ، فلم يحضر مطلقاً يلقى حدث الأذن حتى ، ولم يطل أو يلقى صبراً على هؤلاء الناعين منذ رحلته إلى أمريكا ، حيث يتكلم الناس بالإنجليزية ، وحيث لا يعيب إلا الباحثون عن الرزق ، والمطرودون من أوطانهم وأجنبهم مصر ، ثم استطاعوا هناك في أشد مجامع الحياة ازدحاماً واضطراباً أن يعصروا اللبن والن يهبوا له كرسيه ، لا دين يجمعهم إلا الغربة ولا مستعبد يرجعهم عن الأرض ! وهنا تشكل أمريكا هناك ماضي ، ولقد حس أبو ماضي ماضياً هناك عقيدتها السمير وهو يقول : إنه أيضاً متجراً للعقل والسحاب أيضاً ! وراح بعد ذلك يتأمل الدنيا وجوه إلى الآخرة ، ويقف على الروح ما ينكشف له من حقائق ، وما يجمعه من البحث ، ويعرض على نفسه بلاغها وعصورها ، وحبرها وشرها ، وعددها وحبوبها أفلا يصح هذا أستاذاً لأدب النفس ؟ فإن كان لا يصلح ، فمن ذا الذي يصلح ؟ !

— ولكن هذا الذي رويته من حياته يدل على أنه من رجال الدنيا الناشرين الذين يعبرون وراء الرزق والسائقة من آسيا إلى أمريكا إلى أمريكا فكيف تقول إن هذا الرجل ترفع عن الحياة واستعلى على ماديها ؟

— الرجل طير من ... هو إلى جانب ذلك ولكنه لا يقضي كل وقته في البحث عن جدته ، وإنما يقضي ... في الشعر والترتيل مهما طبعه وقد تخلص منهما ، وليس الأكل من طبعه إلا كما هو من طبع الخلائق ، وليس الشعر والترتيل من خصائص غيره إلا من كان على طرازه من الخلائق . ... ماضي لم يجد رزقه في الشام فطار إلى مصر ، فوجد حب الرزق مقدوراً عليه فطار إلى أمريكا ، فوجد فيها رزقاً ... طاهراً ... كثيراً وقد يكون قليلة ولكنه في غير محسود ، فلا عجب إذا اطمأن أبو ماضي هناك ... ولكن ترى أنه حن إلى الشرق ، ومن أحب حنينه يحنّ إلى مصر فهو يقول

| | |
|---|---|
| وطنان أشوقهما أكون إليهما | مصر التي أحببتها وبلادي |
| ومواطن الأرواح ينظم شأنها | في النفس فوق مواطن الأجساد |
| حرصي على حب الكنانة ... | حرص الشحيح على ... |
| بلد الجمال خصيبه وجديبه | والفن من مستطرف وتلاد |

هبطت مواكبها الشعوب فكم أمة

إلا بمصر لنضرة الآباد

ولكن هذا شعر يسير الفن قريب المحظ ... ليس له شعر أجل ؟

— له ... له كل هذا الديوان الذي في يدي ، وله غيره ... وبارك الله صاحب الرسالة الذي ينشر فيها بين حين وحين شيئاً من شعره ... وكم أريد أن أقول أيضاً جزاك الله لوزارة المعارف لو أنها عطفت على ... وطلابها ويسرت لهم شيئاً من هذا الشعر

— ولكنه لا يزال حياً يرزق ، والوزارة لا تعنى إلا بمن فارق الحياة

— قال الله ولا قالك ، فوزارة المعارف تعنى كلام الأستاذ المحترم الموظف بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تعنى كلام الأستاذ أحمد أمين مصر لدى وزارة المعارف ، ووزارة المعارف تعنى كلام الدكتور طه حسين بك مراقب الثقافة بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف ... لا تختص إلا من كان في وزارة المعارف ...

صاحب كتاب الطبيعة، وعبد الفتاح صبري بك، وكل ما في الأمر أن الصور تتبدل وتتغير، وأن الكلام يختلف ويتشكل، ولكن الأمر لا يزال كما كان: موظفون يؤلفون كتباً ثم يؤلفون لجاناً تقرر الكتب ...

— وحقاً لا أكثر من هؤلاء الأساتذة الأجلاء إنهم أصحاب أهواء ولا مطامع لهم الأدباء الذين في البلد، وهم الشعراء وهم الكتاب، فلم لم تأخذ الوزارة كتبهم فأي الكتب تأخذ؟

إن أساتذتنا هؤلاء هم أساتذة الجامعة، فاحرص منهم أن ... أسمهم ... لأنهم على العكس من إيليا أبي ماضي هو يتاجر في الدنيا بالأدب ويخرج للأدب لا يأمل ... وهم يتاجرون بالأدب ما كانوا منه لا يشعرون بأنفسهم، ولا يشكرون الله على ما يسر لهم من وظائف.

— ... أنك غني، وفي أنهم أوسع ... وفي أنهم يتحشرون في سبيل ... البلد ما أسأل الله أن يجزيهم عنه خيراً ...

— آمين — إيليا أبا ماضي بعض الناس:

أتعرفون إنه عصفور
أتقولون إنه مغرور
أتعرفونه شاعر مسكين
... كم ... كم ... وإن كان شاعراً مسكينا
حتى ملك لم يكن مذكورا
... كالسيخ كان صبورا
... إن يرد ...
أرأيتم ... أي ... سورهم ...؟

— هل هو زاهد؟

— نعم، وهو يقول في الزهد:

قيل: أدرى الناس بالأسرار سكان الصوامع
قلت: إن صح الذي قالوا، فإن السر شائع
عجباً! كيف ترى الشمس عيون في براقع
والتي لم تتبرقع لا تراها؟

لست أدري ...

— إذن فهو يسخر من الزاهدين ...

— إنه لا يسخر من شيء مطلقاً وإنما هو متطلع إلى الوجود

يتطلع الملك ... حكمة ... أمور ... لا يزال كما ... في ... بين ... من ... يقول

إني جئت وأمضي، وأنا لا أعلم
أنا لغز، وذهابي كمجيئي طلسم
والذي أوجد هذا اللغز لغز مبهم
لا تجادل ... ذو الحجى من قال إني ...
لست أدري ...

— إنه كافر

— الكافر لا يقول الناس:

... كل الأيام
... في عالم الأحلام
... الليل ...
... أمنا ...

— إذن فهو مؤمن ...

— ... أو ... على ترجمته للأستاذ ... في كلية الآداب ... شعراً، ... أدباً، فإنا ... أن ... على ... ديوانه

... محمد ...

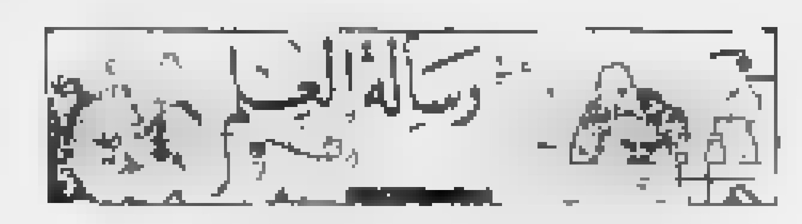


# تضارب في الرأي

## يؤدي إلى كشف خطير

للدكتور محمد محمود غالي

من الفكرة الجسيمية إلى فكرة الأثير — تغير العلماء فكرة النيوتن والشائبين فكرة جديدة — عودة «بكرون» والأثير — تغير الفكرة الحديثة وتجارب — تطور يظهر من تعديل في الكتابة النيوتونية — لا تعديل في الضوء

ومر القارئ في مرحلة من العلوم صادفت خلاف الآراء، تلك المرحلة التي حاول الإنسان فيها أن يفهم الظاهرة الضوئية، ويتعمق في معرفة كنه «الفوتون»، وهو القدر التي تتكون منه الأشعة على اختلاف أنواعها، والتي كانت عند «نيوتن» جسيماً مادياً، وعند «فرنل» موجة، وهي اليوم عند «دي بروي» جسيم وموجة مصاحبة له. وقد شرحنا للقارئ النظرية الجسيمية للضوء التي تنسب إلى «نيوتن» والتي ترجع إلى أن الضوء مكون من جسيمات صغيرة مقذوفة في الفضاء في خط مستقيم وبسرعة كبيرة، وذكرنا أن ظواهر الضوء الهندسي Optique Geométrique من تكوين ظلال الأجسام عند وضعها أمام منبع ضوئي ومن انكسار الأشعة الضوئية عند اختلاف نوع المادة التي يخترقها الضوء، يجوز تفسيرها بالنظرية الجسيمية النيوتونية، وعرضنا للقارئ ظواهر أخرى للضوء مثل ظاهرتي التداخل والاستقطاب اللتين كشف إحداهما «توماس يونج» Thomas Young لا يمكن تفسيرها بالنظرية الجسيمية القديمة، ويمكن ذلك بالعودة إلى فكرة موجية، فكرة أثيرية أسسها الرياضي «هيجنز» والمهندس الطبيعي «فرنل»؛ وذكر القارئ اليوم أن ظاهرتي التداخل والاستقطاب لم يكونا وحدهما سبباً لتغير الفكرة النيوتونية واعتناق المذهب الأثيري، بل إن ثمة ظاهرة أخرى من أهم الظواهر الموجية وهي ظاهرة «الحيود» في الضوء Diffraction، وسبق أن فسرها العالم «فرنل» بفكرة «يونج»، وأمكن تفسيرها بالنظرية الأثيرية أو الموجية المتقدمة، وتتلخص هذه الظاهرة في أنه قد ثبت بالملاحظة، عند ظروف معينة، أن الضوء لا يسير في خط مستقيم كما هو المعتقد عند العموم، بل إن الأشعة الضوئية عند مقابلتها حداً حاجزاً أو حافة مستقيمة تميل بحالة تدل على حيودها عن مسارها، وتكون نتيجة ذلك في ظاهرة تشبه ظاهرة التداخل التي تكلمنا عنها.

وأمام ظواهر طبيعية لم يكن يعلمها الأقدمون شيد الرياضي الهولاندي «هيجنز» هيكلاً رياضياً رائعاً، وقام «فرنل» بتجارب دقيقة حد الإتقان وحسابات لا يتطرق إليها الشك، وهو ما نعنيه بالنظرية الموجية للضوء، وتتلخص هذه النظرية فيما يهم الظواهر الضوئية في أن الضوء عبارة عن أمواج تحدث في مادة تملأ الكون وتسمى «الأثير»، وفي هذا الأثير الذي طالما سمع القارئ عنه في الكتب العلمية البحتة وفي البحوث الفلسفية، والذين يدرسون اليوم منا تلك المسائل الباهرة لـ «هيجنز» و«فرنل» ويعيدون بعضاً من هذه التجارب الرائعة يتحيرون في الواقع في هيكل من أجل الهياكل التي شيدها الإنسان المفكر ويشاهدون ناحية من أبدع نواحي العلم التجريبي، وهكذا كانت فكرة «فرنل» بالوسط الأثيري الذي افترضه افتراضاً تجعله عليه دعت به إلى حد صفته «الأثير» مادة لا وسائط الأرض، وذلك لإتمام حسابات رياضية حاول أن يوازن بها الموجة التي يتحرك بها هذا الأثير عندما تتحرك المادة فيه، وقد جاءت تجربة «فيزو» Fizeau الذي قام بقياس سرعة الضوء في أنبوبة تحمل ماء متحركاً على أن سرعة الضوء في الماء متحركاً تختلف عن سرعته في الماء الساكن، وبذلك يثبت بطريقة تجريبية حركة للأثير وهذا فرض للذي نظر إليه كمادة موجودة في الوجود تسري عليها قوانينها الطبيعية ويعاملها معاملة ميكانيكية، ولم يصبح الأثير حينئذ فرضاً رياضياً فحسب بل مادة كائنة في الوجود تطبق عليها قوانين «جاليليو» و«نيوتن» الميكانيكية، وكانت ظواهر التداخل والاستقطاب والحيود السبب في تصاعد هذا النوع من التفكير، ومن تأييد نظرية أثيرية موجية

يصح أن نسميها هنا لأول مرة: « النظرية الفرنجيارية » نسبة لاسمي فرنل ويجاز

ولكن رغم هذه الاعتراضات القائمة على الأثير وسطاً عجيباً، إذ يجب أن يكون له خواص الأجسام الصلبة بحكم أن الضوء أمواج مستعرضة وليس أمواجاً طولية، وكان الفكر في موضوع الأثير من عرض نظري فحسب وقائع معينة سبباً جعل العلماء ينظرون إليه بشيء من عدم اليقين، ولم يكن هناك إثبات وجوده وحركته غير تجربة واحدة لفيزو، ولا يمكن اعتبارها تجربة وحيدة وصادرة من مصدر واحد أن تقوم دليلاً قاطعاً على وجوده.

هذا العلك في الوسط الوهمي الذي افترضه العلماء افتراضاً حمل العالم الكبير ميكلسون(١) Albert Michelson يقوم بتجربته الشهيرة التي وإن مضى عليها الآن ستون عاماً إلا أن الأثر الذي أحدثته لم يكن بالأمر الهين، وهي التجربة التي أراد أن يعرف منها كيان هذا الأثير، بل يعرف شيئاً عن وجوده أو حركته.

لجأ ميكلسون إلى استخدام جهاز يتركب من ذراعين ا ب، ا حـ طولهما واحد وأحدهما عمودي على الآخر، ووضع مرآة في طرف كل ذراع كما هو مُبيّن بالشكل (١) ووضع عند ا منبعاً ضوئياً وأرسل منه في الاتجاه ب شعاعاً ضوئياً يصل المرآة ب وينعكس منها مرة أخرى إلى ا فيقطع المسافتين ا ب، ب ا، كذلك أرسل من ا في الاتجاه ا حـ شعاعاً آخر يصل المرآة حـ وينعكس إلى ا ويقطع المسافتين ا حـ، حـ ا.

ويتبين أنه في الحالة التي لا يتحرك فيها الجهاز في الأثير، فإن الضوء يأخذ الوقت ذاته لعمل الرحلة ا ب ا، والرحلة ا حـ ا. كذلك في الحالة التي يتحرك الجهاز فيها في الاتجاه ا ب مثلاً، ويتحرك الأثير في الاتجاه ذاته بنفس السرعة، فإن زمن الشعاعين يجب ألا يتغير، ولكنا نعرف من تجربة فيزو السابقة أن الأثير يتحرك بحالة معينة في اتجاه الجهاز، وعليه يجب أن يكون هناك فارق في سرعة الشعاعين، ويدل الحساب على أن الشعاع ا ب ا يجب أن يأخذ فترة من الزمن أطول من الفترة التي يأخذها الشعاع ا حـ ا، ومن الواضح أنه يجب لنجاح التجربة أن يتحرك الجهاز بأكبر ما يمكن من السرعة، حتى يكون في الإمكان قياس الفرق في الفترتين نظراً لعظم سرعة الضوء، ولا شك أن القارئ يتساءل: أنى لنا هذه السرعة للجهاز التي تجعلنا نستطيع أن نقيس الفارق بين سرعته وسرعة الضوء التي تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية؟ ولكن ميكلسون وجد ذلك في الأرض نفسها، ذلك أن الأرض غير ثابتة، وتسير حول الشمس حيث الأثير بسرعة تبلغ ٣٠ كيلومتراً في الثانية، وعلى ذلك فقد كان على ميكلسون أن يعتبر الأرض ذاتها جزءاً من جهازه، ويبحث دون تحريك الجهاز عما إذا كان هناك فارق في الزمن الذي يحتاجه كل من الشعاعين

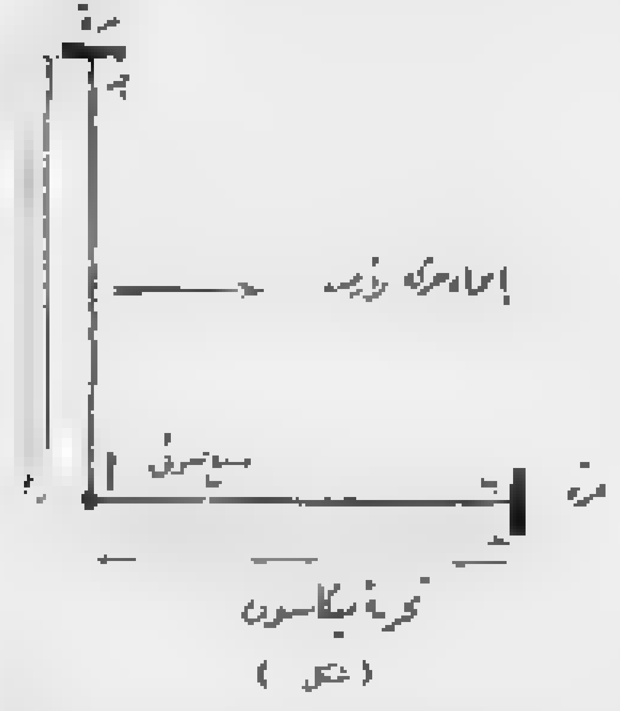


تجربة ميكلسون

( شكل )

ولكن ماذا كانت النتيجة التي وصل إليها « ميكلسون »؟ لقد وصل إلى نتيجة غير منتظرة بل نتيجة محيرة، ذلك أنه لم يجد أي فارق بين سرعة الشعاعين، مع أن هذه التجربة كفيلة بأن تظهر أقل من ذلك الفرق. وهكذا كانت تجربة ميكلسون بمثابة ضربة قاضية على وجود الأثير.

ومع ذلك فإن وجود صفة موجية للضوء أمر لا يقبل الجدل، وإن صفة تستدعي وجود وسط أثيري له خواص الأجسام الصلبة. من ذلك حصلت أزمة علمية عصيبة، فلا العلماء يعرفون بماذا يفسرون ظاهرتي التداخل والاستقطاب وغيرهما، ولا الآخذون برأي الموجية ووجود الأثير وهم القائلون بنظرية فرنل وبجاز يستطيعون أن يفسروا لنا تجربة « ميكلسون ».

(١) عالم أمريكي معروف نال جائزة نوبل في سنة ١٩٠٧، وقد استطاع في سنة ١٩٢٠ أن يعين قطر بعض النجوم الكبيرة بطريقة تداخل الضوء interference وقد توفي « ميكلسون » هذا منذ بضع سنوات عن ٧٩ عاماً

وبإزاء هذه الصدمة العنيفة كان يجب أن يبحث العلماء عن طريقة جديدة ، وقد انتهى بهم البحث بعد وقت قصير بالتسليم إلى أن الضوء ليس هو الذي يجب أن يكون موضع التعديل إنما هي معارفنا عن الميكانيكا وعن المكان والزمن هي التي يجب أن تُعدَّل ، وكان على العلماء أن يتصوروا الكون وحوادثه بطريقة غير الطريقة النيوتونية ، التي اعتُبرت صحيحة سنوات طوال ، والتي كانت في الواقع طريقة تقريبية تكفي لفهم الظواهر التي نعيش فيها ، ولكنها لم تكن كافية لكي نفهم تفاصيل هذه الظواهر

هنا يتضح جلياً أمام معادلات لورنتز Lorentz التي سنتكلم عنها ، وهي المعادلات التي أصبح فيها الزمن في المكان والمكان في الزمن ، بل ويتضح جلياً أمام تفكير أينشتاين الذي أثار من هذه المعادلات نظريته ... وأصبحنا نرى الكون على صورة غير التي عهدناها ، ولعل القارئ قد ألمّ من تتبع هذه الأزمة العلمية التي بدأ بتحليل الصور الأول منها شيخ علماء الأجيال المنصرمة « نيوتن » والتي ظهر في آخر عصورها شيخ علماء الجيل الحالي « إينشتاين »

ولكنا نريد ، قبل الدخول في تفسير معادلات « لورنتز » ونظرية « أينشتاين » ، متحدثاً عن الضوء كظاهرة كهربائية وهذه كظاهرة ضوئية ، وسيرى القارئ معنا أن الموجات الضوئية ما هي إلا سلسلة تموجات عامة في الكون ، تبدأ بموجات كبيرة أطوالها بضعة كيلو مترات ، وهي الأمواج الكهربائية أو « الهرتزية » نسبة للعالم « هرتز Hertz » والتي نعرف منها الأمواج الطويلة والمتوسطة التي تنتقل من مكان إلى مكان متتبعة منحنى سطح الأرض ، ونعرف منها الموجة القصيرة [1] ، وهذه الأخيرة تصل من مكان إلى آخر بالانعكاس على الطبقات العليا من الجو المكهربة [2]

تلي هذه السلسلة من الموجات الموجات تحت الحمراء infra rouges ، ثم الموجات المرئية من اللون الأحمر إلى البنفسجي ، ثم تلي ذلك الموجات القصيرة غير المرئية ، التي تبدأ من الأشعة فوق البنفسجية وتستمر إلى الأشعة السينية Rayons X وتنتهي بإشعاع الراديوم وبالأشعة الكونية التي كشفت حديثاً

وسيتبين القارئ من استعراض الضوء كظاهرة ضوئية ما للضوء من ضغط على المادة ، وهو الضغط الذي أمكن حسابه وقياسه ، كل ذلك يقودنا إلى فكرة النسبية وإلى نظرية الكم Quanta اللتين ستؤديان إلى أن نتناول موضوع التحطيم الذري Désintégration وهو الموضوع الذي يطلب الإنسان من ورائه مستقبلاً أبعد مما وصل إليه ، ويتطلع إلى نوع من المدنية عجيب ، قد يختلف جد الاختلاف عن المدنية التي نستمتع بها اليوم

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(1) الأمواج القصيرة وبالفرنسية Ondes Courtes وبالإنجليزية Short Wave

(2) يرجع القارئ إلى المحاضرة القيمة للأستاذ جيرون Giroux عضو المجمع العلمي الفرنسي التي ألقاها في حفلة ... والتي نشرت لها خلاصة في محاضر الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية Proceeding of the Egyptian Math. & Phys. Society

# أم بلا ولـــد!

للأستاذ محمد سعيد العريان

---

كانت خديجة في الخامسة والعشرين من عمرها، أو لعلها قد جاوزتها؛ وإن كانت تبدو لمن يراها أصغر من ذلك؛ فمنذ نالت شهادة (المعلمات) منذ سبع سنين! فكم كانت سنها يومئذ؟ ... على أن ذلك لم يكن يعنيها كثيراً، ولعلها لم تشغل نفسها يوماً بحساب عمرها؛ وبمَ يجدي عليها ذلك وأيامها مسودة بحياتها التي تحياها؛ فما لها مكر في غد ولا أمل يمتد إلى ما وراء غد!

وهل يشغل نفسه بحساب عمره وما مضى من أيامه — إلا ذو أمل يعيش به من يومه في غده، أو يعيش كمجتر عمة الذكرى وخطرات الماضي؟

* * *

منذ سبع سنين لم تشعر خديجة شيئاً من نظام حياتها، فهي تبادر مدرستها كل يوم قبيل الضحى بعد أن تودع تلميذاتها وتلاميذها، تتقدم في صبيحة اليوم التالي أشوق ما تكون أم إلى بنيها وبناتها!

وما بين مسائها وصباحها لم يكن لها من عمل إلا أن تأوي إلى مرقدها تقرأ في كتاب، أو تشترك في عمل هين من أعمال البيت، أو تخرج لزيارة بعض جاراتها وصديقاتها مدة أيام الدراسة؛ فإذا جاء لها يوماً أن تخرج إلى بعض الحدائق العامة للرياضة، أو تشاهد رواية جديدة في السينما، أو تقصد إلى بعض المشاهد التي يزورها الناس للتفرج، فلا بد لها من صديقات أو رفقاء من تلاميذها الصغار بمدرسة الأطفال يشاركونها في الرحلة والتفرج!

على أن هذا الحب العجيب الذي كانت تمنحه هؤلاء الصغار لم يكن بلا جزاء؛ فقد كان تلاميذها الصغار يحبونها حباً يعدل ما يمنحون آباءهم وأمهاتهم الأول ولدتهم

وما كانت خديجة هي المعلمة الوحيدة في روضة الأطفال، فإن سبع معلمات يحملن معها أعباء العمل المدرسي؛ ولكنها هي وحدها — بهذه العواطف الأموية الصادقة — كانت في عيون أطفالها هي المعلمة الوحيدة. لا جرم كانت خديجة بذلك أسعد زميلاتها وأكثرهن شعوراً بمسرات الحياة!

* * *

وكانت خديجة بعيشها تلك من الرضى والأحلام؛ فما طوحت نفسها إلى عمل أو تمنٍّ، ولا جس في قلبها أن يرى، فهذه الحياة التي تنعم بها حياة تتمايل في أوهام كل تنادى فتوب وألوان زكن مبهج، وجاءها ساعي البريد بخطاب...

ونظرت الفتاة في غلافه قبل أن تفضه وأطالت النظر، وكأنها أحست وراءه عينين تنظران إليها نظرة لم تفهم معناها ولا رأت مثلهما قبلي عينين؛ وقرأت على الغلاف: «الآنسة خديجة». من يكون صاحب هذا الخط؟ ... وترددت برهة، ثم همت أن تفضه لتعرف ما فيه، ولكنها لم تفعل؛ فقد خيل إليها أن أربع عشرة عيناً تنظر إليها لتعرف منها ما في هذا الخطاب؛ إن زميلاتها في المدرسة على مقربة... وتضمنت عليه المآلات ووضعت الرسالة في حقيبتها وما قرأتها

ولأول مرة أحست خديجة أنها في حاجة إلى أن تبعد عن أطفالها لتخلو إلى نفسها برهة، وكما تحاول الأم أحياناً أن يبعد عنها أطفالها وهم أحب إلى قلبها لتخلو منهم ببعض أسرار الأمومة، كذلك فعلت خديجة...

وأوت إلى ركن قصي تقرأ رسالتها...

«عزيزتي خديجة!

«أتذكرين من أكون؟ أو تعرفين؟...

«إن أياماً لا أقنع فيها براك، تحسب من الحياة؟ إن هذا القدر الذي أبعدني عنك إلى حين، قد صدع صدعاً في أيامي!

«وطال الفراق وأنا بين صورة الأمل وصورة حلم أراه ... بأخرى، ولم أتحدث إليك، وسافرت وما تدرين...

«أتدرين لماذا حدثتك نفسك الآن بعد فراق؟ — إني قريب

هناك ، فأرى وأسمع ، وأحلم ... إلى إني لأحلم حتى قبلي وأنا أحدثتي — ستعرفين عنوى ، وتكتبين لي ... وسألقاك من بعد يا عزيزتي فأحدثك وتحدثيني ، وأضحك وتضحكين حين نتذكر هذا الحاضر بعد أن تطويه الأيام في صحيفة الماضي ...

« لست أملك نفسي ولكنك ستغفرين لي ! ويوم يجمعنا القدر الذي فرّق بيننا يا عزيزتي ، وسوف ما كان وأراك ... وسوف الربيع القدر ... ضاحكاً يتهلل ... ويومئذ أقول لك ... لا ، لستُ قائلها اليوم ، ولن أقولها غداً ، سأجعلها رسالة على فم طفل صغير يلثغ بها همساً في أذنك ! فتضحكين ، وأضحك ، ويضحك الطفل الصغير كأمه وأبيه وإن لم يعرف لماذا يضحكان ... !

« كيف أنت الآن يا عزيزتي ؟ هل ... صورتي هناك ؛ إن كان كذلك فاكتبي إليّ لنهنأ نفسي .

« ... وأنا في هذا النأي البعيد كأنه ليل طويل ... ورائه ... ؟ فكيف تقضي الليالي ؟

« ارقبي مطلع الهلال يا عزيزتي فإني أرقبه كل مساء لأعرف متى يحين اللقاء !

« وأراك ... إلى ... ! »

محبك : أمل

● ● ●

كانت أناملها باردة كالثلج ، وكانت شفتاها تختلج ، وكانت الصحيفة مبسوطة تحت عينيها ولا تكاد ترى ! وأحسّت فتاة ، وقد بلغت آخر الرسالة ، مثل إحساس من يهبط من علوّ شاهق ... إلى واد من أودية الجنة كان محجوباً من عينيه ... رحلة ... رأى

وعادت تقرأ الرسالة ثانية وثالثة ، وكل مرة تجدّ لها فكراً ؟ وتوقظ معنى ؟ ثم طوت الكتاب برفق وأودعته غلافه ، وراحت تفكر — وسألت نفسها : ترى من هو ؟ وأين هو ؟ ومتى رآني ؟ وأين ... ؟ !

ودار بها الظنون والأوهام ، وراحت تكد خاطرها ، تتذكر وتعاقبت على عينيها صور وصور ... ولكن لم تعرفه ... أي حيرة ! ... منها من نفسه هذا البالغ ، ... منها ومن

الناس ، ويطلع منها المنظر على ... وهي لا تدري ؟ وتطوي جوانحها على ألم الحب ، وبرحاء الوجد ، وشقوة الشوق إلى من لا تعرف من أمره ، ولا تسمع من حديثه ، ولا تحس وقع خطوه ؛ حتى إذا أبعدته بعض شئون الحياة عن طريقها ، وحيل بينه وبين أن يراها ، ... على الكتمان فباح بحبه وأسلمه في رسالة أي حب ذاك ؟ وأي ... في ... ؟ يا له من رجل !

● ● ●

وأحست الفتاة بعد فترة ، أنها قد ذابت كثيراً من ... ؛ فأسلمت ... إليهم ، ولكن خديجة التي فارقتهم غير خديجة التي عادت ...

، وبعد ... ، وقفت خديجة تودع أطفالها وتمضي لتنام ، ولكن أين هي اليوم ؟

وأخرجت الرسالة من حقيبتها وأخذت تقرأ

« عزيزتي خديجة ! »

إنه يعرف اسمها ، على حين لم تكن تعرف اسمه ولا تحس وجوده ! بل ، وأنها إلى الساعة لا تعرف من اسمه إلا الكلمة الواحدة التي جعلها في ذيل كتابه ؛ وكم مرة رآها ، وأبصرها ... ويستمع إليها تحدث صواحبها في الطريق دون أن تدري ، وعادت تقرأ !

« ولكأني الفراق وأنا بين نضرة الأمل وحسرة الحلم ؛ لم أودعك يا عزيزتي ، ولم أتحدث إليك ... وسيحزن ... ! »

وخفق قلبها ، وأحست مثل إحساس الغريق في حيل بينه وبين الكلمة الأخيرة ؛ ووضعت على شفتيها ؛ واضطربت ... في قلبها ... ، ... !

وجلست خديجة في الشرفة في المساء ترقب مطلع الهلال وتحصي ما بقي من ليالي البعد !

● ● ●

تغيرت حياة خديجة بعدها منذ اليوم ! فكأنها هي ... في دنيا غير الدنيا التي عرفتها منذ كانت ! و... ... عرفت أن وراء اليوم غداً ، ورأت في عيون أولئك الصغار الذين ... حياتها ... لم ...

في عيونهم من ملل؛ إذ كانت في نفسها معاني الأمومة حين ترع في قلبها الحب ... وتعمر ليلها بالأحلام! ...

ولمحت طفلاً يحبو في أمن ورفقه؛ فاشتاقت أن تسمع رسالة من رجل صغير يلثغ بهمسها في أذن فتضحك وتضحك ضحكتين ثان

ووسع حياتها ما لم يكن يسع!

وسالت الأيام، والأحلام تطاولها وتعد لها ...

ولما خلت إلى نفسها في غرفتها بعد أسبوعين من تلك الرسالة اعترفت لنفسها بصوت مسموع أنها تحبه، وأنها تكاد تعرفه لو رأته ... بل إنها لتعرفه يقيناً لا شبهة فيه ... وهكذا رجعت وهي حالمة إلى نفسها تحدثها!

وارتسمت في خيالها صورة كاملة للرجل الذي حدثها برسالته ولم تره قط، ورسمت لنفسها صورة أخرى في خيالها يوم تزف إليه فتاته ثم صاحبة عشه

* * *

وبقي يومان على مطلع الهلال

وكانت واقفة في الشرفة تستروح روح الربيع، حين صحت رنين الجرس ... وكن ثلاثاً من صديقاتها، وجلست وجلسن معها في غرفة الاستقبال، ومضى الحديث ينتقل من فن إلى فن إلى فنون

وقالت واحدة لجارتها: «متى زفاف أختك؟»

قالت: «لقد أذكرتني أمراً ... لقد أرسل أخي رسالة إلى خطيبته منذ شهر لم تجبه؛ فغضب وكتب إليّ يشكوها؛ وعجبتُ أن زرتها أمس لأنبئها عن غضبة أخي، فشكت إليّ أن أخي لم يكتب لها منذ شهر ... أرأيت ...؟!»

واغتصبت خديجة من فمها وقالت: «عجيبة! تقولين إنه كتب إليها فلم ترد؟ بئس الخطيبة!»

قالت: «هي المشكلة؛ فإن رسالة أخي لم تبلغها!»

واصفرت خديجة، وجرى في نفسها هاجس، وأردفت صديقتها: «ويحك! كتب إلى أختي يعرفها الحقيقة!»

واصفرت خديجة ثانية وقالت: «أتعنين ...؟!»

قالت الفتاة: «أعني أن رسالته لم تصل إلى خطيبته ...!»

* * *

ووضحت الحقيقة كاملة لعيني الفتاة، وعرفت، واستيقظت من حلم الربيع الذي عاشت فيه شهراً أسعدها في أيامها ...

وبعثت رسالة إلى خطيبها تفتح خطيبها بعودة الرسالة التي ضلت طريقها إلى صاحبتها لتصل إلى يديها ... ثم وضعت إلى جانبها رسمي نعمة سافرة ... وعادت إلى مقعدها ساهمة.

* * *

ومضت ما بين خمسين ومائة تتطلع إلى الرسالة وعاد قلب ثالث.

ولما خرجت خديجة بعد أيام يمشيان في طريق إلى موعد، أبصرت جنيناً في أمها، ثم دارت على عقبيها، ورجعت من حيث أتت.

وطفت إلى أحلامها الأولى كابرة، فتمنت يوم الزواج والسعد، في ومضة أطفالها ولكن أطفال الناس.

واستعبرت أمومتها ... هذه أمومتها التي كانت عندها من حمل في نافذة هؤلاء الصغار ... من أمومة الشهوة التي تشتهي ولا تعد، وترجو ولا تجد سبيلاً إلى تحقيق الرجاء

ونظرت فإذا طفل يحبو في أمن ورفقه، فابتسمت، ثم تمنت، ثم مدت يدها إليه بالنعمى!

وهم طفل أن يذهب، فاحتضنته الفتاة وحنت على رأسه؛ آه! طفت وجهها تشكو من أحلامها حسرة

وأحس الصغير بشيء من الحرارة الملتهبة فدار ... يطالعها بعينين حزينتين وفي كل عين دمعة!

ونظرت ثانية، فابتسمت وشرقت عيناها! ثم ضمت الطفل إلى صدرها وهي تتمتم:

«لا عليك يا أختاه ... أنتم بني ... وبناتي، وأنا أمكم، أم، أم بلا ولد ...!»

محمد سعيد العريان

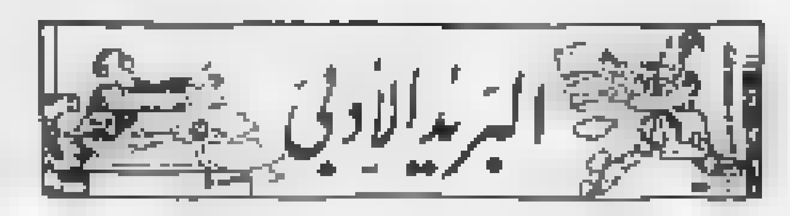


## عام الفيل وميلاد الرسول

كتب أستاذ فاضل يوقع «قارئ» كلمة في باب البريد الأدبي من العدد ٣٢٠ من الرسالة، جاء فيها عدة أسئلة في خصوص بعض ما استشكل عليه فهمه في بحثي «عام الفيل وميلاد الرسول» المنشور بالعدد ٣١٨ من الرسالة. والذي أراه أن الروم البيزنطيين كانت مصالحهم في بلاد العرب تجارية، ومن هنا كانت الخطة التي وضعها الإمبراطور جوستنيان مع قواد جيشه وأعوانه، خطة تجري على سياسة الشرق الأدنى. فقد كان غرضهم مهاجمة نفوذ الفرس أعداء الإمبراطورية في الوقت الذي يحرص فيه حلفاؤه الأحباش بقوات جيشها من جنوب العرب لفارس، فيصطدم الفرس أمام هذا الهجوم المزدوج الذي يقسم قواتهم، ويحصر نفوذهم أمام الروم، ويتمكن هؤلاء من ضربهم الضربة القاضية التي تقضي على نفوذهم [illegible].

وهذه الخطة لو وجهت بها إلى «الخريطة» لوجدتها سهلة بادي الرأي، ولكن كل قيمتها تضيع حين تخرج للتطبيق، فتصطدم بعالم الواقع، لأن الوضع الاستراتيجي لفارس إزاء هجمة لا يجعل عاقلاً يقدم كثيراً عليه، سواء من طريق البحر بالخليج الفارسي، أو من طريق البر بمهاجمة التخوم المتوسطة من جهة العراق العربي. ففارس بعيدة عن الحبشة بمسافة تتراوح بين ٢٠٠٠ و٤٥٠٠ كيلومتر، كما أنها بعيدة مسافة [illegible] كيلومتر وأكثر براً من اليمن عاصمة الأحباش في بلاد العرب. ومهاجمة عسكرية على فارس جاءتها من جهة البحر، تحتاج على أقل تقدير إلى مائة ألف مقاتل، وبالتالي إلى أكثر من ألف سفينة تنقلهم إلى الشواطئ الفارسية. ولم يكن الروم ولا الأحباش ولا الاثنان مجتمعين يمتلكون مثل هذا الأسطول الضخم في البحر الأحمر والمحيط الهندي. ومن هنا كانت فكرة مهاجمة فارس بحراً غير ممكنة. ولا تتنافى هذه الفكرة مع القول بنقل الروم بأسطولهم الصغير في البحر الأحمر جيوش الأحباش إلى اليمن، وهي مراكب لم ترد إلى بعثة آلاف [illegible] سواحل اليمن وأحضرتها، [illegible] ومن جهة أخرى، كان هذا الأسطول الصغير ينقل من الحبشة [illegible] من الساحل الإفريقي المواجه لليمن إلى اليمن، [illegible] على أن اليمن لو كانت متصلة ولو لم يكن البحر [illegible] في الخصم بين أيديها وبينهم وبين مشركيهم، [illegible] الأحباش في [illegible] والاستيلاء [illegible] قصيرة. وفي هذا حل للإشكال الثاني الذي استشكله «قارئ». أما عام [illegible] فقد كانت تصدرت الجزيرة لا تعد ممكنا، والأحباش كانوا يرون عند أمرائهم شؤون الجزيرة من الوجهة العسكرية عن طريق التجارب، إذ كانوا يجرون التجريبات العسكرية على [illegible] بين اليمن والحبشة لإصلاح [illegible]. ومن هنا كانت الصعوبات التي يلقونها [illegible]. فلا عجب إذا كانت فكرة الأحباش أقرب إلى الواقع من فكرة الروم، رغم [illegible] الروم عليهم في المطالب والأفكار. ولا بد أن يكون الروم لا يجهلون هذه الصعوبات، ولكن الحرب التي [illegible] بينهم وبين الفرس، جعلتهم يتعلقون بالأوهام والخيالات [illegible] فيه. وهذا الموقف نجد له شبيهاً اليوم في الأحلام التي [illegible] رأس هتلر، في إمكان مهاجمة [illegible] الهند [illegible]، مع أن هذا الحلم دون تحقيقه من الصعوبات ما لا يخفى على أحد، والجنود يعرفون اليوم استحالته، والألمان [illegible] تتحطم [illegible]، بل وتصور [illegible]. وهذا لا يصعب بأي حال من الأحوال [illegible] على [illegible] أمام الأرض. فإذا وضعنا هذا موضع النظر في الإشكال الأول [illegible]، خصوصاً إذا عرفنا أن [illegible] للقتال.

على أن الفاضل «قارئ» لاحظ أنني قلت في صدر [illegible] الأحباش [illegible] الروم، مع أن الأحباش لم يكن [illegible] الفرس [illegible] مساعدة الروم. وهذا صحيح، ولكن كما قلت (ص ١٠١ عمود ٢ من العدد ٣١٨ من الرسالة) [illegible] الروم على النجاشي [illegible] أن يأمر [illegible] على اليمن بالتحرك [illegible] ومهاجمة التخوم الفارسية،

وقد كان الطريق الطبيعي إلى هذه التخوم يمر بأرض الحجاز، ولكن الفرس كانت قد احتلتها قبل ذلك بعشرين عاماً فاضطروا إلى الرجوع والانحدار للروم حتى تقدم المساعدة إليهم. ويكون ذلك حين مساعدة الروم وقعت عند حد الفرس كعجاز، ولم يجاوزوه إلى ماسنجر، فالحديث في الآخر ذكر حملة على الحجاز، وكان المنتصر الفرس عليها الروم، بدون أن يكون الفرس مع الحجاز فقط في حال من الأحوال. وكان يحسن بالقارئ أن يرجع مصدري بروكوب وشروح ... وكتابات وملاحظات في هذه الشروح في المصادر التي أثبت في هوامش البحث، وفيها سيجد أن بروكوب يذكر أن الأحباش حلفاء الروم، حاولوا مساعدة جوستنيان بمحاربة الفرس، غير أن محاولتهم وقفت عند حد الحجاز لم تتعدها، وهذا هو تفسير الكلام، وليس فيه تناقض ولا تضارب مع ما يجيء بعده

إسماعيل أحمد أدهم

## أبيات في ديوان إسماعيل صبري ليست له

في ديوان المرحوم إسماعيل صبري باشا الذي جمعته ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر مقطوعة في وصف النيل وردت في صفحة ١٣٠ منسوبة إلى الشاعر وهي لابن سودون المصري المشهور نظمها حين وفد إلى مصر ورأى نيلها الميمون.

قال الأستاذ الباحث الشيخ محمد الطنطاوي المدرس في كلية اللغة العربية في كتابه «نشأة النحو» صفحة ١٦٦: ومن شعره (يعني ابن سودون أبا الحسن [illegible] المتوفى سنة ٩٠٣)

في وصف نيل مصر

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله   في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع   تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا   وإنما هي أرزاق وأرباح

والمقطوعة بنصها موجودة في كتاب «بغية الوعاة في طبقات النحاة» للسيوطي المتوفى سنة ٩١١.

فعسى اللجنة الموقرة إذا أعادت طبع الديوان مرة أخرى أن تفطن إلى هذه الحقيقة

زكي علي محمد [illegible]
كلية اللغة العربية

## وفاة الأستاذ المستشرق مرجليوث

نعت أنباء لندن في الأسبوع الماضي المستشرق الإنجليزي المشهور الأستاذ مرجليوث.

وقد تولى التدريس في جامعة أكسفورد ودرس فيها العربية ابتداء من سنة ١٨٨٩. وقد نشر كتباً عربية عدة، منها معجم الأدباء لياقوت، كما نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمة إلى الإنجليزية، ونشر آثاراً عربية مختلفة نثرية وشعرية، من بينها نسخة وحيدة عربية كانت في مكتبة أكسفورد. وألف في [illegible] كتاباً، وكتب آخر بالإنجليزية في السيرة النبوية.

والأستاذ مرجليوث من علماء المستشرقين الأفذاذ الذين خدموا أهل العربية بما أدوا إلى [illegible]

## سر الحياة بين العالم

ألقى الأستاذ كاستيليوني وكيل جمعية «الأصدقاء في العالم» محاضرة في قاعة «جاردان» بالإسكندرية [illegible] إن من يلقي النظر في العالم يدهشه أمران: أولهما تعدد أسباب الموت والفناء من جراء الأعراض الطبيعية مثل البراكين والزلازل والعواصف والأمراض والوحوش المفترسة وغيرها. وثانيهما بقاء الحياة وتغلبها على عوامل الفناء. ومما يلفت النظر أن [illegible] الأجسام الضئيلة كالنمل والنحل تجد أسباب عيشها على الرغم من وجود أعداء لها أكثر منها قوة وبطشاً.

ويتحقق هذا أيضاً في الحياة الاجتماعية، إذ أن كثيراً من ضعفاء الأجسام والعقول يجدون طرق المعيشة إلى أمد طويل، في حين أن المتمدين وأصحاب الإرادة يصيبهم أحياناً أن يجوعوا.

وهكذا، فإن الأمل لا يمكن ملاشاته من قلب الإنسان. وقد شوهد في جزيرة صقلية وغيرها، حيث حدثت الزلازل على مقربة من السكان، أن الذين ظلوا على قيد الحياة منهم سرعان ما أخذوا بناء منازلهم في مكانها، وعلى مقربة من البركان الذي كان سبب الكارثة. وهذا ما حدث أيضاً في بلاد الصين واليابان وسواها.

ثم استطرد المحاضر فقال: إن الذي نستخلصه من ذلك هو أن قوة الحياة تتغلب على القوى الأخرى المضادة لها، وأن الأمل

يجرى على هذا النمط فى مجتمع الإنسانى ، بل إن الوحدة ستنتصر فى النهاية ، على الرغم من وجود أسباب الخصام والشرور والحروب والمنازعات ، على أنه يجب بث هذه الفكرة ، فكرة الوحدة والصداقة ، وتمهيد الطريق لها

ولهذا الغرض قد تأسست « جمعية الأصدقاء فى العالم » ، وجمعيات أخرى مماثلة لها

وقال : إن كثيراً من الناس يحبذون فكرة جمعية « الأصدقاء فى العالم » ، ولكنهم يقولون بأن تحقيق أمانيها مستحيل ، لأن الناس كانوا منذ بدء الحياة وعلى ممر الأجيال فى خلاف وحروب مستمرة

ولكننا نؤكد أنه ما دامت الإنسانية قد فازت على الطبيعة وحققت التقدم المادى بالاختراعات والاستكشافات ، كالطيران والإذاعة اللاسلكية والراديو وغيرها ، فلا شك فى أنها جديرة بتحقيق الهدف الأجل وهو الأهم ، وهذا الهدف ، أى سكون الأمم ، ربما يستغرق وقتاً أطول مما استغرقه التقدم المادى ، لأنه يتطلب كفاح النفس ضد شهواتها وميولها ، وهذا الكفاح صعب على الطبيعة البشرية ، ولكنه ليس من المستحيل ، والبرهان على ذلك وجود كثير من قادة ومصلحين تغلبوا على ميولهم الأولى كالتعصب والجهل ، وأصبحوا بكفاحهم الداخل ذوى عزم وكرم

ويختم المحاضر إلى القول بأن الناس لم ينجحوا حتى الآن فى نشر روح السلام ، لأن الداعين إليه يريدون تأسيسه على المادیات فقط لا على ما يكنه الصدور ، أعنى على القلب

ثم ختم محاضرته بقوله :

« إنه ستظل روح من الشرع من دعاة يجعلونه سيرة وشعاراً جمع من القارة ، ألا يهتمون لمذهبه شفقة عليه دون أن يهمهم مذهبه أو جنسه أو لأى حزب سياسى ينتمى ؟ »

فما يدل بلا شك على أن هناك شعوراً مكنوناً فى صدر الإنسانية وفى أعماق قلبه يحن إلى ممارسة التفاهم وإيجاد المحبة بين الجميع . ذلك الشعور هو الأساس الذى يجب أن يبنى عليه العالم الجديد الذى نسعى إليه جميعاً ، ذلك هو دعامة الوحدة والوئام والإخاء والرخاء ، أى السلام الحقيقى

ويرى المحاضر أحمد خالد أنه من أكبر المخلصين فى السعى لإيجاد الوحدة بين الناس كما تقترحه فى جمعيتكم ! ؟ وأحسبه كان « لا أنك لو حققت السير فى الوسط الذى أنت فيه لعرفت كأنى تحدثت إلى محدثى الآن ، ووجدت فى أعماقها عزوفاً ... والصفات التى لا ترى »

خمر وتطريب

عن هذا العنوان كتب قارئ الأستاذ الفاضل أبو الفضل الساعاتى يسأل عن بيت فى قصيدة الذكرى هل هو من الوزن المعروف ؟ وإنى لا أرى عيباً فى كونه خارجاً عن الشعر وأصلح وزنه

وعندى أنى مع مراعاة الرواية العروضية لا أعتقد عليه خللاً فى الوزن ، بل أستشير أذن صديقنا الشاعر الموسيقية ، وهى على كل حال قد يحس معها الإنسان أحياناً وقفة إذا كان قد أقال هذا الجهد

وإنى لأشكر للأستاذ جميل عنايته وحسن أدبه ورقيق إرشاده وطريف ملاحظته ، والسلام عليه ورحمة الله

على الشرقاوى

رأى الأستاذ النشاشيبى فى ... أيضاً

سيدى الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبى المحترم

تحية العروبة والإسلام

أما بعد فقد تفضل الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء الصديق بأن نشر لى فى ( البريد الأدبى ) من العدد الـ ٣٤٦ كلمة صغيرة رجوت فيها نشر طبعات كتابيكم الجليلين : ( الإسلام الصحيح ) و ( كلمة فى اللغة العربية ) ، لأن الكتاب الأول ممنوع فى العراق ، والكتاب الثانى غير موجود عندنا ، وكان غرضاً رغبتنا الصادقة فى الاطلاع على رأيكم فى ( النهج )

وفى نشر الأستاذ ( الزيات ) الكريم لمقالتكم دعوة صحيحة حضرتكم إلى تلبية طلبنا بنفسكم ، فأنتم صاحب الكلمة ولكم الحق الأول فى نشرها وطبعها

وقد صدر بعد العدد الـ ٣٤٦ ثلاثة أعداد ولم تُنشر مقالتكم ، كما لم نتلق من حضرتكم كلمة فى الجواب على رجائنا ، وهذا يحملنا على التساؤل : تُرى لماذا امتنع أستاذنا الجليل

لملاحظة النشاشيبي من نشر مقالته في (المنهج) ؟

هل بدت له بوادر من جديد في التحقيق – وهو هو المدقق المتمكن الثبت الأمين – فتسرع، أو تلطف من حدة تلك اللهجة ثم بدا له أن يخرج على وجدانه العلمي فينشر رأياً في مسألة خطيرة لا يؤمن به – الرأي – الإيمان كله ؟!

أم هل خشي النقد – وربما من النقد من النوع الخالص لوجه العلم والتمحيص لا يهدف إلى سوءاته – يطلع به عليه بعض علماء العراق بعد أن يكونوا قد وقفوا على مقالته ؟

فإن كانت الأولى فإن واجب العلم والإخلاص له يحتمان على حامله ألا يتعجل عجلة في نشر ما يحوجه إليه من تصحيح أو تنقيح لآراء خطيرة يستحق أن يذيعها ويبعثها إلى الملأ من الناس، وأوجب الفروض عند الأستاذ النشاشيبي، والحمد لله، من علماء الذين لا يدعون الكمال – إذ الكمال لله وحده – ويعترفون بأنه قد يفوتهم منه حظاً من غير عمد (فالعصمة) ؛ والذين لا يبعدون عنا في الإقامة من صميم العروبة فأسلوب هو منه في الروعة والتواضع وكرم النفس، وقراء الرسالة للعمون على عروبة والإقامة ما يعرفون جيداً هذه الخلة في أستاذنا الجليل (صاحب التواضع والسيطرة الجميلة)

وإن كانت الثانية : فيا لهيبة النشاشيبي — ذلك الأديب الألمعي الحصيف الصريح الشجاع الرزين الرأي لا تأخذه في الحق — الذي يؤمن به — لومة لائم، أو نقد ناقد، أو عامل خامل

فكيف إذن وفق بأستاذنا بين هذا وذاك ؟!

وكيف نفسر عدم إجابتكم لرغبته الشخصية في نشر مقالته الخطيرة القيمة عن «نهج البلاغة» في مجلة العروبة والإسلام الممتازة «الرسالة» الغراء ؟!

لعلنا نحظى بالجواب

شكري الأسعد
عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف

«وحي الرسالة» في رأي سيدة فاضلة

سيدي حضرة الكاتب الألمعي الأكبر الأستاذ الزيات :

كثرت مكاتبكم الأدبية في نفسي، فهي لك حباً وولاء، وهي لسانك ... ونفسه، فقد خرج سفرك القيم، ورآه كل المعجبين به وبك إلا التي كان يجب أن تكون أول من عرفوه،

ولكن حظي السعيد أبى حرماني الحظ، فكيف أتيحت له فقرأت منه ما قرأت، وإذا في يدي «وحي الرسالة»، ويكاد ... من في صفحاتها طرافة وجدة وعمق في معانيها وسداد في تفكيرها وحدة ... وإذا به صرح شامخ صقل في هذه الفترة التي تتراوح ما بين ... أوساطها واستفاضتها، ... في الحضيض في وقائعها، وصحت للكتاب الحية بأسرارها، فكان كالمشكاة لأهل البصر بها معاً، وهداية لهم أن يشعروا بهم من ظلاله، ويرثوا منهم من جهة إعجابه وبدأوا بأنهم على جديدها كثرة التأليف وأخرى ابتكار الجديد ...

ولقد عرفت كتابك هذا عبرة، ووجدته لفظاً وحسن عبارة، فإذا عدت من المحققين إلى القرون الأولى تطبع على عبارته الكتاب فيكون فيها بلاغة فوق البلاغة، وبياناً أحيى من البيان

فلك الشكر الذي كفاء ما جهدت في صنعك، والله المسئول أن يمتع به قارئيه ويكثر من أمثاله عنه وعنك وتوفيقه والسلام.

(المخلصة)

زوار ... 

ذكرى الشاعر المصري إسماعيل صبري باشا

فكر قسم المحاضرات بجماعة الإخوان المسلمين بالمنصورة أن يحيي ذكرى الشاعر المصري الجليل «أستاذ الشعراء» المرحوم إسماعيل صبري باشا بمناسبة ذكرى وفاته في مارس سنة ١٩٢٣

ورغبة في أن يكون العمل من الاحتفال ؛ بما يتناسب مع مقام الفقيد العظيم قد توجه إلى أبناء العربية عموماً وشعرائها وأهل العلم والفضل خاصة أن يكتبوا باسم «الأستاذ ... عبد الوهاب» الإخوان المسلمين بالمنصورة بما يجود به يراعهم من قصائد أو بحوث أو أفكار بحيث تصل للجنة التي ستجتمع بعد خمسة عشر يوماً أن تقرر منهج الحفل وموعده ثم تدعو حضرات الأدباء والشعراء لإلقاء كلماتهم

وإنا كبير الأمل أن ... الذي تستحقه والذي كان الشاعر الفقيد خير لسان له الأثر المرجو

والله أكبر ولله الحمد.

RETRO
ربيع ١٩٤٠
يوم الاثنين أول ابريل
افتتاح الموسم
معرض الأزياء الحديثة
شيكوريل

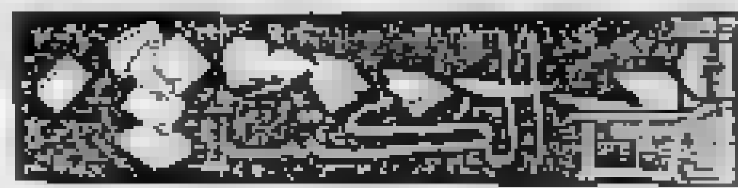

# نشأة النحو

تأليف الأستاذ محمد الطنطاوي

بقلم الأستاذ محمود مصطفى

هذا أول كتاب من نوعه فيما أعلم ؛ إذ قد جرت العادة في الكتب التي تؤرخ فيها العلوم والآداب ، أن يستقل الحديث عن كل فن أو علم ببضع صفحات يلم فيها المؤلف بمجمل من تاريخ ذلك العلم أو الفن . أما أن يفرد الحديث عن علم واحد بكتاب تبلغ صفحاته إلى مائتين وثلاثين من القطع الكبير فذلك ما لم نعهده قبل أن يخرج إلينا الأستاذ الجليل والعالم الفاضل صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطنطاوي المدرس بكلية اللغة العربية كتابه « نشأة النحو » .

ولعل في هذه التسمية « نشأة النحو » تسمية يقصر عن الموضوع الذي تناوله البحث ؛ فالكتاب ليس عن نشأة النحو فحسب ولكنه يتناول نشأته وتدرجه ثم شبابه وكهولته ثم شيخوخته وهرمه ، وليس ذلك في قطر واحد من الأقطار العربية ، بل هو حديث مفصل عن كل هذه الأطوار في كل قطر من الأقطار حديث يتناول المذاهب واختلافها وأسباب نشوئها وظل آثارها ووجوه الأعلام من رجاله وما كان لهم من آثار باقية في خدمة علمهم وتجلية غامضه وتسهيل صعبه .

قد يتناول الباحث في تاريخ العلوم والآداب دراسة علم أو فن لم يدرسه دراسة وافية مستوعبة ولم يكن له به صلة وثيقة ، فيكون همه جمع ما كتبه الكاتبون في ذلك العلم وترتيب أقوالهم بما يكون له من قدرة على التقسيم والتبويب ، فيخرج عمله سهلاً لمن يطلع عليه ، مرشداً لمن يريد الوقوف على تدرج هذا العلم وتسلسل أطواره ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يكشف عن أسرار العلم كما يكشف عنه عالم مارسه وعرف كنهه ، وعرك مسائله وأطال مناقشتها ووازن بين أقوال العلماء فيها ، وعرف أوجه الحكم وبيان الصحيح المعتمد من الزائف المردود ، وذلك شأن مؤلفنا الفاضل في هذا الكتاب ، فهو إذا وازن بين قولين رأيت الحجة في قوة واضحة ناصعة ، والبرهان يدعم البرهان كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وكذلك من شأن العالم الذي يؤلف بعد أن يرى أثر الاجتهاد ظاهراً في بحثه فهو يضيف إلى أقوال من سبق ما يجمع مادة جديدة في البحث ، والفضل في ذلك يرجع إلى هدايته الفكر الصائب والنظر الثاقب لمسائل العلم ومباحثه المتشعبة .

وفي هذا الكتاب عند الأستاذ الطنطاوي ظاهراً موازناً عدم المؤاخذة لأكثر السلف الذين ذكر لهم صنيعهم بالشكر ، فقد ذكر المؤلف حفظه الله كثيراً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وتلك مسألة ألف العلماء فيها الكتب وأحصوا فيها كل ما كان من ذلك بين أهل المذهبين ، ولكن المؤلف حفظه الله أبى أن يكون ناقلاً فحسب بل إنه وازن بين المذهبين وكانت له فيهما جولة رجح فيها بعض مذهب البصريين على الكوفيين داعماً قوله بالشواهد الصحيحة والدليل المعقول فكان الناقد الأمين والحكم الرضي . كذلك تراه يعرض لأثر المصريين أو المغاربة في علم النحو فيجمع من آثارهم التي انتشرت هنا وهناك في الكتب ما لم يهتد أحد قبل الشيخ الطنطاوي إلى جمعه وضم شتاته ، وهذا مظهر من مظاهر الاستقلال في التأليف نذكره مسجلين الإعجاب اللائق .

وبعد فكتاب ( نشأة النحو ) سجل وافٍ لتاريخ هذا العلم منذ فكر في وضعه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أن خص المتأخرون من شيوخه ورجاله لم يتركوا بعدهم مقالاً لقائل إلا أن يكون في مثل فضل الأستاذ الطنطاوي الذي أرخ لدولة النحو من بدئها إلى حاضر أيامها فلم يغادر من أصحابها صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه ، فالله يرعاه ، ويمنحه على هذا الجهد المشكور أتم رضاه وأجزل ثوابه .

محمود مصطفى
المدرس في كلية اللغة العربية

( طبعت بمطبعة الرسالة شارع المبتديان — عابدين )

8me Année No. 353

Lundi 8-4-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٨ أبريل سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

الفهـــرس



# خواطر يثيرها سائل

## للأستاذ عبد المنعم خلاف

### إلى السائل المجهول في بيروت

أحسب أن ما عندك من العلم والرأي كفيل بأن يردك إلى الاطمئنان من حرصك على أن ترى [illegible] ولا [illegible] ومن ألا تترك النظرات [illegible] الشاردة [illegible] إلى الخروج عن حدود الواقع [illegible] الذي لا ترى غيره في الحياة منبسطاً في عقول الناس.

إن النظرات الأولية [illegible] هي التي تعرض علينا الإيمان بها [illegible] ولا بد أن يكون [illegible] من القدرة على الرجوع إليها ما يمكن [illegible] الاعتصام بصخرة [illegible] والطمأنينة على الحياة وغايتها.

وليس من [illegible] أن [illegible] أن ننكر وجود الله، أو [illegible] الإنسان [illegible]، أو المصير [illegible] الأخرى هناك [illegible] وحتى كان في [illegible] بعض الإشكال [illegible] يأسوه [illegible] من الإنكار كل الإشكال.

وأمامك فرصة من [illegible] فكري

الإثبات والإنكار ؛ وأين عمره من أي تأثير عمر بعده ؟ ، لترى النتائج النسبية لكل منهما

وعلى هذا ، هب أن كل ما في نفسك من الإيمان تحول إلى كفر وتكذيب ، وكل ما في خلقك من البر والطهر تحول إلى فسق وفجور ؛ أتحسب أنك واجد الطمأنينة والسلوى وروح الحياة بعد هذا التحول ؟ لا شك أن ذلك عجيب ! كلا ... ذلك لأن الكافر المتمرد على فكره ، ليس معه طمأنينة ولا استقرار على شيء ، بل هو في ذاته كل القلق وكل الضياع الذي يجعل الإنسان في الحياة كالغارق تتقاذفه الأمواج ، ومع ذلك يظفر ويحاول التمسك والانطلاق منها ، وليس له على ذلك طاقة ، « ولن نعجزه هربا » .

فالإيمان ضرورة فكرية لازمة في الحياة قبل أن يكون تعليما موروثا من الأم والأب والبيئة . ثم إن حياة الإثم والانطلاق وراء الشهوات والآثام ليست سعادة مهما هوى الأفكار ولا عند الأحرار والسعداء أنفسهم ... وسائلهم ... أيهم لا يدري ... منك عذابه من الأوجاع والضياع ! ولا يمكن للمجتمع أن يحرمها ، لا لأن الدين يحرمها بل لأن حياة الأصلاح ... وشرب الخمر عليها بعد أن تجرب نتائجها السيئة

فالدين لم يحمل النظريات من السماء ، وإنما الاجتماع الإنساني هو الذي فرضها ، ثم جاء الوحي فأقرها ؛ لأن الحسن والقبيح عقليان يدركهما العقل قبل الوحي ، ولذلك عبر القرآن عن الحسن والقبيح « بالمعروف » و « المنكر » أي ما يعرفه الناس ، وما ينكرونه بطبائعهم السمحة وأذواقهم المشتركة

ثم أليس الراجح أن الخير الشخصي جزاؤه فيه ، والشر الشخصي جزاؤه فيه في هذه الدنيا قبل الآخرة ، وكذلك الخير الاجتماعي والشر الاجتماعي جزاؤهما معهما في هذه الحياة إذا ما كان المجتمع حريصا متيقظا لخيره ومصالحه

هذا موقف سلبي من فكرة الإيمان بالله وفكرة الخير كأصل من أصول الحياة الاجتماعية . وقد سبق لي في العام الماضي أن كتبت في هذه المجلة سلسلة مقالات في الإيمان كشفت فيها من الحقائق ... في الحياة ، وعرضت فيها الكثير من الشبهات والشبه التي تشككت ... وأوردتها في كتابك الأخير ، فأرجو أن ترجع إليها ... أما ... الآن فيهمني تلك الروح المأمول

إلى الذي مازال أكثر من عمره ... في كتابك هو شكك في القيمة السامية للإنسان ... حكاية الشك والحيوان والتراب ، ليس أكثر من ... طبيعية وضرورات أجهزة ... أيام ... ما لهم

ومعرفة ... الإنسان هي في رأيي أولى ... الطبيعية ، لأن الذي يبحث عن ... الإنسان لا يمكن أن يجد شيئا آخر ... في الكون ولا ... الذي لا يستطيع ... هذا الجسم المتحرك الرهيب الهائل المخترع المفكر لا يمكن أن يشبه الصمت المطلق والسكون المطلق والاطراد المطلق في الطبيعة ... وراءها من ... الذي لا ينال الإنسان ...

وأسألك : هل رأيت يوما آخر منشغلا على الأرض يثير أرضها ويتصرف في مواردها ويسخر قواها ويفتح الطبيعة ... ويتخلص منها ، متطلع للرقي متجدد الأفكار ، له حياة فكرية وعقلية تكاد تكون لا حدود لطاقتها ؟

وهل رأيت غير الإنسان اخترع شيئا يزيد من ضرورات حفظ حياته ؟ هل رأيته يخاطب غيره أو يستطلع مستقبله ، أو يركب آلات معقدة ، أو يغني أغاني ... ، أو يستخرج أصواتا موسيقية من الحديد والخشب والمعادن ، أو يصنع ... ذات قوة وأوضاع عجيبة ... بإرادة ؟

وهل رأيت يوما آخر اخترع طيارة وسيارة ... و ... وتليفون وتلغراف وغيرها ... يصيد به الأصوات ويقتنص الأضواء والمسافات ؟

ثم هل رأيت نوعا آخر يفكر ويتعقل ويتأمل ويتم ... ويتخيل ... وسواحر ... ومهارة ؟ هل رأيت غيره يزرع ويتاجر ويضرب بعمليات اقتصادية معقدة ذات التنظيم ؟

هل رأيت غيره يحارب بآلات كلها إبداع وبراعة ... المطلقين لا ... في الكون من عجائب والوحوش لا في حياة الإنسان من ... من ... القارب على شكل ... ؟

تخيل جميع الأساطيل الجوية والبحرية وجميع الجيوش التي انطلقت في البر والبحر والجو ... ويقتلها الإنسان ... بجسمه ... الأخير ... فكره ... أنه أنت في ... هذا الإنسان الخالق من ... ماء مهين

[ البقية في صفحة ٦٢٩ ]

# عقيدة النازى المالية

للأستاذ عباس محمود العقاد

---

قرأت فى العدد السابق من الرسالة مقالاً عن عقيدة النازى المالية أو عن فلسفة التاريخ فى علم الاقتصاد للأستاذ جواد على العراقى « خريج جامعة هامبورك بألمانيا » فرأيت عرضاً صحيحاً لتلك الفلسفة من جانب واحد وهو الجانب الذى يكتب النازيون ليبقى حبراً على ورق أو يحشروا به الصورة ويكسبوا به الأنصار

ولهذا وجب أن نتم هذه الفلسفة من جانبها العملى الواقعى تصحيحاً للآراء ... وبياناً للحقيقة من مقاصد اساسها وأعمال المبشرين بها ... فإن الجانب المكتوب والجانب المعمول من فلسفة النازيين الاقتصادية يختلفان كثيراً فى مواضع الآن ، بل يتناقضان كل التناقض فى أكثر الأحيان

مثال ذلك يقول الأستاذ جواد فى تلخيص بعض المبادئ النازية إنهم « لإنقاذ الشعب والحكومة من عبودية الربا وجب تنظيم الأرباح على قاعدة الربح على قدر السعى ، والقضاء على جبروت الجمع الكبرى والشركات الاحتكارية ، وتقسيمها إلى عمال صغيرة ، فعشر مائة ألف إسكاف خير من وجود خمس شركات كبرى ، لأن من طبيعة العمال الكبرى الميل إلى الأرباح دون الالتفات إلى المستهلك ... أما التجارة الخارجية فيجب أن تشرف عليها الدولة كذلك وتحدد أسعارها ، وتقوم بذلك الدول مما يجب بتلك مساعدات تجارية حسب رغبات الدول وحاجاتها لا على موجب علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة أو المبادئ السالبة الأخرى »

هذا ما يقولون عن الأرباح ، وشركات الاحتكار ، أما ما يعملون فهو تسليم شركات الاحتكار زمام التجارة والثروة فى جميع مرافق البلاد ، فإن مديرى « الغرف الاقتصادية » المشرفين كذلك على فروع الصناعة والتجارة « جميعاً من رجال الاحتكار المعروفين كالهر كرشر Herr Karcher مدير المصانع فى إقليم السار الذى اشتهر بالقسوة البالغة فى العمال ، وكالبارون فون شرودر Baron von Schroeder مدير غرفة أعالى الرين ، وكالهر بيتش Herr Pietsch المشهور بالشركات الكيمية ومدير الغرفة الاقتصادية فى بافاريا ... وغيرهم من سائر المديرين

وقد أصدر النازيون قانوناً سموه قانون إصلاح الشركات أو حصص الشركات Aktienrechtsreform حرموا فيه على الشركات التى يقل رأس مالها عن مائة ألف مارك بعد بداية سنة ١٩٤٠ ولم يحصر القسمة على الشركات التى يبلغ رأس مالها خمسمائة ألف مارك بل أوجبوا على كل شركة تزاول بعد التاريخ المحدود ألا يقل رأس مالها عن ذلك المقدار

وكان النازيون يقولون قبل ولاية الحكم إنهم سيضعون أيدى الحكومة على المصارف ويتولون الأعمال بمناصب الإدارة فيها ، فحسروا تقيص ما دعوا إليه وباعوا للمصارف جميع أسهم الحصص التى كانت الحكومات السابقة قد اشترتها من قبل تعزيزاً لرؤوس أموالها ومساعدة لها على مقاومة الصدمات التى استهدفت لها فى أيام الكساد ، وهذا ما حدث فى مصرف الدويتشه Deutsche Bank ومصرف درسدنر Dresdner Bank ومصرف التجارة Commerz und Privat Bank وغيرها من المصارف الكبيرة والصغيرة

وكان المستشار برونتج Bruning قد أمر فى مرسوم الطوارئ الذى صدر فى السادس والثلاثين من شهر أكتوبر سنة ١٩٣١ بضرورة التقليل من مكافآت رجال الإدارة والرقابة فى الشركات والمصارف ، فلم يرد النازيون فى السنة الثامنة والسبعين من تاريخهم على الوعد بأن تكون « مكافآت مناسبة للأعمال التى يؤديها المديرون والرائيسون » ثم اكتفوا بتحريم الاشتراك فى أكثر من عشرة مكاتب للشركات والهيئات الاقتصادية من جهة المبدأ ... ومعنى « من جهة المبدأ » هنا أن الاشتراك فى أكثر من عشرة مكاتب جائز من جهة الواقع مع أنه لو حرم الاشتراك فى أكثر من ذلك العدد تحريماً باتاً لاستحق جمعاً أن يوصف إصلاحاً تحتاج إليه تلك البلاد

وعلى خلاف ما أذاعوه من مكافحة الاحتكار أصبح المحتكرون وهم يملكون زمام التجارة الخارجية فى كثير من الأقطار ، فعقد الهر أوتو وولف Herr Otto Wolff اتفاقاً مع حكومة منشوكو

يضم المحتكرين الحديد في ألمانيا النازية يفرضون تلك الحكومة بوجيه مليون جنيه، ويشترطون عليه أن تقصر الشراء عليهم دون سائر الشركات، وكذلك انعقد الاتفاق بين مصانع كروب وبين اليابانيين على أمثال هذه الشروط

* * *

ويقول الأستاذ جوان بن النظرية رأيه: «أن خير حل لمشكلة العمل والمال هو الاعتراف جميعاً بالملكية الشخصية ورأس المال، ومعنى هذا أن صاحب المال أو العمل من جهة أخرى هو سيد لماله أو لعمله، أو عليه أن يتصرف به وفق الأنظمة والقوانين والطرق الشرعية الشريفة... وكل من يحاول استغلال ماله عن طريق مخالف لمبادئ النازية يكون نصيبه معسكرات الاعتقال أو الإعدام»

وهذا أيضاً من التعبير عن الحرية التي لا أثر لها في عالم الواقع فقد سمعنا عن ألوف العمال الذين قتلوا بمحاكمة أو بغير محاكمة، والذين أرسلوا إلى معسكرات الاعتقال أو حرموا العمل في أنحاء البلاد كافة لأنهم يطالبون بحقوقهم أصحاب المصانع والشركات، ولكننا لم نسمع بصاحب مصنع واحد قتل أو أرسل إلى معسكرات الاعتقال أو أقصي عن مصنعه لأنه ظلم العمال أو حرمهم حصتهم من الربح والأجر المعقول

وقد ظل التفاوت عظيماً بين أرباح المديرين وبين جملة الأجور التي يتقاضاها العمال. فإن الهر كرجن Herr Kritgen مدير شركة Siemens Shuckert يقبض وحده عائدة ألف مارك في السنة أجراً لإدارته عدا الأرباح والمكافآت التي يتقاضاها من الإدارات الأخرى. وفي مصرف التجارة السابق ذكره سبعة مديرين يقبضون مئتين وخمسين ألف مارك في السنة، ولا يطيقون تنقيص أجور العمال الصغار لزيادة الأرباح

والربح يتضاعف في الشركة الأولى، شركة Siemens أن توزع حصة من الأرباح على عمال الشركات من قبيل المكافأة لأن الأرباح الصافية قد أربت في تلك السنة — ١٩٣٧ — على عشرين مليون مارك ... فرفض النازيون الاقتراح

ومن ثم تتقدم سائر المبادئ التي يدعو بها النازيون لإصلاح العمال أنهم يخدعونهم ولا يحاربون المحتكرين والمتصرفين بالجملة في الأسواق

* * *

أما التجارة الخارجية فمشكل ما صنعوه فيها من قواعدها المعروفة أنهم خرجوا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ التجارة والنظم الاقتصادية الأخرى، وأدخلوا فيها التحسيب والتجريح

وهذه خلاصة السياسة الاقتصادية التي يعاملون بها الأمم الأجنبية:

يغرون تلك الأمم بمعاملتهم فيعرضون عليها أثماناً أعلى من الأثمان التي تبيع بها محصولاتها في الأسواق الأخرى

ثم يأخذون تلك المحصولات فيعرضونها في الأسواق بأثمان أرخص كثيراً من أثمانها التي اشتروها بها

ثم يعطون البدل مقايضة لا نقداً ولا عملة ثابتة القيمة في التبادل المتعامل، فيعرضون مصنوعاتهم وأدواتهم بدلاً من المحصولات الزراعية التي هم في حاجة إليها

ثم يتحكمون في الأمم التي اشتروا منها تلك المحصولات الزراعية فلا يعرضون عليها إلا المصنوعات التي يختارونها ولا حيلة لها في رفضها، لأنها لا تعرف وسيلة غير هذه الوسيلة للوصول إلى حقوقها

فما تكون النتيجة؟

تكون النتيجة أن الأمم التي تعاملهم تخسر «عملاءها» الأولين لأنهم يشترون محصولاتها من النازيين بأرخص من الأثمان التي يشترونها بها منها

وتكون النتيجة أن الأمم تضطر إلى قبول مصنوعات لا تحتاج إليها، ثم تقيد نفسها تقييداً ثابتاً بأثمان أعلى من أثمانها بعد أن تضطر إلى البيع للنازيين والشراء من النازيين دون سائر «العملاء» الآخرين

وقد يُحسب هذا الأسلوب اختراعاً أو فلسفة أو مهارة كما يدعي المهاجرة النازيون المعجبون بأمثال هذه الأساليب

لكن الواقع أنه هو أسلوب التجار المحتالين المعروفين من قديم الزمان، ومنه يقول العامة عمن يباشر هذه المراوغات في التجارة والمقايضة «إنه يلبس طاقية هذا لذاك» وإنه يعطي بالشمال ويأخذ باليمين... ولو صنع تاجر مثل هذا الصنيع في مدينة من المدن لضاع شرفه وشاعت سمعته بعد أشهر معدودات

* * *

نعم في الشرق نسمع كثيراً عن فلسفة الثائرين في الاقتصاد، وفلسفة الثائرين في التربية، وفلسفة الثائرين في السياسة، وفلسفة الثائرين في القوانين وغير القوانين

ومن الواجب أن نسمع كثيراً من جميع أولئك على شريطة أن نسمع كل شيء، وأن نحيط بكل جانب، وأن نسمع الفلسفة ونحاول أن نرى الشخص الذي وراءها

وعندئذ نعرف الحقيقة ونتعلم أن لا عصمة ولا طعن في كل شيء، وفي كل مذهب

ونعلم أن «الثائرين» أكثرهم كثيرو الشكوى من الفشل والخداع والأمراض الزائلة والنهوض الذي يصيح به الأحرار ولا يجوز على أحد من المنصفين

عباس محمود العقاد

# بابر

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

لقد أعقب موت تيمورلنك عصراً من الاضطراب السياسي في إيران وما وراء النهر. وقد استطاع ابنه شاه رخ أن يثبت سلطانه على معظم ملك أبيه، ويكبح الثائرين من أقاربه. فلما توفي سنة ٨٥٠ هـ عم النزاع، واشتد الاضطراب، حتى نشأت الدولة الصفوية، وكان انتصار الشاه إسماعيل في موقعة شرور سنة ٩٠٧ بعد قرن كامل من وفاة تيمور فاتحة حروب مظفرة مدت سلطان إسماعيل إلى أفغانستان ونهر جيحون، فاجتمعت هذه البلاد لسلطان واحد

ولقد كانت لبني تيمور على ما كان بينهم من حروب، وعلى قصر زمان كثير منهم، آثار محمودة في الفنون والآداب، وقد نبغ منهم جماعة من ذوي الآثار الزاهرة في ذلك العصر مثل الغ بك حفيد شاه رخ، والسلطان أبي سعيد، والسلطان حسين ميرزا

— ٢ —

ونتكلم الآن في سيرة عبقري من سلالة تيمور تقلبت به غير الدهر بين هزيمة ونصر، ونجاح وخيبة، فكشفت عن خلال من الهمة والطموح والشجاعة والصبر أنبتت به قيام دولة من أعظم الدول التي عرفت في تاريخ الإسلام، وتسمو به في صفحات التاريخ عبقرية القوي العظيم، ومثلاً لأصحاب النفوس الكبيرة

ذلكم محمد ظهير الدين بابر الذي يتصل نسبه بتيمور في سنة آباء: بابر بن عمر بن أبي سعيد بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور

وامتاز هذا الرجل العظيم بأنه ترك للتاريخ سيرته مفصلة بقلمه مصورة صورة صادقة طبيعية بعيدة عن التكلف والرياء في كتابه «بابر نامه» الذي سنذكره من بعد، وليس أعجب بين العظماء رجلاً كتب سيرة نفسه في بيان مستوعب تام طبيعي صريح كما فعل بابر

٣

كان أبوه عمر شيخ أميراً على فرغانة ولاه إياها سنة ٨٧٠ من قبل أبيه السلطان أبي سعيد، واستمر أميراً عليها بعد وفاة أبيه إلى أن توفي سنة ٨٩٩. وهنا نستمع حديث بابر عن أبيه في «بابر نامه»

«كان حنفي المذهب، صحيح العقيدة، مواظباً على الصلوات في أوقاتها، قد قضى جميع ما فاته من الصلوات، وكان يديم تلاوة القرآن، وكان من مريدي الشيخ عبيد الله — وهو المعروف بخواجه أحرار — حريصاً على صحبته والتبرك به، ويدعوه الشيخ ابنه

«وكان يحب الأدب، قرأ منظومات: نظامي والمثنوي والشاهنامه، وكتباً في التاريخ، وكان قادراً على نظم الشعر ولكنه لم يحتفل به

«وكان عادلاً يبين عدله المثل من هذه الواقعة: نزلت قافلة عظيمة من الصين آتية من بلاد ختا على سفوح الجبال شرقي أنديجان فلم ينج من ألف رجل إلا رجلان، فبعث رجالاً أحصوا أموال القافلة وأبوا أن يعطوها لأهلها مع احتياجه إلى المال، فلما جاء ورثتهم بعد سنة أو سنتين سلمهم إياها كاملة

«وكان سمحاً حسن الخلق فصيح الكلام حلو الحديث شجاعاً باسلاً يحسن الضرب بالسيف، وكان وسطاً في الرمي بالسهام، شديد اللكم لا يثبت للكمته مصارع» إلى أن يقول: «وكان يكثر من الخمر

ولكنه اقتصد من بعد فكان يعالي ذلك يوماً أو يومين في الأسبوع ... »

ويقول : « كان عمر شيخ ميرزا قصير القامة مستدير اللحية بديناً عظيم البطن يلبس ثوباً ضيقاً جداً فإذا شد أزراره ضغط على بطنه وكثيراً ما تقطعت الأزرار بعد أن يشدها . وكان لا يتكلف في ملبسه ، وعمامته لفة واحدة ، وكانت العمائم إذ ذاك أربع لفات وكان يلفها دون طي ويتركها تتدلى ، ويلبس في أكثر أوقات الصيف ... »

ويقول عن أمه إنها من بنات يونس خان وهو من ذرية جغتاي بن جنكيز . وبعد أن يتكلم عن نسب يونس خان وسيرته يذكر أولاده واحداً واحداً إلى أن يقول : « وكانت بنت يونس خان الثانية أمي قتلق نكار ، وقد رافقتني في أكثر أيام كفاحي وغزواتي ، وتوفيت رحمها الله عام ٩١١ بعد استيلائي على كابل بخمسة أشهر أو ستة »

ويذكر أولاد أبيه فيقول : « ترك ثلاثة بنين وخمس بنات ، وكنت أنا ظهير الدين محمد بابر أكبر أبنائه وأمي قتلق نكار »

— ٤ —

مات عمر شيخ سنة ٨٩٩ ﻫ فورث ابنه بابر ملك فرغانة ، وهي ولاية على نهر سيحون وكانت سنه يومئذ اثنتي عشرة سنة

ومن الممتع أن نقرأ في « بابر نامه » الفصل الأول الذي يفتتحه بابر بقوله :

« في شهر رمضان من سنة ٨٩٩ وفي الثانية عشرة من عمري صرت ملكاً على فرغانة وهي من الإقليم الخامس في طرف المعمورة تحدها كاشغر من الشرق وسمرقند من الغرب وجبال بدخشان من الجنوب ، وكان في خطها مدن عظيمة » (ثم يمضي في ذكر مدن فرغانة وأنهارها وحيوانها ونباتها)

لم يكن ملك فرغانة ميسراً لبابر ، فقد صبت عليه أحداث عظيمة لم تستقر بها مملكته إلى أن أخرج منه طريداً بعد عشر سنين من موت أبيه

طمع أعمامه في مملكته أول الأمر وحاولوا أن يغتصبوا عرش فرغانة ، فلم يظفروا بما أملوا

يقول بابر : « لما توفي عمر شيخ ميرزا كنت في جهارباغ في أنديجان

ويوم الثلاثاء ١٥ رمضان جاء نظر بيكي وركبت جوادي على عجل وسرت إلى القلعة فلما كنت ... لحقني ... طلب ميرزا أصلك (شيرم طغائي) بعنان الفرس وسار إلى النمازكاه (عيدكاه) وكان قصده حتى أن يأتي السلطان أحمد ميرزا في جيوشه الكثيرة فيسلمني الأمراء إليه مع المملكة ، ولو أنه ذهب بي إلى أوزكند في سفح جبل آلاتاغ ، فإذا سلم الأمراء الولاية للسلطان أحمد نجوت أنا وذهبت إلى آلاجه خان أو السلطان محمود خان من أخوالي »

لكن لم يلبث بابر بعد أن ورث ملك فرغانة أن يعول على سمرقند ليكون خليفة جده تيمور في دار ملكه . فلم يزل حتى فتح سمرقند سنة ٩٠٣ ﻫ (١٤٩٧ م) ثم ثار بعض الكبراء في فرغانة فأخرجوها من سلطانه فخرج ليردها إلى حكمه فخذلته جيوشه ففقد سمرقند أيضاً ولكنه استطاع أن يسترد فرغانة وسمرقند بعد جهاد وعنى

ولم يستقر له الأمر طويلاً فقد أخرجه الأوزبك من سمرقند وفرغانة معاً سنة ٩٠٦ ﻫ فبقي بابر سنتين تائهاً يطوف في البلاد ويحاول استرجاع ملكه ، وهو يحدث أنه هزم مرة ففر في ثمانية من أنصاره وتعقبهم العدو وأعيت الخيل ، فتخلف بعض رفاقه ، وبقي معه اثنان فلما أعيا فرسه نزل له أحد الرجلين عن فرسه ، فسار حتى أعيا الفرس الثاني ، فقدم إليه الرجل الآخر حصانه ، وسار وحده ووراءه اثنان من الأعداء حتى جن الظلام ، فترجل وأوى إلى صخرة ليعتصم بها ونجا من متعقبيه ... ومثل هذا كثير في حياة هذا الرجل الشجاع الصبور

ولأنه لم يقدر لبابر أن يكون ملكاً ، فقد عجز عن استرجاع فرغانة وسمرقند عزم على أن يختط بالسيف مملكة أخرى ، فما كان له بد من أن يكون ملكاً طموحاً أو كريماً ، فاجتاز جبال هندكوش الشاهقة وفتح كابل ثم بسط سلطانه في أرجاء أفغانستان

بابر اليوم ملك مسلط على أقاليم من أفغانستان ولكن همته تحاول ملكاً أعظم ، وعزيمته لا تقر بالعجز عن استرجاع عرش آبائه فيما وراء النهر . وجاء ميرزا السلطان إسماعيل الصفوي يطرد الأوزبك من خراسان ... إلى أفغانستان فيحالف بابر إسماعيل الصفوي على عدوه من الأوزبك

سار بابر إلى سمرقند سنة ٩١٧ فأخذها ولكنه أخرج منها بعد حين وهزم هزيمة شديدة أيست بابر بعد أن أقبل على ملك ...

يئس بابر من حركته بعد هذه الخطوب أو كاد ييأس مما نالنا اليوم بعينه . فإذا بطل ! أيقنع بما ملك من أفغانستان ويترك الهندوستان حتى تتيح له فرصة ، أم يعبر الهندوستان على الشعور النبيله ويوسع سلطانه في أرض الله الواسعة ؟

كانت جيوش بابر تترقرق إلى حدود الهند أحيانا فما الذي يمنعه أن يعبر وقد ملكنا قبلنا في هذه الأرض الخصيبة ؟

غزا الهند فبلغ أطرافها الشمالية سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) واستولى على بعض الأقاليم ثم رجع إلى كابل فانتقضت هذه الأرض التي فتحها ، ولكن هذه الغارة حببت جيشه إلى هذه الأرض الغنية الواسعة

٥

كان السلطان في دهلي يومئذ إبراهيم اللودي الأفغاني الأصل الحسوب على أسرته منذ ٨٥٥ . وكان إبراهيم ولوعاً بأبهة الملك يعدّ الناس جميعاً رؤساء الأفغان لأتباعه وخدمه ، كان يلزمهم أن يقفوا في حضرته صامتين مطرقين ، فسخط عليه وتجمع بعضهم على أخيه علاء الدين وحاول أن يخلع إبراهيم الملك ، وثار آخرون فقابل إبراهيم ثورتهم بالشدة والقسوة ، وقتل بعض زعمائهم ، وتتابعت الثورات في أرجاء المملكة حتى وفد علاء الدين إلى كابل يلتمس عوناً من بابر على ابن أخيه ؛ وتلك هي الفرصة التي لا يضيعها بابر ، والأمنية التي كان ينتظرها ويتطلع إليها ويشتد بها ، وكان محباً للمخاطر والقتال .

أسرع إلى انتهاز الفرصة حتى بلغ لاهور فإذا جيوش دهلي قد انحسرت إلى (الشاري دولت خان) فغلب بابر وهزمهم في جوار لاهور ، ثم أسرع فتقدم إلى دهلي ، علاء الدين اللودي عنها ورجع إلى كابل

وفي سنة ٩٣١ (١٥٢٥ م) رجع بجيوشه إلى الهند وقد أعد له عدته فقلبه (الشاري دولت خان) عاريا ، وكان قد أرهبه سيوفه ، ولكن جنده تفرقوا عنه لما اقترب بابر . والتقت جيوش كابل بجيوش دهلي ، وكان السلطان إبراهيم خرج للحرب في مئة ألف مقاتل ومئة فيل ، ونزل بابر مدينة (باني بت) المشهورة وجعل على يساره خنادق وحواجز من الأشجار ، ووضع أمام جيشه عربات المدافع مشدودة بسلاسل وجعل بين كل عربتين فرجة تسع الواحدة منها مرور مائة فرس ، ورتب جيوشه ميمنة وميسرة ووقف في أقصى اليسار وأقصى اليمين سرية من الفرسان المغيرة حين الحاجة

وفي ليلة الثامن من رجب سنة ٩٣٢ (٢١ أبريل سنة ١٥٢٦)

تأهب بابر لجيش السلطان إبراهيم ولم يشعر بأنه قد خرج من معسكره . وعند الفجر تحركت جيوش إبراهيم فهجموا على ميمنة بابر وحسب بابر أنهم يقصدون مقدمه الأيمن فأمده ولما هجمت الجيوش الهاجمة إلى الخنادق والحواجز ووجدت العربات المشدودة ترددوا وسيطهم الجانب إلى ورائهم ، فاضطرب أمرهم ، فانتهز بابر الفرصة وأرسل سرية الفرسان من الجناحين حتى بلغت العرب فدارت حول العدو ورموه بالسهام من الخلف ، ووقف بابر كالصخر يرقب المعركة ، فلما تقدمت جماعة من عسكره على غير عادة فزلزلهم أسرع إلى إمدادهم ، وإذا اشتد ضغط العدو على ميمنته أسرع إلى إمدادهم أيضاً ، وكان الأستاذ علي رئيس المدفعية في مقدمة الجيش نشيطاً موفقاً في عمله

وانجلت المعركة عن السلطان إبراهيم قتيلاً بين خمسة عشر ألفاً من جنده .

يقول بابر : « كانت الشمس قد ارتفعت حين بدأ الهجوم واستمرت المعركة إلى الظهر فكانت هزيمة العدو ونصر أصحابنا ، ويسر الله العظيم في هذه المصاعب وهون علينا هذا الجيش الكبير في نصف يوم »

وغنم في هذه الوقعة وبعدها من الذهب والجواهر والسلاح والفيلة ما لا يحصى فرقه بابر على جنده ولم يحرص على ادخاره

وسار بابر فأرسل سريتين فاحتلتا دهلي وأكرا ، وفي يوم الجمعة ١٤ رجب سنة ٩٣٢ خطب لبابر في جامع دهلي ، فبدأ في الهند تاريخ الدولة الإسلامية العظيمة التي سيطرت على الهند كلها حيناً وبقي سلطانها في تلك البلاد إلى سنة (١٢٧٥ هـ — ١٨٥٨ م)

(البقية في العدد القادم) عبد الوهاب عزام

في الاجتماع اللغوي

# نشأة اللغة الإنسانية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

---

تمهيد في أنواع التعبير الإنساني

للتعبير الإنساني طرق كثيرة ترجع أهمها إلى قسمين رئيسين:

(القسم الأول) التعبير الطبيعي عن الانفعالات. ويشمل جميع الأمور الفطرية غير المقصودة التي تصحب مختلف الانفعالات السارة والأليمة: كالصراخ، والضحك، والبكاء، وتقلص الأسارير وانبساطها، واتساع الحدقة، وانقباض الشفتين، واحمرار الوجه واصفراره، ووقوف شعر الرأس، وارتعاد الجسم... وما إلى ذلك من الظواهر الفطرية التي تبدو بشكل غير إرادي في حالات الفرح والحزن والألم والخوف والغضب والاشمئزاز... وما إليها، والتي تعبر عن تلبس حالة وجدانية خاصة بالشخص الصادرة عنه.

وتنقسم هذه التعبيرات من حيث الحاسة التي تدركها عن طريقها إلى نوعين:

١ — تعبيرات بصرية، أي تدرك عن طريق البصر، كاحمرار الوجه، والرعشة، وتقلص الأسارير وانبساطها، واتساع الحدقة وانقباض الشفتين، ووقوف شعر الرأس والبكاء... وما إلى ذلك من الظواهر الجسمية التي تصحب مختلف الانفعالات.

٢ — تعبيرات صوتية، أي تدرك عن طريق حاسة السمع، كالضحك والبكاء والصراخ... وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية الفطرية التي تصحب حالات الفرح والألم والحزن والسرور... وهلم جرا. ويتألف هذا النوع من أصوات مبهمة (تشبه أصوات الحيوان وأصوات مظاهر الطبيعة) وأصوات لين (حروف مد) مختلطة أحيانا ببعض أصوات ذات مقاطع (حروف ساكنة).

(القسم الثاني) التعبير الإرادي عن المعاني، ويشمل جميع الوسائل المكتسبة التي يستخدمها الإنسان بشكل إرادي للتعبير عن المعاني والمدركات. فهذا القسم يختلف عن القسم الأول في نشأته وطرق استخدامه وما يعبر عنه: فهو كسبي مكتسب، إرادي في استخدامه، معبر عن معان ومدركات؛ على حين أن القسم الأول فطري النشأة، يصدر بشكل غير إرادي، ويعبر عن تلبس الشخص بحالة وجدانية انفعالية.

وتنقسم هذه الطائفة من التعبيرات، من حيث الحاسة التي تدركها عن طريقها، إلى نوعين مشابهين لنوعي الطائفة الأولى: أحدهما التعبيرات الإرادية البصرية، وثانيهما التعبيرات الإرادية الصوتية.

١ — أما التعبيرات الإرادية البصرية، فهي التي تدرك عن طريق حاسة البصر. وتشمل جميع الإشارات المختلفة التي تستخدم بقصد الدلالة. وهي على ضربين:

(أحدهما) إشارات مصطلح عليها وثابتة، أي مصاحبة للغة الكلام أو تنوب عنها في حالات خاصة أو لضرورة ما.

من هذه الطائفة الإشارات البحرية، وهي التي تستخدم من بعد بين سفينة وأخرى، وهي إشارات دولية معروفة لجميع البحارة وتدرس في مدارس البحرية.

ومنها كذلك إشارات الصيد وهي التي يستخدمها الصيادون بعضهم مع بعض، حتى لا يسمع صوتهم الحيوان المطارد.

ومنها الحركات اليدوية والجسمية التي يستخدمها الصم البكم للتعبير عن عقولهم وخواطرهم.

ومنها الإشارات التي يلجأ إليها الفرد أحيانا للتعبير إذا كان المخاطب لا يفهم لغته؛ والتي جرت العادة في بعض الأمم الأولية أن يستخدمها أفراد العشائر المختلفة للتفاهم بعضهم مع بعض.

وقد عثر علماء الاجتماع والإثنوجرافيا على شواهد كثيرة من هذه الظاهرة عند كثير من عشائر السكان الأصليين لأمريكا وأستراليا وعند بعض القبائل الإفريقية. فقد روى الأستاذ كوهل Kohl أنه رأى هنديا أحمر (من السكان الأصليين لقسم من أمريكا الشمالية) يحادث فردا من عشيرة تختلف عنه في لغته، فالتجأ بعد أن عجز عن التفاهم بلغته إلى لغة الإشارات التي تعرفها هذه العشائر بمنزلة لغة دولية. وقد ظهر المتحادثان في هذه اللغة أيما مهارة، حتى أمكن للمتخاطبين أن يظلا يوما كاملا يتحدثان عن طريق الإشارات باليد والأصابع والرجلين، وأن يفهم كل منهما

على الآخر كل ما يود قصه عليه(١)

ومن الإشارات التي تستخدم في بعض الشعوب في حالات الصيام الديني عن الكلام . وهذا النوع من الصيام منتشر عند كثير من الأمم الأولية وخاصة عند السكان الأصليين لأستراليا وأمريكا . فقد ذكر الأستاذان سبنسر وجيلن في كتابهما عن سكان استراليا الوسطى(٢) حالات كثيرة من هذا القبيل ، منها أن الزوجة التي يموت زوجها يجب عليها أن تظل مدة طويلة ، تبلغ أحياناً سنة كاملة صائمة عن الكلام . ويظهر أن شيئاً من هذا كان متبعاً عند العبريين ، بدليل قوله تعالى على لسان مريم : « إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ، فأشارت إليه . . الآية »

ومن الحركات التي يستعين بها في أثناء حديثهم أهل الشعوب السامية الشائعة لتكملة ما ينقص تعبيرهم وما يعوزه من دلالة .

وقد لوحظ هذا في كثير من الأمم الأولية ، فقد روى عن البوشيمان Boschimans ( قبائل أولية تسكن بعض مناطق في أفريقيا الجنوبية ) أنهم إذا أرادوا التحدث ليلاً في الظلام لا يتمكنون من رؤية الإشارات اليدوية التي تصحب كلامهم فتكثر ألفاظهم ويتعذر تفاهمهم(٣)

ومن الإشارات التي تصحب حديثنا عن التوكيد اللفظي ، أو تمثيل الحقائق ، أو زيادة التوضيح ، والتي تستخدم وحدها للدلالة على الإعجاب والنفي والاستحسان وما إلى ذلك ، كالإيماء بالرأس للتعبير عن القبول ، وتحريك السبابة حركة مستعرضة للتعبير عن الرفض أو النفي ، وضم الشفتين ووضع السبابة عليهما للأمر بالسكوت ... وهلم جرا

(وثانيهما) إشارات أصيلة هامة ، وهي التي يتكون منها لغة كاملة مستقلة تستخدم وحدها في جميع الشئون والظروف .

وقد استخدم هذا النوع من اللغات عند بعض الجماعات الإنسانية ولا يزال مستعملاً في بعض المناطق عند كثير من الأمم الأولية في جماعات كثيرة لا تكاد تستخدم في سيرها غير الإشارات اليدوية والجسمية . ومن هؤلاء بعض قبائل السكان الأصليين لأمريكا وبعض قبائل أوقيانيا ، وتطلق على هذه الطريقة من التعبير اسم « لغة الإشارات » أو « الإشارات التحليلية » Gestes Analytiques(١) وقد عني بدراستها عدد كبير من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع من أشهرهم مولري Mallery(٢) وتيلور Tylor(٣) ورومانس Romanes(٤) ولوبوك Lubbock(٥) وسبنسر وجيلن Spencer and Gillen(٦) وليفي بريل Levy Bruhl(٧) وريبو Ribot(٨) والدكتور فشر الألماني Fischer(٩)

وقد صور الدكتور « فشر » هذا النوع من اللغات وقربه إلى الأذهان إذ يقول :

« لقيت أحد الهنود الحمر وأردت أن أخاطبه بلغة الإشارات لأسأله هل رأى ست عربات يجرها ثيران ويصحبها ستة سائقين منهم ثلاثة مكسيكيون وثلاثة أمريكيون وواحد فقط ممتط صهوة جواده ، فأشرت إلى شخصه بيدي للدلالة على كلمة « أنت » ، ثم أشرت إلى عينيه للدلالة على فعل « الرؤية » ، ثم أبسط أصابع يدي اليمنى وسبابة يدي اليسرى للدلالة على عدد « ستة » ، ثم كونت صورة دائرة بإلصاق طرفي السبابتين والإبهامين إحداهما بالأخرى وأمد يدي إلى الأمام وأحركهما كما تتحرك عجلات العربة وهي تسير للدلالة على « العربة » ، ثم أضع السبابتين ممدودتين بجانب الجبهة مثلاً قرني حيوان للدلالة على « الثور » ، ثم أمد ثلاثة أصابع من يدي اليسرى وأضع يدي اليمنى تحت شعر الذقن وأهبط بها إلى صدري مثلاً لحية للدلالة على « ثلاثة مكسيكيين » ، ثم أمد من ناحية ثلاثة أصابع وأمسح جبهتي بيدي من اليمين إلى الشمال مثلاً وجهاً أبيض ...

(١) انظر ليفي بريل « الوظائف العقلية في الأمم الأولية » ص ... وما بعدها
Levy Bruhl: Fonctions Mentales ... etc, P.P ... et suiv
(٢) Spencer and Gillen: Native tribes of Central Australia
(٣) V. Ribot, L'Evolution des Idées Générales, P. 78 et suiv.

(١) ... Ribot: L'Evolution des Idées Générales
(٢) انظر كتابه Sign Language among the North American Indians
(٣) انظر كتابه Early History of Mankind
(٤) انظر كتابه Mental Evolution in Man
(٥) انظر كتابه The Origin of Civilisation
(٦) انظر كتابيهما Native tribes of Central Australia, Northern tribes of Central Australia
(٧) انظر كتابيه La Mentalité primitive و Les Fonctions mentales dans les Sociétés inférieures
(٨) انظر كتابه Evolution des Idées générales
(٩) نشر الدكتور فشر في بحوث كثيرة دراسة لهذا النوع من اللغات عند قبائل أفريقيا الوسطى وعند السكان الأصليين لأمريكا

للدلالة على « ثلاثة أشخاص يأكلون » ، ثم أرسم إنساناً واحداً وأضع بعد ذلك سبابة اليمنى بين سبابة اليسرى ووسطاها تمثيلاً لراكب للدلالة على « رجل واحد راكب حصاناً ».

وأضاف إلى ذلك أن الوقت الذي يقضيه أحد المتكلمين بهذه اللغة في أداء هذه الحركات لا يزيد كثيراً عن الوقت الذي يستغرقه تعبيرنا عن الجملة الكلامية عن هذه المعاني.

وذكر الأستاذ تيلور Tylor بصدد هذه اللغة أن لها قواعد إشارية لربط أجزاء الجملة بعضها ببعض وترتيب عناصرها؛ وأنها في مجموعها تكاد تكون متحدة عند جميع الشعوب التي تستخدمها، فهي من هذه الناحية أشبه شيء بلغة دولية؛ وأنه يمكن أحياناً التعبير بها عن حقائق دقيقة كقصص وضرب أمثال وقص حكايات؛ وأنها في جملتها وفي معظم تفاصيلها تشبه لغة الصم البكم، فقد جمع موازنة بين بعض [illegible] البكم وطائفة من الهنود الحمر المتكلمين بلغة الإشارات، فأخذ الأصم الأبكم يقص عليهم بالإشارات قصة طويلة تتعلق بحادث سرقة، وعقب على هذه القصة بتعليقات من عنده، فلم يفتهم شيء من حركة من حركاته، لاتفاقها مع حركاتهم المعهودة.

وذهب العلامة « رسو » إلى أنها قابلة للإصلاح والتهذيب، وأنه لو طال استخدام الشعوب الإنسانية لها لسارت في سبيل الارتقاء، ولأصابها كثير من أسباب التهذيب تحت تأثير الرقي المعاني ومطالب الحياة الاجتماعية، والتعبير عن الأحاسيس والانفعالات [illegible] وما إلى ذلك.

غير أنه من المتعذر [illegible] التهذيب [illegible] معنى مستقلاً بذاته، فتحول دون القيام بأي عمل آخر في أثناء التعبير، ويتوقف إدراكها على النظر، فلا يمكن التعبير بها عن بعد ولا في الظلام، [illegible] ، فلا يكاد يقوى على التعبير عن [illegible] وصور التفكير والوجدان [illegible] من الدقة في كثير من مظاهرها، وأنها تقتضي إسرافاً كبيراً في الوقت والمجهود.

٣ - وأما التعبيرات الإرادية السمعية، وهي التي تصل عن طريق حاسة السمع، وهي الأصوات المركبة من المقاطع التي تتألف منها الكلمات.

وهذا النوع هو الذي تنصرف إليه كلمة « اللغة » إذا أطلقت، وهو وحده الذي يعنينا في بحثنا هذا. وما ذكرنا الأنواع الأخرى إلا لاستيفاء مظاهر التعبير من جهة، ولأننا قد نحتاج إليها من جهة أخرى في بيان نشأة هذا النوع، أو في ضرب الأمثال أو الموازنة، أو مناقشة النظريات وتوضيحها، وما إلى ذلك من الأمور التي سنعرض لها، بصدد نشأة اللغة، في المقالات التالية إن شاء الله.

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السوربون

أدبنا

# أبو النجم الرجاز

## وهشام بن عبد الملك

### للأستاذ علي الجندي

في عصر بني أمية اشتهر ثلاثة من الرجاز ، وهم الشعراء الذين [illegible] في أبواب [illegible] والولاة ، [illegible] جزيل الصلات وسني الهبات ، بل [illegible] على أن يتطروا إليهم بين الصحاة والأكابر ، ويرو [illegible] متناقضين يجثى بأسهم ويرهب صولتهم ، [illegible] إلى عتراتهم [illegible] الفاحش ، [illegible] فكان جرير والفرزدق من الشعراء [illegible]

هؤلاء الثلاثة الذين [illegible] من المخضرمين ، [illegible] والمعنية [illegible] العجاج [illegible] وابنه رؤبة ، وأبو النجم العجلي ، وفيهم [illegible] ما زالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم :

الحمد لله[1] الوهوب المجزل

وقال العجاج : قد جبر[2] الدين الإله فجبر

وقال رؤبة : وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فاستعملوا [illegible]

[illegible] الرجز في الجاهلية [illegible] شأن ، فقد كان البدوي [illegible] منه [illegible] في حرب [illegible] ، والتشبيب ، أو [illegible] في [illegible] ذلك كوصف [illegible] أو [illegible] حتى جاء شيخ الرجز وأحسنهم [illegible] ، الأغلب[3] العجلي من المخضرمين ! فأطاله قليلاً في عهد الرسالة ، فكان مثله في الرجاز مثل المهلهل التغلبي في الشعراء

(1) [illegible] ، وهي أرجوزة نادرة [illegible] على عرضها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق [illegible] ١٣٣ [illegible] ١٩٩ سنة ٩٢٨ م ، ونص خزانة الأدب ج ٤ [illegible] وإدارة الطباعة المنيرية )

(٢) [illegible] مائتي بيت وقوافيها [illegible] ، ولو [illegible] وقد [illegible] لكانت [illegible] كلها ( [illegible] ٥٦ )

(٣) أدرك الإسلام وأسلم واستشهد في وقعة نهاوند

ولكن في هذا العهد [illegible] الأرجوزة [illegible] ، وبارى الشعر في حمل [illegible] الأدبية في [illegible] العصر العباسي ، فاستعمل في المدح والهجاء والفخر والرثاء ، وذكر الديار والدمن ، والوقوف على الأطلال والرسوم والدمن ، وبكاء الشباب ، ووصف الرحلة إلى الممدوح ، والتمهيد بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والذم إلى غير ذلك من أغراض الشعر [illegible]

وحسبك [illegible] الرجز من [illegible] ، قول [illegible][4] لرجل من الأشراف : ما [illegible] ولدك ؟ قال [illegible] قال : [illegible] على [illegible] لا أبالك ، عليهم الرجز فإنه [illegible] أشداقهم »

ومقتضى الإنصاف أن نقول [illegible] إلى [illegible] الرجز [illegible] الشعر : المعاني ، [illegible] الرواة في الرجز كامرئ القيس في الشعر :

والذي يعنينا من هؤلاء الثلاثة [illegible] هو أبو النجم العجلي

واسمه الفضل[1] أو المفضل بن قدامة [illegible] نسبه إلى عجل بن لجيم بن [illegible] بن علي بن بكر بن وائل

وعجل [illegible] من القبائل المعروفة [illegible] ، [illegible] أنها أخرجت للعرب الأغلب وأبا النجم من الرجاز ، وطرفة [illegible] من الشعراء [illegible] المعلقات

كان أبو النجم [illegible] العجاج ورؤبة [illegible]

[illegible] كان لا يرجع إلى [illegible] في الصوت

وكان [illegible] البديهة سريع الخاطر ، يحدث الأصمعي أنه قال أرجوزته : الحمد لله الوهوب الأجزل ، في قدر ما يمشي الإنسان مسافة غلوة أو نحوها ( مقدار رمية سهم )

وكان [illegible] إنشاداً ، وكانت له في الإنشاد [illegible] غريبة ! وهي أنه [illegible] ويرغي [illegible] بثيابه [illegible] ذلك رهبة وهيبة !

(١) [illegible] الأصل [illegible] ١٩٣

(٢) [illegible] بن الشيباني وابن الأعرابي

وروعة الإنشاد لا ينكر أثرها في الغلبة والسبق ! وعلى أنه في عصر يعتمد فيه على المشافهة والسماع ، ويتلاقى فيه الخصوم وجهاً لوجه في المواسم والأسواق

بل إن الإنشاد لم يفقد روعته في عصرنا هذا — عصر القراءة والكتابة — فقد كان حافظ ( حافظ ) في الخطب يملك الجماهير ، وانتزاع التصفيق منهم ، حتى لقد كان يقوم له ذلك مقام البراعة والإبداع في شعر ( شوقي )

ومن شعرائنا المعاصرين من تسمع شعره ثم تقرؤه ، فإذا الفرق بين ما سمعت وما قرأت كالفرق بين الخمر والكرم ، لكثرة ما يتحاسن في إنشاده ويتصانع ويتفنن في التلاوة والتنغيم والترجيع

وكان أبو النجم — دون تمكنه في الرجز — شاعراً مجيداً وقد تألق في بعض مواقفه عُلية بنت المهدي ، كما أنه انتصر على الفرزدق وجماعة من الشعراء في مجلس سليمان بن عبد الملك ، وحاز الجائزة دونهم بقصيدته الشعرية التي أولها

« علق الهوى بحبائل الشعثاء »

ومن الفرزدق[1] حسب النقدة : أن كل مقصّد يستطيع الرجز — وإن لم يكن في ملكه بعض المشقة — وليس كل راجز يمكنه التقصيد . والشاعر الراجز أعلى مقاماً من صاحب الشعر أو الرجز فحسب ، فإن اجتمع الشعر والرجز والقصيدات لإنسان سمي : الكامل . وقد ظفر الفرزدق بهذه المرتبة ، ثم أبو نواس من المحدثين

ولم يكن بد أن تستعر المنافسة بين أبي النجم وبين العجاج وابنه رؤبة ، وقد أظلهم عصر واحد ، وجمعهم مكانه ومجده . ولكن الباحث النفسي يستطيع أن يرد هذا الصراع إلى سبب أعمق من المعاصرة ، وهو العصبية القبلية : فالعجاج وابنه من تميم ثم من مضر ، وأبو النجم من بكر ثم من ربيعة ، وبين تميم ابن مُرّ وبكر بن وائل إحن ومنافسات في الجاهلية والإسلام ! وبين مضر الحمراء وربيعة الفرس حقود وعصبيات حملتها تبعاتها إلى كل بلد نزلت فيه !

وكان العجاج ورؤبة يحسدان أبا النجم ويباريانه ، لما عرف عنه من شكاسة الطبع ووعورة الخلق !

(١) العمدة ، ج ١ : ١٢٦

يقول عامر بن عبد الملك المسمعي : كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندي ، فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النجم يعبث برؤبة حتى أكفه عنه !

ويحدثون[1] أن شيئاً من هذا كان لأبي النجم ، عند حلقة المربد يجلس فيسمع شعره ، وينتقده الناس ويجتمع إليه من تميم ، فما يمنعك من هذا ؟ قال : أو تعيرون هذا ! قال ثم قال : ما تروى بنسي[2] بعيد ، فأتاه فأنشده ، ثم مضى قائلاً :

إذا اصطبحت أربعاً عرفتني ثم تجشمت الذي جشمتني

فلما رآه رؤبة أعظمه ، وقام له عن مكانه وقال : هذا رجاز العرب

ثم أنشد أبو النجم أرجوزته اللامية ، فقال رؤبة : هذه أم الرجز

ومن طريف مباراته[3] العجاج : أن العجاج خرج مختالاً عليه جبة خز وعمامة خز ، فوق ناقة له كوماء ( عظيمة السنام ) قد أجاد وصفها ، حتى وقف بالمربد — والناس مجتمعون — فأنشدهم أرجوزته الرائية :

« قد جبر الدين الإله فجبر »

فذكر ربيعة وهجاها ، فجاء رجل إلى أبي النجم ، فقال له : أنت جالس ، وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس ؟

فقال أبو النجم : صف لي حاله وزيه الذي هو فيه ، فوصفه له ، فقال : ابغني جملاً واكثر عليه من الهناء ، فجيء بالجمل إليه ، فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجليه فيها ، واتزر بالأخرى !

وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده حتى أتى المربد

فلما دنا من العجاج قال لقائده : اخلع خطامه ! فخلعه ، وأنشد أبو النجم أرجوزته :

« تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ! والعجاج يباعده عنها لئلا تفسد ثيابه ورحله بالقطران

حتى إذا بلغ أبو النجم إلى قوله :

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

(١) ترجمة أبي النجم — الأغاني — ٩

(٢) الشيخ الشخم

(٣) هذا على رواية الأغاني والخزانة

فلما رأى صاحبي إلا استمرا ... يميل عوم الأين عن القمر

وثب الخيل على التالفة!!

فضرب هشام والناس مستنكرين قائلين

« شيطانه أنثى وشيطاني ذكر »

وكان أبو النجم يمر بسواد الكوفة ويجتمع بصحبه في جوه حلقاً بين أمية وولاتهم، فيحسبون لقاءه ويمنحونه العطاء.

وله مع الخليفة هشام بن عبد الملك أخبار طريفة ونوادر حسان كان يجري بها على سجية الأعراب لا يواري ولا يحتشم في ذلك: أن هشاماً قال له يوماً: حدثني يا أبا النجم. قال: عني أو عن غيري؟ قال: بل عنك. قال: إني حين علتني الشيخوخة كان يعرض لي البول في الليل، فوضعت عند رجلي شيئاً أبول فيه حتى... فقمت من الليل لأبول، فخرج مني صوت! فتشددت وأمسكت، ثم عدت مرة أخرى، فخرج مني صوت آخر! فأويت إلى فراشي، وعندئذ سألتني أم الخيار[1]: هل سمعت شيئاً؟ فقلت: لا، ولا واحدة منهما!

فضحك هشام وأمر له بصلة.

ومن نوادره المضحكة المبكية أنه ورد على هشام في الشعراء، فقال لهم: صفوا إبلاً، فقطروها[2] وأوردوها وأصدروها، حتى كأني أنظر إليها.

فأنشدوا الشعر، وأنشد أبو النجم أرجوزته التي مر ذكرها

« الحمد لله العلي الأجلل »

وهشام يصفق بيديه استحساناً لها! ومضى أبو النجم في إنشاده إلى أن بلغ قوله في وصف الشمس:

حتى إذا الشمس جلاها المجتلي ... بين سماطي[3] شفق مرعبل

صغواء[4] قد كادت ولما تفعل ... فهي على الأفق ...

كان تمام البيت: كعين الأحول

وهنا تذكر أبو النجم — بعد فوات الأوان — أن هشاماً أحول! فتلعثم لسانه، وتخاذلت أوصاله، ووجد نفسه في تيه!

وأراد أن يصرف الحديث فلم يجد له شيطانه! وحار فيما يصنع فأرتج عليه!

ولم يحتمل هشام الصمت، فضجر وصاح: ويحك! أتمه!

أبى النجم إلا أن يصدع بالأمر فقال:

كعين الأحول

حتى جاء كسر بيت لخصمه، والقافية (لا تصغر)

وكان هشام — على عدم وكونه — هنا مغيظاً محنقاً فاستشاط غضباً وأمر بوجء[1] عنقه، فبادر إليه الخدم يدفعون في قفاه! حتى خرج من المجلس وهو لا يصدق بالنجاة!

ولم يكتف هشام بذلك، فأمر الربيع صاحب شرطته ألا يرى وجه أبي النجم بعد هذا وأن ينفيه من الرصافة[2]!

وسكن وجوه الناس شعر له عند الربيع، فأقره فيها

ولم يكن أحد يضيفه في الرصافة، غير سليم بن كيسان الكلبي، وعمر بن بسطام التغلبي، فكان يتغدى عند سليم، ويتعشى عند عمر، ويلزم المسجد ليلاً فيبيت فيه!

(البقية في العدد الآتي)

علي الجندي

(1) كناية عن الطرد والصفع

(2) رصافة الشام أو رصافة هشام على طرف البرية، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكن في الصيف، وكانت من قبل من بناء الغساسنة، «معجم الأدباء للبغدادي».

(1) هي التي يقول فيها:

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... علي ذنباً كله لم أصنع

(2) القطر الإبل للتحميل والتنظيم: قطرها يقطرها إذا جعل بعضها على بعض

(3) السماط: الصف والجانب، والمرعبل: المقطع

(4) مائلة للغروب

# تأمـــــلات

في نفسي صورة منك تلخص كل صورك : صورة مستسلم يحمل كل معاني الثقة ، ويمسك من عيني ومن يدي ومن حسي ، وكأني خشيتا أن يجرفني بك ، فر يفرق ... فلأني إكباراً لك وحناناً لك ، لأن بك شيئاً ما دماً يحيك دعا من الأعين والأيدي ، وحول رأسك هالة من الطهر يحوطه سروراً ومعارفاً فاحتلاس النظر إليك ورع من البادي لا عنصر ، إنيك لشيطان ، وأنت في حكتك حيه ، تتحدثين بألف صوت كالسيمفوني

بيورحي دائماً مشتوقة بك ، مشوقة إليك ، بطرب حديثك ويعاجبها حديثك ، وستلهم فرحي من إطرافك

أرى ، خافي ، إني كان شنلاك ، وبم كنت تطرحين ؟ لا يغرقني الغرور ، فأحسب اعجابك كان إلي ، وأنت إلى غير الغرض تعمدين ... بل أنت في أكبر الظن تتساءلين : ماذا تعطين ؟ أتخدع هو أم يقين ! .. وتقولين في نفسك : أيجوز لم لا يجوز أن أجيب شله يبين بعد من القلب ، ولا هو من وراء القلب ... ولكنه يوشك أن يصدر عن الصميم ؟ !

تقولين في أكبر الظن - إني خطأ مدته التجربة ، وما أنا على أتعرض للتجربة ، أأقدم أم أحجم ؟ وإذا أقدمت ماذا يكون ؟ إني لا أملك الإقدام ، لأنه شر ، ولا أملك مع هذا الإحجام إني أريد وساني محددة إلى يوم ما ، ومن كان مثلي مسلامة في الاحتمال لا في الإسلام ... وقد احتسب بحق الله ، وحفظت حبه ، ومنحته وده ، وحازته في حبه حباً مضرياً مضراً .

أحس الغلطة منه ، ويثير مع ذلك في نفس الأشجان

بين طيكي ما ساءني ، ولي نفسي في حبنا إحتالي على تقسم للسواء ! فأنت عندي أعز من أن أنس ولاك في صحتي واحد ، وأكرم من أن أحشر وإياك في صعيد واحد ... وإن حفت الله من نفسي أكثر مما يحفني أو من نفسك ... لكن السيرة يجيبه ما أجمل

وما يحدثني ، وقد يطل أنك عاطفة جياشة [illegible] ويبعث لي عاطفة مكبوتة جامحة في كبتي ، فأنت [illegible] أرحص من العاطفة التي ما زلت تكبتين ... وتجاوزت [illegible] حدوده ، ووضعت أنت واثقاً من عند [illegible] فأنا [illegible] لا بكائي جهداً ، وأنت تبذلين جهداً جداً في تكبتين وتكتمين

لا أنزل مع ذلك لأنك مرتبحة دائماً ، لكني أحس الصراع في نفسك بين ودك وسر ورواسبك غير الله وقد يبدو للقائلة بين الوقعين نابية ، لكن الواقع لا مسحة عن ذكره والإشارة إليه ، والواقع أن أجاهد في ربط مصيرك بمصيري بهذه الصلة الروحية ، ويريد الله أن يكون لكل منا مصير ! وأنت بما أودعت الله من وداعة تصرفين السوء عن نفسك ، وكل شيء حتى تلك العين التي تنظر إليك ، واليد التي تمس يدك ، والحس الذي يسمو إليك بكلمة ليسرك أو تسره

كرامي ما دامت فنائي فلن تكوني مشبثي غير مشرقك ، ويبكي ما يجيبني به صدري وفناً في هذا الحب القسيس حتى يجيء به شكري من أمر الله ما يكون

سأبقى أبداً كما كنت شهيداً كما تكونين ، ولن أنساك في قيامي وقعودي ، وركوعي وسجودي ، ولو ذهبت صلاتي غير مأجورة ولا مثابة ، فحسبي أنت خاشعة لربه الله

أنت يا خالي شهيدة كأسمى ما يكون الشهداء ، وشهيدة كأكرم ما يكون الشهيدون ، ليست عندنا أجرة وتكنك شلجأتي في نفسك لتنتهه إلى ذي حسن ، ومن ستلين مثله طوال حياتك وأنت تأسي الأيام ، سيبقى في مثلاً أعلى ، وأنت أنا بشراً كسائر الأنام

(م . د)

من وحي الربيع

# آذار!... حدثني ...

[مرسلة إلى الأستاذ الزيات]

## للأستاذ شكري فيصل

آذار! يا مُطلِق الحياة من قيود الشتاء ... وباعث النور في أرجاء الكون ... حدثني ... كيف جئت إليك « دمشق » بعد هذا الفصل القاتم، وذاك الجو القاتم، وتلك الليالي القرّة؟ ... هل أزحت عنها أثقال السحاب ... وجلوت ظلام الضباب ... ونشرت الروح في جنبات الغوطة ... لم أنت لا تزال بعدُ غارقة في صمت الشتاء، حائرة في أفق الفكر ... تحيرها النماء؟ ويهدهدها العواصف؟! ...

آذار! ... أيها النطاسي هنا على حفافي النيل ... تستمع إلى أنشودته الصاخبة؟ وهمسه الخافت ... حدثني عن « بردى » منذ الشهر الرابع ... ألا ترى ثائراً مضطرباً؟ يحمل الطرب، وينثر الدهش، ويبث الاضطراب، ويترامى على أطرافه وحفافيه كأنما هو مطلق من خلاص الجمود وعوائق الجليد ... ثم إنه عاد سيرته الأولى ... يحمل الأمل إلى النفوس، ويبعث الحياة في المروج، وتتسلق أمواجه الضفاف وتنصت إليه أفئدة وقلوب ... لا تسمع أنغامه الخالدة، ولحنه البارع، ... وتقتحم على صفحته طوائف الناس تحمل بها الرحيق السلسل ويمد العذاب الهين ... وتقرأ في صفحاته آيات المجد الذي التقى مع « الشآم » ... وترتوي في جنبات قصورهم القديمة وتتكامل في عهد « أمية » وفي ظلال سلطانهم الواسع ... ثم غاب حيناً من الدهر ... فبكاه هذا النهر ... بدموعه وعبراته ... حتى إذا رآه من جديد في تاج « فيصل » ومُلك « فيصل » ... وضحك وجه النور، ومدَّ ذراعيه يريد أن يحيي ... ثم رده الدهر إلى ربة سوداء كالحة، ورمى به في قعر [illegible]

آذار! أيها الزاحف هنا في ربوع (الأرمان)؟ بملاعب الجزيرة، ومسالك النيل ... حدثني ... هلا حملت الروح إلى وطني الآخر ... ؟ هلا زرعت في سهولها النماء، ووصلت الدم في العروق، وأحييت موات الأمل في النفوس ... أأنت أبو النوم في قلبٍ مثلك ... غارقون في الحس المستبد ... يعاقرون الزمن القاهر، ويدرون الأمس السعيد؟

آذار! أيُّ الضحكات هذه على شفاه الأزاهير الفواحة؟ حدثني ... عن أزاهير دمشق ... هل تتفتح عنها براعمها بعد هجعة طويلة شتية ... وهل ستطفر الحياة في هذه الشجيرات الفتية المتألقة في وسط الحدائق كأنها وصيفة تأنقت في موكب زفاف ... ترقص مع خطرات النسيم، وتهتز مع أنداء الفجر، وتصفق كلما هب الهواء هنا وهناك؟ ... وهل تتعالى فيه الجنبات الموج يا آذار ... فتثرب الزهر، وتنشر العطر، وتطبع على وجه الدنيا قبلة الضاحك ... كأنها تمازج بها روحاً من النشاط!

والغوطة ... هلا كُسيت الغوطة ذاك الثوب الزاهي يا آذار! بعد عُري طويل ... تتبدى في أبرادها القشيب الأخضر ... وتبدو حية ... بنفح الفتوة، ونور الحياة، وتستقبل الشمس مع الصباح بقطرات من الندى الفاتر ... ترقرق كاللآلئ ... وتودعها مع المساء وهو يقبلها كأنه يتمنى ألا تزول عنه ... ثم تبكي فراقها في الليل بدموعه الصافية اللألاءة!

... والزهر المتناثر على مبسم الغصن يا آذار! ... هل رصعت أوراقه الملونة بدموع الحنين، وأخذت القلب ... وتكوثر للتهيج؟ وهل خرج الناس يشهدون هذا السحر الحلال، ويشهدون الروعة الضاحكة، ويستمرون بهذه الأجواء المعطرة، والنسيم الثابتة، ويمشون في مرابعها الأريج والسمر، ويطربون ... كما يطربون في جنات الخلد ... ويترآون آيات الله البارعة في الغصن المائس والفروع الهزّازة، وفي النعمة الذي يخرج بنباتات مختلف ألوانه؟!

... وموكب الزهر يا آذار! ... هل شهدت « دمشق » مدى النشاط ... موكب الزهر؟ ... وهل تمكنت هذه المدينة الصابرة لصروف الزمان وعبث الدهر ... وهل ساقت عهدها من جديد هؤلاء الفتيان الذين يطوفون هنا وهناك ... مع تباشير الفجر الأول، يستقبلون الصباح، ويرسمون في الحقول، ويتمرحون في الجنان، ويتنقلون ... كالفراشات الحائرة ... من شجرة إلى شجرة، ومن غصن إلى غصن ... ويصدحون مع أسراب الطير،

ويظلون من هذا السحر ؟ ويمضون وربيع قد رأى أحلامهم — ثم يموتون — وفي أيديهم هذه الطاقات من الورد ؟ وهذه الباقات من زهر ؟ ينثرون عبيرها في رحب المدينة وأرجائها — في صدورهم البشر ، وفي وجوههم الفرح ؟ وعلى ألسنتهم نشيد الوطن الغالي ؟! ..

وربيع البلد يا آذار ! — هل انقضى حتى يوم العيد — وهل فتح أهله أبواب دورهم بعد أن سدها الخروج ، فحالت بينهم وبين الخروج ، فظلوا في حصار الطبيعة شهراً أو بعض الشهر لا يشعرون بهذه المباهج البهية في زاوية من زوايا الغرفة .. وهل جاءهم الربيع الوديع ، ينقلبون وهمهم الذي دعوه في الأرض ، ووكلوه إلى الله ، وانتظروا موسم حصاده ؟!

وهل خرج أطفالهم يتسابقون في طرق القرية ، ويصطفون في الحقل ؛ ليظفروا بالفرج الفسيح ... يتنشقون ... ، ويتحدثون عنها ، وعن طرائقهم الساذجة الأولية ؟!

وفتيات القرى يا آذار ! ... هل تصحب أمانيهن ؟ بعد أن حتمها الشتاء ! أي خرجن إلى ماء القرية ، يستقين منه ، وقد علتهن الجرار ، وتحدثن ... هذه الثياب الغنية ؟ وهن يخصرهن ؟ فتركب ذات اليمين وذات الشمال ... واجتمعن حول الورود ... في همس خفيف ، وفتنة ناعمة ، ويتحدثن حديث القرية وشيوخها وعوانسها وأعراسها ... ؟ .

* * *

وحديث الجبال يا آذار ! .. هل انشقت بوشاحها الأحمر الزاهي ؟ وهل جثت عند ربها هذه الخمائل النضيرة ، في أكنافها الخروج ، وغنّا العيون ... وهل غربت الشمس ... في شعاب هذه الجبال ؟ وفي سفوحها ؟ ... وهل سمعت يا آذار ... أصوات أجراسها حين تنسحب الشمس إلى الغروب ... وتسحب غلالتها على صفحة الأفق الوردية ... وتتراءى ... جبلة ... وتظهر الشمس كدائرة من النار الملتهبة ، تطل ... الظلام يحمد شيئاً ويطفئ نورها ، وتنحي شعاعاتها من ... تتنكب عنه القطعان ... أصوات أجراسها الحزينة ؟ وتمضي لتعود إلى القرية — في هدأة الليل ، وستار الظلام — والرعاة ، يا آذار هؤلاء الذين ترحمهم الله ، فجعل منهم الأنبياء — هل تسلقوا الجبل مع قطعانهم ، وحملوا مزاميرهم في أيديهم ، ووضعوا عليها نشيد الحياة الحلوة التي تتعالى من الأرض ، فلا تعرف المكر والذل ... وتقترب من السماء ، فلا تعرف إلا الإيمان والخير والحق .. وهل أنصت إلى نغماتهم الحلوة يا آذار التي يرسلونها في هذه الوحدة كأنها وحي السماء ، ومنبعة الكون ... ، فتتنقل أصداؤها في الجبال مع خطرات الريح ... ويلقيها الطير ... على الناس في الوديان والحقول والبساتين ..

حبيب يا آذار ... حبذا لو استطعت أن تحملني على جناحيك ... من ... الظلال ... إلى عالم الأنس وربوع الحياة ، إلى مطارح الصبا وملاعب الفتوة ... أطفئ هذا الحنين الذي يأكل كبدي ، وأقطع هذا الشوق الذي يضطرم في صدري ... ويشعلت من وجدي ... ؟

حبذا يا آذار ... حبذا .

(القاهرة) شكري فيصل

## من وراء المنظار

### صاحب الديوان أيضاً

ذهبت إلى الديوان للمرة الثانية، وأنا أمني نفسي أن أحظى هذه المرة بما لم أحظ به في المرة السالفة من حل مسألتي؛ ولقد حرصت على أن يكون حضوري إلى الديوان في وقت لا يدع مجالاً للشك في بدء العمل، إذ كنت هناك في نحو العاشرة من صباح أحد الأيام.

ورأيت في إحدى الردهات من توسمت فيه أنه صاحب ديوان فاتجهت إليه مسرعاً، ورجوت منه أن يدلني أين أذهب لسؤال عن كيت وكيت، فأجاب دون أن يقف، وأنا أسرع الخطو لألحق به، كأنما كان في سبيل تلافي خطر من الأخطار الداهمة: «عند حسن أفندي في المكتب هناك في شمالك وراء القسم».

وذهبت إلى «المكتب»، فإذا هو قاعة كبيرة، فيها نحو عشرين من أصحاب الطرابيش، ورأيتهم جميعاً لأول نظرة، والحق يقال، منكبين على أوراقهم، فقصدت أقربهم إلى الباب، فحييت وقلت: «حضرتك حسن أفندي؟» فلم يزد على أن أشار بإصبعه إلى من أردت دون أن تنفرج شفتاه ولو برد التحية، ولعله كان يخشى بمخاطبتي مسئولية أو تبعة عن مسلكه من بعد كل هذا.

ونظرت إلى حسن أفندي وأنا أخطو إليه، أحاول أن أتبين شيئاً من حقيقته من مظهره، فخانتني فراستي إنما تعرف النقد، وإنه لأني رأيت مظهره يدل على أنف حسن فلا بد من أجل ذلك في نفسي!... ووقفت أمام مكتبه أتحسس في عمره منتظراً، أحرص الحرص كله على أن أكون مؤدباً ظريفاً في نفسه ما وسعني الظرف – ولكن ظرفي أو قل تظرفي ذهب عبثاً، فإنه لم يرفع رأسه من بين أوراقه لبرهة؛ وهممت ولا أكتم النفس في حياء شديد؛ ولكني أحسست فيه بابتسامة عريضة وكريمة التحية ورفع رأسه عند ذلك، ونظر إليّ قائلاً: «أهلاً وسهلاً يا فندم» ثم عاد إلى ورقاته كأن ما حدث إلا لأتشاغل ولم عبارة التحية على هذه الصورة الحلية ثم انصرف.

وانتظرت برهة، وهو يشغل عينيه من هذه الدفتر إلى دواله، ويكتب هنا كلمة وهنا سطرين، دون أن يعطيني ... أحداً يريد التحدث إليه ... أمام مكتبه ... لو طال هنالك إلى موعد الانصراف.

وطال انتظاري حتى أوشك أن ينفد صبري، وطرأ على أني حال لا يطلق عليها خير من كلمة الآية به الناس في غير داع إلى ذلك ... على أني عدت فتلطفت وإن كرهت من نفسي هذا التلطف الذي أحد بسمع كبرياء تلك التي لا تريد أن يلتفت إليّ؛ وخرجت بأمه في صوت مسموع وقلبي يحدثني أنه قد يكون بانكبابه هذا على العمل من ذوي النفاد عسى أن أنبهه من غفلته.

وأخيراً تنبه، أو تصنع ذلك؛ فقال في كثير من الفظاظة وعدم المبالاة: «نعم يا أفندي» فأخذت أشرح له أمري، ولكنه ظاهر كمن لا يعي مما أقول حرفاً وبدا في وجهه الضجر والامتعاض، ثم مد يده إلى أوراق كنت أحملها في يدي، فنظر فيها نظرة ثم قال: «لا، مالك في المستخدمين عند عزيز أفندي»... وعاد بعدها قبل أن أدير ظهري إلى ما كان فيه من جسيمات تلك كل...

وانطلقت أبحث في «المستخدمين» عن عزيز أفندي هذا لأخبره بما قال حسن أفندي الذي في «المكتب» فكان حالي معه كما كان مع سلفه: تشاغل عني وصلف في الرد عليّ، وما كان جوابه سوى أن قال هو أيضاً: «يا ... موضوعك في الحسابات عند مراد أفندي»! فرجعت من لدنه أسائل نفسي أأخرج إلى غير عودة من الديوان، فقد آلمني ما لاقيته وليس في مسلكي ولا في مظهري ما يستأهل هذه المعاملة، أم أحتمل وأصبر فأسأل مراد أفندي أيضاً؟ ووقفت بعد تردد إلى الرأي الثاني؛ ولكن مراد أفندي أكد لي أن مسألتي عند حسن أفندي في المكتب، وإلا فهو لا يعرف في الديوان شيئاً.

ولعله كان بين مراد وحسن ما جعل أولهما يتهمني لذهبت من إلى الثاني، وعدت إلى حسن أفندي في المكتب وبين يدي هذه المرة صاحب ديوان مثله، وقد نظرت كريمة ... لست بالمتاجة بين صاحب الديوان ... أن المسألة عنده هذا الذي أحالني من أول الأمر على غيره! ... ولكنه لم ينظر مرة بل ... إلى ... ولم ... وقد رأيت ما رأيت إلا أن أخرج وأمري لله!

(يتبع)

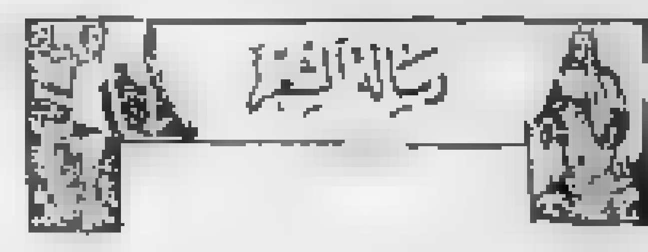


# رجع أيامي ...

للأستاذ محمود الخفيف

كنتُ يا قلبُ قد نسيتَ الحبيبا ... وتأبيتَ عن هواك [illegible]
[illegible] ... [illegible] الهوى [illegible] الأحبابا

[illegible] اليوم [illegible] الربيع ... [illegible] والشمس [illegible]
[illegible] الجريح [illegible] ... [illegible]

[illegible] الربيع ... [illegible] كل [illegible]
[illegible] ... [illegible] التطبيع

[illegible] الربيع [illegible] ... [illegible]
[illegible] كل [illegible] ... [illegible] من أحلامه

[illegible] شباب [illegible] ... [illegible] الأماني
[illegible] ... [illegible] أحلامه أحب [illegible]

كل [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

كل [illegible] ... [illegible]
[illegible] الجمال [illegible] ... [illegible]

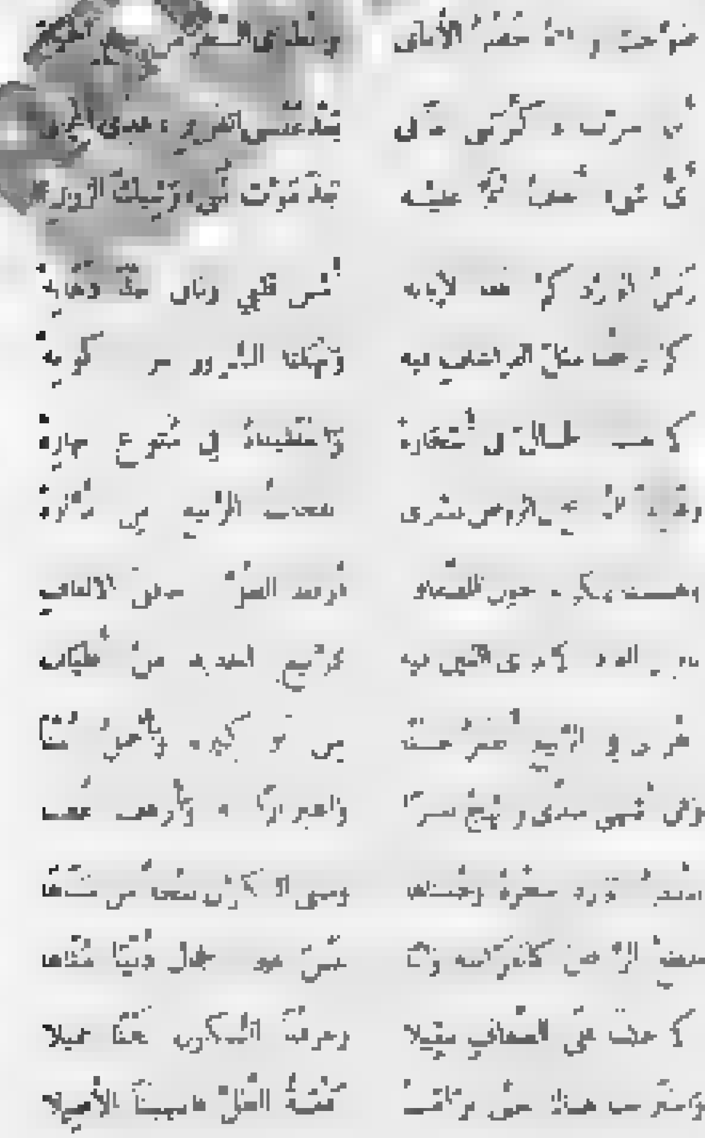

[illegible] الأغنيات ... [illegible]
[illegible] الأماني ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] الورد

[illegible] الورد [illegible] ... [illegible] قلبي [illegible]
[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] الروض [illegible] ... [illegible] الربيع [illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

[illegible] الربيع [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] الروض [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] الأصيلا

[illegible] الصبح [illegible] ... [illegible]
[illegible] الرياض [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] اليوم [illegible] وحدي
[illegible] ... [illegible] وحدي

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الأوهام؟
[illegible] ... [illegible] الآلام!

الخفيف

## النبع المتدفق

[illegible]

### للأستاذ محمد عبد الغني حسن

يدفق على جانب الصخر ماء [illegible]

[illegible] النهار [illegible] الأخ [illegible]

رأيت [illegible] وقد [illegible]

[illegible] الطبيب [illegible]

[illegible] وأودع في [illegible]

* * *

[illegible] على [illegible]

[illegible]

* * *

تدفق [illegible] الأنام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

تدفق [illegible]

[illegible] على الأحرى [illegible]

[illegible] في كل [illegible]

تدفق [illegible]

وكيف [illegible] بالأنس [illegible]؟

محمد عبد الغني حسن

## ربيع

[illegible] الشرف [illegible] ... وترف الصف [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] في الشباب [illegible] ... عيش الدلال [illegible]
[illegible] في الأوتاج [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] إليه [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ربيع [illegible] ... [illegible] الأشواق في [illegible]
أحمى [illegible] ... كالشيخ [illegible]
[illegible] بالأيام [illegible] ... [illegible]
[illegible] أفكار [illegible] ... بالشرق [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] الشباب [illegible] ... [illegible]

« [illegible] »

## الرأي العام

كتب الأستاذ « الزيات » في العددين الماضيين من الرسالة كلمتين جليلتين ، إحداهما في « التبشير » والأخرى عن « عصابة [illegible] » [illegible] وهما مرجعان جميعاً إلى بيان أصل واحد ، وهذا الأصل هو [illegible] ثم [illegible] آراءنا ومكاتبنا [illegible] إلى [illegible] كثيرة [illegible]

في أعصاب الأمم الإسلامية ، حتى صار [illegible] أو كالباطل ، وذلك لتلبسه الجهل [illegible] ومن [illegible] ومن التكاليف العبادية [illegible] ولم [illegible] كل أعباء الحياة ، ومن [illegible] الأبطال [illegible] أمرا [illegible] ، فقد جعل [illegible] الأبطال.

وهذه الأمة المصرية وسائر الأمم الإسلامية قد خضعت من قرون طويلة لسيطرة الجهل وحده ، واستنفدت عليها حقب طويلة أطلت بالفتنة والطغيان والموت ، وحجبت دونها شمس المعرفة ونور العلم ، حتى [illegible] على أساطير [illegible] كل معاني الفكر والعقل والحرية ، وصار [illegible] الأرض [illegible] شهوات النفوس [illegible] ، أو برد [illegible] النفوس المطمئنة بالعدل . ثم [illegible] الحافة [illegible] ، [illegible] وقالت [illegible] ، ولكن حقيقة أن [illegible] وتلك القوة [illegible] الرابضة في صدر الإنسان ، [illegible] أصواتها [illegible] إليها [illegible] الوحش الجريح في [illegible] ، وعندئذ يعجز [illegible] في دفع هذه القوة وردها إلى ما كانت عليه تحت أطباق [illegible] ويجيء ذكاء [illegible] ورأى أن [illegible] القوة [illegible] بالاستبداد والتحرر من الاستعباد [illegible] فلا يطلب إلا الانفجار والتصدع والأذى [illegible] من ذلك إلى تصريف هذه القوة [illegible] في هذا الشرق تصريفاً يكفل لهم [illegible]

الأول التخلص من هذه القوة ، واعتمدوا [illegible] أبرع الأساليب ، [illegible] أن يظهروا وكأنهم [illegible] يعملون على إزالة [illegible] الجهل عن الشعوب [illegible] ، فأنشأوا المدارس [illegible] بالصحيحة [illegible] في معاهده كلها ، وهم خلال ذلك يهيئون ويقررون أصولاً تؤدي بهم إلى أغراضهم ، ليسيروا بالتعليم إلى حالة [illegible] ، فلا يخرجون من هذه المعاهد جيلاً [illegible] [illegible] ثم [illegible] في إنشاء [illegible] والفكر المبدع

والأمر الثاني : وهو بناء على ذلك البناء ، وذلك [illegible]

بكل أساليب التنبيه والخطابة والمثال وغير ذلك — في توجيه الرأي العام في وجهة يتجه بها إلى الصيغة المفروضة والإيجابية ، ثم صرف هذا الرأي العام — أي أهله — عن الاهتمام بتقرير الأصول الثابتة التي تستوعب الموضوعات العقلية والنقلية والاقتصادية والعملية ؛ ومن العسير في توحيد الرأي العام للشعب توحيداً يكفل للأمة أن تستقل كل قواها في تدبير المستقبل على نظام ثابت مستقر ماض على أسلوبه إلى الغاية غير مختلف ولا متنافر

ولقد كان من نتائج هذين الأمرين المتلازمين — حين استيقظنا وأبصرنا — أن تعددت الثقافات في الشعب الواحد ، وتباينت العقول في الحق الصحيح ، واختلفت المناهج الفكرية إلى الغايات ، وتبع ذلك ما ورثناه من الجهل الذي أدى إلى التعادي والتكابر والتحاسد ؛ فاستشرى داء العصبية وأصبح العمل عندنا لا يكون عملاً حتى يحاول أن ينقض كل ما سبقه من العمل ، وساقت على الأمة أطوار بعد أطوار ولا تزال في عهد الإنشاء ، ولا تزال المعاني تجتمع هنا بعد ثم تفترق وتجتمع ، وليس إلا التفرق والتمزق وتعطيل نعمة الله كرامة !!

وكذلك تعطل نظام الرأي العام ، وهو لا يكون إلا من اشتراك الجماعة في الأصول الثقافية كلها ، وتعطل أيضاً مكوّن الرأي العام ، وهو الصحافة وما يجري مجراها ، فتكونت من الصحف المختلفة أدوات آراء متخالفة ، لا بل متباعدة ، لا بل متعادية ؛ كلا يرى في الرأي الآخر جوهر حياة الشعب العامل المشترك في الزراعة والصناعة والعمل أيضاً . وحتى لا تجد صحيفة واحدة قد بُنيت دعوتها على أصول بيّنة موافقة لحاجة هذا الشعب ، وعلى هذه الأصول تأخذ وتدع ، وتجهد وتنقد ، وتهدم وتبني ، على تعاقب السنين وتغير الظروف والأحوال

## التبشير

وأحد الأمور التي ابتُلينا بها العملُ على إضعاف الشعب والتفريق بين أهله ، وإيجادُ ضروب من الثقافات في بلد واحد يجب وجوباً قطعياً — كما يقولون — أن تتوحد ثقافته ، هو ما أحدثوه من التبشير ومدارسه المختلفة ، وما يعرف أصحابها وما يقصدون . وليس التبشير هو الدعوة الصريحة إلى الدين المسيحي ، فإن هذا لا يمكن أن يكون في بلد جل أهله من المسلمين ، وتحويل المسلم عن دين الإسلام إلى دين غيره لا يكون مستطاعاً في الطائفة من الشعب ، وبكاد لا يصح عند التحقيق وأشباه ذلك ، وهذه حقيقة يعرفها المبشرون قبل أن يعرفها المسلمون ؛ ولكن ليس الغرض من التبشير هو المفهوم من معناه ، ولكنه الذي أشار إليه الأستاذ « الزيات » في مقاله ، ثم إيجاد ضروب من الثقافة الأدبية والخلقية والعقلية يناقض ضروباً أخرى من الثقافات المختلفة في مدارس الأجانب والمدارس الوطنية ، وبذلك تتعدد المناهج الفكرية في حياة الشعب ، ويعسر بعد ذلك أن تجتمع هذه الثقافات على رأي عام يقوم عليه الشعب ويحرص على تحقيقه ، ويأخذ في الإعداد للوصول إليه درجة بعد درجة . وكذلك يبقى الشعب إلى النهاية وهو في حيرة لا ينتهي من اختلاف لا ينقضي ، بل يصير ولا يزال إلى المعاداة والتناحر والأحقاد التي تورثها السياسة الاجتماعية المتطرفة التي طغت على الشرق من قبل حضارة عربية عقلية كالحضارة الأوربية

ولا يزال أهل الشرق مختلفين بتفاوت هذه الثقافات المتعددة من مدارس التبشير إلى المدارس الأجنبية ، بعد الرأي العام بأصحاب الآراء المختلفة والعقول المتباينة . ولن يصلح أمر هذا الشعب حتى يتخلص ذلك كله بانصرافه إلى مدارسه هو ، وتوحيد ثقافته على أصل واحد . والأصل الصحيح الوحيد في هذه الشعب هو أجمع من الأصول للصحة القوية ، لأن هذه تجري بالعروبة والهداية ، وذلك تآلف ونوازع في قلوب تجري القلوب على الإخلاص والتضامن

## علماء يبرطل

وهذه مثل جديد شرحه الأستاذ الزيات لاختلاف حجة المسلمين على بعض أحكام الفقه الإسلامي والسنة النبوية ، ورمى بعضهم على بعض في ذلك ، وتحكيم الأصول الإسلامية التي ترجع السنن إنسانية مرق إنسانيا ، وتحصنه من الجهل والتعصب والتمذهب والفتنة . وكيف يختلف هؤلاء المسلمون على فروع من دينهم يعدون الأصل لا نعدم في كل شعب هذه اللائمين من المسلمين ، فيظهر أثر بها ويبطل مقاومة النص التي فرضت عليهم أصولها

وضرب الله مثلاً فقال : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين

وآتيناهم بينات من الأمر، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون».

فقد بين الله سبحانه أن اختلاف من سلف لم يكن إلا بغياً من بعد أن جاءهم العلم، وأنه جعل المسلمين على شريعة من الأمر، ومعنى ذلك ألا يقع الاختلاف بين المسلمين إلا في رأي لا يفضي إلى فرقة؛ ومن ذلك كان السلف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتبعوا قوله: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وقد نهى عن الجدل والمراء وتحامى أصحابه منه حتى قال ابن عمر «لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو محق».

ونحن قد صرنا الآن إلى زمن قد غلبت فيه بدع كثيرة ليست من الدين ولا ترجع إليه، [illegible] الأمم [illegible] الأهواء، ونحن أيضاً في زمان ضعف وفتنة وتفرق، والأمم من حولنا تتداعى علينا [illegible]، فلا تكون [illegible] على البدع والاختلاف [illegible] بعضنا على بعض، ويصير ذلك كله إلى العداوة والبغضاء، وأن يكفر بعضنا بعضاً — إلا إعانة لهؤلاء على النيل منا ما شاءوا. ثم نحن في زمان جهل بالدين، [illegible] الله أن ندع أصول الدين [illegible]، ونتصرف إلى فروع نختلف على إطلاقها أو تخصيصها.

وقد روى البخاري: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه». فإذا كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسم أصل الخلاف بترك ما يخشى الخلاف فيه في القرآن وهو أصل الإسلام كله، فأولى أن نقوم عن مجلس الخلاف في فروع ومسائل، فلا يفضي ذلك إلى مثل الذي نراه بيننا اليوم من التنابذ في بعض السنن بالعداوة، حتى صار لكل صاحب رأي مريد يتعصب دونه ويعادي عليه، ثم يقع بعضهم فيما هو أشد نكراً من أصل الخلاف، ألا وهي الفتنة والتفريق بين المسلمين.

سياسة الإسلام

والإسلام في نشأته قائم على مصلحة الجماعة، وجعل المسلمين يداً على من سواهم، وأن يكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وجعله مصلحة مقدمة على كل المصالح الأخرى، وهي مقدمة على فروع الفقه الإسلامي، كما قدم الجهاد في سبيل الله على كل عمل من أعمال الإسلام.

والإسلام في أصله أيضاً لا يعرف [illegible] رجال الدين؛ فإنما هم من المسلمين يمتازون [illegible] وإنما كان الاجتهاد [illegible] بالعمل [illegible] سائر الناس في وجوه الفقه وضروب البناء الاجتماعي [illegible] الانقطاع للعلم في الفقه والسنن والتوحيد خلاً من أعمال الجماعة إلا أن يبنى على المصلحة والأخوة والبر وترك التنازع والتحاسد، وإلا فهو شر كبير يجب على المسلمين أن يحسموا أصله.

فإذا استقر البناء الاجتماعي للأمم الإسلامية على أصول الإيمان الصحيح والتقوى الخالصة، وبرئت النفوس والقلوب من غوائل التعصب والفرقة والخصومة، وقام في الأمم الإسلامية رجال [illegible]، ويؤلفون قلوبهم على إعلاء كلمة التوحيد، [illegible] على مستوى الإسلام في التشريع الواضح [illegible] الشورى، وعمل الاجتماع في كل بلد إسلامي [illegible] من [illegible]، ثم يكون للمسلمين حضارة من أصل دينهم تضارع الحضارات التي تغاري [illegible] — إذا كان ذلك كله — فعندئذ يستطيع الحاكم الإسلامي أن يرد ما بقي من البدع التي غلبت على أهل الدين، بسلطان الحاكم لا بسلطان الفرقة بين الناس. ومن ثم فأحرى بالمسلمين ورجال الإسلام من أصحاب الفقه والشريعة والتوحيد أن يعملوا على إنقاذ المجتمع الإسلامي من أسباب ضعفه [illegible] بأسباب القوة الأخلاقية والفكرية التي بعثت المسلمين في تاريخهم [illegible] على الإمبراطورية التي جاهد الروم في جانب [illegible] عام [illegible] بعد مائة عام [illegible] ولا [illegible] في [illegible].

[illegible]

تأملات في الفن

# في معرض مختار

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

---

كان الزوار جميعاً في ركن ملتفين حول شخص هام ... وسيدتان منفردتان في ركن آخر تحومان حول التماثيل ، إحداهما من أصحاب المعرض تشرح للأخرى الزائرة ، فسرحت إليهما ووقفت في مقربة منهما أدعي أني أنظر في تمثال ، بينما أنا أتسمع إلى ما تقولان ، لأرى كيف تتحدث السيدات عن التماثيل ...

ووقفتا أمام تمثال « النهضة » — الزائرة تنظر إليه في حيرة كأنها تخاف أن تظهر الإعجاب به ، بينما يكون هو مما لا يستحق الإعجاب ، وتخاف أن تزدريه ، بينما يكون هو من روائع المعرض . موقف الزائرة ساكتة كأنها مستغرقة في نقد التمثال ، وكأنها ممن لا يطمئنون إلى إصدار الحكم على الأشياء لتزام عندها بالتمحيص والتدقيق ، وتقليب أوجه النظر ، واستقصاء المحاسن والعيوب ، كيلا يكون حكمها آخر الأمر إلا ذلك الحكم العملي الذي لا يقبل النقض

ورأت صاحبتها أنها لو انتظرتها حتى تقول كلمة في النهضة أو تعبر من غير كلام ، فإنها قد تقضي قصتها واقفة مع زائرتها وهي تمثال آدمي لطيف أنيق ذو رأس ... ، ينظر إلى تمثال من حجر متواضع ويعترف — فقطعت صاحبة المعرض هذه السكتة الحائرة وقالت :

— مدهش التمثال

— فهزت الزائرة رأسها لأنها فهمت كلمة خرجت من فم صاحبتها ولم تقرأها ... أدركت أن هذه الكلمة حكم على التمثال ، ولكنها لم تلبث حتى رأت زوجها عند أخرى كأنها لم تفهم ما إذا كانت كلمة « مدهش » تفيد مدحاً للتمثال أو ذماً ، وكانت روحها متكاملة ... في الفهم الذي تقف إليه حتى تستطرد ... إلى مثل هذه الكلمة أخرى ... غير أن ... كلمة « مدهش » هذه قد مرت بها قبل ذلك ... فاستعدوا ... إلى ... في أصحاب وعقائد ... من كلمة « مدهش » هذه ما معناها وأخيراً ... وظهر عليها ... وأحست ... كأنها ... من الكلمات العصرية التي يكتب أبناء الطبقة الراقية ... هذه الكلمات اللغة العربية إذ ... بعض ... إلى أهل الطبقة الراقية ... على الشكر

وكأن صاحبة المعرض أدركت أن زائرتها قد فهمت أخيراً أن هذا التمثال مدهش ، ولكنها إلى جانب هذا أدركت أن هذه الزائرة المسكينة لا تزال تريد أن تعرف لماذا كان هذا التمثال مدهشاً ، ففسرت وقالت :

— إنه مدهش لأنه Simple ، ولأنه حلو

وكانت صاحبة المعرض تستطيع أن تقول « بسيط » و « جميل » ولكنها خشيت ألا تفهم الزائرة من كلامها شيئاً ، وهي زائرة عليها مظاهر التحضر ، وأمثالها ... عن اللواتي يشترين ... في الصالونات فتكون موضوعاً لحديث الزائرين ... ومجال الإشادة ... وعلاء

وانتقلت الزائرة من أمام تمثال النهضة إلى أمام تمثال بائع العرقسوس وهو تمثال كبير في الحجم الطبيعي وقد ... صاحبه ... بها بتظهر التمثال وملابسه وأدواته اهتماماً كبيراً

ورأت الزائرة ألوان التمثال فابتهجت ، وكأنها قالت في نفسها لابد أن يكون هذا التمثال هو بطل المعرض فليس غيره تمثال شخص ... لابس ملابسه كلها ، وليس ينقصه إلا أن يمشي في المعرض ويبيع للناس ما يبيع ... وهنا تفتقت في رأس الزائرة مسألة جديدة هي هذا الذي يبيعه الرجل ... الورقة مكتوب عليها بائع العرقسوس ، ولكن ما هو العرقسوس ؟ ... بنات الطبقة الراقية

لا يفرق الرقصوص [illegible] فسألت صاحبها :

— دي ميلاتي ... !!

وسمعني هذا السؤال فضحكت ، وشعرت الزائرة بأني أضحك ساخراً من [illegible] السؤال وأرادت صاحبة المرسم أن تنقذ والرسم فرجعت إليها بالفرنسية كلاماً قد يكون معناه : لا تبالي بهذا الشعب . وأدركت أني إذا رغبت بعد ذلك في معرفة شيء أو بعضها فإني سأعتمد في الشغل على المرسم وأصحابه ، وأنا من أول الأمر لا فائدة من المرسم ولا [illegible] فلا أقل من أن أكون غير [illegible] ما أبيض حسرة على متابعة هذا الحديث الشيق الدائر بين هاتين السيدتين [illegible] أريد أن أحمله إلى آخره وأن أحصر كل ما في أسئلة الزائرة من [illegible] وأن أستمتع بكل ما في أجوبة صاحبها من صبر وسخرية

ولكني انصرفت ضاحكاً ، وعدت إلى تمثال النحاس فإذا أرى فيه شيئاً أكثر مما أشارت صاحبة المرسم إليه

التمثال يمثل شاباً مصرياً مجهداً أو حطاباً [illegible] من « الأجير » أو « الفلاح » ، وهو جالس على الأرض جلسة [illegible] وقد كتب عليه أنه من صنع الآنسة جلاديس بولاد وأنه نال الجائزة الأولى

التمثال كله مصنوع عبارة وحذق وبراعة ودقة ، وهو ملتحم منسجم سليم لا عيب فيه إلا شيء واحد فقط ... ذلك أنه لو أقسم لي أهل الأرض وأهل السماء أن الآنسة جلاديس قد نقلت هذا التمثال عن شاب مصري حقاً فإني أصر على رفض هذا القسم عجزاً عن الاقتناع به . وإنما وجه هذا التمثال منقول عن وجه شاب [illegible] أنه من [illegible] تهذيباً عالياً ، كما [illegible] إلى أنه من المفكرين الذين لا يفتأون يحاسبون أنفسهم [illegible] ويحاسبون في كل ما يصنع [illegible] من الهواجس والخواطر ، كما أني أرى فيه ما هو أخص من هذا وأشد اتصالاً بنفسه ، وذلك أنه لا بد أن يكون ذلك الشاب الذي نقل عنه هذا التمثال [illegible] منكسر عليه من [illegible] وهو يمسك [illegible] حتى لا ينكسر هو أيضاً ...

كل هذا ظاهر في ملامح الوجه الذي ركبته على جسم هذا النجد فإما أن يكون هذا التمثال منقولاً من [illegible] ولا بالفعل ، وإما أن يكون هذا النجد من [illegible] الذين [illegible] من القصبة والالكترون [illegible] في أن يكون هذا [illegible] الذي « يتعب » [illegible] التي ستؤدي إلى [illegible] في [illegible]

وعلى وجه [illegible] لا أستطيع أن أفهم هذا التمثال ولا أن أستسيغه ، فأيهما كان هذا الشاب صاحب هذا التمثال ؟ على أي حال إن هذا أمر لا يعنينا وإنما يكفينا أن [illegible] هذا النوع أو ذاك من [illegible] في التمثال ، فليس لنا عند الفنان أكثر من أن [illegible] ، وليس لنا عليه أن يكون هذا [illegible] أو [illegible] أن [illegible]

[illegible] ، وأنه [illegible] الآنسة جلاديس بولاد — [illegible] أن [illegible] رأت [illegible] وأنها [illegible] ثم [illegible] أمامه [illegible] لا تعرف الفرق بين [illegible] والرقصوص .

انتهيت من هذا « النجد » [illegible] عنه [illegible] تمثال [illegible] « زينا » لا [illegible] إلى كتف [illegible] — كتف [illegible] من التمثال أراه ولا أرى [illegible] وملامح وجوه [illegible] « موضوعه » [illegible] من [illegible] التجربة [illegible] من [illegible] المتحول ، وهذا [illegible] من [illegible] أكثر [illegible] من [illegible] الأشجار ، [illegible] يجلسن إلى [illegible] في [illegible] من [illegible] ولا [illegible] تدور في [illegible] ، [illegible] آمال ، [illegible] ، [illegible] إلى كتف [illegible] لا يمكن أن يخلو من الفضول [illegible] الاستطلاع ، ولا بد أن يظهر في وجهه [illegible] به هذا الكلام العجيب الذي يسمعه والذي يحمله لا يشبه غيره من الكلام ...

[illegible] من التمثال لأرى [illegible] رأيت ؟

رأيت [illegible] والرأس [illegible] إلى

كأنه أنه غادر الروح – بل إن شارد الروح يدل على نفسه، فيرى الناظر إليه أنه قد سرح إلى دنيا غير هذه الدنيا، فهو موجود هنا، ولكن كلا مفقوداً في دنيانا. أما هذا الفلاح، فقد ظهر عليه أنه اختلج روحه، فهو في بقعة محبوسة لا تنكسر حياة الأرض ولا تنتقل به إلى حياة أخرى.

كان هؤلاء الجماعة أشبه الحاضرات هلاهيد المدارس في الحصة الخامسة بعد أكلة الغدس – متهافتين إلى النوم، متشهدين من النعيم، ولم يكن فيهم ما يكون في مخيلة وعاطفة مشبين إليها.

فكيف دخل هذا التمثال هذا المعرض؟ وأي شيء فيه أجرى المرضى يعرضه؟ – هذا ما علمه الله وما يعلمه أولئك الذين يقولون إنهم يسمعون الغيب من النحاتين. والذي أريد أن أقوله لهم إن تشجيع الفنانين الناشئين لا يصح أن يكون على حساب الفن، ولا يصح أن يتعدى حدود التشجيع إلى أن يكون تحريضاً على الفن، وإكراهاً له أن تحمل ويدل من لا مكرمه ويحمع به روحه ونفسه. وهذه كلمة شديدة لا أريد منها إلا أن تحمل صاحب المحرية على أن يمضي في التأمل إنما تأمل وأن يثابر في تجويد التعبير إذا أقبل على تمثال جديد، فإذا لم يجد في نفسه القدرة على ذلك فسيرزقه الله عملاً آخر غير الفن ...

وهذا "الحلم" الذي كان مهملاً منسياً عند شبراوي في الركن البعيد يتحدل قليلاً قليلاً، فذهبت إلى ذلك الركن فكان أول ما استرعى نظري فيه تمثال آخر صغير لنابغ المرفسوس حسبته أول ما رأيته أنه من صنع آنسة أو سيدة لما رأيت فيه من حنان واتساق في تكوينه ونعله، وتفصيل جوارحه تفصيلاً لا يمكن إلا أن يكون استعداد قلب كامن رقيق في الوجدان الفنان. فهذا عمل الفارع الشوق الأدبي يحسب هذا، ولكني علمت أنه من صنع شاب هو ... وهذه نهايته، ولم أكن أتوقع ما خطر لي فأسمي في استغرابه، كي لم يكن يجب أن يقال له كلام كهذا، ولكني عرفت عنه بأنه لا حرج على الفنان الرجل أن يحبه جمال الرجال ... وإني أعتقد أنه لو كان قد تعرض وجه تمثاله هذا على هويته الكاملة لعرض إلى جانب هذا الجسم الحلو وجهاً فيه شيء مما ذكرته إلى ما ذكرته من جمال في تمثاله.

(ع. ك.)

وسكنه استشرى في المرتعين والساقين والمنكبين، وغير ذلك ما أكثر منه.

وقد كنت أنا أتيمنا يدلك وحدث أن أصرحه ولا أحق رأيت عبد السلام الشريف يطلق إلى تمثال "طرب الرأبه" لم أقر صاحبه فقرأت الاسم منه وسألته رأيه في التمثال وصاحب تمثال الجمال بديع وصاحبه أحمد صدق مثال محسن.

وعبد السلام الشريف فنان في الصف الأول من الفنانين المصريين، له أسلوب في الرسم والزخرفة لم يسبقه إليه إنسان، وقد أحدث القارئ عنه في فرصة قريبة، ونحن نعد شأنه لا بد أن يكون لشهادته ميثب. والحق أن تمثال "الفائز على الراية" تمثال بديع ولو أنه لم ينل جائزة، وميزته أنه منحوت على النهج الفرعوني ومن الطريقة التي أحياها المرحوم مختار، ومع هذا فإن صاحبه احتفظ "بشخصيته" في وجه التمثال فلم يجعله من واحد من أبناء الصعيد أو أبناء الريف، وإنما صوره وجهاً قاهرياً به ناس القاهريين، وللطريقة ميلان الفاني الذي يمتلكه أبناء القاهرة، وسنا ربه انتظام شوارعهم واحسان تنظيمه.

ولا ريب أن هذا التمثال كان أحق بالجائزة من التمثال الذي نال الجائزة الثانية، ولكنهم قالوا: إنهم منحوا جائزة الثانية لآنسة متسدين كي يشعروا الجنس اللطيف على عرض ميدان الفن وأنا منذ اليوم أخبرهم بأن الحس في الجنس اللطيف عند أمل كبير في الحصول على فن من صنع يديه، فهيهم في المسابقات المقبلة أن راعوا الحق هذه المرة.

عزيز أحمد فهمي

---

## ســــعود وأمواج

كتاب تحوم بلاغته على صفحاته عباقين من فكرة وأداء

سعود وأمواج

كتاب تتلاطم فيه أمواج العاطفة بسعود الأوضاع

سعود وأمواج

كتاب يطلعك على حدود الحياة وكبرياء المعهد

يطلب بعد أيام "دار المعارف"

# فى بيوت النمل

للأستاذ أحمد على الشحات

---

ما من حشرة أكثر انتشاراً على سطح المعمورة من النمل، وقد يبدو عجيباً أن تستطيع هذه الحشرة الصغيرة أن تعيش بعضها للأجواء والبيئات المختلفة، فكما أنها تعيش فى أوربا تعيش كذلك فى أفريقية — وفى الجبال والأودية، وفى الغابات والصحارى، وعلى شواطئ الأنهار والبحيرات. وقد أحصى العلماء ستة آلاف نوع من النمل تختلف فى الحجم والشكل والعادات واللون، فمنها ما لا يزيد طولها عن ملليمتر ومنها ما يصل طولها إلى بوصة، ومنها الأسود والأحمر والبنى والأصفر والأخضر، وما استرعت عجائب نظر العلماء كما تضاربت فى تعليل عادات النمل ونشاطه وهل مصدرها التفكير أم الغريزة؟

والنملة فى الاجتهاد والمثابرة يضرب بها المثل، فهى تعمل من الأصيل إلى غروب الشمس تنقل ما تأتيه على الحمل فى نشاطها وعزيمة، أو ما يساوى ها، وتستطيع أن تحمل ما يزيد على أضعاف وزنها من الوقت، وقد أجرى العالم لوبك بعض التجارب فوجد أن النملة تستطيع أن تحمل ما يزيد وزنه ستين مرة.

وقد قام فورل وهو عالم روسى يشتغل بدراسة الأحياء ببعض تجارب النمل، فأتى بصندوق ونزع أحد جوانبه واستعاض منه بلوح زجاجى شفاف حتى يشاهد منه حركات النمل، ونزع كذلك السطح العلوى ليدخل الهواء منه إلى الصندوق، ولكنه وضع نسيجاً شفافاً مكانه حتى لا يهرب منه النمل، وسد ما قد يكون من ثقوب دقيقة يضمن بها عدم خروج النمل، ووضع أمام اللوح الزجاجى ستاراً ليحجب الضوء عنه، ووضع أحد بيوتاً من كوم طينى صغير للنمل بما احتوى منه

ومن ... ذلك — من ... فى الصندوق ... استعداد النمل ... بعد نقله من موطنه الطبيعى بما نشاطه وأخذ ينظر ... الجديد ... أسوأ ... بعنايه إليه، وأقام ما حوله بيتاً ... وجعلت يجتمع بها ... النمل ... فى موطنه الجديد ... حتى إذا ما انقضى الصباح الثالث ... النمل ... وحدث ... فى سطوحه ... الجديد ... المنحدر ... الصندوق ... ولكن ... لم ... تم ... عدم هروب النمل ... إلى الكوم ... فى ... ما كان ... أولاً ... الاجتهاد ... النمل ... إلى الصندوق ... النمل ... الأولى فى ... والحق ... متتاليين، إلى أن كان الصباح الثالث ... إلى الكوم ... فتبين أنه وجد هناك أن النمل ... إليه ...

أما الباقى فربما كان قد وصل إلى الكوم ثم خرج يبحث عن ... أو قد هلك فى الطريق، أو لم يصل به إلى الكوم، ووجد ... عثر ... فى النسيج الشفاف الذى يقوم مقام السطح العلوى للصندوق ومنها هرب.

ولكن كيف اهتدى النمل إلى بيته الأول مع أنه يبعد ... عن الصندوق وقد حمل ... فلم يستدل إليه؟ وكذلك ما الذى حمله على عزمه أكيد للعودة إلى بيته الطبيعى؟ ... يهرب، وكذلك ... أن النمل قد عزم على العودة، ... الجديد ثم ... بيته ثانية؟ أحسب ... لم ... الأمور، ولكنه ... دفعته إلى ... موطنه الجديد، ومن التى دفعته إلى الحنين إلى بيته الأول، ومن التى دفعته إلى ... حملاً على التوح

وبعض النمل في جماعات تتكاتف أفرادها في عمل ما يهمهم كبناء بيت ، أو الحصول على زاد وتخزينه ، كما تتكاتف في دفع الضر كما تتجمع فتشتبك الجماعات في معركة يستعر أوارها بسبب القوت مثلاً إذ تتنافس جماعتان في الحصول عليه ، فتشتبكان في المعمعة ، ومتى انتهت رأيت مكان الوقعة ، وقد تناثرت عليه أشلاء القتلى ، فمن أرجل مبتورة إلى رؤوس مقطوعة إلى أجسام ممزقة . وكثيراً ما تشاهد هذه الظاهرة في النمل الأبيض الذي يعيش في أمريكا . وقد يندفع الفريق الغالب نحو بيت المغلوب فيلتهم البيض . ومن العجيب أن الفريق المغلوب قد يجمع بعض بيضه ويتخاطر الغالب فيلتهمه بعد أن كان يحرص عليه حرصاً شديداً

ويخزن النمل غذاءه كاثباً لمسكه في الشتاء ، إلا أنه في بيوت بعض الأجناس لم يعثر العلماء على غذاء مخزون للشتاء ، كما أن مثل هذا النمل لا يخرج شتاء ليبحث عن غذاء له . وبعد بحث وجدوا أن مثل هذا النمل يقضي شتاءه في حالة ركود أشبه ما يكون بالنوم . فلا يحتاج في هذه الفترة إلى قوت ، حتى إذا لاحت بشائر الصحو في الجو وأقبل الربيع خرج يلتمس رزقه

وقد توجد حشرات أخرى تشاطر النمل مسكنه وغذاءه ، ولقد أحصى العلماء حوالي ٢٠٠٠ حشرة مختلفة تسكن معه نظير أن تقوم ببعض الخدمات كتنظيف البيت ، أو إعطاء بعض إفرازات من جسمها مثل الطعم الذي يتصيد به بعض أنواع النمل ، إذ يمتص النملة بفرط الاستمتاع على مؤخر جسم النملة ، فيخرج سائل يمتصه . إلا أن بعض الحشرات قد لا ترعى أصول الضيافة وتلتهم الغذاء المخزون للشتاء ، وعندئذ يثور النمل عليها يطاردها وقد يلتهمها

وللنمل أعداء كثيرة أشهرها « آكل النمل » الذي يستطيع أن يبلع الآلاف منه دفعة واحدة ، وقد ما يخرج من جسم النمل في فم آكله من سائل حمضي هو حامض الفنيك . ويمكن استحضار هذا الحامض كيميائياً من جسم النمل بالتقطير

ويتعهد النمل إحدى يرقاته المصطفاة حتى تخرج من البيضة ، ولهذا نظام خاص من الطعام يعرف بالغذاء الملكي . وتصبح هذه اليرقة فيما بعد ملكة على النمل ، وهي وحدها القادرة على وضع البيض ؛ أما اليرقات التي لا تطعم هذا الغذاء فتصبح ما يسمى « الشغالة » ووظيفتها استحضار الغذاء والتنظيف وما إليه من العمل ، ولكن لا تستطيع أن تبيض بيضاً

ولنمض في سبيل المحافظة على النوع ، فإنه يجب أن تعهد أحد الشغالة « الوركة » يوماً عقب يوم كوم صغير الحجم ، وتضعها فالقيبض البيض وتضعه جيداً في مكان مستور ، وفي كثير من الأحيان أن تستعرب عليها اليوم رجع واحده ثم واحده من البيض إلى المكان وقد أصبحت هذه العمل للنمل على حقب دون مساعدة ، حتى أنه وحدها الملكة كلها أحمد عز الدين

بكالوريوس علوم وتربية : القسم

# أرانب بغير أب

توصل جاك لوب لأول مرة منذ ثلاثين عاماً إلى طريقة « الإخصاب الكيميائي » أو « التوالد البكري الصناعي » فأثبت بتجربته المدهشة أن البيض البكر لقنفذ البحر يستطيع بعد غمره في محلول حمضي أو ملح ذي تركيب مناسب ، أن ينمو بطريقة منتظمة حتى تتولد منه يرقات هذه المخلوقات وتماثل تلك التي تتولد من الإخصاب الطبيعي ، فاستطاع أن يستعيض بذلك أن يستعمل وسائل تغني عن الإخصاب الطبيعي من الذكر

وبعد عشرة أعوام أجرى العالم البيولوجي الفرنسي الكبير تجربة « التوالد البكري الصناعي » Batallion على الحيوانات الفقرية ، فاستطاع أن يوصل إلى تحقيق النمو المتكامل للبيض البكر المصدقة بواسطة تلقيحه بمادة الليمفوية أو بالدم ، ووصل حتى بعض هذه الضفادع الوليدة بعد أن عد الأطلال ، وبقيت حتى صارت ضفادع طبيعية

وقد أثارت هذه النتائج ضجة كبيرة في الأوساط البيولوجية والفلسفية ، فقد كان يظن أن هذه التجربة قاصرة على كل حال على الحيوانات الدنيا . وكان يشك في إمكان تطبيق طريقة التوالد البكري على الحيوانات الراقية ، لأن البيضة في الواقع عند طبقة الحيوانات الثديية التي ينتمي إليها الإنسان ، هي حبة صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة . ويتم نموها في داخل الأعضاء الأنثوية

ولتطبيق التوالد البكري الصناعي في الحيوانات الثديية ، يجب مواجهة سلسلة من الصعوبات المتشابكة المعقدة ، وهي الحصول على

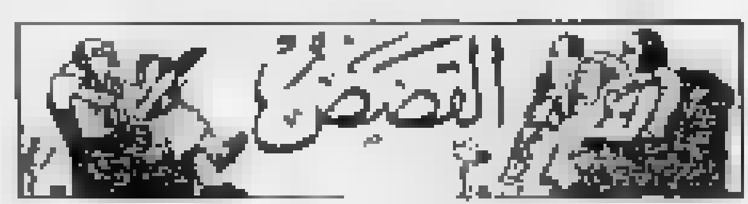


# كلاب ... وكلاب !...

للأستاذ عبد الله حبشي

« إلى هذا الشيخ الجاثم في حجره بين المقابر لا يمن الكلب الهرم ، وإلى وحيده شعلة الراقصة على أعماق القرى ، وإلى هذه الكلاب التي ترفل في نعيم الدنيا ، وإلى الصحابة من بني أمي أهدي هذه القصة » ع . ح

— ١ —

كان البدر يتألق في صفحة السماء ، وكان الليل مشرق ضاحك مطل وجه الطبيعة ، وانقشعت غياهب يومنا الماضي المطير وكأن سحر هذه الليلة وإشراقها قد أشاعا الحنين في الأرجاء فسيرنا أنا في ليلة من ليالي الشتاء.

وكنت مع صاحبي ليلتئذ — في داري التي اخترتها لسكناي بالضاحية الثانية على حافة الصحراء — نطوف بالذكريات في ركب الأيام ومواكب الأعوام ، وطال بنا المجلس فقطعنا الهدوء وحبب الخروج نفس نسيم هذه الليلة على ... ليالي الربيع ، وكنا نسير إلى غير قصد معلوم

قال لي صاحبي :

ألك في رحلة قصيرة نجتاز بها هذا الجانب من الصحراء إلى تلك القرية الصغيرة على مسيرة ربع ساعة نمر في خلالها بالبدر يسطع فوق رمال الصحراء ، وبالليل يبدد سكونه ما يحضرنا من حديث ؟

وكان تألق البدر في الصحراء يغري بالمضي إلى حيث شاء صاحبي فأجبته إلى ما أراد

وسرنا في طريقنا إلى القرية بسكون الليل وفتنة القمر ما شاء الله أن نسير ، ثم أراد صاحبي أن نسلك في عودتنا طريقاً أخرى ...

قلت :

— وماذا ترى من هذه الطريق ؟

— نمر بمقابر هذه القرية لنلقى هذا الشيخ الكفيف المنزوي المقيم في حجرة من حجراته هناك فتريك منظراً عجباً ، وأحدثك حديثاً أعجب من العجب...

شيخ كفيف منزو يسكن هذه المقابر وحده ؟

— أجل ، وفي حجرة ضيقة تشبه القبر لا يبرحها ليلاً أو نهاراً إلا إذا ثارت ثائرة فيخرج منها يتحسس في وجه ونهاره

---

البويضات البكر ، ووضعها تحت علاج ناجح دون تخصيبها ثلاثة ، ثم وضعها في رحم مستعد لقبولها ، وهذه كلها مجموعة من العمليات تتطلب مهارة فائقة تتحدى أكثر الخبراء مهارة

إلا أنه يلوح أن العالم الأمريكي « جريجوري بنكس » قد تغلب على هذه المصاعب ، فاستطاع إنتاج أرنبة الأرنب بالتوالد البكري ، وهو كشف عظيم الدلالة ، وإن كان في وقت قليل الاضطراب لا يعتبر كأنه حدث كبير

أخذ بنكس بعض البيض البكر ووضعه تحت تأثير محلول ملح أو حرارة مرتفعة ( ٤٧° ) وبعد أن نشطه على هذا المنوال نقله إلى رحم أرنبة أخرى كان قد أصبح من قبل في حالة حمل كاذب ، أي في الحالة التي تكون فيها الأنثى مستعدة لقبول ونماء البيض ، فما يمض هذا البيض ( ٣ في المائة ) بطريق التوالد البكري إلى مرحلة متقدمة في التطور الجنيني ، بل لقد أمكن بيضة منها أرنباً حياً ولد في موعده

وصاح بنكس إلى هذه النتيجة بخجل ، حتى ليصعب على الإنسان ألا يشك في صحة أمثال التجربة ، ولكنه يجب أن نذكر أن هذا العالم قد أصبح بتجاربه سيمور أعلى كثيراً من الأمثلة على رسوخه الفني ، ونذكر له بأعمال بارعة في تربية بعض الحيوانات الثديية

ولكن من المحتمل على الأقل أن يكون أرنب بنكس أول أرنب قد رأى النور بغير أب ... وقد رأيت التوالد البكري الصناعي لقنفذ البحر في سنة ١٩٠٠ والضفدعة في سنة ١٩١٠ والأرنب في سنة ١٩٣٩ . فمتى يكون للإنسان !

( عن ... )

ترابها ، ويشق عصاه بها في الهواء صارخاً

كلاب ! كلاب ..

— وما شأن هذا الشيخ ؟

إن أكثر سكان الضاحية يعرفون خبره ومصرع ابنته فاطمة . إنهم يمرون به في طريقهم إلى السوق فيحسنون إليه بإلقاء بعض الطعام في حفرته دون أن يدنو منه أحد . إنه على ضعفه وكبر سنه وذهاب بصره وتخلخل قواه يخاف على من يقترب منه إنه يصاب ما يلقى إليه من الطعام ويظل أياماً لا يأكل منه شيئاً ، كأنه يريد أن يتحكم في أمره الذي عليه الأقدار العاتية إلا أن يتعذب .

— وما خطبه صنع الله به ؟

وكنا في سيرنا قد أشرفنا على مدار القرية ، فبدت الأموات في وحشة الليل وظلال الصحراء كالأشباح المترامية بين الرمال والآكام

ولزم صاحبي الصمت ، وسرت بجانبه مأخوذاً برهبة الموت ، فلا هو استطاع أن يسترسل في حديثه عن الشيخ ولا أنا أصررت على أن يجيب

وكنا كلما اقتربنا من هذه المقابر المتناثرة في الصحراء زادت وحشتنا من سكون الليل الرهيب

— ٢ —

الآن نحن في حافة الحفرة العميقة التي تحدثنا عنها ، هذا هو الشيخ المسكين عظراً ؟ ها هو ذا ملقى على ترابها في ثيابه البالية ، وبقايا عصاه التي حدثني عنها صاحبي يقبض الشيخ عليها وهو في غفوته كي لا يتحرك ، وتلك أنفاسه المتقطعة كأنها حشرجة الموت لا تسمع صوتها في وحشة الليل وسكونه

إنه الآن يتململ في نومته ، لقد أيقظه السعال !! — ما أشد وقع هذه اللحظات الرهيبة على نفسي — ها هو ذا يقف متهالكاً على نفسه .. إنه يعتمد على عصاه فيقف وكأنه ميت قام يجرجر أكفانه ... وها هو ذا يتحسس الطريق إلى الأرض المستوية

إنه يمد عنقه ، ويشحذ أذنيه ، ويتشمم الهواء ، كأنه أحس أنفاساً غريبة في جو المقبرة . وها هو ذا يتمتم بكلمات متقطعة

لقد أجهده هذا من حافة الحفرة حتى صعد إلى الأرض المستوية لكنني ظللت أنظر والرهبة تغلبني إلى وجهه على ضوء القمر الساطع

ما أروع هذا الوجه وما أشبهه بالأساطير والمآسي . عينان أطفأ نورهما طول السنين ، وجبين خطت فيه التجاعيد سطوراً مشرعة من الشجون والمتاعب ، وأنف أشم أقنى ، وأعلى ذلك حيث لحية الشيب ، وجسم ناحل ضامر

وقف يحسو بكلمات لا يبين ، ثم لم يلبث على هذا الحال كثيراً ، وكأن ثورة عاتية سرت في هذا الجسم النحيل الفاني ، فانتفض كالأسد المصدور يلوح بعصاه ويعدو في الفضاء

كان المسكين يضرب الهواء ويطارد الأشباح ، وكنت في هذه اللحظة أحبس أنفاسي ، وأتحاشى موضع خطواته ومطارح عصاه . وكان في هذه الثورة الجارفة يكرر كل لحظة بصوت قاصف كالرعد : كلاب !! كلاب ...

ثم خارت قواه وانطفأت جذوة غضبه فراح يتهالك على نفسه ويجر قدميه يلتمس مكان الحفرة التي صعد منها ، وما زال كذلك حتى أحست إحدى قدميه مكانها فألقى بنفسه فيها فإذا هو جاثم كما يجثم القلب الهرم لا حركة ولا نأمة

ودنا مني صاحبي — وكنت أشخص إلى جسم مقبرة ماثلة كالمسحور لا أقوى على حركة أو الكلام — فأخذني من يدي لنواصل السير ، فمشيت بجانبه مأخوذاً من هول ما رأيت ذاهلاً عن كل شيء . وما زلنا حتى ابتعدنا عن هذه المقبرة وجوها المرعب الرهيب ، ثم بدأ صاحبي يقول

— يوم رأيت هذا الشيخ أول مرة تولاني من الفزع مثل ما تولاك . أما اليوم فقد ألفت مرآه ، ولكن لا أزال أرثي حاله وأتوجع عليه أشد التوجع كلما تذكرت مأساته الدامية ...

— وهل المسكين مأساة غير ذهاب بصره ووحدته وعزلته في هذه الحفرة بين الأموات ؟

— إن هذه الحال الأليمة التي تشاهدها إنما هي آخر مأساته أما أولها فهو آلام وأوجع مما تشاهد

— ٣ —

ومضى صاحبي يتحدث عن هذا الشيخ فقال :

كان المسكين وجيهاً في قومه وأحد أعيان قريته ، مشهوراً

بين أمه بالمحبة والاحترام ، واستغرق في صباه بما قرأ من كتب الأقدمين والمحدثين ، واستطاع بما وهبه الله من بصيرة نيّرة وإحساس مرهف مشبوب أن يدرك مدى ما يعانيه الفقراء في قريته وعطف المكروبين . وأرّقه هم المساكين في شأن هؤلاء الذين كانوا وما يعانون من ظلم الأغنياء وتحيّز قلوبهم ، فوهب حياته وماله في سبيل نصرتهم وحثهم على إدراك ما لهم في أعناق أولئك العتاة من حق النعمة والمال ، فراح يحدثهم حتى يجدهم فيهم ويحدثهم بما يحمله المساكين . وكان عمدة القرية رجلاً طاغياً ظالماً جمع ثروته كل مورد ، وأخذ يكيد له في الخفاء والعلن ويوقع به في كل فرصة . وما زال الرجل يلقى ضربات هذه الطاغية فيصمد لها مرة ويهوي أخرى حتى أوشك منه أن ينفد .

وظل المسكين يجاهد الأيام ويناضل العتاة من أهل قريته ، وينفق من صبابة ماله على مواساة ذوي الحاجة والمعوزين حتى نضب معين ثروته فتنكرت له القرية بأسرها ، وضاق به أهلها ، وتنكر من حوله أصدقاؤه الذين أمعن في سبيلهم ماله وشبابه وجاهه . واستمر عمدة القرية في التنكيل به وألّب عليه هؤلاء الأنصار الذين غمرهم بثروته ، واستشاروا بآرائه ، وجرّد منهم جيشاً للتنكيل به وإيذائه .

وأصبح المسكين فإذا هو في القرية الباغية الظالمة التي لا يملك من حطام دنياه غير دار صغيرة لا يبين فيها إلا ما هي متعلقة به من الحيوان .

وفي ذات مساء ، جلس الرجل في داره حزيناً كئيباً يتحدث إلى زوجه الوفية المحزونة ويتحسس معها جملة حاله ، وقد حدثت القاهرة أمس الغريب فكاشفها بما آل إليه أمره ، وكان يخفي عنها كثيراً مما أصابه من النكبة والخذلان ...

ورأى آخر الأمر أن يرحل عن قريته تحت ستار الليل تاركاً داره دون أن يشعر بهجرته أحد ، واستقر رأيه على أن يصحب زوجه وابنته الطفلة التي كان قد رزق بها في آخر أيامه .

وكانت الأيام قد نالت من بصره ، فأصبح كفيفاً يضرب على عصاه ، وتألبت عليه الكوارث ، فاشتدت به الحسرة على زوجه الوفية ، وأحوجه الفاقة ، لم يجد منه غير القوة .

خرج المسكين في جنح الظلام يحمل بعض الثياب والزاد وخرجت معه زوجه تقوده إلى ظاهر القرية ، وبيدها الصغيرة تخرج إلى جواره . وهي لا تقرب من شأنه شيئاً ... أبوها ما عرفنا .

وكان قد أجمع الرأي على أن يقصد القاهرة مدينة في أطرافها بيتاً صغيراً يجمع فيه شتات الحاجة ويمد إليه يد الرحمة والعطف .

وليست القاهرة بقريبة من قريته ، فالشقة بعيدة والزاد قليل والمرء فارس ، وزوجه الرهيفة يعوزها المال ، وتقسو عليها الصحراء كما جد بهم السير ...

لكن الشيخ إبراهيم محمد - وهذا اسمه - رجل نالت الأيام وصبر على أذاها ، فهو لا يزال رغم ذهاب بصره وماله وشبابه الرجل القوي الشكيمة ، وقد أراد أن يصل إلى القاهرة ، فلابد أن يصل .

ورأى الشيخ إبراهيم أن يجعل مسيره ليلاً ليتقي بالسير حالة البرد ، ويتكئ بسكان القرى القريبة وبيوتهم ويواسيهم بهاداة ، فظل يسير الليل ويستريح النهار حتى صار قريباً من القاهرة بعد ذلك المدة التي كان قد اشتدت وطأتها على زوجه ، وأنهكها السير وحيه الطفلة ، وهو لا يزال مع ذلك يمسك في آنائهما كأنه الصوت الرهيف يشرحها اقتراب القاهرة ويمنيهما بالراحة الهانئة في كنف المحسنين من سكان المدينة !!

وكان قرص القمر يحل في المنتصف والسحاب يوماً بعد يوم ، واحتمال الزوج الرهيفة والطفلة الضاحكة يقل يوماً بعد يوم .

— ٤ —

في ليلة من تلك الليالي الحالكة كان الشيخ إبراهيم وزوجه وطفلته قد أشرفوا على قرية من قرى القليوبية . وكان السائر في طريق تلك القرية يرى في عتمة الليل وإغفاءة الفجر ثلاثة أشباح تترنح في الظلام الدامس من فرط الإعياء والجوع والبرد . أولئك هم التعساء الثلاثة في طريقهم إلى القرية .

وقال الشيخ لزوجه : اسمعي يا عائشة !! هذا صوت المؤذن يجلجل : الله أكبر الله أكبر حي على الصلاة . إن الفجر يوشك أن ينبثق . سنصل إلى هذا المسجد القريب فأدرك صلاة الصبح ، وبعد ذلك نبحث عن مأوى نأوي إليه ونستريح ونتقي الشمس في الصباح . هيا يا عائشة أسرعي ، اعتمدي على كتفي فقد أوشكنا أن ندرك الغاية .

وكانت السكينة قد أخذتهما ، ريح الشمال ، والليل يهيم ، والرعد يقصف ، والسماء داكنة ، والليل موحش ، وسكنت

على نصب فيه نحو بيت يرى فيها ما شاء من ألم ومصعب وعناء، ومشى إلى حوره بخطوات، ثم اشتعلت عليه وطأة الداء وأسلمها للمسير متسقطة تحت أقدام زوجها الضرير وظلت من وقت تلتقط أنفاسها الأخيرة . والزوج يتحسس مكانها ولا يراها ، ويتسمع أنفاسها المختنقة ، ويتسمع دقات قلبها الموجع ...

وفي هذه اللحظات الرهيبة دوّى صوت المؤذن مرة أخرى : « الله أكبر … الله أكبر » وكانت الزوج قد لفظت آخر أنفاسها وأصبحت جثة ملقاة في وحل الطريق ، طريق الساقية ...

وأدرك الشيخ أن زوجه قد ماتت فالتفت الفجيعة رأسه وراح يصيح كالمجنون ، ويصيح فتذهب صيحاته في سكون الليل هدراً ..

وكان المؤذن لا يزال يدعو الناس إلى الصلاة فاختلط صوته بصوت ذلك المفجوع الذي وقف في الطريق يدعو الناس إلى موته في مصابه

وظل الشيخ الضرير يتشمم جثة زوجه الرهيبة ويبلل وجهها بدموعه . أما وحيدة فأمسكت فقد كان منظرها في سواد الليل وإلى جوار جثة أمها تصطك أسنانها من شدة البرد وتبكي من فرط هولها ... منظراً يدمي قلب الحجر

.. ثم مضى الليل ! فوا حسرتا كيف مضى !!

وكان صباح

وبكر فلاحو القرية بالذهاب إلى مزارعهم ، واقتصروا على طرف الطريق يلاقون في غبشة الصباح ، ثم رأوا ذلك الشيخ الضرير يعثر على جثة زوجه ، ورأوا وحيدة الصغيرة وقد ارتمت في أحضان أمها خائرة تبكي وتئن

واجتمع أهل القرية على صوت الجثة وواروها التراب للآخرة وواروها جثة جمعت التراب . وظل الشيخ مع ابنته في مقبرة القرية أياماً طوالاً لا يبرحها ولا يكف عن النحيب ، ويعيش ذا ممن جود أهل القرية ، فكانوا يمدون إليه يد الإحسان يوماً بعد يوم

ثم رأى الشيخ أن يرحل عن المقبرة إشفاقاً على وحيدة الصغيرة ، وأن يمضي بها إلى القاهرة ، فقد أصبح على مقربة من الساقية ... الرحيل من أجل هذه الطفلة الشريدة ، وليجد لها سبيل العيش في كنف رحيم من ذوي البر هناك

وصل الشيوخ إلى ساحتها على حافة الفجر الشاحب واقترب من المدينة الآهلة يحوي الضر والثراء، وأصبحت منه على بعد خطوات كثيرات ، وجلس يستريح من وعثاء الطريق ، وراحت ابنته تحوم من حوله وتنظر في عين الشمس لاهية

ونظرت الصغيرة فرأت قصراً كبيراً تحيط به حديقة غناء ذات سور من القضبان الحديدية ، وكان أبوها قد غفا يلتمس بعض الراحة وبعض الهدوء فأنس إغفاءة التعب المكدود ، ودنت الطفلة نحو سور القصر تنظر من بين قضبانه لترى أشياء لم تكن رأت مثلها من قبل ، وأطلت على الحديقة ، ولم يكد نظرها يقع على ما في داخلها حتى عادت إلى أبيها تهزه فأيقظته — وقد راعها ما رأت — ثم راحت السكينة تتقاطر من فمها الصغير في عجب ودهشة

قم يا أبي ، قم ولا تنم ، تعال انظر ما في هذه الحديقة ، وكانت المسكينة نسيت أن أباها لا يستطيع أن ينظر ... فقال يا ابنتي لأرى ليت ربي بصيراً ... انظري هنا يا أبي من بين القضبان في حديقة هذه القصر الكبيرة فرأيت الأرض كلها مفروشة بشيء أخضر يشبه الزرع الذي نزرعه في بلادنا ، لكنه ناعم ملتصق كل الأرض ، ورأيت الأرض في بعض جوانب القصر مفروشة بشيء أصفر يشبه الذهب ولكن الحصى أبيض ، ورأيت رجالاً كثيرين يذهبون إلى آخر الحديقة من الجهة الأخرى ويفتحون أبواباً صغيرة فتخرج منها كلاب تجري في الحديقة ... أي والله إنها كلاب يا أبي تشبه كلاب بلدنا ، إنها كثيرة جداً أكثر من كلاب بلدنا جميعها ! إن الناس هنا يا أبي يلبسون الكلاب ثياباً حمراً من القطيفة كالتي كنت ألبسها وأنا صغيرة ويضعون في رقابها أطواقاً تلمع مثل الذهب كالتي كانت أمي تلبسها في رقبتها إنها كثيرة جداً يا أبي ، إنها كلاب حقيقية ، لقد سمعتها تنبح مثل كلاب بلدنا . تعال يا أبي تعجب من هؤلاء الرجال ، طعاماً من اللحم يقدمونه الآن لهذه الكلاب ، إني رأيتهم يحملون آنية كبيرة فيها الخبز وقطع اللحم ورائحة الشواء يتصاعد في الفضاء ، اللحم هنا يا أبي كثير جداً ، لقد شممته بأنفي ورأيته بعيني ، قم يا أبي ، قم ولا تنم إن الخبز هنا جيد والأكل كثير ..

تناثرت عند الكلمات — في لحظة — من فم الطفلة الصغيرة وأطرق أبوها عند سماعها ما شاء الله أن يطرق ، ثم حاول أن يصرفها عن ذكر هذه الذي رأت بمختلف الأحاديث ووعدها أن يقوم بعد قليل ليحضر لها الطعام

أما هذا القصر فهو قصر « عظيم » من عظماء الباشوات بناه في ضاحيتنا النائية ليقضي به بعض أيام الشتاء . ولقد ورث عن أبيه العظيم مالاً وعقاراً وضياعاً . وكان مما رغب إليه نفسه أن يقتني أكبر مجموعة من كلاب الصيد وكلاب الحراسة وكلاب الزينة فاجتمع لديه منها ما يزيد على ثلاثة . وقد عني بتنظيم أو حجرة نظيفة مفروشة تأوي إليها هذه الكلاب ، وجعل لها غذاء في اليوم خمسين أقة من اللحم !!!

ورأت الطفلة الصغيرة ما رأت — وكان الجوع والإعياء قد ملآ ما حولها — فمضت إلى أبيها — في براءة الطفولة الغريرة — تستحثه على الخروج ليطلب لها من خدام الكلاب لحماً وزاداً مما يصنعون ...

أما أبوها الضرير فقد ظل مكانه مطرقاً ، وأما وحيدته الجائعة فلم يستقر لها مع الجوع قرار ...

— ٦ —

تركت الطفلة أباها في إطراقته الحزينة ، وتسللت من جانب سور الحديقة ، وكان الحراس والخدم لا يزالون يعدون اللحم والثريد إلى الكلاب . وطغى الجوع على الإنسانة الصغيرة ونال منها ، فانحدرت من بين القضبان داخل السور الحديدي ، ومضت إلى قصعة من القصاع ، ومدت إليها يدها تأخذ قطعة من اللحم ، ولم تكد الجائعة الضاوية تمد إلى اللحم يدها ، حتى أطبق عليها كلب ضار من كلاب الحراسة ، فأعمل أنيابه الحادة في بطنها ، فانفجر دمها الإنساني وخرجت أمعاؤها ... ودوت في الفضاء صرخة واحدة وصلت إلى أذن أبيها الضرير ، فعرف صوت وحيدته وأيقن أن مكروهاً أصابها ، فهب يعدو متعثراً يسأل الغادي والرائح عن مصدر الصوت ، فلا يجيبه أحد ...

كانت الصرخة التي دوت في الفضاء صرخة واحدة ، وكان الوالد الضرير يرقب صرخة أخرى ... علّها تهديه إلى مكان ابنته ... لكن الأذن الناصتة أبت عليه ، حتى هذا الرجاء ، فظل يعدو هنا وهناك بقلب مفجوع وكبد تتمزع

وكان مصرع الطفلة بين أنياب كلب العظيم العاتي ... ما أراد ... بين الحراس والخدم ، وسمع الوالد المصروع ... نفسه إلى مكانها

لكن الأسوار شاهقة منيعة !

صاح الرجل صيحات مدوية جمعت الناس حوله ... ثم راح يستنجد بهم أن يقودوه إلى مكان ابنته ... وتطلع الناس إلى داخل الحديقة ، فرأوا الطفلة ملقاة على الحشائش مخضبة بدمها ، والخدم من حولها يتصايحون

قال أحدهم :

— يجب أن نلقي بها خارج الأسوار قبل خروج الباشا حتى لا تتعرض نفسه لمضايقة ، إنه سيوقع بنا العقاب لأننا أهملنا في العناية بالكلاب وحراسة طعامها من أيدي المتسللين !

وقال آخر :

— يجب أن نبحث عن أبيها لنسلمها إليه ...

... ثم قر الرأي بعد هذا الخلاف على أن يلقى بالطفلة خارج الأسوار

وهرع الوالد الضرير إلى مصرع وحيدته وراح يتحسس جثتها ، وصرخ وانتحب ... يحتضن جثمان الصغيرة

واجتمع أهل الضاحية فأداروا الشريب للرجل على مصابه ، لكن الشريب الرجل كان قد ذهب عقله — فلم يجرؤ أحد منهم ... ولم يعرف بعد ذلك من شأن الرجل إلا أنه يتبع جثة ابنته إلى المقبرة ، وأنه رئي في تلك الحجرة الصغيرة يردد إلى آخر أيامه ... وهو كلما رأيت البنية لم يبق على لسانه غير هذه الكلمة الواحدة يكررها ثم يكررها : كلاب !!! كلاب

— ٧ —

كان الصمت — أول الليل — يخيم في صمت ... ، وكان ... في تلك الليلة يغري بالحركة والنشاط

ولم يكد صاحبي ينتهي من حديثه الدامي حتى عدت إلى صومعتي ... وقد غابت في الأرض ... ونام على السور ... سحابة متكاثفة ، فأظلمت السماء ، وانهمرت الأمطار ، ... الطرقات مظلمة خرساء

وأويت إلى مضجعي مطرقاً حزيناً ... حتى ... طلائع الصباح !

عبد الله حبيب

## خطر محاصرة ألمانيا

[ عن جريدة «المنشستر جارديان» ]

أمام ألمانيا المحاصرة الآن ثلاثة أبواب: فإما أن تحاول قهرنا في البر والبحر والهواء، أو تقف أمامنا موقف المسالمة وتصبر أملاً في انصرافنا عن مواجهتها وكبح جماحها قبل حلول الوقت الملائم، أو تخدعنا بعرض بعض شروط السلام.

وقد دلت التجارب الحربية الماضية على أن مواجهة المواقع الحربية الشكلية المحصنة (الماجينو) أمر من المستحيلات، وإذا لم يكن لنا خط كخط سيجفريد فإننا نحتمي من قسوة شر البلاء الذي منيت به. ولكن الجبهة الغربية تشمل حصوناً قوية منيعة تزداد كل يوم ثباتاً ورسوخاً، وكل محاولة يقوم بها العدو لمهاجمة تلك الحصون تكلفه غالياً. ولم يرد قوادنا أن يستنفذوا الوقت ليخاطروا بأبناء الأمة الذين يتكون منهم جيشهم بغير ضرورة ملحة.

وقد أحدثت هذه الحرب كثيراً من الظنون التي كانت تخطر بالبال، فقد كان الكثيرون يتوقعون الوقائع العنيفة في البر والبحر والهواء، وكنا نظن أن الخطر السريع قريب من جبهة الوطن، فواجهنا الكثير بالجهد في سبيل الاستعداد والتأهب للعمل، وإن كنا قد رأينا الأسابيع تمر تلو الأسابيع دون أن نواجه شيئاً من الأخطار التي نتوقعها.

وعلى الرغم من الهدوء الظاهر فقد أمكننا أن نكتشف من نيات خصومنا. فقد رسمت ألمانيا خطتها بالمطالبة بإطلاق يدها في الشرق، وأخذنا نسمع مطالبها القديمة التي كانت تؤيد بها أحلامها، فألمانيا ترى أن دول شرق البلطيق يجب أن تكون تحت سيادتها، ولكنا رأينا روسيا في هذه الناحية تطامع روسيا في تلك المنطقة، وترى أن رومانيا يجب أن تحتجب ألمانيا المحاصرة عن طريق يوصلها، ولكن روسيا قد وضعت سداً منيعاً بينها وبين رومانيا من هذه الناحية. أما خط برلين - بغداد فقد وقفت تركيا عقبة في سبيله.

وتركيا أمة قوية شريفة وكذلك العراق وهي مخلصة لصفة معينة.

فإذا أضفنا إلى الناحية الشرقية عند أن الحلفاء لبريطانيا قد وضعت قرب سلاسة آمنة بحراسة الأسطول الفرنسي ومترنو وجنال الأنديز والمتطوعين من كل سن تلبي بالخدمة الحربية، وسوف يكون مدونا التقدم ما تعرضه معاملاتنا من الأسلحة والقوى.

لقد أصبحت المشكلات الحرة على استعداد للقيام بنصيبها إلى جانبنا في هذه الحرب، وقد تبوأت الكتائب الهندية مراكزها في كثير من المواقع، وأبدت الهند ومصر أعداد الامبراطورية ستستعدونه لزيادة نصيبها في هذه الحرب، فإذا تقدمت الأيام وجد العدو سوف ترى أن هذه الجموع الزاحفة ستشمئز أعلام. ومما لا شك فيه أن الزمن سيكون إلى جانب فرنسا وبريطانيا والامبراطورية.

فإذا أردنا التخلص نهائياً من هذه النكبة التي كان هو أول من أثار نارها، فهنا هو الموقف الذي يجب أن نقابله بصبر، إذ أن كل سلم يعتمد على الكلمة المرعوبة لا معنى له قائم على الإطلاق، ولا سبيل إلى الابقاء على نظام جديد يبعد عن هذا التاريخ.

إن هذه الحرب أعظماً أخيراً وأعظم من مصادمة الجيوش ومكائد المناورات ومعارك الغواصات، ذلك هو الصراع بين قوة الخير وقوة الشر. فأي الفريقين ستكون له السيادة على العالم؟ أي الفريقين يكون له الغلب على عنصر الإنسان.

نحن لا نحارب لإعادة الحكومة التشكوسلوفاكية، أو رد الحكم إلى بولاندا كما قد يظن الكثيرون، فنحن لا نحارب من أجل الجبهة الجغرافية، ولكن نحارب لإنقاذ الجبهة الإنسانية.

## الحرب القصيرة الطويلة

[ عن كتاب «الروح البروسية في ألمانيا» ]

ثلاثة عوامل كان لها أبلغ الأثر في توجيه التفكير البروسي في القرنين الأخيرين: حب الحرب في ذات نفسها، وسوء الظن بالسياسة المدنية والصدور عن فكرة الاتحاد الدولي بكافة أنواعه، والتأثر بنظرية «كلوزفيتز» القائلة بأن الحرب وسيلة من وسائل السياسة والسياسة وسيلة من وسائل الحرب؛ ووفقاً لمذهبهم بأن الحكومة — وعلى الأخص الحكومة البروسية — يجب

ألا يهتم بشأن غير شئونها الخاصة ، ويرجع حب الألمان الحرب إلى فجر التاريخ الألماني. فقد ذكر من خطيب إغريقي متكلم أن للأمبراطور الروماني « جوليان » احتج ذات مرة على مهنة « توتوب » لأعمال العنف التي تقع منها ، وعلى شبها الشبيهة بالملوثات الحربية. فجاءه منها هذا الجواب : « إننا نجد في حياة الحروب سعادة لا تعدلها سعادة » وما زالت هذه الأمثلة تتكرر في تاريخ بروسيا منذ عهد فردريك الأكبر الذي جعل الحرب ( صناعة بروسيا القومية ) إلى العهود الحديثة ، حتى تصل إلى هتلر ، فنظرية الحرب الصريحة المبهجة — ويقول (مولتكه) ... :

« وجدت الحرب لتنفيذ إرادة الله في العالم. ولولا الحرب لمرت الشكل في غمور مادته السخيفة » كما أن آراء بروسية معروفة وقد كان ( ترايتشكه ) يقول إن عظمة التاريخ تبدو في التشاحن الدائم بين الأمم »

وقد كتب ( فردريك ) في أخريات أيامه إلى ( فولتير ) يقول إنه في كل عشر سنوات من حياته يرى حرباً جديدة ، وسيدوم ذلك على ما يظهر بغير انقطاع. والضابط الحربي له من كبر المقام في الدولة برهنة على من عداه من المدنيين ، ما هذا كبار رجال الحكومة. ويقول ( فردريك ) : « إنني أستقبل كل ضابط صغير في بلاطي قبل أي وزير من المتطرفين »

ولقد جرت العادة في بروسيا منذ زمن بعيد على أن يتقدم للدخول في سلك الجندية جميع أبناء الأرستقراطية. وتختص نسبة هذه الشرائح من أبناء الطبقة العليا والطبقة الوسطى باحتلال الجيش ، على أن الضابط الألماني يرتقي إلى درجة « حيدان » لمجرد انضمامه للجيش وانتسابه إليه ، وإن كان من أصل وضيع ، فتصير له حقوق الأرستقراطية من حيث السمعة. وقد بيع نحو مائة ألف من الكتب في ألمانيا عن الحرب في اثني عشر شهراً عام ١٩١٣ سبعمائة كتاب. وفيها كان التصريح يقول : من يحمل السيف يقتل بالسيف ، ولكن شباب ألمانيا اليوم يقولون : من يحمل السيف يموت ميتة شريفة. ويقولون : إن الحرب ضرورة لتطهير حياة الأمم

## الغواصة الطائرة

[ عن « لاسبوتيك دي روزيه » ]

تعمل مصانع اليابان منذ عام في بناء نوع من الغواصات ، سيكون له أثر كبير في الحروب ، نظراً لما يمتاز به من السرعة. هذا النوع هو غواصة الجيب. فهذه الغواصة وإن كانت لا يزيد طولها على ست أو سبع ياردات ، فقد تضمن ... في قذف الطوربيد ، وسرعة السير ، وحوم الطارود ، لا ... عن الغواصات الكبيرة من الخفة وحسن النظام

ولدى اليابان الآن عشر غواصات من هذا النوع الصغير ، وهذه الغواصات العشر تستطيع أن تقضي قضاء تاماً على بوارج كاملة من أسطول كبير. ونستطيع أن نؤكد أن هذا السلاح الجديد الذي صنعته اليابان لا يتيسر للألمان بحال من الأحوال وذلك أن عشرين في المائة من القطع الضرورية لصناعة هذه الغواصة مصنوع من معدن الألومنيوم ، وليس لدى ألمانيا مصدر لهذا المعدن. وقد دعي منذ مدة قصيرة خمسة عشر من الرجال الإخصائيين وثلاثة من الرسامين لمشاهدة بعض التجارب في مرسى صناعة السفن بباسو ، فشاهدوا هذه الغواصة الصغيرة ترتفع إلى سطح الماء فتسير مسافة قصيرة ، ثم ترجع إلى الماء حيث تغطس في خفة كالطائرة المائية

وقام بإدارة هذه الغواصة المهندس الذي اخترعها واسمه « تستوما » فضغط بيده إلى الأمام فرأينا جسماً على صورة السمكة ، ينطلق ويختفي تحت الماء في سرعة وخفة عجيبتين. وبعد عشر دقائق ظهرت على سطح الماء ، ومن ثم برزت أجنحتها واحدة بعد واحدة ، ويبلغ طول هذه الأجنحة من ١٨ إلى ٢٠ ياردة ولم تلبث أن ارتفعت إلى أجواز الفضاء

هذه السمكة الطائرة كما يقول دكتور « جوه » مساعد « تستوما » مخترع هذه الآلة - تستطيع أن تقطع تحت الماء من ١٥ إلى ٢٠ ميلاً ولا يمسها خطر ، وإذا كانت فوق الماء تستطيع أن تقطع ٦٠٠ ميل ، فإن كانت حولها حمولة قطعت ٣٠٠ ميل ، ومن السهل عليها أن تحمل أربعة طوربيدات لاستخدامها تحت الماء أو في عرض الفضاء. وبهذه السمكة الطائرة ثلاث آلات محركة قوة كل منها ٦٠ حصاناً ، وقد صنعت أجنحتها من نوع خاص من الحرير. ولا تزال هذه الغواصة في دور التجربة ، ولكن مما لا شك فيه أنه سيكون لها شأن كبير في عالم الحروب وستكون في الوقعة الحربية كاليعسوب تقتل الأسد

ولما كانت صناعة هذه الآلة تحتاج إلى مقدار عظيم من الألومنيوم فسوف لا تستطيع ألمانيا أن تستخدمها على الإطلاق في حين أن لدى بريطانيا وفرنسا ما يكفي لاستخدام هذا السلاح

## في جمع كلمة الوقت

سيدي ... وقد أصبحت عهداً لكلمتي الثانية — أوجه السؤال الآتي بأدب ورفق :

... من طريق التبويج ... من ألوف وملايين ، ... تقول

« نحن لا نعرف كيف نقضي أوقات فراغنا »

بنصب كلمة « أوقات » بالكسرة ، كأنك ظننتها جمع مؤنث سالماً ، وكان المفهوم عندي منذ أعوام طوال أن « أوقات » جمع تكسير لا جمع تصحيح

وقد نظرتُ في أصل كلمة « وقت » مرة ومرتين ومرات بعد إذ رأيتك تنصب « أوقات » بالكسرة نيابة عن الفتحة فلم يصح عندي أنك على حق ، مع الاعتراف بأن قلمك لا يعثر في مثل هذه ...

فهل لك أن تتفضل بإرشادي إلى الصواب ، ولك من الله الأجر والثواب ؟

أما إذا اعترفت بأن الحق معي لا معك في إعراب كلمة « أوقات » فسيكون ذلك فرصة لمعرفة ما أسرعتَ في ... بالمقالات التي ... ، إذ ... الحق يستوجب ...

وتفضل — يا حضرة السيد — بقبول التحية من المسيحي القديم :

زكي مبارك

[illegible]

لا ... من أن يتكلم الأستاذ أحمد أمين أنه نصب « أوقات » بالكسرة لأن نصيبه أعظم من ذلك ، ولأن ... التي ... محاضرة ... ، إذا كانت ... محاضرة ... ، في ... أن ... إلى ... !

[illegible]

سألت ... بالتليفون فعرفت أنها ... جزءاً من محاضرة للأستاذ أحمد أمين ... في الأسبوع الماضي ، ... أن ... التي ... « أوقات » بالكسرة ... أن ... حضرة السيد ... أن يجدها ...

مبارك

## السفاح ثم المهدي ولقب أبي جعفر [illegible]

قرأت في الرسالة الغراء ما دبجته براعة الأستاذ ... حول لقب السفاح في عددي ٣٤٦ و ٣٤٩ وكان ... حضراتهم رأي قد استصوبه ... إلا أنهم ... حول لقب السفاح والمنصور حتى المستشرقين ولكن لم ... منهم ما اهتدوا إلى مصادر ... يجهلون . ولما أنا ... (أنا) ما زلت أستقصي منذ أكثر من عشر سنوات ولا زلت بصدد تأليف كتاب قد أسميته (الثورة العباسية) وقد توصلت في بحثي إلى ما ... بصحته ، وإني أرجو أن أكون قد اهتديت إلى معرفة اللقب الذي طال الخلاف حوله . كما أني لا أدعي أني قد أصبت الهدف المقصود ، وإنما كل أملي في أن أرشد إلى ما فاتني ... ما يأتي :

١ — إن المسعودي لقب أبا العباس بالسفاح في مروج الذهب ثم يعود فيذكر في كتاب التنبيه والإشراف الذي ألفه بعد كتاب المروج وهو مختصر ... استدراكاً لما فاته ذكره في كتاب المروج وهذا رواه في التنبيه والإشراف عن لقب أبي العباس أنه (قد كان لقب أولاً المهدي ص ٢٩٠) فيفهم من هذه الرواية أن أبا العباس لقب بالسفاح أخيراً وقد غلب على لقبه الأول وهو (المهدي)

ومما يؤيد هذه الرواية التي لا ... فيها بيت من قصيدة لسديف إذ يقول :

ظهر الحق واستبان مضيئاً ... إذ رأينا الخليفة المهديا

٢ — وأما سبب تلقيب محمد بن أبي جعفر بالمهدي فهو أن أبا جعفر أرسل أحد من يعتمد عليهم وقال له اجلس عند منبر محمد بن عبد الله النفس الزكية واسمع ما يقول . فقال الرسول سمعته يقول : إنكم لا تشكون أني أنا المهدي وأنا هو . فأخبرت بذلك أبا جعفر فقال : كذب عدو الله بل هو (ابني) (مقاتل الطالبيين لأبي فرج الأصفهاني ص ١٦٦) وجاء في (المقاتل) أيضاً ص ١٣٩ ما نصه « قال مسلم بن قتيبة : أرسل إليّ أبو جعفر فدخلت عليه فقال قد خرج محمد بن عبد الله وتسمى بالمهدي والله ما هو به ، وأخرى أقولها لك ثم لا أقولها لأحد بعدك ولا ... لأحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ، ولكنني تيمنت به وتفاءلت به »

ومما يؤيد هذا أيضاً ما جاء في كتاب الجهشياري ص ١٢٧

إذ يقول الراوي: قال محمد المهدي لأبيه: يا أمير المؤمنين أنت ترشحني لهذا الأمر، وتروي أني المهدي الذي يحدث في الناس

٣ – وأما أبو جعفر فقد لقب المنصور عقب قتل محمد وإبراهيم (التنبيه والإشراف ص ٢٩٥)

وأما الخلفاء الذين تلقبوا بالألقاب الملوكية، فقد كانت تختار لهم أو هم أنفسهم كانوا يختارونها، وهكذا جرت العادة عند كل الخلفاء

(بغداد) عبد الحميد العبادي

### تقي الدين بن تيمية ومواقفه السياسية والاجتماعية

يشغل المسيو هنري لاوست منصب السكرتير العام في المعهد الفرنسي في دمشق. وقد اشترك في حملة الحديث على أثر إعلان الحرب في بيروت. ولكنه حصل أخيراً على إجازة قصيرة ليتقدم إلى السوربون لمناقشة الرسالة التي وضعها لإحراز الدكتوراه.

أما رسالته فموضوعها (تقي الدين أحمد بن تيمية ومذهبه السياسي والاجتماعي) وهي تقع في أكثر من ٧٠٠ صفحة وقد طبعت بمطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

وقد تناول المؤلف بالبحث ترجمة حياة ابن تيمية والبيئة التي عاش فيها، وتكوينه الفكري، ومذهبه السياسي والاجتماعي، وما كان له من الأثر في المذهب الوهابي وفي آراء المغفور له السيد رشيد رضا منشئ المنار

وكان طريفاً أن نرى المسيو لاوست – ذلك الجندي وقد ترك السيف والمدفع وجاء إلى الجامعة يناقش في رسالته

### كاتب فرنسي يزور بلاد الشرق الأدنى

وصل إلى بيروت المسيو بيير بنوا عضو الأكاديمية الفرنسية بعد أن زار الشرق أيضاً المسيو جيروم تارو والمسيو أندريه سيجفريد. والمسيو بنوا هو الرسول الثالث للفكر الفرنسي الذي يزور الشرق بضعة أسابيع

### اختراع مصري

نشرت (المصري) أن الأستاذ عباس محمد علي أفندي المهندس بالإسكندرية قد اخترع طائرة تسع ٥٠ شخصاً وترتفع رأسياً وتهبط كذلك، وتبلغ سرعتها من ٦٠٠ إلى ٨٠٠ كيلو في الساعة. وقد صنع المخترع لها نموذجاً مصغراً وكتب إلى أولي الأمر ويحضر إلى القاهرة لعرض النموذج على ولاة الأمور بناء على دعوة أرسلت إليه من رياسة الطيران

وقد قابل سعادة حسن عبد الوهاب باشا وحدد له موعداً لعرض النموذج أمام هيئة من كبار رجال الطيران

### مجلة المستمع العربي تصدرها الإذاعة البريطانية

قالت جريدة «التيمس» إن العدد الأول من مجلة شركة الإذاعة البريطانية التي أطلق عليها اسم «المستمع العربي» سيظهر في هذا الأسبوع، والمأمول أن تساعد هذه المجلة على تمتين روابط الصداقة الناشئة بين العالمين العربي والإنجليزي

وستكون هذه المجلة أول صحيفة مصورة تطبع في لندن باللغة العربية. وهي على مثال أختها الإنجليزية «لسنر» والغرض منها تسجيل الأحاديث العربية التي تذاع من محطة لندن ليطلع عليها الذين فاتهم الاستماع إليها ونشر ما يهم القارئ العربي

وتقع المجلة مبدئياً في ١٦ صفحة وتظهر مرتين في الشهر

### أكثر أهل الجنة البله

قرأت في العدد (٣٤٩) من مجلة الرسالة الغراء كلمة الكاتب العبقري أستاذنا الدكتور زكي مبارك في موضوع (الأدب في عصور الفرس الاجتماعية). ولقد لفت نظري بنوع خاص ما جاء فيها من تفسير الأستاذ للحديث الشريف (أكثر أهل الجنة البله)، فقد ذهب الأستاذ إلى أن الرازي فسر هذا الحديث بأن أهل الجنة سيكونون بلهاً لأن الله سيريحهم من التعرض لآفات التعقل والجموح في ميادين الفكر والعقل والوجدان، لا ما ذهب إليه في تفسير الحديث من أن البله يقل تعرضهم للموبقات فيخرجون من الدنيا بسلام، وقد أهلتهم السلامة لاستحلال الجنة

وعندي أن تفسير الأستاذ للحديث المذكور على الوجه الذي ارتضاه لا يتفق وما ورد فيه من كلمة (أكثر) لأنه لو كان المقصود منه أن أهل الجنة سيكونون بلهاً لما كان هناك من حاجة إلى ذكر كلمة (أكثر) وورود هذه الكلمة فيه يحملني على أن أرده في القول بما قيل في تفسيره من أن البله يقل تعرضهم للموبقات فيرحلون عن الدنيا وقد أعدهم ما هم فيه من بلاهة لدخول الجنة. وهذا التفسير للحديث المذكور هو الذي تحتمه بالنظر إلى ما اشتمل عليه من لفظة (أكثر)

وختاماً أرجو أن أكون موفقاً في تنبيه أستاذي الفاضل إلى ما وقع فيه

حفظ الله حلب وسوريا ومصر في فضلاء ، وأكثر لخدمة الأدب العربي أمثاله ، إنه سميع مجيب

(حلب) عبد الكريم عبود

## أخطاؤنا في الصحف والدواوين

اعتادت الكثرة من الناس أن تنظر إلى ما جاء به الشيوخ في اللغة أو الأدب ، المتقدمون أو المحدثون ، نظرة يخالطها التقديس والتقدير ، فيحملهم ذلك إلى الاعتقاد بأن ما جاءوا به لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا من فوقه أو تحته ، وفي هذا من الاعتراف بالعجز ، وضعف الحكم ، وشلل العقل الشيء الكثير

على أن صديقنا الأستاذ صلاح الدين سعدي الزعبلاوي ، لم ينظر تلك النظرة الخاطئة ، بل تعدى ذلك فرأى وراء ظهره ، وجعل بينه سدوداً ... يستقرئ ما كتبه أئمة اللغة ، أو ما وضعه بعض من أولي العلم باللغة والاختصاص بها ، فهدم الفاسد وأظهر سقمه وضعفه ، ودل على الصحيح وأبان عن جماله وصدقه ، فجاء كتابه « أخطاؤنا في الصحف والدواوين » مرآة تعكس على صديقنا الأستاذ وتظهر مبلغ تحقيقه وتدقيقه

ولقد أخذ على شيوخ اللغة المتقدمين مآخذ شتى ثم انتقل إلى الشيوخ المحدثين ، فأخذ على اليازجي مجازفته في القول في أغلب الأحايين ، دون أن يتدبر الأمور أو يتروى في إطلاق الأحكام ، وأخذ على « المنجد » خلو كتابه من التمحيص والتحقيق ، وبين أخطاء الأستاذ داغر ، وبعض ما وضعه الأستاذ الهراوي

وقد جعل الأستاذ كتابه بابين ، الباب الأول وقد أفرده للموضوعات ، أما الثاني فقد خصه بالمفردات . أما الموضوعات التي ذكرها فهي : بعض النعوت التي تشيع في كتابة الكتاب أو الرسوم في دواوين الحكومة ، وسائر بعض حروف الاستفهام ووضع الأسماء ، والأوهام التي يقع فيها كثير من الأدباء والكاتبين ، وقياس النسبة ، والمعدول عن جمعه وصرفه ، وتهجية الصفات المشبهة بالمصدر المؤولة ، وتصحيح بعض جموع التكسير ، وصوغ اسم المكان من مثل النبي الثلاثي ومكسورها الحلقي ، ما يعرف به ، مؤنثه ، وغيرها ، ثم تطرق إلى البيان عن فساد بعض الأساليب الشائعة ، ومر في ذلك كله لا يدع مسألة حتى يمحصها ، ولا يصدر حكماً حتى يحقق مسائل في التطبيق بموضوع مسائل في الدواوين ، فهنا يتبع استقراءه سائر ، وحكمه صحيح

أما باب المفردات فقد سرد كثيراً من المشكلات اللغوية التي تدور على الألسنة مصححاً ، وفي هذا تعقب أحد المحققين من علماء اللغة بآخذ ناقضه ، وخصوصاً على ... ثم رد هذه المشكلات إلى أصلها فذكر صحيحها ونبه على فاسدها

والكتاب في جملته موفق جيد ، والحق أنه جدير بالقراءة والمطالعة ، لأنه إن لم يجعل قارئه لغوياً كبيراً ، استطاع أن يفقهه في لغته وأن يقوم به لسانه وقلمه

[illegible]

# إعلان

تعلن وزارة الدفاع الوطني أنها في حاجة إلى سائقي سيارات متطوعين ، تعطيه شهرية قدرها ... مليم ٣ جنيه شهرياً عدا الغذاء وعلاوة الغلاء والسكن ومدة التطوع سنة قابلة التجديد

ويشترط أن يكون المتطوع مصري الجنسية وبيده رخصة قيادة من الدرجة الأولى وأن لا تقل سنه عن ٢١ سنة ولا تزيد عن ٤٠ سنة على أن يكون المقبولون خاضعين للأحكام العسكرية مدة التطوع

فعلى من يرغب في التطوع أن يقدم طلباً بذلك إلى حضرة صاحب العزة مدير سلاح الصيانة بوزارة الدفاع الوطني شارع الفلكي بالقاهرة وأن يوضح فيه تاريخ ميلاده وجهته وتاريخ الرخصة التي بيده ويحضر بنفسه لاتخاذ اللازم نحو الكشف عليه طبياً وامتحانه ٦٦٣٠

## خواطر يثيرها سائل

[ تتمة المنشور على صفحة ١٠٦ ]

ادخل مدينة عظيمة كنيويورك أو لندن أو برلين أو القاهرة بما فيها من فنون الحياة والأفكار والصور، وما يغمرها من الأضواء والألوان وما يضطرب في أحشائها من المصانع والمعاهد والمعابد، وما يتردد فيها من دور الكتب والآثار ومخازن التحف وأدوات الجمال، وما تتصل به شوارعها من وسائل الانتقال، وما تضج به من الأصوات والآلات والخطب والأشعار والأحاديث، وما يتردد فيها من الأعمال والأموال والطرف. تمهل قليلا ثم قل: هل رأيت في الحياة منذ تعرفت إليها نوعا غير الإنسان يقيم أسواقا للحياة مثل هذه الأسواق؟ ثم هل رأيت نوعا آخر يعبر بالحياة حتى يأتي في صوره بالعجب العجاب ... ويسمو بها حتى يأتي في السماء بالعجب العجاب! ... وهل رأيت نوعا آخر يتفنن في وسائل متاعه هذا التفنن الذي تراه في المصانع والمسارح ومخازن الملابس والفرش وأدوات الزينة؟ ... هل رأيت ... وهل رأيت؟

وأخيرا هل رأيت نوعا آخر يرتقي في سلم الحياة باطراد وعلى ثابتة وقياس متناسب بعد أن أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، كما قال القرآن؟

فكيف بعد هذا تسوي بين همة هذا الإنسان أي الصاعد وبين هم النبت والحيوان، وتريد أن تشكك في حكمة القضاء المطلق التي يأتي على أجسامها وأرواحها جميعا مآل أعمى ومصير أكول!

وكيف تريد أن تصرف عينيه عن ... من الأحكام المتعطلة وعثرات آرائه في ... أفراد الحيوان والحشرات التي تمشي على العشب والخبث والروث والعفونات؟!

إني لأستعرض تنوع حياة الأمم والأفراد وأستمع الوجوه والنفوس، وأسمع حديث الأطفال والصغار والشبان والكهول والفقراء والأغنياء والسفهاء والعقلاء والذكور والإناث فأجدني بعد هذا الاستعراض في دوار من الفكر!

وإني لأخرج بعد هذا الاستعراض وأنا أشعر أنه كان لا بد أيضا في الأرض من ... الشر والضلال ليدوم ظهور أسرار التكوين.

إن الإنسان على ما يكون أمره عجيبة ... من حكمة الطبيعة الأرضية عجائبها التي كانت غيبا، ظهورا ... ظهور هذا النوع ... فكل شيء في الطبيعة الأرضية كان لا بد أن يمر من حواس هذا النوع وفكره ليأخذ صورته ... ويرمي إليه نكتة بديعة يمسها خليفة الله في الأرض.

وإذا صح ما أثبته علم تحليل ضوء العناصر من أن العناصر التي في النجوم والكواكب هي عينها العناصر التي في الأرض كان في هذا زيادة في النظر لقيمة الإنسان كنموذج أيضا وخلاصة لعناصر الطبيعة في غير الأرض.

* * *

إن شئت فقل إن الإنسان آلة في يد الخالق يجرب بها التنويع والتفريع والتركيب في خلق المادة الحية والجامدة وصورها وصنعها وتزويقها وتوشيتها حتى تصل إلى الدقة المتناهية في تركيب رءوس الآلات وساعات ... العصر ... إلى ... في جانب ... وحينئذ يكون الإنسان ... التكوين ... والتعبير الذي في يد الله ... يكون إزميلا في يد الفنان الأعظم، وريشة بين أصابعه يشكل بها الحياة أشكالا ويطلقها ... وتهاويل!

وإن شئت فقل: إنه «حضور» يلتقط آثار الصنع المنظم في أنواع العالم، فتنعقد على عينه ألوانها وظلالها، وعلى سمعه نغماتها وأصواتها، وعلى خياشيمه عطورها ونفحاتها، وعلى ملامسه ... وحرارتها، وتطبع على أعصابه ... تنقل نشوة ... وشدة ... وتمر على فكره معاني الوجود ومعاني العدم - ثم يترجم كل هذه المشكلات ... بكلمات ... من بيانه الذي اختصه به ... الطبيعة ...

إن رب الطبيعة أراد أن يترجم هذا الطين الذي سواه بيديه ونفخ فيه من روحه بعض كتابه الصامتة في أسرار التكوين وخلقه، وكانت بين الإنسان ... في السموات والأرض لا يعلمه أحد غيره حتى الملائكة.

ولذلك كان العلم بأسرار الطبيعة أشرف ميلاد لهذا النوع ... مستخرجا فيه إلى رب الحياة ومعترفا إليه ... أما الملائكة ... حياة طبيعية ... لهم ...

واقرأ إن شئت بعد هذا قصة خلق الإنسان في القرآن الكريم

حسب المصحف الذي رأيناه : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدمَ الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ؟ »

وأحسب أنه ... تقف طويلاً أمام قوله تعالى : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، وأمام سؤال الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ... » لتعلم أن الله نظر نظرة صانع واقتدر ... تستلزمه حياة الإنسان في تجربته الحسم ... من بعض الآثام والشرور ، وما يطويه في تاريخ الإنسان من « غيب السموات والأرض » من آثار طيبة ترجح على ما يرتكبه من شرور ...

فلا يهولنك ما تراه من الحروب والفساد والأوبئة والنكبات التي تجتاح حياة الإنسان ... فإن الذي خلق هذا النوع متيقظ له وأنه لرعايته عليه يسوقه في طريق مرسوم حتى يبلغ غايته رغم كل ما تسميه الشر والفساد لأن الشر والفساد والباطل ما حاله إلا الحق والصلاح ... فلولا الأمراض ما ظهرت علوم الطب التي كشفت لنا عن ملايين من عوالم الجراثيم ، وكانت حقائق مستورة في « غيب السموات والأرض » ... ولولا الحروب والجرائم ما عرفت أصوات الاختراع السريع ، ... وما تنافس الناس على استخراج ما في الكون من ... وكان كل ذلك « غيباً » مستوراً في الأرض ... ولولا ... كالطمع والجشع والأنانية ما رأيت في الأرض هذه الحياة العجيبة المركبة من التعمير والإنشاء ، وما كشف عن كنوز الأرض ... وإظهار عيوبها ، وإقامة معالم الحياة المدنية المتحضرة ...

ولولا البأس الشديد في الحديد وانتشار ما تكوّنت الإمبراطوريات الواسعة التي ربطت بين كثير من الأمم برباط النظام والحكم واللغة المشتركة ... وها هي البشرية الآن تفكر في جامعة عامة تجمع الشعوب والأمم بعضها إلى بعض ... والسلامة الاجتماعية ، ... وتنقذها من شرور التعصب والتعصب وما تنتجه الحروب .

ونظرة إلى تاريخ البشرية ... التقدم ... التجمع والتوحيد . فقد كان الإنسان فرداً ثم صار أسرة ، ثم ... ثم صار أمة ثم صار أمماً ... وولايات متحدة ... « جامعة أمم » ولا بد من ذلك في يوم ما ... كان ... والشر هو الذي يدفع ... إلى الجهد المثير ... « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ... ولم ... المجاهدين منكم » فإن الأرواح لا تعرف إلا بالجهاد كما أن الأجسام لا تقوى عضلاتها إلا بالمقاومة ... فلا تحزن من ... الإنسان ... الأرض ... ليله ونهاره .

وقد كان يجوز الشك في قيمة الإنسان ... أيام الجهل والظلمة ... في مفاتيح العلوم الطبيعية ... أبوابها باباً باباً ... أما الآن بعد أن ... الإنسان لحياته ... الأرض ... أسرارها ... طريق الحياة ! فإن ... الارتداد ... ومن يجوز الشك في ... واختياره .

وإن قيادة إلى الله ... قد صارت الآن من أسهل الأمور لأن ... كثيراً من ... في ... الطبيعة ... من الأبواب التي توصل إليه .

ولكن كثيرين جداً من الذين ... لأرواح أحياء ... فهم ... في طريق ... من ... الخرافات والأباطيل ... والظلام ، ... الناس ... !!

( ... ) عبد المنعم ...

---

## ... الرسالة

... الرسالة ... الآتية

... في ... قرشاً ... قرشاً ... السنوات ... الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ... .

... أجرة البريد ... قرش ... قرشاً ...

8me Année No. 354

Lundi 15-4-1940

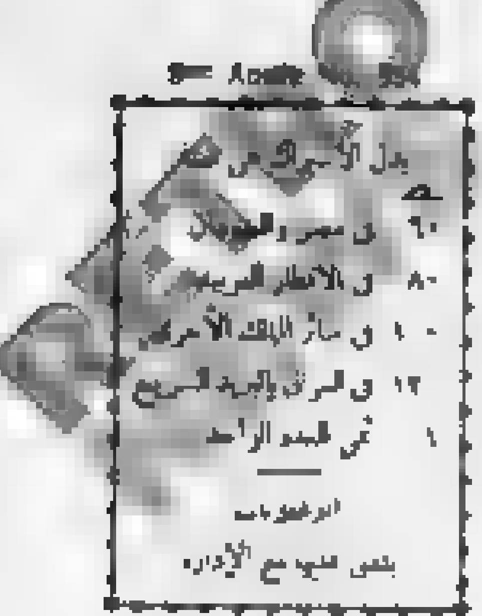


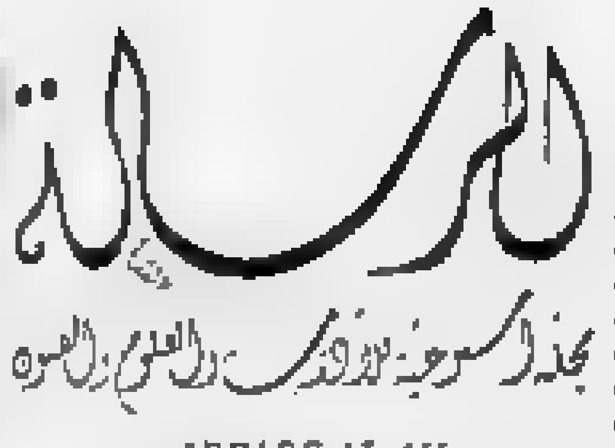


ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٥٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٥ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة


الفهـــرس



# العقيدة الساذجة

شاع في عهود النكبة الكاثرة من مسلمي اليوم وربما كان الأغلب والحق أن صاحب الشرع من الصحابة ، بين أيدي الذين لا يهوون أمره إلى هذا العصر الذي من المادة الشكلية ، والزهد الكاذب ، والخصوص القليل ، والورع الناقص ، والخضوع للشرك ، من القضاء بعينه . وماذا بعد أن نرى كتاب الله وسنة رسوله قرآن لا يمس البركة لا لاكتساب الثقة ، ودستور الإسلام والشريعة وحيه يحوسان لمجرد التبرك لا لإرادة العمل ؟

وماذا بعد أن نرى الأحكام والآداب والأنظمة التي أصلحت الأرض وهذبت الخليقة ، تصبح في جوامع والجامع وجهله وشبهة لا يستقيم عليه فرد ولا ينتظم به جماعة ؟

لقد كان من أثر هذه العقيدة في النفس أن فسدت آثارها في الناس ؛ فالفقه في الدين تعصب وجدل ، والصلاح في الدنيا بطل وفشل ، والعبادة مظاهر آلية لا أثر فيها للروح ولا صلة لها بالقلب ، والأخلاق مواسم وراثية تطلى بأصباغ على ذلك الناس وجهالة السلف ، والسماحة الأعجمية احتجاجية تخادع الله وتوهم أنفسها الرضى والسكينة !

أذكر مرة الزكاة في دين الله ثم قل في أي سبب ما كان

يمتنع أحد شيوخ الأزهر وهو كل يوم في القاهرة [illegible] بما عليه من الشيء من قفطان وعمة ! لقد حدثوا أنه كان يحمل وكلاء ماله كل حول الحول في قفة ، ثم يملأ الذهب والفضة جملة من الفضة ! ثم يأمر خادمه بأحد المساكين الذين يتكففون على حاشية الطريق ، فإذا أدخل عليه قال له :

« خذ ، كأنها [illegible] آخر [illegible] صلاة الله »

يده على مسكين ويرمي بأحد القفة ؟ ويبكي الشيخ فيرده يريه ما يخصه منه ويختار له فيأخذه بحوله ، فوجدنا نسمع به يا رجل وبئس عملك من تخطي وسحق وعمر ! أيمس إنما يكفه قرشاً ؟! فيهوج المسكين المعدم ، ويبالغ في حمده وثنائه ، ثم ينصرف بالقروش وتعود تلك الدنانير المرموقة آمنة إلى صدر الخزانة مصونة !

هذه فكرة الصدقة الجارية في سنة الرسول ، ثم أحسن أسماها وأبقاها للترفيه فإن أقامه أحد القضاة المتقين في وسط شارع عصى الأكبر ، ثم أجرى في قلبه الماء ، وأوقد على رأسه النور ، ووضع على شفته الثالثة ، وجعل مورده آلات السقاية فكان صورة للمرائي ومصلحة للناس !

صور حكمة الإحسان في سبيل الله على موائد الحي التي شرع يوصي لغيره السقاية ولأئمة الصلاة والبشرية الأولى ، ثم سأل أنظر إليك [illegible] ( [illegible] ) في يوم الاثنين للناس على [illegible] ببغداد

كان من مصيبة العراق الماضي منذ الزمن الشيعي المختلف السردار طاهر بن الحسين ، وهو من أحفاد أبي [illegible] في الزمانة للقصة والكرامة الغريبة ، فلما زار ضريح الإمام علي رضوان الله وسلامه عليه ، فشأ في نفسه أن يتم الطلبة الراهنة شريحاً يكون مضرب الأمثال على تعاقب الأجيال في نعمة طاقة وروعة الصحبة وسماحة النفقة . ولم يكد يرجع إلى الهند حتى استحضر أمهر الصناع وأمهر الفنانين وتقدم إليهم بما أراد ، فوصل أيديهم بكثيرة الصحبة ، فصنعوا مزيجاً من الأبنوس تمسك إحدى عشرة شمعاً وعطره عشرون ، ثم رصعوه بروائع الحلي منضدة ، ووشوه بخمسة عشر رطلاً من صفائح الذهب وحملها من [illegible]

الفضة حتى بعث بتكاليفه اثنين وأربعين مليون روبية [illegible] على [illegible] أو اثنين وأربعين مليون رفعه على [illegible]

هل [illegible] ؟ إثنان وأربعون مليون روبية [illegible] أو اثنان وأربعون مليون رمية كرامية العراق ، نحن في [illegible] تتم على ضريح الإمام الزاهد العابد الشهيد على كرم الله وجهه !

[illegible] أن هذه الكرامة السماوية قد [illegible] على أسس مكانة [illegible] من الله وموضع الرضا من [illegible] ؟ لا والله ! إن الله الذي يفترض من عباده الفرض الحسن ليضاعفه لهم لا يجعل هذا الفرض المقيم ، وإن الإمام الذي كان يطوي الأيام ليطعم على حب الله المسكين واليتيم والأسير لا يرضى هذا الإحسان الميت . ولو كان هذا الغني الأبي صحيح الفقه في الدين ، واسع الأفق في الفكر ، بعيد النظر في الإصلاح ، لعلم أن [illegible] كان سوف الإسلام وسبب الدعوة وإمام الفقهاء ، فكان خير ما يتقرب به إليه أن يعطي حكومة العراق هذه الملايين لتنشئ بها أسطولاً جوياً يسمى على اسم صاحب الفتح ، ومعهداً علمياً في الكوفة على ذكر صاحب نهج البلاغة

* * *

لذلك وشبهه يكون الفرض حسناً والإحسان جميلاً يا سيدي الزعيم ! أما أن أصنع الضريح بالذهب والفضة ، وترصعه باللؤلؤ والجوهر — وهو علي الإمام الفقير الذي لا يجد القوت ، والرمس الذي لا ينال الضوء ، والخاص الذي لا يستطيع النصر ، والجندي الذي لا يملك السلاح — فذلك من حق المسلمين قبل الأبطال أن يحرم [illegible] الذي في سبيل إمام آمنه وحسب أبطاله !

* * *

لقد قرأت في أنباء اليوم [illegible] وصية [illegible] الأمريكي اليهودي [illegible] منذ أيام فإذا به يوصي بمقدار عظيم من تركته الضخمة لجمع جامعات أمريكية ، ثم كان نصيب الجامعة العبرية في القدس منها مائة ألف دولار

فليت شعري متى يعلم هذا الذي ينعى دماء الشهداء على ملايين القصور ، وذلك الذي يحجر أموال الأحياء على شواهد القبور ، أن الحياة من غير إحسان موت ، وأن الإحسان في غير موضعه إساءة !

[illegible]

# بابر

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

محمد ظهير الدين بابر
مؤسس الدولة التيمورية في الهند

— ١ —

لم تصبح الهند لبابر بعد موقعة بانيبت فقد بقي أمير الراجپوت رانا سنكا، والبلاد كارهة لظهور بابر، وكثير من المدن والقلاع ممتنعة للدفاع. وكانت جيوش بابر قد نهكت سوءاً في كثرة ما يحسب من القتال، وزاد عليهم سوءاً شدة الحر. قال بابر في مذكراته: «لما جئت إلى آكرا كان وقت الحر وكان الناس قد فروا من الخوف فلم نجد حباً لنا ولا علفاً للدواب، وكانت القرى قد جنحت إلى العصيان وكراهية لنا، وانقطعت الطرق إلى أي جهة. وكان الحر هذه السنة أشد من المعتاد، وكثير من الناس سقطوا كأنهم أصيبوا بالسموم وماتوا في مواضعهم».

ثم ضجت جيوش بابر كما ضجت جيوش الإسكندر حينما فتح الهند من قبل، وطلبوا الرجوع إلى كابل وقد ذكرهم هذا الحر مواطنهم الباردة. فجمعهم بابر وذكرهم أنهم عملوا ما عملوا وقاسوا ما قاسوا من أجل هذه البلاد التي بلغوها اليوم «إنه عدواً مر بأنفسهم وبلاد بين أيديكم ملكاً ونهبة، أفنترك كل ما كسبنا بعد أن بلغنا الغاية التي سعينا إليها ونعود إلى كابل كأننا جيش مهزوم ساروا من كل ريح؟ آه يا صديقي تعالوا من هذه الوساوس، ومن لم يستطع أن يقسر نفسه على البقاء فليذهب». وخضع للحق ولم يعد أحد منهم جوابا.

وجاءت بابر أنباء البلاد بالرغبة والرهبة، ولم يكن له بد من لقاء عدو هو أكبر الأعداء في الهند، ذلكم رانا سانكا زعيم الأمراء في راجپوتانة؛ قد جمع مائة ومائتي ألف وثمانين ألف حصان وخمسمائة فيل، وأمده أمراء آخرون وجاءته الجيوش من أرجاء مختلفة.

وخرج إليه بابر سنة ٩٣٤ هـ (١١ فبراير سنة ١٥٢٧) بعد سنة من موقعة بانيبت وهي أول مرة يقتحم فيها الحرب عدو من غير المسلمين. وعسكر بابر عند سكري التي سميت من بعد فتح پور، وبنى فيها جلال الدين الأكبر قصوراً عظيمة وظل خمسة وعشرين يوماً يحصن معسكره وينشر السكينة في قلوب جنوده وقد ملكهم الرعب مما سمعوا ورأوا من شجاعة الراجبوتيين. في هذه الشدة عزم بابر على ترك الخمر وكسر أقداحها وأراق دنانها ثم جمع جنده فخطبهم: «أيها الأمراء والجند! كل من جاء إلى هذا العالم لا بد أن يفارقه، والبقاء لله الذي لا يموت. وكل من جلس على مائدة الحياة شارب كأس الموت لا محالة، وكل من طرق نزل الفناء هذا فهو لا بد راحل يوماً من دار الحزن. أولى بنا أن نموت أحراراً من أن نعيش أذلاء.

«إن الله تعالى قد منّ علينا أن أتاح لنا إحدى الحسنيين، فإن متنا متنا شهداء، وإن ظفرنا ظفرنا في سبيله. فلنقسم جميعاً بالله العظيم ألا نفر من هذا الموت وألا نرغب عن الحرب حتى تفارق أرواحنا أجسادنا».

فأقسموا جميعاً على القرآن. ونظم بابر جنوده وصفها كما فعل في بانيبت من قبل، ثم ركض جواده بين الصفوف يحض الناس على القتال والصبر ويعلمهم ما يجب عليهم حتى تنتهي المعركة.

والتقى الجمعان في كنوها (١٦ مارس سنة ١٥٢٧) واستحر القتال، وتتابعت حملات الراجبوتيين واستعر القتال وصمد الجيش ساعات كثيرة، ثم أرسل بابر سرية الخيول فجاءه النصر من خلف

وانتهى الأمر بهزيمة عدوه بعد أن استمرت فى القتال كرة الآلاف القتل فى المعركة وهو ساقط مثخنا بالجراح ومات بعد قليل ، ثم لم يعرض أحد من قريته من بعد لحرب أحد من سلالة بابر سابقين للوحشتين فى أبيات وكتوها حصر ... أعظم القوى الغالبة فى الهند ، ثم استطاع أن يقضى على غالبيه واحداً بعد الآخر فى مواقع كثيرة ، آخرها موقعة هزم بها الفارسين من سد عسكة ... واستقدام من جيوش بنغالة بعد سنين من موقعة كنوها

مات بابر بعد هذه الموقعة الأخيرة بسنة ونصف سنة أمضى معظمها فى آكرا عاملاً على تنظيم مملكته الجديدة

— ٢ —

كان محمد ظهير الدين بابر سوى الخلق متين البنية قوياً عرمساً ماهراً رياضياً حاذقاً يحمل رجلين تحت ذراعيه ويجرى بهما على سور إحدى القلاع . ويقول فى بابر نامه « اجتزت نهر الكنك سباحة وعددت ضربات يدى فوجدتها قد استوعبت النهر بثلاث وثلاثين ضربة ، ثم أخذت نفسى وسبحت إلى العدوة الأخرى »

وكان جلداً على ركوب الخيل ، وكثيراً ما قطع ثمانين ميلاً فى اليوم ، وقد أمضى معظم حياته فى الأسفار والحروب

ولكن نوبات الحمى وكثرة غزواته وتقلب الدهر به جهراً ، والشدائد التى قاساها ، والخمر التى لم يقلع عنها إلا أخيراً ... ثم الأفيون ... كل هذه أنهكت ... قوته ... فلزم فراش الموت فى قصره ... وحديقته فى مدينة آكرا

مات بابر سنة ٩٣٧ هـ فى سن التاسعة والأربعين ( ٢٦ ديسمبر سنة ١٥٣٠ م ) بعد سبع وثلاثين سنة من تملكه فى فرغانة

٣

وكان بابر كسائر بنى تيمور محباً للآداب والفنون ، يقرأ الشعر وينظمه ، ويصحب الأدباء الأجلة ، ويهيم بالبساتين والحدائق وصور الأزهار ، ويكلف بالغناء والموسيقى

وهو كما تراه فى « بابر نامه » ينزع إلى نظم الشعر فى أشد أوقات محنته ، كما نراه يتحدث عن الأدباء الذين اجتمعوا فى هراة حول السلطان حسين ووزيره العظيم مير على شير نوائى حديث عارف بالقدر . وله ديوان صغير بالتركية تتخلله قطع فارسية

وفى هذا الديوان منظومة فى نحو ٢٥٠ بيتاً وهى نظم الرسالة الوالدية ... عبيد الله ... باسم ... فى البيوت ؛ وعرفنا ... الأحوال التى نظمت فيها هذه الرسالة فإذا أنت هنا وجه جديد من ... الكاتب ... فى تسجيل الحوادث وتعيينها

« يوم الجمعة ٢٣ من هذا الشهر ( صفر ) أصابت الحمى فى جسدى حتى لم أستطع أن أؤدى الصلاة فى المسجد إلا بمشقة ولم أستطع أن أصلى الظهر فى حجرة كتبى إلا بعد تأخير ، ومع مشقة كبيرة . وفى اليوم الثالث ، يوم الأحد ، خفت الرعشة قليلاً ويوم الثلاثاء ٢٧ صفر ، خطر لى أن أترجم نظم الرسالة الوالدية مولانا عبيد الله . التجأت إلى روح الشيخ وقلت لنفسى إن قبل هذه القرعة عند الشيخ كان إبلالى من هذا المرض آية القبول كما خلص صاحب البردة من مرضه

« نظمت هذه الرسالة ١٣ بيتاً ، وشرطت على نفسى ألا أنظم أقل من عشرة أبيات كل يوم ، وقد وفيت بهذا الشرط إلا يوماً واحداً

« كانت الحمى فى السنة الماضية كما اعتادت دامت ثلاثين أو أربعين يوماً ، ولكنى بفضل الله وبركة الشيخ أبللت من هذه النوبة يوم الثلاثاء ٢٩ من الشهر .

« وفى يوم السبت ٨ ربيع الأول أكملت نظم الرسالة ، وقد نظمت يوماً اثنين وخمسين بيتاً »

كتب فى نهاية الديوان هذه العبارة « حرره بابر ... ١٥ ربيع الآخر سنة ٩٣٥ » وفى ذيل الصفحة الأخيرة رباعية وفى حاشيتها هذه الجملة « هذه الرباعية بالتركية ، والاسم المبارك بالتحقيق خط ... أنار الله برهانه ... شاه جهان ... بن أكبر بادشاه بن همايون بادشاه بن بابر بادشاه »

وأما كتابه « بابر نامه » فهو فى موضوعه نادرة من نوادر التاريخ ؛ إنما عرف فيه بابر ملكاً أمضى حياته فى عراك الحوادث ثم استطاع أن يصف مشاعره ، ويسجل وقائع سيرته ، وسيرة أقاربه وأمرائه فى بيان واضح مفصل بعيد من التكلف يتجلى فيه اهتمام الكاتب بما يرى وبسعة روحه فى الإدراك والوصف

وهو فى لغته وأسلوبه ذخيرة أدبية تسجل لنا لغة جغتاى فى القرن العاشر الهجرى وتبين محاولة ملك مثله أن يذلل ... اللغة للنثر الأدبى كما ذللها للشعر ... الوزير الكبير

صبر على غير ، والكتاب بعد هذا وذاك مصور كتبه بل ساحرة يكاد يقرأها كل من طرفها ، من ما بعث في نفس القارئ من سرور وإعجاب وما تحمل من فوائد العلم والأدب والتاريخ

وقد رجعت هذه السيرة إلى كتب كثيرة ، ورجعت إلى المدرسة باسم منهجة جلال الدين الأكبر ( ٩٦٣ — ١٠١٤ ) ثم ترجمت في العصور الأخيرة إلى لغات أوربية وطبعت أول مرة بطاوية منذ مائة سنة ، ولا تزال موضع عناية الباحثين في تاريخ الشرق الإسلامي وآدابه .

ولعل معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب من جامعة فؤاد الأول الذي افتتح هذا العام يجعل ترجمته إلى العربية يأكوره أعماله إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

# أعرابي في سينما ... (*)

## للأستاذ علي الطنطاوي

وطالت غيبة « مصطفى »(١) ، حتى لقد استأنست منه ، ونسيته وطرحت همه عن عاتقي ، ووجدت أدور مع الحياة كما تدور الساقية ، معصوب العينين ، أطوف في مستحس ضلالة ، فلا غاية أبلغ ولا واحة أحد ، أمشي إلى كد العقل وعذاب النفس ، وجفاف الريق وانقطاع النفس ، وأروح ، وما بي في جبهة العمل ، ولا حاجة على كتدي ، فألقي بنفسي على كرسي أو سرير ، أنتظر عمل اليوم الجديد

وإني لغاد إلى المدرسة ذات يوم ، وإذا أنا بأعرابي في شملته يتخير إليّ [illegible] وهو يسير بين تلك الفوضى [illegible] ويرنو ويدنو ويتلفت حائراً [illegible] فقلت [illegible] هذا صاحبي [illegible] يوقف له [illegible] ثم [illegible] من الفرح في [illegible] فصحت في السوق وسط الناس ، وهل لا أصيح وقد وجدت « مصطفى » بعد طول الغياب ... وحييته وحياني تحية ما أكرم الصحبة ، حافظ الود ، وطفق يحدثني حديثه

قال :

أتذكر يا شيخ ما ابتلاني به الله من أمر الحلم ؟ لقد ومت في داهية أدهى .. ولقد والله كرهت بعدها ، وكففت ... ولبست أخشى مما على نفسي ، فلا أدري [illegible] أسوى بعد الذي كان ؟

... قصت الشام قصة أخرى ، فكان أول ما حدثت أن صحبت صاحبي ، وكنت قد عرفت داره في ( الميدان ) فأكرمني وأحسن استقبالي ، أحسن الله إليه ، وودع لي سروراً ، ولم يكتف بذلك من إكرامي بل أزمع أن يأخذني إلى سينما قلت : ولكني لا أعرف سينما هذا ، ولا أدري من هو ، فكيف تأخذني إليه ؟ قال : لا بد من ذلك . فاستحييت منه وكرهت أن أخالفه بعد الذي قد صنع في إكرامي ... وقلت في نفسي : لولا أن سينما هذا صديق له ، عزيز عليه ، ما أخذني إليه ، وقد قال المشايخ من قبلنا : صديق صديقك صديقك [illegible] وقلت له : قل بسم الله !

* * *

ولكن الرجل لم يسر بي إلى أحد ، بل تقدم إلى الخص فصاح بامرأة أن هات الحرائد حتى نرى الرواية ، فتوجست خيفة المكر ، وقلت إن الرجل قد جنّ ، وإلا فما بال هذه الجرائد ؟ وهل تراه يصير بي سوءاً ؟ إذن والله لأوثقته عن الرحال ولضربته ضرباً ... مستقر [illegible] في نفسه [illegible] وحسب أني [illegible] وأنام [illegible] وأدخل ، وقد كرب حكمه [illegible] في سوى [illegible] ... فلما [illegible] من [illegible] وصرخت : [illegible] ، ووثبت وثبة أصبحت بها في عنقه ، وقلت : أتسري لي جرائد والحيطان ، ألا لعنة المولى المعزى ، أم لأنك الذي ؟

فرابع رأيك ، وهل يصبح من بيته [illegible] أتدرون ما القصة ، السوق ، يا فلان ( لا أبيه ) أهل [illegible] ويلك « مصطفى » ، يا مجنون ، كيف هي ، ويلك هذا اعترافك !

فأخذني يا والله فكففت عنه ، ووجدت عشرا أرق أهل الدنيا ، وقد اجتمعوا ينظرون إلى منهم من يهم بدرى جاذى ، فقال : ما أعجب ما رأيت ؟ وما نسبك إليك حتى صحبت معك هذا الشيخ ؟ قلت : إن الجرائد قد أحنق به درب الجرائد ، لا أم لك ؟

فضحكوا والله وصل بكركر حتى لقد شبعت طنه بغرمه ، حوله أحسب ... كل من كان حاضراً من أهله وعليه [illegible]

(*) من كتاب « صور وخواطر » ، وسيصدر قريباً
(١) أنظر العدد ٢٢٨ والعدد ٢٣٠ من الرسالة

ما شككت معه أن القوم قد أصابهم طائف من الجن ، فقلت: يحكم الله من قوم ، ويحكم إلا أزل عنكم ، وصحت بالانصراف. فصاح بي واحد منهم: أما يعجب ، فبرزت بيمينه وقلت رافعاً عقالي:

وأنت حسبت الجرائد ما يطرب به؟ ألم تبصر جريدة قط؟

قلت: ويحك ، أكنت إذن؟ أنا من بلاد ... ، تبوك خاصري

قال: وتحسبها جرائد نخيل؟ قلت: إذن جرائد ماذا؟ قال: هذه هي الجرائد

وأراني ورقاً سوداً ... من نفس الشكل مثل ... الجمل ، فسحبت منه وسألته أن يقرأ علي ... فأسمعني شيئاً ... في آخره ، بين الرجال لا ... عالماً ما طلب العلم ، وقد ... على أنه قد عز هذا الجهل ، ولقد صح أنه جاء في الأثر: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الخامسة فتهلك ،

فضحك وقال: وهل تطلب كتب هو؟ قلت: فما فيها مما يطلع الناس؟ قال: فيها أخبار ... من سافر منهم أو حضر أو تزوج أو ولد له ، فلا يستمع أحد من شيء إلا دوّن به ، ولا يمر من عالم أو أديب أو يقدم مصر أو يجيء منه أو ناس الحكومة أو تنبي إلا ذكر ذلك فيها ، حتى إن فيها صفة ... والإعلان عن ... ، وأخبار دور السينما ، والدعوة إلى ... الخليعة ...

فلما سمعت ذلك طار عقلي وأحسست بهذه الجرائد أنها شرّ عرق ، وعلمت أن الله مهلك هذه القرية ، وعزمت على مفارقتها ونويت ألا أعود إليها بعد الذي سمعت من خبر جرائدها

وما ظننت أن مثل ذلك يكون ، ولم يجترئ صاحبي بما أسمعني من ... عجيب أخرى كانت في أيام صباه و... قوم ... ، وكان ما يسترهن من شيء إلا ... ، فسقط والله من عيني وقلت: هذا القرن الذي لا تأخذ على أهله غيرة ، وما كنت أحسب أن رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر يفعل ذلك

* * *

وانتهت مطولاً عليك الحديث ...

وذهبنا نزور مدينة مصر حتى جئنا قصراً عظيماً على بابه ... كثير ... تسطع منه الأضواء ، فقلت: هذا قصر أمير البلد ، هذا الذي يحضره ... ورأيت ... وقفنا فخطفت صاحبي وسط الرحمة ... ولكن ... أسد المرج ... سبقة ... رأيت ... وقد سيم ... من فوق ... الذي وضع على ... مثل العجلة — وأقدامهم مكشوفة من أهل السوق ... فوجدت أن أحد اثنين منهم ... على المرج ... يتقدم من مواضعها ، ثم ... لا أجد ... في ... أس في عصر الأمير وهؤلاء مماليكه ... لم أجد ... إلا ضرب الفتى — ووضعت يدي على ... فصحت أني لا أزال أصابح إليها

ولو أني في السوق أجاج مثله وبحك ما جئت أنت ...

وسألت ... الكشف الأكثر هنا ... أن أسمع ، فأشاروا إلى كرة يزدحم عليها الناس ... أن تتحول من هناك ، ... وهم يعدون من خلف الكرة ... هذا في حرفة ... كأنها ... رجل ... والناس يحسدون عليه ، فقلت في نفسي: هذا رجل ضرب مماليك الأمير ... فضرب عنقه في ... ، وحمدت الله على السلامة ، ورجعت ... أسأله من ضرب ... ! فنظر إلي ولم يجب ، ثم ولاني قفاه وانصرف ، فعلمت أن الأمير منع الناس من الكلام في ... ولولا ذلك لأجابني ودنوت من كرة ... فأعطيته قروشاً كانت معي وقلت له: هذه لأولادك من بعدك ، ... ، فلم يلتفت حتى عدّها فرآها كثيرة فرد إليّ ... ، ... عليه واحدة منه وأخذت ... ولكني لم أنكر عليه ردها ، ... ذلك كله في كرة وعدت إلى الكرة لأدخل منها ... ، فوثبت ... يقذف بوجهه رجل ... هناك ، ... ، وقد رأيت أهل ... يعدون ... ، ثم ...

وأدخلت رأسي في الكرة ، فصاح ... صياحاً أرعبني والله ، وتبعه بصراخ كلب ... على ... ، وأطلب الناس ، وحسبوا يتضربون رجلي وثيابي ، وأنا أرفس بقدمي رفساً لا أبالي من أصاب من الناس ، ... التي أحسست إليه بدفع رأسي ... ولم يكن ... من أعضائي إلا وهو مشغول ،

عيناي أعشاك بهما ، ووجنتاي أورد بهما من نفسي ، ولا أجد ما أدفع به أذاه عني إلا أن بصقت في وجهه ، فأقبل يضربني فعضضت يده ، ثم دنوت من وجهه فعضضت أنفه ... وكان من ذلك لا يزال خبث طعمه على لساني ...

ثم أخرجوني صبراً وجبراً . وجاء مماليك السلطان فحجزوا بيني وبينهم ، وأخذوا الورقة فمزقوها ، وأدخلوني من باب كان هناك إلى بهو واسع ضج منه ما كنت أعرف من أن [illegible] سلطان [illegible] ، ورأيت الناس قد صفوا كراسيهم كصف الصلاة ، وإذا بعضهم يدل بعضاً [illegible] ، فقلت : يا لأمر الدين ، والله ما كنت مولياً وجهاً غير [illegible] إلا في الصلاة وجعلت إلى [illegible] لأدري فإذا هو [illegible] يصافح من حدثه ، فتركته واستفسرت أنا ، فجلست على قفاي ، وجعلوا يضحكون مني ، فلم أقل لهم شيئاً ، حتى جاءت امرأة ، فجلست قبالتي ، فقلت : يا أمة الله استتري ، فأشاروا يردونني ، وإذا في ثوب [illegible] « شاب » وليس امرأة ، فجعلت أعجب

ولبثت أنتظر خروج السلطان ، فإذا بالمماليك يخرجونني فيجلسونني من حيث يجلس الناس ، فلم أجد إلا الظلمة ، وسكت أنتظر فلم ألبث أن جاء مملوك آخر ، فقدم إليّ صحفة من خشب قد صف عليها [illegible] (١) وقال : تريد ؟ قلت : أريد والله ... وهل يأبى الكرامة إلا اللئيم ؟ وأقبلت آكل [illegible] تحت الأسنان ، [illegible] في الحلق ، [illegible] على البطن ، فقلت : [illegible] التي وصفوها لنا ، وجعلت آكل فلا أشبع ، وهو يقدم إليّ شيئاً حتى استنفد ما كان معه . فمسحت يدي وقلت : الحمد لله ، جزاك الله خيراً

فظل واقفاً ولم يمض ، فقلت : الحمد لله ، قد شبعت . قال : [illegible] قلت : ويحك ماذا تريد ؟ قال : أكلت ثلاثين [illegible] كل قطعة منها [illegible] وثمن هذه [illegible] مائتان وعشرون

قلت : قبحك الله من عبد لئيم ! أأحد من ضيوف السلطان يُقرى ؟

وكان ما أكلت قد [illegible] فوثبت إليه ووثب إليّ ، وتجمع الناس ، [illegible] ، وكادوا والله يطردونني لولا أن ظهر صاحبي فأمرهم بالضرب [illegible]

* * *

وإذا [illegible] الشيخ ، وإذا الأنوار تطفأ ، وإذا بالخيل تهجم علينا مسرعة حتى كادت والله تحطمنا [illegible] الأرض [illegible] ثكلتك أمك ، إنه [illegible] وصرخت وقمت أدوس على أجساد الناس وهم يصخبون ويسبون ، فلما كنت [illegible] حين انقطعت الأنوار [illegible] جنوداً ، وجاء جند السلطان يخرجونني [illegible] من صاحبي [illegible] ..

قلت : هذا والله السحر والقتل ، قبح الله من يقدم عليهما [illegible] أما [illegible] إلى أهل الدين ، ما ظننت والله إلا أنكم ستحملون إليّ [illegible] السلطان على أني [illegible] ..

فضحك القائم ، وحمل صاحبي [illegible] إلى [illegible] ولم أدر حتى أطفئت الأنوار كرة أخرى ، فخرجت ونظرت فما رأيت إلا امرأة [illegible] عليها رجل [illegible] يحاول أن ينال منها على مرأى منا ومسمع ، وهي تستغيث وأنا أسمع صياحها ولا [illegible] ، فثارت الحمية في رأسي [illegible] الخنجر وأقبلت أريد [illegible] والله حتى كأن لم يكن هنالك من أحد . وعادت الأضواء ورجع الصخب ، فقلت : والله ما أنتم [illegible] أخرجوني ويحكم ... حتى أخرجوني ...

* * *

قال عسلّي : فخرجت وقد علمت أن جرائدكم يا أهل [illegible] ، وأن شبابكم [illegible] ، وأن أجسامكم [illegible] يسحرون أعين الناس حتى يروا ما لا يرى ... ثم إنكم لا تغارون على أعراضكم ، ولا [illegible] أبنائكم وبناتكم . لا والله ما أحبكم

وذهب صوته حتى [illegible] يمشي بين تلك [illegible] بيروت ودمشق وأوروبا [illegible] سوق الحميدية والأموي حيث المدينة الظاهرية [illegible] حيث دمشق التي [illegible] « ظل الإسلام » !

(كذا) دمشق [illegible] — علي الطنطاوي

---

(١) القربة للشكائر [illegible] والكلمة [illegible]

# الأمومة عند العرب

للأستاذ جمعة الحبلي

تمهيد

ذهب أكثر علماء الاجتماع حتى أواسط القرن التاسع عشر إلى أن الأبوة هي أقدم عهداً من الأمومة في تاريخ الأسرة، وأن الأسرة الحديثة نشأت نشأتها كما هي حسب الفطرة والتفكير، إلى أن ظهر كتاب «الأمومة» للعالم الألماني الكبير Bachofen فأحدث انقلاباً هاماً في تاريخ الأسرة، وفي آراء علماء الاجتماع به، إذ ذهب إلى أن الأمومة هي أقدم عهداً من الأبوة، وأيد هذا الرأي أساسياً في الفلسفة الاجتماعية.

ليست الأمومة أقدم نوع في تاريخ الأسرة بل هي - كالأبوة - أحد الأنواع التي مرت في هذا التاريخ منذ أن أخذت الجماعات الإنسانية تفكر في تكوين الأسرة وحمايتها.

أراد علماء الاجتماع بالأمومة Matriarcat بأن القرابة من جهة الأم، كما أرادوا بالأبوة Patriarcat بأن القرابة من جهة الأب، ذلك أن الولد في الحالة الأولى ينتسب إلى أمه كما أنه ينتسب إلى أبيه في الحالة الثانية.

وقد اختلف العلماء في أسباب نشأة الأمومة وتعددت آراؤهم في أسباب ظهورها، فذهب Bachofen إلى أنها نشأت من نكاح مشترك أو بعبارة ثانية من نكاح الاختلاط Hétérisme، فتولد من هذا النوع من النكاح الفوضوي الأمومة؛ إذ ليس من السهولة أن يعرف الولد أباه فينتسب إليه ويلتحق به؛ ولذا كان النسب محصوراً في الأم وقرابتها وحسب، وأصبحت لها مكانتها العالية، ومقامها الرفيع عند القوم، لأنها — في الطبقة الراقية أو جهة المروءة من أبوي الولد — قد أدى بها إلى وضعها طليعة الاجتماعية Gynécocratie ردحاً من الزمن.

إلا أن العالم الإنكليزي Lennan يخالف Bachofen فيما ذهب إليه في أسباب نشأة الأمومة، ويردها إلى التباين الموجود بين نوعين من أنواع الزواج: الزواج الخارجي Exogamie والزواج الداخلي Endogamie؛ ذلك أن Lennan عندما أراد البحث عن تاريخ الأسرة وجد أن هنالك عادة لا تزال شائعة عند بعض الشعوب المتوحشة حتى في بعض الأمم المتمدنة أيضاً، عندما يخطب الرجل يخطف خطيبته ... أو اغتصابها، فأرجع Lennan هذه العادة لبعض الأسباب إلى عادة قديمة أخرى تشير إلى الزواج بطريقة في مدة ثانية. وقد توصل في بحثه هذا إلى سبب هذه العادة ووجد أصلها في الأمم البدوية، فاعتقد أنها ناشئة عن وأد البنات وخفائها، مما أدى إلى قلة عدد النساء، وزيادة عدد الرجال زيادة بينة، فأقدم هؤلاء على خطف امرأة واحدة مما نشأ عنه تعدد الأزواج Polyandrie وبالتالي الأمومة، التي يجري بها معرفة أم الولد دون أبيه.

وخالف العالم الألماني Cunow رأيه في اجتهاده، فالعلة فيه فذهب إلى أن الأمومة ظهرت ظهورها في عصر الزراعة، ومصدر ذلك أن الأم - في ذلك الوقت - كانت تتعهد الأرض بالغرس والزرع تعهداً كلياً، وكانت تشرف على البيت إشرافاً تاماً لا ينازعها سلطتها عليه أحد، متحملة التبعات العظيمة التي ألقيت على عاتقها مما جعلها تقوم بالشؤون الداخلية والاقتصادية، بينما كان الرجل بعيداً عن البيت ومن هذه الفوضى المنتشرة إلى القيام في حب القتال أيام الغزوات والحروب، وربما لانشغاله وعنايته في القنص والصيد، وهو إلى هذا كله لا يفكر في الاجتماع بأسرته وتربية امرأته أم أولاده - إلا عندما يرغب في الاتصال بها.

حدث من هذا الاجتهاد أن أخذت سلطة المرأة أولادها، وعمدت إلى تعليمهم شؤونها والعطف على ذويهم، فأصبحت تنسب من كان معروفاً بين أعضاء أسرتها أي بين أولادها وأقربائها وأعمامهم، وأصبحت الأسرة تتركز فيها، فاحترم القوم جهة الأم، وأولوها منزلة رفيعة، وأصبحت محور الأسرة ومحور البيت معاً — وهكذا ظهرت الأمومة بعوامله.

إلا أن Cunow لم ينتبه إلى أهمية «الطوطمية» Totémisme في نشأة الأمومة، هذه المشكلة تشير إلى وحدة دينية تعتقد الأسرة أو القبيلة القديمة إلهاً لها، وهي إلى ذلك من الرموز الدينية التي لها الفضل الأكبر في تكوين الأسرة الأولى. يقول Durkheim[1] «إن الأسرة الأولى لم تقم إلا على الطوطمية، وحسب المرء لكي يعد عضواً في الهيئة الاجتماعية أن يكون تابعاً أو منتسباً لطوطم

(1) L'année sociologique

وحده Totem ومن صفات التوتم أن يكون محصوراً في نسل المرأة ، أي أن يتبع الولد توتم أمه . وليس الولد هو الذي يتبع أو ينتسب إلى هذا التوتم فحسب ، بل تشترك الأسرة والقبيلة في هذا الانتساب أيضاً . فالتوتمية هي إذن الأثر الأكبر في تكوين الأمومة وظهورها

وإذا كان الولد لازم أمه في عصر الرواطة كما يقول Cunow ومال إليها وانتسب إلى أسرتها ، وتمكنت علاقته الاجتماعية بها ، فإن كل هذه الظواهر لم تكن لتنجم عند العصر ، بل كان ثباتها في التوتمية

## الأمومة عند العرب

مما لا ريب فيه أن الأمومة كانت فاشية عند أكثر شعوب العالم إن لم يكن كلها ، ونكاد نلمس آثارها جلية واضحة عند بعض الجماعات ؛ كقبائل الأورانك في تبت ، وقبائل الملايو في بورنيو ، كما أننا نشعر باضمحلالها عند البعض الآخر حيث حسب الأمر . وإذا ما رجعنا إلى تراث كل أمة من الأمم الغابرة نجد أنها عرفت هذا النوع من أنواع الأسرة . والأمة العربية لم تخل في سالف عهدها ، قبل الإسلام ، من شيوع الأمومة فيها وعرف عند العرب التوتمية Totémisme . فالتوتمية[1] كما هو سائر بين هنود أمريكا الشمالية هي الحيوان المقدس الذي تعبده القبيلة وتسمى باسمه وتنتسب إليه . فالقبيلة التي تأخذ الحية مثلاً توتماً لها تأبى تحقيرها مثلاً أو قتلها ، وتعتبرها مقدسة وحارساً أميناً لها ، فتتقرب بها ، وبهذه يتضح مجتمع أبناء القبيلة هذا وسائر أنواع الحيوان أيضاً

ولو رجعنا إلى تاريخ الأمة العربية في جاهليتها لوجدنا أن كثيراً من قبائلها كانت تعرف بأسماء بعض الحيوان أو بأسماء بعض الآلهة ، ودليلنا على ذلك أن بعض القبائل العربية كانت معروفة بقبائل أسد ، وثور ، وكلب ، وعقاب ، وغيرها ، حتى أن المستشرق سميث Smith يعتقد أن هذه الأسماء معان دينية ، وأن لها علاقة بعبادة الحيوان كما هو مشاهد في التوتمية ، كما أن البعض الآخر من القبائل العربية تنتسب لبعض الآلهة التي تعبدها كقبائل بني هلال وبني عبس وبني بكر وغيرها الذين يعتقدون أنهم ينتسبون إلى تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها أيضاً . فالقبائل العربية كانت ، بعدئذ ، ترجع إلى أنها كانت تقدس الحيوان وتعبده ، ولذلك انتسبت إليه . على أن من صفات التوتم ، كما قلنا ، أن يكون محصوراً في نسل المرأة أي أن يتبع الولد أمه دون أبيه ، كما هو مشهور عن هنود أمريكا الشمالية إذ لا يزالون حتى اليوم على الأمومة

والأمومة عند العرب نشأت عن عدم معرفة أبي الولد ، ذلك أن الحياة الاجتماعية العربية القديمة لم تبح الزواج الشرعي بل كان الزواج فوضوياً أو نوعاً مشتركاً Hétérisme أي أن المرأة لم تكن ترتبط مع الرجل برباط شرعي معين بل كانت تتصل بأكثر رجال قبيلتها

إلا أن العالم Lenan يذهب إلى أن الأمومة نشأت عند العرب عن تعدد الأزواج Polyandrie الذي كان في مبدء الأمر غير مقيد ، بمعنى أنه لم تكن صلة قرابة بين الأشخاص المالكة للمرأة وقتئذ ، لكنه أصبح فيما بعد مقيداً ومحصوراً أي أن المرأة أصبحت ملك أشخاص معينة من عائلة واحدة أو من أم واحدة . غير أن Lubbock الفيلسوف الإنكليزي لا يعد تعدد الأزواج من الأمور الشاذة التي نتجت عن قلة النساء ، فالأمومة كانت إذن سائدة في الوقت الذي كان فيه زواج الاشتراك متبعاً عند الأمة العربية ، قبل أن تعرف الزواج الشرعي أو الزواج الفردي الذي تعرفه الهيئة الاجتماعية الحاضرة وتعمل به

ولا بد لنا من أن نتساءل : هل كانت الأمة العربية في جاهليتها تعرف هذا النوع من الزواج – زواج الاشتراك أم أخذت بنوع آخر أي تعدد الأزواج ؟

لقد أخبرنا أحد المؤرخين اليونانيين القدماء سترابون عن أمر الزواج عند عرب الجاهلية بأن « الأملاك عندهم مشتركة أي أنها تخص جميع أعضاء الأسرة التي يرأسها شيخ ، وهو أكبرهم سناً ، ولهم جميعاً امرأة مشتركة يختلفون إليها ، فمن سبقهم قبلاً دخل عليها ، وترك على الباب عصاه ، ليتميز بذلك إلى الخلوة بها ... ويكون الليل لا يكون إلا مع أكبرهم سناً »

(1) ولعل كلمة [illegible] عند العرب [illegible] في الأصل [illegible] على [illegible] حيوان [illegible] السلالات البشرية لأن [illegible] في العربية [illegible] وتعني [illegible] الإنسان [illegible] ومقارنة [illegible] ص [illegible] ترجمة [illegible] إلى [illegible] عن الألمانية [illegible]

نفهم من هذه العبارة التي أوردها هذا المؤرخ الجرماني أن تعدد الأزواج كان شائعاً بين العرب ومعروفاً عندهم ، وهذا ما اعتقده المستشرق سميث

وأعقب هذا المؤرخ عبارته هذه بعبارة ثانية خالف بها ما ذهب إليه في الأولى إذ قال : « وهم يعتدون بأنسابهم ويحاربون الزنى بالوحشة ويرمون بالزنى من اتصل بامرأة من غير قبيلته » ، يعني بذلك أن رجال القبيلة الواحدة أباحوا لأنفسهم الاتصال بنساء قبيلتهم ، ولا يمكن للمرأة أن تختار رجلاً معيناً أو جماعة معينة ، وهذا ما يجعلنا نؤمن بشيوع زواج الشركة عندهم لا تعدد الأزواج

يقول أحد علماء الاجتماع : « إن العرب في الجاهلية لم يكن عندهم زواج مستمر أو تعقد به المرأة مع رجل إلى وقت محدود ؛ ذلك أن العرب كانوا يعدون النكاح الوقتي على غيره » وقال أيضاً : « والعرب يقضون عمرهم في التجول والتنقل ويلازم بعضهم بعض أزمنة من الرجال لأجل معين ، بعد أن يأخذن منهم أجوراً من ذي قبل . هذا النكاح الوقتي يشبه نكاح المتعة الذي أجازه النبي العربي الكريم لأصحابه في أول عهد الإسلام ، وقد عرفه بعض علماء الشرع بأنه نكاح يعقد إلى أجل معين ، ثم يحل بعد انقضاء هذه المدة . وعرفه البعض الآخر : بأنه — أي نكاح المتعة — يعقد إلى أجل ، لا ميراث فيه ، ويقع الفراق بانقضاء الأجل من غير طلاق »

ولنبحث قليلاً عن نكاح المتعة ، فإن لنا فيه بعض الفائدة لهذا البحث ، لنقف منه على مدى تلك العلاقات الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة

أشار القرآن الكريم إلى هذا النكاح ، نكاح المتعة ، في عدة آيات . فقد جاء في سورة النساء : « . . . وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة [illegible] » يختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، فبعضهم يفهم من منطوقها أنها إشارة إلى الزواج الشرعي أو الزواج الفردي ، وأن كلمة أجورهن تعني مهورهن لأن المهر ثواب على البضع[1] ، وبعضهم يرى فيها إنما إشارة إلى زواج المتعة أو الزواج الوقتي حتى قيل إن هذه الآية نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله الكريم ، فكان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً أو شهراً[2] أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها ، وسميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها[3]

وهناك بعض الأحاديث التي تدل على أن النبي العربي الكريم أباح المتعة يوم فتح مكة ، ونهى عنها بعد ذلك . جاء في صحيح البخاري[4] أن النبي ، صلوات الله عليه ، نهى عن نكاح المتعة آخراً . وعن ابن عباس حينما سئل عن متعة النساء فرخص ، فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد[4] وفي النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس : نعم[5]

يتبين لنا مما تقدم ، أن النبي العربي الكريم أباح نكاح المتعة في الظروف المتقدمة ، وحرمه تحريماً أبدياً . قال المستشرق Von Kremer في كتابه « تاريخ تمدن الشرق » عن زواج المتعة ما معناه : « وكان شائعاً بين العرب قبل محمد نوع من النكاح يكاد لا يستحق هذا الاسم ، وهو المعروف بنكاح المتعة : كان يعقد لأمد بقيمة معلومة تدفع للمرأة سلفاً ؛ ولكن محمداً أبطل هذه العادة الرديئة »

فالمتعة إذن ليست إلا النكاح الوقتي ، وكانت من عادات العرب في الجاهلية ، ولم يمكن من طبائعهم قبل الإسلام لما نزلت الآية القرآنية ، ولما أحلها وحرمها النبي العربي الكريم ! لقد تأصلت هذه العادة في نفوس القوم ، وتمكنت من أخلاقهم ، وتأصلت في طباعهم حتى أننا نلمس آثارها بعد الإسلام وبعد هذا التحريم . روى الرحالة الإنكليزي Hamilton أنه « رأى في أكثر شوارع مدينة « ستاق » — وهي من أعظم المدن في اليمن — عاهرة تنساء ، ومكتب غريب لا مأوى ، في المدينة يمكنه أن يتزوج ويسكن فيها بأيام معدودة وبطريقة بسيطة ، وهو أن يتفق مع المرأة ، بعد أن يراها وتستجيب هي إليه ، فيحددا المدة التي يمكنه أن يقيما معاً أسبوعاً كان أم شهراً أم سنة كاملة ثم يحضرون أمام القاضي أو حاكم المدينة فيسجلان اسميهما في كتاب عنده ويكتبان الشروط التي اتفقا عليها ، وكل ذلك

(١) تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٢٠٣

(١) والأصح يكريه

(٢) تفسير الزمخشري الجزء الأول صفحة ٢٠٣

(٣) المجلد الثاني الجزء السابع صفحة ١٢ (٥) من فرع المهيرة

(٤) صحيح البخاري المجلد الثاني الجزء السابع صفحة ١٢

# أبو النجم الرجاز
## وهشام بن عبد الملك
للأستاذ علي الجندي

[ بقية ما نشر في العدد الماضي ]

تركنا في المقال الأول أبا النجم في رصافة هشام أو رصافة الشام، على حال تسرّ العدو وتسوء الحبيب: منبوذاً من البلاط خائفاً يترقب! لا طعام إلا ما يصيبه من مائدة السكارى والعسس، ولا مأوى إلا بيت الله يبيت فيه بلا وطاء ولا غطاء مع طُرّاق الليل وأبناء السبيل!

وقبل أن نقص بقية أخباره نريد أن نعرف: كيف دارت الفلك على عقبه، وكيف غاب عنه شيطانه الناصح! فزلّ زلة ما كان أجدر أن يشيط بها دمه لولا أن حقنه لطف الله الخفي! وأي زلة أكبر من أن يصب شاعر أهجيته في وجه ولي نعمته وخليفته!

الحق أن لأبي النجم بعض العذر؛ فإنه لم يكن في مقام المادح المخاطب له بالشعر حتى يُعدّ مجنياً له، وإنما هي أرجوزة أنشدت في عرض خاص، حسب الخليفة عرضاً، وليس

من المعقول أن يسخّر التشبيب، وتُنطق الوجيب ... أكراماً لخرك مجن ولو كانت عين هشام ... زيه من العيب، وما جاء عيب من السعدونة السوداء!

واعلم أيضاً أن كثيرة من الشعراء قبل أبي النجم ... وصفوا في أشعارهم ما هم فيه، وبعضهم لم يكن ... بل كان حضري الشمائل، رقيق الحواشي، مصقول الخاطر، أبي الطبع ... ولا يتسع المقام لإيراد الشواهد، فنورد لها مثالاً واحداً، ونكتفي منها بمثال واحد.

يذكر الرواة أن ذا الرمة الشاعر وفد على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره، فأنشده أول قصيدته البائية:

ما بال عينك منها الماء ينسكب ... كأنه من كلى مفرية سرب [1]

وكان بعين عبد الملك عمرة فهي تدمع منها أبداً، فتوهم أنه عرّض به، فقال: وما سؤالك عن هذا يا ... وأمر به فأخرج

وقد علل ابن رشيق [2] إزلاق الشعراء إلى هذه المآزق، فقال: إنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء من غفلة في الطبع وغلظ، أو من استغراق في الصنعة، وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب.

ثم قال ... يصحح لهم —: والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين، فيقصد محابّهم ويميل إلى شهواتهم، وإن خالفت شهوته! ويتفقد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره.

ورأيي أنه كان واجباً على هشام في أبهة الخلافة وجلال الملك ورهبة السلطان، أن يتغاضى عن هفوة غير مقصودة من شاعر في الفطرة، سليم جوانب الصدر مثل أبي النجم، وأحسب أن هذه السقطة لو وقعت في خلافة معاوية أو المأمون أو الواثق، ما رأيتهم ... أن يأمروه في أنفسهم، أو يحكم لها حكمة مشهورة؛ ولو أن هشاماً جعلها دُبُر أذنه ما كان لها هذا الشأن التاريخي، ولا كبر الناس ... ووجاهة علمه، ورموا أبا النجم بالعمامة وفساد الذوق!

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فنقول: إن حولة هشام لها نوادر مذكورة في الكتب!

يحدث المسعودي في مروج [3] الذهب: أن هشاماً عرض

(1) سرب الماء: سال ... ما يقطر من خرزها
(2) العمدة ...
(3) مروج الذهب ج ٢ ص ١٨٣

---

لا يمكنه إلا بصحبة موهبات؛ ثم يضع الرجل يده في يد المرأة أمام القاضي فيتم الزواج ويعد ذلك شرعياً حتى انتهاء المدة المعينة؛ فما وكل منهما حر أن يعرض عن صاحبه متى أراد أو أن يرتبط معه ثانية بعد انقضاء المدة المعينة. أما إذا افترق أحدهما عن الآخر قبل انقضاء هذه المدة فعليه أن يدفع لصاحبه الهبة التي قدمها منه أو اتفق معه عليها طبقاً للشروط التي عقدت بينهما، وبعد ذلك يمكنه أن يتزوج على الصورة التي من شاء.

ثم يكن النكاح الوقتي مألوفاً بين العرب لاستحال وجود نساء يهبن أنفسهن بصحة موهبات ولأجل معين، ذلك أن الأمة العربية في جاهليتها لم تكن تعرف الزواج الشرعي الدائم

( البقية في العدد القادم ) [illegible]

خرج يوماً يتصيد بحمص، فمر به رجل من أهلها على فرس أعور، فقال له: ما حملك على أن تربط فرساً أعور؟ فقال الحمصي: لا، والرحمن الرحيم، يا أمير المؤمنين ما هو بأعور، ولكنه أحول حولته مثل أنها عين عمران العطار! فصاح هشام: تنح! عليك وعلى فرسك لعنة الله!

وكان عمران هذا عطاراً مصرياً بناحية حمص يشبه هشاماً كل الشبه.

ويحكي المبرد[١]: أن سالم بن عبد الله بن عمر، دخل إلى هشام في ثياب وعليه عمامة خلقة، فقال له هشام: كأن العمامة ليست من الثياب، قال: إنها مستعارة. قال: كم سنك؟ قال: ستون. قال: ما رأيت ابن ستين أتم كدنة[٢] منك، ما طعامك؟ قال: الخبز والزيت. قال: أما تأجمهما[٣]؟ قال: إذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما.

ثم خرج من عنده وقد صدع! فقال: أترون الأحول قد لقعني[٤] بعينه؟ فمات من تلك العلة!

ونحب أن نعود بعد هذه المناسبة إلى الحول قد يعده بعض الناس - وأنا في طليعتهم - من حسنات العيون المستملحة كالحور والانكسار والغنج، وخاصة إذا كان الحول خفيفاً وهو ما يسمى القبل.

من روعة ابن سريج[٥]: أنه كان في عينه حول لا يبلغ أن يكون حولاً.

وفي أخبار أبي الأسود[٦]: أنه اشترى جارية حولاء، فعرضت بها زوجه وابنة عمه: أم عوف، فكانت تشتمها[٧] في كل يوم وتقول: من يشتري حولاء؟! فلما أكثرت عليه قال:

يعيبونها عندي، ولا عيب عندها
سوى أن في العينين بعض التأخر
فإن يك في العينين سوء، فإنها
مهفهفة الأعلى، رداح[٨] المؤخر

(١) رغبة الآمل ٥ — ١٢٦
(٢) بضم الكاف وكسرها: قوة الجسم أو كثرة اللحم والشحم
(٣) أجم الطعام من باب ضرب وفرح: كرهه
(٤) أصابه بالعين
(٥) الأغاني ١ — ٢٥٠
(٦) عيون الأخبار ٤ — ٥٥
(٧) [illegible]
(٨) ثقيلة الأوراك

وقد عد بعض العشاق حول حبيبه نقصاً من أن يضيع حب الشكل والخد! وساق ذلك في شعر طريف مثل قول أبي هلال العسكري بقوله: إنه مما لا أظن له عيباً!

قال الشاعر الأحول:

حسدت إنسي إذ بليت بحبها
على حول يثني عن النظر الشزر
نظرت إليها، والرقيب يظنني
نظرت إليه، فاسترحت من العذر

ونعود إلى سيرة هشام مع[٢] أبي النجم فنقول: إن عينه لم تطل، فقد تأذن لنا بتلخيص القصة عنه ومنها تلك أسبابه!

فأمسى هشام ذات ليلة لقس النفس[٣] ضيق الصدر، متضجر النفس! وهو عرض كثيراً ما يعتري الخلفاء لما يكابدونه من جهد في تصريف أمور الملك وتدبير شئون الرعية، وفي مجال الفكر في سد الثغور ودفع الفتوق. وكانوا في مثل ذلك يفزعون إلى السمار الظرفاء يستأنسون بأحاديثهم وملحهم. فتقدم هشام إلى خادم له أن يبغيه محدثاً، وأن يكون أعرابياً أهوج شاعراً راوية! ومن يكون بمثل هذه الصفات للأعرابي الأهوج الشاعر الراوية غير أبي النجم؟

وذهب الخادم يبحث عن طلبة الخليفة فقاده حسن الطالع إلى أحد المساجد، وإذا هو برجل نائم فضربه برجله وقال: قم، أجب أمير المؤمنين. فقال الرجل: أنا أعرابي غريب. قال: إياك أبغي، فهل تروي الشعر؟ قال: نعم، وأقوله. فأقبل به من المسجد حتى أدخله قصر الخليفة وأغلق الباب وراءه! فتذكر الرجل حادثة مع هشام فرجف قلبه وأيقن بالشر المستطير! ولكنه أسلم نفسه، واستقاد للخادم، فأدخله إلى أمير المؤمنين في بيت صغير من بيوت القصر، بينه وبين أهله ستر رقيق، والشموع تزهر بين يديه. فلما بصر به هشام قال: أبو النجم؟ قال: نعم، طريدك يا أمير المؤمنين. فأذن له بالجلوس وسأله عمن كان يصحبه؟ فأخبره خبر الكلبي والتغلبي. قال: وكيف اجتمعا لك؟ قال: كنت أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر. قال: وأين كنت تأوي؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك.

وأطرق هشام برهة ليراجع فيها نفسه فندم على ما كان منه مع أبي النجم! ثم رفع رأسه وقال له: ما لك من الولد

(١) ديوان المعاني ١ — ٢٢٣
(٢) وردت القصة في العقد والأغاني والكامل للمبرد وخزانة الأدب للبغدادي باختلاف يسير (٣) لقست نفسه: غثت

# من وراء المنظار

## صراع ... !

سألني صديقي الأستاذ ( ج ) أن يعيرني منظاره ساعة من زمان ، علّي أرى من خلاله ما توسوس به نفوس قوم قضيت بينهم عمراً من عمري ، أحسن الظن بهم ، وأقربهم إلى نفسي خشية أن يستشعروا الوحشة ، وأدافع عنهم بعض ما بهم خيفة أن يجدوا لذع الشعور ، وأواسيهم في البأساء عسى بعضهم أن يأكلها الأسى ... فلما أصبحت الأيام عني تنطوي أقتني همّاً ، وإذا أنا في مفترق الطرق ، وحيداً تكاد تعصف بي أعاصير الحياة ولا يحميني من أمل ...

وأراد صديقي الأستاذ ( ج ) أن يكون له فضل يد أخرى ، فتقدم إليّ بمنظاره في رفق ، فوضعته على أنفي في خيلاء ، والتفت إلى الشارع في أناة وتؤدة ، وهو من ورائي يشيعني بنظراته الباسمة

وخشيت أن ينزلق المنظار عن أنفي وأنا أتعثر في مشيتي ، وعلقت عيني بالمنظار ، فتحطم وأنا به مفتتن ! فانتصبت ناحية أصبح من عثاري وشأنه ، وأنزوي في نفسي أسفاً ، فما راعني إلا صوت يناديني باسمي

والتفت فإذا صديقي ( م ) وزوجته يسيران الهوينى جنباً إلى جنب وذراعاً في ذراع ، ولقد همّ به من الضحك حين رآني أنقل المنظار بين يدي ، أمسحه على عيني حيناً ، وأخلعه حيناً ، في حيرة وتردد ؛ غير أني تغاضيت عن ضحكه وأنا أدنو منه

لقد نشأ صاحبي ( م ) — كما نشأت أنا — بين ربوع الريف في ظل قريته الوديع الجميل ، لم تلوث المدنية منه الظاهر ، ولا ومست طهارة قلبه الزكي ، عرفته وعرفني أول عهدي بالمدرسة ، فهو أول من جلست إلى جانبه في فصل ، وأول من تحدثت إليه في مدرسة ، وأول من سكنت إليه في درس ، وأول من لاعبته ... وعرفنا ودرجت منا الصداقة الحقة الرفيقة ، والأيام تجمع بيننا وتفرق ، ونحن على عهد من الود

وما لك ؟ قال : أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبُنَيّ يقال له : شيبان . قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قال نعم ، زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز[1] في أبياتنا كأنها نعامة . قال وما وصيت به الأولى ؟ — وكانت تسمى برّة — قال :

أوصيتُ من برّة قلباً حُرّا ... بالكلب خيراً والحماة شرّا
لا تسأمي ضرباً لها ، وجرّا ... حتى ترى حلو الحياة مُرّا
وإن كستك ذهباً ودُرّا ... والحيّ عُمّيهم بشرٍّ طُرّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبّي الحماة وابهتي[2] عليها ... وإن دنت فازدلفي إليها
وأوجعي بالفهر[3] ركبتيها ... ومرفقيها ، واضربي جنبيها
وضنّي كعبتك في صدغيها ... لا تخبري الدهر بذاك ابنيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه وقال : ويحك ! ما هذه وصية يعقوب ولده ! قال : ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ولا ولدي كولده

قال ، فما قلت لابنك ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بني فإني ذاهب ... أوصيك أن تحمد الأقارب
والجار والضيف الكريم الصاحب ... لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تني أظفارك السلاهب[4] ... لهن في وجه عداك كاتب

والزوج ، إن الزوج بئس الصاحب

قال : فأي شيء قلت في تأخير زواجها ؟ — وكان اسمها ظلامة — قال : قلت :

كأن ظلامة أخت شيبان[5] ... يتيمة ووالداها حيّان
الرأس قمل كله وصئبان ... وليس في الرجلين إلا خيطان
وقصّة قد شيّطتها النيران ... تلك التي يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه ، وقال للخصي : ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها ؟ قال : ها هي عندي ووزنها خمسمائة . قال : ادفعها إلى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان خيطين !

ع . الجبراء

---

(1) تعدو وتسرع
(2) الكدل على الصحيح وفي بعض الروايات : ابهتي ، والنهيت : صوت الأسد دون الزئير ، ولعله يصح هذه الرواية الثلاثة الزعم
(3) الحجر ملء الكف
(4) الطوال من أظفار الأصابع في الأصل وصحبه الخيل
(5) في الأطال والسكاكين : جولا

لا تلمسه ، وميثاق في الهوى لا تحس به ، وفي القلب أواصر لا تستطيع يد الحادثة أن تعبث بها ، ولا تطمع صاحبة العيش في أن تعلو عليها

وبهرت المدينة صاحبي أول ما هبط القاهرة ، وهو قد هبطها طالباً في الجامعة ، فاستلبه بريقها من وقار القرية وجذب ليغمس به في غمر الحياة وعبثها ، وجرفه التيار وهو عنيف ، فما استطاع أن يخطو الخطوة الأخيرة من تعليمه العالي إلا وهو يبحث عن أثر الإعياء والبهر ، ثم أرخى لنفسه العنان

وتعرف إلى ابنة (فلان) بك ، وهو غني من أعيان القاهرة استطاع أن يحس من جاهه وظيفة مرموقة يقدمها مهر الزواج إلى زوج ابنته الوحيدة - إلى صاحبي

وفتنه (البك) ألا يحرم النظر إلى وحيدته ، وهي قرة عينه وفرحة قلبه ، وما في العمر سواها بعد أن ماتت عنها أمها ، وسوى زوجته الحديثة ، وهي فتاة في غرة العمر وفورة الشباب تزوجت من (البك) رجلاً وهي كانت في أمسها ، فلمست فيه روح شبابه المضطرم ، وأحست بعد ما بين شهوتها القوية وبين صدرها الخافقة ، فانطوت على قلب يبكي حظها العاثر ، ثم

ثم أشرق صاحبي الشاب في الدار فابتسمت له حبيبه ووجدت في نضوه ورواحه حياة تترقرق

وعاش الفتى في هذه الدار يحظى بالسعادة ويتزعم بالهناء ، وهو يحدثني حديثه - بين الفينة والفينة - فأستبشر لسكانه ويطمئن قلبي

لا جرم ، فالآن قد نفذ بصري من خلال المنظار إلى الحقيقة التي لا يعرفها صاحبي ، حقيقة التي إلى جانب ما يحس الزوج خلف عليها ابتسامات الزوجة الرقيقة

هذه هي الزوجة الصبية الزينة تتراءى لي وهي تنظر إلى زوجها الرجل المنطوي في سخاف وسخرية ، وفي نفسها أنه صنيعة أبيها يقدمه أبوها أمامه وهو يتكئاً في مضطرب الحياة ولم خلفه من شبه ، وخلق منه رجلاً ذا مال وأتى وهو على خطوة من المسكنة ثم هي لا تحس باحترامه ولا تشعر بكرامته ، وكيف ؟ وهو قريب عهد بآداب المجالس والحفلات ، لا يعرف الرقص ، ولا يحسن (البوكر) بولا يصبو إلى الأسمر والأحمر من شرابهم وفي مرة ، محل الربط على لسانه إلى موضع إلى فكاهة جريئة ، وفي مرة الربط فيستطار عنه في حلبات الرقص بعيداً ، وهي فتاة من بنات الشارع[1] ترى في طبائعه أوشاب الأعيان في رجعية الفقراء والضراب الجهلاء ، فتنفر ، وهي في ذلك من تنوره ، لأنه صنيعة أبيها

ورحت أحدق في الزوجة لأتنقل إلى خلجات نفسها وهي تتباعد عن عيني ، وهو يتضاءل تحت منظاري ، حتى رأيته سهرة (البك) ، وقبلها زوجته الشابة تنتظر - أفتراه أراد أن تخلو إلى نفسها ساعة من أمرها ؟

وعجبت أن رأيتها تحس بصاحبي تريد أن تستثير العطف من شأنه ، وهي تحاول أن تصرفه عن زوجته رويداً رويداً لتستمتع ، أوفي تقصير جهاد ، غير أنها كانت تخشى سوءة (البك)

ونظرت إلى زوجة صاحبي فألفيتها لا تستطيع أن تخفي خواطر تتنزى في قلب زوجة أبيها ، لأن حياتها الناعمة كانت قد أسدلت على عينيها ستاراً لا ترى من خلفه إلا الحفلات والسهرات ، وإلا الزينة والسمر ، وإلا - فأوشك البيت أن يتداعى عليه

وعجبت لهذا الصراع النفسي يحوم حول صاحبي وهو عنه في غفلة ! فرميت ببصري إلى السيد أحوله عن شيء ما رأيت ؟ غير أني دهشت إذ رأيت صفحة من صفحات القدر منشورة أمامي أقرأ فيها ، أن (البك) قد مات ، وأن الثروات المكبوتة قد ترى بها نزق من فتى فتى غرور ؟

• • •

وأنت يا صاحبي لا تلتمس فقد كتبت لك سطراً من حياتك علك تجد لنفسك مخرجاً قبل أن تتردى

(منصور) كامل محمود حبيب

(١) ابنة الشارع ، هو لقب الفتاة الحديثة التي تعبر الشارع وتتطرى من أحلامها ما تحس في الشارع ، وسنتحدث عنها في مقال آخر ، إن شاء الله

من تاريخ الأدب الإنجليزي

# الأدب القصصي
## في عهد الملكة اليزابث
## ١٥٥٨ – ١٦٠٣

للأديب مصطفى مشرف

تمهيد

تعتبر القصة منذ أقدم العصور فناً قائماً على قوة التخيل، واستخلاص أفضل النتائج التي يحسن توجيه القصة إليها، وبث العقائد أو المثل العليا التي يدين بها الكاتب.

ومن المعروف أن أدب القصة هو الأدب الذي يتأثر به القارئ أكثر من تأثره بسواه، وأنه الأدب المحبوب الذي يتذوقه المطالع ممتعاً شيقاً دون ملل، أو إرهاق فكر. فهو إذن أشد الآداب اتصالاً بالروح، وتصويراً للشعور، ووصفاً للبيئة، ومماثلة للحياة في جميع أوضاعها... فالقصة هي أصدق أدب يمثل الحياة.

ولا شك في أن الكاتب الروائي يستطيع في سياق القصة على نسج الخيال بأسلوبه، ويستطيع سرد قصته دون أن يعرض قارئه للضجر، بسهولة في حمل هذا القارئ بحيث يعيش مع أبطال قصته، ويمرح لمرحهم ويتألم لألمهم كأنهم أشخاص يعيشون في مسرح الحياة لا مسرح الخيال.

ومن الحقائق المعروفة أيضاً عن الأدب القصصي أنه أوثق صلة في النفوس، فنحن مثلاً إذا قرأنا قصة حياة شخصية عاشت تشعر بمرح هائل يملك علينا إحساسنا، إذ نرى في إحساسات غيرنا وشعوره صورة مماثلة لشعورنا وأحاسيسنا، حتى ولو كان ذلك الشعور وهذا الإحساس ألماً شديداً أو أسفاً عليه، فالنفسية البشرية تجد في هذه المشاركة في الشعور والوجدان في الآلام أملاً جديداً، وشجاعة تواجه بها الأحداث والمتاعب.

أما إذا كان الوصف والتصوير الذي نطالعه هو وصفاً وتصويراً لحياة جديدة لا نعرفها ولا نحياها فسرعان ما نحس في نفوسنا حنيناً لهذه الحياة متأثرين بما نقرأه من وصف شعوري يجذبنا نحوها، سواء كان هذا الحنين الذي يجذبنا إليه الكاتب يتجه نحو النور أو الظلام، نحو الفرح أو الحزن؛ وهكذا يحصر ذلك التأثر وهذا الحنين حتى يتحول إلى حالة نفسية نعيش فيها خاطرين بقلوب لا توصف، لأننا نشارك أبطال القصة في حياتهم، ونذوق فرحهم وترحهم.

ونحن نستنتج من هذا أن القصة الواقعية التي تصف حياة رجل أو امرأة وصفاً حقيقياً تثير عطفنا وإعجابنا، ولكننا سرعان ما نشعر بفتور يستولي علينا، لأن أبغض شيء إلى المرء هو أن يرى آلام حياته تمثل أمامه أو تسرد عليه مرة أخرى مع أنه يكتسب من ذلك أملاً ولكنه لا يكتسب لذة. وذلك لأن القصة الواقعية قد عدمت في سطورها ذلك الشيء المجهول الذي نسمع به ولا نعرفه، واللذة عبر الأمل. فاللذة التي يحسها القارئ لقصة خرجت بها الحقيقة لخيال القارئ هي تلك اللذة التي يحسها كل بشري عند استطلاع شيء مجهول... عند الخوض في عالم جديد لا يعرفه ولم يمر به.

ومن هنا نرى أنه كان لزاماً على القصاص أن يخترع المواقف والمفاجآت التي يوجه حيلته بحسن تتبع القارئ له تتبعاً مستمراً غير منقطع – وكان عليه أن يشوق القارئ إلى النهاية المحبوكة، وأن يجعله يحس بالرغبة دون أن يصل إلى آخر مرحلة من مراحل هذه الطوال المسترسل وإلى خاتمة هذه المفاجآت المتصلة، لأنه – أي القارئ – لا يستطيع إدراك نهاية القصة ولا يستطيع أن يحزرها حزراً يقرب من الصواب، لأنه لم يشعر ولم يتذوق مثل الحياة التي تصفها القصة وتصورها.

### شارلمان ورولاند (١)

كان شارلمان ورولاند أول من بدأ بهما هذا النوع الذي تحدثت عنه فاستغله الكتاب المحبوب بشيء كثير من المبالغة والتعصب والرغبة القوية في التقليد، فكانوا يتنكرون بين مرددين ومصدقين حتى جرهم الخيال إلى ما هم شاعرون. وقد شاع وذاع هذا النوع الشائع الشهير في العصر في اللغة الأدبية، وأخذ الخيال يلعب دوره في القصة ويلعب شططاً كبيراً ويصنع جواً غريباً

(١) Charlemagne and Roland

حتى أعطته الناس وشغلوه شغلاً عجيباً ولكن الكتاب أحسوا به إحساساً شائقاً مجدداً . فكان ذلك دالاً على هذا النوع من القصة إذ تحول القراء عنه . وهكذا راح يختبر ويعد ليظهر على أعقابه نوع جديد من الأدب الذي كتب واصفاً بعض حوادث التاريخ القديم وهي القصة[1]

## قصة « يوفيس » لجون ليلي[2]

إذا أراد الكاتب أن يتحدث عن القصص الإنجليزي وخفاياه وأن يتكلم عن القصص للنوع الذي ظهر وأحدث ضجة كبيرة ، فوجد أنه لا قصة رائعة بل هو أول نوع آخر هذا العهد ملائماً من حيث قوة الفكرة وحسن الأسلوب وما اشتمل عليه من مغزى .

كتب هذه القصة شاب نابه يدعى جون ليلي وكان اسمها « يوفيس » ، ويعزى إلى أنه ما عنى الأسلوب والدوافع التي كانت سبباً في ظهور هذه القصة وتنوعها على كل ما عداها استطعنا ذلك بقليل من الاستنتاج . فالقصة لم تكتب جزافاً ولم يقصد صاحبها مجرد الرغبة في الكتابة أو الشهرة بل إنه أراد بها مغزى خلقياً إذ حاول أن يظهر ويصف التأثير السيء والاضطراب الخلقي الذي كانت الحياة الاجتماعية في إيطاليا تؤثره في صغار الشبان الإنجليز النازحين إليها طلباً للعلم والمعرفة .

لقد كانت إيطاليا في ذلك الوقت مهد النور الخلاب يتهافت عليها طلاب العلم ، ويقبلون على العلم نهلاً وعللاً ، حتى لقد كان يحج إليها كل متعلم أراد أن ينمي حظه من الثقافة أو يزيد نصيبه من العلم . واكتسبت هذه العادة من عهد من الأمم منذ رحل إلى إيطاليا بعض المجدين من طلبة العلم الذين أظهروا نبوغاً في الأدب من أمثال كوليت ولينكر وجروكين وأغرموا باللغة اللاتينية وآداب الإغريق الكلاسيكية التي كانت عاملاً قوياً في نهضة أدب المسرح والقصة — واستمرت هذه العادة عند الطبقة الراقية كتقليد لا بد منه تكمل به دراستها حتى بعد أن خرجت الجامعات الإنجليزية في عهدي هاتين الملكتين .

ولم يكن جون ليلي هو أول من فطن إلى ذلك ، بل إن أول من أراد منع هذا التقليد هو مؤدب الملكة روجر آسكام Roger Ascham . فلقد أدرك روجر أن هؤلاء الشبان يعودون كل عام إلى إنجلترا بعد الدراسة أغراراً حول ذلك . فلقد كانوا يتعلمون هناك في مدرسة واسعة حيث كانت الآداب الإغريقية الرائعة تعتبر مادة الفجور والتسلية ، إذ كانت تترجم إلى اللغة الإيطالية الدارجة بأسلوب وضيع ودنيء ، فتحولت عن مراميها السامية التي كتبت من أجلها إلى أداة للاستهتار والتسلية ليس إلا . فأشار روجر إلى كل ذلك في كتاب المعلم[1] وصب جام غضبه على الفساد والتحلل الخلقي في إيطاليا عامة ، وبين الأخطار الهائلة التي تعود على الأمة من جراء إرسال أبنائها وصفوة شبابها إلى بلاد لا يعنون فيها بشيء ، بل هم يسخرون بالدين والعقائد الإلهية والقوانين الأرضية — ولكن الكتاب ومع ذلك كله لم يحقق النجاح الذي قدره روجر له ولم يصب الغرض الذي أراده ، لأنه كتب بأسلوب جاف لا يشجع على القراءة ، وإن كان قد مهد لبحث مسألة عويصة جليلة من الشباب .

كان روجر صادق النية في محاولة تخليص أمته من تأثير إيطاليا ، ولكنه لم يرض هو نفسه عن كتابه هذا — كان يريد كتاباً من نوع آخر — كتاباً يقرأه الناس والعامة ، فيخرج منه مقتنعاً بأفكار روجر في مكافحة ، مؤمناً له في وجوب القضاء على هذه الفتنة — ولكنه لا يستطيع كتابة هذا الكتاب لقلة مواهبه وكثرة مشاغله — فماذا يعمل ؟

تذكر الشاب المشهور جون ليلي وما عرف فيه القدرة على وضع الكتاب المنشود والبراعة في الوصف والتأثير على القارئ ، فأوحى إليه أن يضع قصة يبين فيها آفات المجتمع الإيطالي وخطره الشديد على شبيبة أمته والنتيجة السيئة لهؤلاء الذين يعيشون في وسطه وما زال دم الشباب يجري في عروقهم حاراً عنيفاً وما زالوا على شهيد الحب والغرام ، وفي أحد الحب والإغراء ، لا يقاوم الحياة السيئة بين رنين الكؤوس وأصوات القبل .

وكان بين هذا حسن ظنه به فجمع الذكريات التي شاهدها في القطر الإنجليزي في إيطاليا وبلاده وجعلها موضوعاً لقصته الخالدة « يوفيس » .

(1) اسم الكتاب : School Master

(1) Novel

(2) Euphues by John Lyly

كان اسم «روبنس» اسماً مقتبساً من الإغريقية ، ولعل هذه هو ما حدا به لأن يجعل بطل قصته شاباً من شباب أثينا الفنوين أنهى دراسته ثم رحل إلى رحالة المدرسة ، وفي طريقه عرج على «بابل» هناك التقى بأحد بدعى إيروبيس ، ولكن هذا الأخير ما كان في بابل جدب من الصلاة ! فهو ينصح روبنس ، ولكن روبنس لا ينتصح ، وهو عرجه وبكنه لا يرعوي ، وهو يحاول أن يعيده ، والآخر لا يريد ! فإذا ما مل نصحه ويئس من إصلاحه صمت على مضض — ولكن رغبته في إصلاح صديقه لا تلبث أن تعود فيضرب على الناحية الحساسة في نفس روبنس قائلاً

— أي روبنس الشاقي . اعمل لأجل الله ولا تعش لأجل نفسك ، واجعل همه لا هم الشر من الشيطان عليك ، واحذر أن تنسه مثله ، فإنك إن فعلت ذلك ، وأعلنت ذاتك العظيمة ، وأدركت روحك ، فإنه هدى يحب الخاطئين

ولكن أنى للجاهل المريد أن يتوب إلى رشده ويعود إلى حظيرة الله ما دام الشيطان يطوف حوله ليسكب في أذنيه أغاني الشر وأهازيج المطر

لقد انصرف الأثينى الشاب في رحمة الكمال ، وراح معهم يعيثون في أنحاء بابل فساداً يبحثون عن اللذة أينما وجدت ، ويصومون كل محرم ويحضرون بما يأتونه كل يوم من ضروب المجون والعبث

وتصل القصة إلى أكثر أجزائها شدة وقوة حيث نجد ليلي إلى مر نفسه حديث مرهقاً جداً به لترجع «روبنس» إلى أمه «رجلاً جديداً ناضجاً» بل لقد جعل منه رجلاً آخر مخالفاً لشخصيته الأولى .. لقد أدرك آثام الماضي وشروره فراح يكتب الرسائل الطويلة إلى أصدقائه يصف فيها من الأثر الماضية الكامنة الشيء الكثير ، شأن العارف الدارس بأسرار الحياة

ولعلك تستطيع أن تلمح من بين سطور القصة قوة المؤلف الذي استطاع أن يصف ما أراد من نزق ومجون ، وعبث ولهو ، ثم ندم واستغفار ... وفكر وتنسك

لقد أراد ليلي أن يجعل الفاتنة تمسك بأهداب النصيحة بأن أخذ يسرد عليهم سرداً موجزاً التقاليد السيئة نتيجة ليحذروها ويحملهم دعاويه إلى دراسة الكتاب المقدس لكثير من الخطاب ولكي يستطيعوا الصبر على روعة الإلهام الذي كانت تحمله في ثنايا بعد الشر والعرفان

وهكذا لم تلبث القصة أن راجت رواجاً عظيماً حتى لقد صارت أحب الكتب الأدبية إلى الناس

كان حديث الشعب الرئيسي ... بل لقد تناقل الإعجاب بها موظفو البلاط الملكي نفسه

على أن ما يجب أن ننبه عليك أن هذه القصة لم يبرح مؤلفها أدراج الجيل لا تنبت من هذا النجاح المادي قليلاً أو كثيراً ، بل لقد سمع عنها في هذا الوقت ، وما لبثت شهرتها على صورة أسلوبها وصورة سيرة مؤلفها وتفرده على معاصريه الحوادث الخطيرة التي كانت تحيط بالفاتنة ، والتي كان الشعب يجهلها رغم أنها كانت ماثلة بينه — من هذه الأسس التي نالت القصة هذا المركز الفذ الذي لا يجارى في العهد الإليزابيثي كله

## الأساليب القصصية

كانت الدراسة الطويلة للآداب الإيطالية وأساليبها من أقوى المؤثرات في الأسلوب الذي ساد في هذا العصر — فقد عني الكتاب الطامحون في أسلوبهم أكثر مما عنوا بالفكرة في كتاباتهم ، ونحن إذا نظرنا قليلاً في الأساليب التي استعملت في هذا العهد وجدناه شيئاً غير قليل من محاولة التلاعب بالألفاظ والحروف والحث ومحاولة جمع أوائل أو أواخر الكلمات متشابهة في جرسها أو في شبه الموسيقية كالسجع في اللغة العربية مثلاً ؟

وقبل أن أنتقل القارئ إلى نوع آخر استعمل في الأسلوب الإنجليزي في هذا العهد أحب أن أنقل هنا جملة من الأسلوب الذي تحدثت عنه وهي من قصة «يوفيوس» :

If I were as able to persuade thee to patience as thou wert desirous to exhort me to piety.

أما النوع الآخر فهو من أسلوب التحليل أو التورية المحتملة وأنا أنقل منه هنا ما يسمح بجلاء صورة التقسيم

She was young and might have live, but she was mortal and must have died.

وإليك حكمة أخرى :

One shouldst not weep that she hath run fast, but that thou hast gone so slow

وتفيض كتابات هذا العصر بمثل هذا الأسلوب الأخير، كما تفيض بالأسلوب الأول. ويقصد من كل هذه الأساليب من مزج إلى ضم أن كان له غيره، كل الشعور المصطنع والاختلاجات الخفيفة سببه الإطناب — صنعة البيان — تحتاج إلى كثير جداً من المهارة والحنكة والتصرف والإلمام بمكايد اللغة — وتلك الزلات التي لا يستقيمها السمع ولا يخلو منها الذوق، وفي كل عناصر الإرهاق واجهد ما يموت للنفس الحقيقي على الكاتب، بل وتفنى به في البعد عن الموضوع إسفافاً مسيئاً جرياً وراء هذا السجع، أو ذاك الجناس. فإنه مما لا شك فيه أن عبارة تضيع طروف الأولى المشكلات أو الطروف الأخيرة تقف — في غير الشعر — حجر عثرة في سبيل الأسلوب المستقيم

* * *

هذه هي أهم الأحداث في تاريخ الأدب القصصي في هذا العهد الذي انشأ عام ١٥٥٨م إلى ١٦٠٣م

ولا شك في أن القارئ يلاحظ مني أنني قصدت الكلام عن قصة يوفيوس، وسأكون قد أحمل ذلك إلا لأن هذه القصة من أعظم أثر أدبي لهذا العصر فضلاً عن أنها تمثل في أكثر أسلوبها الأسلوب الذي ساد . الأسلوب الذي كان أشبه ما يكون بالطلاء اللامع الذي غطى عيوباً كثيرة، حتى لقد سخر منه الإنجليزية وسخر شكسبير منه في كثير من رواياته على لسان بعض أبطاله سخر البطل المتكبر

## قصة يوفيوس وإنجلترا (1)

كتب ليلي هذه القصة عام ١٥٧٩ بعد قصته الأولى بعام واحد وهي عبارة عن رحلة يوفيوس وفيلوتس إلى إنجلترا وإعجابه بالحياة الاجتماعية الإنجليزية

وكانت القصة بمثابة روح للرؤف ... وتهذيب العادات الإنجليزية والمحاسن الإنجليزية لا يقصد التشهير والهدم، وإنما للإصلاح ووضع القواعد الثابتة الناصحة لمعشر الشبان الناشئين

وكان يوجد بجانب ليلي بعض الكتاب الذين ساهموا بنصيب وافر في صنعة أدب القصة في هذا العصر، ومن هؤلاء كانا الأستاذ لودج وجرين، والأخير كتب عدداً كبيراً من القصص القصيرة المقتبسة عن الإيطالية . واشتهرت كتابته بطابع الحزن والألم، ومرد ذلك يرجع إلى المرض الذي عاناه والذي جعله ينظر إلى العالم بمنظار أسود، حتى لقد كتب في هذا اليأس والحزن قصة طويلة جعل اسم بطلها « روبرت » وهو اسمه الأول

أما الكتاب الآخرون، فلم يظهروا إلى جانب من ذكرت، إما لضعف أساليبهم أو قلة إنتاجهم

الإسكندرية — مصطفى مشعل

(1) Euphues and His England

# رحلة عابسة

## للأستاذ أحمد محرم

من مجموعة قاسية البيئة التي هي على الشاعر إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى الإسكندرية من طريق الصحراء ، انطلقت به السيارة ... ووصل به ، ... في طريقه ... والخاطر الحيرة والأحلام ، ... شاعريته ... هذه القافية ، أو هي ... ذكريات عهد الشاعرية الماضية ، ... أن يكون في حرف الصحراء ... في ... من الأعناق ، ... الشمس ... والأعراق ، ... الرحلة العابسة

---

نسفت النوى بجمالها للتلاقي ... ومضى الظعين بقلبه الخفاق

يا يصنع الحب ... بأس الهوى ... [illegible] وتحول في الأعناق ؟

أصاحبي هم الفكام على الأسى ؟ ... سر في البلاد فسيحة الآفاق

وكم صاح الركب والتنهيد للذي ... [illegible] ( الشاعر السباق )

معنا تظل بنا للذات والقرى ؟ ... الركب [illegible] ، والرفاق رفاق

وأنا لنيل أحبتها ، وتحلمها ... دار الهوى ، وعهد الأشواق

وكم سقيت بيومها أمسي ... والذكريات حوائمة الآفاق

لاقت ... البيان [illegible] ... في [illegible] فكر من ونال

أقب تحض المروءة ... الهوى ... [illegible] والعلة الرفاق

ما كنت أحسب [illegible] كثيرة ... أن الغريض ... في الإشراق

[illegible] والأروع تعدى ... في عجز ... ، ولا إشفاق

[illegible] عاري من [illegible] ... من أنت كل زحامه وملاق ؟

[illegible] أبدى [illegible] ... أم أنت [illegible] بلا [illegible] ؟

ويل ... [illegible] ... ما دون بين [illegible] وبين [illegible] ؟

[illegible] [illegible] عاله ... [illegible] في [illegible] ...

[illegible] من [illegible] الشباب [illegible] ... [illegible] تكون [illegible] الأرزاق ؟

والقنوت [illegible] ... وعد [illegible] ... باق

[illegible] على [illegible] وعيد ... [illegible] في الأعماق

[illegible] كانت [illegible] ... يجري [illegible] الأنجم [illegible]

[illegible] لتغور [illegible] ... ريح الأحلة [illegible] من [illegible]

[illegible] ... لمس الأسى [illegible] الأحداق

ولا الأسى [illegible] السلاح [illegible] ... [illegible] يشبه [illegible] ساق

سر يا رفيق [illegible] ... [illegible] ونافي

أين ( [illegible] ) [illegible] ... أم [illegible] الأخلاق ؟

لا [illegible] ... [illegible] العتاق

[illegible] وعقت [illegible] ... في [illegible] ولا [illegible]

المستنام [illegible] ... [illegible] إلى [illegible] الأعناق

بين المروءة والوفاء [illegible] ... [illegible] ساق

الغير أطيب من [illegible] ... [illegible] الشموس [illegible] راق

[illegible] الأحبة [illegible] ... [illegible] ساق

[illegible] لغوى [illegible] ... [illegible] على [illegible]

[illegible] ... تجري [illegible] ؟

أشتات [illegible] ، كلنا [illegible] ... [illegible] من [illegible] ومن إطراق ؟

[illegible] لنا الحياة ، [illegible] ... الأصلاب ( [illegible] )

قال الأسى [illegible] ... [illegible] الأخلاق

[illegible] بين [illegible] ... [illegible] على [illegible] والإ [illegible]

دار تجهز من الإخاء [illegible] ... [illegible] من الأزماق

[illegible] من [illegible] ... حال الطبع إلى الأذى [illegible]

[illegible] في الصحراء [illegible] ... من [illegible] ولا مشتاق

[illegible] ... أخلاق [illegible] الأعراق

[illegible] تبيح [illegible] ... أم [illegible] من الأعماق ؟

[illegible] ، ولا [illegible] ... [illegible] وعلك [illegible]

وكأنه [illegible] الأجنة [illegible] ... [illegible] [illegible] وراق

# آمـــــال كاذبة

## للدكتور ابراهيم ناجي

لا الحب دام ولا حياتك عادت … ما أكذب الآمال والميعادا

حياً لحبك يا حبيبة كيف يُـ … [illegible] من جوارح عاد حياة !

إني لأعجب حين تنفرش المدى … ويرى الجحيم [illegible] جهاد

جماً من الرمس جميل حلاوة … في [illegible] لا تحس مهادا

ترسمت له الأحلام وتحمل الصدر … [illegible] له الحب وعادا

لا حب [illegible] ما صحا الذي … جمع الغريب [illegible] لأصدقاء

كم أشرب إلى [illegible] ناظري … [illegible] قوة وعماد

كم أنت على [illegible] طويا … في خاطري [illegible]

هواك [illegible] في [illegible] … [illegible] الأقدار كيف [illegible]

ولكم [illegible] كأنما [illegible] … [illegible] الهوى [illegible]

[illegible] الرجاء مع [illegible] وإنما … [illegible] ميلاد

ماذا [illegible] لا شيء … متطلفاً متلهفاً [illegible]

وأنا غريب في الزحام كأنني … [illegible] أحيان [illegible]

وتقدو في الجموع فلا ترى … [illegible] ولا تحس عيونا

[illegible] كنت أنت النور … أحمر والأمجاد [illegible]

وراك كل [illegible] كل [illegible] … [illegible] كل [illegible] تتهادى

ناجي

---

إنا جننت [illegible] … فكأنه [illegible] خلاق

[illegible] … [illegible] والإخفاق

[illegible] … لولا [illegible] تتلاقى

[illegible] … [illegible] والإشراق

[illegible] … [illegible] والأذواق

[illegible] … [illegible]

أم البدائع [illegible] … [illegible] الأقوام كل [illegible]

[illegible] … أعلى [illegible] وأسمى الأخلاق

أحمد محرم

# ساعتي

[ مرفوعة إلى [illegible] ]

## للأديب عبد العليم عيسى

[illegible] روحي وصاحت [illegible]
واحتوت [illegible] [illegible]
فاركبي [illegible] في حياتي
[illegible] عن كل موجود [illegible]

ساعتي ساعتي !! [illegible] … [illegible] روحي [illegible]

[illegible] فاذهبي [illegible]
[illegible]
[illegible] السكون [illegible]
[illegible] لا [illegible]

[illegible] فاتركيني [illegible] في [illegible]

[illegible] صدوقا !
[illegible] رفيقا !
[illegible] رفيقا
[illegible] طليقا

[illegible] [illegible] … [illegible] وحيد [illegible]

[illegible] الشراق والزهورا
[illegible] الطهر [illegible]
أنا أهواها … ولا أهوى القصورا
[illegible] كثيرا

[illegible] … [illegible]

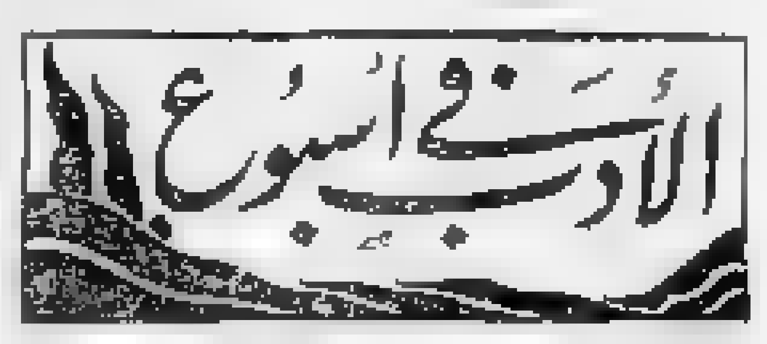


## نقد

كتب الأخ الفاضل الأستاذ سلامه موسى في مجلة الطالب ( ٨ إبريل سنة ١٩٤٠ ) كلمة يتعقب فيها كلامنا في ( الفن الفرعوني ، ومثال نهضة مصر ) المنشور في عدد الرسالة ٣١٥ في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ ، وجعل عنوان نقده « تعارض التيارات الفكرية ، وضرورة التطور الأدبي والثقافي » . وسنلخص لك نقده ثم نتبعه ببعض ما يجب علينا من تحرير رأينا ، وتقدير رأي الأستاذ الفاضل . يقول : إن الأفكار تتعارض في كل أمة حرة ولكنه لا تخرج بها من أسلوب الحياة العامة من التوافق إلى التناقض والتنافر ، فيفضي ذلك إلى اختلال التوازن الاجتماعي ، وتعطيل الأمة عن الرقي والإصلاح . ويقول : إن بعض الآراء في مصر يتناقض كما يكون التناقض بين أمتين متخالفتين ، وإن ( الشخصية المصرية ) التي تتمثل بها مصر في أساليبها الاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، والحربية ، هي ضرورة الوضع الجغرافي والاحتكاك السياسي بأوربا ، وإننا لا نعيش فقط في القرن العشرين ، بل في سنة ١٩٤٠ من هذا القرن . ويقول ما نصه :

« ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا الاختلاف الذي يقارب التنافر . فقد ألف الدكتور طه حسين بك كتاباً يدعو فيه إلى أن نجعل من الفن الفرعوني أحد العناصر في « الغذاء الروحي والعقل الشاب » ، فتعرض هذه الدعوة الأستاذ محمود محمد شاكر بالاستنكار حين قال في مقاله بالرسالة ( ونقل ذلك ) : فيجب أن نقرر أن الفن المصري الفرعوني — على دقته ، وروعته ، وجبروته — إن هو إلا فن وثني جاهلي قائم على الأباطيل والأساطير والخرافات التي تعمي العقل الإنساني ، فهو إذن لا يمكن أن يكون حياة أخرى في أرض تدين بدين غير الوثنية الفرعونية الطاغية — سواء أكان صاحب هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم من شئت من أشباه الدين . »

ثم استمر فنقل بعض رأينا في الذي نقلناه من مقال ... مصر .

وهذا تعارض عجيب ، كما يرى الأستاذ سلامة موسى ، واختلاف في التيارات الفكرية يجب على أدباء مصر الاجتماعيين أن يحاولوا التوفيق بين هذه الآراء حتى لا يصير اختلاف الرأي الحر ناقصاً في العقائد المحرومة ، وحتى نستبع في مصر تستطيع أن تحسن إلى الرأي المخالف في تسامح ولكن غير مقيد في الاعتقال بالرأي من طغمة والجمود .

ثم يقول الأستاذ الفاضل إنه يزعم مما كتبته أن الدكتور طه أو الكاتب المختار يطلبان منا أن نعبد الفن وحده ( ... ) مع أن حقيقة ما طلبه كل منهما أن نعنى بهذا الفن المصري القديم . ثم يقول عني وعن الدكتور طه : « إن الاختلاف بين الكاتبين هنا يرجع إلى أكثر من ذلك ، وهو أشبه التنافر بين القائلين بمذهبين متناقضين ، ومصلحة الأمة تقتضي إزالة هذا التنافر بين الذين يكتبون هذه المهمة ، وكل رجل مثقف يهمه الانسجام الاجتماعي في الأمة » .

وهذا وجه الرأي في كلام الأستاذ سلامة موسى نقلناه أكثره بنصه أو ما يقرب منه . ونحن نشكر الأستاذ سلامة موسى على حسن مقصده ورغبته في تحقيق الإصلاح الاجتماعي بإزالة كل العوامل المفرقة بين الناس .

### التيارات الفكرية

ومن الغريب أن اليوم الذي صدرت فيه هذه المقالة في الطالب ، هو نفسه اليوم الذي كتبنا فيه عن « الرأي العام وسياسته » في العدد الماضي من الرسالة ، وقلنا إن تعدد الثقافات في الشعب الواحد قد أفضى إلى شر آخر ، حيث تضاربت العقول على الرأي الصحيح ، واختلفت المناهج المؤدية إلى الغايات ، وكذلك يتوزع الشعب إلى أشياع وفرق بعضها لا يلتقي دون خلاف لا ينقضي . وكما يرى الأستاذ سلامة موسى أن هذا التعارض البعيد بين الآراء ، يعطل رقي الشعب ، ويمنعه من الاجتماع على رأي ، ويحرمه عدة القوة التي تشده إلى غاياته — كما نرى نحن ذلك ، ونرى وراء ذلك كله ما هو أسوأ وأقبح — مما يستمد منه وتفتش عنه ... فهذا بين أمة ممزوج من تعريه

بيننا وبينه ، ومن رغبة تحول جميعاً على العمل لها ، وتَكَشرى أنفسنا في سبيل إنقاذها

وكان جديراً بالأستاذ سلامة موسى أن يرى مثل هذا الرأي في الذي كتبته ، ويطيل بعض ما طويته في شدة رأي الدكتور طه ، وسبق لم يقرأ كل ما كتبته في العدد ٤٠٣ ، ٤٠٤ من الرسالة ، ولعله لم يتتبع ما تعودته من الرأي في باب « الأدب في أسبوع » ، ومن قد عسى أن نعرف أن الرأي بيننا وبينه في ذلك غير مختلف إن شاء الله

## القرن العشرون

وما دمت في حديث تعرّض هذه التجربة الفكرية ، فقد كنت أحب أن يبرّئ الأستاذ سلامة موسى كلامه من بعض التعريض ... وذلك تنبيهه لنا أنه بحث في القرن العشرين ، وفي سنة ١٩٤٠ منه . فهل أظنّ الأستاذ أننا نعيش في عهد أو أننا نرى أنفسنا رَمَماً مُرَجَّعة جيفة قد انبعثت في أطلال إنسانية (القرن العشرين) !

الزمن لا يكون هو العلة في إنشاء الحضارة ، وإنما نستمد الحضارة الروح الإنسانية والإنسانية الروحية ، وإنما الزمن وعاؤه مع الإنسان العلي ، ولا يكون الإنسان بنتاً للزمن إلا حين تفقد الروح إنسانيتها العالية ، وتفقد الإنسانية روحانيتها المسلية ، وترتد الحكمة والحضارة والتهذيب وجميع الفضائل إلى مرتبة الغرائز الدنيا التي عرفت الحيوانات من الأحياء في سيرها ، وفي صخبها ، وعدوانها ، ومن مدارجها النازلة إلى أغوار الحيوانية الفطرية

إن من أخطر التيارات الفكرية التي تهوى بنا أكثر كتاب الغرب للناس ، والحصر ورد من كتاب الغرب العشرين أعراضهم بالقرن العشرين وما فيه أمراضاً (مرضياً) يكاد يكون إيماناً وعقيدة ، في أقنع منه بالبرهان والحجة عن برهانه وحجته ، وما لم يقنع عن صدود إلى الأسرار الأزلية للحضارة ، وأنه هكذا كان ، وأنه هكذا حق ، وأنه ما دام موجوداً في حضارة القرن العشرين ، فوجوده هنا هو برهانه وحجته ... !

وأنا — مع الأسف — لا أعتقد في هذا القرن العشرين اعتقاداً قلبياً متمكناً بالإيمان ، لا لأني أريد أن أرتد إلى الماضي لأعيش في ظلامه وكهوفه وتهاويل خرافاته ، بل لأني أرى أن حضارة الإنسانية يجب أن تحصر بعناصرها الجليلة العالية في كل أجزائها عناصر . أما هذه الحضارة الأوربية الفاشية في القرن العشرين ، فهي حضارة حيوانية التفاصيل ، ليس في أعماقها الإنسانية بدوخنة . ولا تغرن منها في العلم صنعاً ، فإن العلم العاصر قد استطاع أن يتعد في بعض أسرار الكون بأسباب كأساليب التجربة ، ومع ذلك ، فقد كان هذا العلم نفسه هو ما اعتمدوه دليلاً في تمجيد حضارة القرن العشرين ، ليمحو الناس به عن حقيقة الإنسانية الروحية المتحررة من أغلال الحيوانية الضارية المتعبة

## الحرب

ويكفي أن تكون هذه الحرب التي أحدثت آباء آباء وتشرب غائلها ، وزأرت بزئيرها ، ثم أسبابها التي نشأت عنها من المطامع الاستعمارية المتكالبة المصرية ، ثم ما سيكون من آثارها في الأرواح الإنسانية والمدنية الروحية ... يكفي أن تكون هذه الحرب من جميع نواحيها وأطرافها ، وجميع خلائقها وأصحاب هذه الخلائق — برهاناً كترسيم الفحم الأسود في الأعراض النقية البيضاء .

هذه الحرب الفاجرة المتبرّئة من جميع الفضائل ورذيلة الكذب والخداع عما يسمونه البناء والحضارة — هي البرهان على في أوصاف جميعاً . أعلق القرن العشرين ، على أن مدنية هذا القرن ، مدنية حيوانية الأصول والفروع ، هي مدنية متوحشة متوحشة ، لا تعرف الحق ولا تعرف الخير ، وليس إلا ... الشفاء الشفاء . السيف السيف ... هذا دواؤها وهذا طبيبها وهذه إيمانها . ثم لا تكون مشيئة أصحابها إلا تخريباً وتمزيقاً وتعذيباً ، وتشبيهاً ببنيان الله الذي يسمى « الإنسان » .

## الحرية !!

إن هذا القرن العشرين أسطورة مموهة قد انحدرت من القدم إلى هذا الزمن ، في دم كل الأساطير الحيوانية الرجعية في تاريخ الإنسانية . إنه أسطورة مشبهة كأنه مكذوبة على الناس ولا في مدنيته من [illegible] بينه وبين نفوسنا حقاً . إن الأجيال

الإنسانية الحية تصرخ من وراء أسوار التاريخ بهذا أن ننقذ أنفسنا من أوهام (القرن العشرين)، ومن حماقات المدنية الزائفة التي تكفر بالله، والمتعلقة بالمادة من نيران الشهوات والأهواء، المصطنعة بعدد الأوكار التي تجول في أنسجة البشر حاملة تدمّها وتحورها وتحجبها وتطبيها، وكل ما يمتد عطره إلى أحط الإحساسات بعيدها لتقديس البشرية المتجسدة بقلب وشهوته

يجب — في هذا الزمن — أن نتحرر من أباطيل القرن العشرين وأباطيل القديم معاً، يجب ألا نعرف الحاضر بأنه هو الحاضر وكفى، ولا الماضي بأنه هو الماضي وحسب، يجب ألا نتقيد بشيء من كليهما، يجب أن نأخذ الحاضر والماضي بالعقل والعلم والتجربة، وما لم يكن كذلك مما مضى ومما حضر فهو ما يجب أن ننبذه ونتخلى عنه، يجب أن نتحرر، يجب أن نتحرر.

إننا الآن أمة نريد أن نسير إلى غايتها في إخلاص حضارتها التي سبقت جميع الحضارات التي سبقتها، والحضارة التي تأتي من التقليد بسبب حضارة، وإنما هي تجيء وكسب. ونجمع جاهلية عصرنا إلى هذه الآن من الضلالات التي ظل الذين «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون»!!

لن نبلغ شيئاً حتى نكون (الحرية، والحب) ظاهرين مبتهجين كاملين متواصلين، وهي القوة التي تسير بنا الحضارة إلى عصمتها وراحتها. إذا عرفنا الحرية وجربت في وسائل حياتنا تهدم كل هذه الأباطيل التي نسوق وتعيب بين أيدينا من الرذائل الإنسانية التي تحيي في طريقنا من أباطيل الماضي وترهات القرن العشرين!

## الفن الفرعوني

والأستاذ سلامه موسى قد بنى كلامه على ما يسميه (العقائد الموروثة)، وعلى ما يجده في (القرن العشرين)!! وهي — مع الأسف — لا تمس أبداً كلامنا عن (العقائد الموروثة)، ولا عن التعصب (للقرن العشرين)، ولو رجع الأستاذ إلى التاريخ الأدبي الذي نشرناه في الرسالة عدد ٢٩٤ و ٢٩٥ من محاضرة الدكتور طه، ولو رجع ثانية إلى حديثنا عن (الفن) ما هو، وكيف هو؟ ومن الفنان وما هي فنه — لعرف أن دعوتنا كلها مبنية على تحرير أعمالنا من قيود الماضي والحاضر معاً على أساس من العقل والعلم والتجربة، فلا نُبقي منذ القديم إلا ما يصلح، ولا نأخذ من الجديد إلا ما يصلح، وأن القول في (القديم والجديد) على إطلاقه الفطاء، وهو لفظاً لم يعرف بعد عصورنا اليوم، وما هو إلا نقد الكلام كما يتعطى الفصل بعد أن كان من تعب الرأس وشهوة الجدل، ولم يكن في هذا الفصل العلم النافع.

إن حديثنا عن الفن الفرعوني، وأنه لا يصح أن يكون فناً يستمد منه الفنان في زماننا، لا يمت بصلة إلى الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ سلامة موسى في فهم كلامنا، لأننا نظرنا إلى شيء واحد، وهو تحرير الفن من التقليد، ثم صرحنا أن الفنان لا يستوحي كما يظن الأستاذ سلامة من فنون غيره، بل إن الفنان عنده هو نفس الناس التي يعيش إليه العلم الذي التي تنبثق به حضارة أمته في عصره، والفن إن هو إلا ثمرة من نتائج الإبداع الإنساني والطبيعة التي تمسه، والطاقة التي سيطر على الشعب رغبة منه بالإعجاب بها والتفكير فيه، فإذا لم يكن الفن شيئاً من ثَمّ، فاعلم أنه ليس بفن، وإنما هو كذب مضرّج بمحاسن قوس قزح، وما أسقط الفن الرفيع في زماننا وفي بلادنا إلا أنه نتاج المتوثل الرجعة بالتقليد، والخيال الذي السرقة، وهذا المسخ الفاحش من الفنانين والأدباء والشعراء والعلماء أيضاً ممن يعيشون بأرواحهم تحت جناح الليل الأسود وفي سفره، ثم يطلعون على الناس إذا أصبحوا يقولون: أين كنتم؟ إنا جائون! كنا نسترعي، ثم يخدعون الناس بزعمهم وبرجيجهم، لأنهم لا يعرفون من أين يأتي هؤلاء هذا الوحي وأن تطير أعاجيبهم ومن الحب الذي يصنع له الليل، وإنما هو دبيب واستخفاء وحرص، و «طلاسة» تهتم بها أطفال حوالي بعض الناس، يستخرجون كنوزهم ليتحلوا بها ويتجاهلوا

الحرية هي أصل الفن كما بينا، وكما هو ظاهر كلامنا، وأن الاستعباد من دون الفنان لا ينتج من لا يتصل بعدمنا بسبب إلا القسم والوراثة وتاريخ هذه الأرض، هو إبطال الفن ومسخ الفن وتقييده للفن. ولا تأتي مثل الأستاذ المثال القدير «مختار» إلا أن نقل صورة لا تمس كيان هذا الشعب المصري الحاضر، هي صورة أبي الهول، وليس فيها مثله القديم الجاسط صامته في جوف رمال الصحراء هناك، ثم ماذا؟ ثم حيه ...

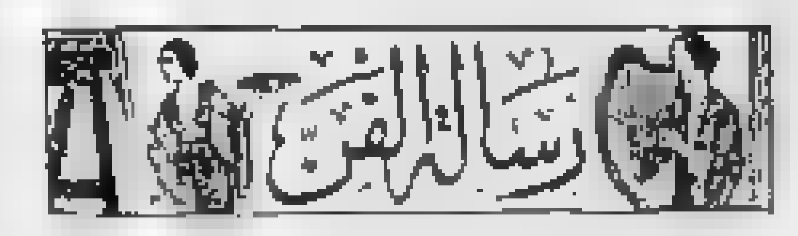


صورة مصرية:

# أميرة الربيع

## لها تاج الجمال والمرح والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

---

بإذن الله.

لما وهبه البارودي سلاماً للشمس كانت ساعة أصيل احمرت

الشمس فيه خجلاً منها فبانت تتوارى إذ أشرقت مورقة

ولكنها مال أن عمي الشمس عن معانيها وهي إذ تباعد

كانت مرح العيون بعدولها الذهبي مرهباً وتوجها لسعت أصيل

من أماثل الربيع كان أحمد شوقياً على نحيب إلى

الوجود مورقة

وغروب الشمس جبينها للأطيار حمرة بإذنها كلها

تشدو أغنيات السعد والفرح جبوزة

وغربت الشمس للأزهار عمراً زهت، وانتعشت وهفت

في الجو من عطرها طيباً، وهشت من أثوابها حية وزينة

عيون مورقة...

كانت ساعة مدركاً في الكون، وعليّ ومن كان له أن يفرح

مثله كان لي أنا أن أفرح، فيه هو ذا شهر مولدي يعود وقد

عاد لي مني، أمري فيها الفاروق مصر، فرحت به في الربيع مورقة

وركب وورثه مقدم

كان الشعب يدعو له كما كتب دعوه — أني مكروب

صعباً غر به عيد للملك، ولكن حكمة الله شاءت أن يحيي

أوبته ورمز الوفاء فهذا الربيع أسعد به أن يحتاج من رغب

وهذا الأصيل الجميل كان أجدر به أن ينثر عنه عطفها كل

ما ادخره به اليوم من جمال وحسن وزينة

وهذا أقرب إلى طبيعة الصبية

حشت الجمال والفرح والفن يا أميرة مورقة

إنما تقدمت بك الأيام، وعشت من الطارف، ورأيت...

بأنه لن ينطبع في ذهنك إلا كل صورة من الجمال والحسن،

ولن تستقر عيناك إلا على كل بهجة وزينة، فهذا هو أول

ما عرضت عليك الحياة من آلائها...

إنما مرت بك السنون وعشت بأنه لن يطرق أذنيك

الاسم حتى ليس مثلي كهذا الغناء الذي أنشدته الأطيار يوم مقدمك

إنما جرت بك الأعوام وملأت حسك حساً فاعذري على

الدنيا من حس حملك كما يشدو في الدنيا من حس الشمس فنال

هذه الأفراح التي تشيع في نفسك أشبه في الكون

شعراً، ولكن شعراً لا إنساناً فاسي الشعر الإحساس وكم حاس

يلفت إلى الإحساس، وكم مستطيعين وأميرة أنت من صروف

الإحساس...

كما التقدير الحق من الأميرة فيها الغناء، ومن أشعر على

---

بعد أن كان بسطاً مستطاعاً، ثم عاداً!! ثم ألقيس إلى جانبه فتاة تسبح

بعصا في رأسه... سبحان الله هذه نهضة مصر، وهذا هو القرن

القرن العشرون!!

إنما كان الأستاذ سلامة موسى لو غيره يريد أن يناقشنا في

هذه الآراء، فليناقشني على أساس واحد، هو أساس الفن،

وما هو، ومن هو الفنان. أما (القرن العشرون)، وأنظمة

مكافحة الأوبئة، والنظام الاقتصادي، والعلوم، وما إلى ذلك،

فليس له مدخل ولا سبيل في الطبيعة الفنية، وتقدير الآثار الفنية،

ومن يمكن أن يكون فناً إذا كان تقليداً واستهداء ونقلاً

ذكياً بارعاً!

كل من يأتي من التقليد والاستهداء بمروق الطين، وكل من

يتحول من شهوة التقليد وبلادة العربة ومبوعة الروح، فهو من

كالقرد المستقط في آخر قصة أشهر من عنده... فيه صورة الحي

ولكن ليست فيه الحياة، فيه نور الشامة الحي ولكن ليست

فيه قوة استمرار الحي على الحياة!

محمود محمد شاكر

المتدفق بحلى من أميرة الربيع التي ما طلعت رأت الجمال الذي أول ما رأت ، وسمعت الغناء الصادق أول ما سمعت ، واستنشقت العطر الأصيل أول ما استنشقت ، فهي تعرف الجمال الحق من الجمال الزائف ، وهي تعرف الغناء الصادق من الغناء اللص ، وهي تعرف روائح الله من روائح المعمل وما تؤلفه الصيدلية

أميرة الربيع ! يا أميرة العطر والرائحة يا أميرتي .. هلا شهدت اليوم ، فأنت عروس ومصر في مهرجان ، ودولة الفن عبر الدولة المتحدة به الآن ..

ترى الموسم الأعم .. إنما يزعمون إليك أسماء الذين اختاروهم ليحيوا المهرجان ... فتقولين لهم لا ... لا أعثر على هؤلاء لأنه تعمل ، ولا يجيئون بالمعروف لأنه قد تحدث بذكره الركبان ، وإنه أراد أن أستمع إلى فلان وفلان وفلان ... مادمت يا أميرتي قد شهدت قبل ذلك في المكتبة ، وقرأت ما يكتبه هؤلاء وما يكتبه ذلك — عرفت ما صنعت الله من جمع الحسن موطن الحسن منه هنا ، وغنيا الزهور عند ذلك — وأنت يا أميرتي قد أصغيت قبل ذلك إلى كل ما جد من اللحن والغناء ، عرفت أين هو الغناء المصري من الغناء ، وإنه كان شيئا في حشيش العود ، فهو ليس إلا غناء الأجانب

وحيالك من أهل الفن يا أميرة الربيع مغمورون إلى يوم من أيام الإنصاف ... الحياة ثقلت عليهم ، والناس انشغلوا عنهم ، وصاروا إلى حيث تحيطهم معرة مرة لا الصدق عندهم ، ولا الفن ولا الجمال ... وإنما هي الإثارة والتجارة والإعلان

سيرى ذلك معاصرهم بتلك الأيام ... وستكرمينه وسيكون على يديك تعميم الأولى ..

سيصفك أبوك ... فكم جند هو أيضا في مملكته ، وكم وجد الله لم يجد بالنصب ولا الأصنام ... فهو الملك الذي عصم الجود ، والذي عرف ما أصبحه لنا الأيام من ... وجل وحروب فأصلحت من الحروب ، وأبقى علينا ذلك حقه حمدا مثلا ضربه لأولى الألباب منا وأتم بعده لأطعمنا جميعا من الجوع ، كما آمننا جميعا من خوف ...

والأيام مقبلة ... وستفرغ مصر من الحروب حتى تفرغ منها الأمم ، وسيجري عندئذ أولو الألباب هؤلاء ، ويعرفون أنه لا مفر من

أبهج الطرب الذي حمله أبوك المبارك وتبعته ... ومن ذلك كوكب الغناء والسيارة في تداب ونشاطه كما ... تنشده على الحسن والجمال ...

يا أميرة الربيع ..

كم يسعد عروبتنا أن يكون لك فن ، ولكنا لا يكون لك من وقت كان نبيا يستمع إلى الغناء ... فليكن في النبي قدوتك ، أو ما كان عليه تراثك ، وجدي من آبائك حب الإسلام القديم مرارا ، فقليلا ما يحكم أهل الفن عندنا في الإسلام ، وكثيرا ما يحسبه بعضهم خطرا للآلهة حتى في الأرض بل في السماء فإذا نظروا إلى ... ما الذي في السماء !

سليهم أنت عن الذي في السماء ... قولي لهم هو الذي منح المسيح المحبة ، والذي منح القرآن السلام ... ثم انتهى بإيمانك وسعد الله بين الناس آيات المحبة والإخاء والسلام ، وما شهدت ما صحبت في مصر إلى أن تزدهي منها وتتلك ، فليس بمغنى وطننا إلا المحبة والسلام يتهيآن فيه لينا هو جنة الأرض ، وموطن الرغد والأمن

أميرتي هل سألتهم هؤلاء الخلق في مصر وفي غيرها تلك الأحاديث التي استضافتك بها الدنيا يوم مولدك ؟ ومن الناس هؤلاء الذين يحملون هلالا في هذه الأيام فإذا كانت تسبح العصافير لك : أطلقها ، وسقاها ، وأجرى لك الحديد ورجاها ، ولعب لها السبح وخاطها ، وليتها إذ شقشقت ، فما حقد منها عصفور على عصفور ، وما طغى منها واحد على أخيه ... وإنما كل صوت النسر والصقر والعقاب ، فقد سخر منها الله بيده حق جهلي : حمداً لله الذي في الأرض وفي السماء .. ألف حمد وألف شكر له

والنسر والصقر والعقاب ، كلها أيضا سبح له .. إذا انقض واحدها على فريسة صبر أصدق القلب ، طالب القوة الحاكمة ، يأخذ من أصدق العطاء عطاء المحب والغناء

علمينا يا أميرة الربيع كيف نكون مع الحب والرحمة أقوياء نسمو إلى السماء ، ونمحو عنا ما نحسه من الشقاء ...

هاتي الذي سمت يا رحمة الله ..

اللهم قرب هذه الأيام ...

# الحرب والرياضيات

للأستاذ قدري حافظ طوقان

تتقدم فروع المعرفة ويتناولها التغيير والتبديل، وكلما اقتربت من الأرقام زادت دقة وتحققت من الكمال. قال أحد الفلاسفة: «يكون العلم دقيقاً بقدر استخدام العلوم الرياضية في بحوثه ...» ولم يستطع العلماء أن يستفيدوا من فروع الطبيعة أو الهندسة ولا أن ينجحوا في صنع السابحات في الفضاء، والسابحات على الماء، ولا أن يغوصوا إلى أعماق البحار، ولا أن يطوقوا القارات بالأسلاك الكهربائية، وأن يقذفوا نحو مختلف الأمواج اللاسلكية، وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والصور ... أقول لم يستطع العلماء أن يسيطروا على الطبيعة هذه السيطرة القوية إلا بفضل الرياضيات

قد يكتشف العالم بعض النواحي الطبيعية، ولكن لا يستطيع أن يتوسع فيها، ولا أن يفسرها ويقوم بالأعمال الفنية المدهشة إلا إذا استعان بالرياضيات. فلقد أحدث اكتشاف (فرداي Faraday) لإحداث التيار في لفة السلك حين إمراره في حقل مغنطيسي أثراً بعيداً عظيم الخطر في الصناعة ... هذا الاكتشاف قد يبدو بسيطاً ولكن أليس من العجيب المدهش أن كل الصناعات الكهربائية ترجع إليه؟ والأعجب أنه لم يكن في الإمكان جعل هذه الصناعة بحركاتها وموضوعاتها في حيز الإمكان إلا حين وضعت الأرقام والمعادلات لقوانين (فرداي) بعد توسيع نطاقها

وقد تنبأ (فرداي) أيضاً بأنه لا بد أن يأتي يوم يثبت فيه أن هنالك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغنطيسية في الأثير، ثم جاء كلارك ماكسويل J. C. Maxwell العالم الرياضي الشهير، ودرس وعمل على وضع معادلات رياضية أثبت بها أن في الفضاء اضطرابات كهربائية مغنطيسية تنتشر بسرعة الضوء، أي أن الاضطرابات الناشئة عن شرارة كهربائية تسير في مظهر أمواج في الأثير لا تُرى، ولكنها كالأمواج التي تُحدث الضوء والحرارة والطاقة الكيماوية تسير جميعها بسرعة الضوء التي هي (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية. وجاء بعد (ماكسويل) غيره من العلماء وجروا على القواعد التي وضعها فأحدثوا هذه الأمواج وأرسلوها في الفضاء مسافات ثم التقطوها، وبذلك صار تحقيق التلغراف اللاسلكي ممكناً، وقد تنبأ به السير وليم كروكس Sir William Crookes، ثم حققه لودج Lodge في مسافات قصيرة، ثم تلاه عليه آخرون فأتقنوه ووسعوا في مداه، فبُنيت المحطات اللاسلكية على أنواعها منتشرة ومختلفة في العمران

لم يكن في الإمكان أن يسير العلماء ببحوث الضوء على أساس إلا بعد أن أخضعوا قوانين الانكسار في قالب رياضي، وبذلك استطاعوا أن يستعينوا بالمعادلات والأرقام في التحسينات لإصلاح عيوب العين، وتكبير الصور، وعمل التلسكوب والسبكتروسكوب والميكروسكوب على اختلافها

إن الصناعة الحربية قائمة على الرياضيات، فالأسلحة على تعددها وتنوعها تعتمد في صنعها على الكيمياء والقوانين والحركات والآلات

---

لست أطمع أن تعرف اليوم صاحبة الذي أكتبه، فدونك ودون الفراق ... لم تمر أعوام، ولكني أسأل الله أن يجمع هذه التي أكتبه بين يديك في يوم قريب من الأيام، فلست أحرى لنفسنا أكثر بأن تحظى لك به شيء من الإلهام ..

هذه الفرصة التي دعا الله إليّ عن مقصدك، وإنه جمال صورة نفسي من نفحات الربيع وصباه وملائكته الذين يحملون الله إلى الأرض هدى ورحمة، ولي الرجاء في أن الله قد رضي من الفتى وأخذ منها أشم رائحة وقدسية .

لك هذا، ولك حق لمسته من غير قصد ولا شعور ... فإذا كان هذا أو كان ذلك فلست أطلب من الله أكثر من أن يبقى هذا الجمال ... أو هذا الرجاء

دمشق وعش أبداً وما يلد ربك رؤوفاً بالناس ...

فريد أحمد ...

ميكانيكية أخرى معقدة وعلى دقة لا تأتى إلا عن طريق المقابلة . صناعة الغواصات والطائرات قائمة على مسائل ميكانيكية وكهربائية وطبيعية تدعمها قوانين راسخة لولاها لما كان في إمكان الأولى أن تسرح إلى الأعماق ولا الثانية أن تجوب رحاب الفضاء

لقد برع المهندسون في صنع الآلات اللازمة لبعض أدوات القتال ، فقد (نجحوا) مثلاً في صناعة كاشفات الأصوات (الميكروفون) التى تجعل الغواصات بواسطته أقل خطراً وخفاء من ذى قبل . ويمكن القول إنهم استطاعوا أن يخفضوا من خطرها إلى حد كبير ولا سيما بعد أن توصل بعض علماء الإنكليز مستندات على هذا المعيار يمكن بها من تحديد مكان الغواصة بالضبط . وفوق ذلك فقد جهزوا الطائرات المائية بآلات دقيقة تستطيع أن تكتشف مسافات من أعماق البحر . وتقوم جميع هذه الآلات وغيرها على عمليات دقيقة أساسها الجداول والمعادلات الرياضية

وكذلك هناك أجهزة دقيقة قائمة على مسائل عويصة معقدة من شأنها إدارة الطائرة بإحكام . وتقوم هذه الأجهزة بعمليات حساب مدى ارتفاع الطائرة عن الأرض وحساب سرعتها التى تسير بها ، كما أنها تحدد النقطة التى تصل إليها الطائرة في اللحظة التى تصل فيها مدينة معينة ومن الغريب أن هذه العمليات لا تستغرق أكثر من نصف دقيقة ، وفي هذه المدة لا تستطيع الطائرة تجاوز أهدافها ، ويمكن عندئذ وعلى ضوء هذه العمليات إطلاق القنابل إلى المكان الذى تحلق فوقه الطائرة أو مكان قريب جداً من النقطة المقصودة وبذلك تصاب الطائرة المقاتلة أو رعايتها

لقد تقدمت صناعة الطائرات على اختلافها من مطاردات وقاذفات ومائية تقدماً سريعاً ، وتفنن مهندسو الدول في صنعها وثبت أن المصانع البريطانية متفوقة على غيرها في إنتاج طائرات من نوع المطاردات ، ويتفق أكثر خبراء الطيران العسكرى أن خير المطاردات هى المطاردة المعروفة باسم « هوكر تايفون » وسرعة هذه المطاردة تزيد على ٣٦٢ ميلاً في الساعة وتستطيع أن ترتفع من أرض المطار إلى علو (١١) ألف قدم في أقل من خمس دقائق ، ومداها (٦٠٠) ميل ، وهى مجهزة بثمانية مدافع رشاشة ، بينما الطائرات الألمانية لا تزيد سرعتها على (٣٥٠) ميلاً في الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، وهى مجهزة بأربعة مدافع رشاشة . أما المطاردات الفرنسية ، فسرعتها (٣٠٥) أميال في الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، ومجهزة بمدفعين رشاشين ومدفعين آخرين قطر كل منهما (١٢٠) مليمتراً

أما طائرات الهجوم أو قاذفات القنابل ، فهى نوعان ، المتوسطة والضخمة . فقاذفات القنابل المتوسطة البريطانية تبلغ سرعتها (٣١٥) ميلاً في الساعة ، ومداها (١٩٠٠) ميل ، وحملها من القنابل (٢٠٠٠) رطل إنكليزى بينما في السلاح الجوى الألمانى (٢٨٠) ميلاً للسرعة و (١١٠٠) ميل للمدى و (١٩٠٠) رطل للحمل ، وفي الفرنسى (٣٠٠) ميل للسرعة و (١٢٩٠) ميلاً للمدى و (٣٣٠٠) للحمل

وأما القاذفات الضخمة ، فأقصى سرعتها (٣٤٠) ميلاً للإنكليزية ومداها (١٣١٥) ميلاً ، وحملها (٤٠٠) رطل يقابله في الألمانية (٢٠٥) أميال للسرعة و (٩٩٥) ميلاً للمدى و (٨١٠٠) رطل للحمل ، وفي الفرنسية (٢٠٣) ميل للسرعة و (٧٥٠) ميلاً للمدى و (٩٣٠٠) رطل للحمل

وعلى ذكر القاذفات الضخمة نقول : إن أحدث ما أخرجته المصانع الأمريكية طائرات تعرف باسم « القلعة الطائرة » تفوق مثيلاتها في البلاد الأخرى في السرعة والمدى ، فسرعتها (٢٦ ) ميلاً [ يقابلها ٣٢٠ ميلاً في الإنكليزية و ( ٣) ميل في الفرنسية و (٢٠٥) أميال في الألمانية ] ومداها (٣٠٠٠) ميل ولقد أخرجت المصانع البريطانية طائرة ضخمة جديدة تفوق « القلعة الطائرة » بلغت سرعتها (٣٦٧) ميلاً في الساعة وحملها (٤٦٠٠) رطل ومداها (٣٦٠٠) ميل ، وهذه الناحية — ناحية المدى — تدل على دقة مهندسى الأمم وإتقانهم[1]

وهناك اختراعات واكتشافات لم يتوسع نطاق استخدامها واستغلال نتائج الأبحاث إلا على أساس التجربة والمعادلة الرياضية ويكفى القول إن على العلماء والفنيين بموجب المشروعة قد

(١) وجدنا في الأرقام التى تتعلق بالطائرات إلى مقال ظهر في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٤٠ حول الطائرات الحربية

وصلا إلى درجة كبيرة من الدقة والكمال بفضل الأرقام والمعادلات . جرّدْ هندسة الطيف من رياضياتها بل جرد الكيمياء الحديثة من معادلاتها ورموزها فلا يبقى إلا تجارب ومبادئ أولية لا يمكنك ولا يمكن الاستفادة منها أو تطبيقها بما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوى العقل خصب الفكر أن ينقب في أسرار الطبيعة والكون، بل لن يستطيع الغوص ليقف على كنوزها وعجائبها إلا إذا ألمّ بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها . وإن الكيمياء الحديثة في حاجة إلى الرياضيات حاجتها إلى التجربة والاختبار، ومثلها الميكانيكا، وهي الأساس الذي شيد عليه صرح الصناعة في هذا العصر ، وقد ازدهرت لازدهارها العجيب . إن هذا العصر هو عصر الصناعة والآلة . وكل هذه في حاجة إلى الرياضيات ، ولا يمكن الاستفادة منها أو تطبيقها على مقتضيات العمران إلا بذلك ، ويمكن القول : « إن مدنيتنا التي ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس العلوم الرياضية » وقد أجاب العالم الأمريكي الشهير (مليكن Millikan) أنه « إذا أردنا من الصرات المكلف أحد القوانين الرياضية التي أوجدها وحققها نيوتن Newton لا نحتاج أن نزيل كل آلة بخارية وكل محرك ومولد كهربائي بل كل آلة تستعمل لتحويل القوة إلى حركة ، لأنها كلها مبنية على هذا القانون الرياضي الشامل » ولسنا بحاجة إلى القول إن نيوتن لم يقصد من ناموسه استنباط آلة بخارية أو سيارة أو طيارة ولكن أليس من المدهش حقاً أن هذه المخترعات وغيرها مبنية على ناموسه وأننا إذا أزلناه تنهدم صرحاً كأنه بيت من ورق ؟ فالصناعة بأنواعها والملاحة والصناعات المختلفة ، كل هذه تحتاج إلى الرياضيات ، ولا يمكنها أن تزدهر وتتقدم خطوات بل إن أساس إنشائها وتقدمها قامت على الأرقام والمعادلات . وما ينقل من هذه بطائر من طور إلى آخر إلى حد ما يتم هنا كما نحسب وكما استطاعت أن تمثل الأرقام والمعادلات في عصرنا أصبحت دقيقة وأقرب من الكمال . فالعلوم على اختلافها وتعددها هي أقرب من الكمال كلما دخلت في ميدان الرياضيات ودخل جزء من المعادلات والأرقام

(نابلس) قدري حافظ طوقان

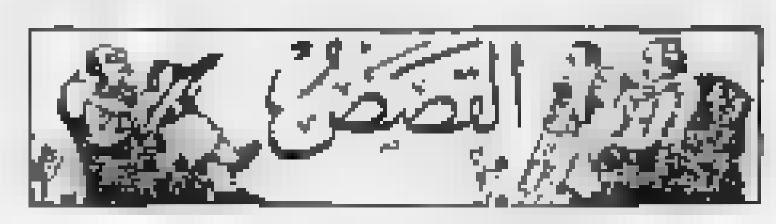


# الدرس الأول

للأستاذ محمد سعيد العريان

« هل كانت « نصرة » في أوليتها تتوقع هذه النهاية التي انتهى إليها أمرُها ؟ »

هكذا سألني صديقي وهو يحدثني حديثها

كانت تجلس في الصف الأخير من حجرة المدرسة ، فقد كانت أطول قامة وأبعد نظراً ؛ فلم يكن عليها ولا يعيبها أن تجلس في الصف الأول أو في الصف الأخير ! على أنها كانت أحسن الطالبات جواباً عند الاختبار ، وأكثرهن متابعة للدرس ؟

فلا جَرَم كانت بذلك أدنى منزلة إلى قلوب معلميها ومعلماتها ، وكانت على إيثار من الأدب والتهذيب ، يجول طرفٌ خفيض ، وصوت خفيض ، ولسان مُهذَّب اللهجة عف الكلام ! وكانت إلى كل ذلك صبيحة رشيقة ، مليحة وَسْطَ من تمسي . كيف لم تُخْفِ ما بها من رشاقة وصحة إلا في تلك الهيئة التي كانت ... حين بدأت حوادث هذه القصة ! ... على أن المعلم في مدارس البنات ، مُكلَّف بأن ينظر إلى وجوه تلميذاته ، ولو سُئل الرأيَ في تفصيل واحدة عن واحدة من بناته في هذا الباب ، لأعيته الرأي والنظر ، ولكانت أدق الصعاب هي عنده الحيلة التي لا يعرفه ولا تقاربها ؛ من طول العشرة ودوام المخالطة حين بات يرى رأيه دون عين الحوب الذي ينظر به كل رجل إلى كل امرأة ؛ ومن ذلك لم يحس في نفسي يوماً أن فلانة من تلميذاتي أجمل أو أدمث من فلانة ، وكذلك لم أكتشف ما كان في « نصرة » من جمال وفتنة إلا في تلك الهيئة ، وإنها تلميذتي منذ ثلاث سنين

• • •

كان ذلك في يوم من أيام الربيع ، وقد تبرَّجت الطبيعة بزينتها ، وأعلنت زخرفها ، ونَصَبَت الكائناتُ في سر الإبداع العبقري الذي أودعه فيها الصانع الأعظم

وكان النام المرضي في أمرِ احتفاله بربيع يحتفلون أو كانوا عما عليهم من تراكم الهم ، ولجب يحتفلون بالجبين احتشدوا ليوم قريب

ورأت المدرسة أن تجري على تقاليدها احتفالاً بالربيع ، على أنها رأت أن يكون في حسبها هذه المرة شيء جديد ، محاكاة لمدارس أخرى ، ومساهمة في بعض أعمال البر ، فافترضت أن يكون احتفالها في مسرح كبير مشهور ، تُدعى إليه طائفةٌ من أهل الفضل والمروءة ، لتستعين المدرسة بما يجمع منهم على البر طائفة من الفقراء

في صفة جديدة حسب بعض القائمين على شئون التعليم تَجْرِبَةٌ ناجحة ؛ فمن تحقَّقُ هذي وقد صبت إلى هذه البدع الجديدة منا من ؟

وأعدَّت المدرسة برنامجاً حافلاً ، فيه تمثيل ، ورقص ، وموسيقى ! وما بدٌّ أن تجتمع هذه الألوانُ الثلاثة في كل معرض مدرسي يراد منه أن يدر إيراداً يجرى على بعض أعمال البر والا فانه لن تدعم المدرسة من وسائل التسلية غير ما تطلب من أهل الفضل والمروءة !

وقالت معلمةٌ لأخرى : يجب أن يكون حفلنا هذا ...

فأجابتها الثانية : نعم ، وسيكون أعظم ما أقيم من حفلات المدارس في هذا الموسم

• • •

واختيرت الرواية ، واستؤجر المسرح الكبير ، ودُعي عددٌ كبير من أهل الفضل ... ليشرف التلميذات على اصطناع شخصيات الرواية ، كل واحدة بدورها ، راقصة أو ممثلة !

وطاف المؤدِّب بالتلميذات في فصولهن يختار منهن ذوات الوجوه والأجسام ... الفتنة !

« يختار » عشرة ؟ أمور ذي خطر

وناداب الفتاةُ بما في طبيعتها من الحياء وما في دمها من إرث أصالتها ، وهب الشابُ من نادى دوره ، وإلى كل واحدة معنى تمتثل ؛ وسمعت عشرة إلى أحاديث الهتاف صامتة ، ثم تتبع نظوراً مسحورة ، وعينيها صورة الأنثى الغيور على ما في دمها من إرث الآباء والأجداد

ووقف المدرِّب بنفسها وسمتمع إليه ، ووقفت هي صامتة تستمع إليه وتحاكيه ، فيحمر بعضها حيناً ويصفر حيناً ... !

وعرفت من مخارج الصوت ما لم تكن تعرف ، ولانت أعطافها بعد حشونة ويبس ، وأحست أن خدرا في عقبيها ، ثم تثنى وتهصر ، وأحسن تمثيل اللفتة المتكسرة والنظرة الساهرة والزفرة الآسرة ، ثم تبكي وتضحك في وقت معا ...

وقال المدرب الفنان : وإنها من غير شك إنها فتاة موهوبة !

وأطبقت الفتاة جفنيها في حياء ، وهي تشكره ، وخفق في كل وجدانها أروع حنانا من عل نحوها !

ولم يمانع أبوها ، وأبى أن تكون اجتهد راقصة ممثلة ساعة في ليلة من ليالي الشهر ؛ ورأى يعوض وحده الاعتراض والمعرضة من التي احترفت التمثيل ؛ وإن المدرسة لأعرف منهما بما يصلح ولا يصلح ؛ وإن عليه وحده أن يختار لابنته من وسائل الرياضة والتثقيف ما يؤهلها للحياة ... !

وجاءت الليلة الموعودة بعد تدريب طويل وإعداد متقن وكان في أبواب المسرح الكبير مصطفون ومصطفات لاستقبال المدعوين ، وغص الجو بالعطور والشرفات بالآباء والأمهات ، والأصدقاء والصديقات ، و ... والزين والزينات ..

وراحت طائفة من الفتيات تجوس خلال الصفوف في ثياب بهيجة ومظهر فاتن ، يبعن الزهر والحلوى مما صنعت أيديهن من قبل ، مساهمة في هذا اليوم ومساهمة في أعمال البر .

... وكانت « فتحية » خلف الستارة بين أخواتها الواقفات مهيأة للظهور ، وأمامها مرآة كبيرة ترى فيها من نفسها ما لم تكن ترى أو تعرف ، وانفتحت الستارة الإعجاب والرهبة حتى وقفت وعرفت .

وخرجت إلى المسرح خطوة خطوة كما لم تخط في يوم من أيامها ، وانسكبت عليها الأشعة من أربعة جوانب المسرح تثب بها وزينتها ملاحة وحسنا ، ووقفت متأهبة .

ورن الجرس ، ثم ارتفعت الستارة ، وضج المسرح بالتصفيق فاندفعت في رشاقة وخفة وهي تكشف عن ساق ممتلئة مصقولة كأنما يجري فيها شعاع الشمس ، وترف ابتساماتها بهجة ومسرة ودعابة بهيجة ...

ولم يكف التصفيق حتى ارتفع صوتها يغني ... والتف بها البنات يرقصن ويغنين .

وغنت ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتأوهت ثم ولت ، واستعطفت ، ثم دنت ، وعتبت ، ثم تأنست ، ووثبت ، وحنت ، وبالت حولها ... وملكت عيون الناس ...

وكأنها لم تدره قبل تلك الليلة ! ... لقد يخلق من جهلها وخفتها ما لم يكن لي به عهد من قبل ! أهذه هي ؟

ولما أسدلت الستارة في الخاتمة ، كان تحت قدميها أكداس من الزهر ؛ وفي أذنيها أنغام من هتاف الإعجاب ؛ ولكن قلبها كان أحفل بمعانيه ... !

وحين لقيها أبوها بعد ، كانت في عينيه دموع ، وطبع على جبينها قبلة .. وأقلتها السيارة بين أمها وأبيها إلى البيت وهي صامتة ، لأن معاني ذلك السحر كانت تهيم برأسها ..

ونامت تلك الليلة بين هتاف وصخب وأكداس من الزهر ؛ لقد كانت عيناها مغمضتين ولكن قلبها يقظان ! وتمثل لها في أحلامها كل ما رأت وسمعت وشربت ، ورقص أحلامها تشبع لها أمانيها ... وتقضت العرس الأول في تلك الليلة ، فضيعت به كل ما سلف من دروس

• • •

لقد ذاقت ثمرة من اللذة الفنية يختفي ما لم تذق طوال سنيها التي عاشت ، فتاقها أن تستزيد

ولما عادت إلى المدرسة بعد يومين ، وجدت ثمة مصطبا وسماتها ، أجد ما عرفت مما أحست في أعماقها سابقا ووجدت فيه غذاء لأمانيها .

... وتناولت ( المجلة ) التي تعودت أن تقرأها في كل أسبوع ، وراحت تعبر صفحاتها صفحة حتى انتهت إلى صفحة ( الفن ) فتمثلت ، وأخذت تنظر إلى صور الراقصات ونجوم المسرح معجبة مفتونة .. وفي أذنها صدى بعيد من هتاف النظارة وتصفيق المعجبين ... !

ولما حان عيد مولدها وأرادت أن تحتفل به على عادتها في كل سنة ، لم يحل له إلا وضع واحد تبدو فيه صورتها ، فلبست ثوبها الذي كانت ترتديه ليلتئذ ووقفت بعض مواقفها واستحضرت صورة ما كان ... فأغنيت في الورقة صورة من مشاهد تلك الليلة ، ووقفت في نظرة عينيها تمام صورة !

ووقفت ذات مساء على باب مسرح كبير من مسارح اللهو تجيل عينيها في إطار كبير يضم شيئا من صور الراقصات ومن

الفن ، وطالت وقفتها ؛ ثم انصرفت ؛ وفي الليلة التالية كانت جالسة في الصف الأول من بهو المسرح تشهد التمثيل وحدها ، ليس معها أحد من ذويها ؛ واستطاعت في ختام الليلة أن يكون لها رأي فيما شهدت من ألوان الفن وفي عيوب الممثلين والفتيات الراقصات ... !

وفي الصباح كانت جالسة إلى بعض زميلاتها في حوش المدرسة تحدثهن حديثاً طويلاً من عيوب الفن المصري في الرقص والتمثيل والغناء ، وتشخص العلة وتصف الدواء ؛ ورأتني صديقاتها على ما قالت ؛ فما تشك واحدة منهن في أن من حق تحية أن يكون لها رأي في الرقص والتمثيل والغناء ؛ ولأنهن لسمعن من حديثها كل يوم ما يشهد بكفايتها وسعة معارفها في تلك الفنون ... !

وتلقت تحية بعد الدرس الأول دروساً كثيرة ، في المسرح والسينما ، والصحف ، والكتب ؛ وما نسيت مع كل أولئك شيئاً مما رأت في تلك الليلة التي كانت ... لقد استقرت في أعصاب أصدقائها الفتيات والمعجبين التي صحبت للفتاة ... وبين كلمات الإعجاب والزهرة التي رمتها أرجاها ، وصورتها بين الأشعة الملونة تنعكس عليها من جوانب المسرح وتحت قدميها أكداس الزهر

وبقي كل أولئك في قلب ... أحلامها ... ال بين أشعته وأزرائه ، فإنها لتعد لقد كبرت فتية تحت عينيها حولها وتجده وقد في كل يوم أمامها

• • •

وانقضى عهدي بتحية وانتهى عهدها بي ؛ فقد تركت درسها بالمدرسة ومضت لشأنها ؛ وتصرمت سنون ... ونسيت أمرها وما كان

— وفي ليلة من ليالي الصيف الماضي ، دعوت أهلي إلى سهرة في بعض ملاهي الإسكندرية ، مدة التسلية والرياضة ؛ ووقفت بباب الملهى القائم بين الأمواج للمصحية ، أقرأ البرنامج المنشور على الباب وأشاهد الصور ؛ وأعجب صورة ، فيحسن في نفسي هاجس لم يبلغ إلى تلاشي

ومضينا ، واتخذنا مقاعدنا على مقربة من المسرح ... ومضت لحظات ، ثم رن الجرس ورفع الستار ؛ وكانت المشاهد فقرة توقظ الفكر وتجدد صبا النفس وتسرّي من الهموم ؛ وجاء دور أماني مشهد رائع ... والله ... أمن كان يظن ... ! هذه تلميذتي تحية ... !

وعجب لي في مثل عجب التي رأيت أهلها سنين في المسرح الكبير في القاهرة منذ سنوات .

ثوب مطرّش ، كأنما اجتمعت أجزاؤه من أوراق الزهر ، يكشف عن ساق عطلة مصمرفة كأنما يجري فيها شعاع الشمس والحسن في رشاقة وحده ، وهي تنثر ابتسامها يمنة ويسرة ، ترد تحية بتحيه ، والمسرح يضج بالتصفيق والهتاف باسمها الجديد الذي عرفته لأول مرة في تلك الليلة

ومضت ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتناومت ثم قالت ، واضطجعت ثم ولت ، ورقصت ثم ثابت ، ومضت ثم ولت ... وكانت عيناها ... وكانت عيون الناس ... وقالت لي نفسي .

وانتثرت أكداس الزهر على قدميها ، وأسدلت الستارة بيننا ليت شعري ، هل كانت تحية في أحلامها تتوقع هذه النهاية التي انتهى إليها أمرها ؟

وهل كانت خواطرها تتمثل لها هذا المصير الذي جلته ، يوم كانت تجلس منتصبة في الصف الأخير في حجرة الدراسة ؟

وهل ... وهل عرفت من عرفت ؛ كم بين الدرس الأول والدرس الأخير ... وأي ما هذا مما انتهى ... !

• • •

وانفض الناس ، وتهيأ أهلي للانصراف وما زلت في مجلسي أفكر ، ثم نهضت ؛ فإني لألتمس طريقي في الزحام عن الباب إلى جانب من الشاطئ رأيت ؛ تتنحى عن طريق ... وكانت التي بجانبي تضحك ؛ وكانت سيدة وزوجها ومعهما طفل ؛ أما السيدة فأعرفها ؛ في عيني منها ملامح عرفتها من قبل ، ما زادت عليها إلا ما جد بعد الزمان ؛ وأما الرجل فزوجها ؛ هكذا يعرف كل من يراه ويراهما ؛ وأما الطفل ...

... هذه فتاة أخرى من تلميذاتي تعود إلي بعد غياب سنين ... هذه واحدة و ( تلك ) واحدة

ليت ( تلك ) التي توارت خلف الستارة منذ قريب قد رأت ما رأيت ، نعم ما أنا بلغت وما انتهيت ... !

وشيعت ( الأسرة السعيدة ) بعيني ، ثم رددت نظري إلى الوراء لأشيع الأخرى

وكأنما اجتمعت لي هاتان الصورتان في زمان ومكان لتشغلني أسبابهما من بعد ، فلا أزال أسائل نفسي كلما حضرتني الذكرى : أيهما خير ... ؟

[illegible] سعيد العريان

## الجندي المجهول

[ عن مجلة العصبة الجديدة ]

كم بين ملايين الجنود الذين التهمتهم الحرب العالمية الماضية من اختفت آثارهم فلا صليب يدل على رفاتهم ولا علامة تدل على قبورهم. أولئك هم الجنود المجهولون الذين تركوا أعمالهم وأسماءهم وبذلوا دماءهم من أجل أوطانهم فإذا هم بعد حين شيء ضائع فلا ذووهم يعرفون مثواهم ولا وطنهم يعلم مصيرهم

على أن ذلك الجندي المجهول الذي فرض عليه الواجب الوطني التضحية بنفسه غير مذكور قد لقي بعد موته تكريماً لتضحيته لم يعد للأبطال، واحتراماً لذكراه لم يظفر به الشهداء، رفعت له الأنصاب التذكارية الضخمة، وأقيمت له الأضرحة الرمزية الفخمة فأصبحت مزاراً عاماً يحج إليه الناس يذكرون البطل المنسي ويؤدون له الولاء وأصبح الآن يجسموا التضحية

ومن هو الجندي المجهول؟

«هو ابن كل الأمهات اللواتي فقدن أبناءهن ولا يعرفن مثواهم»

هذا هو تعريف «الجندي المجهول» الذي اصطلحوا عليه بعد الحرب. أما الفكرة فمنشؤها فرنسا، ومن اليوم أنصاب وأضرحة ترمز إلى التضحية الصامتة وتمثل الشرف الوطني

في سنة ١٩٢٠ أصدرت حكومة الفرير جورج ليج القرار التالي:

مادة أولى — يتناول شرف «البانثيون» رفات أحد الجنود المجهولين الفرنسية الذين ماتوا في ساحة الشرف في خلال ١٩١٤ — ١٩١٨

مادة ثانية — تدفن رفات «الجندي المجهول» تحت قوس النصر

وتم تنفيذ ذلك القرار بحفلة ... حضرتها هيأة الحكومة وقواد الحرب وقد كتب على الضريح العبارة التالية.

«هنا يرقد جندي فرنسي مات من أجل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨»

واقتفت الدول الأخرى في ذلك بعد الحرب أثر فرنسا، ففي بلجيكا ضريحان أحدهما للجندي المجهول الفرنسي والآخر للجندي المجهول البلجيكي وكتب على الأول

«هذا الضريح يضم رفات جندي فرنسي صرع في بلجيكا (ناحية يبر) في عصور ١٩١٤ — ١٩١٨ في عهد الملك ألبير إكراماً بلجيكا للجندي الفرنسي المجيد»

وكتب على الآخر:

«هنا يرقد جندي مجهول بذل حياته في سبيل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨»

وفي قصر وستمنستر بلندن الذي يضم رفات ملوك انكلترا وعظماء رجالها تقرأ على قبر الجندي المجهول الكتابة التالية

«تحت هذا الحجر يرقد رفات جندي انكليزي مجهول الاسم والرتبة جلب من فرنسا ودفن هنا بين رفات أعاظم رجال الوطن يوم تذكار الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩٢٠ باحتفال وطني كبير حضره جلالة الملك جورج الخامس ووزراء الدولة وقادة حربيه. وهكذا يذكر الرجال الذين بذلوا في خلال الحرب الكبرى ١٩١٤ — ١٩١٨ كل ما يستطيع امرؤ أن يبذله الحياة نفسها من أجل الله والملك والوطن والأهل والدار والامبراطورية، وأخيراً من أجل قضية العدل المقدسة وحرية العالم»

وفي مقبرة أرلنجتون بالولايات المتحدة كتب على ضريح الجندي المجهول ما يلي

«هنا يرقد في مجد وشرف جندي أمريكي لا يعرفه غير الله»

وفي إيطاليا بني ضريح الجندي المجهول إلى جانب نصب روما، وهذا ما كتب عليه:

«جندي مجهول» — سليل شعب باسل ومدينة ألفية، ثبت بلا وجل في الخنادق، ومضى في بطولة في أعنف المعارك، ووهب حياته ولا أمل له إلا النصر من أجل عظمة وطنه — ٢٤ أيار ١٩١٥ — ٣ نوفمبر ١٩١٨»

وفي تشكوسلوفاكيا عاصمة براغ يحمل قبر الجندي المجهول العبارة التالية:

« هنا يرقد الجندي المجهول الذي مات من أجل الوطن »

وفي البورتغال كتب الكلام التالي :

« من البورتغال الخالدة براً وبحراً إلى جثمان المجهول الذي مات من أجل الوطن في الحرب الكبرى ١٩١٤ - ١٩١٨ »

وفي مدينة كارول برومانيا أقيم قبر الجندي المجهول ، وكتب عليه :

« هنا يرقد الجندي المجهول ، الذي ضحى بنفسه في سبيل الوحدة الرومانية . إن رفاته مدفون في أرض رومانيا الكبيرة ١٩١٦ — ١٩١٩ »

وفي بوسولابا على جبل أوفالا الذي يبعد نحو ستة عشر كيلومتر من العاصمة بلغراد ، أقيم القبر الذي يضم رفات الجندي المجهول وكتب عليه :

« إلى الجندي اليوغوسلافي المجهول الذي لم يعرف وطناً »

وفي مستشفى براغا ضحى كرعي قدم أمام فيه الثالث عشر جثمان الجنود الذين ماتوا في معركة زبوروف ، حيث انتصرت فرقة تشاكية على الروس وأسرت منهم ألف جندي

## ماذا تستهويه المرأة الرجل ؟

الشعب الأمريكي ولوع بالإحصاءات الغريبة، والإحصاء التالي قامت به لجنة من هيئة الاستطلاع بعد ملاحظات واستجوابات مستمرات تمت في مختلف المدن الأمريكية

إن الرجال ، بناء على الإحصاء المذكور ، يستهويهم في المرأة الأعضاء والأشياء التالية

من ألف رجل ٥٠٠ رجلاً يستهويهم في المرأة شعرها ، و ٢٠٠ عيناها ، و ١٠٠ عنقها ، و ٥٠ ملابسها ، و ٣٠ يداها ، و ٣٠ رجلاها ، و ٢٠ عطرها ، و ١٠ شعرها ، و ٥ صوتها . أما الخمسة عشر الباقون من الألف فهم الذين يقتصر حبهم للجمال ويعجبون بالمرأة مجردة دون أن يلتفت أنظارهم شيء ما

## مسابقة الجمال

« إن المسابقة الرسمية التي لم تحسب الأزمة المالية حسابها هي مسابقة الجمال التي يدخلها الجنس اللطيف ويجيء بنفقته ، ما تكلفه

من الولايات المتحدة ... على من ... مليون دولار أو ٢٠٠ مليون فرنك سنوياً

وهذا إحصاء رسمي لا مسالة فيه ... في العالم كله ؟ في أوروبا ما أنفق النساء ... على أدوات ... ما ينفقنه في أثينا .

أما هذا الإسراف فسببه الرئيسي الحرية الواسعة المطلقة التي تتمتع بها المرأة في عصرنا والتي تمنحها أقل تصوراً من الجهة حسب للأمسية

ولكن هل نساء اليوم أجمل من نساء الأمس ؟ وهل في وسع النساء أن يصبحن جميلات ؟

فجوابي عن السؤال الأول ، أن الجمال يختلف باختلاف النظر والقلوب ؛ فمن الناس من يفضلون الورد على كل أنواع الرياحين ، ومنهم من يفضلون أخطر الأزهار على الورد . وإنما لا ينكر أن المرأة العصرية قد استطاعت أن تحافظ على رونق جمالها حتى في كهولتها بأساليب التجميل الحديثة

أما جوابي عن السؤال الأخير فينحصر في « لا » لأن جمال المرأة لا يتوقف على مظهرها الخارجي بل على جمال نفسها أيضاً ؛ فالنفس هي كالإناء الذي ينحصر جماله في شكله الخارجي وقد يكون في داخله عشا العقارب »

## شيء عن الكروانات

ليس الكروان على الإطلاق أجمل الطيور شكلاً ، وإنما يمكن وصفه لأجل صوته وطبعه ، وتغلب على ريشه الألوان الرمادية . والكروانات في ذلك مثل العصفور والأسود ، فهي لا يتقبل بعض الألوان أو يقتني منه كثيراً وربما سبباً للتبرك ، وربما يأخذ اللون بسهولة وسرعة ، وربما ما يصطبغ بلون دون غيره . وطرق تطور الكروانات وتغيرها بصورة مدهشة أصبحت علماً قائماً بذاته وعجب شعب مهمه كون العالم الإنساني يظهر كيفية صبغ بأعلى المثل

لا بد للكروانات لكي تعيش وتنمو من بيئة موافقة وغذاء ملائم ، وهي تتجدد وتزدهر كما ينمو ويزدهر النبات في مستقره

سائل أو جامد . والحرارة ضرورية لحياتها ونموها ، وأصلح درجة للجراثيم المرضية حرارة قريبة من حرارة الحيوان الذي يصاب بها وهي نحو الدرجة ٣٧ فوق الصفر ، ومنها ما يعيش في جليد القطب الشمالي

والمشتغلون قد يوصدون للميكروب درجة ، ولكن أقلها من قبل ، ويقولون : ميكروب لا ينمو إلا بدرجة ٣٩ لكنه لا يموت إلا بدرجة ٥٠ ويموت بدرجة ١١٠

أما البرد فهو أقل فتكاً بالميكروب ، فميكروب الجمرة يتحمل درجة ٩ تحت الصفر دون أن يفقد خواصه التخمرية ، وميكروب الجدري أي مرض الأطفال والمادة الخبيثة يبقى حياً عشرين ساعة بدرجة ١٣ تحت الصفر غير أن ميكروبه نفسه لا يقوى بعد بأن لم يمت يفقد قوته

وللنور تأثير كبير في الميكروبات فهو أكبر عدو للجراثيم وقد عرض الجراثيميون لذلك النور ميكروب الجمرة وغيره أيضاً الذي يموت بعد ثلاثين ساعة على تعرضه لنور الشمس ، ونور الشمس أسرع في الميكروب إلى درجة جعلها أقل خطراً وأقواها . أما ميكروب السل فإذا سلط نور الشمس عليه فيموت في مدة بعد ساعتين ، وفي الصباح بعد ٤٨ ساعة ، ولكنه في الظلمة أو الأماكن الرطبة لا يموت إلا بعد أشهر أو سنين

ومن عمل الميكروبات في طبيعتها وتأثيرها في أجسامها وغذائها وحولها ولولاها ما كنا نتصور ولا نفهم كيف يتحول عصير العنب إلى نبيذ ويصير سكراً ، أو كيف يصير الخمر خلاً أو كيف تتلاشى الجثث ولا يبقى منها أثر بعد أيام ، فإن الميكروبات هي سبب ذلك بما تحدثه من الكيمياء ، فتحللها إلى غازات وتراب

ومن الميكروب ما يخرج من ... روائح عطرية ، ومنها ما يفرز مواد ملونة كلون ميكروب الصديد الأزرق ... رائحة مائلة إلى الزرقة

أما نمو الميكروبات وسرعة توالدها فأمر مدهش ، وقد يوجد في نقطة من السائل الواحد ملايين من ميكروب السل ، فالميكروب الواحد إذا وافقته البيئة قد يصبح في يوم واحد عشرات الملايين

« البقية »

## مصر ولغة الضاد

كتب الأمير الجليل « مصطفى الشهابي » وزير معارف سورية سابقاً مقالاً نشر في عدد أبريل من (المقتطف) الأغر عنوانه « مصر ولغة الضاد » . واشتمل في مجموعه على غيرة طيبة كريمة لإعزاز اللغة العربية ، واقتراحات عملية لنهوض بها حتى لا تتخلف من مصر في التقدم لتمضي معه جنباً يحقق من بعد كبير لجعل اللغة العربية مسايرة للنهضة العالمية الحديثة وما يجدّ من النهضات

وفي المقال عتب على المصريين (لأن الوسائل الأدبية والعلمية التي جمعت لهم تمكنهم من النهوض بأسمى الأعمال التي نهضوا بها حتى الآن في موضوع اللغة العربية) و(لما كان العرب منها يذكر لم حمية سائر الآباء والأجداد ، فهم يرام مقصرون في الخدمة)

وهذا العتاب الكريم هو عتب الأخ الودود ، لا عتاب الخصم اللدود ، وعتاب المحب لا عتاب الشحيح . فهذا يستحق منا المقال الخاص من أمير عربي كريم أن نعلق عليه بكلمة قصيرة على صفحات (الرسالة) الغراء . وجمهور (الرسالة) سيتبين ، أما الأولى فلأنني — سمو الأمير أشار إليه في مقاله لما قرأه في العدد (٣٥٦) منها من أن في نية الحكومة المصرية تحرير المجمع بنحو عشرة أعضاء مصريين يتصفون من كبار المشتغلين بالبحوث العلمية . وأما الثاني فلأنني وجدت أن أمين لي لم يطلع على مقال الأمير في المقتطف عرضه في (الرسالة) حتى يعرف رأي أمير عربي في نصيب مصر من خدمة اللسان العربي ، وما ينتظر منهم لإتمام النهضة ، وكان في حفظ تراث الآباء والجدود ما يصح أن يسمى نهضة

والأمير لا ينكر على بعض الأدباء المصريين اعتدادهم بما أتيح لهم من فضل في الأدب . ولا ينكر على بعضهم أنه غلا في المديح وأفرط في الثناء ، (فمصر عنده يجب أن تكون مبعثة الأدب ، وحليقة بأن تكون قلب بلاد العرب) . ولما كان هذا رأي الأمير في مصر ، فهو يشير — كما لا يخفى على صاحب الذائع — أن غيرها من البلاد العربية كلها يجب أن تشعر بما تحس النهضة بمصر . ولا تنسى هؤلاء الناهضين في الأقطار الأخرى غير الكرام في الشعر والنقد والأدب ، فقد حملت ثروة حقيقية خالصة إلى التراث العربي بعد حين . ويكفي أن نعد منهم على سبيل المثال أمين الريحاني وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي والياس فرحات والمرحوم جبران وأمثال جبران — على حد تعبير الشهابي —

وللأمير اقتراح طيب ، وهو اتخاذ قرار حكومي يقضي بأن تكون جميع إعلانات المتاجر مكتوبة بالعربية . وليس في تنفيذ هذا الاقتراح صعوبة عملية

ويجد الأمير الشهابي في بعض كليات الجامعة المصرية بين العربية وهو انتقاد له وجاهته وخطره ، فإن العربية لم تثبت بعد جدارتها من أن تكون لغة العلم . وليس الكلام هنا على [illegible] ، فقد أثبت المعهد الطبي في دمشق صلاح الطب العربي لعلم الطب مع التشكيل فقط بالعربية . ولم يكن قول المرحوم حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية

وما ضقت عن آيٍ به وعظاتِ

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعات ؟

أنا البحر في أحشائه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

لم يكن هذا القول خيال شاعر ، وإنما هو حقيقة أدركها حافظ المتبحر في اللغة والأدب

ويشير الأمير إلى (الرسالة الغراء) لما نشرته خاصاً بنية الحكومة تحرير المجمع بعشرة أعضاء مصريين ، ويشك في قدرة هؤلاء العشرة على وضع معجم عربي يتوفر فيه الألفاظ تعريفاً جامعاً مانعاً كما في معجم لاروس الفرنسي . وللأمير الشهابي أن يقول إنه يعني ، الذين سيتم انتقاؤهم من العرب . فإن كان هؤلاء العشرة — غير مستكملين — عاجزين عن وضع معجم عربي أو ميكي حديث ، فليس معنى هذا أنهم يعجزون عن وضع معجم عربي عام ، فالأول عمل عظيم يحتاج إلى زمن طويل وصبر طويل وجهاد طويل ، أما الثاني فهو عمل يحتاج إلى القليل من الصبر وكثير

من التنظيم – بل وحس المعجمات العربية – رحمهم الله وأحسن إليهم – كان يتسمم كثير من « الفن التطبيقي » الواسع للمعجم

أن من تمّ الأمير الجليل في أن معجمات قديمة لا تشتمل على كل لغة ولا تعرف الألفاظ العلمية تعريفاً جامعاً وقد وضع لي بحث منها كل يوم بعد التعريف ( نبات معروف ) أو ( حيوان معروف ) والله يعلم أنه مجهول إلى الأبد وأزيد عليه أن معجماتنا وعرابية كالإنجليز مطالقة كالسكولنشرك فبعضها يذكر النبر ( ــــــــل ) الثلاثي إنكاراً صريحاً ، وبعضها يذكر النبر ( احدى بالرباعي إنكاراً صريحاً وغير ( ــــل ) الثلاثي إنكاراً مطلقة والقارئ يقف متحيراً بين الاثنين ثم لا يسعه إلا أن يستصحب معاً ، لأنهما صحيحان على التعريفين ... ومن هنا جاءت ظاهرة ( احتيار للهوجة اللغوية ) أو عدم التماسك وهذا ما ساعد على بعث دراسة العربية أو تدريسها ولعل أوفق إلى الكتابة عن هذه الظاهرة في الآتي من أعداد الرسالة الغراء

محمد عبد الغني حسن

أستاذ الأدب بالمعهد ...

## في مجمع هواة الفنون الجميلة بالإسكندرية

ألقى الأستاذ الشاعر عثمان حلمي مساء الجمعة ٥ إبريل الجاري بصالة المحاضرات بجمعية هواة الفنون الجميلة محاضرة تناول فيها الحياة الأدبية في الإسكندرية خلال ربع القرن الماضي وعرض لكل شاعر وأديب أنجبته هذه الفترة عرضاً أدبياً

وقد أعقب الأستاذ المحاضر نخبة من كبار الأدباء في الثغر فأدلوا بآرائهم في موضوع المحاضرة وملاحظاتهم على الأستاذ المحاضر فتكلم الأستاذ عبد اللطيف النشار عن الأدباء السكندريين الذين يرحلون إلى القاهرة مصراً أيام سكندريين وهم اتخذوا مهبطاً ومقراً أدبهم أدباً سكندرياً

وتبعه الأستاذ محمود عوض الصحراوي فعرض لناحية أخرى من الموضوع إذ تكلم عن مدى تقدير هذا الثغر وأهله للأدب والأدباء مع إلمام بمدة ذلك الجمود الذي يحس في الحياة الأدبية السكندرية الآن ثم تكلم الدكتور إسماعيل أدهم فعرض الموضوع من ناحية أخرى حاول أن يقرر بها أن العوامل التي ساعدت على ازدهار الأدب في الثغر ليست عوامل محلية ، ولكنها عوامل خارجية أتت إليه من سوريا وغيرها من البلاد عن طريق النازحين إلى الإسكندرية من بلاد الشام

وبعد حدثت بينه وبين الأستاذ الصحراوي مناقشة ظريفة في هذا الصدد أعقب الأستاذ النشار بكلمة أخرى وهنا قد نهض الدكتور أحمد زكي أبو شادي إلى الإدلاء برأيه في الموضوع فتكلم الدكتور أبو شادي وعرض للمسألة في أناة وهدوء ، وزاد بأن جو الإسكندرية من تأثير في وجدان الشاعر وحسه ، وبذكر أشياء من خصائص الأستاذ عثمان حلمي كشاعر سكندري ، ثم تكلم الأستاذ حسن كامل كلمة خفيفة أنهت بها هذه المناقشات الحادة في هذا الموضوع

وأعقب ذلك حفلة سمر اشترك فيها قسم الموسيقى بالجمعية ، وألقى بعض أبناء الثغر قصائد في الربيع ، ثم انتهت الحفلة بالسلام الملكي

## تصويب

جاء في مقال الأستاذ علي الطنطاوي في عدد الرسالة الممتاز عند الحديث « بسطري رجال المأمون » ، فعجبت منها أشد العجب !

ذلك أن عقل الأستاذ في معنى « المأمون » وهو « البحر » فيه موضع يطلق أو دعاء .

وسبحان من تفرد بالعصمة والجلال ...

البصرة علي الحريب إسماعيل

## بين أما وعما

إلى الأستاذ الكبير مؤلف « النحو والنحاة »

أجمع النحويون في إعراب « أما بعد فلان » على تأويل « أما » بمهما يكن من شيء ، وإنما سهّل إلى هذا وجوده الشرط في الكلام – ومعنى من قبل الشرط وأداته فلم يجدوها فأوّلوا « أما » بمهما يكن من شيء ، وجعلوا جملة « فزيد منطلق » جواب الشرط ، وهذا تأويل لا غبار عليه من حيث تأدية المعنى

ولكن الذي لا يستطاع هو أن تكون « أما » العربية التي لا تركيب فيها كما يجمعون دالة على هذا المجموع كله

والرأي أنه أما تدل بسيطة وليست دالة على ( مهما يكن من شيء كما زعم النحاة ) وإنما هي أن الشرطية و« ما » التي تعني

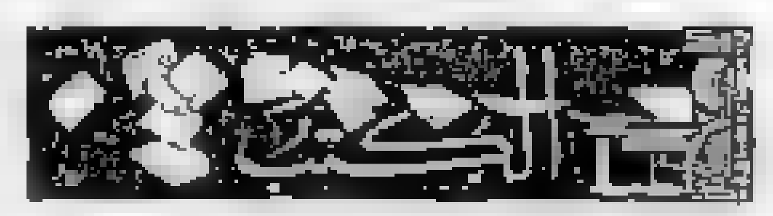

# المطبوعات العربية القديمة

## في سنة ١٩٣٩

للأستاذ كوركيس عواد

ظفرت المؤلفات العربية القديمة في سنة ١٩٣٨ بنفر كبير من نشر ... طائفة حسنة ، ... لا ... ولا عجب أن تكون جهود الفضلاء والباحثين المبذولة في سبيل إحياء تلك السنة قد جلت بنتائج جديدة في مناحي الثقافة العربية ، فتقشعت بعض غمائمها وكشفت كنوزها ، تلك الكنوز التي ظلت طوال قرون عديدة بعيدة عن المطابع والانتشار ، محجوبة في بعض خزائن الكتب ، طامسة في ظلام الإهمال والنسيان

أما كيف كتب لتلك الكنوز أن تحيا حياة ثانية ، وقدر لها أن ترى ... من إفضال الفضلاء والباحثين وعنايتهم ما يستحقون عليهما أوفر الشكر وأعطر الثناء

---

شيء ، وأصلها (إن ما) وأن يجمع الضمير شرطه وهي (إن) المكسورة ... كما يرى الكوفيون ، ورجحه صاحب النحو ... في ... برجاحة ... و (ما) نكرة تامة بمعنى شيء إلا أنه ... (أن) حرف شرط فلا يليه إلا فعل فأين هذا الفعل وكيف تقديره ؟

الجواب أن الفعل محذوف تقديره (كان) كما قدره النحاة في (إن خيراً فخير) فتقدير التقدير (إن كان خير)

فتقدير (أمّا) — إن كان شيء — فكان تامة مع الشرط وشيء فاعله ، والجواب هو الجملة المقترنة بالفاء ، فتقدير (أما زيد فمنطلق) إن كان شيء فزيد منطلق ، أي إن يوجد شيء فزيد منطلق

لقد وقف الأستاذ الكبير محمد عرفه من النحاة الأقدمين موقف ... الآثار

فهل يظفرون بجماعة البارع في موقفي هذا الذي أتقدم به إليه ، وإلى ... رأيه الفاضل

كرم فريح المقدسي

تم تمتاز سنة ١٩٣٩ ، فأصيبت المطبوعات العربية القديمة في أثنائها حظاً حسناً ونكبت حركة لا تكاد تذكر أمام ما كان يجري حركة النشر التي شهدتها ... ولعل أوضح الأسباب لهذا التناقص ، ما كان ناجماً من الأحوال السياسية المضطربة التي أحدثت بكل المرافق ، وأحدثت ... للتوزيع والأعمال ، وبسببها حركة النشر كما لا يخفى .

وقد خطر لي أن أجمع ما نشرته المطابع من هذه الكتب العربية القديمة خلال السنة المنصرمة ، أعني بها سنة ١٩٣٩ ، فإذا هي ... ، يبلغ في عددها نحو خمسة وثلاثين كتاباً ، منها ما يتكون من مجلد واحد ، ومنها ما يتكون من بضعة مجلدات ، كما أن بينها عدداً آخر يكاد ... أو يتظاهر ... بعض حلقات في سنين متعاقبة والعمل على إصدار ... لا يزال مستمراً

ونحن على يقين أن عدداً من هذه الكتب طائفة ، قد يكون ... منها ما نشر في المغرب أو في إيران أو في الهند أو في غيرها من الأقطار . ومرد ذلك بعض العسر فإن كثيراً من المطابع أو المكتبات أو مراكز النشر في البلدان الشرقية تفرط أشد التفريط في إصدار الفهارس المتضمنة من الكتب ، ونشر التراجم التي ... وترشد القارئ ، من حين إلى حين ، إلى ما يصدر من تلك المطبوعات فتيسر له طريق الحصول عليها والانتفاع منها

ومما يذكر هنا أقول إن شركات الكتب في البلدان الغربية قد قطعت شوطاً بعيداً في هذا المضمار وأمعنت في تحسين ... وتنظيمه ، فلا يكاد يصدر كتاب من الكتب حتى ترى الإعلانات عنه ... في كل الصحف والأوساط التي يُنتظر منها أن ... ، وترى تراجم الكتب قد أتت على ذكره مبيّنة أهم أوصافه ، ... على شيء من أمر هذا الكتاب ... الإعلان عن الكتاب الواحد ... شكلاً وأساليب مختلفة ، فإن لم يصب أحدها الذي من ... فقد يكون من ... ما يجذب الطرف ... !

هذا من الوجهة التجارية . وهناك في هذا السبيل ناحية ... الأمر من هذه الناحية : فقد يعمد بعض العلماء إلى ... ما نشر في منحى من مناحي البحث والتفكير في أوقات معينة أو غير معينة ، ... بأيسر الطرق وأوضحها ... في ... أو ... من المطبوعات التي لا تقتصر

على الكتب فحسب ، بل تعداها إلى الرسائل والمقالات أيضاً وعلى هذا النحو يجدون السبيل أمام هؤلاء القراء

وما كنا نذهب بعيداً ، وأمامنا الآن ثلاثة أجزاء من نشرة صغيرة جريئة النافع يصدرها المستشرق مائر L. A. Mayer بمؤازرة جماعة من أرباب البحث ، عنوان : جريدة منشورات الفن والآثار الإسلامية Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology وهو ضرب خاص أصدر مؤخراً ، نشرة شبيهة بذلك ، غير أنها تعنى بالكتب أو المقالات التي ظهرت في فروع المسكوكات الإسلامية ، ومن نصري خدمة تذكر فتشكر وهل هنا شيء كثير يصدر في بلاد العربية ونحن من منه محرومون !

من لا يرى معي بحثاً من ذوي الاختصاص ، من يتقدم كل وملاءة ، من وقت لآخر ، بتصنيف مثل هذه الفهارس التي من شأنها أن تضع أمامهم مسالك البحث ، وتذلل لهم بعض المصاعب ، وتطلعهم على أهم ما ينشر في الفروع التي يشتغلون به

وفيما يلي ثبت موجز بالكتب العربية القديمة التي ظهرت في سنة ١٩٣٩ ، وهو كل ما استطعنا الوقوف عليه. وقد كان بودنا أن نصنفه تصنيفاً موضوعياً ، كما هو الأصح في مثل هذه الشؤون ، غير أنها لما كانت قليلة العدد آثرنا أن نرتبها بحسب حروف الهجاء ، مع الإشارة إلى سنة وفاة مؤلفيها ما أمكن[1]

١ — الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، لبدر الدين الزركشي ( ٧٩٤هـ ) نشره الأستاذ سعيد الأفغاني ( المطبعة الهاشمية ـ دمشق ، ٢٢٨ ص )

٢ — الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى الحنبلي ( ٤٥٨هـ ) نشره الأستاذ محمد حامد الفقي ( مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ، ٢٩٢ ص )

٣ — أزهار الرياض في أخبار عياض ، للمقري ( ١٠٤١هـ ) نشره الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ، ج + ٣٧١ ص )

٤ — أسرار البلاغة في علم البيان ، لعبد القاهر الجرجاني ( ٤٧١هـ ) ، نشرة ثانية مطبعة دار المنار — القاهرة ، بتصحيح الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ الشنقيطي ( ٣٨٠ ص )

٥ — الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ( ٣٥٦هـ ) الجزء العاشر ، نشرة دار الكتب المصرية في القاهرة ، وهي كسابقتها من حيث العناية بالحواشي والفهارس ( الأجزاء ١ — ٩ ظهرت خلال ١٩٢٧ — ١٩٣٦ ، والكتاب لا يزال )

٦ — الإمتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ( ٤٠٠هـ ) الجزء الأول . نشره الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة )

٧ — أنساب القبائل العراقية ، للسيد مهدي القزويني الحسيني ( ١٣٠٠هـ ) نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف ( العراق ، ٩٠ ص )

٨ — البداية والنهاية في التاريخ ، لابن كثير ( ٧٧٤هـ ) الجزء العاشر ، مطبعة السعادة — القاهرة ( الأجزاء ١ — ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لا يزال )

٩ — البلدان ، لابن واضح اليعقوبي ( المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ ) نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف ، ١٣٢ ص

١٠ — بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، للقاضي حسين بن أحمد العرشي ( المتوفى بعد سنة ١٣٣٠هـ ) نشره العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع حواش ، وملاحق ، وفهارس ، ومقدمة بالفرنسية ( مطبعة البربري ـ القاهرة ، د + ٤٤٣ ص )

١١ — بيان مذهب الباطنية وبطلانه ( منقول من كتاب قواعد آل محمد ) لمحمد بن الحسن الديلمي ( ألف كتابه سنة ٧٠٧هـ ) نشره المستشرق شتروطمان ( R. Strothmann ) مطبعة الدولة ـ استانبول ، ي + ١٣٢ ص ( المنشورات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية ، رقم ١١ )

١٢ — تاريخ ابن الفرات ، لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ( ٨٠٧هـ ) المجلد الثامن ، نشره الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين ( المطبعة الأميركانية ـ بيروت ، ٢٨٤ ص ، في هذا المجلد حوادث السنين ٦٨٣ ـ ٦٩٦هـ ، والمجلد التاسع منه نشر في قسمين سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ ، فيهما حوادث السنين ٧٨٩ ـ ٧٩٩هـ )

١٣ — تاريخ الطبري ، لابن جرير الطبري ( ٣١٠هـ ) نشره محيي الدين عبد الحميد ( ٨ أجزاء ، مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة )

١٤ — تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي ( المذكور في رقم ٩ ) نشرة المكتبة المرتضوية بالنجف ( ٣ أجزاء ، ٧١٢ ص )

١٥ — التبصير في الدين : لأبي المظفر طاهر بن محمد

---

[1] وضعنا بين قوسين سنة وفاة المؤلف ، و ( ص ) ومختصراً عن ( صفحة )

الإسرائيلي . نشره الأستاذ محمد صبح التميمي (مطبعة النهضة نهج باب المنحدون — تونس ، ١٨٤ ص)

١٦ — الحيوان : للجاحظ (٢٥٥ هـ) . الجزء الثالث ، نشره الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، بتماثيل وشروح وفهارس (مطبعة مصطفى الحلبي — القاهرة ، ٥٨٤ ص . الجزء الأول والثاني صدرا سنة ١٩٣٨ ، والكتاب لم يتم)

١٧ — ديوان ابن الساعاتي : لبهاء الدين أبي الحسن علي ابن الساعاتي (٦٠٤ هـ) . الجزء الثاني ، نشره الأستاذ أنيس الخوري المقدسي (المطبعة الأمريكية — بيروت ، ٤٣٧ ص . الجزء الأول صدر سنة ١٩٣٨)

١٨ — رسالة ابن [illegible] لابن الفقيه الهمداني (المتوفى في أواخر القرن الثالث هجري) نشرها على الأصل المستشرق كراتشكوفسكي Krachkovsky في بحث مع ترجمة ومقدمة وشروح وتماثيل بالروسية . كما أن فهارس الشروح موضوعة بالروسية والعربية

١٩ — رسالة موسيقية : لمؤلف مجهول (قدمها إلى السلطان العثماني محمد الفاتح ، الذي حكم أثناء ٨٥٥ — ٨٨٦ هـ) . ترجمها دي رلانجيه Baron Rodolphe D'Erlanger إلى الفرنسية ونشر هذه الترجمة (دون النص العربي) في الصفحة ١ — ٢٥٥ من المجلد الرابع من مجموعة في الموسيقى العربي La Musique Arabe المطبوع في باريس لدى المكتبي بول غوتنر

٢٠ — السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزي (٨٤٥ هـ) . القسم الثالث من الجزء الأول ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة مع تماثيل وملاحق وفهارس كاملة في هذا القسم والقسمين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ، ٢٣٤ ص . في هذا القسم حوادث السنين ٦٧٨ـ ٧٠٢ هـ . أما القسمان الأول والثاني من الجزء الأول فقد صدرا في سنة ١٩٣٤ـ١٩٣٦ والكتاب لم يتم)

٢١ — سيرة أحمد بن طولون : لأبي محمد عبد الله بن محمد البلوي الذي ألف كتابه بعد سنة ٣٦٢ هـ . نشره الأستاذ محمد كرد علي مع تماثيل وفهارس (المكتبة العربية — دمشق ، ٤٠٠ ص)

٢٢ — صورة الأرض : لابن حوقل (ألفه سنة ٣٦٧ هـ) القسم الثاني ، نشره المستشرق كريمرز J. H. Kramers (مطبعة بريل — ليدن ، ٢٨٠ ص . القسم الأول ظهر سنة ١٩٣٨ ، وسيظهر القسم الثالث وبه يتم الكتاب . ولكن المستشرق دي غويه De Goeje قد نشر هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٣ بعنوان « المسالك والممالك » وهو الجزء الثاني من « المكتبة الجغرافية العربية » . إن طبعة كريمرز هي الثانية ، ويعتبر طبعها أكمل من التي كانت الأولى)

٢٣ — طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء : لعبد الله ابن المعتز (٢٩٦ هـ) . نشره الأستاذ عباس إقبال ، على الأصل ، مع مقدمة بالفارسية (كمبردج ، ٢٢٦ + 35 + XXXII ص . مجموعة تذكار جيب ، السلسلة الحديثة ، رقم ١٣)

٢٤ — عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : لابن عنبة [وقيل : ابن عتبة] الحسني (٨٢٨ هـ) . نشرته المكتبة المرتضوية في النجف ، ١٢ + ٣٧٠ ص)

٢٥ — الفتحية في علم الموسيقى : لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي ، قدمها إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني الذي حكم أثناء ٨٨٦ـ ٩١٨ هـ) . ترجمها دي رلانجيه إلى الفرنسية ، ونشر الترجمة هذه (دون النص العربي) في الصفحة ٢٥٧ ـ ٤٩٨ من المجلد الرابع من مجموعه في الموسيقى العربي (المذكور في رقم ٢٠)

٢٦ — كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : لأبي [illegible] الحمادي اليماني (من أهل القرن الخامس الهجري) نشره الأستاذ عزت العطار مع مقدمة للشيخ محمد زاهد الكوثري (مطبعة الأنوار — القاهرة ، ٤٠ ص)

٢٧ — اللباب في تهذيب الأنساب : لعز الدين بن الأثير (٦٣٠ هـ) . الجزء الأول ، نشرته مكتبة القدسي بالقاهرة ، [illegible] ص

٢٨ — لسان العرب : لابن منظور (٧١١ هـ) . الجزء الخامس ، نشره الأستاذ عبد الله إسماعيل الصاوي (مطبعة الصاوي — القاهرة ، ٦٨٠ ص . الأجزاء ١ — ٤ صدرت قبل هذا ، والكتاب لم يتم)

٢٩ — المجازات النبوية : للشريف الرضي (٤٠٦ هـ) . نشره الأستاذ محمود مصطفى (مطبعة مصطفى الحلبي — القاهرة ٣٤ ص)

٣٠ — المستجاد من فعلات الأجواد : للمحسن التنوخي (٣٨٤ هـ) . نشره المستشرق يولد w. Leo Pauly مدرسات بن Bonner الشرقية ، رقم ٢٣ (٢٦ + ٢١٣ ص)

٣١ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي (٨٧٤ هـ) . الجزء السابع ، نشرته دار الكتب المصرية

بالقاهرة ، ٤٦٦ ص ( المجلدات ١ ـ ٦ صدرت خلال ١٩٢٩ ـ ١٩٣١ ، والكتاب لم يتم )

٣٢ ـ كشف الأسرار في أحوال الجواهر ، لابن الأكفاني السنجاري ( ٧٤٩ هـ ) ، نشره العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية ( المطبعة العصرية القاهرة ، ٢٨٨ ص )

٣٣ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري ( أنظر رقم ٢ ) الجزء الثاني ، نشره الدكتور أحمد فريد رفاعي ، شارك الأستاذ يوسف محمد ، مع الفهارس القاهرة . الأجزاء ١ ـ ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لم يتم )

٣٤ ـ النقود العربية وعلم النميات ؛ هي مجموعة رسائل عربية في هذا الموضوع ، نشرها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية ، ( المطبعة العصرية ـ القاهرة ، ٢٣٩ ص ) تتألف هذه المجموعة من

( ١ ) كتاب النقود : للبلاذري ( ٢٧٩ هـ ) وهو فصل من كتابه « فتوح البلدان »

( ٢ ) كتاب النقود القديمة الإسلامية : للمقريزي ( أنظر رقم ٣ ) وهي الرسالة التي طبعت سابقاً غير صحيحة بعنوان « شذور العقود في ذكر النقود »

( ٣ ) تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال ، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على ملخص ما هو بدار العربية سنة ١٢٥٦ هـ لمحمد الحسيني الشامي ( من أهل القرن الثالث عشر الهجري )

( ٤ ) أقوال ابن خلدون ( ٨٠٨ هـ ) في النقود الإسلامية ( نقلاً عن « مقدمة ابن خلدون » )

( ٥ ) أقوال القلقشندي ( ٨٢١ هـ ) في النقود الإسلامية ( نقلاً من كتابه « صبح الأعشى » )

٣٥ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ( ٧٣٢ هـ ) الجزء الثالث عشر ، نشرته دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ٣٧٢ ص ( المجلدات ١ ـ ١٢ صدرت خلال ١٩٢٣ ـ ١٩٣٧ والكتاب لم يتم )

* * *

هذه ما تيسر الوقوف عليه ، وكان بودنا أن نذكر في هذا المقام بقيت كتب أخرى [illegible] أو المجلدات ، غير أنه لم يتيسر لنا الكلام عليها [illegible] صدورها ، مما جعلنا في ريبة من صحة نسبتها إلى سنة [illegible] ولم يصل إلينا بعضها في الوقت الحاضر ، فاضطررنا إلى تركها على غير رغبة منا . ونأمل بعد نظرة الأفاضل من جهود إكمال ما فاتنا منها أو ما لم يحالفنا الوقوف عليه ، وله منا أجزل الشكر

( بغداد ) كوركيس عواد

## بالكتب

منذ سنين والناس ما شغل فيها نفسه بالبحث جداً بحثاً [illegible] العالم حرباً [illegible] يمكنه أن يوقع عليه في الثبات .

إنما عمل [illegible] في البحث [illegible] وضعت له [illegible] حتى [illegible] أن [illegible] ذلك وقد [illegible] التي ظهرت حتى الآن كثيرة الأهمية

[illegible]

8me Année No. 355

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 22 - 4 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٥٥ — القاهرة في يوم الاثنين ١٤ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٠ — السنة الثامنة


# في سبيل الأزهر الجديد

من بشائر الأمل في الأزهر ودلائل الثقة بالنور أن النفوس الشابة مهيأة لدعوة التجديد ورسالة الإصلاح؛ فهي كالأرض الطيبة تشتمل على مذخور الحياة وموفور البذر ثم لا تنتظر غير الفلاح والغيث.

منذ أخذنا على بعض العلماء اشتغالهم بالرأي الباطل والبحث العقيم، وتورطهم منه للإمعان في اللفظ والمغالاة بالأعراض، وتركهم أصول الدين تشتمل عليه الأباطيل والبدع، والرسائل تتوالى علينا من شباب الرواق في أقسام الأزهر وكلياته متفقة على الرأي ويسألوننا أن نزيد.

و(شهيد الرواق) معبر في تسميته وفي غيره وجملة في جميع الرسائل التي أتلقيتها عن إقدام حماسي وعدم هوادة وما صدق أمرهم على نزعة الإصلاح.

* * *

يعتقد شخصي أن الأزهر إذا استكمل أداة التعلم وساير حاجة العصر نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة، تنطلق من قومه وتقوم على مذاهبه وتتصل في أصوله؛ ذلك لأن ثقافته مستمدة من مصدر الوحي وأنوار النبوة من أصلك بثمر الفكر الحديث مسالك في وهو يكون من هذا العامل ما يريد به الله تجديد

الفهرس

صفحة

دينه وكتابة شرعه ولغة ذكره .

كذلك نعتقد مخلصين أن رجعة الأزهر إلى مذهب القديم جرأة والناس من حوله في شأنه الخاص . والرجعية لا يمكن أن تكون في منطق الطبع سبيلاً إلى التقدم ، ولكن في نظام التعليم الأزهري حرق لهذه القرون لا ينكره العقل . ذلك لأن رجعية الأزهر معناها العودة في دراسة الدين إلى منابعه الأولى من صريح الكتاب وصحيح السنة ، وفي فقه الأحكام إلى مثل كتابي الأم والرسالة للشافعي ، وفي تعلم النحو إلى كتاب سيبويه وخصائص ابن جني ، وفي تدريس البلاغة إلى كتب عبد القاهر وأبي هلال . ومأتت هذه الرجعية تخلص من أمثال الجمع والهمع ، وما حشد الأعاجم في عصور الشروح والحواشي والتقارير مما أفسد الملكات وأنبت[1] العقول وصرف الأذهان عن جوهر الدين وروح العربية وسر البلاغة

* * *

إن الدين الإسلامي ينفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته على الأدب وقيام معجزته على البلاغة . فإذا حار[2] دون العربية في رجاله ما قتر[3] السكاكي والقزويني وأمثالهما من الفقهاء والقراء ، تقطعت الأسباب بينهم وبين محمد فضلوا سبيله وجهلوا معنى . فالدين الإسلامي والأدب العربي متلازمان تلازم المعنى والصفة أو الفكر والأداء . ولا يستطيع رجل عربية والإسلام أن يبلغ دعوة محمد إلا إذا تمكن منهما تمكن الجاحظ والزمخشري ومحمد عبده ورشيد رضا والرافعي . أما المسمسة بالألفاظ الاصطلاحية والجمجمة بالجمل الملفقة على أنها من العلم والأدب ، فطور إلى النكس لا يجوز أن يتبع إلا ما عن جهة

* * *

من الطبيعي أن ينتهي بعد الكلام في جملته هذا السؤال فتلقيه علينا : إذا كان الرأي أجمع الناس بإصلاح الأزهر كما نعتقد ، وكان شباب الأزهر راغبين في هذا الإصلاح مؤمنين بجدواه ، غيرتهم عليه كما نرى ، فما الذي يعوق تنفيذ الإصلاح ويصرفهم عنه الرغبة ! . والجواب الفصل عن هذا السؤال يقتضي شيئاً من الصراحة لا تحتمله بعض الصدور مما أعلم . فإذا وضعنا هذه الأسباب الظاهرة المباشرة فإن إصلاح الأزهر لا يمكن أن يتم في سنتين أو في أربع ، لأن ملاك هذا الإصلاح منوط بأمرين اثنين : أحدهما إعداد المعلم ، والآخر تأليف الكتاب .

فأما إعداد المعلم فيقوم على أن يكون متمكناً في علوم الدين وصاحب ملكة في الفقه ، وأن يكون متبحراً في فنون العربية وصاحب قريحة في الأدب ، وأن يأخذ بحظ هذه وبحظ من ثقافة الغرب فأوفى نصيب . وهذا الإعداد على هذا الأساس لا يؤتي ثمره قبل عشر سنين إذا أخذنا منذ اليوم نتخير من خريجي أقسام التخصص المختلفة في كل سنة نوابغ العلماء الأذكياء ، ثم نبعث بهم إلى جامعات إنجلترا وفرنسا وألمانيا ليبلغ كل منهم أقصى الدرجات في العلم الذي أختص به . وذلك ما فعله الأستاذ الشيخ يحيى ومحمد يوسف موسى شاهدا صدق على حصول هذا الإعداد وأثره .

وأما تأليف الكتاب فلا يتيسر إلا بعد إعداد المعلم ، لأنه هو وحده الذي يدري كيف يؤلفه ويدرسه . ومتى توفر للأزهر المعلم والكتاب في ظل هذه الإدارة المستنيرة صح لنا أن نقول : « إن مصر ظفرت بجامعتها الصحيحة التي تحمل ثقافة الشريعة في الإسلام ، وتعلو الحضارة الشرقية للعرب ، وتصفي اللغة والأدب من شوائب العجمة والتقيد والركاكة والعجمة »

* * *

ذلك ما نعتقد أنه كان يعنيه صاحب الجلالة المغفور له الملك « فؤاد » حين قال لأحد كبار العلماء : « إن أنجع الوسائل في إصلاح الأزهر أن يغلق عشر سنين ثم يفتح من جديد »

ونحن فيما نعتقد أول الإصلاح الأزهري وآخره . وما دام التعليم الديني قائماً على رواية العلم في جو المسجد ومسائل الاعتراضات ، وإرسال الكتاب في الاستطراد والاستدلال والنقد ، فهيهات أن يتجدد الأزهر وإن شيد بالرخام وفرش بالقطيفة وأنير بالكهرباء !

[illegible]

(١) أنبته الشيء : أضعفه
(٢) من قولهم : حار اللسان إذا لم يجد طريق الكلام
(٣) قتر الشيء : جمعه من هنا وهنا

# ٤ ـ فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

---

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة خرجنا إلى حديقة الدير فدخلنا إلى ساحة ذات أشجار أصبحت ميتة لقدم العهد، ورأينا فيها عدة من الرهبان والعمال معهم مشاغل، ورأينا فى جانب الحديقة ثلاثة منها قعوداً، وهى على ما يجلب إلى الدير. ووجدنا بئراً واسعة عذبة الماء.

ثم وصلنا إلى ساحة مقبرة فيها قبور قليلة هى مقبرة الموتى؛ فأما عظام هذه الرهبنة ففى حجرة واسعة متصلة بهذه المقبرة. فى هذه الحجرة أكداس من الجماجم والعظام قد رتبت وصففت؛ فالجماجم فى حدة، وعظام الأذرع فى حدة، وعظام الأرجل فى حدة، لم تخلطها كما توصى أبو العلاء فى قوله:

لا يشتركُم القبر وكونوا ... فيه مثل السيوف فى الأغماد
حرزٌ عن خلط الهياكل ... ربّ أعقابكم يومٌ لتوالد

ولكن أن موتى الدير يدفنون فى المقبرة الصغيرة، ثم تستخرج العظام بعد حين فتجمع فى مكانها وتخلى الأرض لمن يحمل إليها من وفود الموتى المتتابعة على مر العصور.

ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ... فى طويل الأزمان والآباد

ثم خرجنا من دار الفناء والقبور فدخلنا إلى حديقة واسعة فيها أنواع من البقول وضروب من الشجر وأشجار الفاكهة، تسقى من آبار فيها، وربما يجلب إليها من آبار داخل الدير.

وحديقة الدير صغيرة تحيط فى حضيض الجبال الشامخة المشرفة عليها.

### إلى جبل موسى

الجبل العظيم المطل على الدير من الجنوب يسمى جبل موسى ويقال إنه الجبل الذى تلقى فيه موسى عليه السلام الألواح.

واعتزمنا الخروج إلى الجبل بعد الظهر، فسار الرفاق يتقدمهم أحد الرهبان، فخرجوا من باب صغير فى حديقة الدير إلى سفح

يصعدوا وراءه ثلاثة آلاف درجة منحوتة فى الصخر أو مرصوفة، وللصعود طريق أخرى فى شرقه من الدير صاعد فى السفح إلى كتف الجبل، ويستطيع الجمل أن يصعد فيها. وقد اخترت أنا هذه الطريق؛ فركبت جملاً، وسار صاحبه يقوده. فأما الجمل فاسمه درويش، وأما صاحبه فاسمه عيد من أولاد سعيد.

صعد درويش وراءه حسين دليله، وأنا مشفق على هذا الحيوان السهل يكلَّف هذا المرتقى الصعب، بل مشفقة الصحراء التى تسلم صعود الجبال.

وكان بينى وبين صاحب درويش حديث ممتع

قلت: ما تسمى هذا الذى أركب عليه؟ قال: الشبيط، والذى تحته البردعة، وقد وضع الشبيط على حمار الحمل، لأنى جئت بدرويش إلى الدير محملاً، وما حسبت أنه يركب. قلت: الشبيط مثله أهل مصر ما يحمل فيه التبن ونحوه على الدابة، ويسمى فى الشعر القديم كما تقول. قال: هذه القتب الكور الذى يركب عليه هو الشبيط، والبردعة هذه الحشية التى توضع تحت الشبيط. قلت: فما تسمى هذا الحزام الذى على صدر الجمل؟ قال: هو البطان. قلت: صدقت. ويقال فى المثل التقت حلقتا البطان والحقب. فما الحقب؟ وما تسمى حزام الحمل خلفاً؟ قال: لا، هو الحباك. قلت فى نفسي: ليس هذا بعيداً من قياس اللغة وصحيحها. ثم قلت: فما الحبل الذى فى يدك؟ قال: الرسن. قلت: ألا تسميه المقود؟ قال: المقود هذه — وأشار إلى طرف الحبل الذى فى يده وقد جعله كالحلقة — قلت: أحسنت! فما الحبل الذى على خد الجمل؟ قال: العذار. قلت: صدقت. وتذكرت قول أبى الطيب:

طرّحت المقاود عن قريب ... وصغّر حدّها هذا العذار

قلت: فأين القتب؟ فوضع يده على ما أمام الشبيط من ظهر الجمل، وقال: والكثبة هنا؛ ووضع يده على ما يلى العنق. قلت فى نفسى: الذى عرفناه فى اللغة الكاثبة وجمعه كواثب، كما قال النابغة:

لهن عليهم عادة قد عرفنها ... إذا عرض الخطّى فوق الكواثب

قلت: فأين الصفنة؟ قال: لا أعرف. قلت: ألا تسمى الركبة ثفنة؟ قال: لا، ولكن الأثنة ... وأشار إلى ما يقع على

الأرض من رجل الشجر المغيبة إذا برك . فقلت في نفسي : قد تُلبِس الله ذلالاً في لغة عيد وقومه

ثم سألته عن بنت مبوَّرنا ، حتى قلت : أما تعلم ؟ قال : لا ، ولكن في دنى كما تعلم كثير . قلت : نحن نقرأ في كلام الفصحاء : « هذا الشيء في أطراف الخلام » . قال : نعم ، كذلك نقول إذا كان الشيء كثيراً قريباً ، لأن الخلام الصغير . قلت : أكرمك الله يا عيد

قال عيد : لا يصعد الجبل بعد هذا الوسيع . فترت وربط هو درويشاً ، وسار معي يدلّني الطريق إلى حيث يصعد المتوكل إلى القُنّة . فسمعت زعماء خمس دقائق ، منادى : هؤلاء أصحابك . ورأيت جماعة من الرهبان صعدوا من الأعياء ، مرتقون أن جماعة منهم وآخرين سيلحقون إلى القُنّة . فرحب أحدهم في درج سهلاً أزاً بين حين وآخر على الصخر ما كتبه أحد الرهبان الذين من كلف ولبس الصاعد وعَرَضه على الكابر ، وبعد ساعة بلغت القمة

على القمة بقعة بين الصخور قال دليلنا الراهب : إنها حيث رأى موسى الملك . وهناك كنيسة صغيرة مبنية على جدرانها صور معلقة على ما يجوز حول هذا المكان من ذكريات منها صورة تمثل موسى يتلقى الشريعة من الله تعالى

وفي جانب من القمة مسجد صغير جدرانه غير عالية وسقفه غير محكم وأرضه غير مفروشة . قلت لنفسي ، هذه أمارة على إهمال المسلمين أمورهم ، فخطر لي أنه مع هذا أمارة على يسر الإسلام وقربه إلى الفطرة . وبجانب المسجد عند حافة القمة غار صغير يُهبَط إليه بدرجات قليلة فيه أثر غار . يقول العامة : إنه حيث أقام موسى أيام الوعد ، وإن هذه الغار من آثار ذلك الزمان

وتشرف هذه القمة العالية على جبال وأودية كثيرة ، ومناظر بعيدة وقريبة ، ويسمو بجسم الإنسان وروحه حتى يكاد يتوهم أنه من طير الجو أو سكان السماء

ألبثنا قليلاً ثم شرعنا نهبط وأمسك الراهب إليَّ بالصعود والهبوط على كبر سنه ( وكل امرئ جارٍ على ما تعوّد )

ما زلنا نهبط ثم نهبط ، كما رأينا وادياً في الجبل ظننا قربنا الأرض ، فينا بالشك وجدنا لا حاجة لنعرف على مهاوي أخرى بعيدة . وتشرف الخلام فوقنا عالية عالية رهيبة وساء هيئتها ، وتشرف نحن على عُمرى سحيقة وأودية بينه الجدول الجبل عن غروب الشمس وطلع القمر مضمحلاً فوق الجبل الشرق أخذنا نسير من الإجهاد ما أصابنا . ثم أشرفنا على الدير وجدنا ... بينه فجعلنا حتى هبطنا إلى مستوى الدير بعد ساعة ونصف من مغادرة القمة

( للكلام صلة ) عبد الوهاب عزام

وزارة المعارف العمومية

مراقبة الامتحانات

إعلان

بشأن الأدوات اللازمة

لامتحانات الرياضة في الشهادة الثانوية

القسم الخاص ( بجميع الشعب )

سيحتاج الطلبة المتقدمون لامتحان الشهادة الثانوية القسم الخاص في جميع الشعب إلى الأدوات الهندسية الآتية في امتحانات الرياضة

وهي

١ مسطرة

١ فرجار

١ مثلث

١ منقلة

ولما كانت الوزارة لا تصرف للطلبة إلا الأدوات المبينة في إعلان الجدول في الامتحانات وهي كراسة الإجابة وورق النشاف والحبر فعلى كل طالب أن يحضر الأدوات الهندسية المذكورة سالفه

٦٥٨٣

على هامش «أوهام» النقد والفلسفة

# أساليبنا في البحث

## وعلام تعتمد؟

للدكتور محمد البهي

كتبت مرة في مجلة أزهرية كلمة حول تطور فكرة «الشر» في القصص الميثولوجية Mythology والأبحاث الفلسفية، وكتبت فيها كثيراً مما نقل من آراء في شرح معنى الشيطان بالعبارة المسيحية من التعبير «بالشيطان» على لسان العقليين المسيحيين Rationalisten

فكتب «باحث» آخر يلاحظ أنني كنت اشتملت على «غموض وإبهام»، وأنني قد «أطلت من غير داع»، وأن «كل ما جاء في الفكرة الجمالية»، ولم يكن «للقصص الطويلة كبير فائدة لذكر المسلمين وعدوهم». ويقول «إذ تعرضت للفلسفة أتيت منها بما يستند إلى البرهان العقلي أو التجربة والمشاهدة كما هو أساس الفلسفة الحديثة التي تهدف إلى إثبات الأرواح المجردة عقلية ومنطقية، ولكني لم أفعل، بل أتيت بما هو منقوض بنص الفلسفة الحديثة التي انتهى إليها تفكير الفلاسفة العصريين في أبحاثهم»

وهكذا كان «الباحث» محقاً في هذه الأحكام والملاحظات وقد حكم بأن وحقق «بالملاحظة» بالخير أني مسلم»

مثل هذا الكاتب ليس بالقليل، وطريقته في البحث غير مجهولة، وهو فقط مثل جزئي لظاهرة تطبع تفكير الكثير من «بحثنا» وكتابنا

وهنا لا أقصد من كل هذه سوى شرح تلك الظاهرة وتحليلها من ناحية البحث التاريخي النفسي، وإرجاعها لحالة معينة من الحالات العقلية الشعورية المعلومة من وجهة البحث السيكولوجي

كثيراً ما نقرأ «للباحثين» أمثال هذه العبارات: «أمره (رأيه) حق، أو هو الحق الصراح، أو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وما تقوله أنت (الخصم) باطل، أو غامض مبهم، أو لا يستند إلى الواقع ولا إلى العقل والمنطق، أو ينفيه الفكر والتجارب لا تؤيده ... الخ»

هل وضع مثل هذا الكاتب مقياساً علمياً مجرداً عن أثره الشخصي لمعرفة الحق والباطل؟ هل اتخذ ناحية من الأساليب المنوعة تبين الغموض والصراحة والوضوح من اللبس والإبهام والأوهام؟ هل أراد من الواقع الواقع الذي له اعتبار عام، أم ذاك الذي يدركه هو من أفق وعهده؟ هل أراد بالعقل العقل الإنساني، بغض النظر عما لكل فرد من ثقافة وعادات ومن الفروق الفردية والبيئية، أم أراد به الشائع المعروف كالذي يحكيه التفتازاني عن المتكلمين في زمنه من أنهم كانوا يقولون: هذا يقبله العقل، هذا لا يسلم به العقل، ويقصدون العقل الشائع المتعارف بينهم، ويقصدون المنطق الصوري حقاً ويستخدمونه كذلك؟ وهنا سعد من الحس ومن أي شيء أراده بالتجارب؟ أأراد بها ما يحس به صاحبه أم أراد تلك التي تكون هي عند العلوم الحديثة؟

هذه أسئلة يملي الصمت عن جوابها الفصل بين بحث وبحث فلذا كان الباحث متأثراً بشخصه في وضع «مقياس» فالنتيجة هي القياس شخصياً، وحينئذ فالذي يحصل من ثقافته الخاصة، وبواعثه النفسية وعقله وعاداته الخاصة، ونظرته الخاصة في الحياة متوسطاً للبحث كان مقياسه شخصياً

والباحث الذي يبعد كل هذه العوامل الشخصية في البحث عن حقيقته يكون قد وصل إليه مجرداً، وتكون حقيقته التي وصل إليها حقيقة مجردة. وكل من عجزه في بحثه كما هو شخصي يكون طبعاً حقيقته معه، أي لم يستطع منها أي عنصر شخصي لا دخل له في ماهية الحقيقة

والقياس الشخصي اعتباره بالنسبة إلى الشخص الذي وضعه فحسب، فلا تلزم نتائجه غيره ولا تعطي منه أحكام عامة. أما القياس المجرد Objective فاعتباره عام، لأن تجرده من الأثر الشخصي يبعد عنه نزاع الأفراد ويحمل كل فرد (تقريباً) على الاعتراف به، ولهذا تكون نتائجه في مكانة قوة القوانين والمبادئ العامة

ولقد كان الشخص نفسه في القديم مقياس المعرفة والعلم، ومعتقده ذاته أساساً بحث الحقيقة والحكم على التصرفات، وإدراك الإنسان بأحكام خلقية، فقد تجيء حقيقته هي مطابقة (في الواقع)

وما وقع حسه في نفسه غير حسن (في الواقع) . وأصبحت المعرفة إذن عبارة عن حقائق شخصية ، وأصبح الشيء الواحد له أكثر من حقيقة . ولم يلبث أن أصبحت هذه الطريقة مذهباً فلسفياً عرف بالمذهب الشخصي Subjectivism كما عرف أصحابه بالشخصيين (وهم السفسطائيون في العهد الأول)

ومع أن الفلاسفة الذين جاءوا بعد السفسطائيين ، مثل أفلاطون وأرسطو حاولوا التدليل على أن « حقائق الأشياء ثابتة » أي غير متعددة تبعاً لتعدد الأفراد ، وغير متغيرة تبعاً لما يطرأ من مغايرة ومفارقة تحكم هذا التعدد ، ووضعوا المنطق قانوناً عاماً يسمى آلة العلوم ومعيار العلوم وهو المنطق الصوري ؛ ومع أنهم وضعوا بعده نظام المذاهب والعقائد الدينية في البحث لم تخلص معارفهم ولا الأحكام التي كونوها عن الله ، والعالم ، والإنسان — وهي فلسفتهم — من آثار ثقافتهم الخاصة ، وبيئتهم الخاصة ، ونظراتهم الخاصة إلى الحياة ، وهي ما طبعها في العصور بين فيلسوف وفيلسوف

ثم اتجه التفكير بعد ذلك ، وهو البحث الفلسفي ، إلى الإمعان في الفصل بين النزعات الشخصية ، والنظر إلى الأشياء على ما هي عليه في الأبحاث العلمية ؛ أو بعبارة أخرى مال إلى تجريد القياس الذي يتخذ أساساً للبحث من العناصر الفردية . ولم يستطع العقل « الحر » أن يسير خطوة في تحقيق هذه الرغبة إلا منذ عصر النهضة ؛ أي بعد أن أفلتت شعوب أوربا تتحرر من سلطان الكنيسة

وقد كان لاتصال الإسلام بعد الأبحاث الفلسفية عند العرب وتسرب الفلاسفة إلى الغرب أثر كبير في التشجيع على عملية الفصل هذه . فبينما كانت الكنيسة في الغرب تفرض أن تكون الحقيقة الكنسية المبدأ الذي يأخذ منه البحث عناصره ، كان المسلمون في الشرق ، ثم في الغرب أيضاً يبحثون في فروع الفلسفة المختلفة : في الطبيعة والرياضة حتى في المسائل الإلهية ، والأبحاث النفسية الخلقية ، في جو خال ، في عمومه ، من حرية البحث وأتيح من فلاسفة المسلمين من استطاع أن ينتج . ووصلت فلسفتهم بعبرة العروج ، أي لم يروج في بحثها مذهباً واحداً كما الكنيسة مثلاً ، إلى أوربا من طريق أسبانيا

هذا العامل الأول الرئيسي في التخلص من الحولات حول شبهة واسعة ، شبهة النهضة بالعقل الغربي الإسلامي الذي لم يتحكم في تفكيره اتجاه خاص ، وبدأت رغبته في تحرير الفكر من الكون نفسه ، فترك الحقيقة جانباً ، ... العوامل التي تؤثر في بحث الشخص ولا تجعل منه بحثاً شخصياً ، وعمل على تنقية نفسه من كل اعتبار آخر غير الحقيقة « المطلقة » القائمة

وكان ديكارت أول فلاسفة عصر النهضة الذي نفذ هذه الرغبة في صورة منظمة كاملة . ثم عنى كثير من الفلاسفة بعده وهو العمل على وضع مقياس عام مجرد عن الأثر الشخصي ، مقياس objective ، ولم يكن خلافهم الذي بدا في مذاهبهم المتنوعة إلا اختلافاً في وجوب اتخاذ المذهب الإنسانية وفي حاجة الجنس إلى مثل هذا القياس ، بل كان في كيفية الشروط التي تحقق مثل هذا المقياس المنشود

ومن أصبحنا نرى في تاريخ الفكر البشري نوعين للمعرفة: القياس الشخصي ، والآخر غير الشخصي (المجرد) ، ونرى كذلك لإنتاجه طابعين : الطابع الشخصي والطابع الذي يتعدى الفرد والشخص

والفيلسوف لم يقم — منذ أن قام — إلا لإيجاد القياس غير الشخصي ، ولا الأديب بطبع أبحاث الإنسان وعلومه بطابع الاعتبار العام كي يتخذ منها أساساً واضحاً ، بعيداً عن النزاع الفردي ، في إرشاد الإنسان نفسه وفي تمكينه من السيطرة على بيئته ، وبالتالي في تقريب أفراد الجماعة الإنسانية بعضهم من بعض وفي تكوين ما يسمى « بالعقل الإنساني »

والفلسفة في بحثها ومذاهبها ، وفي قديمها وحديثها ، لم تسر لغير هذه الغاية . وما يبدو في معارف الإنسان الأول من خيال أو وهم أساسه استخدام القياس الشخصي في بحثه ، وما يبدو في عمومه الآن من عقل وسعى أساسه التقرب بقدر ما يمكن من القياس العام ، والتحرر بقدر المستطاع من العوامل الشخصية في البحث

وعلماء النفس حينما تطورت الأبحاث النفسية حديثاً ، فرضوا « المراهقة » تبعاً كتلك الفردية سواء بسواء ، وطبعوا عليها تلك مظاهر التطور النفسي من طفولة المراهقة ورشد وبلوغ

وجعلوا من مميزات الطفولة « الأنانية » أو ما يسمى « بالذاتية » لأن الطفل في أحكامه يصدر عن « ذاته » وليس عن الواقع المجرد عن شخصه ونفسه ، وجعلوا من مظاهر المراهقة الرشيدة

بين بين، إذ أحكامه وتصرفاته data غير واضحة للبصر. وقد
يعيش كثيراً في الخيال الذي لا يمت إلى الحقيقة الواضحة بصلة
وثيقة. وأحياناً يصور الواقع؛ ولكنه في حياته ملك عظيم، وفي
حقيقته إنسان مسكين يكثر البكاء والقلق من عنت الحياة؛ لأن العقل
الذي يسيطر عليه في عهد الخيال لا يقدر على مجابهة المشكلات بعين
مجردة الواقع. ويعجز عن مظاهر الرشد أو النضوج وربط
التصرف بالواقع، وعدم إخضاع النزوات الشخصية في الحكم
عليه، والنظر إليه «بعين الحقيقة» لا بعينه هو

وكذلك حكموا على الجماعة فأطلقوا عليها جماعة ساذجة، أو لم
تزل بعد في دور الطفولة، إذا كانت تجعل الفردية أو الشخصية
أساس المعرفة؛ وحكموا عليها ببلوغ طور المراهقة إذا حاولت
الفصل بين الشخصي والواقع، وبلوغ طور الرشد والنضوج إذا
أصبحت تخضع لحكم الواقع أكثر من تأثرها بالهوى الشخصية

وعلى هذا فالمجتمع، أو بعبارة الإنسان الكبير داخل الجماعة
البشرية، يجتاز دور الطفولة في الوقت الذي كان يسيطر فيه
المذهب الشخصي Subjectivism، ويجتاز دور المراهقة في الزمن
الذي يتجه فيه الرغبة إلى التحرر والعمل على تحديد تلك الرغبة
وفي عصرنا الحديث يدخل في دور الرشد والنضوج لأن السائد
في أبحاثه مذهب «objectivism»

هذا عرض تاريخي موجز لأساليب البحث في القديم والحديث
بالنسبة للفلسفة والتصوف، وفي تطور عقل الفرد ونضوج الجماعة
في التفكير من الوجهة السيكولوجية

ومن هنا نعود إلى هؤلاء الباحثين، أمثال ذلك الباحث
«الأديب»، الذي يخص أحكامهم ويثبت بحوثهم، ويتساءلون عما
لهم من ثقافة خاصة ونظرة خاصة في الحياة تخول لهم ... إلى هذه
الأبحاث ما دام مصدرها «أنا» ومنبعها «أنت» سوف يكون
اعتبارها شخصياً لا تؤدي شيئاً في الإنتاج الفكري العام

ثم إلى هؤلاء الأعلام الذين يسلكون في أبحاثهم طريق
«العقل السكولائي»، عقل الإسبانية — لا ذلك العقل الجرئ —
نقول لهم أيضاً: عليكم وحدكم يتوقف توجيه أمتنا في حياتها
العقلية، وعليكم وحدكم يتوقف مستقبل التفكير في مصر والشرق
إلى طور الرشد والنضوج!

محمد البهي
دكتور في الفلسفة وعلم النفس
من جامعتي برلين وهامبورج

# مزامير النفس العربية

للأستاذ عبد المنعم خلاف

---

## ١ — مزمار العهد الأول

نحن الآن في قلب الجزيرة ... في عهديها الأولى، الفترة
يعالج طفولة البشرية التي علا عهده عمراً وسحائب وأرعداً

نغوص في بحر من الرمال يملأ الجزيرة، ويبسط على طاولة
السحاب من ظل لعب الأحلام بمشورة من محراب الحي
الذي يصور الأجسام، وجعلها تجرب مشوه الشاعر، لأزرة
المناصر، حبيبة الراح، مكشوفة الرمد من الصبح خالص،
والنضرة المسرحة

لنقل خطانا على رواب آثات الأولين، ونبحث فيه عن عظامهم
التي ماتت في الأطلال والرمام

ونتسمع منه دمارهم التي يحسب الرمال الصلصلة أمداً مع ما أجلست
من صروح الخيام

ونحدق في الأضواء والظلال إلى صورهم التي طبعت في ألواح
الأثير مع ما صنعته الشمس والنكوا كب من الأضواء والظلال

ونستمع إلى أصواتهم التي غيبت في الصمت الطلل

فطالعت من وراء الغيب أشباح لها وجوه سمر، حادة
النظرات، صلبة الأنوف، عريضة الجباه، عليها سمة الكبرياء
والاعتداد، ونحوم الغزلة والتمرد

يجتمعون حرار الصحراء، ويتصعدون سماء جلوة، وحرية
حمراء.

ويمصون العسل النائف في الأجواء، ويصوغونه شعراً
منثوراً ومنظوماً بياناً يفتح الآفاق، ويلتف العقول

يحشدونه في صحائفهم للبيئة يحدون من جبال، وأحمة
من نخيل أورقت كالمردة

ويشربونه في مواسم الحب والحرب على حوافز الآبار،
وشواطئ بحار العرب والآل

ويجيبون البيان أصواتاً يرمون بها نحو الغيب بأرواحهم

وتقاليدهم وأساطيرهم ، ويتركون أمامهم خالدة في أفئدتهم ميراثاً محوطاً لمن يأتي بعدهم ...

مقرورون في صحرائهم مصبورون بها من عيون الأمم الطامعة كأنهم جن مختبئة في عالم بعيد ..

سيوفهم شاللات كأنها القلوب يضربون بها دفاعاً عن الحرمات ، وعشقاً للحريات ، وشراء الشرف والمكرمات

إبلهم تهدر في صمت الصحراء بأصوات كالأمواج الحبوسة والزلازل المكتومة ...

تسيل بها الأباطح واثبة برقابها البيض والسود ووبرها المشعورة ذات العيون الساهمة

يحدو لها إنسانها بأصوات صادرة من قلوب عميقة تيمها الحب والشوق الأبدي ، ويرهبها الفراق الدائم في سبيل الرعي والانتجاع وحب الأسفار والفرار من ثأر أو لإدراك ثأر

يتلمسون بها مراقل ، حتى تحل في ديار آخر ، في خطوط طويلة ترتسم على الآفاق في الأماسي والأسحار والصحاري والأمطار ، تحسبها أشباحاً سابحة في سحائب غامضة ...

حتى إذا وصلوا إلى مراعي الصحارة في الشمال أو المشرق أخذوا حاجاتهم الضرورية من أسواقها ، وسقطوا أخبارها ، ثم عادوا يحملون القوافل بركب موصوفي تحمله قلوبهم من الشوق إلى مباهج الكون من النسيم الحر الرحيب لقلب العربي الذكي المحروم والخيام تحمى منها عيوف الريح على الرُّبا والتلاع ، أحمى ميران موقدة تنادي بصوتها عيون السالكين الشرق في أمواج البيد والظلمات

والنيران راصدة عربه تتلقاها عيون الرجال من بعيد

والصبية والعرائس يرقصن ويغنين بأصوات حب أعذب عذوبة مكررة ..

ويحمل النسائم أصواتهن إلى آفاق الليل فترقص في حماسة وخيلاء .

ثم يمضي كل هذا في صمت الصحراء !

• • •

أمة انبعثت في الطبيعة ، وتأثرت فيها بأشخاصها ، وبعثت مظاهر الكون فيهم ، وتسمي أفرادها بأسماء الجماد والنبات والوحش

فقالوا : أسد وذئب وكلب وثعلب ونمر وورد ...ووحش وحنظل وجندب وصخرة وزهرة وأشباه الشجر

ووضعوا لأنفسهم من كل شيء فيها يحسون بيض الحياة كما يحس الفنان المتعرق لتيارة على الأعصاب بسمع بها إيقاع الريح ووسوسة الحصى واصطفاق الأمواج ...

ثم خلعوا من أوهامهم الشاردة على الحجارة صوراً وتماثيل نسبوها لآلهتهم وعبدوها في غيبوبة فكر وورع ذلك وقلة علم والكهنة والعرافون — وهم الأذكياء منهم — استغلوا في نفوسهم زُلَّة السكون فيهم ، وهم محرومون من تحليل العلم وهدي الصواب ، فصارت الحياة أمامهم رموزاً وألغازاً تتردد بينهم وتعطيهم يهيمون في أرض مهترئة من الصحراء والخوف وسرطان الإنسان الضائع الفريد ...

• • •

هؤلاء هم جيرتنا التي أعقبت منها إلينا عناصر ورواسب في الدماء وخصائص في الأعصاب

نزحت في موجات وأنسال وأجيال إلى ظلال الخصيب في العراق ووادي النيل وجنات الشام في أدوار يعرفها التاريخ القديم

هؤلاء هم نفس من معاً تقدم الطرقة الزهراء ، ثم تقدمهم على أعتاب بناب و « ولاياتها » العراق والشام ومصر ، يحملون منها الظل ويعطون ما تلد ..

هؤلاء هم الذين كانوا يقيمون دائماً بعض أوطاننا القديمة ويحرثونها بالصحة ، ويطبعونها بالبساطة ...

هؤلاء هم الذين ولدوا الفراعين من عهد « مينا » في مصر ، والأشوريين والبابليين في العراق ، والفينيقيين في الشام ، وهم الذين عمروا العالم القديم

هؤلاء هم الذين ولدوا ابراهيم أبا أنبياء العالم المتحضر ، فأحضروا أشرف ما في الحياة من مطالبهم الروحي المتجدد على أيدي موسى وعيسى ومحمد

هؤلاء هم الذين اكتسحوا في موجتهم الكبرى جميع الفروق التي كانت بين أبناء ما يحيط بهم وطوّروا الجميع في الدين الواحد واللغة الواحدة والصوت الواحد

وهؤلاء لا يزالون يسيرون بوادي الطرقة منطلقين بحياتهم

حيناً القومية وعقيدتها السامية واستمساكاً بتراثها ومجداً سرت في العروبة والمساواة والعزة والفطرة

فواجبنا أن نبقى صدوراً وهي دما الصفحة اليوم في دور من أدوار التربية والتكوين لتتصل الطلائع بينابيع القوة ... فتجعل الحياة تتم فترة من الزمن فرضاً محتوماً على الشباب من جميع أقطار الوطن العربي ... فإن حياة الحياة الحرة القوية الصريحة الطبيعية صوب سولة ماخرها وآثارها في مقاومة الضعف والخنافة والبعد عن منطق الفلسفة وأسلوب الفطرة

وكما أن حياة العسكر جزء من تكوين الإعدادي فكذلك يجب أن يكون حياة البادية جزءاً من تكوين العربي حيث كان فالأعصر يعرفون حياة البحر والأخلاق المكتسبة منه كالصبر ومواجهة المصاعب والاعتماد على النفس وحب الرحلة والكشف. يحملون الخدمة في الأسطول أمنية الأماني أمام الشباب.

وكذلك يجب أن يمتزج العربي بحياة البادية والخدمة في « أسطول الصحراء » ، فإنها جولة نحو الأفكار والمتاعب التي تتركها حياة البحر في النفس

إن العربي بقوامه المشوق الذي ليس فيه ترهل وبعضول ، وبخشونة العصبية القوية ، وبملامحه الحادة ونطقه الصريح المحكم المبين ، وبشهامته وكرمه وشجاعته وتقاليد فروسيته وشاعريته — ثروة عظيمة تلقى الناس بكثير من الأخلاق التي يفقدونها الآن فلا يجدونها . وقد صدرت له صورة وحشية شعرية في أذهان الأمم تحيط بها إطار من هذه الأخلاق

ومع أنه كان في باديته محبوباً من الإنسان البدائي قبل اتخاذ هذه الحياة وعيشها بصمت ربما لا يعقل بعرضها غيره من سكان العالم المتحضر فقد حمل الأمر إلى نظر إليه نظرة خاصة غير النظرة التي يأخذون بها من هم في مستواه الاجتماعي والاقتصادي في البوادي والحواضر

* * *

في قلب الجزيرة الآن دولة هي معجزة من معجزات هذه الأمة التي طالما ملأت التاريخ بالمعجزات

دولة هي في سلامها وأمنها حديث ملحمة من أحاديث القصر يرسله في القرن العشرين درساً لمن ملأوا الدنيا قوة ومصانع وشرائع سكينة النظام والسلام ، ومع مطمئن الأمن ... من الهدم والفوضى والإجرام

دولة أمامي ووطنها رجل لا يعرف زخرف الكلام ولا يتقن الأحاديث ، وإنما عرف الطبيعة والفطرة واستمد من أحكام كتابها وميراث رسولها .. فأقام دولة الإسلام التي زعموا أن الشك دب في الأفهام ..

دولة بعثت العصبية العربية وأبرزتها في إطار من البداوة في القرن العشرين ، وجلت ميراثها القديم الذي صدر من رسالة في العلم جديداً طارفاً وبعثاً مستحدثاً .

وكان لا بد من أن تجاوبها في نهضة العرب هذه إرادة الإيمان إلى قلوبهم وبعث نهضتين في نفوسهم إلى مجدهم الأول وعملهم الأجل . هي عنوان عرضي ودليل جديد على أن أصول حياتهم عريقة وأصيلة في متمم الحياة ومطالب الناس ..

فليحفظ العرب دائماً بجوار حياتهم وتراثهم مجدهم الأول محروسة من الوسيط والضلالات ..

وليعيشوا على الحياة في قلب الجزيرة جواً من نور الفكر وشعور الروح

وليهربوا إليه فترة من الزمن ليتحسسوا من أنفسهم آثار حياة في الشظف والتقشف والصعب الذي يستلزمه الخوض في الصخر والحرير والطرق البعيدة التي ليس فيها شوك ولا ...

إنما الإسلام في الصحراء ... يجيء كل مسلم أسد !

(القاهرة) عبد المنعم ...

٤٤ — ١

في الاجتماع اللغوي

# نشأة اللغة الإنسانية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

## اختصاص الإنسان باللغة وسر ذلك

عرضنا في المقال السابق إلى أهم أنواع التعبير الإنساني، فذكرنا أنها ترجع إلى أربعة ضروب:

١ — التعبير الطبيعي عن الانفعالات بأمور حركية، كتقلص الأسارير وانبساطها، واحمرار الوجه واصفراره، ووقوف شعر الرأس وارتعاد الجسم وما إلى ذلك من الظواهر الحركية الفطرية التي تصحب مختلف الانفعالات.

٢ — التعبير الطبيعي عن الانفعالات بظواهر مسموعة، كالضحك والبكاء والصراخ وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية الفطرية التي تصحب حالات الفرح والألم والحزن والسرور.

٣ — التعبير الإرادي عن المعاني بأمور حركية، كالإشارات اليدوية والجسمية التي تستخدم مستقلة أو مع غيرها بقصد الدلالة على المعاني والمدركات.

٤ — التعبير الإرادي عن المعاني بظواهر مسموعة، وهي الأصوات المركبة ذات المقاطع التي تتألف منها الكلمات. وهذا النوع هو الذي تنصرف إليه كلمة اللغة إذا أطلقت.

ونشرح في مقال اليوم مدى مشاركة الحيوانات للإنسان في كل نوع من هذه الأنواع الأربعة.

تشترك معظم فصائل الحيوان مع الإنسان في النوعين الأول والثاني من أنواع التعبيرات السابق ذكرها (التعبير الطبيعي عن الانفعالات بظواهر الحركة والصوت). فانفعالات الحيوان، جسميها ونفسيها، كالجوع والعطش والسرور والفرح والاكتئاب والحزن والاشمئزاز والغضب وما إلى ذلك، يبدو كل منها لدى الحيوان في طائفة خاصة من الحركات الفطرية غير المقصودة، وهذه الحركات بعضها بصري، أي يدرك عن طريق حاسة النظر، كاتساع الحدقة وضيقها، وبسط الأذنين وعصبهما، والتكشير عن الناب، ووقوف الشعر، واتساع الجسم والأوداج، والضرب بالأجنحة... وما إلى ذلك؛ وبعضها سمعي، أي يدرك عن طريق الأذن، كرغاء الناقة ويعارها، وصهيل الفرس وحمحمته[1] عند رؤيته من يحب، وحمحمته عند الجوع أو الاحتكاك، وشحيج البغل، ونهيق الحمار، وخوار البقرة، وثغاء الغنم، وزئير الأسد، وعواء الذئب، وتضوره وشغبه عند جوعه، ونباح الكلب، وضغاؤه إذا جاع، ووعوعته عند خوفه، وهريره إذا أنكر شيئاً أو كرهه، وضباح الثعلب، ومواء الهرة، وضحك القردة، وصرصرة البازي، وصفير الصقر، وهديل الحمام، وسجع القمري، وزمزمة الهدهد، ونعيب الغراب، وفحيح الحيات وكشيشها وحفيفها عند حرش بعضها ببعض إذا تشابكت، ونقيق الضفادع... وهلم جراً[2].

وتشترك كذلك بعض فصائل الحيوان مع الإنسان في التعبير الإرادي البصري، وهو التعبير بالإشارة. ويبدو هذا على الأخص لدى الحيوانات التي تعيش جماعات كالنحل والنمل والقردة والطير والنمل والزنابير وما إليها. فقد ثبت أن كثيراً من هذه الفصائل وغيرها تستخدم أحياناً بعض إشارات حسية للتعبير بشكل مقصود عن بعض شئونها: فعجل الأوعال (الأيل) يستخدم في أثناء قيادته لقطيعه بعض إشارات برأسه وقرونه للوقوف فيقف جميع أفراد القطيع، وبعض إشارات للسير فيسير جميع أفراد القطيع؛ ويستطيع المشتغلون بأن يعلم كلا منها معنى معيناً. وتستخدم الأنثى من الكلاب مع أفراد نسلها ومع الآدميين بعض إشارات بالرأس والذنب للتعبير بطريق إرادي عن أمور خاصة، كأن تنقر بأظافرها على الباب لتنبه أصحابها إلى وجودها ليفتحوا لها، أو ليفهم أنه طالب أن يصحبه صاحبه إلى الخلاء... وهلم جرا.

وتستخدم كذلك فصائل القردة، وبخاصة الفصائل العليا منها (الغوريلا والشمبانزي والجيبون والأورانج — أوتانج)، ووسائل النحل والنمل بعض إشارات من هذا القبيل. فقد كشف العلامة كوهلر Kohler عن ظواهر كثيرة من هذا النوع عند فصائل القردة العليا: فمن وسائله التعبيرية حينما يريد أن يرافقه آخر في طريقه، أو يرغب أن يصحبه أحد

---

(١) صوت يردده الفرس من منخره إلى حلقه عند رؤيته من يحب.

(٢) انظر في هذه الأصوات وغيرها فقه اللغة للثعالبي ص ٢٠٠ — ٢٠٤ طبعة بيروت.

وملاءه شيئاً مما في يده ، أو يطلب منه شيئاً مما في يده ؛ فإنه في الحالة الأولى يمسك به بقوة ويجذبه من ورائه منقاداً له ومقتفياً بعض خطوات في الطريق الذي يريد أن يسلكاه معاً ؛ وفي الحالة الثانية يمد يده إلى زميله مَدّ الاستجداء ؛ وفي الحالة الثالثة يمد يده ويلمس كمه ويمصمص كما تفعل نحن في مثل هذه الحالة[1] . ويرى الأساتذة فرانكلين وكيربي وسبنسر وبورميستر وهوبر Franklin, Kirby, Spencer, Burmeister, Huber أن كثيراً من طوائف النحل والنمل يتفاهم أفرادها ، بعضها مع بعض ، بإشارات مقصودة التعبير عما في نفوسها ، وأن هذه الإشارات تتمثل في احتكاك بعض أعضاء التكلم أو أطرافه أو قرناته بجزء من جسم المخاطب بطريقة خاصة . وقام العلامة لوبوك Lubbock في هذا الصدد بطائفة كبيرة من التجارب ، فتبين له صدق ما ذهب إليه هؤلاء الأساتذة[2]

وأما النوع الأخير من أنواع التعبير الذي أشرنا إليها أول هذا المقال ، وهو اللغة بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، أي الأصوات المركبة ذات المقاطع التي تتألف منها الكلمات ، فيظهر أن الإنسان قد اختص بها من بين سائر الفصائل الحيوانية

حقاً إن بعض طوائف الحيوان تصدر عنه أصوات شبيهة في ظاهرها بهذا النوع من التعبير ، ولكن بالتأمل في هذه الأصوات ، يتبين أنها خلو من خصائص اللغة في صورتها الصحيحة ، وأنها ترجع إلى فصيلة أخرى من وسائل الأصوات وسنعرض فيما يلي لأهم ما يصدر عن الحيوان من هذا القبيل ، معقبين على كل مظهر منها بما يبين وجوه الفرق بينه وبين اللغة الصوتية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة

(١) انظر كوهلر : ذكاء الفصائل العليا من القردة صفحة ٢٠٢ وما بعدها ( الترجمة الفرنسية ) L'Intelligence des Singes Supérieurs

(٢) انظر :

Ribot Evolution des Idées Générales, P. P. 66, 67
Lubbock Ants, Bees, and Wasps
Romanes Animal Intelligence

هذا ، وقد أنكر بعض العلماء وجود الإشارات ذات الدلالة المقصودة عند الحيوان ، ومن هؤلاء العلامة واسمان Wasmann الذي يرى أن كل الاحتكاكات الطبيعية التي يعتبرها الإنسان أنها من هذا النوع هي في حقيقة أمرها ، وأنها لا تدل المخاطب على شيء معين ، بل تقتصر على إثارة نفسه في اتجاه يتجه إليه ثم يثير الاشتراك . وتابعه في هذا أصحاب النظرية دولاكرو ( انظر دولاكرو Delacroix: اللغة والفكر ص ٣٠ وما بعدها )

ويرجع أهم ما يصدره الحيوان من هذه الأصوات إلى ثلاث طوائف :

( الطائفة الأولى ) أصوات فطرية الأصل يستخدمها الحيوان قاصداً بها التعبير عن بعض عواطفه ؛ كالحمحمة التي يرددها الفرس بشكل إرادي عند رؤية صاحبه للتعبير عن حاجته إلى العلف والماء ، والذي يلجأ إليه الفرس بعد الخروج من جوعه ؛ والنباح الذي يلفظه الكلب قاصداً به إيقاظ أهل المنزل أو إعلامهم أن شخصاً أجنبياً يحوم حول البيت ... وهلم جرا

وهذه الطائفة ليست في الواقع من اللغة الصوتية في شيء ، وإن أشبهتها في ظاهرها ووظائفها ، وذلك أنها أصوات مبهمة عارية من المقاطع والكلمات وغير متميزة العناصر ، ومن أهم خصائص الكلام ، كما لا يخفى ، اشتماله على مقاطع وكلمات وتميز عناصره بعضها من بعض . هذا إلى أنها في الأصل أصوات فطرية تصحب الانفعالات ، وأن كل ما يصنعه الحيوان حيالها في هذه الحالة أن يرددها في قصد بشكل إرادي للدلالة على بعض الانفعالات التي تعبر عنها في شكلها الفطري أو الدلالة على أمور انفعالية قريبة منها ( الجوع ، العطش ، الخوف ... الخ ) وأصوات هذا شأنها لا يصح عدها كلاماً ؛ لأن أهم خصائص الكلام أنه أصوات موضوعة للدلالة ، وأنه يعبر عن معان لا عن انفعالات

الطائفة الثانية : أصوات متنوعة تلفظها القردة في اجتماعاتها بطريقة يتبادر منها إلى الذهن أنها وسائل تعبير إرادي ، وأن أفراد القردة تتجاذب بها الحديث بعضها مع بعض . وتبدو هذه الظاهرة بشكل واسع في الفصائل العليا من القردة وخاصة الشمبانزي

وهذه الطائفة كذلك ليست في الواقع من اللغة الصوتية في شيء ، وإن أشبهتها في ظاهرها ومناسبات استخدامها . فقد ظهر بالبحث أنها أن يصحب تعبير غريزي عن الانفعال ، ويصحبه بجزء من ريد يؤدي لهذا التعبير ، ويعقب من ظواهر التداعي الآلي[1] أو العدوى الصوتية[2] أو تقليد الحيوان بطريق

(١) ومعناه أن يرتبط الصوت بشيء آخر بطريقة تجعله يظهر بشكل ميكانيكي غير إرادي كلما ظهر هذا الشيء ، وسيأتي بيان ذلك بتفصيل في الطائفة الثالثة

(٢) تبدو ظاهرة العدوى الصوتية عند كثير من أنواع الحيوانات ، وتبدو كذلك عند الأطفال ؛ فإذا ضمهم مكان واحد ، بصوت أحدهم صوتاً قريباً من أصوات الآخرين ، وإذا أخذ أحدهم يبكي بكى الباقون : انظر تفصيل هذا بكتابي « في التربية » ص ٣٠ وما بعدها

طرى غير إرادى لأصوات نفسه أو أصوات غيره[1] — هذا إلى أنها على الرغم من تنوعها ، وعلى الرغم من تشابه أعضاء النطق عند فصائل القردة بأعضاء النطق الإنسانية أصوات مبهمة بسيطة عارية من التقاطع والمكثات وغير متميزة العناصر ومن أهم خصائص الكلام ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، اشتماله على مقاطع وكلمات ومميزات عناصره بعضها من بعض[2]

(الطائفة الثالثة) أصوات مركبة ذات مقاطع تلفظها بعض الطيور كالببغاء ، وبعض الحيوانات الأخرى التي تساعدها أعضاء صوتها بخصائص طبيعية تتيح لها إخراج هذا النوع من الأصوات .

وهذه الطائفة كذلك ليست في الواقع من اللغة الصوتية في شيء ، وإن أشبهتها في الظاهر . وذلك أن الطائر لا يقصد بهذه الأصوات التعبير ، فهي تصدر عنه في ثلاث حالات كلها صادرة عن آلية عارية تماماً من هذا القصد :

الحالة الأولى : حين يكون الطائر متأثراً بحال جسمى أو نفسى ، وهى فى هذه الحالة من نوع التعبير الطبيعى عن الانفعالات ، تصدر عن غير قصد ، وتظهر بشكل آلى لاتصال الطائر به ، وأمرها مؤسسة على الروابط الطبيعية الفطرية التي تربط أعضاء الصوت بحالات الجسم والنفس بطريقة تجعل هذه الأعضاء تتحرك وتعمل بشكل آلى أو منعكس ، وتلفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع عند وجود حالة من الحالات الجسمية أو النفسية المرتبطة بها . فهى حيالئذ من قبيل الضحك والبكاء وما إليهما من مظاهر « التعبير الطبيعى السمعى » وكل ما هنالك أن التعبير الطبيعى السمعى يبدو عند الحيوانات الأخرى فى صورة أصوات بسيطة مبهمة ، ويبدو عند هذه الطيور أحياناً فى صورة أصوات مركبة ذات مقاطع

والحالة الثانية : حينما تكون محاكاة لصوت إنسانى يسمعه الطائر ، وهى فى هذه الحالة كذلك تصدر بشكل آلى عارٍ عن قصد التعبير بل عن قصد المحاكاة نفسها . وذلك أن هذه الفصائل مزودة بروابط طبيعية تربط جهاز سمعها بجهاز صوتها بطريقة تجعل أعضاء الجهاز الثانى تتحرك وتعمل وتلفظ بشكل آلى مثل الأصوات التى يحسها الجهاز الأول . فكثيراً ما يحاكى الصوت الذى تسمعه في ظروف خاصة ، أينما صدر من أمرائها[1]

(والحالة الثالثة) قد تسمع الببغاء أحياناً كلمات أو أصواتاً فى مناسبة ما فتذكرها كلما حدثت هذه المناسبة أو مناسبة أخرى تشبهها بطريقة يتبادر معها إلى الذهن أنها تقصد بها التعبير عن أمر معين . فقد سمع مثلاً أصحاب ببغاء ينادون طفلاً باسمه فتكرر هذا الاسم كلما رأت الطفل أو رأت وجهه أو متاعاً من أمتعته[2]

وهذه الأصوات كذلك ليست من اللغة فى شىء وإن أشبهتها فى بادئ النظر ، وذلك أن الطائر لا يقصد بها ، فى الواقع ، التعبير عن أمر ما ؛ وإنما تصدر منه بشكل غير إرادى على الصورة التى تصدر فيها ظواهر « التداعى الآلى » . فلكثرة تكرار الكلمة أمام الطائر ، بحضرة الشخص أو الشىء الذى تدل عليه ، يرتبط صوتها بصورة مدلولها ، فيصدر الصوت من الطائر بشكل آلى كلما ظهر أمامه المدلول أو ما يتصل به[3]

هذا ولا يمتاز الإنسان بهذا الصدد عن جميع فصائل الحيوان باللغة الصوتية فحسب ، بل يمتاز عنها كذلك بحالته من المراكز المخية التى تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة (مركز إصدار الألفاظ ، مركز حفظ الكلمات المسموعة ... وهلم جراً) . فقد ثبت أن هذه المراكز ليس لها نظير فى مخ أى فصيلة حيوانية أخرى ، حتى الفصائل العليا من القردة نفسها .

• • •

فالبحث فى نشأة اللغة يتطلب إذن دراسة موضوعين اثنين : أولهما نشأة الكلام فى الفصيلة الإنسانية ؛ وثانيهما نشأة مبادئ اللغة فى النوع الإنسانى

وسنعرض لهذين الموضوعين فى المقالات التالية إن شاء الله

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(١) انظر تفصيل هذا الموضوع بمؤلفنا فى التربية ، صفحة ٦٦ ، ٧
(٢) من أهم الملاحظات بهذا الصدد ما دونه الدكتور ولكس مدير الجمعية الملكية بمجلة العلوم العقلية ، عدد يوليه سنة ١٩٠٩ Dr. Wilks, Journal of Mental Science
(٣) انظر فى هذا الموضوع كتاب الأستاذ ... « ... والأرتقاء العقلى للإنسان » ... وانظر أيضاً بهذا الصدد مقالة ... فى مجلة الفلسفية سنة ... Revue Philosophique ... وانظر كذلك ما كتبه أستاذنا دولاكروا فى كتابه « اللغة والفكر » ص ٢٥

(١) سيأتى شرح هذا فى الطائفة الثالثة
(٢) انظر فى هذا الموضوع بحوث الأستاذ Pinsent الذى درس أكثر من مائتى قرد فى حديقة حيوانات برلين ، وبحوث Boutan الذى لاحظ فى الهند الصينية مدى سنوات أصوات قرد من فصيلة الجيبون ، وبحوث كوهلر التى كتب كثيراً فى القردة وبخاصة فى القرد ... الذى ألف فيها كتابه المشهور « ذكاء القردة العليا » . وانظر كذلك ما كتبه أستاذنا العلامة دولاكروا فى كتابه : « اللغة والتفكير » ص ٣٢ وما بعدها .

# الأمومة عند العرب

## للأستاذ رفعه الحلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وهناك نوع آخر من أنواع النكاح اشتهر به العرب، كما اشتهرت بالنكاح الرابع، أعني به: نكاح الضرائر الذي كان يعقد دون شريطة ما، ويحل من دونه إذا أراد ذلك أحد الطرفين متى لم يجد فيه القناعة والهناء، ومتى فقد منه الميل والعطف.

على أن هناك بعض أنواع من النكاح كان شائعاً بين العرب في أيام الجاهلية شيوع النكاحين السابقين. جاء عن عائشة زوج النبي العربي: «أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء[1]، فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها؛ ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه[2] ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة منه في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع؛ ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل[3]؛ ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة[4] ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك[5]».

لم يكن تلك الأنواع من الزواج إلا عادات تختلف باختلاف القوم، وتمكنت من نفوسهم، فغلبت عليهم الفوضوية عند العرب حتى عهد الإسلام، وبعد أن هدم صاحب الشريعة الإسلامية نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم، ومعه أن العرب لم تهجم الأوامر الإلهية، ولا الشرائع المسنونة من هذه العادات التي ورثوها عن آبائهم الأولين، جيلاً بعد جيل، ولم تحملهم دفعة واحدة على التمسك بالزواج الشرعي.

تبين لنا مما تقدم شيوع تعدد الأزواج ونكاح المشاركة وغيرهما بين العرب، إذ لا سبيل إلى معرفة الأب بل ولا حاجة إلى معرفته أبداً، إذ لم يكن الزواج الشرعي معروفاً، والولد كان يتبع أمه ويحتمي بها في جميع أموره، على أن الرجل أخذ يشعر بالميل نحو طفله، وبالعطف على ولده الذي كان هو سبب وجوده في هذا العالم، واشتد ميله إلى الاعتناء به وضمه إليه وإلحاقه به، فنشأ عن هذه الظاهرة الحديثة عادة تبني آباء مجهولي الولد، معتمدين في ذلك على ظواهر خارجية وعلامات حسية، وقد يكون تبين هذا الأب أخيراً في زواج المشاركة منه في تعدد الأزواج الذي كان يلتحق به بعض الأقارب أو إخوة بعض الأزواج امرأة واحدة. وفي هذه الحالة كان الأخ الأكبر أو من تختاره المرأة، أو من تعينه القافة، يأخذ على عاتقه تربية الطفل وحمايته، كما أنه يعد — غالباً — أباه وإن لم يكن في الحقيقة أباه. ولم يأخذ العرب بهذه الظاهرة الحديثة إلا بعد شيوع تعدد الأزواج ونكاح المشاركة، وظهور أول مبادئ الزواج الشرعي في المجتمع الإنساني. بيد أنه لو كان للولد أب حقيقي أو كان يعرف له والد ولو على الطريقة الاختيارية، لصعب على كل باحث أن يدرك الأسباب التي دعت إلى حصر الفخر في الأم مكتفياً بعد أن الولد في الجاهلية ليس له أب حقيقي بل لم يكن أحد يعرفه، وهذا ما أدى إلى شيوع الأمومة في العرب والتمسك بقرابة الأم.

ومن الأدلة الواضحة على شيوع الأمومة عند العرب، قبل فهم نظام الأسرة عندهم، لفظة «بطن» التي تستعملها العرب حتى اليوم بمعنى القبيلة أو الشعبة، ولا ريب في أن هذه الكلمة بمعناها الحقيقي تدل — في زمن مضى — على أن المرأة كانت مصدر القبيلة ومحورها.

---

(١) صحيح البخاري المجلد الثاني الجزء السابع صفحة ١٥ و ١٦

(٢) «أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه» أي برجل من أشرافهم — عن القسطلاني

(٣) وهو ما يعرف بتعدد الأزواج Polyandrie

(٤) جمع القائف كالقافة: الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية

(٥) وهو ما يعرف بنكاح المشاركة Hétaïrisme

ومن آثار الأمومة أيضاً، انتقال العرب بانتقال الصفات الشخصية من الرجل إلى ابن أخته، وإن لم يكن بينهما في الغالب صلة وحب يجمعهما، ثم إن ذلك يؤكدون أن الولد يحتذي خاله في أخلاقه وسيره وعاداته، دون أبيه، لأنهم رأوا صلة قوية بين الخال وابن أخته، يوم كان الولد يتبع نسب أمه وينتسب إليها؛ فكم من أمير من أمراء الجاهلية خلفه ابن أخته في رياسته، وورث عنه ألقابه وأمواله، دون أولاده؛ إذا كان العرب يشعرون بالخؤولة لرعايتهم الأمومة.

وكذلك الرق، فإنه أثر من آثار الأمومة، انتقل إلى الإسلام من الجاهلية، ومن عادته أن الولد يتبع أمه، وعليه نصوص في الفقه، وهذا ما يعرف عند الفقهاء بأن «الولد يتبع الرحم»، يعني أنه إذا كانت الأم حرة، فولدها حر، وإن تزوجت عبداً؛ وإن كانت أمة، فولدها عبد، وإن كان زوجها حراً. ومن كان الحالتين، يتبع الولد أمه في حق الحرية والرق.

ذكر مؤرخو الأدب، أن عنترة العبسي، الشاعر الجاهلي المشهور، كانت أمه أمة حبشية، وأبوه من سادات بني عبس؛ فأبى أبوه أن يلحقه بنسبه، وجعله في عداد العبيد، وكان عنترة عند أبيه مقهوراً يرعى إبله وخيله، فنشأ من حسان العبيد، وفارس الفروسية ومهر فيها، حتى صار فارساً شجاعاً همّاماً، وكان يكره من أبيه استعباده له وعدم إلحاقه به، حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم، ولحقتهم بنو عبس وفيهم عنترة لاسترداد الإبل، فقال له أبوه: كرّ يا عنترة! قال: العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر! فقال له: كرّ وأنت حر. فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل.

لا ريب إذن في أن الأب الحر، لا يقدر أن يجعل من ابنه ولداً حراً، إذا كانت زوجه أمة، ولو كان زواجهما شرعياً! والأم الحرة تستطيع أن تجعل من ابنها ولداً حراً، ولو كان زوجها عبداً رقيقاً. إن هذا التفاوت بين حقوق الأرقاء، إن هو إلا بقية من بقايا الأمومة التي نشأت حب طائفة الأمهات عند العرب يوم كانت تؤثر نسب المرأة على نسب الرجل، في حفظ شرف الأسرة.

يقول المستشرق سميث Smith إن العرب كانت، في عصر الجاهلية، على الزواج الخارجي Exogamie واستشهد في ذلك بما قاله Renan الذي ردّ هذا الزواج إلى العادة التي كانت شائعة بين العرب من وأد البنات، ثم جعل ما أدى إلى قلة عددهن، وبقلة عدد النساء من زوجة، فاضطر الرجال إلى طلبهن في غير قبائلهم.

لا ننكر أن بعض القبائل العربية كانت تمارس هذه العادة، وكانت تئد بناتها بعد ظهورهن؛ قيل: «كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية — أي فيها من العمر ستة أعوام — فيقول لأمها: طيبيها حتى أذهب بها إلى أحمائها[1]، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيه ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض»[2]. وقيل: «كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة؛ فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابناً حبسته».

وورد في أمثال العرب ما يفهم منه أنهم كانوا يركنون إلى وأد البنات؛ من ذلك قولهم: «تقديم الحرم من النعم»، و«دفن البنات من المكرمات». أما السبب في وأد البنات، فهو إما خوفهم من لحوق العار بهم من أجلهن أو التخلص من مؤونة تربيتهن[3] أو مخافة الفقر والإملاق؛ بل كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن[4]. ولما ظهرت الشريعة الإسلامية، نهى النبي العربي الكريم، عن هذه العادة وحرمها فقال: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيراً»[5].

ويقال إن العرب، قبيل الإسلام، عدلت عن هذه العادة أو كادت. فقد عرف عن صعصعة بن ناجية أنه كان يفتدي وأد البنات، ويفدي كل موءودة بناقتين وجمل، فلقب بمحيي الموءودات، وبه افتخر الفرزدق إذ يقول:

---

(١) أي أحمائها
(٢) تفسير الزمخشري الجزء الثاني صفحة ٣٦[illegible]
(٣) تفسير الزمخشري لسورة النحل ، الآية [illegible]
(٤) تفسير الزمخشري جزء الثاني صفحة ٤٦[illegible]
(٥) سورة الإسراء

ومنها الذي منع الوائدات ... فأحيا الوئيد فلم يوأد(1)

لم تكن هذه العادة من الأسباب التي دعت الرجل إلى طلب النساء في غير عشائرهم ، ولم تكن أيضاً سبباً من أسباب شيوع الزواج الخارجي عند العرب كما زعم Lennan و Smith إلى ظاهرة طبيعية مثل حب البنات وعدم تقبلها إليها ، هذه الظاهرة غريبة بالتفكير والتحليل ، ذلك أن إحدى المفكرين Lombroso ذهب إلى أن الإناث في المخلوقات جميعها تفوق الذكور عدداً ، وإذا تقدمنا إلى هذه القضية نجد أن عدد البنات كان ولا يزال أكثر من عدد الصبيان ، فضلاً عن أن الرجل بما هو دائماً لأخطار الحروب والأمراض أكثر مما تتعرض له المرأة ، ومهمة الرجل كانت تقوم على محاربة العدو لحفظ كيان قبيلته من الفناء ، وعلى صيد وحوش الغاب والأحراش للحصول على أهم ما تحتاجه من مأكل وملبس

وإذا ما سلمنا جدلاً مع هذين الباحثين ، أن وأد البنات كان من أسباب شيوع الزواج الخارجي ، فكيف نجد تفسيرها أن يجعلا نتيجة هذا الوأد في القبائل الأخرى ؟ فإن قل عدد النساء في قبيلة واحدة ، وجب أن تقل في قبيلة أخرى ، وهذا ما يجعل الزواج الخارجي عسيراً إن لم يكن مستحيلاً

فليس السبب الحقيقي إذن في شيوع الزواج الخارجي بين العرب وأد البنات ، بل هو شدة كراهة العرب لزواج القرابة كما للمستشرق Goldziher إلى من جملة الأقوال الحكيمة التي أبقاها عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة المشهورة وصيته لأولاده : « لا تزوجوا في حيكم فإنه يؤدي إلى قبيح البغض » ثم أن يجل يقصد منه كراهة العرب الزواج داخل الحي ، أي الزواج الداخلي Endogamie وهو : الغرائب ولا القرائب

فالعرب إذن كانت في الأزمنة الغابرة على النكاح الخارجي وإن أخذت بالزواج الداخلي حيناً من الزمن ، إذ أصبح رجال القبيلة الواحدة يتزوجون من نساء قبيلتهم ، ويبقى في قبيلة أخرى ، إلا أن هذا الزواج لم يكن عائقاً شيوع الزواج الخارجي

ولقد رافقت الزواج الخارجي ظاهرة جديدة أخذ العرب بها ، هذه الظاهرة هي انتماء الزوج زوجه وتكفل بأمرها وبقبولها ، بقاء المرأة ، بعد زواجها ، في قبيلتها ، وحفاظها عليها في الإقامة حيث تقيم بين أهلها ، بعد عهد الطاعن ، صفة من صفات الأمومة وكان من أمر هذه أن ينسب المولود لأمه ولقبيلتها

على العرب إلى ناحية الزواج الخارجي من الناحية الوراثية ، إذ يكون النسل قوياً عقلاً وجسماً ، فأخذوا به ، ونبذوا الزواج الداخلي لاعتقادهم أن الزواج من القرابة يولد الضعف في العقول ، والضعف في الأجسام فتأثروا منه ؛ وهذه النظرة التي أخذوا بها تقابل — وإلى حد ما — النظريات الوراثية الحديثة

إلا أن هذا الاعتقاد يخالف ظاهراً ما اشتهر به العرب قديماً من أنهم كانوا يفضلون نكاح بنات العم على غيرهن ، ولكن في الواقع ، لا نجد أي تناقض في هذه المسألة ، ذلك لأن كل عربي يلتمس عروبته وحليته ... ولكن لم يكن بين الطرفين وشيجة رحم أو صلة قربى ، وليس بوسع الباحث أن يرد سبب إطلاق كلمة العم على الحم ، وبنت العم على عروسه ، إلا التمسك العربي بهذه التسمية . فالأمومة والزواج الخارجي التي تنح عنهما الزواج بين أولاد الأعمام ، أي أنهم كانوا يسمحون لأولاد الأخوة الذين أمهاتهم من قبائل مختلفة أن يتزوج بعضهم من بعض ، لفقدان صلة القربى بينهم ، ذلك أن الأمومة تتطلب من الولد أن ينسب إلى أمه ، وأن يتبع خاله بعدها دون أبيه

فالزواج لم يكن إذاً في ذلك العهد بين أولاد الأعمام وبنات العم زواجاً فيه قرابة ، بل فيه [illegible] أن الرجل كان يحجم عن التزوج بابنة خاله لاعتقاده أن خؤولة أكثر قرباً من العمومة ، وربما كان هذا الاعتقاد من الأسباب التي دعت إلى إطلاق كلمة بنت العم على المرأة عامة

[illegible]

مصادر البحث


١ — القرآن الكريم
٢ — تفسير الزمخشري
٣ — صحيح البخاري
٤ — [illegible] الأسبوع [illegible] الجزء ٧ [illegible]
٥ — الأمومة عند العرب
٦ — Georges Davy: sociologues d'hier et d'aujourd'hui
٧ — G. [illegible] Dupral [illegible]
٨ — Aymé [illegible]
٩ — Totem et tabou par Dr. Sigm. Freud


(1) تفسير الزمخشري الجزء الثاني صفحة ٤٦٦

# النقابات الإسلامية

## للأستاذ برنارد لويس

ترجمة [illegible]

أكثر الكتاب والمؤرخون في عصرنا الحاضر من وصف [illegible] العصور وعظمة السلطان ، وسطور التاريخ [illegible] ، وأهملوا التيارات الاجتماعية التي كان لها أكبر الأثر في سير التاريخ ، [illegible] في التاريخ الإسلامي [illegible] بعض المستشرقين [illegible] ، [illegible] ولدينا في هذه الرسالة « النقابات الإسلامية » عرض [illegible] من أهم الصناعات والحرف في الإسلام . وقد رأينا هذه الرسالة لأنها تطلع القارئ العربي [illegible] على بعض المستشرقين في بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ الإسلامي . وقد نشرت هذه الرسالة في مجلة

Economic History Review, vol. VIII. No. 1937

ولكن [illegible] العربي [illegible] وأساطيرهم لم [illegible] هناك ، ومن النتائج الأخيرة لأبحاث [illegible] لا تتفق [illegible] ( ع . د )

---

إن طوائف أهل الصناعات والحرف هي من أهم ظواهر الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى

يندر أن يجد الإنسان أثراً لما نسميه روحاً مدنية ( نسبة إلى مدينة ) ، أو سلطة مدنية ( نسبة إلى بلدية ) في البلاد الإسلامية فقد كانت المدن الإسلامية في القرون الوسطى وطيلة العصور في الأغلب ، تجتمع لأهداف تجارية أو تقام بعد قرن أو نحو قرن ، ثم تضمحل أو تختفي [illegible] وجود طوائف [illegible] معينة ، أو وحدات مختصرة واقعة [illegible] روح التكتل والتنظيم التي كان لها أهمية كبرى في أوربا في القرون الوسطى ، منعت من الظهور في الحقل السياسي بتأثير الأوضاع [illegible] في البلاد الإسلامية ، [illegible] تلك الروح لأن تجد لها متنفساً في الحياة الاقتصادية . [illegible] في أصناف الحرف في الإسلام ما يساوي تلك الحياة [illegible] التي هي من أبرز مظاهر [illegible] أوربا في القرون الوسطى

كانت النقابة مهمة في الحياة الإسلامية لدرجة أن تخطيط المدينة — التي كانت مبنية على أساس سوق تجاري — كان يقرر في كثير من الأحيان حسب حاجات أصحاب الحرف . [illegible] أن المدن الإسلامية من سوريا حتى إلى جاوة [illegible] متمركزة حول ثلاث أو أربع نقط أساسية

فأول نقطة أهمية هي سوق الصرافين ، وهو مركز هام [illegible] في النظام الاقتصادي الذي الأساس في الصنعة ، كما كانت [illegible] في البلاد الإسلامية في القرون الوسطى

وعند حواليه جنس [illegible] ، ثم دار الضرب ( إن وجدت هنالك وحدة ) ، ثم سوق [illegible] ، ثم المحتسب وهو ملاحظ الأسواق . وهنا [illegible] أيضاً

والمركز الثاني هو القيصرية — وهي بناية محكمة تعرض فيها البضائع والنفائس الأجنبية ويحتمل أن يكون الاسم بيزنطي الأصل . والمركز الثالث هو سوق [illegible] — حيث يأتي الفلاح ليبيع إنتاجه اليومي . وهنا يرى الصناع [illegible] التي يشتريها الفلاح ، كالسكافين [illegible] وبائعي الحصر الخ —

والمركز الرابع هو الجامعة أو المدرسة . وهي ملحقة عادة بالجامع ، وفيها يكون الطلبة والأساتذة نظام نقابة حقيقية ويشتغل أهل الحرف حول هذه المراكز الأربعة ، كل صنف في سوقه الخاص . ويلاحظ من هذا أن توزيع النقابات يتبع هذا النظام في المدن المختلفة حيث توجد هذه المراكز الأربعة .

وهنا الآن ننظر في [illegible] هذه النقابات ، وهو بحث يلاحظ فيه أنه لم يتسم بقصر الشكل

هناك رأي يقول بأن هذه النقابات هي متممة للنقابات البيزنطية التي سبقتها ، إذ كانت توجد نقابات متعددة في المقاطعات البيزنطية كسوريا ومصر حتى القرن السابع الميلادي . وليس من المحتمل أنه قضي عليها من قبل الفاتحين العرب الذين كانت سياستهم كما هو معروف [illegible] الإدارية والاقتصادية التي خلفها البيزنطيون كما كانت عليه تقريباً . ومع ذلك لا نرى أية إشارة إلى وجود نقابات إسلامية قبل القرن العاشر الميلادي ؛ أي بعد ثلاثة قرون ( من بعد الفتح ) ، كما أن هذه النقابات كانت من نوع يختلف تماماً عن النقابات الموجودة قبل الفتح الإسلامي وليس لدينا إلا ملاحظات قصيرة متقطعة ( عن النقابات ) خلال

عبد الصمد، وأول المحققين لورخ ابن عذاري المراكشي إذ يقول عن والي أفريقية والمغرب سنة ١٥٥هـ (٧٧٢م) «وكان يزيد (بن حاتم) هذا حسن السيرة فقسم أفريقية وأصلحها ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها[1]»

ومع أن الكتاب الذي يحتوي هذا النص قد كتب في القرن العاشر فلا مانع من قبول صحة هذا الخبر وهو خبر طريف في ذاته؛ إذ أنه يظهر أن الأمير العربي وضع العمال والأسواق في القيروان، وهي مدينة جديدة بناها العرب الفاتحون، تحت نفس الإدارة والمراقبة كما كان يعمل الحاكم البيزنطي في البلاد المفتوحة. ولكن يظهر لي أن استنتاج وجود نقابات حربية في القيروان من هذه العبارة، كما فعل «فون كريمر Von Kremer[2]» و «آلجر Alger[3]» غير جائز بالبيانات الموجودة

وفي نهاية القرن التاسع الميلادي نجد نصاً لا بأس به من المصادر يشير إلى وجود شيء من نظام التكتل بين العمال وأصحاب الحرف. لكن هذه الأصناف لم تصل بعد إلى درجة يصح اعتبارها كنموذج للأصناف الإسلامية، وإنما هي مجرد تنظيم عام وبسيط للأسواق وضرب من التنوع الموصوف في المصادر البيزنطية المعاصرة[4] يمكن أن نستنتج من هذه الإشارات أن الأمراء المسلمين حفظوا بأشكال السيطرة القديمة التي كانت للإمارة البيزنطية على الحرف — على الأقل في معاملاتهم مع الصناع من غير العرب وغير المسلمين — وربما امتد ذلك حتى إلى المسلمين أنفسهم. وعلى كل حال فإننا نجد في القرن التالي تطوراً ظاهراً فيما يسمى بالأصناف الإسلامية، وحينئذ نجد من نوع لا يجمع عليه ما بين أنواع التركيب البيزنطي ويوجد نظرية أخرى بجانب هذه النظرية يتطلب شرحها الانتقال إلى موضوع قد بحثه غير المستشرقين

بدأ المستشرقون في السنوات الأخيرة بما كسبوا أكثر فأكثر أن المذهب السني في العصر الأول للخلافة لم يكن أبداً مذهب الطبقات الدنيا، ولما ازدهرت حركة الصناعة في الأدب الإسلامي في القرون الوسطى ارتاح الأصناع إلى أن المذهب السني كان ينظر إليه في كل عصر كمذهب طبقة مسيطرة، أي مذهب الدولة وعين الأرستقراطية العربية على كثرة[1] وقد كانت هذه نظرية الفاتحين أنفسهم في الأدوار الإسلامية الأولى، ولذلك كانت الأكثرية الساحقة بين رعاياها الخاضعين — القرون عديدة بعد الفتح الإسلامي — غير سنية تكره المذهب السني كرمز لسيطرة طبقة أجنبية حاكمة تتمتع بامتيازات خاصة

ومع ذلك كان الشعور الديني قوياً بين الطبقات العامة، وقد تجلى هذا الشعور بظهور سلسلة فرق متزندقة مشتقة منذ القرن الثامن الميلادي حتى الفتح المغولي، وتتصف جميع هذه الفرق تقريباً بفلسفة صوفية Syncretistic تحتوي عناصر مقتبسة من فرق سبقت العصر الإسلامي كالأفلاطونية الحديثة والمانوية والمزدكية، وفلسفة اجتماعية ثورية أساسها عمل المساواة بين الأفراد وبتنظيم سري يشبه النظام الماسوني، وهي خليط من أفراد من مختلف الطوائف Interconfessional مع درجات من التهذيب والتدريب. ونجد مثلاً مصرياً لنجاح هذه الفرق وفشل المذهب السني في حالة مرداويين و الدولة الفاطمية (الإسماعيلية) والقرمطيين في أفريقية الشرقية، حيث على الرغم من قوانين المتصوفة عند الطوائف المسيحية نستنتج من التشكي الرسميين نجاح أقل من نجاح الدعوة الإسلامية. وقد أيضاً ترى لا يجيء أو لا أدري من أن مسيحية منعزلة تحكم أهلي، فمن المحتمل أن يكون مسلماً من الدرجة الأولى على أن يكون مسيحياً من الدرجة الثانية

بلغت هذه الحركات الشيعية أوجها في القرنين العاشر والحادي عشر، فلذلك كانا مرحلتي تطور صناعي وتكتل حضري. فظهور نظام رأس المال وتحويل الأموال من كونها شاء، تتعلق فروعها الإمبراطورية، ساعد على ظهور الدولة بالنقود، وعلى حفظ النقود بصورة جعلها أساساً للاقتصاد. وقد أثر هذا على النمو الصناعي، فأصبح مركز أي رأس

(١) كتاب البيان المغرب في حلي المغرب لابن عذاري المراكشي طبعة ليدن سنة ١٨٤٨ جزء أول ص ٥٨

(٢) Von Kremer : Kulturgeschichte des Orients, Vienna 1877, II, p. 187 ص

(٣) Alger : Les corporations Tunisiennes, Paris, 1909

(٤) Von Kremer و Mez : Renaissance of Islam راجع

(١) انظر Van Vloten : Recherches sur la Domination arabe, Amsterdam, 1894 انظر أيضاً Becker : Islam Studien و Bertels : Musulman Culture, Calcutta, ... pp. 73-8, 100-102

ومما يستحق النظر أن التقسيم بين السنيين والشيعيين لا يناسب تماماً التقسيم بين العرب وغير العرب. فالحقيقة أنه كان في فارس من عهد الدولة السامانية اتجاه إلى المذهب السني بين الطبقات الثرية من العرب في سورية والعراق كان بجانبه مذاهب أخرى

للملل والنحل[1] كما ولد الجو السريع في رأس المال حسب المنتظر معه مشاكل اجتماعية خطيرة. إذ نقرأ عن سلسلة اضطرابات خطيرة في بغداد، وعن ثورة الزنج في أسفل العراق في القرن التاسع، ثم عن ظهور قوى دينية باستمرار ... وفي هذا العصر ذاته قام الإسلام بحركة ثورية سياسية اقتصادية غالية في نفس الوقت أنعشت الخلافة الفاطمية في المغرب. فالحركة الإسماعيلية (أو القرمطية) — كما تسمى هذه الحركة تبعاً لاسم أهم شعبها وأكثرها أهمية — تعتبر بأنها حركة عجيبة. إذ وجهت دعوتها إلى مختلف الفرق الإسلامية ... من سنة وشيعة — ومختلف الأديان من يهود ونصارى، ووجهت دعوتها إلى السواد بما حملت الحركة الشاملة والعدالة الاجتماعية، ويبحث الآن في ظهور المذهبية الإسماعيلية فتكون شعبية السواد متحمسة، أو اجتماعية تنتمي إلى عصر متأخر عندما طرأ على النادي الأول تبدل واسع. فتلاحظ أن هذا الدين الذي رسم الغزالي والشهرستاني والبغدادي بالتعصب. وقد صهرهم لآراء خصومهم ... إذ يقول في حديث له مع البغدادي عن هؤلاء قال: «فقد ذكر البغدادي كثيراً منها إلى أن ذكر كتاب الملل والنحل للشهرستاني فقال: وإنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العلم وعيه إلا أنه غير معتمد عليه، لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمى الفرق بين الفرق، من تصانيف الأستاذ أبي منصور البغدادي، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين، ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح»[2]، وقد أدرك الغزالي الخطورة الاجتماعية للمذاهب الشاذة، وقال في الكلام عن الباطنية: «فالمنقول أن الذي دعاهم ... جماعة من المجوس ... وبقي الباقي في دين المجوس، لأنهم يحنون إلى ...» ثم قال أيضاً عنهم: «لا تحرزوا من خطر المستحقين في هذه ... عند المسلمين من أهل الدين ... ويجب ... الأنس على العوام الغافلين من أمر الشرع» ... وقد ... الكلام على الصدد الباطنيين قال: «وهؤلاء القوم ... على هذه الأعراض يتوصلون به إلى استباحة المحرم واستباحة أموالهم ... »[3]

ومن الواضح على كل حال أن الحركة الإسماعيلية كانت قوية على نوع من التفكير الحر تستمد عناصره الأولى ... الشريعة الإسلامية، ويستند إلى مبدأ من العدل والتسامح والمساواة العامة[2]، وبطريقة خطيرة من التفسير ... أسست عقيدتها ... بنصوص من القرآن والكتب الدينية الإسلامية، كما عرفت كيف ... والتصدي للقسمة الطبقية.

وقد ذكر عبد الله ... الأصول الاجتماعية للإسلام أنه «... إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات ... ومن الجنة والنار ... أصحاب الشرائع من الصوم والصلاة والصيام والحج والزكاة[3]».

وفي هذا النص مؤلف ... سنة ١٠٣٧ ... ولا يمكن تأييده بنصوص من الكتب الاجتماعية القديمة أو المتأخرة ...

«يتبع» عبد العزيز الدوري

(1) ... كتاب ... 

(2) ... 

(3) ... الفرق بين الفرق ... القاهرة ... ص ٢٨١ – ٢٨٢

(1) انظر كتاب ... Medieval ... وكتاب آخر لنفس المؤلف Social life of Medieval Islam, 1937

(2) الأستاذ مصطفى ... محاضرات عن الفرق ... ص ٣٦١ القاهرة سنة ١٩٣٦

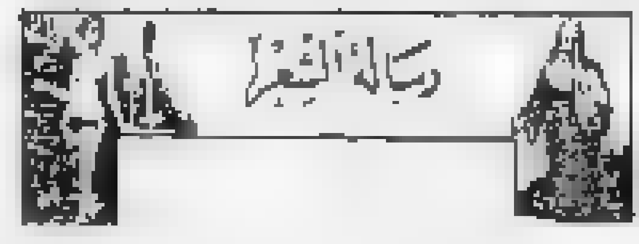


من الحدر والحداد

# بيوت الشعراء

## للأستاذ محمود غنيم

كسرت الدهر [illegible] شتائي    وبت من [illegible] أدهم كسائي
[illegible] على [illegible]    أشيدها وأسكن في الهواء
أشيد كل [illegible]    وأسكن بعد ذلك بالكراء؟
[illegible] بيت شعر    [illegible] على [illegible]
[illegible] دورًا    فلم [illegible] فيه [illegible] من [illegible]
وأوبت [illegible] والتيمى    ولم أترك شرحًا بالعراء
ولم أو [illegible] من السكنى حمرًا    ولو عجز الجميع عن الأداء
[illegible] عصر    [illegible] السماء
[illegible] دار بعد دار    [illegible] شتائي
وسكنى لا تقوم ببيت شعر    [illegible] أبو العلاء
ألا من يشترى بيت شعرى    بكوخ [illegible] من [illegible] وماء؟
[illegible] كرم من فؤادى    وليس [illegible] أعلى من دمائى

# المنبوذ

## للأديب فؤاد بليل

[illegible] الفتى [illegible]    [illegible] الظهير من أعتابه
[illegible] شريد    يعين [illegible] عتابه
[illegible]    [illegible] الأرصب في أعتابه
وعلى [illegible] وهناه    تتبدى [illegible] من أعرابه
[illegible] سكلا [illegible] الشقاء في أعصابه

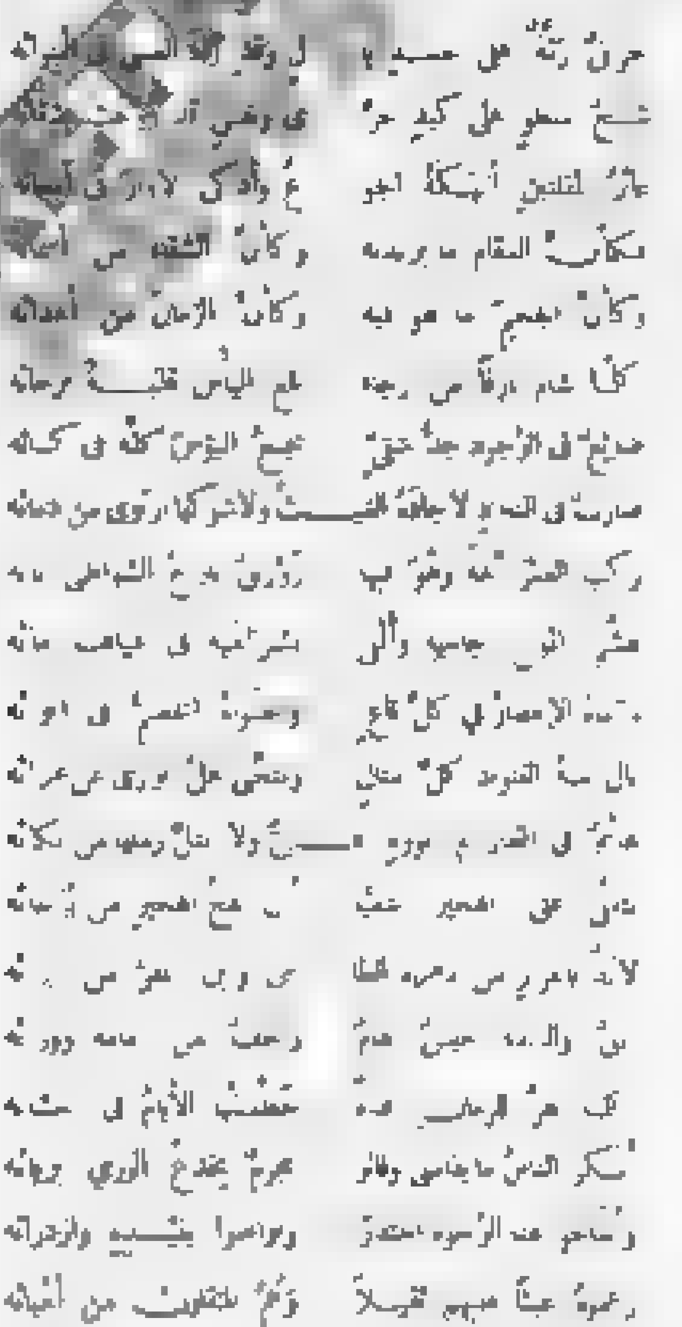
حزن [illegible] على [illegible]    [illegible]
[illegible] على كبد حر    [illegible]
[illegible] أمسكه الجو    [illegible] في أسبابه
[illegible] المقام [illegible]    وكأن [illegible] من أسبابه
وكأن [illegible] فيه    وكأن الزمان من أعدائه
[illegible]    [illegible] رحابه
[illegible]    [illegible]
[illegible] ولا شيء كما [illegible] من [illegible]
[illegible]    [illegible]
[illegible]    [illegible]
[illegible] الأعصار في كل [illegible]    [illegible]
[illegible] كل [illegible]    [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]    [illegible]
[illegible]    [illegible]
[illegible]    [illegible]
[illegible]    [illegible] الأيام [illegible]
[illegible]    [illegible]
[illegible]    [illegible]
[illegible]    [illegible] من أشباهه
[illegible]    [illegible]
[illegible]    [illegible] من [illegible]
[illegible] حتى [illegible] من [illegible]
[illegible] الأرض من [illegible] في [illegible]
[illegible]    [illegible]؟!

* * *

أيها [illegible] وأعددتم [illegible]؟!
[illegible]؟
[illegible]؟

أيُّها المتوسِّدُ نجمَ فخاره … من أين ذلّه وربط عنانه ؟!
ورثيه في الشمسِ والثرَ … ى وطول أكنافه وبلائه ؟
أم هو الدهر قد أتى أول الشــر … وأحق ظلماً على قرانه !
سطوا ربه وربه قصــد … تشد الآراء من آرائه
وإلى الأعيه أن تصبوه … ربح هذا الزمان من أشيائه !
لا تقولوه بن عزة أو ما … د وعز الأخوة بين أرجائه
أيهم عشوه فلم سرّنا … فالمصورة إن جمع في علواته
حانه ظلمكم فاز عليكم … وأثار الشكوى من شحنائه

# نشـــيد العمل[*]

محمد بيس التجارة وطبقات العامر

للأستاذ علي الجندي

نحن أبناء العمـــل في ميادين الحياة
كلُّ حــر يبتلي نحرز الفخر ممة يجتذ البين حطة
نحن أبناء العمــــل
نحن الشعب جميعة نحن الساعد ودم
نحن الساعد ومنه نحن المال قوام نحن الشعب نظام
نحن أبناء العمـــل
نحن كسب كالطيور والذي يسعى ينل
لا نبالي ما لقينا الصخور نحن أحرار الأجيال نحن أبطال النضال
نحن أبناء العمـــل
نحن وصل الدأب ويشك التعب
عمر لا عمر النصب من تراى هو ذهب
لا نرى بيت الكسل لا نرى بيت التوكل
نحن أبناء العمــــل
نحن لا نرضى الغنى في ظلال النصب
فالمنا رزقنا من طريق المكتسب
وتنتهي جهدنا والحديث بحسب

---

(*) عنه الأستاذ محمد غلاب

مبلغنا شـــرفنا بصرتنا الأعتنيق
نحن أبناء العمـــل
بمصر نهضتنا بن آرائها سند الله حطامها وحمى قومي بلادي
تعرف الخطب فداها نحن نرى من رماها نحن أوطاني فداء
نحن أبناء العمـــل

# إياك أعـــني ...

للأستاذ محمد كامل حته

يا من خطب حبيبتي … فأذبني بالجمـــل عجبا !
خوديت شي بين خفو … في رادي عليك رحمنا !
أضحكتني عرفت نفـــسي … في سحره النعوس
بين عشـــق الأرواح فاسري … به وبينه القلب الشموس ،
لا بل هي النســـر التي … يشقي به العقل السعيد !
ويظل يهصـــر كالفر … شه عواه برعو بيد
عـــاصت مع الآمال في … وادي الهوى سحرين نفسي
فتلك عمه ، وانتهيـ … ـت تخشى في أذيال نامي !
كم رحت أنشـــدها بـــكل مطية وبكل واد .
سيوانت اضطرب في عتـ … ـع الأرض مضطرب البلاد !
كم ذا شــيت بجرتي … في هذه الأدب الكئيبة
عطيت نسب وعـــدي … ورجعت في هذه الرحلة !
ماذا لقيت من حبيـ … ـبة وصعوبها كثير مرير ؟
بين عشـــة الظل البعــــيد وسمة القلب المرير
تُرى لاك … هي — ما شئت — من أغاني بين علق
وشعـــر بيت حوامي … غضب برة في اصطفق
نفسي ! عرفتك منـــذ ا … سكرى الجنون الدمي
ونه العـــدت إليك في … هذا الصدر الأرقم !
كفي ملامتـــه التـ … ـه بالســـلاه يجسر
ما عرفنا تمشي الضحى … ألا بربأه الأحمـــر ؟

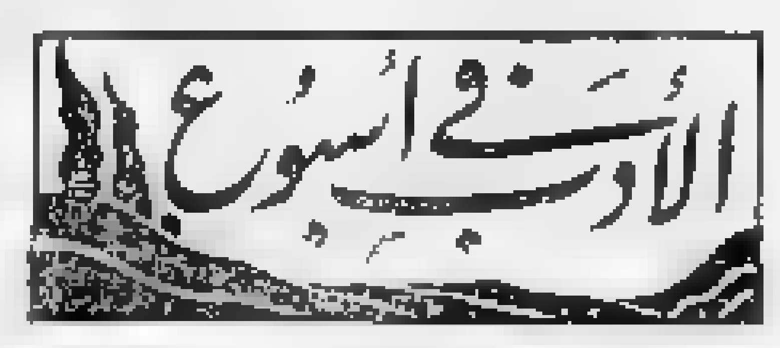


## مولده

سكن الكون وأصغى، وتهيأت كل القوى الأمينة لمقدمه، وتم التيار الإلهي الذي يموج به الكون، وصمت اللاسلكي الشعري بين حوافي السماء والأرض، وتهيأت أجيال النبوة بأرواح حانية التي أتم الله به نعمته على الناس، وتحركت في الكائنات أسرار الحياة الجديدة فاهتزت وربت واستشرفت إلى النور الذي يجمع من أفق الإنسانية العالي البعيد، ووصوص رمال الصحراء بقيعة الفرقد، فتقبل الأقدام التي ستطؤها بالنور الذي سيمشي أول ما يمشي في شعابها، ثم يمشي بالحق في أرجاء الأرض يحييها بعد موت، ويطهرها بعد دنس

سكن الكون وأصغى، وسكنت أمة الشياطين في مخادعها وهم رهبا وآفاقهم، وسقطت وساوس إبليس بالرعب والفزع، ونجب في معابدهم حالات الجبت والطاغوت، وتحيرت في مستقرها أخيلة الأوثان وأوهام الأرواح الشريرة على الناس

ثم اهتز الكون كله بالفرح، فتجاوبت أصداء الأجيال الراحلة والنازلة، ثم أصبحت تتداعى تحت الأشعة النبوية التي تشرق على الكون نورها بالحب والسلام والتوحيد والسلام ..

سكن الكون وأصغى، ثم اهتز بنوره وظهر، صلى الله عليه وسلم. والسلام عليك يا رسول الله، سلاما من كل قلب وفي كل زمن، والحمد لله الذي أرسلك بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون

## ذكرنا

أعياد الأمم هي الأيام التي تتمثل فيها خصائص الشعوب وحضارتها وحلاوتها الأدبية والعلمية والفنية والسياسية، هي الأيام البهيجة التي تنبض بالحياة وأسبابها في الأمة، وتدل على السر الحيوي الساري في أعصاب الحياة الحديثة اليومية المتتابعة على نظام من الحكم لا يكاد يختلف

واشتغال الشعب بأعياده أمر ضروري لأنها تمثل الأمل والرجاء، والروح التي تدفعه إلى غده، أو التي تحافظ عليه، فهو من ناحيته يظهر فيه الشعب من محاسنه وعقائده وجهوده، ويبين عن الميل الأعلى في التجديد والبهجة والزينة

فأعياد الأجانب الأوربيين مثلا تكشف عن قوتهم واعتدادهم بأنفسهم، وتشبثهم بحلل الحياة الدنيا إيغالا وإسرافا، وعن عظيم اعتدادهم أملا وخلاعيا في أنفسهم وأهليهم، وعن عنادهم ومن تطورهم وسياستهم بأكثر التماثيل الإنسانية حين تجري في مآتمهم من بعد شهوات الإنسان المتوحش الذي يرد إلى الغرائز الحيوية المتنافرة بالقوة، المجردة من الورع والتقوى

وأعيادنا نحن تخلو بالعطب من سمتنا وذلتنا، واستكانتنا لا تشعر به من الضعف والقلة، وتبين عن ذهول الشعب عن نفسه وعن كرامته، وعن مجده، وتمثله ستر غمت الحياة، وقلة مبالاته بها، وانصرافه عن سيرة الأحرار متمالئة في طبقاته على الصبر والخمول والبلادة

فهل نوفق إلى ذلك اليوم الذي تمثل فيه أعياد الشعب الإسلامي صورة السيطرة والسيادة والقوة، وتتبدى عليه أفراح الحياة الزاهية المؤمنة المطمئنة، وتبرز إليه الأخوة الإسلامية التي تسوي بين الناس غنيهم وفقيرهم وعالمهم وجاهلهم، وتجعلهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالحق والتقوى؟ هل يأتي ذلك اليوم السعيد الذي تمثل أعياده صورة من مدنية دين الله التي بدأت بالرحمة، والتعاطف والتضامن، وتنتهي بالعدل والإنصاف والصبر والتعاون؟ يومئذ تكون البهجة الحق للمدنية المستقلة، مدنية الحرية التي لا تعتدي أن تنتصر، والعلم الذي لا يبغي أن يكفر

## تعليم

أثار الأسبوع الماضي في مجلس النواب بإثارة اقتراح النص إلى شأن التعليم وسياسته التي درجت عليه وزارة المعارف منذ عهد طويل، وقد قدمت اللجنة المالية تقريرها عن ميزانية المعارف، وتناولت في هذا التقرير سياسة التعليم وأغراضه وعيوبه وما ترجوه له من الإصلاح، وناقش المجلس بعض هذه الآراء، وعرض حضرات النواب بعض آرائهم وملاحظاتهم.

ومن ... على أنك لم تعثر بهذه الحقيقة في قراءاتك لعصر ما جرى فيها — على أن حديث النواب كان يدل دلالة قاطعة على أن وزارة المعارف التي اقتصرت في قوانينها بهذه الصفة ما يزيد على قرن من الزمن لم تقرر فيها أسلوبَ صيغةِ التعليم، ولم تجر سياستها على منهج يستمر بها إلى غاية ترسمها على هدى وحياطة.

أفلا ترى أن الوزارة لا تزال تسمع من الناس ومن النواب ومن الصحف رأياً ما يجب عليه التعليم الديني في مدارسها، وما يتبع في مناهج تعليم البنات، وما تتطلبه أنظمة التعليم الإلزامي، وهل أدى الغرض منه إلى اليوم أو لم يؤده؟ وما نصيبه الوطنية من النظر الصادق في رقية التعليم الحر حتى يصل إلى الدرجة التي تليق به، والأمية التي يتولى محو بعض الرعاية عن بعض أبنائها، وغير ذلك من الشؤون الابتدائية في سياسة التعليم.

فهذا يجب أن تبين وزارة المعارف إلى هذا اليوم، ولم تتقرر لها سياسة عامة ثابتة تتناول حياة الأمة العقلية والأدبية والخلقية والمدنية بأبعد النظر وأحسن الرأي، فلا ... إلى هذه الآراء الأولية التي يعرض كل أحد أن الوزارة قد انتهت من أمرها والسير عليها والتدبير لها بكل الوسائل التي تكفل للشعب تربية أجياله تربية تامة كاملة مهيأة لتحمل الأعباء الثقيلة التي سيحملها جيلهم من بعد هذا الجيل.

وقد سارت وزارة المعارف في السنين الأخيرة على سنة لا يمكن إلا أن تفضي إلى توهين الروابط القديمة التي تربط الشعب كله بعضه إلى بعض؛ وذلك بكثرة تبديل المناهج وتغييرها عاماً بعد عام لغير ضرورة ملجئة في أكثر هذا التبديل والتغيير.

ولا بد أن تحرم وزارة المعارف أمرها على خطة واضحة ظاهرة ترمي إلى أبعد مدى على أتم صورة، يتسنى لها أن تمحو كل أخطاء الماضي التي لبثت فيها الأخطاء الاستعمارية والسياسية بكل ما من شأنه أن يسلب الشعب قدرته على التفكير والوثوب والتصميم، وما يتبعه من الحرية العقلية والنفسية، التي ترفعه إلى الدرجات العليا التي يجب أن يرقى إليها كل شعب يريد أن يتحرر ويحرر ويفرض سلطته على الأرض التي يعيش عليها.

وإذا أرادت وزارة المعارف منذ الآن، فإن في همة وزيرها التي لا تكل ولا تتأخر عن دواعي الوطن، إنفاذاً لهذه الإرادة. ووزير المعارف رجل معروف بالجد والإخلاص والمثابرة وقوة العزيمة، فلو اجتمع له كل أصحاب الرأي ممن يجب أن يساهم في شأن التعليم من جهة الدرس والكفاح المتصل، لأمكنهم أن يعيدوا وزارة المعارف من الحياة التي لا زالت تتخبط فيها منذ العهد القديم المعروف بأصوله في تحطيم قوى الشعب تحطيماً استعمارياً مستبداً ... نرجو أن ينضم وزير المعارف إلى رأيه جماعة من أصحاب التفكير السياسي الصحيح غير متعصبة بشيء من الرسوم القديمة — وهو الرجل الحر — ليمن الجهود هي التي ستحملها إلى هذا اليوم تسري في ظلام دامس من الأهواء التي تعبث على شأن التعليم من بعض.

**تعليم العربية**

وبهذه المناسبة أذكر أني قرأت في الأسبوع الماضي أبحاثاً كثيرة من أصحاب بعض الصحف في اللغة العربية، وأن الشكاوى ردّها إلى أسباب من المعلم والكتب وغير ذلك، وهم أنا أكثر كتبها لا يصح لصحة الناشئة بيان أسبابهم. وإن يكن في هذا بعض الحق فليس هو كل الحق، فإن أصحاب بعض الشكوى في العربية ليس يرجع إلى المعلم والكتاب، بل مرده إلى المنهج الذي يقتضيه بذل جهود كثيرة ... في شيخة المعلم، ويحمل الكاتب عقولاً ويعطى الشيء ما لا يستقيم عليه لسان ولا يستقيم به صحيح لغة.

فلو أنك نظرت لرأيت شباباً من شعوب الأرض الكاملة، يحمل بلغته ما تشتمل عليه من الصحائف الأدبية وقلة الاحتمال، تزويد الثقافة بما في الحضارة تذكرة أبداً على مر الزمن ... ولو أنك سألت أي مثقف من أهل الأمم الأخرى أن يحدثك عن روائع شعر أمته ونثرها وحديث بلغته لاحتمل في التفكير الذي كان مثله أنه إنما أحد الكتاب ليعجبه أنك قد أحسنت له السؤال. فلو أنك جئت بعد ذلك إلى أحد المثقفين المكثرين المتذوقين من المصريين مثلاً وسألته مثل ذلك لما إليك نظرة فاترة، فانظر وابتسم ابتسامة كأنه ساخر منك ولولا ذلك ظهر فيه يعجب من ضحكك وحمقك وقلة عقلك.

وإن يضم لو قال — ليس شاعر، أي الطالب المصري أو العربي ما يعرفه بالقراءة كما يعرف شكسبير وملتون وديكنز وشيلي وفلان وفلان من الشعراء والكتاب؟ بل أين؟ وإن يكن هذا كله حقاً فالترجمة كلها ... شكسبير

وأصبح إلا استيعاب قديم كتابنا وشعرائنا ، والحرص على آثار عبقريتهم ، فإذا كان ذلك أخرج الشعب يوماً أمثال هؤلاء من بينها من أهل أدبنا ، وإلا فإننا سائرون إلى سحب أبدا ما دمنا نرى أن الطالب لا يطيق أن يعرف من شعر البحتري إلا قصيدة واحدة ومن النثر مثلها ، ثم يكون ذلك آخر عهده وأوله بدراسة الآثار الأدبية العربية

إن الحفظ الأوفى للآثار الأدبية الرائعة قديمها وحديثها هو الذي يخرج الأديب والكاتب والشاعر . انظر إلى المنفلوطي والرافعي وشوقي وحافظ والبارودي والزيات وطه حسين ، كل هؤلاء لم يكونوا كذلك إلا لأنهم نشأوا وقد حفظوا القرآن أطفالاً فعصمهم ذلك من مفسدة حفظ الآثار الأدبية جميلة ، ثم صير هذا المحفوظ ما انطووا عليه من الطبيعة الأدبية التي استقرت في أنفسهم وألسنتهم ، فلما استحكموا استحكمت لهم طريقتهم في الأدب والشعر والإنشاء ، ولولا ذلك لما استطاعوا أن يكونوا اليوم إلا كما نرى من سائر من يخرجهم دور التعليم بالآلاف في كل عام ينقضي من أعوام الدراسة

مشروع

كتب الأخ الأستاذ « محمد خلف الله » كلمة جليلة الغرض تحت هذا العنوان « مشروع » في مجلة الثقافة العدد ( ٦٨ ) الماضي ، وخلاصة هذا المشروع أن تؤلف جماعة من الباحثين يتناولون اللغة والأدب وعلم النفس والاجتماع يكون من أغراضها أن تدرس النواحي المختلفة للاجتماع المصري الحاضر وما يكون فيه من النواحي المختلفة التي تخشى أن تدرج وحدها ولم تستطيع الحرص عليها إلى كاتب فصلة ، أو الاستعانة بها في درس الأمراض الاجتماعية في الشعب قبل أن يستفحل إن كانت من السوء بحيث تكون كذلك

وقد عد الأستاذ خلف الله بعض الأمثلة لما يجب أن تخرجه الجماعة بدراستها هذه بجامعة كمدارج عروبه وأمراضها في كل الأقاليم المصرية ، ونحو ذلك إلى أمواله الأولى التي تحصر عنها من أنواع القبائل ، وكذلك العصبيات الكثيرة والفرجة البحرية والقبلية كما هو ... ولا علة ... تنبه لإقامة بعض العرب في هذه البلاد ، ثم دراسة الأدب الشعبي من قصة وموال ومثل ونكاتها ونوادره ، ودراسة الخلق المصري ، وصبره ومسالكه ، وما يتناوله من الشعر والعنف . ويكون ذلك كله إعداداً لمعرفة حقيقة هذا الشعب معرفة صحيحة ، ثم نشر كل ذلك على المتتابع في رسائل قد استوفت شروط المنهج العلمي للعوامل الاجتماعية والسياسية والعلمية

وكنا نرحب بهذا المشروع الذي نستطيع منه أن نقدم الشعب صحة ناضجة استظهاراً لما يستتر من قوته ، وما يشكوه من ضعفه ، ويكون ذلك أحرى بأن يهدينا إلى إصابة الدواء الذي يحسم مادة الداء التي تأخذ أسباب رقيه سنداً بعد سبب . وهذه الدراسات المختلفة للشعوب على طبيعتها التي تتعامل بها في السهول والحقل والمصنع والمدرسة والبيت ، وهي الحياة لنا من شر كبير قد أوقعنا فيه الاضطراب وقلة الخبرة . ولو علمت أن أكثر الأمم المتحضرة تعمد إلى هذا الطريق نفسه في دراسة الشعب الذي تريد أن تسلك به ، ويلتمس له أن تعمل على إصلاحه وتقويه وتقوية ضعفه وإصلاف ... دون أن يستمر أو يتأثر بل تحسب أنه يصير إلى غايته على تدريج مستمر ... وعلى ذلك علمت ما نستطيع أن نستفيده من نتائج هذا المشروع الجليل إذا أحكم تنفيذه ، ولم يتعصب على حساب رجاله عصابة ، ولم تتحكم في هؤلاء الرجال شهوة أو هوى

محمود محمد شاكر

M. Arab. 30

# ترانكايو

إن الأسواق ... في الأقاليم الحارة من سنة أو كل اجتماع صورة إذا كان بالعكس في الثالث التي يطمئن الأمان هناك أو بالنظر إلى الناس أنفسهم ... من بيئات الجاورة يمكن البلاد التي مصورها المختلفة خبرة ... يتخذ من ... وأرز ... ومشكلاتو أمريكا ... من جهة الأمور ... المكونات واللذين من طبيعتها .

إن ... حول ترانكايو ... خاصة متميزة من حول الأطلال الذي يظهر جماعة من سكان البلاد يرون ... من أمر في ... الغربية ...

... من زراعة الأرز أو صيد السمك ... في ناحية من أكثر النواحي التي ... بها وهم ... في البلاد كلها وعلمهم ... لا ... من ... على ... من جيران ... من ذلك ... ولا ... في ...

... هذا الأمر ... في مدينة كبيرة ترانكايو ... يتم ... يوجب إعطاء جميع أهل البلاد ... من السكان يومياً على ... ... وكل ذلك ... جميع السكان ... جرانا وأحد أو جرانا وثلاثين ... من السكان يوماً ... أو سبعة أيام ... لأن ما ... التدريج ... في مدينة ترانكايو ...

تأملات فى الفن :

# العشرة الطيبة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

منذ زمن طويل والكتاب يدعون استوديو مصر إلى إخراج العشرة الطيبة للسينما ، وقد كان رجال الاستوديو يترددون دهراً حيال هذه الأوبريت الرائعة ويشفقون من إخراجها لسبب واحد وهو أن قصة العشرة الطيبة تصور الحياة المصرية فى حقبة من الزمن لا تشرف المصريين ، وهى تلك الحقبة التى حكمها فيها الأتراك والمماليك معاً ، والتى كان هؤلاء الحكام يعتبرون فيها الناس شعباً مستعبداً ... المصريون ، واستغلوا له وجعلوا خدمهم ... « من تزوج أمى أقول له يا عمى » وقولهم « إن كانت لك عند الكلب حاجة فقل له يا سيدى »

ولقد حاولت أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة أن أنزع من أذهان رجال استوديو مصر هذه الكراهية الخاطئة التى يصبونها على العشرة الطيبة لهذا السبب وحده ، وقد ضربت لهم يوماً مثلاً برواية هنرى الثامن التى مثلها تشارلس لاوتون لإحدى الشركات الإنجليزية ، والتى لم يتورع فيها ذلك الممثل الإنجليزى الكبير حين مثلها أن يصور هنرى الثامن الملك الإنجليزى بصورة هى أقرب الصور لما كانت عليه حقيقة هذا الملك ، ولم تكن حقيقة هذا الملك مصورة من مفاخر بريطانيا العظمى ، ولا مثلاً طيباً للحكام ومن يحكمهم ، وإنما كانت حياته كما روى التاريخ وكما أظهرها الشريط حياة كلها صيد ورواج ، وأكل ، وطلاق ، وفتك بالنساء والحيوان والأنفس ، وتعصبات بالشريعة النصارى التى لا تبيح انفصال الزوج عن زوجته إلا بالسبب الشنيع الواحد الذى لم يحاول هنرى الثامن مطلقاً أن يصل بسببه إلى التخلص من نسائه لأنه كان يرى نفسه فوق الشبهة والتشفى واستقصاء الأسباب ويعادى الأكثر

ومع هذه البشاعة كلها ، ومع هذه القسوة والفتك والسواد فإن الإنجليز لم يكرهوا تشارلس لاوتون ، لأنه أساء بهنرى الثامن عن حقيقته ، بل إنهم على العكس من ذلك أحبوه وقدروه ، ورأوا منذ أخرج هذا الفلم بتقديره فأنهم الأول فى هذا العصر ، وهنرى الثامن ذلك حقيقة مثل بها تشارلس لاوتون هذا كله تحت أعين الإنجليز وأحكامهم ، بل إنه استمال كل من هنا بأمورهم وكذلك الآن سيحفظونه من رجالهم . أما « العشرة الطيبة » فليس فيها قالت حقيقة واضحة ممن يعتز بهم التاريخ المصرى أو ممن ينسبون إليه ويخشى إن هو أظهرهم للناس أن يلصقوا بقدرتهم وهيبتهم ، وإنما هى قصة خيالية تصور كاتبها المرحوم محمد تيمور أن حوادثها جرت فى مصر ، وقد كان يستطيع أن يتصورها جرت فى الهند ، كما كان يستطيع أن يتصورها جرت فى كوكب آخر غير هذه الأرض ، ولولا أنه آثر أن تكون حوادثها أقرب إلى نفوس المصريين ، وأشد إيحاء لهم بالإعجاب بها والاستمتاع بها . وقد كانت « العشرة الطيبة » مثلاً من أحجار الأساس الأولى التى وضعت فى بناء المسرح المصرى

وقد ترامى إلينا أن استوديو مصر بدأ يفكر فى هذه الأيام فى إخراج العشرة الطيبة ، وأن رجاله جادون يتخلصون من تلك الفكرة السخيفة التى ظلوا يعتبرونها زمناً طويلاً والتى حالت بينهم وبين إخراج « العشرة الطيبة » هذا الزمن الطويل ، ولا ريب أن استوديو مصر إذا نفذ هذه الفكرة فإنه سيقدم بها خدمة جديدة فى تاريخ أوبريت السينما فى مصر ، ففى هذه الرواية مجموعة من الألحان يشهد الموسيقيون المصريون جميعاً مثل النقاد وقبل الجمهور بأنها علامة الموسيقى المصرية ، وأول من شهد بها هو المرحوم الشيخ سيد درويش الذى وضع موسيقى هذه الأوبريت ، فقد سئل رحمه الله يوماً بعد أن انتهى من تلحينها وبعد أن أخرج منها روايتى « البروكة » و « شهرزاد » عن أحب آثاره الفنية إليه فقال إنها العشرة الطيبة ، وكان السائل يحسبه سيقول

من إحدى هاتين الروايتين الحين عدها لنفسه ولفرقته ولكن لم تأخذها منه فرقة من الفرق

وإني لا أشك في أن سيد درويش رحمه الله كان على حق في تفضيله العشرة الطيبة على غيرها من عمله ، فهي أسمى وأرقى من كل رواياته ، وفنه منطلق في ألحانها كل الانطلاق لا يقيده به ولا يكتنفه شرط

ولعل القراء يعرفون أن موسيقى سيد درويش كانت تصيب أحيانا آفات لم يجد سيد درويش منه بدا من أن يسمح لها بأن تصيبه منه ، بل إنه هو الذي كان يلوذ منه بهذه الآفات ، لأن معرفته الفنية [illegible] هو الذي كان يجبره عليه . وهذه الآفات تظهر [illegible] سيد درويش الفرق المختلفة [illegible] بعض [illegible] سيد درويش للبرتة [illegible] الريحاني ، غير ألحانه [illegible] . وذلك يرجع إلى أن سيد درويش كان يتقمص أبطال الغناء والتمثيل حين يلحن لهم ، وكان يحس في تلحينه لهم بروح هي أقرب إلى أرواحهم منها إلى روحه هو ، وبأسلوب هو أقرب إلى أساليبهم منه إلى أسلوبه هو ، ويعني هذا أن سيد درويش كان يفقد نفسه في هذه الألحان التي كان يعطيها غيره ، وإذا فإني أعتقد أنه كان يشكر بعض [illegible] في أثناء تلحينه [illegible] ومن هذه الصور صور النبيل والمتأنق ، ما هو ضعيف جميل رائع ، ومنها ما هو ثقيل ثقل الإثم الثقيل

ومع الثقيل السمج الإثم الثقيل لم يكن سيد درويش يستطيع أن يميل فيه من حسن إلا بمقدار ما تستطيع حركة المفكر أن تبعث الحلاوة في ملامحه رغبته

وكان سيد درويش رحمه الله يبارك الثقلاء من أبطاله ويصحبهم ويلحن لهم ، وكان يثور على بعضهم ويضربهم لكي يطاوعوه ويسايروه ، ويحملوا أرواحهم على التأثر بروحه ، وأن [illegible] في الغناء والتمثيل ، وترك [illegible] والتطريب ، ولكنه لم يكن يجني من هذا كله إلا أن يحترق معه وأن يتهم أصحابه ، وظل الثقلاء من أصحاب الفرق وكبار الممثلين [illegible] على ما هم عليه من فساد الذوق و [illegible] ، [illegible] المسكين لا يرى بدا في بعض الأحيان من أن يعطيهم موسيقى توافقهم وتروق لهم [illegible]

للناس أيضا ، ولكنه هو كان أول من يعرضها عليه [illegible] وأروع

أما حين وضع سيد درويش ألحان العشرة الطيبة فقد كان حرا متحررا من كل قيد ، ومن كل اعتبار خارج عن إرادته ، ذلك أن نجيب الريحاني كان له في ذلك الوقت فرقة ، وكان يلعب بها كشكشياته [illegible] وفرقة أخرى أسسها [illegible] عبد [illegible] وكانت رواية [illegible] هذه أول [illegible] جهاز هذه الفرقة ، وكان [illegible] لا يزال [illegible] إلى [illegible] الزاهي [illegible] إليه [illegible] أرجل هذه الرواية [illegible] روحه كلها [illegible] وسما في [illegible] والناس قبلا ، [illegible] سيد درويش من هذه الأزجال [illegible] أعطاها هو أيضا كل نفسه ، ولم يقتصد كذلك ولم يقصر [illegible] والناس [illegible] ولم يزل الريحاني ينص على [illegible] روايات [illegible] هذه الرواية الأشهر الطويلة حتى [illegible] البرونات [illegible] أي شيء [illegible] هذا الحديث كله [illegible] المتقلب [illegible] وهو [illegible] لأحد [illegible] ذلك اللحن وهو يقول موجها الحديث إلى [illegible] « لقد كان في [illegible] أن أسمع اليوم [illegible] الإسراف ، ولكني بعد ما سمعت هذا اللحن [illegible] مضطرا إلى أن أرى [illegible] هذا الذي [illegible] بالشيء المتعدي »

وقد كان [illegible] العشرة الطيبة من غير شك معجزة

وهنا قد يسألني سائل : لماذا كانت العشرة الطيبة درويشية أصيل من شهرزاد والبروكة ، مع أن هاتين الروايتين الأخيرتين قد وضعهما سيد درويش لنفسه ولفرقته ، ولم يتقيد فيهما هو أيضا بقيد ، ولم يراع فيهما ذوق أحد غير ذوقه الخاص ؟

والجواب عن هذا السؤال نقول : إن سيد درويش لحن العشرة الطيبة في أوائل حياته الفنية أو في أواسطها ، بينما لم يلحن شهرزاد والبروكة إلا قبيل وفاته . وقد حدث أن تأثر سيد درويش بعد العشرة الطيبة بالأساليب الغربية في الإلقاء المسرحي ، وقد ظهر هذا التأثر واضحا جليا في ألحان رواية البروكة الغربية الموضوع

والأبطال ، كما ظهر هذا التأثر واضحاً غير جلي في ألحان شهرزاد ومس هذا التأثر بالروح الغربية مما يسبب هاتين الروايتين فلا تزال تشبه الغربيين في الفن الشرقي هو مقياس النجاح ، ولكنني أنا الذي أكره هذا التأثر ، كما أحب أن أجد عند كل فنان مصري روحاً مصرية خالصة ، هي من غير شك مهما هانت وتواضعت ، لن تكون إلا أصدق من روحه إذا قلد بها الغربيين وأساليبهم

ولكن سيد درويش كان مضطراً إلى المغالاة بالموسيقى الغربية وآلاتها وأنواعها وطرائقها وأساليبها ، ويودع الأصوات بها ، فقد عدمت الظروف أن يكون هو الموسيقى المصري الذي ألقى عليه النهضة المصرية أعباء الفن ينتقل به من حالة الركود والإنشاد التي سبقته إلى حالة الحياة والصخب والتعبير والتصريح والتصوير التي كانت على أيام سيد والتي يريد من جاءوا بعد سيد أن يكون عليها اليوم .

على أن سيد درويش لو عاش أكثر مما عاش لكان قد استطاع أن يخرج ما يصلح أحسن من الأساليب الغربية في الموسيقى ومصطلحاته في موسيقانا ، ولكان قد أدرك أنه لا [illegible] مصر ودرويش وغير هؤلاء من أعلام الموسيقى الذين كان [illegible] ماتوا قبل أن يكونوا في مطمح ، ولم يكن إلا في مطمح [illegible] ومعناه روحه . وإن كان قد أعوزه ما لم يعوزهم من التثقيف الفني الذي لا يمنعه أن يكون صاحب الموسيقى وتطورها لا الموسيقى جميعها » .

ولننتقل الآن إلى استوديو مصر المسألة : هل صحيح ما تخبره بعض المجلات من عزم إدارته إخراج الشهرة الطائرة

أما إذا كان هذا الخبر صحيحاً فإنه خبر يغتبط له الشرق كله لا مصر وحدها . وإن لنا عند صحة هذا الخبر رجاء نقدمه به إلى استوديو مصر ورجاله وهو أن يشرك عزيز عيد ونجيب الريحاني معاً في التمثيل على أي نحو وعلى أي وجه ، فهما من خيرتنا وذكرياتهما — على الأقل — ما تطمئن به على أن تعود حياة إلى الشهرة الطيبة على النحو الذي أراداه لها مع صاحبها ...

والله الموفق .

عزيز أحمد فهمي

# الكتابة على الأرض

[ منتخبة من أسطورة قديمة ]

للكاتبة الأسوجية سلمى لاجيرلوف

بقلم الأستاذ صديق شيبوب

---

كان قد صدر الحكم على المرأة الزانية، وكانت تعرف أنها سوف تعدم ... إن الذين ألقوا القبض عليها، متلبسة بجريمتها، قادوها إلى الهيكل أمام الكهنة ورجال الشريعة، فأصدروا حكمهم عليها وفقاً لشريعة موسى التي تقضي بإعدام الزانية رجماً بالحجارة.

كانت هذه الزانية [illegible] الجسم، وكانت ثيابها ممزقة ووجهها دامياً من أثر الضرب الذي انهال عليه. وكانت تقرع صدرها شبه ميتة، وقد ظلت ساكتة صامتة أمام قضاتها ... لم تحاول أن تدافع عن نفسها، ولم تقاوم قبل ذلك الرجال الذين ألقوا القبض عليها وقادوها إلى الهيكل، أولئك الرجال الذين يسيرون بها الآن إلى المكان الذي اختصه الحكم الصادر عليها.

على أنه بالرغم من مظاهر الضعف البادية عليها كانت روحها [illegible]، ودماً يجري في عروقها غضباً ... وكان واضحاً جلياً أنها لا تشعر بوخز ضميرها وتأنيبه ... فقد كان زوجها شديد القسوة في معاملتها، وكان يضربها ضرباً مبرحاً، ويعز عليه أن تشتغل وتكدح من غير أن يوجه إليها كلمة مواساة طيبة [illegible] ذلك الرجل [illegible] صديقة، بالأمانة والوفاء [illegible] وكانت [illegible] ما تقاسيه ويحنين لصبرها على تحمل الظلم، وطاعتها لأوامر زوجها، وأنها لا تقابل الشر بالشر.

وشعرت بإزاء الرعب الذي ينتظرها [illegible] معنوية، وترجع إلى الوراء.

سمعت منذ نعومة أظفارها أصوات كان الناس يتهامسون بها همساً يتراوون أنه يوجد في هيكل أورشليم مكان غريب لا يقصده الناس إلا مرغمين؛ وكان هذا الموضع ساحة ضيقة في شكل مربع ذات أرض سوداء تحيط بها جدران عالية مصمتة، مجهزة [illegible] لم يكن في تلك الساحة مذبح، أو أعمدة [illegible]، أو محاريب [illegible] لم يكن فيها غير كومة كبيرة من أحجار ملونة كالتي توجد في الحقول، حجارة رمادية اللون بحجم رأس الإنسان. ولم تكن المرأة قد رأت هذا المكان قبل ذلك، ولكنها عندما عثرت من بعيد على كومة [illegible]، ورأت الحجارة الرمادية اللون، عرفت لساعتها أي مكان يحتويها ...

كانت تشعر بوحشة [illegible] سمعت الناس يتحدثون عن الساحة الخالية إلا من كومة من الحجارة حيث [illegible] الزانيات من جرمهن وفقاً لشريعة موسى؛ وقد ظهر لها هذا المكان أشد هولاً من جهنم، وهاهي ذي تقصد اليوم إليه.

هنا [illegible] الصراخ والمقاومة! لقد دفعها الرجال بعنف [illegible] الباب وبعد ذلك لم [illegible] بأن [illegible] واقفة، وتركوها ترتمي على الأرض [illegible]

### تعريف

[illegible] في يوم ١٦ [illegible] الكاتبة الأسوجية النابغة «سلمى لاجيرلوف» Selma Lagerlöf بعد أن أربت على [illegible] من عمرها، وكانت قد وضعت سنة ١٨٩١ [illegible] بالتعلم [illegible] أصول الكتابة وأساليب [illegible] شعرها [illegible] في عالم الأدب. وكان أول كتب [illegible] إليها الأنظار [illegible] جوستا برلنج أو [illegible] La légende de Gösta Berling التي ظهرت سنة ١٨٩١، وقد ساهمت في حركة التجديد التي ظهرت في الأدب بعدها وهي حركة كانت ترمي إلى [illegible] الطريقة الرومنسية [illegible] في الأدب الأسوجي وكانت [illegible] في قصصها [illegible] واسع [illegible].

وقد [illegible] الألمانية [illegible] كل واحد [illegible] وهذا ما حمل الكثيرين [illegible] على تشبيهها بالقصصي الدانماركي [illegible] Andersen [illegible] عالية، بل جعلها في مصاف الكتاب العالميين [illegible]. وقد نالت جائزة «نوبل» الأدبية سنة ١٩٠٩.

[illegible] هذه الكاتبة الكبيرة [illegible] آخر ما ترجم لها [illegible] من مؤلفاتها [illegible] L'anneau du pêcheur [illegible] L'inscription sur le sol [illegible] الكتابة على الأرض [illegible] حكاية الزانية [illegible] السيد المسيح [illegible] «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر» [illegible] ثم انحنى إلى الأرض يكتب بأصبعه عليها [illegible]

حسب جرها إلى أحد أركان الساحة حيث ينتهي بها المطاف مدحورة مقذوفة ، وعيناها لا تفارقان كومة الحجارة لأنها مصدر رزقها وعيشها

على أنه بالرغم من وحشية تلك المشهد والغضب يستعران في صدرها ويجولان دون شعورها بعميقة جرحها ، ولو أتيح لها استطاعت الكلام لما حاولت أن تنكر فعلها أو تعتذر عنه أحد عليها كلا ، بل صاحت في وجه ديانها بأنهم أخطأوا جميعاً أكثر منها جرماً ، وأن إله إسرائيل سوف يعاقبهم بما اقترفوا من الخطيئة التي هي منها

ولكنها في تلك الساعة لم تكن تستطيع التحديق إلا في كومة الحجارة الشاخصة أمامها ، فلذلك لم تلمح من أن هذا الرجل الذي وقف حائلاً بينها وبين تلك الكومة المنذورة ، أكان في موضعه هذا رسولاً أم هو من أولئك المتسولين الذين يأتون إلى فناء الهيكل ؟

فما شأنه بها وبين كومة الحجارة ؟ ماذا يريد ؟ أتراه الذي يبدأ بقضية الحكم ؟

كان الرجل ممتد القامة ويرتدي ثوباً أسود ويحتذي حذاءً سوداء وكان شعره ينحدر على كتفيه مسترسلاً حتى منتصف ظهره ، وكان وجهه جميلاً ، ولكنه كان يشيع حول عينيه وفمه تجاعيد حددتها الآلام ، وكانت تفكر في نفسها : « إن أعرف هذا الرجل ألم أره من قبل يا ترى ؟ فماذا تحكم على رجالي بقساوتك ؟ »

لم تعد تبالي لحظة واحدة أن حضوره لهذا المكان قد يكون للإثم والأحد يعينه على أنه أحسست بشيء جذبها عند ما رأته . إن وجود هذا الرجل الغريب قد حجب الحجارة التي كان يلازم صدرها وحبس نفسها الهواء ، ثم بعد ذلك النعمي يقتله حشرجة الموت

أما الرجال الآخرون ، أما أبوه وزوجها وأخوها وجيرانها الذين قادوها إلى هذا المكان والذين كانوا يتأهبون لقذف عند قذفها إلى حين دون هجومهم الوحشي عليها ، وإذا يحس الرجل من الذين تعودوا الجلوس في الهيكل يصلون ويتلون في كتب الذي قد وصلوا فناء الهيكل الكائن أمام أحدهم يوسف شهيد المكرم

سمعت ثلاثة همساً من هذا الرجل ، وحيل لها أنها سمعت من يقول « سوف يصعقون هذا الرجل ، إنه النبي الناصري ، اسم هذه المرأة الساحة ورمَّ على يمرّ في لهاليه ... عيسى »

وعندئذ تقدم من الغريب رجلان من أئمة الشريعة الكتبيين وقال الشريعة ، وكانا شيخين ذوي لحية كثيفة ، يتقدم كل واحد منهما بشار منسقت حواشيه من الفرو ، فاعتبر أحدهما ، وقال له أحدهما : « يا معلم ، لقد قبض على هذه المرأة متلبسة بجريمة الزنا ، وقد قضت شريعة موسى على أمثالها بالرجم بالحجارة ، أما أنت فماذا تقول ؟ »

رفع الغريب الذي قليلاً ضمن أحداقه القاتلة ونظر إلى محدثيه ثم أجال نظره في أب المحكوم عليها وزوجها وأخيها ، والرجال الذين رافقوهم إلى الهيكل ، ورجال الشريعة والفريسيين وكل خدمة الهيكل

وبعد أن طال بنظره عميقاً في وجه كل واحد منهم انحنى على الأرض وأخذ يكتب بأصبعه عليها ، كأنه لم يعد يسمع الناس أن يرد عليهم على أنه عند إلحاح الشيخين الذين قصدا إليه نهض وقال لهم :

« من لم يرتكب منكم خطيئة فليرمها بأول حجر »

فردد هذه الرجال بضحكة ساخرة ، ماذا يريد من قوله هذا ؟ إذا كان الأمر كذلك فلن يلقى مجرم عقابه العادل

فاحتضنت من صدر المرأة آهة عميقة ، وكانت قبل ذلك قد أحست بالرغم منها بالأمل في أن هذا الغريب سيحول لها نقذها من الموت ، أما الآن فقد أيقنت أن كل أمل صالح مفقود ، فأحنت رأسها وغاصت في مكانها مطرقة تنتظر في انتظار سيل الحجارة التي ستهوي عليها ، بيد أن كل الرجال الذين سيجهدون بالحكم عليها قد أخذوا يرمون عيونهم نحو ما يكتب ويتقهقرون من مواضعهم ، أما الغريب فظل في مكانه وانحنى من جديد ليكتب شيئاً على الأرض السوداء

كان أول من تقدم من كومة الحجارة أبو المرأة الزانية ، لأنه رب الأسرة وأول من أصيب بعار جريمتها فكان عليه أن يبدأ ، فانحنى ليلتقط حجراً ، وفي هذه اللحظة وقع نظره على الكتابة المخطوطة على الأرض وقرأ بها مكتوباً ، لا بالحروف بل بطريقة واضحة مفهومة ، قصة إثم هائل ارتكبه منذ سنوات خلت ، وهو لا يزال إلى اليوم يحرص على إخفائه

فتراجع الأب مذعوراً مرتبكاً عند رؤيته ذلك وجرى نحو الباب هارباً من غير أن يعني بأخذ ثوبه الذي كان قد انتزعه من قبل

فأسرع ابنه ليقوم مقام والده ويتم سلوكه الشائن ، وقد ظن أن سبب هذا الهرب ضعف الشيخ وتخاذله أمام ابنته ، ولكنه عندما انحنى بدوره ليلتقط حجراً ويرمي به أخته التي جنت عليها القدر وقع نظره على ما كتب على الأرض ورأى خطوطاً ، لا حروف بل طريقة واضحة مفهومة ، قصة سرقة دنسة ارتكبها في وقت شبابه ، وهي لم يعرف كل من حواليه تفاصيله كل ما ارتكبه

فخشي وحاول أن يمحو برجله ما رآه مكتوباً على الأرض ، ولكن الكتابة ظلت جلية تنم بمعنى لا سبيل إلى إخفائه ، وعندئذ هرع هارباً في حربه منقباً في خوف كل من حاول أن يمد عليه طريقه

تحركت المرأة الزانية من الركن الذي قصدت إليه ، وكان شعرها ينحدر على جبينها فأزاحته عنه ومضت تسوي ثوب الملهاة

وعندئذ تقدم زوجها ، وكان قد عطله ما رآه من سلوك أبيها وأخيها الشائن ، فانحنى يلتقط حجراً يرجمها به كل همه يصرع بالثأر للشرف المهان لأن هذه المرأة التي أحبها النار ، لذا لم تلبث أن تسقط من يديه ، ولكنه بينما كان ينحني نحو الأرض حمل إليه أن بعض كلمات أو عناوين سطرت عليها أحدثت تلتهب بجانبه ، وكانت هذه الكلمات تزيح الستار عن مؤامرة دبرت ضد الحاكم الروماني ، وكان الرجل مشتركاً فيها ، ولم يصبح أمره لسكان المدن المختلفة الذي ينتظره

فانتصب واقفاً ، ورأيت له عبرة بالحياة أن يتظاهر بالشفقة بعصم كان منتظره ، لا يريد أن يقيم نفسه حكماً ثم غادر المكان

ورأى رجال الشريعة هذا التحول فاستعدوا ونظروا ثم تقدموا من الكومة لا ليلتقطوا حجراً بل لينظروا ما خطه المعلم على الأرض بعد أن رأوا ما كان لهذه الكتابة من أثر عظيم

فرأى أحدهما سطراً أنه في أحد الأيام اغتصب جزءاً من حقل جاره إذ غش هذه الفواصل بينهما ، ورأى الثاني أنه استولى على جزء كبير من أموال الأسرة كان وصياً عليه

فاعترى الرجلان منذ ذاك أمام المعلم وحوى الشيخ الذي كان ناصراً وظلا

وسد أن خرج الرجلان اللذان كانا بين صاحب الانتصاب الزانية على ركبتيها لأن الشجاعة أعوزت ساعديها أن تقيم عليها ما جرى ، ولكنها أحست بأنها ستخضر ، وأنها قد عنت بالعمل ، فشعرت بلذة الحياة تفيض في قلب منحة وسعادة وعنف في جسدها رعشة عجيبة فأحست بميل إلى الرقص

ولكن الخطر لم يكن قد زال تماماً لأن بعض الحاضرين سيأتون ليصدروا عليها الحكم على أنهم يجب أن يرجموا الواحد تلو الآخر بعد أن ألقوا نظرة على الأرض ، وكانوا ، بدلاً من أن يلتقطوا الحجارة ، يولون الأدبار وقد علت وجوههم صفرة الوجل وسرت في أجسامهم رعدة ، ثم يغرقون في ظلمتهم ، وقد حولوا أنظارهم وخفضوا رؤوسهم

وعندما لم يبق في فناء الهيكل أحد انتصبت الزانية واقفة وقد استعادت قواها معها كما شعرت وجنتاها الشاحبتين لونهما الوردي ، وظلت حيناً جامدة لا تحرك ساكناً وكان زوجها وأخوها فقط بقربه ، ورأتهما أمامها ينصرفون مذعورين فلذلك فاشتعلت بحرارة الانتقام وأحست رغبة ملحة في الرقص في هذا المكان المرذول وأمام المعجزة التي كانت ستقضي عليها فسحقتها ، فاستقامت في وقفة المستعدة للرقص ، وكأنما فيها الوضع نفسه تصحك

ونظر إليها المعلم المجهول سائلاً : « أين هم ، أين هم ؟ ألم يحكم عليك أحد ! »

فأجابته : « لم يحكم أحد يا سيد »

وبينما كانت تجيبه كانت تفكر في نفسها أنها لا تستطيع كبح جماح سرورها الذي كان يدفع بها إلى الرقص

ولكن المعلم ظل ينظر إليها

كان يرى تلك الشعلة الحيوانية الخادعة التي استولت عليها ، ويلاحظ أنها لا تشعر بأي ندم ، وأن نفسها مبتة بالمعصية ، حنين إلى الانتقام وإلى إشباع الشهوات الجسدية

على أنها أحست أنه كان يرى ما يختلج ، فقدرت رغبتها في الرقص وأحست شيئاً كالخوف من الرجل الذي أنقذ حياتها ،

# الدَّين . . .

عن « موباسان »

بقلم الأستاذ مراد الكرداني

خرجت تبحث عن القوت ورجعت وبها جوع !

وهبط الظلام فلفَّ باريس كلها ، وغشيها موجة من البرد القارس ، وخيمت على صدر المدينة اللاهية الضاحكة غاشية من حزن ثقيل حبست الناس إلى دورهم ، وجمعتهم حول مدافئهم ، وقد خلت من رُوَّادها المسالك والطرقات . وهمت صبية النور — على كُرْهٍ — تحت أضواء ليل بارد مظلم طويل

ولكن « ناني » التي طوت جوعها طاوية لم تكن لتأبه لذلك البرد القارس ، فإن الجوع قد برى أعصابها وغض طرفها ، وأشاع في حسها الخوف من أن تموت في ضعف كما تموت في يومها ؛ فخرجت — كشأن كل أمسية — ترابط على رأس طريق تنتظر به من يقتنص الحب الرخيص لتقضي به معه ساعة أو بعض ساعة

في تلك الليلة القَرَّة كان الرجال يمرون بها مرًّا لا يحفلون بها ، لأنه لم يكن يحسن دعوتهم ، ولأن قارس البرد لم يدع في نفوسهم سوى أن يصلوا إلى مكان دافئ كنين ، ثم [illegible] تلك المسحة الرخيصة التي كانت تقع من أدعائهم موقع القلقلة والتعجب من هذه الفتاة التي تهزأ بهم وتسخر منهم في هذا الليل القارس ؟

كانت شابة جميلة تخطو على [illegible] العشرين ، تفور أنوثتها في كيانها فتشع حسناً في وجهها وامتلاء في جسدها ، وشهوة تتألق في عينيها الضارعة ونظراتها الآخذة ...

[illegible] « ناني » إلى سطح [illegible] باريس من أقصاها إلى أقصاها ، وشتتها من كل ناحية سوط ، [illegible] الليلة [illegible] البرد [illegible] الجوع فلا تجد من يتصيدها أو يأويها . حتى إذا [illegible] ساعات من طول ما وقفت ، وسرت في عصبها وجسدها رطوبة الأرض المصقوعة [illegible] وهي تتمتم قائلة :

— لم يعد ثمة أمل فلأرجع إلى بيتي

وكأنما حق عليها أن تنتهي [illegible] عند النهاية المرة المؤلمة ، لأنها حين عادت بجسمها المتعب طريقها ، [illegible] شخص الظلام [illegible] يقترب من رجل ... [illegible] شبحاً يسير مضطرباً متثاقلاً يخطف في مشيه [illegible] كأن بين الخطوة والخطوة [illegible] ويخيل كأنه يستوضح الطريق أو يدبر المسير

وحين [illegible] التي إليها [illegible] فرعشت [illegible] وخفقت [illegible] في صوت [illegible] ...

[illegible] وقصدته متوجساً [illegible] إليه !!

... لم يكن [illegible] كما حسبت ، ولا كانت خائفة كما ظن ...

إنما كان [illegible] ... [illegible] المدينة [illegible] في الثلج يرعون [illegible] حتى [illegible] الجوع وأزعجه السير والسرى

قالت [illegible] في حذر وإشفاق ، وهي [illegible] في لغة [illegible] في [illegible] الظلمة والسبيل خالية .

— مسكين ... مسكين الأعرج ... [illegible] من [illegible] على أي حال [illegible] وقرار ...

... [illegible] ... [illegible] إلى الحجرة [illegible]

---

كانت [illegible] بنود [illegible] فشعرت برغبة شديدة تستولي عليها . هل [illegible] هذا الرجل [illegible] ، سوف يكون [illegible] أشد [illegible] من [illegible] الأول لأن من حقه أن يستكشف [illegible] التي ارتكبها

وبينما كانت تتنازع [illegible] عوامل الخوف والرهبة [illegible] يلوح لها :

« وأنا أيضاً لا أريدك . امض بسلام ولا تأتي بعد اليوم »

عند ما انتهت إلى نفس المرأة [illegible] هذه الكلمات [illegible] [illegible] والحسرة تحت الشجرة في ظلها . ذلك أن مرارة [illegible] هي نفس من [illegible] اشتعلت [illegible] مضطرمة أثارت ظلام القلق والقتال [illegible] كانت [illegible] وليالي [illegible] . وكانت تود في بعض الأحيان لو تعاني [illegible] الأخ كانت تجد أن روحها ليست جديرة بأن [illegible] . ولكن [illegible] لم تتخل [illegible] في قلب [illegible] لا [illegible] عن [illegible] ورجال [illegible] . وقد ظلت [illegible] حتى [illegible] نفس تلك المرأة [illegible]

[illegible]

صاح في جذل وسرور وهو يلقي بنفسه إلى الأرض إلقاء.

— ما أعجب هذا المكان ... إنه ولا شك أفضل من الشوارع ... إنه أفضل من الشوارع فقد أمضيت دهراً في الشوارع

وفحصت «ناي» غرائبها وتهيأت لها، وكانت تحوي كل ما عنده من ملابس وطعام وشراب! إذ كانت الكسر الشواء التي سرقت من الحوانيت تسمى طعاماً، أو إن كان القليل من النبيذ الرخيص يصلح أن يكون شراباً.

فتحت له كل ما عندها، بعد أن فتحت قلبها عنه، وعشيع وروى جسدها وسمحها أن تشبعه وترويه ... وحين أجابه النعاس (١) شرع يقص عليها قصته وقد طافت جيوبها وقال ناعساً ... قال:

«فقدت جدي منذ زمن قصير ولم يكن لي سواه وكان مصوراً مشهوراً — وقبيل موته أوصى بي أحد معارفه هنا، وحملني إليه رسالة مكتوبة فاستصحب أن يعني بأمري، ويطلق حرية التصوير. وكنت أحمل — حين قصدت باريس — بيننا وثلاثين فرنكاً كانت كل ما أملكه من متاع الدنيا ...

«ولكنني أعرف من الرجل ما وصف لي على أنه إذ كان قد رحل من مسكنه إلى حيث لا يدري أحد من جيرته. فلبثت ستة أشهر أبحث عنه في أنحاء باريس الفسيح حتى قضيت ثروتي من آخرها بعد سبع ليال أمضيت فيها وحيداً متسولاً في الطرقات، وفي تلك الأيام التي يجد فيها الهم ويحيي فيها الرعب. آه يا سيدتي منذ ما التقيتك لم أكن قد طعمت شيئاً منذ ثلاث، أو سبعين ساعة!»

وكان التعب والسهر قد ملأه ... فلم يقدر أن ينهض ليخلع عنه أطلاقه. فنهضت تساعده وتخلعها عنه في رقة وحرص ... ثم احتوته في صدرها في عطف وحنو، وأحست قبله وبه له، وقد خالطت فيها الرحمة وأنساها بؤسه بؤسها. ثم تركته لتضع ملابسه في أيسا ... ثم صعدا معاً إلى فراشه وكنفته في حضنها كالطفل، ونام — على ... — إلى صحو النهار.

ولما ... تحن عليه وتحرص في عطف كبير،

وحين جاء الليل ... أن تغيب عنه بعض الوقت ... وحين عادت أعطته ... اثنى عشر فرنكاً قالت إنها كسبتها ... أحد ... الليالي السالفة، ولم تدع له ... ثم تبعه وتركته كرة أخرى، إذ كان — لا بد الآن — أول الليل

(١) أصابه النعاس أسكت جوعه

... وأدرك الليل ... ثم ... وإن ...

«ناي» فكان عليها ... ولكن ... وأسفر الصبح ولم تعد أيضاً ... ولما علا النهار ... إذ كان عليه أن يبرح نفسه ويعود إلى حرية شوارع باريس المديدة القلقة، وإن كان سيشقيه تلك الفرنكات القليلة التي تركتها له — تلك التي لم يعرف ... من القسوة بعده أيام!

أما هي فكان من نصيبها أن احتضرها رجل الشرطة، لأنها كانت تسير في شارع محظور على مثلها أن تسلكه أو تظهر فيه ... ومن ثم أعدوا لها — جزاء ما اجترأت — مكاناً في سجن الفتيات في «سانت لازار».

* * *

ودارت عجلة الزمان خمس عشرة دورة، تحولت الحال فيها عن الحال، وتبدل فيها كل شيء ... فالفتى حلاقها «ناي» من صاحب الحياة وحلوها ومرها وعسرها ما عرفه كل طريدة مثلها ... ووهبت نفسها للإثم والخطيئة ... فملأ الفجور ... ومد ... حتى استقر المطاف بها أخيراً ... نجمة السينما ... الأولى، وهي ... وحلاها وكوكب التي إذا ظهر أحد ... وإنه ... شغل وأمر ...؟

كذلك، وفي ليلة واحدة بلغت «ناي» الأوج وارتفعت إلى الثروة مالاً وجمالاً وشهرة وبعد صيت. وأثرت تلك الفتاة المسكينة الشريدة التي آواها الطوى ليالي وأياماً ... والتي عانت الجوع والعري ألواناً وأنواعاً، وعاشت في جنب التعب، وأفنت حب الدنيا ... حتى صار الفن يقلقها وبدعها، وانغمست في ترف وحنوة ... من ... لأنسيها، فأسرفت في اقتناء الجياد والمركبات واستعمال النعيم والتدلل، وجُنت بالحرير اللامع والفرو الفاخر ... حتى طارت بصورها صور الصحف والأسماع ... وتطاير ذكرها ... كلها وجاورها، فتهاوت تحت قدميها أنضر الرجال، وخر لها ... وحضتها الطاعة، وأجري في وجهها السيب المنتثر من كل صوب ونبع، ودانت في ... السحر من تحتها الأعطيات الأموال الكثيرة والمصاغ المرصع، وانغمست في أسماء قصورها ... ملاعبها ومذاهب ثروات السفهاء ... من ساحة الحكم ... الحكم وأصحاب المال من كل حد وقطر!

(١) حولها: حواليها

وتقلّب «فاني» فترة من الزمن بشكة الحال الفاتن والمديح الرخيص، ليس في باريس وحدها وسكن في دائرة من كرها باريس وعطفها تحت الجو المحيط .. عشقت أفئدة الطلبة – بل عامة الخاصة – بخيوط تجمعها في يدها [illegible] من تشاء وتزوى من تشاء، وتستقبل من تريد وقت ما تريد. وبلغ بها غرورها أن تأخذت تصنع الخطوط بين عشاقها وقرنائهم، فتهم [illegible]!

وأوقعت الفتاة في هذه «الحلوفة» [illegible] الفتاة حتى [illegible] الأرستقراطية من الذين حولها، وحتى هلك في سبيلها من هلكت عليه كلها. فقضى من أهلها من قضى، وجُن بها من جُن ...

● ● ●

وكأنما ترصدت باريس بهذه الداعية الرائعة التي غلبت زمنا من الزمن صاحبها القدر وهي في [illegible]، إذ [illegible] عليها المصائب ورمتها الحوادث بثقة ومن غير عهل، فأصبحت تنحدر سريعاً كما ارتفعت سريعاً [illegible] وفقدت تلك الحياة الذهبية الصاخبة [illegible] في أصدقائها وأحبائها .. فأصابها [illegible] [illegible] على غير هدى [illegible] ثم [illegible] [illegible] فاضطربت رأساً على عقب، وأصبحت الفترة [illegible] أن ترى الباقين يحرثون حطب [illegible] مقاصيرها، ويتفاوتون – على حبيها – [illegible] أموالهم بسبيل ما يجري من كسور فيه وطرائف عجيبة وحالات غالية [illegible]!

وأصلها الخبر إلى [illegible]، و[illegible] والتمست من حولها [illegible]. و[illegible] الجمهور وهوى النجم الذي [illegible] — من [illegible] — كل نجم حوله ... وتصغيرت الدنيا [illegible] التي وسعتها، حتى صارت حجرة ... حجرة [illegible] في مستشفى المجانين لا تلبس أبداً «فاني» المطيبة! ...

وقرأ الفنان العظيم «ر[illegible]» خبر ما أصاب «فاني» ثانية [illegible]، ولم يحتمل [illegible] الأمس، وبكى الصورة المنثورة [illegible] — حين [illegible] إلى الوراء [illegible] [illegible]. حتى [illegible] في طوايا على ذكرى [illegible] ... ذكرى تلك الليلة ... وحين عرف أن «فاني» المسكينة لم تكن سوى

الفتاة التي [illegible] وأحببها ووجدت [illegible] الأمور ويدها [illegible] فعبثت [illegible] [illegible] بها، وأنى [illegible] عنه [illegible] حتى أبى منهما، وأن [illegible] في رواق [illegible] في أهوائه وخيوط [illegible]، [illegible] كل ذلك [illegible] [illegible] الطيبة القلب [illegible] ثم عجب لنفسه كيف جهل أن «فاني» التي [illegible] كل شعلة وشغلت بجمالها كل إنسان لم تكن سوى فتاته التي تركت له أبي الفقر [illegible].

[illegible] بعد أن [illegible] غياهب الماضي الذي [illegible] فيه

— إنه لا يحسن أن تنتهي حياة «فاني» هكذا، [illegible] [illegible] عجوز. واعتزم أن يعمل من أجلها عملاً [illegible] [illegible] أنه [illegible] الفقر أن [illegible] [illegible] وامتنانه، [illegible] جمالها التي لا يستطيع أن ينساه، إلا أنه حزن وأسى [illegible] كانت [illegible] في ظروف أحسن من هذه

ولم يكن الفنان [illegible] إنما كان يحب حياة وسطاً [illegible] ما كان [illegible] كسور، [illegible] كل ما [illegible] يستطيع أن [illegible] مكاناً [illegible] [illegible] [illegible] رخاء [illegible] وأكل [illegible] وتداخ [illegible] حالتها النفسية، وحيث تقوم على [illegible] [illegible] [illegible] ... وهنالك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] إلى بيته [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]، [illegible] – [illegible] – [illegible] [illegible] ويسكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قائلاً

ستعود بها إلينا [illegible] ... إن [illegible] الزمن [illegible] [illegible] [illegible] حين [illegible] [illegible] [illegible] هذه [illegible]

فلم [illegible] الطبيب، وقال له

— إنه لا بد أن تبقى [illegible]، [illegible] ...

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] في [illegible] [illegible]. وكانت [illegible] قد [illegible] [illegible]، [illegible] ولم تستطع أن [illegible] أصحابها، ولا أن تعرف شيئاً عن الرجل الذي [illegible] ويقوم على شأنها، ولم [illegible] أن [illegible] بنفسه، بل ذهب إلى [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible]

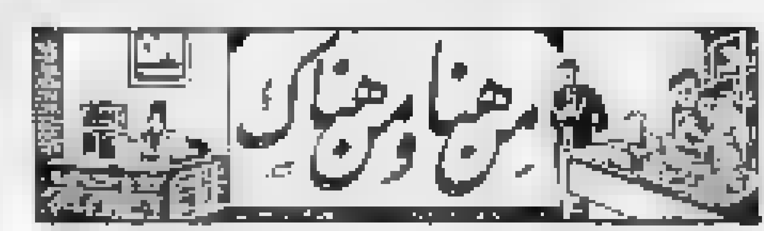


## أطفال بلا طفولة

[illegible]

لا يختلف الطفل في أمريكا الجنوبية عن الشاب البالغ إلا بأنه أقل سناً وأقصر قامة. ولكنه لا يختلف عنه من الناحية النفسية على الإطلاق. والعمل في كل مدينة وكل إقليم يشغله في مشاغل الحياة العامة على اختلافها. ومن المناظر المألوفة في «كويتو» أن يرى الطفل البالغ من العمر ست سنوات يطوف الشوارع في ثيابه الرسمية وعلى قبعته الرقم الذي يشير إلى وظيفته في الخدمة العامة.

فإذا بلغ الطفل الثالثة من عمره أخذ أهله في تدريبه وإعداده للمزاحمة في الحياة. ويشاهد الأطفال في تلك البلاد وهم في الخامسة من أعمارهم في الأسواق العامة يبيعون السجائر والفاكهة والجيلات وأنواع الحلوى. ويرى المكارون والسقاة من بين الأطفال الذين في الثالثة أو الخامسة من أعمارهم.

والطفل في أمريكا الجنوبية في السنين الأولى من حياته يبدو نسخة طريفة من والديه، يلبسانه ثياب الحرير والديباج ويبرزانه في زهو وعجب على أصدقائهم. فإذا بلغ الثالثة أو الرابعة من سنه بدأ يجني ثمن الحياة التي ذهبت... فإذا كان من الطبقة الفقيرة كان عليه أن يكسب حق العيش قبل ما يبلغ الخامسة من عمره.

وقد تشاهد في منتصف الليل كثيراً من البنات اللواتي لم يتجاوزن السابعة من أعمارهن على عرض الطريق يبعن الحلوى والأزهار. وكذلك الصبيان في هذه السن وهم يصيحون بأوراق النصيب أو علب (الكبريت). ولا يختفي هؤلاء الأطفال من الشوارع في الليل أو النهار، فلا يعرف في أي وقت يخرجون وفي أي وقت ينصرفون!

والطفل في جنوب أمريكا يبدو عجوزاً هرماً في أسرته، ويحاول أن يحاكي الكبار وهو ما يزال في الطفولة. فالبنت الصغيرة مثلاً تتحلى بالخواتم وتلبس الأقراط وترتدي ثياب الحرير وتمسح الطلاء وتتعطر بالروائح الزكية. وتصفف شعرها كما تصنع أمها على حد سواء. وكذلك يتزيا الصبي بزي أبيه فيلبس القبعة الفاخرة ويرتدي الملابس الطويلة ويتحلى بالحلي والجواهر.

إن جهاد هؤلاء الأطفال في الحياة النسبية ليدعو حقاً إلى الإعجاب. فقد رأيت طفلاً في العاشرة من عمره يقوم بعمل حارس الليل في سفينة على نهر «كاناك» في فنزويلا، حيث الملاريا وحمى الصفراء والمستنقعات والتماسيح، لا يساعده في عمله المرهق إلا امرأة واحدة وهو مع هذا مسئول عن حماية الركاب الذين لا يقلون عن مائة شخص، مسئول كذلك عن راحتهم. ويقوم بأعمال الخدم في بعض القطارات أطفال في العاشرة والحادية عشرة من أعمارهم. ويقوم بمصلحة تنظيف الشوارع في مدينة «كويتو» أطفال في السادسة ويقومون بعملهم على أحسن وجه.

## نابليون في منزله

[illegible]

كان نابليون من ذوي العبقريات الحربية الفاخرة التي عرفها العالم، وكان من أعظم رجال السياسة والإدارة الذين عرفهم التاريخ. وقد أشرفت شخصيته الجبارة على أوربا ولما يبلغ الخامسة والثلاثين. فهذا عسى أن تكون حياته المنزلية؟

---

أتم في رفاهة شباب ذي ... وأحب لنفسه حباً عميقاً موقناً أن هذا الحظ السعيد الذي تعيش فيه مطمئنة وادعة، والتي قدمه لها ... الحرب فنسجت عنه النسج البديع اللازم سيبرح بها عن الساحة.

وبكى نعمى بما تقلبه من ويلات ذات أسقطت رأسها إلى صدره مرة، وأسلمت نفسها تحت عينيه وبين ذراعيه.

وحين أراح على ترائب جنانها الساحر ذكر ليلة أن علم ... سيداً على حصنها وبين ذراعيها وهو يقول:

— هل وجدت الآن يا ...!

مراد الكرماني

وكان نابليون يستيقظ من رقاده في أي ساعة من ساعات الليل ، فيستحم بالماء الساخن ، وكان يجلس في حوض الماء وعلى رأسه لفافة كالعمامة يتدلى طرفاها على عنقه . وكان يأمر بتدليك صدره ويخرجون من الحوض في كثير من الأحيان .

ويقوم بحلق ذقنه بنفسه في الوقت المعتاد ، فإذا أراد أن يحلق لحيته ، غمر كل شيء في وجهه بالصابون إلا منابت الشعر ، ويتناول « الموسى » في تعسف ، فلا يكاد يمر به على وجهه ، حتى يملأ منه الطشت بالجروح . وكثيراً ما كان يشرد ذهنه وهو يقوم بهذا العمل ، فيترك جانباً من وجهه كما هو ، ويمسح الجانب الآخر .

ولم يكن أحد يجرؤ على لفت النظر ، أو عيب الصنيع ، ولكنه كان دقيقاً مهتماً بالمظهر . أما قبعته ، فكانت مستديرة الأركان مرتفعة من بعض النواحي ، إذ أن القبعات العادية كانت تحز في جبهته وتجلب إلى رأسه الصداع . ولم يكن نابليون يلبس الحلل إلا كل عام ، ولم يكن يحمل كيساً للنقود أو يضع في جيوبه شيئاً منها .

وكان يحب من الناس أن يجيبوه أجوبة سريعة حازمة ، وإن كان على أن يصغي إلى ما يقولون . فإذا كان معتدل المزاج فلا بأس من أن يترك لأحدهم أذناً أو يمسحه مسحاً على خده . وكان نابليون سريع الغضب في أكثر الأحيان ، وكثيراً ما كانت تثيره نوبات غضب شديد يطفر في أعماقه ، ولكنه كان سريعاً إلى الهدوء سريعاً إلى الصفح .

وكانت معدته تنبعث منها آلام من سوء الهضم بعد تناول الطعام ، فيستلقي على الأرض وتأخذ زوجته رأسه على صدرها وتظل تمسح على جبهته وصدره ، وكان يكره تناول العقاقير على اختلاف أنواعها .

ومن عادته أن يلعب الورق مع زوجته وأصدقائه عقب العشاء ، إذ لم يكن معتاداً بسمر الليل .

وكان يقرأ الكتاب ، فإذا لم يعجبه ما فيه ألقى به إلى النار . فإذا رأى أحداً من أصدقائه يقرأ في كتاب لا يوافقه أخذه منه ودفع به إلى النار .

وكان نابليون سريع التأثر بالبرد حتى إنه ليلبس ... في جميع فصول السنة . وكان مصاباً بداء مرض الأظافر . ومن المعروف عنه أنه كان يميل إلى موسيقى تشبه ... إلا أنه كثيراً ما كان يسمع لها ويسأل الصور ، وإن كان تلطفاً في جانبها ، عند صورة مصغرة لهذا الرجل الذي هزم إيطاليا وحكم في السادسة والعشرين ، وفتح مصر في التاسعة والعشرين ، وكان دكتاتوراً لفرنسا في الثلاثين وسيداً لأوربا في الثانية والثلاثين من عمره . نابليون بونابرت

هذا أديب

كان عندنا في مصر أديب فلسطيني راجح العقل ، وافر الذوق ، اسمه خليل سكاكيني ؛ وكانت بيني وبينه مطارحات تصل أحياناً إلى القتال ، ولكنه لم يكن يعرف الحقد ولا الضغن

فكان يلقى هجومي عليه بالصفح الجميل ، ثم يحمد التكرم على المبالغة في الرعاية لما كان بيننا من صداقة ووداد

ولا أذكر بالضبط متى انتقل من القاهرة إلى القدس ، فقد شغلتني عنه أيامي ، ولم يبق لي منه إلا صدى أدبه من كتبه النفيسة ورسائله إليّ من حين إلى حين حتى أن ... من كله ثلثه ، إلا أني أذكر وقت أن الكلام عن بعض مؤلفاته أيام كنت أحرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ ، وكان رجلاً يساوره الوفاء في بعض الأحايين :

تلقيت اليوم رسالة مطبوعة من الأستاذ خليل السكاكيني ، فنظرت فيها فرأيتها مجموعة من خطابات الأشواق كتبها إلى ابنه سري وكان اغترب لطلب العلم في أمريكا

فماذا رأيت ؟

لم أجدها رسائل أب إلى ابنه ، وإنما وجدتها رسائل عاشق إلى معشوق :

رأيت رجلاً يقول لابنه إنه يتذكر وجهه الأصبح وهو في مثل ضوء الشمس وقد يصبح مثلاً للجمال ...

رأيت رجلاً يقول لابنه إنه يتذكر طرّته الجميلة المعقوصة على أروع ما يكون ... فيعاوده التذكر والاشتياق

رأيت رجلاً يتغزل في ابنه بعبارات صريحة تشهد بأن هذا الأديب مطبوع الحب الأبوي بطابع الوجدان

وفي هذه اللحظة — وقد رجعت من سفر لا يخلو من عناء — وجدت رسالة مطبوعة من الأستاذ خليل السكاكيني وعليها صورة امرأة جميلة ... : إنها مطبوعة يتحدث فيها هذا الأديب ،

وعمن عرفت لهذا الأديب ... ؟

ومن هذه الصورة الغالية ؟

هي صورة السكاكيني ، هي أم سري التي ...

في أعقاب الأستاذ ... الرسائل

وأقبلت على الرسالة ... من الصفحات

فماذا رأيت ؟

رأيت رجلاً يكرم زوجته فيصف جمالها الفتان بعبارات صريحة تشهد بأن هذا الأديب يضيف ثروة جديدة إلى اللغة العربية ، لأن الحلائل في لغتنا لم يظفرن إلا قليلاً ، ومن أجدرهن المشوقات بالبكاء

ورأيت رجلاً يعزي نفسه فيصرح بأن جمال امرأته كان يحتاج إلى فن في مثل فنونه ، فقلت : هذا أديب فيه شيء من ...

ورأيت رجلاً يبلغ به الحزن على زوجته الغالية إلى التعبير بعبارات هي أنظم ما يكون من الكثير الرقيق فقلت هذا أديب يلقيه الحزن فيصلح ... مع الشرائع

والأديب الحق يستطيع في عتاب الأقدار ما لا يباح

والأدباء كأهل بدر ... لهم جميع الذنوب ، ومتعرضون صدق ما أقول يوم نلتقي في حضرة الواحد الديان ، إن كان من الممكن أن يكون لأعداء الأدب ... ، وإن جاز أن تنصب لأعداء الأدب موازين يوم يقوم الحساب ، وهم في شرعة العقل من ... أعداء الأدب الرفيع

السكاكيني ... في بكاء حليلته لأنه أديب حق ، وقد ... من الإيمان الصحيح ... ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

والسكاكيني يعجب من أن ينكر الناس البكاء ، ويقول إن مقاومة البكاء إفساد للفطرة ، ويدعو الموجوعين إلى تنفيس كروبهم بالنوح والأنين كما كان يصنع القدماء

قال السكاكيني إن ... زوجته كل شيء ، والفارق يقول ما يشاء وما أصعب الفراق

يلطف الله بك يا خليل ، ويعطف بأبنائك المفجوعين بفراق أمهم الغالية

وكيف خطرتُ في بالك ، يا صديقي ، بعد فراق الأعوام الطوال ؟ أتريد أن آسى لأساك ، وأشجى لشجاك ؟

إن كان ذلك ما أردتَ فقد حزنتُ لحزنك حتى خشيتُ أن أصبح مشغفاً لذلك الحسن المكنون الذي أمسى في وحشة التراب

أتريد أن أعرف أنك كنت زوجاً لامرأة جميلة كان يتقتل في سبيلها الخاطب ؟

هو ذلك ، وإلا فكيف بعثت لنا صورة ماثلة في برودها المتلفف ؟

اسمع ، يا خليل ، اسمع ثم اسمع

أمن ربيت المرأة وحدك ، حتى جعلتها أهلاً للتفجع والترجيع والأنين

وفي النساء أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا وزوجاتنا ، وهن جميعاً أهلٌ للعطف والحب . والحمد لله الذي أعطاها بوقوفك على قبرها ولم يعطها بوقوفها على قبرك ، على حد التعبير الجميل الذي رواه عند انهزام عجلة الرحوم ... وسلامٌ عليك من الصديق الحافظ العهد

زكي مبارك

حول الأمومة عند العرب

اطلعت على الجزء الأول من مقالة الأستاذ رفعة ... « الأمومة عند العرب » المنشور في العدد (٣٣٤) فاسترعى نظري قول الكاتب نقلاً عن أحد المؤرخين اليونانيين القدماء وهو استرابون « إن العرب في الجاهلية لم يكونوا يعرفون الزواج الشرعي الدائم ، وأنه كان يفشو بينهم تعدد الأزواج ، وأنهم كانوا يتسمون بأمهاتهم »

وجواباً على المسألة الأولى أقول : ليس الزعم بأن العرب في الجاهلية لم يكونوا يعرفون الزواج الشرعي الدائم هو زعم غير صحيح

فقد روى البخاري في صحيحه وأبو داود في السنن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء ، فأولها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها . ثم ذكرت الأنواع الثلاثة الأخرى وفيها تعدد من يتصل بالمرأة ؛ إلى أن قالت : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم » التاج ج ٢ ص ٢٨٨

وسط المطلوبين في تاريخ الأمة العربية والشعوبية يعيرون أنساب العرب ومثالبهم ، وأول من عمد إلى الطعن في الأنساب العربية ووضع أخباراً ونقلوا كتباً في مثالبهم وحصر ذلك فيهم ؛ ومن أشهر هؤلاء الشعوبية الهيثم بن عدي ، وكان دعياً ، فألف كتاباً في مثالب العرب أراد به أن يبين أنه ليس في العرب ... الأكبري . ثم جاء علان الشعوبي الوراق ، كان زنديقاً ثنوياً ، عمل للطاهرين من الحسين كتاباً خارجاً عن الإسلام بدأ فيه بمثالب بني هاشم ، وذكر مناكحهم وأمهاتهم ، ثم بطون قريش ، ثم سائر العرب ، ونسب إليهم كل رذيلة ووضع عليهم كل إفك وبهتان » ص ١٦٠ ج ١

وقال في ص ١٧٣ ج ١ : « إن جميع ما ذكره الشعوبية في شأن مناكح العرب وما يوردونه من الطعن في أنسابهم مما كانوا يعتمدونه في الطعن من بني أمية وسواهم وولوجهم من عدم استبراء ... وكتب التواريخ صارخة بتحريمهم ... ؛ ... على الشعر الفاضل بما كانوا عليه من الحمية والغيرة وشديد الاعتناء بأنسابهم ... والحسب في أنسابهم ومشاربهم »

وجواباً على المسألة الثانية أقول : ليس صحيحاً أن العرب في جاهليتهم كانوا يتسمون بأمهاتهم ، لأن هذه عادة غير عربية ، ولأن الله تعالى بين في القرآن من محرمات النكاح ولم يذكر أنهم مما سلف كانوا ينكحون أمهاتهم ، بل حصر ذلك بزوجة الأب والجمع بين الأختين . فقال سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً » وقال عز وجل : « وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف » ويدل على هذا ما روى هشام بن عبد الله عن الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنه قال : « كان أهل الجاهلية يحرمون هذه المحرمات كلها التي ذكرت في هذه الآية وهي « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » إلخ إلا اثنتين إحداهما نكاح امرأة الأب والثانية الجمع بين الأختين . ألا ترى أنه قال « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف » ولم يذكر في سائر المحرمات « إلا ما قد سلف » قرطبي ص ١١٦ ج ٥

وبعد فأقول ليس بعيداً أن يكون ذلك الزوج الأجنبي الذي نقل عنه الكاتب أن العرب في الجاهلية كانوا يتسمون بأمهاتهم

قد التبس عليه حال قوم أن امرأة الأب – التي كان بعض العرب في الجاهلية يتزوجونها – هي الأم مع أنها غيرها مطلقاً ولو عرض أن هناك رجلاً أو نفراً من جهلاء العرب كانوا قد اقترفوا هذا الإثم واستمروا بأمرائهم فليس من الصواب حمل هذه النقيصة عامة على كل حال الأمة العربية « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وأختم كلمتي هذه بتوجيه نظر حضرة الكاتب وغيره ممن يخوضون في مثل هذا البحث الدقيق ألا يهملوا الاستدلال به في المراجع العربية حتى المصدر الذي اقتبس منه المستشرقون كأنها هي التي عنيت بنقد ورد بالقرآن ، ودرسه المستشرقون

أحمد حسين ناصر

## المصري السائر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد رعني مقالكم « العقيدة المسيحية » وسرني – شهد الله – هذا الاتجاه منكم بلاغ أسمى من المسلمين ، وهو من النفس عندهم بمثابة المصلح ، وأصدر لكم السحر ، الأسف والذي العقيدة التي أخذ الناس عنهم ، واتخذوا فيها أعجاباً لا يرضاه الدين إن لم يناقضه في أصله وفروعه

وغير خاف أن ذلك الزعيم المشرق الكبير ليس هو الوحيد في هذا الشأن « وحرفة التنوير » بل إن من بين أيدينا ، ومن أعلامه ومن شاكلتنا كثيرة الخروج على عقيدة الإسلام وتعاليمه

وإني على يقين من أنكم ستتمدون هذا اللون من الجهد حتى يبرأ الأمة من هذا الضيق

سدد الله خطاكم ، وأمدكم بروح من عنده

وقد لفت نظري في هذا المقال قولكم « وإن الإسلام الذي كان يحوي الإثم يطعم – على حب الله – المسكين ، واليتيم ، والأسير لا يرضى هذا الإسلام البتة » تشيرون بذلك إلى معنى قوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » التي وردت في قصة سوم علي كرم الله وجهه ، وبنيه ، وزوجه ، وجاريته . وهذه القصة موضوعة لا أصل لها ولا ينبغي أن يحمل كلام الله تعالى على قصة هذا شأنها ، وأقل تأمل في هذه القصة يدل على أنها مصطنعة .

محمد أحمد مرعلم

واحة الطائف

## مجمع فؤاد الأول للغة العربية في رأي لجنة الطالب محمود حسن التونسي

ترى اللجنة أن النهضة الثقافية التي وصلت إليها مصر الآن تجعلنا نشعر بالفراغ الكبير والحاجة الكبرى لوجود قاموس عربي جامع مفصل عن أحدث الطرق وأسهلها ، كما أن مصر والشرق العربي كله يطمحان في تحقيق أملهما في وجود دائرة المعارف عربية ، تستجمع ثمرة إنتاج العقل الإنساني في مختلف العلوم والفنون والمعارف ، أسوة بمؤلفات المطولات الكبرى الموجودة الآن بكل أمة ويكل لغة إلا اللغة العربية ، وهي الوحيدة بين اللغات الحية المحرومة من دائرة معارف للآن

لذا تأمل اللجنة أن تعرضه وزارة المعارف بحيث يكون ملائماً لجنة صالحة في حين تحقيق هذا الأمل المرير

وترى اللجنة أن مجمع اللغة العربية ، على ما أفاد به في حدوده الضيقة ومساحته المحدودة ، ويشيع في كثير ولا قليل عدد الأنواع الثقافية الكبيرة ولعل الوزارة على ضوء رغبة اللجنة السابق ذكرها ، تسرع بالعمل على جانب النظر في تكوين هذا المجمع ، من حيث تنوع معارف أعضائه وأفراده في اختصاصه ، حتى يكون الأداة الفعالة المرجوة لتحقيق وجود دائرة للمعارف والقواميس ، وغيره من البحوث الأدبية واللغوية والعلمية التي يحتاج لها الباحثون في العالم كله

## المؤلفات

مجموعة من الشعر الوجداني الرقيق ، نظمها المرحوم « فؤاد بليبل » ؛ ثم نشرها بعد موته ابن عمه الأديب عبد القادر يوسف تمجيداً لذكراه ، وتخليداً لفنه ؛ ثم تفضل فأهدى إلى ( الرسالة ) مائة نسخة منه لتوزعها هدية على من شاء من قرائها تحقيقاً للغرض الذي طبعت من أجله ، وهو الإشادة بفضل الفقيد الشاب والإعلاء من ذكر أدبه الرفيع

## الشيخ عبد الرحمن قراعة كأديب

رأى الأستاذ « محمود علي قراعة » من الوفاء للأدب ، والإخلاص لعمه المغفور له الشيخ « عبد الرحمن قراعة » مفتي الديار المصرية سابقاً أن يجمع منه كتاباً ونأى ليبين أعمال تلاميذه وأصدقائه إلى إدراك مرتبته العالية في الأدب والعلم ينشرونه ويقرءونه وينظروا فيه ، فتكلم عنه كصديق ومحسن ومتدين ونقيه ومفكر وحكيم ، كلام العارف البصير ؛ ثم نشر ذلك في مجموعة وأهدى إلى ( الرسالة ) مائة نسخة لتوزعها على من شاء من قرائها ، فله الحمد على ما هدى ، والشكر على ما أهدى

# ليـــالى الملاح التائه

ديوان الأستاذ على محمود طه

للأديب عبد الحليم عباس

---

الشعر كالحياة من حيث مظهره ومصدره ؛ فهو من حيث المظهر متفاوت التقدير مختلف الألوان ، ومن حيث المصدر واحد لا يتغير ولا يتجانس ولا يتنوع

فالحياة فى الضب من جوهرها الحياة فى الأسد ؛ ونحن لا نستطيع أن نقول إن الحياة فى الأسد لأنها أشرف وأجل من الحياة التى تسير الضب ، ولكن لأنها قد اتخذت لها فى الأسد مظهراً أوسع مكتملاً عريضاً أوسع وأكمل وأعرض من المظهر الذى اتخذته فى الضب[1]

على هذا القياس الحق ، ربما فضلنا شاعراً على ذلك الشاعر ، وربما استحسنا هذا الشعر ولا نستحسن ذلك ، ولكن فى هذا التفضيل والاستحسان لم نرد إلا أن المظهر الذى ظهر فيه شعر الأول أحسن وأتم وأوسع من المظهر الذى ظهر فيه شعر الثانى ؛ أما شعرهما من حيث الطبيعة فهو واحد لا تفاوت فيه ..

من بين شعرائنا الذين نقرأ شعرهم ونستحسن شعرهم ، شاعر رقيق وشفيق هو الأستاذ على محمود طه فهو شاعر يحق لنا أن نعده من ينابيع قلبه الجياش بالعواطف ، وروحه المتأججة الطموح ، وهو شاعر هامت روحه روح الكون الجميل ، فجاءت أشعاره واسعة منفسحة ، نسمع فيها دقات أنباض الحياة ، ونتنسم منها نسمات الجمال والطهر

قرأت « دواوينه » فشعرت بلذة روحية عجيبة ، وأحسست بانفعالات تهزنى وتمشى ، وبوخز يمس قلبى ويرهف حسى ، وتفتح أمامى آفاقاً من النور والجمال والبهاء ..

وهل أنا طالب من الشاعر غير هذا ؟ — كلا ؛ الشاعر أن يحملنى من عالم المادى الحقير ، إلى عالم سماوى نضير ، تعبر فيه

أطياف الحسن والسحر والفتون ، فأقضى فيه — ولو قليلاً من الزمن — بعيداً [illegible] ابن التراب ! وأنت لو دققت في شعرائنا لما وجدت عدد منهم من يسمو بك إلى مثله ، ويشعرك بالحياة الصافية الفائرة مثل هذا الشاعر ، ما وجدت — [illegible] — غير شاعرين أو ثلاثة على الرغم من [illegible]

إن من بين شعرائنا من لو إذا كلفوا بشىء آخر كلفهم بالشعر ، لقاموا بالشىء العجاب ومن العجب ! ولكنك إذا ذهبت تسترجعهم فيما رأيتهم عاجزين وعاجزين ، كأنك تريد أن تستخرج أرواحهم ! ومن العجب أنك لا تلبث أن تسمع منهم من يقول فى غطرسة وكبرياء : « أنا الجبل وغيرى دابة تل »

وآخر يقول

قد عرفت وعرفتك فى الور... ى وعرفت بى الشعراء وعدى

وثالث يقول :

ولا تحسبنّى وشعرى لسان روح الوجود

وهكذا وهكذا تسمع ما يؤلم قلبك ... ويشجى روحك !

إذن يجب علينا أن نفرح بظهور الشاعر الحق فرحنا بظهور الوليد الجديد ، ويجب علينا أن نحبه ونقدره ونجله ! وما حبنا وتقديرنا وإجلالنا ، إلا حب وتقدير وإجلال للحق والخير والجمال ومن القيم المتفردة التى تسمو إليها البشرية وتسعى سعياً فى جميع أطوارها ومراحلها . وشاعرنا الملاح التائه على هذه الصفة شاعرية أطلقتنا على آفاق جديدة فيها جمال وخير وفيها أحلام وآمال .

قلت إن شاعرنا محظوظ ، وأنا أقصد بهذا أنه يحيا حياة شعره مليئة بالأفراح واللذات ، مترعة بالأحلام والتأملات فليس فيه آلام ولا أحزان ، وليس فيه أهوال ولا شكوك ، ولا تعقيد ولا حيرة ... وأنت لو قلّبت فى ديوانه كله ما عثرت على بيت واحد يشعرك أن هذا الشاعر مرت عليه أوقات فيها تشيع فيها ألم ، ولكنك تعثر على أبيات كثيرة فيها اللذة الصافية ، وفيها النشوة العارمة ، وفيها الفرح الشامل .

هو اليوم فى سفينة « تيتانيك » عروس الأدرياتيك حيث الجمال والحسن الشائع ، وحيث الجنادل الزاهرة والمداميع اللؤلؤية والمنائر الزرقاء فلا يلبث أن يوحى إليه هذا الجو الفاتن أنشودة « الجندول » للموسيقية الرائعة الرقيقة الحالمة ..

وهو اليوم فى « بحيرة كومو » التى يجتذب إليها كثيراً من

[1] قرأت كلاماً كهذا للأستاذ ميخائيل نعيمة في بعض كتبه.

الشعراء ، فالهمهم أرق أشعارهم وأعذب أغانيهم ! فلا يلبث أن ينظمه أنشودة بارعة . ويهبط إلى مدينة فرنسية كانت ترقبه

وهو اليوم في مدينة « ريوريخ » في شاطئ بحيرتها ، حيث الاحتفال بعيد سويسرا الوطني الأكبر ، بين المواكب الصاخبة المرحة ، والأنوار المتألقة ، والأسهم النارية ، وأصوات الموسيقى العظيم ! فيوحى إليه تلك المفاتن الساحرة ، أنشودته الساحرة « ليالى المبتهجة »

وهو اليوم على ضفاف « نهر الرين » ذلك النهر الذي يفيض عذوبة أغانيه ، وأشعاره الناعمة ، وقصوره التاريخية ! فيوحى إليه هذا النهر الرائع الجميل قصيدة « ثورة نهر الرين » ثم يهبط إلى مدينة سويسرية التي هو هناك

وهكذا وهكذا نرى شاعرنا سائحاً متنقلاً في أمكنة الفتون والجمال ، وهو في كل مكان سعيد بحظوظ منها ، له فيه عبرة سعيدة بحظوظه مغامرة ، تلبس أشعاره هنا طابع خاص تمتاز به من بين سائر الأشعار

أكبر الظن أن شاعرنا ليس عاشقاً معنا ولا غزلاً مثالياً شبيهاً بـ « دانتي » ، [illegible] الإيطالي العظيم في حبه « [illegible] » ، [illegible] أن يخص الشاعر لامرأة واحدة ، وهل في وسع الشاعر أن يجمع الجمال كله في وجه واحد أو في منظر واحد ؟ لا بد لخيال الشاعر من أمس لا يهدأ ونهم التجدد ونهم التحول والحركة !
ولقد أجهدت نفسي في أن أعرف لشاعرنا من شعره صورة واضحة لشخصه وعقله وسحره وتمسه حتى يشعرني حبه بالحرمان والسعادة فما وصلت إلى ما أردت أن أعرفه — وقد يكون هذا « في مقدمتي » سر السر في أن شعر شاعرنا عذب طرى ، له جرس ورنين في معرفته وتراكيبه ، تشيع فيه المسرة والبهجة ونشوة البشاشة والطلاقة

يعجبني من شاعرنا أنه صريح صادق ، يعبر عن إحساسه وشعوره وحياته بلا خجل أو مداراة ؛ فأنت لا تكاد ترى شاعراً من شعرائنا المعاصرين من يصرح بقوله :

سلافة بقناعها راحتى — ورب نكرمها خمرا

أو يقول في فتى « ... كيف يحب وكيف يكره » :

إذا تعب القلب تحت الظلام — فكيف تركناك في صدرها !
وكيف طويت عمرها ساهراً — وسهرت ليلا على شعرها

وما عذر ؟ رحمة في جنبك — أم أنك تنقص من كرها
لقد دمي لحد الأذى — حبك جريحة في [illegible]
يبكي الحب هواك على شاطئ — سالك الروح من [illegible] ثغرها
ورب هوا وقصيدة كم خبا — [illegible] وشبيه في [illegible]

كذلك لا نرى شاعراً يقول مثل قوله يحث صاحبته في « بحيرة كومو » على أن تلتق الخمر حب وأن تعيرها إلى قلب يوهبه ، أو نار [illegible]

ما السرى ؟ أصحى — إنه لي عينك الخمر
الزيارات [illegible] — ليس يخفيها [illegible]
نحن روحان [illegible] — وجسدان من [illegible]
فاعبرى الروح إن [illegible] — واعبرى الجسم إن ثار

أو مثل قوله في « ليالي الخضرة » :

أنا الغريب هنا وطول [illegible] — أعطاف عهد الأمل للمرح
خلفت على وجهى [illegible] — [illegible] بجراح [illegible]
عرفت بساكنة [illegible] — وعرفت لم أعطى ولم أمنح
يا رب [illegible] كل شيء — كيف الفراق وكيف مطرحي

هذا شعر رائع جميل ، له وقع في النفس ، ونشوة في القلب وما روعته وجماله إلا من صدق تعبيره ، وصراحة أدائه ، ثم من عبوديته وانسياقه وطيبه

كذلك يعجبني من شاعرنا الرقيق أنه شاعر مصري صميم — على الرغم مما يعيبونه به من أنه شاعر الطبيعة الغربية — فهو لا ينسى بلاده حتى في تلك الأوقات الجميلة التي يقضيها في هذه الأجواء السحرية الناضرة ، بل إنه ليكون غارقاً في لذته وبهجته وسكره ، ثم يجره الحنين لبلده الجميل ، فيمسك قيثارته ويغني في شوق وصبابة

قلت : والنشوة تسرى في لساني — هاجت الذكرى فأين الهرمان
أين وادى السحر صداح المثاني — أين ماء النيل أين الصفصاف

* * *

آه لو كنت معي نختال عبره — بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروى الموج في أرخم نبره — حلم ليل من ليالي كليوبتره

ومثل ذلك « بحيرة كومو » ... حيث الجمال والسحر يهيج الشاعر حبه وعشقه ، فينطلق ناطقاً ، وهو جالس بين كؤوسه وخلوته ، غارق في نعيمه ولذته ورضاه

أين ولى الفضل أم عمرانه الفضر !

إن مما يزدنى إعجاباً بهذا الشاعر أنه مستقل فى شعره وفى فنه ، وأنه ذو شخصية مستقلة لا تندمج فى شخصية أخرى ، وأن شاعريته وجهاً يميزها من كل شاعرية ، ولألحانه رنة مرنة تمتاز بين سائر الألحان ، وفى كل ما يكتبه نكهة تختلف من كل نكهة

سكم وددت لو كان بمكانى أن أعتلى بالتدرج خطوة خطوة مع شاعريته سائحاً « ليسائل الملاح العلة » فهو فى تجواله قد سلك سبلاً كثيرة ، وطرق أبواباً عديدة ، ومن كل سياحة صاحب قد عاد بآثار طريفة ومذكرات قيمة ، والديوان حافل بكل هذه الآثار والمذكرات التى تفسح مداه وترحب صدر قارئه

وأخيراً .. لقد اشتهيت بحرق أن أعد شاعرى اللهم ، ومع ذلك فإنى كنت أود أن أعثر على أخوته أو سقطة ، ولكنى جهداً حاولت . غير أنه يسرنى أن أطلع شاعرنا على منعب طريقة ما نقلنا شطراً لأجل قول الشاعر فى أغنية « الفسون »

فلك والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فأين الرمان

لكن الأحسن من ذلك أنه يقول « فى كيانى » لأنى لا أتصور ولا يتصور أحد من تلك النشوة التى تسرى فى اللسان وفى الأغنية نفسها اضطراب فى صورها ، فليس بها وحدة ولا اتساق ولقد رزقنى الله حلاوة الصوت ، فكنت إذا غنيت على عودى وأنا متنقل من جبالى فى الجو الذى نظمت فيه سمعت بأصطدام وعراقيل تنبئ عن مناعة طرقى خصوصاً فى مقطعه الأول ، وفى الأغنية مقطع رائع وهو :

آه لو كنت من عشاق خمره بشراع مسبح الأنجم أدره
حيث يروى الروح فى أرض تبره حلم بل من ليالى كبريه

وأنا أذكر أنى قرأت هذا اللون الجميل البارع الذى يعد أحسن من الأغنية مترجماً من الإنجليزية عمن يذكرون أن الشعراء الثلاثة كيتس وشلى وليهند اتفقوا على أن ينظم كل واحد منهم قصيدة فى النيل فكان مما قاله ليهند هذا اللون الجميل . وما كنت لأشير إلى هذا لولا أن الأدباء يدرسون هذا اللون

إلى السماء فأردت أن أبين أسلوب ... ويقول الشاعر فى قصيدة كومو « :

ثم أسمع الجرس كيف لا خطف الفؤاد
وأنا أعلم أن الفؤاد هو الملقى

ويقول الشاعر فى « مصرع الربان » :

وقلب كل متيم غير ثمة ذكراى من التعب العالى تمكنا
والذكرى والله كل صاحب واحد

ويقول الشاعر فى « مهرجان الزفاف » يريد العيون :

أو ما ما للناس تجلى حديثها حتى تكاد يعمر كيف تعيش

والمعنى يقول : « حتى تكاد تعير كيف تشرب » وهو طبعاً أحسن من الأول . فكان حقه أن يأتى بالمعنى كاملاً

وهذه طبعاً هنات طفيفة لا تنقص من قيمة شاعرنا القوى وكفاه رفعة وسمواً أن يكون عنده ما أعده فى وقت أصبحت فيه الدواوين الشعرية مهزلة ومضحكاً !

عبد الحليم عيسى

---





( سجل تجارى ٢٣٣٧ )

( طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين )

8me Année No. 356

Lundi 29-4-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
بدار الرسالة بشارع البديع رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٦ «القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٩ ابريل سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

# ساعة مع الأستاذ الأكبر

كان مما لا بد منه لمن يبحث في الإصلاح الديني والأزهري أن يستمع رأي الإمام الذي هيأه الله وهيأتنا الظروف لزعامة الثقافة الإسلامية في أشد العصور افتتاناً بالعلم وامتحاناً للعقيدة وتهيؤاً للتطور واستعداداً للتحول.

والأستاذ المراغي بما أوتيت كل المنى فيه إمام هذا العصر بإعداد من الله عز وجل في مهمة التجديد لرسالة دينه ودولته. كان الصحيح لحاجة عصره، وعلمه الراسخ بطبيعة قومه، وملكته السليمة في أدب لغته، وأفقه الرحيب لاتقاء المشكلات الاجتماعية به تحت ضوء من الفكر الثاقب يجلو عنها ظلام الإشكال فترجع إلى طريقها الواضح من العلم أو الدين. ورأيه الصحيح الدقيق في الإسلام مبني على أن رسالة الدين هي إصلاح الشعب، وعمله لتوجيه الحكم والسياسة والاجتماع إلى الغاية التي وضعها الحق في دستوره السماوي الخالد.

* * *

دخلت على الإمام المراغي مكتبه المطل القصير في إدارة الأزهر منتصف الساعة الثانية، وكانت الأصوات والحركات قد خفتت في المكاتب والممرات، فما لبثنا غير قليل في الحديث بجلسة طويلة مع الإمام لم يقطعها عمل ولم يعكرها زائر

الفهرس



١٤ — ٤٩

فكان شيخ الشيوخ وجيه المبسط ويغمره الوقار متهللاً
حتى إن أحد فيّ وأنشرح في حديثي وأرقب انعكاس الإشراق
الروحي على ملامحه الناطقة فأحسه من قريب . وللعربي إشعاع
على عارفيه عجيب ؛ وربما الإشعاع تامّ الاتساق من جهة وشخصيته
فلا شك للناظر منه في كثير من الإعجاب والإجلال والحب
معاً وقت الأناقة وروائح السكينة وجلال الحديث . وأشد تأثير
المراجع على النفس الشابة بعيداً من سر نظرته وسحر بسمته وصفة
حديثه وحلاوة جرسه وسماحة منطقه . أما توقد ذهنه والطلاقة
حسه ورواء قوله ورجاحة عقله وصراحة خلقه ، فتلك خصائص
شخصيته ومخائل نبوغه

لا أستطيع أن أنقل إليك نص حديثه وشذى روحه
وصفه ، ولا أبداً أن أنطق سرعة ما سألت أو أجبته عن عمله
ومن أن أسمع إلى الأستاذ ، فإنما أروي لك خلاصة الجانب العام من
الحديث عن الطرائف وساوى لتصل إلى وجه الرأي من أقصر طريق

قال الأستاذ الإمام وقد تزاور عن مكتبه واتجه بكرسيه
المواجه إليّ :

قد سرني أن تتجه الرسالة إلى معالجة شئون الأزهر ،
وأن في النقد الخالص من الهوى مبدأ للهمم الواهنة ، ومذكياً
للنفوس الخامدة . ولكني أحب أن يكون النقد على طريقة يوماً
ليطمئن إليه القارئ ويستفيد منه

أنا لا أعلم أن الأزهر يعاني على حاله الصحيحة ، وأرى أنه
يتقدم مع الزمن تقدماً يتمشى مع طبيعة أهله في الأناة والروية
ولو قارنت بين حاله اليوم وبينها منذ أربعين سنة عرفت الفرق
واضحاً لا ... فلقد كنا ونحن في أيام طلبتنا بالأزهر قلما كنت
تجد عالماً أو طالباً يكتب أو يخطب أو يؤلف أو يحسن الكتابة
الناجحة ؛ أما اليوم فأنت ترى أكثر العلماء والطلاب يفكرون
ويحررون ويحاضرون ويناظرون ويؤلفون في فصاحة منطق
وحسن صياغة وسلامة فكرة

أذكر وأنا مفتش بالأوقاف أنا اقترحنا على العلماء إنشاء
طائفة من الخطب الدينية في الأغراض الاجتماعية المختلفة، فجاءت
الرسالة ... لم نجد من بينها واحدة تستحق النظر . ولكنك
اليوم تجد الخطباء في المساجد والوعاظ في المجالس ينشرون الخطب
المهذبة، أو يرتجلون الخطب البليغة في شتى الأغراض بلسان الخاصة

على أني أشعر بحاجة الأزهر الشديدة إلى الإصلاح ،
وأوافق الرسالة على أن الأمر يكاد ينحصر في طريقة التعليم
وسياسة التعليم . وقد أحدثنا الفصل ... الإصلاح في عهد الأستاذ
... بطلاب التخصص لأنهم معقد أمل في المستقبل
وموضع ثقتي في الإصلاح ، فإذا أحسنّا تعليمهم وأنفقنا أموالنا
وأشد اهتمامنا، حتى لم يجتمع من ثلاثة وعشرين غير ثمانية
ومن هؤلاء أرسلنا البعوث إلى بلاد الغرب ليتصلوا
بتيار الفكر الحديث، ويمكن لي لا يحسن بهم أن يتزعموا أوروبية
في الكلية ... أن يفيد في ثقافته

أن مسألة الكتب فإني أوثر أخذ العلم من كتب الأئمة
السابقين القادرين على صوغ العبارات البليغة في أسلوب جامع
مبين، ولكني أوثر كذلك الإفادة من طائفة من الكتب
المؤلفة على المنهج الحديث من تحليل ألفاظ الجملة وتقليب وجوه
الفكرة ... تسهيل النص والاستقصاء والموازنة من عرض كيف
يمسك ويخرج منه . وفي اعتقادي أن غموض النص في نفس
التلميذ شيء من غموضه في ذهن المعلم ، فإذا استطاع الأستاذ أن
يحلل عبارة النص والكتاب ويجلو غامضه من جهة، وأن يجمع
أشتات الرأي في الموضوع ويمحص حقائقه من جهة أخرى ،
تيسر له بعد ذلك أن يلقيه على الطلاب في محاضرة متناسقة
الفكر متماسكة الأجزاء محكمة الصياغة ، ومن مجموع هذه
المحاضرات في العلم الواحد يتألف الكتاب الذي تريده

على أن الكتاب يحمل عادة كما يحمل ... ، وإنك لتذكر
أن أستاذنا الإمام رضوان الله عليه كان لا يحمل في يده وهو يحضر
كتاب الأمير (المطالع) ، ومع ذلك كان يستنبط بفكره النفاذ
أسرار الآي ثم يكشف الناس في معرض من البيان المشرق

وفي الكليات طائفة من المدرسين القادرين يستطيعون أن
ينهضوا بالتعليم الأزهري نهضة صادقة . وملاك ذلك أن يعتمدوا
على أنفسهم في الفهم، ويقصروا جهودهم على التعليم، وأن يصلوا بأبنائهم
اتصالاً روحياً ليدرسوا فيهم حب العلم ويطلبوه لذاته وحده

كان أشياخنا يقولون : « أعط العلم كلك يعطك بعضه »
وكان منهم من لا ينقطع عن التدريس حتى في المرض ، ولا يعوق

# حديث الإسكندرية ذو شجون

## للدكتور زكي مبارك

«في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي أقامت جمعية الشبان المسيحية في الإسكندرية احتفالا سمته «عيد الورد»، ودعت إليه جماعة من أدباء القاهرة، وفيما يلي خطبة الدكتور زكي مبارك في ذلك الاحتفال»

في هذا المساء أيها السادة يحتفل المسلمون بعيد المولد النبوي، وتحتفلون بعيد الورد، فالمسلمون يحتفلون بعيد الحق، وأنتم تحتفلون بعيد الجمال، والصلة وثيقة جداً بين الحق والجمال

أما بعد، فقد انزعج صديقي حين عرف أن تكون خطبتي عن الإسكندرية حديثاً ذا شجون، فما الذي يخطر على ذلك الصديق من حديث الشجون؟

أيكون لاحظ أني أكثر الحديث عن الإسكندرية، وأن هواي بها وصل إلى حد الافتتان؟

هو ذلك، ولكن هل يعرف أي سبب يطل صراعي في أسباب مغاني الإسكندرية كلما سنحت الفرص في الصيف أو في الشتاء؟

السبب يرجع إلى أن معاهد الإسكندرية أول معهد رأيته خارج وطني في مصر، فقد رأيتها في عبارة معجبة من عبارات الصحافة العسكرية في أيام الثورة المصرية، ورأيتها في الظلام، ثم أرى من جانب غير أطيافي، ثم تلاقى ذلك «السجن المعروف» إلى معتقل الاعتقال في ضاحية نائية هي اليوم ملاعب سباق ومطارح تنزه. ومن يصدق أن ضاحية (سيدي بشر) كانت معتقلاً يسجن فيه من عشقوا اسم الحرية والاستقلال؟

قضيت في هذه الضاحية شهوراً طوالاً جدوى أن أشهد من جانبها غير ما يطوف بالأوهام والظنون. ولن أنسى أبداً كيف كان هدير البحر يزعج حسي وقلبي في سكون الليل. ولن أنسى كيف فرحت يوم خرجت من المعتقل لأرى الإسكندرية بعيني، ولأخوض في ربوعها حيث أشاء بلا حارس ولا رقيب، ولا أتحول

---

علم الرحمة حتى في المطلقة، ولا نرى (أحد الطرفين) صادراً عن التحصيل، ولا نحسب القضاء حائلاً من الأزهر

قال لي الإمام محمد عبده وقد زرته بعد مجلس في (الصديقة) بثلاثة أيام: أتستطيع أن تعرّف العلم؟ فأجبته إجابة الواثق المطمئن: نعم. وأسمعت أسوق إليه ما أعرف من التعريفات المختلفة، ولكنه ردها جميعاً وقال: العلم ما علمت، ومع الناس غير ما علمت منه ينطبق عليه هذا التعريف؟ قلت: لا. قال: إنك لا تعلم من العلم الصحيح شيئاً ربما قد أتعبت فيه دراستك ومجاهداتك العلم، وعليك وحدك بعد ذلك أن تعمل

إن الذي يظهر الأزهر في هذا الظهر الجديد يرجع بعضه إلى إعداد القادرين إلى الرابطة، وبعضه إلى مخالفة أساليب العصر مع حسن الاستعداد وتوفر وسائل الاجتهاد وموالاة أسباب النهضة. أليس من العجيب أن يكون عهد الاجتهاد التشريعي عندنا أكثر حياة عند مالك، وفراغ الابتكار الأدبي في عصر أو غير في عصر الجاحظ، ثم لا نجد فيها شيئاً يجتهد مثل اجتهاد صاحب الموطأ، ولا أديباً يؤلف بعض ما ألف صاحب الحيوان! لقد كان مالك لا يجد من ثروة الحديث النبوي غير ما صح له بروايته عنه، وكان الجاحظ لا يجد من مصادر الأدب العربي غير ما وقع له من السماع فيه، ومع ذلك صار لأولئك مذهب متبع في الفقه، وانتشر للجاحظ مذهب معروف في الأدب. أما نحن فبين أيدينا كل ما ورد عن الرسول من الأحاديث، وما روي عن الأئمة من الأحكام، وما أثر عن الفقهاء من الكتب، وفي حوانيتنا كل ما خلف العرب وغير العرب من كتب الأدب وعصارة الفكر، ومع هذا اليسر في الوسائل وهذه القوة في الاستعداد لا نرى إلا مرحاً مبين الظنون وسير الأزهر اليوم

إن العلماء إذا أصدروا بوجه السلف في الإخلاص للعلم والانقطاع إلى التعلم يستطيعون أن يمحوا هذه الظاهرة ويكونوا شخص الكتاب ويصلوا بالأزهر إلى الغاية التي ترجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه اللائق بطبيعة العصر وعقلية الناس

• • •

وحينئذ كانت الساعة الثالثة، فرأيت من اللائق أن أعفي الإمام من عنائه أكثر مما فعلت، فاستأذنت وانصرفت وأنا موزع القلب بين الإعجاب بالحديث والاغتباط بالحديث

محمد [illegible]

لنفسي : إن شهور الاحتلال قد ذهبت إلى غير معاد

هذا هو السبب في حياتي بالإسكندرية، ولن أسمع منه أبدًا لجنون ما هو انتقام من الزمن الجائر الذي قضى بأن أراها أول مرة في ظروف أفظع وأشنع من أخطر الأحزان

أحب أن أمرح في الإسكندرية ، أحب أن أرى بها أيامًا بعد أن رأيت بها شهورًا بؤسى . أحب أن أراها وتراني في بشاشة وأريحية وصفاء . فحدي رماني إلى جيب شائك ، يا مهد الشهامة والتسامح والجمال

لك قلبي يا إسكندرية ، فاصفحي عن الفتى الذي أساء في تلك الأيام السود ، أيام الاعتداء . واصفحي عني يا إسكندرية ، إن انفصمت في هواك ، فما يكون غلابي إلا جذب طرح [illegible] تتناهى آلامه من حين إلى حين

أيها السادة

مدينتكم هذه مرح وتوازع

هذه وصف أعظم ناحية غرابة ، وهي ناحية [illegible] شرحة من الشرائح . ألم يكفها أن تعد [illegible] إلى جميع البلاد وأن تزدان فيه الثالث من الأقاصيص !

ومدينتكم هذه هي التي حفظت ذخائر الفلسفة اليونانية بعد تقوض العقل اليوناني

ومدينتكم هذه هي التي عرفت الاستشهاد في سبيل المسيحية أعوام اضطهاد المسيحية

ومدينتكم هذه هي التي استقبلت طلائع الفتح الإسلامي وصارت للإسلام دولة على شاطئ المحيط ، وقد كان ثغرها هذا أول ثغر حملت فيه الراية الإسلامية ، وسيظل إلى الأبد صلة الوصل بين حضارة الإسلام في الشرق وحضارة النصرانية في الغرب ، ولن يكون شوكته الشرقية إلا بأيدينا بها بين الاستعمار والاستغلال

ومدينتكم هذه هي التي حفظت اسم من نسبت إليه ومن بناها للإسكندر كما يحفظ المأمون ، وإنما هي حقًا من أصحابها ، وسيأتي يوم لا يعرف فيه من الإسكندر إلا من أحب الناس بهذه المدينة الباقية على الزمان

وقد سميت باسم الإسكندر مدن كثيرة في الشرق والغرب ، ولكنها ذهبت جميعًا ، ولم يبق غير مدينتكم هذه لأنها مصرية ، ومصر عريقة في الخلود

أيها السادة

كيف أستطيع أن أتحدث إليكم عن الإسكندرية في الزمن الأدنى ، وهو أقرب لا أعرف منه إلا ما عرض منه للاسكندرية في [illegible] من ؟

أيها الإخوان

في مدينتكم هذه نشأت المعارضة السياسية حزبية صريحة لأول مرة بعد الثورة المصرية ، وفي مدينتكم هذه وجد الناس من الشجاعة ما يقاومون به سعد زغلول وكان اسمه قد ملأ جميع الأرجاء

وما يهمني أن أقول إن تلك المعارضة كانت بحق أو بغير حق ، فذلك حديث غير هذا الحديث ، وإنما يهمني أن أقول إن أول معارضة قوية في مصر كانت مرجعها الإسكندرية الموجهة إلى مشروع ملنر ، وتلك المعارضة لم ترفع رأسها إلا في الإسكندرية بجريدتين سيذكرهما التاريخ وهما جريدة « الأمة » وجريدة « الأهالي »

فكيف جاز أن يسيطر سعد زغلول على سائر المدن المصرية ولا يجد مقاومة في غير هذه المدينة ؟

لا يهمني عصبية الحزب الوطني ، فأنا في نفسي أعظم من كل عصبية وإن أعتصب على الحق ، وإنما يهمني أن أسجل مفاخر مدينتكم هذه فأقول إن سكانها الوطنيين يرجعون في الأغلب إلى عنصرين اثنين : العنصر الوافد عليهم من الصعيد وهو عنصر معروف بالعناد ، والعنصر الوافد عليها من الغرب بعد سقوط الأندلس في أيدي الأسبان وهو عنصر معروف بالقوة والبراس ، ومن أجل هذا يرى الإسكندريين الوطنيين نوعًا ملاذ الأكباد يعتصمون بصرحه ويستوحشون من الصلاة كأهل الغرب وأهل الصعيد ، أما سكان الإسكندرية من أهل الوجه البحري فهم أقلية ، وهم مصدر اللطف الذي نجده في الإسكندرية من وقت إلى وقت في هيئة النصب والمحاسبة والصدد

وهنا يصح الكلام بتسجيل خاطر غريب

في هذه المدينة الثائرة بالفطرة وروح البحر نرى شواهد من النظام لا نجدها في أية مدينة مصرية

في هذه المدينة وضعت قواعد النظام للمعاهد الدينية ، فأول معهد ديني نظامي هو المعهد الإسكندري ، وقد أشرف عليه

رجل صحيح خلق الطبع ، ولكنه في روحه يحطوي على التظلم هو استاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمد شاكر الذي كان يرمى ويصيب في لفتات ، والذي كان ينقل قلق الإسكندرية ، وحدة الصعيد ، وسكينة القاهرة ، ومن الاسكندرية انتقل التظلم إلى سائر المعاهد الدينية ، وهو نظام لم تعرفه الأزهر ثورة عنيفة لن أنساها ما حييت لأنها عطلتني عن الدرس أسابيع وأسابيع قبل أن يوم عرفت هذا الحقل الصريح

والمعهد الإسكندري ساكن في هذه الأيام ، ولكن الذين عاشوا قبل الحرب الماضية يذكرون كيف استطاع أستاذنا الشيخ عبد المجيد اللبان أن يضرم به زلزلة دينية يصل روحها إلى أكثر المدن المصرية

وإن كشف علماء التاريخ فسيعرفون أن الشيخ اللبان كانت له يد في تاريخ الثورة المصرية ، فهو الذي جمع بين أعضاء الحزب الوطني وبين سكرتير صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، ومن تلك الحركة بدأ الجو لحركات شهدنا سنة ١٩١٨ ثم استفحلت في سنة ١٩١٩ ثم كان ما كان إلى أن شهدنا سقوط الحماية وإعلان الاستقلال

فما معنى هذا؟ معناه أن الإسكندرية التي أتيح لها صحافي كامل أعظم خطيب وطني من الإسكندرية التي سبقت إلى الثورة على الأحكام العرفية في أعقاب الحرب الماضية والتي سنت لأهل مصر شريعة النضال في سبيل الاستقلال

وهل تذكرون كيف يحدث الدكتور هيكل باشا ؟

هل الإسكندرية جاز أن يكون في مصر كاتب من العيار ، وهذه مصر عرفت في بلادنا ولم يقع أول مرة إلا في الإسكندرية وهو دليل يشهد بأن مدينتنا هذه مدينة أصيلة في قوة الشخصية ألم يكف أن تحتفل المدينة بالمولد النبوي احتفالاً أفخم وأعظم من جميع الاحتفالات بسائر المدن المصرية ؟ ألم يكف أنها أول مدينة في الشرق بعد القاهرة مع أن القاهرة عاصمة مصر ما سجد فيه جميع المدائن في الشرق ؟

أيها السادة :

إن الحديث ذو شجون ، فهل تصدقون أن الإسكندرية تسيطر في هذه الأيام على وزارة المعارف ؟

قيل إن النقراشي اسكندري المولد ، وقيل إن السنهوري اسكندري المولد ، وقيل إن شفيق غربال اسكندري المولد ، فهل هذا صحيح ؟ إن صح هذا فانتظروا منى ثورة أوليفي ... فما ينبغي أن يكون لسيادتكم كل هذا السلطان !

ولكن ما الوصف الثورة وما أصحب معاقل هؤلاء الرجال ؟ فالنقراشي العنيد اسكندري الأسرة والمنطق ، والسنهوري أضعف الضعفاء أمام القانون ، وشفيق غربال يعجز كل العجز عن مقاومة الحق

وأرجوكم باسم الذوق ألا تظنوا أني أمدح وأتملق ، فما خلقت للمصانعات ، وإنما أدلكم على مقاتل هؤلاء الرجال ، وهذا يعطيكم أحرز النصر ، يوم يبدو لأحدكم أن يستفيد من قوة الحق والمنطق والقانون

ومعهدكم هذا الذي وضع قواعد النظام العلمي الديني من أول مدينة بعد القاهرة تقوم فيها جامعة مدنية في العصر الحديث فكان لها فضل السبق على المنصورة وأسيوط ، مع الاعتراف بأصالة المنصورة وأسيوط

ولأول مرة في تاريخ مصر يحرم الوزراء بدل السفر حين ينتقلون لشأن من الشؤون ، وما حرم ذلك إلا بالنسبة إلى الإسكندرية ، فهل كان ذلك لأن الإسكندرية لصيقة الروح ، فحرمهم من تكلف أسباب الانتقال ؟ لا ، إنما كان ذلك التحريم لأن الإقامة في الإسكندرية غنيمة من الغنائم ، ومن واجب الدولة أن تمن على الوزير الذي يصحبها بأن يقدم الفرصة للإقامة يوماً أو يومين بالبلد الذي يعتز في الصيف ويشرق في الشتاء

ومع أن الإسكندرية سبقت القاهرة إلى التحلي بقسوة التنافس مع الأجانب فقد صح للإسكندرية أن تسبق القاهرة إلى استخلاص بعض المنافع من الأجانب ، فأول ترام مصري سيطرت عليه الحكومة هو ترام الإسكندرية ، وفي ذلك ما فيه من قوة الشخصية

والإسكندرية تفوق القاهرة في أشياء

فالوافد على الإسكندرية من الجنوب تلقاه المنازل البيض الطيبة الروح ، وتلقاه حدائق يرى الناس فيها أنس العيون ، أما الوافد على القاهرة من الشمال فتلقاه منازل مهدمة تؤذي النفس ، فأين حظ حكومتنا إلى هذه الظاهرة ؟ ومتى تفكر في رفع تلك الخرائب وتعويضها بحدائق ورياض يبشر الوافد

على القاهرة منه مُقبلٌ على مدينة عجيبة الحال ؟

آن للقاهرة أن تعرف أن من سيء الحظ أن تبقى بها تلك الخرائب التي تواجه من يقدم إليها من الشمال. آن للقاهرة أن تعرف أنه لا يجوز أن تلقى القادمين بتلك الأطلال ، وتلك الخرائب الشوهاء تدخل على أرواح القادمين أثقالاً من الانقباض البغيض

أتذكرون المحطة القديمة ، محطة الإسكندرية ؟

لقد كان القادم إليها يشعر بأنه يقدم على أطلال ، وقد عزّ ذلك على الملك فؤاد رحمه الله فاختار أن يكون للإسكندرية محطة تناسب ماضيها الجميل وحاضرها الجميل

ومحطة القاهرة هي رابع محطة في العالم من حيث الفخامة والرونق ، فكيف يجوز أن تدخل إلى القاهرة في مبانٍ مهجورة يتنازل عن رؤيتها من يحترم النظر ؟

يجب أن تسرع الحكومة إلى تجميل مدخل القاهرة ، ومن العيب أن يكون هذا الدهليز المظلم موطناً لأكواخ البائسين

وإلى يوم ذلك أستطيع أن أتحدث في موضوع جديد هو سير الشاطئ الذي تدخل به القواطر إلى « عروس الماء »

فالشاطئ الذي يستقبل القواطر مطرّز بعوائق تؤذي مرآه المحبوب ، ويجب تغييره أو تجميله في أقرب فرصة ، فما يجوز أن يكون أول ما يقع عليه البصر عند دخول الإسكندرية شوارع ضيقة ومبانٍ دميمة وحوانيت ترجع في تكوينها إلى ما قبل التاريخ

« الجمال ، الجمال ، الجمال »

ليس الحديث من باب المزاح ، وإنما هو جِدٌّ صُراح ، والأمم التي لا تقدّر الجمال لا تستحق نعمة الوجود

هل خطر لأحد من المسؤولين عن التفرج في شواطئ الاصطياف أن من واجبهم أن يعيدوا النظر في مباني الشواطئ ؟

وهل فيهم من حدثته النفس بأن ينظر في الصحة الموحشة التي تستقبل الوافدين من روما ولندن وباريس وبرلين ؟

أين الحدائق وأين [illegible] من يألفون من التفرج في الشواطئ ؟

هل عند مديري الرحلات علمٌ بما يعانيه من يدخل مدينتنا بعد قضاء شهور أو أعوام في ديار الغرب ، الغرب الذي يرى الزينة مطلوبة في جميع المواطن وجميع الأشياء ؟

تكلمت في المحاضرة إلى « عيد الورود » في الإسكندرية فما حق على الجميع من حق عليكم وعليه أن تسمحوا بأن أنسب هذا العيد وأن أدعو إلى تنوير أو تجميل موقع الهناء [illegible] وأين من عجب ؟

الحديث ذو شجون ، أليس كذلك ؟ أنا الذي [illegible] يالي مدينتكم أطلب الظل من كل الإعلانات ؟

هل تصدقون أن مدينتكم عند كان لها صوت [illegible] في أيام مصطفى كامل وأيام سعد زغلول ؟ فأين صوتها اليوم وهي صدى لأصوات القاهرة ؟

أنا أعرف أن الساعة الثامنة صباحاً والساعة السابعة مساء موعدان لقدوم الجرائد والمجلات ، وأحس برعشة الشوق إلى هاتين الساعتين لأنهما موعد اتصال الإسكندرية بالقاهرة ، ولكني أرتاع كلما تذكرت أن الحكومة المصرية التي تعسكر بالإسكندرية في الصيف لا تسمع صدى أصواتها إلا بفضل جرائد القاهرة ، فمتى يستيقظ النائمون من أهل هذا الثغر الجميل ؟

أين الصحف

أترك حديث الإصلاح إلى حينه وأنتقل إلى حديث التنبؤ فأقول : سيأتي يوم قريب تجتمع فيه وحدة مصر حول شواطئ بحر الغرب الذي سُمّي خطأً بحر الروم ، وسيكون في الإسكندرية مؤتمر يؤلف بين أهواء الرجال ويصل الحقائق ويمحو الحدود

ويومئذ تقيم « عيد الورد » على نية الاحتفال بعيد « الوحدة الشرقية »

ويومئذ نطمئن إلى أن بحراً يسمى « البحر الأبيض المتوسط » لأنه يجمع بين بياض القلوب ، ويومئذ في جمع أهواء الشعوب

ويومئذ نعرف أن الهيام بشواطئ الإسكندرية يخرج رجال الدين ، لأن الإسكندرية يومئذ ملائكة يرعى الله فيهم أمر التكليف للمتظهرين ، يا من لله صاحب العزة والجبروت

وهذا البحر لنا ، يغني خاطر السباحة والملاحة والجمال

ومصر لنا ، فنفصل سواعدنا وعزائمنا

فمن أراد بنا السوء فلينتظر غضبات الأسود عند جوع الأشبال

نحن حفظنا مصر العروبة والإسلام ثلاثة عشر قرناً ، وسنحفظ الإيمان وأحقادنا وأسلافنا هذا التراث الغالي والله مع المجاهدين

زكي مبارك

# في سبيل الأزهر

اعتراف ورجاء

للأستاذ محمد محمد المدني
المدرس بكلية الشريعة

كتب الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء سلسلة من مقالاته القيمة للمحنة في الأزهر وما يحمل الأزهريون لها ودراسة وحق

وقد أثارت هذه المقالات في نفسي باعتباري منتسباً ، وطالباً ، ومدرساً في الأزهر ، عاطفتين متناقضتين : أحدهما عاطفة الأسف والحزن والخجل من هذا السيل المتدفق الذي ينصب على رأس الأزهر في الحين بعد الحين ، بل مع كل مطلع شمس ومغربها ، حتى أصبحنا لا نقرأ مقالاً ، ولا نستمع إلى حديث ، ولا نتصفح كتاباً إلا رأينا فيه لوناً من ألوان النقد العنيف موجهاً إلى الأزهر في جموده وخموله ، وتنكره لحياة العالم فيه ، وقصوره عن مجاراة الزمن ، ومسايرة النهضة العلمية التي رفعت العالم ، ونفخت في كل نواحي الحياة

أما العاطفة الثانية فهي عاطفة الأمل والرجاء ، في أن هذه الحال ما دامت غير مستحكمة ولا متأبية على الإصلاح ، فهي قابلة للعلاج ، وأن هذه الصرخات التي يحس بها أبناء الأزهر هي دليل على الحياة فيه ، وهي لا بد مترقرقة في نفوس المخلصين ، وستحمله على أن ينفض عن نفسه غبار هذا الكسل ، ويخلع عن نفسه الثوب البالي الذي حاكه الدهر ، وربته بالمخازي ، وسامه الذل والهوان !

لقد ساءلت نفسي : أحقاً أن في الأزهر كل هذه العيوب التي يرميه الناس بها ، أم أنهم يتجنون عليه ويتحاملون في حسابه ؟

وسرعان ما أجبت عن هذا التساؤل ، فاعترفت بكثير من هذه العيوب ، وبعوث الذي يذكرون

في الأزهر من غير شك نواحي نقص عظيمة ، ويجب أن يكون صرفه إلى أبعد حدود الصراحة . وإذا جاز للكاتب مجيب كالأستاذ الزيات أن يحاسب الأزهر ، فلا بد أن كل ما يعلم له من عيوبه ، حين يشاركه بالنقد ، فإن ذلك لا يجوز لأزهري يحفظ

وله ويجهره هذه الحال والحرقة التي لا مناص فيها من استقلالها بحكم عمله ونحسبه الصلة بيننا

لقد تدبرت هذه النواحي التي من أجلها يلام الأزهر ، فرأيت جميعها يؤول ، فوجدت أهمها تشبث الأزهر في نفسه وأسلوب الدراسة فيه

فالأزهر ما زال — على الرغم من بزوغ شمس الإمام المراغي في أرجائه — يجد حركته الفكرية على نحو من التعصب الجامد ، شكواً ما يعلم ، والأزهري المقلد يستكل ما يجهل ، وما زال فيه من يقول : كفر فلان ، وألحد فلان ، وزندق فلان ، لأنه أبدى رأياً غير مألوف ، أو خالف شيئاً قال به إمام من الأئمة السابقين . وليس هذا التكفير والتمسك بالنصوص والرجعة شيئاً يرى به غير الأزهريين فحسب ، ولكن للأزهريين منه نصيباً غير قليل !

وإنك لترى تفكراً عقيماً ، وشعوراً يضج ، وتسمع دوياً يملأ أذنيك ونغمة تدور من حولك ، فتقول تمخضت هذه حركة علمية قد اختمرت ، ولا بد أن تنجلي عن حقيقة تعين المكتوب عليه كما يقولون ، أو عن فكرة إصلاحية تفيد منها الأمة فائدة تدفعها لرسالة الأزهر

وينصدم ظنك من بعض توجيهه ، فإذا هو جدال ومراء في غير معترك ، وضجيج ونكير في غير مشتجر ، ثم تنجلي هذه المعركة كما جاءت ، فلا حقيقة علمية وصلت إليها ، ولا الأمة أفادت ما كان يرجى أن تفيد ؛ بل قد أنها تنجلي عن خلاف في أمر ما حدث . وإذا كانت المعارك الحربية تسفر في كثير من الأحيان عن كذا من القتلى ، وكذا من الجرحى ، فإن معركتنا الأزهرية تسفر كذلك عن كذا من المكفرة ، وكذا من المفسقة ، وكذا من الجهلة ... الخ

لست مبالغاً ، أيها القارئ ، وإليك الحقيقة المرة

لقد قال بعض العلماء رأياً في « الشيطان » في حديث له أذاعه بالراديو ، خلاصته : أن « الشيطان » قد ورد ذكره في القرآن على أساليب شتى ، وأن المعنى المشترك في كل الآيات التي عرضت للشيطان ، أنه قوة الشر وعنصر الفساد في هذا الوجود

هذا الرأي الذي يدل على تفكير صحيح وعقل رشيد ، ويتفق مع أحدث الآراء العلمية الصحيحة ، ولا يعارض في نفس الوقت نصاً صريحاً من الدين — لا يمر كما يمر سائر الكلام ، ولكن يرتفع عنده ، لا يشكر صاحبه على توفيقه بين نصوص الدين

وآراء النحو ، ولكن ليتهم عجالفوا النصوص ، وإنكار ما في القرآن ، والخروج على الأحاديث

ولولا أن صاحب الرأي رجل قوي ، محترم الرأي ، مسموع الكلمة ، لا يؤكل عنه ، لترددت في هذا المجال كلمات الإلحاد ، والمروق ، والزندقة ، والفسوق ، ولكن الله سلم !

على رسلكم أيها السادة ! لماذا تفرضون مانعاً في كل من يخالفكم في الرأي أنه سيئ النية ، متهم الغرض ؟ ولماذا تفرضون دائماً في أنفسكم أنكم على الحق وغيركم في كل ما رأيتم إلى الحق ، فتسمحون في كل بحث وكل نقاش على هذا الأساس ومع استحضار هذا الفكرة

ومن أين أخذتم هذه الطريقة ؟ أمن كتاب الله ، وهو الذي يعظم شأن البرهان ويحكم العقل في كل شيء حتى في الإيمان بالله ويعيب على المقلدين الأتباع !

أم من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان المثل الأعلى في سعة الصدر وصبره على الحوار والجدال ؟ ألم يكن الأعرابي الجلف يأتيه فيناديه باسمه المجرد ، ويشتد له في القول ، ويلح عليه في السؤال ، فلا يمنعه ذلك من حلمه ، ولا يؤخره عن صبره !

هذا لم يكونوا قد أخذتم هذه الطريقة من الله ورسوله فممن أخذتموها ؟ أمن علماء السلف ورجال المذاهب الأولين الذين كانوا يتناقشون ويتحاورون ويرجع بعضهم إلى رأي بعض ، ويخالف بعضهم بعضاً ، فلا يدفعهم ذلك الخلاف إلى تجريح أو تكفير !

أم أخذتموها من كتب البحث والمناظرة التي تدرسونها وتحفظونها شرحاً ، ولست أذكر أن فيما رأيت من أساليب سوى التعديل ودفع البرهان بالبرهان ومنع المقدمات … الخ وليس فيها الرمي بالخروج على الآداب وإنكار الأحاديث !

هذا شيء في الأزهر ما زال موجوداً ، وهو موجود على أشده في مجلة الأزهر ، ينبه مسيحية يرتضيها الأزهريون وخاصة ويؤيده الجمهور !

فإذا رجعت إلى أساليب الدراسة والكتب المقررة وجدت العجب العجاب … وكله (العجب العجاب) هذه الكتب التي قد يسي على الناس المرحلي وأبو هلال والقلقشندي وغيرهم كانوا يعرفونها في تقدم الآراء فاعتبروا بأما في عصرنا الحاضر : حيث التأليف المصحح الذي في شتى نواحي العلوم ، وحيث السرعة والحرص على الزمن ، فإني أرى كله من العجب العجاب ، كيف أن طريقة التعبير عما أقصد … وأعترف بالعجز عن اختيار هذا لتأليف وتعميم هذا التكلف العقلي الذي تسببه دراسة ، مع أن الدراسة إنما تقوم للوضوح وحل المشكلات ، وهذا التكلف يقوم دائماً على التعقيد وخلق المشكلات !

لو أردت أن أضرب أمثلة كثيرة لهذا النوع من الدراسة لأتيت بالكثير ولوجد قراء الرسالة طرفة لا عهد لهم بمثلها ، ولا خطر لهم على بال ، ولكني أكتفي الآن — والآن فقط بأن أصف ما كان لذلك من أثر في مناهج الدراسة !

ما زال علماء بعض الكليات يقرأون في المنطق من أول العام إلى اليوم ، « وأرجو أن يلاحظ القراء أنه لم يبق من العام الدراسي إلا أيام معدودات » ، ولم يخرجوا بعد عن مقدمات هذا العلم ، ولم يصلوا إلى بحث من صميم أبحاثه

وما زال الذين يدرسون علم الأصول من أول العام يتحدثون عن أدلة التشريع ، أتعرف ما هي ؟ يدرسون أدلة التشريع التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فأين هم اليوم ؟ إنهم لم يتجاوزوا تعريف الكتاب تعريفاً فنياً إلا منذ عهد قريب ، ومضى العام في معرفة ما هو علم الأصول ، وما موضوعه بين العلوم وما ثمرته الخ بل ليس في هذه الموضوعات خلاصة يمكن فيها على كل حال بحثاً علمياً مفيداً ، ولكن في العبارات التي عبر بها المؤلف عن هذه المسائل ، وفيما تقدم من هذه العبارات شراح الكتب وحواشي الكتاب ، فأي ضياع هذا الضياع ؟ وعلى حساب من ؟

لماذا نحتفظ بأمثال هذه الكتب ، ونحرص عليها ، ومعها هذا الإرهاق وهذه البطء ؟ ولماذا نأخذ بها أنفسنا وأبناءنا ؟ ألا إنها آثرية ! فاتخذوا متحفاً للدراسات الأثرية إن كنتم حريصين على الدراسات الأثرية إلى هذا الحد

هذه بعض العيوب التي يحس بها الأزهريون المخلصون أنفسهم قبل أن يحس بها الناس لهم … وفي الأزهر شباب ناهضون متحمسون للإنتاج والعمل ، يحبون أستاذهم الأكبر الإمام الذي في تسميتهم « شباب الرافعي » لأن الأستاذ الإمام هو الإمام الروحي ، ليس في الإدارة فقط ، ولكن في العلم والخلق والإصلاح

ولقد وجد هذا الأزهر الحديث ضالته المنشودة ، فهو أول

# خواطر يثيرها سائل

## للأستاذ عبد المنعم خلاف

٢

عودة إلى قيمة الإنسان — نظرية النشوء والترقي — سمو الإنسان المتفوق — الانقلاب الإسلامي وعلماء القرن السادس عشر [illegible] التطور! — رب لغة بغير عنوان — بعض أسباب الإلحاد — كيف رجال الدين — وحدة التعليم الديني والمدني — خليفة الجزء في عصر الحاضر

لما كتبت كلمتي الأولى تحت هذا العنوان آثرت أن أبدأ الحديث عن دفاع سائلي عن الفكرة الدينية، وطلبت من حضرة السائل «الجيزاوي» أن يوازن بين حياة الإنسان وحياة مجموعة كمرصد ضخم، وهو مجرد عن أي تأثر بعبر أحد، ولم أتعرض لبعث الإيمان في الأصول الأولى للدين — وهي: الألوهية، والنبوة، ومصير الإنسان إلى حياة أخرى — وإذا أحلت السائل — ويخيل لي من كتابته أنه من المثقفين — الدين والفلسفة والعصور والعلوم إلى فكره هو أولاً، وإلى المقالات الإيمانية التي سبقت لي من الإيمان، ثم بسطت الحديث في قيمة الإنسان، لأنها في رأيي أساس الاعتراف بكل حقائق الدين والعلم والفلسفة

---

شيخ للأزهر لا يتعصب على الثقافة الحديثة. وهو أول شيخ للأزهر اشترك اشتراكاً عملياً في التشريع لهذه البلاد، وهو واضع قانون الطلاق وما ذكره التي هي الحل الكامل للمشكلة التي تطلع إليه آمال. وهو الذي اشترك اشتراكاً عملياً في إلقاء الدروس على طلبة كلية الشريعة، فكان مثالاً يحتذى، وحض على صحة المدرسين

وهو في كل هذا وبعد كل هذا القدوة الحسنة لعلماء الأزهر وطلبة الأزهر في تفكيره وخلقه، وهو عنه، وهو أعرف به

لا دام الأستاذ الأكبر المراغي بحرم الأزهر، وما دام «شباب المراغي» مؤمنين بروحه، متحمسين لآرائه، فإن في الأزهر حياة، وفي إصلاحه أملاً إن شاء الله.

وليستبشر الأحرار خيراً، فإن صرخته قد وجدت صداها، وإن غداً [illegible]

محمد محمد المدني

---

وكنت أرجو أن يكون وراء أمثال هذه [illegible] غير سطحية، حتى تنطق الفكرة بجميع حقائقها [illegible] منها نتائج واضحة محمودة، ولكن — مع الأسف — [illegible] رسالة أخرى من مجهول آخر هو «ج م» يطلب [illegible] حياة مجتمعات النحل والنمل، وكثير من الحيوانات والحشرات التي تعيش في نظام محكم لا تحيد عنه، ويبدو منها ما يدل على الإدراك والاختيار

وأنا لم أجهل نظم الحيوانات والحشرات التي أشار إليها، بل إني مغرم بقراءة المباحث التي فيها، ولم أنكر عليها الإدراك والاختيار في مناطق معيشتها. وقد قال القرآن قبل أن يقول العلم: «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم»..

ولكني أستغرب أن يسوي بين حياتها وحياة الإنسان أي السائل — الإنسان الذي يفكر فيها ويحوطها ويصورها ويكتب عنها ويتصرف فيها ويتسلط عليها، وهي لا تفعل شيئاً من ذلك! الإنسان الذي يولد وهو أقل من غيره قدرة على التغذي والدفاع عن نفسه، ثم ينمو ويصير إلى ما لا نهاية له في الفكر والعلم بما يزيد عن ضرورات حياته، بينما هي تقف عند حدود حفظ حياتها .. الإنسان الذي خلقت في جبلته تسخير ما في نفسه، ولم يخلق هو لها، ولو أنه لم تتغلب عليه وتسخره وتتصرف فيه .. الإنسان الذي خطا في خمسة آلاف سنة — في عمر التاريخ الذي عرفه — خطوات واسعة ثابتة متلاحقة، فتغيرت حياته من العري والسذاجة في المسكن والملبس والتربية والحرفة والسياسة، تغيراً عجيباً يكاد يجعل منه آخرين الأولون، لو بعثوا ورأوا ما وصلنا إليه، بينما الحيوانات والحشرات واقفة كما هي منذ عهد أجدادنا الأولين!

وهذا الدليل القاطع على وجود روح سام من الله في الإنسان يدفعه إلى الأمام دائماً في هذا العالم، حتى يكشف عن كل سر في الطبيعة ويتصرف فيه، ويدفعه إلى إدراك الكمال التام الذي ينتظره في عالم آخر

فإن لم نعترف بقيمة عليا للإنسان خارجة عن نطاق حياته الحيوانية، فسوف تفقد أمم التفكير للمثل، والقوى الفضل، ونصل حتماً إلى [illegible] في حضارتنا العلوم والآداب [illegible] تأثيراً رديئاً.

وإذا صح الحكم بنظرية النشوء والترقي من أكثر الذين

موضوعاً دراسة سطحية هي التي أورثت نظرة الكثيرين إلى قيمة الإنسان بعد الأكوان الكبيرة التي شمت على عقليته وإسقاطه عن العرش الذي أجلسه عليه الدين منذ أقدم العصور ، وزاد على ذلك النظرية المبنية على سوء فهم لنظرية دارون من الإنسان فجعلته ، وسلبت منه مقاييس الأخلاق وموازينها ، وكان في هذا أكبر دافع إلى التحكم إلى شريعة الأدغال التي لا تعرف إلا اللذة والهوى والشهوات ، والسيطرة الوحشية التي لا تعرف عظمة الفكر والعلم ، وقدسية الحياة في مثل الحق

ولكن من حسن ثبوت نظرية التطور وهي للآن لا تزال رمزاً نظرياً تحتاج إلى حلقات مفقودة ليصير حقيقة علمية لا يجوز لنا أن نخلط بين الحياة الآلية التي هي مظهر مشترك في أجسام جميع الأنواع ، وبين الروح الإنساني المتطلع في دنيا الإنسان الدائم التسريع ، ووجوده المتجه إلى العالم الأكمل ، ونفاد فكره في حل المسائل المجردة ، التي تدعو عجيبة رائعة في الإحساسات العليا والعواطف الروحية النبيلة والتأثرات العليا التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً « بيولوجياً » أو « فسيولوجياً »

ولقد أحس الإنسان حتى في عصور جهالته بتفرده وامتيازه على سائر ما يحيط به في الطبيعة إذ وجد نفسه أقوى قدرة ، وأوسع حيلة في التغلب على المعقدات ، وفي الرقي بالحياة رقياً مطرداً ، ولذلك لم يستطع أن ينظر إلى المصير كأنه نهاية أبدية لتلك الحياة ؛ بل وجد في إلهامه أن لا بد وراء موته من استمرار لحياته على أسلوب آخر أو على أسلوب عجيب

فما بال الإنسان يتخبط الآن في ظلمة قاسية بعد أن صحح أخطاء ووجد موته وآبائه ، وعمر الأرض عمراناً ، واستخرج منها كنوزاً وسخر عقلاً لا نهاية من جهل وأسرار ؟ !

إنه منذ أن عرف وجوده وهو يحس بخلوده ويظل مقصوراً على الإحساس العجيب بالحياة ، ولم يكن يستطيع أن يتصور الخلود في أول الأمر بأكثر من أن ينقل شعلة حياته إلى ولده ، وقد وجد في ولده أكبر عزاء له عن موته وفنائه ، ولكنه لم يقتنع بهذا بل ظل يبحث جاهداً عن وسائل خلود جسده بعد فنائه ، فحنطه ونقش صوره على الألواح والتماثيل ، ثم خطا خطوة أخرى خلد فكره بالكتابة ، ثم خطا خطوات متلاحقة في العصر الحديث فسجل صورته الناطقة « بالفونوغراف » وصوره « بالفوتوغراف » وأتقن نقشه « تحوله » بالوسائل وحركاته

حصيلة الدنيا ، ثم تصرف في الصوت والصورة والحركة وحملها على أمواج الأثير فاخترق الحدود والكثافات والمسافات ، في أقل من لمحة ، ثم هو الآن يحاول أن يبعث بها إلى حيث يستطيع أن يتصرف فيها والله أعلم بمستقبل هذا النوع العجيب الذي أرساه خليفة في أرضه

فإنك ترى أنه منذ وجد وهو يجاهد ليحفظ إنساناً مفكراً ومؤثراً ، لا يقبل الفناء الأبدي الذي يرجعه إلى العدم المطلق

وأحسب أن التفكير في أمر هام جداً وذي قيمة كبرى في النظر إلى قيمة الإنسان ، وهو أن حياة هذا النوع منذ نشأته حتى العصر التاريخي ، وعبوره خطواته بين حياة مطردة الرقي سائرة إلى النضوج والاكتمال ، وبين الفناء من حين لآخر ، وقد عاش أعماراً طويلة وهو يحمل آلامه وأمراضه ، في أوطانه الضيقة يجهلها ، ثم وجد في كل الدنيا ، لا يعلم حدود الأرض والسماء ، متطوراً لا رابطة تجمعه ، مجهولاً ما في الكون من حوادث وأسرار ، وقد كانت أدواته أدوات بدائية كل مرة يجد ثم يجدد حياته بحسب ظروفها في وحدتها

ولقد كان الانقلاب الإسلامي آية النضوج في النفس البشرية إذ جعله عقيدة دولية وضع منها الأسس لوحدة البشر ، وتلاقيهم على مسائل مشتركة حتى يتأتى من وراء ذلك الوصول إلى وحدة العقل والخدمة المشتركة ، ولذلك لم تقض الأرض أن يأتيها هدى من السماء على يد رسول بعد رسول الإسلام ، وقد عبر الله عن ذلك فأطلق على النبي وصف محمداً « خاتم النبيين » ، وقد مضى الزمان وذلك فلا مجال للتحدي ، ولم تعد الإنسانية بحاجة إلى ظهور البطل في صورة نبي ، وقد فطن إلى ذلك « كارليل » في كتاب الأبطال ، وهذا هو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : « إن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » أي أن الإنسانية قد بدأت بعد الانقلاب الإسلامي دورة زمنية جديدة ، وهذا يعد كل من يعرف ويستقرئ التاريخ أن عصراً جديداً قد ابتدأ بظهور الإسلام وصلاح الإمبراطورية العربية التي استوعبت جميع علوم العالم القديم ومعارفه وأعلتها ونقلتها إلى العالم الحديث . فالانقلاب الإسلامي يعني أن حياة الإنسانية بدأت تدرج رشد العقل ووحدة العالم ، وسيتحقق ذلك في يوم لا ريب فيه

والآن صارت الأرض كقطر واحد بأدوات الاتصال السريع وكل أمة بحسب حاجاتها ومواردها، وارتبطت شعوب كثيرة من الأمم برباط واحد، واختلط الأبيض بالزنجي والشرقي بالغربي وسكان الجزر النائية الغائبة في المحيطات بسكان القارات، وصار الإنسان العاقل يطلع في كل صباح ومساء على أخبار العالم الأرضي كله، ويرى حياة جميع الأمم في الشعب ... وهذه كلها مقدمات لنتائج لا شك بها عند من يقيس ويعتبر بالماضي

وإذا ثبت أن الانقلاب الإسلامي كان بدء عهد عقلي وقلبي للإنسانية، فقد ثبت أن القرن السابع عشر الميلادي كان بدء عهد عقلي وعلمي له. وبذلك طار الإنسان بجناحين قويين من الطفولة الفكرية والحياة الصبية إلى الكهولة من حياته

فليس من الصواب ولا من الإنصاف أن ننظر نظرة تشاؤم إلى حاضره ومستقبله بعد أن رأيناه يبني حياته على العلم والتفكير والنظام بدلاً مما كان يبنيه في الماضي من أعمال السحر والأوهام وخوارق العادات

ومن النظر الخاطئ أن نزعم أن الإنسانية الآن أحط منها في الماضي ... وليت أدري ما يبعث هذا الزعم؟ أهو ملاحظة صدق في الصميم تنبيه؟! إن الصميم الصحيح الآن أصح منه في الماضي! فهي في أكثر الأمم المتمدنة بعيدة عن الشرك والوثنيات والخضوع الأعمى للكهنة ... وما أبعد ... عقل الطبيعة من دورها وبكنه ... الكهنة، وهو قريب يذهب بما في بعض الأديان من بقايا الوثنية والإشراك ولن يبقى للإنسانية إلا دين الفطرة والعقل بغير عنوان من يهودية أو مسيحية أو بوذية أو غيرها. وهذا هو المعنى الحرفي اللغوي لكلمة «الإسلام» و«الإسلام» وجه لله «دين بغير عنوان». فكل امرئ يؤمن بخالق واحد للطبيعة ويحسن العمل في الدنيا فهو «مسلم» بالمعنى اللغوي لكلمة «إسلام» هو الانقياد لحكم الله في الطبيعة

واقرأ إن شئت: «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم. قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ... والآيات كثيرة في هذا، ولا محل الآن للتوسع في هذا الموضوع.

وقد صارت الأديان التي تحتضن بقايا الوثنيات تتقي وتفر من نور العلم والفكر الحر ويزعم سدنتها أن الدين لا مناقشة، ولا محل لإعمال العقل فيه. ويحاولون الاحتفاظ بأتباعهم بكل باطل حتى قيل ... مشهوراً إلى ... القرآن والإنجيل

وأنا كذلك ... كثرة حوادث انسلاخ الشبان من العقيدة الدينية ليست ناشئة من أن عقولهم لم تقتنع بالأفكار الأولية الرئيسية فيه، وإنما منشؤها أن هذه الأفكار الرئيسية تلبست عندهم في غلاف من الخرافات والتعصبات والأوهام، ولأنهم وجدوا أن تنزع رجال الدين مع الأسف الشديد ... ومواقف ... العلماء الطبيعيين الأولين الذين كان لهم فضل الاكتشاف، إلى مفاتيح العلوم التي نالت الإنسانية منها كثيراً من الخير والبركات وصار رجال الدين الحاليون أنفسهم ينتفعون بها ويأخذون بنتائجها كما يأخذ سائر الناس بعد أن كان أسلافهم يصبون عليها تأنيب السخط واللعنات ويحرقون ويتنكلون بمن يجرؤ على البحث عنها في الماضي بعد الفظائع

ونرى مثلاً كذلك أن رجال الدين منعزلون عن حياتنا ... الشعبية لهم لباس خاص ويكادون يكونون طبقة خاصة بهم ... وحياة ... حياة عظيمة السلطان على النفوس تتولى جميع أبنائها بالاندماج في موجاتها، وتمنع من ... فيه من نقص وشذوذ. وكل شخص الدين مقصور آثاره في الحياة ونشرها إليه ومساوئها ... ونرى من الخطر أن يظل لرجال الدين ... الكهنوتية وطقوسهم التي ما أنزل الله بها من سلطان لأنها توهم الناس أن الدين في تلك الثياب والرسوم الشكلية، ونرى من الخطر أيضاً أن يفرق شباب الأمة فئتين: فئة تعلم الدنيا عند التعليم الابتدائي وفئة تعلم الدين عند التعليم الابتدائي، وليس بين الفئتين صلة ... يعيشون فيها جنباً إلى جنب حتى ينتهوا في جو واحد ويعيشوا بقياس واحد. وإن كل هذا التفريق ... في أي أمة ... الأمة الإسلامية أشنع القبح لأن الإسلام هو العقيدة للجسد والروح ... متناسقة، وهو دين يجعل ... بالذات ... عبادة إذا ذكر اسم الله فيها — ويجعل ... العلوم الدنيوية النافعة فرضاً يحاسب الله على إهماله، ويطلب من الإنسان أن يعيش عيشة ... يكمل قوة في تكوينه. فهذا التفريق في التعليم وفي ... مؤدياً حتماً إلى النفوس ... من التعصب والانعزال، ومؤدٍ في ... الناس أن حياة الدين منفصلة عن حياة الشعب؟!

إن اليوم الذي ... التعليم في المرحلتين الابتدائية

والثانوية في جميع المدارس المدنية والمعاهد الدينية بحيث تحتوي البرامج على التربية الروحية التهذيبية والعلوم المفيدة للمجتمع وتوحد فيه الزي بين أبناء الأمة جميعاً مرة أخرى كأن عامة المجتمع أم في اللباس الصحيح، هو اليوم الذي تسير فيه الحياة الفكرية والروحية سيراً متآلفاً فيه جميع عناصر المهنة اللازمة لكل شيء بدون تكلف أو احتراف. وهذا هو ما كان عند الرعيل الأول من المسلمين في زمن الرسول وخلفائه. فقد كان الرسول جندياً مع جنوده، وعاملاً يعمل مع عماله، ومجاهداً وما كان وراء ذلك حتى يجمع قوى جسمه ونفسه، ولبس جميع ألوان ... ولم يكن يتميز عن أصحابه في شيء من المظاهر الظاهرية التي يمتاز بها من مثله. وكذلك كانوا كلهم في مظهرهم رجال دين ودنيا يتفاضلون ويمتازون بالعقل وكثرة العلم لا بالثوب والمظاهر.

فمن كان مقتدراً من الأدب أتى فيه وعمل منه وعرفه الناس به فقصدوه من أجله، ومن كان مقتدراً من الدين أتى فيه وعمل منه وعرفه الناس به فقصدوه. وليس وراء ذلك فارق ما. فلا جرم بعد ذلك ألا تكون هناك شقة خلاف وهوة شقاق بين الدين والأدب عند المسلمين الأولين على ما هي عند المسلمين المتأخرين الذين ورثوا ما حدث بينهما من خلاف عن أمم الغرب، ودعم المطلوب أن نصل حبلنا كما هو عندهم.

وقد كان من الواجب — لو شاءت الأمم الإسلامية — أن تظل الدراسات الكونية ضمن نطاق العلوم التي تدرس في المعاهد الدينية، كما كان الشأن عند المسلمين في الدولة العباسية والدول التي تلتها إلى أن جاء عصر العصر الحديث في عهد محمد علي. إذاً لظل العلم بما في الدين وما في الأدب وحدة غير مجزأة يخرج الإنسان المتصل بها كامل الثقافة والعقل خالياً من عقد الاختلاف وقادراً على التوفيق بينهما، وبناء الحياة الاجتماعية عليها. فما كان عند المسلمين حسب يدعو إلى التدريس في المعاهد وإخراج علماء فيها من نطاق الدراسات الدينية. وقد ظل الأزهر والقرويين والزيتونة، وجامع القيروان، ومساجد بغداد، ومعاهد الشام يدرس فيها الفلك والحساب، والرياضيات والطب، والطبيعيات والموسيقى إلى آخر العصر الحديث.

وقد كان العلم لا يخرج إلا من هذه المعاهد وأمثالها. وذلك أن محمد علي، حين أنشأ بعثات العلم الحديث في البلاد العربية، أغلب أفراد بعثاته إلى أوربا من طلبة الأزهر، إذ كانوا هم الطبقة المثقفة من الشباب. وقد كان بعض العلوم الدينية يدرس في عهد محمد علي في المدارس التي أنشأها للطب والحربية وغيرها.

ويمكن بجهود بعض الشيوخ في عصر إسماعيل وما بعده إدخال العلوم الحديثة بنظمها الأوربية في الأزهر، حتى جنى على الإسلام كما جنى عليه المتعاصبون من إنشاء قانون مستمد من جميع مذاهب الشريعة الإسلامية يساير روح العصر ويكون منطبقاً على ما جد في الحياة من مشاكل ومطالب حتى اضطروا المطالبين إلى فتح مدارس خاصة وإنشاء محاكم بغير الشريعة الإسلامية.

إن الأوربيين اضطروا إلى انتزاع دراسة العلوم الكونية من أحضان الأديرة والكنائس، لأنها لا تسمح بالاعتراف بالحقائق التي تدحض وتهدم مذاهبها، بل كانت تقاومها وتحاربها؛ حتى جاءت الثورات الإصلاحية التي أقصت الكنيسة عن ميدانها، وجعلت الناس يحصرون الكنيسة بعمل خاص، ومعاهد العلوم بعمل آخر. ونحن المسلمين ولله الحمد لم تحدث عندنا معارك وخصومات بين الفريقين تجعل الانفصال بينهما ضرورياً، وليس في ديننا ما نخاف عليه من حقيقة كونية؛ بل بالعكس ربما يحتم الفصل التعليمي. فلا يصح أن نفرد هذه معاهد علمية وتلك معاهد أخرى، بل الواجب أن يسير جميع التعليم في مجرى واحد إلا في مرحلة التخصص.

وفي هذا تدرك سرعة جامعة تقوم مواهبها على الدين والأخلاق، وفيه توحيد وتوجيه لشعب الشباب وطموحهم إلى مثل أعلى واحد. وفيه تركيز لتلك الحقيقة التي ساقها العلم، وهي أن الدين عندنا عقل وعلم، والعلم عندنا دين وعقل.

(القاهرة) عبد المنعم معروف

# زفرة مصـــــدور !

للأستاذ علي الطنطاوي

---

إلى أخي شكري فيصل

قرأت كلمتك التي أوحى إليك الحنين معانيها، ووهبت وجهه وبلفظه «الرسالة» وأهديته إلى صاحبها، فأثارت قراءتها أثراً في نفسي دفيناً، وبعثت فيها خلجة ميتة، فأحببت أن أكتب لتكون جواباً لكلمتك، وليصل إلى قلبك الصدر الذي بعثت إليه منها، وليشعر الزمان بأني شاكٍ،

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة
يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وما يجب أن أوصل بينك وبين الأستاذ الكبير الزيات، فإنه أخي الأكبر، وأنت أخي الأصغر، وأنا أحمل له من الحب والإكبار، على أني لم ألقه أبداً، مثلما أحمل لك من مودة. والحب في طول معرفتي بك طفلاً وشاباً، وعلى أني سأعرفك أديباً كبيراً إن شاء الله.

* * *

أنا الآن في غرفتي التي تعرفها ... أطل على دمشق من فوق خمس جبهة طوتها ماثلة مقره، فأراها كأنها كصفحة الكتاب، وقد انتصف الليل، وانصرف الساهرون آنفاً بعد ما أمضوا بقية من الليالي التي صرفت منها الأنس في داره، وسكن الكون وشمله الظلال، وأنا حتى وحيد أفكر، لا أفكر في دمشق التي حنت إليها، وشاقتك ذكراها، دمشق التي يا كرمها الربيع فضحكت في غوطتها الزهر، وغرد بجوها الطير، وماست في جنبات الحور الفاتنات، من الحور والصفصاف وهي بذات نخب سواء، لا أفكر فيها لأن قلبي لا يتسع الآن لإدراك الجمال، وقريحتي لا تنشط لوصف الربيع، ومكان الشعر من نفسي مقفر خالٍ. وما في لا تنشط قريحتي، ويذوي غصن الشعر في نفسي، وقد عدت إلى دمشق، على طول شوقي إليها وأنهم حنيني، وتركت أهلاً في العراق كراماً، وبلداً طيباً، وأمة حية، تحمل الوعي، وتحب العز، وتقدم لتجمع الشمل الشتيت لحل العرب المتفرق، ووحد الشمل وترجع المجد والجلال، وتؤلف بين أمم العصور من حاضر وماضٍ، تركت ذلك كله وعدت إلى بلدي الأولى ورأيت

بلداً كانت في عيني الأولى ... فرأيت فيها نسيت إلا التنكر والأذى ولم أجد إلا ما يسوء ويؤلم.

ولكن هل يشكو امرؤ بعد أخص همه بعد دائه؟

إن تكلمت قال الحساد هي وطأة، وإن سكتت قال الشامتون رضي أو عجز، والقلب بالسكوت ينفطر، والصدر من الصمت يتمزق، والكلام ... هل مجور في الكلام؟

يا أيها الطيف بعيداً أتمتع من بلدي بهذه الصورة الحلوة التي تتراءى من خلال أحلام الشوق الرفاف، ويوجر بها الحنين الظامئ بالليل، وهل تسمع عنها ليلى؟

فانعم أنت بهذه الصورة ودع دمشق، ولكن لا، إنك لست مثلي، إنك معدود تنال مكانك في غرفة المؤسسين معداً لك ينتظرك، وسيظلونك ليسوءون يعلك وبين هؤلاء السالكين الذين يحترمون أعضاء العربية في دار العلم فتحول بذلك ستغريه الساحرين. أما أنا فراجع عرسه هؤلاء، ولا أنا يالهم في يوم من الأيام، وقد مضى أول الأمس وانتهى عن أدبي وعلمي وما نشرت في الكتب والمجلات والصحف وعرشي، علماً ثلاثة آلاف صفحة على أقل تقدير، هب أن فيها كلاماً مرصوفاً لا معنى وراءه عند أني حملت في كتابتي ورصفها عناء، فكيف وكان ثمرة التأمل الطويل، ونتيجة كد الخاطر وعصر الدماغ، وما منه شيء سرقته من أديب من أدباء عرفنا ولا انتكانوا! ... حتى أولو الأمر عن عمد منه ولم يعلموا بهذه الآثار السحرية التي جاء بها أولئك من دار العلم تشهد لهم عند من يشكي حتى أنهم صاروا يعرفون العربية، وعدوا أهلاً للتصدر لتدريسها ولم يعدوني أهلاً لأكثر من «أستاذ معاون»!

أيكون ذنباً مني وعيوباً، إذ أعلنت ما أعاني، وشكوته إلى القراء، وهم أصدقائي؟ لم يبق لي من صديق غيرهم؟ لم يبق لي صديق في هذه الحياة، إنك تعرف ذلك، ولكن لا أشكو!

إنهم يقولون إني عنيد وإني متاعب، وإني أثير المشاكل! ولست أفهم لهذا كله إلا معنى واحداً، هو أني أقول الصدق وأعلنه ولا أصل ولا حول إلا من أحنى إليه عنقي.

وهل كان ذنباً أني حببت العصبية تخبو، والأخلاق تهان، فخاصمت عنها وقاتلت، وتركت التلاميذ فنصروا عنها وقاتلوا؟ ...

وهل كان ذنباً أني قصدت العمد أن يشكر سيرته وعمله ورسالته، فجاءني غروره، في حفلة أقيمت لتكريم محمد وتمجيد

ذكرته ؟ وهل كفل ربك أني لا أتوب لمولاه الأول أنت أبيض مشرق ، ولا أقول للأعور ما أحلى عينيك ! ..

هذه هي دمشق التي حسرت عن أهلها صفحات الأعداء ، وكسرت صولة الرؤساء ، ورمت حصون الغاصبين ، وقصمت بها من كبر الشامخين ...

* * *

لقد غاب العصر ، وانطفأت أنوار القبة ... لقد مرّ عليّ ساعتان وأنا أفكر ، وكل شيء من حولي ساكن ميت ، وكذلك حياتي ... إنها خالية مسكونة ، بين مباني ، متحرك فأنا أعيش عيش الخاملين ، أرقب أبداً الحدث الذي يهز حياتي من كنه ، ويحرك مواهبي الخامدة ، ويدفعني إلى العمل ، ولكن انتظاري قد طال حتى كدت أيأس من الانتظار ..

إنك تعرفين يا دمشق ما حصلت من شهرة وما نلت من مكانة ، ولعل في ذلك تسلية لي لو كنت أحس به أو ألمسه ، ولكني لا أحس والله بهذه الشهرة ، إني كالنبي الأصم الأعمى ، يطرب الناس ويصفقون له ويهتفون ، ولكنه لا يسمع ولا يرى ، فينصرف حزيناً يحسب أنه خاب وأساء ...

إن أهلي بدمشق ينكرون عليّ كل شيء حتى الأدب

لقد قرأت أمس مقالة سخيفة إلى حدّ ما ، رأيت فيها مقالة يعدد فيها صاحبها مجد دمشق ، ويعد أدباء دمشق أو الذين يزعم هو أنهم أدباء ، ويذكر فيهم كل موظف في وزارة المعارف ، وكل تلميذ يدرس في أوربة ، وكل مدرس التاريخ والجغرافية ، ولكنه لا يذكر علي الطنطاوي ولا سعيد الأفغاني . أفسمعت أعجب من هذا الجهل وهذا التنكر ؟

هذه حالي في دمشق التي أحنّ إليها ، وأمضي الليالي أفكر فيها ، وتتراءى لي صورتها خيال الأفق وأنا قائم عند قنطرة الزمالك أو حيث مروة الهرم ، وأصابع النجم تذكر بعد الأيام الموصول إليها ، ودمشق صارت كالمرة تأكل من حشاشتي

لقد جاء إليّ البريد رسائل جاءتني من أصدقاء ومن لا أعرفهم يسألني أصحابها لم لا أكتب في الرسالة في هذه الأيام ؟ ووجدت في هذه الرسائل ثناء ، وشكراً لا أستحقه ، ووجدت حين قرأتها أن لي أهلاً من غير أهلي ، وقراء لما أكتب ، ولكني لم أجب واحداً منهم ، وهأنا أجيبهم ! وكيف أقول لهم إن دمشق قد قتلت في نفسي روح الأدب ؟

كيف أشكو دمشق إلى أحبابها ؟ وكيف أعيبها لحبيب ؟

* * *

ثلاثون سنة ما خرجت منها إلا قليلاً ، وأنا أدور في دائرتها ، في الناس من يحسر عنه ويعرض عنه كنه ، ومنهم من يخرج مثقلاً بأموال عدوه على ظهره ، ومنهم من يلزم على الطريق يسمع الأحاديث ، ومن يجد إليه مقعداً ليسمعه ، ومن ينام على السرير ، ومن يسهر في الشارع يحرس النائم ، ومن يأخذ اللقمة من غير عمل ، ومن يكد ويتعب فلا يبلغ الزاد ، وعالم مضيع خامل ، وجاهل يناطح السماء ، ورأيت المال والعلم والتقى والشهادات قسمة وهبات ، فربّ غنيّ لا علم عنده ، وعالم لا مال في يده ، وصاحب شهادات ليس بصاحب علم ، وذي علم ليس بذي شهادات ، وربّ أخلاق لا تملك معها شيئاً ، ومالك لكل شيء ولكن لا أخلاق له ، ورأيت في مدرسي المدارس من هو أعلم من رئيس الجامعة ، وبين موظفي الوزارة من هو أفضل من الوزير ، ولكنه الحظ الأعمى ، أو هي حكمة الله لا يعلم سرها إلا هو ، اجتلاء يحسب للنظر أرضي أم سخط

وسكر ما أصبح أيامي في مدرسة الحياة ، إن كان هذا كل ما علمت منها في ثلاثين سنة

* * *

لقد أذن الفجر وأنا ساهر ، وأسكتت منارات دمشق التي لا يحصيها عدّ ، ورنّ صوت المؤذنين في أرجاء الوجود صافياً عذباً : الله أكبر ... الله أكبر .

الله أكبر من كل شيء ، اللهم إني أرجع إليك شكاتي

اللهم إني قد ضعفت يدي من الناس ، وإني أسألك أمناً وسكوناً ألا تطمئن عنك ، ورأيت مشي شرك ، حتى أحمد عواقبك في الدنيا ، وحسنى الأخرى .

علي الطنطاوي

# النقابات الإســـلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

— ٢ —

كانت الحركة الإسماعيلية قوة مذهبية عظيمة، اهتمت بإنشاء مدارس وجامعات أشهرها جامعة الأزهر في القاهرة، وقامت بمجهود ثقافي واسع تذكرنا بحركة الكتابة الأنسكلوبيدية في فرنسا في القرن الثامن عشر. وفي هذه الموسوعة الشيعية هي رسائل إخوان الصفا، نجد تقريباً كل الآراء المنتشرة في ذلك العصر ولدراسة ثابتة عن تنظيم تشكيل الجمعيات، ونحن نعلم بوجود جمعيات لإخوان الصفا في جميع أنحاء الإمبراطورية تعمل لبث آرائها بين كل طبقات الشعب وخاصة بين الصناع وأصحاب الحرف[١]

ويرى الأستاذ ماسينيون أن الحركة الإسماعيلية هي التي أوجدت الطوائف الإسلامية وأعطتها صفتها الخاصة التي حفظت عليها حتى الآن، إذ يقول: إن الطوائف الإسلامية كانت قبل كل شيء سلاحاً استعمله الدعاة الإسماعيليون في كفاحهم ضد المذهب السائد في العالم الإسلامي لتكوين قوة منهم تستطيع قلب الخلافة وكل ما تمثله؛ ولتتوسل إلى استغلال أصحاب الحرف أوجدوا الطوائف وسيطروا عليها. وهكذا أصبحت لها صفتان (أولاً) كونها أصنافاً للحرف و(ثانياً) كونها مؤسسات أخوية إسماعيلية[٢]

وعندما نفحص الدلائل التي تؤيد هذه النظرية، يجب قبل كل شيء ملاحظة اهتمام الإسماعيلية العظيم بطبقات أصحاب الحرف فقد خصص فصل كامل في رسائل إخوان الصفا للنظر في الحرف المهنية وتبويبها وتصنيفها ونسبها. ونجد صورة جلية للفقراء التي تم منها الذين لا يمتهنون الحرف كما يجب للقيام بالأعمال الحرفية كبيرة واضحة، ونعم زعماء الأنبياء، وقسم يقوم بالحرف وفئة شاذة كالشحاذين وغير المنحرفين من الصناع أو التجار في البيئة ويصنف في المنزل كالنساء وما يشبههن من الرجال. فالإسلام المقصود بأصحاب الحرف بينه، والأمثلة الأخرى على اهتمام الإسماعيلية بالحرف كثيرة. وهناك دليل ثان وهو الفرق بين وضعية الطوائف في عهد الفاطميين ووضعها في عهود الدول السنية إذ كانت الطوائف تحت الحكم السني مضطهدة وخاضعة لقيود شديدة ومحرومة من حقوق قانونية. وكان هناك موظف حكومي يدعى المحتسب مهمته الأساسية مراقبة الطوائف ومنع أية محاولة للعمل المستقل فيها منعاً باتاً. ولهذا أوجب عليهم منع هذه الطوائف بظهور فئة ثقة للدول السنية. ويظهر ذلك خاصة في كتب الحسبة أي الكتب التي كتبت لفائدة المحتسب من حيل أهل الصنائع ومن أحسن الطرق للسيطرة عليهم، وقد وصلتنا هذه الكتب من محلات متباينة كالقاهرة وحلب ومالقة.

نلاحظ الفرق في وضعية الأصناف تحت حكم الفاطميين، إذ كانت تتمتع بنفوذ عظيم. فقد كانت معترفاً بها من قبل الدولة. ويظهر أنها كانت تتمتع بامتيازات كثيرة، وأنها لعبت دوراً هاماً في النشاط التجاري الذي حصل في العهد الفاطمي، وفي هذا العصر تشكلت هيئة الأساتذة والطلاب التي تؤلف الجامعة الفاطمية أي الأزهر الذي سبق ذكره. ثم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ١١٧١ م، وأصبحت مصر إلى الحكم السني وفي الحال جردت الطوائف من أكثر حقوقها وامتيازاتها وأخضعت لنظارة دقيقة.

وهناك دليل ثالث يؤيد هذه النظرية، وهو الأثر القوي الذي تركه النفوذ الإسماعيلي في الطوائف بعد اختفاء الدعوة الإسماعيلية بزمن طويل. إذ يقول الأستاذ كوبريلي[١] إن الطوائف في آسيا الصغرى في القرن الثالث عشر كانت لا تزال تحتفظ بنظام متدرج في التنظيم يشبه بدقة النظام الإسماعيلي، كما أن

(١) رسائل إخوان الصفا – القاهرة ج ٤ ص ٢١٤

(٢) لم ينشر الأستاذ ماسينيون بعد الأسس التي تقوم عليها نظريته في صورة نهائية، ويجوز أن المصادر لا تزال في كتابه La Passion d'al-Hallaj, Paris 1922, Vol. I p. 80, 309, 410 والأنسكلوبيديا الإسلامية مادة [illegible]

(١) انظر Köprülü, Les origines de l'Empire Ottoman, Paris, 1935 p. 156.

حراسة أصناف مختلفة وأعماء مختلفة من العالم الإسلامي أظهرت آثاراً مماثلة . ونظير وصفة لأحد الأصناف المصرية كانت في القرن السادس عشر — كطلب النجار والخشب في ورش الصنائع والحرف — كرها شديداً لحكم السلطان الذي يشير حسب تماسة رجال الأصناف ، وصحة في الرسالة عكرة انتظار المهدي لينقذ المؤمنين

وهكذا نجد الآثار الإسماعيلية التي هي ضد التعاليم السنية تستمر بين الأصناف ، ونلاحظ العبارة الحالية في هذه الرسالة « إن الحق يطلبونه وبعد أن تذهب دولة الشيطان يطلبونه ويقوم سيدي محمد المهدي لسكل حرفة له صدر في الصحابة ويأمرهم بإتباع الطريق ويهجرون المنهج ويسألون كل نقيب حرفة بسبب الأمر ، فتنتج حتى يخرج الذهب ويصبح الفقير ويحلل البلد والثلاث ويضرب أعناق الفجار الخاطئين والمشائخ الفاسقين »

وأهم من ذلك وجود أفراد من طوائف مختلفة بين أفراد الأصناف ، وفي خمسة تميز هذه الأصناف بحقاً عن النقابات الأوربية ، هو بقبول المسلم والمسيحي واليهودي تحت نفس الشروط فيها ، حتى إن بعضها يغلب فيها غير المسلمين كأصناف الأطباء والمشتغلين بالمعادن الثمينة … الخ . وهنا يظهر الرابطة الدقيقة بين الأصناف والدعوة الإسماعيلية

يتضح من كل هذا أن الحركة الإسماعيلية لعبت دوراً هاماً في نشوء الأصناف الإسلامية ، وأنها تركت أثراً عميقاً خالداً في حياتها الداخلية . ولكن لم يوجد برهان واضح يبين أن الحركة الإسماعيلية أوجدت الأصناف[1] ، ويمكن الأكثر احتمالاً هو أن الإسماعيلية أعطت مصدراً جديداً وحساً جديداً لتشكيلات كانت موجودة من قبل . فهل كانت هذه التشكيلات من أصل بيزنطي ، أو كانت تقليداً لأصناف بيزنطية معاصرة خارج حدود الإمبراطورية الإسلامية ؟ هذا ما يستحيل البت فيه . فأكثر تشكيلات الحرف في الفترة التي سبقت الحركة الإسماعيلية والعامل الإجرائي المنظم في الأفكار يؤيد نسيراً من هذا النص

وهكذا تكون الصناعات الإسلامية عبارة عن نظام يتركب من هيكل موروث من النظام البيزنطي الروماني ومستمد من الآراء سائدة على الأخص من الحضارة الفارسية الأولى وأكسبتها حركة إسلامية إصلاحية تهذيبية منعشة تكتلها … جهات أول من قرف

وفي أواسط القرن الثالث عشر حدث ناحية الفتح المغولي الذي حطم الخلافة وأصبح المسلمين من سنين وغيرهم على السواء إلى سيطرة شعب أجنبي كافر ، وأدى إلى طمس الحدود الاجتماعي بين الاثنين ، فالسنة وغير السنة ، وسهل ربما ما انعكاس الجانبين للمذهب السني . وافتقدت الحركة الإسماعيلية أحرج مراكز الأصناف في المجتمع الشرقي ، إذ تبنت بعض الصعوبات ، فأصحاب الحرف يقوا بين الطبقات الحاكمة في الدولة ، ووجدوا أنفسهم بعملون وبيئة هي ولكن لم تشكل خارجة عن التي لم تكن دائماً موافق لذلك ، وعند هذا التصوف ، فالى زمن قريب كانت تصدر بعض التهم من علماء السنة ضد الأصناف كالأحكام التي أصدرها الفقيه السوري المشهور ابن تيمية ، أو التي أصدرها الشيخ التازي السنوسي بعد ذلك ، في القرن السابع عشر . وعلى كل حال فإنه من كل هذا العداء كانت حالة الأصناف في الفترة التي تلت الفتح المغولي متوطدة ، واستمرت كذلك حتى حركة الإصلاح التركي في القرن التاسع عشر التي أنهت حملة أدت إلى تحطيم الأصناف بصورة تامة . ويرجع أكثر الوثائق وكل الأخبار التي لدينا من النظام الداخلي للأصناف إلى الفترة التي تلت العهد المغولي

وعلى النظر في النظام الداخلي يجدر بنا أن نفحص مشكلة عامة في تاريخ الأصناف الإسلامية . فطوال نفس الوقت الذي نجد فيه الأصناف تختلط بطرائق الدراويش والصوفية جميعاً على اتصال أشد بنظام جديد وهو الفتوة . أما أصل حركة الفتوة فغامض جداً ، وليس هذا محل البحث من ذلك . ويكفي القول بأن تشكيلات الفتوة انتشرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في جميع البلاد الإسلامية . وجمعية الفتوة هي مجموعة شبان ( فتيان ) يربطهم قانون أو دستور ديني وأخلاقي يحتوي على واجبات وشعائر منظمة ، وهم مستعدون من عارمة بعض النسك والقيام بخدمة عسكرية لخير الإسلام . ويظهر من هذه

(١) هذه النظرية ليست نظرية مجهولة من قبل ( كوسيس ) و ( كوروشكي ) . أما ( تغز ) فيؤيد أنه بحاجة إلى بحث .

أن الفتوة تشكل نظاماً إسلامياً يوازي الفروسية عند الأوربيين حتى أن فون همر Von Hammer ذهب إلى أن أصل الفروسية الأوربية إسلامي [1]

وفي الفترة التي تلت الفتح المغولي مباشرة نجد الفتوة تميل أكثر فأكثر إلى الاتصال بالطرائق الصوفية وبأصناف الحرف بواسطة رابطة العصبية (أي الانتماء إليها في نفس الوقت). بدأ هذا التطور في الأناضول، و نشر بسرعة في أنحاء العالم الإسلامي، ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت كلها تصوف وفتوة ذات مدلول واحد. أما كيف بدأ هذا الاندماج، وعلاقة هذه التشكيلات المختلفة، فأمر غامض لم يوضح بصورة كافية حتى الآن [2]

يلاحظ تشنر Taeschner ثلاثة أدوار في تاريخ الفتوة، وفي ثلاث حضارات لا تتصل اتصالاً مباشراً [illegible] فيقول إن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة في القرن الثالث عشر، وأخيراً انحطت في القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة العوام. وهكذا أصبح الفتيان في أصناف الحرف. ومن جهة أخرى يقول [illegible] أن الصوفيين وأصحاب الحرف قلدوا جمعيات الفتوة مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها. وأكثر هذه التحليلات إمتاعاً هو ما يسميه (كوبرولتسكي) الذي يتفق مع كوبريلي [3] على أن زمن اصطباغ جمعيات الفتوة بالأصناف هو في القرن الثالث عشر في الأناضول، وربط ذلك بنظام جديد هو نظام (أخيان روم) أو (أخوة الأناضول). فقد ظهرت أخوة في أصعب [illegible] في الحروب التي تلت الفتح المغولي مباشرة، إذ كانت الفترة فترة فوضى واضطراب عام؛ فالمغول الذين هدموا الدولة السلجوقية عجزوا عن التعويض عنها وبه اضطربت الإدارة. وفي هذا الجو المحرج ظهر الأخوة كمؤسسة قوية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم.

(يتبع) عبد العزيز الدوري

(١) Von Hammer: Sur la Chevalerie des Arabes. انظر J. A. 1849 P. 5

(٢) Taeschner: Die islamische Futuwwabünde Z. D. M. G. انظر 1933, P. 6

(٣) كوبريلي Les origines [illegible] 110—112

من شعر الربيع

# عيناك ...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

عيناك لي [illegible] في [illegible] النجوم [illegible]
ومعتكف من [illegible] رة والمتاهة والحنان
وسكينتان [illegible] تغشو كما غشوة [illegible]
[illegible] الغيب تنشق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عيناك [illegible]

لا تدريان!

(ديوان [illegible]) محمود حسن إسماعيل

## مجلدات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية:

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشاً و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات: الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في مجلدين.

ويضاف إلى ذلك أجرة البريد وقدرها خمسة قروش عن المجلد في مصر والسودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد.

## صاحب الديوان الظريف

أى أنه ظريف حقاً فذلك ما يتبين من هذا الحديث الذى أسوقه عنه ، [illegible] أصحاب الديوان جميعاً على شاكلة هذا الشاب الذى ساقتني الظروف السيئة إليه ...

ولن يضيع على إذا أردت أن آتي بنوادر ظرفه جميعه ولكنى حسبي أن أقص الحديث على آخر ما كان بيني وبينه

وجئت حجرة عمله فرآني مقبلاً عليه حتى هب فقال ضاحكاً مرحباً [illegible] ودفع إلىّ كرسياً [illegible] أنظار الكثيرين ممن حوله من أصحاب الديوان ، وأمثال هؤلاء [illegible] أنظارهم [illegible] الأمر جد مألوف

وجئت [illegible] وحرت أول الأمر كيف أبدأ الكلام وما جئت زائراً ، ولا أنا [illegible] هذا الفتى [illegible] ظرفه ، وما كانت معرفتي به إلا من كثرة ترددى عليه فى [illegible]

وبدأ هو الكلام فقال : « [illegible] والأسرة والأشياء [illegible] ؟ » ؛ واضطربت شاكراً [illegible] إلا إلحاحاً بي وتوسلاً أن أتنازل فآخذ شيئاً مما ذكر ، ولست أدرى [illegible] على [illegible] أمارة [illegible] والحق [illegible] وجهه [illegible] الموضوع الذى [illegible] آخر الأمر بلا شيء ؟

وابتسمت وصمت [illegible] وقلت فى نفسى [illegible] مع ما [illegible] من ظرف : « [illegible] البحث عن مسألتى » فقال « أوه يا فندم [illegible] حالاً إن شاء الله ، [illegible] كثرة العمل والمدير كل ساعة طالبنا ، وكل يوم [illegible] إجازة [illegible] على كل حال [illegible] يا فندم ... »

وجاء أحد السعاة [illegible] المدير فنظر إلىّ كأنما يقول هكذا لا [illegible] المدير [illegible] ، وأخذ [illegible] مجموعة من الأوراق كان ينظر إليها [illegible] وهو [illegible]

وحسبت أنه [illegible] كيف يكون [illegible] على مسألتى [illegible] ، وهو لا [illegible] من [illegible] عليه !! وتقارض الضحك والغضب ، فأما الضحك [illegible] « [illegible] » [illegible] ، وأما الغضب [illegible] أنهم أنه يسخر منى ، ومع ذلك [illegible] التى [illegible] منذ [illegible] أحد ثلاثة أيام ، [illegible] إليه منذ ذلك اليوم إلا بعد ثلاثة أسابيع ، ومع ذلك فهو يقول « قريباً » والمسألة فى غير مبالغة لا تستغرق منه أكثر من ربع الساعة !

وهذا [illegible] لا أزال فى [illegible] ، [illegible] فى وجهه التجهم والابتسام فى وقت واحد ، وهو من كثرة [illegible] يعرف كيف يبتسم بناحية من وجهه ، ويتجهم بالناحية الأخرى ... ثم تغلب ابتسامته تجهمه فى أسرع من ارتداد الطرف ، [illegible] إلى من [illegible] من أصحاب الديوان ابتسامة [illegible] أنهم يضحكون منه لأنه لا يستطيع [illegible] أو يضحكون من [illegible] على الرغم من [illegible] جئت [illegible] لا أتحول

وجاء شخص [illegible] يلبس جلباباً عليه [illegible] يسأله هو أيضاً عن مسألته فقال فى نفس ظرفه [illegible] . « حاضر يا عم إن شاء الله [illegible] بعد يومين [illegible] مبسوط » ولست [illegible] الرجل [illegible] « [illegible] إن الله مع الصابرين [illegible] إن شاء الله تكون مسرور » ولا أدرى [illegible] الرجل [illegible] انصرف [illegible] إلى صاحب الديوان [illegible] ، [illegible] ابتسامة عريضة [illegible] من رآه من أصحاب الديوان ، وكثيراً ما [illegible] هذه الأمور كما رأيت ذلك على وجوههم

[illegible] إلىّ [illegible] : « شرفت يا بيه » [illegible] فلم يبق إلا مطالبة بالانصراف ؛ وهممت أن أنصرف ، ولقد تأكد لى [illegible] أن [illegible] أن الأوراق [illegible] قسم يطلع عليه المدير أو الرئيس ، وهذا هو الذى [illegible] ، وقسم لا [illegible] الرئيس [illegible] ، وهذا لا يشارك أصحاب الديوان [illegible] ، وعلى مصالح الناس ألف سلام !

وسلمت [illegible] فى ظرفه [illegible] ، وهو يقول : « ما تآخذنيش يا بيه ، والله الواحد [illegible] ... حالاً إن شاء الله » وسرت ولكن [illegible] أنظر إليه [illegible] أخرى [illegible] أنه [illegible] يخرج [illegible] . « [illegible] »

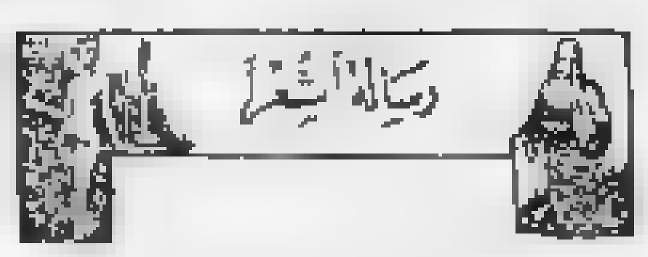


# صخرة الملكس

## للدكتور ابراهيم ناجي

سأل عن ... الثغر السلاما ... ألست ترى على الثغر ابتساما
أم شعر كان يدنى عبير ... سرى لك الرائع والنسيما
كأن ... الشاطئ ... حبيب ... كأن الموج أغنية ترامى !
سلاماً يا عروس الماء إنى ... أحبك لا أمل بك المقاما
أعود إلى [illegible] ... وأرجع عن ربوعك مستهاما
أراك تقتضى روحى وقلبى ... كأنى قد مثلت بك الغراما
وإنى ... الساطع ... عليك خيال أحبابى القدامى
وإن طالع الزمان بكأس حبى ... فلا ... لا الندامى !

• • •

فيا صخر قم بنا نذكر ... على الشاطئ ... الملكس ... !
تعال ولا تقل ... وكيف تروم بالصخر اعتصاما !
فكم فى الحزن من قلب أصم ... تنكر أو تغيض أو تعامى
وكم صخر أحس ... وما عرف ... ولا الكلاما
وكم فى الناس من رجل قوى ... شديد البأس يقتحم اقتحاما
مرمى الحوادث لا يبالى ... تقتحا ... أم سهاما !
فإن عرضت له الذكرى ... رأيت السكون فى عينيه ...
... الذكرى ... جيوش الصبر تنهزم انهزاما !

• • •

رأيتك أيها الأنوار ... صمتت ... أيها الظلاما
رأيتك أيها الأمواج ... على الشطآن ترتفع ارتطاما !
أتيتك أجتنى منك التأسى ... وأنشد فى رحابك السلاما !

أراك للتحدى شعث جريحاً ... وكنت ... الغلاما
و... ووجهى ... تهدى ... على ...
... كيف ... رجعت ... أغمضا
ويوم أتيت مكتئباً عليلاً ... أحس ... يهدو وانحساما
... بيتك ... وجع من ... الحطاما !
وهلاى ... وحبوب ... ... ... بين الظلم
أراك فلا أبالى بالسنين ... وأعد ... ساعاتك الجسام
وكم حاب ... كتاب ... ... في كرما
عمر فى الحياة ولست أدرى ... أيوم ... أم ... عاما !
عرفتك ... عند ظلام ... وبشر فى جوانبك ... 
عرفتك والصديق ... ورين الشمس يسطع ...
عرفتك ... نشرن على ... !
عرفتك ... مجمعة ... الحنان
عرفتك ... والفجر ... كأن البحر ... !
عرفتك ... بكل حال ... وكنت ... روحى ...
وضحكت فى ... وعند الصوت ... !
تبين صخرة ... وعرفت وانتظرتك ...
لقيت من ... كما ... من ... واصطدم
كأنك الورى ... ... ... جمعم
بل ما ... وإن ... !

• • •

فؤادى إن ... ... من ... الضماما
... كمنة الآمال ... ... فى ...
... من صخر صخرت ... صخر استلاما !

• • •

رأيت أبى أحلام ... ... قد ... ...
... أو ... ... أو ... !
وعهد كان ... ربيع ... كهذا اليوم ... واتسقاما !

ناجى

# العمر الضائع

[ [illegible] ]

## للأستاذ خليل شيبوب

ضيّعتُ عمري في هواك تصدّعا … وأضعتُ الأنغامَ والأوجاعا

وعدوتُ لا أملٌ أعيشُ به ولا … [illegible] أطامعُ وجهةَ استطلاعا

[illegible] لأعصمتَ كيف حللتني … وعقدتَ تشويقي يداً وذراعا

وبعثتِ داعي الكبرياء [illegible] … حتى تردّني إليك خداعا

وسبيلي [illegible] … [illegible] حكتِ الأسماعَ والأصداعا

سكنٌ [illegible] … حولي أقام معاقلاً وقلاعا

[illegible] الفؤادَ بنفسه … والأمر [illegible]

[illegible] شقوةً … ومن الفؤادِ [illegible] وأطاعا

[illegible] … [illegible]

قد أرهقتني [illegible] … من قبل [illegible]

أصبحتُ مثل [illegible] … [illegible]

[illegible] حوادثاً … [illegible]

غيري [illegible] تجاربُ الهوى … من [illegible] الكرام فلا [illegible]

[illegible] … [illegible]

جزعاً [illegible] السحرُ الذي … [illegible]

بيننا [illegible] إنه الليلُ الذي … [illegible]

[illegible] … [illegible] لا [illegible] الأوجاعا

[illegible] … [illegible]

[illegible] … وولّى عمري في الزمان متاعا

ولقد [illegible] … وأبيتُ إلا أن أراه [illegible]

فإذا الألى [illegible] من [illegible] … وإذا المنى [illegible]

وإذا [illegible] قد [illegible] … [illegible] الطعامَ [illegible]

من كل [illegible] … [illegible]

وعرفتُ قلباً قد طوى [illegible] … [illegible]

يا بؤسَ قلبٍ في هواه مضلَّلٍ … [illegible]

[illegible] في الحياة [illegible] … [illegible]

[illegible] … فيه ولا [illegible]

[illegible] … [illegible]

* * *

العمرُ [illegible] … [illegible]

[illegible] ذكرى هواكِ [illegible] … في كل [illegible]

وأظلُّ [illegible] للفؤادِ لأنني … ضيّعتُ عمري في هواك تصدّعا

خليل شيبوب

---

[illegible]

## التأمين

كان أحد موظفي شركات التأمين مسافراً في إحدى مناطق الولايات المتحدة الزراعية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

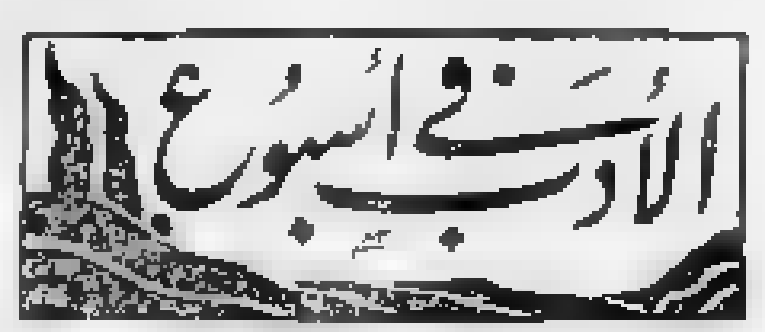


## الأزهر

الأزهر – كما يجب أن نعرفه – إن هو إلا تاريخ مصري عربي إسلامي كامل متتابع الحلقات على مدرجة التاريخ أكثر من سنة يجدد فيه ويتجدد به، ويمثل بعضه هذا في التاريخ كالعمود المتلاحق الذي يستعيض بجدته بعض القوة في روح الماضي الزمن وعصبه وأفكاره وأعماله الحية. وهذا التاريخ العجيب الذي لا يزال حيا في هذا الأزهر هو كالتاريخ الإسلامي والعربي كله مجهول معروف لم تكشف عنه الحياة العربية لطبيعة قصر السنين المتقادمة والأجيال المتطاولة التي مالت عليه بالنسيان والإهمال والهجر. ولو نظرنا إلى الأزهر في مقتضى هذه النظرة وبحسب هذا الرأي – عرفت أنه كهف التاريخ الإسلامي قد ساورته القوة والضعف، وجرت عليه سنن النمو وسنن الذبول، وتنقل فيه النوع الحر الفني والنوع الشاذ الفاتر. النوع العالي الذي ارتفع بروحانية الشعوب الإسلامية وأخرجها من سلطان التعصب والجهالات … ومدت سلطانها على جزء عظيم من العالم، والنوع الفاتر الذي هوى بروحانية هذه الشعوب إلى التفكك والفرقة والتدابر. والأزهر خلاصة سلطان الشعوب العربية الإسلامية، قد جمعت كل هذا السلطان من هذا الجزء العظيم من العالم.

والأزهر كان مجتمع القوى العظيمة التي حدثت في إنشاء الحضارة الإسلامية والعربية التي عاشت في التاريخ الماضي، ومن ثمة الأزهر الفاضلة من عرب هذه الشعوب الإسلامية المتباينة المتفرقة في مطارح الأرض ما بين الصين إلى المغرب الأقصى. واستمر على ذلك شأن من السنين تتلوها سنوات، وكذلك يجب هذه السنين على الشعب العربي المصري في هذا العصر – عصر النهضة الجديدة في الشرق – أن يكون هو جنة الأمم العربية والإسلامية. وذلك لأن روح الشعب المصري، وثقافته الموروثة في تفكيره وأحلامه وعاداته، وحضارته القديمة التي ترجع على شاطئ النيل – هو كما أنشأ الإسلام جملة مستمد من أرواح الشعوب الإسلامية كلها وثقافاتها وحضاراتها. وكان الأزهر هو العمود الذي استمدت منه مصر هذا الفيض العظيم الذي في أودية التاريخ المتقدم، لأنه هو كان الجامعة الوحيدة في هذه الفترة، وكان أكثر هموم أعظمها في سائر البلاد العربية الإسلامية [illegible] الخلافة التي حدثت في الأزهر، ثم انتشرت منه في أودية مصر قديما وحديثا. استعد الشعب المصري بطبيعته لأمر مقدور، هو أن يكون رب الشرق في عصر النهضة الجديدة، لأن كل شعب من الشعوب العربية والإسلامية يرى في هذا الشعب صورة من نفسه ممكنة بألوان أخرى من صور سائر الشعوب التي تمت إليه بسبب من الدين واللغة والعصبية والثقافة والفكر والطبع.

ونحن مع هذا نرى الناس إنما ينظرون إلى الأزهر نظرة عابرة سريعة لا تتريث ولا تنفذ إلى حقيقة هذا التاريخ القائم في أرض مصر … فهم يعدونه معهدا دينيا، ويكون تفسير كلمة الدين عنده على غير الأصل الذي يعرف به معنى الدين في حقيقة الفكرة الإسلامية التي حرم الله بها الكهنوت والأحبار على هذه الأرض. وهذا المعنى الجديد المعروف في رجال هذه الكلمة كله دين ليس إسلاميا، لأنه لا يلائم روح الإسلام في شيء.

كلا، بل هو معهد أعظم نهضة حية أتى بها هذا الإسلام يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويخص الذين آمنوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ويجمعهم الروحي. وهذه النهضة الحية في جعل كل عمل من أعمال الإنسان المسلم في حياته عبادة تقربه إلى الله، حتى البيع والشراء، أو تدبير أمور الناس في الملك، أو العز والعلم، أو رعية الرعاة، أو النعمة التي يتزود الرجل في نفسه ... ليست كل هذه الأشياء الاجتماعية في معزلها من المعنى الإسلامي، إلا كالصلاة والصيام والزكاة وسائر الأعمال التي يحصر بعض الناس الآن أمر المعنى الديني فيها. والأزهر الإسلامي هو الذي تتمثل فيه حقيقة الإسلام – أو يجب أن تتمثل فيه هذه الحقيقة – وفرضه للناس كان صورة صحيحة للحياة الاجتماعية الإسلامية بكل آدابها وأنواعها، مع ما كان قد ضرب به من الضروب التي أدركت الشعوب الإسلامية وجعلتها تنزل عن المرتبة الأولى التي كانت لها في تاريخ حضارات العالم

التي سجلت الحضارة الأوربية لهذا العصر، فلما جدت عليها الحضارة الحديثة من أوربا بوسائلها القديمة، ومذاهب القوة التي تغلب على كل سلطان في الشرق، ثم أصابت الدولة العربية في الأمم الإسلامية، وحلت الأجنبي العدو، عمل في تقريب الروابط بين طبقات الشعب. ورجع الأزهر إلى قبته يستقر فيه، ويقبع أهله عن صراع هذه الحضارة صراحاً رومة الظفر، وكذلك صار الناس ناحية، وصار الأزهر ناحية أخرى، وكان ذلك أول البلاء على الأزهر وعلى الشعب نفسه!

## إصلاح الأزهر

وقد أحس كثير من المصلحين من أهل الأزهر وغير أهله ممن يرجون أملاً كبيراً في الحياة المصرية والعربية والإسلامية، بما تقتضيه طبيعة الزمن الذي صار إليه في هذا العصر، ورغب توجيه حقيقة الدين الإسلامي، فهبوا إلى إصلاحه والنظر في شأنه مرة بعد مرة، وكان العمل هناك شاقاً كثير المتاعب غير قريب المدى، فاضطربت الأيدي وختلفت الأغراض، وصار هذا الإصلاح السريع تشويهاً وإضاعة، لا هداية سنة المصلح الإصلاحي في آثاره على مثل سرعته ومخافته. وكذلك يمر الأزهر الآن في مرحلة غير المرحلة التي يوحيها له تاريخه ألف سنة من التاريخ الفكري والنضال والعمل في الحضارة الإسلامية.

وقد كتب الأستاذ «الزيات» — في فاتحة العدد الماضي من الرسالة — كلمة الطلبة «في سبيل الأزهر الجديد» يطالب الأزهر بالرجوع إلى المنابع الأولى للدين واللغة والأدب والعلم وحب «الزهد» للأزهر، ورغبته في المبادرة إلى علاج الأدواء التي تلبست به من أمراض الأجيال السابقة، وهي التي حملته على أن يكتب كلمته لمقام مصر «عاصمة النهضة» التي تعمل للعلم الدينية والعربية في الإسلام، وعهد الحضارة الشرقية العربية، ووصي الدين والأدب من شوائب البدع والشبه ومزالق الضلالة.

ثم إني الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لم يقصر في اجتهاده أن يجعل الأزهر شأنه العلم الإسلامي الصحيح، ولم يتخلف عن النهضة له بما وصى به الزعيم الصادقة في تحريره من آصار قديمة جاءته من عرض تاريخه التي يحق له أن يلقيها. فقد وضع الأستاذ الأكبر من عشر سنين نظامه الجديد للكليات في الأزهر، وجعل أحد قسمي التخصص في هذه الكليات موقوفاً على مادة من مواد الشريعة أو اللغة أو الأدب أو التفسير والحديث أو الفقه والتوحيد، أو الأخلاق والتاريخ وعلم النفس وما إلى ذلك. وأخذ هذه الكتب القديمة في دراستها لا تخضع له ... بالكتب الأصول المقصودة فيها كالكتاب سيبويه، وخصائص ابن جني، وسر صناعة الإعراب لأبي جني، والمقتضب للمبرد، وكتاب فلان ونحوه، ورضي الدين الأسترابادي صاحب شرح الشافية، وشرح الكافية، ثم كتب علماء النحو والتصريف. وكذلك جمعت كتب عبد القاهر — دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة — وكتاب الصناعتين لأبي هلال، وأدب الكاتب والكامل والأمالي وغير هذه من أصول الأدب واللغة في مادة الدراسة في هذه الكليات.

وقد قام على التدريس في هذه الكليات جماعة من خيرة من أنجبهم الأزهر فاستقلوا بتدريس هذه الكتب الجليلة خير استقلال، فنرجو أن يلقى الأزهر الجديد بعلمه الجديد الذي استمده من الكتب الأصول، وأن يتمه بما يستقل من أهم جهته كل الأصول الأولى في تدريس المتون المختلفة التي يلوم بعض من ذلك وغيره وغلبته عليه. ونرجو أن تعلق روح الأزهر — التي تتصل بالشعب المصري وسائر الشعوب الإسلامية — معنى الإسلام الصحيح الذي يطالب المسلمين بالسيادة والقوة والمنعة، ولا يكون ذلك إلا يوم يتصل الأزهر اتصالاً تاماً بجميع ألوان الثقافات الحالية، ويوحد الشعب المصري والعربي والإسلامي ثقافة تصارع كل هذه الثقافات، مبرأة من عيوبها التي فرضتها على البيئة غير الإسلامية التي نشأت عنها ظلالها وفي رواسبها.

وإنا نكتفي بهذا القدر من القول، وسأعود قريباً لأبدي بعض الرأي في أنواع من الإصلاح توتى للأزهر وغير الأزهر، أرجو أن تنال بعض الرعاية ممن يتولون شأن هذا الإصلاح.

## المجمع المصري للثقافة العلمية

بدأت في الأسبوع الماضي جلسات المؤتمر السنوي للمجمع المصري للثقافة العلمية برياسة حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا، وهذا هو المؤتمر الحادي عشر لهذا المجمع العلمي الصامت الذي يجاهد في إنماء الثقافة العلمية العربية في الشرق بما يسعه جهده ووسائله. والمجمع العلمي هو أول ما يحتاج إليه الشعب العربي الذي يجد به الزمن على متابعة النهضات العلمية المختلفة التي تمخضت عنها الحضارة الأوربية الحديثة. وقيام هذا المجمع بنشر الثقافة العلمية — في حدود طاقته — قد أوجد للأمة العربية خبرة عظيمة

تقع في عشرة مجلدات، كلها مباحث علمية طيبة مكتوبة باللغة العربية مع دقة الاصطلاحات العربية العلمية التي تؤدي المعاني العلمية الحديثة التي لم تتوفر لها ... في هذه العلوم.

وهذا المجمع العلمي الشامل لا يلقى – مع الأسف – ما هو جدير به من اهتمام واحتفال في الأوساط الأدبية والعلمية التي يجب عليها بحكم الثقافة العامة التشجيع لنظام العربية، بتشجيع القائمين بأعماله الجليلة في صمت وسكون وجد. ومن أعجب العجب أن تعقد المحاضرات والمناظرات الكثيرة التي تعتمد أكثر ما تعتمد على الثرثرة وسفسطة الأحاديث والمعسول من الكلام، وتجتمع لهذه المحاضرات والمناظرات حفلات كثيرة من طلاب ... وفي مصر كثير من ... ثم يعقد هذا المجمع مؤتمره مرة في كل عام ... فلا ... من هذه الحفلات ولا من هؤلاء ... ما هو أهل له من الكتابة والإعلام أو العناية إن شئت.

وكان المظنون أن تعمل وزارة المعارف والجامعة وسائر المعاهد والوزارات التي يتناول المجمع بحث ما يخصها أو يقع في حدود أعمالها بالبحث والدرس والتمحيص والكتب ... كان يجدر أن تجد ... سبيل إبلاغ صوته إلى أكبر عدد ممكن من المثقفين، تشجيعاً له وللقائمين عليه، وخدمة للنهضة التي تأتي من إثارة اهتمام هذا الجمهور بنتائج الأبحاث العلمية وآرائها، وعروضها المختلفة التي يقوم المجمع وأعضاؤه على إعدادها وتبويبها، والعمل على نشرها، لتكون سبباً من أسباب اليقظة العلمية التي تتطلبها النهضة الحديثة في الشعوب العربية.

وقد جمعني مجلس فيه ثلة من كبار الأساتذة في بعض المعاهد العلمية العالية، ولم أجد عند أحد منهم خبراً يعنيه عن هذا المجمع، أو شيئاً عنه أو إنتاجه أو نتاجه في أي وقت إنشائه وتأسيسه! وهذا أمر يؤسف له، ويوجب على المجمع وعلى كل ذي رأي أن يعمل على تنبيه الوزارات والمعاهد إلى قيمة هذا العمل الذي يقوم عليه المجمع، وإلى توجيه أنظار الناس إليه بكل سبيل، حتى يستطيع أن يؤدي إلى الناس ما يرغب فيه من نشر الثقافة العلمية التي يحتاج إليها هذا الشعب في كل أغراضه وأحواله، وفي بث الروح العلمية التي تكفل له القيام بأعباء الثقل الذي يجب أن ينهض به في بناء الحضارة الحديثة التي يحيا الشرق في ... من الحضارات التي هي في سبيل ... والتدمير والبوار

هذا، وقد بدأ المجمع مؤتمره هذه السنة بالمحاضرة التي ألقاها الدكتور حافظ عفيفي باشا عن «الأصول العلمية الحديثة وتطبيقها على الزراعة»، وقد عرض فيها لأهم ما يشغل الأسواق المصرية في هذا الوقت، وهو نظام المعاملات والأسواق المحلية، فأبان كل البيان عن وجه المصلحة التي يجب أن يستمدها القائمون على أمر الشئون الزراعية في هذه الأوقات العصيبة المتعددة بأسباب الأزمات على الأسواق التجارية. ثم تبع ذلك بحث عن أهم ما يجنيه منه وما تخلفه عواقبه في دروب الحروب، وهو تفشي الأمراض والأوبئة، وما يجر على الشعب المصري وحكومته أن تعمل على تعاونه بكل سبيل. فألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل «حاجة البلاد إلى تعديل خططها الطبية والصحية»، وقد أبانت هذه المحاضرة عن هول الحالة الصحية التي تحتاج في كل ناحية من نواحي هذا الشعب المهمل المسكين.

## آلهة الكعبة

كنت قرأت في البريد الأدبي من عدد الرسالة ٤٠٣ كلمة للأخ محمد صبري في قصيدة الأخ الشاعر محمود حسن إسماعيل، ينكر فيها أن «اللات، والعزى، ومناة» من آلهة الكعبة، قال: «وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها». ثم استشهد بقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام، حين ذكر موضع هذه الأوثان الثلاثة. وقد كان اعترض بعض أصحابنا على ذلك ... في مجلس الأستاذ الزيات — بمثل ما اعترض به الأخ صبري، فرأيت أن أقول: إن وجود هذه الثلاثة في الكعبة أو حولها ليس بممتنع، وذلك لأن ابن سعد ذكر في طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت يوم فتح مكة — وهو على راحلته — وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً»، فيقع الصنم لوجهه. وابن الكلبي لم يعد لنا في كتابه الأصنام غير أسماء ثلاثين صنماً، وزاد ... ياقوت عليها خمسة وأربعين صنماً، فهذه خمسة وسبعون، فأين هي من ثلاثمائة وستين؟ ... ومن كان كل هذه الأمة من الأصنام إذن — إن لم يكن منها اللات والعزى ومناة؟ وهي أشهر أصنام الجاهلية، وهي المذكورة في القرآن في سورة النجم، وقد كان ورد ... أطلها ذكر ما ... إلا وكبير قريش ...

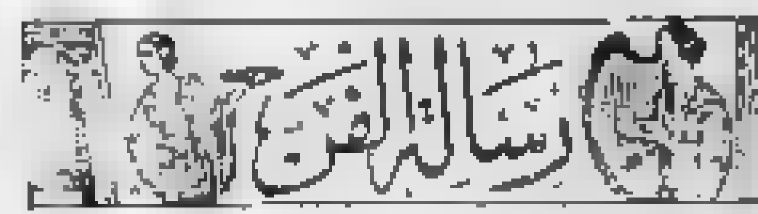


خاطرات في الفن

# العب يا ميمون العب!

## للأستاذ عزيز أحمد فهمي

من هذا الذي معك؟ يا أنيسة ... قرد؟

– نعم، واحد من أبناء عمك ميمون. أبوك آدم رحمه الله، وأبوه هو ... استحسن أن يظل يلعب، فظل يلعب

– لست منه نفسه! وأنى لقيت ابن عمك أب هذا؟ وإياك أن تكون قد دعوته إلى مكث طويل هنا؟

– إنه يلعب ... إنما هو صديق نفسه أصحابه ... ثم يعود إليهم عند الطلب

– أألعب خمسة قرود غير هذا؟ ألم تقل لي إن أسرتك الكريمة قد هرب إليك منها كما وسع الحيوانات رزقًا؟

– ربما لم يكن هؤلاء القرود جميعًا من الأهل ولكنهم كانوا أولهم على أي حال خ من بني آدم، وأكثرهم عاقل، والآخرون حمقى، ورابعهم كلب، وخامسهم أوزة

– أهي الأهل أمر سهم وأكرم ... سأل فستفهم وعلى ابن عمك، لقد سمعتني وأنا أقول أسرة كهذه، وكنت أراها وأنا طفلة وأسر وأصدقه، ولكني لم أكن أتوقع يومًا أن تنسب إليّ أو أن أنسب إليها ... لا أنا ولا أنت

– تعال أحدثك عن هذه الأسرة. انظري إلى كل فرد من أفرادها وقولي لي: من هو؟ لا تقولي هذا قرد وهذا حمار، فإني أعرفت معنى أسمائهم ... أريد ... هل تعرفين أو أنك تعجبين كما كنت أعجبها أنا من قرآني بها صاحب هذا القرداتي الذي ...؟

– وماذا قال لك؟ كان من أن الحمار حيوان من ذوات الأربع له أذنان طويلتان وصوت منكر وهو يستخدم في حمل الأثقال

هذا كلام يعرفه كل من يعرف الحمار بالملاحظة، ولكن هذا القرداتي يعرف من الحمار شيئًا يعرفه عنه حمار مثله

– وأنت يا حبيبي لك أصبحت منه هذه العلم ... أتبين لي به أمس

– لا بأس، ولكني أريد أن ترى القرداتي قبل أن ترى القرد والحمار!

– وهل في القرداتي شيء يرى وهو يسير بين غيره من الناس؟ رجل مسكين يحتال على الرزق بأصحاب الحيوان

– وكم في الناس القادر على صحبة الحيوان؟ إن الإنسان يستعصي عليه أن يلقي نفسه، ومن يستطيع ذلك غير الفنان

– لكل حيوان من هؤلاء معان، وهذا القرداتي يجمع مثل سيخيل ... على المشاهد والمتفرجين

– هذا التشبيه صحيح لولا أنه معكوس، فسيخيل هو الذي يحاول أن يكون في عمله كهذا القرداتي، ولكن أنى له ذلك إلا إذا عاش عيشة القرداتي، وكم في الشعر أمير من أهل الفن، فكان كل منهم كالقرداتي، ثم يكن فيه طبيعة القرداتي يسعى بها في الحياة ... ولا بد أن تكون قد رأيت واحدًا من هؤلاء الذين يعشقون عملهم ويطلبون ... ويهملون ثيابهم

---

فلما عظموها ... في الكعبة وحول ... كما كانوا يضعون الأصنام في بيوتهم ودورهم. ثم رأيت أخيرًا أن ابن سعد يذكر في فتح مكة أن رسول الله بعث السرايا إلى الأصنام التي حول الكعبة فكسرها، منها: العزى، ومناة، وسواع، وبوانة، وذو الكفين. فنادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنمًا إلا كسره.

ثم جاء كلام أبي جعفر الطبري في تفسير سورة النجم ج ٢٧ ص ٣٦ يقطع الشك باليقين إذ يقول: «وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: اللات والعزى ومناة الثالثة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها» وهذا هو المعروف. وليس من المعقول أن تعتبر كل هذه الأسماء من الأصنام التي كانت حول الكعبة من تماثيل منصوبة للات والعزى ومناة الثالثة، وهذا ليس يمنع أن تكون القبائل غير قريش بمكة قد نحتت لها أنصابًا شبيهًا بالأصنام التي ذكرها ابن الكلبي وغيره.

محمود محمد شاكر

ويعربدون في الأرض سكارى مستدشين على أنفسهم وعلى الناس قائلين إنا نحن موهوبون. هؤلاء هم الذين يقولون الشعر كما أن من أهل الفن من تضطره الحياة إلى أن «يتجر» بفنه فلا بد أن يكون تاجراً في فنه ويريد أن يكون تاجراً في سوق كما مع الناس فيحتال على رزقه كما يحتال هذا التاجر على نفسه وعلى مشترائه، فهو محتال بارع ممن يعرفون كيف يضاحكون على الفريسة ومن أي مدخل سهل مستغل يتسللون إلى قلبه، وأي الملابس من الأسمية المسروقة يصحب، وأي شكل من الأشكال المسقه الزوره يرسم، وأي مطلب من المطالب يسرع إليه، وأي شيء يسرها وأي شيء يغضب، وأي كلمة تجرحه وأي كلمة تردها إلى هدوئها، وأي إشارة تحزنها، وأي إشارة تنبسط عنها إلى غير ذلك مما يحكي التاجر من وأشباه من السكان من الناس، والتكاهنون

— فالشعر كهان؟

هم أرفع الكهان إلى أرواحهم، ولكنهم كمناجمون مستعصون لا أمر هان عجبوا وما زالوا يلعبون، ولو أنهم أرادوا أن يتشكلوا بهذه الإنسانية لتشكلوا بها وسلاحهم ما يعلمون من شئون النفوس وأمورها، ولكنهم يؤثرون على هذا أن يفروا من البشرية إلى سموهم وعشقهم ورقصهم، فهم لا يطوف الناس إلا حين نهزتهم حاجة، متخفين يتنزلون على الناس ليأخذوها، وهم آخذوها من الحياة هم أو متبرعون، وهم آخذوها من طالب الشراب أو مرصبه، لا يستطيع إنسان أن يردهم، ولا أن يحكم بها، ولا أن يمنعوها منهم — فهم أولاد شيطان —

— وهل الشيطان هنا هو أيضاً كمناجمون؟

— لا؛ بل إنه خلك أحمر أمنا حواء التي قال لها: زُجّت حولك، وجئت مسعود، فهيج إلى أطماعك ما أطماعك، فإنه يمس عينيك فتنحسة — يا حلاوة الفضيحة

— صحيح، ولكن في عينه بريقاً كما تلمع عيون الشياطين — إعطيهم شيئاً وسال

— أتظن الجمع وهم قاعدون يحبون به — أظن أنه ما في الأرض من يتحمل ميعه الإنسان على غفلة خلقى كما الشعرى، والشعر جيماً، فهم البقية الباقية من الناس الذين كانوا يناشرون الأرواح، ويأتلفون مع ما قيل أن يهم البشر حباً بالحديد والحجر، هؤلاء الشعر لم أحدثت في كيمياء النفوس أعجب من العجب.

ليس هناك ... يحضرون إليهم ويحاولون تحقيق أحلامهم

— وما كيمياء النفوس هذه أيضاً؟

هذا البحر فيه ماء مالح يأتي الشمس فيتبخر بعضه ويبقى الملح، ويصعد الماء إلى السماء بخاراً، حتى إذا برد عاد إلى الأرض ماء حلواً ليس فيه ملح، ويجري على الأرض في هضاب ووديان ويسري في النبات والحيوان والإنسان، وفي الأحجار أيضاً يسري، ويتبخر منه قسط بعضه ويبقى بعضه، ويعود منه إلى البحر بعضه ويصبح منه في الخلائق بعضه — هذا البحر ..

— معقول ... فكيف يجري الشيء العجيب بهذا الشكل؟

— هم يحاولون هذا الإنسان فيه نفس وجسد، يبقى الحياة وما زال يطاولها حتى تتبخر نفسه ويظل جسده في الأرض، ويصعد نفسه إلى السماء فتصعد سحاباً تترقرق إلى الأرض تبحث عن موطئ مكانها من حرق هذا السحاب إذا هب مرة أخرى إلى السماء وعند الثورة في موجهم تراني النفس بالتطهير والتلطف، والتطهر والتلطف يجيئان في الوهم بالتهذيب، فإذا كانت نفس إنسان تحت حجاب الأول ثائرة ساخطة وتبخرت وهي ثائرة ساخطة تنقل به السحب وظلت بها الثورة من حرق السحاب حتى إلى الأرض تحت البحر والرمس فإذا أسعدها لحظاً صادفت فلاحاً حاراً يحصد إلى الدنيا نفس فيه، وورثت به إلى الدنيا نفس حياة كلها صبر وكلها أعمال وعمران ... وربما، ورجه إذا تبخرت هذه النفس من ذا الذي حضرت أكثر من ذلك قليل، وربما استطاعت أن تخترق السحاب وأن تمضي إلى عالم غير هذا العالم، وربما طوت إنساناً أو حيواناً أو حشرة عن عنق الله ويحميه ونحن لا نعلمه ..

— ويكفي هذا القياس فيه فارق، فهم قد جاوزوا الإنسان إلى غير الإنسان بما مثلهم الذي يحتجون فيه بتطعيم السماء بالماء مهما صنعت أذكاه

— فلنصطلح أنه على هذا الشكل فهم لم يجوزوا على كيمياء الماء مثلاً نزحوا على كيمياء النفس؛ ولست إخالك تنكرين أن الذي يجري من تحولات النفس يشبه الذي يجري لهذا الماء من تحولات، ولست إخالك تتركين هذا التشابه يمر بك من غير أن تسجليه في الأقل، أما أنا فإني لا أكتفي بتسجيله في ذهني وإنما أربط بعضه إلى بعضه وإن كنت إلى الآن لا أدري شيئاً عن يحدون، وأي شيء سأربطه بعد ذلك في ذهني المسكين وإلى أن سأحصل بعد هذا الربط ...

— إلى ... « العباسية » من غير شك

— حتى إذا وقفناك من على أوجه الشبه بين علمى يعلوه السحر ويبن علو عمره علماء الماده

إذا وقف مسك ماذا يسأل في حاجة إلى علاج الرأس

— العلاج على أي حال حيز من إلهاء الرأس ... أليس ألا يقول علماء المادة إن هذه الأرض كانت سديمًا وتجد أن ثلاثيين في السماء ؟ أو يحاولون إلى هذه الأرض ملاذًا من الأثير وهو مادة ولكنه أخف من الماء وألطف منه ويتحد شيئًا فشيئًا إلى التسمع والانجذاب ؟ أم يكتشفون أخيرًا عناصر من المادة لا تزال مجهولة جدًا ومن أنصر الزوال على التسمع والتحلل ؟ إن هذه الفروض من أول منذ الأرض جديدة ، ومن أحدث العناصر والغضب ، ومن لا يزال مجهولة لأي علاج من الصور الجديدة التي يبدأ مادة الأرض منحل فيه ، والأرواح في الأرض جيلًا سيتحولون من صور العصور إلى هذه العصر الجديدة الطبيعية المتطورة من صور جديدة إلى ما تترق إليه من الخلاص من هذه الأرواح وهذه التشكل إلى سماء جديدة في الكون . ولذا كانت هذه الأرواح أكثر ما في الأرض اليوم ، والأرواح (مثلًا) هي أول ما جاءت ، فالماء يأتي من الخلقة الأولى من خلقات هذه المادة في الأرض والأرواح هي خلقة الأخيرة بحسب ما نرى ... أو من إلى الأثير هو هذه الخلقة الأخيرة ثم من إلى ما بين ذلك . والأثير من الخلائق الشادة إن هو إلا تشكلات وتطورات وتحولات تخرج به المادة إلى الاستقلال وحتى على ذلك النحوس كما يقيس السحر ، ولست أطلب منك ولا من غيرى أن يعرف ما يعرفون ثم ما خطروا إلى إنسان ماذا كان قبل أن يكون إنسانًا ، وماذا سيكون ... فهم يدعون أنهم يعلمون هذه بالنظرة . ولست أستطيع أن أنكر عليهم شيئًا ما يجب أن نرى في علماء المادة من ينظر إلى المجهول فيعود كأنه شيئًا يتحصيه بعد قرون عديدة . فماذا تقول كلام هذه المادة هؤلاء ، ولا تقبل كلام السحر ؟ ألا تراهم غير ؟ بين الذى هو هو غير ؟ . أما هم فيجهدون أنفسهم أحدث هذه الدنيا سرعوا من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال لا يحصون إلا النواميس الطبيعية الثابتة . ولا يعدو أنفسهم عرضه من القوانين المستمرة التي وضعها الصبر محسبات بعد أن يثبت أول برهان الحساب وهو أنه لا حد ولا نهاية ، وبعد أن سبقت كلمات أن تتكل صحابة حسابًا بعلمه حتى لقد بطل عمل الحساب وصار عدمًا

الطلاق هو أساس الخطب عند ...

من هذا الأساس أستطيع أن أستهديك إلى كلام السحر ، فلا تحسب أني سأخدع ... أعدوى بذلك عن منطق وتفكيري ، ودعني الآن أسألك عن سبيل العيش والمكانة لا أقل ولا أكثر : أى نفس كانت تسكن هذا الجسد ... وأى نفس ستسكن ؟

— ... ؟ لا أدرى ، ولكنى أعرف رجلًا كان يزوره وسيكون غدًا ؟

— من هو ؟

— مالك أنت وماله ؟ دعنا نقول كيف هو ، فاعلم لك إنه كل معنى إلى الحياة تحكى منه الغد ... هو يعيش في الأرض ويلبس في الماء ويجب كل شيء ، ومسكنه لا تكاد يحصر من بعضه شيئًا لأحد إلا أن يجد عنده الله ، وهو من يبحث كل ما يحيط به ، ومن هذه شريعة ماذا استطاع أن يفعله ؟ وهو إلى جانب هذا وحيد عراف ، لأنه يرى أنه عاجز عن رد الأذى بأذى كالأجير ... إن هذه الأخلاق والطبائع من سماته عليها كانت طبيعة الأول ، ومن عرفه منه هذا يحكى منه وحتى عليه ما شاء أن يطيب وقد سبب عليه ناس كثيرون حتى كادوا يدعونه موتًا وإنى أقول لك إنه سيكون غدًا ، لأنى أراه يرنو إلى نفسه أحدها بالسحر ويقرأ والأحيان ، فلعله إذ تحكى هذا منه كان أصلح السحر « العبقرية » في هذه الخلقة ، ومن يدرى فربما أكبر السحر منه بصيرة في هذه الحياة ، وطهره في هذه الحياة من سائس أخرى غير ذاته في هذه الآن ، فكان عند ذلك حصينًا وأطلب ، وأثر الشعر عن شعراء الآداب ، وكان عند ذلك أصلح للماء في أثر الأرواح المتطورة مع كل من عرفه يعطيه ويصحبه في هذه الله ... أن نفسه ومأموا إلى سبيله ... من يدرى ؟

لا أحد ولا أنت ولا المصرى ... ولكن هذا الكلام بعضه ما يحبوه الخير عن سلاسل الأرواح عن أمير السحر مؤلا من العقد !

— القوة الشرعية للشرعية على غرب وأوه ، كأنما أسعدني القلب

— ولكنك لم تقل لى ماذا كتب سب ؟

— يقول علماؤون إن الناس كأنها فريدة ، ويقول القرآن إنه من الناس من يرحم الله عرمنا ... وإنى أنقل القرنين في من حسن وإنى كنت لا أسمعك منها أنت حول دروس —

عز ... الصيى

# أفق جديد

## الكهرباء والضوء يلتقيان

للدكتور محمد محمود غالي

أرى الأثير ... ومكسويل ... كهربائية ... تجاريب هرتز ... الضوء ...

و أنت أعدنا اليوم مطالعة التجارب العجيبة التي حققها فرنل Fresnel وهيجنز Huyghens ، ووجدنا معها هذا التغير دون متابعة للتطورات العلمية ، لأجبت أن هذه الظاهرة شيئاً لا يمكن أن يجوزه عقل ، ولو أننا جلنا في الوقت ذاته في الهيكل الرياضي الذي شيده نيوتن العظيم ، وشرعنا في إقامته أمر أويلر Euler ولاجرانج Lagrange ، لأدركنا في غير عناء تلاؤماً بين المكانيكا النيوتونية في تفسير الظواهر الضوئية جميعها ، التي اعتبر أنها وجبت حتماً في وسط سبق افتراضه افتراضاً ، وهكذا تجربة «ميكلسون» تكشف عنه في طريق التقدم في هذا السبيل ، وتتطلب من الباحثين تغييراً عظيماً في المكانيكا النيوتونية

إن أرضاً تجري حول الشمس بسرعة كبيرة تحمل مصباحاً والمصباح يرسل في طريق سير الأرض شعاعاً ضوئياً كما يرسل في طريق عمودي على الطريق الذي تسير فيه الأرض شعاعاً له طبيعة الأول وسرعته ، وهذان الشعاعان يعودان في اللحظة ذاتها إلى النقطة التي خرجا منها ، في وقت لم تكف الأرض فيه عن الجري في مسارها الأبدي حول الشمس ، لأمر لا يصدقه عقل ولا يقبله منطق ، إذ كيف لا يحدث رغم حركة الأرض للشعاعين وسرعتهما المعروفة ، أي فرق في الوقت لمسافرين هما في الواقع ظروف مختلفة ؟ كان لا بد من طرق أبواب جديدة في التفكير للإجابة على ذلك ... ولقد كان للنظريات الكهربائية شأن في هذا البحث الأخير ، وتدرج الأبحاث الأخرى ... لنعيد النظر في أمور جديدة ، ذلك أن الضوء الذي نعرفه لم يعد الضوء الذي ذكرناه ، بل هو جزء من الكهرباء[1] ، ... جزء في الشكل يجعل علينا أن نعرف شيئاً عن حوادث الكهرباء ، وسيرى القارئ أنه عرفنا هذه الظواهر ، بفضل البحث في الضوء ، وجود هذا الوسط الأثيري وصل هذا التفكير ... يكون خطوة لازمة قبل أن نعرض من المكانيكا النيوتونية ، ونشيد ميكانيكا جديدة لا نيوتونية ، نعمم ونصحح التفكير على شكل أكثر وضوحاً من الشكل الذي عرفناه

* * *

عندما نهم بعمل لإصلاح خلل في الشبكة الكهربائية في منازلنا قد لا يهمنا أن نتنبه بقطع تيارها لنفسه ، ذلك أننا نعرف أنه يمكن أن يلمس العامل سلكاً طرف أحد الأسلاك المكهربة لكي يفقد حياته ، ويصبح بين طرقة عين وانتباهتها في عداد الأموات ، ولو أن العامل الذي يمس السلك الكهربائي كان ممسكاً بيده الأخرى واحداً أو أكثر من زملائه لذهب جميع المتصلين به يصعقون جميعهم في اللحظة ذاتها ، وقد حدث أن قضى على ثلاثة أشخاص العام الماضي في حي ولاية القاهرة بمس أحدهم سلكاً كهربائياً ... هذا عنصر خفي يفتك بالعامل ... من السلك دون أن يمسه ، إذ أن الذين وقعوا به في حياتهم لم يصابوا بأذى ، كما أننا نعرف أنه لا يشعر به ولا يشعر من بجواره بوجود الكهرباء عند الاقتراب من الأسلاك الحاملة لها ، ولهذا يجهل أمره في اعتقادنا أن الكهرباء سارية في الأسلاك لا تكشفها لنا حواسنا

ومع ذلك وبالرغم من مقدرة الجسم الإنساني على الإحساس بالكهرباء ... فلم يكن أجسامنا يوماً ما أجهزة لالتقاط الكهرباء في المحيط الذي نعيش فيه ، وكانت العين بعينيها الوسيلة الوحيدة لمعرفة الظواهر الضوئية ، كذلك اللمس ليس الوسيلة الأولى والأخيرة لمعرفة الظواهر الكهربائية ، فلقد كانت هذه الحاسة في حاجة لوسائل أخرى يتسنى لنا بها استغلال هذه الظواهر

(1) سيعرض القارئ الآن أمراً ذكرناه في مقدمة هذه المقالات عن الكون الذي يعيش فيه بيننا الإنسان ، فقد وعدنا في المقدمة بأن الكهرباء هو الضوء وهذا التفكير الجديد

في صورة أدق من تلك التي عرضنا لها ، ولقد تقدمت الوسائل العلمية في معرفة الظواهر المختلفة حتى باتت حواسنا تخطئ ومعها في الرتبة الأخيرة لمعرفة حقائق الكون

إنما نروم من هذه الأسطر أن نلفت نظر القارئ إلى عبقرية « فرداي » M. Faraday الذي أدرك أن الكهرباء تسير … في الأسلاك فحسب وإنما في الفضاء المحيط بها أيضاً ، فقد لاحظ أنه يمكن لكرة معدنية … كهربائياً … أن تحدث كرة صغيرة معزولة موضوعة بالقرب منها ، واستخلص من هذا أن الكهرباء كائنة في الفراغ المحيط بالكرة … ولقد لاحظ « فرداي » أنه … كهربائية … وإنما كانت حركات الكهرباء تجوب الفضاء الآن بسرعة ملموسة ، ولقد كان … اليوم … وما ذلك إلا تطبيق مباشر … فرداي التي … لتجربته في يوم من أيام … فرداي ولم يستطع ركوب الترام ولم يشاهد … وهكذا نظر الباحثون من بعده إلى الكهرباء لا كامنة في الأسلاك فحسب ، بل كمجال حولها أيضاً

صورة « فرداي » مأخوذة من المتحف البريطاني … الكهرباء … الأسلاك …

أن اليوم … ما كانت الظواهر العلمية ، ولم يعد القارئ … آثار الكهرباء من بعد ، بل أن يشاهد ذلك في الحياة اليومية ، من منا لم يشعر وهو يجوب بسيارة … المدينة بالتأثيرات … التي تحدثها أسلاك الترام على « الراديو » التي أصبح في السيارات الخاصة في مصر والمنطقة في أوربا من حوائج الرفاهية !

وقد يتساءل القارئ عما … والأخيرة في … التي تعد من أبدع ما وصل إليه الإنسان في … على الأجهزة العلمية المكهربة … في مقالات متواصلة … الظواهر الكهربائية وما ذكرناه من عدم استطاعة … تجربة « ميكلسون » ، … « فرداي » … فقد تناول « مكسويل » Maxwell الإنجليزي … ووضع لها … دراسة … الظواهر الكهربائية ، ولم يكتف « مكسويل » بتفسير الظواهر التي شاهدها الإنسان حتى عهده بل كان واثقاً من طريقته الرياضية وثوقاً جعله يتنبأ بظواهر أخرى لم تكن قد … ولم يكن قد … في … العلم التجريبي ، ذلك أنه استنتج من معادلاته الأساسية مجموعة أخرى من المعادلات … أن الكهرباء تنتشر في الفراغ بحالة موجية ، وبهذا تنبأ بوجود الموجات الكهربائية ، ولم يكن في عهده سبيل لإحداث هذه الأمواج والتثبت من … على هذا الشكل الموجي ، ولكن « مكسويل » اعتبرها موجودة ، واعتبر أن الموجات الضوئية ليست إلا أمواجاً كهربائية

ومن هنا … القارئ … ذكر الكهرباء مع الضوء الموجي … كيف … « مكسويل » … من الأثير … ذكر أولاً … التجريبية … التي … بها العالم من تفكير مكسويل الرائع ومن أدواته الرياضية البديعة .

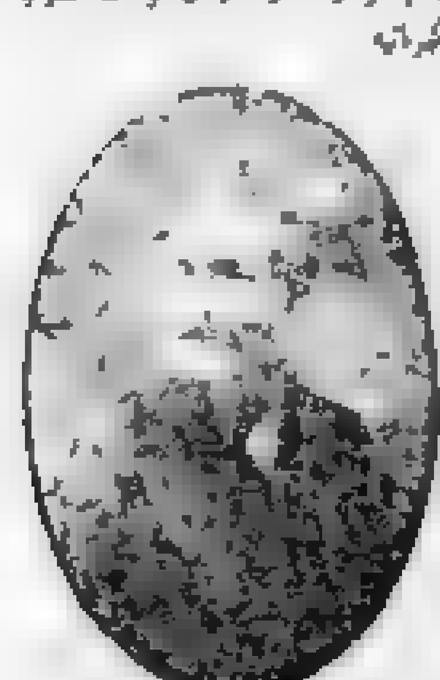

صورة « مكسويل » مأخوذة من المتحف البريطاني …

وقد كان هرتز (Heinrich Hertz) الألماني الفضل الأول في الحصول على موجات كهربائية غير متصلة بموصل كهربائي، وتخترق الفضاء، واستطاع أن يعاملها كما تعامل الأشعة الضوئية فيعكسها مثلاً كما تنعكس هذه الأشعة، واتجه كثير من الباحثين إلى دراسة هذه الناحية للأمواج الهرتزية، أو لم تشهد «ماري سكلودوسكا» المعروفة باسم مدام «كوري» عصر الأمواج الهرتزية قبل اشتغالها بالنشاط الإشعاعي، وكشفها الراديوم؟ إننا نعرف أنها حاولت أن تتخذ لها مكاناً في معامل الأبحاث العلمية في السوربون التي كان يديرها في ذلك العهد «ليبمان Lippmann» المعروف بكشفه لفوتوغرافية الألوان، ولم يكن المكان يتسع للأجهزة التي أرادت أن تستخدمها في بحثها، فاتجهت الطالبة البولونية شطر العالم «بيكارل» في الوقت الذي كشف فيه أشعة الأورانيوم، ولا نسرد الوقائع التي يعلمها كل من تتبع مقالاتنا[1]، وما كان من أمر هذه الفتاة بعد ذلك بما أوتيت من جد في بحثها الرئيس، فقد خرجت على العالم بالراديوم سنة ١٨٩٧، وبين ذلك العهد كله «برانلي Branly» الفرنسي سنة ١٨٩١ من غير قصد نحو الأمواج الكهربائية بدراسة طبية الكهربائية، تمتاز بالكشف عن اللاسلكي، وكرت السنون وتقدم «برانلي» و«كيري» لعضوية المجمع العلمي الفرنسي، وفاز «برانلي» وخذلت «كيري»، أو كان من نصيب «برانلي» للعالم ما جعل بعض هؤلاء الذين يصوتون [illegible] من أعضاء [illegible] سيدرك القارئ في هذه السطور.

* * *

نبي الخيال عن الشرح النظري لجهاز «الراديو»، ونستعيد إلى ذلك هذه ما انتهى من قصة العلم الشائقة ومن سرد التطورات التي حدثت في معارفنا عن الكون، ولكنا نوجز هنا من الخطوات التجريبية ما له علاقة بحديثنا، وهي خطوات كانت إلى حد كبير أساساً للاختبار الراديو الكهربائي.

درس (وولى) الضوء البنفسجي المنبعث من الشرارات الخارجة من «زجاجات ليد Bouteilles de Leyde»، وتوصل من هذه الدراسة إلى ما يسمى اليوم «التفريغ [illegible]» [illegible] توصلوا في الربع إلى حل موصل للاسلكي، وقد وضع «برانلي» في حجرة مجاورة للحجرة التي كانت بها زجاجات «ليد» «جالفانومتر»[1] ذا مرآة، وكان يستخدمه في دراسة المقاومة الكهربائية الرقيقة وحاجبة مطلاة بالسمن البلاتين

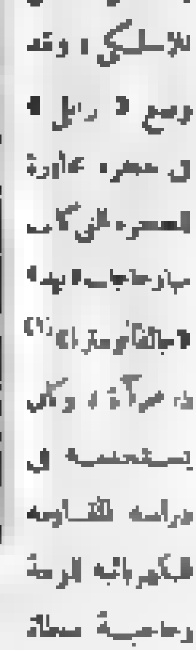

الأستاذ «برانلي» عضو المجمع العلمي الفرنسي مخترع اللاسلكي وفي هذا الشهر [illegible] وراءه [illegible] الإنسان

وفي دراسة لا ترتبط بشيء من دراسة الشرارات الخارجة في الحجرة المجاورة وقد حدث في ساعة كان «برانلي» [illegible] حين كان أحد مساعديه يشتغل في زجاجة «ليد» في الحجرة المجاورة أن رأى «برانلي» وأى الشين حركة مفاجئة سريعة في «الجلفانومتر» [illegible] في تغيير التيار في هذه اللحظة التي [illegible] إلى [illegible] وبالأحرى أراد أن يعرف لماذا تتغير المقاومة الكهربائية لهذه [illegible] من الزجاج المطلى بالبلاتين دون أن يمس هو هذه الأنبوبة. هذا البلاتين موزع بشكل معين ويجعل جسمه بشكل خاص كما تجمع أو تنتظم [illegible] الحديد عند مرورها، وقد فهم «برانلي» أن ثمة علاقة بين هذه الحادث وحدوث التفريغ الكهربائي في الحجرة المجاورة. وهنا توصل إلى اختراع أول نوع من التلغراف اللاسلكي يسمونه جهاز «المماسك Coherer». وبذلك يكون قد اخترع هذا الجهاز المرسل والمستقبل، واستطاع بهذا أن يرسل ويستقبل مسافة تزيد عن ٢٠ متراً وخلال الجدران الإشارات المنبعثة من هزة كهربائية باهتة، وقد [illegible] «برانلي» كشفه [illegible] في أنحاء أوربا،

(١) نشرت بالرسالة بعنوان «مدام كيري» العدد ٨٩ المنشور في ٢٩ [illegible] سنة ١٩٣٥ ص [illegible]

(١) الجلفانومتر جهاز لقياس التيار الكهربائي

وطالب الباحثون بالحصول على نتائج أتم من التي وصل إليها

ولقد كان الفصل في سنة ١٨٩٩ — وبعد عشرة أعوام من تجارب « برانلي » الأولى — لماركوني الإيطالي في أن يبث بإشارات تلغرافية لاسلكية تعبر بحر المانش، فبعث بأول رسالة إلى « برانلي » نفسه، مشيراً بذلك إلى عمله الأول في الكشف عن اللاسلكي

وشاء الزمن للرجل الذي كشف جهاز الخاصة أن يظل حياً حتى اليوم الذي رأى فيه رأي العين « التليفزيون » (١)، وهو يحدثنا نفس السرعة الخارقة التي تمتعت بها الكهرباء التموجية في الأربعين سنة الأخيرة

من كان يدري — عندما عرف « أراجو » و « أمبير » و « أورستد » Oersted أثر التيار الكهربائي لمسافة قريبة، وعندما تنبأ « ماكسويل » عن أثره لمسافات بعيدة — أن سيصل الإنسان في فن الراديو الحد الذي وصل إليه اليوم!

من كان يدري أن سيصل « ماركوني » و « فرييه » Ferrié و « فلمنج » Fleming إلى اختراع الصمام « اللمبة الإلكترونية » العجيبة فاتحين بها الأعمال الأولى والعظيمة للاسلكي

أما « برانلي » فقد عاش عمراً يلقي دروساً لطلبة « الكاثوليك » وفي الأيام الأخيرة أنشأ المعهد الكاثوليكي معملاً له، وهو معمل مُتَنطٍّ في أجزائه مصنوعة من النحاس، هو بذلك معزول تماماً من التموجات الكهربائية الموجودة في أنحاء المدينة، تلك التموجات التي كانت تؤثر على أجهزته الدقيقة، فقد كان يعمل في سنيه الأخيرة الأبحاث اللاسلكية المثمرة التي تمنعه من مواصلة أبحاثه، وحبس نفسه في ذلك القفص النحاسي ليبعد من آثار كشفه الأول إلى أن وافتنا الأنباء بوفاته في الشهر الحالي عن ٩٦ عاماً

• • •

وأصبح القرن عصراً في سيره فأصبح في الواقع بعد وفاة « برانلي » من أدب التاريخ، فأصبح التاريخ يحكم على أعماله، ولكن العمل الذي تمت فيه تحصيله أكثر من ستة السطور

وساعدت النظرية في المجال العلوم من سير العلماء الإشعاع الصادر من الراديو إلى الأشعة النافذة سيراً إلى عمل « لاوه » Max Laue ورأت النظرية من كل ذلك أن الضوء والكهرباء أمواج كونية واحدة، بحيث لو أننا غضضنا البصر لأمكننا أن نعرف الموجودات، ونطلعه على شيء يجوز غلافاً، ونلمس ما نحرص فيه الآن، من أعمال قد يكون لصفات الأشياء التي لا تزال غريبة وهي قد تكون موجودة في الكواكب الأخرى هذه تأملات نبدأ تأملات، ولكنها تصبح رفاعاً النظري نتحدث عنه قبل أن نتحدث عن الضوء كأداة في الوجود، وقبل أن نشرح له نوع التفكير الجديد للعالمين الكبيرين دو بروي وأينشتاين

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ليسانس العلوم الحرة، دبلوم الهندسة اللاسلكية



(١) كان الصحفيون يلحون على برانلي الاشتراك في اختراع نقل الصور التوصيلية باللاسلكي، وكان لبيرد الإنجليزي الفضل في اختراع التليفزيون، وقد شاهدنا التليفزيون لأول مرة في معرض اللاسلكي « بقصر المعارض » بباريس حوالي سبتمبر سنة ١٩٣٢، فقد عرضوا منذ ذلك صورة الرجل المتكلم في حين تسمع صوته في الوقت الذي يتحدثون فيه بالعالم.

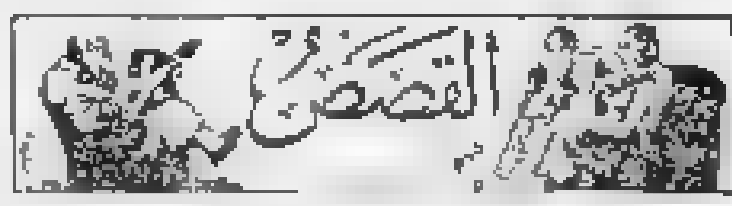


# عيد الربيع

للأستاذ محمد سعيد العريان

منذ عام لم تكن « نُصرة » في مثل حالها اليوم ... شتان بين ما كانت وما صارت

ها هي ذي تخرج اليوم من عشها الذي اعتزلت فيه الناس أشهراً لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر الناسك المتبتل إلى تمثال قائم في عرض الطريق!

لم يكن لها ما يربطها بالناس بعد ما ماتت أمها وهجرها خطيبها! فما شأنها وشأن الناس وما ترجو منهم وما يرجون!

لقد عرفت من طباع الناس وهي صغيرة ساذجة أكثر مما كانت تعرف وهي تخالطهم وتعيش بينهم! وكذلك لا تنكشف حقائق الأشياء لمن يراها إلا في محنة!

* * *

منذ عام مات أبوها، وما كان لها في الحياة غير أبيها وغير خطيبها « رشيد »، وكانت تعيش من بيت أبيها في سعة سابغة وظل وارف؛ ولم يكن لأبيها — منذ ماتت زوجُه — شاغل يشغله غير إسعاد ابنته؛ تقتصر عليها عواطف قلبه ونوازع وجدانه وماضي له، فلا يرى لنفسه حقاً في متاع من متاع الرجال ما دامت ابنته سعيدة!

وكان لأبيها وظيفة ذات أبهة ومظهر، وكان لها جمال يحس ويبصر؛ فتهافت الشبان على الناس وجاهته والمطمع عنده، ولكن فتى واحداً هو الذي استطاع أن يحصل على الإذن والرضا؛ وعرفها رشيد وعرفته، وعرفه أبوها، وتواعدا على موعد تنتقل فيه « نصرة » من بيت أبيها إلى بيت رشيد!

وعاشت حيناً سعيدة بأحلامها، لا ينغصها همٌّ من هم الحياة، ولم يتطرق خاطر من أحلامها حتى وجدت أباها مُسجّى في فراشه والطبيب بجانب سريره يهز الرأس في أسف!

ورأت في عيون الرجال من حوله أنها ستفقد أباها، فصرخت في لهفة: أبي ... أبي! ولكن الصدى لم يسمع جواب أبيها ... ونادت خطيبها فوافاها في صوت حزين، وللت دمعة بين أهدابه وأطبق جفنيه وأشاح بوجهه.

وخرج أبوها من الدار إلى قبر أمه، وخرج خطيبها يشيع الجنازة ثم لم يعد، ولبثت الفتاة وحدها تنتظر

وطرقت طرق الباب فلم يستأذن عليها أحد ... ولم تعد تسمع حس أقدام أبيها عائداً من الديوان بعد الظهر، ولا صوت خطيبها قادماً لزيارتها في المساء؛ أما أبوها فأيقنت أنه مات، وأما خطيبها ...

بل لقد هجرها رشيد من شهور ما ماتت أمها لم يكن يعرفها، فاتخذ طريقاً غير الطريق التي كان يسلكها كل يوم؛ وهذا يعني إلى الزواج من فتاة ليس لها حظ من أهل ولا غنى من مال، وهو لو شاء لوجد غيرها الجاه والمال والسعة ... هكذا قالت له نفسه الدنيئة وطمعه ...!

لقد كان أبوها هو كل ما لها من حب وجاه، وقد مات أبوها، فما ذا بقي!

ومضى شهر، ووصلت معاش تقاعد « الناشئ » الشهري الذي فرضته لها الحكومة بعد موت أبيها — وعدت في يدها ثلاثة جنيهات ... فذلك كل ثروتها، وكل ما بقي من أبيها الذي مات!

وفي اليوم التالي كانت عربة نقل كبيرة تحمل متاعها من البيت الذي عاشت فيه هي وأبوها ما عاشت ... إلى غرفة مفردة على سطح بيت كبير من بيوت ...؛ وكانت الخادمة تحمل صرة من ثيابها

وهجرت منذ اليوم حفلة سمارها، واقتصت صباها، فما فرحت عليها عيناه!

وأقامت هناك على السطح، لا تبرحه إلا لحاجة، واعتزلت الناس لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر الناسك المتبتل إلى تمثال قائم في عرض الطريق!

ومضى عام ... وها هي ذي اليوم تخرج من عشها لغير حاجة، تلتمس جديداً وتحيي الذكرى الحافلة التي نعمت بها منذ عمر أبيها —

* * *

اليوم عيد الربيع ... وقد خرج الناس من بيوتهم جماعات متكبرين إلى شاطئ النيل، وإلى حدائق الجزيرة، ورياض المطرية والقناطر الخيرية، يتملّون جمال الحياة ويتمتعون بما أحلّ الله وما حرّم من طيبات وخبائث ...

وتذكرت سطوة ما كان من صاحبه [illegible] فعاد إلى ذلك العهد تلتقي في شارع «[illegible]» وعليها ذلك الثوب الأسود الحائل، وفي عينيها تلك النظرة الساهمة، وفي وجنتيها هذه الشحوب ... [illegible] في قلبها ذلك ميراثها وتذكر ما كان [illegible]!

لقد آثرت ذلك المكان القصي الذي لا يطرقه أحد من سكان الحي، لتكون بنجوة من عيون الفضوليين! أفكانت تحسب أن أحداً من أهل الحي يعرفها حين يراها، أو يذكرها؟ ... ولكن هيهات من حسن الظن الخادع!

ومرت بها مواكب الأطفال في ثيابهم وبهجتهم، يحملون في أيديهم طاقات الزهر، ويتضوع من أعطافهم عطر الربيع وريحانه، وتناهت أسراب الفتيات في ملاءاتهن السوداء وأرديتهن الناصعة يتأودن مختالات [illegible] العشي والدلال! ومرت طائفة من الفتيان في أكمامهم بمرح وتطلع من أعينهم أماني المرح والشباب والأمل الشتيت! وكان على الشاطئ [illegible] كأساً كأس! وعلى المقعد القريب منها فتاة يتناجيان في همس!

ومرت سيارة تتهادى ومن ورائها [illegible] حتى تصل حالمة على مقعدها وحدها، تسمع وترى وتذكر صوراً من ماضيها، وتذكرت العهد الذي كان، وذكرت أيامها في ذلك العيد [illegible] [illegible] كانت وكان [illegible] إلى ماضيها، واستغرقت في حلم طويل ...

• • •

ومر بها فتى، وتبادلا نظرتين، وأطرقت تعاني من حياء وعادت إلى ذكريات ماضيها، ومضى الفتى إلى خطوة، وكانت على شفتيه ابتسامة [illegible] وفي عينيه نظرة تعبّر عن معنى وقال لها: أنت وحدك، وأنا وحدي!

وتفرست وجهها فيه وحساً، وسكتت، وعاد الفتى يتم حديثه ... ونظرت إليه ثانية وهمت أن تتكلم، ثم أمسكت، فأقبل ما يحول ثم يمضي لشأنه؛ ليس يحق لها أن ترد على مثله ... ومضى الفتى خطوة أخرى فجلس على طرف المقعد!

جلست الفتاة وبهتت وفي عينيها غضب ونظرة [illegible]
واستيأس الفتى فمضى لشأنه، وعادت الفتاة إلى [illegible]
وسالت على عينيها دموع [illegible] وتراقصت صور كل الفتيان والشباب، وتجاوبت أشباحه المطوي والشباب، ورنّ الصوت في أذنيها: أنت وحدك [illegible] وحنّت إليه، واضطرب في قلبها خاطران، فرغبت ثم عطفت، وترقرقت في عينيها عبرة

• • •

... واتخذت الفتاة طريقها إلى مأواها وفي نفسها ألم، وإن ضحكات المرح والمسرة تصطخب حواليها، ومضت تحدث نفسها وتستمع إليها، وعليها من لهيبها منظر ... فتاة وشهد وفتاة معه، يا ويلتا! إنه هو، وتلك صديقتها «[illegible]» وما أرعنه وما أنبله! ... وأين وأين التقيا! ... أتراه حين هجرها أقبل بها صديقتها؟ ... ولكن صديقة ساءلته منذ سنوات عن ابن عمها ... أتراها هجرته بعد أن مات أبوه ... ؟

وخنقتها عبرة، ودار رأسها وكادت تسقط، فاستندت إلى حائط، وتولى الفتى وفتاته في زحمة الناس، ومضت تختال إلى حيث تستأنف المسير، وكأن قدميها وقد تعب [illegible] عن الطريق تمشي مثقلة، كأن كل اثنين من حواليها في خلوة [illegible] ومضت تتخذ طريقها وفي نفسها عواطف تصطرع وتثور، وتضحك ساخرة في أعماقها: أكل أولئك ... وأنت وحدك ... ؟

وهمّت أن تعود من حيث أتت، فتجلس ساعة على المقعد الذي كانت تجلس عليه في شارع «[illegible]» على شاطئ النيل ... حيث قال لها الفتى منذ قليل: أنت وحدك ... وأنا وحدي ... فإذا طائفة جديدة على مثل هذه الوحدة الخبيثة ... واليوم عيد الربيع ...!

وصرّت أسنان الفتاة، وطرحت خواطرها، واستأنفت السير وهي تتساءل بينها: أهكذا الحياة؟ بلى! ألم أكن أعلم!

• • •

ودخلت الفتاة السلم مرهقة متعبة وهي تعدو، وكان البواب جالساً يهمس في أذن صاحبه؛ ورمقت همسة البواب وصاحبه في أذنيها، فوقفت واحمرّ وجهها من الغضب! أتراه يحدث صاحبه عنها؟ فماذا يقول؟ ... أم تراه يحسبها فتاة كبعض من رأت اليوم؟ وهي أن [illegible] لن يعرف حقيقتها!...

ربما ظن الناس فتاة غريبة تعيش وحدها في غرفة على السطح، وليس يسأل السطح بواب، تخرج حين تخرج وحدها

وتعود حين تعود ، لا يعرف أحد أين ذهبت ومتى أين جاءت ؟

وعاشت [illegible] من صمت ، واستأنفت الصعود [illegible] وبلغت عرشها فترنحت على سريرها باكية !

وأحست غموضاً واستيقظت أحلامها ، ولاحت من قريب بعد ساعة كانت تقترب إلى الحياة غير ما كانت [illegible] وماذا يجب أن تحرص على الحرص [illegible] والناس هم الناس ، وكل فتاة عندهم كـكل فتاة ؟

* * *

وجلست نصار إلى المرآة تتزين — المرآة التي لم تجلس إليها منذ عام تعني فتاة إلى صباً صباها ، [illegible] على حاجبيها وراحت تبحث فيها عن شيء من [illegible] الماضي [illegible] وعلت ثوب الحداد الذي لم تغيره منذ [illegible] !

وسمعت طرقاً على الباب [illegible] ونهضت [illegible] فابتدرها الخادم يؤذنها أن من بالباب يسأل عنها ، وابتسم [illegible] وشعت في وجهها ، وقالت في صوت يرتعش : ما اسمه ؟ وماذا يريد ؟

ولكن الخادم لم يكن يعرف اسمه ولا ماذا يريد ؟ فما كان منه إلا أن يؤذنها أن زائراً يسأل عنها ، ثم هبط مسرعاً وأطلقت الفتاة وراءه تجرى ، ولكنها لم [illegible] !

لقد [illegible] الدموع وحضرتها الذكرى فما تستطيع أن تسمع أو ترى أو [illegible] تفكر !

منذ عام لم يطرق بابها طارق ولم يزرها زائر [illegible] فمن يكون هذا الطارق ؟

وعاد إليها الخادم برسالة في يده قبل أن تجد نصار جواب سؤالها ! وتناولت منه الرسالة بيد ترتعش ، وراحت تقرؤها وهي في طريقها إلى عرشها — وسقطت دمعتان على القرطاس في يدها وكانت تبتسم — ولم تفطن إلا بعد حين أن الخادم لا يزال واقفاً على مقربة ؛ ولأول مرة منذ سكنت هذه الغرفة المفردة ، شعرت أن من الواجب عليها أن تتيح الجواب [illegible] — فمدت كفيها الصغيرة ومدت يدها إليه بقروش [illegible] !

وانطلقت بها وراحت تعيد قراءة الرسالة ؛ ثم وضعتها إلى جانب قلبها باكية ، وهمست : نعم ، أحبك لأنك أنت ...

وهي في خلوتها لم تنس أنها وحيدة ... فهمست تحرك شفتيها ... لأنك أنت نسيني حين لم يذكرني أحد !

ثم طوت الرسالة وأخفتها في صدرها ،

كل إنسان ، [illegible] من زمان ، وكانت [illegible] رأيها [illegible] تحدثه في منامه [illegible] وكل مرة أحد [illegible] جاءه النبأ أنه غريب على وشيك ، فترى [illegible] !

ومرت بينهما الأيام [illegible] إلى أن [illegible] في [illegible] ورمت به النوى من بلد إلى بلد إلى بلاده ، ثم [illegible] أصبحت ما عرفت [illegible] إليه .

وتم أمرهما على ما أرادا وأظلهما سقف واحد ، واجتمعت لها الأيام بعد عبوس !

ومضى عام وجاء عيد الربيع ، وقال لها : أين تريدين يا عزيزتي أن نمضي يوم العيد ؟

وتنبهت الذكرى فأطرقت وفي قلبها عواطف تصطرع ، ثم رفعت رأسها وقالت وهي تبتسم : أتريد يا سامي ؟ — إني أفضل أن نجلس على مقعد خشبي على شاطئ النيل في شارع [illegible] ثم نعود .

وعجبت سامي وهو [illegible] على [illegible] في شارع [illegible] ؟ [illegible] وأي خاطر أضحكك ؟

قالت وفي عينيها بريق وفي صوتها حنان وفي أعطافها نشوة : أتسألني لماذا ؟ لأنك [illegible] ! [illegible] أول مرة في خطرة [illegible] وكنت وحدي هناك وكأني كنت [illegible]

محمد سعيد العريان

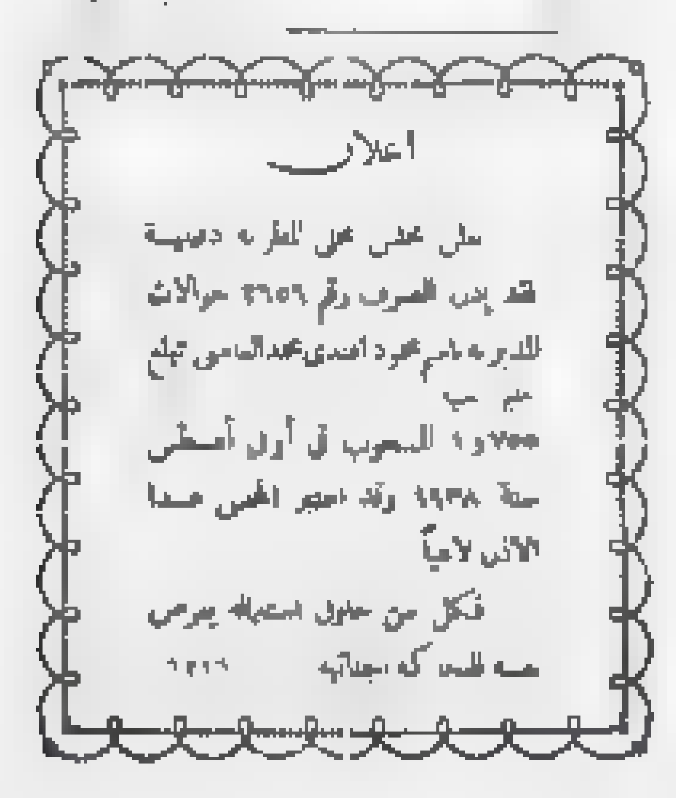

إعلان

على عقد على المظروف دمغة
قد بين المصرف رقم ٣٦٥٦ حوالات
للادارة باسم محمود افندى محمد العاصى تبلغ
قيمتها [illegible]
٧٧٥ و [illegible] المسحوب فى أول أغسطس
سنة ١٩٣٨ وقد اعتبر الشيك هذا
الآن لاغياً
فكل من حاول استعماله يعرض
نفسه للمسئولية [illegible] ١٢١٦

## الفرقة القومية تحتفل بمولد الأميرة فوزية

كانت ليلة الثلاثاء الماضي صفحة مجيدة في تاريخ الفرقة القومية، فقد احتفلت فيها بمولد صاحبة السمو الملكي الأميرة فوزية احتفالاً جديراً بمكانتها وكفايتها، افتتحه مديرها الأستاذ خليل مطران بك بقصيدة عصماء أنشدها بين يدي الإذن، ثم مثلت الفرقة رواية (عيد الذهب) التي نقلها إلى العربية الأستاذ أحمد الصاوي محمد، فكانت الرواية ببراعة ترجمتها، وطرافة موضوعها، ورشاقة أسلوبها، وقوة إخراجها، وحسن تمثيلها نظاماً متسقاً من الفن والجمال واللذة قلما شهدناه في مسرح الفرقة. وحسبنا أن نثبت في هذه العجالة أن الفرقة قد استعادت بالكتاب الاختيار الوطني للموضوع، والترجمة اللائقة للرواية؛ ظهرت براعتها في الإخراج والتمثيل ظهوراً يجذب إليها صوت الجمهور، وينطق عنها لسان النقد.

## فقهاء بيزنطة

قرأت افتتاحية العدد ٣٢٢ السنة الثامنة من مجلة الرسالة الغراء بعنوان (فقهاء بيزنطة) لحضرة رئيس التحرير الأستاذ الكبير السيد أحمد حسن الزيات. وقد أعجبني تشبيهه رجال الدين لتشاغلهم بصغار الأمور عن معاليها التي جاء الإسلام بها! ووصفه الأستاذ بأنه (هو الذي وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية في كل زمان وفي كل مكان)؛ ولانصرافهم عن حقيقته ومقصده، وقد لبسوه كما يلبس الفرو مقلوباً. ونقل العلامة أحمد فتحي باشا زغلول في مقدمة كتاب (الإسلام خواطر وسوانح) أن السيد رشيد رضى صاحب المنار قال في أمثال من ينتقدهم الأستاذ الزيات (إن الجبر صار عندهم توحيداً، وإنكار الأسباب إيماناً، وترك الأعمال المفيدة توكلاً، ومعرفة الحقائق كفراً أو إلحاداً، وإيذاء المخالف في المذهب ديناً، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً، واختلال العقل وسخافة الرأي ولاية وحمقاً ... ، والخضوع للذل والاستسلام للضيم رضى ... ، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإتقاناً).

أعجبني هذا الأستاذ كما أعجبتني شكواه من ... في مصرفهم الجهود التي يقضونها ... ثم يحدث عن محاسن الدين ومبادئه الحميدة، وقد شعر السيد الإمام كما شعر حضرة الأستاذ الجليل، حينما اعتبر أمثال هؤلاء، وألقيت عليه أسئلة كالتي ألقيت على الأستاذ صاحب (الرسالة) الغراء، وحل السيد رشيد المسألة التي رآها الأستاذ حلها، ووفق أن تشرح للناس جوهرة هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده على ضوء العلم الكاشف ونظام التأليف الحديث (بالوحي المحمدي) وقد طبع في سنتين ثلاث مرات، واتفق على الشهادة له كبار العلماء والأدباء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ومختلف أقطارهم. ولو شئت أن أذكر أسماءهم وأنقل جملاً من رسائلهم، لاحتجت إلى صحائف من مجلة الرسالة. على أني أكتفي بأن أورد كلمة من خطاب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى السيد رشيد في وصف كتاب الوحي:

«إنكم وضعتم أساساً جديداً في الدعوة إلى الدين الإسلامي القويم، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية، عرضاً لم يجسر عليه إلا الفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة. وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لا يهتدي إليه إلا العلماء المؤمنون. جزاكم الله عن الإسلام أحسن ما يجازي به المجاهدين»

وكذلك للأستاذ محمد لطفي جمعة في كتاب الوحي المحمدي (ونرى معي أنه كتاب جليل يلفت النظر بما أورده الأستاذ فيه من الأدلة العقلية والحجج النقلية، بوضوح وجلاء، على طريقة حديثة لم تسبق للمؤلفين في المسائل الدينية)

وكذا للأمير شكيب أرسلان ... وقد كتب السيد رشيد هذا الكتاب أيضاً لكل من شاء من أهل أوربة أي حالة من التربية الإسلامية التي يكون الناس، فقد ارتسمت فيها مبادئ الإسلام مع بيان أنه ... ولما كان جميع من يقرأون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الإسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أحوج ...

الأوربيين ولو كانوا مسلمين نسباً ... كل هذه الكتب موجهاً أيضاً إليهم لأنهم في حكم الأوربيين من جهة تلقيهم التربية الإسلامية أو على ما يقرب من ذلك »

وفي هذا القدر كفاية من شهادة هؤلاء العلماء الأعلام بأن كتاب الأخ الفاضل هو سد للفراغ التي تساءلون عن حله وهو الرسالة المنشودة التي يبحثون عنها ... سائلكم عن وجود كتاب يبين أن ( الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاج لأدواء المجتمع وملائم لنواميس الطبيعة وأنه يساير التطور ويطاول الزمن فلا يمكن أن يكون فيه منافسة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق ) والله الموفق

عبد الرحمن قاسم

## معرفة طمي النيل باللاسلكي

يحاضر الأستاذ الدكتور محمد محمود غالي أمام الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية التي مقرها مصر ... بحثاً جديداً يناقش فيه الأهمية العملية في القطر المصري لمعرفة كمية المواد العالقة بمياه النيل أو الترع مدة الفيضان ومعرفة الحالة التي تتغير بها بتغير الزمن . وتكمل هذه المعرفة بموضوع رسوب الطمي في ترع الري أو رسوبه أمام خزان أسوان

وسيتكلم عن طريقته الخاصة لمعرفة كمية الطمي وغيرها من الماصتين الرسمية والكيماوية بعمل سريعة بوزن حساب الطمي في الماء بطريقة صوتية ، كما سيتكلم عن طريقة أخرى استخدم فيها ظاهرة التبادل الصوتي الكهربائي لمعرفة سرعة حبيبات كروية في سائل أو غيره كطمي النيل في الماء ، وهي طريقة يمكن بها كمية الطمي المحمول بالنيل ودراسة الحالة التي يتوزع بها

وسيبين بعد ذلك امتداداً للبحث الأخير توصل بواسطته إلى طريقة لمعرفة كمية الطمي المحمول بالماء عن بعد دون الالتجاء إلى استخدام الأسلاك الكهربائية ، بمعنى أنه يمكن من القاهرة مثلاً تسجيل كمية الطمي المحمول بالنيل في أي وقت من اليوم عند أي جزء من النيل مثل القناطر أو النيل الأزرق أو أمام أسوان

وسيلقى هذا البحث في يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل الساعة ٦ مساء أمام الجمعية في كلية العلوم بسراي الزعفران بالعباسية

## إلى الأستاذ صديق شيبوب

تحية وإخاءً ... وبعد :

قرأت مقتطفكم البحتة الرائعة التي ترجمتموها عن الكاتبة القديرة « سلمى لاجيرلوف » فأعجبتني روعتها وفكرتها وأسلوبها ، وحق لي بعد أن أثني عليك ، مشكوراً على حسن اختيار للترجمة ، أن أعاتب في ترجمة آخر هذه الأقصوصة الخالدة القصيرة

ولكن حبي لأكمل الروائع ، وحرصي على أن تجيء رائعة كاملة ، دفعني إلى أن أشير لك في رفق وهوادة إلى لفظة جاءت في آخر النص أعتقد « أن » من الأولى أن يبدل بأحسن منها رعاية لسياق الكلام ، وانسجام المنطق ، ومناسبة لجو القصة

لقد حكيت في ختام القصة عن شعور الزوجة ، وسطور موجهة من دمى وجهها « ... لا تعبر عن بشاعة الخطيئة ، وجلال الحسن — » وكان الأنسب أن تقول : « وجلال الرحمة » لأن الحسن لا يعمل في نفوس البشر ، إذا كانوا أجناساً مختلفين

ولست أدعي أنني رأيت الأصل الفرنسي ، ولكني أرجح وأكاد أجزم أن تكون الكلمة في هذا الأصل هي « الرحمة » بدلاً من « الحسن »

على أني أستطيع أن أؤكد أن الرأي لك ، وللأصل الفرنسي ، وللأديب السويدي .. وإنما الأمر خلاف ذوق فقط ... لا يمس روعة القصة في قليل أو كثير

وتحياتي لك — أيها الأستاذ — مقرونة بتقديري وإكباري

[illegible]

## عدد التلاميذ بالمدارس المصرية في السنة الماضية

يلاحظ من آخر إحصاء رسمي أصدرته وزارة المعارف أن عدد التلاميذ الذين كانوا يتلقون العلم في السنة الدراسية الماضية ( ١٩٣٨ — ١٩٣٩ ) بالمدارس الأميرية غير الأولية بلغ ٣٩ و٧٧٠ طالباً

من هذا العدد [illegible] مسلماً و[illegible] قبطياً ، ومنه أيضاً ٣٩ر٣٧٩ مصرياً و١٣٨ سودانياً ، وواحد حبشي ، و٩٠ يمنيون ، واثنان أردنيان ، و٥٠ سورياً ، وواحد أرمني ، واثنان من

الإنجليز، وستة من العراقيين، و٣١ فلسطينيا، و٣٣ من العرب، و٥ من الهنود، وواحد من أهل سيام وخمسة من الأفغان وستة من أهل جاوة، وواحد ألماني، واثنان أسبانيان، واثنان تركيان و٣ من اليونان، و٣ من طرابلس، وواحد إيطالي و٧ من حضرموت، و١٩ من كنيا، و٣ من زنجبار، وواحد صيني، وواحد من الجزائر، وخمسة من إيران، و٦ من الفرنسيين

ويؤخذ من الإحصاء المتقدم ذكره، أن عدد الطلاب الذين يتلقون العلم بالمدارس الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف ٧٦,٣٣٦ طالباً وأن عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الأولية والكتاب العامة مليون و ١٩٩,٤٧١ تلميذاً منهم ٧٩٠,٦٤٠ بنين، ٢٧٨,٦٨١ بنات

## المصري المجهول

سيدي الأستاذ الزيات

شغلتني شواغل جمة عن الاطلاع على عدة (الرسالة) الصادرة في الوقت المعتاد فلم أطلع عليها إلا اليوم، ولما وصلت إلى ما تحتويه من عدة للصحة الغرورية وصعدت به حقاً أردت أن أنبه إليه لأن ما في حديثه من اجتهاد المجهول في مكره نشأ في مرسا ونقليه أنه نشأت في منخ من الجبرى سنة ١٩١٦ إلى أغسطس سنة ١٩٢٠ عمد به إلى رئيسه الذي تلقها بدوره إلى رئيس الأحافة، وقفت المكرة وأحضر المتهم واحتال و

في نوفمبر سنة ١٩٢٠ أما طريقة إحضاره فلها قصة طريفة قد نقرأها يوماً في الرسالة إن شاء الله

هذا ما عن لي، وإني لشاكر لكم فضلكم ونشركم لكلمتي

مكاتب القراء المواظبة

## كيان أو لساني؟

سيدي الأستاذ الكبير مدير الرسالة

رأيت ما كتبه الأديب الفاضل عبد الحليم عيسى عن «بيان اللاح» للأستاذ الشاعر علي محمود طه فأعجبني منه أنه كان بعيداً عن الغرض والهوى؛ صريحاً بارعاً في حكمه على شعر الشاعر ومعرفته بين شعرات المعاصرين. غير أني أخالفه في أن كلمة «كياني» أرق من لفظة «لساني» في البيت:

ظلت والنشوة تسري في لساني هاجت الذكرى فأين الهرمان

فهي في موضعها أدق وأبرع بكثير من الأولى، فضلاً عن أنها لفظة شعرية خفيفة موسيقية. أما قوله: إنه لا يتصور تلك النشوة التي تسري في اللسان، فهو دليل على أنه ليس من أرباب الكأس والطاس. وقديماً قال الشاعر العربي حسان بن ثابت

كأنما بها حبيب الصبير طالعني ريحة أرخيتها للمفصل

وغير العربي المفضل بالأطلاء وهكذا ذكر اللسان والخصوص

حامد الفرعي
مصر الجديدة

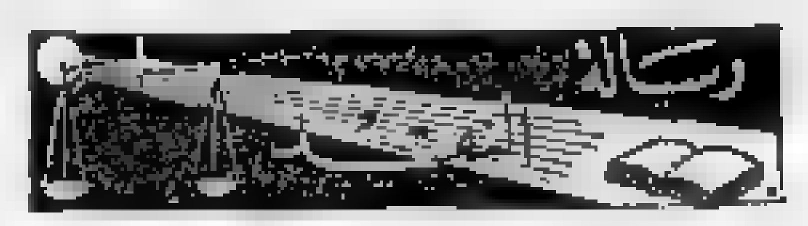

في سبيل العربية

# تصحيح نهاية الأرب

## الجزء الثالث عشر

للأستاذ عبد القادر المغربي

ص ٣ س ٣ قوله: (وتلومت بأمصار من تبع من أهلها) أي أهل كل دولة من دول الطوائف، ومعنى (تلومت) تلفت، ولا يقال في مثل هذا المقام (تلفت) وإنما يقال (ترمت) من كتب اللغة: ترمّ فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظمه وهذا هو المراد هنا. يعني أن الزمان يقوم بالتعظيم من كل دولة ويشيد بذكرهم.

ص ٣ س ٩ قوله: (ولم أصرح في الأمر إلا بالإيثار بالباب) من التصريح بمعنى بدل لا بالباء. من المختار (التصريح على الشيء الإقامة عليه، وفي الحديث لم تصرح أي لم تقم ولم أعتمد بالصبر في صحبة الزمن إلى أن صحبني على كل شيء إلا على الإيثار بالباب) ولم يجدهم ذكروا أن من التصريح يتعدى بالباء، ومن تعديتها بها هنا من فصول الأرب لا من خطأ الناسخ.

ص ١١ س ٢٦ قوله: (فتلمسها) صوابه (فتلمسه) لأن الضمير يرجع إلى التنين، وهو خطأ مطبعي.

ص ٥٣ س ١٤ لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره كان أول من أجاب وصرح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال المؤلف: (وطوى إلى ذات اليمين وهو يقول: أنا أول من يشهد لك بالتوحيد) أخ. قوله (وطوى إلى ذات اليمين) صوابه (وأوى إلى ذات اليمين) أي مال ولجأ إلى الجهة التي تبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها، ومنه قوله تعالى: (إذ أوى الفتية إلى الكهف) (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) وفي الحجازة من الله عليه وسلم إلى جهة اليمين يفيد أنه كان من أهل الجنة السعداء لا من أهل الشمال الأشقياء.

ص ٣٩ س ١٤ لما أخرج آدم وهو الذي الجنة اضطر إلى قضاء الحاجة حكى (ثم أمرهما بالتمسح فتمسحا بالمدر، ثم يتنسلا بالماء) يعني أنه علمهما أدب الاستنجاء في الإسلام، كما علمهما الوضوء فتوضأ وضوء الإسلام. وأدب الاستنجاء كما قال الفقهاء هو الجمع بين المسح والغسل بالماء، فقوله (ثم يتنسلا بالماء) صوابه (ثم يغسلا) أي غسلا الغضو بالماء بعد أن يكونا مسحاه بالمدر أي بالتراب.

ص ٤٦ س ٩ قوله: (وإن شئت فلك مسح بوانات من تمر) يسأل الملك الذي إذا كان يريد أن يبقى في الحياة الدنيا فله مسح بوانات تمر، والبوانات جمع بوانة فقوله (بوانات) بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف.

ص ٦٧ س ١١ قوله: (فقال فتى منهم حدث السن) خطأ صوابه (حديث السن) وعبارة المصباح (يقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حدث بفتحتين) أي من دون إضافة حدث إلى السن.

ص ٩١ س ٦ (وأمسك الله الريح الأربع (فصمت ما كان لأهل الرس من مطالع) أخ... حتى نزل الله بهلاك أهلهم صحبانهم، وفعل الريح في كسح ما كان على وجه الأرض من متاع ونحوه يسمى كسحاً ولذا لا معنى، وصوابه (فصمت) (فقمت) ويقال قممت البيت إذا كنسته، والقمامة: الكناسة.

ص ٩٣ س ٢ كان أهل الرس يعبدون شجرة صنوبر يقال لها (شاه درخت) وقوله (درخت) كتبت هنا بجيم وباء موحدة، وصوابه (درخت) بخاء معجمة وتاء مثناة في الآخر، وهي كلمة فارسية معناها الشجر، ومنه الشجر المسمى (آزدرخت) وأصله بالفارسية (آزاد درخت) وتحرفه عوام الشام إلى (زنزلخت) و (زلزلخت) واسمه بالعربية (ميلاً) و (ميلان). ومما يحسن ذكره أن شجرة الصنوبر التي يعبدها أهل الرس ويسمونها (شاه درخت) لكل (شاه) فيها مذكراً بكلمة Sapin الفرنسية التي معناها شجرة الصنوبر. فهل هذه من ذلك يا ترى؟

ص ٩٣ س ٩ (كان يأتيك عن شجرة الصنوبر المذكورة

في شعر عين يقال لها (دوسف)، وكل (دوسف) كتبت بسين مهملة وياء مثناة في الأصل، وصوابها (دوشاب) بشين معجمة وباء موحدة. قال المقدسي في كتابه «شفاء الغليل»: (الدوشاب نبيذ التمر معرب). وقد ورد لفظ الدوشاب في شعر لأبي النمر، وكذا في شعر لابن الرومي، وفسرها شارح ديوانه بالنبيذ الأسود. وقال السمعاني الدوشابي هو الدبس بالعربية. اهـ قول المقدسي. وسألت إنسانا من سكان دمشق عن (الدوشاب) في عصرهم، فقال هو الشراب. ولا يخفى أن (الشيرج) لفظة تركية معناها عصير العنب الذي اختمر حديثا فأصبح حامضا ولم يصل إلى درجة الإسكار، وهو المسمى بالعربية (مسطار) بضم الميم أو كسرها. وقد اختلفوا في أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين. والحاصل أن (الدوشاب) شراب يتخذ من عصير العنب حيث وجد التي عرض ابن دانيال عليها شعره المذكور آنفا. (صاحب ترجمة)

ص ٩٦ س ١٩: (وهو الذي أتانا كوثاريا من أرض العراق) قوله (كوثا) كذا بالألف، وصوابه (كوثى) بالياء المقصورة لأن (كوثى ربا) سمى كذا واضحة في كتابه (كوثى مسافة إلى ربا) قال صاحب كتاب «مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع»: (وكوثى بالعراق في موضعين (كوثى الطريق) و(كوثى ربا) وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبها مرقد ملح. وقد كتبت (كوثى) بالياء المقصورة في آخرها في القاموس وشرحه (وكوثى بلدة بالعراق وتسمى (كوثى الطريق) و(كوثى ربا) من ناحية أهل بارض العراق نسبا وبها ولد الخليل وطرح في النار) اهـ. وقد كتبت (كوثى) بالياء المقصورة كما ذكرت. فالواجب تصحيحها في هذه الصفحة وص ٩٨ وص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨: (ومثنا إبراهيم قاعدا) كذا بالنصب وصوابه (قاعد) بالرفع على الخبرية كما ورد صحيحا في آخر ص ١٦٩ إذ قال ثم: (ميتا هو مستقل بالذكر)

ص ١٠٨ س ١٠: (وأدخل — أي إبراهيم الخليل — للسجن تحت الأرض) صوابه (المطبق) كما في مستدرك التاج: (المطبق كمحسن سجن تحت الأرض) ويؤيد هذا ما جاء في الصفحة نفسها س ١٥: (وكان إبراهيم يسلي أهل السجن)

ص ١١٢ س ١٠: (فأمر بالتنور فأسجر فطرح إبراهيم فيه) قوله: (فأسجر) مصدره الإسجار. ولم أعثر عليه في كتب اللغة وإنما هو ثلاثي سجره سجرا، ومن المحتمل صحة (فسجر) ولا دخل للطابع في هذا الغلط بل السهو بدر من المؤلف في أي حال.

ص ١١٥ في السطر الرابع وسطور أخرى بعده ورد اسم (سارة) زوجة إبراهيم الخليل مشددة الراء. ولعل الصواب تخفيفها، لأنه كذا عبرانيه معناه «أميرة» كما في قاموس الكتاب المقدس. وقد نسبت دائرة المعارف البستانية إلى تخفيف الراء (سارة) حتى كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) والتخفيف هو الشائع على الألسنة في بلاد الشرق حتى إن معجم اللغة العربية لم تشر في مادة (سرور) إلى أن (سارة) زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربيا بل سكتت عن ذلك. ولعل في سكوتها ما يشعر بأن اسم (سارة) ليس من مادة السرور العربية. وعندي أن هذا هو الصواب إذ لا يعقل أن (ناحور) العبراني والد سارة يسميها باسم عربي في معناه عريق في اشتقاقه، اللهم إلا إذا ادعى مدع أن اسم (سارة) اعجمت عنه العرب إلى لغتهم ثم عربوه، وأفرغوه في قوالبها فشددوا راءه. وروى صاحب القاموس عن الصغاني (امرأة سرة وسارة تسرك) وصحت حتى يذكر أنه آخر قياسا (سارة) وشدد الراء فقلب. ولكن شددت الراء والقاموس يضطرب لحفظه قال: إن حدس هو الذي حدها وأوس الا ينطق اسمه إلا مشددا فلت. لا كلام إلي وكأن حلا يضله أن اسم (سارة) عربي حده واشتقاقا. أما إذا كنا نتحدث عن السيدة (سارة) العبرانية فيحسن أن نخفف اسمها تخفيفا كما سماها أبوها (ناحور)

ص ١٢٥ س ٢٠ (ثم خرجت امرأة لوط وبيدها سراج كأنها تشعل، ضبط هكذا (تشعل) بالبناء للمجهول المبنية على البناء للمجهول من فعل شعل النار وأشعلها إذا ألهبها. ولا معنى لذلك هنا، ولعل صوابه (تشتل) بالتاء المثناة من التشل والاستشال، ولعمري أن امرأة لوط لما علمت بحضور زوجها من الملائكة وهم على شكل غلمان حسان، خرجت في الليل وبيدها السراج توهم زوجها التي ستكشف الخبر أنها مشغولة بأمور المنزل كتعهد خادم أو تفقد دابة وبذلك تنشئ لها أن تخلص إلى فساق قومها فتخبرهم بخبر الضيوف. على أنه يصح أن يكون (تشعل) من إشعال النار فلكي يكون صوابه (تشعله) بضمير النصب والبناء للمعلوم أي توهم زوجها أنها تريد أن تشعل السراج وترفعه

المشتقى، في صحبة بنيها ثم انتهت إلى مسالك نوسها

ص ١٣٣ س ٧ قوله: (حتى بلغ بها إلى البحر) صوابه (بلغ بها البحر) من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه، والقول بأنه متضمن معنى الوصول تكلف لعدم ما يدعو إليه من نكت البلاغة التي تزيد في إيضاح المعنى أو تأكيده، أو تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلغاء عادة في التضمين وإلا كان خطأ

ص ١٣٣ س ١٠ (البانت ملب) كما يقال طريقة أو عروة وصوابه (عيبة) بتاء مربوطة كما هي هاهنا، مع إنها مكتوبة في المصحف الشريف (عيبت) اتباعاً للرسم المأثور

ص ١٣٦ س ٧ (وعلق بنفوس النساء حديث يحدثنه به) يعني أن نسوة المدينة لما سمعن خبر مراودة يوسف زليخا امرأة العزيز حاولن أن يحدثنه وضبط هو (يحدثنه) بالدال المهملة المشددة من حدث عنه إلى أمثاله وصوابه فالنسوة يتحدثن في حديث يوسف وتكونه لأجل امرأة العزيز ولأجل أن يراجع إلى ما يريد منه، ويكون من المقام مقام رويته ولا تقوم غلام وحسن أخلاقه والمحبوب طبعه، وإن الفتاة مقام حب وجفاء، ونسوة أيضاً أحسن وصفاه ومعناه فالأسلوب والأبين بالمقام أن تكون (يتحدثنه) بالفعل المضارع من الفعل الثلاثي (أو التحديث المزيد على الثلاثي المائلة) على معنى أن النسوة حدثن بيوسف وأحدثن في عشقه ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد مثل ذلك حديثه لها وفي سبيل مصحح

ص ١٤٤ س ١٤ قوله: (تباك) صوابه (تأبيك) وهو خطأ مطبعي

ص ١٥١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون ظن فرعون آسية (لأن أم موسى دخلت عليه في حلة المراضع) (حليه) كذا بالباء الموحدة، والحلية حلي النساء ولا معنى له هنا وصوابه (حلية المراضع) بالياء المثناة قال في المصباح الحلية الصفة وقال في الأساس: عرفته بحليته أي بصفته ... لم تعرف أم موسى لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وقل حليه المراضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

٢١٣ س ٨ س: أفواج الملائكة كانت تمر على موسى مكانهم ترجع إلى ... بالتسبيح والتقديس ... أو أحمد أي أنهم كانوا يكونون بسبب سبحهم لله وهو ظاهر

ويكون الأظهر منه بل الأصح في هذا المقام أن يكون (صعب) مصحفة عن (صعق) بقاف في آخره وهو الموت وشدة خروج النفس أي أن هذا الفريق من الملائكة من شدة ما كرروا التسبيح وأكثروا جعلوا يصعقون حتى كاد يطغيهم الضجر وهو انقطاع النفس

٢٢٠ س ٨ س في صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم (يصفون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة) وقد ضبط فعل (يُصفون) بضم الياء للمبالغة مجهولاً أي أنهم قد صففهم صاف. والأصح أن يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفهم فصفوا أي اصطفوا فهو لازم متعد ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً (والصافات صفاً) أي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مقاماتها عبادة لربها ومثل الصف إذا أسند إلى من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال: صف الجند وصفت الملائكة وإلا استعمل مجهولاً: صُفّت النمارق (ونمارق مصفوفة) صُفّت السرر (على سرر مصفوفة)

ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً: (لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلما يرى الحجر من وراء الشجر) قوله (إلا من الحساب) تحريف، وصوابه (إلا مثل الحُسبان) والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغير قصار كالمسال يعني أن أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كمرور السهام، ومروق السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة النفوذ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) ويزيد هذا المعنى وضوحاً قوله بعده: (مثلما يرى الحجر من وراء الشجر) فلا جرم أن الحجر إذا نفذ عبر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص إلى الجهة المقابلة من دون أن يمكث في تحدره أو يعلق عليه شيء منها. وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو وكتبت (مثل ما) هكذا مفصولة ولعل الصواب أن تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٣ س ٣: (صرعوا الخضر خضوعه غير طول) قوله (خضوعه) لعل صوابه (خضوعا) أي خضع كلا من الخضر وموسى وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر، ويشهد لما قلنا قوله بعد: (فلما ركبا في السفينة) بألف التثنية أي الخضر وموسى

ص ٢٥٨ س ١٣: (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام) قوله: (يخنز) بالتاء المثلثة أي يسقط بعد أن كان نابتاً. ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما صوابه (يخنز) بدون

بدلالة ... الشمس والقمر والنجوم ... رأى أن الطعام أصبح
... بسبب عصيان اليهود لأوامر ... ويدل
على صحة ما قلنا قوله بعده (ولم يخبث الطعام) بل حيث يمنع من
أكله. وأصبح للقائم ... الطعام آفة تمنع من أكله أيضا
[illegible]
أكله على أن الطعام لا ... [illegible]
[illegible]

ص ٢٥٩ س ٢٠ (تقول العرب ... أى اخبروا) ...
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ص ٢٧٠ س ... و س ١٥ و س ١٦ ... 
... بنت ... ، فغضب موسى
وأصاب بنو إسرائيل من جراء ذلك الطاعون ...
[illegible]
[illegible]
... وأسند ... إلى ... قال
ومن أجل ذلك ... من كل ذبيحة ...
... أقول : لا يخفى أن ... 
على ... والصدر ... لا يمكن أن يكون
[illegible]
[illegible]
[illegible]
... وهو ما يرفع من الصدر إلى ...
[illegible]
... لا يستطيعون ... إلى ... أو ...
... إلى ... ولا إلى ... على أن ...
أولاد ... لا ... أن ...
[illegible]

ص ٢٧٠ : فى آخر ... يحكى خبر (بلعام) وقد
... على بنى إسرائيل ... قال ...
الأتان وقد وقفت ... (فأتت به) وقفت به ...
صاحب القاموس (... ) ... (وقف

وقفت) بعد قوله (فأتت به) ... 
(وقفت به الأتان وقد وقفت) وهو ... 
وقفت) ... على ... 
... 
أصل ... 
... 

ص ٢٧١ س ٥ (قال موسى ... 
... قوله (بما ... ) ... (كما ... ) أى
... ، وإلا ... (بما) لا يصح ...
الكلام إلا ... 

(المعترض) ...

8me Année No. 357

Lundi 6 - 5 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة — «القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٦ مايو سنة ١٩٤٠» — العدد ٣٥٧

## إشعاع الإيمان

يرسل الإنسان إشعاعاً ينتشر حوله من روحه كلما جلست إليه أو دنوت منه. وهذا الإشعاع يختلف في القوة والضعف وفي الكثافة واللطف باختلاف الروح في أولئك كلهم. ولكن رجل الدين ورجل الحكم يشعان إشعاعاً من نوع آخر يشتق من العالم ما دام متصلاً بالله، ويصدر من الحاكم ما دام متصلاً بالسلطان؛ فإذا انقطع ما بين أحدهما وبين منبع القوة السماوية أو الأرضية انقلب كسائر الناس يُشع على حسب استعداده واتجاهه.

تدخل على رجل السلطان أو تلقاه فتشعر منه مهابة تأخذ من حسك وتكسر من غرورك، فإذا خرجت من مجلسه [illegible]، أو خرج هو من ملكوت سلطانه، وجدته في رأيك كأي أحد بمجموعة الروحية إذا ما عرضت إلى [illegible].

وتمشي إلى رجل الدين أو تراه فتشعر منه بجلالة تملأ صدرك بالرهبة وتملأ نفسك بالسكينة، فإذا غاب عن مجلسه بقي في بصرك نوره وظل في بصيرتك هداه. وذلك هو الفرق بين قوة تستمد من إرادة الإنسان وقوة تستمد من روح الله.

كان هذا الإشعاع الإلهي من رجل الدين يعمل عمله في القلوب والأنفس من غير إرشاد ولا وعظ. كان العالم أو شبه العالم إذا حل قرية أثر في نفوسها بنوره، وعمر أهلها القلوب، يجيئون إليه ويلتفون عليه ويجدون فيه السبيل إلى الله، [illegible]

الفهرس

صفحة

لا يغشى ، ولمقابره حكم لا يرد ، ودموعه ركاً لا تقطع وكنا في ذلك المسجد أحياناً ننظر إلى الشيخ وهو في مجرد أحسب أنه برهان الله ، حيث وهو صامت ، ويؤثر وهو ساكن ، والقوم من حوله مطرقون مستغرقون قد فرغت قلوبهم من مطامع الدنيا وخلت صدورهم من وساوس الشر [illegible] رأيك القرية نفسها بما عند الله يتصل به ما انقطع من الأسباب ، ويقوى عليه ما وهن من الوجد

ذلك لأن الشيوخ كانوا يومئذ يسمعون من الأسباب [illegible] عنهم ودعاءهم وحديثهم لا تحصراً ؛ فإذا قالوا وعظوا ، وإذا صلوا أرشدوا ، وإذا سمعوا كانوا كالأعلام التي تدل بالإشعاع ، أو كالمنائر في البحر تهدي بالشعاع . فلما تشوف العامة إلى رهبة الصمت ، واستشعروا أثر التلصص انطلقت من حولهم هالة الورع فأصبحوا كالناس يسعون ويرمون بالروح ، ويقولون فيسمعون الكتب

• • •

سأقص عليك حديثاً من أحاديث الواقع لا يزال الناس يروونه كلما حلا لهم أن يأووا إلى ظل عربي دينه على لسانه فيستعذب في قوله ، وظل يجري دينه في قلبه فيفتح من سماحه

كان الشيخ [illegible] شيخاً من النمط القديم ، قد شغل فكره بالدين وقصر جهده على العلم ووهب وجوده للأزهر ، فهو يقضي النهار ومعظم الليل في التدريس والتأليف والصلاة ؛ لا يكاد يخرج من درس إلا إلى درس ، ولا يترك ملازمة إلا إلى ملازمة . فإذا جاء يوم الجمعة خرج ماشياً إلى وجوه الأولياء في القاهرة أو في المساجد ، ثم يعود مع المساء عن طريق ضيق معتمد إلى حجرته الأزهرية ذات الفراش الخشن والضوء الشاحب ليجد عزوبة الذي سيلقيه في حلقة السبت

وفي ذات يوم من أيام الجمع وقع في نفسه أن يصلي الجمعة في مسجد أبي العلاء ببولاق ، فخرج من الأزهر في صدر النهار وأخذ يسأل عن الطريق إلى ذلك المسجد والناس يدلونه أو يصدونه حتى وجهه المشير إلى المكان الذي للموصلات

كان الشيخ يسير في هذا الشارع العظيم بسمته الوقور ووجهه المستنير كما يسير الجن في خارج من صوامع سيتد ؛ كان مرسلاً نظر الساحر ومنصرفاً لمشاهد الجديد ؛ ولكنه كان يمشي ذاكر القلب مشغول الخاطر لم يحفل إلى شيء . ثم قطن إلى تقاصر موته حين سمعت به من حين الصلاة بعد أن ضيف به فاستغفر الله وحوقل ، ثم سأل صبياً من صبيان

ذلك الحي أن يدله على مسجد يجدد فيه وضوءه فقد كان يكره أن يمشي على غير وضوء ؛ وكان الصبي حيث القصر [illegible] الشيخ فدله على بيت عروس وقال له : هنا يا سيدي دورة المياه

دخل الشيخ الدار فإذا فتاة كصورة (الفترينة) في [illegible] الأمر قد استخلصت على كتفيها الرشيقة وعلى خصب عارية على رأسها أسبل عينيه وصمم الاستغفار والدعاء ثم قال لها

— سيدي [illegible] يا بني فقد قربت الصلاة وأوشك المصلون أن يجتمعوا

فنهضت الفتاة وقد اعتراها نوع من الوجوم بقاء بين الدهش والعجب فوضعت عليها بعض ثيابها وقالت

— ماذا تريد يا سيدي الشيخ ؟

— أريد أن أتوضأ [illegible] أبناك يقودوني إلى الحنفية ! أليست هذه خدمة المسجد ؟

فأجابت الفتاة وقد أدركت كل شيء .

— بلى يا سيدي أنا ابنته ؛ وسأدلك بنفسي إلى الحنفية فأمنح حيبك والتمس ذلك نفسي

وأرشدت الوصي العالم إلى مكان الطهارة وهو مصطحب الروحي الأليف ، فوقف أمامه ناظراً إلى أداة الزينة وعصور ثمة فاطر ، ولكنه لم يستغرب ، ولم يتعرف ؟ أما يجوز أن يكون في القاهرة طراز من المساجد لم يره ؟

وخرج الشيخ للقنية وتوضأ ، وجاءه الفتاة بمنكر [illegible] ناصع على وجهه فمسحه أرضه ، ثم ألمست عنه المرأة يجلس على الكنبة ريثما تهيئ له فنجاناً من القهوة . فجلس الشيخ يذكر الله ، وجلست عن يمينه على الكنبة وجرم النظر إلى وجهه . فلما عاد الفنجان سألته : إلى أين تذهب ؟ فقال لها إلى مسجد السلطان أبي العلا فخرجت أمام الدار وطلبت عربة من عربات الركوب فأحسب الشيخ بها ، ثم أعطت الحوذي الأجرة وأمرته أن يدله أسير خاشع ورغبت الفتاة أن تقبل يد الشيخ ، ولكنه أدخلها مسرعاً في ثوبه وقال وقد صافى الرب يا بنتي من وضوء جديد أسأل الله لك الهداية والمغفرة

قالوا : ورجعت المرأة إلى دارها وغشيها من الشيخ شعاع نقد إلى ظلام نفسها فأشرقت بالصلاح والخير ، ثم لم تُرَ بعد ذلك اليوم إلا في ثوب الأسود العدة تغيظ أو تحدث تصل !

[illegible]

# صوت فضولي!

للأستاذ عباس محمود العقاد

منذ أسابيع كانت محطة الإذاعة المصرية تنقل إلى الناس أحاديث تنقل من مكان في أرباض القاهرة على ما يظهر.

وكانت الأحاديث تجري على سجيتها بالسؤال والجواب، أو الاستيضاح والتوضيح؛ وإن المتكلمين سائرون، وإن السامعين ليجيبون، وإن الأمور تتوالى دوراً بعد دور، إذا بصوت لم يدعه أحد، ولم يأذن له أحد، ولم ينتظره أحد، ولم يسأله سائل أن يجيب، قد خرق الفضاء وصاح صيحة ثم ذهب بعيداً ... حتى توارى في سحاب الصمت، وغاب عن الأسماع كما هو غائب عن الأبصار

صوت فضولي!

لكنه أحق من أصحاب الدار، ومن المدعوين الأصلاء، ومن سائر الأصوات أن يسمع في هذا الأوان

لأنه صوت الكروان

* * *

الكروان في الربيع، يلقحه الضحى شعر داع

أذكرني هذا الصوت الفضولي احتفال الأمريكيين بذكرى الشاعر الإنجليزي العظيم وليم ووردزورث منذ أعوام

فإنهم ألموا في صومعته التي قضى فيها أكثر أيام حياته سمعاً ينقل إلى عشاق أدبه ما كان يسمعه بأذنيه، ويوحيه هناك في قصيده. فقد كان الوعد المعروف أسمى المحتفلين في الفترة الحديثة إلى أصداء الأثير المنطلقة من تلك الصومعة، فلم يسمعوا رنات العصافير ودقات الساعة القديمة وحفيف الأشجار وحفيف الهواء، وكل ما كان في سمع الشاعر وقلبه وخياله، وفي أوزان شعره وآيات وحيه، كأنهم نقلوا عالم الأطياف كله، فنقلوا أصوات العصافير ومناظر الربيع، كما نقلوا صوت الشاعر من العالم الأخير ومن حصن الخلود المنيع

لكن أطيار ووردزورث كانت مدعوة منتظرة في موعدها المعروف.

أما كرواننا في مصر، فلم يسمع دعوة من الناس، بل كان كل ما سمع دعوة من الربيع وحاد من الأرض والسماء، فلبى وأطاع، ولم يخطر له أنه فضولي في حديث الناس

* * *

ويح هذه الأطيار!

من أقرأها بمواسم الأفلاك؟ ومن أقرأها مواعيد الفصول والحساب؟ ومن أقرأها بمواعيد الأرض والسماء ومواسم الصيف والشتاء؟

إنها تقرأ ...

إنها تقرأ خطوطاً تقصر عنها الأرقام وتقصر الأزياج والمراصد

إنها تقرأ بإشارة وحاسة وذاكرة ومشابهة، وكل ما تشاء من أوصاف الفهم والدراية

ما لك لا تصدق؟ ما لك ترتاب؟ اسمع سؤالاً وجوابه، وأنت خليق أن تعلم بعد ذلك من منا على خطأ، ومن منا على صواب

قد سئل أمس: لماذا تغرد الطير في الربيع؟ لماذا تغازل وتغني في هذا الأوان؟

فلم يعي العلماء في جوابه، وبحثوا وشرحوا، وحسبوا وقلبوا، ثم عادوا إلى السائل قائلين، وهم على أتم يقين:

إن الطير تغني في الربيع لأنها تجد طعاماً موفوراً فيه، وأنها تشبع من ذلك الطعام فتسري فيها حرارة الشبع، فتعرف الحب فتلهمها حب الغناء:

جواب هذا ...

فقل لي عن العلم هذه، أيها الأخ المستدرك أن يسألك السائل كيف عرف الطير الموسم فلحنه بما عرف لأنه عرف الفلك وقرأ التقويم وأحسن الحساب، أم يسألك السائل لماذا تغني في الربيع فتجيبه إنها تغني لأنها تجد الطعام؟

فات على هؤلاء العلماء أن يحسبوا أن الحياة التي تنبت الشجر وتكثر الحب وتملأ المخازن بالطعام، هي تلك التي تبعث الأحياء، ومن يأتي أن تمتلئ الأرض ما تمتلئ وأن يعود إليهم وجدهم بغير عطاء؟

لماذا تخضر الأرض وتشرق الأزهار في الربيع؟

إن هذه لأعجب من تغريد الطير وحركة الحيوان. فإذا استطاع الربيع أن يتمخض بالحياة في خضرة الورقة وفي حسن الزهرة، فما باله يعجز عن انبعاث الطير وتحريك الأحياء؟ وما بالك ترجع إلى الطعام ولا ترجع إلى الذي بعث الحياة في الشجر الأجرد فأصبح طعاماً يأكله من يشاء.

لماذا لا يعم الشعراء هنا ؟

لأنهم لو فعلوه لأصبحوا شعراء ... وقد يتفق العلم والشعر ؟

أما العلم والشعر فعند الله لا يتفقان !

***

ولا عجب أن نسأل العلماء عن الربيع ، فإن الربيع لمن يحسونه لا من يدرسونه ، والذين يحسونه لا يستكثرون عليه أن يعطى الجائزة الأولى ، فضلاً عن البلبل والكروان

فلنسأل الشعراء

والشعراء يقولون إن الربيع شباب الزمان ، صدقوا ، أي تعريف للربيع أبلغ من هذا التعريف ؟

ثم ما الشباب ؟

قالوا : الشباب ربيع العمر ، وصدقوا أيضاً ، فأي أوان في العمر هو أشبه بالربيع من أوان الشباب !

لكن ما الربيع والعمر معاً معشر الشعراء ؟

هنا يسكت أصدق الشعراء ، لأنهم لا يحبون الاستقصاء ، ولا يتعقبون الأشياء على الأصل والرياء

فيكون الشباب ربيع العمر

ويكون الربيع شباب الزمان

ويكون ذلك تعريفاً لمن يحسون ، أما الذين لا يحسون فهم محرومون ، ولا هم يعرفون

***

وكثير من الذين يحسون قد عرفوا للشباب علامات ، ولكن لم يحصروه بالسنوات ، ولا بالأوقات

فقال الموسيقار موريس [illegible] : « إنك شاب إذا استطاعت امرأة أن تضحكك واستطاعت أن تبكيك ، وإنك كهل إذا استطاعت إضحاكك ولم تستطع إبكاءك ، وإنك شيخ إذا عجزت عن هذا وذاك »

وقالت ظريفة فرنسية : إنك شاب إذا أكلت علبة من الحلوى كل يوم واستمرأت أكلها ، وإنك أكبر عمراً إذا قلت إن الحلوى تسبب زكاماً ، ولكنك تأكلها مع ذلك ، وإنك شيخ بائس إذا امتنعت عن أكلها وعن ذمها وعن اشتهائها

وقالت : « إنك لشاب إذا أنت أعجبت بالكتب والروايات وتأخر النوم إلى سكريك ، وإنك لأكبر عمراً إذا أنت آثرت عنها ما يضحكك ويسليك ، وإنك شيخ إذا أفسحت منها ما يبكيك ويحبسك على الفراش »

وقالت غيرها : « أنت شابة إذا نظرت أول ما تنظرين إلى عيني الرجل ، وأنت أكبر عمراً إذا نظرت أول ما تنظرين إلى يديه »

وقالت : « أنت شابة إذا رأيت الفتاة على ... كأنك ، وأنت أكبر عمراً إذا آثرت الفتاة على جمالك وصباك »

وقالت : « أنت شابة إذا أصغت الفتيات صامت معك في النوم ، وأنت أكبر عمراً إذا اطلعت أمرها ما بينه وبين الصباح »

***

علامات صادقة ، لأنها أصدق من توقيت الشباب بالساعة واليوم ، ومن حصره بالحصص والتقويمات

وهي صادقة أيضاً لأن المغالطة فيها تجوز حين لا تجوز في مواقيت السنين أو في عدد الشيب والغضون

كان كليمنصو يوم بلوغه الثمانين يتمشى مع بعض الشبان في الشانزليزيه ، فمرت بهما صبية فاتنة ، والتفتت إليها أعين المتعلقين ، فإذا بالوزير العجوز يتنهد ويقول كأنه يمزح : ألا ليتني أعود إلى السبعين كرة أخرى !

ثم قال السبعين ولم يقل العشرين أو الثلاثين ، أو الأربعين والخمسين !

لو كان يعلم أن الأمنية تستجاب لتمنى العشرين والثلاثين ، ولم يتمن السبعين

ولكنها لا تستجاب ، فخير له إذن ألا يشهد على نفسه بالامتناع وألا يوسع المسافة بينه وبين أيام الشباب ... فلأن يكون بينه وبين متعة الحياة عشر سنوات ، خير من أن يكون سقطاً ما بينه وبين الجنة خمسون سنة ، وهو في لجة الأماني والأحلام !

***

سل الشعراء يحدثوك عن علامات الشباب ودلالاته ، ولا تسألهم عن حدوده وأرقامه ، فهم خليقون أن يجيبوا هذا السؤال جواباً كجواب العرافين والعرافات يرضي كل سائل ويحجب كل سن ويشجع طالب المغالطة على نفسه

ومن الذي يأبى أن يثبت شبابه إذا كان الدليل عليه بكاء من رواية أو صورة متحركة أو كتاب !

# فن الحيــــاة

## للدكتور إبراهيم ناجي

الحياة فن جميل ، لا ، بل هي فن من أصعب الفنون وأشقها ، تكون فيه فناناً واحداً ، هو فن الحياة

وأكثر الناس لا يعرفون كيف يعيشون . أجل ، أكثر الناس يتخبطون في ظلام دامس ، ولذلك تكون حياتهم شقاء لم السبب فيه

قد تعترضون بأن من أسباب الشقاء ما لا قبل لنا به ولا يد ولا رأى ؟ ولكني أرد بأن أكثر الشقاء ولا أقول كله — هو من خلقنا ومن صنع أيدينا ومن جهلنا في وجه حياتنا

قلت إن الحياة فن

ولكن ما هي الحياة أولاً ؟ وما هو الفن ثانياً ؟

الحياة مطابقة تامة بين القوى الخارجية والقوى الداخلية ، والفن هو القدرة والاستطاعة على المطابقة أي الملاءمة بين الداخل والخارج

ومن الذي يسعى في إيجاد هذه الملاءمة إذا كانت الحياة أصعب الفنون ؟

الشباب هو ربيع العمر ، وربيع العمر له علامات وليست له حدود

والربيع هو شباب الطبيعة والزمن في شبابه يستمع إلى غناء الطير وغناء الكروان ، ولا عجب من أجل العندليب والحسون

فيكون كروان مصوباً في النزاع بين صوت الشاء والأعداء ، أنا هو المصروف في الربيع بين أرض الأرض ورواسي السماء

هو يصحو بكل ورقة على كل شجرة

هو صاحب بيت

هو دائع في وقته الخالد ، ربيع الطير الذي بعث الحياة ، وليس ربيع الإنسان الذي يرعوه لارتفاع الأرواح وترتفع الأيدي

إن صوت الكروان صوت تقول في هذا الربيع ، لأنه تنزل بين صفير الرصاص ودوى القذيفة ، وبه من نشوة جميل عباس محمود العقاد

فالحياة والفن من عنصر واحد ، فالحياة فن والفن الحياة

قلت إن الحياة ملاءمة بين ما في الخارج والداخل ، ونعنى العالم الخارجي (الماكروكوزم) أو العالم الكبير ، والعالم الداخلي (الميكروكوزم) أو العالم الصغير

فما معنى هذا ؟

معناه أن انعكاس العالم الخارجي على مرآة أنفسنا هو الذي يشكل الحياة ويعطيها الصورة الخاصة بكل منا ، وكلما كانت الصورة المنعكسة على مرآة أنفسنا مطابقة للأصل كانت الحياة أقرب إلى الفن والكمال

وكلما كانت الصورة مشوهة أو مغلوطة أو مبتورة كانت الحياة بعيدة عن الفن والكمال

كيف إذن نحصل على هذه الصورة دالة على حقيقتها ، وكيف نحتفظ بها في أحلك ظروفنا في يوم عصيب حين ؟

إننا في حياتنا نقوم بالحياة بأشياء كثيرة مختلفة منها التفكير والحب والعمل

والتفكير فن والحب فن والعمل فن

وقد قسم العلماء التفكير إلى نوعين : التفكير بالجسد والتفكير بالكلمة

والتفكير بالجسد أقدمه وأبسطه ، ولكنه محدود بحيز الأمس ، من ذلك التفكير تفكير الطفل الذي يحبو والطفل الذي يقرب ميدان يتحرك بالجد والكد أو القدم ، وهذا يسمى تفكير الغريزة ويقول أصحابه هو ... إنه أرقى أنواع التفكير هو الذي ينتقل من التفكير إلى الغريزة ... يعنى به ذلك الذي ينتقل من دور التحليل والتعلم إلى دور التنفيذ التام وصاحبه الغريزة التي تدل على نفسه ، بحيث تقوم بالعمل وتؤديه على أحسن حال

وهناك التفكير بالكلمة ، وهو أحدث أنواع التفكير عمراً وأبعدها مدى ، وهو كذلك أكثرها تمسكاً وإيجاباً ... كله واحدة تمثل شيئاً ، وتعنى مدلولاً ، وتعبر نظاماً ... وإن كل واحدة في ميدان السياسة أو الاقتصاد تعبر أي تعبير وتؤدي أي تأويل

ما هي قواعد التفكير السليم ؟

إن التفكير السليم شيء ... كما ... أي شيء

فالإنسان له حزمة من العوائد كما قال وليم جيمس

والتفكير السليم يكون أساسه أمرين :

الأول : الإيمان بالقواعد التي أثبتت الأجيال صحتها والتقاليد المتوارثة على التسليم بها . تلك أصول ثابتة في النفس الإنسانية لا سبيل إلى إنكارها والانتقاص منها ، وعبث محاولة التفلت من حدود البحث في أعمق أعماق السرائر الإنسانية والذهاب هناك ، وإنما الشجرة التي تنمو من تلك الأعماق وتصل إلى النور والشمس هي التي يباح لها أن تعلو وتتطاول وتبحث حول ذلك مثل الطيور التي يستكن وهو بعد جزء من البيض الذي ينتظر إثارته ليتغذى ، ثم ينتصر

والأمر الثاني ، الأساس الثاني للتفكير هو أمر ديكارتي محض ، وديكارت أي ... بعظمة العقل الإنساني وإمكانه التحليل والتعليل والوصول وهو يرى قدرته على الشك للتثبت إلى قواعد ثابتة من القضايا المنطقية التي أصبحت الإنسانية من جيل لجيل

ويتفرع من الأمرين أمر جدير بالتدبر

وهو أنه لكي نكون الصورة الجلية في تصورنا لطبيعة المرأة غير مزعجة ، يجب أن نتجنب الأوهام والخزعبلات والأباطيل ، ويجب أن نستبعد الفكر الزائفة والأقاويل المبهمة والترهات .

هذا أساس التفكير وهو الفن الأول

أما الفن الثاني فهو الحب ، ويتفرع منه الصداقة أو هو أبوها وسيدها

إن رأى برويد أن الدنيا قامت على الحب وعلى الحب وحده ، وقد تختلف صوره وتتباين أشكاله . فهو حب الوالدين حينا والرفاق حينا والجنس المخالف ما تبقى منه . وهو عنده قريب جدا من ... كالقطار يسير من محطة إلى أخرى ما يقف منه أو انقصد منه أو شيء ، يغير وجه الحياة كلها

ويقول علماء التحليل : إن القلب والشابة في سن المراهقة يتمثلان صورة المثل الأعلى كل في مخيلته ، والأصل في المثل الأعلى عند الشاب امرأة ، وعند المرأة رجل ، ولكنه لما كان في ذلك السن يستحيل تحقيق ذلك المثل ، فإن المراهق ينصرف إلى تحويل المثل الأعلى على سواه ، فهنا يكون ذلك شعراً ، وحينا يكون موسيقى ، وحينا تصويراً

ومن هنا الفنون الجميلة

فإذا أردنا أن نعيش حراً من أحلام الشباب ... أن يعرف كل منهما كيف يحب وكيف يستبق ذلك الحب

وإذا عرف كيف يستبق حبه عرف كيف يستبق سعادته

فيجب على الرجل أن يدرس أولاً طبيعة الحب ، وثانياً طبيعة المرأة . ويجب على المرأة أن تدرس أولاً طبيعة الحب ، وثانياً طبيعة الرجل ، فأكثر الخلافات سببها شيء من سوء الفهم ، كل يتهم الآخر بما ليس فيه ، أو يحسب أنه ما ليس عنده

فالحب ليس عنصراً واحداً بسيطاً ، بل هو مزيج مركب من الإعجاب ، والجنس ، وحب التملك ، والاتحاد

فلا بد من الإعجاب أولاً . لا بد من تلك الصدمة التي تعتري الإنسان أولاً ، وثانياً ، لا بد أن يكون طبيعياً كما أرادت الطبيعة وثالثاً لا بد من أن يحب الواحد منهما الآخر حباً يرى الاتحاد به ثم يكشف النفس ويفتح مغاليق القلب من غير تكلف ولا تصنع ثم أخيراً لا بد أن يتحد الواحد بالآخر ، لا بد أن يتآلفا وتتفق الميول وتتشابه الأهواء . ويقول العلماء إن هذا الاتحاد هو الأساس الذي يربط العناصر الأخرى بعضها ببعض

وطبيعة الرجل في أساسها أنه مقاتل مفروض فيه القوة والجبروت والسيطرة على الحياة ، مفروض أنه محتمل التجارب

وطبيعة المرأة في أساسها الأمومة ، وما يتفرع عن ذلك من حنان

وفي الفن تجد الوسادة الرحيمة للمتعدي ، وتعني له المثل المادي الجميل فمفروض فيه أنها تنال بالمساعدة والوداعة والصبر ، ما دام أساس طبيعتها الحنان ، حنان الأمومة فيها مهما ... وكبرت ، يجب أن يعرف الرجل أنه في وسط العاصفة كالربان للسفن في البحر الثائر يصبر على العاصفة ولا يكترث ، ويشكر له الصبر ولا يزال يحبه

وهنا التشاؤم من الفهم عند كليهما تبقى المحبة بينهما ثابتة ، ويجب أن نؤكد أن أساس الحب والصداقة معاً ، أن يتحرر الإنسان من الأنانية . يجب أن يعطى لكي يأخذ ، فأكثر الناس يأخذون ولا يعطون ، وذلك يحبون أنفسهم ويعشقون أحلامهم

ونؤكد أكثر من هذا أن أساس المحبة والصداقة أمور

صغيرة تقوم عليها الحياة ، وتقوم عليها الدنيا ، وتقوم عليها المحبة والصداقة

فالعظائم لا يقوم بها الرجل الذي لا يقوم بالأمور الصغيرة في شكل منظم ، وكيف تقوم بالأمور الصغيرة في شكل منظم ؟

إننا في الغالب ننسى المناسبات الصغيرة التي لو تذكرناها لذكرنا أصدقاءنا أو أحبابنا [illegible] المناسبة البهيجة أحببنا أو أصدقاءنا بقيود تبقى مدى الحياة ، كلمة صغيرة ، هدية تافهة ، لفتة لتهنئة [illegible] السؤال عنهم [illegible] في عيد الميلاد ، تلك أشياء [illegible] كثيراً ، وبذلك تفتر الصداقات وتموت المحبات ونتيجة تلك الأمور التافهة ..

* * *

هذا من الطب ، ويبقى شيء من العمل

العمل قوام الحياة والدعامة التي تقوم عليها ، بل هو الضريبة التي نشتري ونؤديها لننفي متاعبنا وأحزاننا [illegible] في شاغل من همنا ، لا نبالي بمشكلات الناس ، ولا بأقاويلهم ، ولا بمضايقاتهم . ولكن هل مجرد العمل يكفي ؟

كلا ، لا بد أن يكون العمل مثمراً ، لا بد من الحق الذهني ، لا بد من الراحة بعد التعب ، والراحة ذلك الحق الشاق !

[illegible] حقيقة أن المواهب تختلف ، وأن الله ينعم على بعضنا بالعبقرية ويحجبها عن [illegible]

ولكن حتى العبقرية تموت إذا لم يتعهدها العمل المنظم . رحم الله شوقي حين قال : « العبقري يجري بالمثقال ! »

لقد كان جبينه لا يخلو من [illegible]

وكانت [illegible] ، وهو العبقري المشهور

وكان لا يخجل أن يطرده الزائر البعيد

وكان يقول لمن يشهد في جرأة : أرجوك أن تنصرف ، فإني مشغول

وفي الأمثال : أقل القليل من عمل منظم !

ولكننا نقول ونعمل ، وبذلك نضيع وقتنا

ومن أسرار السعادة أن تتبع الأكثر ، ولا تتبع سبيل [illegible] وقد قال المرحوم أحمد عبد الوهاب باشا : إن من أسرار النجاح أن تقول « لا » حين يجب أن تقولها

إن هذا الشرط ضرب من البؤس [illegible] التي يتغير بوساطتها الزمن [illegible]

وقد قال أحد [illegible] : إن آلة [illegible] وسطاً به « [illegible] » لا يستخدمها أحد !

قال إديسون: إن العبقرية ٩٩ ٪ عرق !

يعني أن العبقرية لا تعني الكسل ، بل الجهد الدائم ، والحيوية المتدفقة

ولقد يخيل الذي يرى أثر العبقرية في الفنون ، أن القصيدة أو الرسم ، التي قد يقوم به العبقري في ساعة أو يحسبها من نتاج العبقرية وحدها [illegible] خطأ واحداً [illegible] سنين ، [illegible] ، ولكن [illegible] حلاوة [illegible] وأزمان من التعب والنصب

وينبغي في العمل أن تتخلله الراحة ، ولا [illegible] أحد [illegible] ولا يتخيلن أحد أن الإنسان في راحته تنقطع الصلة بينه وبين عمله ... كلا . فالعقل الباطن يشتغل دائماً ، والإنسان في الراحة [illegible]

* * *

هذه أسرار الحياة [illegible]

فلعلي أكون قد أصبت الحقيقة ، والسلام عليكم ورحمة الله

إبراهيم [illegible]

في الاجتماع اللغوي

# نشأة اللغـــة الانسانية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

---

استأثرت هذه المشكلة بقسط غير يسير من نشاط الباحثين في مختلف العصور، وذهب العلماء بصددها مذاهب شتى ترجع أهمها إلى أربع نظريات.

(النظرية الأولى) تقرر أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى إلهام إلهي هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء. وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني هيراكليت Héraclite[1]، وفي العصور الوسطى بعض الباحثين في فقه اللغة العربية، كابن فارس في كتابه الصاحبي[2]؛ وفي العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسهم الأب لامي Lami في كتابه فن الكلام L'Art de parler[3]، والفيلسوف الفرنسي دو بونالد De Bonald في كتابه التشريع القديم Législation primitive[4].

ولا يكاد أصحاب هذه النظرية يقدمون حججاً يعتد بها، فمعظمهم دليلاً عقلياً يعتد به. أما أدلتهم النقلية، فمعظمها يحتمل التأويل، وبعضها يكاد يكون دليلاً عليهم لا لهم. فالزاعمون هذا الرأي من باحثي العرب يعتمدون على قوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها». وهذا النص، كما نرى، ليس صريحاً فيما يذهبون إليه، إذ يحتمل أن يكون معناه — كما ذكر ذلك ابن جني في كتابه الخصائص وذهب إليه كثير من أئمة التفسير — أن الله أقدر الإنسان على وضع الألفاظ. أما القائلون بهذه النظرية من الفرنجة يعتمدون على ما ورد بهذا الصدد في سفر التكوين إذ يقول: «والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها، وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول[1]».

وهذا النص، كما نرى، لا يدل على شيء مما يقول به أصحاب هذه النظرية؛ بل يكاد يكون دليلاً عليهم. ومهما يكن من شيء، فلا سند لهذا الدليل النقلي أمام البحث العلمي.

(النظرية الثانية) تقرر أن اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالاً. وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة ديموكريت Démocrite، من فلاسفة اليونان في القرن الخامس ق. م؛ وفي العصور الوسطى أكثر من الباحثين في فقه اللغة العربية؛ وفي العصور الحديثة الفلاسفة الإنجليز آدم سميث وريد ودوجلد ستيوارت Adam Smith, Reid, Dugald Stewart

وليس لهذه النظرية أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل إن ما تقرره يتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية. فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها. هذا إلى أن التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون[2]. فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل[3].

فلسنا هنا بصدد نظرية جديرة بالمناقشة، بل بصدد تخمين خيالي وفرض عقيم يحمل في طيه آية بطلانه. وقد ذهب المفسرون له في تصوير نشأة اللغة مذاهب مضحكة غريبة تدل أبلغ دلالة على مبلغ انحرافه عن جادة الصواب ومنطق العقول. وإليك بعض ما يقوله بعضهم بهذا الصدد: «إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة. وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء فيضعوا لكل منها سمة ولفظاً يدل عليه ويغني عن إحضاره أمام البصر. وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلاً

(1) فيلسوف إغريقي من المدرسة اليونانية ولد حوالي سنة ... ق. م. ونسبة هذا الرأي له ليست يقينية.

(2) أنظر الصاحبي صفحات ٥ — ٩. وقد مال إلى هذا الرأي كذلك ابن جني في كتابه الخصائص (أنظر ص ٤٠) ولكن كان قد رد في أول الفصل على ما يعتمد عليه القائلون به وانتهى إلى أنه لا يجد دليلاً له.

(3) هو عالم فرنسي لاهوتي Don François Lami ولد سنة ١٦٣٦ وتوفي سنة ١٧١١ وقد قام بتدريس الفلسفة في كثير من المعاهد الدينية بفرنسا. وإليه يرجع الفضل في نشر آراء الفيلسوف ديكارت بهذه المعاهد.

(4) ولد سنة ١٧٥٤ وتوفي سنة ١٨٤٠ وله مؤلفات كثيرة في السياسة والفلسفة.

(1) أنظر الآيتين ١٩ و ٢٠ من الإصحاح الثاني من سفر التكوين.

(2) سيأتي توضيح هذا في النظرية الثالثة.

(3) انظر في الرد على هذه النظرية:

Renan: L'Origine du langage. P. 78 et suiv.

على شخص وجهوا إليه كلتين : إنسان ، إنسان ، إنسان ! فتصبح هذه الكلمة اسماً له . وإذا أرادوا أن يعبروا عن عينه أو يده أو رأسه أو قدمه ، أشاروا إلى العضو وقالوا : يد ، عين ، رأس ، قدم ... ويسيرون على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء ، وفي الأفعال والظروف وفي المعاني الكلية والأمور المعنوية نفسها(١) . وبذلك تنشأ اللغة العربية مثلاً . ثم تتطور بعد ذلك حاجة منهم إلى أن يصنعوا كلا « تمر » بدل إنسان ، وكلا « تمرّ » بدل رأس .. وهكذا ، فتنشأ اللغة الفرنسية ... »(٢)

( النظرية الثالثة ) تقرر أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة زوّد بها في الأصل جميع أفراد النوع الإنساني ؛ وأن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به ، كما أن غريزة « التعبير الطبيعي عن الانفعالات »(٣) تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة ( انقباض الأسارير وانبساطها ، وهز الرأس ، والضحك ، والبكاء ... الخ ) كلما قامت به حالة انفعالية معينة ( الغضب ، الخوف ، الفرح ، السرور ... الخ ) ؛ وأنها كانت متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها ؛ وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الإنسانية الأولى فاستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم ؛ وأنه بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة ؛ فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً حتى تلاشت كما انقرض لهذا السبب كثير من الغرائز الإنسانية القديمة . ومن أشهر من ذهب هذا المذهب العلامة الألماني مكس مولر Max Müller والعلامة الفرنسي رينان Renan .

وقد اعتمد مكس مولر في تأييد هذه النظرية على ما استخلصه من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوربية . فقد ظهر له أن مفردات هذه اللغات ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك ؛ وأن هذه الأصول تمثل اللغة الأولى التي انشعبت منها هذه الفصيلة ، بل تمثل اللغة الإنسانية في أقدم عصورها . وتبين له من تحليل هذه الأصول أنها تدل على معان كلية ؛ وأنه لا تشابه مطلقاً بين أصواتها ، وما تدل عليه من فعل أو حالة في دلالتها على معان كلية ؛ وهذا دليل على أن الكلمات الأولى لم تكن نتيجة تواضع واتفاق ، كما يذهب إلى ذلك أصحاب النظرية الثانية السابق ذكرها ، لأن التواضع نفسه لا يتم إلا بعد [illegible] مع طبيعة النظم الاجتماعية كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ويتوقف هو نفسه على وسيلة يتفاهم بها المتواضعون . وهذه الوسيلة لا يعقل أن تكون اللغة الصوتية ؛ لأن المفروض أن التواضع هو أول ما نطق به الإنسان من هذه اللغة ؛ ولا يعقل كذلك أن تكون لغة الإشارة ، لأننا بصدد ألفاظ تدل على معان كلية أو على أمور معنوية يتعذر استخدام الإشارة الحسية فيها .

ويدل عدم وجود تشابه بين أصواتها وما تدل عليه ، على تعذر القول بأن اللغة الإنسانية قد نشأت من محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة ( أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات ) وأصوات الحيوانات والأشياء ، كما يذهب إلى ذلك أصحاب النظرية الرابعة التي سنتكلم عنها قريباً .

وإذا ثبت أن اللغة الإنسانية ليست نتيجة تواضع واتفاق ! وثبت كذلك أنها لم تنشأ من محاكاة الإنسان لأصواته الطبيعية وأصوات الحيوانات والأشياء ، لم يبق إلا تفسير معقول لهذه الظاهرة غير التفسير السابق ذكره ؛ وهو أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زود بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع ، كما زود بغريزة التعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة(١) .

وهذه النظرية على ما فيها من دقة وطرافة وعمق في البحث ، فاسدة من عدة وجوه :

١ — فهي لا تحل شيئاً من المشكلة التي نحن بصددها بل تكتفي بأن تضع مكانها مشكلة أخرى أكثر منها غموضاً ، وهي مشكلة « الغريزة الكلامية » !

٢ — هذا إلى أن ما تقرره بصدد [illegible] من بعض الوجوه من قبيل تفسير الشيء بنفسه . فكل ما تقوله يمكن تلخيصه في العبارة الآتية : « إن الإنسان قد نطق أصواتاً مركبة ذات مقاطع ودلالات مقصودة لأنه كانت لديه غريزة تحمله على النطق بهذا النوع من الأصوات » وهذا ، كما لا يخفى ، مجرد تقرير للمشكلة بصيغة أخرى .

٣ — على أن غريزة الإنسان الفطرية أو المكتسبة على النطق

(١) لم يبين أصحاب هذه النظرية كيف أمكن التواضع على الكلمات الدالة على الأفعال والظروف والمعاني الكلية ، مع أن هذه الأمور ليس لها في الخارج مدلول حسي يشير إليه المتواضعون

(٢) نقلا عن ابن جني بتصرف يسير : الخصائص جـ١ ص ٤٣ و [illegible]

(٣) انظر في شرح هذا التعبير كتابي [illegible] ص ٢٠٣

(١) أنظر الدرس الخامس من كتاب علم اللغة لمكس مولر

هذا النوع من الأصوات ليست موضوع البحث ، وإنما الذي يهمنا هو الوقوف على أول مظهر لاستغلال هذه القدرة والانتفاع بها في تكوين الكلام الإنساني ، أي البحث عن الأصوات التي صدر عنها الإنسان في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات معينة ، والكشف عن الوسائل التي وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره .

٤ — وأكبر خطأ وقعت فيه هذه النظرية هو ذهابها إلى أن الأصول الحسية السابق ذكرها تمثل اللغة الإنسانية الأولى وهذه الأصول ، كما تقدم ، تدل على معان كلية . ومن الواضح أن إدراك المعاني الكلية يتوقف على درجة عقلية راقية لا يتصور وجودها في فاتحة النشأة الإنسانية . وها هي ذي الأمم البدائية التي تعد أصدق ممثل للإنسانية الأولى توجد ، كما يقول ( ... ) جميع علماء الأنثروبولوجيا الذين عنوا بدراسة هذه الأمم بأمريكا وأستراليا وأفريقيا وغيرها ، على مستوى ضئيل جداً من القدرة على إدراك المعاني الكلية في كثير من مظاهرها ، وقد كان لهذه الناحية صدى كبير في لغاتهم ؛ فلا تكاد تجد في كثير منها لفظاً يدل على معنى كلي . ففي لغة الهنود الحمر مثلاً يوجد لفظ للدلالة على شجرة البلوط الحمراء ، وآخر للدلالة على شجرة البلوط السوداء ، وهكذا ؛ ولكن لا يوجد أي لفظ للدلالة على شجرة البلوط ، ومن باب أولى لا يوجد أي لفظ للدلالة على الشجرة على العموم[1] . وفي لغة الهورونيين Hurons ( من السكان الأصليين لأمريكا الشمالية ) يوجد لكل حالة من حالات الفعل الذهني لفظ خاص بها ؛ ولكن لا يوجد فعل عام يدل عليه . فيوجد لفظ للتعبير عن الأكل في حالة ... ولفظ آخر للتعبير عنه في حالة ... وثالث في حالة ... ورابع في حالة ... وهكذا ؛ ولكن لا يوجد فعل ولا مصدر للدلالة على الأكل على العموم أو الأكل المجرد ... وفي لغة السكان الأصليين ... Tasmanie ( جنوب أستراليا ) لا يوجد من ... لفظ يدل على الصفة ... أرادوا وصف شيء بها لجأوا إلى تشبيهه بآخر مشتمل على الصفة المقصودة ؛ فيقولون مثلاً ... كشجرة ... إذا أرادوا وصفه بالطول[2] .

ولذلك يرى المحدثون من علماء اللغة ، ومن علماء الاجتماع اللغوي أن الأصول الحسية السابق ذكرها لا تمثل أي شيء من اللغة الإنسانية الأولى كما يذهب إلى ذلك ماكس مولر وأنها ... مرحلة حديثة قطعت شوطاً كبيراً في سبيل الرقي والكمال ، ولم تصل إليها الأمم الإنسانية إلا بعد أن ارتقت عقليتها ونضج تفكيرها . ويذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فيقرر أنها مجرد أصول نظرية ، وأنها لم تكن يوماً ما موضوع لغة إنسانية[1] .

( النظرية الرابعة ) ترى أن اللغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطبيعية ( أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات ، أصوات الحيوانات ، أصوات مظاهر الطبيعة ، الأصوات التي تحدثها الأفعال الإنسانية وغيرها ... الخ ) وسارت في سبيل الرقي شيئاً فشيئاً تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجات الإنسان ... وما إلى ذلك . وقد ذهب إلى هذا الرأي معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة ويتني Whitney[2] وذهب إلى مثله من قبل هؤلاء كثير من فلاسفة العصور القديمة ومن مؤلفي العرب في العصور الوسطى فقد تحدث عنه ابن جني ( المتوفى سنة ٣٩٢ هـ وهو من علماء اللغة ) بكتابه الخصائص في ... يدل على صحة ... القائلين به من ...[3]

فبحسب هذه النظرية يكون الإنسان قد اتخذ في هذا السبيل عدة ... أصواته الطبيعية التي تعبر عن الانفعالات كأصوات الفرح والحزن والرعب ... وما إليها ، وعدة أصوات الحيوان ومظاهر الطبيعة والأشياء كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وحفيف الشجر وقعقعة الرحى وصهيل الفرس وصرير الباب وصوت القطع والضرب ... وهلم جرا . وكان يقصد من هذه الحكاية التعبير عن الشيء الذي يصدر منه الصوت المحاكي أو عما يلازمه أو يصاحبه من حالات وشئون ، واستخدم في هذه الحكاية ما زود به من قدرة على النطق بأصوات مركبة ذات مقاطع ؛ فكان يحاكي هذه الأصوات المبهمة ويصوغها في أصوات منطقية قريبة منها ( كما لو قال مثلاً ... التعبير عن صوت الضحك ) وكانت

(١) هذا هو رأي ... Dupuy, Ribot أنظر في ذلك Ribot, op. cit. II, 112

(٢) من أشهر المحدثين من علماء اللغة الأمريكية وله في هذا العلم مؤلفات كثيرة منها « حياة اللغة » ( طبع سنة ١٨٧٥ ) و « اللغة ودراستها » ( طبع سنة ١٨٦٧ ) .

(٣) أنظر الخصائص صفحة ... ويذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل » .

(١) أنظر : ... Evolution des Idées Générales p. ...

(٢) أنظر : Ribot : op. cit. 173, 174

لغته في مبدأ أمرها محدودة الألفاظ، قليلة التنوع، قريبة الشبه بالأصوات الطبيعية التي أخذت عنها، قاصرة عن الدلالة على المقصود؛ فكانت لا بد لها من مساعد يصحبها فيوضح مدلولاتها ويعين على إدراك ما ترمي إليه. وقد وجد الإنسان خير مساعد لها في الإشارات اليدوية والحركات الجسمية، وهذا المساعد الإيحائي قد نشأ هو نفسه عن الحركات الفطرية التي تصحب الانفعالات؛ فكان في مبدأ أمره مجرد محاكاة إرادية لهذه الحركات. ثم توسع الإنسان في استعماله فحاكى به أشكال الأشياء وحجومها ومظاهرها ... وما إلى ذلك، فازدهرت أهميته في التعبير، ووجد مجالاً كبيراً في اللغة الصوتية. ثم أخذت هذه اللغة تتسع خطاها تبعاً لارتقاء التفكير، واتساع حاجات الإنسان ومظاهر حضارته، وتستغني شيئاً فشيئاً عن مساعدة الإشارات، وتبعد عن أصولها الأولى تحت تأثير عوامل كثيرة كالتطورات الطبيعية التي تعتور الصوت، وأعضاء النطق الإنساني، وكالتطورات المجازية والاشتقاقية التي تعتور الدلالات ... وما إلى ذلك.

وهذه النظرية هي أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية.

ولم يقم أي دليل ناهض على بطلان هذه النظرية؛ ولكن لم يقم كذلك أي دليل قاطع على صحتها، وكل ما يذكر لتأييدها لا يصلح بمفرده، وإنما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها.

ومن أهم أدلتها أن المراحل التي مرت بها بعض اللغات الإنسانية تتفق في كثير من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل؛ فقد ثبت أن الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام يلجأ في تعبيره الإرادي إلى محاكاة الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات، أصوات الحيوان، أصوات مظاهر الطبيعة، أصوات الأشياء ... الخ) ويحاكي الصوت قاصداً التعبير عن مصدره أو عن أمر يتصل به؛ وثبت كذلك أنه في هذه المرحلة وفي مبدأ مرحلة الكلام يعتمد اعتماداً كبيراً في توضيح تعبيره الصوتي على الإشارات اليدوية والجسمية؛ ومن المقرر أن المراحل التي يجتازها الطفل في مظهر ما من مظاهر حياته تمثل المراحل التي اجتازها النوع الإنساني في هذا المظهر[1]

(١) يطلق على هذه النظرية اسم «القانون الحيوي العام» وقد تكلمنا عنها مفصلاً في كتابنا [illegible] في التربية، صفحة ٩٥ وما بعدها.

ومن أدلتها كذلك أنه قد تقرر عند علماء [illegible] أن اللغة الإنسانية في مراحلها الأولى يغلب عليها ما يغلب على لغات الشعوب في الأمم البدائية من هذه الصفات: كثرة الكلمات التي تشبه أصواتاً طبيعية، وتنقص هذه اللغات وسائل [illegible] وأساليبها وضعف كثير من أساليب التعبير لا يجد المتكلمون بها مناصاً من الاستعانة بالإشارات اليدوية والجسمية في أثناء حديثهم لتكملة ما يفتقر إليه من عناصر وما يعوزه من دلالة[1]

ومن المقرر أن هذه الأمم المنعزلة عن تيارات الحضارة وبقائها بمعزل عن أسباب التطورات الاجتماعية تمثل الإنسانية في عهودها الأولى.

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السوربون

(١) انظر ما كتبناه في هذا الصدد بعدد ٣٥٢



## منقذ الآلاف الأحياء

لقد مر أكثر من العشرين ألف [illegible] يقتلون الآلاف في كل سنة في سواحل [illegible] بحثاً عن [illegible] الفلاريا

[illegible]

[illegible] سنة ١٩٤٤ [illegible]

[illegible]

# نفسية الطبقات

للدكتور جواد علي

لاحظت خلال إقامتي الطويلة في برلين وهامبورگ والمدن الألمانية الأخرى اختلافاً كبيراً بين منطقة ومنطقة، وبين طبقات مدينة واحدة أحياناً في اللهجة والأخلاق والعضلات والمثل العليا وشكل الوجه وتركيب الجسم. وقد زاد اهتمامي بهذا الموضوع البحث العنصري الذي استولى على الجامعة والمدرسة والحانوت ودعاية الحكومة في ألمانيا [illegible] الشعب الألماني شعباً جرمانياً واحداً من دم وعنصر واحد، فلم هذا الاختلاف بين المقاطعات؟ ولم هذا الفرق بين الطبقات في المدينة الواحدة؟ صرت أسجل ملاحظاتي عنه وعن [illegible] كل طبقة وأخلاقها في كل مدينة أنزل بها وفي كل بيت أحل به. كذلك بعض أنحاء [illegible] المدن وبعض مدن إنكلترة وبلجيكا ولندن [illegible] وسويسرا وروما، وأكثر مدن إيطاليا وجنوب [illegible] وغيرها من مدن جيكوسلوفاكيا (الرحلة)، وكذلك بولندة والنمسا ومدن البحر الأبيض المتوسط.

توصلت إلى نتيجة، وهي أن قواعد التفكير العامة، وطراز العضلات متحدة ومتشابهة بين الطبقات المتساوية في الممالك المختلفة أولاً، وهي بما تتشابه مع تركيب الجسم وشكل الوجه والملامح ثانياً. فالطبقة الرابعة من سكان المدن مثلاً، وهي التي يطلق عليها في أوربا اسم Proletariat [1] تشتمل على أنه خاصة [illegible] وضع لها مصطلحات [illegible] وتقضي معظم أوقاتها في الحانات المنتشرة في الأرصفة (كالسرديب والحانات)، ويأوي [illegible] إلى الحانات القذرة ذات النور القليل والهواء الملوث [illegible] حتى [illegible] يميل الشعب منهم إلى [illegible] شعر رأسه وعينيه مع أن ملابسه ممزقة رثة لا [illegible] بها، يميل كذلك بصورة عامة إلى الألوان (الصدمة) كالأحمر أو الأسود أو الأصفر، ويميل بصورة عامة إلى الخاطر إذا لا [illegible]، فإذا ركب أحدهم دراجة (بايسكل) أسرع بها كأنه في سباق. كذلك لا يبالون على الأشياء الثمينة من خطر [illegible]، وهم يميلون بصورة عامة إلى [illegible] الأشكال الفنانة [illegible] إلى [illegible]، وإلى موسيقى غير موزونة [illegible]. ولا يبالون بإنفاق كل ما يحصلون عليه في مدة قصيرة، ولو أنهم حصلوا عليه [illegible] الأرض ومخاطرات مخيفة، [illegible] بأكثر من [illegible] كما هو معروف، وكذلك النشالون وقطاع الطرق [1].

كذلك الطبقة الثالثة وهي العمال [illegible] آداب ومعاملات ومثل [illegible] تنفرد به مع ميل إلى [illegible] والتكرم. وأجسام هذه الطبقة بصورة عامة أقصر من أبناء الفلاحين أو سكان المدن من المثقفين [illegible] الأعمال الثقيلة [illegible] الأشغال الصعبة والعمل، ولكنها أكثر إنتاجاً في النسل من طبقة سكان المدن، وأقل من الفلاحين، كما أن شكل رأسها أصغر من الطبقات الثلاث، وتميل إلى الاستعارة [illegible]. ومن المدن الصناعية تميل إلى [illegible] وإلى [illegible] لأن [illegible] لا يترك للعامل [illegible] [2]. أما الطبقة الثانية وخصوصاً أصحاب رؤوس الأموال والتجار، فهي تتكلم مثلاً بصورة أسرع من الفلاحين أو العمال، ولا يميلون إلى [illegible]، وكذلك لها ذوق خاص تجاري في [illegible] وفي الفن [illegible] [3] بينما الطبقة الأولى ذات أجسام طويلة وشكل الرأس كبير بالنسبة إلى [illegible]، والعظام [illegible] والعضلات غير [illegible] بالنسبة إلى الفلاحين أو العمال، والوجه أطول من العرض، [illegible] في المدرسة [illegible] من [illegible] الذي في عمره [4]. وهذه الطبقة — وخصوصاً الغنية منها — غير مخصبة في إنتاج النسل، [illegible] ذلك سبيلاً كثيراً لا [illegible] في [illegible]

(١) انظر [illegible] Anthropologie der [illegible] Klassen ص ١٢٦ كذلك [illegible] Lenz ص ٦٥

(٢) انظر (...) Lorner Schädelmass und Beruf 1927

(٣) انظر Graf [illegible] Einführung in die Rassen und [illegible] Psychologie 1925 ص ١٩٩

(٤) E. [illegible] im Arch f. Anthropologie Bd. 1924 وكذلك O. Ammon Die natürliche Auslese beim Menschen [illegible] Bd. 21

(١) الطبقة الأولى هي طبقة [illegible] والطبقة الثانية هي طبقة [illegible] والأعمال [illegible] والثالثة هي العمال

للموضوع . ويرى من إحصائية عن قابلية النسل في السويد أن كثيراً من العائلات الريفية مستمر ونفس لانقطاع نسلها[1]

والفرق كبير كذلك جسمياً وعقلياً بين سكان المدن وأبناء الأرض من الفلاحين والزراع فيختلف الرأس والملامح الخاصة وشكل الشعر ، وكذلك طرز التفكير والحياة تختلف مظاهرها عن مظاهر سكان المدن . وقد دل الإحصاء على أن ٤١ في المائة من سكان مدينة برلين كانوا لا يصلحون للخدمة العسكرية بينما كان ٦٦ في المائة من سكان الأرض يصلحون في هذه الخدمة[2]

وهذه الفكرة عمل الرأي يسير في كثير من التحليل ويدفع به إلى الاعتقاد بتأثير البيئة والمحيط على الإنسان عقلياً وجسمياً . ويرى في معتقدي ذلك ما وجده بصورة عجيبة من تقارب بين موسيقى الأكراد سكان منطقة الكردية العراقية ورقصهم و [illegible] ألوان ملابسهم وبين سكان منطقة [illegible] في ألمانيا مثلاً مع ما بين الشعبين من الاختلاف . وهذا ما يدفع الإنسان إلى دراسة تقلبات الطبقات المختلفة ، والبحث عن القواعد المشتركة التي تميز كل طبقة بها عن الأخرى .

[illegible] المشتركة ذلك تأثير الإقليم [illegible] : فالعامل المادي الاقتصادي في نظرنا هو العامل الأول في هذا الاختلاف وقد جاءت أمثلة [illegible] تقريبية [illegible] في ذلك . ومن هذا الأساس [illegible] الأكثرية من [illegible] للسيطرة [illegible] وحضارتهم على البيئة [illegible] الحضارة [illegible] في العصر [illegible] . ومن ذلك بأمثلة من حياة الإنجليز في القرنين السابع والثامن عشر ، وكيف كان النبلاء [illegible] يعتبرون أنفسهم [illegible] في المملكة [illegible] بالعكس في إنكلترا [illegible] حيث كان كبار الزارعين [illegible] في عالم الثقافة والحضارة[3] ويرون من هذه [illegible] فكرة الوطنية [illegible] يمكن التمييز [illegible] الوطنية [illegible] في [illegible]

مثلاً ومعاني الوطنية والاستقلال [illegible] ويكون [illegible] وحدة واحدة في أساس [illegible] الأجيال [illegible] يدعون [illegible] من [illegible] في الطريقة والعمل والتفكير [illegible] في التفكير[1] [illegible] الطبقة [illegible] بالعنصرية [illegible] على الأجناس الأخرى [illegible] كذلك [illegible] أيضاً [illegible] تكوين [illegible] تلك الطبقة [illegible] الطبقة الثانية [illegible] أن العروض والسرايات [illegible] والاصطلاحات تتكلم بها وكذلك بعض التقاليد [illegible] في إخراج الأصوات ، وسكان [illegible] في إيطاليا أو [illegible] في إنكلترا وألمانيا وغيرها من البلاد [illegible] من الريفيين أو [illegible] بصورة [illegible] طويلة عريضة [illegible] سريعة [illegible][2] ونطق الإنكليزي الذي [illegible] تختلف عن نطق [illegible] إلى [illegible][3] وذلك يعني أن اللغة تتغير أيضاً [illegible] في هذا الموضوع [illegible] في ذلك [illegible] على من يقول إن اللغة [illegible] العنصرية [illegible] من [illegible] الشخص ولكن [illegible] أمريكا الذين يتكلمون اللغة الإنكليزية [illegible] والتفكير [illegible] أمريكا [illegible] والظن تماماً . وقد أجريت تجارب على أطفال [illegible] الولادة من [illegible] الألمانية [illegible] في محيط [illegible] صاروا يتكلمون الألمانية [illegible][4] وقد [illegible] الذين [illegible] في البشرية [illegible] في كل [illegible] من [illegible] الأجناس

(١) انظر [illegible] وكذلك كتاب Der Ausgang des [illegible] ص ٥٣ وكذلك H. Freyer Die Bewertung der [illegible] 1922
(٢) انظر كتاب العالم الألماني المشهور Wilhelm Wundt Völkerpsychologie (Band [illegible]) 1900
(٣) انظر Die Gesellschaft 1924 Bd ص ١٣
(٤) انظر Georg Schmidt [illegible] sprache ص ٢٢٢ سنة ١٩٢٢

(١) انظر كتاب Fahlbeck Der Adel Schwedens 1903
(٢) انظر Thurnwald in [illegible] Rassen u. Gesellschafts Bd. [illegible] ص ٤١٨
(٣) انظر Die Gesellschaft 1926, 1928 Bd ص ١٢٠

# ٥ ـ في أرجاء سيناء

للدكتور عبد الوهاب عزام

**على ظهور الهجان**

أزمع أكثر الرفاق أن يصعدوا يوم الخميس إلى جبل سانت كاترين وهو أعلى جبال سيناء ويبلغ ارتفاعه إلى ٨٥٣٦ قدماً، وفي قصص الرهبان أن القديسة كاترينا عذبت وماتت في الإسكندرية سنة ٣٠٧ م حملت الملائكة جثتها إلى هذا الجبل، ووضعت في صخرة جمجمة وذراع يحفظان في الدير إلى اليوم

وآثر بعضهم أن يعكف على مطالعة الكتب في مكتبة الدير، وأما أنا فعزمت أن أركب جملاً فأسير به في وادي الشيخ إلى القبر الذي يسمى قبر النبي صالح. قيل لي: كيف تطيب نفسك عن رؤية الجبل العظيم أعلى جبال سيناء؟ قلت إني رجل نزلت أمس من جبل موسى فلست أقوى على الصعود اليوم؟ بل ويكفي أنه صعد كثيرون مثله في جبال بلاد العرب. قلت لهم إني صعدت جبل قبل، ورأيت الشيخين معاً؛ جبل موسى وسانت كاترين. قلت: لا أحتاج في تصديقكم إلى أن أرى بعيني، فهو مشهد يصفه كثير من الناس. قلت: ما كل ما يحسن المرء يجري

سار الرفاق إلى الجبل وخرجت فإذا جملان من جمال الدير ركبت أحدهما وركب محمد أفندي حشيش الطالب بكلية الآداب الثاني، وسرنا مستمتعين بهذه الرحلة للشقة القريبة. فما أمضى بنا الشعب الذي فيه الدير إلى وادي الشيخ أبصرنا الحاج سعد عزام الطالب بالكلية راجعاً من حيث توجه إخواننا إلى الجبل. قلت: ما عطلك؟ قال: ظللت لأصور بعض الرفاق فانقطعت من الرفقة. قلت: خير الله لك من هذا تعاقب على الجبل، وهم لله حق؟

| | |
|---|---|
| وما أنا بالساعي بفضل زمامها | لتقربها المرعى قبيل الركائب |
| وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها | لأبعثها خفاً وأترك صاحبي |
| إذا كنت رباً للقلوص فلا تدع | رفيقك يمشي خلفها غير راكب |
| أنخها فأردفه فإن حملتكما | فذاك وإن كان العقاب فعاقب |

---

طويلاً لا يشعر به بعد ظهور عرور المسيح وصبح حادثة، وأن ذلك يعتبر وإن كان العنصر محتفظاً بعيداً عن كل امتزاج وهم يعتقدون أن أوروبا كانت مأهولة من جنس واحد، وكانت معزولة عن كل عنصر خارجي من بين الأجرام حتى الآن تظهر فيها اختلاف الشعوب رغماً من ذلك[1] على أننا نلاحظ أن يهود ألمانيا يتكلمون مع ذلك بلهجة خصوصية، وكذلك في البلاد الأخرى، تميزها من كيفية نطقها اللكنة لدى الراطنين، ولكنهم يجيبون من ذلك بأن اليهود يعيشون بصورة عامة في عهد واحد منكمشين

ويحاول Gunther زعيم العنصرية في ألمانيا أن يبرهن على أن الجرمان لم ينفصلوا من القبائل الجرمانية الأصلية، وأنها هي لم تتغير. ويمكن اختلاف الشعوب الألمانية، وكذلك أشكال الجسم والعداوة الموجودة بين المقاطعات، مثلاً بين سكان بروسيا وسكان إزن، والاختلاف الكبير بين عادات سكان هامبورغ وبرلين، يدل على أن مذهب العنصرية لا يستطيع التغلب على كل هذه المشاكل بحثاً، ويجد حلاً معقولاً لكل منها.

والبشرية تتقدم، وعلى مر الأجيال تظهر أشكال جديدة، وحروب جديدة وهي غير منتهية، منها السيء ومنها العامل لعوامل مختلفة، والتلاقح وتركيب الجسم، والمحيط والأكل والعمل أثر فعال في تكييف الفرد، وكل أمة في الحقيقة عبارة عن مجموع أمم مختلفة في الصفات، ولو أنها متحدة في الدين أو اللغة مثلاً، ولكل منها وجهة نظر خاصة، ولكنها تصطدم مع غيرها، وهذا مصدر الحرية والنزاع، وهكذا الحال في نظري، والأمة التي تستطيع تقريب وجهات النظر بين هذه الطبقات تكون موحدة، والتي تترك هذه الطبقات تزيد في قوة كيانها، وتتجه إلى التفرق لا يلبث أن يظهر بصورة كتل مستقلة ذات تفكير مستقل ومظهر غريب خصوصاً في المحيط الشرقي الذي لا تربط بين أجزائه طرق مواصلات جيدة ولا صلات فكرية قوية. لا زالت حاجة الأقاليم والممالك الواحدة بعضها إلى بعض غير شديدة. فكرة الحاجة إلى الجمع والعدوان لم تنتشر في روح (أنا) فيه كما هو حال كل أمة في أحداث تكونها

[illegible]
خريج جامعة هيدلبرج بألمانيا

(١) انظر المصدر ص ٧٢١

سألت صاحب جمل: ما اسم الجمل؟ قال: جَدْ كَار. وما اسمك؟ قال: مرضي. وسألت الآخر فقال: اسمي علي واسم الجمل صبيح

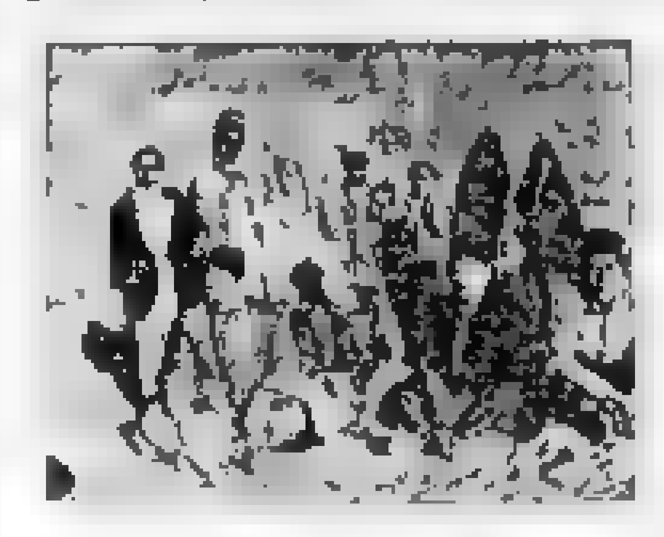

بعض طلاب الجامعة وبعض صبية الأعراب بينهم سعد في القصر المهجور

وكان معنا صبيٌّ حسنًا فتيًّا يسمى سعدًا، رآنا صاحب الركوب عند الفجر فتطوع لصحبتنا حتى أن بلاده خيبر. مشى سعد وقد حمل يده وراء ظهره تحت حزامه وأطبق أكفه بعضها على بعض، واستقام على الطريق يوحي إليك مشيته وحديثه اعتداده بنفسه. وهو صبي يكدح لرزقه ورزق أمه، فهو يحمل من أعباء الحياة ويشعر بكفايته لما يحمل. والرجولة بين العرب تتجلى في العقد الثاني من سن العمر، ولا عجب البطولة والصبي منهم تنتخبه في القتال حيث يرى الرجل صبيًا وقد جاوز العشرين وطالبًا إلى أن جاوز الثلاثين، وكفى كثيرًا منهم بما بعد سنه الزوج عند الأربعين. ومن أجل ذلك أمّر رسول الله صلى الله عليه أسامة بن زيد على جيش وهو في السابعة عشرة، وفتح محمد بن القاسم الثقفي الهند وهو في هذه السن. قال بعض الشعراء:

إن المروءة والسماحة والندى     لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لخمس عشرة حجة     يا قرب ذلك سؤددًا من مولد!

وقال آخر:

ساس الرجال لسبع عشرة حجة     ولداته عن ذاك في أشغال

قلت لسعد: ماذا يسمى جزائركم هذا؟ قال: صبرة. قلت: من لوهم أمرٌ المطر إنما أسكم عنه

وكنا سألنا ونحن في الدرب من دحيم لصحبتنا وكلفنا سعدًا أن يخلى عن بعض الحجاج. ورأينا طائفة من البدويات يحصدن العدر اختلاء ويحصن من الطير، وقال سعد إليهن فسلم عليهن وكلم

يستحسن. وقال أحد الجمالين: سعد أبوهيمه. وسألت سعدًا فتبسم وأجاب ثم قال: هذه أسماء مخاجة وجهة غير مخلص أن تدعو صاحبك الراكبة باسمك ورضيت أن سعدًا أحسن أن يقول إلى فلى حسب أمه وإن المحاجة عليه وأحسن شيئًا من السحل أن يبيع لنا دجاجة. وكذلك قال صاحب الجمل حين سألته: لماذا لا يقول سعد إلا للمرأة أمه.

وعجبه سعد من سؤالي عن ضروب النبات أني أسعى ما يوجد له علاً يرى صاحبه إياه، ويجعل له بدأ جديدًا. فكان لا يرى نبتًا إلا اعتلاه وقطفه أو نفح بريحانه، ويأتي إليه بأنسه في الطريق

عند عين ماء بين صخور في سفح جبل بوادي الشبع

وأرانا شجرة من الشيح فسألته عن القيصوم وكيف رأيته بالبادية على مقربة من البصرة، فأسرع بعد قليل إلى نبتة وقال: هذه قيصومة. وأرانا سها، وهي كلبه الشيح، ويعتز عنه بلون زهرها، ولا يدرك الفرق بينهما إلا النباتي أو البدوي الذي ألف غير ضروب النبات وإن تشابهت. ثم مررنا بنبات صغير لا يعلو بالأرض له عصارة لزجة فقال: هذه بشبهة. ورأى شجرة من الشوك كبيرة فقال: هذه سالة وما أكثر السالة في صحرائنا. ثم رأى من ضروب العشب التي مررنا عليها الرمثة. وهي عشب قليل الشوك تأكله الإبل، والسكاكات وهو يشبه السالة إلا أنه أصغر عودًا. وكنت قد تبين لي من كتابة أن الإلاء يميل إليها ويطل سها. والسكبات في مسابح القلب تمر الأراك، وهو غير ... وما رأيت الضبعي والعرمع، وهو شجيرة تنبت كالصمامة ... ورأيت منها واحدة يابسة فأشرت إلى سعد حرى إليها وعاد حاملها فاستضعت منه قطعة أن أتركب،

غائب وما زال يترنم بها وبغيره حتى أتى بها . وأرانى سعد الكباث وأشجار العجرم والزُّرُّوة والمركان والرَّمث ؛ وكلها نبت صغير . وكنت أستحي سعداً فأسأله عن النبات الواحد مرة بعد أخرى فأعرف أنه ينطق عن معرفة . وقد رأينا الزعتر وهو نبات طيب الرائحة معروف فى مصر والشيح ، قال سعد : وهو نبات الجبل ، وهو نبات صغير له فروع [illegible] طيبة ، والحنيطة والبلحة والشكاع إلخ

ومجمل القول أنه ليس فى البرية نبتة صغيرة أو كبيرة إلا يعرفها الأعراب بأسمائها ووصفها ومنافعها

ولقينا فى وادى الشيخ أعرابيتين معهما قربتان صغيرتان ، تكلمهما صاحبى وكان يعرفهما وسألته أين الماء ؟ قال : هنا وأشار إلى صدع الجبل ، فعرجنا وصعدنا على صخور عظام ، حتى بلغنا فجوة بين الصخور فيها ماء بارد . جلست الأعرابيتان عند قربتيهما

والأعرابيات فى سيناء يلبسن ملابس ضافية ، حواشيها مطرزة مزركشة ، وهى من نسج أيديهن ، ويلبسن براقع عليها قطع كثيرة من النقد ، ويضعن على صدورهن خرزاً كثيراً ، فلا يبدو من المرأة إلا عيناها . وقد استأذنا المرأتين أن نصورهما ، فقالت إحداهما ضاحكة : بالفلوس ، فقلنا : أجل

بدويتان فى وادى الشيخ

ثم بلغنا الشيخ صالح بعد ساعتين : ضريح صغير مسقف ، عليه قبة [illegible] ، وربما غير بعيد [illegible] الأعراب أنه النبى صالح ، وأكبر الظن أنه رجل من الصالحين اسمه صالح والشيخ صالح موسم يأتى الناس إليه فيذبحون وينحرون ويعقرون ويلعبون

وقد أخبرنى [illegible] رحمه الله [illegible] كسوة ضريح النبى صالح وهى موجودة فى دير سانت كترينا كما ذكرت قبلاً

[illegible] كثيراً عند الشيخ صالح [illegible] سعد إلى السمر فغاب قليلاً ، ثم رجع ومعه دجاجة . فقلت : يا سعد ، أصبرت على الإيمان بدجاجتك ؟ قال : لست [illegible] ولكنها [illegible] ولا تنفع شيئاً . قال [illegible] قلت : لم جئت بها ؟ ثم سار سعد والدجاجة ، حتى وقفنا وقفة فأخذت منه . قلت : لا يظفر بها [illegible] فى كيس خلف ظهره ، ولم يسمع لها صوتاً ، حتى بلغنا الدير . قلت : يا سعد ، لم يعد الطباخ دجاجاً ، ونحن أكثر من عشرين فماذا نعمل بهذه الدجاجة ؟ [illegible] قلت : ارجع بدجاجتك وخذ هذه القروش ، فخرج [illegible] يسعى لشأنه

خرجنا من الدير صباح يوم الجمعة فأصبت صبية بأيديهم أشياء يعرضونها [illegible] أرانى أحدهم [illegible] : [illegible] . قلت : [illegible] شيئاً . وضم إلى [illegible] من الورد البرى كثير الشوك [illegible] ثم زرعتها فى حديقتى بعد أيام [illegible] وعرض الصبية الآخرون ألواناً [illegible] من هذا الورد لا يعرف الإنسان اسماً لها لكثرة شوكها

ثم أزّت السيارات فتحركت والساعة ثمان ونصف فرجعنا أدراجنا فى الأودية التى ذكرتها آنفاً

ووقفنا فى دير فيران الذى وصفته من قبل ثم استأنفنا السير فى وادى فيران [illegible] ساعة من دير فيران وقفت [illegible] سيارة [illegible] فسألته [illegible] ؟ قال : اسمى [illegible] لم يعجبه هذا [illegible] قلت : اسمك محمد ؟ قال : [illegible] أتبيعنا خروفاً من غنمك ؟ قال : لا . ثم سألته عن [illegible] العشب ، قلت : ما هذا ؟ وأشرت إلى نبات صغير تشبه [illegible] قال : [illegible] البرق [illegible] كل النفوذ الأعيب والنبات [illegible] العرب هو أشكر من [illegible] لأن البرق [illegible] بأسى [illegible] على الأرض . وقالوا : أسخى من [illegible] [illegible] [illegible]

ثم سألت [illegible] عن نبات آخر قال : هو الرمث . قلت : قد رأيت الرمث فى العراق وهو أكبر من هذا ، فهل يطول الرمث [illegible] ؟ قال : لا [illegible] وتذكرت قول أبى الطيب فى قصيدته التى [illegible] :

تركت دخان الرمث فى أوطانها [illegible] طلباً لقوم يوقدون العنبرا

# الأغبياء . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

---

كانت ليلة السبت السابقة من الأسبوع الماضي ، فوقع في دنياي أمرٌ مُفظعٌ مُفزع ، كنتُ منه كمن يُنفى دهراً من عمره ثم أبصر [illegible] أمداً شديداً ، وصهرت نفسي كما يصهر الله في [illegible] من النار تشتعل من تحته وتستعر ، وتقاذفتني الهموم كما يتقاذف تيارُ البحر الأعظم موجةً تائهة من موجه ، وسرى قلبي بين صدري كما تسري الكرة مدفوعة من علٍ ، وهاج نفسي واضطرب أمري وسوّلت لي الأفكار الخائفة الغريبة الجريئة التي [illegible] أحداً ، فلا تسمع لها ، وانقلبت حيث أدور في نفسي دورة المحموم في [illegible] للتشتت ، وهكذا قضيتُ ليل أيامي ، وليس لمثل هذه الأيام نهار .

ودعوتُ ربي جاهداً ، وكنت من قبل أدعوه لأنه هو البر الرحيم ... ، وكنتُ أرى الدنيا كلها وكأنها رقعةٌ تنبسط من سرابٍ تخفق عليها وتمد وتترقرق ، ورأيت الأرض غير الأرض والناس غير الناس ، ورأيت كل شيء يجيء ويمضي ويجيء ويمضي ... ، ولقيت الأغبياء [illegible] في نفسي ، فما أرى إلا بؤساً وشقاء وجوعاً وكرباً ، ورأيت كل شيء كأنه قبورٌ [illegible] لا يسمعه شيء . اللهم إني دعوتُ أشكو إليك وأحمالٌ تُلقى إليك . [illegible] أسباب في [illegible] ، حتى إذا كان الليل في [illegible] ، أردت البحث كتبي آخذ كتاباً لا [illegible] أقرأ فيه [illegible] عداوة أو حقد مرير مستعر [illegible] ومنطق من الشعر والنثر ، ومضى [illegible] على عقل [illegible] ، فأعوزت يدي إلى كتاب عربي ألا أدعه ، وإذا هو « [illegible] الأمة ، بكشف الغمة » ، فتصفحته وانطلقت أقرأ ، لا أجوز منه حرفاً أو [illegible] إلا وجدت الألفاظ [illegible] في حسي وفي عقلي ، وكأنما تقتحمه فيها من [illegible] ، حتى أوجدتني أسمع لها صلصلة ودوياً ووجداً شديداً ، كأن في حسي [illegible] نفسي وجهجهة في كف زلزلة .

وإذا هو [illegible] لنفسي أسمع [illegible] وعجزة أمواجه في الريح العاتية ، وإذا هو أحرف كالأرقم ينطوي ويتلوى ، وإذا صرخة تحت زعزعة الأمواج ، وإذا هو هاتف يهتف بي : « [illegible] إلى صلاتك ، فقد أدركك الفجر !! » . فانتفضت فزعاً وإذا أنا أقلب الصحيفة التاسعة والعشرين من هذا الكتاب ، وإذا سطور قد ضربتها فوق هذه الأسطر : « ودخل فصل الربيع [illegible] وعدم القوت حتى أكل الناس صغار بني آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ولده مشوياً ومطبوخاً ، والمرأة تأكل ولدها ... فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كف صغير أو فخذ أو شيء من لحمه . ويدخل بعضهم إلى جاره فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تتهيأ ، فإذا هي لحم طفل ، وأكثر ما يوجد ذلك في أكابر البيوت[1] » .

---

(1) كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » [illegible] تاريخ [illegible] التي [illegible] مصر [illegible] والقحط والنقص [illegible] . وهذا النص [illegible] من تاريخ المجاعة التي كانت بمصر في الدولة الأيوبية سنة ٥٩٦ [illegible] سبع سنين [illegible] .

---

ثم سألته [illegible] فقال [illegible] على الأرض فقال [illegible] المزال [illegible] أن يكون [illegible] في الصحراء ، ثم سألت أعرابياً من [illegible] فقال [illegible] الاسم — ولم أعرف كيف [illegible] — [illegible] نصف ساعة [illegible] جبل يسمى جبل [illegible] ولكنه لم [illegible] إلى [illegible] ويقال إن به حجارة [illegible] يكون في حجارة .

وقد حدثت أعرابياً هناك ، وسألته عن نبات [illegible] فقال هو [illegible] بعد [illegible] .

ثم سألته عن نبات له ثمر مستدير ذو شوك فقال السعدان ، قلت أهذا هو السعدان الذي [illegible] كتب الأدب ، والذي ضرب المثل [illegible] : مرعى ولا كالسعدان ، ويضرب المثل بشوكه : حسك السعدان ، ولكن السعدانة التي رأيتها كانت خضراء لم [illegible] شوكها ويبس .

وأبلتنا السير [illegible] ، وأصبحنا إلى السويس فالقاهرة فألقت عصاها واستقرت بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

عبد الوهاب عزام

أين يعيش أحد، وهو طرأ؟ أعند لمح صحت يتمثل لي؟ أني قضيت تلك ساعات منها وأنا أقرأ هذه الأسطر القليلة أطلبها لعلي أظفر بمعانيها في نفسي، إذ كانت تمرع في صداها إلى الآلام المتفجرة بعدُ في قلبي، فلا يكون طرفٌ منها إلا أفكاراً تتزاحم وتتراكب وتتدافع وتتوالد ويُجمع بعضها بعضاً. ولو تعبت أن أكتب ما تراءى لي من هذه الأسطر، وما تحدثت به النفس من حديث أكثر تلك ساعات من أول الليل إلى مطلع الفجر، لملأ ذلك ما يقع في كتاب مفرد، ولكن ...

لماذا لا تكون هذه القسوة المرهقة إلا من أخلاق القلوب المتحجرة في بيوت الأغنياء والأكابر؟ ولماذا يكون أقسى القسوة في قلب المرأة الغنية، فتكون من أعظم أسباب تدمير أكمل وجه ما الذي ولدته؟ ولماذا يكون الفقير والفقيرة وأعطاها ما شاءت الرحمة والحب والعطف والحنان؟ أليس الناس جميعاً – غنيهم وفقيرهم – سواء في هذه الحياة؟ بلى، ولكن

ألا إن هذا السؤال نفسه من سر الله التي ستحفظ الإنسانية عليها في الأرض، وفي هذه الحياة الدنيا! ألا وإن لكل مجال منه سكون الملتف بأسرار التعجب فلا يحصى من أعاجيب [illegible]، ألا وإنه النظام الطبيعي الذي يحفظ من قانونه سر الحياة الإنسانية التي لا تسمو إلا بالمساواة والرحمة [illegible] والإصرار عليها، ألا وإنه لأعجب شيء في الحياة إذ يكون هو كل شيء، ثم هو ليس شيء على الحقيقة، وإذ يكون في زعم الفقير الشقي سر السعادة؟ ثم يكون عند الغني المترف فلا يعرف به طعم السعادة، إلا أنه التعجب والفتنة، إذ تكون سر الحياة الإنسانية الدائمة على الأرض، ومع ذلك فهو أيضاً مثلاً لغني أمرها من أسبابه، وإذا نزع الفقير منه لعلاً إنسانية ورحمة وحناناً، ثم يكون بسبب أشياء في هذا وفي ذلك تختلط وتضطرب ويرمي بعضها في بعض حتى يصبح كل شيء فساداً لا إصلاح له.

«أكثر ما يوجد ذلك في أكابر البيوت!» و«أكثر ما يحمل ذلك الغنى!» إنه ليس عيباً ولكنه لزام، إنه ليس عيباً ولكنه جرح، إنه هو الحقيقة الطائرة مع معاني الترف بالغنى والترف والرفاهية، ولكنها حقيقة المحرقة المرهقة التي انطلقت من عيونها حتى أرسب الحاجة والقحط والجوع وهذه الحقيقة التي أساؤها كما تطوي الحياة الطائفة على شهواتها المتجددة في فريستها. ليس هذا هو كل شيء، وليس القحط وحده هو الذي يُقطِّر في عين الطفل ما يكرّه بعيم؟ ويأتيهم أكل الرحمن الذي [illegible] ثم لا تعرف غير قسوتها، ولا تجد إلا قسوتها في كل أزمة تطول في أعصاب الأغنياء – إلا من رحم ربك – وحتى أكلا طاعما [illegible] لا يرى إلا نفسه ولا يريد البقاء إلا لنفسه. فإذا وقع القحط بين صديقين أحدهما غني كان صديقه طعماً تفترسه الصداقة الغنية! وإذا وقع القحط بين حبيبين أحدهما غني عرف [illegible] منه [illegible] لأنه شبع من [illegible] حتى [illegible]! وإذا وقع القحط بين أخوين أحدهما غني، كان من الرحم عليه أن يشرب ما بقي من دم أخيه يشترط به حتى يرتوي!

إن الترف والنعمة [illegible] وأحلام الغنى وكنوز الثراء، إن هي إلا [illegible] حتى تحس عواطف الإنسانية الغنية حتى لا تعرف إلا [illegible] والنعمة والصبر [illegible] إن الفقراء هم أكثر الناس رغبة في [illegible] والأغنياء أقل الناس [illegible] على ما يجدون من [illegible] الفقراء. [illegible] من آبائهم وأمهاتهم، ولكن أولئك لا يعرفون إلا [illegible] يشعرون الناس أنهم [illegible]، ولهذا يقول الناس إنهم لم يصبروا على [illegible] الأشياء، الأغنياء، هم [illegible] الحياة [illegible]، ولكن مع [illegible]، ومع الخداع [illegible]، ومع [illegible] القسوة حتى [illegible] أو [illegible] أو يسكن [illegible] أو [illegible]

[illegible] الفقير، ومن [illegible] ربما [illegible]، ومن [illegible]، فإذا [illegible] المرأة الغنية [illegible] وأنه هو [illegible] من [illegible] الترف [illegible]

محمود محمد شاكر

# يا ابنة الشارع ...!

للأستاذ كامل محمود حبيب

على رسلك ، يا ابنة الشارع ، وامسحي عبرات صدرك إن أنا انطويتُ عنك ، فلقد لمستُ في خواطرك أشياء جذبتني عنك

إن لي قلباً أحياه في الشارع ، وعشتُ شبابه في الشارع ، ونبتت فيها أزاهير الحب تحت شجرة وارفة في ربيعه أنعم

وقد بها الهوى صاحبتنا أكرومة على جنبات الطريق تحت ستر الظلام في (الجزيرة) و (الزمالك) و ... حيث لا حس ولا حركة

وعشتُ - يا من أحب - من غيري ، فإني أنا إنسان يريدني أن أتعلق به ودع القلب ، وأحسستُ ضرورة ذلك تحلي بالصبر في قلبي ، فعرفتُ غيرها

ثم أزمعتُ وأزمعتِ ، فانطلقت إلى أبيك أحدثه حديث رجل يبتغي منك ما ابتغى ، وإلى أمك فشاهدت الغيرة في عينيها ، ورأيت عيديّ الطريق تسعيان عليّ .

غير أني انطويت عنك حين لمست في خواطرك أشياء جذبتني منك ، فلا تغضبي عليّ ، يا ابنة الشارع

ولما خرجت إلى الشارع — أول ما خرجت — أحس زهرته وأرى وشيك في بسامة حلوة رقيقة ، لأنك كنت زهرة الباسمة النضرة ، وعبيره الأول الفواح

ورآك الشاب — أول ما رآك — فاستهوتك أساريره ، وأفسح لك من رفقه مكاناً سامياً

وبدى الشارع والشاب ، كل بسبيل يحتفل بك فخوراً ، وفي رأيه أنها ساعة من زمان ، ثم يقتضب الطائر الغريب إلى وكره

ولكن شيطانيتك الثائرة أبت أن تنزع من نفسه ، فاندفعت إلى شرعة حين تحركت أن تتنزل الشرف وتسيطري على القلب

واستشعر الشارع فيك طيشاً فراح يقذف بك من جانب إلى جانب في عنف وكراهية ، وعبث بك الشاب حين رأى فيك لهو نفسه ومتعة لذاته ، ثم حين له انصرفت أنت

وحاولت أن أردك عن غوايتك فانفلتّ من بين يدي في عنفوانك ، فانطويت عنك ، فلا تغضبي عليّ يا ابنة الشارع

* * *

وأومض في حياتك ، وأنا أرى ملامح أسرك ، وجدتك ناقمين ساخطين وفي حديثك المرور ، كأنه يمس ما بك الأصابع التي عرضت بها على الناس ، وانطلق لسانك يطمع في أن يدلل على أن المرأة هي نور الحياة وعجبه وجماله الساطع

وبحثت في فلسفة المرأة الحية في كلماتك الطاهرة ، وفي معنى أن المرأة ملء القلب والنفس والعقل والدار جميعاً ، لا يخلص الرجل من واحدة إلا ليرجع في واحدة

وسخرت من الدار ، فسخرت من سذاج ثقافة وتعصب لابائك ، وانتصفتُ من جمود المرأة ، فانفرجت لك الحياة عن مأساة لا تنتهي ، وأصبحت أضحوكة الشارع ، لأنك تطلين على مسرحه كل يوم مرة ! وتلمست الرجل فألقيت فيه الصاحب ، وافتقدت فيه الزوج

ورأت فتاة الدار ربقاً من أن تسمو عليك ، فتعمت أثير عينك ، وزرع مكنونة على أستل جانح رأيك ، فصدت ، ولا ريب ففتاة الدار هي في رأيك ضحية الدار ، وهي بنت الهجين ، وهي ... ثم كيف تجد الزوج ، وهي في غياهب البيت وظلام الحياة ؟!

قلت : ولكن فتاة الشارع قد صحت هذا القيد اللعين فبحثت ... لتبحث عن الزوج ! وهي في عنف تدارك وتختار اختياراً حراً ، وتعرض على عين الرجل الغريب ، في سوق الزواج ، محاسن الصبيحة ووجهها الفتان ولا تجيب إلا حين تعدت الطريق فقدت الدار والزوج معاً

وقلت : إن خلائط المرأة بالرجل جعلتها محنكة لا ينطلي عليها خداع الشاب ولا مكره ولا حيلته ، وللشباب أساليب ملتوية يتقرب بها للشيطانة . فقلت : يا صديقي ، إن الحاجز سد يحول بينك وبين خير الشاب وشره

وقلت : إن المرأة تجد — خارج الدار — شبابها وحبها وكسبها . فقلت : قد خلقت المرأة لتكون أماً ، وليس في الشارع أطفال سوى اللقطاء

وظلت وظلت

ثم أمرتني الليلة فانطويت عنك لأنك رغبت عن أن تكوني سيدة الدار، وفي رأيي أنك هويت أن تكوني ابنة الشارع

* * *

أتذكرين يوم أن جئت لك بمتاع يغرأ منك العين المتطلعة الشرهة؟ لقد كان معطفاً فرواً ... يا عزيزتي، فطرحته جانباً وأنت تقولين: «لقد كان رقيقاً!» فاستبدلت به غيره، غير أني رأيت الكراهية في نظراتك، فجئتك بغيره... ثم اشتريت أنت غطاء يروق لك، جاء يسخر منك لأنه لا يوارى إلا ما يبدي الأبيض والأحمر من مفاتنك

وهذا الجورب الذي أوصلته في لبسه كان موضوع جدال محتدم بيننا ثم تجنبوه، لأنك صلبت في مدرستك الصمت في الرأي

لقد نظفت في المدرسة هذا أو أنك بين أحضان الشارع لا ... أمامك باب الحرية، وهو أيضاً قد فتح الشعب ليتسكع في ثيابه من أجل أنه ... أمامه باب العمل

وهذا الماس الفصي، إنه يكشف من شيء، وإنه ليتألق ... إليك البصر

أرأيت — يا صاحبتي — الزهرة تزهو بلونها فتجذب إليها الحشرة فتمتص رحيقها ثم تطير وقد تركت منها وطراً؟

لا ضير، فقد تم كل الأمر وسلمت إليك نفسي؛ فاختلف ألمي راحة نفسي وصفوه خاطري

وخلفتك من ورائي، في هذا الشارع، تتطرحين بين آذى الملهاة الظلام

ويا عزيزتي، هذه السيارة الجميلة التي أراك فيها، أليس من رسم مدرستك، فهل تصدق أنها مراتبها؟

وهذه الدار الصغيرة قد رتبتها بيدك في حسن ونظام فتكون لك منها آنفاً فهل وجدت فيها شيئاً؟

* * *

وتلك الأيام الناعمة البهيجة، أيام الهوى الغض، حين كنا نتلاقى عند الأصيل على شاطئ النيل، فنتجاذب أحاديث الغرام ونعيش في أساطير الحب، وهذا الأمل الذي يطلع في قلبك وقلبي ثم يجيء، أتذكرين شيئاً من هذا الشارع؟

كلا، كلا! فأنا قد رأيتك بالأمس تسيرين إلى جانب شاب يحتضنك ويكرمك، وعرفت أنك أنت ابنة الشارع، لا عهد لك ولا ذمة، ولا خير فيك فقد خرجت إلى الشارع تفتشين عن الزوج

هذا أخبرني إليك حين انطويت عنك، وفي رأيي أن حرية المرأة في خدرها، وأن خروجها من دارها عن مسكنها إلى جهة الشارع، يكون من نتائجه إلا أن تكوني زوجة له

(منشور) — كامل محمود حبيب

---

من شعر الربيع

## عطر من الله ... !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وتناولت (العطر) كأنه خالق
عشق أزلي حكمة الخلق سره
ذروع يبس الهوى ما به عطره
في واحة الخيال وروى صبحه!
وحي به يجري ... نهر شعره
كل ... ، وأرسله للروح مرحة!
وشفت صباي حالة ... فيه وروحه
عشته في آفاق عمري نفحة
وكاد يراع الكون ولا قداسة
تبدى ما ... عالم الناس جنة!
هيا طائراً هدت به الريح ...
ومن أحلام الأمس ... دوحة
عذب الهوى عطر من الله فائح
يظهر آية الطبيعة ...

(ديوان الملك) — محمود حسن إسماعيل

صفحة من كتاب

# مع الغـــروب

## للأستاذ شكري فيصل

— ١ —

هذا منصرفي الآن من « المكتبة » . لقد قرأت القصة الطويلة التي كتب « الطبري » عن « صفين » ، وخرجت منه دامع الطرف ، حزين القلب ، تطو وحي كآبة صبة ... ولكن الدنيا المشرقة ردت إلى أحلامي ؛ فكل ما حولي جميل ناعم إن صفحة السماء لتوحي إلي بكثير من الندى ! وأنها لتبعث في نفسي أنغاماً من الحنان ؛ وإني لأشعر فيه نافحة طرية تتدفع على فيستكين لها ويسعد معها ! وتشيع فيه بوارق الأمل كأنها كتب السماء تلقى إليه في يأسه وغروره ، فيستبشر ويعتصم ويثب ويسمو مع النسمات الجميلة ، ويتحسس هذا الجلال السمح هنا في أفق السما وجنبات الأرض

.. لقد طرق سمعي صوت الساعة الضخمة القائمة في حرم الجامعة ، بجرس المكتبة ! .. كأنها كانت تنعى هذا النهار المدبر إلى الناس الغافلين ... فأنوار الشمس الساقطة تستحيل شيئاً فشيئاً إلى أنوار باهتة ليس لها ذاك الجبروت ولا تلك القوة ؛ والنسمات اللطاف تترجح في هذا الجو ، والعصفورات القائمة على حفاف الشارع جماً رهيب الصمت ، وتشب فرائع ، والمتعب الناس يتأرج بكل قوة القامة كأنه يحرك السكون بلمسه الساحة البارعة

— ٢ —

لشد ما أزعجني هذه الأصبحة الفائرة فانطلقت منها أهرب في هذه « الساحة الفسيحة » وأنعم بالهدوء الذي يلفها رداؤه الرحيب الرحيم في ظل هذه الساعة القاهرة من النهار حين يغادرها ضجيج الطالبات وجلبة الطلبة ورنين الأجراس ، فلا أحس فيها تلك الحركة ، ولا أجد لها ذلك الاضطراب هزنا يحرك إحساسي ويتيح من النفس المغلق ، ويعيد الفرحة ، ويبلل القلب

.. لقد أحببت أن أروح هذا الشارع الطويل الذي تنتصب على جانبيه الحدائق ، وتحت في أطرافه الزهور ؛ وتتعلق في جنباته جماعات الطير . ولقد كان هذا الشارع إلى ساعات قريبة يموج بالحياة ، ويضج بالنشاط ، ويتقد فيه العزم ، ويودع طرفيه من الطلبة ، ويستقبل طوائف أخرى ... ولكنه الآن ساكن هادئ — إني لأخطو فيه وحيداً ليس معي إلا هذه التأملات العميقة التي يثيرها في ذهني السكون الشامل — وإني لأمضي بعد — فأمضي حيث تقودني قدماي ؛ لا آخذ جهة ، ولا أقصد قصداً ..

— ٣ —

ها أنا في منبسط من الأرض ، ممتد واسع — تنطلق فيه صفحة السماء واسعة عريضة ، كأنه الأمل ! وتتراقص فيه الأرواح صريحة عابثة بعقابيل النسيم الغريبة ! لقد بعدت عن العمران القائم ، والأبنية الضخمة فكأني أسطر الخطوات الأولى في الرحب .. فأنا لا أسمع حركة « الترام » ، ولا جلبة السيارات ... وأنا لا أرى من برج الساعة ، وقبة الجامعة ، إلا القبة العالية التي تشبه رأس الصخرة الطافي على سطح البحر وليس من حولي إلا مزارع وحقول ، تنتشر فيها الأكواخ ، وتمتد من حولها أبسطة العشب الندي

— يا روعة السماء ! — كانت الشمس تجمع خيوطها الفاترة لتنحدر نحو الأفق البعيد — وتقطع السحب الرقيق تمزيق أجزائه من السماء كأنها ثوب مزق على جسم إنسانة هيفاء — والأكواخ المتواضعة تودع النور الحبيب وتغوص في جنح الليل والأفق الزاهي يستطرح بهذه الأنوار الحمراء اللاهبة — والسحب كأنها ترقب هذا الخط البعيد الذي تتصل فيه السماء بالأرض

لقد كنت إلى حين أحمر أضواء الشمس ، وألهى عنها وأحتمي منها بالظلال . ولكنني الآن أقترب منها وأتعقبها وأطلبها من مكان إلى مكان ، كأني أرثي لها هذا المصير ، وأخشى عليها سطوة الليل ، وأتمنى لها ألا تزول ؛ وأحاول أن أمسك بهذه الشمس . ولكنها تفر مني حتى لا تبقى منها إلا خيوط واهية من قمم الأشجار الشاهقة

وتجلل هذه الأشجار الأنوار اللاهبة ويرسل أصحابها من شتى

الوداع ... وتطوى الشمس في قلبها قرحاً دامياً في الأفق البعيد تلك آخر نظراتها التي يحملها الصرع الفانية على الأرض .. فطالما أمضت هذه الشمس عمراً وتواظر ؟ كانت تحبه حبوعا تحاول أن تنظر إليه ، ثم ترتمت عنها خضلة معبرة — وسكبت الآن في لحظاتها الأخيرة بيع الناس أن يتذكر عنها لقد ركب الصبر ، وما علينا من ذلك ! وهي صبيحة أخرى في يد الليل يحاول أن يقذف بها في أحشائه العميقة ! —

— ٤ —

وثبت هذا الصراع الخالدى بين أضواء النهار وظلمة الليل . لقد جمعت له الشمس كل ما تستطيع — حتى هذه الأنوار البهيجة التي كانت تظلل رأس « أبي الهول » وقبة « الهرم » — ولكنها لم تجد سبيلاً إلى النجاة ! ولا يزال الليل يقتحم عليها — ولا يزال هذا القرص الذهبي يتضاءل ويتضاءل — والسماء الوردية تنسكب منه فتتناثر في أطراف السماء — لقد أمسى دائرة صغيرة آخذة في انحسار سريع ... وإذ الدائرة تمسى خطاً أحمر ، ثم تنطفئ في حضنه الداكن ... وتتسلم ... وترسل نظراتها الأخيرة في ضراعة ووداعة وحب ... حتى إذا خفتت لهيه ؟ كل جناحاه الشبان المنتصبان على طرفيه ، يضطربان ويهتزان كما يهتز السمع الضئيل قبل أن يختنق

.. وانطلقت في الفضاء أسراب سريعة كأنها كانت تبحث لها المصرع ، ونهاية المعركة ..

وسكنت الطيور إلى أعشاشها تخاف على نفسها شر الليالى السود

وأويت أنا إلى عشي مكدوداً ... بعد العراك الطويل

— ٥ —

سينجاب الليل ، وستشرق الشمس غداً على العالم ، وستمضي حياة في أمواجها السابلة ... ترى هل تتراجع الظلمات التي تلأ نفسي ... وهل أخرج من هذا الليل الطويل الذي أتخبط فيه ... وهل يقدر لهذا القلب أن ينعم بالضوء والبهجة وبلهاة الفرحة ؟ ..

ترى من يقدر ؟ ... غير الله !

« المطرية » — شكري فهمي

شعر

# قصـــة الحب ...

« يا صاحبي ... إنك تحكي ما في نفسي ... ... جليلة ومسك هذه الليلة البهيجة فقدتها في ... »

---

غطا الشبيه بالنهر
وصاب الأنهر من البحر
وتنزل الأرواح المنقطعة من السماء
إلى الغيبات الزاهية
ليس في الحياة من يحب وحده
كل ما يحب يمزج
يقولون أنني كأنه
فهل لا تكون أنا وأنت

• • •

أنظري الجبال تقبِّل السحب
والأمواج يعانق بعضها بعضاً
والزهرة المنسية لن يغفر لها أحد
أن تنسى أخاها الشقيق
أنظرى
ضياء الشمس يلامس الأرض
وأشعة القمر تقبل البحر
هذه القبلات كلها ما قيمتها
إذا لم تقبليني أنت ،

... م ... وهب

# دعوة الرســـالة
## إلى تجديد الدين والأزهر
### للأستاذ محمود أبو رية

لما قرأت مقالكم الممتع « شفاء بوصلة » في العدد ٣٥٢ من الرسالة، أعجبني أيما إعجاب ما وصف قلمكم البليغ من الأمور التي يجدون منها شيئاً فشغلوا الناس بها، وأوقعوا الفرقة بينهم من أجلها؛ ذلك بأن من يطلع من أهل العصر على أكثر أبحاث شيوخ الدين عندنا وعند الآخرين، سواء أكان ذلك في مجالسهم أم في صفحات مجلاتهم لا يحسب أنهم يعيشون في هذا العصر، أو أن الدين الذي ينتسبون له ويناقشون في مسائله هو الدين الإسلامي الذي جاء به محمد (ص). ولكني — ولا أكتمك الحق — قد وقفت عند جعلكم البحث في أمر تسوية القبور أو إقامتها من هذه الأبحاث الفرعية، لأن هذا الأمر إنما يتصل بأصل الدين الإسلامي وهو (التوحيد) الذي هو أصل رسالة محمد (ص) وخاصة دينه، بل هو أول ما يدعو إليه كل رسول بقومه: « اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » وذلك بأن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغيره؛ وروح التوحيد كما لا يخفى على كل مسلم صحيح الإيمان، هو إخلاص العبادة لله تعالى والاستعانة به والتوكل عليه والتضرع، وما نكب المسلمون بشيء نكبتهم بالتبرك بالقبور والأضرحة التي قد أصابتهم من جرائها كثيراً في دينهم ودنياهم، أفسدت عقائدهم فأصبحوا كما قال الله تعالى: « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »، وأذهبت أموالهم في ما لا خير فيه ولا نفع منه وذلك بما يبذلونه في إقامة القباب ورفع الأضرحة وعقد موالدها، وكهانة خدمتها؛ وهذه الناحية من أعظم ضرر اجتماعي ضرب في عناصر الأمة، ذلك بأنهم قد تركوا الأسباب التي من كسبهم وعادوا سنن الله في عالمهم، تلك السنن والأسباب التي أحيت بها الأمم، فكانت سبب نهوضها وسبيل سعادتها، واتكلوا على أصحاب هذه الأضرحة ليقوموا بشؤونهم ويخلصوا من حاجتهم حتى صرنا في ساقة الأمم لا حول لنا ولا قوة. ورحم الله حافظاً إبراهيم إذ قال يخاطب الأستاذ الإمام محمد عبده:

إمام الهدى إني أرى القوم أبدعوا ... لهم بدعاً عنها الشريعة تعزف

رأوا في قبور الميتين حياتهم ... فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا

وباتوا عليها جاثمين كأنهم ... على صنم للجاهلية عكف

ورحم الله من قال:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف ترزق الأموات

السيد البدوي مثلاً وحده ... [illegible](١)

وأنا أعيش في الوجود [illegible] ... يا أم دفر ما به أقتات(١)

من لي بحظ النائمين بحفرة ... قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجري حولها ... بحر النذور وتقرأ الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى ... ووسيلة تقضى بها الحاجات

وقفت عند هذا القول في مقال صاحب الرسالة وعجبت أن يصدر منه وهو جد خبير به وبخطره، حتى قرأت مقاله البليغ (المقصد الساذجة)، ورأيت في القول المحكم في الضريح الذي أنشأه بالعراق السردار ظاهر رئيس الدين الإمام الحسيني على رضي الله عنه، فوجدت قلمه قد ضرب في الصميم ومس أصل الداء الذي أصاب بلاد الإسلام جميعاً وقلت: لقد اقترب صاحب الرسالة من الفصل بحلوى الحق — إذ لم يعد أحد يصدون له — بعد أن كان أكثر همه الأدب، ولا عجب فإن الدين الإسلامي لكما قال هو: « لا ينفرد عن سائر الأديان إلا بدعوته إلى الأدب وقيام معجزته على البلاغة »؛ ثم وددت لو أن تراب في هذا المقال أدلة النهي عن إقامة القبور وزخرفتها من سنن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ومن عمل علي رضي الله عنه في مثل هذا الأمر نفسه لا لشيء مقالة بها بأنه حقيقة يقين ولكن ليعرف المسلمون والمغرورون أن ما يدعو إليه الرسالة إنما هو دعوة محمد (ص) فلا يظنوا بالكاتب بأنه رأي مبتدع لا يؤيده دين ولا يظاهره نص. كنت أود أن يقرأ الناس في هذا المقال الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال

(١) البيتان الثاني والثالث لم ينشرا بديوان حافظ، فالرجو من كل من عنده نسخة من هذا الديوان أن يرجعها إلى هذه الأبيات لأنها من نظم الشاعر

قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص)؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته — وفي رواية ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته )

وقد ذكر الإمام الشافعي في الأم ونقله عنه النووي في شرح مسلم أنه رأى الأئمة بمكة يهدمون ما يبنى من القبور ويسوونها بالأرض عملاً بهذا الحديث، وحديث الأمر الذي رواه مسلم عن جندب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

« ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك »

وما أخرجه مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

ثم وصلت هنا وعلمت أن صاحب « الرسالة » قد نهض كذلك وهو من القول البديع المصرح والرأي الذي يرضى للقبول فواصل الكتابة في هذا الأمر، حتى جاء العدد ٣٣٥ ورأيت صدره قد حمل مقاله « في سبيل الأزهر الجديد »، حينئذ طابت نفسي وانشرح صدري وقلت: الحمد لله وضعنا أيدينا على مفتاح الإصلاح، لأن هذا المقال، إنما هو الصيحة المباركة لا في سبيل تجديد الأزهر فحسب، ولكن في سبيل تجديد عالمي.

لقد ضرب المحكم البليغ في صميم الإصلاح الديني فقال: « إن إصلاح الأزهر من ناحية الدين إنما هو في الرجوع إلى استنباط الحق من منابعه الأولى، من صريح الكتاب وصحيح السنة »

إن الدعوة التي تقوم بها الرسالة اليوم هي التي أحياها خير القرون واستمسك بها من تقدم العلماء، فتلقفوا أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما، ومن قبل وضع بذورها في العصر الحديث جمال الدين وأحياها الإمام محمد عبده، وقام على رعيها السيد رشيد رضا حوالي أربعين سنة، والتي أفصح عنها بكلمة حكيمة يجب أن تكون أساس كل إصلاح ديني في هذا العصر وهي:

« أقول في الدين بجامعة الإسلام كلها وهي الوقوف في العقائد والعبادات عند نصوص القرآن، وبيان السنة النبوية له، وسيرة السلف الصالح فيه قبل حدوث الآراء والبدع وسياسة مصالح الأمة العامة في الأحكام القضائية من كتابية وسياسية وغيرهما؛ وأما ما فوضه الشارع إلى الناس من أمور دنياهم ووكله إلى علمهم وتجاربهم في قوله صلى الله عليه وسلم: « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وقوله (ص): « إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر » رواه مسلم في صحيحه

أما هذا فإني أدعو فيه إلى أحدث ما سبق إليه علوم البشر وفنونها وإلى ما لا يعرف له حد من الزيادة عليها بقصد إعزاز الأمة وإعلاء شأن ملتها، ولا بد فيه من المحافظة على مقومات الأمة ومشخصاتها التي كانت بها أمة في وسائلها ومقاصدها )

هذا هو منهج الإصلاح الديني الذي بينه المصلح الكبير السيد رشيد رضوان الله عليه

فسر يا صاحب الرسالة موفقاً لله في هذا الطريق حتى يتجدد الدين ويبلغ مكانته اللائقة في هذا العصر وفي غيره، وبذلك تكون الرسالة قد نهضت بخير عمل ثوابه عند الله كبير، ونفعه للناس عظيم

( المنصورة ) محمد أبو عبده

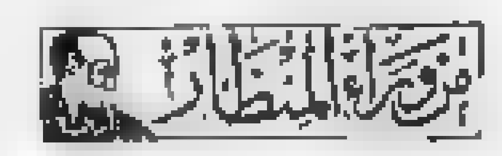


## في عيـد الفسيـخ

أرجو ألا يحمل القارئ تسميتي هذه على المزاح ، فلست في حال مزاح ، وما أستطيع أن أسمي الأشياء بغير أسمائها حتى في هذا الزمن الذي يسمى كل شيء فيه بغير اسمه

وإنما تسمى الأعياد بأبرز خصائصها . على هذا النحو كان عيد الأضحى ، وعيد الفطر ، وعيد الميلاد . وليس في القراء من يستطيع أن يجادلني في أن الفسيخ قد أصبح أبرز خصائص ذلك اليوم الذي يسمونه شم النسيم ؛ فليت شعري وهذا هو شأن الفسيخ فيه لم لا نسميه عيد الفسيخ ، وقد تلاشى في جانب الفسيخ كل جميل !

الأصل في هذا اليوم أنه عيد الربيع ، عيد الورد ، عيد النسيم الذي يبعث العطر ويزخر بالجمال ، وحسب أنه كذلك في أصله ؛ ولكني لست أدري كيف جعل الفسيخ فيه يطغى على الزهر ! ولعمري ما أرى أي رابطة بين هذا وذاك ، وليس من يقنعني حتى المولعين بالفسيخ أنفسهم أن هذا شيء وذلك شيء آخر أبعد ما يكون عنه حسناً وعبقاً ؛ وإن كان في الناس من يقول : « يغني عن الفسيخ شربات »

هل كنت بمنظاري هذا المنظار أو حرمت عيني من وراء المنظار ، هذا السجين ولماذا أدع ؟ أأستطيع أن أمر دون أن أضحك من هؤلاء الذين جلسوا للطعام على بُسُط الربيع ، فما كان أمام الكثرة الغالبة منهم إلا هذا الصنف من الطعام الذي يجب أن يكون آخر ما يؤكل خارج المنازل ، بل يجدر أن لا يؤكل في أي مكان قط ؟ وكان يبعث ضحكي من هؤلاء أنهم جاءوا رهقاً شديداً في تناوله ، ومع ذلك فهم يقبلون عليه في شراهة جعلتني أعتقد أن سر الجمال عندهم في هذا اليوم هو في ذلك « الفسيخ » وذلك « [illegible] » وما يصحبهما من قوارير الأيدي واللاتي ملأ من ثوبيت الخبز كله وأعجبه أحسست منه أنفاس الزهر ... هذه العجيبة التي نريد ... وهنالك ... المساكين جمالاً على جمال ؛

وما كان هذا المنظر وحده هو الذي انقبضت له نفسي ، فلقد كان ما رأيت في النهار كله دليلاً لا يكذب على أن الناس ما خرجوا من ديارهم لاجتلاء جمال الربيع والاستمتاع ببهجة الربيع ، وإنما خرجوا ليشوهوا جمال الربيع عامدين بكل ما في وسعهم من أسباب التشويه

على أي وضع من أوضاع الذوق والجمال يجري منظر هؤلاء « الأفندية » الذين تعثر على مفاتنهن في حيث لم ... جلسوا ، وما جرت ألسنتهم إلا بكل عوراء خرقة من النكات والحكايات ، حتى يحيد رؤوسهم بعد زجاجتهم فزادوا سكراً وخفة وعلى جوانبهم أسمر فيها أوراق وسيقان !

وعلى أي وضع من أوضاع الذوق والجمال يجري منظر هؤلاء الشبيبة المتعلمين الذين يأخذون السبيل على كل غادية ورائحة ، ولا يتنادون إلا بأشنع السباب وأوضع الأسماء والتي لا يعطر بهم أكثر من عبارات الحب وجه إليهم من يتحدثن « يا حا كتير » ؟

ثم ما هذه « الشلل البلدي » الذين اصطحبوا من اصطحبوا من ... ورقصوا على ... في هذا اليوم الجميل ... وحتى يصيحون إلى مسافات بعيدة هذا المنظر القردي العجيب !

بل ما هذه الأفندي الوجيه الذي خلع سترته وأتى بطربوشه ووقف يرقص في حركات بهلوانية وحوله من يصفق له من يعرفونه ومن لا يعرفونه ، وهو لا يزيد في التصفيق إلا جنوناً وانتشاء ، ثم هو لا يفتأ يحاول حركاته كما استحسنه المصفقون من أولئك باستحسانه ؟ وما هؤلاء المتحدثون الذين انتشروا هنا وهناك ، فكانوا أثقل على المتنزهين من المتفرجين ومن التطفل ومن رائحة الفسيخ ! ما هذه الضجيج ، وما هذه الفوضى التي تلاشى فيها جمال الربيع وسحر الربيع واستحضرت لها روح الربيع ، حتى لو استطاع ربيعنا لبحث له عن أرض غير هذه الأرض ، وناس غير هؤلاء الناس !

رأيت هذا ، وذكرت يوم شم النسيم في القرية ، وطاف برأسي عذارى الريف يسبقن الفجر ويذهبن إلى الترع فيستحممن ويلتقين ويرقصن ويحطمنها بالزغاريد والهتاف ، ويمددن صيحات ضاحكات يشبهن أصفى القمر الشبه الرحيب ، وينطلقن ... عيون الشبان في طريقهم إلى شجر التوت وفي أيديهم الرياحين والسعد والنعناع والورد ، فلا يكون بين هؤلاء وأولئك إلا الابتسامة الحلوة أو التحية العذبة ، ويكون صدورهم وعليهن نسيماً من الجلال والحبور والانبساط ، وكما عادو ... من هوى عذري ... ذكراه وذكرى الصبوة في ثناياه سحر العالم كله

« خفيف »

# النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدسوقي

— ٣ —

انتشرت حركة الأخوة بسرعة في المدن والأرياف – بالشكل والمركز – كتنظيم، وطبقة أصحاب الحرف كأساس اجتماعي لهم، وتمثل العامة وسائر طبقات الشعب من أتباعهم، فكانت حركة اجتماعية سياسية ودينية عسكرية في نفس الوقت. وقد لاحظ أحد الزائرين في عهد متقدم أن أعضاء كل جماعة من جماعات الأخوة كانوا أصحاب حرفة واحدة. ولا بد من أن الاتحاد التام لجماعات الأخوة مع الطوائف قد حصل في زمن متقدم، وربما كان ذلك في بدء حركة الأخوة. كما أن حركة الأخوة لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب حرفة واحدة، وإنما حفزها وجمعهم حفظ العمل ورقابة النظام عند حده، واتباع قانون أخلاقي وديني، وتنمية واجباتهم العسكرية إلى وقت الحاجة للدفاع عن مواطنهم. ولم تكن العضوية مقصورة على المسلمين فقط بل كان عدد من المسيحيين منتسباً جداً في طور متأخر.

وهكذا تحقق في حركة الأخوة لأول مرة اتحاد الطوائف والفتوة والطرائق الدينية. وقد أتى كورودلسكي بأدلة هامة تؤيد تأثر الطوائف بالفرق الإسماعيلية، إذ يلاحظ الأستاذ أثراً قوياً للآراء الباطنية (لا سيما قواعد الإسلام) عند الأخوة، ويرجع أصل ذلك إلى إخوان الصفا. ويذهب (كوبرولو) إلى أبعد من ذلك فيؤكد أن الأخوة كانوا في الحقيقة متطرفين متشددين في عقائدهم ومذاهبهم وأنهم من طراز القرامطة أنفسهم (١)

والمعروف أن أقدم علم للأخوة في الأناضول وصل إلينا في وصف ابن بطوطة من أعمال الرحالة في الأناضول في القرن الخامس عشر الميلادي (٢)

وظهور السلطة التتارية وتوسيعها أفقد الأخوة كثيراً من سلطتهم ونفوذهم، وبعد مقاومة عنيفة قصيرة اضطروا إلى التخلي عن مهامهم السياسية والعسكرية، ولكنهم لم يهبطوا أبداً إلى درجة أصحاب حرف عادية، فقد استمرت بينهم روح الجمعية الأولى. وحفظت الطوائف حتى القرن العشرين على صفة روحية دينية وقانون أخلاقي.

واستمرت علاقة الطوائف بالفتوة والأخوة في الأناضول بسرعة، وتم ذلك في كل البلاد الإسلامية المتوسطة (مركز ٣) في القرن الخامس عشر. وقد صار منظماً ولائقاً في النظام الداخلي لهذه الطوائف وصناعة طوائف الفتوة. فكان لكل طائفة قانون يحتوي على قواعد وعادات وشعائر يقل شبهها جداً. وكان هذا القانون يعرف بالدستور (كلمة فارسية معناها إذن، ومؤخراً نظام)، وكانت تكتب هذه القوانين في بعض الأحيان، وقد وصلنا عدد كبير من هذه الدساتير ويرجع إلى القرن الرابع عشر وما بعده، ويسمى كتاب الفتوة أو (فتوت نامه) كما يسمى هذه الدساتير بالعربية والتركية على التوالي مع عدد من كتب الرحلات والجغرافيا والسير الأخرى سلوسانا(١). وكانت جميع هذه الكتب تقريباً حسب خطة واحدة من ثلاثة أقسام: القسم الأول يحتوي أساطير تتعلق بأصل الحرفة وصاحبها ومؤسسها الذي تعتزي إليه، ومن سلسلة حلقة من المشايخ، مثلاً: محمد عن جبريل، جبريل عن محمد، محمد عن علي، علي عن سلمان الفارسي، وسلمان عن الأئمة (وجماعة أصحاب الحرف مختلفة المذاهب) والأئمة عن الفروع (وهم الفتيان والمشايخ الشعب المختلفة لأصحاب الحرفة الواحدة). وهؤلاء الفروع يرأسهم الأساتذة الحاليون. وفي هذه الأساطير تظهر بجلاء تأثيرات الإسماعيلية والصوفية. القسم الثاني يحتوي على قائمة بأسماء الأئمة والفروع لمختلف الحرف، وهؤلاء غالب أشخاص اقتبسوا من التوراة والقرآن ومن التاريخ الإسلامي، ولهذا نجد آدم حامي الفلاحين والخبازين، وشيث حامي [illegible]، ونوح حامي النجارين، وداود حامي الحدادين والصياغ، وإبراهيم حامي

---

(١) يجب ملاحظة أن [illegible] يمكن أن أثر الباطنيين في حركة الأخوة [illegible] لم تكن [illegible]

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة طبعة باريس ١٨٥٤ ج ٢ ص ٢٦٠ وما بعدها. انظر (Taeschner) عن طريقة الفتوة حتى ترجع إلى القرن الرابع عشر [illegible] وفي هذه الرسالة [illegible] كتب فيها شيئاً [illegible] =

= الأمر أن هذه [illegible] الإسماعيلية [illegible] وكان المتكلم [illegible] وهو الأخوة [illegible] ومنها موقف [illegible] أو [illegible]

(١) ص ١٠٠ [illegible] أكثر هذه الدساتير [illegible] مخطوطة في أوربا وآسيا في المكتبات العامة والخاصة [illegible] راجع Thorning, Beiträge p. 15-34.

المدعين، والتعامل على صناع الأسلحة، والتنظيمات الصوفية عالم التصوف المبتذلين، والأسطة به ظهر أحيانا في أجزاء من أوروبا. ويمكننا من معالم كرايس (كتب الفتوة) أن نصور نظام الطوائف عندنا، واستنتج أن هذه كرى عنه أن ... كانت سائدة من حال كرى بعد القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين وتشمل كل البلاد الإسلامية. ومهما كان التغيير قليلا خلال القرون، فإنه يوجد مجال على معظم ما ستضمن أن نصل صورته عامة مع ملاحظة الفروق الأساسية بين المحلي والرسمي.

يرأس الطائفة الشيخ[1] ويختاره الأساتذة من بين رجال الطرفة، ويشد اختياره بطريق حاكم البلدة الأوحد ويختم وظائف رئيس وأمين صندوق وكاتب، وهو (رئيس الشيخ) موجود في جميع الطوائف الإسلامية وفي بعض الطوائف كطوائف مصر في القرن السادس عشر الموصوفة في (مخطوط كوتا) وجد له مساعدا، وهو النقيب، ومعرفة بالنسبة إلى الشيخ «كمرافق القرون في السلطان» ويظهر أنه كان رئيس التقيد لأوامر الشيخ ويمثل الطلاب أيضا. ويجد الاختيارية أو المسنون بين أساتذة الطائفة يشاورون معه في إدارة الطائفة، ثم يأتي الأساتذة ويدعى الواحد منهم أسطى أو أحيانا (معلم)، وهم يشكلون القسم الرئيسي من الطائفة. أما الصانع فلا يلعب دورا هاما في الطوائف الإسلامية ولا وجود له عنده إذ يكون الانتقال من مبتدئ إلى أسطى رأسا، ويوجد في بعض الطوائف دور وسط يدعى الصانع في ... خلفه أو خليفة، وهذا الدور وقتي فقط.

ومع ذلك فالمبتدئ، وفي أغلب الحالات لا يعد وقت الدور الذي يقضيه المبتدئ، ولا يطلب منه صنع شيء مثال متقن جدا Masterpiece الذي تقوم عنه الأوروبيين غرض الترقية والأخذ بجهد من أحد الأساتذة الذي يشتغل معه المبتدئ، ولا عليه التمرس في مسألة نظير النظام ... إن الشيخ يختاره أو يعينه منفردا، ويقول آخرون إنه يعمل ذلك بمساعدة الاختيارية.

هناك نوع آخر من التنظيم في الطوائف الأناضولية المتأخرة وصفه كوردلفسكي يتطلب منا من المبتدئ، فصاحب ... في هذا الدور، كما أنه لا يأخذ في هذا الدور أي أجر ويمكن له على أن يحصل على بعض المكافآت (البقشيش) رواية عنه ...

إلى الطائفة، ويعرض أستاذه في شئون حرفته للتحصيل في مراقبة أخلاقية في الزاوية في نفس الوقت. وإذا كانت ... الأستاذ مجيبه فعليه أن يبقى مع أستاذه ومن شئه أستاذ آخر ... وفي ... هذا الدور يطالب منه ... مثلا ... ثم يحضر في حفلة عامة من قبل — الأستاذ الذي — أي شيخ الطرفة، و... — يكتب المبتدئ ... أي الاختيارية، ويوجد هنا يصبح خلفه[2] ويجب عليه أن يبقى منه شهر على الأقل وبعد انتهائها يستطيع أن يعرض حرفته كأستاذ — وفي هذه يساعده أستاذه وغيره من الأساتذة من الوجهة المالية عادة.

رأس الطائفة حيث يدعى لرتبه مدني Lenoc... eyeti شكل من شيوخه في الرجال المسنين[3] ويكون القرار الرئيس الذي ينتصب عنده الفتوة، ويجتمع الجميع كل أسبوعين، وتتخذ الأوامر والصلوات المدونين أوائل ... أوش باشي — وعرض الطوائف كثيرا في كتبه نوع التشيع ومصاف صاحب الإنتاج الرعي، طرده مؤقتا من الطائفة ... الأولية تحت رقابة الشيوخ، ولأصحاب الطرفة المتفرقة من الأتمة في هذا في الأشياء، ويعقد اجتماع عام سنويا.

يمكننا أن نلاحظ للدور القدم التي يجب الدعى الخاص لرجال الطوائف في جانب ... الفترة القاهرية في أوائل عهدها كانت السروال، ويتكلم الكتاب العرب عن لبس السروال كعلامة للانتماء إلى الفتوة، ثم أصبحت هذه الحالة متبعة في الطوائف، وصارت حفلة الانتماء إلى عهد قريب تتصف بارتداء بعض الملابس السروال والشد والحزام والبشمال أو الصدرية ... ومن الأهم من هذه الملابس.

لدينا وصفان مفصلان للطوائف الإسلامية يصفان التفصيل كل على انفراد أوله وصف في رحلة سائح تركي يدعى — أوليا جلبي — الذي وصف قائمة مفصلة بأسماء الطوائف ومشيخ أهلها، الحرب في أوائل القرن السابع عشر بناء على طلب السلطان، وفي هذا المؤلف نجد لأول مرة وصفا كاملا لنظام الطوائف في مدينة إسلامية. بينما أوليا حل وصفه للطوائف بجوب عنه — كتاب الفتوة — الذي يظهر أنه نص مفقود يحتوي على الأساطير والشعائر الأسطورية وكذا وصف حفلة الانتماء

(١) يعرف الشيخ أيضا باسم (أخي) وصيغته، وأصلها التي إذا انتهت رتبة التي ترجمة متعلقة يسمى الشيخ في تركيا — شيخ، أستاذ — وفي أغلب الرسمي يسمى — كل طائفة —

(١) وصم نظاه Gordlevsky, R. E. I. 1926, p. 61 ff.

(٢) يعود كوردلفسكي نظرا أنه في أولي قال كان ... دور الخلفة إلى أكثر من سنة أشهر.

إلى الطائفة. أما تركيب الطائفة الذي يحويه الوصف فهو الشيخ (الرئيس) والنقيب (نائب الرئيس) والـ... يس والأوسطة (الأستاذ) ثم الشاكرد (المبتدئ). أما الصانع أو العامل البسيط فيلاحظ أنه لا ذكر له.

ثم يعدد (أوليا جلبي) جميع الطوائف الموجودة تحت سلطة اللالا (جمع لَلا) الأسنة في القسطنطينية مع عدد حوانيتهم ورجالهم وشيوخهم بما يصل إلى سبع وخمسين شعبة تحتوي كل منها على ألف طائفة وطائفة. تحوي الشعبة الأولى على الـ... آغوات (ج حاوش) وموظفي البوليس والعسس والانكشارية العجم (آكم أو ملاك) والزبالين والقسمجية (حمال القدور — المطبوخ —) وحملة الفاحم، والبلطجية والأحداث Amours والنقاش. وفي المعرض العام يتقدم هؤلاء في السير لأن من واجبهم تنظيف أو تسوية الطرق التي يسير عليها الآخرون بعدهم. أما الشعبة الثانية فهي تحت رعاية رئيس الطوائف Assa Bası الذي عين لهذا المنصب من قبل السلطان محمد الفاتح (١٤٥١م - ١٤٨١م) وهي تحتوي على أصناف العسس والشرطة والجلادين، واللصوص، وقطاع الطرق، ورجال المخبرين (في العسكرية أو البحرية) وسواس الخيل، وحراس الخيل، والحرس. ويعجب أوليا أن أصناف اللصوص، وقطاع الطرق، وكذلك النصوت وغيرهم من رجال الأعمال لا يظهرون في المعرض العامة، ولا يعرضون شخصياً، ولكنهم يدفعون جزية (ضريبة) إلى رئيس الشرطة للدهور (أسس باشي) (وصوباشي).

لا يسمح المجال هنا بالنظر في وصف السبع وخمسين شعبة، ونلاحظ كيفما تم أن كل شعبة وأنها تخلص ... تابع مقدم رأس الطائفة الهم في الشعبة ووظيفته ترجع وظيفة. أما الهيئة الشعبية التي يتحكم بها موظفون كـ(صوباشي) ... والسبب هو كون الطرق نفسها وعرة أو ضيقة ... ويعطي الطوائف فرحاً تاماً كل عيد استعراض مرة واحدة سنوياً، ووصفه أوليا كما يأتي: «يبدأ الموكب للملك المجد وقت الفجر ويستمر الموكب في السير طول النهار، حتى الغروب، يتجمع الاستعراض من قبل المطووش ... الذي حوطه ... ويعطي للموكب أي رحل والرحل ... السلاح كأنه ... ومن العادة الجديدة أن كل طائفة عند الوصول قرب الكشك المقيمة أمام تذكار ... باشا تعرض نفسها أمام بيت قاضي استانبول لأنه صاحب السلطة لتفتيش جميع الأوزان والمكاييل ... الطوائف. وهناك قاعدة أخرى وهي أن كلا من هذه الطوائف يهدي إلى قاضي القسطنطينية البضائع التي عرضوها في معرض عام. ويكون بعض هذه البضائع كأن ... للناسبة، وبعد تقديم الاحترام لأول ... في المحكمة ... الطوائف وزملاؤها إلى ... المختلفة وينصرف كل إلى بيته. وتتوقف كل تجارة وحرفة في القسطنطينية بمناسبة هذا الاستعراض مدة ثلاثة أيام ... عقب الاستعراض». ويعلم أن ... عظمى كانت ... على ... الأسبقية (في السير). ويحكي أوليا جلبي وصفاً عاماً لنزاع من هذا القبيل (أي حول من الأقدمية) بين القصابين وبين تجار مصر، ثم صدر الحكم النهائي من قبل السلطان في جانب التجار.

(يتبع) عبد العزيز المبروك

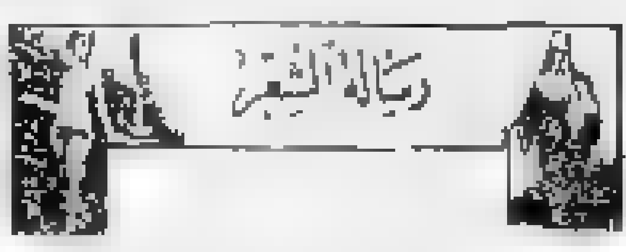


# هل بعد الشباب شباب ؟

## للأستاذ حسين شفيق المصري

بعد كبار في الدلال [illegible] ... وهل صادق بعد المشيب [illegible]

[illegible] الشيخ [illegible] ... كما [illegible] الكروم [illegible]

[illegible] الشعر [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] بعد الثلاثين [illegible]

[illegible] في ثوب [illegible] ... [illegible]

[illegible] الأعراب [illegible] ... [illegible]

[illegible] عند السجود لو أنه ... [illegible]

وقد يغني لو [illegible] ... [illegible]

فلا هو [illegible] ولا هو [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

ألا لو [illegible] الأشياخ [illegible] ... [illegible] الهوى [illegible]

[illegible] إلى [illegible] كل [illegible] ... [illegible]

وكان [illegible] ... [illegible]

[illegible] الأمر حتى [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الأيام [illegible]

[illegible] الشباب إلى [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] من شيبه [illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] الشباب [illegible] ... [illegible]

أكل الفتى حب ولهو ونشوة ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] الشباب على الهوى ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

ولا [illegible] والأيام [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] الشيب [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] (١)

حسين شفيق المصري

# لقـــاء . . . .

## للأستـــاذ حسن حبشي

يا لحظة [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] لحظة [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الأرحب

(١) [illegible] بيت [illegible] ... [illegible]

[illegible] الشيخ [illegible] ... [illegible]

حنو الفؤاد حففت بمكنت ... | ... الخلود وتدوت مني
... بدا بي من حيث | ... ثغري كان في ...

... الحياة بشاعر عاش | ... الجمال ... الثاني
... إلى ... الهوى ... | هيهات يروى منه ... الظامي

---

... تنثر ... | ... الصباح ... الأمل
... أنت ... | ... من الأحلام والقبل

أنا ... في ... | والشعر ... كأسي ...
... القمر ... | والنور أنت، وأنت دنياي

... ومنا ... | ... رقصة ... الحب
... نشوان بالأدب | ... سكرى في ...

يا ... الأمس الذي ولى | ما كنت ... الزمن
... | ... ماجرى الشجن

يا ... في العشر ... | ... إلى ... من ...
... | ... إلى ...

---

أ... حد ... | هيهات ... من عذرى
... | ... الشكوى

---

... الأسى | ... إلى ...
... | ... 

---

... في ... | ... الأصداء والشعر
... الشعر النرد | ... بالسحر والعطر

(بني سويف) حسن حبشي

# أغنية الربيع

[ مهداة إلى صديقي الأستاذ ... ]

للأديب مصطفى علي عبد الرحمن

---

تشرق مثل الشمس التي | حكت الزهر الصبيح الوديع
وسرت عطراً وحناناً يسعا | تحت السحر في وجه الربيع

• • •

وجرى الجدول ما بين الصخور | حالماً يخطر في رفق ودعة

والطيور

تتغنى فوق عذب سلسل

في سرور

مثلما غنت من الغصن الظليل | ... الأعشاب يستهوى العيون
صرت الأنسام سكرى | تتهادى
وصفاها كالطفل حراً | تتمنى

• • •

ورأى السوسن تاج الحيرة | ساحر حسن رأى ...
وعذارى الأيك أرخين الشعور | فتنت بالسحر سكرى جفناي

• • •

ومع الأحلام من ليل الشتاء | راقد في
باسماً يختال في ثوب الحياة | مطمئن

وهدير حفت الطير به

وله رشف الندى من ...

والفراشات طليقات ...

حيثما تجوال نهر

في صفاء وسمر

• • •

يا ربيعاً لاح ميمون الجنى | ... الطلعة ... السنا
ورشفنا من أكواب المنى | بت ... تيه ...
بت هنا أحسن الحب بيوم

(الاسكندرية) مصطفى علي عبد الرحمن

# رسالة الفن

[illegible]

## عندنا فنانون ... ولكن!

[ إلى أستاذي الدكتور زكي مبارك بعد [illegible] ]

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

## ١ — من الكتاب

### الدكتور هيكل باشا

شارل شابلن من أعظم ممثلي السينما الآن، فلا يجوز لأحد أن يغضب إذا قيل له إن فيه من روح شارل شابلن وخفته وسكونه، إلا إذا كان ممن يكرهون الفطرة الصافية، وسهولة النفس المطلقة. ولا يمكن أن يكون الدكتور هيكل باشا من هؤلاء، ولذلك أبيح لنفسي على الرغم من [illegible] في الشرق التي يقدس كبراءه ويتحرج في التحدث إليهم والتحدث عنهم — أن أقول له: إني ما رأيته مرة إلا [illegible] له نفسي كما تنفتح لشارلي شابلن، ولا أذكر أنه جلبنا على أمر فانتظم نفسي أمامه ترحيباً وتوقيراً.

فقد كنت أحب ألا يكون الدكتور هيكل ... باشا، بل قد كنت أحب ألا يكون دكتوراً، فالدكتور، ما أعرفه، يكتب الواقع الثابت المؤكد يتحراه فيما يقول، وفيما يبحث ويفرض، وفيما يقصد ويوجه. والتزام الواقع الثابت المؤكد في هذا كله [illegible] أن نقرأ [illegible] وأن [illegible]، والعاطفة والخيال أعلى ما في الفنان. فهلا أعطانا سعادة الدكتور هيكل باشا [illegible] ما يعطينا من فكره!

### الأستاذ الزيات

أشهد [illegible] أنه لا يزال [illegible] في طبعه ولا مكر ولا [illegible] الماثلة في الناس، فهو [illegible] بأسلحتهم ومن إحسانهم أيضاً. وقد أورد هذا التصوير [illegible] التي مرت به في كتابته، فهو إذا أراد أن يلقي [illegible] على رأس قارئه لوماً وعتاباً وتأنيباً كلف نفسه في [illegible] أن يصنع [illegible]، ثم أن ينتقي [illegible] على [illegible]، ثم أن يلبس [illegible] فإذا هو [illegible]، ثم أن يجرد هذا [illegible] فإذا هو [illegible]، ثم أن يضع في هذا [illegible] فإذا هو [illegible] الأستاذ الزيات [illegible] من الصور والتفكير والعواطف، فهو إلى [illegible] الخطب [illegible] إلا الإصلاح [illegible] جداً!

وإذا جاء يوم [illegible] الناس الإنسانية [illegible] الأستاذ الزيات [illegible] بما [illegible] من الرقة وأناة النفس، فهو حريص كل الحرص على [illegible] أن ينزلق إلى [illegible] أو كلمة جارحة [illegible] الطويلة لا يزال [illegible] في [illegible] ولقد [illegible] آخر على ذلك هو أنه [illegible] إلى أسرار [illegible] في [illegible] أحدها (الرسالة)

إني أحبه لأنه كان [illegible] في [illegible] على [illegible] من عن الحياة، [illegible] الرسالة بعد ما [illegible] الناس [illegible]

### الأستاذ أحمد أمين

[illegible] سنة ١٩٢٨ وكانت [illegible] أسماء [illegible] الرحمة [illegible] ثم سألني: هلا رغبت أن تدرس بعد البكالوريا؟ فقلت له: اللغة العربية في كلية الآداب عندكم. فسألني: لماذا؟ فقلت له: [illegible] أكون أديباً. فقال لي: [illegible] تخرج الأدباء [illegible] تخرج الأدباء [illegible]

وثم الخلاف الحاصل في المرحلة الثانوية من الفرق بين الأدباء المنشئين والأدباء الرسميين هؤلاء. وبعد، فالفرق كان موضوعاً لدرس من دروس السنة الثانية من قسم اللغة العربية في كلية الآداب، ويمكن كتب قد قرأت كتاب «في الأدب الجاهلي» كما كان الأستاذ أحمد أمين قد قرأه، وعرفت منه ما عرفه، فلم يحتج بعد ما قيل أن أسأله شيئاً وإنما أدرس الدرس على نحو لأن الأستاذ أحمد أمين أخبرها بأنه لا يصح في كلية الآداب على غير ما تقدمه ... فلست من صاحبها! الاعتماد على الله

وجئت من الإسكندرية ودخلت كلية الآداب، واضطررت إلى أن أدرس الكتابة، ولم تكن يتهاون فيها أحد أكثر من الأستاذ أحمد أمين، فكم قال لي إن الرجل لا يمكن أن يجيء مع الكتابة في المجلات والصحف؛ وكم حيرني بين الاستمرار في طلب العلم متقدماً في كلية الآداب أو طلب الرزق بالكتابة، حتى سألته يوماً أن يدلني من حوثه عن جهات في الشهر مكتفياً وأقسم له ما أن أقوم على الدرس حتى لا يتهاون فيه طالب، فانتهى إلى الكتابة بعد عنده عندي وكتب ذلك بين الأستاذ أحمد أمين وبيني ومنه عندي عندا أيضاً. فقد بدأت تظهر أعراض الكتابة على الأستاذ أحمد أمين، فنشر له في الرسالة قطعة مترجمة تحت عنوان «قصة مثلة» ونشر له بعد ذلك مقالات أخرى، وإذا به آخر الأمر عبقة أسبوعية يعم ولا يغشى!

فهل لي أن أسأل الآن الأستاذ أحمد أمين: أتستطيع كلية الآداب اليوم أن تخرج الكتاب المنشئين ولو في مدة محدودة، أم هي لا تزال قائمة بتخريج الأدباء الرسميين الذين يلوذون بأنفسهم وبوضعهم وإن كان لا يرام أحد ولا يسمعهم ...؟

ثم هل لي أن أسأل أيضاً: أتعني حياة الشر اليوم مع الكتابة في المجلات والصحف، أم أن عند أحمد أمين يجوز للعلماء والأساتذة الذين يستوعبون العلم كله، وشهواته كلها، ولم يعودوا يجهلون شيئاً مطلقاً، ولم تعد مكارم تسألهم عن إصلاح الفاسد منه وظلمهم العودة للإصلاح والإشراف عليه ... بينما هو لا يجوز للأولاد الجهلاء الذين عليهم أن يتوقوا ميتاً أو يجمعوا القصة في كتاب «فجر الإسلام» وحده وفي القصة عشرون قرشاً؟

في القرآن ظاهرة عجيبة، وهي أنه عندما يقول عن الله إنه الحي ... في القرآن هذا الأمر أو لماذا يكثر منه في الأول؟ لعل بعضه لكثرة الله وحده هو الذي يستطيع أن يكون حياً وحياً. والله أعلم

## ٢ — من المشاكل

[illegible]

زوره فيقول له: إذا أغلقت عليك حجرتك امتنع عنك الهواء فسدت حجرتك من العطب فيظل عليه حجرة تختنق منه. ويزوره زائر آخر يقول له: إنك أغلقت عليك فامتنع عنك الهواء فارتفعت درجة حرارتك فأنت إذا خرجت أصابك البرد وإن حجرتك العطبة فتح الباب والنافذة. ويمضي هذا الزائر ويجيء زائر ثالث فيقول له: إنك وقد فتحت الباب والنافذة قد عرضت نفسك للتيار، والبرد إذ أصابك فإن حجرتك العطب فاكتف إما بالباب وإما بالنافذة، فيفتح النافذة ويبقي الباب مفتوحاً. ويمضي عنه هذا الزائر ويجيئه زائر رابع فيقول له: إنك وقد فتحت الباب عرضت نفسك لإقلاق الضوضاء من الزائرين بك وأنت رجل مريض في حاجة إلى أعصابك إذا هدأت، وضعك إذا اطمأنت ولم يقلقها صوت أو حس، فيقوم ويغلق الباب ويفتح النافذة. ويمضي هذا الزائر ويجيئه زائر خامس يقول له: إنك وقد فتحت النافذة رفعت صوتك للشارع ووصل إلى «حجاجيجك» وربما كثر على سمعك جلبتك فطال صوتك ومن آذى فيبحث أيضاً، فيغلق النافذة. ثم يمضي عنه هذا الزائر إلى حيث وقد أمسى في نفسه الحيرة فتعب ورأيه ثم تذكر أن الزائر الأول قال له كلاماً معقولاً منعه به عن إغلاق النافذة والباب، فيقوم ويفتحهما! ولكنه عندئذ يذكر أيضاً أن كلاماً معقولاً قيل له ما فتحهما أول مرة وأنه اقتنع به وأنه قام على أثره فأغلق الباب وأبقى النافذة مفتوحة.

فيقوم ويغلق الباب ويبقي النافذة مفتوحة، ولكنه عندئذ أيضاً يذكر مرة أخرى أنه اقتنع في ساعته بما يوجب إغلاقها فيقوم ويغلقها هي أيضاً، ثم يعود فيرى أنه عاد إلى ما كان فيه، فلا يرى مخرجاً من هذه الدورات إلا أن يهجر حجرته وأن يجلس في القهوة يطلب الزرقة ... فإذا سأله آخر ... ويسألهم عن المسألة وسألهم حلاً للمسألة فإذا لكل واحد منهم رأي وإذا هو يرى منهم جميعاً يحيرهم من الاهتداء إلى الحل القريب الذي اهتدى إليه هو، وهو الإضراب عن الحجرة، ويحتال في ذلك الإضراب عن الحل.

## الأستاذ يوسف وهبي

لا شك في أنه قد خص الفن بجهود صادقة! ولا شك أيضاً في أنه منذ ظهر لا يزال يضرب الرقم القياسي في إقبال الجمهور على فنه فكيف به في عنان أن يكون أروج الفنانين ومع ذلك يكون أخسرهم؟!

الظاهر: هو ينفق على مظاهره دخله كله وأكثر، ويرجع السبب في هذا إلى أنه يشعر في قرارة نفسه بأنه وإن كان ممثلاً غير مبرز للتمثيل، وأدرك فرق بينه وبينهم أنه دخل إلى التمثيل وفي جيبه مال.

أشبه صورة بكثير من القوم، ولكن الواقع يشهد بأنه ذو من شهرة واحدة — على الأقل — وهي تكاليف الحرية التي وهب نفسه لها، فهو بطل لأنه محب التمثيل، وهو بطل ولو حورب في سبيل التمثيل، وهو بطل لأنه إذا لم يجد مسرحاً يؤويه انطلق في الحياة يمثل صوراً تتراءى له. وأكثر هذه الصور ترقصاً أمام عينيه هي صور الزعامة والرياسة والقيادة والحكم، وروايته الأخيرة التي ألفها هو تشهد كلها بذلك، فهو فيها جميعاً إما زعيم حزب، وإما رئيس شركة أو إدارة، وإما مستشار أو قاض في محكمة، وإما ضابط كبير في جيش.

وإني لا أرغب في أنه إذا أراد أن يكون زعيم حزب في مصر لاستطاع أن يكونه في نجاح كبير.

### الشحاذ

جورج أبيض وعزيز عيد

اشتركا معاً وأقاما فرقة، وطافا بها في الوجه البحري والوجه القبلي، وعادا إلى القاهرة ومعهما ألفان من الجنيهات كانت في جيب الأستاذ جورج أبيض، وبعد يوم من العودة تركا فيه من مشقة السفر ذهب الأستاذ عزيز عيد إلى الأستاذ جورج أبيض يطالبه بنصف الأرباح حسب الاتفاق

عزيز عيد — يا أخي يا جورج، أين الألف التي لي؟

جورج أبيض — هي يا أخي يا عزيز في جيبي

عزيز عيد — طيب، هاتها

جورج أبيض — يبقى أستطيع أن أعطيك، ولكن ثق أيضاً أنني عاجز عن مواساتك

عزيز عيد — لم الوساطة وغير لم نتقدم عبثاً — أما ذلك إن الألف ملك؟

جورج أبيض — وعيد، بما أنت تعلق بالوساطة فيه — حسابك من آنا ووقت ملك آنت

عزيز عيد — وأي شيء في هذا؟ أعطني إياها لكي هي وفته الأمس

جورج أبيض — وكيف السبيل إلى هذا؟!

عزيز عيد — ضع يدك في جيبك وأخرجها وهاتها ولا شيء

جورج أبيض — آه! آه! أنا أضع يدي في جيبي، وأخرج منه ألف جنيه، وأعطيك إياها بكل سهولة هكذا، وأنا من أنت، وترى هل أستطيع أن أعطي نفسي ما في جيبي؟

عزيز عيد — ولكنه مالي أنا

جورج أبيض — وهل أنكر أنا ذلك يا أخي؟ كل ما في الأمر أني لا أطيق أن أخرجه بيدي

عزيز عيد — إذن فأخرجه بيدي أنا... في أي جيب من جيوبك المال؟

جورج أبيض — هنا يا أخي يا عزيز، في جيبي هنا

عزيز عيد — طيب، اسمح لي

جورج أبيض — لن يحدث هذا إلا إذا انفتت آخر قطرة من دمي... حذار يا عزيز أن تمد يدك...

عزيز عيد — غريبة

جورج أبيض — فالصعب أن يخرج من جيبي ألف جنيه لا أن أختنق

ويؤكد الأستاذ عزيز عيد أن هذه الحادثة كانت آخر صلته بالألف جنيه، ولم تكن آخر صلته بالأستاذ جورج أبيض، الإنسان الفنان ولا ريب!

• • •

هذه صور صغيرة ساخرة، وقد كنت أحسب أني راض في هذه الصور من الرسالة سيتسع إلى صور أعرضها لبعض الشعراء وبعض الموسيقيين وبعض الممثلين وغيرهم من الفنانين ولكنه امتلأ بهؤلاء، فإلى هذه سبيل يأذن الله سود فيه إلى الرد بصور صريحة أخرى تتيح من بواطن أعلام الفن عندنا وظواهرهم ما يهديها الله إليه

سأظل بلا إذن إلى ملقى رأيك ونائبنا

عزيز أحمد فهمي

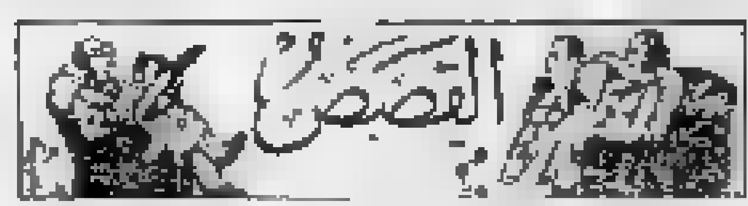


# الصدأ

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

لم يكن له في حياته سوى « غية » واحدة ، غية مُلحّة ، لا تعرف الشبع : « الصيد » !

كان يصطاد كل يوم من الصباح إلى المساء في لهفة وشوق ، وكان يصطاد في الشتاء والخريف وفي الربيع والصيف ، وكان يصطاد في الغدران حين كانت الأنظمة تحظر الصيد في الغابات والأحراج ، وكان يصطاد بجميع أنواع الصيد : بالعدو ، وبالكلاب للتعقب ، وبالكلاب الراكضة ، وبالكمين ، وبالمرآة ، وبالشباك .

ولم يكن يتحدث عن شيء غير الصيد ، ولم يكن يحلم بشيء غير الصيد ... ولم يكن لينقطع عن الترديد : « الشقاء لمن لا يحب الصيد ! » .

ومع أنه جاوز العقد الخامس من حياته ، فإن صحته لا تزال جيدة ، بحيث لا يبدو أنه تخطى عهد الشباب ، بالرغم من الصلع الذي خفف شعر رأسه ؛ وهو إلى ذلك شديد البأس قوي البنية ضخم الجسم .

وكان يحلق ما تحت الشاربين ليكشف جيداً عن شفتيه ، ويجعل دائرة الفم حرة ليسهل عليه النفخ في البوق .

ولم يكن أحد في المنطقة يدعوه بغير اسمه الخاص : « السيد هيكتور » ، مع أن اسمه البارون هيكتور جونتران دي كورتليه .

وكان يقطن في وسط الأحراج ، في ضيعة صغيرة انتقلت إليه بالإرث ؛ ومع أنه كان يعرف جميع الطبقة الأرستقراطية في المقاطعة ، ويتقابل مع جميع أفرادها الذكور في أماكن الصيد ، فإنه لم يكن يتردد بصورة منتظمة على أكثر من أسرة واحدة هي أسرة « كورفيل » التي تقطن بجواره ، وتخلص له الود ، والتي عقدت أواصر القرابة بين أسرته وبينها منذ أجيال عديدة .

وكان محبوباً إلى هذه الأسرة جداً ، معززاً محترماً ؛ وكان كثيراً ما يقول لأفرادها :

« لو لم أكن صياداً لوددت ألا أبتعد عنكم قط » .

وكان السيد دي كورفيل صديقه ورفيقه منذ عهد الطفولة ، وكان مزارعاً مرحاً يعيش عيشة هادئة مع زوجه وابنته وصهره السيد دي دارنتو الذي لم يكن له عمل ، بحجة أنه منقطع لأبحاث تاريخية خطيرة .

وكثيراً ما كان البارون دي كورتليه يتناول عشاءه على مائدة أصدقائه ليحدثهم عن الصيد خاصة ، وكان يروي لهم قصصاً مطولة عن الكلاب والقناصين ، وكان يتحدث عن هذه الأشياء كما لو كان يتحدث عن شخصيات يعرف لها صلات وثيقة ، فكان يكشف عن نواياها ومقاصدها ، ويشرح حركاتها [illegible] .

فعندما رأى « ميدور » — اسم كلبه — أن العصفور هو الذي يضطره إلى أن يعدو سريعاً هكذا ، قال في نفسه : « انتظر أيها اللعين ، إنا لن نلبث أن نضحك وأن نضحك كثيراً » ثم أشار إليّ برأسه أن أذهب وأتوارى في حقل البرسيم ، وانطلق يعدو ويحدث صوتاً مرة ويتحرك مرة أخرى في تمهل ... يعبر من جلبة وهو يتسلل بين الأعشاب ليوصل العصفور الطارد إلى زاوية لا يستطيع الإفلات منها . وقد تم كل شيء كما رسمه ، ولم يلبث العصفور أن سقط في أقصى الحقل ، إذ لم يكن في إمكانه أن يذهب إلى أبعد من ذلك من غير أن يرى . فقال له ميدور : ها أنت ذا بين يدي ... ثم انكب على رجليه منتصباً والتفت ينظر إليّ ، فما كدت أشير إليه حتى صاح « بررر » فطار العصفور ورفعت البندقية إلى كتفي وأطلقت منها النار : « بان » وإذا العصفور يسقط ، فعاد ميدور إليّ وهو يحرك ذنبه كأنه يريد أن يقول : أرأيت كيف نجحت الحيلة يا سيد هيكتور ؟

وكان كورفيل ودارنتو والسيدتان يضحكون ضحكاً شديداً من هذه القصص الغريبة التي يرويها البارون بكل ما أوتي من براعة ، فكان يحرك كتفيه ويشير بجميع أعضاء جسمه ، حتى إذا وصل إلى موت العصفور انفجر يضحك ضحكاً عريضاً وهو يسأل هذا السؤال الذي يجعله خاتمة لقصته : إنها لحيلة حسنة أليس كذلك ؟

ولا يكاد الحديث ينتقل إلى موضوع آخر حتى ينصرف عنه عمه ، ويشرع يدمدم بعض أغاني الصيد ، كما كانت تنبعث حين يسود الصمت بين جلستين ، فإن الصيد لا يكاد ينقطع عنه الحديث حتى تنطلق منه في حين هنيهة : طق ... طق ... ويظل البارون دوماً وهو ينفخ خديه كأنه ينفخ في بوق

وهو لم يتمنّ الحياة إلا لأجل الصيد ، وكان الهرم قد بدأ يدب إليه شيئاً فشيئاً . وذات يوم أصيب بداء المفاصل ولزم الفراش شهرين متواصلين ، فكاد يقضي كآبة وضجراً . وكان يبكي عمه خادم تحول شيئاً فشيئاً إلى إحدى المصاطب ليلي إعداد الطعام

ولم يكن في استطاعته أن يحصل على كلاب صيد ، ولا أن يظفر بما يفتقر المريض إليه من عناية ، فأخذ من ثم كلابه مرضاً له ، وصار هذا الأخير يضجر بقدر ما يضجر سيده في الأخير ، فصار ينام ليلاً ونهاراً على أحد الكراسي بينا البارون يشتم ويصفر صفيراً متقطعاً في سريره

وكانت السيدة كورتيل وابنتها تعودانه أحياناً ، فكانت الساعة التي تقضيانها بقربه أحب الساعات إليه ، ينعم بالهدوء والراحة ، إذ تقدمان له ما يحتاج إليه من مشروبات حارة وتعدان الموقد وتحملان له صحونه على حافة سريره ؛ فكان يدمدم حين انصرافهما : إنه من الخير أن تقطنا هنا ! فتغرق السيدتان في الضحك وتوصدان الباب وراءهما

ولما انصرفت محنته وعاد يتمادى في النهوض ذهب ذات مساء يتناول العشاء على مائدة أصدقائه ، ولكنه لم يكن كعهده مرحاً نشطاً ، إذ كان يخشى الانتكاس وعودة الآلام مع افتتاح موسم الصيد ؛ فلما حان وقت الانصراف عرجت السيدتان إليه تلفان حول عنقه وشاحاً حريرياً ، فترك نفسه للمرة الأولى في حياته بين أيديهما ، ثم أخذ يتمتم بلهجة يائسة

— إذا عادت الآلام إليّ فهي عليّ لا محالة !

وعندما انصرف قالت السيدة متركزة لابنتها :

— يجب تزويج البارون !

فسُرّ الجميع لهذه الفكرة وعجبوا كيف أنهم لم يفكروا في ذلك إلى الآن ، وظلوا يبحثون طوال السهرة بين الأرامل اللواتي يعرفونهن ، واتفق رأيهم الأخير أن يقع اختيارهم على سيدة في الأربعين من عمرها ما زالت جميلة موسرة حسنة الطباع [illegible] ؟

فدعوها لتمضية شهر في القصر ، ولما كانت تضجر وتكتئب في بيتها لبثت معهم ، وكانت كثيرة الحركة والمرح ، فرآها السيد كورتلين لأول نظرة ، وأصبحت تسر بوجوده كما تسر بمنية تنعش منها الحياة ، وصارت تقضي الساعات الطويلة تسائله في حديث عن عواطف الأرانب وحيل الثعالب ، فكان يندفع بروايته في تعبير وحركات عن شعور الحيوانات ناسباً إليها خططاً دقيقة كما ينسب مثلها إلى معارضه من الرجال

وقد استحسن الالتفات الذي كانت تعيره إياه ، وأراد أن يعرب عن تقديره لها فدعاها لمرافقته إلى الصيد ، وكانت هذه الدعوة أمراً لم يقدم عليه إلى الآن مع أية سيدة أخرى . وقد بدت لها هذه الدعوة مضحكة إلى درجة لم تر مانعاً من قبولها

وتعاون الجميع على إلباسها لباس الصيد ، فصار كل واحد يقدم لها شيئاً ، ثم ظهرت وقد لبست ثياباً على طريقة سكان «الأمازون» ، في رجليها حذاءان ضخمان ، وسروال من سراويل الرجال ، فوق قميص قصير يغطيه ستره من القطيفة تضيق عند الصدر ، وعلى رأسها قبعة من قبعات الخدم الذين يقودون الكلاب

وكان يبدو على البارون أنه شديد التأثر كأنما هو سيطلق أول طلقة من بندقيته ، وشرع يشرح لها بدقة اتجاه الهواء ومختلف أنواع ونبحات الكلاب ، وطرق مصطلح الحيوانات والطيور المصيدة . ثم دفع بها إلى أحد الحقول وراح يسير في إثرها خطوة خطوة كأنه مرضع تسير وراء رضيعها عندما يبدأ يمشي لأول مرة

وصادف «جهوره» جالساً فانكب على رجليه ووقف ، ثم رفع إحدى رجليه ، وكان البارون وراء تلميذته يرتعش كريشة في مهب الرياح ويتمتم : انتبهي ... حجل ... حجل

ولم يكد يتم كلمه الأخيرة حتى دوى طلق شديد ، وارتفع من الأرض بجلبة ... فارتفع على الأثر سرب من الطيور في الهواء وهي تضرب بأجنحتها ضرباً متتابعاً

ومن شدة التأثر أغمضت السيدة فيرتين عينيها وأطلقت

حافلتين ، وتضطرب خطوتين من أرجحة الشديدة ، فإذا المشرف واطئة جانبها أبصرت البارون يرمي حولها كالمجنون ويسير يسره محملقين بين شكيه

منذ ذلك اليوم بدأ السيد كورتلين يمقتها !

وأنشأ يقول عنها وهو يرفع بصره : يا لها من امرأة !

ومنذ ذلك اليوم صار يأتي كل مساء فيتحدث عن الصيد . وذات مرة ، بينما كان السيد دي كورديل وزوجه والبارون منهمكين في التحدث بحديث الصيد سأله :

لماذا لا تتزوجها ؟

فجمد البارون كالمأخوذ وقال

— أنا ؟ أنا ؟ أتزوجها ؟ ولكن ... كلا

وصمت ثم مد يده إلى صديقه يصافحه وهو يتمتم

إلى اللقاء يا صديقي

واختفى في ظلام الليل وراح يبتعد بخطوات واسعة ...

ولم يعد البارون طيلة أيام ثلاثة ، ولما عاد كان الشحوب قد صبغ وجهه بصفرة ، كأنه نهض من فراش المرض . وكان هذه المرة أكثر رزانة من قبل ، فخرج إلى السيد كورديل وأخذه على طرف ثم قال له :

— لقد خطر لك خطر وجيه ، فأرجوك أن تسعى لي عندها لتقبل زوجاً لها ... إنه من الصعب أن أظل هكذا وحيداً ، إذ ستستطيع أن تصحب الصيد معاً دائماً ؟

ولما كان السيد دي كورديل متأكداً من أنها لا ترفض ، أجاب

— اطلب يدها بالأصالة ... أتريد أن أقوم بهذه المهمة ؟

ولكن البارون اضطرب فجأة وصار يتمتم :

— كلا ... كلا ... يجب قبل ذلك أن أقوم برحلة قصيرة ... برحلة قصيرة إلى باريس ، وسأجيئك حال رجوعي بالجواب النهائي

ولم يزد على ذلك ، وفي اليوم التالي سافر ...

مضى أسبوع ... أسبوعان ... ثلاثة ... والسيد كورتلين لم يعد ، فاستغربت ذلك أسرة كورديل وقلقت عليه ، ولم يعد أفرادها يدرون ماذا يقولون للسيدة بيرتين التي أطلعوها على رغبة البارون ، وصاروا يبعثون كل يوم إلى داره من يلتقط أخباره ، ولكن لم يكن بين خدمه من نقل شيئاً عنه

وذات مساء ، بينما كانت السيدة بيرتين تعزف على البيان ، اقتربت منها خادمة وهمست بكلمة في أذنها بصوت خافت جداً ... ثم فتحت الباب رجلاً يرتدي معطفه

وكان هذا الرجل البارون وهو ما يزال في لباس السفر ، وقد بدا عليه كثير من الشحوب والهزال والهرم ، ولما وقع بصره على صديقه حتى أسرع إليه وأمسك بيديه ، وقال له بصوت ضعيف متعب

— وصلت في هذه اللحظة يا عزيزي ومع ذلك فقد أسرعت إليك لأقول لك ...

ثم صمت برهة ، وفي شيء من الارتباك والتردد استأنف :

— أريد أن أقول لك ... حالاً ... إن المهمة ... التي تعرض لا يمكن ... أن تتم

فنظر إليه السيد كورديل دهشاً :

— كيف ... ؟ ولماذا لا يمكن أن تتم !

أوه ! ... أرجوك ألا ترهقني بالأسئلة ، إنه يشق علي كثيراً أن أسطر بيان السبب ، ولكن كن واثقاً كل الثقة أنني لا أفعل إلا ما يفعله كل رجل شريف ... إني لا أستطيع بل ليس في الحق في أن أتزوج هذه السيدة ... أفهمت ؟ وسأنتظر مغادرتها داركم لأعود إليكم ... لأن مشاهدتها تعنيني كثيراً ... إلى اللقاء ... وانصرف هارباً

فاجتمعت الأسرة كلها وأخذت تتشاور وتتناقش وتفترض الافتراضات المختلفة ، وانتهى بها الأمر إلى أنه لا بد أن يكون في حياة البارون سر خطير ، فقد يكون له أولاد طبيعيون ، وقد يكون له علاقات غرامية قديمة ... وأدركت أسرة كورديل أن المسألة على جانب عظيم من الخطورة ، وخشيت تعقيدات أخرى فسعت بلباقة فائقة لإطلاع السيدة بيرتين على الواقع ... فغادرت هذه السيدة أرملاً كما قدمت ..

ومضى على ذلك ثلاثة أشهر ... وفي ذات مساء أفرط السيد دي كورديل في تناول العشاء ، وصار يترنح وهو يدخن غليونه مع السيد دي كورتلين ، ولم كانت رغبته هذا الأخير عظيمة حيث قال للبارون ثملاً :

— آه لو كنت تعلم كم أفكر في صديقتك ، إذن لأشفقت علي

والسيد دي كوربيل الذي سمعناه من سلوك البارون في هذه القضية أجاب بصراحة :

— كان عليك يا عزيزي ، ما دمت في حياتك الماضية أصررت ألا تقدم على ما أقدمت عليه ، وما كان في إمكانك بكل ما كيد أن تفكر من قبل في الحدث الذي سيضطرك للرجوع من عزمك

فبدت على البارون علامات الخجل ، وقال بعد أن توقف عن الضحك :

— كان ذلك ممكناً وغير ممكن في وقت واحد ... ولكن لم أكن أصدق بإمكان حدوث ما حدث

فقاطعه السيد دي كوربيل نافد الصبر

كان عليك أن تفكر في إمكان حدوث كل شيء

فألقى السيد كورتابن نظرة على الظلام الذي يكتنفهما ، وبعد أن تأكد من أنه ليس حولهما من يسمعهما قال بصوت منخفض

— ألاحظ أنك سمعتَ من سرور ، وسأقص إليك بكل شيء نبأ ... بعد عشرين سنة وأنا لا أحب ... إلا الصيد ... والصيد وحده دون كل شيء آخر ... لا أحب شيئاً غير الصيد ، ولا أهتم بشيء آخر سواه ... ولذلك خطر لي قبل أن أوقع عقد الزواج مع هذه السيدة أن ... في ... الزمن الذي ... فيه من ... الحب ... أنا أعرف إنما كنت لا أزال أقوى على ... أصبحت ؟ ! ... أنه مضى على أكثر من ست عشرة سنة لم ... ؟ وليس من السهل في هذه ... أنام أيضاً ! ثم إنه كان لدي شيء آخر ... كنت أعمل على ذلك لن أطلق طلقة من بندقيتي ... والكلمة مختصرة ... على أن ... والأمور الزوجية على أن أقوم بواجب الزوجية حتى أن أكون ... والرجل الشريف لا ينقض عهوده ولا يخل بعهده ... وكان علي أن أطيع هذه المرأة عهداً قطعته على ... وأخيراً ، ولكي أكون واثقاً من نفسي قررت أن أسافر إلى باريس وأن أقضي فيها ثمانية أيام ، ولكن الأيام الثمانية انقضت ولم أستطع أن أصيب شيئاً مطلقاً ، ولم يكن ذلك ناشئاً من قلة ما لقيت من تجارب ، إذ رجعت على أحسن حال في باريس من جميع الأنواع وجميع الأجناس ، وأؤكد لك أني فرضت على كل ما استطعت ... ولكن عبثاً ... وكلها ... مصحات ... وبعد ذلك قررت أن أنتظر ثمانية عشر يوماً ... فثلاثة أسابيع وجدتُ أن ... في ... الأطعمة المقلقة ، الأمر الذي أجهد معدتي وجهدت عقلاً ... ورغم كل ذلك لم أستطع شيئاً مطلقاً ! ... وفي هذه الحال وإزاء فشل جميع المحاولات لم يكن لي بد من الانسحاب وهذا ما فعلته !

وكان السيد دي كوربيل أثناء ذلك يدور على نفسه ويبذل جهداً عظيماً ليصبر دون الانفجار والضحك ، فقد فرغ البارون من روايته هو ... قائلاً :

إني لأشعر منك حقاً

ورافقه إلى ... طريق منزله

ولما حدّث السيد كوربيل زوجته ، أطلعها على كل شيء وهو يكاد يختنق من شدة الضحك ، ولكن السيدة دي كوربيل لم تضحك قط وإنما كانت تصغي إلى زوجها باهتمام ، حتى إذا فرغ من حديثه ابتدرته بقولها

إن البارون أبله يا عزيزي ... فلو كان لم يستطع شيئاً فلأنه كان خائفاً ... وهذا كل ما في الأمر ... ليت أن ...

فأخذ السيد دي كوربيل يحتج بشدة على جميع محاولات البارون ولكن زوجته أسكتته بقولها

يجب أن تعلم أن الرجل إذا كان يحب زوجته فإنه القادر دائماً !

فلم يحر السيد دي كوربيل جواباً إذ اعتبره هو نفسه نوعاً من الخطل

انطوان شيرس



( سجل تجاري ٥٧٢٢٣ )

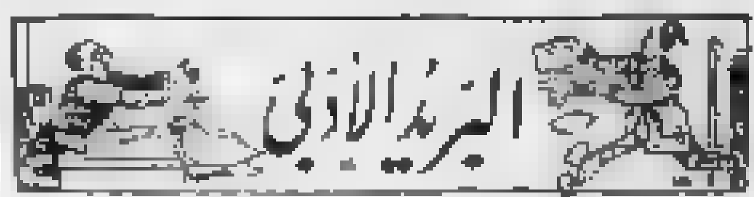


## في سبيل الأزهر

تلقينا من الأستاذين عبد اللطيف السبكي وسيد نايل المدرسين بكلية الشريعة كلمتين عقبا بهما على مقال الأستاذ النمل (في سبيل الأزهر) تعقيباً لم يتجاوز أسلوب النقد ولهجة الناقد، ورأينا من المصلحة أن نتريث في نشرهما حتى لا ينصرف الجدل في الشكل عن البحث في الموضوع. وما دامت الآراء متفقة على حاجة الأزهر للإصلاح فلا بأس أن تتسع الصدور لما يحتمل من الأقلام من مبالغة في وصفه أو شدة في طلبه. ومما لا ريب فيه أن أبناء الأزهر أجمعين سواء في المحافظة عليه والإخلاص له والحدب عليه، ولكن أهواءهم إذا تفرقت في سبيل حبه، فغلب هنا صيحة تدعو إلى الإصلاح، وقامت هناك صيحة تزل عنه وقف بينهما المصلح موقف الملتاث الحائر، لا يطمئن إلى الوثوب ولا يثق بالقسم

## قانون منع التبشير في مصر

رفع صاحب المعالي الملك مرسوماً بإحالة مشروع القانون الخاص بمنع التبشير إلى البرلمان، وهذا نصه بعد الديباجة

المادة الأولى: تمنع الدعوة الدينية بأية طريقة كانت، خروجاً عن المحال المعدة لإقامة الشعائر أو الأماكن المرخص لها بذلك

المادة الثانية: تعتبر الأمور الآتي ذكرها دعوة دينية إذا وقعت في معاهد تعليم

(١) إشراك التلاميذ أو تركهم يشتركون في دروس دينية غير دياناتهم

(٢) إشراك التلاميذ أو تركهم يشتركون في صلوات تخالف عقائدهم الدينية، أو إسماعهم أو تركهم يستمعون إلى خطب دينية كذلك

(٣) توزيع كتب أو نشرات على التلاميذ تخالف عقائدهم الدينية

وتسري الفقرتان الثانية والثالثة السالفتان على المكاتب العلمية أو المعاهد الخيرية إذا كانت الدعوة الدينية موجهة إلى المرضى أو اللاجئين إلى تلك المعاهد

المادة الثالثة: لرجال الضبطية القضائية دائماً حق الدخول في الأماكن المشار إليها في المادة السابقة للتحقق من عدم وقوع ما يخالف هذا القانون

المادة الرابعة: مع عدم الإخلال بتوقيع عقوبة أشد حيث يقضي بذلك قانون العقوبات، يعاقب على المخالفة لأحكام هذا القانون بالحبس لمدة شهر وبغرامة لا تقل عن عشرة جنيهات مصرية، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط

المادة الخامسة: يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد على سنة، وبغرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصري، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط كل من حاول تلقين حدث تقل سنه عن ثماني عشرة سنة كاملة عقائد دينية تخالف دينه أو عقيدته، حتى ولو كان ذلك برضاه

ويعاقب بنفس العقوبات كل من أعطى أو منح شخصاً عطية أو هبة من نقود أو أوراق أو عروض أو فوائد أخرى أو عرض عليه شيئاً من ذلك أو وعده به سواء أكان ذلك بالذات أم كان بواسطة الغير، وسواء أكان الشخص نفسه أو الغير، وذلك بقصد التأثير على عقيدته الدينية أو تحويله عنها

ويعاقب أيضاً بنفس العقوبات كل من استعمل مع شخص آخر بقصد الغرض نفسه القوة أو التهديد أو الإرهاب أو أخافه من فقد خدمة، أو من تعريض نفسه أو أهله أو ماله للأذى، أو استعمل معه الخديعة أو التغرير

المادة السادسة: يعتبر من رجال الضبطية القضائية فيما يختص بتطبيق هذا القانون، موظفو وزارة المعارف وموظفو وزارة الصحة الذين يندبهم لهذا الغرض وزير المعارف أو وزير الصحة بالاتفاق مع وزير الداخلية

المادة السابعة: على وزراء الداخلية والمعارف والصحة تنفيذ هذا القانون كل منهم فيما يخصه، ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية

* * *

وقد أرفقت بالمشروع مذكرة إيضاحية أشير فيها إلى أن الدستور يكفل حرية العقائد وحدها كما يحمي حرية القيام بشعائر الأديان، طبقاً للعادات المرعية في الديار المصرية، وذلك في حدود النظام العام والآداب، وأن هذه المبادئ تتفق وأصول التسامح التي درج عليها الإسلام

وقديماً أصبحت مصر ساحة أهل الأديان المختلفة، وأظلتهم الأراضي الواسعة وكانت تحميهم من أعنف الرسوم وتركهم

بالشرق فيقل مرتباته ما تقوم عليه حياتهم ومؤسساتهم ومصالحهم من أعمال العلم والبر؛ غير أن بعض هؤلاء انصرفوا إلى التبشير بدينهم، وتوسلوا إلى ذلك بوسائل أقل ما يقال فيها إنها ماسة بكرامة المسلمين، وبعقائدهم الدينية.

وإذا كانت الدعوة الدينية تحمل في بعض صورها معرة التطاول، فإنها إذا وجهت خروجاً على نظام العبادة أو الأماكن المخصصة لها فإن [illegible] حدثت الفتنة ويصبح إخلالاً بالنظام لا يصح السكوت عليه. لذلك وضع مشروع هذا القانون بحظر الدعوة الدينية في أية صورة، خروجاً من تلك الأماكن؛ ثم تحدثت المذكرة الإيضاحية عن مواد المشروع

سكرانة وغضبانة

فعلان على وزن فعلى، وهذا الوزن ممنوع من الصرف إذا توفر فيه شرطان: زيادة الألف والنون، وكون مؤنثه على وزن فعلى، كسكران وغضبان ونحوهما، فإن مؤنثهما سكرى وغضبى. أما إذا كان فيه زيادة الألف والنون ولم يكن مؤنثه على فعلى نحو ندمان وسيفان فإنه لا يمنع من الصرف، فتقول مثلاً: استمعت سيفاناً وهو سيفان. ومن هنا يظهر بأن ما شاع في الأغنية [illegible] من أن [illegible] وأما ما ورد بأن مؤنثه فعلانة فهو ممنوع من الصرف لأنه مقيس على القاعدة، وقد نص عليه صاحب القاموس، قال: «ورجل سكران وامرأة سكرى لا يصرفان نكرة ولا معرفة».

والذي دعاني إلى الكلام عن هذين اللفظين أنهما وردا في مقالين لأديبين من كبار الأدباء على غير وجههما الأصح، فأحببت أن أنبه عليهما لئلا يقع فيهما القراء، ولا سيما من يقتدي بهم ويقتفي أثرهم. فالعبارة الأولى جاءت في أول العدد الثالث من كتاب «ليلى المريضة في العراق» للأديب الكبير الدكتور زكي مبارك قال: «واستيقظت في الساعة الخامسة [illegible] وعلي أن أكون «غضبانة» [illegible]» والرجاء من الدكتور مبارك أن يتلطف [illegible]. والعبارة الثانية جاءت في العدد ٧٠ من الثقافة في مقال للدكتور محمد عوض محمد قال: «ورأى [illegible]» [illegible] ممنوع من الصرف.

إبراهيم حسن القطان

النقد والتصويب

صاحب الرسالة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

لك مني تحيات وإكبار

وبعد فإني ممن [illegible] الشعر [illegible] شعورهم ورسائلهم [illegible] ولا [illegible] لا يشيرون، غير أني هنا أحاول أن أذكر شيئاً كثيراً أن يوجه أرباب الصناعة في العربية وبحور الشعر، ذلك هو النقد والتصويب الذي رأيته لأول مرة على ما أذكر لحضرة الأستاذ أبي الفضل الساداتي [illegible] الذي أحكم بيتاً [illegible] عن الوزن في قصيدة ذكرى المرحوم الهراوي للأستاذ علي الجندي. وكم كان جميلاً أن بعض الأساتذة يتقدمون بشكره [illegible] إلى هذا النقد والتصويب الذي يحمل بالأساتذة أن [illegible] على الحد المتقدم. أرى ألا يقتصر على ما تنشره الرسالة وغيرها، بل يتعدى إلى ما يسمع في المحافل من محاضرات وخطب وإذاعات، كما جرى عليه الأستاذ الدكتور زكي مبارك - أدام الله عليه التوفيق - [illegible] فقد تحدث بنقده للمرحوم الأستاذ الكبير أحمد أمين في كتابه (أوقات) على نصب الأستاذ بالكسرة إذ كان على [illegible] من طريق الإذاعة. ومن المؤكد أن الأستاذ أحمد أمين يدري يقيناً أنها تنصب بالفتحة كما هو معروف ولم ينطقها مكسورة إلا سهواً، ومع ذلك يجب أن تنال كلمة الحق [illegible].

إنه قرأت في العدد (٧٠٢) من الرسالة قصيدة «الربيع الثاني» للأستاذ محمود الخفيف وهي من القصائد الجيدة الفصحى، وعلى أني أمسكت على شطر منها كما لم يمسك الأستاذ أبو الفضل الساداتي [illegible]، ذلك قوله: «صرخت ويلاه خضر الأماني» فهل منها الأستاذ الخفيف من إضافة حرف النداء بين كلمتي «صرخت» و«ويلاه» حتى يصح الوزن على هذا الوضع؟ «صرخت يا ويلاه خضر الأماني» [illegible] أن الأستاذ وضع حرف النداء وإضافته الطبعة على كل حال [illegible] هذا الشطر [illegible] يجده الأستاذ الخفيف وغيره من المهتمين واضحاً [illegible] الناصعة؛ وأن يزول النقد والتصويب على هذا الطريق

(إيتاي) [illegible]

(الرسالة): صحة الشطر:

صرخت ويلاه خضر الأماني

وشكراً [illegible]

## أندونيسيا

جاء في مقالة الأستاذ عبد العزيز العروي «النقابات الإسلامية» المنشورة في العدد (٥٥٥) ما نصه: «وجد مثلاً عصرياً لنجاح هذه الفكرة ومثل للمذهب الفني في حالة الهولنديين في الهند الصينية «أندونيسيا» الخ. ولا شك أن الأستاذ يقصد بذلك جزائر الهند الشرقية الهولندية لا الهند الصينية، لأن الأخيرة — كما نعلم — تابعة للفرنسيين لا الهولنديين، وجزائر الهند الشرقية هذه هي التي أجمع أهلها الوطنيون في الأعوام الأخيرة على تسميتها بأندونيسيا — أي جزائر الهند —، وكان العرب يطلقون عليها اسم «جاوة» — إحدى جزائرها — من قبيل تسمية الشيء ببعض أجزائه.

حسين أحمد باكثير

## القرن العشرون

في العدد ٥٤٨ من الرسالة قرأت في باب (الأدب في أسبوع) تحت عنوان «القرن العشرين» ما يأتي بعد كلام: «وذلك شبيه بأننا نعيش في القرن العشرين، وفي سنة ١٩٤٤ منه». والمعلوم أن (من) للتبعيض والضمير يعود فيه على القرن العشرين فيكون معنى ذلك أننا نعيش في سنة ١٩٤٤ من القرن العشرين. والواقع أننا نعيش في سنة ٤٤ فقط من هذا القرن وفي سنة ١٩٤٤ من العشرين قرناً، ففي أي سنة نعيش؟

إبراهيم [illegible]
معهد القاهرة

## الأبيات الحائرة

للحجاج بن يوسف الثقفي مع الشعراء أحاديث طوال، وقد هجاه جماعة منهم في وجهه وفي غيابه، ومن هؤلاء «سوار بن المضرّب» و«محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي» وهو الذي شبب بزينب أخت الحجاج ولا ظفر به بعد ذلك، وغير هذين كثير.

وليس يعنيني الآن أن أستقصي أحاديث هؤلاء، ولكني أعرض لأبيات تتصل بالحجاج وتلك هي:

إن تنصفونا آل مروان نقترب ... إليكم وإلا فأذنوا ببعاد
فإن لنا عنكم مزاحاً ومزحلاً ... بعيس إلى ريح الفلاة صوادي
فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده ... إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء أنها (لمالك ابن الريب) وكذلك ذكر المبرد في كتابه (الكامل) ج ١ ص ٣٠١ طبعة المكتبة التجارية، [illegible] شيخ النحويين وقد أجمعوا في كتب النحو والشواهد أنها لمالك هذا.

ويحكي المبرد أن هذا الشاعر كان في عهد معاوية وكان في بعث «سعيد بن عثمان بن عفان» إلى خراسان وقد مات في الطريق ورثى نفسه بقصيدته اليائية المشهورة — وهو أول من رثى نفسه — فليست الأبيات له فلمن هي؟

جاء في (معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٣ ص ٣٠٤ الطبعة الأولى) أنها للعديل بن الفرخ العجلي قال، وكان الحجاج قد ألزمه البعث إلى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه إلى الشام وقال الأبيات.

وقد رجح الشيخ المرصفي رحمة الله عليه هذا الإسناد وشنع على المبرد (رغبة الآمل ج ٥ ص ٣٧) وحكى صاحب الحماسة نسبتها إلى «العديل» [illegible] في جميع الطبعات التي بين أيدينا لحماسة أبي تمام، وقد [illegible] هنا.

فلمن هذه الأبيات؟ لعلنا نظفر بجواب عن [illegible] هذه المسألة.

علي محمد حسن
كلية اللغة العربية

## الثاني والآخر

قرأت في العدد ٦٧ من مجلة الثقافة مقالاً بعنوان «حديث أمس» للأستاذ أحمد أمين جاء فيه:

«قال أحدهم: جزءاً من العقد الفريد، وآخر: جزءاً من الأغاني، وثالث: نهج البلاغة، ورابع: مقدمة ابن خلدون».

والمعروف في اللغة أنه لا يسوغ أن تقول آخر إلا إذا كان هو الأخير، فلا تقول بعد ذلك بأعداد أخرى؛ وأن الواجب أن تقول: قال أول وثان وثالث وآخر، إذا لم يبق إلا واحد بعد ثالث، أو إن بقيت قلت «رابع».

وأحسبك لم تنس استنكار كثير على من قال ربيع الثاني وجمادى الثانية بأن الصواب ربيع الآخر وجمادى الآخرة ما دام ليس هناك ثالث ورابع؛ [illegible] ربيع الثاني أصوب من قولك: قال أول وقال آخر وقال ثالث...

(القاهرة) [illegible] إبراهيم

8me Année No 358 — Lundi 13 - 5 - 1940

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع [illegible] رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ ربيع آخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

## الفهـــرس



# رأي الرافعي
## في الأستاذين طه والعقاد

بمناسبة ذكراه الثالثة

ذكرت بذكرى الرافعي وقد مرت الأيام عليه ولم توفه حقه (١) ذلك أن أذكر نشر الرسالة الرأي الصريح المجرد لصاحب (المساكين) و(تحت راية القرآن) في صاحبيه العظيمين طه والعقاد. وفي ظني أن تسجيل هذا الرأي قد يصحح ما شاع في أجواء الأدب من أنه كان من الهوى ومحض الحسد والخصومة. فإن الرافعي رحمة الله عليه كان من أبصر الناس بتصرف الكلام وأسراره على حده، ويكفي صحبة للأدباء الأحياء فلما كان يبرأ من غاشية الحسد أو منافسة المعرفة. فإن رغبت استنباط رأيه الحر من مورده البعيد لا يتيسر لك ذلك منه إلا في الفترة حين يأمن الأذن للخصومة والقلم للسجل.

جلسنا معاً ذات يوم من أيام الإسكندرية على قهوة (أتينيوس) بعد غداء صاحلته معي على مائدة صديقنا المرحوم فليكس فارس. وكان الرافعي رد الله عليه غربته شديد الحماسة الحال لدى الرغبة في اللغة؛ ولكنه كان يطلبها من طريق

(١) انظر العدد ٢٢١

الدال أو مدلول عليه . كان يصح أن يكون كأصحاب الملة ، يسير من غير طريق ويمشي من غير إمام . فقد اعتزه الغرور أعلى غرابه من دون قصده ؟ ثم فتح السؤال عينيه وأطلق في سبيله لسانه ، فلا يدع معنى من معاني النحو ولا فنًا من ألوان البديع إلا عرّف المتكلم به وأدار الرأي عليه

* * *

كان حديث الرافعي على الغداء الأمين الوديع أشتاتًا من النكات والآراء كان يدور أكثرها على مكرم الجاسرين في الكريستال ، وسطوات الشباب على الشاطئ ، ومسرات الوجدان بين ذلك . ثم توسعت ... على الفن ، فأخذ يحفظ في الحديث وعاد به حتى رده مرحًا إلى الأدب ؛ سألني كيف أكتب ومتى أكتب وماذا أشرب حين أكتب . فما أعجبه أني لا أفكر إلا أول الكتابة ، ولا أكتب إلا آخر الوقت ، ولا أمس التبغ ولا أشرب القهوة ، ولا أذكر التبيئة . عجب كيف تواتي القريحة على هذه الحال المكربة ، وذكر لي ما يحس به من أثر الطعام والمشارب والمقاهي ، ثم روى لي الأعاجيب مما جرى عليه إلقاء في النوم ، وما يجده إلهامًا في اليقظة ، ومن ذلك إلى آخر ... عنده ومستمد ... ومع معتقد أن من إلهام هذه القوة تلك الفصول المقذعة التي كتبها في النقد ! فأجابه ببسمته الطفلية الخاصة

أما ما كتبته على (السفود) فأكثره رجس من عمل الشيطان ، وأما ما أمليته (تحت راية القرآن) فكله إلهام من روح الله

فتعجب له ، أو بهجرى كتبت ، لأن مقالة الحديث كانت لمسمعه قريبة مني وعهودة منه :

أتستطيع في هذه المناسبة يا صاحب (تاريخ آداب العرب) أن تجرد نفسك من ملابسات الخصومة وتُجمل لي رأيك الخاص في طه والعقاد ؟

فأجاب الرافعي وعلى محياه الوردي سحب المرح القتر

— أما هذا فأقول فيه الحق ، وما جئت لا أكتبه علا أبالي أن تنشره

إن طه عجيب التكوين جليل المواهب ، وهو مدين بتفوقه لمرونة ذهنه ودقة حسه وقوة ذاكرته وبلاغته وصوتها ساعته ، ورأيه الذي كان سلكان اليوم أحد جبابرة الدنيا . ولكنه مع القراءة المرجوة قبل الأوان أصيب بمرطبيه ، ولكنه واطمأن إلى منصبه المضمون وعيشه المكفول

فهذه عز الأديب يأخذ من كل شيء بطرف ، ولغة فيها الصحيح تصرفه السرعة عن الإجادة ، وأسلوبه أسلوب الراوي للتعمد يتشدد مراده ويقل عنده

وعنده أنواع الكلام ولكنه لا يعدو ، وقريحته واسعة ممتدة ولكنها لا تعلو . ... عند مسوق الكلام لا أثر فيه روعة الفن ولا براعة الفكرة ، ولكنه قوي الشخصية حساس حركة صعب المساق جليل الغرض . وهو أشبه الناس بمهندس الفرش في بيوت الحبابات ، يعرض البضائع في البترينات متسقة على نظام يلفت البصر ، ولكنها تظل بعد التنسيق كما كانت قبل التنسيق ملك غيره . وأحسبه بذا تنفس به العمر على هذه الحال يعود ومعه له رأي مسموع في الأدب ، ولكن يبقى له أثر خالد في الأدب . ويلوح لي أن طه يعرف الحقيقة التي تملي الرأي ، ومن هنا كان المنافس الظاهر في كل ما يصدر عنه من قول أو عمل

أما العقاد فإني أكرهه وأحترمه : أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكاني من الأدب ، ولكنه يتجاهل في قوة العناد يتجاهلني حتى لا أجري معه في عنان . وأحترمه لأنه أديب قد استكمل أداة الأدب ، وبحث له استكمل صفة الباحث . قصر عمره وجهده على القراءة والكتابة فلا يفتك بين كتاب وقلم . ومن آفة العقاد يجهلون النظر في كلام الناس أنهم يعتقدون استقلال الفكر وابتكار القريحة ، وليس كذلك العقاد ، فإن رأيه تقوم عقله وسلامة طبعه يطل متحررًا من رأي الكتاب مهما علا ، يؤيده أو يفنده ، ولكنه لا يسمح له أن يجوب فيه أو يتأثر به .

أسلوب العقاد أسلوب الأديب المتكلم ، تجد فيه الفكرة المجلّاة في حلل من لغة الرفيع ، فيحسم بقوة تفكيره ورقة شعوره طرق البلاغة . والعقاد مخلص لفنه فلا يخرج للناس ما لا يرضاه ، غير ملك أحد الأدباء من استغلال شهرته واستخدام إمضائه

فقلت له وأنا أضم الورقة التي أحمله عليها : عجبت يا صديقي أن تغض رأيك من هواك . إن رأيك في الأستاذ العقاد يرجع إلى الحق ، ولكن رأيك في الدكتور طه إحسان في الباطل

الزيات

في ذكرى الرافعي

# طريقته في تأليف كتبه

للأستاذ محمد سعيد العريان

---

قلت عن طريقة الرافعي في تأليف مقالاته إنه ... أن ... بمنى حين كتب ... كتب ... فقد أمل على ... أكثر من مائة مقالة كتبت ... حين إذ يفيض الوحي ... وتجيب الفكرة ... والمعاني ... وتتألف الأسطر ... حتى تنفصل عنه المقالة إلى نفس قارئ كما هي في نفسه [1]

وأحسب أن طريقته العامة في كل ما كتب من المقالات هي ما وصفت من عيني وملاحظته ، ولكني لم أجربها في تأليف ... حين يؤلف في موضوع من موضوعات العلم ، مما يقوم على التتبع والاستقراء ، وتنقيب الصحائف ، وجمع الحقائق ، والارتحال إلى الكتب ، والاستعانة بما انتهى إليه الباحثون من حقائق العلم ونتائج البحث والرواية ، ثم الهداية من ذلك إلى رأي يطمئن بحسبانه إلى نتيجة

وطريقة الكتابة غير طريقة التأليف ؛ أعني أن الطريقة لإنشاء مقالة أو فصل أدبي من مثل « رسائل الأحزان » أو « السحاب الأحمر » أو « أوراق الورد » — غير الطريقة في إنشاء كتاب مثل « تاريخ آداب العرب » ؛ فإن الشأن بين هذين مختلف باختلاف موضوعيهما ؛ ذلك أن في كل نفس جانب الشعور بما من الحب والبغض والعاطفة وما إليها من خلجات الوجدان أو محركات الحس ، بأسلوبها وعلى مقدارها ؛ فما يحتاج الأديب لتصويرها وإبرازها إلى شيء غير الأداة الطبيعية التي يؤديها بها إلى الناس كلاماً منظوماً يصل نفساً بنفس ويقرب من حرارة القلب إلى إدراك الحس . أما تأليف الكتب العلمية فله سبيل غير هذه ، لأنه يقوم على الجمع والتفريق ، وعلى النقد والتمحيص ، وعلى الاستقراء والملاحظة

وأنا إذا قرأت الجزء الأول من كتاب تاريخ آداب العرب منذ بضع عشرة سنة ، وأنست منه بما أنست ، وأعجبت بما أعجبت ، ثم صرت إلى صحبة صاحبه ... أي ... أن اجتمع لمؤلف هذا الكتاب هذا القدر من المعرفة في تاريخ العرب وأدبه ... مما كان ... أشتاتاً في هذا الكتاب ؟

وظل هذا السؤال قائماً في نفسي زمناً ، وما زال من جلائل ... في الأدب القديم أقع على شيء ... في صحائف متفرقة ... كتب عدة ... آخرها أو ... من ... زمان ... وكلها ... يجمع الرافعي في كتابه . وكان ذلك يبعث عجباً ... بل ... من الطبيعي أن يعرف إنسان كل ... في طريقه من الناس ... أن ... بعضهم إلى بعض ويعرف الفروق بينهم والنسب بما يجمعهم من تشابه في الخلقة ؛ ولقد يكون ممكناً أن ... أخوان ... ما بينهما من النسب والقرابة ... ولكن ... أن ... إلى ذلك ... على ... الزمان ومقاطع ... من مثل ذلك كان عجبي ...

وعجب أن ... الرافعي ... وعجب ... بعض ... ثم ... ذلك إلى ... الرافعي وسرعة حفظه ؛ وظن ... أنه ... صحائف ... موضعها ... بعد ... أن ... كتابه ... ذاكرة ... منه ، ... مستحيلاً عليه أن ... ولم ... له من ... ؛ واطمأنت إلى هذا الاستنتاج ... إليه ... الرافعي المراجع التي استعان بها في هذا الكتاب ؛ لأنه ... من ذاكرته ؟

ثم رأيت له ... في ( ... ) ... فإذا هو يتحدث عن ... في ... وينادي ... حفظ العلم والاستظهار كتبه [1] ... وكان ... من ... صحيفته ...

• • •

أما الطريقة التي ... بعد ... أن ... في شك منها ... فكان ... ولكنه ... للصحف ... لم ... يطوع

منذ بضعة أشهر وكل إلى القيام على تصحيح بعض مؤلفات الرافعي التي تطبعها الآن ... في القاهرة ؛ فاستحث أعمق العمل

ووجدت المكتبة التي ... صاحب أوراقاً مركومة وكتباً ... على ... ؛ ... أن ... مما يكون

(1) حياة الرافعي ص ١٤١ — ١٤٦

(1) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٣٢٢

هناك من مستدركات على بعض الكتب المطبوعة، فأرجعها عليه؛ وأعجب من (أسوى) الكتب التي لم تطبع بعد، فأرجع صوابها وأصحح الطبع وضحت أنواع الدولاب، ترتيب وعرض السر رحمه الله!

ذلك جهد لا يقوى على مثله جهد سلطان ولكنه قوي عليه وحده، ثم مات وخلّفه شاهداً على ما بذل في حياته لخير هذه الأمة لم يعلن عن يعرف بعد

وإلى القارئ أصف ما عثرت عليه:

يعرف قراء العربية أن كل كتب التراجم في لغتنا ليس لها فهارس تعين الباحث على التماس ما يبحث منها في أقصر وقت، إلا بعض كتب من المطبوعات الحديثة: كالأغاني، والأمالي، والعقد الفريد، والكامل، والصناعتين، والخزانة، والحيوان، والبيان والتبيين، وكتب الطبقات، وبعض كتب الفهارس والتراجم، ليس لها فهارس يمكن الاعتماد عليها عند البحث؛ فمن أصاب منها غرضاً من عرض المصادفة والاتفاق، أو بعد مطاولة وضياع الزمن؛ وحسبي أن أذكر أني بحثت مرة أتطلب لفظة كلمة في النص من كتب في البيان والتبيين ثم لم أعثر بها مطويه على سأم وملالة؛ فلما كان بعد أيام، وقد قامت على الفرص الذي كتب أنصف، تصفح الكتاب صفحاً بيد الكلمة التي كنت أريدها أمامي

هذه الحقيقة يعرفها كل من عانى مشقة البحث في هذه الكتب! فهي كتب القراءة المرتبة لا البحث والتنقيب العلمي عرف الرافعي ذلك فاتخذ له طريقاً.

وكان أول ما صنع أن انتخب كل الكتب التي يعنيه أمرها مما يحتاج له من البحث، فقرأها كلها قراءة درس؛ وهي كتب ليست بالقليلة؛ وحسب القارئ أن يعرف أن كل فصل في كتاب تاريخ آداب العرب للرافعي قد اعتمد فيه على عشر مراجع من المطولات أو تزيد، ليعرف من ذلك كم كتاباً قرأ من أن يؤلف كتابه الذي ذكرت.

قلت إن الرافعي انتخب طائفة من الكتب يرجو أن تعينه في البحث فقرأها كلها، وأعني تصفحها تفحصاً بحيث لم تفته منها معنى يتصل بموضوعه

ثم شرع يصنع، فكتب لكل كتاب مما قرأ ملخصاً يضم العنوانات الكبيرة في كراسة أو كراسات [illegible] ومن أصوله المطولة

ثم عاد إلى هذه الملخصات فرتب أبوابها ترتيباً يقرب القريب إلى القريب حيث يجد طلبته عند النظرة الأولى من غير تعب في تقليب الأوراق

ثم كانت الخطوة الرابعة فزاوج بين ملخصات الكتب المختلفة يضم الأشباه منها إلى الأشباه

ثم كتب

ثم عاد إلى المكتوب فقرأه [illegible] وزاوج بين رأي ورأي ليخرج منهما رأي ثالث [illegible] من تلك الملخصات التي [illegible] به الصحيفة

ثم كانت المرحلة الأخيرة في التهذيب والصقل الفني، من مناسبة البيان وتفكيك الألفاظ وتحميل المعاني وتزيين الأسلوب [illegible] بين البدء والنهاية.. ثم خرج الكتاب لقارئه يسائل نفسه في عجب: أنى وأيان استجمع مؤلفه ذلك القدر من المعرفة في شئون العرب والعربية فألف بين أشتاته في هذا الكتاب!

سؤال كنت أسأله نفسي قبل أن أرى وأعرف وأطلع بعيني على تلك الأوراق التي كانت في درج مكتبه فتكشف لي السر

بين يدي الآن الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب، أرجو أن أخرج منه ليكون في أيدي القراء بعد أيام؛ وهو كتاب ألفه في سنة ١٩١٦ أو قبل ذلك، ثم شغلته شئون الحياة عن إخراجه فخلّفه أوراقاً مصفرة تكاد يبليها التقادم [illegible] في هذا الكتاب وجدت مفتاح السر، وسيقرؤه قراؤه بعد أيام فيعرفون في بعض فصوله أي جهد أجهد نفسه وعند أي مصدر وقف.. ثم يذكرون مؤلفه فيترحمون عليه..

وفي مكتبه كتاب آخر أرجو أن يعينني الله عليه بعد أن أفرغ من هذا الكتاب. وهناك غير ذلك كراسات عدة وأضابير مطوية، تلك هي الفهارس التي كتبها ثم استكتبها ... ولكنها — فيما تعرف لي — ألسنة خرس

* * *

تلك كانت المرحلة الأولى في تأليفه أنه انتخب طائفة من الكتب.. وأقول إن أول ما انتخب من تلك كتب التراجم،

(البقية في صفحة [illegible])

# من مذكرات الأستاذ محمد كرد علي

« للأستاذ محمد كرد علي مذكرات تناول مشاهده ومواقفه منذ نشأ من يوم ولي شأنه ، وقد كشفت فيها كثيراً من عصر ورجالات عصره ، وسرنا أن نقتطف منها هذا الفصل . »

## أحوال القضاء

لم أر فيما رأيت من أنواع المتقاضين أبعد من شذوذ الشرع ، ولا أكثر من خبط بعضهم حتى بعض ، ولا أعظم من تكالبهم على حطام الدنيا ، ولا أشد تهالكاً منهم على أبواب الأمراء والحكام . فقد رويت لي عنهم روايات ما كنت أصدقها لولا أن رواتها ممن لم يعرفوا الشبهة والتهمة . ولما أحببت أن أتعرف إلى الرجال رأيت ما هالني ، ورأيت أن كل من يطلب منهم الصدق هم من أول الكاذبين ، ومن تفترض فيهم الأمانة هم في مقدمة الخائنين ، ورأيت أن القليل منهم عرفوا الكرامة وعزة النفس . وهم هم جعلوا محاكمهم متاجر [illegible] ، وكان [illegible] وأصبحوا [illegible] سببه أن سلطانهم التقدم على الملوك في [illegible] الجهل وحب الظهور .

قلت يوماً لعالم درس تاريخ الإسلام درس تدبر ، وعرف استخراج عبره : أما كان في العصور الماضية قضاة عادلون [illegible] ، ومكتب الأدب [illegible] ذكر كثير مما كان يهمون به ، أليس ما روي عنهم صحيح أم [illegible] ؟ فأجاب : أكثر ما روي في سيرة القضاة قديماً صحيح ، ومثل [illegible] لا يقطع [illegible] من الأرض ، ويكفي إذا عرفنا أنه كان في المملكة الإسلامية ألف قاض في القرون [illegible] ، وأن مثلهم في هذه الأيام [illegible] كان منهم [illegible] لا يصلحون ، أما الألف اللاحقون فالفاسدون منهم يعدون بالعشرات بل بالمئات . ورأى السلطان [illegible] الذي جمع قضاة مملكته لما ثبت له فساد دينهم وأخلاقهم [illegible] كلهم ، فلما [illegible] منهم إلى أحد حاشيته [illegible] ، [illegible] كانت [illegible] ، فذهب إلى السلطان لابساً [illegible] ،

فسأله السلطان عن الداعي إلى [illegible] فقال : إنه ذاهب إلى صاحب القسطنطينية [illegible] ، وكان [illegible] يأتي من عند [illegible] يتولون القضاء في بلاد السلطان [illegible] هذا [illegible] من القضاة على أن لا يعودوا إلى [illegible] .

وما زالت حال القضاة في [illegible] العصر بعد العصر حتى كان لهم السبب الأعظم في إدخال قوانين الغرب على الدولة العثمانية والحكومتين المصرية والتونسية لكثرة ما أساءوا إلى الشرع الإسلامي وعبثوا بأصوله وفروعه ، فكانت المحاكم الشرعية [illegible] وأحكام [illegible] من الخلل والظلم ، فأكرهت أوربا الدولة على قبول قوانينها ، فكأنما [illegible] أن القضاء آت من الشريعة ، وما العيب إلا من جهل المتصدين لأحكامها وفساد أخلاقهم . وقد شاهدنا [illegible] ظاهراً في قضاة الشرع لما أنشأت الدولة مكتب النواب في الأستانة وكان المتخرجون على أساتذته إلى الاستقامة [illegible] أكثر من [illegible] بكثير ، ومثل ذلك شاهدنا القضاء في مصر [illegible] الأخير ، وكان في القرن الماضي [illegible] الأحرار والأشرار [illegible] من أحصى [illegible] من القضاة [illegible] من [illegible] منهم ، ومن [illegible] لا [illegible] من قبول الهدايا من أرباب [illegible] .

حدثني [illegible] من أهل دمشق كان في دوحة من الشرطة ، وكان [illegible] يحفظ كثيراً من النوادر والمكاتبات ، [illegible] في القضاء [illegible] ذات يوم [illegible] عبد الناصح [illegible] دوحة بكتاب يقول له فيه إن الله [illegible] ، وأتى به إلى [illegible] الصالح ولم [illegible] ، ويرى له أن يتزوج [illegible] ، ويرزقه أولاداً [illegible] بين [illegible] الإفلاس والهم [illegible] ، وأن [illegible] أولاده ، فهو لذلك يلتمس من القاضي أن [illegible] إلى محكمته [illegible] وهو الله سبحانه وتعالى [illegible] معه ؛ فرأى القاضي أن صاحب الدعوى من أصحاب النكتة ، فانتظر حتى [illegible] الأشغال [illegible] المحكمة ولم [illegible] الوضيعين [illegible] ، وطلب المدعي وهو [illegible] يضحكون [illegible] ، فسأله عن دعواه على الحق تعالى ، فقال : إن دعواه مكتوبة في القصة التي [illegible] . فقال القاضي للمدعي بعد أخذ ورد طويل : هل تسقط دعواك يا شيخ إذا أعطيت من مال الله [illegible] بيرات عثمانية وكيس طحين ؟ قال

أصل . قال القاضي : أنا سائلك سؤالاً تجيبني عليه بصراحة فقال : الأمر لسيدي . فقال القاضي : جاء هذه البلدة قضاة كثيرون مني ومن قبلي لم تتقدم إليهم بهذه الشكوى مخصوصاً عن دين عليه سيعطيه وسال ؟ فقال : لم يكن القضاة الذين يتسمون لتولي القضاء في بلدنا مثلك ، كانوا يخافون منه . فضحك الحاضرون ضحكاً شديداً استحساناً لهذا الجواب . وربما قال القاضي في سره إنه والله لصادق ؛ فإنا أعلم من نفسي أن معظم القضاة لعهدنا لا يخافون الله ، ثم نصوص كل دقيقهم عمائم يصلحه ، وذات عمائمهم وجبابهم ومأواهم من أموال اليتامى والأرامل . وهكذا كان هذا القاضي يقول لزوجته متفاخراً ، وما أظنك أنه من قضاة النار . .

### أهل مصر

وصلنا من فصل عنوانه « سود مصر »

— في مصر اليوم عدة جماعات وعصابات تظهر في بعض حوادثها بأمور تحتاج بحظوة إلى الحمد وبعضها في الإيضاح في يومنا ، وكذلك بعضها في بلاد الشام ؛ وكانت منها الأخيرة المشهورة أو « اليد السوداء » في كل حي من أحياء المدن والقرى الكبيرة . ولي جماعة في هذه الأيام أمام إدارة جريدة الأهرام القاهرية ، وهم بقايا ساحة من أرباب الثقافة العالية والوطنية الخالصة ؛ ومنهم صديق القديم الأمير محمد بك علي المهندس ، وقد وقع له وأنا أسير معه في بعض الشوارع ، وأمه سودانية وهو أسود البشرة . محمود العقاد حكم السياسة المصرية جاء يخصها به الرجل الشريف أعواماً طويلة وما طال على عهد لزمانه كأنه ، ولا طمع في مظهر من مظاهر التي يطمع فيها المتحررون بالوطنية

ووقع لي أن لاقيت على الجملة ، ماشياً في آخر معه صالح أفندي السوداني وهو أسود أيضاً عن محمد بك علي ، وهو من أرباب الأقلام ومن العاملين في صحفة مصر ، فنشر لها . فطرت بالي الآن قصة وقعت لي في جهدي وأنا في صدر الشباب ، كان لنا جار وهو أسود من الرصاع اسمه رشيد فضل من أبناء السودان القديمة وقد خلف له أهله ثروة جيدة ، وكان أسود اللون لأنه متلكئاً ، ولكنا اتفق فلأنه ، فكنا نتبعه في ركب الخيل وعنده وعنده والدي من عدة نحكي بعضها عند الأصيل ونخرج إلى المتنزهات بين البساتين . فقال لي والدي يوماً : إنك يا بني تثبت كل يوم حسن

دونك ؛ أما رأيت في هذه المدينة الكبيرة أنصل جانبها جزءاً من الخيل صحبه إلى رحلتك أزوجا لي بالتوفيق وأخيه والحسب إلى الصديقين وقل هو من أسود مطابقة حديث الفرجة أليس عربي والذي يمشي على الآن ؟ ولا خلاف أن الناس منا أسود شعوراً فيضحكون به بلا بلادنا فضحكنا ضحكاً كثيراً والله إني لأفضل هذين الأسودين لما فيهما من صفات تفضل على كثيرين من البيض أصحاب الصحائف السود

أحمد كرد علي

---

## اعلان

تعلن وزارة الدفاع الوطني عن حاجتها إلى صانع من صانعي سيارات مختص تعيين كاتيه شهرية قدرها ٥٠٠ مليم ٢ جنيه شاملة من الغذاء وعلاوة المسكن والملبس ومدة التطوع سنة قابلة للتجديد

ويشترط أن يكون المتطوع مصري الجنس وسليم وصحة جيدة وأن لا تقل سنه عن ٢١ سنة ولا تزيد عن ٣٠ سنة على أن يكون الموظف خاضعاً للأحكام العسكرية مدة التطوع

فعلى من يرغب في التطوع أن يقدم طلباً بذلك إلى صاحب السعادة مدير القرعة العسكرية بالعباسية القاهرة وأن يوضح فيه تاريخ ميلاده وبلدة وتاريخ الرخصة التي بيده وعليه إثباته لأخذ اللازم نحو الكشف عليه طبياً وامتحانه ١٢٠

# خواطر يثيرها سائل

## للأستاذ عبد المنعم خلاف

٣

سنة الله — العبرة من التاريخ — الطفولة موضع أمل — عصر القلق — غرور الشباب — ظلم الأحكام — فلتخش منها [illegible] — الطاقة — طريق ابتهاج لا كآبة — عبرة الأجيال [illegible] — الحياة [illegible] — حاجة المرء إلى حياة الروح

لا يزال أكثر الناس يجهل سنة الله وعمله وإرادته في الطبيعة على الرغم من كثرة عدد العلماء الطبيعيين، ولا يزال كثير من الأمم يأبى أن يبني حياته الاجتماعية [illegible] والاجتماعية كما بنى الله الطبيعة بقوانين لا تتخلف ولا تتكسر ولا تجهل، مع أن الحل الوحيد للوصول الصحيح لجميع المشكلات هو أن تبنى [illegible] حياتها كما بنى الله الطبيعة على الحرص العميق والحيطة التامة والعلم الشامل والقوة القاهرة والتصميم النافذ والاستيعاب الكامل للجزئيات والتوزيع الشامل للقوى والعناصر، فجرت في هذا التناسق والانسجام والجمال.

ومع هذا الجهل الفاضح من الناس «بسنة الله» تجدهم في [illegible] يحاسبون الله على ما كتب الله بعقولهم القصيرة المحدودة التي لم تعرف بعد ولم تعرف اتجاه [illegible] الظاهر في الطبيعة.

إن الله احتجب هنا لكي [illegible] بأبصارنا إلا [illegible] ولا طاقة لنا على [illegible]، ولكنه وضع أمامنا «خريطة» الكون مفصلة واضحة لنرى فيها تخطيطه وأساليبه في إيجاد الحياة وتنظيمها والقيام عليها.

وقد وضع الله في الإنسان قوة أشبه بمرآة تنطبع فيها جميع صور الطبيعة وظلها وهي «العقل»، وكان من المحتم لو سارت تربيته سيرها الطبيعي أن ينقل سنة الله في الطبيعة إلى تلك القوة فيطلع منها [illegible] ويتجه إليه دائماً ويسير على هديه في بناء الحياة الإنسانية. ولكن قوة «الاستهتار» التي في الإنسان من جهة وجهة «الاختيار» كل أنفه «وحب الاستطلاع» كل شيء في الحياة هي السبب في عدم تقيده بما يوحي إليه أسلوب الله،

وفي خلقه لنفسه جواً خاصاً حسب [illegible] من الطبيعة التي هي كتاب الله إليه وصورة من عمله [illegible]

وشيء آخر هو «الاختيار» وحب الاستطلاع [illegible] في تجربة الإنسان [illegible] تأثيراً وريثاً [illegible] وشيء هو كل شيء هو التاريخ المسطور في الصحف الموروثة وأحاديث [illegible] التي لم [illegible] الأولى محصورة في الدماء والأعصاب والألسنة في أكثر من المحاولات الأولى [illegible] التي سلكها الإنسان لإدراك الله وإدراك مجاله في الطبيعة.

إن عبء التاريخ [illegible] على العصر [illegible] جعلتنا أناساً [illegible] لا [illegible] لا يزال في التاريخ كثير من الأوهام والخرافات التي [illegible] الطريق [illegible] أسلحته [illegible] الإنسانية ... إنه يربطنا بما [illegible] هذه الأوراق من العواطف والأفكار [illegible]، ومن العجيب أن الاحتفاظ [illegible] «التقاليد» [illegible] الذي للعقل الطبيعي وهو الإسلام [illegible] التاريخ وموروثاته [illegible] الأمم التي [illegible] الناس [illegible] والأباطيل [illegible] أن [illegible] في دار الإسلام وفي أفكار [illegible]، وعسى أن أحيل كل قارئ على [illegible] يجري، [illegible] في دار الإسلام [illegible] مع أصول الدين جنباً لجنب ولم تنتبه إلى ازدواج شخصياتنا بسبب ذلك، وإني أحيل جيلاً من الأطفال [illegible] من كل [illegible] واستمتعوا بأسلوب الطبيعة وسلامة الفطرة، ولم يأخذوا الأفكار [illegible] من الحياة والدين من التاريخ والبيئة [illegible]. أحيل ذلك فتتطلع أمامي في هذه الأرض أنوار من الجنة الموعودة في السماء.

ولم يستطع نبي أن يتلقى الوحي عن الله إلا بعد هذا التجرد من التاريخ ... إن النبوة في معناها تجرد من كل شيء موروث

ما أمكن في الوصول إلى أصول الحياة ، ثم رويت بها قلوبهم نبع هذه الأصول وقطعانها ، ثم تطلع الله بعد ذلك -

والطفولة هي موضع أمل الإصلاح ... ولكن هل تترك الإنسانية للمصلحين يعملون مستقلين ! هذا سؤال فيه سؤال آخر : هل هي تترك المصلحين وتعرضهم أم تحركهم ولكنهم تصدهم ؟ لأن الغرائز الدنيا وقوى الشر دائماً تسلط الحسد يكون عليه في القطع عنها وإطفاء وجودها

قلوب الأنبياء والملائكة ، كقلوب الأطفال ... لأنهم يرتدون دائماً إلى مباهج الطبيعة وأوليات الحياة البسيطة التي لم تنمو مع ميراث النفس الاجتماعي والإثم التعاقبي ، فهم دائماً ينظرون بفرحة وبهجة إلى الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والحوائط وكل شيء ... وكل شيء . وكأنهم في ابتداء حياة جديدة كل يوم بل كل ساعة . ويدل نظرهم هذا إلى كونهم حتى يبقى يوم الأنس إلى أن ينظروا إلى الوجود نظرة حان الوجود ! نظرة ورحمة وحنان على كل شيء ، واهتمام به وحرص على استمرار هذه الحياة على سنة الله وطريقته

• • •

قد كان من الواجب على الإنسان أن يقلد أسلوب الله في وجوده . وأسلوبه يتمثل في الصبر والصمت الدائم ... ولكن الإنسان أحد يقول ويبحث ويتكلم ! ويخرج بالكلام ويمضي في علوم الكلام دهراً طويلاً من عمره ، حتى جاء العصر العلمي الذي لا يزال في جزء منه كبيره . وهذا العصر العلمي كثير البركات على الإنسان ، إذ كشف له عن كثير من أبواب كنوز الطبيعة ومعارفها . وكان من أول الواجبات بعد هذا العصر أن يخرج الإنسان في سبيل حرارة العقل ونهجها ... حتى لا تضيع بعد الأسباب الضيقة وصراخه السياسي

وإني لأعجب من العلماء الطبيعيين الذين كشفوا عن كثير من الأسرار المطلقة في الطبيعة ، ثم استمروا بعد ذلك خاضعين لغرائز الحس وموروث التاريخ الجاهل . كما أعجب من هؤلاء والسياسيين الذين يتسكعون ويتركون مجالاً للحياة السلبية والأوضاع في مواضعها !

إن الله يتجلى بين السماء والأرض والجبال ... وسائر

صبغ أجسام النبات والحيوان ... وحياة ، ويسوق السحاب الثقال ... ويخرج من كل شيء ، ويتم خلق كل شيء كل طبيعته ... وكان طرفاً حولنا في الوجود ، ويصبغ الحدائق ويكسو الأرض بالورود ، ويرق أنفاس الرياح ، وينشر المطر الغيث ، ويدفق الأنهار ، ويجلو النهار ، ويرق الظلام بالمصابيح الزهراء .

« فأجمل ما توضع الله في الأشياء » !

فكيف يأبى الناس أن يسيروا الحياة على الله ؟!

إنهم لم يعرفوه ! فلو عرفوه لساروا على أسلوبه ، ولأطلقوا أصوات الحياة ظاهرة ... لأنه علمهم يسيرونها لا يتركونها غامضة مائلة تحت التراب والقيود ...

إن حياة الكافر في الله يجري حول تقبل الأصول الحياة العالية « ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا »

الأجسام ، الأجسام ، هي أداة الحياة في الدنيا ، يجب أن نحيا بها حياة كاملة ، ولا نعطلها في البحث وراء العالم الآخر ... يجب أن نخرجها إخراجاً جميلاً قوياً فإنها معجزة من معاجز الطبيعة أيضاً ... بل يكاد يكون الجسم الإنساني الحي المتكامل أجمل شيء في الوجود ...

لعل الناس يحرمون أنفسهم هنا لينالوا ما هناك ! ... كلا ! ليس وجود الآخرة معناه ألا نحيا هنا حياة طيبة بقدر ما تسمح به طبيعة الحياة الدنيا ... إن الآلام هي سبب الكفر والجرائم التي تحرم من جنة السماء فتحاربها وتمحوها إذا استطعنا لنضمن الزمن من طمأنينة والرضا عن الله

نحن نشتري الآخرة ببقاء الدنيا ؟ ألا يجوز الجمع بينهما ؟ بلى ! وإلا فالحياة مأساة !

ويقيني أن صلاح الدنيا صلاح للآخرة

إن الحق لم يكلفنا بحمل أشق من الموت في سبيل الله وما معنى الموت في سبيل الله ؟ إنه الموت لتكون كلمة الله هي العليا ... ولن تكون كلمته كذلك إلا إذا سار الإنسان على أسلوب الله في الطبيعة فحفظ سلامة الحياة من إجرام الغرائز السفلى وظلمها ، فكأنه أشق عمل ديني وضعه الله وسيلة لإصلاح الدنيا فصلاح الدنيا هو المطلوب الأول لأننا نحيا حياتنا هذه قبل حياتنا الأخرى

يقول القساوسة للمرتزقين بالحياة : إنهم يطلبون وجه الله بالعزلة .. ولكن وجه الله الخفي لا يُرى .. وفي الحديث « إن الله احتجب عن الأبصار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » .. ذلك عن عالمه أعظم سيرة وأنبه الأرض ، وعليه طابع جلاله وعلمه وصدق تجربتها في البحث عن وجه الله

ولكن صور وجه الله ظاهر جلية واضحة في الطبيعة وفي آفاق الحياة الإنسانية ، وعلينا أن نبحث فيها عن الله وأسراره وما خلقنا الأجسام إلا لنعرفه في عالم الأجسام ..

علينا أن نحيى الحياة حساً وحساً شاملاً وأن نحس في كل شيء إحساساً عميقاً .. وهذه هي حقيقة عبوديتنا .. فالدين هو الإحساس بالحياة إحساساً دائماً يكون معه التفكر في الله مبدع الحياة .. ومعنا أجمل تفسير « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وبهذا التفسير تتبين غاية الحياة من خلق الناس مختلفة واضحة جلية .. أليس كذلك أيها الأخ القارئ ؟ أوليس كذلك أيها الأخ الآخر ؟ ج م ع !

فالإحساس الصادق بالحياة والعمل يقتضي هذا الإحساس هو عبادة الله .. وعلى هذا ستكون كل حياة الإنسان في الأرض عبادة ... حتى محبته لنفسه وشعوره بلذاته المباحة وكشفه العلمي وعمله الفني ما دام وراء كل أولئك تفكر في الله وتنبه إلى سر إيجاده الحياة

ونشتكي الصباح حين يحس الإنسان أنه دخل هذه الحياة مكرهاً من غير إرادة ، مجبر على ما فيها من آلام ومتاعب حتى يتوفى الله نفسه من جسده ... فالتعبير كافر لأنه لم يتحمل آلام التجربة والاختبار في هذه الرحلة الأرضية التي لا بد أن يكون وراءها غاية عظيمة عند الذي دعانا إليها وحثنا عليها .. فالتعبير شخص وهبه الله الحياة فردها في وجهه .. في حين لو عرفت أني لست أنا الذي خلق نفسي وجاء بها إلى هذا البيت الحافل العظيم فصبرت وانتظرت وتفكرت في صاحبه دائماً لكانا عابدين لله ! لأني سرت متناغماً مع أجزاء الحياة ، ومع ركب الطبيعة التي تسبح أمام عينا القمر طائفة ساجدة

والفرق بين أعظم القديسين وأعظم الكافرين هو اتجاه الفكر والنية إلى رب الحياة في كل عمل وفي كل وقت .. فالقديس كل أعمال حياته مسبوقة بالإيمان .. يدب فيها شعور برب الحياة .. والكافر كل حياته عادات يأخذ بعضها برقاب بعض فلا يفيق منها إلا عند الموت ، مع أنه حين يدخل منعطفاً أو جبلاً يسرع فكره إلى السؤال عمن بناه أو خلقه

لقد أفسدنا الناس الديانة بإخضاعها تعليماً من دون فكر ودفع في حسابها وبتقليب بالأحداث قبل أوان تفتحها في أرواحهم وشعورهم بإحساساتها .. فحسب العباد هي أداء رسوم الصلوات والزكوات والصوم وغيرها ... كلا ! إن العبادة هي الإحساس الصادق بالحياة والشعور اللازم بالله والفكر فيه ، وفي أسمائه وتتبع آياته في الطبيعة من أول الأمر في الحياة إلى أن تجيء سكرة الموت ... وأما الصلوات وما وراءها فهي ليست عادات ، بل هي تحس النفس بهذه المشاعر والأحاسيس والأفكار حيناً تتمثل وتتشكل وتظهر في عالم الأجسام بعد امتلاء الروح ...

والدليل على ذلك أن هذه الأعمال تكون باطلة إذا خلت من التوجه والنية ... فكأنها مواقف « استعراض » للأجسام التي تلف قيم الحقيقة الروحية كمواقف استعراض الجنود الذين يحشرون لغاية ما ، ولن يمد الجندي بلباسه وشعاره وحركاته الظاهرة إلا إذا كان داخل القلب يعشق الوطنية والنداء التي حشد من أجله.

* * *

شيء واحد يجب للإنسان أن يحرص عليه ، حتى يحقق الغاية من خلقه .. هو أن يحس رب هذه الحياة بشعور وبيقظة قبل أي عمل أو متاع ، ومع كل ألم

فإذا استطاعت التربية في بيوتنا ومدارسنا أن تجعل هذه الخاطرة المضيئة دائمة ملازمة للإنسان ، فقد تم الدين وأقيم أساسه في النفس ، ثم تأتي سائر رسومه وأشكاله بعد ذلك نهجاً تلقائياً وعملاً اختيارياً

وإن إيماناً كهذا في القرن العشرين يجب أن يكون أوسع منه عند جماهير الناس في القرون الماضية .. وهذه شروط التربية والثقافة العلمية تحت التأثير الباهر للطبيعة أقل ضرراً وإفساداً لنفس الطفل من التربية المتوطدة على مواريث ومقاييس قديمة

والدين يجب أن يمتزج على أنه بهجة وفرح بالحياة التي أتاحت لنا أن نسير مع الله في هذه الرحلة السعيدة التي دعانا إليها على الكرة الأرضية

والله ما يسخط ربكم أن ترى حياة المتدين عند أكثر الناس ملازمة للكآبة والعبوس والحزن والفقر !.. وصورة الطريقة في صورة الأغبياء والأشقياء قد بدت ، هي التي حرمتهم منه وحرمته منهم ، حتى صار معلوماً عند الناس أن عبادة الله لا تكون من قوة ولا غنى ، وإنما تكون من الفقر والضعف التي لا يملك في الأرض ضراً ولا نفعاً ؟ وعدم التفريق بين ما لا بد منه في الدين لأنه ضروري وبين ما منه بد لأنه كمالي هو ما جنى على حياة التدين وعدم انتشارها بين الأغنياء والأقوياء

ثم إن مجافاة الأغنياء والأقوياء بالطعن والكآبة والحزن والموت والقبر وجهنم ، وغمرهم بكثرة التكليفات التي لا يقوم بها إلا المرهوبون ، هي التي جعلت نفوسهم تنفر من هذه الصورة القاسية التي تحجبهم عن متاع الحلال والحرام الذي لم يبين لهم معنى معقول لتحريمه إلا الخوف من عذاب جهنم . والدين إذا لم يبن على التفكر والتفاؤل أوشك أن ينهار بناؤه ، حتى في نفوس أهله ، وخصوصاً إذا كان ديناً يبنى على شئون الدنيا ويقيم لها حدوداً كالإسلام

أمن الحق أن يوجه فكر الإنسان دائماً إلى الموت على أنه هو المطلوب الأول من الحياة ؟

وهل من الحق أن يجعل المثل الأعلى للحياة الدينية هو التفرغ لما يسمى عند الناس بالعبادات !

قال التنزيل : « واعلم أن الله عنده [illegible] والذين [illegible] ، ومن جعل الهوى [illegible] ... »

وقول التنزيل هذا قول فصل ، لأنه قول جيد في هذا المقام ومن قواعد الدعوة الإسلامية الأولى أن العامة والجماهير يجب ألا يدعوا إلى الورع والزهد والقنوت ..

والقرآن يعرف سلطان الحياة على النفوس ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » ويقول : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد » . ويكرر هذا المعنى في غير موضع . فلماذا نريد نحن أن نعرض الحياة صورة عقلية كلها جد مؤلم مستمر وصرامة ونريد أن يعرض الناس عنها ، مع أن العقل والشرع والتجربة

الأولية تقرر أن هذا مستحيل ؟ هل كل الحياة إلا لهو ولعب كلعب الأطفال ؟ وهل الرجال والنساء إلا أطفال كبار يلعبون في الحياة بسبب الشعور بالمرح والطرب ؟

إنما يصنع من طين الأرض وموادها أشياء آلات وبيوت وطيور وترى وتسمع ... ثم تخرب الأشكال والأجسام ويكون غيرها وهكذا

إنما نحن في عالم اللذة والألم والاستكبار ... كل منا شيء يبحث فيه ويبدو . أليس هذا عبثاً أو عبثاً نعبث بالنفس في ملاهيه ؟ ولكننا نحرص على محاسن الطبيعة وفي ثمرتها لأنفسنا غيره ، ونرجل الذي مثلنا مع أننا نعرف تحول الحياة وما قال القرآن عن الدنيا من أنها « متاع الغرور »

فلماذا لا ننظر إلى الحياة على حقيقتها هذه ثم لا نتقدم من كثرة غرائب الشرور فيها ، حتى لا يحملنا ذلك على اليأس وترك الكفاح ، ثم نحاول أن نتلطف في الخروج عن الطبيعة البشرية الملاحية الملائمة لنفسها وأسباب الجد والعمل في الأوقات المتعبة التي لم يطلب الله في عمره من الإنسان أن يؤدي عملاً ؟

وكما تلطف التربية في الحصول على طبيعة الأطفال ، وتفهيمهم مبادئ المحارم ، وتدريبهم على مبادئ الأخلاق عن طريق اللعب من غير شعور ، ينبغي أن نعمل مثل ذلك مع الأطفال الكبار : الرجال والنساء .. وتلك هي رسالة رجال الروح

ولكن القسوة قد جنت على الحياة الروحية أكبر جناية حين أماتت الانتساب إلى الدين لمن لا توجد طبيعته ، ولا ثقافته ، ولا تكوينه الجسمي أن يكون قائداً من قواد الروح ، وعنواناً صادقاً للدين ... ولذلك كانت لم يحفظ كيف وصل الروح إلى ضرورة وضيع حد هذه الحالة مع أنهم يقرءون في علوم العقائد أن الله لم يبعث رسولاً إلا بعد الاصطفاء والاستعداد ، وأنه لا بد أن يتحلى بالحسن والأمانة والتبليغ والفطانة والسلامة من العيوب المنفرة .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فقد كان ذكياً قوياً جميلاً نظيف الروح ومثال الأخلاق وصحيح النفس نظيف الجسم والثوب يمشط شعره ويعطر ثيابه ويختضب لحيته

ولقد عاش رسول الله بجسده عيشة صحية كما عاش بروحه فسابق وصارع وركب وحارب وعنى بالفروع واتقى العيوب

والطير و[illegible] كثيراً من الطيبات وتمتع بالحياة، ووسع العلماء وساعد الزهاد، وجمع به في المسجد، ورأس الحركة في القسر إظهاراً للقوة، واستعرض جنوده ... وذلك حسب قوانين الأجسام ولم يتمرد على المجتمع عائشاً ولم يحي منطوياً على نفسه يأكل خواطره وتأكله خواطره.

يكذبون إذا كريم الذين يزعمون أن الله لا يريد أجسامنا، إنه ما خلق أن ... إلا عبثاً ولم يعرفه إلا من نوافذها وحواسها ومن أصوات عرفنا بإحساسنا بالحياة، وهل ترى في الحياة غير الأجسام ... إن حياة الروح الخالص لا تكون في الأرض إلا كلمحات البرق.

لقد صاح الحق من السلفيين لما أخذوا قوانين عالم الأجسام واختصروا إلى عالم الصوت والآثار والأحلام والكلام فضاعت القوة كما ضاع الحق فهما صنوان متلازمان: فالحق قوة، والقوة حق.

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

# الفقه الإسلامي
## ورعاية الصالح العام
للأستاذ محمد محمد المدني
المدرس بكلية الشريعة

«الفقه الإسلامي» مستنبط من الشريعة الإسلامية، وهذه الشريعة تمتاز بأنها شريعة الفطرة، وشريعة العقل، وشريعة الرحمة.

فهي تساير الحقائق، ولا تحاول الخروج على السنن الكونية، ولا تصطدم بالعلم، ولا تضيق صدراً بالإصلاح، ولا تكلف الناس ما ليس في استطاعتهم!

ذلك معنى ما كانت به الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وبحسبنا هذا الاعتبار العام، ولم يكن فهمنا منه سطحياً ولا موهوماً.

وليس معنى هذه الصلاحية أن كل جزئية من جزئيات الفقه التي استنبطت لا تقبل التغيير ولا التبديل، فإن ما صلح للأولين لا يتحتم أن يكون هو بعينه، وفي جميع جزئياته، ما يصلح للآخرين؛ ذلك أن شريعة العقل والفطرة لا تجهل أن الأحوال الزمنية في تغير، والعرف في تقلب، ولكل قوم عاداتهم وعرفهم.

ولو كان هذا هو المعنى المقصود من قولهم: «إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان»، لوقعنا منه في حرج عظيم، وتكليف لا يحتمل.

أيجوز مثلاً أن نرجع بالمساجد إلى حالتها الأولى، فنجردها من الفرش والبسط، ونكتفي بأن نفرشها بالرمل أو الحصباء، لأن سنة السلف في مساجدهم كانت كذلك؟

أيجوز مثلاً أن نلزم القاضي بأن يكون – في المسألة الواحدة – قضاء واحداً من غير تفرقة بين أحوال المتقاضين وبيئاتهم؟

لقد سمعت أن قاضياً شرعياً عرضت عليه قضية اتهم الزوج فيها زوجته بألفاظ جارحة — وهما زوجان من وسط راقٍ — فطلبت الزوجة التعزير، فقضى لها به القاضي.

فهل يجوز للقاضي أن يقضي بمثل ذلك في قضية يكون الزوجان فيها من وسط قد ألف ذلك منه، بل ألف فيه ما هو أشد منه كالضرب مثلاً؟

أيجوز لنا مثلاً أن نلزم وزارة الزراعة أن [illegible] تعصباً للحديث الذي يروون: «[illegible]»؟

ليس هذا وما يماثله هو الحرج الذي لا يرضى الله به، ولا يرضى به رسوله، ولا تقول به شريعة العقل والرحمة.

يقول ابن القيم: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل».

فالمعنى إذن في صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، أن الشريعة قد بنت أحكامها على رعاية المصالح، ولما كانت المصالح تختلف باختلاف الناس، وتتكيف بتكيف الظروف والبيئات، وتتغير بتغير العوائد، اعترفت الشريعة بذلك ففتحت باب الاجتهاد، وأباحت للناس أن يستنبط أولو الرأي منهم ما يصلح لهم، ويسيرهم في حدود رحمتها وعدلها.

وآية ذلك أن الشريعة الإسلامية تركت كثيراً من الفروع

من غير نص على أحكامها ، أو نص مجمل ـ على كل حال ـ بالأصول العامة والمبادئ الأساسية ، دون التفصيل والجزئيات .

وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم ، غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها » .

فهذه الأشياء هى موضع اجتهاد المجتهد فيها ، وقوله « فلا تبحثوا عنها » أى لا تطالبوا بحكم فيها تحرجوا أنفسكم . وهذا معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ، عفا الله عنها ، والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » .

ولمن تختلف الظروف والأحوال ، ووجوه المصالح العامة ، فى الفقه والأحكام ، بالشىء المستحدث ، فقد وجد منه وجه التشريع ، وكان حيث كان الفقه والاجتهاد .

وإنا لنسوق أمثلة لذلك من أحكام الرسول ، صلوات الله عليه ، وأمثلة من أحكام الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والأمراء .

١ — فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، أن قريشاً أهمهم أمر المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة ؟ فلما كلمه أسامة قال : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! » .

٢ — وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو .

فهذان حكمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء واحد هو الحد . رأيه فى الأول يصر على إقامته ، ولا يقبل تعطيله ، مع أن السارق امرأة من أكبر القبائل وأشرف البيوت ، ومع أن أهلها أهم قريشاً وأرعبهم ، ومع أن الشفيع صاحب من أحب أصحابه إليه !

ورأيه فى الثانى ينهى أن تقطع الأيدى فى الغزو ، فهل كان أيسر رأى الأول إلا لأن أمراً كهذا وحينئذ تتناسق ويطلب فيه الوسطية ، ويفرق بين التشريع والوضع لمصالح الحكمة المقصودة فيه ، ومطلبه الحياة المرجوة منه ؟

وهل كان نهيه فى الثانية إلا خشية أن يترتب عليه ما هو أضر على المسلمين ، وأبغض إلى الله ، وهو لحوق المقطوع بالعدو حمية وغضباً . ولكن التشديد فى الأول والتسامح فى الثانية يدعو إليهما أمر واحد وإن اختلف ظاهراً ، وهو الحرص على أمور المسلمين ، أن يفضى إلى الظلم ، أو يجنبها الاضطراب والفساد .

وقد روى مثل ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ — قال علقمة : كنا فى جيش فى أرض الروم ومعنا حذيفة بن اليمان ، وعلينا الوليد بن عقبة ، فشرب الخمر ، فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم ؟

فهل ترى فهم حذيفة ، ونصيحته للمسلمين حين فهم ونصح إلا تمليها عليه السياسة الرشيدة ، والنظر الصحيح ؟

٢ — وشبيه بهذا ما روى من أن سعد بن أبى وقاص كان قائد المسلمين يوم القادسية ، فأتى بأبى محجن ، وقد شرب الخمر ، فأمر به إلى القيد ، فلما التقى الناس قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا      وأترك مشدوداً على وثاقيا

ثم قال لامرأة سعد : أطلقينى ، ولك على إن سلمنى الله أن أرجع حتى أضع رجلى فى القيد ، فإن قتلت استرحتم منى . فحلت وثاقه ، فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ، وكانت بسعد يومئذ جراحة فلم يخرج ، ثم أخذ أبو محجن رمحاً وخرج ، فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون : هذا ملك ! لما يرون من صنيعه ، وجعل سعد يقول وهو يرقب المعركة : الصبر صبر البلقاء ، والطعن طعن أبى محجن ، وأبو محجن فى القيد ! ! فلما هزم العدو رجع أبو محجن فوضع رجله فى القيد ، وقصت امرأة سعد على سعد ما كان من الأمر ، فقال سعد : والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى هذا البلاء للمسلمين ، فخلى سبيله ، فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام على الحد فأطهر منها ، فأما إذ أبطلته عنى فوالله لا أشربها أبداً .

قال فى أعلام الموقعين : « إن سعداً قد اتبع فى ذلك سنة الله تعالى ، فإنه لما رأى من تأثير أبى محجن فى الدين ، وجهاده وبذل

نفسه له ما رأى هو أن حد القذف ، ولأن ما أتى به من هذه الحسنات غمر هذه السيئة الواحدة ، لا سيما وقد شام فيه مخايل التوبة النصوح وقت القتال ، إذ لا يظن بمسلم إصراره في ذاك الوقت الذي هو مظنة القدوم على الله ، وهو يرى الموت .

وربما عبر بتسميته نفسه ، ووضع رجليه في القيد اختياراً قد استحق أن يوهب له حده ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له : يا رسول الله ، أصبت حداً فأقمه علي ، فقال : هل صليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فإن الله قد غفر لك حدك » .

وهذا هو الفقه

٣ — ولقد كان عمر بن الخطاب ، وهو في الفقه والعلم من هو ، يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي المؤلفة قلوبهم ، وأن أبا بكر كان يعطيهم ، وأن الله يقول « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... الآية » ولكنه مع ذلك كله لا يعطيهم ، ويقول لهم : إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم عليه ، وإلا فبيننا وبينكم السيف .

فهو قد علل الإعطاء بالمصلحة ، إذ كان الإسلام محتاجاً إلى استرضاء هؤلاء وتأليف قلوبهم ، فلما ارتفعت هذه الحاجة بعزة الإسلام ، لم يبق إلى استمرار الحكم من سبيل

٤ — ولقد ولي زياد بن أبيه إمارة البصرة من قبل معاوية ، فوجدها وكراً من أوكار الفساد ، وموطناً من مواطن الفجور ، فخطب فيهم خطبته « البتراء » التي كان بها أول من أملى الأحكام العرفية في الإسلام فقال : « وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصي ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى تستقيم لي قناتكم ... فإياي ودلج الليل ، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ... ، وإياي ودعوى الجاهلية فإني لا أجد داعياً بها إلا قطعت لسانه ... وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً » .

وقد سكت معاوية عن ذلك فلم يعلم أنه راجعه فيه ، فما كان هذا الفعل من زياد ، وهذا السكوت عليه من معاوية إلا اجتهاداً وسياسة ، اقتضاهما إحداث ما لم يكن من الأحكام

وفي مثل هذا يقول الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور .

وإنك لتجد في فقه المذاهب كثيراً من المسائل المبنية على العادة والعرف ، واعتبر فيه تغير الزمان .

١ — يقول المالكية : إن المرأة إذا مات عنها زوجها يستحب لها أن تلبس السواد سنة ، وهذه حلة يرونها له ، ثم يقولون : إلا إذا كان السواد زينة قوم والبياض حدادهم ، فإنه يتعين عليها حينئذ لبس البياض .

٢ — إن النبي صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من إقط ، وهذه كانت غالب أقواتهم بالمدينة ، فأما أهل بلد قوتهم غير ذلك ، فإنما عليهم صاع من قوتهم ، كمن قوتهم الذرة أو الأرز أو التين أو غير ذلك من الحبوب ، فإن كان قوتهم من غير الحبوب كاللبن واللحم والسمك ، أخرجوا فطرتهم من قوتهم كائناً ما كان ، وهذا قول جمهور العلماء .

وقد اتجه بعض الأحناف إلى أبعد من ذلك ، فنظروا إلى العلة التي من أجلها فرضت الزكاة في هذا اليوم ، وهي التوسعة على الفقير وإغناؤه عن المسألة ، فأجازوا إخراج نصفها من المال لأنه أنفع له وأيسر لسد حاجته !

٣ — وكثيراً ما نجد في كتب الحنفية مواطن عدة : تغير عصر وأوان ، لا تغير حجة وبرهان ، يقولون هذا تعليلاً لاختلاف الرأي من إمامهم أو أحد أصحابه في المسألة الواحدة .

فالمسألة إذن مفروغ منها ، والأمر فيها بين واضح ، والأساس المصلحة التي جعلها الله أساساً لكل شيء .

ولقد جنى على الشريعة الإسلامية جمود بعض من مضى من الرجال ، فأظهروا للناس مظهر الشريعة عاجزة في أحكامها التي يحيون بمقتضاها بما يحدث للناس من ظلم ، أو بوقف الأسد به من أسباب ، ولم يحاولوا أن يخرجوا بمستفتيهم والأسباب الحديثة أمرهم ، بل وجعلوا حجراً وصلاحاً على الله لا يأتي بالخير والصلاح ، ولا بد أن يكون في الشريعة للمصلحة منفذ إليها ، وإن كانت الأخرى أحوج قومهم وأضيق بهم العسر ، فهم عليه مقبلون وهو به آخذون

لم يعيروا اهتمامهم وسكتهم ، أكثروا الضجيج والسخط على الناس ، ويشكون طريقاً من الضرر في الاتباع أو الاقتحام ، والسخط والضجيج لا يغنيان شيئاً في مسار الفكر ، ولا يصححان أوضاعه في هذا الزمان .

في الاجتماع اللغوي

# نشأة مراكز اللغة

للدكتور علي عبد الواحد وافي

يمتاز الإنسان بصفة خاصة عن بقية الفصائل الحيوانية بأمرين: أحدهما اللغة الصوتية، وثانيهما المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة (مركز إصدار الألفاظ، مركز حفظ الكلمات المسموعة، مركز الكلمات المرئية ... الخ) فقد ثبت أن هذه المراكز ليس لها نظير في مخ أية فصيلة حيوانية أخرى حتى الفصائل القريبة من القردة نفسها

فالبحث في نشأة اللغة يتطلب إذن دراسة موضوعين اثنين، أولهما نشأة الكلام في الفصيلة الإنسانية؛ وثانيهما نشأة مراكز اللغة في المخ الإنساني

وقد درسنا أول هذين الموضوعين في المقال السابق، وسنعالج ثانيهما في هذا المقال

اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً في نشأة مراكز اللغة في الفصيلة الإنسانية

فالقائلون باستقلال النوع الإنساني في نشأته عن الأنواع الحيوانية الأخرى يذهبون إلى أنه قد مر مروراً بطيئاً بهذه المراكز كما مر مروراً بخصائصه الأخرى كاستقلال القامة وإدراك المعاني الكلية ... وما إلى ذلك. ويرون أن هذه المراكز كانت في مبدأ الخلق ساذجة قاصرة؛ ثم ترقت في بعض الشعوب حتى وصلت إلى درجة كبيرة من الدقة والنضج؛ على حين أنها جمدت في شعوب أخرى فلم تتزحزح كثيراً عن الحالة الساذجة التي خلقت عليها. ويرجع الفضل في ارتقائها إلى مراحل كبيرة ضمن كثرة استخدامها في وظائفها بما عرض عليه من حاجات مكتسبة واتساع الحضارة الإنسانية وارتقاء التفكير ... وهم يجرون شأن مراكز اللغة في ذلك شأن أعضاء الحس وأعضاء الحركة في الجسم الإنساني؛ فالتي صودفت بالقدرة على القيام بوظائفها، وظفرت بقابلية الارتقاء في هذه الناحية، أتيحت لها الوسائل المواتية، ومن لم يتح له ذلك قصرت عن القيام بوظائفها أو جمدت على الحالة التي كانت عليها في نشأتها الأولى

وأما القائلون بمذهب الارتقاء وتفرع الإنسان عن غيره من الفصائل الحيوانية، فيرون أن الفضل في نشأة هذه المراكز عند الإنسان يرجع إلى الظروف التي أحاطت به في مبدأ نشأته، وإلى الأمور التي أملتها عليه متطلبات حياته، وبخاصة ما يتصل منها بشؤون دفاعه عن نفسه. وقد اختلفوا في تصوير هذه النشأة على الرغم من اتفاقهم على الأساس السابق ذكره. وأشهر نظرياتهم بهذا الصدد نظرية داروين التي تتلخص في أن الإنسان كان في الأصل من الفصائل المتسلقة الأشجار؛ ثم اضطرته ظروف قاهرة إلى العيش على الأرض، حيث تعرض لفتك الحيوانات القوية وسطوتها عليه. فاستخدم في مبدأ الأمر في مقاومتها أنيابه وأعضاء جسمه كما كان يفعل من قبل وكما تفعل أمثاله من الحيوانات. ولكن هذه الوسيلة كانت تضطره إلى الارتقاء في أحضان عدوه فتعرض حياته للخطر. فهدته ضرورة المحافظة على الحياة إلى وسيلة أخرى تدفع عنه عدوان الحيوان بدون أن يضطره إلى الاصطدام به؛ وذلك بأن يقذفه عن بعد قطعاً من حجارة أو خشب أو معدن؛ أو بأن يمسكه بطرف عصا ويدفعه عنه أو يضربه بطرفها الآخر ... وقد كان هذا الأسلوب

---

في الأزهر الحديث إذن أن يرأب ما أحدثت به الخلافات من قرار أن ينظر الناس إلى الفقه بما يأخذون به من تشريع، ويحتكمون من قانون

في الأزهر الحديث أن يلبي مطالب الزمن، وأن يعرف مواضع الحاجة القومية فيسهم في وضع حلول من الفقه الواسع المجيد لهذه المشكلات التي تعرض للناس في حياتهم الاجتماعية في معاشهم، وتجاراتهم، واقتصادهم، ومعاملاتهم، وعلاقاتهم

عليه أن ينظر فيما جد من الأقضية والأحداث والنظم، فيعرض كل ذلك على الفقه ليعرف الوجوه التي كانت من خلافة له، والوجوه التي يمكن بها أن يوافقه أو يقنع الناس بأنها أشباه في غيرها مما سبقها ونص عليها

وها نحن أولاء نشهد طلائع ذلك على يد طائفة من مفكري الأزهر ونابتة نابهة من شيوخه العلماء

ولن يمضي زمان طويل حتى يكثر فينا هؤلاء المنصفون من الفقهاء، الناصحين الصادقين، وحتى يصحب الزمان ويبل الفناء على «فقهاء بيزنطة» المتأدبين!

محمد محمد المدني

للضحك أثران كبيران في حياة الإنسان :

أحدهما أنه يضطره إلى الوقوف على رجليه اثنتين في أثناء قيامه من نومه ، ومن تكرار هذه الرفعة أصبحت قامته تعتدل شيئاً فشيئاً حتى استوى القسم الأعلى من جسمه مع أطرافه السفلى ، وأصبح بعد المشي على أربع يمشي بالتدريج حتى انتصب ( وإن كانت تظهر في بعض مراحل الطفولة الإنسانية وهذا نوع من الوراثة التي تلخص بها عمر الطفل في سيره من الطفولة إلى الرجولة بعض مراحل التي اجتازها النوع في سيره من الحيوانية إلى الإنسانية ومن الوحشية إلى الحضارة )

وثانيهما ( وهو الذي يعنينا في موضوعنا ) أن هذا الأسلوب الجديد قد أدى بالإنسان إلى أن يستخدم يديه وأصابعه في الدفاع عن نفسه ؛ فتعطلت هذه الأعضاء عن القيام بجزء كبير من وظائفها وترتب على ذلك تقلص العضلات والعظام الصدغية التي تحركها مع الفم ؛ وترتب على هذا التقلص أن اتسع مجال الجمجمة ؛ فزاد حجمها عما كان عليه ؛ وباتساع حجم الجمجمة اتسع مجال المخ فنما ، فزاد حجمه ونشأت به مراكز جديدة لم تكن به من قبل ، ومن أهم مراكز اللغة التي نحن بصدد الكلام عنها

ويؤيد هذا الأثر الأخير ، تجربة العلامة أنتوني Anthony على عدد من الجراء ( الكلاب الصغيرة ) ، فقد استأصل من أفكاك بعضها عضلاتها وعظامها الصدغية ، وبعد فحص جماجمها بعد هذه العملية تبين له أنها أصبحت تتسع أكثر من المعتاد

وقد تصدى كثير من العلماء المحدثين للتحري عن هذه الحقائق ، فثبت لهم صدقها من وجوه كثيرة لا يهمنا منها الآن إلا الناحية المتعلقة بنشأة مراكز اللغة . فقد ظهر لهم بعد الفحص أن تطويل الفك والأسنان ، وإن لم يتم معه اتساع في الجمجمة ، لا يترتب عليه مطلقاً اتساع في حجم المخ أو اختلاف في صورته أو شكل تكوينه . والتجربة التي قام بها أنتوني تدل على صحة ذلك . فقد ظهر له أن جماجم الجراء قد اتسعت من أعلاها ، مع أن الأكثر التي تقطع عليه من ملاحظات المخ قد اتسعت . فاتساع الجمجمة الناجم عن تقلص عضلات الصدغ وعظامه لا يتبعه دائماً اتساع في حجم المخ أو نشأة مراكز جديدة

[illegible] داروين

وكثيراً ما تتسع الجمجمة عند بعض الناس اتساعاً غير عادي لسبب آخر غير تقلص عضلات الصدغ وعظامه ، ومع ذلك لم يحدث مطلقاً في حالة من حالات هذا الاتساع أن تغير حجم المخ أو تغيرت صورته . بل العكس من ذلك هو الذي يحدث ؛ فإن [illegible] يترتب على الاتساع ويشهد بالشكل الذي يحدث مع نموه بأن كان عظم الجمجمة [illegible] حيث يلتحق عظم مؤخر الرأس [illegible] مؤخره ، وهو الذي يكون بها في العظم ) قد [illegible] على [illegible] ، [illegible] طريقاً على أي وجه ؛ فأحياناً يدفع إلى الأمام فيغدو الشخص بارز الجبهة ، وأحياناً يدفعه إلى الخلف فيغدو الشخص أحدب الرأس ؛ وأحياناً يدفعه إلى أعلى فيغدو [illegible] الرأس ؛ وأحياناً يدفعها من ناحيتين أو أكثر فيغدو [illegible] الرأس . وهكذا فالطريق الطبيعي للارتقاء إلى [illegible] هو أن يتسع المخ أولاً وتوجد به مراكز لم تكن موجودة من قبل ، ويتبع ذلك اتساع في الجمجمة ، لا أن تتسع الجمجمة أولاً ويتبعه اتساع المخ كما يقول داروين ومن شايعه

على أن الارتقائيين لم يكونوا في حاجة إلى هذه الفروض الخيالية لتعليل نشأة مراكز اللغة بطريقة تتفق مع مذهبهم ؛ فقد كان في إمكانهم أن يذهبوا إلى أن هذه المراكز لم تنشأ من العدم ، بل كانت نتيجة تطور مراكز قديمة أو لأعضاء [illegible] مراكز قديمة . كان في إمكانهم مثلاً أن يذهبوا إلى أن مركز [illegible] مركز الحركة الخاصة بعضلات الوجه Centre des mouvements des muscles de la face قد تخصص في حركة أعضاء النطق ، ومع تقادم الزمن وكثرة مزاولته هذه الوظيفة تشكل بالشكل الذي يتميز به واستقل عن غيره . وقد يجري في سبيل الارتقاء حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها الآن . كان في إمكانهم أن يقولوا هذا بصدد مراكز الكلام ويقولوا مثله بصدد المراكز اللغوية الأخرى ، ويجنبوا مذهبهم ما وجه إلى فروضهم السابقة من اعتراضات ، ويكون مذهبهم أقرب إلى العقول وأكثر اتفاقاً مع حقائق الأمور ؛ وذلك أن المقارنة بين مخ الإنسان وأمخاخ الحيوانات القريبة منه يظهر أن مراكز اللغة — على فرض أنها لم تكن موجودة في أصل خلقته — كانت تشبه تشكيل حديثة لبعض المراكز الموجودة في أمخاخ هذه الحيوانات

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السوربون

(١) [illegible] رجل [illegible] الرأس [illegible] وتسمية [illegible] ، [illegible] لأن [illegible] جزء [illegible] ، والثانية [illegible] شخص برأسين [illegible]

# الأزهر والحياة العامة

للأستاذ محمود الشرقاوي

كان مفيداً وقع ذلك الحديث الذي أفضى به صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي لـ «الرسالة» منذ أسبوعين، واستطاع صاحب «الرسالة» أن يركزه وأن يجمعه فيرسلها في مجال واسع وفكر واسع.

وكان قيماً ومفيداً ما كتبه صاحب «الرسالة» في مقاليه عن الأزهر ورسالته وأبنائه وحاله في القديم والحديث وما يرجوه ويرجو منه المسلمون في العصر الحديث.

وقد أثار حديث الأستاذ الأكبر وأثار مقالا الأستاذ الزيات كثيراً من المقالات والمناقشات في الرسالة وفي غيرها من الصحف، وكان بعض ما نشر من ذلك فيه كثير من الشطط.

وكان من أقوم ما كتب عن ذلك ما نشره صديقنا الدكتور زكي مبارك في مجلة أسبوعية على طريقته من التهويل.

وقد حرك في نفسي حديث الأستاذ الأكبر ومقالا الرسالة وما نشر بسببهما من الآراء والمناقشات شوقاً لأن أكتب بعض الملاحظات عسى أن يجد فيها الأستاذ الكبير صاحب الرسالة شيئاً من الحق وشيئاً من الإفادة.

ونحن الذين نشأنا في الأزهر وقضينا فيه خير الأعمار من شبابنا لا نفتأ نشعر بالحنين إليه ودوام التفكير فيه، مهما تباعد بيننا وبينه الأيام.

* * *

يكتب الكاتبون ويقول القائلون إن الأزهر الحاضر متأخر متخلف عن مصر وعن الحياة الحديثة في العالم، وأنه قديم في التعليم قديم في التفكير. ويكتب الكاتبون ويقول القائلون يطلبون أن يخرج الأزهر علماء كرجال الدين في أوربا، ثقافة ذهن، واستنارة فكر، وسعة عقل، وصحة تفكير، ويطالبه آباؤه وحريته وأن يكون طلبته على غرار ما يكون أمثالهم في بلاد الغرب تهيؤاً واستعداداً.

وهؤلاء الذين يقولون ذلك لا شك في أنهم مخلصون في آرائهم، ولا شك في أن الأزهر لم يقم بما يجب عليه في حياة مصر وتقدمها، وفي حياة الشرق وتقدمه، وفي بسط نفوذه ونشاطه في توجيه الحياة الروحية والأدبية والعقلية في الشرق [وأوشك أن أقول في العالم كله] — إلا إذا كان طلابه كما يكتب الكاتبون، ويحس المتحمسون، وكان طلبه كما يكتب الكاتبون ويحس المتحمسون.

وقد روى عالم من أكبر علماء الأزهر كلمة المغفور له الملك فؤاد على غرار ما يكتبه هؤلاء، ولا نشك في صوابهم فيه.

روى أن الملك فؤاد حدثه بأنه يريد أن يرى علماء الأزهر كأندادهم رجال الدين في أوربا، وأن هذه أمنية من أعز أمانيه.

ولكن هؤلاء الكاتبين والمتحمسين ينسون أن الأمنية شيء والطبيعة شيء، وينسون أن التمني للمرغوب والتمني للمطلوب شيء، والأمر الواقع الذي لا مناص منه شيء.

فالأزهر ليس كجامعة اللاهوت في أوربا، وعلماء الأزهر ليسوا كرجال الدين فيها، وطلبته ليسوا كطلبة الجامعات أو المدارس الدينية فيها. ولكن هذا لا دليل فيه على أن الأزهر رجعي وأنه قديم في التعليم قديم في التفكير.

فإن هؤلاء الباحثين يقيسون الأزهر ورجاله وأهله على قياس أشباههم في بلاد الغرب، ويقارنون بينهم وبين رجال الدين فيه؛ ولا شك في أن هذا القياس خطأ وأنه بعيد عن الحكمة وعن الصواب.

فالحياة المصرية والحياة الشرقية كلها مبعدة عن الحياة الغربية: الحياة العقلية والحياة الثقافية والحياة الأدبية وكل نوع دونه من أنواع الحيوات وألوانها وشكولها، شتان بين الشرق والغرب فيها.

ومن الشطط والبعد عن الإنصاف أن نفصل بين الأزهر وبين أنواع الحياة المصرية والشرقية وألوانها وأن نقارن بينه وحده وبين أوربا. على أن الإنصاف يقتضينا أن نقارن بين الأزهر وبين غيره في مصر، وأن نوازن بين الحياة المصرية والحياة الشعبية والحياة الأزهرية وبين هذه الطبقات في مصر.

والذين يقيمون المقارنة بين الأزهر وبين أوربا نقول لهم: هل يمكنكم أن تقيموا الموازنة بين الجامعة المصرية وجامعات أوربا؟

وأن نتم الميزان بين المدارس في مصر والمدارس في أوربا؟ وأن نتم الميزان بين الحياة الأدبية والفنية والثقافية في مصر في أي مظهر من مظاهر نشاطها وبين نظائرها وأشباهها في أوربا؟

ليقل لنا الدكتور زكي مبارك، وقد خبر الجامعة والتعليم في المدارس ويعرف كلمة الحق: هل رضي عن شيء من مظاهر الحياة الفنية والأدبية والعلمية في هذه أو تلك؟ وليقم لنا الميزان بين معهد الجامعة ومعهد المدارس، أو ليقم لنا رجال الجامعة أنفسهم والذين عرفوها والمتصلون بها الميزان بين الجامعة المصرية والمدارس المصرية وبين جامعات أوربا ومدارسها، ليقيموا لنا ميزان العدل وليظهر الحق ثم يعرفوا أين الراجح وأين المرجوح

فالأزهر يجب أن يأخذ مكانه وأن يبرز نشاطه وأن تقوم المقارنة بينه وبين غيره في مصر، لأنه جزء منها ولا يستطيع أن يسير وحده ولا أن يتقدم وحده ولا أن يسبق في حلبة من المتسابقين، والحياة الاجتماعية كعربة ذات عجلات أربع، الأزهر واحدة منها، ولا يمكن أن تسير عجلة من العربة فتسبق، ولو كان ذلك لما استقامت العربة في سير ولا حركة، أو هي كالكائن الحي لا يمكن أن ينمي منه عضو عضواً في غذاء ونماء، وإلا كان الكائن الحي كله منتهياً إلى الهلاك والموت أو التشويه والنقص

فلو أقمنا بعد ذلك الميزان بين الأزهر وبين غيره في مصر والشرق، ووازنا بين الحياة الثقافية والعلمية والشخصية فيه وبين ذلك كله في غير الأزهر من المعاهد في مصر والشرق؛ عند ذلك يستقيم الميزان ولا نكون قد بعدنا عن شريعة الإنصاف؛ وعند ذلك أيضاً لا نظن أن الأزهر كله تقصير، ولا أن كل غيره عمل، ولا أن يكون غيره الراجح وأنه المرجوح

ومن الإنصاف أيضاً أن نفارق بين الأزهر الحديث وبين الأزهر في الماضي، حتى القريب منه؛ وقد أشار الشيخ الأكبر إلى بعض هذه الملاحظة في حديثه للرسالة وفي غيره، وهي ملحوظة لا تحتاج إلى كثير من الكلام

ومن الحق أن نهمل التراث الأزهري والتقاليد القاسية عندما نتكلم عن تطور معهد هو بطبيعته ركن الأركان في التقاليد، بل هو الركيزة التي تثبت فيها الحياة القائمة كلها فلا تضطرب ولا يجرفها النهر القوي من تيارات التجديد والابتداع

ولا نريد بعد ذلك أن نقول إن الأزهر يتقدم مطرداً ولا إنه يقوم بواجبه، ولا إن المفكرين فيه والحياة الفكرية فيه والتعليم فيه مما تنبسط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير. لا نقول ذلك ولا شيئاً منه، ولكنا نتريث إلى جانب هذا بالجامعة المصرية والمدارس الحكومية، وبأن الحياة العلمية والحياة الفنية والحياة الأدبية في مصر والشرق ليست مما تنبسط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير ما دام هذا الحال، ونريد أن نقيس بعد ذلك ما عدا تلك نزاد رجال الأزهر ومستواهم بأنفسهم رجال العلم في أوربا، ونزيد على أمانيه التي بها أن تستوي الحياة المصرية كلها والحياة الشرقية، وأن يستوي الشعب المصري والشرقي بهذه الأمم ذوات السيادة في الغرب، وأن نكون لهم أنداداً في حياتنا كلها وفي نشاطنا كله

* * *

وفي حديث الأستاذ الأكبر و«تصحيح» صديقنا الدكتور زكي مبارك له، موضوع آخر نرجئ الكلام فيه إلى عدد قادم من «الرسالة» فقد طال بنا اليوم الحديث

محمود الشرقاوي
عالم من الأزهر

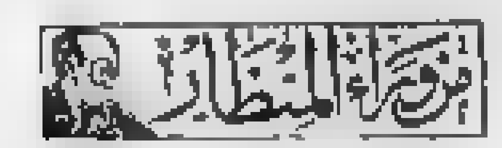


## صاحب الديوان المجد

عبوس في عمله ، لا يعرف في وجهه هوادة ! فإذا رأيته يقرأ حرفاً من الجرائد أو عدداً من المجلات ، فمن أعظم الظلم منك أن تحمل عمله هذا على أنه مضيعة للوقت في غير جدوى ، فما هو إلا استجمام لا بد منه لمن يعاني مثل عمله المتصل ! وإذا رأيته يبدأ عمله منذ الثامنة ، أو في منتصف الحادية عشرة ، فاعلم أن ذلك من أثر إجهاده نفسه وقضائه الأمسية في اليوم السالف ، لا شيء غير ذلك ! وإذا رأيته يتزاور عن مكتبه ، فيستغرق دقيقة في إثر دقيقة ، أو يرتشف القهوة في هدوء وسكون ، ويقضي في ذلك ساعة أو بعض ساعة ، فترفق بذلك الجسم الذي أنهكه طول الجهد ، ولا تأخذ فتظن بصاحبه الظنون .

وصاحب الديوان هذا لا يطيق أن يرى وجوه الناس ، فإذا أبصر أحدهم مقبلاً أحس كأنما يقبل عليه مكروه من مكاره الزمن فيلقاه ملاقياً متبرماً ، وإنه ليهتم حين يراه بالماء لا أدري أيستوقفه به القادم المكرم ، أم بعد الزمن [illegible] حيث يستقبل هؤلاء الذين يعرفونه بما هو عليه من جد لا يعرف معه هوادة ؟!

دخلت عليه ذات يوم بين العشرة ، فرأيته يسوي شعره على عجل أو على مهل — لست أدري أيهما الصواب — ويترك مكتبه ليضع شعره إلى حيث لا أعرف من الحجرة أو من الحمام ؟ فلوددت أن أسترقه سرقاً ، فاستمهلني دقيقة واحدة وهو خارج ثم انعدم عني في حركة سريعة خيل إلي معها أنه يخشى أن أرده بالقوة إلى مكتبه !

ولبثت أنتظره في مقعد تلطف به إلى أحد زملائه ، ومضت الدقائق ثقالاً طوالاً ولم يعد ، حتى إذا يئست من رجوعه وهممت بالانصراف رأيته مقبلاً ، وجاء وفتح بعض أدراج مكتبه وأغلقها وسكنه لم يأخذ منها شيئاً ولا وضع شيئاً ، وفعل ذلك دون أن يلقي بنظرة إلي أو أن يخطر بباله أن أحداً من عباد الله ينتظره لأمر متصل بعمله ولو بادره سؤاله .

واعترضت طريقه إذ رأيته يتأهب للخروج مرة ثانية ، وما التقت أعيننا وافترت شفتاي في ابتسامة هادئة عن قولي : من فضلك ... حتى أشاح بوجهه عني مقطباً قائلاً في لهجة [illegible] : من فضلك ؟ وفيمة يا أفندم ؟ ... ثم مضى [illegible] يتنقل ويتثاقل في مشيه ، وخيل إلي أنه لن يكلمني ما دمت هناك ، كأنه لا مقابلة بيني وبينه إلا بعد الجلاء .

وحمتني حالي ألا أنصرف أو يكلمني ، وإنما حدثني يومه كيف أنه ولو على أن يلتفت إلي قليلاً من أن يعادي ؟ ولقد كنت أرجع عوده إلا إذا عاد الديوان إلى داره ورأيت طريقه حيث كان على مكتبه يحدث كل سائل عنه أنه هنا وأنه لم يبعد دقيقة ، وإن تتابعت في غيبته الدقائق بل والساعات .

وجاء أخيراً فاستوى على كرسيه وفتح دفتراً كبيراً وراح ينظر فيه وعلى وجهه أمارات الجد [illegible] ثم طلع علينا [illegible] أن فلاناً وفلاناً من الرؤساء استقصروا عنه ، فأجاب متكلفاً [illegible] أنه ما كان يلعب وأنه [illegible] « الأرشيف » و « المستخدمين » و « [illegible] » ورق باحثاً عن ورق تتصل بها في جديه حتى للمسائل .

وظلت ساعة [illegible] فأقبل شخص يلوي الراحة ، [illegible] أرض الحجرة في صمت وينظر نظرة ذي الحاجة ، وعرفت إذ رأيته يتجه إلى صاحب الديوان [illegible] يسأله في هذه الأمر عن مسألة طال به انتظار الإجابة عنها ، وتجهم له صاحب الديوان ولم يبدأه ، ولا تهيأ للرجل أن يرفع الأمر إلى رئيسه ، انطلق صاحب الديوان متبرماً [illegible] وإنما يتخذ للمكتب [illegible] حتى لقد أشفق ذلك الرجل أن تمد واحدة منها إلى صدره أو إلى بطنه فتراجع قليلاً ، وقد تطايرت الأقلام من كأسها ، وسال المداد من [illegible] وتناثرت الأوراق ، وتراكبت [illegible] ، وعلت الأصوات في جوانب الحجرة ، والتفت أصحاب الديوان [illegible] على [illegible] جبينه كم رأوا منه من مواقف ! ونطق لسان الجد الثائر بعبارته المألوفة : « يا أستاذي انه يهمني ! من فضلك ما تعطلنيش يا أفندي ... أنا شيء غريب والله . روح اشتكي زي ما انت عاوز — هو أنا ورايا حاجة غيرك ؟ أنا قاعد طول النهار عشان [illegible] من المسائل [illegible] تلقاني ؟! »

ولم يكن لي بعد هذا الذي أبصرت إلا الخلاء [illegible] ولا [illegible] ، وقد [illegible] ولم لا [illegible] إني بعد أن رأيت أعاصير الشر في وجه صاحب الديوان قد [illegible] من الشهية بالإياب ؟

« عين »

# في سبيل الأزهر

## للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

أعتقد أني لا أعدو الحقيقة حين أقول إن كلمات الأستاذ الزيات مرت برداً وسلاماً على قلوب المخلصين للأزهر؛ وأنهم يرون فيها وميضاً من النور يهديهم سبيل الإصلاح فيما يجب للأزهر من إصلاح

والرسالة في الأمة العربية وفي الشرق الإسلامي جميعاً مكانتها السامية الممتازة، فهي تحمل بشكل ما يصلح من موضوعات أهمية خاصة؛ لا يستطيع أحد معها ألا يطيل النظر في حقيقته مع التقدير والعناية

لذلك كانت دعوتها لإصلاح الأزهر جديرة بألا تمر كغيرها من دعوات الإصلاح، وكانت جديرة بأن يتجاوب صداها في أنحاء الأزهر جميعاً، ثم يجد رجاله دارسين صوراً من أدوائه، حتى أن يعالج علاجاً ناجعاً، حتى ينحسر عنه ولا تنتقل عدواها إلى أبنائه الناشئين

الأزهر من غير شك محتاج إلى الإصلاح في كثير من نواحيه، والأزهريون الآن متطلعون إلى من يداوي ما يحسون به من علل نفذت في صميمهم ولا عهد لهم بها، وإن المخلصين إليهم مع الزمن ميراثاً ثقيلاً؛ وما دامت النفوس مستعدة والنية خالصة فسيأتي اليوم الذي ينفض فيه الأزهر عن نفسه كل ما يشوه جماله أو يمس رسالته

وإن من الشعائر التي تبعث على نجاح هذا السعي وصدق هذه الدعوة إلى القلوب، اشتراك الأزهريين أنفسهم في معالجة هذه العيوب ومحاولة التخلص منها؛ ولن يقدر أحد على إصلاح الأزهر كما يقدر عليه أبناء الأزهر؛ فقد حاولت ذلك حكومات قبل مصر لم يفلت منها ما تأتى لابنه البار «محمد عبده» ولم يقدر أحد على ما قدر عليه في هذا الشأن مع ما وضع في سبيله من عراقيل وما أرجف به عليه من ترهات وأكاذيب؛ لأن دعوة مثل لا بد أن تجد سبيلاً ولا بد أن تتغلغل في النفوس وأن ينصرها — من حيث لا يشعر — أولئك الذين يعملون جاهدين على كبتها والصد عنها؛ ودعوات الإصلاح يخدمها خصومها كما يخدمها أنصارها

وها قد أصبح الأزهر يؤمن بمبادئ الأستاذ الإمام ويضع مناهجه، ووصل بذلك حتى صار من فخر الرجل في الأزهر الآن أن ينتسب إلى الأستاذ الإمام تلميذاً أو مسترشداً أو معجباً به بعد أن كان في حياته هدفاً لسهام الشامتين ونبال الحاقدين

وفي يد الأزهر الآن فرصة ثمينة لا يجوز، أن يضيعها أو يهمل استغلالها هي قيام الإمام الثاني الأستاذ المراغي على رياسته وتوجيهه، وهي وراءه في ذلك طائفة من المخلصين للأزهر المتشبعين بفكرة الإصلاح قرأت خطبه وأحاديثه ودرستها دراسة فاحصة عميقة فاقتنعت بنقاء وجهة الخير فيها، وحرصت أن تهتدي إلى طريق النجاح بها. ويسرني أن أسمي هؤلاء كما سماهم الأستاذ الزيات «شباب المراغي» فإن روح المراغي لم يكن قاصراً على التأثير في الشباب فحسب، وإنه لأشد قوة وأبعد أثراً من ذلك؛ فقد أثرت فعلاً في شيوخ قد جاوزوا عهد الشباب وخطوه، فأجدر بنا أن نسمي هؤلاء وهؤلاء «مدرسة المراغي»

ولسنا نلقي هذا الكلام على عواهنه؛ فإن الأستاذ المراغي حين خطا خطوته الجريئة في إصلاح بعض التشريعات المتصلة بالأحوال الشخصية وقف في طريقه إلى ذلك كثير من العلماء، وعلى رأسهم عالمان فاضلان ألفا رسالة ذكرا فيها أنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة التي أجمعت عليها الأمة، فهل ترى أيها القارئ أنهما الآن يعملان عضوين بارزين في لجنة الأحوال الشخصية التي لا تعبأ بما تختار من المذاهب الأربعة؛ أليس هذا أثراً لروح المراغي واستجابة لرجة الإصلاح التي يحتوي عليها الشيب والشباب؟

هذه الفرصة السانحة يحقق طلاب الأزهر المخلصين آمالاً جساماً وتنتظر منها الأمة نهضة قوية تسير بها في كل نواحي التقدم؛ ننتظر منه أن يخرج للناس كتباً واضحة الأسلوب جديدة المنهج خالية من التعقيد والغموض، وأن تنظم أمور الطلاب فيه تنظيماً فلا يمكن بالبحث في ظلال كتب ظلت عصوراً حتى ربما كانت هذه الكتب صالحة في بيئة بعاصمها، وهي الآن عاجزة عن حل المشكل التي تعترض الناس في معاملاتهم ونظم حياتهم؛ ننتظر منه اشتراكاً عملياً في توجيه الثقافة القومية في البلاد في الأحاديث التي تذاع والمقالات التي تنشر والمحاضرات التي تلقى؛ وفي نظم الشعب وإرشاده بأسلوب لا يجافي روح العصر الذي يعيش فيه؛ فقد مضى عهد الجمود والانزواء عند التصوير غير صالحة لروحها وظروفها وأحوالها والعوامل التي أثرت فيها، ينتظر منها كذلك أن يبين للناس أن الشريعة الإسلامية صالحة

# إذا شبت الحرب في البحر الأبيض

## للأستاذ فوزي الشتوي

خطة مترقبة

لا تعتبر الخطوة التي اتخذتها الأميرالية البريطانية بإخلاء البحر الأبيض المتوسط من سفنها التجارية خطوة مفاجئة، فقد تنبأ رجال البحرية منذ سنين بأن خطة إنجلترا إذا اشتعلت الحرب لن تخرج عن ثلاث وسائل

أولها — إغلاق البحر الأبيض المتوسط إغلاقاً تاماً ومنع الملاحة فيه، على أن ترسل بعض السفن الحربية المخصصة للدفاع عن شواطئ البلاد الواقعة تحت حمايتها

وثانياً — أن تسير الملاحة في مجراها الطبيعي، على أن تقسم حماية طرق الملاحة بين الأسطولين البريطاني والفرنسي، فيتولى الأسطول البريطاني حماية البحر الشرقي، ويتولى الأسطول الفرنسي حماية البحر الغربي

وثالثاً — الالتجاء إلى خطة وسط، وهي تقضي بإخلاء البحر الأبيض من الأساطيل التجارية وحدها، مع إغلاق جبل طارق وقناة السويس وعدن في البحر الأحمر، وتوجيه قوات الطيران إلى القضاء على القوات المعادية

ويظهر من التدابير التي اتخذتها إنجلترا أخيراً أنها ستنفذ إحدى الخطتين الأولى أو الثالثة؛ فإذا طال أمد الحرب أصبحت جزيرة مالطة، وهي قريبة من مواقع إيطاليا الحربية مع صغر مساحتها، يجعلها قاعدة جيدة للهجوم

نقاط حرجة

ونظرة واحدة إلى خريطة البحر الأبيض المتوسط والمواقع الحربية التي تسيطر عليها الدول المتحاربة تبين خطورة الموقف

---

بشكل زمان ومكان حتى ينخلع من أذهان الراجفين ما اعتقدوه من منار عدوان مع الزمن، باستثمار توجيهها أساليب الزمن النفسي والعسكري

إن الأمة تضع الأزهر في مكان القيادة منها، أو هي ترجو ذلك فيه؛ فليعرف الأزهر هذه المنزلة ويحرص عليها، ويعمل على الاحتفاظ بها، ولا تخص رجاله من كل فلس عناء في مراعاة سائرة على منبر علم أو خطب، فإنما هو عناء يعلل لمصلحة الأزهر وخيره، والإبقاء على منزلته ومكانته

إن النفور من دعوة الإصلاح، والهرب من مواجهة الحقائق الصحيحة وإخفاء الحق سياسة غير صالحة في هذا العصر، وإنه لا يكفي أن تقنع في نفسك بأنك خير الناس ليعتقد الناس فيك هذا، ولكن يجب أن تبرهن لهم عملياً على ذلك وتشعرهم بأنك تحس بإحساسهم وتفكر في حل مشكلاتهم، ولست أنسى ما أرسله فيه أستاذنا الأكبر في خطابه الأخير من قوله: «إني أرحب بالنقد البريء، وأسمع شكاة الأزهريين وصدورهم، فإن كان حقاً فاشكروا الله واحمدوا على خلاصي من الضلال التي كانت سبب النقد، وإن كان غير حق فادرسوه بحسن وأظهروا برأيكم ما وجه الحكم»

لقد كان للأزهر فيما مضى موقف سلبي من جمود بتنظيم الكتب وتحريره وسبيله للاندماج في القانون والتشريع، وما زال هذا الموقف السلبي يسجله في تاريخ الأزهر، تضعف الجيل منه إلى قلبي موضع، وتنطوي الأحشاء منه على ألم ممض؛ ولقد كان من أثر هذا الموقف السلبي الذي عرض أصحابه عليه ورعاً وفراراً منه أو تعازهم لم يعش الناس، أن تحاكم المسلمون إلى غير شريعتهم، وألزموا بغير ما يدينون، وهو ما نأسف له جميعاً. فهل يكون موقف العلماء اليوم كموقف أسلافهم بالأمس؟ أم هم مستعدون للإصلاح عن ... وإقناع الناس بأن الشريعة الإسلامية السمحة غير عاجزة عن مسايرة المدنية في أجل مظاهرها، وإدراك هذا الإصلاح الاجتماعي وتلبية حاجاته ومطالبه، فيصدروا في تفهيم عن هذه الروح التي لا تعمل ما جدّ للناس من نظم ومعاملات!

إن اليوم الذي يخرج فيه العلماء للناس بهذه اللغة الناصعة هو يوم النصر الذي يتمناه المسلمون جميعاً، وهو اليوم الذي يصل فيه الأزهر — كما يقول الأستاذ المراغي — إلى الغاية التي يرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

وكم نرجو أن يتحقق ذلك في هذا العهد المبارك فنمحو من الأذهان موقف السلبيين، وليشهد التاريخ أن الأزهر في عصر فاروق غيره في عصر إسماعيل، وأنه في عهد المراغي غيره كذلك في عهود من سبقه من الشيوخ

عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

وما يكلفه الصراع لتأمين مواصلاته من صعوبات بالغة، فلانجلترا وفرنسا مواقع بحرية كثيرة انتثرت في أنحاء مواقعه ممتدة من شرقه إلى غربه، ومن جنوبه إلى شماله، بحيث يتيسر لقوات هذه الجبهة التحكم في جميع طرق الملاحة، فضلاً عن سيطرة انجلترا على أبوابه في جبل طارق وفي قنال السويس. أضف إلى ذلك ما يقال عن وجود اتفاقات سرية تضع موانئ الدول المحيطة تحت تصرف الحلفاء.

أما إيطاليا فطبيعة موقعها الجغرافي تشطر البحر الأبيض إلى شطرين الجزء الشرقي والجزء الغربي. والقسم الأخير شديد الخطورة نظراً لكثرة مواقع إيطاليا البحرية عليه، ولأن شواطئها تكون ممراً أمنه يحتمي فيه ميناء حتود طول الساحل الإيطالي حتى جزيرة صقلية إلى جزيرة بنتلاريا التي تقع في وسط المضيق فتتحكم في طرق الملاحة.

<u>تونس</u>

ولا يمايز هنا نقطة إلا الشاطئ الإفريقي في تونس، وقد أنشأت عليه فرنسا ميناء بنزرت، ولعل هذا الوضع يوضح خطورة مطالب إيطاليا بتونس التي تعمل عليها متعللاً لو تيسر لها الاستيلاء عليه، ويساعد هذا الخط المواقع البحرية التي أنشئت على جزيرة سردينيا الإيطالية، فلا يقتصر تهديده على مواصلات البحر الأبيض بشرقه وغربه بل يتعدى إلى خطوط المواصلات بين فرنسا ومستعمراتها في أفريقيا.

وهذه المواصلات هامة جداً في نظر فرنسا، لأنها الطريق الأساسي لنقل قوات المستعمرات إلى قرب تقلقه بوجه خاص ماجينو، ولم تغفل فرنسا خطورة مواقع القواعد الإيطالية، فأعدت في كورسيكا مبانٍ حصينة لها من حصانتها ما يكفل إسكات المدافع الإيطالية. وقد تشغل فيها أمهر المهندسين الفرنسيين، حتى جعلوها من أمنع المواقع، وما زالت أسرار دفاعها وتجهيزها سراً محوطاً في صدور منشئيها، ولم تبح زيارة بعض مواقعها إلا لصحافي واحد لم تخرج من زيارته لها إلا بعض معلومات ضئيلة وصور شائعة.

ولا يسع الباحث أن يتجاهل موقف أسبانيا في هذا الصراع بعد حكومة الحالية وبعد الأطماع الدكتاتورية في إيطاليا وألمانيا وفي حرم البلاد التي قبل أثناء الحرب الأهلية الأسبانية إن إيطاليا أصبحت تمنع مواصلات فرنسا مع مستعمراتها، فإن انحازت إلى جانب الدكتاتورية، فإن الخط يصبح على أنه من بعد من نقاط الاعتداء، ويسهل تحويل طرق الملاحة إلى المحيط. ومن تستطيع القوات المتحدة أن تقترب من الشواطئ الإفريقية خطورة المواقع البحرية التي أنشئت عليها تجعل الساحل من المرسى الكبير إلى بنزرت.

## الحصار الاقتصادي

ولا شك أن الحلفاء سيحاولون إقفال البحر الأبيض وسيلجئهم هذا إلى السيطرة على المنافذ في ركنيه ، وأول نتائج هذا الإقفال حرمان إيطاليا من مستعمراتها في شرق أفريقيا وفي شمالها . وبهذا تخسر إيطاليا ٨٦٪ من ملاحتها التجارية لا يمكن الاستعانة بها لأنها لا تملك شواطئ على غير البحر الأبيض ، بل تستطيع فرنسا بقواتها في خليج بسكاي ، وفي بحر الشمال

وعدد البواخر التجارية التي تعمل أو تنتظر العمل يومياً ٨١٦ سفينة ، متوسط حمولة كل منها ثلاثة آلاف طن يعمل منها في البحر الأبيض ٥٧ سفينة فقط يعبرن طريقها إلى رأس الرجاء الصالح . وتخسر فرنسا ٣٠٪ من البترول التي تستورده من العراق ، ولكن خسارة إيطاليا في هذه المادة الأساسية للحرب خسارة فادحة إذ تستورد من العراق ٧٠٪ من البترول الذي تستهلكه وتمر به إليها من طريق حركة الشرق ومن كركوك ، أصبحت من مراكزها في خطر الحرب ، فليس لها فيه إلا خط ملاحي يبدأ من جزيرة ليروس في جزر الدوديكانيز ، وينتهي في طبرق . وقد أصبحت هذه الموانئ لتكون قواعد حربية للطائرات وقواعد بحرية للغواصات

ويكون حديث الموضعين مهدداً بمواقع الحلفاء وخصوصاً من جزيرة قبرص ، التي تقابل جزر الدوديكانيز في ملاحتها الاستعدادات العسكرية من مطارات حربية وبحرية وهي توحد للأساطيل البحرية ، ولا تبعد عن جزر الدوديكانيز إلا ٢٢ ميلاً تقطعها قاذفات القنابل في أقل من ساعة

## قبرص والإسكندرية

ولقبرص هذه أهمية خاصة في نظر الحلفاء ، لقربها من أكثر الدول العربية ، ولكن طبيعة أرضها لم تسعد لتكون ميناء حربياً جيداً . فأصبحت الاحتياطات للدفاع عنها من تونس والإسكندرية قريبة منها تصير ، وهي تحتل الزاوية الثالثة من مثلث يمتد من قبرص إلى الإسكندرية يواجه الخطر الأجنبي .

وإذا نشبت الحرب فإنه ينتظر أن تصبح الإسكندرية قاعدة الأسطول البريطاني ، فإن جزيرة مالطة لا تصلح في رأي الخبراء البحريين لحرب طويلة الأمد ، وقد كان يحقق أن الجزيرة تعتبر كقاعدة خطيرة للهجوم على مواقع الدول الدكتاتورية ، ولكنها لا تبعد عن صقلية إلا عشرين دقيقة بالطائرات ، وأكبر عيوبها ضيق ميناتها مما لا يساعد على الحركات البحرية

وتختلف رجال البحر ورجال السياسة إزاء إخلاء هذه الجزيرة ، فبينما فريق يرى أن إخلاءها يحط من هيبة إنجلترا في نظر حلفائها ، ويرى الفريق الآخر أن إخلاءها هو الخطوة الأولى لنصر عظيم ، وخصوصاً إذا تم هذا الإخلاء من بدء الصراع ، لأن وجود الأسطول فيها يجعله في مركز حرج ويعرضه لهجمات الطائرات ، ويرون الاستعاضة عنها بميناء الإسكندرية التي تعتبر أصلح ، ولا سيما بعد التحصينات التي أضيفت إليها

## كورفو والأدرياتيك

وقد يظن البعض أن بحر الأدرياتيك يصبح بحيرة إيطالية حصينة ، وخصوصاً بعد ما استولت على ألبانيا ، فأصبحت بذلك في منعة من المضايق ، ولكنه يقال إنه توجد اتفاقات سرية مع يوجوسلافيا واليونان تقضي بوضع موانيهما تحت تصرف أساطيل الحلفاء ، ومعنى ذلك سهولة مهاجمة سواحل إيطاليا المكشوفة من الغرب ، كما يسهل على فرنسا مهاجمة شواطئها الغربية من موانئ طولون وأجاكسيو وغيرهما . أضف إلى ذلك وجود جزيرة كورفو القريبة من هذا المدخل ، ومن سطحها يسهل حصر أسطول الأدرياتيك الإيطالي

ويجمع الرجال العسكريون على أن دخول إيطاليا الحرب يفتح الطريق أمام قوات الحلفاء لمواجهة قوات ألمانيا ، سواء من إيطاليا أو من يوجوسلافيا ، إذ يهاجمون ألمانيا من المقاطعة المعروفة باسم سوديتانيا ، ويصيبون ألمانيا في موضع أصعب منها في أي مكان آخر . أضف إلى ذلك أنه يتيسر لهم حمل مصادرها الاقتصادية مثلاً ، فإن إيطاليا ودول البلقان هي أكبر ممول لألمانيا ، وبالتالي فإن جر دخول إيطاليا الحرب إلى حرب عامة تحرم ألمانيا من خاماته سواء كانت حربية أم صناعية تحتوي على ... ويطلق عمل الأدوات من مدافع وطائرات ومدرعات

يوسف الشريف
بكالوريوس في الصحافة

رجعة !

# عرافة الزهر ...

[ البقية ]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

نبعت من شقة الفجر
أثرية تبكي على قبح
لا تشتها شيء ! ولا نوح

ثم أدت فيه حزن الطلول
وترعته من سطوي الأصيل

هتكت في أزاهره وانطوى
خيبت أحلام بوادي الهوى

شق نار الشوق من جرحي ومشر لأحباب دق الشمول !

• • •

غنت ما غضبه الزلى
هائم من وحية الشمس
يا حرة غنيه الكأس

دارت على الأيام جدب الأصيل
وجعلت عابرة في الطريق !

علام تبكين ؟ البائس
غارسك المنتصب الخامس ؟

أم عدمت السكون عن صبي وسحره كالبحر عن عيني !

• • •

هاتت وأم تسمع صدى شجوي
إني هنا عرافة الزهر
أبحث في الكنبس عن سر

بحثت في الفلاح كيف النبوت
وقد أنا نطوي حنين النسيب

ولم أنل أبحث عن حكمته
علام يأوي الشهد في عتبه

يأتي هنا عن بين في العشب ويرتدي الأكمام بحنانيب

شعر منثور

# مع الماضي ...

إني أحلم ، وحلمي هو الماضي ...

لا زلت أذكرك وبرائك موسيقى آتية من مكان لا أراه ... أسمع شاهده ، وأرى غموضه ... وليس هناك إلا أنا وهذه الموسيقى ، وحيالك يرى أمين الماضي إلى أن يلقانا الظلام ...

إن صدرك ما زال يضطرب ، والهواء البارد يرطب وجهك وعنقك ! وصوتك خافت اللاهث بعد أصوت الحب في الليل

إني أحلم وحلمي هو الماضي
لقد عشنا معاً ، أياما وليالي ..

كنت مني ؛ شعرك المرسل يربت علي ، وعيناك العميقتان تبحثان عن لا شيء

آه
رأيتك في ثوبك الأبيض ذات أمسية بعيدة ؛ وكنت صامتة عميقة ، وكان في ضحكتك شبه يوم مقبل

وجه اليوم بطيئاً كظل المجرى ، وكنت لا تتكلمين ، فأخذت يدك وسرنا معاً إلى حيث لا أدري ، ولم أسألك إلى أين . لقد كنت حقاً أسمع عنف العجيب إلى أين كنت وهبة ساحرة ؟ كنت مشغولاً بك عن كل شيء

جلسنا نسترجع حلماً صنعناه منذ أزمان
وتحت المصباح الخافت وصوتك إلي سألتك : أتحبينني ؟
قلت : نعم

وإلى أين ؟ للنسيان بالحلم الذاهب وأنت الحواس ، استطعت كلمات أن تصير عودة واحدة كما الحصى ، وسط الشجر الآن

«م . وفيق»

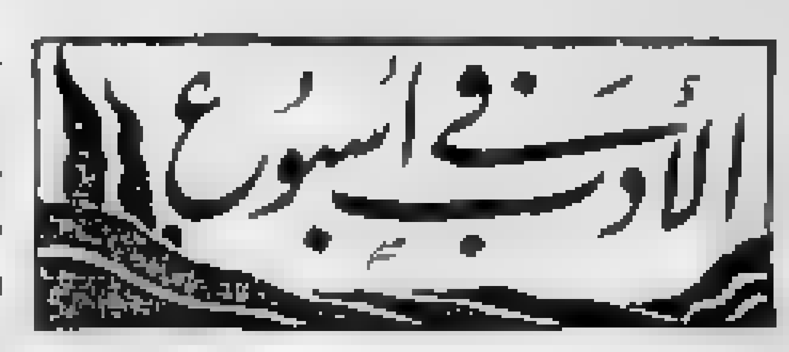


## ذكرى الرافعي

أبي العزيز:

« في القلب سجايا الأرواح الصامتة التي لا تنطق
وفي القلب تحت القبور المجهولة التي لا تنسى »

هكذا قلت(١) وها هو ذا يمضي العام بعدك ساعة ساعة، واليوم ماذا أقول؟ أأقول إنك لم تمت – أيها الحبيب – وأن الذي من [illegible] غشي الأحزان في أرواحنا ناعية باكية ... لست أكفر بأمر الله علي أو عليك ... كلا، كلا! إنا لله وإنا إليه راجعون، راضياً صابراً مؤمناً بما زرعت في قلبك من الإيمان، وبقيت أنا الآن من أحبابي بعدك ... لأعيش في الفرقة التي ينقص فيها من الصداقة والحب، لأحدق هنا وهناك حائراً أنظر بين أبي، لأجد حرقة القلب وكمد الروح وألم المكروب من وحدتي، لأسير في أودية من الأحزان بعيدة، أمشي وحدي، وأبكي وحدي، وأتألم وحدي — لا أجد من أشكو إليه سر أحزاني ...

ذهبت وبقيت .. لا أسمع كيف أناني بصداقتي بعض الناس لأنهم يحبون ذلك، لا أسمع صيحة الكذب على القلب لأنهم يجيدون ذلك، لا أسمع كيف أنظر في عيونهم [illegible] الهمجيين يلتبس في شاعر الحب والبغض، لأنه هو الخداع الذي يتقنون فيه في مودتهم ... لا ألقى مكاني في مجالسهم المتوحشة إذ كانوا هكذا يعيشون، لا أستطيع [illegible] له ... [illegible]، وأنبئه عنهم بالأشواك الجنية الخبيثة التي تنبت أيديهم لدسة النفس، لا أحس الأشواك التي لا تعز أبداً، ولكنهم يتراءون في [illegible] حلو، فلماذا لا تأكل كما يأكل الناس؟

ذهبت – أيها الحبيب – وبقيت، ... وبقيت في الحياة التي [illegible] وأمرها [illegible] ما يكون [illegible]،

خيب الحياة التي [illegible] بعد أنا وحدها وشرورها، خيب على الحياة والأرض التي [illegible] ورجت [illegible] من [illegible] لأنها [illegible] الإيمان الذي [illegible] إلى السماء، [illegible] الصحراء الجدبة لا أجد ماء ولا أرى [illegible] ولا من يرعى.

شد ما اعتصى على أحداث الحياة من بعدك أيها الحبيب! كنت أشكو إليك ما ألاقي من ظلم الروح الفاجعة، ومن سطوة [illegible] على ينابيع الحياة لا تنتهي ولا تستطيع أن ترد ... كنت أشكو أحزاني [illegible] النار على جسمي وتورث [illegible] بأفكاري القاتمة التي لا أعيها ولا أستطيع، كنت أشكو إليك آلام الشوك الذي [illegible] في قلبي الشكوك القاتمة الناصبة التي جعلت [illegible] بعيدة و [illegible] والطليقة للزوبعة أبداً .. كنت أحدثك حين يحلو لي أحدثك، لأقول لك ما يعن لي أن أقول.

شد ما اختلفت علي أحداث الحياة من بعدك أيها الحبيب! ومن أنا أريد أن أحدث بعدك من أسمع في [illegible] الزمنين [illegible] طروح للنابضة الناهضة التي [illegible] على .. أريد أن أسمع أفكاري الثائرة في [illegible] الظنون القاهرة، يجيب عنها من يجوس [illegible] إرشادها إلى روضة اليقين الناضرة، أريد أن أحدث [illegible] الأمس حين [illegible] من الفاني [illegible] المتكاثرة. أريد أن أصوغ [illegible] الصداقة و [illegible] حين لا أجد من الحياة إلا آلام [illegible] وحدي، أريد، أريد، أريد من أقول له: [illegible] أنا [illegible] في [illegible] وخشوعي؟ [illegible] وما أنا [illegible] ونور [illegible] .. أريد من أقول له: هذه [illegible] التي [illegible] الدم، لا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] إلا [illegible] [illegible]؟ [illegible] لي؟ وما [illegible] التي [illegible] الظلم [illegible] من ألم [illegible]!

(يا أبي)، هذه طفولتي، أريد من يعطو عليها ويحنو الأم على صغيرها التي من كل أشواكها [illegible] من قلب [illegible]

(يا أبي)، هذه طفولتي، أريد من يمسح بها أحزاني التي حيرت بصري لأعرف من [illegible] طريق [illegible] التي تريد أن تسيل وأن [illegible] وأن [illegible] إلى [illegible] الممتدة الحية (يا أبي)، هذه طفولتي، أريد من [illegible] أن [illegible] حين [illegible]

(١) الرسالة عدد ( [illegible] ) في [illegible] مايو ١٩٣[illegible]

كذى وكذى ، مبطنان بين ذراعيه إلى قلبه الأحمر يحمل من الروح طلق تحتى ، ويرمى فى أعصابى ريح من الحب ، الحب الذى هو فجر الحياة بضوئه ورقته وطهره ، الحب الذى يرد القلب المكدود الظامئ زهرة تفتح فى جو من النور والندى والشعب (يا بنى) من يتوقف لى يمع فى بعض أمراضه بعض الحب .

أين أنت أيها الحبيب ؟ كنت أخى وصديقى ومن استودعه سر ظنى للعذب فى غمرة الحياة الموحشة التى يضطرم جوها بالصمت المفجع والوحشة المستمرة . كنت أخى وصديقى ، وأنا أتيه كما تيه الأيام والليالى فى كهوف الحياة الدنيا ... كنت أخى وصديقى ، ومواطنى زار وعاد فى وطنى كأنه وحش جريح ضالم ثائر لا يرى من جرحه يطغى ... فالآن وقد جمعت الحب أسلوبى تنقيني هدياً صماً من الآلام ... الآن وقد أوجدتنى الحياة ما أريد ، ثم وضعت بينى وبينه سداً يصعب ما وراءه من أشواق ويحب حبى فلا أجد منه ... الآن وأنا أتعثر وأتعالى من جميع نواحى ... الآن وأنا أترنح فى قيود صريعة تحبس الحركة وتقسر دون الغاية ... الآن وأنا أحرق جو حياتى وتجرى وآمالى وعلى ، وأحرقه بوجدى ولوعتى واشتياقى ...

الآن أين أنت أيها الحبيب ؟ يا أخى وصديقى

انظر إلىَّ - أيها الحبيب - من وراء هذه الأسوار المنيعة التى تفصل بين الحياة والموت ... الأسوار التى تخفى إليك الحياة كله ساعة بعد ساعة دائبة ماضية لا تقف ، بينا تلفها الحجب من حيث لا تشعر ولا تتوقع ... انظر إلىَّ - أيها الحبيب - ونكِّر تكلانى من ضياع نفسى ، حتى تمحص حقيقتى كلها ، ويقص ويسمى هذه الظلمات التى تتحرك بين جنبى فى هذا الحين

انظر إلىَّ - أيها الحبيب - واسكب فى قلبى قدرة من حلية الإيمان على التى لا يعرف ... انظر إلىَّ واحشُر ما أنا التى لا يصلحهُ الأحياء من الناس ، لأنهم لا يعرفون معنى الحياة إلا قائدة لذائذة ، كما يعد بعضهم بعضاً فى مشبهة من الكره والمقت ، وآلام التقاطع والتشاجر من الهم يتشعب من حولها ويتصدع ويتجمع بعضه فى بعض

ولكن .. ويكى ما أكذب النعى على النفس ! أنت هناك محيطك الحائل التى تمحو بأس الله فى حرب ، وأنا هنا محيطى العذبة التى تموت يوماً بعد يوم فالناس لن تجمع هذه الأرض ... أنت هناك وأنا هنا ، وبينهما السور الذى لا يجوزه الروح إلا بعد أن تتطهر من أدران هذا الهم المتحشد كل أعماق الإنسان - أنت هناك وأنا هنا ، فكيف أمتنع من أن أكون قريباً من أكون أنا ؟ كيف أتخلع من جسدى ؟ ومع ذلك

« من قلب تنسى الأرواح الطيبة ، عالماً فى الأرض

وفى القلب عنصر الشعور الحزين الذى لا أجس

لم أنشدك - أيها الحبيب - ولكنى شعت نفسى »

## ذكرى الرافعى

ست سنين ! مات أذكر الرافعى . أعرفه أديباً شاعراً ملهوفاً ... ورجلاً قد انصرف بهمته إلى الأدب والفكر يعيد عيده ما يجيده ، ولكنى حين أذكره لا أجد فى نفسى إلا الصدق وحده . لم أعطه طويلاً حتى أقول إنى أعرف الناس حبه وأعرفهم عنه ومن أحبه ما لا يعرفه غيرى ، كلا لست أدعى ما ليس عندى ولكنى كنت أبداً أسمع عنه وصالتى ، وكأن هو أبداً يحوطنى روحه فى أنفاس من حنانه وحبه . كنا روحين تقاطرنا من بعيد وتناجتا من قريب فعرفته وعرفنى ، كان بيننا سر جميل لا أدرى كيف أصفه ، ولكن كان من يعرفنى ويعرفه يجد آثاره ويرى من بعض بيانه ما لا أحب أن أحدث به . ومع ذلك ماذا أقصر فى حقه ما لم يقصر أحد ممن وجب عليه الصداقة بعض واجبها ، ولم يكن ذلك ، لأنى لا أريد ، بل لأنى لا أستطيع ولا أطيق . فإن رأيت كلما ذكرت الرافعى - وقد مضت سنوات - أجد قدحة تسرى فى قلبى ترسل الآلام فى كل مقعد من دمى

ولكن الله لم يخل من الرافعى من رجل يقوم عنه ويحسن النظر فيه ، حبيباً له الأخ « محمد سعيد العريان » وذلك - وفاء لذكرى الرافعى - كل ما وجب على أصدقاء الرافعى وأحبابه وتلاميذه وأشباهه . عمد إلى « سعيد » بعد وفاة الرافعى ، فأنشأ يحدث الناس بأخباره ما دق منها وما جل ، ويجمع بين أيدى الأدباء أكثر المراسل التى تتكون منها روح الرافعى ، والتى كانت تعمل فى إنشاء أدبه وتوجيه بيانه . وقد فتح « الزيات » باب القول فى الرافعى له وحده ، حتى اجتمعت من ذلك طائفة من القول صالحة لدراسة أدب الرافعى دراسة متينة لمن شاء أن يكتب عنه لنا ولكن الأخ « سعيد » لم يرض أن يقنع بما كتب

هو من الرافعي وحده في كتابه الذي طبعه بعد وفاته « حياة الرافعي » ، فدأب على إظهار ما لم يظهر من آثار الرافعي قديمها وحديثها. وقد كان آخر جهد بذله في ذلك سعيه لإنقاذ مؤلفات الرافعي كلها من الضياع ، فاشترى حقوقها وصححها وهيأ طبعها وطبعها بعد ذلك سلسلة واحدة تعتزم نشرها « المكتبة التجارية » وقد كاد يفرغ من طبع أكثرها ، وآخر أمر أن بين يديه الآن كتاباً من كتب الرافعي التي لم يطبعها ولكن أصولاً مسودة ضخمة كثيرة الاضطراب ، وهي أصول الجزء الثالث من كتابه الجليل « تاريخ آداب العرب » ، واستخرج هذا الجزء وجعله دون سائر كتب الرافعي بعد عملاً عظيماً يوفيه قليلاً رجل من كبار الأدباء ، حييت حياة أديب ، بعد ما لم يجد في هذا الشرق الغافل من يبعث الحياة في آثاره الأدبية مرة أخرى

إن هذا التراث الذي خلفه الرافعي للأدب العربي ، قد جعله الله أمانة بين يدي « سعيد » فهو يؤدي اليوم إلى الناس هذه الأمانة وافية كاملة لم ينتقص منها شيء — إلا شيئاً يضطره أن يحتفظ به أو يقتطع منه ، وهذا عند الناس بين أيديهم كل ما كتبه الرافعي حاضراً لم يضيع منه شيء ، وكذلك يجد من يريد سبيله إلى معرفة الرافعي عن قرب وتقديره والحكم له وعليه

## مصر المريضة

ألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل بحثه ، أستاذ علم الصحة بكلية الطب ، في المؤتمر الحادي عشر للمجمع المصري للثقافة العلمية - محاضرة هي تصوير للآلام التي تنتاب الصحة في مصر ، وتحليل للحقائق المؤلمة التي تعمل عملها في هدم البناء الصحي للأبدان المصرية . وقد نشر صديق الأستاذ « فؤاد صروف » فصلاً من هذه المحاضرة في مقتطف مايو سنة ١٩٤٠ ، فأخذتها وقرأتها وأنا أرجف بالرعب والفزع لا مثل لشيء من تلك الحقائق البحتة الشبيهة ، وهي على بشاعتها وحدّتها حقيقية منتشرة تغزو مصر من جميع نواحيها غزواً مهلكاً مبيداً ، ثم لا تجد من يرده صيانة من الغزو المبيد القاتل الذي هو كل صناعة الطب وأصحاب صناعته

لقد عمد الدكتور الوكيل إلى الإحصاء الصحي في مصر ، فبان منه أن البلاد إذا لم تتدارك أمر الصحة بأرشد الحزم وأحكم التدبير وأسرع العمل ، فسوف تفنى في زمن قليل بما تأكل القوة المصرية كما تأكل النار يبيس الحطب . وهو في غاية من رعب شديد الحرب الجائحة ، تأكل من الأوبئة والأمراض وغير في أوبئتها أوبئة أخرى وخطراً وعذاب إلا أن يشاء الله والعالم كله يحتمي ويتأهب ويستعد ، فهل أحدث مصر إلى عمل الوقاية الصحية تدبيراً يعد أسرع أسوأ الفروض التي يمكن أن يعرضها أوهامنا وتخاويف وتنازعنا من الأمم العارية والأمم التي تشل عن عواقب أوزار الحرب بعد أن تأكل القوة سمعاً يسياً في مهاوي القتل والقتال !

يقول الدكتور الوكيل : « وعن بهذا وصلنا إلى نسبة الوفيات العامة سنة ١٩٣٧ في مصر وثلاثين دولة أخرى في مختلف القارات متدرجين من الأسوأ إلى الأحسن ، اتسع لنا أن مصر في رأس هذه القائمة ، ومن هذه البلدان الهند واليونان وبلغاريا وفلسطين » ... لا ، بل أكثر من ذلك ، وهو أن الإحصاء يدل دلالة قاطعة على أن الأطفال هم مراهم ٥٥ ٪ من مجموع الوفيات ، وأن هذه النسبة في صعود متواصل حتى في هذا العهد الذي نحن فيه . بل انظر إلى الأسوأ قال الدكتور الوكيل يقول إذا لم نحد الأمراض المتفشية كالبلهارسيا والأنكلستوما والرمد والسل والأمراض الشبيهة والملاريا والتيفوس والتيفويد والدفتريا والاحمرار حادة وطويلة وغيرها ، ثم جمعنا بعضها إلى بعض جمعاً حسابياً كانت ما يزيد على ٤٠ مليون مرض ، فإذا وزعت هذه الملايين على المصريين أصاب كل شخص ثلاثة أمراض في وقت واحد

وهذه النتيجة المؤلمة قد أحسن إلى هذه الفئة بإهمال القائمين على أمر الصحة وإهمال عنصر حوث الرعب ، والتي كانت من طغيان الجهل واستبداد الفقر بطبقات الشعب التي يتكون منها السواد الأعظم . وقد وضع الدكتور الوكيل مشروعه لمكافحة هذه الحالة ، فهل يمكن أن تكون الوزارة الخصبة قد عرفت حتى عمدت إلى القيام بواجبها في العلاج من البلاد لإنقاذها من وأن هذه الأعداء الظاهرة المتحالفة على قتال الروح والحياة في الشعب المصري ؟ ذلك علمنا ، والله خير حفظاً وهو أرحم الراحمين .

محمود محمد شاكر

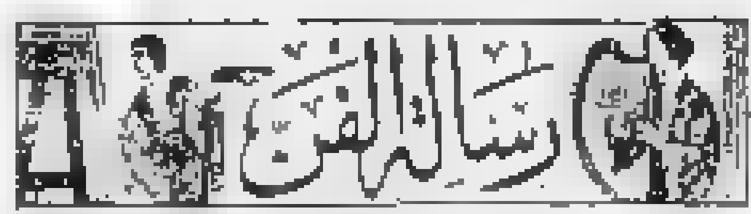


فنانون وأدباء

# عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

٢ — من النقاد

## الأستاذ بيرم التونسي

كل ما يكتبه رائع ، ولكن أروع ما يكتبه هو النقد ، وقد كنت أقرأ النقد للأستاذ بيرم فأحسبه كتبه بعد كراهية عميقة لا يخفيها ، واقتناع فكري أو خيالي بأن هذه الأشياء التي ينصب قلمه على أخطائها يجب أن تزال حتى لا يبقى طيباً من الأخطاء ما يستدعي النقد . فلما لقيت الأستاذ بيرم رأيت فيه أنه يكره بقلبه كراهية المجرم كل هذه الأمور والشخوص التي ينقدها ، وقد يسر القارئ أن كثيراً جداً ممن نقدهم بيرم منصب على الرجال الذين يستميلهم ، متحسرين ، ويكيل لهم شتماً يجتثونهم وتشنيعاً لهم واعتصاراً لهم حتى رقة الأنوثة وولائها — قد يسر القارئ بعد هذا من يسر المصري أن رأيت الرجل هكذا حقاً يكره الرجال ويستنكر ظلمهم ولا يكاد يطيق صحبتهم ، وظلت من يقول إنه يحبهم حسناً وإنه في عشرتهم راحة ، وهو لذلك يمر من الناس مروراً ويسخر في الشارب ... في رواياتها على نواصي الشوارع للأغنية وعلى ... ولكنه يرى ... وهو يرى من قلبه في إحدى عينيه — ولا أدري كيف انقلب ولأن كتب أراد عجوباً ... في كل ... نوع هو ... وكأنما في ... عيب الأستاذ بإنسان عينه من وراء القلب ... فإنه ... في ... عين الرجل تأتي الإنسان من وراء القلب ويرقه .

ومن هنا انقلب رأي الأستاذ بيرم كل شيء ، ولعل هذا هو السر في أنه يرى أبعد وأعمق مما يرى الناس ، فهو كعدسة الميكروسكوب تضع الأشعة التي ... وأكبر جزء مجموع ... دقيق .

وكأن بصر الأستاذ بيرم ميكروسكوب ، بل ... ميكروسكوب أيضاً ... لا يعزب عنه إلا ما يشاء له أن يحجبه ، وقد شاء الله أن يخفى على الأستاذ بيرم شيئاً فخرج ... قناعه ، ... فلا يسمع ... بعقل المفكر — وسبحان الذي لا يغفل ولا يخطئ .

## الأستاذ محمد الهراوي :

أحسبه من شعب الله ومن شعبه ، هو صاحب القلم الذي كان سعد زغلول ينتظر ... أسبوعاً بعد أسبوع ، ويطلق ... أسبوعاً بعد أسبوع . فكما كان سعد أزهرياً ... مصرياً ، فالأستاذ الهراوي أزهري فنان عبقري ، وكانت وقفاته من سعد كوقفات ... ، وكانت كلماته في سعد من الروائع مثل كلمات سعد ... كان أشد الناس حزناً على وفاة سعد إذ ... الهراوي برثاء ... وتمرينه الذي كان يستمع من ... ، والذي كان يستخلص البراعة ... من كلامه ومسائله أصدقائه ... على أنه كان أشد الناس حباً لسعد ... كان يسر الناس أنه أشد الناس ... في خصومته وعداوته ، وأنا لا أستطيع أن أتصور ... عبقرياً ... مغترباً ، وحتى كان يطلب للإسلام أن يعز الله ... فلم يكن ... يكره نقده .

## الدكتور طه

وما أزال ... بالدكتور طه ! الناقد الكبير الذي لم يستطع أن ينقد ... أذكر ... في المناسبة ... على أوراق كراساتي ... أربعة أسماء — ... على كل كراسة وعلى كل كتاب ... سعد ، طه حسين ، ... وكان أساتذة اللغة العربية في المدرسة الثانوية ينهونني عن الدكتور طه ... فكنت أثور وأحرص ... ومنهم ... أحد الأساتذة الثلاثة ... الذين كانوا يحببون إلي الدكتور طه رغم ... محمود ... ومصطفى ... وأحمد ... وما زلت في الثانوية ... ما كنت أتلقاه في ... وأحسب أنني لا أزال إلى اليوم مطبوعاً بطابعه ... ولما كنت في كلية الآداب كنت أسمع

على عيني مصدقاً أسود إصداراً من لي « الملاحظة » ورئي سعيد القرية كله وملأني وبعض أساتذتي يحسبون أنهم ويطلبون مني أن أحدثهم أي حديث وأنا الدكتور طه ... وحده ما كان الأستاذ المهداوي مشرفاً على أول عهدي بالكتابة كان يقول لي: إني أخاف عليك أن تكون نسخة ممسوخة من الدكتور طه، وعاب على الأستاذ الزيات يوماً أني أقلد وأوثر أسلوباً ما أكتب الرسالة فأخجل وأضطرب ويصدر من كلامي بعد ذلك طيف من الدكتور طه يكتب هو ويقول ما يريد

والدكتور طه الذي عرفني هذا القدر لا أدري كيف لم يشعر بي، وكيف لم يعطني من نفسه ولو عشر ما أحمل من نفسي ... كلما أقبلت عليه صدني، وكل ما قيل له عني صدقه — ولا أدري أي شيء كان يشغله عني ... لقد كان من أثر ذلك أني ... بعطفه ... العهد سحر، والشكر يحدث

وأنا من أساتذتي الذين ... أمراً عرض للناس ... حتى إنه ... أجمعوا على كراهيته ... فهو منكر أن يكون ... في إجماعهم ... الأمر ويعرض الناس على ... حتى يعودوا إلى حبه ... هو ... وعرضهم على كراهيته ... وهكذا

## ٤ — من الملاحظة

**فيلسوف السيد باشا**

هذا فيلسوف شرد عن نفسه بالفلسفة فلا هو يعرف أنه يعيش في مصر وإنما هو يحسب أنه يعيش في أثينا، ولا هو يعرف أن الزمن دار ودار حتى وصل التاريخ إلى القرن العشرين بعد الميلاد وإنما هو يحسب أن العصر لا يزال عصر سقراط وأرسطو

رشح نفسه يوماً لانتخابات الجمعية التشريعية وقال الناخبين إنه رجل ديمقراطي. فسمع بذلك منافسه الفلاح فقال للناخبين وأنا رجل مسلم. فسأل الناخبون منافس الباشا: وما الديمقراطي عند المسلم؟ فقال لهم: الديمقراطي كالناموس، مبدأ الإخاء والمساواة بين المسلمين والنصارى واليهود، والرجل والمرأة، والسيد والخادم والكبير والصغير، والعالم والجاهل، والقادر والعاجز، والمسلم والأجرب ... وغير ذلك وذلك أنه يجمع شكل إنسان أن يكون حراً في حدود القانون، فالذي لا يصلي حر، والذي لا يصوم حر، والذي يسكر حر، والذي يصلي ويشتغل حر ما دام القانون

محفوظاً لم يمس ... وقد رفعنا في الأصل ويلحقون

وفي لقاء السيد باشا دارته الانتخابية، فقال له الناخبون: هل حقاً أنت ديمقراطي؟ فقال لهم: نعم ... فسأله: والمساواة والإخاء والحرية كالناموس؟ فقال لهم: تماماً ولا فرق! فسألوه: والمسلم كالقبطي؟ فقال لهم: سواء بسواء، المسلم والمرأة كالرجل، والسكران كالصاحي؟ فقال لهم: أليس القانون لا يكره ولا يمنع ... والسكران حر لم يؤذ أحداً هو حر في نفسه. فقالوا له: ... إن فلاناً يسهون في الصلاة فلا يؤدبهم فقال لهم: هو حر. فقالوا له: إنا سنؤدب الباشا (ديمقراطيكم)... سيكم دينكم ولنا دين!

وفاز الفلاح منافس الفيلسوف في الانتخاب، أما الفيلسوف المسكين فإنه لم يدر، وكان منه فقد ناخبيه أنه ديمقراطي!

هل الذي لا يعرف كيف يتفاهم مع ناخبيه يفلسفون؟

إنه فيلسوف ولكنه لا يعيش في هذا البلد ولا في هذا العصر

**الأستاذ شهاب**

هو عبد السلام بن محسن بن شهاب بن أبي شامة الشيتي وصل إلى معهد الأزهر الشريف حتى أشرف على امتحان العالمية فكاد يصل منه ... والصحي ... فتحلية يؤلف له الأغاني والأناشيد وكان جمهور هذه الفرقة خليطاً من الناس دون المغرب القديمة والأشواق ... فكانوا جميعاً يحبون ... ويرضون عنه ما كانوا مسرورين، ثم شارك ... في ... فما رأى ... في « البسيب » لم ... روحه، فاتصله واحد من أصحاب المجلات الأسبوعية كل ... تجارة إلى جانب المجلة فعمل الأستاذ شهاب في التجارة وفي المجلة حتى رأى صاحبه يسلمه يوماً لواحد آخر من أصحاب المجلات الأسبوعية، ولم يعرف أنه ... بالمال إلا بعد زمن طويل، وتنقل من مجلة هذه إلى المجلة الجديدة يكتب فيها شعراً وزجلاً ونثراً ما يعجبه الشعب ويرضيه ويطربه وهو ما كتب في « الإدارة » لا يخرج منها، يعمل ويأكل وينام على المكتب ... ثم طرأ له أن يخرج يوماً فخرج وغاب فلم يعد، فخرج صاحب المجلة يبحث عنه في الأقسام والمستشفيات وهو مشفق عليه يقول: يا ظلم إنه لا يعرف الطرق ولا الشوارع، ولكنه كان قد عرف الطرق والشوارع ومن بينها شارع الأمير قدادار، وهو الشارع إلى دار المنازل التي يسكن فيه الآن

عمراً لإحدى المجلات التي صدرها ، ويكتبها بعد أن يجمع له المتعاونون معه ، من أولها إلى آخرها

وهو أزهد من رأيت في الجاه والشهرة ، وأقدر من رأيت في التحكم في النفوس ، وأقوى من رأيت في إقامة الحق إذا أراد إقامته ، وفي إزهاقه إذا أراد إزهاقه ، وأسمح من رأيت اتصالاً لحب سرور الناس ، فهو يبدأ بقص عليك القصة ، فلا تحسب بعد أن يقطع معك مرحلة طويلة فيها أن تبقى فتجد نفسك قد قصصت كلاماً كثيراً عن بطلة أسرارك بعثها إلى مصر ، ولكنه ذهب إلى حيث لا تدري ! فإذا أحببت أن تعود أدراجك إلى حديثه لم تدر كيف تروح معه ولا كيف تجيء .

يشترط عليه الأستاذ سهيل بك ريحاني إذا أراد أن يحاوره في أمر أن يمتنع عن مناقشته فيه ، لا لشيء ، إلا لأنه جرب مرات ووجد أن مناقشة الأستاذ شهاب تقضي عليه بأن تكر من خلال حيص ما تريده ، وما تكون قد أصبت القصد .

من آرائه أن مصر ستظل هكذا في انتظار ، وهم لا بد أن يكون دينياً وأن القصر سيد الطعام ، وأن أسعد الناس هم سكان الكهوف ! وأن الأستاذ محمود حسني إسماعيل شاعر فحل يحسن الرهبان والنساء والأجراس التي رنت في صدره كثيراً ، وأن عليه كلمة للحضارة يجب عليهم أن يقصروا منه فكرتي في الدمع وقتاً أو طريقة وغيره من جميل القول ، على أن لا تزيد مدة التجربة على ثلاثة شهور يعطى الطالب بعدها دبلوم الحضارة ويعرف بعدئذ المهاجرين من مبادئ الحضارة القومية الزاهية ومآثرها كذا وكذا أيضاً ، ويقع ويلتف له آراء كثيرة كم تقلبها معه ونشرها منسوبة إليه في ( الرسالة ) ، فأعجب من قرأها

## حسني محمود بك

هو أيضاً عجيب في صحبته الناس وإدراك نفوسهم التي تصادق . وهو يثير الناس بعده عندما من الأشراف الذين يشكون منهم ولا يأخذه منه عند الثأر رحمة ولا شفقة ، وجمهور من الناس يحسبون حسني بك مهذباً متعباً ، وهم يروون حوادثه على أنها نوع من العبث والمزاح ، وقد اصطنع بعض المتطرفين أسلوبه في السخرية من الناس ، ولكنهم لم يحرصوا على ما يحرص عليه هو وهو أن يرى كل سخطه من مكانه إلى معنى من ، وأنه لا يعلى أن يصيب بتراجعه ضعيفاً أو صالحاً ، وأن لا يؤذي به إلا من هو جدير بالأذى .

كان عني من أصدقائي في أوروبا في شهر يوليو ، وبصحبته فتى صاحب ثقة واسعة

فتقدم منه حسني بك وهو في بار البرا ، وقدم إليه ورقة من فئة الخمسين وهو يقول له : أشكرك كل الشكر لمساعدة البنك ، وهذه من مطلوبات البنك التي أقرضتني إياها في عيد فرنسا في كازينو سان استفانو . فقبض الفتى الورقة وهو يقول الشيء الشيء ... من غير أن يفكر في أن عيد فرنسا لا يكون إلا في ١٤ يوليو ، وأنه كان في أوروبا ذلك الوقت ، فلم يكن من الممكن أن يلقى حسني بك في سان استفانو ولا أن يقرضه شيئاً

تلك كانت سيرة حسني بك على المكين من غير شك ... ولكني أحسب هذا المسكين جديراً بهذه السيرة ، على أي حال ، يتألم منها ولم يسعه وحده ، فهي كمثله لا ينقلب القسم إذا تقع منه فرش لا حساب عنه

## الأستاذ محمود مسعود

صاحب البطاقة الشهيرة التي يستطيع أن يناها منه كل قاصد قديماً وحديثه ، وصاحب الصدر الرحب الذي يتسع لكل من يريد أن يرى في خدمته ، ولكن كم من الناس يستطيع أن يقول إن بطاقة مسعود بك تمت أو أن وساطته خيبت له حاجة ؟

هذا رجل قاضي ... يستطيع أن ينجح في المحاماة إلى أبعد حدود النجاح لأنه يستطيع أن يتنقل في نفوس المتخاصمين إلى أبعد حدود التنقل ... ورآه محبوب الرجل الطيب فكان أطيب رجل ، ورآه بأسلوب الرجل الصخر فكان أصلح رجل

رأيته يوماً يدخل بنك مصر ومعه شيخ من الريف ، ثم يصعد به السلم إلى المكتب الذي كانا يقصدانه ، وإذا طاف به في بهو البنك ، طوحته ضائقة معرفته ، أحسب أعصاب الرجل الريفي تمسكت تباً وتنحل رويداً رويداً من أثر الروعة التي كانت تقع عليه من جدران البنك ... ثم له هذا أحسه ويصعد به إلى حيث كانا يقصدان ؛ وقد آمن الرجل إيماناً بأن بنك مصر هو خير من ألف بنك

وهذا من غير شك أطيب بادرة وأكرم صفة يؤديها محام وطني لصديقه الوطني والبنك الوطني وللإحساس الوطني أيضاً .

عزت أحمد العهدي

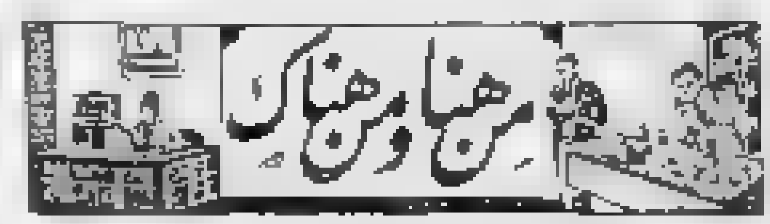


## أركان الحرب محور الدفاع الوطني

[ عن مجلة « ... الحربية » ]

يظن الكثيرون أن مهمة أركان الجيش محصورة في رسم خطط المعارك وإصدار الأوامر لقواد الجيوش ، ويتساءلون دهشين : « ما حاجة دولة أو أمة يعيش قوادها في الثكنات العمود والساحة للهيئة المؤلفة المنظمة والتكتيك المعقد من الضباط والقواد والملازمين وسائر الرتب الحربية ! »

من المعلوم أن شعباً ربما يحارب بأسره في سبيل مقصود الذين يعرفون من أجله ، ومن المعلوم تلك القوة المنظمة التي تعد ونظم الجنود وتجهز وتوزع للعمليات الحربية . وقد لا يخطر للكثيرين أن تلك القوة مصدرها أركان الجيش التي تخضع لرئيس ... ووزارة الحربية من كرها ، وإذا جاز لنا أن نشبه القوى العسكرية بجسم البشري ، فأنها في هذه الحال بمثابة الرأس وأركان الحرب عنها العقل . وإذا كان القلب هو مصدر الحياة في الجسم والمحرك الدائم حركة الدم إلى توصف حلقة تنفس كل الأعضاء حتى الرأس نفسه ، فأركان الحرب هي مبعث كل قوة ومصدر كل تنظيم في الجهاز العسكري

لدى أركان الجيش جيش صغير من الكتاب يعمل نهاراً وليلاً في ساحات معينة لإدارة جميع مكاتب الضباط والاختصاصيين المسئولين ؛ وفي مكتب رئيس أركان حرب الخرائط الحربية والخطط العسكرية والمعلومات الوافية التي تبين مواقف جيوش في ساحات القتال وما لديها من الذخائر والمؤن وغير ذلك مما يطول شرحه

ونذكر الآن شيئاً مما يعمله أركان الحرب في إصدار الخطط الحربية . فمن المعلوم أن في مرصدها الآن بضعة آلاف من المصانع الحربية يعمل فيها نحو مليون عامل وعاملة ، وقد كان نتاج هذه المصانع في الحرب الكبرى يعوض نتاج أي دولة من الدول المحاربة والمحايدة ؛ وعلى رغم استقلال ألمانيا لمقاطعاتها الصناعية في الشمال فقد كان منتجاتها مما كان يستلزم من المعدات . فلق طلب القيادة

من أركان الجيش مثلاً بضعة آلاف من الطيارات ... في عن الا ... معروفة حتى تباشر هذه المصانع ... وفي أقل من يوم تسلم أركان الجيش الطلب وتتممه إلى القيادة . ولكن إذا وجب حصر العمل في الحرب الماضية

التي لم يعرف جنودها حتى الآن المعارك الحامية والانسحابات القاصمة فكيف رأى في مثل تلك الأيام التاريخية الحرجة حين انسحب جنودنا من شمال ... أمام الزحف الألماني ووقف أن هم الألمان يحطمون ... كيهان ... كيفين ؟ لقد عبر ... التي كانت مهددة ... ولكن تنظيم الصفوف كان فوق كل ... في شعبة الجيش يبين ... أكثر من الأسرى ومثلت من الدافع في حدود العدو ، إنقلاب ... والطيارات ... المدفعية ... وأخيراً ... أمام العدو الطارد . ومع ذلك كان جنودنا الذين ... هذه ... يطلبون جميعاً أن ... مدافع جديدة ... من الذخائر والمؤن ... المتروكة

وقد أخبروا كثيراً التنظيم الألماني وأركان الحرب الألماني ، ولكن ... كان فوق الواقع . ولهذا لا يمكن أن ... التنظيم الفرنسي الذي ... في أشد المواقف حرجاً على ... وحسن إدارة ... !

ومن ... أركان الجيش ... طرق المواصلات والعناية بأسرى الحرب من جنود ومدنيين . أما المهمات الكبرى ، فهي تموين الجيش ... يقتضي الجهد الكبير والعمل المتواصل ، فإن تموين خمسة أو ستة ملايين رجل منتشرين في ساحات من الكيلومترات من أشق الأمور وأعقدها

... المهمات المذكورة ... الأعلى ... ولا ... ما يعرض على أركان الجيش من الواجبات .

من السهل أن نطلع على ما يقال ويجري عندنا ... ولكن علينا في زمن الحرب أن نعرف أيضاً ما يقال ويجري عند الآخرين من أعداء ومحايدين وما ... وما ... ، فكل حركة حربية يتوقف نجاحها على معرفة الحالة الاقتصادية والمعنوية في بلاد العدو . من ذلك أن ... على ... في الحرب الماضية لم ...

ولا المبعث الذي تطلب من أركان الحرب ، ومنه عرف أن ليس في طاقة الجيش الهتلري أن يحرز حرباً طويلة ، وأن الشعب الهتلري قد سئم الحرب .

وفي مكتب أركان الحرب أن يقدم معلومات دقيقة عن الحالات المعنوية والاقتصادية والحربية في بلاد الأعداء ، وأن يطالع الصحف الأجنبية ويستخلص منها ما يفيد القيادة العليا ووزارة الخارجية ، ثم يدرس أساليب التعليم الحربي عند الدول الأجنبية ويتطلع مستحدثاتها الحربية . ومن شؤون هذا المكتب إيفاد البعثات إلى الخارج ونقل البريد والاتصال الدائم بأركان حرب الدول المحالفة والمحايدة وغير ذلك مما لا يسع ذكره الآن

وهناك مكتب آخر من مصلحته تقديم المعلومات السرية عما يجري في بلاد العدو ، وهو الذي أفاد في الحرب الماضية أن القروض الألمانية والنمسوية ستنتهي بالفشل وأن ليس لدى حكومتي برلين وفينا أمامها إلا مصاعب البلقان . ومن مصلحته أيضاً الإفادة من نتائج الحصر وحرص الرسائل التي تصل العدو

ومن المهام الخطيرة المعروضة على أركان الحرب نقل الجيوش وكلنا يذكر النظام التام الذي تم به نقل جيوشنا سواء في أغسطس من سنة ١٩١٤ أو في سبتمبر من هذه السنة ، فلا اضطراب ، ولا فوضى ولا تشويش . وقد أدت سككنا الحديدية خدمات جليلة ، وكانت من أهم أسباب انتصارنا في الحرب الماضية . ومنها توزيع الرسائل على جنودنا سواء في فرنسا أو في الخارج ، ويمكن تصور التأثير ومشقة هذه المهمة إذا قيل إن ما يرسله جنودنا من الرسائل وما يصل إليهم يومياً يملأ ثلاث عربات من كيات

إن ما ذكرناه ليس إلا صورة مصغرة للخدمات الكبيرة والمهمات الخطيرة التي تؤديها أركان حرب الدفاع الوطني وعنه التابعين

## عظمة إنجلترا

[ عن مجلة « الصباح » ]

من الأقوال الشائعة أن الشمس لا تغيب عن أملاك إنكلترا وتلك حقيقة ليس فيها أقل مبالغة ، فأنى توجهت في المعمورة تلقى جنداً بريطانياً وعلماً منشوراً وسفينة حربية ومحطات حربية في أهم المواقع ، وقواعد بحرية منتشرة في كل صقع ، ومستعمرات لا تقل مساحتها عن خمسة وثلاثين مليون كيلو متر مربع ، عامرة من مختلف الجنسيات والنحل حتى ليحار المرء . هذه هي الشبه الأولى من عظمة الإمبراطورية البريطانية

يخفق العلم البريطاني في أوربا على : إنكلترا ، إرلندة ، مالطة ، جبل طارق

وفي أمريكا على : كندا ، الأرض الجديدة ، لبرادور ، أرخبيل بهاماس في الأطلانطيك ، أرخبيل برمودا في الأطلانطيك ، جزر … ، جزر … ، جزيرة جامايكا ، جزيرة باربادوس ، جزيرة ترينداد ، جزيرة … ، هندوراس البريطانية ، غيانا البريطانية ، جزائر فوكلاند وجورجيا في الأطلانطيك الجنوبي

وفي أفريقيا على : الاتحاد الإفريقي الجنوبي ، روديسيا الجنوبية ، تنجانيقا ، أوغندا ، زنجبار ، كينيا ، الصومال الإنكليزي ، السودان الإنكليزي المصري ، غامبيا ، الشاطئ الذهبي ، … جزيرة … ، جزيرة … ، جزر سيشل ، جزر موريشيوس ، جزيرة سوقطرا ، سيراليون

وفي آسيا على : الهند ، سيلان ، قبرص ، فلسطين ، شرق الأردن ، عدن وتوابعها ، سنغافورة ، ملقا ، هونغ كونغ ، بورنيو الشمالية ، ساراواك ، بروني ، … ، البحرين ، … وبيكوبار

وفي الأقيانوسية على : أستراليا ، زيلاندة الجديدة ، فيجي ، غينيا الجديدة ، … ، … ، ساموا الغربية ، … وغيرها من جزر الباسيفيك العديدة

٣٥ مليون كيلو متر مربع تخفق عليها الراية البريطانية وحولها ملايين من البشر خاضعون لأحكام السلطة الإنكليزية

ومع التوسع البريطاني أشمل الطريق الأخيرة من سنة ١٨… كانت مساحة الإمبراطورية البريطانية ٣٢٠ر٨٨٣ر٣ كيلو متراً مربعاً فبلغت سنة ١٩٣٩ نحو ٩٥٩ر١٦٧ر٣٥ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ٤٧٣ مليون نفس

تبلغ مساحة كندا وحدها نحو تسعة ملايين كيلو متر مربعة يسكنها نحو عشرة ملايين نسمة ، وهي تشغل المرتبة الثالثة في العالم بما تنتجه أراضيها من الحنطة ، وقد استخرجت في سنة ١٩٣٦ نحو ١١٦ طناً من الذهب و٣٧ ألف طن من النيكل

والاتحاد الإفريقي الجنوبي مساحته ١٫٢٢٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانه ٨ ملايين ، وهو مورد للذهب عند استخراج

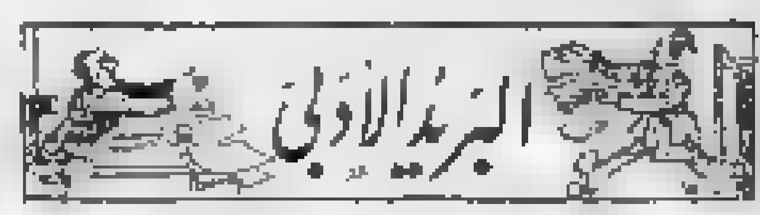


## وحي الرسالة

تلقى كاتب العربية الأستاذ الجليل صاحب التوقيع الخطاب الآتي في حمد الكتاب البديع وما ضم من كتبه (وحي الرسالة). وإنا لننشره شاكرين لهذا الكاتب حسن رأيه في الكتاب وصاحبه.

أخي الكاتب البليغ الزيات

وحي رسالتك أصدق ما قرأت في الكتابة العربية الحديثة من مصداق رأي القائلين: إن الرجل هو الأسلوب

فإن أسلوبك وأسلوبك أنت: إتقان واستحياء وسلاسة، صُوِّرتَ في عالم الخلق فكانت إنساناً، وصُوِّرتْ في عالم الفكر فكانت وحي الرسالة

إتقان صيغة في غير ظهور ولا رياء؛ وحسبك من شبيهه أن يجد لسرى موضع الجودة فيه، كما يلمس المتوسم النسيج للنسج الفني وفي الثناء سراً من أسرار متوقفة وحلا من الإعجاب والتجويد؛ لأنك إتقان تلك الصيغة كإتقان هذا النسيج في حشيتها والبس في مرآها، وفي صنعه عيباً لا يبين سواها

واستحياء يحمى صباياه ولا يجوز شيء يكن عيباً، لأنك آنف من أن يصحبها الإجهاد

وسلاسة تطرّح العمق وعمق الإيحاء في الرهن والسير على السواد، فإن ما تصحب من ألم قضايا يظهر سوابق رقتنا ويتبعه الحس الإنساني بأصفى ما يلقى المرء من سيقت لكنها تصحب من ألم يلقى الفكر قبل أن يحلو العسر والمعنى، وتصحب من قضايا الرأي كما تصحب من قضايا الحواس

إتقان واستحياء في النفس لا في اللفظ وحده، وفي موضوع الكتابة لا في مبانيها وتركيبها، وفي الغضب وفي الرضى سواء

وتلك هي الأساليب التي تضاف إلى لغة العرب، فيقال معنى إنساني في كلام عربي، ولا يرد المعنى إلا بين الإنسان حيث كانوا ثم لا يبقى منه العربية ما عرض عليه

وحي رسالتك في كتاب أحمد

والسلام عليك وعلى من اتبع هداه

عباس محمود العقاد

## مصر الخالدة Egypte la douce

تحت هذا العنوان الجميل جمع الكاتب الفرنسي الكبير جان لوجول رئيس تحرير البورص إيجبسيان طائفة من الفصول الفرنسية الرائعة التي كان ينشرها متفرقة في مدى عشرة سنين، وهي صور منوعة للحياة المصرية في شتى مظاهرها ومناظرها وأحداثها ومعاهدها، وكلها تنطق بتمكن صاحبها وشدة إلحاحه في حب مصر وأهل مصر؛ وقصده من نشرها في هذه الأوراق الحية أن يتلاقى بها التعارف والتآلف بين الشعبين الصديقين فرنسا ومصر في هذا العهد الذي يتضح فيه إلغاء الامتيازات وما سيعقبه من إلغاء المحاكم المختلطة أن يجيء المصري والأجنبي معاً أهل الوطن الواحد لا تفرق بينهما فوارق السياسة والاجتماع

وقارئ هذا الكتاب القيم يستطيع أن يقول في ثقة إن مسيو لوجول من الكتاب الأجانب القلائل الذين فهموا مصر وفهموا كيف يصورونها من جميع نواحيها بأسلوب يشرق فيه الحب والصدق والإخلاص

## مصر المزدهرة L'Egypte florissante

وذلك عنوان آخر جمعت فيه الكاتبة الفرنسية الشاعرة «مدام ... » فصول «لاكوميدي» مجموعة من المقالات الممتعة قصدت بها تصوير مصر الجديدة في عهدها المعروف بالدولة، تصويراً شيقاً بديعاً في أوضاعها المختلفة من سياسية واقتصادية وعسكرية ودينية وأدبية وفنية ... وقد أثرت

---

منه في سنة ١٩٣٦ نحو ٣٥٢ ألف كيلو، وأستراليا ومساحتها نحو ٨ ملايين كيلو متر مربع يقدر عدد مواشيها بنحو ١٣٠ مليوناً استخرجت في سنة ١٩٣٦ أكثر من ٤٥٠ ألف طن من الصوف والهند ومساحتها نحو ٥ ملايين كيلو متر مربع وعدد سكانها ٣٥٠ مليوناً أنتجت في سنة ١٩٣٦ ما يزيد على ٣٣ مليون طن من الأرز وهي الأولى بين كل بلدان العالم بمحصول الأرز وأنتجت أيضاً في تلك السنة ٤ ملايين طن من السكر و١٠ ملايين طن من الحنطة ومليون طن من القطن ومليون طن من الجوت أي ٩٩ في المائة من محصول العالم كله، وفي الهند من البقر ما يقدر بمائة وخمسين مليوناً

أن تشكل هذه الصور لمن كان يرغب في التصديق والإعجاب من المعرفة وبعض الأجانب ، فاستكتبت أكثر من أربعين رجلاً من صفوة الكاتبين والمفكرين ونشرت آراءهم وصورهم في هذا الكتاب الأنيق بعد أن زينت صدره بطاقة من الشعر الفرنسي الرصين تنسب إلى صاحبي الجلالة الملك والملكة . وهذا الكتاب كتابته دقيقة وتعريف لمصر الناهضة . وما فوق ذلك نموذج فريد من الفن الفاخر في التحرير والتصوير والطبع ، ودليل صادق على اتصال الأدب الفرنسي بالجيل الراقي النبيل

## حول الأزهر

أعيذ الرسالة وصحبها أن يكونوا كأصحاب صحف أخرى همهم أن تنشر الخطأ في الدين ولا تنشر الصواب ، وتنشر الظن ولا تنشر الرد

وأعيذها صحيفة أخرى وقد تعرضت لنشر بحوث دينية أو علمية أن تعرض ما تنشر من قول أو فكرة من لسان ولا تبين عيبه كما هو شأن الصحف الراقية فقد علمنا ، ومن شأنها القيمة ، فمن منية جعلتها من أعضاد إخصائيين لها في هذه الشئون

جاء في كلمة الأستاذ المدني حول الأزهر أن بعض أحد الشيوخ لقوله إن الشيطان ... هو من ... المنبثة في العالم وأحد ... هذا الشيخ الشاذ ، ويكيل له الإعجاب ، ويخطئ الذين اعترضوا على القول وسخر منهم وقال كأن من حق الأزهريين جميعاً أن يعدوا هذا الرأي العجيب الذي يرأب الدين والعلم الحديث بالإعجاب إلى آخر ما قال من لون من القول كان الأولى عن يكتب الدروس من مثله في التحدث من شيء

ومن الأسف أن الأستاذ المدني وصاحبه إن كان لا يزال مصمماً على ما قال فشتان كل شتان بين الدين وبين العلم الحديث معاً ، وما العلم الحديث ومسائل لا تعرف إلا من الوحي !

ذلك لأن الجن والشياطين والملائكة والجنة والنار حقائق إسلامية لا تعرف إلا من طريق الوحي ، وليست مجالاً للرأي ولا للعلم الحديث في شيء ، ولا هي محاربة بالعلم الحديث في شيء أيضاً ، فهي الغيب الذي نزل القرآن الكريم بأسمائهم وكلامهم كما عناه القرآن وأراده . وهذه أوليات مسلمة في الإسلام في قسم الغيب الذي يجب الإيمان به كما جاء وليس للعقل البشري إليه من سبيل ، ومنها الإعلان بالغيب والشيطان والجن وصورة ما يكون عليه تلك الشئون ، ولا يطالب في شرح ذلك إلا صحة النقل من كتاب أو سنة صحيحة . فالتشكيك فيها جدل ومماحكات دينية في موضوعات دينية ليست موضع جدل به من فنون ، ويثقل القراء منه ما يجدر بالكاتب الأمين أن يتنظمه .

وأولى بمن يتكلم باسم الدين في الناس أن يتنظم بالنواحي العملية منه ويهذبهم من المعلومات ، لأن الدين نفسه يغني عن الجدل والمهاترات كما يغني عن المنكرات . وفي النواحي العملية الإسلامية ما يشغل ألف كاتب وكاتب أنصار آخرين ، لأن صلاح الناس وحثهم على العمل بالدين في شئونهم الروحية والاجتماعية ، وتحليهم بأخلاقه ، واحترامهم لسننه وآدابه ، وخصوصاً بعد أن رأوا أن الحضارة الحديثة والمدنية الغالبة قد سقطت ، وأنه آن الأوان لسلطان الإسلام على ... أن يسود وأن يقود العالم مرة أخرى مدعية إلى حياة السعادة والهناءة والأمن على الشعوب ، وأن ينقذهم من دبلوماسيات هذا العصر ويكبح جماح العلم الحديث فلا يستعمل إلا في خير الإنسانية ، فلا بد للعلم الحديث من دين يكبح جماحه ، ولا بد للدول من أن تعرف بالإله الحق الذي سخر لها قوانينه وأنزل علم الشريعة وأحكامه من آلاف السنين في كتبه المقدسة بما سخطه الشرع وما هو حاصل اليوم وواقع في ربوعهم

على رجال الدين الإسلامي أن يتجنبوا في صحافتهم ولا يسرحوا فيه بالتأويل والتحوير ، إرضاء لنفوسهم الغائبة ثم إن كانوا مؤمنين حقاً بدينهم . والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

محمد عبد السميع القباني
المدرس بكلية الشريعة

## تعقيب على ما نشر

١ — ذكر الأستاذ الخطاب كلاماً حول لفظ شيطان وقال إنه فقال إن شيطان ممنوع من الصرف ، لأن مؤنثه شيطانة ولا يمنع من الصرف إلا ما كان مؤنثه على وزن فعلى وكان زائد الألف والنون . ثم إن الشيطان فعلان ، ونبه على ورود كلمة شيطان في كتب اللغة أم من كلا منهما والعرب غيرها . أجمع أهل

البلاغة وتاج اللغة والقاموس وشرحه وأقرب الموارد والمصباح على أنه يقال: هو كَسِب وغَضِب ولم يذكروا هو شبعان إلا أن المعجم ذكر هو شَبِع وشبعان. ولا ندري من أي مصدر استقاه. من هذا يتبين لنا أن شبعان ساقطة من أسلوب على الأصح لأنها لو كانت موجودة في اللغة لذكرها الأشموني مع الأربعة عشر لفظاً التي مؤنثها فعلانة. وإذن فأحمد على الدكتور زكي مبارك غلطة لغوية. أما ظمآن فقد ورد في القاموس ظمآن وظمآنة، وفي أقرب الموارد هو ظمآن وظمآنة، أما في اللسان وتاج اللغة والمصباح فلم يرد غيره، وما دامت قد وردت ظمآنة في بعض أمهات الكتب يصح قول الدكتور محمد عوض لم يزل ظمآنا

٢ – [illegible]: ذكر الأديب علي محمد حسن أن كتب النحو والشواهد أجمعت على أن الأبيات [illegible] لمالك بن الريب، ولا أدري أين هي الكتب التي أجمعت على أنها له؟ فهذه كتب النحو والشواهد أجمعت على أنها للفرزدق، من حاشية الصبان على الأشموني [illegible] وفي [illegible] في مصر أبو محمد محمود [illegible] أنها للفرزدق. وقد ارتضى ذلك الأستاذ أحمد زكي صفوت في كتابه الكامل في النحو، والأستاذ الشيخ محمد محيي الدين في شرحه على ابن عقيل، أما في شرحه على الأشموني فقد ذكر ما ذكره العيني ثم أورد رواية ياقوت في معجم البلدان. والذي يرجح أنها للفرزدق عدة أمور (١) إن ما ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء، والمبرد في الكامل من أنها لمالك بن الريب خطأ محض، إذ أن مالكاً مات في زمن معاوية ولم يدرك الحجاج (٢) [illegible] من كتب النحو والشواهد على أنها للفرزدق (٣) إن [illegible] من رواة ياقوت التي تنسب [illegible] توفي سنة ٢٣١ هـ، وهو أقرب إلى الفرزدق المتوفى سنة ١١٤ من ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، ولم نجد كتابا آخر ينسب [illegible] غير ياقوت (٤) إن البيتين الآخرين من القصيدة نفسها

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذله ... يراوح صبيان القرى ويغادي

بالفرزدق ألصق لما فيه من اعتزاز [illegible] وتذكر للآباء والأجداد، وبكثرة [illegible] مع الولاة بل مع الخلفاء أحيانا

٣ – [illegible]: يأخذ الأستاذ إبراهيم على الأستاذ أحمد أمين قوله [illegible] أحدهما [illegible] من [illegible] وآخر [illegible] من الأخرى [illegible] ثم يقول: والمعروف في اللغة أنه لا يسوغ أن تقول آخر إلا إذا كان هو الأخير فلا تقول بعد ذلك [illegible] أخرى [illegible] وأظن الأستاذ قد خلط بين آخر بكسر الخاء [illegible] وآخر بفتحها بمعنى غير أو [illegible] وأحسب أنه لم يعرف شهر ربيع الآخر وجمادى الآخرة بكسر الخاء فيهما ولو كانا بالفتح لقيل جمادى الأخرى مؤنث الآخر بالفتح لأن الآخرة مؤنث الآخِر المكسور. فاللغة إذن لا تمنع أن يقال جاء رجل وآخر [illegible] رابع

عبد الستار أحمد فراج

# عاصفة القـــدر

## للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

[ عثرنا في أوراق المرحوم الرافعي على أقصوصة كتبها ثم لم ينشرها فوجدنا من حسن المناسبة أن ننشرها في يوم ذكراه ]

على شاطئ النيل في إقليم « الغربية » من هذا القطر قرية ليس فيها من جميل ولكن روح الجمال في رجل من أهلها ، فإذا أنت اعتبرت الرجل هو وصححاً رأيته يمضي بينهم بمنكبيه مهمة الجبل بما حوله ، وهو سطح القرية وأفراده كل صغير كالعشب بين جوانب وبين شبان القرى المتناثرة حولها ، ولا تزال صيته المبارك بين شبان القرى كأنما هي حركة الدم الحر المدفع المتوارث فيهم من أجيال بعيدة ينحدر من جبل إلى جبل وفيه تلك الضربات الثائرة التي كانت مثل وضوء ، وهي كهمس لا تزال عنوة وتنقل ، ويلقبون هذا الرجل الشديد ( بالجمل ) لما يعرفونه من جسامة خلقه وصبره على الشدائد واحتماله لها وكونه مع ذلك سهل القياد سلس الفطرة دمث الطبع ، على أنه أهيف منه بدن إلى كاد ، وقد إعجاب قوى يمسكه به كما يماسك الجبل بصخره الصخري ، إلا أنه يعتقد بعض الخرافات أنه لا بد له من بعض الجرائم الشريفة التي يحمل عليه فرط القوة والرجولة في مثله مع مثله ، وليس في تلك القرية من عرفه أن ميمديا أمتنع خلقاً وعزوا من الزوجة على عرضه في يوم ريح عاتية ، هو النظر سكنه من العلم ، وساق الزوجة سكن له فوراً بيداً من المسعد والخير ، وهو ابن عمدة البلدة وواحد أبويه والوارث من دنياها العريضة يبسط يديه على خمسمائة فدان ، وقد أسعدته النعمة ، وأمالته عنه على أهله ، ولو اجتمعت حسناتن لتخرج منهما سيئة من السيئات بأسلوب من الأساليب لما وجدت إلا أسلوب نشأته من أبوه الطيبين ، ثم وهو يرى أنه لا حاجة به إلى العلم ، جلست نفسه للدرس واحد بعد واحد ، كأنه ولد تحت نجم إنسانية ، فإذا هو له ، ومنذ ذلك

إن خساسة جنس لا تصبها ، ويعرف أكبر عيب الشر الذي استحسن عنه في مصدرها فرعف ذلك العلم حوله وسائل حسنة ، ووجع من إلى من جعل الكتاب حتا متفرقا لا يطلع شرقا ولا غربا

وليس في تلك القرية فتاة يكن فيها عذراء تكشف عن حسنها في رداء الجمال الطبيعي الرائع ، ولا حسن أشد رعوبة مما تنطوي الفتاة عليه ، من طالعها الروحي الذي يحب بالجمال ، ولو طلبها القوة التي تنطوي عليها ، وهي أنه مر ( حس و ... ) ( خضراء ) ؛ وكأن فيها زهو خضرة الربيع ، ولم تكن تعشق إلا القوة ، فما رأت أحدا من الرجال إلا ابن عمها ، وهي شديدة الإعجاب به ، وإعجاب المرأة برجل من الرجال مفتاح من مفاتيح قلبها

وكانت ( خضراء ) جاهلة كنساء القرى بعيدا عن تقليد طرفة الطبيعة التي نشأت فيها ورقت أعطافها ، ومن ذلك أقوى حسنا وأشد صراحة من الغيد المتحضرات ، إذ أعطت شكلا تاما من أشكال الحياة ، ونشأة في متصلها عند الحضر ، والغيب على هذه الطبيعة ، على حين أن المتحضرات يجعلن أيام الفتاة ويبقين مغرورة في التلق من الأخلاق والمكتب ، وفي وهم الصور تغنيه للاصطناع دون ما تستر ، وفي وهم أعمال الحياة بدلاً من طبيعتها ، ويؤول ذلك بهن إلى قوة في التصنع فلا يرين الطبيعة الإنسانية اللازمة حين تصلهن يوماً ، ولا يعرفن جمالها ، ولكن لاعتبار أنهن غشيت الطبيعة المفروضة ، لا امرأة الحياة كما هي ، كي يحيا ولا تحيا

وكانت خضراء تشبه عوده الحب ، يسمح ... حتى أسلم الفجر كل يوم ، ولا تزال تجرعها في قلب وعيش ، فهي في قلة من أخلاقها ما يجعله السكون من نحو والميل إلى الحب والدعابة ، ويحسب لها من الحياة حقيقة عرفت منها أن المرأة عامل من من أكبر العوامل في النظام الإنساني عليه أن يصبر على شكله والحب إذا أراد أن يظهر طبيعته الصحيحة لا طبيعته المزورة المصنوعة ، ورأت الرجل يستأثر بجلائل الأعمال ولا يترك للمرأة إلا كما تترك الصحف المطبوعة للطوابع التي تحسنها ، فهذا الشعير لا يزرع ولا يضطرب في دائرته الصحيحة ، يجر من جزء إلى جزء ، حتى إذا أتم الصحيفة في ستين مرة كاملة فصب الأولى معصوما كلها وجعلها خطوة واحدة ... ثم يعود للصعب

للسكين إلى مثل حاله، ولا يزال هذا دأبهما وإن أكثرهما مالاً وثماً هو أغلبهما قيمة وظهوراً ... ولكن هذا العيب الشنيع لم ينته ما له إلا من كونه هو وحده الذي بني في عهد النظام على عصبة الصبر والطاعة ليكون أساساً للآخر. فعرفت (حضرتها) كيف تفسد طبيعتها من تلقاء نفسها وتكرها على الصبر والرضا والسكون إلى حظها الطبيعي والاستسلام ... وهو كأن فضل الرجل على المرأة ليس في كونه أكثر منها عقلاً أو أصوب فضلاً، بل في كونه هو أكثرت حياً وقسوة بها زجراً وزهداً! فضمائرها الضعيفة هي التي جعلته الأصل، كما يجوع الأم لتطعم ابنها

• • •

ورآها ابن المقفع ولا عشي أيام على رجوعه من أوربا، وقد لبث هناك بضع سنين، وكان عهده بالفتاة صبية، فوثب إلى نفسه في وثبة أحسه، ورأى شباباً وجمالاً وروعة رمتها في قلبه وصورت له مطمعاً من المطامع وجعلته يرى ما يرى بعشق ... معه ما يعصم بحبل غيره

وكانت حين رآها واقفة على النيل تلألأ جريها مع ... من ... يتدبر ... كأن ... الأرض في أرواحهن أثراً باقياً، بين ما يجري على الظهر تنال من شخوصهن ... روح ... من ذلك الأثر فاهتز واهتزت المرأة به؛ فإن كانت خلقت مسحة من جمال وأدب فما رأيتها كزهرة الزهرة حين يصيبها الندى، وجعلت تموج في جسمه، وقد حصرت من خواصها، ولسن الله منها اجتماعاً، فأرسل فيه تياراً من العاطفة والنشاط يفصل منه حلقه من ورائها، إن هو كل شيء أعمى! فإن كان روح الرجل من في ورأى المرأة في هذه الهيئة، في أعماقه ... بينها شيئاً يجد له في قلبه نشوة كنشوة الخمر. وكذلك وقعت الفتاة من نفس هذا الفتى، فزينها له الخبث الذي فيه أسباب ما زينت له الحور التي فيها، ودفعها الشعور إلى قلبه ليخرج من هذا القلب كأنه جريمة، فوقف يتأملها ويجاذبها من آلة التصوير لا تحرك حركة، وسلط عليها فكره وذوقه، وأيقظ لها في حسه المعاني الراقية ... فبعث في قلبه عقدة من تماثيل الجمال يجعلها في كل واحد منها على شكل كأنما أفرغت فيه أفراغاً

وكانت هي أن المقفع من الشعر أخالها للتربية، إن وقعت من شأنه على أن تطلب خصب، ونأس خطاء، وتفني نفسه وكأنه ما خلق إلا ليستعبد قلبي والديه، وكأنما ... لا يتركان

من عمر التربية إلا أن تشكونه مدارس للتربية، ومدرسين للأخلاق من مثل الحاجة في هذه الحياة إلا أنها حاجة إلى المال، ومطالبة من النسل إلا ... فكأنه لم يولد لها بل ... هذا الأسر عليها من كونه لا أمر لها عليه ... في مسائل الزينة والبنات والإسراف وما إليه، وهي في نفسها ... ولكن حين تضرب الآباء على أولادهم لم يبق في أولادهم إلا ما يكون من أمثالهم، كالشجر يفرط فيه الري فلا تثبت فيه إلا اليبس والذبول، وإنما أنت تسقيه الموت ما دمت تزيده مقداراً من حرقك لا بمقدار حاجته

ونشأ الفتى في أحوال اجتماعية عجيبة جمعت من أخص طباعه غرور نفسه على الناس، والتباهي بالغنى والتبذل والأسماء والحاشية من ورائه وحاله، والتميز بالثياب والأزياء، فانصرف بباطنه إلى تجميل ظاهره، وردّ ظاهره على باطنه بالشهوات والملذات، وأعانه على ذلك أنه جميل فاتن، وكأنما خلقت صورته للصيحة الحسنة في قلوب النساء. وذلك ملك عظيم لم يكن أمره الرجل الطيب منه إلا كما يكون ... الدولة ... وقد أرسل إلى باريس وهو شاب في بلد عجيب كله خيال متخيل، لا يؤمه رجل في الدنيا من كامل أو ناقص، وعاقل أو جاهل، وشريف أو ساقط، إلا رأى فيه ما يملأ كل مداخل نفسه ومخارجها، فلو قامت مدينة من أحلام النفوس الإنسانية في خيرها وشرها، وطهرها وفجورها، وإصلاحها وفسادها، لكانت هي باريس. وانقطع الشاب هناك إلى نفسه وإلى صورة حسه من أصدقاء الصور، فلا أهل يلزمونه النصيحة ولا إخوان يردونه إلى الرأي، ولا حتى ... ولا ... بينه وبينها ولا ... فيجد له مذهباً في الشهوات يطلب متعها، وما هو إلا خيال متوقد وطباع متقلبة وتربية مدللة وطمع ... ومال يجري في إنفاقه، ومن ورائه أب غني ... كأنه في يد ابنه كرة ... كلما جذب منها مدت له مداً، ثم ما هنالك من فنون الجمال ... وأساليب ... إليه ... كأنه ... الأخلاق العالية ... الشيطان الباريسي ... من هذا المسكين ... ويصيره ... ووجهه ... فقد ذهب ليدرس فدرس ما شاء ... أسماء في كل ... وأسلمه إلى ... كتب ... ما ... ومن ... إلا ما يدل الحاذق على أن هذا الشاب لم يستيقظ في ...

فلما وقعت (خضراء) منه ذلك الموقع وأحست ملحمها في نفسه، أحدثها رؤية من رواته فلا يجد أن يحب مثلها ولا في كتابته في شيء، إلا أن يكون غير صفحة من صفحاته، أو حادثة تجري فيما خلا من أحواله الترابية. وحسبها امرأة ليس قلبها أبوابا تفتح على مثله، فقدر أن قلبه وقلبها يختلفان [illegible]، وعلمه وجهلها يختلفان [illegible] آخر، وجماله وجهله يجمع ما حق من الأشكال مما بقي من الأبواب، وكان يحسب أن جمال المرأة من المرأة كالطبيعة من بإتمها فشكل من ملك نفسه فليس بينه وبينها إلا هذا الحق، ولكن الأيام [illegible] على أن [illegible] وفي [illegible] من محبوبها كل يوم ناحية من نواحي القوى، وكان لا يجد حسنه مرة أن يرجعها على النظر شيئا، وترك لوجهه وشبابه ونظراته وفتنته أن يحول بين قلبه وقلب حبيبته فلم ينل طائلا وتمادى في حبه واستحوذت عليه فكرة غريبة تجعل المرأة، فإنه هي [illegible] بها في قلبه حب وكانت سماحة، لأن [illegible] فكانت تتطلع هذا الشاب وتحسره حسرا شديدا، وتزعم أن الناس يحسدون عليها النظرة والابتسامة ويحسدون عليه من مثلها، وولع في نفسها أن هذا الرجل شأنا غير شأن الرجال الآخرين، فهم لا يستطيعون منه حيلة وهو يستطيعهم بشأنه وسرائه

وكان للرجل خادم داهية قد تخرج في مجالس الشيطان من كثرة ما حكم عليه في تزوير واحتيال وغش ولدد وإنكار وغيرها، وقد استخلصه لنفسه واتخذه مؤانسا ورفيقا و[illegible] [illegible](٢) إلى شهواته السافلة، وكان يصحبه في يومه (إبليس) فلما أراد أن يرميها به قال يا سيدي هذه كيف احتيال عليها، [illegible] في الدعوى كانت [illegible] احتيال على [illegible]؟ قال: وكيف أيها الأحمق [illegible] ومكرك؟ وإذا أرسلك إلى امرأة [illegible] وتفعل عن ما [illegible]، [illegible] سيوجد ما لا يوجد [illegible] فلا يدري ويوجع فلا يباع قال (إبليس): نعم يا سيدي وكذلك هو، وما يكون حوت البحر يخرج حتى الليل. قال: فأنت إذن لا تفعل. قال: ولا أرضى — قال [illegible] [illegible] والأمر [illegible] كيف [illegible]

قال (إبليس): لا [illegible] في السجن [illegible] أبدا [illegible] حسنا وشرا، وهذا السجن يحسبه الناس عقابا [illegible] الإثم على أنه المدرسة التي [illegible] الحكومة [illegible] الجريمة من كبار أساتذتها، إذ لا يمكن أن يجتمع كبارهم في مكان من الأرض إلا فيه. فالسجن طريقة من طرق حل المشاكل الإنسانية ولكنه هو نفسه يحدث للإنسانية مشكلة لا تحل

قال الشيخ: ويحك! أي شيء بك؟ [illegible] أرسلتك إلى المرأة لا إلى السجن. قال: [illegible] أنت إليه ولكن لا [illegible] إلا أن ترسلني [illegible] إلى السجن ثم إلى [illegible] فاسمع يا سيدي، كان من [illegible] أستاذي في ذلك السجن أن الحيلة على رجل [illegible] لا يمكن أن يكون في بعض أسبابه امرأة، والكيد لامرأة يجب أن يكون في بعض وسائله رجل ... [illegible] انظر انظر! فالتفت الشاب فإذا (الحاج) [illegible] متكئا في مشيته، وكان طويلا، فإذا هو [illegible] على الأرض بقامته، وتتكدس جسمه في بعض، وكان منطلقا وقصد إلى بعض مصاحبه، فلما حاذاه قال: السلام عليكم [illegible] مرحبا جميعا! [illegible] نظرة ثم مضى لوجهه، فلم يجاوز غير بعيد حتى بلغه صوت الشاب يناديه: يا فلان، فانكفأ إليه، فقال له الشيخ: لقد [illegible] الكثرة على ما أرى، قال: [illegible] قال: أنا [illegible] أن [illegible] في هذه القرية التي تجاورنا، [illegible] زوجه بعد أيام، وأنت تعرف [illegible] التي كانت بين بلدنا وتلك البلدة يوم عرس فلان في السنة الماضية، وكيف [illegible] على أهل بلدنا وسطوا عليهم تلك السطوة الشديدة، ولولا أبي وأمر كبيرهم [illegible] حتى [illegible] من الناس [illegible] الصلح، لكانت بلدنا اليوم أذل البلاد، ولا استطالوا علينا بأنهم غلبونا، والله حدثني صاحبي هذا كيف [illegible] جيرانك [illegible] خمسا وعشرين عباءة فأظهرها كلها في جيرانك وعرض أصحابها بعد أن أحاطوا بك وشكوا إليك؟ فأنت [illegible] وصاحب زعيمها، وما أرى لك إلا أن تنتهز هذه الفرصة وتسرع بالوجه إليهم وحدك، فتحرمهم في أرضهم شيئا تصبح مثله

[illegible] الجمل كعبه [illegible] وقال: بل سأنتظرهم في يوم عرس ابنة عمي — قال الشيخ: أطلب! ما أرى ذلك تخافهم؟ قال: لا أخافهم ولكن أخشى [illegible] أن [illegible] يوم [illegible] سنة أو سنتين. قال الشيخ: فإن هذا لا بد من [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

رحلنا، ولا بد أن أولئك سينتظرونكم ويعدون لكم؛ فإذا أنتم عاجزون في استلام عروسه منكم صرعة من طعناتهم وكأنهم ضربوكم بلا ضرب

قال الجمل: هم لا يعرفون معنى الضرب بلا ضرب لأنهم رجال، والذي يضرب بلا ضرب لا يكون رجلاً ... والسلام عليكم ... ثم انطلق. فلما أبعد قال الشيخ: لقد بلغت مأربك ولا بد أن [illegible] الفلاح [illegible]، وقد [illegible] الآن من [illegible] أن [illegible] أختك وأن [illegible] لا [illegible] على [illegible]، ولولا [illegible] أنه من [illegible] كالوحش في [illegible] عن [illegible]

قال (إبليس): لقد تأملت القصة فرأيت أنه لا سبيل لك إلى الفتاة وهي [illegible]؛ فإذا هو وصل إلى امرأته [illegible] بهذه الخطوة [illegible] الطريق إليها ... وسيأتي [illegible] وحشونة طبعه ما يجعل لك أن [illegible] ورفقك؛ و[illegible] من سوء معاملته و[illegible] ما يفتح قلبها من بأسها من جهل الرجل والليل؛ وستجيب [illegible] من [illegible] وقلبها [illegible] بجمعها من ملك [illegible] الذي [illegible] عليه؛ ثم [illegible] لا [illegible] بعد ما [illegible] من [illegible] إياها، والثمرة [illegible] من وجد [illegible] [illegible] المرأة [illegible] كما كرهت من زوجها خوفاً لا زهداً

ولم يمكن إلا مدة يسيرة، حتى أصغت المرأة إلى زوجها؛ وأما [illegible] أن [illegible] القرية [illegible] للفتون، و[illegible] من [illegible] لم يكن له من [illegible] إذا [illegible] وأرى الشاب أن [illegible] لا [illegible] به و[illegible]، وكانت [illegible] تأكل من [illegible]، وكان [illegible] المرأة كما [illegible] بمكتنفها [1] إلى [illegible] إلى الماء، لأنه حينئذ يكون في الطريق الذي لا يملكه أحد — فكانت إذا رأته لم ترد على ما يكون منها، إنما هي أبصرت [illegible] بعد [illegible] إليها. [illegible] إلى [illegible] ... (خضراء)، [illegible] و[illegible] أن [illegible] ما [illegible]، وأن يكون [illegible] إلى [illegible] و[illegible] عليه (إبليسه) حتى [illegible]، فكانت [illegible] أيام (خضراء)، [illegible] بذلك أن قلبها إلى [illegible]

وجماله، ولكن للمرأة أعصاب في رأسها و[illegible] مثل كلامها، وقالت لها آخر ما قالت: وإني أبي لا [illegible] طرفين، ولكن لا بد من أحدهما، ثم كان أحدهما [illegible] وهو طريق [illegible] والآخر [illegible] الحجر، و[illegible] فحرصت أن أدلني على [illegible] ولقد [illegible] على [illegible] شيئاً

وأما الحب فلا يبقى حباً أبداً، فإذا [illegible]

وربما [illegible] و[illegible] إلى [illegible]، وكذلك [illegible] الشاب [illegible]، ووجد [illegible] القرية [illegible]، وأخذ [illegible] رأيه، [illegible] له [illegible] أن [illegible] الرجل [illegible]، والمرأة [illegible]، [illegible] على أن [illegible] إلى [illegible] منديلاً من [illegible] على دينار من الذهب — [illegible] في صندوق «خضراء»، و[illegible] في [illegible] ثيابها، [illegible] المرأة [illegible] «خضراء» [illegible] و[illegible] إليها حتى [illegible] [illegible]، ثم [illegible] أن [illegible] (الصحن والمائع) [illegible] منه و[illegible]، فلما [illegible] أسرعت [illegible] إلى الصندوق [illegible] المنديل في [illegible] و[illegible]، وكان [illegible] على نفسه إذا لم [illegible] أحد عليه؛ ثم رجعت [illegible] إلى الشيخ [illegible] [illegible] أصدقاء الرجل أنه رأى اليوم في يد (خضراء) ديناراً ذهباً على [illegible] الذهب و[illegible]، فجلس [illegible] من [illegible] إلى [illegible] الذهب الذي [illegible] والحلي الذي أعطاه والجاه الذي [illegible]، ثم انتهى إلى [illegible] وطار به إلى داره كالمجنون [illegible] على وجهه [illegible] [illegible] [illegible]، ولم تكن امرأته في الدار، [illegible] في الصندوق [illegible] كانت [illegible] الشيطان [illegible] الذهب [illegible]، ثم [illegible] على المنديل ورأى [illegible] [illegible] به الأرض [illegible] أن [illegible] طرق بابه وأن [illegible] [illegible]؛ ثم [illegible] على [illegible] كل [illegible] وكشف [illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible] المنديل وهو الذي كان [illegible] عليه [illegible] منه ولا [illegible]

[illegible] أن (حانه) [illegible] من [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] والفتى [illegible] إليه [illegible] امرأته لأنه على [illegible]، وكان [illegible] في [illegible] لا يرى الأشياء إلا [illegible] في [illegible] ما [illegible] في [illegible] من [illegible]، وكم [illegible] حتى [illegible]، ورحل إلى مكان بعيد

---

(١) [illegible] بمعنى [illegible]

وهي مدة قصيرة طويلاً. ثم إلى ثيابك حاجة شديدة، وكاد يخطئ بها ولكنه كان مصمم الروح وذكر سم جهة جهة ويعثر والانكسار يعرف فيه

* * *

فزع الناس بعد أيام في جوف الليل فإذا بيت الجار يحترق من أرضه وسمائه، واقتحموه فإذا المرأة وأمها طعينان، وسلفت أسر الأمتعة ويقص على الرجل في بلدة أخرى، وتولى أن السعة توجيه إليه قوة، وشهد الشهود على الفعلة، وشهد الدينار على الدار، وأنكر الرجل، ولم يقصر في إقامة الحجة، ووقع من أصحابه ووقع في شأنها، وشهد أنه لا يعلم عنه من سوء؛ ولا أطهر النساء والأرض، ثم كان الحكم أن تقضي عليه بالموت شنقاً

فلما كان يوم إنفاذ الحكم سئل الرجل: هل من شيء يريد؟ فطلب صحيفة[1] فقدم له قلم الصحفي فأمسكها ووضع من دمائه صحة، ثم أخذ شكر وهو مع الصحيفة منسكاً في نفسه، وكان شهدا فإن تعلى للقطار كأنه سحاب يصيح فيه الرعد بين صوت الغضب وصوت الآخرة. قال المسكين: لم أنتحر، ولو سمحت ما وقعت هنا، ولكن ربما كنت خرجت نداً لكيمس التعسين الذين سيشنون أشرافاً ويحيون أرواح القتلة واللصوص

لم أقل لأحد يحرجني خشية أن أذكر كلمة العار مع اسمي، وآثرت أن أموت بالشنق على أن أحيا ويموت اسمي بالعار

ولكن سأعرف الآن أمامكم، وأنتم الساعة على قبري مكرمون. كلا لأنكم لا يشهدون بما عرفوا إلا عند الله وحده

أعرف أي قتلت روحي وأشباهه، وقد تقولون إنه ليس من عمل الرجل أن يقتل امرأة مصلاً من القتل. إني رجل سلطني على النساء فلا يشغلني، وإنما يُشن الرجل إلى الصفقة. لم أر أي إلا وكنت طفلاً، ولكن يقال إنه كان رجلاً، فأنا رجل وأني رجل ولم يخلق رجل قط؛ ولكن من حسن الله قوة مائة جبار في جسم رجل واحد لأولئك امرأة.

إنه ليس من شيمة الرجل أن يقتل النساء؛ ولكن المرأة من الرجل فلا يجوز عليه قتل نفسه فكيف لا يجوز عليه قتلها!

عسى التعسين ليصيروا في الشرف والأمانة والعفة كرجل ساهر متعب، لا يرى لنفسه كلها صحة إذا كان فيها معنى العار، ويقدم عنقه للمشنقة حتى لا ينكس رأسه الذل

[1] ومعناها الصحافة ... من الأصحاب

أصحر القانون الذي حكم بموت ...... من الأرواح الكبيرة في حق نقله الأرواح الصغيرة ......

ومع ذلك سالق الله وهو يعلم ...... كنت ...... عوماً

قم السجين ...... مشنقاً طاهراً

السجين: أو أنتم من حمل سوء ...... ؟ أتشهد على دنيا ......

ضحى؟

فقم، كلنا راضون عنك

السجين: هيهنا نقل من أخلاق واحد قد من أب آدم كله أصحب من أحسن في الأرض كله الرضا

......

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله

* * *

نظرت ريشةٌ من ريش الصقور إلى الغيوم تحسب بيننا سنا؟ فاستعملت العاصفة وقالت إلى السماء، ودفعت بها العاصفة ما شاء الله أن تدور ثم رمت بها حيث وصلت ثم مالت في موضع مع أم صغير. فانتهت الريشة ..... ولم تَر موضعاً إن لا حكمة في عليها، وأن الرياح جبارة في نظام العالم ... وكان إلى جانب شجرة ... ولا ... في وقت مقالها أنشدت عليها، فقالت: أيتها الريشة! إن الرياح لا تكون جبارة في نظام العالم إلا إذا كان العالم ريشاً كله.

مصطفى صادق الرافعي

# في ذكرى الرافعي

[ بقية المنشور على صفحة ... ]

مثل الفهرست لابن النديم، ووفيات الأعيان، ونحوها

وطريقته في التحصيل من هذه الكتب، أن يقرأ الكتاب ما بين دفتيه؛ ثم يكتب ملخصه في جذاذات ... من أسماء أهل الفنون الأدبية وأصحاب كل فن، مثل الشعراء، والخطباء، والكتاب، والرواة؛ ثم أسماء الكتب، ومن ... ومعارضات ... بعضهم لبعض؛ ثم الطرائف الأدبية التي تشير إلى معنى يتصل بشيء من موضوعه. وفي كتب التراجم من هذه الطرائف ما ليس في كتاب

وأستطيع أن أقول جازماً: إن الرافعي لم يعتمد على كتب التراجم في جمع مادة «تاريخ آداب العرب» أكثر مما اعتمد على الكتب المؤلفة للأدب؛ وكان اتجاهه إلى ذلك سبباً في توجيهه إلى ما لم يوفق إليه غيره في موضوعه

ومن يقرأ ما كتبته عن طريقة الرافعي في هذا الشأن، وما ذكرته في كتابي «حياة الرافعي» من تفصيله فيها، أكثر ما كان يكتب قراء الرسالة من ... لم يجمع على منواله كاتب من قبله ولا من بعده؛ فكأن هذه الكتب كانت عوناً كبيراً له على ما أبدع في الأدب بنوعيه: الإنشائي والوصفي

* * *

... أحسب أن طريقة الرافعي هذه كانت تحتاج إلى ... كثيرة ويكتب كانت حقيقة بأن تكون أكثر جدوى وفائدة لو أن هذه الجذاذات والفهارس التي صنعها لنفسه ... كانت على هذا النظام الذي وضع، فيمكن انتفاع غيره بها؛ على أنه من ... أن تكون هذه الفهارس كاملة وافية، ... لكل فصل في تلك الكتب التي أخذ عنها ورجع إليها؛ ولكنه — رحمه الله — لم يكن له غاية من صنع هذه الفهارس إلا الاستعانة بها على الجمع لكتابه، جمعت به ما أراد، ثم بطل عملها؛

وقد يسأل سائل: كيف تهيأ للرافعي الزمن الذي قرأ فيه تلك الكتب التي أخذ عنها ولخصها، ثم ألف منها كتابه؟

وهو سؤال لا أجد جوابه، على أنه مما يدعو إلى الدهشة أن الرافعي قد بدأ بعد تأليفه تاريخ آداب العرب في سنة [illegible] وفرغ منه — بأجزائه الثلاثة — في سنة ١٩١١؛ فانظر ما عسى أن تسع له ... من عمر حتى لم يجاوز الثلاثين وهو أول ... في الحكومة بشغل منصب ... ؟

وقد قال لي قائل مرة وقد جاء ذكر الجزء الأول من تاريخ آداب العرب: إنه كتاب يتحدث عن كل شيء إلا عن آداب العرب ... ؟ قد يكون ذلك رأيك ورأي طائفة معك، ولكنه على كل حال كتاب يغني عن مائة كتاب؛ واسأل صحبك: من أنصف في تاريخ آداب العرب قبل الرافعي؟

رحمه الله، لقد ... الأمة ... تراثه

محمد سعيد العريان

---

Al Arab 41

# الشيطان ذو الأجنحة

[illegible]

( طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين )

8me Année No. 359

Lundi 20 5 1940

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٩ — « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٤٠ » — السنة الثامنة

# مصطفى كامـــل

## بعد ثلث قرن

[illegible]

كل شيء في مصر يقتضي اليوم حين كان الأمر شورى ورئيس مصر يده من الأمر في ذلك الباب الرجيل أو القنصل لا يطمع ذكره في القصر إلا إذا كان لدى القصر ذوي الأثر ومصر في منعطف الطريق إنما كانت تجري في خلاء من التاريخ لا يكاد يظهر فيه إلا [illegible] تصعد أو ومضة تتألق [illegible] من الأثر ما يلائم السمو ويشغل الذكرة

على أن السائر في الصحراء مهما ضعف وجهه واعتقدت [illegible]

## الفهـــرس

لا بد أن يذكر الثائر القتيل دمه على الطريق، والروح التي أسلمها إلى الحياة. وهيهات أن تمرض القلوب عن ذكر حتى على مصطفى كامل ونسيانه. وإذا جاز للزمن العابث أن يطل من رجل بطولة أو من الخلود، فإن مصطفى كاملاً يظل على رأس الموكب أنبل القلب وأعلق بالذاكرة، ذلك لأن رحلته كانت أشبه بالثورة في تهيئة النصر، وثبات العقيدة وعصمة النفس واختيار القدر. وهو الزعيم الوحيد الذي لم تلده الظروف، ولم تبعثه الطبائع في تلك الظروف، لأن مصر كانت إلى عهده قد استنامت إلى الخمول والاحتلال تنتحب في ظلمة بومة الفاجع الأليم. وكانت دعوة الأفغاني قد خبت من وعي الأذهان الثائرة فخمدت أخامت جانب العرابيين مسلك المراهبون؛ ولكنهم لم يكونوا يعدون حتى أدركهم الظلام من قبل الكبير، فلا يصح في النقل إذن أن تقول إن مصطفى كان أثراً للأفغاني وعرابي، كما تقول إن سعداً بعد مبارزته كان أثراً لهؤلاء الثلاثة. إنما أرسل الله مصطفى على فترة من رسل الوطنية. وكان إرهاصه وهو في المدرسة الثانوية أن الوزير على مبارك باشا زار مدرسته يوماً فسأله فيمن سأل من التلاميذ ماذا اختار أن يعمل بعد الشهادة؟ فأجاب مصطفى البارع في حماس طويل: «إني أرجو الرجل الذي ما على عمر بلاده وسأكون أنا ذلك الرجل الذي يكتب ويخطب حتى تخرج الأحتلال من مصر» وكان إرهاصه وهو في مدرسة الحقوق أن أنشأ مجلة «المدرسة» أشرقت فيها نفسه الكريمة إشراق الشمس الذهبية، وشباقت على شوق طلاب المدارس فيها يزعمون ويرجون كله ويرشدون حتى كل إجازة الحقوق شرع رسالته وخطر وطنه. وهيئت رأيته يكتب إلى أمه الروحية مدام جوليت آدم يقول: «إني لا أزال صغيراً، ولكن لي آمالاً كبيرة. أريد أن أوقظ في مصر الشيخة مصر الفتاة. ثم يقولون إن وطني لا وجود له! وأنا أقول إنه موجود بجدير ما أشعر له في نفسي من الحب الشديد الذي سيغلب على كل حب سواه. سأضحي في سبيله كل مواهبي، وأهبه شبابي، وأجعل حياتي وقفاً عليه».

ثم استمر في ذلك الجهاد الناصب روح الله عشر فترة الجبارين، ونفخت ثياب الرسل، وهتف في وطنه الذي [illegible] التوحيد يجاهد لإشراك الوطن والكفران بالأمة [illegible] الجسيم الثائرة اللازمة طغيان المحتل، وأسقط [illegible] ودولة الدخول

***

ومصطفى لم تبعثه المطامع لأنه أدرك وهو في طراءة الشباب رضا الأمة وثقة العرش ورضى الخلافة وخصومة المحتل، وكل في مقدوره إذا شاء أن يستغل هذه القوى العظيمة في سبيل الثراء والحكم، ولكنه زهد في ذلك كله زهادة الحكيم، وعاش للمبدأ والفكرة، ومات للقضية والعبرة.

ومن أدل على نزاهة مصطفى ونقاء نفسه من تبرئه على عباس وانصرافه عنه حين رآه يستخذي ويستكين للاحتلال الوديع الذي أرسل على الخديوي سنة ١٩٠٤؟ لقد كان في مسايرة الخديوية ومسايرة الاحتلال ما شاء الطامع من جاه وألقاب ومنصب وثروة. ولكن مصطفى كان يريد أن يسود لا أن يسوده ويطلب أن يخدم لا أن يحكم. والزعيم الذي هو الذي يدافع عن أمته ولا يعاون أن يحكم، لأنه من حكمها أدركته حيرة الإنسان فتخاذل ووهن، ووتش وطاش حتى يصعب عليه أن يوفق بين رغائب نفسه وبين مطالب الناس.

وهكذا قضى الصدق في الجهاد والإخلاص للمبدأ على مصطفى النبيل الراهن أن يحرك ساكن شعبه ويجيب قلبه، ويهز كل عود حوله بحرارة روحه، ويعيش غلام وطنه ويقيض روحه، ثم يموت رضوان الله عليه ميتة الأنبياء، لا (عمارة) تحجب ضياء الفلك، ولا (دوار) تشمل أرض القرى.

لو أن زعيمنا الخالد كان له مثل ما لغيره لكان رئيساً في (وزارة) أو مكتباً في (شركة) لما أتى له هذا الخلود بعد ثلث قرن؟ فإن الزعيم الذي يحمل عنه السياسي أن يمنح نفسه وحبيبه لا يمكن أن يبقى في ذاكرة الناس هذا العمر. ولكن مصطفى عاش كاسمه ووفى كالمقدر ومات كالقدر، فكان حقاً علينا أن نسمي تمثاله رمزاً للوطنية التي لا تتاجر، والوطن الذي لا يتلاشى، والزعيم الذي لا يخون.

[illegible]

# الورق الأزرق

للأستاذ عباس محمود العقاد

---

إلى الورق!

إلى الورق مرة أخرى

فلا وسيلة غيره لمن يحتال لحفظ النور، أو لحجب الديجور، وأشد بالنور ظلام كظلام القبور

وبعدما عرف الناس الورق الذي يحفظ النور المكتوب والسرائر

وها هم أولاء يعرفون الورق الذي يحفظ النور المحجوب، حتى يصبح النور خطراً من أكبر الأخطار

وهل كان النور قط إلا خطراً من أكبر الأخطار، وعدواً للشياطين والفجار، والمجرمين والأشرار، والمتكل من يكره الإبصار، لأنه عدو لمآثم الغواية، غريب في عالم الأبصار؟!

* * *

من الذي تخربوه لأنه في الظلام؟ ومن الذي نذكره لأنه في النور؟

إن الشيء في الظلام كامن مستور

وإن الشيء هو هو [illegible] في الحرب والسلم وفي الأرض والسماء وفي الغيبة والحضور، هو الشيء في النور من عند المحسود دون جميع المحسود

وما سميت «رقابة التدبيح» في أيامنا هذه إلا أن كشف السر «المحظور»، وهو أمن الأسرار من المكشوف وأحجب بالظهور

* * *

والأمن عند محمد الله: لفة من الورق الأزرق أو لفتان أو لفات ثلاث، والنور محوط لديك من وراء الستائر، محجوب عن طيارات الليل وطيارات الروائع ... لا تحس به السماء، ولا تلمح له الفضاء

وإني لأحمد الله على تجارب الوقاية، لأنها خليقة أن تحبب الاعتكاف إلى أكثر الناس، وإن كان بعض الناس يخافون الوحدة أشد من خوفهم أخطار التسريب والغارات

ونحن المصريين محتاجون إلى تجربة الاعتكاف، لأننا من أقل الأمم طاقة على وحدة [illegible] وما ظنك بمصري يبكي [illegible] تلازمه أنه لا يريده ولا يريم مكانه منه؟ فإنك في ذلك [illegible] أعجب في استنباطه من [illegible] وحيدة عن الخلق [illegible] يوماً أو بعض يوم؟!

والاستقلال النفسي شيء من الأخلاق [illegible] حظ هذه الأمة في بداية استقلالها وفي [illegible] حين بها روح السعوية [illegible]

لأن الرجل الذي يستحي بين الجماهير ولا يجتمع بالوقت إلا وهو غارق في غمارها مجموع في بؤرها هو رجل ضائع في الزحام، أو صفر لا يظهر له مقدار من الأرقام، أو هو شخصية بغير استقلال وبغير حدود، كأنه يأخذ حياته من الناس ولا يأخذها مستقلة معروفة الحدود والأعلام

فمن الواجب أن يستطيع الإنسان الاعتكاف في بيته والاعتكاف في شخصه، وأن يكون مالكاً زمام نفسه ولا يكون متروكاً لزمام الجماعة وضعف الراغبين والمندوبين عن الجماعة

وأعجب ما يلاحظ في هذا الباب أن الأمم التي تعرف العزلة وتطيق الانفراد هي أسمح الأمم للاجتماع وأقدرها على سياسة الناس

وتفسير العجب ما يلاحظ ولا يعني إلا التعجب في الظاهر دون الحقيقة الواقعة، وإلا فالاستقلال النفسي معناه الحرص على الحقوق وأن يكون لكل حده الذي يقف عنده ولا يقتحم وراءه، وأن يرعى حريته ولا يجور على حرية غيره، وتلك هي أكرم صفات الاجتماع والمعاشرة، وهي هي لبابها صفة الاستقلال والقدرة على الانفراد ...

وفي العصر الحديث مخترعات كثيرة تعين على العزلة من يشاء أن يبالي عليها

فالكتاب والصحيفة جليسان أمينان، والمذياع يحمل العالم إلى البيت بخلق الوحدة ويسره من يسعى إليه أن يجيء ولو منع بالقليل من الجلسة، ثم هذه التجارب التي نجرب بها كرة تحوطنا ودرة مطافئنا [illegible] أليس فيها معين على الاستقلال من غير ناحية الحرب والأهبة للدفاع؟

بلى، بأنها تنقل الوحدة إلى الحربين ثم إلى العالمين العامة، فيفتقر منها من تعود الأنس فيها ومن عليه أن يجيئه ينزل عنها ويسعده أن نركن إلى نفوسنا، وأن نغوص في أعماق ضمائرنا

وأن نجد عيب حجرة نقتنا وسببه فلا نشكو الظلم في الظلمة ، ولا نبحث عن القوة في كل مكان إلا المكان الذي نحن فيه

* * *

ومطلما إن ضيوم الظلمة يقتضي بنا الأمر أن نحسبها خلوة اختلفنا إلى الشمس والأفرنج ، لا سعى الظرف من الشتو الصبي والفزع مما يضمر الظلماء أو الضياء

في الناس من يذكرون القاذورات فيبالغون في الطهر والحيطة ويظنون أن الدنيا كلها مملوءة عيوب وأسقام وأن القنابل تبحث عنهم في كل مكان

ومنهم من يذكرون القاذورات فيبالغون في الشرب والأكل ويغرورن كما يجري الشرب الذي كان في أوربا إن يكن أصلك منكراً على فئة فلا تأخذ من الرجاء ولا أمل في الصحة

ومنهم من بين ذلك لا يرجعون ولا يحذرون ، ولكنهم « يعدون ويتوكلون » أو يحسبون الحساب وهم مطمئنون ، لأنهم عرفوا من واجب الاحتراس فلم يبق إلا واجب الاطمئنان

فالإهمال لا يليق بكرامة الإنسان ولا بالمزايا الآدمية ، لأنه أشبه بصمت الحيوان السائم الذي لا يدري ما يجري وما يحدث ولا يتصرف في مقاومة الطوارئ التي تهدده واجتناب الهلاك الذي يحرص عليه اجتنابه

أما المبالغة في الاحتراس والوسواس فهي أطيش القسم بينهما ، وليس بين الصفات التي تشين الإنسان أقبح من صفة الجبان

* * *

وقد دلت التجارب في أوربا على قيام هذه التجارب غير العامة المقصودة منها ، وهي نقص الجرائم والسرقات في هذه الأوقات خلافاً لما كان يظنونه في البداية

وعللوا نقص الجرائم والسرقات بأمور كثيرة تشترك في بعضها وتنفرد الأقطار الغربية ببعضها التي لا تجري فيه ، والله أعلم بأسباب أخرى

في هذه الأمور كثرة الحرس ورجال الأمن القائمين بالتجربة في الطرقات

ومنها شكوك اللصوص إذ يعودون في أوقات الظلام بين البيت المظلم والبيت اليقظان ولكنهم يسعرون من غير عمد وذلك من ضمائر الظلام في جميع الأنحاء

ومنها ... وهذه أهمها في أوربا ... أن ... في يصحب عليهم الحرب الضيوفات بعد القراب ... الضيوفات وتقتدي الرقابة عليها

ولا ندري علام تسمر التجربة في بلادنا وهل يبلغ أموسك بحمد الله مبلغ اللصوص الزمريين الذين يستعدون على الحرب في الضيوفات ، ولا يزالون يهربون على الأقدام كما كانوا يهربون قبل أسبوع من أيام ، كما عند على الآحاد والتيام ، في أيام الحرب أو أيام السلام !

وإنا نذكرون الحرب الماضية في بلادنا لا يحصون حوادث النشالين بالليل والنهار ، وقد سلم منهم الصغير

ولعلهم أول من الشرع من ذهبه اللصوص رد الأمانات إلى أصحابها من اشتغلوا منها ..

فقد كانوا يأخذون لأصحابهم الورق النفيس ثم يلقون المحفظة أو الكيس في صناديق البريد ، فيعود ما فيه من المحفوظات إلى أصحابه ، وفيه أصحابهم من النقود

إلا مرة واحدة ـ أو مرة واحدة على ما سمعت ـ أخذوا منها محفظة كلها وليس فيها نقود ولا ورق أخص من النقود

وذلك أن صديقاً لنا أديباً خرج يوماً من عند العود وفي جيبه محفظة ـ أو غلاف من الورق على الأصح ـ فيه اثنتا عشرة صورة شمسية لا تنفع أحداً غيره

قال لنا : سأذهب إلى مكتب البريد القريب فلا شك عندي في رجعها

ولكنه ذهب وعاود الذهاب والمحفظة ضائعة لا تعود

فحار في أمر هؤلاء اللصوص ، وسأل موظف البريد مرة وبعد كثير من انتظاره : « ترى لم ياعلم لا يردون هذه الصور التي لا قيمة لها عندهم وهم يردون الرسائل والصكوك والأسانيد التي قد تشتمل على ودائع ؟ »

قال موظف البريد متظاهراً بالدهشة : « أتقول لا قيمة لها عندهم يا أستاذ ؟ كيف هذا ؟ إنهم لو وزعوها على زملائهم لأراحوا أنفسهم على الأقل من اثنتي عشرة غارة أخرى غير هذه ! »

وهذه من طرائف النشالين في الحرب الماضية ، ولكن طرائف النشالين هذه تنسب إلى سخف ... المتكرر أو التي

في صميم الأزهر أيضاً

# فائدة الأربعاء

## للأستاذ محمد محمد المدني

أعتقد أن «الرسالة» لم تلق قبل منى من كرهها على هذا العنوان، ولولا أني أدخل في المحسوبة بعض الشيء — كما يقول الجاحظ — لزعمت أني لم آت بشيء في مستقبل عمرها الطويل

وأعتقد أيضاً أن كل معنى من المعاني التي يحتملها هذا التركيب سيجري على الذهن إلا معنى واحداً، هو معناه المقصود

«الأربعاء» يا سيدي القارئ، هو اليوم الخامس من أيام الأسبوع كما تعلم، أما التي لا تعلمه — ولم أكن أنا أعلمه — حتى عهده بالأمس القريب، فهو أن لهذا اليوم فائدة، وأن هذه الفائدة في موضع تخصيص حتى من الطراز الأول، لا يقوم به رجل من عامة العلماء، أو من صغار رجال الأزهر؛ ولكن يقوم به عالم كبير ومحتسب كبير قد عرف بأنه يلبس ثوب الإسلام والمسلمين، وتبوأ مقعده من جماعة كبار العلماء منذ زمن طويل!

وفي هذه حذرة بأن يحمل سب ما في اليوم، فلينتقل قراء «الرسالة» هذا الأسبوع، كما ينتقل في الأسبوع الماضي قراءه مرة أخرى حين نشر البحث في بأسه الحقيق

كتب كاتب من «قنا» إلى الشيخ المطيع قال:

«إن كثيراً من أهل قنا وضواحيها وغيرها من قبل الآن، خصوصاً بعض أهالي جرجا، قد اعتادوا أن يقوموا بعمل فائدة تسمى: «فائدة الأربعاء»، وميعادها قبل الظهر بساعة تقريباً في اليوم المذكور من كل أسبوع بضريح سيدي عبد الرحيم القنائي رضي الله عنه؛ والجميع — صاحب الفضيلة — يعتقدون نفعها ويرجون بركتها، وهي مجربة بين الآلاف المؤلفة من المسلمين، وإلى فضيلتكم كيفية هذه الفائدة:

«يذهب من أراد قضاء حاجة (هكذا)، أو تفريج كربه في اليوم والوقت المذكورين سابقاً، ويمشي في ضريح سيدي عبد الله القرشي — وهو على مسافة قريبة من ضريح سيدي عبد الرحيم (رضي الله عنهما) — ويكون على وضوء، ثم يقرأ سورة يس مرة أو ثلاث مرات، بنية قضاء حاجته، ثم يخرج الكريه، وبعد ذلك يخرج من الضريح، ثم يمشي ويكشف له بنية قضاء حاجته أيضاً، وهو عاري الرأس، في مكان متوسط بين الضريحين، وبعد تمام هاتين الركعتين يأخذ عمامته في يده ويضعها تحت إبطه، ويتوجه إلى ضريح سيدي عبد الرحيم، ثم يتجه إلى القبلة، ويدعو بالدعاء الآتي عاري الرأس أيضاً: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم، وبأبينا آدم، وأمنا حواء، وما تناسل بينهما من الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، وبجدك هذا سيدي عبد الرحيم، أن تقضي حاجتي، وهي كذا ...».

قال السائل: ولكن ظهر في هذه الأيام عالم من المتصدين للوعظ والإرشاد، ينكر هذه الفائدة قائلاً: إن هذه الفائدة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد خلفائه الراشدين. ولقد حدثت فتنة كبيرة بسبب ذلك بين المعتقدين له، وبين العالم المذكور، لذلك رأيت أنا وغيري من إخوانك المسلمين أن نلجأ إلى فضيلتكم لتصرحوا في هذه الفائدة لنكون على بصيرة

---

لا من في جميع التجارب ... فلا محال أن أحداً سيقصدها في الحرب الحاضرة، أو يلوم الحكومة على وقاية تدعيمها منها!

* * *

هذا ما كتب هذا المقال من ورد الورق الأزرق الذي يحجب الضوء، ويقيه منها

ثم حجب النافذة فإذا الضوء تشارك في التجربة من طرفيها، من كالمصابيح تحجب ضياءها، ومن كالمبوب ... وحسبانها

قلت: واحد له مرة أخرى!

إذا اشتركت السماء في التجربة فلا خوف على رسالة العلم، وعسى أن تمضي التجربة وهذه التارات الرهيبة التي عما سابقه في بلادنا، تظل في حرز من الغارات المخيفة إلى يوم السلام

عباس محمود العقاد

منها لما يصيبه منكم من الشر، والحرص على نفع المسلمين، وتفريجهم أمور دينهم الخ!

هذه هي القصة! فلننظر ماذا قال فيها «أبو حسين»!

قال — نفع الله الناس بعلمه —:

«الجواب عما سألت عنه من ذبائح يوم الأربعاء، أن ذلك جائز لا شك فيه، بل هو من سبيل البركة، وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول. ولست أدري: أي شيء في ذلك؟ وهل فيه إلا أنه أمور بعضها جائز، وبعضها مندوب إليه؟ ولا شك أن الصدقة على الأموات والبركات، والتوسل بالأولياء والصالحين جائز لا شيء فيه، وقد ورد الأمر به في الحديث عن عثمان بن حنيف وأنهم يرزقون!» ولست أدري من هم الذين يظلمهم مولانا؟! ولعله يريد الواعظ المسكين الذي يشير إليه صاحب السؤال!

قال الشيخ: «وتوسل عمر بالعباس، ولو كان الأمر على ما يرى هؤلاء ما صح أن يقول عمر: اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس. والتوسل طلب من الله، مستشفعاً إليه بأحبائه فلا معنى لتلك الترهات، لأن لهم منزلة عند الله، وسيشفعون بنفعها في الآخرة، والأولياء أحياء عند ربهم يرزقون، ومن اعتقد أن من ينتقل من الدنيا يلحق بالعدم فهو مكذب أو جاهل بما ورد في ذلك من النصوص ... الخ ... الخ

ثم قال بارك الله للمسلمين في حياته:

«وبعد، فلست أدري لماذا لا يصبون النهي على المنكرات المجمع عليها؟ وما أجدرهم أن يخاطبهم بقول الشاعر:

أتتركون المنكرات مبيناً؟ ... وتحاسبون على القرائن لفظاً!
أتصححون الميت من فوقها؟ ... ما أنتم إلا كأهل الكوفة الخ

* * *

عفواً، يا قراء الرسالة وصبراً، فما أردت أن أهدي إليكم طرفة من الطرف التي وعدتكم بها يوم كتبت مقالي الأول «في سبيل الأزهر» وقد أبى الله إلا أن يجيء هذه الطرفة من حيث لا أحتسب، على يد أستاذ مبرز من جماعة كبار العلماء في الأزهر الشريف!

ولست أريد أن أنقد هذه الفتوى، لأني رجل من صغار العلماء، وليس من الأدب الذي درجنا عليه وأخذنا به أن يتطاول الصغير إلى مقام الكبير ... ولكن منصب الإفتاء محل ملحوظ [illegible] هو صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ [illegible] جريء الناس [illegible] جيد [illegible] وحسبه [illegible] الجاهلين!

ولكني أقتصر في تعليقي على هذه الفتوى على أن أسجل بعض «الظواهر» واستغلاق بعض «الغوامض».

السؤال الذي بنيت عليه الفتوى يعرض المسألة على أنها عقيدة لإقليم من أقاليم مصر العليا، ويذكر أنها من أمور الدين، وأنه حدثت بسببها فتنة كبيرة بين عالم واعظ وبين مستفتيه ثم يستنكرون ما يعملون فيها، وهو يقول لهم: لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا خلفائه الراشدين.

فكيف عالجت الفتوى هذه الظواهر؟

إنها أقرت المعتقدين على ما يعتقدون، وذكرت لهم أن هذا جائز لا شك فيه، واستدلت على ذلك بأن هذه العملية ما هي إلا مركبة من أمور بعضها جائز، وبعضها مندوب إليه، وأن التوسل على هذا النحو وغيره مأمور به في الحديث.

أما صاحب العالم الواعظ فهو ممن قال الشيخ: «وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول» و«إنهم يرزقون» و«لا معنى لتلك الترهات» و«من اعتقد كذا فهو مكذب أو جاهل بما ورد ... الخ»!

وتخرج الفتوى بعد ذلك عن نطاق ما هي فيه، فتنكر على الناس أن يحاربوا صغائر الأمور دون كبارها، وأن يتركوا المنكرات المجمع عليها ... ويحاسبون على القرائن ... الخ

هذا ما أردت أن أسجله من ظواهر الفتوى، ويجب أن يعلم منا أنه لا شأن لي بأن التوسل بالأولياء جائز أو غير جائز، ولا بأنه قد أُمِرَ به في الحديث أو لم يُؤمَر به في حديث.

ولا شأن لي بحياة الأولياء عند ربهم، ولا بكيفيتها، ولا بنوع النفع الذي يحصل في قبورهم بعد موتهم، أو الذي لا يحصل.

لا شأن لي بشيء من ذلك كله، فقد تكلم فيه الناس كثيراً، وللشيخ فيه جولات، ولخصومه جولات! كما للشيخ في حياة الأرواح وعذاب الأرواح جولات، ولا يجب أن نتحدث بشيء من ذلك قراء الرسالة.

ولكني أتساءل: أيمكن أن يكون شيء مركباً من أشياء بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ليكون حقيقة منكرة بها من الشرع؟ حتى لو فرض تلفيق بين هذه مندوبات وهذه [illegible] أو جائزات، وأنشأ من ذلك عبادة يتقرب ويتقرب إلى الله بها على وضع خاص لا تكون في ذلك ملوماً؟

ثم ما هي المسائل التي هي منكرات مجمع عليها، وقد تركت من غير بيان حتى صارت «سبهللا» بعد التعبير الظريف؟

وما الموازنة بين هذه المسائل المزعومة التي أجمع الناس على تحريمها، والمسائل التي حسب كثير من الناس أن يحسبوها ثوب الدين وما هي من الدين؟

فإني لأتوجه بعد ذلك إلى أستاذنا الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مفتش الوعظ والإرشاد لأسأله [illegible] عفا الله عنها الواعظ المسكين الذي أنكر «قاهمة الأربعاء»، وأكثر عيب الشيخ هذه حرب الشعواء؟ أتركه إدارة الوعظ بين هؤلاء القوم محصوراً سهمهم يحصبون عليه، أو يحصبون إليه، أم أنصف المسلمين في [illegible] وشراسي [illegible] إن كانت تعتقد أنه شر ووبال؟

أما بعد

فإني أقول لأصدقائي وسميري الذين آثرتهم بكل الصداقة، سلفوا عليها قولاً وكتابة بأقوال وآراء حتى من «التسميت» في أهب الأزهر كبيركم، وأنا ممن أعتقد أنه [illegible]، ولكني أكره هذا اللون من [illegible] . . . ولا أقول كما قلت في الرد السابقة من التشكيع الملي، ولكني أقول: من «التطفيف العلمي»! في الوقت الذي يشتغل العالم فيه بحرب عامة، أشاب الولدان وأشدب، ويوشك نتاجه أن يأتي على الأخضر واليابس من الأموال والأنفس والثمرات.

لا تنظر الناس بهذا النوع من الأبحاث في الوقت الذي يستمعون فيه كل يوم إلى أخبار الطائرات التي تمطر بسبب الجو، والقلالات الرائعة التي تتساقط بها الجرم [illegible] من السماء!

إننا نسمع ذلك، ونسمع من ورائه أحاديث الناس عنها، وأحوالهم [illegible]، وذلك أن نشغل الناس «بحديث الأربعاء»؟

أستغفر الله العظيم! فإن «حسب الأربعاء» [illegible] قدم كتاب لا أسميه، كان يحدثنا به من الأسبوع [illegible]، وأردت أن أقول: «قاهمة الأربعاء» حسب، و[illegible] أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره.

وعلى ذكر الشيطان، أحسن في أهل الذين [illegible] يشغلون نفسهم ويشغلون الناس بأمره: ست صاحب الوضوع، وإن صاحبه معروف بينكم غير مجهول، فاقتلوه من حديثه، ولا تجعلوا بينكم وبينه رسماً إن كنتم تعقلون.

محمد محمد المدني
المدرس بكلية الشريعة

---

Ml. Arab 49

## عن جريدة حشرة الملاريا

[illegible] أوليا [illegible] أو [illegible] وعن [illegible] في جميع الأقطار [illegible] الناس [illegible] في كل مكان.

[illegible] أنواع من [illegible] والمواد [illegible] شهوراً مرضوض كالوت [illegible]

[illegible] من جنة السرب [illegible] في [illegible] ومرضه للوحوب السكير [illegible]

فإن حشرة واحدة [illegible] على كل [illegible] والسبب [illegible] لأن هذه الحشرة كانت [illegible] في الظلام

ولكنا لم [illegible] إلى [illegible] خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء [illegible] التي أخذت [illegible] والسكان [illegible] ٢٥ [illegible] كل شيء، فلا يزال الإنسان [illegible] الأخيلة وعلاقاته [illegible] أوليل وأنا [illegible] على [illegible] جبل [illegible] أذكر [illegible] وأعلم [illegible] في [illegible] المسكين [illegible] حشرة [illegible] السكرة [illegible] في ثانية [illegible] الأوليل [illegible] من [illegible] يذكر

[illegible] أكيدا [illegible] حسب رأي لجنة الملاريا في جمعية الأمم [illegible] مليون [illegible] الحيات [illegible] من [illegible] التي [illegible] هذه اللجنة [illegible] إصابة الملاريا [illegible] أو جرام [illegible] من الكينا [illegible] أيام [illegible] هذه الحشرة [illegible]

# نابليـــون الأديب

## للأستاذ صلاح الدين المنجد

حدثوا أن نابليون كان ينظر ذات يوم إلى البحر الساجي في «سنت هيلين»، يفكر في أمره: كيف صفق له النصر، وابتسمت له الدنيا، وكيف خانه الزمن فأودى به إلى هذه الجزيرة الغرقى وسط البحار — فابتسم وصاح: «إن حياتي لرواية رائعة، من كان شعري لو كتبها».

على أن نابليون إن لم يستطع هو أن يكتب رواية نفسه، فقد سجلها التاريخ، وسطرها الناس فأكبروا منه ذلك الجبروت الطاغي وتلك العبقرية الرائعة. ولكن نابليون أراد أن يجمع إلى خلود البطولة والعظمة، خلود الأدب والفن، فود لو يكتب ويؤلف.

ولقد ذهب «سانت بوف» شيخ النقد في فرنسة، إلى أن نابليون كان أكبر أديب فرنسي عصره. واحتج لذلك بروائع خطبه التي كانت تبعث الأمل القوي، وتحيي القلب اليائس. ألم يثر جنوده المرضى بكنوز إيطاليا وخصبها؟ ألم يكلم هرم وعمر القرون تنظر إلى أشبال فرنسة الفاتحين. ألم يسكب الطهارة في نفوس جنوده، هناك في سهول أوسترليتز ...؟ لقد كانت فصاحته نافذة وبلاغته جامحة تثير في كل قلب، وتضيف إلى كل روح الفصاحة والبلاغة هذا الأديب الكبير الجليل

ولقد ذهب «جان باجيل» الكاتب الفرنسي المعاصر إلى ما ذهب إليه «سانت بوف» من قبل، ورجّع ذلك إلى أن آل بونابرت كانوا ذوي بلاغة تغلب ومنطق يجري، وأن نفوسهم كانت ترتاح إلى الفنون والآداب. ومن ذلك أن كان من أسلافهم الفلورنسي القديم — وفلورنسة كانت مهد الآداب في حقبة من الزمن —، ومن أبيهم «شارل بونابرت» الشاعر الأديب. ثم لا تنسوا العروش كانوا من حماة الآداب ومشجعي الأدباء، فقد شجّع جوزيف بونابرت ولويس بونابرت ولوسيان بونابرت حملة الأقلام، وإن كانوا قد وجهوهم وجهة خاصة بعد ريثما تتوطد سلطانهم. على أن نابليون وحده كان ذا موهبة الفذ؛ فقد كانت أفكاره تتدفق وتومض كالبرق، مع السطور الأخاذة والتعابير الرائعة والألوان البارعة.

ولقد كان ميل نابليون إلى الأدب يجتذب إلى نفسه كل دعوى للحب. فقد كانت تؤثر فيه الموسيقى الناعمة، وتثيره أشعار «أوسيان» الخالدة، وتعجبه مآسي «كورنيل» المترعة بالفخار والقصة البطولية، وتطربه «هلويز الجديدة»، ويقول عنها: «إن هذا الكتاب سيبقى إلى الأبد كتاب القلب. ولقد قرأته وعمري تسع سنوات فأطار لبي وأدهشني —».

وكانوا يقولون: إن لنابليون خيالاً جبارًا، وإنه كان يعشق الأقاصيص المرعبة، أقاصيص الجان والشياطين، والأشباح والمخبولات؛ يسمعها ويقصها في الليل، أو يرويها ولا سيما في ليالي الشتاء.

وقد عُثر في تلك الأوراق التي كتبها في صباه، والتي أودعها صديقه الكاردينال فيش Fesch على أقاصيص ثلاث نشرت في عام ١٨٩٥ في فلورنسة تحت عنوان «نابليون المجهول»، وقد كتبها في عام ١٧٨٩ عندما كان ضابطًا في «أوكسون». أما القصتان الأولى والثانية، فقد نقلهما من مختارات التاريخ الإنكليزي. أما الثالثة فهي من تأليفه، وهي تصور كورسيكيًا شيخًا زج مع ابنه في جزيرة مقفرة تتلاطم الأمواج حولها من كل (حدب) وجمعوا أبناءه وجهوه.

وبعد عشرة أعوام — وإبان إطلالة الحكم البونابرتي — خرج الناس بقصة كتبها نابليون في عام ١٧٩٦ عنوانها «كليسون وأوجيني»، هذه القصة الرومنسية العاطفية، وهي حكاية يشوبها خيال، وهي أشبه بما يكتبه الأدباء أول عهدهم بالكتابة.

كتب نابليون هذه القصة وهو يتخطى الخامسة والعشرين من عمره، أوحاها إليه حبه لفتاة اسمها Désirée Clary وهي الفتاة التي عرف معها الحب الأول. وكان قد رآها في مرسيليا، إذ أن أتى بعد أن ذاع اسمه في حصار «طولون»، فأحبها وكان يلقى الورد جولاً، فأحب حول هذه الفتاة يحبه الفرسان

وشعره الأخضر ، وكلامه العذب كالماء ، واللاهب كالنار ! وأسكرها بأناشيده الحلوة ، وأطربها بأشعار أوسيان الفاتنة وغنائه

ولم يطل بقاء نابليون في مارسيليا ، فانطلق إلى السفر إلى باريس ، تاركاً حبيبته الصغيرة وحدها ... وما وطئت قدماه باريس حتى أرسل إليها رسالة فيها الشوق والحب والحنين ، ولكن أخذها متبرمها من الكتابة إليه ، فاضطرب نابليون تحت اللهفة المسيرة ، فكتب إليها كتاباً يصور فيه باريس الفاتنة ليثير شوقها إليه . ولكنها صمتت أيضاً فكتب يقول

« إن الحياة حلم وهمي لا يلبث أن يذوب كالسحاب ، إنني أشعر وأنا أكتب الآن بهياج في عواطفي ما شعرت بمثله قبل هذا اليوم ... وفي ظلال حبها لأحتمل نفسي ، ولأرمين بها اليوم تحت عجلات المركبة »

ثم هوى الحب ، فكتب إليها مرة أخرى ، ولكنها لم تجبه وأعرضت عنه . فعندئذ سلاها فوراً ... فكتب لنا قصة صور فيها وقص على الناس فيها حياته وحياة « أوجيني » الفاتنة ، وكيف نشأ وترعرع ، وكيف أحب وكيف خان الحبيب ، وسمى نفسه « كليسون » وحوّل قليلاً وحوّر

لقد كتب في قصته : « وُلد كليسون للحرب والقتال ، وكان يعلم سير القواد وهو ما يزال صبياً ، وكان يحب أن يتفقه في فن القتال منذ كان في المدرسة يافعاً ، على حين كان رفقاؤه يتحدثون عن الفتيات يلهون بهن ... فلما قارب السن التي تؤهله للقتال ، أقبل على الجندية مسرعاً ، فبرع في أمورها ، وطوّقه النصر ، وذاع في الشعب اسمه ... ونظر إليه الوطن كبطل من أعظم أبطاله ، ولكن روحه كانت ما تزال ظمأى إلى النصر والخلود ، ولقد كانوا يحسدون طموحه كثيراً ، وقوة إرادته شيئاً ، وكان ينظر إلى نفسه الفكر ويتأمل فيها ، فيرى أنه أبعد الناس عن الحب ، فقد كان له خيال مشبوب ، وقلب ملتهب ، وعقل واسع ، ولكن فكره كان « بارداً » لا يسمعه بخاطرة الشعر والمناجاة الغريبة ... ذلك إلى الملل من الفتيات والأحاديث عن العاطفة والحب ، ومن تزويق الجمل والعبث بالكلمات ... ويملّ وسطحيين

« وكان يحب أن يشرد في الغابات متفرداً ، لا يخالط الصحب ولا يجتني الغناء ، ليبتعد عن جنون البشرية وسخافة أهلها

« وكان يستسلم إلى أمانيه ، ويصغي إلى همس خواطره ... إلى الهرة ، وينظر إلى الليل الطويل المعتدي ... ويصغي إلى صوت الطبيعة الخالق ، حتى إذا كان الصبح ، خرج ساهراً لينال قسطاً من الراحة التي حرم منها

« وكان يعجب باختلاف ألوان الطبيعة ، ... ويطرب لغروب الشمس ، ويصغي لأغاريد العصافير ، وخرير المياه ، ووهيب السيول . وكان يقضي الساعات في تأملاته ... في أعماق القلب .

« على أن سيرته هذه أبعدت أذهانه عن الحرب وعن النصر وأموره ... وكان يخيل إليه أن يهيب الشعوب وإسعادها خير من قتالها وقتلها ... ولكنه كان يسعى إلى التخلص من هذه الفكرة التي لم يجرب بعدها

« وفي هذه الفترة لقي كليسون أوجيني مع ... لها اسمها « إميليا » فعرفها ... وكانت إميليا كقطعة من الموسيقى الفرنسية يبحث الناس إليها يسرون ، أما أوجيني فكانت كأغرودة العندليب أو كقطعة من موسيقى « بازيلو » الإيطالي لا يعجب بها إلا العروس الرقيقة الحساسة

« ولقد كانت إميليا ترى الحب عبثاً ، أما أوجيني فكانت تعجب بالرجل القوي الذي لا يحب تحت سلطان الدلال والهوى ، ولكنه يحب لأنه يشعر بأنه بحاجة إلى الحب

« وسمع فؤاد كليسون ـ الذي اعتاد النصر والمناصب ـ هواه صيحة جميلة ، وأكسبه قوة وسلاماً ... فعلمت أوجيني أن عليها أن تحمل بيد الرجل العظيم ، ... ويكتب لها الخلود

« وزُفت أوجيني إلى كليسون ، وولدت له أولاداً ، ... اسمه « ... » ، وكانت أوجيني زوجة غيوراً ، تخشى شر الفتيات أن يفتن زوجها ... ولقد قصت عليه يوماً ، واعترفت باكية تقول : ... كيف يريد أن تصعب ... التي كانت ... ولكن نابليون ينسى زوجها ويقسم لها يميناً على العهد ، وليحطمن ...

« … ويسطر إلى الرحيل لتوه كئيباً إلى المعركة … فيترك أوجيني تنتحب وتذرف الدمع ، ويعبر مصراً بعد مصر ، ويظل شهوراً بعد شهور ، وكانت زوجه ترسل الرسائل إليه كل يوم ، ولكنه كان لا يعبأ برسائلها ، ويحاول أن ينساها ، فتوسل إليه « برنادوت » الضابط الجميل الذي كان في غير حياته ، يخشى من حاله ويدعو قلبه ، فأحبته ، وكان الحب « جسر الصداقة » ، ثم ما لبثت أن نسيت حبيبها الأول كليسون ، وانقطعت عن الكتابة إليه

ويذكر كليسون حبه … ويشعر … ويرى أن … ويحاول اليأس كله ، ويقرر الانتحار ، ولكنه يرسل إليها رسالة يودعها بها ويقول :

« وداعاً أيتها الحبيبة التي قضيت معها أجمل أيامي … بعد ذلك بين ذراعيك السعيدة المسكرة ، وارتشفت كأس الحياة وأطعمتها … الأماني للمتعة عبر الليل والسحر … لقد ذهب … في السادسة والعشرين من عمري الآن … ولكنك أنقذت بحبك الشعور … إن عند ذكرى … قلبي … أتستطيعين … ذكرى أيام كليسون البائس ؟ … أولادي … أوجيني … ولا تحملي إليهم … أنهم … ، ولا يذكروا … حياة الرجال وقضاء العصر … »

ووصل الكتاب إليها … ويشرد … بجرم ، ويلقى به بعيداً إلى الأرض … ومتفرج … »

تلك هي القصة الرائعة التي كتب نابليون وهو في … ، وقصة تزهر ، وحناناً … ولو أن هذا الفتى لم يسلك طريق الحرب ، لكان له في الأدب روائع ومراث … ولكان أديباً كأروع … ، … وظلال …

( بمصر ) محمود …

مصطفى كامل باشا

# له وجـــدان ...!

## للسيدة وداد صادق عنبر

حضرني اليوم مجموعة من الخواطر المتشعبة من هيكل باطنه له دافع قوي، وذلك لأني استلهمت ميراثاً من أبي الراحل، وكان مبهاً في صدره حب مقدس أنفقه على حماسة كشعبة عصره الزعيم الخالد مصطفى كامل باشا بجاذبية وإباحة الشعار من كتابه

حينما كان قد تهيأ بالأمس إلى الأمة في صورة الأبناء، فإني أعود فأتم ذلك القول بأن الصورة أيضاً في صورة الآباء

فإلى الزعيم الخالد أرسل هذه الكلمات، إلى مصطفى أبي العزيز أرسلها تحية خالصة

إلى روحك الطاهرة التي ترسل نور الشعلة يشع في عين كل مصري فيعرف ما لمصطفى من أيادٍ على الوطن

إلى وجدانك الحي، وكم من عزيز ليس له وجدان، أو ميت مات وجدانه قبل موته

إلى ذلك القلب الذي حمله بعض محب مصر
إلى خلقك الذي كان أمناً للوطن وعصمة
وفكرك الذي ما أسال إلا كل حجى وحكمة
عليك أيها البطل الأبي الذي جاهد حتى بلي في جهاده
سلام هذه الأمة وأبنائها
أي مصطفى

هذا هو الوطن الذي كان كل أملك النهوض به أبداً في مسالك التقدم درجات حتى أصبحت أنت كل ذكره مجداً

وهذه هي الأمة التي ألقت أمامها على عاتقك بالأمس تحمل ذكراك في قلب اليوم

وما هذا وذاك إلا شهود نفسك وشواهد إخلاصك
وهكذا كنت واليوم ذكراك تكون.
وهكذا ظللت تكافح وتجادل، حتى إذا استصرخك الكفاح، ولم يدع من قوتك الفعال، هويت في أرض الميدان، فإذا كانت حياتك عظة للشرق، فإن موتك أيضاً عظة للأحياء

ولكن، أين هم الذين يقدرون فضل المجاهد وحق المناضل المخلص في أمته الدائم؟؟

وأخيراً، أجيب نفسي: كيف هوانك وهم يقدرون؟

ها هم أولاء يقفون أمام تمثالك موقفين مكبرين، وتلك بأمور بهيجة

وها هم أولاء يسيرون في الشارع الذي أطلق عليه اسمك العظيم بعد احتفاله سنين طوالاً

أجل، لقد عرفوك وقدروك وذكروك وشكروا لك تلك الآمال المرجوة من الجهد على معرفتك عرفاناً بفضلك وإقراراً بحيويتك. وها هم أولاء يسرعون إلى الاحتفال بتشييد الذكرى الغالية

يا مصطفى

حسبك فخراً أنك يوم ظهرت لم يكن في مصر سوى مصطفى وحده.

ثم حسبك أنك نشأت حين كانت مصر مضطربة من الفوضى في ظلمات بعضها فوق بعض، ومن مظاهر عبث السياسة وتخاذل الهمم ونضال القلوب، فكنت الأمل الساطع الذي بدد هذه الظلمات فسيرها نوراً من المجد والإسعاد، وكنت القوة الدافعة الثائرة على تلك الصعاب التي زالت، بل وكنت بعد ذلك حظاً دار عليه فلك التاريخ المصري دورة جديدة.

لم يكن أشد كفاحك وما كان أجمل ما عب من الأمجاد، وما كان أشجى النغمة التي تبعث ... عزيمتك وقوة بيانك

بل ما كان أمر اللذة وأبعد المدى

ثم حسبك فخراً يا مصطفى أن كل مصري كاد يكون مصطفى في عقيدته

وحسبك أن مبادئك منيرة النفوس وذكراك مقترنة بتاريخ مصر والعروبة

وإننا كنا اليوم نرى ثمرة الجهود دانية تجري بها الآلاء من غرسها وتعهدها بالسقيا حتى أينعت الأثمار، والتي بعد قد نضجنا وهي بأيدينا شوطاً بعيداً متفائلين بتباشيره التي يحملها لنا الدهر في كل حين

يا مصطفى:

الآن وقد آن لك أن ... إلينا لا حيث تقدم للاستشهاد الموكب ... بل ... تعود مثالاً ومثالاً أعلى المجاهد في سبيل وطنه

مقالة

# في سبيل إصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى

لست في حاجة للقول بأن الأستاذ الجليل الزيات قد أحسن كثيراً بفتح باب مسألة إصلاح الأزهر؛ فتلك صيحة يحرك صداها القلب وأرهف لها الكثير الأزهريون أنفسهم والذين لا يعرفونهم ويشفقون أنفسهم وعالمهم. وكان من آثارها الظاهرة ما قرأناه من كتاب ثائرة على الماضي وما صح بين أطرافه، وأخرى هادئة رزينة يجد صاحبها بصره قبل أن ينقل قدمه علماً أنه لا جديد لمن لا قديم له، ولا عبرة لمن يتنكر لماضيه كله. ولعل أهم ما لفت النظر واستوى الانتباه حديث عنه الأمس في عدد الرسالة الماضي رقم ٢٥٨ كتبه الأستاذ المعروف محمود الشرقاوي فقد تناول الموضوع بأناة وروية شأنه في أمره كله، ونظر إلى الأزهر باعتباره وحدة من وحدات الثقافة العالية في مصر والعالم الإسلامي، وذلك شأن الباحث الذي لا يغفل عند بحث الظروف والملابسات وسائر العوامل البيئية.

ليس منا من لا يرجو مخلصاً أن يكون الأزهريون، علماء وطلاباً، مثلاً عالياً لما يجب أن يكون عليه رجل الدين الذي يعرف واجبه ويؤديه كاملاً، لا يرجو عليه جزاء ولا شكوراً إلا إرضاء ضميره وإحساسه بأنه رجل يحترم ما به من الإنسانية والرجولة. وليس منا من لا يعترف — ولو بينه وبين نفسه — بأنه دون الوصول لهذا عقبات ليس من السهل تذليلها في هذه الأيام. لهذه العوامل لا نغفل أسبابها، إلا إذا عمل كل فرد منا بتكميل نفسه، على أن يكون من عمال الإصلاح في نطاق أمره ومحيطه قبل أن ينادي به؛ فيساير النهضة العلمية، ويعرف أمر الكتب القديمة والحديثة، ويعرف أحوال إخوانه المسلمين والشرقيين ليحس آلامهم ويحمل آمالهم؛ وبكلمة واحدة يعيش في هذا العصر لا في العصور الخوالي وحدها. بذلك يستطيع أن يعمل بيده في بناء الأزهر الجديد على ما يريد المصلحون الغيورون.

ولكن هل من العدل أن نعيب على الأزهر وحده تخلفه أو ريثه في طريق الإصلاح، وأن نقارن بينه وحده وبين أمثاله من جامعات أوربا فنخلع عليه ثوباً قاتماً بهيماً يصرف عنه النفوس؟ من يدري كما يقول الأستاذ الشرقاوي إن أردنا أن نقارن بين الأزهر وجامعات أوربا، ألا ننسى أنه في مصر التي لم تبلغ بعد شأو أوربا في كثير من النواحي الاجتماعية والثقافية، كما لم يبلغ مترجمو الحركة الفكرية هنا مبلغ رجالات العلم والفكر هناك.

وإني ما كتبت اليوم بذكر مثال واحد ليس فيه مغالاة ومرة، ومنه يكون صورة لما عن يوم قد لا يبعد الأمل أن يمحى الأزهر من الوجود فلا يصبح له ذكر إلا في التاريخ.

عند ما كنت بباريس في الصيف الماضي رأيت أن أتصل ببعض علمائها المختصين في الدراسات الإسلامية الفلسفية، فبدأت بالأستاذ ماسنيون وهو من نعرف علماً ومكانة هناك ومن بعض كبار مدرسي جامعة باريس بالأخذ عنه والاتصال به، فتفضل واستقبلني في مكتبه بالسوربون بمنزله، وأصدقائي من وقته الثمين أكثر من ساعتين شغلنا في حديث علمي ممتع وتوجيه وإرشاد عن طلابه المصريين وعن قصده في الانتظار، وعرجت على أبواب أمور مهمات أخرى. وما كان أشد عجبي

---

الآن وقد عدت إلينا — وشتان بين الموقفين — عدت إلينا مثلاً حياً وفكراً رائعاً

فإليك تحية الوطنيين

إليك أيها الثورة الوطنية التي رفعت رأس مصر عالياً

إلى الشريعة المصرية التي أحيى بها عهد الوطنيين حالياً

إلى المقدام الصبور الذي أعلى شعور وطنه فأمسى في الأشعار مثلاً

إليك أيها المجاهد تحية أمتك أولاً وآخراً

وإليك مني هتافاً بذكراك — من مآثرك — من في وطنك الذي يبكيك وكرامته الذي يذكرك ويناجيك — من عواطف الصدق التي ومضتها روحانيتك الصادقة وجهودك التي نهضت بوطنك بها وحدها

فيحيي ذكرك الذي لم يكد يخرجك لنا من الدنيا جسداً هامداً حتى أرجعك إلينا فكراً خالداً

ولتحيى ذكراك حياة تكافئ جهادك المضني في سبيل الحياة

وداد صادق العنبر

# أسلوب الرافعي
## وطريقته في كتابته
### للأستاذ محمود أبو رية

عرف الناس من الرسالة الغراء جميل وفائها بصنيعها للشعور لـ «مصطفى صادق الرافعي» وشكروا لها احتفاءها بذكراه الخالدة مكتفية بإهدائها ما كتبت، ولا ريب في أن صنيعها هذا مع إمام من أئمة الأدب إنما هو وفاء للأدب الذي وقفت نفسها على حياطته والقيام عليه.

ولقد كان مما كتب في هذه الذكرى مقال بليغ لصديقنا الأستاذ سعيد العريان كان مما جاء فيه أنه قال عن طريقة الرافعي في تأليف مقالاته ما وسعه أن يعرفه، وأن ذلك مبين في كتابه «حياة الرافعي». ولا شك أن ما ذكره صديقنا سعيد صحيح لا ريب فيه، ولكن ذلك لم يكن شأن صديقنا الرافعي من يوم أن أمسك القلم للكتابة؛ وإنما كان ذلك في منتصف سنة ١٩٣٣ فحسب، ذلك أنه لما كتب مقال (فلسفة الأدب) في أسبوع عدد (…) أحمد يسأل أهل الفهم بالأدب من فيهم يحل الغلط ويقع في السؤال. ولما سألته عن سر اضطرابه بعرضه آراء الأدباء فيه أجابني بخطاب تاريخه ٢٦ مايو سنة ١٩٣٣ قال:

«إنما اضطربت عبرة الرأي في مقال فلسفة الأدب؛ لأني كتبته بطريقة لم تتفق لي من قبل في غيره، فإني لا أرتب كتابته بعد كتابة فصل أو اثنين اتكلت فجمعت أموراً تخطر لي وقتاً بعد وقت ثم أخرجت المقال من هذه الخواطر واختصرت كثيراً ولم أرد شيئاً. وهذه هي الطريقة التي يكتب بها كبار الكتاب في أوربا، ويمكن الوقت بجمعهم ولا يسعنا؟»

من ذلك يتبين أن الطريقة التي نسب صديقنا الأستاذ سعيد في كتابه «حياة الرافعي» من كتب الرافعي لمقالاته إنما كانت في منتصف سنة ١٩٣٣ فحسب، وكان مقال (فلسفة الأدب) أول ما كتبه بهذه الطريقة.

ولقد رأيت بمناسبة الكلام في طريقة كتابة شيخنا الرافعي وأسلوبه أن أوافي قراء الرسالة بمقالة هي من أسلوبه عندما سأله العالم الجليل يعقوب صروف: لم لا يكتب بلغة سهلة يفهمها كل الناس كما كتب في (تاريخ آداب العرب)

---

في صباح اليوم التالي حين أخبر أن عدد الأعضاء المطلين جاء يرد في الزيارة! أي والله سيدي القارئ! إني لا أمزح ولا أتزيد؛ فقد جاء الأستاذ ماسنيون العالم المتواضع الذي كنت فيه، ولم يعص على زيارتي في يوم وبيئة، شاكراً تفضلي – كما قال – بزيارته، وأصحبه إلى تصحيحه من هدية علمية من المؤسسات الشرقية والعلمية الإسلامية تنسى الكثير من بحوثه.

لم أنس بعد ذلك أبداً، هناك في الجامعة الحديثة. ورأيت بعد هذا، أو رأى زميل سوري كان معي، أن أمس نزور الدكتور طه حسين بك رجاء أن أصيب من علمه وتوجيهه ما يساعدني في دراستي، ولم يثنني من الرغبة في الاتصال بالأستاذ الكبير ما أعلمه من العداء بين الأزهر وبينه، وهو عداء ليس من صالح الأزهر ولا الجامعة أن يدوم.

اتصلت إذاً بالمنزل الفخم الذي كان فيه بالتليفون فقيل لي إنه ليس موجوداً وكان ذلك قبل الظهر. ورجعت الاتصال بعده فقيل إنه في … . وأخيراً اتصلت مرة ثالثة ورجوت محدثي أن يبلغ حضرة الدكتور رجائي أن يتفضل باستقبالي في الوقت الذي يحدده، وتركت له رقم تليفون الفندق الذي كنت مقيماً به، ومع ذلك لا أزال أنتظر الرد من الوطني الجليل!

أرأيت إذاً، يا عزيزي القارئ أنه من أول مطلب من الأزهر أن يكون أساتذته من جامعات أوربا، يجب أن نطلب من كبار رجاله وخاصة الذين عرفوا أوربا وتخرجوا في جامعاتها، أن يكونوا كرجالها!

ذلك خاطر أوحى إلي به كلمة الأخ الجليل محمود الشرقاوي على أني أرى أن ذلك ليس معناه ألا نطالب بإصلاح الأزهر! فإني أعتقد من صميم قلبي أنه من أشد الناس حماسة، وأن الأزهر في حاجة ماسة للإصلاح، وأنه واجب ديني ووطني أن يساهم كل قادر في هذا السبيل برأيه وجهده. إن الأزهر إن تخلف طويلاً عن القافلة فليس ذنب الناس وظلم الزمن بل من أحداث التاريخ، وحيث لا بد أن يأتي يوم آخر يعيد عهود مصر الخالدة ويرجع للعقل النهج الباقي للإسلام، والله يهدينا طريق الرشد

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

... فإني لو جربت في إنشائي كله محاكاة أسلوبي في «تاريخ آداب العرب» ومقالاتي الأخرى، ولو هممت بذلك أن أرده من نفسي، وأخرج عن الشكل الذي خلقته من أسلوب: حديث القمر والمساكين ورسائل الأحزان والسحاب الأحمر؛ ولكني أجعل كالمسحور في تلك القوة المسلوبة في أوقاتها وهي على كل ما يكون ويكون، ثم أفكر قط في كتاب من هذه الكتب، ولكن تقع المادة، فيجيء بها الكتاب، ثم أرى من بعد صورة ومنطق التأويل ... لم أكن أقصد صنعه وتقصر إلى آراء سخيفة الأدب وطلابه، فإنهم لا يعرفون منها الأسلوب عيباً في معناه وألفاظه ومعانيه، ثم لا يعيبه إلا من قصر عنه وخفي عليه الروح فيه وكابر في الإقرار بسحره، فذهب يلتمس المعاذير والمعايب، وأخذ في ذلك مأخذ فرعون إذ جاءه إسرائيل بمعجزة كانت هي وأعداؤه يعتبرون على ذوي (سحرة) لهم، فلنسب، فأمنت الشكيمة بها على هذا الذي يدعي الألوهية ويقول أنا ربكم الأعلى، وسأله أن يجيبها، فاعتبر بأن في السموات أحلاماً كبيرة أكبر من السحرة.

أرى المتأدبين يعرفون هذه الأساليب ما يعرفه رجال التربية والتعليم من أساليب إنشاء الصور ورياضة الذهن وتمرين الخيال وقوة الطبع السوي وصحة الإدراك الحسي ... ثم هم يقولون إن موضعه من هذا الكلام الحديث كالمئذنة التي ترى بها الأعلام المرتفعة في هذا المصر موضع الضرورة التي لا بد منها في الحقيقة لإبعاد القوى التي لا تكون إلا بالضرورة وإشعار الحية التي لا تكون إلا بالقوة. فنحن في زمن كل كاتب فيه قادر على أن يرسل معانيه ... سهلاً قريباً، حتى كل من يعرف القراءة هو كاتب إن صح أو فسد، وإن أصاب أو أخطأ، وإن أخذ اللغة والكتابة من صحفها وجرائدها ومدارسها، أو أخذها من الروايات والمترجمات والأسواق.

يقولون هذا ويصيحون إليه أن الفصاحة العربية كانت تنقطع أمثلتها اليوم، وأنه لم يعد يكمل أحد في صناعة الكلام، وأن زمننا هذا حين يذهب إلى مرآة التاريخ ينظر فيها ويرى وجهه مشوهاً مجدوراً مصمداً ملفوفاً بالخرائط ... وليس عليه مسحة جمال ولا فيه من الأدب منظر قوة، وأن اللغة أصبحت أشبه بالبيت الذي يريد أن يتقي لا تسمع من أهله إلا من جيرة ولا من السابقة في طريقه إلا وعقول تفتقر إلى الإشارة.

قيل الله يا سعيد الصبح أني ما كنت أفخر في صنعة البلاغة ... ولا تكلف بأجرها ولا لمقتضى إلى الترفع بها، ولم يجيء أمر الأدب إلا ثقلاً يمر بي بأسلوب كلم يشبكه أحدق ...

أما هذا الذي يسمونه غموضاً وتعقيداً فلست أنا صاحبه ولا العامل فيه، ولكنه طور من أطوار الزمن لا بد أن يتصل بصفة التعقيد كما سبقه من قبل. فقد كانوا يصفون به سيدي شعراء العربية صاحبة أبا تمام والمتنبي، حتى قالوا في أبي تمام إنه أفسد الكلام وأحاله وعقّده بصنعته ومناداته، وإنه أتعب الناس حتى جعل استخراج معانيه باباً مفرداً في الأدب يقتبس إليه طائفة من النقدة، وإلى أعرابياً سمع قصيدته التي مطلعها «طلّل الجميع» فقال: إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها وأشياء لا أفهمها، فإما أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه. وهذه شهادة بأنه أشعر من جميع الناس ولا ريب إذ مستحيل أن يصح الشق الآخر. ثم كان جمع من كبار الرواة يصفون عليه كابن الأعرابي والرياشي وغيرهما، بل قد بلغ من تعصب الرياشي عليه وعلى البحتري أن ظلت نسخ ديوانيهما البصرة في زمنه أزهد الناس فيهما. وفي المتنبي شراً ... في أسلوبه ومثله الأعلى الذي يقلده ويعطي عليه؛ ومع ذلك انحصر الشعر كله في طريقيهما إلى عصرنا هذا.

ولقد كان المتنبي تحوّل اسمه وغُفي من فرح الزمن أن كان يعيب البلاغة حيث يكون معه ... فقد قال فيه الإمام العسكري: لا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب ... إلا المتنبي، فإنه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها حتى ... ولكن جميع عيوب الكلام (يعني الصنعة) لم ترد على أن كانت من أقوى الأسباب في إذاعة حسنات الرجل.

إن أرفع منازل البلاغة العربية، كما تقرأ، أن يكون في قوة صانع الكلام أن يأتي مرة بالجزل وأخرى بالسهل، فيلين إذا شاء، ويشتد إذا أراد. ولا يبلغ هذه المنزلة أحد فيحكيها ويطلبها حقها من التدبر إلا جاهد الاقتدار وسيلة من وسائل حفظ البلاغة بسر الزمن ويسلم، بل تلك الأساليب الفصيحة المكشوفة بسر لغة القرآن ويطلبها غاية أسلوب واحد وطريقة واحدة مبلغ في قوة كل كاتب على تفاوت فيه، وإن يكون الرجل

من رجل ، لا إذا كان له مع الظرف والنين والسماحة حديداً من الصلابة وجلاداً من المظالم ، فهو لا يكون إلا البين حضناً والاسترسال خالصاً صفاً أسمعك الله فيه حتى ما سنت إلا أن تقول به رحولة . فإذا لم يدع كل الناس ولا أكرم هذه المنزلة فلك أحرى أن يعد في محاسن من يطلب لا في معايبه .

ألا لا يحسبن أحد أن الفصاحة العربية ملكة عملية خاصة من صاحب الطرب كهؤلاء الكتاب الذين يسطرون جهدهم في إسلوبهم ، فهم مهما كثروا تنتظرهم قيود بحورهم . وفي هذه البلاغة العربية خاصة يجمع الكتاب الواحد في عصر من عصور العرب بين ألف كاتب يتساقطون حوله ، وإنما الكاتب كان حسنة من حسن الكون تقترب من أسباب الجمال والقدر .

هذه هي قول شيخنا الرافعي من حمله عن أسلوبه وطريقته في كتابته تلك الرسالة وهي أحسن ما يعرف الناس هذه الطريقة من عرفه هو ويكونوا على بينة من ذلك . ولعل من تقدمه إيضاحاً للعجمة من دراسة أسلوبه وبياناً لجانب من ترجمته رحمه الله .

محمود أبو رية

# رســـالة كلية الشريعة

## الى الأســـتاذ الأكبر

تعودنا الاصلاح تقضي في الصحف عملا وفي الجامعين جدلا . وفي هذه الرسالة ومن تقرأه في بعض الصحف ابتهاء وبرهنة بمصداق ذلك ... الرسالة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فنحن أبناؤكم طلبة كلية الشريعة الذين يستظلون في ظلال عهدكم السعيد قد حرروا ما يجيشون به من حياتهم العلمية وعلاقتهم العلمية فاتفقوا على أن يقدموا إليكم هذه الرسالة لفضيلتكم يا صاحب الفضيلة — في عصركم الذهبي الذي يبذلون فيه جهوداً جبارة في ضبط حبل الأمور والتكميل من وجه الأزهر يستطيع أن يطل برأسه على الحياة العامة ويمارس رسالته ويؤدي أمانته على الوجه الصحيح ، وقد رأيت منه أن جهوداً من جانب آخر تقتصر على حياة الأزهريين رسالته ويعلوه عن الحياة العامة حتى المسائل وعرفت بعضها فتارة بتحسين حال القوم وأخرى بإنشاء معهد للبعوث الإسلامية ، ولا يبعد أن نسمع بفكرة أخرى في إنشاء قسم للوعظ والإرشاد وتحسين كليات الجامعة ، كما سعى العمل على تحقيق ذلك لولا عناية فضيلتكم ، وطوراً بالعمل على إلحاق كلية الشريعة بمحاكم القضاء في الأحوال الشخصية وفي البقية الباقية من التشريع الإسلامي وإحلال كلية الحقوق محلها بحجة توحيد القضاء ، وطوراً بإنشاء عدة إدارات للشؤون الاجتماعية وحرمان الأزهر من إدارة الشؤون الدينية ، بحيث يوجه ثقافة الأمة من هذه الناحية مع أن الدين هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه ثقافة أمة من حاضرة الإسلام والمسلمين ، ومن وراء العمل على إبعاد الأزهر من نواحي الحياة العملية نرى حملة صحفية تنادي بوجوب التخلص من جمود رجال الدين ! وما بين جهودكم التي تحاولونها وبين ما يلصقونه بالأزهر ، نرى أن الأزهر تتمه قائم في ماض في طريقته القديمة التي تتصف بمثله الحياة العملية أن هذه طرائق التفكير التي تجري في نظامه ، وأما هذه السهام الفاتكة التي توجه إلى حقه ، وأما الكشف عن أسرار التشريع الإسلامي وإقناع الأمة بصلاحيته لسائر المجتمع حتى تستطيع حماية الأمة من تقلبات الإباحيين وتحصين الأزهر من صدود المنافقين ! مشكل هذا لا تعطر تحية أحد من الأزهريين ، فهم إلا يجدون صيحات يسمعها في معاهد الجمعيات ودور المحاضرات وعلى أعمدة الأندية تنادي بالخروج من هذا الجمود ، وتحرير الفقه الإسلامي من هذه الأغلال والقيود التي ضربت حوله وحالت بين الناس وبين معرفة صلاحيته .

في هذا الوقت الذي تتردد فيه فكرة الرجوع إلى التشريع الإسلامي تجد طائفة أخرى من الإباحيين اللادينيين تناهض هذه الفكرة والعمل على إماتتها .

أمام هذا الصراع الذي تتدافع تياراته بين فكرتين متعارضتين ، فكرة الرجوع إلى أحضان التشريع الإسلامي والتمسك بتعاليمه ، وفكرة التمادي في الارتماء في أحضان الحضارة الغربية والاندفاع

في أبوابه لا يستطيع غير طلبة كلية الشريعة أن تقف في وجه هذه العواصف والزعازع موقف المتفرج أو الغائب الهيبى ووجها لوجه الخطر المحدق الذى يهدد مصير الإسلام وهو مصيرنا . فما أجدرنا بعد أن دوى في سمعنا من قلبكم الطاهر صوت الإسلام الوديع ، ومصحفنا رأسنا نحو الفقه الإسلامي الصريح ، أن نثبت سماحتكم وأنتم قلب الإسلام الخافق ولسانه الناطق ومثوال نهضتنا ومعقد آمالنا ننتصر إلى وكيلنا المرحوم وناعنا نعتاقنا نمشي مع روح العصر ونسايره والنهضة حتى نقوى على خوض معارك الحياة الحالية ونهض بالفقه الإسلامي إلى مستواه العالي

يا صاحب الفضيلة

١ — هل طلبة كلية الشريعة وحدها يجب أن يسترد الفقه الإسلامي شبابه ويستأنف ماضيه

٢ — هل طلبة كلية الشريعة وحدها يجب إنقاذ الأمة من مخالب القانون الوضعي وبيان فشله في نفع البرمين والمحكمة

٣ — هل طلبة كلية الشريعة وحدها يجب إقناع الأمة بأن الفقه الإسلامي هو دواء هذه الأمة المنكوبة وبلسم جراحاتها

٤ — هل طلبة كلية الشريعة وحدها يجب أن تحقق الفقه الإسلامي القريب وتجهزه النفوس وتحبب له الرؤوس

٥ — هل طلبة كلية الشريعة أخيراً يجب أن ينشط الفقه الإسلامي جناحيه على جميع مناحي الحياة التشريعية ويمد يديه في كل ناحية تشريعية

هذه هي التركة المثقلة بالديون التي خلفها لنا الأقدمون ، وهذه هي المسؤوليات الجسام التي يجب أن تقوم بها كلية الشريعة خير قيام ؛ وهل هناك من يستطيع حمل هذه الأعباء إلا كلية الشريعة التي أنشأتموها لتقوم بهذه المهمة وسط هذه الزوابع والأعاصير ، ولكنها بحالتها الراهنة لا تستطيع النهوض بهذه الأعباء ، وذلك لما يأتي :

أولاً : إن دراستها للتشريع الإسلامي دراسة بعيدة عن روح التشريع وبيان أسراره في كل باب من أبوابه

ثانياً : قصر دراستها الفقه الإسلامي في صور تمثل حوادث وأحوال أناس غابرين وعاشوا في عصر غير عصرنا وزمان غير زماننا ، وعدم استعانتها في دراستها بأساليب البحث العلمي الحديث

ثالثاً : عدم قيامها بدراسة القانون الوضعي

لذلك كان طبيعياً أن تشعر كلية الشريعة بوجود هوة سحيقة بينها وبين الأمة ، وبا سيما شقيقتاها من طريق الوعظ واللغة لا يجد نصيبهما في الحياة ؛ وإلا فأين هذا المعهد الذى يستطيع كما تذكرون سماحتكم أن يحمل عنا كل العصر ، وأين هذا الذى يستطيع أن يسير على نهج سماحتكم في التفكير ويفتح أبواب الإصلاح في القضاء والتشريع ؟

يا صاحب الفضيلة :

على الساحة تكون فضيلتكم قد سمعتم صدى هذا النقص في دراستنا يحمله صدى الطالبين في أوائل العام الدراسي القديم وهو الطالبان اللذان يريان أنهما وحي من وحي روحكم وأمنية من أماني أمانيكم

المطلب الأول : أن يحظى برنامجنا الدراسي بإلقاء سلسلة من المحاضرات الأسبوعية في موضوعات لها صلة بدراستنا وبحثنا كل الأمة ، ويكشف لنا النقاب عن كنوز الفقه الإسلامي الغني بأعظم الثروات وأحدث المبادئ ، وبه صلاحيته لإنقاذ الأمة من براثن القوانين التي تضنى الأمم في جميع مناحي حياتها الاجتماعية ، والسياسية والمالية ، على ضوء الحوادث المتجددة والنظريات الحديثة ، على أن يقوم بتنظيم هذه المحاضرات وإلقائها أكفاء ناهضون من العلماء الذين لهم جولات في هذه الأبحاث ووقفوا على أسرار التشريع ، وأحسنوا عرضها ، وعلى عيوب المجتمع ، ووضعوا علاجها

المطلب الثاني : بعث فكرة دراسة القانون الوضعي مقارناً بالقانون الشرعي

بإجابة هاتين الرغبتين تستطيع كلية الشريعة أن تنشر نشاطها في دائرة أبعد مدى وأوسع أفقاً ، فتشارك الأمة في تشريعها وتقنينها بعد أن تظهر الفقه الإسلامي قانوناً محكماً يصلح معه كافة مشاكلها . فبالرغبة الأولى يمكن الوصول إلى النتائج الآتية :

أولاً : إقناع الأمة وعلى رأسها المقتنعون الوضعيون بأن التشريع الإسلامي هو العلاج الوحيد الذى يشفى النفوس من عللها ، ويقى الجماعة من أمراضها ، وما أجدرنا بإحراز هذا النصر في مصر بعد أن أحرزه الأزهر في لاهاي

ثانياً : يحملهم هذا الرغبة تستطيع تطبيق أحكام التشريع على كل ما جد من الحوادث والمعاملات التي لا تنتهى . وبالرغبة الثانية يمهد لنا الطريق للوصول للنتائج الآتية :

إلى أخي الطنطاوي

# ولـكنها دمشق !...

## للأســـتاذ شكري فيصل

[ سيطلع القراء في هذه الكلمة بعض النواحي العاطفية ، ولكنهم سيجدون صورة من صور الصراع النبيل الخفي في الحياة ... ويسر أخي الدكتور زكي مبارك ، شيخ المحاولات والمطاولات في عالم الأدب ، يجد الصلة ... فلعلنا في حكمه العادل ... عن طرف الصحراء ]

« شكري »

أخي الأستاذ علي

الآن أرسلتُ بعد أن سحبت بها نفسين اثنين قضيتها عبثاً واضطراباً على حنين كاضطراب الشيء الهائم حين يترجح على أوراق الزهر الرطب في ربيع الغوطة العاشق ... ولقد أحسب الليل لأكتب لك ، وأنا لا أدري أي شيء كانت هاتان الصفحتان أكانتا تختلفان بالرغبة والحنين ، أم ترتجفان لوضع البلد المسكين ، أم تترجحان من فرحة القلب بالأمل للود والعمر القليل ؟ وعلى كثير أمثاله إلا هاتين الصفحتين ، ولولا هذا الشعر الذي أنت فيه كما عبث بي الشوق ، أو داعب بي الذكرى ، أو أطارني إليك ...

لقد قرأت زيارتك هذه التي سطرتها بعد تلك الغارة ، وعرضتها على القارئ ، فبعثت في نفسي شيئاً كثيراً ... ذكرياته وأحلامه ... ما كان أشد حرصي على أن أنسى ... وأطوي عليه ، وأكثرت في دمي صور الماضي البعيد بكل ما كان يصطرع فيه من آمال ، وما يجيش فيه من خواطر ... ونسجت حبها منه نحو الصبي الذي كنته ، ورحت أسلك من عهد ساعات تلعب فيها مع الزمن الدائر ، وجريت مع الأيام الهاربة ، ووراء هذه الصفحات المشرقة التي حفظتها بيدك في كتاب الحياة ، وطاردت ذراعيها وانحصرت في سعيها حيناً وفي شعاعها أحياناً ... ومضيت مع فرحتها حيث ، ومع شكاتها حيث ، ومرحت وفي قلبي حنين ، وعلى شفتي ابتسامة ، وفي عيني بريق من الأمل الضاحك

لقد عرضتني حيناً حين كنت أسير مع أحبابك بين المدرسة والبيت ... صغيرين وادعين ... لا نعرف آلام الحياة ، ولا نذكر مصاعب العيش ، ولا ندرك من هذه الدنيا إلا حبه للمدرسة ونعيم الطفولة وصفاء القلب ... مكنت نفسك للرواية ، ونمت بالعطف ،

---

أولاً : معرفة المسائل المختلفة للتشريع المصري والوقوف على مواطن الضعف في القانون الوضعي وكيف حاول المشرع المصري وضع العلاج ثم بعد ذلك تستطيع أن تضع يد الأمة على مصدر دائها وتضع دواءها وتضع لها من التشريع الإسلامي علاجاً على ضوء الظروف والبيئة الحديثة .

ثانياً : تستطيع أن تعمق فروع التشريع الإسلامي وتصوغه في قالب جديد لأن جمال الصيغة وحسن الترتيب هو عامل كبير في إقبال الأمة على أحكام الشريعة وشرف هذا الفضل يجب ولو أن سلفنا الصالح قد وصل في هذا من حيث وضع تلك الأحكام في الثوب الذي يلفت الأنظار إليها ، ويتمشى مع طرق البحث الحديث لما وصلنا إلى هذا المصير المؤلم .

ثالثاً - يجعلني هذه الرغبة تستطيع كلية الشريعة أن تجيب أصحاب النفوس بأعباء الحياة التشريعية وأن تشعر الأمة بحاجتها إليه وعظم الاعتناء به

مما تقدم يتبين أن تحقيق هذين المطلبين يمكن كلية الشريعة من الاضطلاع برسالتها التي فرضها الله عليها فتتخلص من عناصر الفناء التي تحيط بها حالياً وتتجدد من جمودها حتماً وتشق طريقها في الحياة وهي أقوى جهداً وأصلب عوداً

لهذا رفعنا رسالتنا إلى حضرتكم وكلنا أمل في أن تحظى بالعناية من حضراتكم وتنتظر الرضا من جانبكم ، لأنها ثمرة من ثمرات غرسكم وقبس من نور علمكم . أبقاكم الله للإسلام ذخراً وللأزهر فخراً

• • •

( الرسالة ) ... هذا إلى الأستاذ الأكبر قد وعد بتحقيق المطلب الأول . أما المطلب الثاني فرهن بظروف الدولة وولاة الأمور في فتح أبواب العمل أمام من يريد الحصول على شهادة عالية من كلية الشريعة

وتقبض عليها أوراقاً من الحنان ... لعرفت عنك الأخ البر، ولو حرمتني الحياة من نعيم الأخوة .. وأحسب إليك ذات يوم تكل مالي معي ... بكل ما يموج فيه وما يضطرب عليها . فكنت بعد كثير السؤال عني إذ غبت ، كثير النداء لي إذا حضرت ، وائتلفت صورة أحبك بي فضلك إلى صورتي فخلف منهما إنساناً واحداً مصدره أسمى الشعور، وأصدق العاطفة . ثم كانت إرادة الله فانصرفت أنت إلى بغداد ، ومضى هو إلى باريس ، ومضيت أنا إلى القاهرة وبقي « ناجي » وحده في دمشق يرى فيها صورة الصبا وصوائح الأنس ، وعهداً شبا بالروح والريحان

وفي خلال هذه السنوات كنت أشرب إلى شغفك الكبير، وكنت يتفتح في سنب آمالي وعواطفي ، ولقد أكبرت فيك هذا العلا وهذا الصبر، أما يا لك تشكر اليوم، وتقف هذه الفكرة على حين الصعلوك من حق الأحوال والفتيات ، مالك الحق ، وتطل الرحبة ، لا تأبه ولا تهتم ! ولكن سمح الله الشيوخ ، ولعل الشيوخ الطاقة عند غضبه يخففها الغضب فتعود عجبتك واستنكارك ..

* * *

— وهل كانت الأولى هذه الشبيه من الأدب ، وهذا الإهمال للعلم ، وتلك مرماه العجيلة ؟ وهل كنت تأمل من هؤلاء الذين حسروا في الظلام أن يدركوا النور ، وأن يفتحوا عيونهم له ، وأن يعطوا من الوحي « الأرضي » الذي يسوم في كل ناحية ، ويمضي معهم في كل ثقافة ؟ ومتى كان صحيحك بنا حين كنت بيننا صيحة الأديب ، وصيحة العلم ، إلا أنها ستصاحب غداً في معترك اللهجة هذا الإنكار وهذا الجحود . وأنه يجب علينا أن نصبر عليه ونصمد له ونمضي في مقاومته ، وأننا سنحصل في أيدينا مشاعل الدعوة الكبرى التي ربما خشي أن نمهي بها، ونحصحص الشر القديمة من أجسامنا فنكوى أكبده ونفتر الشر على أجسادنا ونالنا ما تال به جيوش المخلصين من الامتحان والابتلاء .. فلا يحبه عليك ولا تتحول عنها ، لأنها دعوة على ، والصدق والخير يريد أن تنبت من جديد في دمشق فهو الدنيا ، وشهر العالم

إن دنيا الأديب لن تخلو من أخلاط من الحسود ... حكذا قال لنا ... رأيك ورسالته لصاحب أوراناً من المسموعات ، وأسناناً من التعب ، حتى لكأن الله قد أراد به أن تصبره الشدائد ،

وأن يصقله الحرمان حتى يكون إنساناً أخرق إحساسه الرهف وشعوره النبيل، وعواطفه الصادقة

وهل غنم حياة الأدباء من هذا الصراع المتصل بين النور والظلام، وبين الحياة الكاذبة المصنعة ؟ ويحاربونك حين يحولون بينك وبين العمل ، ويحاولون أن يقصروك عن منصب « الأستاذ المدرس » إلا أنهم يصرعونك من الدعوة النبيلة التي تصبحت شروها ، وأكرت ثمرها ، ونشرتها في كل قلب ؟

نحن لم ننس هؤلاء الشباب ، وسيصحب أولئك الذين يشهدون مشاعر النشر وجماعته وغلبه . وسيبقى رسالة دمشق الثانية ، ومطمحها الأدبي ، وسندوق حرارة الحرمان اليوم لتسمع حلاوة الظفر غداً . ولن أنك ست وحدك في هذه الاضطهاد والحرمان ، ولكنها سبيل محسوم ، وسهم مسموم ، يقصدون به عباد الله الذين لا يستجيبون على الرؤوس الطالعة ! ومتى الناشر الشاق ، ولا الله تزول بهم ، وماذا يقول الناس عنا نحن هنا ؟ يستون بنا إلى القاهرة . أروع بلاد الشرق وأسرها لعب ، والنشاط تحيل مدينة من أكرم المدن ، ولعلة من أنبل الأمم ، ثم يحاولون أن يسووا بيننا وبين الطلاب الأخرى التي يوضعون إلى باريس وغير باريس ؛ فيحسبون لنا الرتب — والحياء يقل لسانك من أن أعرف الستة أجزاء من خمسة أجزاء من مرتب مبعوث ... كأن القاهرة بها آخر غير باريس . وكأن الطلبة بها كأنهم هناك ويحسبون هنا ... أهل ... ولم لا يحسبون ... في حوض الأزهر ، ولعل مقربة من سيدنا الحسين بتضاعف ثوابهم ، ويجزل أجرهم !

* * *

وأحسب أن الحرمان سيعقد بك ويرسالتك ؟ فلا يؤدي هؤلاء في التيه أكثر من الصراحة والحق ، ولكنك لن تمس من « رسالتك » ، ولن تتحول عنها — وإذا لم تجد في جنبات الوزارة ، ومجالات الديوان ، من يمت إليك بسبب ، أو يهمس بك في حق ... فتلك إرادة الله أن تكون صفحتك في كتاب الحياة بريئة ، إلا من نصرة وتأييد ... لقد افتتحت الحياة ، وصارعت أمواجها طفلاً ليس معك إلا والدتك عليها رحمة الله . ولقد علت أسرتك على كتفيك في هذا الخضم الهائل ، وعرست الأوان من الشدة ومن الشكة ، حتى مسحت منهم إلى هذه المنازل

السامية التي يحرسها – وأصبحت بين هاتين الرحلتين ما لا يعلمه إلا الله – وإلا هذا الصدر الصغير من إخوانك ، وتقلبت بين بيروت وبغداد والقاهرة ؛ وحفظ لك الناس صورة بارعة تعرضها هالات الإعجاب والإكبار والتقدير ، فليهنك هذا – ويهنك أنك صاحب في كل مشروع ، وأنك تقمصت شكل عمل منه كنت إنساناً في القاهرة ، وعاملاً في الطرق ، وقائداً وخطيباً في لهب الثورة وجحيم الاضطرابات ... فلا يعنك ... مع هذه الحلقة الصاخبة من الشباب ... أبعد من أن تحمد بهذه الحدود الضيقة من الوزارة والديوان ، وما عليك أن تلق اليوم هذا الضيق ، وهذا التحامل ... فذلك تأريخ لمرتبك ... ووقائع نشاطك

■ ■ ■

أما الشهداء ... هذه الأوراق المصرية التي يحصدها حين يترجون مساً لاذعاً للقبيح ، أو يمرون بين مصارع « قتل » ومصارع « وعد » – ويسودون بعدها من أهل العربية من ليس أكثر من أن يكون مثابة ( التعبك ) على ( مرآة الحكومة ) ... ولكنها لن تكون قط السبيل إلى قلوب الناس وتحير الزمن وسجل الخلود

■ ■ ■

لن تخلفك دمشق هذه الشيبة الصابرة الوفية ... ولن تجزيك عن البر بالشكر ، وعن الإحسان بالإساءة ، فقد منحت منها كل سور جمال ، ومواطن الجلال ، ومعالم الصحة – ولقد نشرت على الناس صروح الرائعة في مآذنها الشائقة ، وصب النعمة ، ومساجدها المترعة بالنور والتقوى ، وبساتينها للأنس والحسن والجمال ... ومواطنها الصادحة على رغم هذا الزمن العابس وإن ما فيه الآن من أوجاع ، وتجب من أذى ، لا يمس دمشق ولكنه يمر عنها ... فدمشق خالصة نبيلة ... آوت من قبل ألوان البشر ، وكانت الصفاء ، وفتحت صدورها للناس من كل مكان ، تلقاهم بالتحية الباسمة ، وبهاء الود الخالص ، وبرهم جب مرآة الراحة والصاحب والرئيس ! ... ولن تنسى أبناءها لأنهم كل ما أبقى لها هذا الزمن الغادر ... إنك قلبها تبرهم وتحوطهم ، وبهز لهم عرنينها ... ولئن حبست طائفة من هؤلاء الأبناء ، ومن هذا النور الذي ينسكب من وجوههم وقلوبهم ؛ فإن طوائف وطوائف أخرى تتطلع إليهم بأعناقها ... وإنها لتفتح لهم من حبات القلوب ، وأزهار الربيع ، وأنسام الأزهار ، مع الطير وإنها لترفع لهم مع سحب الأصائل في زرقة السماء نشيد الإعجاب. وإن أصوات المآذن التي تدوي : الله أكبر ، الله أكبر ، خمس مرات في اليوم ، إنما تنبعث من أعماق قلب هذه المدينة لتهيب بهؤلاء الأبناء أن يمضوا قدماً في دعوتهم وجهادهم للأحساب من معاني الباطل والضلالات

■ ■ ■

لقد هدأ الليل ، وسكن الناس ... وأحسب أستشعر هذه النسمات بعض الشدو ... وليس من حولي إلا حديث القمر ، وحساب النجوم ... أحملها كل حنيني إليك ، وللإخوان الصابرين ، والمدينة الحاسمة ... والمحلة الزهراء

وألف تحية وسلام يا دمشق الحبيبة الوفية

( القاهرة ) شكري فيصل

---

وزارة المعارف العمومية

إعلان

المدرسة الثانوية الأميرية بتريبس ببلاد الملايو في حاجة إلى مدرس من خريجي دار العلوم يتعاقد معه لمدة ثلاث سنوات ترتب له عشرون جنيهاً مصرياً في الشهر عدا المسكن ومصاريف السفر

فمن يرغب في هذه الوظيفة من خريجي دار العلوم ممن زاولوا مهنة التدريس في المدارس الأميرية أو الحرة مدة لا تقل عن ثلاث سنوات — فليقدم طلبه لإدارة المستخدمين بوزارة المعارف على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح في ميعاد لا يجاوز يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٤٠ ٦٦٧٤

# تأملات

## للأستاذ محمود السوقي

خابت آمالي إلى اليوم مرات ، فكانت كل مرة تذهب بقطعة من نفسي . والأمس تلقيت الدرس الذي لم يكن مفر من تلقيه ؛ فالحقائق لا تتغير وتصدم وتدمي في بعض الأحيان ، لكن فيها شفاء النفس بعد حين ، وقد تركتني صدمة الأمس صريعاً بين أشباحها من السعادة ، والتي وجدتها حتى اللحظة ؛ وجرح صاحب الأمس كبريائي ، وعرفني بالحرب ، وأطلعني على الحق الذي عمي إلى الآن على الأوهام

أنت يا فتاتي قاسية لأنك غبية ، ورحيمة مع ذلك لأنك من بنات حواء ، وقد تركتك بالأمس لا أعلم ، أإلى ملاذ أم ساعي كبريائي على حين مكرك الفراق ، والفراق من أمر ما أن تحقق بعد الآن

لقد حاولت جهدك أن تكوني منذ زمن إلى غاية حدود التهذيب ، لكنك لم تحاولي مرة أن تكوني لطيفة

كل وجهك كقطعة من الرخام ، لا تعرف النفس بإزائه ، وكان مثله كمثل تلك التماثيل الكامنة فيه ، ولا يدلني على شيء يهديني إلى الصواب . فكنت به الإعجاب فكنت ، وكنت به الإعجاب مكاني ؛ ثم حاولت أن ألتمس في معنى من معانيه عزاء ، فأعيتني فيه ، لكني لم أنته إليه ، تبين وجه ذلك المصطلح المتحمد من العاطفة الخافقة فيا يحب

هنا هو عن المرأة التي لم تعلم ضبط النفس من أمها حواء ، وإنما [illegible] من [illegible] الأبناء ، أبناء أبينا آدم ؛ وقد كنت مني قريباً إلى حد ، فكنا إلى حد ؛ لكن الطرق يطلق بالحكيم ، ولا تقضي الحكمة بالطرق الثاني

ترى [illegible] رأيتك اليوم ما أنا فاعل ؟ أكبر الظن أني سأحاول أن أكون فتاكاً [illegible] أن أكون متهالكاً ضعيفاً ، وسوف تعود [illegible] إلى [illegible] ، وأعود [illegible] ، وتشاورين [illegible] ، وإني أثور يوماً [illegible] الحس ، وفي أمور أبداً [illegible] النفس [illegible] بعدما مست نفسي وعقلي

حولت بالأمس ، وإني لشعرت بخطر [illegible] أن أرجع عنك [illegible] ، ومكرت في [illegible] لم أصل ، وكنت [illegible] مشتاقة مني نأتيني [illegible] ولا [illegible] استقلالي حتى [illegible] . وقد تورمت وأنا مستلزم الرحيل إلى غير رجعة لم يصبح الصباح حتى كان حديث النفس إلى ختام ، وكانت [illegible] قد تبلورت في عزم أكيد

[illegible] يا فتاتي أن تظهري اليوم أو غداً بأن ناس مع نفسي رغم [illegible] ، وأحب أن [illegible] في الوقت [illegible] ، لا أعلم ما أنا فاعل . ولكني أعلم ما أريد ، والخطيئة [illegible] أحياناً إلى الخير ، وهو خير سوف أشربه حلواً ، فأنكر فيه نفسي ، وأتنكر لأنسى حبي المنكوب . وقد دعيت آمالي بك إلى المرة التي يتردى فيها المحرومون [illegible] إلى تجاربهم في أنفسهم تجارب أخرى بالسرع [illegible] في هذه المرة [illegible] وقد [illegible] يأساً قاتلاً ، كالقمح الجائع [illegible] ، والسرور من [illegible]

وإذا جاز للعاصفة أن تهدأ فقد جاز لنفسي أن تسكن وإن [illegible] كما هو العاصفة [illegible] . وإنه [illegible] تجاربي وأخلاقي غير [illegible] لم [illegible] إلا [illegible] ، وكنت أجمع ما [illegible] كل مرة لأحد [illegible] في أمر [illegible] ؛ فاليوم يضيق [illegible] الأفق [illegible] الصدر ، ولا [illegible] متنفساً إلا في أن يأكل النفس التي [illegible] وأقسمت حتى يأتي اليوم

إنه [illegible] ، وإنه [illegible] ، وإنه [illegible] ما تخلف العاصفة من آثار بعد حين ، هو الحب الماضي وهو الحب المحروم

محمود السرقي

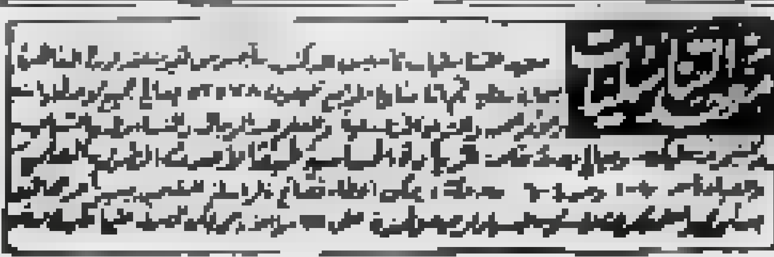

## رسالة الشعر

# رجال ونساء

### للأستاذ علي محمود طه

[ للشاعر المصري الأستاذ علي محمود طه ملحمة شعرية تقع في نحو ثلاثمائة بيت من الشعر لم تظهر بعد، عنوانها [illegible] في البيت الأول، صور الحوار فيها بين شاعر وملك وأرواح حوريات في أعظم الجنة. أما موضوع الحوار فهو الحب وأثره في العلاقة بين الرجل والمرأة، وما أثر الطبيعة فيه، وكيف تحلم الأرواح التي حولها في أخيلتها التي فاض بها الشعر أو الحب. وننشر فيما يلي هذا المقطع الذي يصوره الشاعر على لسان الأرواح ]

بيليتس:

هو الحسن فتانه العبقري ... هو الحب سلطانه القاهر
تهيم لفتنته في مدى ... ومثالهم [illegible] ساحر
وألحانهم من صدى للعروق ... يرتلها الوتر الساحر
ووثباتهم [illegible] ... فإن جحدوا فهم الشاعر

* * *

طبيعة مثقلة بالجمال ... ترى فيه معبودها تلتهب
هو الرجل القلب، لا غيره ... فأودعها القلب [illegible]
أتى به الشرق [illegible] ... وأجمل فيه الهوى للورى
إذا ما افتتن هذا السواح ... فقد صح الكون واستقبلا

سافو:

ويكثر هذا في طبعنا ... لبانة يسمونه بالرداءة
وإنهم صراحة [illegible] ... تجدي عليه باسم الشجاعة

[illegible]:

ورثت فذاك ذل الرجال ... ولو أجبرتا عليهم خداعه
[illegible] ... ولي رقة المرء سر الشجاعة

سافو:

أطلق الأحاديث من [illegible] ... تلقيه أعطاف [illegible]
جعلنا مطمح سلامه ... كأنما يشعب بشكوى [illegible]
طوينا على حبه شاعرا ... كثير أغانيه [illegible]
أطل اللاذقية في قلبه ... ونرتع في سحر الأريكة

بيليتس:

عجبت له كيف جاز الحياة ... وهام الملأ للطامي؟
أيمرح في الكون شيطانه ... بلا وازع ولا زاجر
ومن الوهم سافو ولا تخبري ... طيبي سحرة الشاعر
[illegible] عجائبه ... [illegible] الساحر

[illegible]:

[illegible] ذاك الخيال ... تصبح [illegible] النجوم
[illegible] ... وقد أعطاه [illegible] الوجوم
وقبلي [illegible] ... يسري الهوى [illegible] الكون
[illegible] ... [illegible] الحزن

[illegible]:

[illegible] عند التقى ... وأعجب منه الذي تذكرين
كأن أحاديثه [illegible] ... [illegible]
إذا كان الشعر عند الخيال ... [illegible]
[illegible] ... ورجعت على الأرض [illegible]

سافو:

[illegible] بالشعر شيطانه؟ ... [illegible] شاعره!

بيليتس:

بل الشعر [illegible] ... [illegible] الآسره
وما [illegible] وشيء الخيال ... [illegible] الساحره
[illegible] في الحياة ... وسحره [illegible] في الآخره

[illegible]:

[illegible] هذا الأمل ... وهذا [illegible] من جبل!

بيليتس:

[illegible] الهوى والجمال ... وأحببته [illegible]

وزوّده جُبّـــةَ الراهبِ ... وأخرجه زِمْنَاتِ الهيكل
إلى أن تحرّقَ أعصابُه ... ويصرعه طائفٌ من خبَل

● ● ●

وآخرُ يصعد الرعبَ مجرمٌ ... هناك على شُبَّهِ المشاربه
وأحرِص على قلبه رحمةً ... من الشرِّ ريّاقةً بادية
شئتها صرومُ شرايينه ... ووقفتُ بها روحُه النائيه
تحبُّ إليها قلوبُ الرجال ... ترجع بالشوكة الناميه

● ● ●

لا تَجنّبُ الليلُ الأحبَّ ... كمي من القُبَبِ المعطَّرْ
تُوزِّرُ الشياطينُ من عطرها ... كسحرةِ الكاهنِ المُنَمَّرْ
بها استفاقَ الرجُلُ العبقريُّ ... تحوّلَ كالأصواتِ الرجِرْ
تصيحُ البلاغةُ من حوله ... ينتظرُ كالفتيمِ المبسم!

تايس :

هي الشمسُ أرلاكُ من مُلْكِه ... وهاء الأزهرِ ذاتِ البروجْ
وعينُ للعالم في جانبيك ... لُبُّ الثرى والبهيِّ المروجْ
في مجونٍ إذ ما نُعِيتْ ... وراحةٌ من بيتِ الزوجْ
ألم تسمى بهجةَ الساحرينْ ... وما خُتِم القومُ بعد الخروجْ!

● ● ●

يا منطقَ الرعي من صحبهم ... وحبُّ عليه رنينُ الطربْ
وشدّوا الصوتَ إلى صُبحهِ ... تنقلُ في حيرى تعبْ
تراني بأحصاءِ عادةٌ ... أخذ صباها شربَ اللهبْ
جنونُ الحياةِ وأهواؤه ... ترتّبه ورنيقُ الذهبْ!

● ● ●

فأين من القوم سحرُ البيانِ ... وصيحةُ موسى قتيلِ الوداعْ
هم الناسُ لا يعشقون الجمال ... إذا لم يكنْ سافراً للمتاعْ
هم الناسُ لا يبصرون الجلال ... إذا لم يكنْ نشوةَ المتاعْ
هم الناسُ لا يألفون الحياة ... بيوم يكنْ مترعاً للصراعْ!

ساحر :

تعاليــه بعضُ أحبتي ... وقد صاحها العبقريُّ الصَّناعْ
وأوصافُه صُورُ الساريات ... إذا ترى الحقَّ عنها انصدعْ
أبالشعر تخرجُ هذا الفتى! ... أرحتُ إذن وصحبِ الطبع!

أليستُ له حسبُه الأولى ... وبهوته الدنيا [illegible]؟

تايس :

وجدتُ النفسَ فلا تنسها ... وكنَّا العطبَ [illegible]
لقد رتّلني صوتُ الرياحِ ... [illegible]
تمرّتُ في من ذكرى وعدةٌ ... كأني بيتُ به [illegible]
أتاليس ما كنتُ مثل الزوج ... ولا بُعثتُ أمامهم [illegible]!

تايس

وكنتِ معلومةً في بيتهم ... كأنهم صعقتُ المنكرْ
وما تحطّ الصيف[1] ألوانه ... ومكّنه النبيُّ الأحمرْ
أرومُ كما زعموا أنّهم ... وجوهُ أتهم للبشرْ
لم أحببْ تحكُّ الجلالَ ... وأتكده بالهوى تشعرْ

● ● ●

لهم نارُهم في نفاس الضحى ... وأيامُهم في أعالي الكهوفْ
ورقصٌ كمثل عشب الحياة ... إذا ما استحصَّ بنقرِ الدفوفْ
وأنّ نغمٌ فيه الربيعُ ... ويسكبُ سحرَ الليالي الحتوفْ
وسحرُ الطبيعةِ في عُرْبها ... إذ هناك السحرُ منها الشفوفْ

● ● ●

تُقرّرُ فيهمْ معبودةٌ ... وصوتُ عطرتهم والنغمْ
يعيش صحباً بأرواحهم ... وإن عاش فيهم بروحِ القدمْ
له باسٌ قد صار[2] وإعلاؤه ... إذا اضطربتْ روحُه بالألمْ
وريّقه هيولى[3] في خدوده ... إذا صاحَ خاطرُه بالنغمْ

● ● ●

ألا فليكنْ لكِ من عهدهمْ ... سحرُ الخلى وعتوُّ الخيالْ
ألا فليكنْ لكِ من سحرهمْ ... فنونٌ تُعطِّلُ سحرَ الليالْ
ألا فليكنْ لكِ من نارهمْ ... وشاحٌ مؤلَّفةٌ بالظلالْ
إلى الأرضِ فاخشى السخْ ... وكوني بها فتنةَ الرجالْ!

(يتبع)

---

(١) الصيف الشمسي وهو مؤلف من الألوان السبعة المعروفة وأحمرها اللون الأحمر

(٢) هادا أعظم آلهة الغابر المسيطرة على ليالي الربيع وخاصة في جزائر البحر الغربية ويعرفه بعضهم القائمة من الرحل الذي يحيي حفوله الغابر ، وهي مقاصر عشبة وراق الربيع وصرف الأزل الأرضية

(٣) من جزائر اليونان مشهورة بوصيفاتها الساحرة التي تسمى بالمراقص

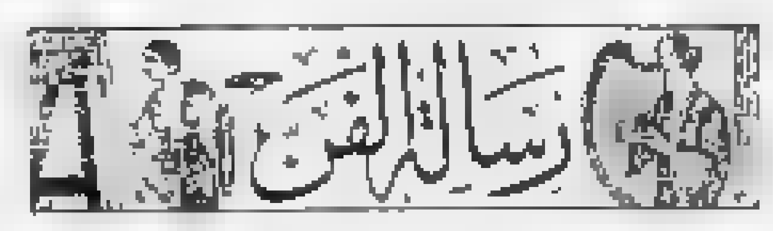


خواطر وذكريات

# عندنا فنانون ... ولكن!

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

٥ — من الموسيقيين

## مصطفى بك رضا

الفنان المصري الوحيد الذي له تمثال منصوب في معهد رسمي من معاهد الحكومة. فهل الحكومة تسمع من الموسيقى ما لا نسمعه نحن الرعية؟ وهل سمعت الحكومة من هذه الموسيقى شيئاً لمصطفى بك رضا لم نستطع أن نسمعه نحن دون أن تقيم له تمثالاً في حياته مع أن هذا أمر نادر جداً يكاد يكون منقطع النظير؟ فإذا كان الأمر كذلك فأين هي حكومة هذه الموسيقى التي ينتسب مصطفى بك رضا إلى الفن بها؟ ألم يكن الأجدر بها أن تكون أول ما تكون في ذلك المعهد الرسمي الذي أقيم تمثال مصطفى بك رضا فيه؟ أليس في ذلك المعهد شيء من مصطفى بك رضا إلا التمثال؛ فهل هذا التمثال يغني في وقت من الليل أو النهار لا يعرفه أحد غير الحكومة، فتذهب إليه في ذلك الوقت لتسمع غناءه في استخفاء مخافة أن تحسد آذان الشعب منه نغمة، أو تنال آذان الشعب منه سعادة؟ هنيئاً إذن للحكومة!

أو قل هنيئاً لمصطفى بك رضا، واعلم أنه كما استطاع لنفسه أن يقيم تمثالاً في معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية من غير أن يكون له في الموسيقى إلا أنه يعرف أن يعزف بعض المعزوفات على القانون ... فإنه يستطيع كذلك أن يقيم لك تمثالاً في كلية الآداب مثلاً إذا ثبت لديه أنك تقرأ الجريدة فقط لا أكثر ولا أقل ... فإذا كانت لك رغبة كهذه فما عليك إلا أن [illegible] على الدنيا كلها [illegible] الناس منه على الأعمال [illegible] بين المعهد، ولجنة الإذاعة، ووزارة الأوقاف، و[illegible] السيد نفيسة ... ومهما يمسك شيء فإنه [illegible] حتى لو رأيت نفسك منحصراً في الحد [illegible] لا يجمعه إلا إلى شيء واحد وهو أن [illegible] خيراً مما رأى كثيراً

## الأستاذ عبد الوهاب

مسكين هو مع مصطفى بك رضا كلما رأى موسيقاه ملأت البلد، وسمعها الناس هنا وهناك، ورأى الحكومة مع هذا كله تنكره فلا تنزع من معهد الموسيقى تمثال مصطفى بك رضا لتقيم مكانه تمثاله هو، أو تقيم له تمثالاً مع تمثال مصطفى بك رضا — كلما رأى هذه الحال ضاق حرجاً وعجب للموازين التي يوزن بها الناس في هذا البلد.

ولقد اهتدى أخيراً إلى فكرة أنقذ بها نفسه وأظن أنه لا يساوي بها مصطفى بك رضا، بل إنه وصل بها إلى حيث لا يستطيع مصطفى بك رضا أن يصل بتمثاله، ذلك أن الأستاذ عبد الوهاب أقام لنفسه تمثالاً ناطقاً، ثم صوره بالسينما وبثه في أوائل [illegible] فهو يعرض على الناس كلما عرض [illegible] والتمثيل كما [illegible] يخرج القطر ويخرج القطر، فيراه الناس هنا وهناك بينما تمثال مصطفى بك رضا لا يراه إلا الذين يزورون المعهد الموسيقي فقط.

صحيح أن الناس يرون الأستاذ عبد الوهاب نفسه في الفيلم ويسمعونه، وأنه لا لزوم مع هذا إلى التمثال! ولكنه تنافس الموسيقيين في تشجيع إخوتهم النحاتين

## الدكتور الحفني

هو موسيقي من قرني رأسه، ولكنه يعرف ما لا أعرف من تاريخ الموسيقى، والآلات، وأصحابها، وشتى شئونها، وهو يختلف من حيث أنه لا يجمع شيئاً منها، وإن كان يكثر من الحديث عنها، و كثيراً ما [illegible] الدكتوراه [illegible] من ألمانيا لا من هنا [illegible] من ألمانيا

## ٦ — من الشعراء

### الأستاذ أبو الوفا

كان رقمه الأول بين عشرات الشعراء الذين تقدموا للمسابقة الأناشيد الحماسية التي نظمتها وزارة المعارف ، فنال جائزة المسابقة

### الأستاذ أحمد رامي

في يوم من الأيام قال في أغنية غناها الأستاذ عبد الوهاب :

تنال نفس شيئاً مرقاً ومثل بين آلة الفنون
أرتل فيك أشعاري وأمتي إلى زيفك العذب الحنون

... فكان شاعراً راشداً ، وهو اليوم يقول في أغنية للأستاذ عبد الوهاب أيضاً :

تذبل وتحنى وتطلع كورتي !
تعود مرة ويسدن موجتي !

يا ورد

. يحترق ! أنجاه الله وبعده شاعراً راشداً . أو غيبته الله هكذا فإن الشعر حسب ! أو غيره الله هو بما يشاء

### الأستاذ محمود حسن إسماعيل

الشاعر الذي لا يزال مصرياً والذي أدعوه إلى أن يقوم بإحساسه ثم بشعره لغرس الناس حتى يكون شاعراً إنسانياً . على أني كنت أدعوه إلى هذا فإني أحب أن أطلب منه ما يجب هو لا تخالط الناس إلا لتسخر منهم ، لأنه يعتقد أن الناس لا يعرفون إلا تسخر بعضهم من بعض ، فلو ظل على هذا لظل شعره بعيداً عن الناس الذين لا يباشرهم بنفسه فلا تتصل بهم نفسه ولا يحركهم شعره

فهل عنده العزم على أن يبقى هكذا شاعر القمح والنور والشادوف وغيرها وغيرها وما يشبه هذا ؟

إن عليه أن يحوب نفسه منذ الآن على أن تحب الناس وحياتهم رغم ما فيها ؛ فهذه التي فيها هو موضوع الشعر ومورد أطايبه ، وهو شاعر

### الدكتور إبراهيم ناجي

لم يكن هذا الشاعر يستطيع إلا أن يكون هدماً عن أي اتجاه من الوجود بل أي من من الفنون ، فله نفس مضطرب الروح والراحة واللعب ، وهو على العكس من صاحبه محمود . يحب نفسه بكل ما حسن عنده ، وإنه ليحسن عنده كل ما يزيده شعوراً في شعره ؛ إنه يحب هاتف الحسن ، وإنه يحب رائحة الحسن إذا سما الأدب

## ٧ — من الرسامين

### الأستاذ عبد السلام الشريف

عنده أسلوب ، وبعد هذا أسلوب ؛ وأسلوب عقله يؤدي به إلى صرح لمواطن الإخلاص والرصانة والرمز ؛ وأسلوب ذهنه هو الرمز فهو لا يستطيع على ما اعتاد أهل الفن أن يسلطوا عليه . له رسم صور الصبا أنا ذات طفلين ومسح أحدهما عن الآخر ، فالرسم يرسم عادة لا يشمله شيء إلا الرصانة ، والأمر متجرد هذاء ولكنه لا يريد في جرمه على أن يحط شخصه . فلو كان الملقنه يعرف قلب الأستاذ الشريف ، لكان قد صبه قصة في وجه من هذه الوجوه الثلاثة ، ولكنه شرها جميعاً ورصانة ورضا وإخلاص الحق ، فأشتها حين ترضع من ترضع من أبنائها ، وحين تنتقل من تلمس منهم ، لا تنتقل هناك من ميل إلى طريقة أو الظلم وإنما هي أم ، والطفل الذي يرضع .. يرضع وهو لا يقصد أن يظلم أخاه الذي أخذ أمه ، والطفل المهمل نفسه كان عند الأستاذ الشريف حكماً يحط عينيه بإذا أخل ، مرآة رمزاً مؤمناً أن يشبع أمره وأن ستعطف عليه بعد ذلك أمه

هذا هو أسلوبه العقلي

أما يده ، صريحة رشيقة خفيفة ، لا أثر في خطوطها ولا رعشة ، وإنه من الهواة تجري بها يده على الورق فتمنح الصورة اللازمة لعنصر الفكرة التي يريد أن يؤديها ، وهو بعد ذلك يترك الناظر إلى صورته يكمل من خياله ما كره هو أن يصنعه ، ويحرم بتقصيه إلا قدرة أي الناظر في صورته على أن يستحضر منه

## ٨ — من الخطباء

### الأستاذ فكري أباظة

يتوقع من هذا الرجل تفكيره ، ولست أدري متى يوحد نفسه ويتجه بمواهبه إلى صعيد واحد ؟ هو الآن محام ، وصحفي ، ونائب ، وهو فوق ذلك كله — كما قلت عنه مرة — أبياتة ! يجهد بالمحاماة سكل أبياتة من أعمد العاملين في ملهاة المصرية العامة

والشيء الذي لا أشك فيه هو أن أعظم ما وُهبه الأستاذ فكري هو قدرته على الخطابة ، فإن له شخصية عجيبة ترتاح إليها النفس ، وإن له سرعة خاطر يحسد له الأريحي ، وإن له عقلاً جباراً يسعفه بالفكرة التي يضرب من أجلها بحكمته ، وإن له لساناً ليناً يطاوعه ويمضي بأمره فلا يتعثر ولا يجوب ، وإن له إلى جانب هذا كله فناً يكدس عليه الأستاذ فكري عقلاً واحتفالاً من أمثاله للنكتة المبتكرة ، ومع ذلك فإنه لا يزال يحس نحتها حياً

### الأستاذ مكرم عبيد

خطيب الجماهير بلا منازع . أول ما يعمد إليه في وصف الخطابة هو أن يسكر سامعيه ليقول لهم بعد ذلك ما يريد ، وهو يجد عنده من خمر البيان أو سحره ما يذهب بالعقول ما لم يكن ركزه ركود الأحلام ، وهو لا يدع موقفه الخطابية المعتادة ، وإنما هو يعد لها العدة يحددها ، فيكتب خطبه ويحفظها ويلقيها ، ويقوم أمام الناس يلقيها فإذا هم عواصف وعيد لهم أن يكونوا عواصف ، وإذا هم نسائم وما يريد منهم أن يكونوا نسائم

### الأستاذ يوسف وهبي

مسرحي إلى حد كبير في خطابته ... خطبه يوماً في مسرح البلدية في الإسكندرية يرثي سعداً عقب وفاته ، فرأيته يلوح ويلوح بالمنديل و « الطربوش » فيكبر الجمهور للرجل ويعجبه من القول ، ثم صمت قليلاً حزناً على سعد فانطلق يجهش ويقول حتى أحس الجمهور أن الدم يجري في عروق الأستاذ فلأها حرارة وحماسة ، الأستاذ « الطقطوقة » ومضى وحماسته تزداد ، حتى اصطكت الناس لتسقط حيث خلفه هو أيضاً ، ثم راح يخلع الطربوش ، ثم أخذ يهز يده أن تخف في المسرح ويضرب أرضه برجله ، وكأنه يريد حتى ثم بادر يعصر المطلة نفسه من منديله ووضع الطربوش على رأسه ، ثم صمت مدة قليلاً ولوح بالمنديل ثم نثر على « الطقطوقة » على عنقه ، ثم عاد وجلس في مجلس حتى كان يشكر الرجل في نهاية ساعته كما كان يشكره في بدايتها ، فكان بحقاً فناً مسرحياً كما رأيت ، وباهراً كما رأى الجمهور

## ٩ — من المعلمين

### الأستاذ إبراهيم مصطفى

أستاذ النحو بقسم اللغة العربية بكلية الآداب . هذا العلم وهب نفسه للنحو ، وهو يحب النحو الذي أودعه نفسه تلاميذه فإذا هم يعتقدونه علماً حياً فيه روح ، ولا ريب أن هذا أعجوبة من الأعاجيب ، فقد كان النحو ولا يزال من أثقل علوم العربية وأشدها على النفس ، ولكن الأستاذ إبراهيم مصطفى يحببه إلى النفس ، لأنه لا يرجعها به رجاً ، وإنما يبسطه عليها بسطاً ، فهو يعرف أن اللغة العربية عانت من تطورت به الحياة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من اختلاف اللهجات ، وهو كل لهجة من هذه اللهجات بعرة خمسة أو بعرتين . وهو يدع هذا حتى يسلك بطرف عنيد في نفوس تلاميذه ، ثم لا يلبث يتابع معهم مسالك هذا الطريق صعداً إلى الأصل العربي حتى يجد تلاميذه الأخذ عند النحو مستبداً ، فلا يبقى أمامه إلا مواجهة المطالب الصعبة الآن

ولا يمكن أن يطبع علم النحو في أكثر من هذا ، ومن أن يؤمن من يتعلم على يديه بأن النحو العربي هو الوسيق المنطقية للذوق العربي .

عرفت أحمد فهمي

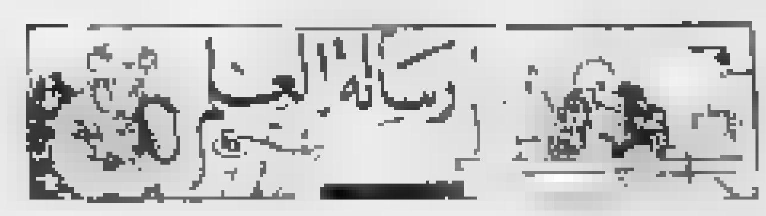


# في عالم الأمــــواج

للدكتور محمد محمود غالي

---

سر العظمة في رسائل الإشعاع — طول الموجة وعدد الذبذبات — من الموجات اللاسلكية إلى الأشعة الضوئية — أشعة الموت — الأشعة السينية وأشعة جاما — الضوء والكهرباء أمواج كهربية واحدة

---

حدثنا القارئ عن الموجات الكهربائية التي تستخدم في الإذاعة إلى الأرض اللاسلكية ، وعن الموجات الضوئية التي نرى بها صور الأشياء ، وذكرنا طبيعة « هرتز » Hertz من أنها أمواج واحدة لا يميز فريق منها عن الآخر إلا باختلاف أطوالها ، وهي تكوّن عائلة كبيرة يضم من هو طويل القامة ومن هو قصير ، كلهم من الأثير ويطرقون جسماً واحداً ولكن يجمع أن يوجد بينهم الطويل والقصير

ونذكر الآن أنه كان للمصادفة شأن عظيم في كشف « هرتز » لوحدة هذه الأمواج ، ذلك أنه أراد أن يعرف ما إذا كانت للأمواج الكهربائية خواص الأمواج الضوئية كخاصية الانعكاس مثلاً ، وصادف أنه استخدم أمواجاً قصيرة طول موجتها بضعة أمتار تكون هذه الأمواج سبباً في نجاح تجاربه وفي نجاح نظريته الضوئية في الكهرباء ؛ وما لا نستطيع اليوم أن نعكس أمواج الراديو على مرآة بسبب واحد هو عدم استطاعتنا أن نصنع مرآة كبيرة تتناسب وأطوال الأمواج التي نستخدمها الآن ، ولم نستخدم في الإذاعة الأمواج القصيرة إلا في العهد الأخير ، وهي الأمواج التي أمكن عكسها بواسطة شبكة سلكية بدل المرآة ، وليس ثمة شك في أن اختيار « هرتز » لنوع معين من الأمواج كان وحياً عند التطرق عليه ، فقد تقدمت بذلك العلوم خطوة كبرى إلى الأمام

ولا بد أن نذكر القارئ بأن الأمواج دون أن يحاسبه في المزيد من عدد الكلمة ونعيد عليه أن الأمواج التي نعرفها في القواميس الخاصة تنقسم إلى أمواج قصيرة وأمواج مستعرضة ، ويعتبر الأمواج الصوتية والأمواج الكهربائية من النوع الأخير من أمواج مستعرضة ، ومعنى ذلك أن السكين تحدث حركة على الخط الشرقي أو الكهربائية الرأسي من المنبع إلى مكان وصول الشعاع ، ويسمون طول الموجة المسافة الواقعة بين القمتين للأمواج المتتالية التي تأخذ شكل تموجات في هذا الخط ، ويمكن للقارئ أن يتخيل طول الموجة إن يتصور تلك الأمواج التي تحدث على سطح الماء بأنها من نوع من النوع المستعرض ، وطول الموجة بالمعنى يساوي المسافة الواقعة بين قمة الماء عند مكان معين والقمة التي تليها ، وهذه المسافة في حالة أمواج الماء تبلغ مثلاً متراً أو اثنين ويكاد يبلغ في الأمواج الكهربائية الطويلة من ٢٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر وهي طول الموجة التي تصدرها محطة الإذاعة

ونحن ونحن نتكلم عن طول الموجة إن نذكر القارئ عرضاً بما يسمونه عدد الذبذبات ، فثمة علاقة بين سرعة الضوء وطول موجته وعدد الذبذبات المحدودة ، ذلك أن سرعة الضوء تساوي عدد الذبذبات مضروباً في طول الموجة فبمعرفة سرعة الضوء يمكننا إيجاد عدد الذبذبات إذا عرفنا طول الموجة أو عرفنا طول الموجة من عدد الذبذبات ، وما يقال عن الضوء يقال عن الكهرباء لأننا نعرف أن سرعتهما واحدة

فإن رمزنا بالحرف ع لسرعة الضوء و م لطول الموجة ، و ز للفترة التي تستغرقها الذبذبة الواحدة

$$\text{فإن السرعة } ع = \frac{م}{ز}$$

وإذا رمزنا بالحرف ن للعدد أي عدد الذبذبات المحدودة في الثانية الواحدة فإنه من الواضح أن $ن = \frac{1}{ز}$

أي أن $ع = م \times ن$

ومعنى ذلك أن سرعة الضوء أو الكهرباء تساوي طول الموجة مضروباً في عدد الذبذبات في الثانية

وعلى ذلك ، فإننا نعبر عن القرائن الصوتية والكهربائية على السواء إما من طول الموجة أو من عدد الذبذبات الحادثة في وحدة الزمن وهي الثانية ، ويبلغ عدد الذبذبات في حالة الأمواج الطويلة

المنبعثة في الراديو اللاسلكي في الثانية الواحدة ، ويزيد هذا العدد وفق القانون المتقدم كلما كانت الأمواج قصيرة

أما الأمواج الضوئية فتختلف في أطوالها وبالتالي في عدد ذبذباتها عن الأمواج الكهربائية رغم تماثل طبيعتها ، حيث تبلغ أطوال الأمواج في كثير من الأمواج التي تستعمل في المحطات للإذاعة بضعة كيلو مترات ويبلغ ترددها الملايين ، فإن أمواج الضوء المرئي تختلف أطوالها من ٨ من المليمتر للضوء الأحمر إلى ١ من المليمتر للضوء البنفسجي ويبلغ ترددها الترليونات من الذبذبات في الثانية الواحدة

ومن السهل على القارئ أن يحسب عدد الذبذبات المتولدة عند نقطة معينة من شعاع ضوئي معتبر بين الأشعة الحمراء والأشعة البنفسجية ويكن طول موجة هذا الشعاع ... من المليمتر ويمثل في الواقع اللون الأصفر المائل إلى البرتقالي

فمن المعروف كما تقدم أن سرعة الضوء تساوي طول الموجة مضروباً في عدد الذبذبات أي أن عدد الذبذبات يساوي سرعة الضوء مقسوماً على طول الموجة

ولكن سرعة الضوء تساوي ٣٠٠٠٠٠ ألف كيلو متر في الثانية أي تساوي :

٣٠٠,٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠ مليمتر

ومن ثم يكون عدد الذبذبات يساوي ٣٠٠,٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠ مقسوماً على ... أي يساوي ٥٠٠ مليون المليون من الذبذبات في الثانية

وإذا نظرنا إلى مجموعة الأشعة التي عرفها الآن أكهربائية كانت أم ضوئية لوجدنا أن أسهل موضعها في الدراسة هو الأشعة المرئية التي ذكرنا أطوال أمواجها ، ولقد استخدم « نيوتن » وغيره أبسط الأجهزة ليقوم بتحليل أشعة الشمس أو عكسها أو كسرها ، وتمكن له بأبسط الوسائل أن يجرب عدداً من مراحل الإشعاع ، وزوّدنا باستخدام أشعة الشمس ويجذب كان في غرفة مظلمة ومنشور من الزجاج بنصف ما الصور التي نعرفه اليوم ، ولكن لم يمكن معرفة ما بعد الأشعة المرئية وما قبلها من الأشعاع بالشيء الهين إذ تطلب ذلك أبحاثاً طويلة ما زالت قائمة حتى اليوم ، ولا يتسع هنا المجال لذكر الوسائل الطبيعية المختلفة والأجهزة المعقدة التي استخدمها الأخصائيون للتوصل إلى معرفة مراحل الأشعاع المختلفة ، فإنه المكوّر ... على الألواح كما على اللوح الفوتوغرافي والترمومتر وغيره من الوسائل على تعيين المرشد وجود الأشعة ، وكان لهذه الأجهزة شأن كبير في الكشف عن مراحل الإشعاع وقياس سلسلة الأمواج المختلفة التي بدأت من أمواج الراديو التي نعرفها معرفة وتنتهي بالأشعة الكاسمية أو الكونية التي لا تتسرب بها الحواس رغم تقربنا في اختراقها سمك عشرة أمتار من الرصاص ، وهكذا كشف العلماء عن مراحل الإشعاع التي تقع في منتصفها هذه المنطقة المحدودة والضيقة من الأشعة المرئية ، وهكذا عرف العلماء عن أنواع الإشعاع المختلف الأمواج كما عرفوا أن سرعة الأشعة الكهربائية هي سرعة الأشعة الضوئية ، وأن طبيعة النوعين واحدة

على أننا نقسم الأشعة التي عرفت في الكون إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول من الأشعة غير المرئية تبدأ من الأمواج المرئية أو اللاسلكية وتنتهي بالأشعة تحت الحمراء

القسم الثاني الأشعة المرئية وتبدأ بالأشعة الحمراء وتنتهي بالأشعة البنفسجية

القسم الثالث ، وهو الطرف الآخر من الأمواج غير المرئية وتبدأ من الأشعة فوق البنفسجية وتنتهي على حد ما وصلنا إليه اليوم بالأشعة الكاسمية أو الأشعة الكونية ، وهي أعجب ما عرفه من الإشعاعات[1]

ولم يكن التعرف على مراحل الإشعاع نتيجة لتتبع منتظم لأطوال الأمواج المختلفة والبحث عن الأطوال غير المعروفة بين الأطوال التي عرفنا ، لأن سبيل تقدير هذه الأطوال وقياس التردد سهل وعن أن العلماء في كل مرحلة إلى حقل خاص يختلف عن الفن المتبع في المرحلة القريبة منه إذا كان

(١) يراجع القارئ مقالات الأستاذ ... عن الأشعة الكونية المنشورة في أعداد الرسالة ... من ٢١ أبريل سنة ١٩٣٦ إلى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٦

تعرف على الإشعاع سابقاً في العلم لدراسة خواص الإشعاع من طول موجته أو ردده أو خواصه الطبيعية ، وكان التعرف على الإشعاع في كثير من الأحيان نتيجة لمصادفات عجيبة موفقة ، وقد ضربنا للقارئ مثلاً بكشف « بكرل » لأشعة الأورانيوم ، ولولا أنه ترك غير عامد قطعة من الأورانيوم في أحد أدراج مكتبه على لوح فوتغرافي ، ولولا أنه لاحظ بعد ذلك على هذا اللوح أثراً مظلماً يدل على شكل هذه القطعة من الأورانيوم لتأخرت على الإنسان معرفة هذه المرحلة من الإشعاع المادي ، ولما كشف الإنسان بعد ذلك الراديوم العجيب

وليس الحال هنا لتعرف خواص الإشعاع المختلفة ، وما زال الإنسان دائماً وراء توسيع معارفه في استغلال الأشعة في أغراضه ، ومن الناحية الأولى من الأشعة غير المرئية التي تنشأ من الأمواج الحرارية وتعني بالأشعة تحت الحمراء استخدم الإنسان مرحلة من هذه الأشعة في الإضاءة ، وهو ما زال يسعى لمعرفة المرحلة الأخرى من هذه الأشعة ، وقد ذكرنا في كتابي (إشعاع) على أن الأشعة التي طول موجاتها من كذا أمتار إلى حد تقتل بعض الحيوانات الصغيرة كالفيران وبعض الحشرات ، ولا شك في أن ثمة بحوث موضوعية خاصة بهذا الموضوع لم تتح لنا فرصة الاطلاع عليها ، وبعض هذه الملاحظات الخاصة بالحيوان والحشرات سبب جعل فريقاً من الناس يتحدث أحياناً عن استخدام الإنسان يوماً ما يسمونه الأشعة القاتلة التي أطلق عليها البعض أشعة Z أو أشعة الموت ، وليس في هذا حديث إذن من حديث الخيال ، مع أن هناك مرحلة من مراحل الإشعاع لها هذا الأثر على الحيوان الصغير ، ومع ذلك فإننا لا نعرف حتى الآن أشعة قاتلة للإنسان سهلة الوجود والاستخدام ، وهو الشكل الذي نعترف في النهاية به الخيال كل أنواع الأشعة من أشعة الراديو الطويلة التي يبلغ طول موجاتها بضعة كيلومترات إلى أشعة الشمس المرئية وغير المرئية إلى الأشعة الكونية الخارقة ، وطول موجتها أجزاء من ملايين ملايين الميلمترات ، ويبحث الإنسان تحت كل هذه الأنواع من الإشعاعات المختلفة ، يروح جيئة وذهاباً ، ينتقل بالشباب بعد الطفولة ، ويحلم من الشيخوخة بعد الرجولة ، ويأخذ قسطاً وافراً من الحياة عندما يتحول إلى هذه الأشعة في مراحلها المختلفة يستخدمها في الإضاءة وفي نقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكي وفي التليفزيون ، ونأمل أن نستخدم بطريقة عملية قريباً ما نسميه « التحليل عن بعد » ، بل يستخدم الإنسان في العلاج دون أن يناله في كل ذلك أذى أو تعب ، ولو أننا قصدنا اليوم المريض إلى عيادة أحد الأطباء المشتغلين بالأشعة وفي جسمه ألم فإنه يستطيع بين لحظة وأخرى أن يعطينا صورة واضحة لعضو معين من أجسامنا وذلك باستخدام موجة من مراحل الأشعة التي لا ترى بالعين ، وهي الأشعة السينية Rayons X

يمكننا أن نرى مثلاً صورة في الشكل يجب استئصاله أو نرى مثلاً أن وراء هذا المرض جرحاً هو سبب مباشر لورم معين ، وهكذا أخذ بعض المكتشفين لهذه الكهرباء صفاتها التجارية ، فأصبح له أجهزة تباع في الأسواق يستخدمها الإخصائيون ، وأصبحت بذلك نفعاً للبشر

ولقد كانت معرفة أطوال الأمواج من المسائل الصعبة العويصة في كثير من هذه المراحل ، ونذكر القارئ على سبيل المثال كيف عرف العلماء طول موجة الأشعة السينية المتقدمة ؛ فلقد كانت ظاهرة الحيود Diffraction الضوئية التي سبق أن تحدثنا عنها ، والتي كانت دليلاً على أن الضوء ظاهرة موجية ، بل كانت دليلاً على النظرية الحديثة للضوء ، من الظواهر التي استخدمها الباحثون لمعرفة أطوال الأمواج الضوئية في جزء هام من مراحل الإشعاع ، على أن هذه الظاهرة ذاتها لم نعد نستطيع سبيلاً لدراسة الأشعة السينية ، إذ أن أطوال أمواج هذه الأشعة من الصغر بحيث أن أي فتحة نعمد إلى صنعها في معملنا مهما صغرت تعتبر كبيرة بنسبة موجة الأشعة السينية ، فلا نستطيع أن نرى بواسطتها ظاهرة الحيود اللازمة لنا لدراسة هذه الأشعة

ولكن العالم الكبير « ماكس لاوه » Max Von Laue استطاع أن يعرف بهذه الظاهرة طول الموجة السينية ، وحصل على أشكال حسنة ناتجة من ظاهرة الحيود المقصودة ، مستخدماً فيها تلك الأشعة ، وذلك بالتجوء إلى البلورات ، فهذه تتكون

## جوائز « مصطفى كامل » الثلاث

١ — الجائزة الأدبية

بمناسبة إزاحة الستار عن تمثال المغفور له مصطفى كامل باشا تبرع حضرة الأستاذ محمد محمود جلال بك ... وعضو اللجنة الإدارية للحزب الوطني بمبلغ ثلاثين جنيهاً تعطى مكافأة لمن يحوز قصب السبق في مباراة أدبية موضوعها : « جهود مصطفى كامل في نواحي النشاط الإنشائي القومي ومجهوده في التعليم والاقتصاد والاجتماع وعلاقة ذلك بجهوده الوطنية »

وهاك شروط المباراة

١ — أن يكون المشترك شاباً مصرياً لا تزيد سنه على ثلاثين سنة

٢ — ألا تزيد الكتابة في موضوع المباراة على عشر صفحات من القطع الكبير

٣ — أن تقدم الموضوعات إلى لجنة التحكيم المؤلفة من حضرات أنطون الجميل بك، وعبد الرحمن الرافعي بك، والأستاذ فكري أباظة، والأستاذ محمود العزب ... في مدة ثلاثة شهور من اليوم إلى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٠ وتعلن اللجنة اسم الفائز في المباراة بعد شهرين من الموعد المذكور

وقد أودع الأستاذ جلال بك قيمة الجائزة وقدرها ثلاثون جنيهاً لدى الأستاذ أنطون الجميل بك بشيك على بنك مصر

٢ — جائزة كلية الحقوق :

وخصص الأستاذ جلال أيضاً جائزة سنوية قيمتها عشرة جنيهات تسمى « جائزة مصطفى كامل » تمنح كل عام لأول الناجحين في الدور الأول بكلية الحقوق، ومن الشكلية ... المعهد ... وأرسل إلى حضرة عميد الكلية خطاباً بذلك وأرفق به صورة الأمر الذي ... بنك مصر من قيمة الجائزة وتوجيه صرفه للفائز في شهر مايو من كل عام . وورد إليه كتاب شكر رقيق من حضرة العميد مع قبول هذه الجائزة الكريمة

---

في الواقع عن جزيئات موضوعة في ترتيب خاص ، ومصفوفة بطريقة يوجد بينها هذه الثقوب الصغيرة التي لا تستطيع وسائلنا ... في تصويرها ، ومن العجائب ... لاستخدام الأشعة السينية ، وبذلك كل ... (الأربة) الأشعة السينية ... البلورة ويجعلها تقع على لوح فوتوغرافي تحدث فيه بقعاً سوداء منتظمة تنظيماً عجيباً وجميلاً . ولقد كنا نود أن يطلع القارئ على هذه الصور البديعة ... من اليوم ، وبواسطة ... « الأربة » طول موجة الأشعة السينية التي لا تراها العين والتي لا تحدث ظاهرة ... في مجهودك المنظور

ولما كانت أطوال أمواج الأشعة السينية من الصغر التي يعبرها ... ، فإن أطوال أمواج أشعة الراديوم أقصر منها بكثير ! وليس المجال هنا لذكر الطرق المختلفة لتحديد هذه الأمواج وتحديد ...

على أن أقصر الأمواج ... نصادفه في الأشعة الكونية أو الطارئة ، ... أن نحدثنا عنها بإسهاب ، وهذه تصل إلينا من جهات من الكون لا نعرفها وبسبب عمليات طبيعية لا نعرفها الأمر فيها ، وهذه الموجات يبدو ... كل ... من مجموعتنا الشمسية ، إذ لا علاقة هناك بين شدة هذه الأشعة وبين وضع الأرض بالنسبة للشمس ، فأصبح تأتي منها في الليل بقدر ما تأتي في اللحظة ... في وضح النهار ، ويبلغ طول موجتها واحداً على تريليون من المليمتر

وهكذا نجد مجموعة الموجات تتصل كلها مجموعة واحدة كهربائية كانت هذه الموجات أو صوتية ، ولا تشعر أجسامنا ولا تحس عيوننا إلا جزءاً يسيراً منها ... عيوننا واحد ... الإنسان ... في هذه السلسلة غير المحدودة من طرف الإشعاع والأمواج ، الأمواج الطويلة في طرف والقصيرة في الطرف الآخر

لقد طوح بنا الحديث في مجاهل الإشعاع بعيداً عن مسائل كان في رغبتنا أن نذكرها للقارئ اليوم ، ولكن الحديث ذاته يسوقنا إلى موضوعات أخرى ، بعضها من عالم الخيال ، وبعضها في أعماق الحقيقة ، ومن هذه المسائل سيكون حديثنا القادم

**محمد محمود غالي**

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

جائزة كلية بوردو

وتبرع أيضاً بمبلغ ألفي فرنك لأول الناجحين في العام الحالي بكلية الحقوق ببوردو، وهي الكلية التي أتم فيها الفقيد دراسته ونال منها شهادة الليسانس سنة ١٨٩٤، وكتب بذلك خطاباً إلى وزير فرنسا المفوض في مصر وأرسل إليه قيمة الجائزة فتلقى كتاباً من حضرة الوزير المفوض بقبول الجائزة وشكره على هذه المبرة

## المعرض الفني الرابع لرابطة الفنانين المصريين

افتتح معالي محمود فهمي النقراشي باشا وزير المعارف في الساعة العاشرة والنصف من صباح الخميس الماضي المعرض الرابع لرابطة الفنانين المصريين بحضور الأساتذة حسني ثابت بك ومحمد بيومي بك وأحمد شفيق زاهر بك وحبيب فريد بك والمسيو جورج ريكو ومحمد حسني وسيد يوسف وأعضاء الرابطة

وقد أقيم هذا المعرض بالطابق الأول من السراي الكبرى بأرض المعارض الخاصة بالجمعية الزراعية الملكية، وعرض فيه أعضاء الرابطة حوالي مائة لوحة فنية زيتية بين تصوير، وأعمال حفر، وتماثيل. وقد جمعت هذه اللوحات ألواناً شتى من الاتجاهات الفنية ومثلت في مجموعها صورة الجمال كما يبدو من خلال [illegible] للشاعر الملهم في الحياة المصرية. هذا وسيظل المعرض مفتوحاً حتى آخر هذا الشهر يومياً من العاشرة صباحاً إلى الواحدة بعد الظهر، ومن الرابعة إلى الثامنة مساء

## جراحة الأسنان في الشرق

قرأت بمجلة الرسالة الغراء في العدد (٣٣٠) نبأ اختراع جديد في طب الأسنان نشرته المجلة الطبية الأمريكية، وخلاصته أن طبيب أسنان وفق بطريقة خاصة من اختراعه إلى إعادة الأسنان المقتلعة إلى أماكنها من الفم بعد خلعها وإصلاحها إلى آخر ما هنالك

وقد أسفت كل الأسف أن ينسى طبيب عربي سبق إلى مثل هذا الاختراع منذ نحو أربعين سنة ثم لا يجد من أمته ولا من غير أمته من يشيد بأثره، ويفخر بعبقريته، ويذيع مجده في أمم الشرق والغرب

حدثني الشيخ خليل الله السيد عبد الكريم الشجاع قال: كان السيد عبد السلام الموجودي من الأطباء النطاسيين المعروفين منذ نحو [illegible] قبل عهد الحماية بسنين، وكان يشتغل بالجراحة ولا يتقاضى أجراً على التطبيب والعلاج كجميع أطباء المغرب، بل كان يرى أن يكون للعامة نصيب في صحة الأطباء الذين يحتسبون أجورهم في سبيل الله، ومن ثم كان إخلاص الأطباء المغاربة في عملهم من أعظم العوامل في نبوغهم وتفوقهم

قال محدثي: والطبيب عبد السلام الموجودي أول من تخرج في كلية باريس الطبية، وأنا أحد من أخذوا عنه الطب، ووضع بسائط الأعشاب والعقاقير التي كان يستعملها في أدويته كتب عديدة في علاج كل داء كأحسن ما يكون الطبيب حين يكون متخصصاً فيه

قلت: وما شواهد عبقرية هذا الطبيب في جراحة الأسنان مثلاً؟

قال: لقد سمعت بها في حينه، وحسبك من ذلك أن تسمع هذه القصة: كانت لي أخت فتاة سقطت صباح يوم من سرير [illegible] الأعلى إلى وجهها فتحطمت عظامه، وتكسرت أسنانها واقتلعت، ولم يعد أحد يخطر له في البال أنه ستمضي ساعة أو ساعتين، وأسرعنا بجمع الأسنان، ثم ذهبنا إلى الطبيب عبد السلام لنطلع رأيه في الفتاة الجريحة، وبعد لحظات كان الطبيب قد أحضر أدويته، ومد طرفيه، وذهب ينقل من فوق إلى تحت، ثم أخذ كل سن من أسنانها فأعادها إلى مكانها (بطريقة خاصة من اختراعه) ثم جمع بها إلى جبهة من [illegible] ثم وصف لنا طريقة علاجه وترتيبه

ثم قال محدثي: وأقسم لك يميناً صادقة لقد عادت الفتاة كاملة الصحة بعد أيام قلائل، وأن أسنانها لا تزال حتى الآن سليمة متماسكة وقد أصبحت الفتاة أم فتيات

وبعد فقد بعثت هذا لأن بعض مبتكرات الغرب إن هي إلا بعث لمنتجات عباقرة الشرق من غابر التاريخ، وأنى سمعت به أسود في تاريخ الشرق سلبها حياً ويصطلي أحياناً في حسابنا نصيب منه وقد حكم الدهر الظالم أن ننسى مفاخرنا ونمحو آثارنا بين ظلمات الجهل وغمرات الخمول؟

(فاس) إدريس الكتاني

## تصحيح

ورد في كلمة الأديب [illegible] تصويب [illegible] للشاعر العربي أبي تمام، وجب التنبيه [illegible] جميعاً [illegible]

انتقام عمرو في صحيفة [illegible] في [illegible] وذكره [illegible] كالمرض [illegible] الكندي الفيلسوف وقال: [illegible] فوق من [illegible] وما [illegible] على أن [illegible] الأمير بإجلاس

العرب. فأطرق أبو تمام ثم قال على البديهة:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فأعجب به الخليفة وقال لوزيره: أعطه ما يطلب، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً، لأن الدم ظهر في عينيه من شدة الفكر، ومن كان هذا حاله فهو لا يعيش أكثر من هذا. فطلب أبو تمام الموصل فأعطيت له، ولم ينقض عنه أربعون يوماً إلا ومات.

ذلك هو مجمل القصة، وقد استحسنها كثير من الباحثين في الأدب في عصرنا هذا، ولكني وجدت صاحب الوفيات (الجزء الرابع ص ٢١ طبعة الحلبي) يقول عنها ما نصه: «وهذه القصة لا صحة لها أصلاً»، وقال ابن خلكان أيضاً (ص ٢٠): «وقد تتبعت صورة ولايته — يعني أبا تمام — الموصل فلم أجد سوى أن الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل، فأقام به أقل من سنتين ثم مات به. والذي يدل على أن القصة ليست صحيحة أن هذه القصيدة ليست في أحد من الخلفاء، بل مدح بها أحمد بن المعتصم، وقيل أحمد بن المأمون، ولم يل واحد منهما الخلافة» (المصدر السابق ص ٢٠)، وقد غلط ابن خلكان أبا العروض المعروف بالطيبي بعض ذات دعمة، فربما يحصل لهذه القصة نصيب من الحقيقة! ألا من كلمة أخرى في هذا الموضوع!

(البطانة) أحمد جمعة الشرباصي

## حول خواطر يشرحها سائل

قرأت هذه المقالات التي يكتبها الأستاذ عبد المنعم خلاف ويوالي نشرها في مجلة الرسالة، إلا أنه قد استوقف نظري وأثار أمري مقاله الأخير قوله: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الغناء وشاهد الرقص وسمح به في المسجد»، وهذا القول على إطلاقه فيه شيء، إذ الظاهر من الغناء غير ما عرفه وما نسمعه، وهذا لا يسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرضاه قط، ولم يسمع إلا الغناء المهذب في زفاف العروس: «إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم»، وأذن في اللعب بالطبول، وغير ذلك في أيام العيد الصغار من الشيخان والفتيات، حين عنفهما الأشعري الأسدي في يوم عيد فقال: لا أراهم يفعلون، فإنه من السنة (التقليس أن يقعد الجواري والفتيان على أفواه الطرق يضربون بالطبل وغير ذلك) وسمع حداء بالشعر النبيل الصادق (اللهم لولا أنت ما اهتدينا) وكان البراء بن مالك حسن الصوت وكان يحدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وكان عمر بن الخطاب إذا سمع الحادي قال: لا تعرض بذكر النساء. كما أن كلمة الرقص لا يصح فهمها في هذا الزمن إلا كما يعرف في هذا العصر والحاضر، وحاشا أن يشهد مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يسمح به لأي إنسان في عهده بله المسجد، وأما الرقص الذي سمح به فهو الرقص الحربي الذي كان من الأحباش حين قدموا المدينة، والرقص الحربي يعرفه العرب إلى الآن في بلاد ... سيوفهم وسلاحهم كما تشعل في النفس الحمية وتبث فيها الشجاعة، ولا أحسب الأستاذ عبد المنعم خلاف إلا يريد هذا.

عبد الستار محمد فرج

## حادث عجيب أعرضه على الأطباء المعاصرين

إن كل طبيب يعتقد أن مهنته مهنة بحث وعلم وتضحية وإيثار، وأسوق مأساة هذه في مهنة الطب أعرضها على حضراتكم: فتاة ريفية جاءت في جامع وشيء بشكة (الأصبع) السكانة والشارب المتقرح ولا ترى هذه الشكة قد اقتصرت على الإصبع فحسب، فإن الشرر قد دب في صدرها فشرد نومها وأرقها!!

كانت تظن أنها ستنجو كما نجت غيرها، وكانت تعتقد أن هذا الشر بداية لهذه المرحلة، مرحلة التسمم والتدرن، فذهبت إلى بعض المشهورين المعروفين من الأطباء، فرأى أمرها وشخص شكواها، وأمر أن عند الشفاء العاجل أو الآجل ... ثم ... فلم يصل إلى العلاج المنشود.

فهل عند الأطباء سبيل لهذا الحادث النادر وعلاج له؟!!

محمد السيد المرجلي

## تصحيح مشكاة

ورد في القرآن الكريم ذكر «المشكاة» وهي «الطاقة» أو «النافذة»، وقد بحثت عن جمعها فلم أعثر عليه بعد مراجعة عدة معاجم وتفاسير، فهل يمكن أن تفيدونا ذلك؟ (م. ص.)

(الرسالة): لم يرد السماع بجمع مشكاة، ولم يمنع القياس جمعها على مشاك أو مشكيات.

## بريد الوطني

وصف زميلنا «الوطني» في عدده الثالث عشر من حربه الطويل الممل، وهي أقوى ما يكون إيماناً بعمادة الوعي واطمئناناً إلى صاحب المطرقة ... برغم هذا عوامل الخوض والعراك التقدم حتى بلغ السعادة الإقليمية ... وما شاكل ذلك الرسوم

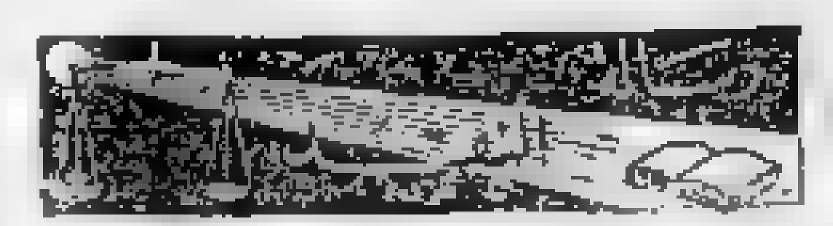

# في ليالي الملاح التائه

للشاعرة الفلسطينية الآنسة «دنانير»

---

شعر صادر عن هذا الجدول العبقري تنعكس فيه صورة نفس الشاعر، فتحس به [illegible] روح صاحبه تتغلغل في كل لفظة من ألفاظه، وتشعر بنفسه تسري في كل بيت من أبياته [illegible] تقرأ نصاً فيه تشعر في قصيدة، وإن الشاعر يسمو بروحك معه إلى دنيا شعرية عذبة تهيم بالخيال والظلال حتى تنسى ما حولها [illegible]، وقد ملأت قلبك تلك الأخيلة الجديدة التي ملأت قلب الشاعر، وأثر فيك ذلك الإلهام الذي صدر عن حسه المرهف الرقيق وشعوره [illegible] الشعر، حتى كان القلب [illegible]. وذلك هو شعر الأستاذ علي محمود طه في ديوانيه «الملاح التائه» و«ليالي الملاح التائه» وهذا الأخير هو موضوعنا الآن.

يهدي الشاعر شعره إلى الذين أطالوا التأمل في أسرار الكون، وأرهقهم [illegible] في مجاهل الحياة، وإلى [illegible] بأحلامهم إلى وحشة [illegible] بين الغفلة والحنين. ومن هذا الإهداء نستطيع أن نحس تلك الروح [illegible] وتلك النفس [illegible] الشاعرة التي لا تعرف [illegible]، نفس الأستاذ علي محمود طه.

أول ما يطالعك الديوان به هو تلك القصيدة التي [illegible] ذكرها [illegible]. ومن منا لم يسمع بأغنية الجندول التي أوحتها إلى الشاعر [illegible] ليالي [illegible]؟ وهل [illegible] أن أذكر هنا هذه القصيدة [illegible].

[illegible] الشاعر [illegible] في أقطار الغرب، [illegible] يجده في [illegible] التي [illegible] ما شاهد هناك، أو [illegible] الأخرى التي [illegible] تأثير تلك [illegible] في نفسه [illegible]. اقرأ له مثلاً «بحيرة كومو»، أو «الجندول»، أو «ثغرة نهر الراين»؛ فإذا روح الشاعر [illegible] كل [illegible] على [illegible] ذلك [illegible] في قصيدة [illegible] «ثغرة نهر الراين»:

كم أحلامك يا [illegible] ... [illegible] الشكل

سحر أشباحك [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

أيها الشاعر، [illegible] ... [illegible] الأغاني

كل من [illegible] ... [illegible]

وأنا الروح [illegible] الشوق بنا ... [illegible] الراين [illegible]

وكأن بالشاعر يرى كل تلك [illegible] وسحرها وجمالها [illegible] إلا [illegible] الأحباب [illegible] لا [illegible]:

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

ثم [illegible] وقد رأى أن نهر الراين [illegible] وحلا [illegible]:

[illegible] ... أي سحر وجمال

وعسى أن [illegible] بسحر تلك الليلة، كما [illegible] حتى [illegible] وأسلم [illegible]؟ [illegible] الشاعر [illegible] أن هذه الليلة الشعرية [illegible] نهر الراين [illegible]، وهذه النجوم [illegible] فيقول:

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] السماء

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] من سحر [illegible]

[illegible] ... [illegible] الليلة، والسحر [illegible]

[illegible] ... [illegible] من ثغرة الراين [illegible]

ثم [illegible] ... [illegible] الشعري [illegible] حلاوة تلك [illegible] السحرية في [illegible] الشاعر، [illegible]:

[illegible] ... [illegible]

كان [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] وداع ... [illegible]

أين [illegible] الآن [illegible] ... [illegible] الليالي [illegible]

[illegible] ... [illegible] من ثغرة الراين [illegible]

أي [illegible] وأي [illegible] التي تكاد كل [illegible] تقطر [illegible] من قلب الشاعر [illegible] بالحنين والشوق:

أين أنت الآن أم أين أنا ؟ ضربت أيدي الليالي بيننا

تقرأ هذه القصيدة أو قصيدة «بحيرة كومو» أو «الخنون» فتشعر في أعماقنا معاني الغرب ، وإن لم ترى من مناظر الطبيعة إلى تهاويل الأنس والبهجة ، إلى صرخ الشحب والنفس ، وتحس بتأثير تلك الجموع من تلك الروح الرقيقة وذلك القلب الذي يهيم بحب الجمال أينما كان ، في الماء والسماء ، في القصور والرياض ، في المرأة ، سواء أكانت نسيبه أو آخره أو غير هذه وتلك . فالشاعر موكل بالجمال يتبعه ، ملأ عينيه ومشاعره وقلبه ، يتغنى به في كل قصيدة من قصائده

هذا وتحمل الطرف في «ليالي الملاح التائه» هنا وهناك فتقرأ مثلاً «سيرانيد مصرية» أو قصيدة التي عنوانها «من ؟» أو «مرثية» أو «إلى راقصة» وغير هذه في الديوان من الشعر الغزلي ، فترى أن المرأة قد شغلت حيزاً كبيراً من قلب الشاعر وفكره وأحاسيسه فأوحت إليه بأرق الشعر ، الحزين حيناً ، الباسم حيناً آخر . فالمرأة هي وحي الملاح التائه الناطق من حلوه ومره ، وكل هذه تتجلى لنا في شعره الغزلي

وهناك قصيدة في مصرع ربان سفينة الطاقم «كورنيس» التي أغرقتها غواصة ألمانية في أوائل الحرب الحالية . يسمع الشاعر بتلك النفس الكبيرة التي آثرت الموت على حياته ، يسمع بما كان من تضحية الكابتن ربان السفينة الغارقة وجوده بنفسه والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، فترى تلك البطولة النادرة إلى الشاعر بقصيدة من عيون الشعر يخلدها فيه مخاطباً الربان

| | |
|---|---|
| أقاهر الموت كم للنفس أسرار | فيما فديت به واستعذبت النار |
| وأعشق البحر حياً وهو طاغية | حتى على صرفه الصحر حبار |

وكأن بالشاعر هنا يطلع الناس على صدق الطبيعة مع جبروتها أبلغ عظمة النفس الإنسانية ، تلك النفس التي تتجلى في تضحيتها وعطفها ، ثم يقول صارخاً بالغواصة التي أغرقت السفينة

| | |
|---|---|
| وهالك في حسابات الحروب | حال المقاتل عند الروع فرار |
| وسدتك مراميه ورو رقب | عنه عيونك لم تنفعه أفخار |
| يغيب في صبيح ميدان ميدان مضطرباً | والموج داج وصدر البحر موار |

كمنودة الأرض لو المحسن يقتلها

وكم بسيف مُلقت في الروض أزهار

وفي هذا البيت الأخير تشبيه بلغ منتهى الجمال والروعة ، ثم نسمع بعدئذ بقول الشاعر على تحيزه عنه

ويذهب الشاعر في فنون القول كل مذهب ، واصفاً ذلك الموقف النبيل الرائع ، حيث يلقى الربان بسفينته إلى غمر إجلالاً للموت . كل هذا في أبيات سيحس بأثرها القارئ فيها ، ثم يمضي الشاعر إلى أن يقول

| | |
|---|---|
| يا حاشي البحر حدث عن معانيه | كم في ليالي المشتاق أسرار |
| ما ليلة الصيف فيه ما روائعها | فالصيف سحر وألحان وأشعار |
| إذا النسائم من آفاقه عبرت | وسر أنس كري الطلع نوار |
| وأبدت عرائس من ملائكها | عرائس من نفث الجن أبكار |
| شتى الزنابق الساري من قصير | تخال بين عشيات وأسحار |
| يخص كأسك من خمر مسلية | السحر كأس لها والقمر خمار |
| وأنت نصبي مشمول بخمارة | كأنه أخضر جا في الأفق قيثار |

انظر إلى هذه الصورة الحية في ذكرى حادثة موت الطبيعة ... فأحسست حولها ووصفها ... الأثواب أصبحت

وبعد هذا يأتي الملاح التائه بأجمل ما صاغه الخيال الخصب إلى الشاعر ، فيخرج عن ألف الشعراء أن يتولوه من استمطار الرحمة على الميت أو ما يماثل ذلك ويطلع علينا بقوله

رأى البحر قبراً حين صمكا ... رمى عليه من الرجال أعذر

تلك ، لا يقرأ المرء هذا دون أن يقف عنده متأملاً ما حوى القلب بسحر هذا الخيال العبقري ... رمت عليه من أرجاء أشعار

ونقرأ له قصيدة في موسيقية عمياء ، وإن طالت عين ، وأنه في حلمه ، قد ذوب نفسه ووصفه في قصيدته الجميلة ، متأثراً لتلك الفتاة أو الزهرة التي رواها الضحى ، فسعد من الأسرار التي ينطوي لها عنده

| | |
|---|---|
| إليك المكوكب فاشتقي | حب المكوكب بالقلب |
| حتى الأزهار في كمهما | كالأصوات في حس |

ويمضي الشاعر في القصيدة على أن يتوجع به الشعور الأليم ، إلى أن يقول لها

| | |
|---|---|
| عرفت ملب الحسن | وأم ما زال مجهولاً |
| أأنت تحملين علماً | على الأشواق محبولاً ؟ |
| صحيفة مبيضة وجانا | وعنوانا وتعبيرا ؟ |
| وكيف أحسن الوصف | عند النظرة الأولى |

* * *

| | |
|---|---|
| ومن آلمك العمر | بأن صورة الحسب |
| لقد أعضى والأنداء | حواء في القلب |

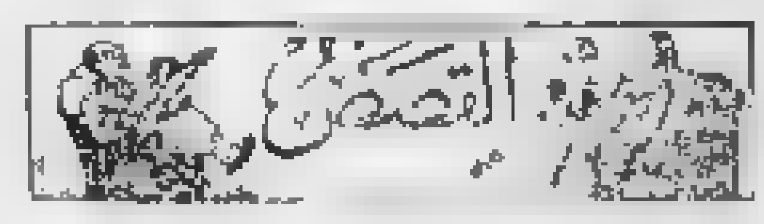


من أدب الصين الحديث

# قصة الراعي الحزينة

للكاتب الصيني كو مو جو

١

استلفتني إلى كوريا من وراء البحار على بعد آلاف الأميال، واستهوتني تلك الأرواح التي في جبال كنج كنج الشاهقة الكبيرة [illegible]، فلما وصلت إلى كوريا نزلت في قرية صغيرة على سفح كنج كنج مشرفة على البحر الياباني اسمها «[illegible] الأرواح والأولياء» وكان في القرية بضعة عشر كوخاً مواجهة البحر متكئة على الجبل، ليست قديمة متهدمة ولا حديثة مزخرفة،

---

هو القلب هو الحب [illegible]
سوى للكشوف الأسرار [illegible]

عند [illegible] أن أحيط بكل ما في ديوان الشاعر من قصائد [illegible] ولكنك أن أجد [illegible] في ليالي [illegible] وجدت الشعر بكل ما [illegible] هذه الكلمة من معنى [illegible] تستطيع من أي ناحية [illegible] من تلك القصص [illegible] في عوالم الخيال والسحر والجمال [illegible] الخواطر والمعاني [illegible] وقد صاغها الشاعر بصيغة من [illegible] الرفيع وعبر عنها بأسلوبه الشعري الخاص، حتى لتكاد اللفظة الواحدة [illegible] جرس وسحر [illegible] في النفس [illegible] أنا لست [illegible] من الكتاب ولكني [illegible] من الأقلام، حتى إذا [illegible] هذا الشاعر [illegible] الشعر [illegible] بالشعرة [illegible] أن الخطيبة التي قالت الشاعر الفرنسي لامرتين [illegible] في طريقك [illegible] اليوم [illegible] الشاعر العربي المصري [illegible].

( [illegible] )

---

وكان أمام كل بيت بستان صغير تغرس فيه بعض الزهور ذات الألوان الناضرة الزكية، وتنمو بين الزهور [illegible] أشجار عالية، وكانت حول القرية غابات كثيفة من الصنوبر، وتحت أرجاء قليلة على مقربة من القرية كانت مغروسة بأنواع من شجيرات القمح والشعير، وكان يجري في خلال الغابة الواقعة في الجنوب الغربي من القرية نهر يسمى نهر الشتاء، يتجمع من السيول المتحدرة من قمم كنج كنج وله صوت حزين عذب وهو يسير صوب البحر الياباني.

ارتاب أهل القرية في أمري حينما جئت ونظروا إلي بعين [illegible] فلم يرضوا أن أنزل عندهم، غير أن سيدة كريمة في أقصى القرية أخذتني [illegible] بعد ما سمعت كلامي وعرفت قصتي وأنني بعيد من أهلي وأقاربي [illegible] وآنست وحشتي بكلامه، و[illegible] الراحة بعد التعب الذي لقيت في سفري الطويل الشاق. وكانت السيدة [illegible] تعيش في وحدة [illegible] جاورت [illegible] من غرفة، وكان على الباب شعر منثور مكتوب على ورق أبيض [illegible] كما هي عادة الكوريين، [illegible] ودخلت [illegible] صورة [illegible] يمس الأغصان والأزهار ومنزلاً مكوناً من [illegible] واسعة على جانبيها [illegible]، وأمامه [illegible] المزارع التي خلف المنزل والتي تظهر لي [illegible] كأنها متصلة بجبال كنج كنج، وكانت في وسط الروضة [illegible] عالية [illegible] من الحجر [illegible] ودعتني السيدة الكريمة إلى النزول في الغرفة [illegible]، ولم يكن بها إلا [illegible] وطاقة مملوءة بالغبار كأن لم يسكنها أحد من زمن بعيد.

مر بي أسبوع [illegible] وأنا في بيت هذه السيدة الكريمة، وكنت أخرج كل يوم [illegible] في جبال [illegible] الكثيرة الشهيرة من الصباح إلى المساء لا [illegible] الشمس ولا المطر [illegible] جميع [illegible] إلا [illegible] واحدة، وقد انطبعت في ذهني جميع المناظر [illegible] لا تفارقني [illegible] أحسست [illegible] كما [illegible] الصور على [illegible] على أنني لم [illegible] من [illegible] أو المصور ما يسمح لي أن أصف هذه المناظر [illegible] أو أصفها وصفاً [illegible] جميع [illegible] وأصدقائي [illegible]

٢

جلست على حافة [illegible] على الهضبة الأخيرة ناظراً إلى الجبال

إلى السبح في السحاب والتحليق في ضوء الشمس التي آذنت بالزوال ، فرأيتها شاخصة ساكنة كتمثال قد وضع بجانبه ... متحرك فانبعث من خلفي ذلك الناظر الحيلة سابحة كالطير في الجو متمتعة بالسعة سكرى بما اشتملت عليه من الجمال ، وإذا غناء حزين من فتاة في سفح الجبل قد انبعث إليّ من صمت الرواح وسمعت الراعي فأيقظني ، فأصغيت إليه فإذا هو

كشمس الشمس حين أطلع ،
وفي تسيمي حين أزول
الشمس بعد الغروب موعدٌ للطلوع
لكن الراعي ليس له وقت الرجوع
أيها النجم ،
صوت حزين فزع !
... تشتاق إليك ، ألا تعرف أيها الراعي ؟!

انقطع الغناء وتغنت صغير النجم بأصوات حزينة وقد اختلطت بأصوات الأجراس الصغيرة التي لا تكاد تُسمع

إن الأجراس في رقاب الغنم
معلقة كما يهديك المكرمون !
لكن حبل الذي يمسكها يكاد ينقطع ويوشك أن يضيع ،
والذي علقها قد ذهب وليس له وقت الرجوع
أيها النجم ،
صوت حزين فزع !
أنت تشتاق إليك ، ألا تعرف أيها الراعي ؟!

أحبه الفتاة جهد عينيها خفيتاً وتهاطل صوته في سمعي ، ولكن تأثيره في نفسي كان عجيباً يبعث في القلب الهموم

ست تسعوه النفس !
أنس به صوت النغم !
ويكي عليه آثر [illegible] المحبوب ،
إذا ذهب ذهبتْ روحي وحياتي !

**

ست بمسوية الرباط ،
أربط به جرساً في رقاب الغنم ؛
ولكن أنتظر وقت انقطاعه ،
فأذهب إلى جانب المحبوب !

فلما سمع هذا الغناء اقشعرت عضوي من غير أن أشعر ، ثم وقفت على رأس الجبل تحت شجرة الصنوبر وتطرب إلى السمع فإذا قطيع من الغنم لا يزيد على بضع عشرة [illegible] صغيرة وصغيره في ضوء الشمس الغاربة ناصعة [illegible] المدينة ، وكان في رأس الفتاة قناع أخضر يحجب [illegible] وجهها وصدر عنه [illegible] آخر أحمر ، وفي وجهها ... من الشيب وفي صدر بالجميع مثنية ... من شيئاً فشيئاً

غنى ، غنى
لا تخافي ولا تحزني !
إنه لا يشترى حيوان ... أن يقترب منك
ما دمت موجودة معك
فإني جئته ،
فتلك حتى الموت ... ما بعده يتبعه
غنى ، غنى !
يرجو إلى البيت ...

وخفت الصوت حتى تلاشى ، وغربت الشمس ، واحتجبت الفتاة عن عيني وراء الجبل ، وكنت غريقاً في نهر من الدموع وبقيت واقفاً تحت الشجرة ... لا أعرف ... ، والجبال كأنها ... ، وقد تلألأت النجوم في السماء ... من شرق الفجر

٣

ألا تعرف أيها ابنة السيد ... ، أيها الحبيب الكريم ؟!

جلست مع مضيفي الكريمة نشرح الروضة نتجاذب الأحاديث وقصصت عليه ما رأيته في النهار فأخبرتني لمن تلك الراعية الصغيرة:

— إن كانت شريفة من بيت شريف فلماذا ترعى الغنم بنفسها هنالك؟

يظهر أن سؤال هذا حرك في قلب السيدة الكريمة شيئاً كامناً فسمحت برهة وهي تحدق في القمر في وسط السماء ونظرت إليها فإذا عيناها مغرورقتان بالدمع ، فندمت على ذلك السؤال الذي سألت به مضيفتي ، وذهب بي الفكر مذاهبه . ثم تحولتُ إلى مضيفتي الكريمة وقد خفت صوتها وقالت :

— كانت لي نفس ألا أذكر شيئاً من ذلك الماضي الأليم المرّ ، ولكني لا أحب أن أكتم عنك ، غير أن الحديث طويل متشعب فلا أدري من أين أبتدئه ؟ وأردفت :

— لم تزل هذه الفتاة الشريفة هنا ، في هذه القرية ، لقد كانت تسكن في الشارع الرئيسي في العاصمة منذ عشر سنوات ، وكان أبوها وزيراً في الحكومة ، ثم ترك الوزارة وغادر العاصمة

هو وأسرته ليعيشوا هنا ؟ وإنما كان ذلك حين جرى أن سعى للوه في الحكومة الحاضر مع دولة أجنبية ذات مطامع ، ولم يستطع الحكم ، ولم يجبه إلى ما طلب من إعدام هؤلاء الذين يبيعون استقلال البلاد وسيادتها ويرهنون سلامتها وحريتها

وكانت زوجته الأولى قد ماتت منذ ست عشرة سنة ، ولم يرزق من زوجته الثانية ولداً ولا بنتاً ، وكانت الفتاة في الخامسة من عمرها حين ماتت أمها ، وكان أبوها يحبها حباً جماً ، فهو لا يحتمل أن أقوم بخدمتها وذلك على تواردي في أسرتنا من ... خدمة تلك الأسرة ، وكان زوجي يعيش خادماً لأبيها ، وكلنا له ولد

استمرت السيدة في الحديث وقد شاب صوتها رنة حزن ، وكأنها تتألم ... وكان بين ابنه وبين ... وهو الاسم الذي [illegible] أم الفتاة ، وكان يحبه كثيراً ويدعوه دائماً « بابني » ، وكان أكبر من الفتاة بسنة واحدة ، وكانت تدعوه أخاها الأكبر ، وكان ... يتحاوران ... أخته الصغيرة ... وكان كلامه ... كلام ... حنون نبيل

وكانت زوجته الثانية السيدة ... من الأسرة الشريفة أيضاً ، وقد درست في ... ثم سافرت إلى نيويورك ولندن وباريس ، ... بعد تخرجها في ... كثير ... في ... ثم رجعت إلى البلاد وهي في الثانية والعشرين من عمرها ، فطلب ... السيد ... وقد ... على وفاة زوجته الأولى ثلاث سنوات أن يتزوجها . وكانت ذات شخصية بارزة في ... ، معروفة في المجتمع باسم الفتاة ... تصور أيها ... كيف ... السيد ... تطمح ... بالزواج مثل هذا السيد أن تحيا هذه الحياة ... !!

انتقل السيد ... إلى هنا ، ... في ... تلك ... ، و ... لا يهتم بالشؤون السياسية والاجتماعية ، وأصبح ... أن ... هنا في القرية ... ، ... ابني ... معه حيث يقيم ، ويشتري له ... من ... ، وكان ابني في الثانية عشرة من عمره ... في الأيام التي لا ... وفي بعض الأحيان كانت ... وكثيراً ما كانا يتسابقان ، فيخرج ... في ... يسير ...

أذكر أنه مرة ... إلى ... حتى منتصف الليل ، ولم ... السيد ... في منزلنا ، ... إلينا ... ، ... أن يكون قد أصابه شر وأمرنا بالبحث عنهما هنا وهناك ، فقد وصلنا إلى ... كبير ... وأنا ... على بعد ذراعاً على الشاطئ ، ... على ... كبير ... ، ... مختلفة ... وقد استمرت في ... تلك الليلة مقمرة ، ... ، والقمر ينشر ضوءه على الأرض والبحر تتلاطم أمواجه ، ... في ... الكبير . ... ما ... تلك المناظر الجميلة التي رأيتها بعد

وكان ابني ... يعالج بعض التمرينات الرياضية في ... أيام ... العطلة ، ... يخرج ... ، وكان يقرأ ويكتب مع الفتاة ... كل ليلة ، وهكذا مضت أربع سنوات ولم يحدث شيء ، وبلغ ابني ست عشرة سنة من العمر ، وبلغت الفتاة خمس عشرة ، وكان السيد ... يقول دائماً : ... إلى المدينة ... ولولا ... إرادة الله فوق إرادة الإنسان ، فقد حدث في تلك السنة

وأمسكت السيدة وأخذت تبكي بكاء مراً ... ووقعت أن ... شديدة قد أصابت هذه الأسرة ، وكان القمر في تلك اللحظة محجوباً بسحاب كثيف ... ساكناً ، ولم أجرؤ على السؤال عما حدث ، وانتظرت حتى ... السيدة ... وقالت والدموع في عينيها

« ... أبوه ... في تلك السنة »

ثم عادت السيدة إلى البكاء ، ... أن ... ، وكنت أود أن ... أختها ... لساني ... وقدمت إليها فنجاناً من الشاي لأخذته ... منه ... ثم قالت

« القصة طويلة جداً ... بكتاب ابني الأخير ... »

٤

كان قد مضى من الليل نصفه ... ، ... على الأرض ... ، ... السيدة ... ضوء المصباح ... أي ...

لقد ... رسالة ... بعد ما رجعت من ... أن هذه الرسالة كانت ... من أبي ، ... أنها كانت مفتوحة ، أوله ! أي ... لم أقرأها ... عند ما ... لي ؟

لقد حرصت على أن أتخذ ... ، لأني لا أريد

أن يرتكب أبي تلك الجريمة الخائنة فيصير مدنباً مثلها ، وأنا الآن في الحيرة فإني لم أجده بعد البحث الطويل . آه . إني أعتقد أن هذا السر إذا شاع فإنه سيكون له شأن ... إنه أمر لا يهم أبي وحده لذلك سأمضي لأبحث عنه في الليل وأراقبه ، وسأحاول أن أمنعه من ارتكاب تلك الجريمة العظيم وأقنعه أن ذلك عمل مخز أي مخزٍ

إن حدثني الحظ وقدّر لي أن أموت فلا تحزن ، فإنه خير للرجل أن يموت حراً من أن يبيع حريته وبلاده للأجانب

ولقد ضاق الوقت فلا يمكني أن أكتب أكثر من هذا ... فإذا قرأت الرسالة السرية التي عثرت عليها فأحرقها قبل أن يراها أحد وإذا حمّ القضاء فلا تجزع ... تقدّم ... من نوافذ المعصومة في البرج إلى أحمق الجبرية ! ورولك « بين »

## الرسالة السرية

شوشو ...

تعال إلى المعبد هذه الليلة وساعدني في دخول الحجرة ، فإذا أمكننا أن نحافظ ... كان خيراً ... هذه الورقة التي هي ... الثائر ... واذهب بها إلى المعسكر ، واعترف بما صنعت ، فسيكون في ذلك خلاصك وزينك ... ولا تنس

( في ١٦ يونية ) السيدة « ل »

## الشمس

من نظم السيد « بين »

ما أحلى الشمس الضاربة ... فتأخرت ... أعينها الخصبة

... وعاد الأدمع ... فاتحدت الشمس الضاربة

يلتقي أحـــد ... بي [1]

فأرسلتك حتى ... في أعماق البحار

ولتلتقي أحـــد ... بك [2]

فأنقذتك ... حتى ... الجبال

لكن ... الهم والتعب لما ...

وإذا ... الهم من ... بالجبال

(١) من الأساطير الصينية القديمة أن الشمس في البدء كانت ... الأرض ... والناس يشكون من حرها ، ... في سمائه ... تسعاً منها ... حتى ... للإنسان ، فكان ... يرى السهام

(٢) من الأساطير أيضاً ... كان ... لا يقدر أحد من ... أن يجرحه أو يحاربه

ما طول الدهر ... حتى تلتقي الجبال !

وحتى المــــدود ... ولهيب ...

انتظرتني السيدة الكريمة حتى انتهيت من قراءتها كتابها

ثم قالت لي بصوت منخفض حزين

لهذا قد عرفت القصة بوضوح أيها السيد الكريم

فقد مات أبي الوحيد في تلك الليلة المشئومة ، ليلة ١٦ يونية وقد جاءنا في ظهر اليوم التالي راهب صغير وقدم لزوجي رسالة تخرج من ... وكتب على ... أنه ... لا ... فإنه يعرف ... متعصب الجبين ... سكران ، ثم لم يمض أن جاء ... يجري إلينا ، فلما ... ونطق أنين من الرهبان ... قائلين

— وا حزناه أيها السيد الكريم ! لقد قتل أبوك الكريم

فلما سمع كلمتهم ... بقلبه ... وخرج زوجي ... من الغرفة كأنه قد سمع ما أخبرني به ، وصاح قائلاً

— آه ، لقد غلطت في القتل ! لقد غلطت في القتل

ثم خرج من الباب مسرعاً !

وذهب إلى المعبد ... ووجد الحجرة التي ينام فيها وحيداً ، ووجد على مكتبه رسالة مكتوباً فيها « إلى أبي العزيز من ولده بين » ... فأخذها ووضعها في جيبه ، ثم ذهب إلى المكان الذي ... فيه الناس حول القتيل ... ابني بين ... وجهه بالدماء ولقد سكن قلبه وبرد جسمه ، ... في الأرض ... مغشياً عليّ

ولما أفقت من الإغماء ... السماء صافية والشمس ساطعة ، ظننت أني كنت في حلم غريب ، ... حولي وجدتني ... في حجرة الفتاة الصغيرة ، ... ساكتة بجانبي ! ولما رأتني قد أفقت أخذت ... وأخفت ... وأرادت ... حزن وبكاء ، وبكت الفتاة ...

وبعد قليل دخل السيد ... وروجته السيدة لي وقال ... السيد

« يجب أن ... ولده بين ! فلماذا لم يحضر أبوه إلى الآن ؟ »

... عرفت أن زوجي لم يجيء إلى المعبد ... ، ثم تذكرت الكتاب الذي تركه ابني في مكتبه فطلبت من الفتاة أن تخرجه من جيبي وتقدمه إلى والدها ليقرأه ، فلما كاد يتناوله حتى سقط من بينه كتاب آخر ، هو الكتاب السري الذي كتبته السيدة لي إلى زوجي ، فما رأته السيدة لي خرجت مسرعة وأخذ السيد يقرأ كتاب ابني ، وخرجت الفتاة الصغيرة فعرفت أنها ذهبت فأخذ ... من ... المكتب ... وقرأ السيد

# غســـــان

## للأستاذ مراد الكردانى

كن أربع عشرة عذارى فاتنات ناعمات يتحدثن ويسمرن في مجلس غسان ، وقد جلس بجانبها يخطبها وكن أصغر صواحبها

قالت حورية — وهى عربية صغيرة ، ضحوك القلب شقاوتي العروس . صبّحها يا غسان !

فابتسم غسان جميعا ووجهها ابتسامة أشرق بها وجهها وقال في حب وفرح : فلتسكن حبيبا

فاحتضنت رأسها — وهى تمنح كل حب غسان وتؤثرها — تقول وتضحك : ذلك مثل الهوى يا غسان .. وكأنما هذه ضحكت جميعا ضحكا حلواً مسروراً كالنغم الأخير . فأجابها غسان :

— هذا غزله يقال المسكين الذي يحبه الله يا حورية

— ثم ناسيا الحسن من صدرها وعوّضها أقبل على غسان وروحها في شغف أن تحدثهن كيف أنها ألا يجب على الحبيبات تحس قلبها وقلبها يطير من الفرح وتنشط الأزهار من كيد الصبير مجرورة ساكناً سمعها في شهقة خفيفة ، كان يوقظه عنها من زمن ما تحس به من سرور وفرح ، ثم قالت : ما هذا يا غسان ؟ ! أتبين في رأسك عطفك يطمح بهائك

ولا تستشعر نعمة تلك الفرحة التي تفيض من عينيك عندك وحضنك أنت فرحة أكثر من اللازم كل جارحة فيك تهتز حتى كأنما تخرج منها ؟ مخطوفاً — انظرن قلبها كيف رقص من خلال عينيها ووجهها كيف يضحك كأن به نشوة ماثلة في نفس لثوان أو سجدة لا لأدعوها ! حسبي عليك يا غسان فهو رجل لا أقول ولا أكذب

فقالت عذرى في نشوة ظاهرة وإيمان صادق .

اسكتى يا عذراء اسكتى حتى ذهب فتكلم الرجل ، وحين يستيقن أنه جاء ورجع ، ضحكن فضحك السرور منه في النهار والليل ... والله لو رأيتك لضحكت أنت منه في خوف ثم خرجت به ما كان أجل أن يبحث عن مثله ... أنا ما ظفرت برجل مثله !

---

الكتاب العربي فازداد عجباً على عجب وسكت برهة ثم انحدر باكيا وصاح يقول : والدى يبى ، والدى يبى ! لقد كنت أرجو أن أريك رجلاً حتى تجاهد في سبيل وطنك وسكنتك قد تمتعني أجل وأجل فتاتى آه ! آه ! أين أجد جدك في الحياة ؟ ! ...

وصاحت الفتاة الصغيرة مسرعة وهى تقول في دهش : إن السيدة في قد أزعجت نفسها واستعرت في عرفة بى

تخفت ضوء المصباح لقلة الزيت ، فقامت السيدة الكريمة مسرعة فزيت ثم رجعت تقص حديثها

مر ابنى بى ، والسيدة لى ، كلانا في الصيد ، وقد قضيت أسبوعا هناك مريضة ولم أسمع خبراً عن زوجي منذ تلك الليلة فلا أدرى أهو حى أم ميت وكنت أود أن أبقى في الصيد بعد ذهاب زوجي وأخدم السيد بين رفاقه ، لكنه رفض ورجعني ، وبقيت الفتاة وحدها تخدم والدها وترعى الغنم التي كان يرعاها ابني من قبل .. ذلك سبب ما أصابني يا بنى ..

أتبين ذلك مسكينه أيها الضيف الكريم ؟ وكثيراً ما تقابلنى خطوب في الغنم بعد ما فرقتها ورعيتها فنقصت من الأكل وقد نقص أكثرها هزالاً ، وكلما مات واحد منها بكته الفتاة بكاء شديداً وأقامت له قبراً بجانب قبر ابنى ! فلذلك لا أظن ابنى بى يشعر بالوحشة والانفراد ، ولن يشعر بهما أبداً !

* * *

أمسيت أتعجب على السرير بعد ما قصت قصة السيدة مصعب ولم أنم إلا بعد ساعات ولما أغمضت عينى رأيت كأنى قد ذهبت إلى ذلك الصيد الرهيب ، ورأيت ذلك القبر المكتوب على حجره « صبر الفتى يبى » ورأيت حوله قبور الغنم ورأيت أيضاً تلك الفتاة التى رأيتها في النهار فوق التلال جاثية أمام القبر تدعو لصاحبه

ثم لم يلبث أن تحول منظر القبور إلى مسرح جميل في وسطه فتى وفتاة يجريان يرقصان ويغنيان وحولهما قطيع من الغنم وأصحب وفتاة الناس رقص معهما وغنى ، وعدد كثير من الأسد والنمور وسنورات من الحيوان ... وفجأة أبصرت إنساناً يدنو ، وفي يده سيف قاطع ، يهم أن يقتل ، فتى فأحدث عليه القتل فأهوى على ثم استيقظت ولما صاب نفسي وزال اضطرابي جلست في فراشي أترقب مطلع الصبح حتى أسمعه لتسمر وفاتنى طاقة بعد على البقاء في هذا المكان !

المترجم
أبو بكر قرقانى

فتأسرت عنى [illegible] وكانت قد غضبت — رأى عنان
في وجهى [illegible] الرجل [illegible]

وكانت حورية قد تركتهن يتحدثن كأنما [illegible]، وأخذت أسنانها في العض لتأكل [illegible] من الحلوى، حتى إذا أتت عليه رفعت رأسها وقالت لسنان، ولا تزال تمضغ وتمطق:

— أتريد أن يكون في ليلة العرس عشاء كعشاء كامل حسن، لا أن ندعو للشطر من كل صنف لقمة، كأنما [illegible] أو لتناسى أنواع الطعام!

فالتفتت لها [illegible] وجعلت [illegible] رأس الطفل [illegible]، ثم [illegible] وجعلت [illegible] الطفل [illegible] في [illegible] تردها أن [illegible] من الآخر. فاحمرت [illegible] جبهاً [illegible]، ووجنت عنان [illegible] وأحرقت

قالت عنى [illegible] وكانت أعلمهن [illegible] الحديث:

— حدثنا كيف ظفرت بزوجك ولا تخفى المحبوبة ولا [illegible]

فقال عنان

— والله إن الأمر [illegible] عجب من العجب، إنه لا يصدق أو [illegible]، ولكنه وقع لي على أي حال ... كنت جالساً بجوارى في مركبة عامة لا أعرفه ولا يعرفني، [illegible] في [illegible] في زحمة الناس وعلى [illegible]! ثم [illegible]
ثم عاد [illegible]

فضحكن كلهن، وشاع [illegible] حسن [illegible]، و[illegible] أولئهن [illegible] والنظرة — [illegible] إليها وأميل [illegible] [illegible] ما أجد

— كنت أركب السيارة العامة إلى «مصر الجديدة» وكانت الزحمة بالغة، وتدافع الناس على باب الدرجة الأولى، فهداني ربي أن [illegible] إليها من طريق الدرجة الثانية، ولكني وقد [illegible] موقف أعز وأتدافع وسط الرجال. [illegible] إلى يسارى [illegible]، [illegible] في مقعد [illegible] أربعة [illegible] هو إلى يسارى [illegible] ويلحظني بأطراف عينيه. [illegible]، ثم يعود [illegible] ... ولما [illegible] إذ كان جسمه [illegible] جسمي [illegible] تركته [illegible] ثم بدا له أن يرسل عينيه في الطريق من [illegible] في [illegible] المسافة التي [illegible] أن [illegible] عيني أنا الأخرى من

[illegible] عينيه [illegible] ولا [illegible] في [illegible] ثم [illegible] وكانت [illegible] الطول التي [illegible] في [illegible] مضطربة [illegible]

لم أدر ما حدث بعد ذلك ولكنه [illegible] الذكرى على [illegible]

لم أستطع أن [illegible] أعين الناس [illegible] على [illegible] أشد [illegible]، وأحسست أن [illegible]

وأمسك عنان عن [illegible] حديثها [illegible] لأنهن [illegible] — [illegible] عنان — [illegible] [illegible] الشعب [illegible] الزجاجة [illegible] [illegible] عنان التي [illegible] كأنما

و[illegible] ، وهو يبتسم [illegible] جنب عنان [illegible] كأنما يعاود في [illegible] ذكرى اللقاء الأول والقبلة الأولى. [illegible] من [illegible] ومن [illegible] ثم [illegible] كأنه الذي كان [illegible]

[illegible] على [illegible] وأحسست [illegible]

[illegible] عنان [illegible] لذلك

[illegible] ثم من أين [illegible] لك!

فقالت من [illegible] وحسن [illegible] أني أقبلت حين بدأ الحديث يكون [illegible] أمى في [illegible]، [illegible] أن [illegible]، لأن الذي [illegible] هو أنا، [illegible] أنا — لا [illegible] أنت — هو الذي [illegible] في [illegible] وفي [illegible] رأسي [illegible] كأن إبراً تتوالى على صفحة وجهى وفي [illegible]، [illegible] أحسس مواضع [illegible] وأنا مطرقة لا أجسر أن أرفع، و[illegible] — وهي مطرقة مثلى — [illegible] الوجه الجميل قد [illegible]، ثم [illegible] وكأن [illegible] [illegible] [illegible] أحد [illegible] الناس، [illegible] لم [illegible] في [illegible] ولا في [illegible]

ثم [illegible] على [illegible] من [illegible] في [illegible] جديدة [illegible] كانتا [illegible] [illegible] الأحداث [illegible]

لم أستطع أن أحتمل أكثر من ذلك، [illegible] من [illegible] وأنا لا أعرفها — أن من الأوفق أن [illegible]

فقطعت عنان حديثه قائلة في [illegible] ودلال:

— كنت [illegible] مسحور [illegible] للنوم كيف [illegible]

فقال: آذنت لك أن تخاطبيني [illegible] هيهنا حديث كبير
[illegible] جيداً وهو يقول:

أنا لم يطلع واحد منا وأنا هرباً من فضول الناس، ومن [illegible]، ولم تدر بي كيف أطاعني. فتكلفت ذاهلاً [illegible] من يقبل فتاة لا تعرفه ولا يعرف في جمع الناس وعلى عيونهم ثم يمضيان معاً... إن هذا لشيء عظيم

ومشينا [illegible] ثم جلست بعد [illegible] قليلاً [illegible] في أدنى [illegible] على فؤادي [illegible] من جهة [illegible] وذلك إنها قاطعة في آنسة ولها — ولا بد لي منها — لا أحسب في [illegible] كله

[illegible] فما شئت... [illegible] أشهد ما رأيت أحلى ولا أروح منها، وهذا [illegible] ثم يعود إلى [illegible] قصيراً [illegible] يعمل في [illegible] قوة [illegible]

فابتسمت ثريا وقالت

— [illegible] يسمع [illegible] حبيبه [illegible] الكأس [illegible] حتى [illegible] الكأس منها

فأمسك على [illegible] وهو يقول: أي والله يا

ورمى [illegible] كله عنان قائلة: يا ثريا

— أي والله يا ثريا إنه [illegible] على فؤادي كان [illegible] ولا يشبهه؟ ولكنه لم يكن [illegible] آنسة — [illegible] أن [illegible] على أعين الناس

وكانت [illegible] على [illegible] جديد على فؤادي من [illegible] سحرني وحيرني في أمر [illegible] به النظر ولا أنيا أتصبر عنه... كانت فتاة [illegible] وكنت من [illegible] ثلاث [illegible] أكبرهن [illegible] وأوسطها أنني [illegible] حتى [illegible] العسل — كفراشة حمراء [illegible] جناحيها الصغيرين ثم [illegible] على [illegible] وردة [illegible] وأني سحرت حين [illegible] على فؤادي [illegible] حبيب، وأحسب [illegible] من عجائب [illegible] أني [illegible] بعد ذلك [illegible] إنه [illegible] حين [illegible] لأحلى وأنا حين [illegible]

فضحكت ثريا وقالت

— الأحسب [illegible] الأحلى

فقال وهو يبتسم: [illegible] أيتها الآنسة [illegible]

وقالت عنان ثم [illegible] من حيث [illegible]

وفرح [illegible] يطرق [illegible] وقال لي

إنه [illegible] حين، وأني [illegible] ما كنت [illegible] ما سيكون وأنك لن [illegible]، [illegible] هو [illegible]

قال: [illegible] وإنك لي [illegible]! [illegible] حاجبيها [illegible]، ولكنها [illegible] من [illegible] ابتسامة كانت [illegible]، [illegible] ولمست روحها روحي، [illegible] على [illegible] منها فألفت إلى [illegible] وانطوت على [illegible]

ومضت سيارة [illegible] إلى الدرجة الأولى [illegible] طريقها [illegible] في الدرجة الثانية، وما [illegible] من [illegible] ثم [illegible] على [illegible] رأسها

[illegible] عنان [illegible] أشرق في قلب [illegible] وقال في دلال [illegible] وأسمعها [illegible] وكلام

[illegible] بين يديه [illegible] على [illegible] وهو يطرب

لا [illegible] يوم [illegible] لك يا عنان [illegible] على ظهره [illegible]

— أنا [illegible] — [illegible] — [illegible] وتساءلني

ثم نظر [illegible]، [illegible] فقالت [illegible] لا [illegible] إنه [illegible] الفنان [illegible]

فقالت ثريا

— إنه رجل [illegible] يا عنان، [illegible] أن يحب [illegible]، [illegible]

[illegible] على السكينة أن [illegible] هدى [illegible] وأرسلتها — حين [illegible] في الطريق [illegible]، [illegible] هدى أن [illegible] منها [illegible]

وقالت ثريا

— تعال يا هدى [illegible] الدرجة الثانية [illegible] سيارة [illegible] — منذ اليوم — لسيارتي والدرجة الأولى... [illegible] كل منا أن يجلس [illegible] منذ اليوم أيضاً — [illegible] في [illegible] أربعة [illegible] وهي

[illegible]

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع [illegible] }

8me Année No. 360

Lundi 27-5-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٦٠ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٧ مايو سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

# الفكر والحرب...

قال الأستاذ «روبرتسن(1)» في بحثه القيم للكتاب القيم الذي أسماه الصبر «بيتر هندرسون» سحر الجهل في بريطانيا سنوات (سحقان عنه هتلر)

«إن المتمدنين الذين يعيشون في هذا القرن وبداية القرن التاسع عشر وسيحيونه يلمسون من الماضي إذ روى هذا «هتلر» يرجع بالناس إلى عهود مذاهبه القيصرية فيحمل أتباعه على أن يعتقدوا أن الله قد حل به وأن ألمانيا قد تجسدت فيه. وإن المفكرين ليرمون في وسط هذه الزعازع المروعة إلى الله جزعين أن ترتكس الفكر والحضارة في مهاوي البربرية الأولى»

وقال المستر «جون وار» في حديثه المتكامل بالأزهر اليمني للأمم الأمريكية:

«ليس من الصعب أن أتنبأ بنكسة القرون الوسطى في بلد أصبح التفكير الحر مستحيلاً فيه. وأي أمل يبقى للأحلام بعد هذا الطغيان الذي موَّه الباطل على الناس حتى اعتقدوا أنه الحق؟». ثم دعا الولايات المتحدة إلى أن تعود من المدنية التي تدين لها بأكثر ما تنعم به.

(1) المؤرخ ...

الفهـــرس

صفحة



٥٣٦ - ١٤

وقال صديقنا الأستاذ « الحكيم » في « الأهرام »

« إن خير السبل للمحافظة على شئون الفكر والروح كفيل بأن ينهض رجال الفكر والأدب للدفاع بأقلامهم وعلومهم عن حضارة ساهم أسلافهم في وضع أحجارها الأولى »

وكلام هؤلاء السادة عن اختلاف الوطن والمذهب ترجمة صادقة عن المعاني الغامضة التي تشغل الإنسان الحديث فأذاعتها قادة الفكر ورفعت من نفسية المجتمع ، وجعلت منها خصائص لحيواته ... في ... على الإنسان المتقدم والوحش الأبد

وليس في معاني العالم أن يكون أثر الفكر دائماً من الخير المحض ما دام مصدره الإنسان وهو يحمد ويصنع ويخيب ويصيب معاً لوحي غريزته ، خصوصاً لهوى شخصه . أليس الفكر والأدب والعلم والمدنية التي يدعو الأستاذ الكاتب إلى النصح عنها هي نفسها التي جعلت أمانيها المشتركة جميعاً يستعمر بالعقل والمال والعلم ، فزلزلت الأرض من القطب إلى القطب ، وردت الدنيا جماعة مشلشلة من الدم تزوجت والقلق تمت ؟

أو لم تعتمد النازية على الفكر الألماني القوي الخصيب لما استطاع نشاطه ، بحوضه أن يحملها العالم الآتي بأهوال من الشر يبتكرها الشيطان ، وأساليب من الحرب يجهلها الموت

إن الفكر الضال في الأرض لا يملك دفع قصور الإنسان وضلاله ، فهو عاجز عن هداية الناس ما لم يمده الله بنوره ولا يجوز المسكين ابن آدم على أن يزعم أنه يستطيع بفكره أن يحل مشكلاته بالمعارضة ، ويقسم أرزاقه بالعدل ، ويبني علاقته بالود ، ويضع لدنياه أنظمة ثابتة تكفل له السعادة الخالصة والسلام الدائم

وإن الأدب المرتبط بهوى النفوس لم يستطع الإنسان الأثر أن يسمو به على الأهواء الشخصية والأغراض الحزبية والأطماع القومية ؛ فظل في كل أمة خاضعاً لمناهج السياسة وسياسة الدولة وطبيعة الشعب لا يتجاوز حدود المكان ولا أصول الزمن ، فكان عاملاً من أعتد عوامل العصبية والوحشية والفرقة

وإن العلم الذي ثار به العقل كشف أسرار الكون فعلم الحياة ، وسخر قوى الطبيعة لخير الناس ، جاء العصر فاستبد به الشر وروح يستخدمه في نتائج التدمير وتلك الصلات ... بآلات البوار والدمار من طائرات تقذف اللهب وتنشر السموم وراجمات ترسل القنابل !

وإن المدنية التي خربت بها الأرض ، ومات ... الإنسان ... منها النعيم ، وتهيج بازدهارها الإنسان ، قد سيطرت عليها اللذة القاسية فسلبت الروح وحرمتها القلب ، ووضعت حاجزاً بينها وبين الدين ، واصطنع السيف بينها وبين العلم ؛ فتفشت الآلام ، وباعدت القرائن ، وتشعبت المذاهب ، وتكاثرت المطامع ، وتكالبت الأهواء واضطرب الناس في سبيل الكدح ، وألهتهم سوابق الفكر ، حتى غروا بعقلهم وطبيعتهم عن حضارة الحضارة فسموا بالطائرات ، وعلوا بالآلات ، ونظروا بالتلسكوب وغاصوا بالكروسكوب ، وصارت عليهم الأرض رحباً فسربوا في الآفاق ، واحتضروا على ... السلسبيل فتشكروا يوم الصلاح فكانت هذه المدنية المادية أشبه بصبي الآخرة تصبح بطالة ولا تعي الأمس ليستمر الاضطراب ويتمسك القلب ويدوم الطبيعة الغامضة عند الثوب الأبيض الوثني يحمل عنه الإنسان الأعمى الذي يحمل ولا يعرف لمن ، ويسرع ولا يدري إلى أين !

* * *

هذا الفكر الضنين ، وهذا الأدب القاصر ، وهذا العلم المجرم ، وهذه المدنية الفاجرة ، لا تستحق الاحتفاظ بها ولا الشعور منها يا زملاءنا الأعزاء . لقد شهد بأسها وعظم خطرها في ألمانيا (الراقية) ، وملأت ... وتشعب وتصدع وانتهى ؛ وإن من الخير للإنسانية أن تذهب هذه المدنية مع أهلها إلى غير رجعة

إن الفكر الذي نريده هو الفكر المدبر الهادي الذي يشرق في جوانبه نور الله فلا يتعسه الضلال ولا يضل عنه سائر ، وإن المدنية التي نرجوها هي المدنية الإنسانية التي بعثت في موتاها روح الله فلا يزيد بها شقي ولا يتعس فيها أثر

إن شمس المدنية الصحيحة قد أشرقت من الشرق ثم غربت في الغرب ، ولا بد أن يعود الفلك ضوءه إلى مطلعها لتشرق على العالم من جديد

**إبراهيم ...**

# سيكولوجية الأديب

## للدكتور إبراهيم ناجي

---

في هذا الموضوع ناحية شخصية طريفة، وطرافتها تزيدني بالتجربة؟ بل لا أرى الآن موضوعاً جديداً، وإنما أرى أشياء مشخوصاً واحداً، وصنوفاً من الشباب يكون مجموعه سبب كلمة. ومع ذلك فقد سبكت هذا خلاصة الجميع، وأتكلم كلاماً جديداً سيكولوجياً يكون فائدة أعم وأرقى.

أعني من أهم الموضوعات الأدبية مسألة «سيكولوجية الأديب».

ولما كان الأدب فرعاً من الفن، كان الكلام الصحيح هو عن سيكولوجية الفنان. ومقال اليوم يتناول سيكولوجية الفنان المصري، لأن الفنان المصري طابعاً خاصاً به لا نجده في غير مصر، والثقافة الفنية في مصر حالة لا نجدها في غيرها من البلاد.

ولما كان الجسم والنفس وحدة متماسكة، فإن أمراضهما متصلة، وإن كان في الجسم عضو يتأثر أكثر من غيره. وفوق ذلك، فإن للأدباء المصريين أمراضاً خاصة بهم وسنبدأ الآن بالتحدث عن نفسية الأديب المصري.

الأديب المصري يتعذر أن يكون رجلاً طبيعياً؟ فإننا إذا نظرنا إلى الحياة وشرحناها، ثم إلى الأديب وشرحنا خصائصه، عرفنا صحة ما نقول.

ما هي الحياة؟

أصدق تعريف لها أنها تفاعل بين عوامل خارجية تتكون من البيئة والظروف والعادات والتقاليد، وعوامل داخلية تتكون من العناصر التي تتفاعلها وتحورها وتمسكها أو تدفع إلى المجموعة التي اصطلحنا على تسميتها «الشخصية». فالحياة إذن موازنة بين داخل وخارج، الحياة موازنة بين قوتين وملاءمة بين دافعين، وكل ما يعتري الحياة من انزعاج أو شذوذ، أصله اضطراب في ميزان التفاعل، وأصل ذلك الاضطراب اختلال في عنصر من العناصر الداخلية أو الخارجية.

وإذن سلمنا أن العوامل الخارجية متساوية بالنسبة لنا جميعاً، سلمنا كذلك أن الاختلال أكثره داخلي أي في ذواتنا، ومن صميم أنفسنا. ولننظر الآن إلى العناصر الداخلية في النفس بوجه عام، ثم نرجع إلى نفس الأديب المصري بوجه خاص.

أهم العناصر الداخلية التي تكون «الذات» هي «العادة» و«الحس».

ويدخل تحت حكم العادة ما نسميه «الخلق»، ولا يخفى أن التربية «عادة»، خلقتنا وربتنا أجيالاً، ثم صار طبيعة ثانية. ويدخل في بناء الشخصية بعد ذلك مواهب موروثة أو فطرية كالذاكرة والخيال والذكاء.

ويتوقف ذلك كله على الغرائز الفطرية التي هي واحدة في جميع البشر، وإنما تختلف حسب مقدار ما أطلقنا منها وما كبتنا.

وأما «الحس» فيحتوي «الحب» و«الجنس»، ولا يهمنا من ذلك اللفظ معنى الشهوة، وإنما نقصد به على طول خطه الممتد بالرابطة التي تصل إلى المجتمع العاطفي كله.

وسيأتي بيان هذه الأمور بالأسباب على الوجه الآتي: الوراثة والتربية والبيئة.

إن أعظم الرواة أن كان الأديب يرى أن هناك ذكاء مكتسباً موروثاً، وآخر يحصل عليه بالمران، الأول «موهبة» والثاني «صنعة».

ولا جدال في أن الأدب موهبة، وأن أخص المواهب الأدبية كالخيال والموسيقية وغيرها، مواهب يولد بها المرء ولا تصنع.

والأديب منذ طفولته وكذا صغره في الطفولة يرى في التأمل أن الطفل يقوم على تلقي الموسيقى، ويتأنس بالصوت، ويحب القصة الخيالية، ويلد بواقعها عن نفسه.

فالواقع أن الأديب منذ صغره والأديب الصحيح من له مشاعر الخالق، في ترجمة الأشياء، وملاحظة وجوهها، وضحكه وبكائه، وفرحه وحزنه والموسيقى. والتربية الأدبية الصحيحة هي التي ترمي إلى شيئين: تربية الحواس، وحدة الحواس هي الوسيلة التي بها يستعين الأديب على التقاط الصور ومعاني الأشياء. والثاني، التي هي الحرية التي بها تترعرع شجرة الذات، وتتغذى بها الحواس النشطة اليقظة.

والأديب المصري محروم من الأمرين في المنزل وفي المدرسة لا يجد من يتعهد تلك الحواس بالتشذيب، وفي المنزل يجد التربية قائمة على الزواجر والنواهي، وقتل حرية الاستطلاع التي هي أهم

خصائص الأديب . وفي المرسة عيد سلسلة من « الكلمات » الشخصية التي تنقل مواهب وتغيرها وتحمل شجرة المعرفة ولكنا وكما ذكرت ، عندنا أديب السليقة ، وأديب بلا كتب

أما الأول فيسير على تلك الأسوار وتحمله تلمس بالفهم ، ويطوى نفسه على ثورة مكبوتة . والثاني يعلو تلك الأسطار ، ويجعلها محمولة ، ويصل إلى حجة للمستقبل ورجلاً عدواً يحرم على غيره من الناس جنيل من المواهب الكلامية والبيانية وشيء من النقد في المسائل وأرباب الحيوية

ونتكلم الآن عن مسألة « الحب » لما لها من الأهمية البالغة في حياة الأديب ولما لها من الشأن في مصر خاصة

لما في تعريف يلائم وفي تعريف البيولوجي « شطر بحث عن شطره الآخر الذي كان لاصقاً به ومكملاً فانفصل . »

فالبيولوجيا تقرر أن الكائن كان في البدء وحدة ثم شطر ، وكان الشطران في البدء على جدع واحد وكانا متساويين ، فربما أن عبرا على الجدع ثم انفصلا ، ثم قضى الله عليهما أن يبحث كل عن الآخر ... في سن المراهقة حيث تنشط الغدد وتتأجج الحواس وتتطلع النفس باحثة عن شطرها الضائع

وهذه الروح هي أزمة الأزمات ، وهو عنده في مصر سن خطر ، ومع الأسف يقل فيه الإرشاد وتندر الصراحة الرجية ، مع أنه العهد الذي يبدأ فيه تفتح الأديب ، وتزدهر مواهب العمل وتتفتح

فإن النفس التي تتطلع إلى مثلها الأعلى ، أعني إلى توأم من النفس الآخر ، قد تجده فإن وجدته قد لا تظفر به ، أو قد تظفر وتنقص الرواية ، أو لا تجده ، فتتحول إلى تعلق شيء على شاكلة ، أو تتصل بالحنين إليه ، أو وجد على الفراش أو الخمر ، وهكذا . أو يكون الأزمة الخفية من الشدة حيث تحدث أسهر ما شيئاً كبيراً ، فإما أن يكون هذا الاضطراب عدواً وانعصابياً أو عقلياً وانطوائياً ، وإما أشد من ذلك وهو الجنون الذي يعرفه الأطباء باسم جنون المراهقة ومن أسبابه وعلته

قلت إن هذه العهد في مصر أخطر العهود على الشباب الأديب فإما أن يكون أدبياً عبقرياً ، مطالبه الفكرية أن مثله الأعلى غير موجود أو مستحيل ، وكارثته الأخرى أنه بفارق حبه المنشود يجنى في الحصول عليه أولاً ، لأنه مال لا يعرف الطريق السهل إلى ذلك ، وثانياً لأنه شديد حساسيته مع التعلق بالأمور كراهته تيمم بما حوله من وحه الحبيب ، أما الأديب « ... » ما يتحرك في « القالب » العطاء وسط وحسب فيه ، وعلى ذلك أولاً في « التركيب » الذي ركب فيه ، وثانياً في منقد التأمل في أمره بالعطاء والترجيه ، وكأنما يحاوله بنوع من الشعر والتعبير منحة من السماء

هذا فيما يختص بالعناصر الداخلية أو كما يسميه الدكتور جوردون صاحب كتاب « العصبي وأسرته » « ضغط الظروف » هو الذي باصطدامه مع تلك العوامل التي ذكرتها يسبب المرض العصبي ، وذلك الاصطدام مشتركاً عند المصري على الفرق بينه وبين البيئة ، وعند الأديب المشروع الفرق بين ما يعطاه وما يحاول أن يصل إليه

هذا موجز لمرض الأدباء مرضاً عصبياً ، أما أمراضهم الجسمية فنسبة من اضطراب قواهم ونقلة حياتهم . فهم قوم مسرفون في السهر ، يتناولون قليلاً وربما أكلوا قليلاً — وأكثر الأدباء فقراء ، ويعودهم فقرهم إلى تناول أطعمة شاذة ، وقد يستعينون بالمنبهات على إتمان العمل ووفرة الإنتاج

وهم في مصر كثيرو المرض ، ولذلك يعرفون بالكبد والمعدة وأكثرهم يأتونك بشكاية من اضطراب العصب ، وليس في قلوبهم مرض . وإنما منشأ ذلك فرط ذكائهم واطلاعهم فهم يقرأون كتب الطب فيتوهمون مرضها فيهم ، ثم يحسون قلوبهم وأكبادهم ويتخيلون في المرض كما يتخيلون في الأدب

إبراهيم ناجي

# مالك والجاحظ
## في العصر الحديث
للأستاذ محمود الشرقاوي

يقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي في حديثه مع الرسالة «بين أيدينا كل ما ورد عن الرسول من الأحاديث، وما روي عن الأئمة من الأحكام، وما أثر عن الفقهاء من الكتب؟ وفي مراثتنا كل ما خلف العرب وغير العرب من كتب الأدب وعصارة الفكر، ومع هذا اليسر في الوسائل وهذه القوة في الاستعداد لا نرى إلا مرددا يجتر الظنون ويجري بالإ هو المبهم»

ثم يتعجب الشيخ الأكبر كما يتعجب بعده الدكتور زكي مبارك منه: «لماذا لا يظهر في العصر الحديث مشرع مثل الإمام مالك وأديب مثل الجاحظ ...؟»

وهذه هي المسألة التي وعدنا قراء «الرسالة» أن نبحثها في ختام مقالنا الأول (1)

* * *

صحيح ما يقوله الشيخ الأكبر من توفر ما روي عن الرسول من الأحاديث وما روي عن الأئمة وعن الفقهاء، وتوفر ما في مراثتنا مما خلف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر، صحيح كل هذا ونحن أيسر من جميع العصور حتى من عصر مالك وعصر الجاحظ في توفر هذه المصادر كلها والمراجع كلها والكتب كلها وفي سهولة الوصول إليها والبحث فيها

ولكن توفر هذه المراجع والمصادر والكتب لا يوجد من بيننا إماما كمالك ولا أديبا كالجاحظ. وليس من العجب ألا يوجد؛ فليست الكتب وحدها ولا المراجع ولا الأصول هي التي تنشئ الأديب ولا هي التي تبرز العبقري، بل هناك أسباب أخرى يمكن أن نذكر منها البيئة العقلية والوسط الاجتماعي، ومستوى الحياة العقلية في العصر الذي ينشأ فيه العالم، وينشأ فيه الأديب

فهل نستطيع أن نزعم أن البيئة العقلية التي نشأ فيها مالك والتي تكون منها تفكيره وتم بها توجيهه العقلي، وأن البيئة التي نشأ فيها الجاحظ، وتكونت فيها عبقريته، وتم توجيهه الأدبي، هل نستطيع أن نزعم أن هذه البيئة أو تلك تشبه ما نحن فيه الآن أو قريبة منها؟!

كانت الحياة الاجتماعية والحياة السياسية في عصر مالك والجاحظ تمور بالنشاط بل بالعنف، وتضطرب بالحياة القوية المتجددة. وكانت الأحداث السياسية والحربية والاجتماعية تجيء في كل يوم بجديد. وكانت الأمة الإسلامية أو الأمة العربية في عصر مالك والجاحظ في صحة السيادة والسلطان تطاول على العالم كله «عالم ذلك العصر». وكانت حضارات الأمم القديمة الموروثة وأصولها وآثارها العقلية والأدبية تنصب كالسيل في نهر الحياة الإسلامية أو العربية فتملأه بالنشاط والحركة والحيوية

وكان المجتمع الإسلامي أو العربي في عصر مالك والجاحظ يحس بأنه صاحب السيادة على ما سواه من المجتمعات، صاحب السيادة الحربية والعقلية والأدبية. بل لم يكن يجد أمامه أحدا من المجتمعات يمكن أن يخاف منه أو يوازن إلى جانبه أو تتم بينه وبينه المنافسة والترجيح، لأن الأمة الإسلامية أو العربية كانت في ذلك العهد صاحبة السيادة السياسية والحربية وما سواها من السيادات، ولم يكن عندها أحد من يوازن سيادتها بسيادته، أو تقام بينها وبينه المنافسة والترجيح

وفي هذه البيئة وفي ظل هذه السيادة التي يشعر بها المجتمع ويشعر بها الفرد كأنها حقيقة واضحة نشأ مالك والجاحظ فكانت لهما سيادة الذهن وسيادة الفكر والأدب والفن

وهذه الأشياء كلها: البيئة العقلية، والوسط الاجتماعي، ومستوى الحياة العقلية، وشعور المجتمع بالسيادة أو بالهوان، ومكان الدولة من القوة والضعف، كل أولئك أشياء يحسب حسابها في تكوين الأديب والعالم وفي توجيهه ووجهة بحثه ووجهة إنتاجه.

وبالمقارنة بين هذه الأشياء في عصر مالك والجاحظ وبينها في مصر والشرق في عصرنا هذا نستطيع أن نصحح عقدتنا وأن نجعلها حيث يكون موضعها الطبيعي

(1) العدد ٣٠٥ من الرسالة

وليس من الغريب أن نذكر هنا قول ابن دريد في مقصورته :

وكل قرن ناجم في زمن ... فهو شبيه زمن فيه بدا

وقد نبغ مالك ونبغ الجاحظ في زمن كانت السيادة فيه لمواليهم ودينهم وعلمهم فكانوا شبيهين بعصرهم ، ونحن عاصرنا وأدركنا في زمن فنحن شبيهون به

ولا عجب في ذلك ولا غرابة

* * *

وبهذا ننتقل من ذلك إلى مسألة أخرى نلخصها في هذه الأسئلة وفي الإجابات عليها

ما هي القيمة الشخصية لمالك والجاحظ ؟ وهل لا نجد في عصر غير عصريهما من يكون قيمته مثل قيمتهم ؟ وهل لا نجد في عصرنا هذا من يقرب إليهما ويدنو بجوارهما !

أما مالك فهو إمام مشرع ذائع الشهرة والذكاء في جمع المسائل وفي التشريع ، ولكننا نستطيع أن نعد له عدداً بل أعداداً كثيرين في هذه الصفات كلها . وفي مسائل كثيرة نجد علماء معاصرين يناقشون مذهب مالك أو غيره من المذاهب ويصححون رأيه في مسألة أو في مسائل ثم يدفع البحث المنصف بأن رأيهم أرجح من رأي مالك وأن تصحيحهم هذه المسألة أو المسائل أدق من تصحيحه

ونستطيع أن نجد كثيراً من هذا في مطالعاتنا لعلم الأصول وأن نجد غيرنا كذلك

ونجد في عصرنا هذا علماء يناقشون في مذهب مالك وفي غيره من مذاهب الأئمة ويصححون رأيه في مسألة أو في مسائل ، ويكون رأيهم فيها أرجح من رأي مالك ، وتصحيحهم هذا أدق وأصدق من تصحيحه

في الأحاديث النبوية التي أتقنها الأئمة الأكابر ، وفي دروسه التي ألقيتها منذ سنين ، وفي أحكامه مثل ذلك في القضاء آراء ومسائل خرج فيها من رأي مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد ، مقتنعاً وواثقاً بصواب رأيه على رأيهم . وكان صوابه في هذه المسائل أدق وأصدق من صواب مالك وأبي حنيفة

ونقرأ ونسمع لعلماء معاصرين آراء يخالفون بها هذا وذاك من الأئمة ومن الفحول ، ثم نجد من الإنصاف أن نقر لهم بأن فنشهد بأنهم أدق فهماً وأصدق رأياً من هؤلاء وأولئك من الأئمة والفحول ، ولو خالفوا مالكاً

ثم نتحول بعد ذلك إلى الجاحظ فنقول قولنا في مالك بفرق بسيط ولكنه ضروري ، فإذا أردنا أن نضع الجاحظ وغيره من فحول الأدب القديم حيث يستحقون من تاريخنا الأدبي والثقافي يجب أن نلاحظ الفرق بين « الأديب » في العصور القديمة وبين « الأديب » في عصرنا هذا ، وأن نلاحظ الفرق بين « الأدب » في تلك العصور وبين الأدب في عصرنا هذا

فالأدب عند العرب في عصر الجاحظ وفي غيره من العصور ( وإلى عهد قريب ) كان أدب حفظ وجمع ورواية . وكان الأديب يوزن قدره ويلحظ مكانه بقدر ما يحفظ من الشعر ، ومن غريب الرواية ، ومن كلام السلف والأعراب ، ومن شعر الشعراء . وكان أكبر ما يمدح به الأديب أن يقال فيه إنه « بحر علم » و « مرآة أديب » و « بئر علم » و « جامع علوم الأوائل والأواخر » إلى غير هذه النعوت التي تدور كلها حول محور الرواية والحفظ والجمع والاستيعاب

فإذا نظرنا إلى الجاحظ وإلى من هو أقل من الجاحظ مكاناً فإنا لا نجد في عصرنا من يشابهه أو يقاربه ، ولا بد أن نجد الأدب والشعر ورواية الغريب التي هي بضاعة الجاحظ وغيره من فحول الأدب السالف ( إذا نظرنا للأدب هذه النظرة ) هذه البضاعة لا تساوي شيئاً ، ولا نأسف لأننا لا نجد في عصرنا من يوزن بالحافظة منها ، فعندنا خزائن الكتب أرحب وأوسع وأصدق وأيسر من صدر الجاحظ ومن روايته

أما الآن ، فنحن ننظر إلى الأدب على أنه فن قائم على قواعد وأصول ، وعلى أنه أسلوب وفكرة ، أو على أنه أسلوب فقط . نحن ننظر إلى الأدب على أنه من دون هذا أو هذا كله ، أو على أنه شيء غير هذا وذاك . ولكنه مهما يكن ، فليس هو الجمع والحفظ والاستيعاب والرواية للغريب والشعر . فإذا وزنا أدب الجاحظ بهذا الميزان الجديد للأدب ، فقد يخف وزنه ولا يبقى محصوراً ولا علماً منقطع النظير والأقران في عصرنا

فتلك البضاعة التي كان يتجر بها الجاحظ ونوع هذه التجارة لا وزن له ولا قيمة في عصرنا . ونلحقه في الأزهر أو في مدرسة

# الأسماء تعلل

## للدكتور مأمون عبد السلام

[ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ]
« قرآن كريم »

فكل كان اسم يعرف به . هكذا جرت طبيعة الخلق ، وهكذا سيكون إلى أن يشاء الله . فسمى الله آدم ، الرجل ، لأنه أول رجل خلقه الله ، كما أن حواء أول امرأة خلقها . وقد أصبحت فيما بعد لأنه اتخذته رجلا من عند الله . وسمى الله أبرام إبراهيم لأنه سيكون أبا لجمهور من الأمم . وهذا سماه زوجة أبينا الخليل سارة لأنه سيصير بها قبيلة ، وسمى ابنه منها إسحق لأن إبراهيم عليه السلام سقط على وجهه وضحك لأن الله أخبره بأنه سيولد له ابن وقد وهي ابنه لسبعين سنة . وقد قالت سارة عندما ولدته : « قد صنع الله إلي ضحكا . كل من يسمع بي يضحك » . لذلك سمي إسحق من الضحك . وسمي يعقوب بذلك لأنه كان

وأما ابنه يوسف فخرج بعده وهو أخص بعقبه ، ففيه جاء في التوراة في سبيل أسماء الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

فأسماء الأعلام في الأصل إنما هي تمييز وسمي ، وقد جرت عادة بني الإنسان في كافة أنحاء الأرض أن يتبعوا مراعاة في تسمية أبنائهم تكاد تكون واحدة . فتراهم يلجئون بأسمائهم إلى معبوداتهم ، وإلى الملائكة والرسل والأنبياء والقديسين وأسماء الملوك والفاتحين ، وأصحاب الشهرة من خلفائهم وكرام . فكان قدماء المصريين مثلا يسمون أبناءهم بالإضافة إلى آلهتهم مثل رعمسيس ، وتوت عنخ آمون وأخناتون . وكانت العرب في جاهليتهم يسمونهم عبد مناة وعبد العزى . ويسمي أهل الكتاب أولادهم بأسماء الرسل أولى العزم والقديسين كنوح وإبراهيم ويوسف وعيسى ومحمد . وبأسماء الملائكة مثل جبريل وميكائيل . وما يرد في الأرض عبر الأعمار تسميتهم بعد الملائكة يكثر في أسماء المسلمين عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الغفار ، وغير ذلك من الإضافة إلى أسماء الله الحسنى ، كما يكثر فيهم أحمد ، محمود ، أحمد ، حامد ، حماد ، محمدي .

---

آثاره يعرف من جغرافيته ومن حقائق التاريخ ومن علوم الطبيعة أكثر وأصدق مما نجد في كتب الجاحظ من الحيوان إلى البيان والتبيين ، بل يعرف من ذلك ومن حقائق العلوم أكثر وأصدق مما يعرف أدباء العرب جميعا في جميع العصور ، وليس ذلك عيبا فيهم ، فقد كانوا يعرفون أكبر قسط وأصدق قسط من علوم عصرهم ومعارفه .

وليس مطلوبا منهم أكثر من ذلك ، ولكنه لا يجعلهم أعظم عالما ، ولا أكبر مكانا من كاتب متوسط في عصرنا .

وأما أسلوب الجاحظ وبصره بالأدب فلو تركنا الى أثرنا إنما سنه قليل ، فهو الذي يصح أن نقيم له وزنا وأن نقارن بينه فيه وبين كتابنا وأدبائنا المعاصرين . وهذه المقارنة نرجو أن يسمح لنا صديقنا الأستاذ الأكبر ، وأن يسمح لنا صديقنا الدكتور زكي مبارك ، بعد خبرة بهما ، أن نخرج بنا إلى النتيجة التي توقفنا عليها . فالجاحظ وغير الجاحظ من فحول الأدب القديم نستطيع أن نجد لهم شبيها وقرينا في عصرنا هذا .

نستطيع أن نجد من يشبه الجاحظ في بحثه المسائل الأدبية وفي بصره بالأدب والشعر وفي « الذوق الأدبي » ، وأن نجد من يشبه الجاحظ أو يزيد عليه في النقد الأدبي ، ولا أقدم على ذلك دليلا سوى صديقنا زكي مبارك نفسه بكتبه وفي الأدب وتعليقاته وتصويباته الأدبية والتاريخية عليه وعلى غيره من الكتب ورسالته عن كتاب الأم وبحثه الشامل .

وكذلك نستطيع أن نقول مثل ذلك في أسلوب الجاحظ وفي أساليب غيره من فحول الأدب القديم ، لا أستثني من ذلك سوى أصحاب المقامات كالحريري والزمخشري .

وأسلوب الشيخ الرافعي في الكتابة والخطابة ، وأسلوب الزيات في « الرسالة » ، وأساليب غيرهما من الباحثين والأدباء والمفكرين في عصرنا ، نستطيع أن نقيم الموازنة بينها وبين أسلوب الجاحظ وغير الجاحظ من أهل القديم . وقد نجد الرواة قد ميزوا منهم وليس لهم إلا أن الزمن تقدم بهم فرفعتهم منه فخامة التاريخ .

محمود النمر فارس

ومن الأسماء ما يكثر عملاً بقصة أول أو قديس محلي ، فترى اسم مولد منتشراً في مديرية القليوبية ، ويكثر في قنا وجود تجرى هذين القديسين مهما ، كما يكثر اسم موسى في جنوب سينا

وكانت عادة العرب وغيرهم من الأمم قديماً أن يختاروا الذكور من أولادهم أسماء تشعر أعداءهم بالبأس والقوة والشجاعة لتلقى الرعب في قلوبهم ، فمن أسماء العرب معارك ، محارب ، حرب ، شجاع ، صنديد ، شديد ، مشاكل ، غضبان ، عباس ، غالب ، وحش ، منصور ، وهذه الأسماء ما يقابلها عنه الفراعنة مثل حورمحب ، سانيدج ، سكور

كما أنهم يسمونهم بأسماء الحيوانات التي يعجبون بما لصفات يحبونها فيها كالشجاعة والمكر والفتك ، ونرى كثيراً من المصريين والعرب يسمون الوحش ، الوحشى ، السبع ، السبيع ، النمر ، الفهد ، الذئب ، الفيل ، الجحش ، الجدى ، العجل ، العجيل ، الجمل ، الخروف ، الجمل ، القرد ، الفار . كما أن منهم من اسمه سلمه ، عنتر ، عبس ، جرو ، جحش ، هر ، جاموس ، جرو وهو طرش ، وهو الكلب أو ابن آوى ، بقلة من حجر ، ومنهم من اسمه البس وهو الأسد الجبل

ويسمى كثير من سكان السواحل المصرية بأسماء الأسماك مثل قرموط ، شلبة ، شال ، رزوق ، كركور ، شبار ، بوري ، مسحول ، حوت

كما أن منهم من يسمى بأسماء الطيور مثل الفقيش وهو نوع من الطير أحمر أرقط ، وقد يكون النخرش المعروف عصفور ، ومن الأسماء المعروفة يعسوب حمامة ، صقر ، عصفور ، شحرور ، هدهد ، غراب ، فرخ ، زرزور ، بلبل ، عقاب ، ديك ، بطة

ومنهم من يسمى بأسماء الحشرات والهوام مثلاً أشخاص يسمون نحلة ، دبور ، صرصار ، خنفس ، برغوث ، بقة ، حنش ، حنش ، حية

ومن الناس من يسمون بأسماء النباتات ، فمنهم من يتخذ أسماء الحبوب مثل عائلات قمحة وشعير ودرة . ومنهم من يسمى بأسماء الخضر مثل : فلفل ، قوطة ، كوسة ، جزر ، خروبة ، جليجة ، بقلة . ومنهم من يسمى بأسماء الأشجار والفاكهة والفاكهة مثل : عنبة ، سرسوخ ، خوخة ، زيتون ، ورقة ، جميز ، حب الرمان ، برقوق ، تفاحة ، برتقالة ، وردة . وقد يسمون بأسماء الحشائش والنباتات الصحراوية ، مثل : رتم ، شيح ، حنظل ، حلفا ، رجلة ، رعية ، حشيش

ومن الناس من يغلب عليه لقب بصفة فيه ، أو شهرة تلحقه فيصبح اسماً يتوارثه أولاده ، فهناك من يسمون : البطاح ، الحسن ، الذى ، الذكر ، الزهر ، البيوض ، الطباخ ، عابط ، بلبيص ، الأقرع ، الأعور ، الفاكح ، الأجرب ، السمران ، الأطرش ، الأعمش ، الأحدب ، الحارم ، الحلو ، الحشى ، النائم ، النافي ، الدخل ، الأصل ، المكروب ، المصور ، السابع ، المقدم ، السيد ، العبد ، البربري ، المبارك ، المشرق . كما أن منهم من يسمى أعمى ، تعبان ، مهبول ، عفاشة ، عشور ، قشور ، مشلوق

ومنهم من يأخذ اسم عيب جسماني أو أمراض مثل حصبة وقشف وورد

ومن الناس من يكون لاسمه معنى سوقي خاص يدل على الزهد كأن يسمى الرجل أو نفسه : صعلوك ، ما كفى ، سيب ، لاشى ، الضعيف ، الخفيف ، الذليل ، الناقص ، الغريان ، المتبلى !

ومنهم من يسمى باسم حنى ، شادى ، ملك

ومن غريب أسماء الأشخاص ما يدل على مأكول ، فهناك أشخاص يسمون باسم عسل ، قهوة ، ثور ، كشك ، مزيجة ، سكر ، تشطة ، عسل ، كبك ، قراقيش ، برغل ، مشن ، بن ، لبنة . كما أن بعضهم يأخذ لأولاده أسماء الجمادات مثل : حصية ، لوح ، قنديل ، مصباح ، فانوس ، هيكل ، الفرو ، النين ، الزر ، المحص ، رباط ، صمر ، شكرى ، العرص ، العرع ، الزير ، طبق ، قلة ، مشرف ، دمغة ، طربة . ومنهم من يسمى بحجر نفيس مثل : الفيروزه ، أو يسمى بنفيس الأشياء : كدهب ، مرجان ، الماس ، وصيد ، لؤلؤ

ومنهم من يسمى بأسماء الأيام والشهور وفصول السنة مثل خميس ، جمعة ، محرم ، رجب ، شعبان ، رمضان ، ربيع ، شتاء . ومنهم من يسمى : مطر ، غيث ، سحاب ؛ كما أن منهم من لاسمه علاقة بالنور والنار والكواكب مثل شعلان ، بدر ، نور ، عزوز ، شروق ، بريق ، قمر ، أنور ، نوار ، ... الظلام ، شمس ، نجم ، ثريا ، زهرة

ومنهم من يسمى بأسماء آلات القتال مثل دوس ودنت وسيف وبمة

ويدل كثير من ألقاب العائلات على أصل موطنها الأول مثل الشامي والمغربي ، الفرنساوي ، التركي ، السوداني ، الحبشي ، الهندي كما أن منها ما يشير بحرفة أو صناعة أو وظيفة أو صفة لأحد أجدادها . كالحميدي ، السمان ، الزمر ، الحار ، القنصلي ، التراكي ، الطرابيشي ، المنشاوي ، الحداد ، النحاس ، النجار ، الصوفي ، الصايغ ، القصاص ، المدبولي ، الجمال ، الصحار ، السحري ، الحلاوي ، الفرماوي ، الصيرفي ، الزيات ، الصبحي ، البيطار ، الحلوجي ، الحاجب ، الشيخ ، الترابي ، السحراوي ، الطحان ، النحوقاني ، القصاني ، السكساني ، العكاري ، الفلكاني ، الشيكشي ، الزماني ، السحري ، طحان ، الكعكي ، الحسيني ، القباني ، السكري ، الطرابي ، السقا ، الخراز ، الفولي ، الفولي ، القرز ، ومن الأسماء طحان ، عنان ، خباز ، رياش ، ومنهم الزيات ، السلائلي ، المكاكيني ، المطاري ، القمص ، القسيس ، مفتدي ، المسمة ، الشيخ ، الأفندي ، البيه ، الباشا الأمير ، البرنسي ، صالح

ويختار كثير من الناس غريب الأسماء لأبنائهم ليطيلوا بذلك أعمارهم ويحفظوا الجن عنهم ؛ فمن أمثلة ذلك عدي ، آتق ، دقلق ، شهه ، شكمه ، عكشه ، حنجر ( بضم الحاء والجيم ) ، جمع ، صرع ( بتشديد الراء ) ، ستكعار ، زمارط ، رعطوط ، شحوت ، شحات ، متحوت ، طنن ، جعلص ، كبيبه ، كاظرطه ، زهرج ، جبيهة ، جبيص ، سمهل ، صميط ، طمور ، دمروج ، عميرة ، دعبس ، دهي ، رهيب ، أبو ( الزواي ) ، شلتوت ، عروش ، مبروك ، بربر ، بنوه ، شرشوما ، بجيمع ، شوع ، حتاته ، كاتش ، بسيس ، تسكر ، ابال ، بابل ، جهيئة ، جميزة ، حرنبل ، يقاظه ، دعنوفة ، صلح ( بتشديد الصاد واللام ) ، سلطح ، حنبوط ، كرشه ، دمل ، صبحة ، كبورة ، كشلة ، الدكش ، الدكي ، شلقم ، شمشم ، مدبح ، زنقط ، بعيط ، طرمة ، حرحش ، رقة ، شرمش ، طرباش ، حنطم ، لالة ، ميرمى ، سترق ، البيت ، هنل ، سبيل ( بضم السين والسين وتشديد الياء المفتوحة ) ، قزبل ، طيطة ، لازم

ومن الأسماء ما هو مركب مثال ذلك ... ثلاثات ميتكيس ، قسيم

الديل ، قر القطن ، سبع البور ، حب الرمان [illegible]

ومن أسماء البنات [illegible]

( اسم ست طرحة البعرة ) ، قمر حب

وكثير من الأسماء كنيات كنى بها أصحابها في الأصل [illegible] حسنة . ومن أمثلة ذلك : أبو علموت ، أبو موردة ، أبو [illegible] أبو طاقيه ، أبو الزوج ، أبو الريش ، أبو النيط ، أبو وردة ، أبو كرش ، أبو سته ، أبو صرع ، أبو أصبع ، أبو حجر ، أبو جمل ، أبو قمه ، أبو قفله ، أبو دينه ، أبو شنب ، أبو وعدية ، أبو ريشه ، أبو الس ، أبو شعب ، أبو شنب قصه ، أبو عيس ، أبو حصيرة ، أبو ليه ، أبو طاس ، أبو حربها ، أبو عنبة ، أبو قاعود ، أبو طاحون ، أبو طحين ، أبو جازية ، أبو سحل ، أبو دراز ، أبو رمح ، أبو سيف ، أبو شعير ، أبو عومة ، أبو دوح . ومنهم من يكنى بأسماء أولاده مثل أبو حسين ، أبو تيه ، أبو تنيسة ، أبو زعبا ، أبو طريفة .

ومن الأسماء ما هو مثنى لاسم علم مثل : محمدين ، حسنين ، حسانين ، بكرى

ولا تظن أيها القارئ الكريم أن المصريين منفردون وحدهم بهذه التسمية ، فهناك ما يماثل هذه الأسماء في كافة بقاع الأرض بلغات أصحابها ، مما يدل على أن العقل البشري يفكر على نمط واحد مهما بعدت الشقة واتسعت المسافة

مأمور قسم السموم
عمر ذكي السيد الليثي
وكيل قسم أمراض النبات

# كتاب الأغاني

## للأستاذ حسن خطاب الوكيل

طبع كتاب الأغاني بالمطبعة الأميرية في عشرين جزءاً تنتهي بأخبار عبادة بن ماء السماء ، وبعد خمس عشرة سنة ظهر في دار الطباعة الجزء الحادي والعشرون من هذا الكتاب المستطاب تام جمعه وطبعه المستشرق رودلف الأمريكي في مدينة ليدن سنة ١٨٨٨ ، وحدث في سنة ١٩٢٦ أن أوربا عملاً وتبياناً من الخلاف رغب إلى دار الكتب المصرية في أن تقوم بطبع الأغاني على نفقته ، فلما همت بتنفيذ هذه الرغبة الحسنة لم تعترف بالجزء الحادي والعشرين للأسباب الآتية

١ — أنه لم يصدره الناشر بمقدمة يبين فيها أصل النسخة التي نشر عنها ولا في أي المكتبات عثر على هذه الزيادة

٢ — أن أسلوبه ضعيف لا يشبه أسلوب أبي الفرج في العشرين جزءاً المتقدمة

٣ — أنه يشرح في كثير من الأحيان الألفاظ الغريبة التي ترد في أبيات الشعر ، وهي طريقة غير معروفة في الكتاب فالجزء الأول مثلاً على كثرة ما فيه من الألفاظ الغريبة لم يشرح منها إلا القليل النادر ، وقد لا يعدو ما شرح في هذا الجزء من هذا القبيل أربع أو خمس كلمات

٤ — أنه في هذا الجزء يشرح أحياناً المعاني التركيبية لبعض الأبيات ، ولم نعهد مثل ذلك في الأجزاء الماضية

٥ — أنه يكتب كثيراً كلمة — صوت — على شعر لم يغن به ، وطريقة الكتاب ألا تكتب هذه الكلمة إلا على الشعر الذي يتحدث بعد أنه وقع فيه غناء

ونحن نسلم بأن (رودلف) قد قصر في أنه لم يصدره بمقدمة وأنه لم يذكر في أي المكتبات عثر على هذا الجزء ، ولكن هذا لا يكون حجة في أنه ليس من الكتاب إذ كل هذه الاعتراضات إنما هي مجرد ملاحظات غير معقولة ، ولا تنهض دليلاً على أن الجزء ليس من الكتاب ، ومن المحتمل أن يكون لكتاب الأغاني بقية لم تظهر بعد ، أو تناولها أيدي الضياع ،

وهذا هو ياقوت يتحدث إلينا في كتابه معجم الأدباء عن الأغاني وعن مؤلفه فيقول : (وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به ، وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطي في عشر مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فما كثرت وجدت إحالة يعدها ولا في ضمن موضع منه كقوله في أخبار أبي العتاهية — وقد مضت أخباره مع عتبة ، وستذكر في مع حديثه في موضع آخر ولم يحصل ولم يذكر في موضع آخر — أخبار أبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت ولم يذكر شيئاً من ذلك إلى انتهاء الكتاب والأصوات الثلاثة المختارة لم يذكرها ، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم)

هذا كلام ياقوت ، ومنه يحتمل أن الكتاب له بقية مختفية أو هو قد سقط منه شيء لطول العهد وعليه فلا يبعد أن يكون الجزء المتحدث عنه هو منه ، وهذا هو الإمام الجليل ابن منظور صاحب لسان العرب ينقل من الجزء الحادي والعشرين في مختصره مختار الأغاني في الأخبار والتهاني حديثاً طريفاً عن إسحاق الموصلي وغلامه زياد لم تذكره إلا في الجزء الحادي والعشرين

### حديث إسحاق وزياد

إسحاق الموصلي من مشاهير الأدباء وأهل الغناء ، وأخباره في كتاب الأغاني قد لا يخلو منها جزء منه ، وله حكاية طريفة وأشعار ظريفة في غلام له اسمه زياد لم تذكر إلا في الجزء الحادي والعشرين من الكتاب ، وهذه الحكاية هي عمدتنا في أن الجزء المشار إليه هو من الكتاب ، لأننا وجدنا العلامة ابن منظور نقلها عنه واختصرها منه

جاء في أول الجزء الحادي والعشرين طبع ليدن والذي أعده رودلف ما نصه

خليلي هيا صطبحا بسواد ويرو قلوباً هدها طول صوره
ولولا سقتني زياد وخصا فقد حب بعض القوم حق زياد

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر — خبر إسحاق مع غلامه زياد — هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له يقال له زياد ، كان مولداً من مولدي المدينة فصيحاً ظريفاً وذكره مع غيره في شعره ،

فمن ذكره من الشعراء جحظة وله يقول : أخبرني جحظة عن علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري قال : كان زياد الذي يذكره إسحق في عدة مواضع من شعره قوله : ولولا أن ساقينا زياد رقيب ، غلاماً أعجمياً فقال فيه يصف :

يقول زياد عند يضحك مرة ... على الربيع حلاوة ترضى على الربيع

صوت

أدرها على ظلّ الكثيب فإننا ... شربنا على أنس الأحبة والفجيع

فما يلتقي الكأس إلا شربتها

ولا سقيت الأرض كأساً من الدمع

غنى في البيت الثاني والثالث من عدد الأبيات محمد بن العباس ابن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر . قال أبو الحسن : وقد قيل إن هذين البيتين (يعني خليلي هيا مصطبح بسواد) للأخطل . أخبرني علي بن سليمان قال حدثني أبي قال : قال لي جعفر بن عمرويه الكاتب (وكان قد جاوز مائة سنة) لقد شهدت إسحاق يوماً في مجلس أنس وهو يغني عند الصبوح (خليلي هيا مصطبح بسواد) وغلامه زياد جالس على مسورة يسقي وهو يومئذ غلام أمرد أصفر رقيق البدن حلو الوجه ، ولا أحد يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له ربما ولا أقصص . أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أحمد بن الهيثم (يعني جد أبي رحمه الله) قال : كنت جالساً يوماً في منزلي في سر من رأى ، وعندي إخوان لي ، وكان طريق إسحاق في مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على بابي . فجاء الغلام يوماً وعندي أصحابي فقال لي : إسحاق بن إبراهيم الموصلي بالباب ، فقلت له : قل له ويلك يدخل أو ولي الناس أحد يستأذن عليه لإسحاق ، فذهب الغلام وانصرف وهو في إثره حتى طلع علينا فدخل وجلس مستبشراً آنساً فعرضنا عليه ما عندنا فأجاب إلى الشرب فأحضرناه نبيذاً مشمساً فشرب منه ، ثم قال : أتحبون أن أغنيكم ؟ قلنا : أي والله أطال الله بقاءك إن تفضلت ، قال : فلم لم تسألوني ؟ قلنا : هبناك والله ، قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بعود فأحضرناه فاندفع يغني فشربنا وطربنا ، فلما فرغ قال : أحسنت أم لا ؟ فقلنا : بلى والله جعلنا الله فداك لقد أحسنت ، قال : فما منعكم أن تقولوا لي أحسنت تلك الهيبة والله ، قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فإن المغني يحب أن يقال له مر ، ويحب أن يقال له إذا غنى أحسنت ، قال :

ثم غنانا صوته في (خليلي هيا مصطبح بسواد) فلما غنانا قلنا له : من هو زياد الذي غنيته ؟ قال : هو غلامي الواقف ، فاستدعيناه بالغلمان ، فدخل إلينا ، فإذا هو غلام خلاسي ليست عليه كسوة ديباج أو نحوها فأمسك عنه فقال : أتراني عنه ما فرحكم إن خرج كما هو وقد عمّم شعري فيه وغنائي : أشهدكم أنه حر لوجه الله وإني زوجته من فلانة ماجدة من أمتي ، قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم أخرجناها له من أموالنا . أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال : حدثني أبي قال : هو زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه : ولولا أن ساقينا زياد رقيب ، فقال إسحاق فيه :

فقدنا زياداً بعد طول صحبة لكم ... فلا زال يسقي الغيث قبر زياد

سكبت كأس لم تعد من بعدها ... وكان يستبطي زجاجة صاد

أخبرني عمي قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال اصطبح محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه إلى إسحاق فوجه إليه عدة رسل كلهم لا يصادفه حتى جاء أحدهم به فدخل منتشياً ومحمد مغضب فقال له : أين كنت ويلك ؟ قال : أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً فركبت إلى بعض المتنزهات فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقيني فصنعت فيها لحناً حسناً وقد جئتك به فغنيته ثم قال هات فما زال يأتي بها حتى سكن عنه الغضب ، وحده .

صوت

إذا ما زياد علني ثم علني ... ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل زهواً كأنني ... عليك أمير المؤمنين أمير

قال : بل على أبيك ، قبح الله صنعك في جرّك إحسانك في غنائك بحسن أسأتك في فعلك وأمر له بألف دينار — الشعر في هذين البيتين للأخطل والغناء لإسحاق رمل بالبنصر — ورواية غير الأخطل : إذا ما نديمي علني ثم علني ، وإنما غيره إسحاق إذا ما زياد

هذه حكاية إسحاق التي لم توجد إلا في طبعة المعدي والمصري من الأغاني وهي التي أقرها ابن منظور في مختصره ، وفيها عنه فصل يعد هذه البيانات الآكيدة فقائل أن يقول إنه يجي من الكتاب في غير؟

حسن كامل الصيرفي

# الأزهر وتفسير القرآن

للأستاذ محمود حسن منصور
المدرس بكلية العربية

لسنا بحاجة إلى القول بأن القرآن الكريم هو دستور الدين والدنيا، وأنه ينبوع الشريعة الصافي الذي يصدر عنه كل ناظر في التشريع متعرض للأحكام، أو مستمع لما فيه من الحكم والآداب.

لسنا بحاجة إلى أن نقول ذلك فقد فرغ الناس منه، وآمنوا من يقين به، وما زالت المؤلفات تؤيده، والأيام تزيده رسوخاً في النفوس، وثباتاً في القلوب.

ولسنا نريد أن ننكر على المفسرين الأولين للقرآن الكريم جهودهم الطيبة، وعقولهم الكبيرة، ومتاعبهم في تفسير هذا الكتاب الكريم، وبحثه من نواحي اللغة والبلاغة والإعراب، وغير ذلك مما صرفوا له في تفاسيرهم، فلا شك أنهم أدوا من ذلك ما يفرضه عليهم واجبهم نحو دينهم وعقيدتهم، وتركوا لنا من كتب دينهم الخالدة ومؤلفاتهم وآرائهم ما يرفعهم أمام الله والناس.

ولو أن باحثاً منا أراد أن يستعرض هذه الأسفار الخالدة، وأن يلم بما تزخر به من الجهود العلمية والإنتاجات القيمة لوجد من ذلك ما يملأ نفسه روعة ويملأ قلبه إعجاباً، ويجري لسانه بالثناء على هؤلاء العلماء، وبالدعاء من ربهم أن يجزيهم خير الجزاء.

كل ذلك حق لا ريب فيه عرفته لهم، وآمن به كل من تأتى له النظر في كتبهم، والبحث في مؤلفاتهم، كما آمن به علماء الأزهر.

ولكنا مع ذلك لا نستطيع أن ننكر ولا يستطيع أحد منا من العلماء ولا غير العلماء منهم أن ينكروا أن في هذه التفاسير عيوباً قد أحسها الناس من زمن طويل، وقد ازدادوا إحساساً بها في ذلك العصر الذي تشعبت فيه طرق الإقناع، وتنوعت أساليب التفكير الحديثة، وبدأ العقل فيه نوع من النضوج لاستقبال العلوم الكثيرة، والنظر في الثقافات المختلفة. ومن هذه العيوب:

أولاً: حشو الإسرائيليات في هذه الكتب المشهورة، كما حشيت الأوراق حتى يجد الكثير من الآيات قد حشيت لها القصص، ووضعت لها الخرافات، فأصبح الناظر في هذه الكتب مشغولاً بتلمسها من طريقه وإزالتها من سبيله إن كان من العلماء، ويقيموا بأن تؤثر هذه الخرافات الباطلة في عقيدته وصميم عقيدته، إن كان من العامة، وما أكثر الذين شاهدناهم من صرفه عنه جهة التنبيه للفكر في توضيح معاني القرآن على وجهها الصحيح، وإيصالها سهلة إلى نفوس الناس.

ثانياً: تخصيص كثير من هذه الكتب في نوع من التفسير هو في صميم محله وتفسيره وطرقه، فهذا تفسير من جهة النحو والإعراب، وهذا تفسير يبين مسائل وجوه البلاغة والإعجاز، وهذا تفسير يجمع التوفيق بين آيات القرآن ومذاهب الفقهاء.

ولهذا نجد تفسيراً يفسر القرآن على نحو يشرك عقيدته السامية، ويعرضه الجليل من عرض العقائد الصحيحة السهلة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، وبيان الأحكام الناصعة الواضحة التي لا تشديد فيها ولا تعسف، وعرض التربية القرآنية الروحية والخلقية عرضاً كريماً يتفق مع ما للقرآن من قيمة واقعية واعتبار، كتاباً إلهياً خالداً صدر عن الله الذي يعلم السر في السموات والأرض.

ثالثاً: اندفاع كثير من المفسرين بدافع الرغبة في تأييد مذاهبهم ووجهة عقائدهم وآرائهم إلى إخضاع القرآن إلى آراء المذاهب والمعتقدات، ولو كان في ذلك الإخلال بالنظم والخروج عن الأساليب العربية المألوفة، والعدول به إلى أبعد مراحل الكلام. فهم يقولون مذهب أهل السنة كذا، فيجب أن تؤول الآية لتطابق هذا المذهب، ومذهب الحنفية كذا، فيجب أن تفهم الآية على نحو يخرجها من هذا المذهب، وهذه الآية تتفق مع مذهب الشافعية وتخالف مذهب المالكية، وهكذا كان القرآن يتأثر فيه على حساب أهل المذاهب والمعتقدات الصحيحة والباطلة على حد سواء، وكأنه إنما نزل ليعرض على المذاهب لا لتعرض المذاهب عليه.

٤ – هذا إلى ما رواه وتفسيره من غموض بعض التفاسير في العبارة، وتكلف في تحميل الآيات ما لا تحمل من المعاني، وقصورها عن مجاراة العصر الحديث الذي أصبح فيه نهضة كبرى في نظر العلماء والباحثين، والقراء والمتفهمين.

هذه عيوب نستطيع لأنفسنا بأن نصفها بالنظر، ولا نظن أننا نخطئ إذا قلنا إنها نوع من الصد عن كتاب الله.

وعلماء الأزهر القادرون على تلافي هذه العيوب، يستطيعون الاضطلاع بمهمة إصلاحها وتجريدها من كتاب الله، وتخليصه من شوائبه، وهم مطالبون بذلك بحكم منصبهم، ووظيفة دراستهم، ولن ينتظر العالم الآن أي نوع من أنواع التفسير بعد قليل في عيونه من الأزهر.

فأين الأثر الذي سيحدث التاريخ منه إلى الأحوال القبلية من عمل رجال الأزهر في هذه الناحية ؟ أين التفسير الذي يلائم عقول العصر ولا يتصادم مع حقائق العلم ، ولا يعرض في الناس الذين يطلب إليهم أن يفهموه هذه السماجة العقلية التي تعرضها عليهم تلك الكتب حيث تقول في تفسير قوله تعالى : « إلا إبليس كان من الجن » إن الملائكة قد اشتبكوا في حرب مع الشياطين كانت لها مواقع ، وقد جعلت معركة من هذه المعارك من إبليس أسيراً وهو صغير ، فأخذه الملائكة ، وتبنوه ، فأدبهم وخرجوه في دارهم ، فكانت النتيجة أن سخط الله عليهم ، وكلفه فكلفهم في كل الآداب الواردة في أمر الملائكة بالسجود لآدم

ولا تعرض في الناس هذه العقول التي تشجع الإنسان في التخيل والإسراف في مجاراة الأوهام حين تعرض عليهم قصة من ألف حديث ، ومن أهمها ما تصور حصوله ، وأعجبه ما يكون عليه من المشكلات ( ألم تقول ) تعرض هذه عند تفسير قوله تعالى : ( ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد .. )

فتحدثك بأن شداد بن عاد سمع بالجنة ونعيمها وما فيها فهب لبناء مدينة إرم في صحراء اليمن ، وذلك بعد أن دانت له الملوك ، وتم له ملك الدنيا ، وما كان بعد أن صرع تحت يوم أو نهار من بنائها من تعب ومشقة وما أنفق و و ... ثم يحدثك بما كان بعد تمام بنائها الذي استمر ثلاثمائة سنة ، وما كان من أمر عبد الله ابن قلابة معه ، وما كان من حديث كعب مع معاوية في شأنها ويطول بي الحديث إذا عرضت لك عن عدد من تلك الخرافات والخيالات التي حشيت بها كتب المفسرين المشهورة

فإذا كانت الأمة قد أحست حاجتها الماسة إلى وضع معجم لغوي بسيط أو وسيط فكلف بذلك مجمع اللغة الملكي ، فهو منشغل به قرنه ويعد له عدته ، وسيخرج به على الناس إما قريباً وإما بعيداً ، فلأنه أيضاً بحاجة إلى من يعد مثل هذه الثمرة في التفسير ، فيكون لها تفسير يرضيه العلماء ويحبه الأجنبي ، ويحمل الناس منه على ما يطلبون من فهم هداية القرآن واجتلاء محاسنه ، والاقتناع بمعانيه ومبادئه

وللأزهر الزاهر في ذلك ما يصلح معه أن يكون نموذجياً يحتذى ومبدأً يتبع ، ظهر به على الأمة في دروسه الدينية ، فقد تناول الآيات التي شرحها من جميع نواحيها المختلفة بالنظر ، فجلا معانيها وراض صعابها ، وكشف عن محاسنها وعيوبها ، وأزال مشكلات الشبهة فأخرجها سائغة سهلة مبينة محكمة ، فجعلها حرياً بشرح النفس ويصل إلى القلب إلا أنه لم يتفرغ الإمام الراقي من عمله منصبه للتطهير ما يشغله عن موالاة ذلك

إن اليوم الذي يقوم فيه العلماء بهذا العمل الجليل هو اليوم الذي يشعرون فيه الأمة حقاً بجلالتهم ورسالتهم التي يحملون ، والذي يصعدون به عن أنفسهم تلك السهام المصوبة إليهم من أعدائهم وخصومهم

فإن لم يكن هذا فلا أقل من أن ينظر من تلك الكتب أكثرها نفعاً وأدناها إلى الصلاح فيتقدم له من يعلق عليه بما يكشر عليه من حقيقته ، ويبين ما فيه من فساده ، وينبه على ما فيه من أحاديث ضعيفة أو خرافات باطلة ، ويستخرج منه التفسير المقبول في الناحية أو النواحي التي تناسب الآية وعمل هذا العصر

وبذلك يبقى الأصل وينتفع الناس بما فيه من علم نافع ويتقون شر ما فيه من خرافات وأوهام عند قراءته ، وتصفو بعلمهم في الحجة الملقاة على عاتق الأزهر حطبها ، ومسئوليته التي عليهم أمام الله والناس عظيمة ، وواجبهم نحو كتاب الله من حيث ذلك أثقل مما يعرفون به ذمتهم ، ويحملون به حمله وأمسهم أمام من يكتفي بالقول بأنا أعلم الناس وكتبنا خير الكتب ، ودروسنا أجود الدراسات ، فهذا ما لا تثق به النجعة ، ولا تنتفع به الأمة . فاسمعوا القول إن كنتم تعلمون .

محمود حسن عطوه

# العروب في العـــراق

للأســـتاذ ميخائيل عواد

في المؤلفات التاريخية والجغرافية مواضع متعددة ما يزال يحتويها شيء كثير من الغموض ، ويعود بعض أسبابه إلى تساهل أصحاب تلك المؤلفات في تدوين الأخبار تدويناً بعيداً عن الإبرام ودفع الشك ، كأن يورد المؤلف أخباراً أو أوصافاً دون أن يمحصها ، لاعتقاده أنها من الأمور المعروفة التي لا تحتاج إلى الشرح والتذييل

من ذلك ما نحن بصدده الآن بحثنا في نوع من الطواحين القديمة ، التي كانت تسمى « العُرُوب » وقد شاعت كثيراً في العراق وعمرته وبعض ما يجاورها من البلدان . وكان البدء في استعمالها يرجع إلى ما قبل العصور الإسلامية ، ثم رافقت هذه العصور عدة مراحل حتى أدركت القرن السادس للهجرة ، فقلّ عددها لتوالي النكبات عليها وحب استبدالها فلم يبق منها إلا آحاد مبعثرة في الفراتين وبعض ما يتشعب منهما[1] .

وقد أمكننا حين تتبعنا المراجع العربية القديمة الوقوف على بعض ما يوضح شيئاً من أمرها

## العروب في معاجم اللغة

لم يعن أحد من أصحاب المعاجم القديمة بوضع تعريف مستقل لكلمة عروب ، إنما كان كلامهم على عربها فقط

فقد جاء في « تاج العروس » أن « العربات : سفن كانت بدجلة ، الجمع العروب ، واحدتها عربة[2] » .

ومورد في لسان العرب لابن منظور لا يتعدى ما ذكره التاج وقد صاحب القاموس عليها في تعريفها بأنها : سفن « رواكد » كانت في دجلة[3]

وقال في مادة عربة أيضاً : « الشهور الكبيرة الفرات »[1] وقريباً مما يقصد ما ذكره من كان قبله أي صاحب الصحاح

هذا جل ما ورد في المعاجم القديمة بشأنها ، وأما المعاجم الحديثة فقد رأيت أن ما ذكره « محيط المحيط » و« البستان » و« أقرب الموارد » ، لا يتعدى التعريف المذكور في المعاجم القديمة[3]

وأحسن المعاجم الحديثة التي أعطت هذه الكلمة ما تستحقه من العناية والدقة هو « المعجم المساعد » . فقد جاء بأنها جلبة من مقصدها أن العروب ، فهو يقول : « العربة عند القرى ، قرية ، وتسمى ( أسونا ) ، ومنها أحسن هو إلا من الوصل فقالوا أشنابه[4] »

وقال في مكان آخر : « الأشنابة بفتح الهمزة ، وقد تكسر في المصادر ( أشنايا ) ، وهي رحى الماء عربة آلتها أرجنحة[5] ، وكثيراً ما كانت تقام في جوار الفراتين أو ما يتشعب منهما ، وهذه الكلمة من أصل عربي ، من صحفت العامة : أشغل عليها[6] ، وهي كلها أيضاً » ويحتمل أن تكون ( عربة ) سرية من اليونانية Atla و Harma وكذلك هي في الرومية[7]

ومما يحسن ذكره في هذا الموضوع ما قاله صاحب التاج « الشيخ كالمهكل ، وهي الرحى أو يحدى رحى الماء والهد السفن منهما ، وجمعه قوته - وهذا كما طرت على القطب موج[8] » .

وقد جمعت عربة على عربات وعرب ، وجمعت الأخيرة على عُرُوب وزن قُلُوب ، وهي جمع الجمع

## العروب في كتب وصناعة الشعراء

لقد يكون الرحالة ابن حوقل هو أول من عني من قدماء الكتبة الذين تكلموا بتفصيل عن هذه الطواحين بعد « وكان الوصل

(١) يروى بعض شيوخ الموصل أنهم أدركوا حوالي سنة ١٨٨ . . . طاحونة منصوبة في سفينة راسية على شاطئ دجلة في موقعة يقال لها . . . ولا شك عندنا في أنها نوع من العروب التي نبحث عنها بحثنا . ومن ما يروونه أيضاً أن استعمال هذه الطاحونة بقي أكثر من سنين ثم ترك ولم يقيموا بعد ذلك غيرها

(٢) تاج العروس للزبيدي ( ١ ، ٣٦٩ )

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي ( الطبعة الثالثة ١ ، ٢ ، ٦ )

( ١ ) القاموس ( ١ ، ٩ ، ٩ )

( ٢ ) الصحاح للجوهري [illegible] )

( ٣ ) محيط المحيط لبطرس البستاني ( ٢ ، ١٣٦٣ ) ، البستان لعبد الله البستاني ( ٢ [illegible] ) ، أقرب الموارد لسعيد الشرتوني ( ٢ ، ٧٠٩ )

( ٤ ) المساعد : وهو معجم العلامة الأب انستاس ماري الكرملي ، لا يزال مخطوطاً عنده ( ص ١٣٦٢ ، ٣ )

( ٥ ) راجع المصطلحات الزراعية في لغة الآراميين للمعلوف ( ص ٣٣ ، أسونا = عروب ... )

( ٦ ) المساعد ( ص ١٠٠ ، ٣ )

( ٧ ) المساعد ( ص ١٣٦٢ ، ٣ )

( ٨ ) تاج العروس ولسان العرب في مادة ( ع ر ب )

في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب ، يقل نظيرها في كثير من الأرض ، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية ، موثقة بالسلاسل الحديد ، في كل عروبة منها أربعة أحجار ، ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وقراً[1] . وهذه العروب من الخشب والحديد ، وربما دخل فيها شيء من الساج . وكانت بلد ، المدينة التي من جهة الموصل بها عروب كثيرة حارت أحمالاً وميرة إلى العراق لم يبق منها شيء في حمدان ولا من أهلها بقية[2] »

ثم تعرض إلى الكلام على العروب في نهر مدينة الموصل ، قال : « وبمدينة الحديثة منها عدد تعمل في وسط دجلة ، وقد ملك بنو حمدان مطاحن حسب ما ذكرت من حال الموصل وسائر ديار ربيعة ، وارتفاعها نحو خمسين ألف دينار ، وكان الفرات بالرقة (وقلعة جعبر) ملآن بدائر هذه العروب ولا كثرتها ، وبمدينة نصيبين[3] في نهر الهرماس من شيء به تقوم أقوات أهل نصيبين ، وهي عروب في العمل والنظر ، وشكربين وعكبر والبردان من شيء يأتي ولم يبق ذكرها في حمدان بالموصل إلا ستة أو سبعة منها ( كذا ، والصواب ست أو سبع ) ، وليس ببلد شيء منها[4] »

ثم عاد إلى ذكر العروب في تفليس أثناء كلامه على هذه المدينة فقال : « تفليس ... وهي على نهر الكر وعليه عروب يطحن فيها بمنزلة ما تطحن عروب الموصل والرقة وغيرها في الدجلة والفرات[5] »

وأشار ياقوت إلى العروب قائلاً : « العُرَيْب وتعريبها عربة ، وهي بلغة أهل الجزيرة ، السفينة تعمل عليها رحى في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور تسميها عربة ، وهي مولدة بما أحسب[1] »

وتطرق القزويني إلى ذكرها بقوله : « ... وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعاً كثيراً مثل شق القنوات ونصب النواعير على الماء ، يديرها الماء بنفسه ، ونصب الشرابات ، ومن الطواحين التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة وتنقل من موضع إلى موضع[2] »

## العروب في كتب التاريخ والأدب

لعل أقدم ما بلغنا من العروب في المراجع التاريخية ، هو ما ذكره الشابشتي في كتابه « الديارات[3] » في كلامه على دير مارجرجس ، ودير الأعلى .

قال في الأول : « هذا الدير بالمزرفة ( قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ ، وهي قريبة من قطربُّل ) وهو أحد الديرة والمواضع المقصودة ، والمتنزهون من أهل بغداد يخرجون إليه دائماً في السُّميريات تارة وعليه ، وهو على شاطئ دجلة ، والعروب بين يديه ، والبساتين محدقة به[4] »

وفي الثاني : « هذا الدير بالموصل ، يطل على دجلة والعروب ، وهو دير كبير عامر[5] »

وفي حوادث سنة ٣٦٣ هـ حين استيلاء بختيار بن معز الدولة ابن بويه على الموصل ، يذكر ابن الأثير في « الكامل » ما نصه : « ... سار ( بختيار ) عن بغداد ، ووصل الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الأعلى ، وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار ، وقصد سنجار وكسر العروب ، وأخلى الموصل من كل ميرة[6] »

وهذه الرواية تؤيد ما نقله القلقشندي عن نسخة كتاب

---

(١) الوقر ( بكسر الواو ) : الحمل الثقيل ، وقيل هو الحمل يحمل على ظهر أو رأس . يقال : جاء يحمل وقره ، وجمعه أوقار ( التاج ٣ : ٦٠٥ ) ، والمراد هنا بالوقر أربعة قناطير

(٢) صورة الأرض « المسالك والممالك » لابن حوقل ( طبعة كرامرز في ليدن سنة ١٩٣٨ ، القسم الأول ص ٢١٩ )

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان ( طبع ليبسك ٤ : ٨٠٢ ) : « ... ويجري في وسطها [ نصيبين ] نهر يقال له الهرماس يصب في الخابور ، وبها عروب تطحن ، وهي تعريب ... عروب

(٤) ابن حوقل ( ص ٢١٦ )

(٥) ابن حوقل ( القسم الثاني ص ٣٤٠ )

(١) معجم البلدان ( ٣ : ٦٣٣ ) ، مادة عربان

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ( طبع فستنفلد ص ٣٠٣ )

(٣) كتاب الديارات لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . يقوم بتحقيقه ونشره : أخي كوركيس عواد عن النسخة الوحيدة المحفوظة في مكتبة برلين

(٤) الشابشتي ورقة ٣٢

(٥) الشابشتي ورقة ٧٥

(٦) الكامل لابن الأثير ( طبع تورنبرج ٨ : ٤٦١ )

كتبه أبو إسحق الصابي عن عز الدولة بختيار إلى المطيع لله عند فتحه الموصل ، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان ... فقد قال « وكان انهزامه ( أي تغلب ) بعد أن عبر الجسر المنصوب ، وكان ركبه المنصوب ، وأن أحرق سفن الموصل وعقوبه ، وما في جسرها والمعابر إلى أهلها[2] ... »

وأورد الثعالبي في شفاء الغليل ما ذكره ياقوت ، وما زاد عليه قوله : « ... وأنا لا أدري هل المركب المسمى حرّاقة[3] أخذ من هذا ، أو هو غير عربي وهو الظاهر[3] » .

وجاء في حاشيته — لنصر الهوريني المتوفى بطبعه — « قلت : من مسائل الحرقة في الماء ، النهر الشديد الجرية ، فلا يبعد الإطلاق فيه » .

وقد أشار إليه الخوارزمي في مفاتيح العلوم بقوله : « الحرّاقة طاحونة تنصب في سفينة وجمعها حراريق[1] » .

وما ورد في ديوان الأدب للفارابي قوله « حرّاقة حرّاق ، أي ماء شديد الجري » .

(١) صبح الأعشى للقلقشندي ( ٦ : ٤٥٢ )

(٢) جوابًا طلب من الدولة الأمة رقم ٣ : ١ — رحلة ابن بطوطة ، طبع باريس ٢ : ٣٦١ — ٣٦٢ ) . ٢ — مجلة المشرق ( السنة الأولى [ ١٨٩٨ ] ، ص ١٢٢ ] ٣ — مجلة لغة العرب ( ٨ [ ٩٣ ] ص ٢٥٠ — ٢٥٠ ، ٦٤٣ ( ٦٤٩ ) ٤ ... مجلة المجمع العلمي العربي للشكل ( الجزء الثاني ص ١٢٣ )

(٣) شفاء الغليل للخفاجي ( المطبعة الوهبية ص ٥٦ )

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمي ( طبع ليدن ص ٧١ )

## الطواحين

نخرج من هذا المقال إلى أن هذه الطواحين كانت تقوم على سفن متجاورة يجعلها مصايد يحبس فيها ماء النهر ، وقد نصبت فيها دواليب ذات حفات[1] ، تدور بتأثير الماء الشديد الجري ، وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب أخرى متصلة بالحجارة أي أحجار الطواحين .

ونزيد هنا ما ذكرته مجلة ( لغة العرب ) أن الحرقة هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء ، ليطحن بها القمح أو يعصر بها البزر أو يستخرج بها الزيت ، ولها دولاب ، والدولاب متصلات يضربها الماء فيدير الرحى ، وهي بالإفرنجية Pressoir Hydraulique[2]

لا شك أن تلك السفن كانت كبيرة بحيث تستوعب للقنوي العظيمة والحبوب ، وقد كانت الشبارات والزوارق والسميريات وغيرها من وسائل النقل النهرية وفتئذٍ[3] في ذهاب وإياب ، تقوم بنقل الناس مع أوقارهم إلى هذه الحروب ، ولا غرو إن كانت دجلة والفرات هذه عن جريهم فإن بعض تلك الطواحين الشهيرة بهذه الحروب ؛ وحطان بهذه السفن ومعروف بمراكب التواصلة

( يتبع ) ميخائيل عواد

(١) الحفات هي أجنحة دواليب الحراقة ، ومفردها الحفة

(٢) لغة العرب ( ٥ [ ١٩٢٣ ] ص ٢٤٢ )

(٣) للتوسع في معرفة أنواع السفن والمراكب النهرية القديمة ، يراجع مقالة ممتعة نشرها الأستاذ حبيب زيات في لغة العرب ( ٥ [ ١٩٢٣ ] ٤٦١ — ٤٦٥ ) بعنوان « السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسيين » .

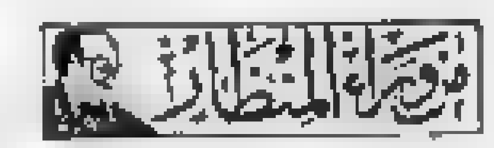


## صاحب الديوان المتمرد

لست أدري أهو، وروحه أعظم من ذكائه، أم أن ذكاءه أرجح كفة من ثورة روحه؟ فهو إن أردت فيه كلمة تلخص ذكي مطبوع الذكاء، ثائر ملتهب الثورة، وهو فتى في ربيع حياته، يعد من أعلام الثورة والمتمردين من عصره.

رأيته أول ما رأيته هادئاً كالطفل الذي غمر أحلام نفسه الصغيرة، ولكني لم ألبث أن وقفت منه على آثار كل ثورة أصحابه وتحرك منه في غير هوادة ولا إبطاء، على أني رأيت من هدوء روحه مع ذلك ما جعلني أعجب كيف يجتمع مثل هذا الهدوء الصاخب ومثل هذا الطرف المتحرك في نفس واحدة! وإن أسارير وجهه لتتشكل بما يجري في نفسه فتكون صفحة [illegible] (أشهر) لا يصبر حتى تحسم، ولا تحسم حتى يشفع من [illegible] الشيوع. [illegible] على [illegible] وما أكثر ما [illegible] إلى أصحاب الديوان! وما يثقل شيء على نفسي مثل أن أحس مفروضاً علي صاحب ديوان كبيراً كان أو صغيراً ضخماً كان أو لا يربطني به سبب من معرفة. وأنا وإن كنت من أحباء الديوان ما أكتب [illegible] و[illegible] مكتبي، [illegible] ويسكن [illegible] من جميع [illegible] ... [illegible] أو [illegible] ... [illegible] على الأثم إلا [illegible]!

وأقبل على صاحب الديوان [illegible] وترك أوراقه كلها جانباً، وأخذ يستمع إلي ولم أكد أستعيد [illegible] أو أسترد مواقف [illegible] كما يقول المتحدثون عن الحرب في هذه الأيام، حتى طلع علي الكلام [illegible] من [illegible] ووضعه في شؤون كثيرة لا علاقة لها ألبتة بما جئته من أجله. وأخذ يتحدث ثم يتحدث، وكل حديثه شكوى، وهو لا يكاد يقع على أمر حتى يطير عنه إلى غيره [illegible] لا [illegible] ولا أين يقع — [illegible] من حلاله، [illegible] الناس في [illegible] بعض [illegible]، والحرب [illegible] والمشرفين [illegible] من [illegible]، والفرضي الأخلاق [illegible] من [illegible]، [illegible] من [illegible] به راحة [illegible] أسلافنا وطيبة [illegible]!

[illegible] والأمس [illegible] من الأمور [illegible] كثير من غرائبه [illegible]، [illegible] من طول [illegible] بكل ما يقول، لا [illegible] ولا [illegible] فالنفس [illegible] إلى موضوعي من جديد، [illegible] كانت [illegible] لا [illegible] على شيء. وكان [illegible] الحديث كثير من [illegible] إليه [illegible] على [illegible] من الأصابع دون أن [illegible] أحدهم إلى أن [illegible] الإجابة [illegible] قال [illegible] واحدة [illegible] ثم [illegible] إلى حديثه، يجري فيه على غير [illegible] أو [illegible].

وجاء بعض زملائه يستعجلونه أوراقاً، وكان يحدث بعضهم إلى [illegible] كأنه [illegible] من [illegible] وهو [illegible] لا [illegible] على أن يستعمل من يستعجله [illegible]، ثم [illegible] وهو [illegible] الأمر كان! وانصرفت [illegible] من [illegible]، [illegible] نفسي [illegible] إلى [illegible] في [illegible] هذا الوقت كله، [illegible] صاحب الديوان [illegible] وقال: «لا، [illegible] كلامي لم [illegible]» ... [illegible] ذلك بكل ما [illegible] من [illegible] كيف [illegible] على حديثه بكل ما [illegible] من عبارات [illegible]، [illegible] قليلاً، وسكت [illegible] ثم قال: «أنت [illegible] الواحد [illegible] يستقل على [illegible]» ولم أستطع أن أرد على ذلك القول الذي [illegible] السكوت عنه [illegible] إلى الأحد [illegible]، وما كان سكوتي إلا لأعود إلى موضوعي وقد عقدت العزم على أن أعود إليه بأي ثمن.

وبلغت ثورة أعصابه إذ [illegible] إليه من هذا الكلام [illegible] الأعصاب، [illegible] يشكو [illegible] واضطرب من أن [illegible] بالأعصاب [illegible] أن [illegible] والتكامل [illegible] والكتب [illegible] من [illegible]، [illegible] الأيام [illegible] الوظيف [illegible] [illegible] كان من [illegible]، [illegible] أن [illegible] نفسه إلا أن يكون «[illegible]» وهو لا يجري «[illegible]»؟ [illegible] بجعل [illegible] من [illegible] الابتدائية. وضحك صاحب الديوان وقال: «[illegible] ثم [illegible] الزمن فأصبح [illegible]، [illegible] ذلك [illegible]».

وكان [illegible] أصحاب الديوان قد [illegible] إلا [illegible] من [illegible] لأن [illegible] موضوعي وتحولي إلى [illegible] مرة أخرى.

الخفيف

في سبيل الأزهر أيضاً

# الصراحة لغة الحق

## للأستاذ حامد عوني

لقد عودنا الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء في مطالع رسائله الشرقية أن يجهر بالكلام عن وجه الحقيقة، وأن يسمعنا من حين لآخر صيحة الحق في غير مواربة ولا مداجاة؛ ومن ثم فقد وثقت أن أتقدم إليه بكلمة في وجهة هذا المبدأ الكريم رجاء أن يفسح لها مكاناً من رسالته كما فسح لكثيرها من صيحات الحق وله بعد ذلك شكر الله والناس.

* * *

كان العرب — وهم في جاهليتهم الجهلاء — قوماً خبروا في أعماق البداوة الجافة، ونشأوا في كنف العيش الجاف والحياة الصارمة، وكانوا إلى ذلك لا يعرفون غير القول الصريح، واللفظ المعبر التام، لا يعرفون فيه رمزاً أو مراوغة، ولا في أدائه ليناً أو مراوغة حسبما تمليه عليهم طبيعة البادية، ويوحي به الشهامة العربية.

ولم تنفك للرجال من القول ضرب الإسلام رايته، وعلى ظلاله أدى رسالته، فسرت دعوته جميع الأرجاء.

وهكذا كان القول الصريح في قديم العهد وحديثه مظهراً واضحاً في أكثر الأمر من مظاهر الحق، ومعبراً صحيحاً صادق النصيحة له والذياد عنه، ودليلاً ناصعاً على قوة الإيمان به ونقاء العقيدة فيه، وعنوان صدق البطولة والشهامة.

ولكن — والأسف يحز في الأحشاء — درج أناس على أن يدوروا في الحق، وأخذوا يستمرئون حياة المداراة والمصانعة، ويستطيبون حرارة التوارى عن وجه الحقيقة السافرة، فإذا ما استصرخت حقيقة أحداً من المتوارين عن ناظريها، وأهابت به أن يدافع عنها أجاب: «إنها ... مما أطل من القول ...»

هذا دفع لم يقصد به وجه الحق، وإنما ... ذلك مما أوحت به عواطف الصدور لا السبب — شهد الله — سوى ... الواقع الملموس، والمخبر بما لم تستطع النفس ... في صراحة بما أمرتنا الشجاعة به.

إذا لم يتهيأ لنا — ونحن شأن كل الأمم الصارخ — أن نضع أيدينا على الداء، عز علينا أن نرى أحداً يجرح جرحات، ويستصرخ الأساة لتضميد جراحه. ومتى لم نجد ... رمز الأمة مدوية عبر سمة الصدور، ورمزة للمكروب؟ وأي مقام يمنع في تدارك هذا البلاء والبحث عن الخلاص منه؟

ما كان لنا — والله — أن نصمت أمام الحق ونتوارى عن الواقع الحسي ما دمنا في الحياة سواء.

هذا مصري موطن صحب حياته منذ عهده بعيد، يحس بالألم ويكتوي به، وهو مع ذلك يؤثر أن يصم الداء على أن يجاهر بالشكوى منه والتخلص من شره. يا للعجب! أي شيء يحمل هذا الداء، ويظهر صورتنا من أوصاره، ويكاشف المفتون بويلاته فيتمكن به الإصلاح من تعرف مواطن العلة فيضع الدواء مواضع التطبيب؟

قد يبدو لأحدنا أن في استقصاء بعض الداء وعرضه واضحة جلية، ومثاراً للمحيرين المريبة، والمتعالمين مثل هذا؟ فنقول له: على ... صريحاً بهذا الإعجاب وأملاً بهذه الإثارة، ... من عواقب الإصلاح، ... من حواضر الأمة بأسباب التحصين من العيب، والتبري من النقص. وما هي على ساعد العزم في مختلف أنحائه، من تجدد من بينها لا يتنكر في بعض نواحيه ... ملامح التحكيم فيه.

فليس من العيب إذاً أن نكشف عن أمراضنا ... أو ... إنما العيب والعار، بل ومن الخطر أن نرحب بالداء ونحتضنه، ونطوي عليه كشحاً وهو لا يبارحنا، ولا نريد أن نسومه إرهاقاً، وقديماً قالوا: «من كتم الطبيب داءه قتله».

ويبدو ظاهراً أن نكون صرحاء في قولنا، أحراراً في رأينا، بواسل في مواجهة الحقائق فلا نتحدى ولا نستطيل ولا نرائي

# مسكن الفلاح

للأستاذ عباس فطر مصطفى [?]
أستاذ هندسة الريف بمدرسة الزراعة بمشتهر

للمصريين عقلية بنائية، وآثارهم في العمارة والإنشاء تبهر بمظاهر عناصر التعبير المختلفة ... من عظمة العلم والفن، وتكشف عن سحر عظمة مصر في أمس مضى وتولى ... إنها روعة الكبرياء القومية في تاريخنا وتحيي الآمال في نفوسنا

حقاً لقد كانوا يوجهون الجزء الأكبر من مجهودهم الإنشائي نحو القبور والمعابد لاعتقادهم البعث والنشور ... ولكن ... لم يكن لأدمي بل ولا بد لشئون الحياة أن تجد سبيلاً للهروب من تفكيرهم وإحساسهم وتنفيذهم ... لذلك لا يدهشنا أن كان المصري البشري الأول الذي اكتشف ماهية ... من سكن ومخازن ومظاهر الري وعوامل [?] ... بل وعمل في التطور بها إلى حد يشعرنا بالعظمة ويشعرنا بالإعجاب

لنقصر موضوعنا الآن على مسكن الفلاح ... ولنر أولاً ماذا صنع أجدادنا به، وما هو عليه الآن، ثم ما هي به قائلون

أولاً – نشوء المسكن وتطوره:

فكر المصري البشري الأول في ضرورة الاحتماء بمأوى له، فكان يجمع كثيراً من المواد النباتية (كالأعشاب وسيقان الحلفاء) على الأرض فوق بعض البعض بشكل مخروط مرتفع ينام تحته لرقة فيحتمي معه تأثير هبوب الرياح

ثم وجد أنه من الأوفق أن ينام داخل هذا المأوى، واستعاض عنه ذلك بهذه المواد التي يستعملها لتحمل مجهودها مع احتفاظه بالتوازن، وما لبث أن قادته عقليته إلى استعمال مثل هذه المواد مدة أخرى لينة تشبه ما يصنع منه مأوى الأعراب الآن، وبذلك تكون أول شكل للخيمة ... ركز رأسها على فرع شجرة وشد جوانبها إلى الأرض بالحبال والأوتاد، وجعل لها باباً في عكس هبوب الريح

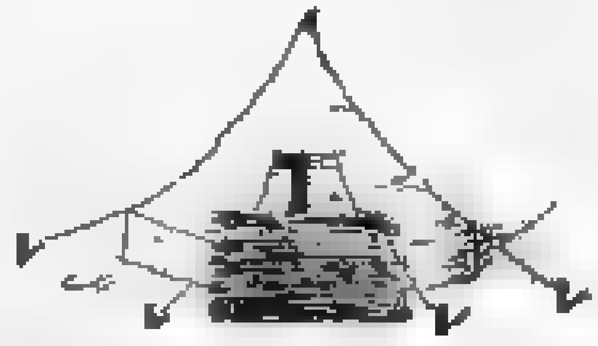

وكان تأثير هبوب الريح في هذه المظال الخفيفة عاملاً ... فوضع حاجزاً من القصب أمام فتحة الباب يكسر من حدة هذه الهبوب

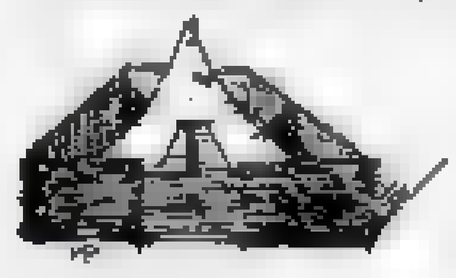

تغلب بعد ذلك على مقاومة الريح، ولكن الحفاء وحيوانات الأودية كانت تخرج من

---

ولا سمع حتف حماك لا يعرف بها دين ولا يقرها عرف، ولا يسيغها عقل

وإن أمورنا المثل الأعلى في الرأي الحر والوصف الصريح ... فلتلتمس في ساحة الأستاذ الزيات مع الأستاذ الأكبر، ففيها المثل الكامل والقدوة الصالحة

هذا وعند الله سبحانه أن يجد في صدورنا من يجد إلى الهداة ... ويرفع الصوت عالياً في حزم واتزان ... وعندئذ يجب أن يكون عليه حالنا؛ فالصراحة سيف لا يرفع إلا على شهادة، ومرآة لا تكشف الحقيقة إلا في شدتها

(مصر الجديدة) عباس حزين [?]

المدرس بمعهد القاهرة

للمأوى ووصل الطريق ، عمد إلى هذا الغار فجعله سياجاً يحوط مأواه من الجهات الأربع وحصل فيه إبان الفصول والزرع

أراد بعد ذلك أن يستقل الشعب بين محيط السياج وبين محيط مأواه فرص وصيه شد بالعال جوانب الخيمة رأساً إلى جوانب السياج بحسنتها ماء طالعمية بأحرى أقوى منه ومن الطين .

٢ حرج غطاء المأوى الرمو واستهله بآخر صلب خشبه قمصاً وأصلاباً ومكر من وسطها على جذع شجرة صار أشبه من ، بالطرشة ،

وبذلك اتخذ المأوى أول شكل مادي مأوى لسكن الفلاح حالي

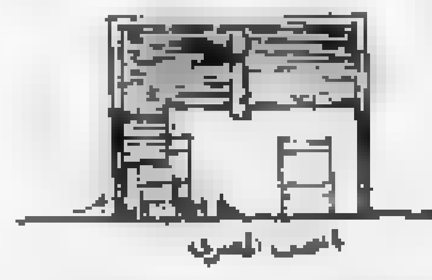

المتحف المصري

وهنالك شكلان آخران أيضاً لسكن فلاح قديم ، منقول أحدهما عن نموذج موجود بالمتحف المصري ، والآخر عن نموذج موجود بالمتحف البريطاني . ويتركب الأول من غرفتين وحوش مكشوف به سلم يؤدي إلى السقف . والسطح ثلاثة حيطان ، سقوفها خشبية ويركز على عمود من دعم الدرابزين فوق الحائط التي يحصر الغرفتين عن الحوش .

ويتكون الثاني من حوش مكشوف يطل عليه باب غرفة ولفتحها الثلاثة بعمود من دعمة الدرابزين ، وإلى اليسار بوابة المتحف البريطاني مفتوحة تؤدي إلى سلم ينحصر بين الغرفة وحائط الحوش ويصل إلى سقفها حيث يوجد بعد مسور له فتحة صغيرة أيضاً بمثابة مخدة لها .

ثانياً — حالة الآن

وصل مسكن الفلاح إلى أيدي أجداده وسكناً لا يستطيع إلى عهد الحاضر ، فما من التحسينات التي أدخلت عليه منذ عهد الأمد السحيق ! إذا استثنينا النادر ، وليس النادر حكم ، فهو لا شيء !!

للسكن الحالي للفلاح وحده بأوسع ما في هذه الصفحة من معنى ليس وافياً بالغرض المنشأ من أجله لا تجد فيه أحوالاً صحية مناسبة الريف الرحيم ودون المطولة المهوية والإضاءة والحدائق والنظافة والتصريف فلا صحة للفلاح بينما لذلك فرصة سكن مريض ، ولم يراع في تخطيطه الترتيب والتنسيق المناسب للريف ، فضلاً عما تجده من الفوضى والتشويش لا تساعد على رفع المستوى الاجتماعي لساكنه ، بل هي لا تساعد إطلاقاً على تكوين أي مستوى اجتماعي

ثالثاً — ما يجب أن يكون عليه مسكن الفلاح :

تبدع الآن بدراسة تفاصيل المسكن الحالي للفلاح لنرى بالجملة ما يجب أن يكون عليه مستقبلاً ؛ وسيكون ذلك من نقده نقداً بانياً لأي مسكن حالي

(١) من حيث الوضع

يجوز بناء مسكن الفلاح منعزلاً من مسكن جاره زيادة في موه التهوية والإضاءة ؛ والأنسب بناء المسكن متلاصقة بهيئة مصفوفة وفقاً لمساحات الأرض وتكاليف الإنشاء تجاهها بحري — قبلي ؛ حتى تتمدد أشعة الشمس على المسكن طيلة اليوم

(ب) من حيث مادة البناء

استعمل قدماء المصريين قبيهم ووقتهم «الطوب الأخضر» في جميع مساكنهم المبنية للأصلحة لجو مصر ، ولكونه موصلاً رديئاً للحرارة ، وسهولة الحصول عليه ورخص تكاليف البناء به ، كما تستعمله الآن ، وتستعمله أيضاً بعض الولايات الأمريكية

وفي الواقع يصح استعمال الطوب الأخضر كافة بالنسبة للحيطان في الوجه القبلي وأغلب بقاع الوجه البحري لندرة الأمطار بشرط التأكد منه والعمل على منع تأثير الرطوبة الأرضية عليها بل ويمكننا القول مع شيء من الجرأة بجواز عمل البناء بالطوب الأخضر حتى في شمال الدلتا بشرط عمل «وزرة» مناسبة للأسقف و «المرونة» حائط الحوش مع سطحها «بطبقة» جيدة الرصف من حراسة الجير والحمرة ، ويشترط حلاوة على القواعد بورة

جريبة بنفس دخل الأسرة ، الخير والسادس والتي يلزم إحلاله جميع مساكن الفلاحين على الأقل بها في أية قرية . ومن طبيعة مونة لا تحتاج إلى الترميم مثل مونة الطين ولا تمتص الرطوبة الموجودة في الجو ولا تسمح كالطلاء بالطين بتفشي وتوالد البق والبراغيث على سطحه الخشن وبين الشقوق المحيطة به خصوصاً أن البراغيث وسيلة لنقل الطاعون

هذا ويكون أرضية الغرف من خرسانة الجير والحمرة أيضاً بارتفاع ١٥ سم من سطح الأرض

ولا يفوتنا ونحن في صدد الكلام عن مدة البقاء أن نبين بانتخاب أنواع الأخشاب المصرية الصالحة لأعمال الإنشاء الهندسية ، والعمل على الإكثار منها لتعتمد عليها في عمل الأسقف والنوافذ والأبواب ليعتمد الريف على الأقل على مواده الخاصة من جهة ، وزيادة الحريق من جهة أخرى ، خصوصاً والأحوال الدولية المضطربة حول دون وصول الكثير منها بثمن يتناسب مع سياسة الاقتصاد في الريف

( ج ) من حيث السكن المعماري

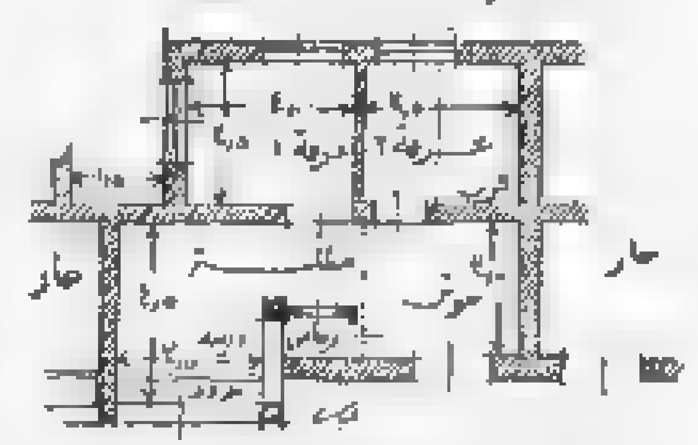


يتركب المسكن العادي للفلاح الذي له زوجة وطفلان أو ثلاثة من غرفتين ويجوز إضافة غرفة أخرى إذا كان عدد أفراد الأسرة أكثر من ذلك . وأبعاد الغرفة حوالي ٣×٣ متر في الأشخاص الثلاثة ، بها باب ونافذة صحية واحدة على الأقل ، وأمامهما حوش له باب خارجي نصفه مظلل بمظلة عجلها خصاص ( يجوز استعماله مبيتاً ) ، ونصفه الآخر مكشوف

ولا مانع من الوجهة الهندسية الإنشائية من وضع مظلة الواجهة الطابق في مسكنه . والشكل يبين نموذجاً أفقياً لأحد النماذج

الاقتصادية ولكن في وسط بين الفرع الطويل والفرع المتصل

( د ) من حيث التهوية

(١) التهوية الطبيعية

يجب وجود نافذة واحدة على الأقل في كل غرفة يكون الجزء السفلي منها قريباً ما أمكن من الأرضية ( حوالي ١ متر ) لدخول الهواء النقي إلى الغرفة ويكون الجزء العلوي منها قريباً ما أمكن من السقف ( حوالي ½ متر ) لخروج الهواء الفاسد من الغرفة إذ أن الساخن أخف في الوزن من الأول ، ولا مانع من رفع مستوى نافذة الغرفة الكبيرة بعض الشيء ؛ وذلك لقربها من نافذة الغرفة الكبيرة للمسكن المجاور . وهذه الطريقة تعمل من تلقاء نفسها هواء الغرفة بانتظام وبصفة مستديمة

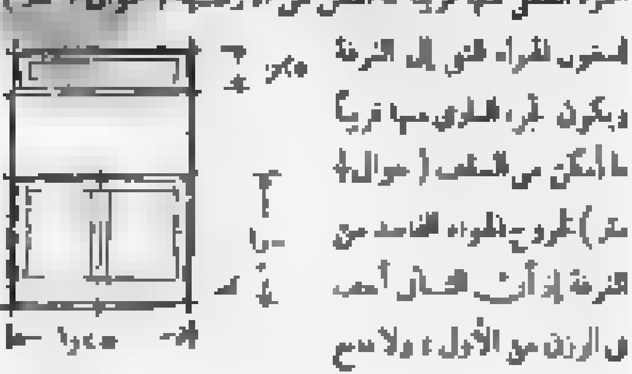

( ٢ ) المدخنة

يزود إحدى الغرفتين ولتكن الغرفة « ٢ » بمدخنة عرضها حوالي ٢ متر فتحتها من الحوش للنظافة وصيانة فضلاً عن استعمالها في « الخبز » وفي مواقد للمكان التهوية الأخرى ، ويمكن تزويده بفرعين من مواسير الفخار لتنظيم حركة الاتصال ، أحدهما فتحته من الخارج ويمر « بالكانونة » إلى أعلى حيث تكون فتحته الأخرى في الحائط داخل الغرفة ، ويركب على كل من الفتحتين قرص ثابت مثقوب بشكل خاص ، وآخر خلفه يتحرك عكس صمم مثقوب أيضاً بنفس النظام ، ويمكن بواسطته إغلاق الفتحة في غير وقت الاستعمال . وبمرور الهواء الخارجي خلال هذا الفرع ترتفع درجة حرارته بمروره داخل الكانون في الشتاء ثم يدخل الغرفة دافئاً . وبذلك يمكن مبادلة هواء الغرفة شتاء إلى الموجة الملائمة وطريقة صحية

أما الفرع الآخر من المواسير فله فتحتان أولاهما في الكانونة أيضاً ، وتتكرر داخل سقف الفرن أفقياً حتى نهايته حيث تتصلان إلى فتحة واحدة تتجه رأسياً إلى أعلى حيث فتحتها خارج الغرفة من كل جانب مثل الفرعين السابقين . ويخرج من

هذه الفتحة دخان الفرن ... وبهذه الوسيلة يمكننا نظافة سطح الفرن أيضاً لمن يلزم عليه شتاء

ولا يفوتنا ونحن عند هذه النقطة أن نحض على عدم وجود الأسطبلات والتبن وما أشبه داخل المسكن أو على السطح منعاً للخسارة في الأنفس والمتاع، وما جرى شيء من ذلك عبرة لمن يعتبر

( ٣ ) الإمداد بالمياه

يجب تزويد مجموعة المساكن بمياه صالحة للشرب وأبسط طريقة للوصول إلى ذلك عمل بئر إرتوازية ... له عدة مواسير متجهة إلى أسفل ... بأحد التفاصيل ... كما نرى ... وإذا أردنا التكامل توصيل المياه إلى كل مسكن بمجرد ... عليه صنبور ومحكم لحجز المياه

على أن تختبر هذه المياه قبل استعمالها بالتحليل للتأكد من صلاحيتها للاستعمال

ويختار موضع تركيب ... في طريق مياه ... إلى مجموعة المساكن، وعلى مسافة ... لا يقل بعدها عن ٢٠٠ متر حتى لا تتلوث بمياه مصرف ... المساكن أو السوائل التي تتشربها التربة من حظائر المواشي وما أشبه ذلك

٤ — مصرف الفضلات

... لم يكن بد من مصرف فضلات المسكن بأن أصبح طريقة استعمال خزان التحليل Septic Tank

توجد في الفضلات بكتريا وميكروبات متنوعة منها أنواع مفيدة لأغراض تحليل المادة العضوية، وهذه تعيش في شروط غير هوائية؛ فيجب إذاً توفير هذه الوسط لما يتم التحليل من جهة وتتكاثر هذه الأنواع وتبيد الأنواع الأخرى الضارة من جهة أخرى وهي غالباً لا تعيش إلا تحت شروط هوائية؛ فلذلك يجب وضع تصميم الخزان بحيث يكون سطح السائل فيه قريباً ما أمكن من سقفه

ويعمل هذا الخزان من خرسانة ... ليبني ... ملباً جيداً ... من الطوب الأحمر ... مع تغطيته ... من ... السمنت والرمل ... ويصمم ... الخزان على أساس أن كل فرد يخصه ... مكعب ... أبعاد ... على التقريب ... طول ٢ متر وعرض ١ متر وارتفاع ١ متر ويكفي ... لتصريف فضلات أسرة مكونة من ٦ أشخاص

... الفضلات إلى الخزان ... حوالي ٢ سم ... فوق القاع بحوالي ... سم حتى لا تضطرب الفضلات الموجودة وترسب الفضلات ... على القاع حتى تتحلل

وعلى بعد حوالي ٣٠ سم أسفل سطح السائل في الخزان ... السائل الذي تم تحليل المواد العضوية الموجودة به، وعند هذا البعد تركب أنبوبة التصريف Outlet Pipe ... وتمتد من الخزان في حفرة تحت سطح الأرض ... نظام ... أنابيب ... لتصريف المياه الخارجة من الخزان في التربة ... وهذه الأنابيب موضوعة بجوار بعضها ... بدون ... وبعمق ... جداً لا يزيد على ... سنتيمتر ... ولا يقل طولها عن ... متراً، ويزاد ... متر زيادة لكل شخص عن السنة ... وتصرف هذه الأنابيب مياهها عند أطرافها وعند مواضع الاتصال؛ ويجب أن تكون التربة التي تصرف فيها غير متماسكة ... والأطوال السابقة للأنابيب تعتبر أكثر من اللازم إذا كانت التربة مفككة جداً ويجب أن تضاعف إذا كانت الأرض طينية متماسكة

أما المواد ... التي ترسب نهائياً في القاع، فعبارة عن مركبات معدنية ... لا يزيد ... سنوياً عن ... سم، ولهذا السبب ربما لا يطول ... الخزان ... في حياته ... تنظيف مثل هذا الخزان مرة واحدة

أما حظيرة المواشي، فالعادة المتبعة إلى الآن أن تترك فضلات الحيوان ... وتكوم على التراب ... كوسيلة اقتصادية لتحضير ... والواقع أن جسم الحيوان يكون ... مرتعاً ... لهذه الفضلات ... ويسبب ذلك المرض ... خصوصاً إذا كانت المواشي ... كما هو الحال غالباً في مسكن الفلاح

هذا علاوة على ... النازلة ... الأكبر ... وغازات ... وثاني أكسيد الكربون ... بكتريا ... وعن ...

في الفضلات ، كذلك توالد الجراثيم والذباب ، وفي ذلك أيضاً خطر بليغ على الجهاز التنفسي والجسم والعين

ومن الغريب أن هذه الطريقة لا تتبع عادة بعيداً جداً بكثرة عند الأمة المصرية بشتى الأسباب

فمن الوجهة الصحية إذاً يجب عزل الماشية عن مسكن الفلاح ووضعها في حظيرة بشكل عام خارج قرى الفلاحين بحيث تكون في أماكن تامة الكفاية لذلك ، وتكون كل ماشية تحت سيطرة صاحبها فقط

وعلى سبيل ذكر الشيء بالشيء نرى أن الفكرة الاجتماعية تأتي لتدعم الفكرة الصحية في وجوب عزل المواشي ، لأن الفلاح بعيشه دائماً في مسكن واحد مع الماشية يشعر بمستواه الاجتماعي واطئاً كثيراً ، فهو لا يستحي مثلاً من التبول أو التبرز أو الاستحمام علناً أمام أي جنس أو سن كان من مارة السبيل علاوة على بعده عن ... وضيق مداركه وعدم تهذيبه لمسائل الغرام فعلاً إنسانياً معقولاً

(هـ) من حيث استعمال الفضلات

من المقدر أن ملايين الأطنان من السماد يمكن استخراجها من فضلات الإنسان والماشية في العام

وهناك الطرق الكثيرة المتنوعة لذلك مما لا غنى عن أحدها : أهمها طريقة العالم Krantz لعمل سماد الإسطبل ، والطريقة الهولاندية لعمل سماد من فضلات الإنسان وكناسة المسكن

وبما أن البول يحتوي على الأزوت في صورة يوريا وغيرها ، وبما أن نسبتها فيه كبيرة جداً ، وبما أنها سهلة التحول إلى كربونات وتقدر لذلك فالقيمة السمادية له عالية وتساوي بالتقريب القيمة السمادية للأسمدة الأزوتية الكيماوية حيث تتحلل في ظرف أسبوعين فقط بنسبة ٨٠ – ٩٠٪ . إذاً فالبول الطازج يمكن استعماله مباشرة لسرعة هذا التحول . هذا علاوة على التأثير الجيد الذي يسهل تأثير الأسمدة الكيماوية للعناصر الأخرى السمادية الموجودة في البول كالبوتاسا وحمض الفوسفوريك

لهذا السبب يمكن تسريب بول المواشي كلها الموجودة في ... شتاء ، وكذلك بول الإنسان حيث يحفظ في حرامات خاصة لتبعد السوائل لا يتسرب إليها الهواء وذلك بإحكام غطائها أو بإضافة زيت وسخ مثلاً إلى سطحه فلا يحصل فقد في الأزوت الموجود به بالتحلل والتطاير ، ويستعمل البول بعد ذلك في تسميد الحقل في وقت يكون فيه خالياً من أي نبات لكي يتمكن تحول البول إلى أزوت نتريتي

أما براز الإنسان في هذه الحالة ، وكذلك روث المواشي وما عساه أن يوجد من تبن الحبوب ، والفول ، أو عروش الخضروات وأوراق الأشجار مخلفة أو كناسة القصب وما أشبه ذلك على حسب النوع والكمية الموجودة بكثرة في المنطقة ، فيمكن عمل سماد جيد منها على طريقة خاصة من طرق العالم Krantz

وإذا أعطينا الفلاح المصري قطعة أرض صغيرة مجاورة جداً لمسكنه وكلفناه بعمل حفرة مكونة سماداً إذ يمكنه بذلك أن يحول المخلفات وبقايا الطعام وكناسة المسكن وغير ذلك من الفضلات المهملة إلى سماد صالح للاستعمال بعد حوالي ٤ أشهر خصوصاً للحدائق وحقول الخضروات

وبعد فمشكلة مسكن الفلاح مشكلة حالية ملحة من مشكلات الفلاح المصري نرجو تذليل صعابها . . . وما كفاحنا في سبيل الأمة أيام السلم بأقل شأناً من كفاحنا في سبيلها أيام الحرب .

عباس فؤاد مصطفى

# الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوي

---

## بين الديمقراطية والدكتاتورية

إلى أي طريق تساق البشرية؟ وهل نحو أن تسود الديمقراطية، أو تسيطر الدكتاتورية؟ وهل يستطيع العالم بعد ما ذاق طعم الحرية وسعد حتى عرفها وطبع بأخلاقها، أن يعيش مرة تحت حكم الحديد والنار؟ إن التاريخ البشري حافل بقصص المجاهدين في سبيل حرية الفكر، مملوء بأحاديث الضحايا الذين صبروا على الموت على أن يتنازلوا عن مبادئهم.

فإذا ذكرنا أن الحرية كانت في مرحلتها في تلك العصور، وذكرنا أيضاً أن الناس ظلوا أجيالاً طويلة ورقابهم تحت السيف، أدركنا أن الديمقراطية ستنتصر مهما طال عهد النضال، وتأكد لنا أن الدكتاتورية لن تسيطر إلا إذا شقت طريقها على دم الديمقراطيين. فالحرب الآن نضال بين مبدأ الغصب ومبدأ الإنسانية.

## مأساة تتكرر

ولئن كانت جيوش ألمانيا الآن قد تقدمت تقدماً يشبه ما حدث في سنة ١٩١٤، فهي قد وصلت على بعد ٧٠ ميلاً من باريس، وجيوش الحلفاء لم تصب بعد بخسائر كبيرة، بل هي تتقهقر بانتظام لتأخذ مواقعها حتى تسنح الفرصة الملائمة، وحتى تضعف حدة الهجوم الألماني وتتوزع قواته. فإنه يلاحظ في هذا الهجوم عدة أوجه: أولها أن جيوش الحلفاء تنسحب بينما تتقدم الألمان وتتوزع. وقوات الألمان في مناطق ثلاث، وبعد الخلاص، بينما قوات الحلفاء في مناطق موالية مترابطة. ومن هذه الأوجه اتساع جبهة القتال الألمانية وتفصيل قواتها، لخلف جيوشها في فرنسا قوات عديدة كبيرة في بلجيكا، حكومة بلجيكا والمناطق التي ... على جيوش بلجيكا وبريطانيا وفرنسا، ومعاركها لم تنته بعد، تعرض سلامة الجنود الألمان الذين يمتد من لوكسمبرج إلى ليبان وعلى ... بحر الشمال، ويصعب من تدبير القيادة الفرنسية تدبيراً عسكرياً

في الخطط العسكرية، كما يفهم من تصريحات ... وزراء حرب واعلانهما أن الحلفاء مصممون على القتال إلى النهاية حتى يحققوا النصر. وهذا ما يؤكد ... وفق الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية واتساع رقعتيهما.

## اختلاف الخطط

وتقدم الجيوش الألمانية دليل لا يدل على نصر أو خذلان لأي الطرفين، بل يرجع في حدوده إلى اختلاف في القتال عند المتحاربين وتقديرهم للرجال والخسائر. فبينما ألمانيا لا تكترث بكثرة الضحايا وتقدم للميدان أعداداً كبيرة منها، تحرص انجلترا وفرنسا على أن يكون عدد الضحايا أقل ما يمكن. بل إنه يبدو للمطلع أن قيادة الحلفاء تقدر مهمة الموقع الذي تدافع عنه أو تهاجمه وما يتكلف من خسائر، ثم تقدر مكسب أو خسارة. وعلى هذا الأساس تقرر خطتها، وغالباً ما تسير حسب الضحايا متوخية الفرصة أوفق وأقل ضحايا.

وبعودة إلى حوادث الحرب العظمى ووسائل الهجوم الألماني أمكننا أن ندرك مبلغ حرص القواد المتحاربين على سلامة رجالهم. في هجوم الألمان على خط كومبيه ... كانت قوات المشاة تتقدم في جماعات كبيرة متراصة يسهل حصدها بالمدافع السريعة الطلقات أو المدافع، حتى قال جنود الجيش البريطاني التي كانت تتولى الدفاع عن هذا الخط بقيادة الجنرال فرانش: «إنه كان يمكن أن تطلق البندقية في أي اتجاه فتضمن استقرار الرصاصة في جسم أحد الجنود الألمان».

هذا بعكس خطط الهجوم الإنجليزي أو الفرنسي، إذ ينتظم الجنود في خطوط رفيعة بين كل جندي والآخر متران تقريباً، فيطيش عدد كبير من الطلقات ويقل عدد الضحايا إلى أقل نسبة ممكنة. وحقيقة أن هجوم قوات الحلفاء يحرز النصر بعد مدة أطول، بينما يحقق هجوم الألمان نتائج سريعة، ولكن بخسائر فادحة؛ وهذا ما يحدث الآن. فلكي يتقدم الجيش الألماني في موقعه يجب أن يكون وراءه صفوف أمثاله تقضي عليه بالكثرة العددية.

## أخطاء خطيرة

وارتكبت في المرحلة الحالية عدة أخطاء كبيرة استغلها الجيش الألماني أحسن استغلال. فقد قررت قيادة الجيوش البلجيكية

أن تحتل خط دفاعها الأول الممتد على الحدود في منطقة أردن إلى حصن بروج، وأن تعد أجنحتها الغربية في خط الدفاع الثاني على نهر الرون وهو نهر سريع الجريان وذلك لتجتاح في الاصطدام من هجمات جيوش الحلفاء. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان فإن القيادة الألمانية هاجمت بلجيكا من جهتين الأولى من لكسمبورج إلى منطقة أردن وكانت هذه الجهة كما قلنا خالية من الجنود الدائمة، والثانية اجتاحت منطقة لامبورج الهولندية وسيطرت على ماسترخت ومنها اتخذت شكل مروحة اتجه بعضها غرباً، واتجه البعض الآخر جنوباً في حوض نهر الرون وأربعة [illegible]. وكان هذا مقدراً لدى القيادة البلجيكية على أن يعبر الجيش الألماني على الشاطئ الشرقي للنهر ويصير عليه [illegible] بقصف القوات التي ترابط على شاطئه الغربي بمدافع الحصون القائمة على النهر. ولكن حدثاً ثانياً أصبحت [illegible] الجسور وعكف الجنود الألمانية من اجتيازه لأسباب لم يكشف عنها بعد. ولكن هذا الخطأ كان على جانب كبير من الخطورة إذ أصبح هذا الخط عديم الفائدة مما اضطر جيوش الحلفاء إلى التراجع إلى حدود [illegible] أقل مقاومة فساعد ذلك جيوش الألمان على دخول فرنسا بسهولة كبيرة.

ولنصف الحصون خاصة وقت الهجوم أهمية كبيرة. إذ يجب بعد سقوطها على الجيوش المهاجمة أن تنقل جوانب وضع النهر فاصلاً بين القوتين. وبينما يكون المدافعون متحصنين خلف الحصون الطبيعية أو الصناعية يكون الجنود المهاجمون مكشوفين لنيران القوات الدائمة وخصوصاً إذا أرادوا اجتياز النهر لإنشاء الجسور العسكرية لمرور قواتهم.

ولتقدير أهمية نصف الحصون نذكر أن عدداً قليلاً منها يتيح للأفراد الذين يتحصنون في نصفها [illegible] وفي الحرب الماضية [illegible] سنة أو سنة تقريباً من [illegible] العسكرية

من الجنود إلى الصعاب تعترضها في أثناء تقدمها عبر الجسور في جهة كورتريه [illegible]، وهذا الوضع هو أروع الأوضاع العسكرية البريطانية، ولم يحصل عليه إلا بعد [illegible]

## بين حربين

والخطة الألمانية الحالية لا تختلف كثيراً عن الخطة التي نفذت سنة ١٩١٤، ووضعت تفاصيلها في أواخر القرن الثاني [illegible] ذكرت من اجتياح هولندا في مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام ثم اجتياح بلجيكا والوصول إلى سهول فرنسا الشمالية عن طريق حوض نهر الرور. وهو سهل منبسط خال من العقبات الطبيعية التي تشكل عقبة في سبيل تقدم الجيوش. أضف إلى ذلك أن الحصون الفرنسية في تلك المنطقة أضعف منها على حدود ألمانيا، وعلى الحدود الفرنسية البلجيكية كانت تقوم حصون متفرقة أقل مقاومة من خط ماجينو الذي يمتد [illegible]

وتختلف خطة ألمانيا الحالية عن خطة سنة ١٩١٤ في أنها تجنبت هولندا لأسباب عسكرية؛ الأول [illegible] بحرية وجوية تقرب بينها وبين إنجلترا، والثاني تأثير على جيوش [illegible] هجوم جيوش الحلفاء من هولندا فالمسافة بين شواطئ هولندا وإنجلترا قصيرة لا تتجاوز ١٥٠ ميلاً تقطعها الطائرات في أقل من ساعة، كما تتخذ موانيها مواقع للغواصات، ومنها يتيسر لها استغلال أسطولها [illegible]. وتتجه القوات الألمانية إلى الغرب للاستيلاء على موانئ [illegible] على الأطلسي لقطع المواصلات بين فرنسا و[illegible] نقل القوات البريطانية إلى فرنسا

## الجبهة [illegible]

ويبدو لنا أن خطط الحلفاء الحربية قد [illegible] كبير لوقف التقدم الألماني، بل إنه [illegible] من طرد القوات الألمانية

من بعض المناطق التي سبق أن احتلت منها. وقد عمد بوسع السحب في الفضاء الألماني إلى إنزال بعض جنود المظلات الروسية خلف خطوط القتال لتؤدي مهمة قطاع الطرق، فتعتدي على الطرق وتبث الرعب فيهم، وتتحرش بالقيادة الخلفية، وببعض المتاعب التي تصرفها عن العناية بجبهة القتال. ولكنا نعتقد أن هذه الفرصة قاصرة مقصداً، فقد عرفت وسائلها واستعدت لها البلاد، وظلت قوات خاصة لتطهير هذه الآفات الكثيرة العدد التي قد تعطل موارد ألمانيا الاقتصادية فترة من الزمن قبل تعيدها فترة أخرى.

فإن جنود المظلات الروسية يتكلف جسم كل منهم من المتفجرات دون المظلة الواقية وحدها ٢٢ رطلاً من الخبز والطعام يقال إنها خففت مساحة من مزرعة عامرة ومدافع سريعة الطلقات وأسلحة سريعة يستغرقون الساعات من مختلف البلاد. ومثل هذه المتاعب لا تعطل الموارد الألمانية. وقد عرف كثير من خبراء الحرب في اختبار الخطوات التي تعدها ألمانيا لحرب موفقة، بل يقول بعضهم إن جولات سنة ١٩١٤ تتكرر في هذه الحرب بل يجري في أكثر الميادين العسكرية ثم تتعطل دفعة واحدة في الميدان الاقتصادي ولا تجد الموارد اللازمة لإمداد جيشها.

ومن الغريب أن يذكر ما أصاب المالية الألمانية من إفلاس عقب الحرب الماضية، إذ هبطت قيمة المارك الألماني فلم يساو ثمن الحبر الذي طبع به حتى اضطرت إلى إلغائها في آخر الأمر، فإن ألمانيا عمدت إلى طبع الأوراق المالية دون أن يكون لها الرصيد الذهبي الكافي الذي يحفظ لهذه الأوراق قيمتها في السوق.

## هل هو المعول؟

ويرى بعض المفكرين من كثرة اعتماد ألمانيا على الدول الصغيرة المجاورة لها ما يدل على ضعف الاقتصاديات الحربية، فهي في معظمها تعتمد على موارد البلاد الخاضعة لها بالتهديد أو بالإخضاع. فإن الرعب الذي يستولي على دول البلقان يجعلها تقدم لألمانيا كل ما تطلب منها أثناء الشرق. وقد تزول رهبة هذه الدول نتيجة لتقدم الألمان في حرب روسيا فأصبحت أقل مقاومة وأكثر ليونة تحت الضغط الألماني.

وكما قدرت الموارد في ألمانيا احتاجت دولة تحصل على مواردها وقمحها، ويمكن من المشكوك فيه أن تظل الدول التي اجتاحتها فترة طويلة بسبب حصر الجيوش للمراعي الممتدة أثناء الانسحاب، ولأن أكثرها الآن يحفظ رصيده للقمح في كي

بعيدة من المناطق مثل أمريكا التي تقدمت لها أكبر القروض بأموال كبيرة.

## أمريكا تترقب

وكشفت حركات ألمانيا الأخيرة حتى أن كل دولة قد تؤدي إلى اشتراك عدة دول في الحرب. فإن اعتقالات الشركة لشركة أمريكية الأمريكية وبعد ما كانوا يقصرون أعمالهم على حمل الرسائل بمساعدة الحلفاء، وظهرت أصوات في مجلس الشيوخ الأمريكي وفي الصحف تطالب علناً بوجوب اشتراك أمريكا في الحرب.

فالأمريكيون يرون أن النازية مظهر من مظاهر الوحشية والهمجية ويرون أن انتصارها هدم للمبادئ الديمقراطية ورجوع بالإنسانية آلاف السنين، حيث تخضع الجموع لفرد، ويتحكم السيف في رقاب الناس بدلاً من المنطق والعقل. والأمريكيون أكثر شعوب الأرض تمسكاً بالحرية ومبادئها، وهم مستعدون دائماً لبذل حياتهم في سبيلها.

وسيطرة النازية على أوروبا ستكون مقدمة لهجوم جديد عليهم، ولا سيما بعد ما كشفت عنه وثائق النازيين من التطلع إلى الاستيلاء على أمريكا ووسائل الدعاية وإثارة الحرب الداخلية بين الولايات المتحدة وكندا في حدود واحدة، ثم قرب جزيرة جرينلاند من الشواطئ الأمريكية حتى يسهل اتخاذها مواقع عسكرية. فأموال أمريكا تحت كل أوروبا معرضة لا تقرها السياسة الأمريكية الآن.

## جيش الشرق

ويحفظ الحلفاء في الشرق بقوات كبيرة انتظاراً لما قد يواجه أطماع ألمانيا وغيرها من الدول الدكتاتورية في الشرق، فإن إيطاليا والروس لم يوضحا بعد موقفهما وتركيا آخذة بالحرب وأخرى بالحياد، فيجب الخطة عند الحلفاء ناحية التركيز على مهاجمة ألمانيا، ولكن أكثر القوات في الجبهة الغربية بتوزيع قوات الحلفاء في مصر وسوريا وفلسطين وتونس والجبهة الغربية.

وعمل الخطط الألمانية القتال في جبهة واحدة فقط، ولكن الواجب على الحلفاء أن يشغلوها في أكثر من ميدان حتى تتوزع قواتها ويخف الضغط على الجبهة الغربية وتقع ألمانيا في المأزق الذي تخشاه.

فوزي الشتوي

## رسالة الشعر

# لحن ...

### للأستاذ أحمد الطرابلسي

لي في حبك لحن ولكن لا أغني   وإذا غنيته من يسمعني؟
أنت لا تستطيع أن تسمع لحني   وأخاف الكون أن يسمعني

• • •

يا حبيبي كل حب الحياة   أتواري في مداه [illegible]
ومن رغبة تجري حية
أو سمعت الطيور في الأغصان تغني   طرباً [illegible]
[illegible] أن أسمع الأطيار لحنا
ثم [illegible] والأسى يطويني
أنت لا تستطيع أن تسمع لحني   [illegible] ودنا [illegible]

• • •

كلما جئت إلى الشاطئ وحدي   ورأيت الموج [illegible] [1]
هاجت الذكرى [illegible] ووجدي
[illegible] والأنجم زهر   [illegible]
[illegible] قلبي النشوان لحن
ثم [illegible] يشجيني
أنت لا تسمع حين أغني   يا حبيبي قلبي [illegible]

• • •

يا حبيبي كلما رقت السما   [illegible]
[illegible]
[illegible]   [illegible]
لاحت الذكرى [illegible]

فتمايلت وآذيت الشعر
كل ما حويت بسمعي
غير أني لم يكن لحنه مني   يا حبيبي أنت أنت [illegible]

• • •

لي في حبك لحن ولكن لا أغني   وإذا غنيته من يسمعني؟
أنت لا تستطيع أن تسمع لحني   وأخاف الكون أن يسمعني

(بيروت)   أحمد الطرابلسي

من وحي المنظر

# ليلة الزفاف

### للأستاذ إبراهيم العريض

[illegible] الشوق في [illegible]   [illegible] الأشجار
كل [illegible] في [illegible]   [illegible] إلى [illegible]
من عصافير [illegible]   [illegible]
في [illegible] على   [illegible]
[illegible] الأمواج لولا الذي   [illegible] على [illegible]
[illegible]   [illegible]
كأنها [illegible]   [illegible] أزهاره
[illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible]
[illegible] في الزاهي [illegible]   [illegible]
من [illegible] الطاووس [illegible]   [illegible]

• • •

وكان في [illegible]   [illegible]
[illegible] الطرف [illegible]   [illegible]
وهل [illegible] من مشهد   [illegible]
[illegible] الأنوار من [illegible]   [illegible] في [illegible] الظلال

(١) نظمت هذه المقطوعة في مدينة «ميامي» الأمريكية على شاطئ الأطلنطي (سبتمبر سنة ١٩[illegible])

رقّ ظلٌّ بجوانب لا ترى ... تُنشدُ الأنفسَ وعدَ الجمال
سكِّه لا يُبصِرُ من حوله ... شبحاً سوى إنشاب ملال
وجرى بالورد قد شدت ... من بينها واحدة في دلال
لبِسَتها منذ رفيفاً ... ناظرٍ الغراس عند السؤال
والعين من جراء إشفاقه ... حبين كلّ صب بالآس
حتى إذا أمطرها بيضة ... على الرسيس منذ السؤال
نُس إلى الأرض تشرب ... وعن تعدادي نشيد الوصال

## نشيد الوصال

يا طائر قلبي على دمه ... قد صدحت الأرض وغنائه
صدحك الأيام في حبه ... ما حام بشرك بأحضانه
للحب صرف الزمن بأن ... بعذيب الدمع يشجانه
ملاعب اللوعم حتى إذا ... تقصف وردة دمه
ونادم البلبل ما دام في ... سوره تعصى بألحانه
طير بوشيمة الذي تنعمى ... عن جدة ما عن ندمانه
هيهات ما دمت لنفسي سكرة ... تسكره إلا بأوطانه
لا ينظر الغصن ربيع الصبا ... طلب المودة عن خانه
عما قليل يمضي كل ما ... تره من غابت ألوانه
أمسك جلم ولا ينتهي ... حرم من صفو بيانه
في الليالي في صفيٍ الصب ... إلا وعن الذل في ساحة

• • •

وعشقه ما أعشق بإشارة ... وقرب من تعذيبه ابتسام
وشى عنك بمرحب ... تعاد به ترى عشق الغرام
وتطلعهن على عجلة ... كتمل تشب وعد الظلام
في خلائق حمراء تعب على ... ما تعجب من أشرقة كالإسلام
ناعمة الخدين سلوتها ... جوهره وانبت كالوسام
وزدنا به العطش سوى ظلمٍ ... وارتع من العين بفنع الغرام
لم تزل تلوي بعدها على ... صورة عشق مال ثم استقام
نزاوج القطر على عينه ... والرة تعصف حمل الغمام

وكل دارت عسيلها ... على كأس حبه للعظام
والروض يبقي عمرها عزته ... فوقت الصبا من عمرها
حتى أرته كيف تطوى الحشا ... فرعت الشكوى كبلبلها

• • •

وأصبحت تدعو شريكاتها ... أن تجرك النفس بشاتها
صبون في آثارها زهرة ... ومن يشتى الإطراه
حتى سلأت حباً ولم ... تنته بحب عن حلاته
واتخذت لحب إشاته ... يتحكم الصبر جلاله
فدور النجم إلى صبه ... تسبح في خلقه ذاته
ومد يضيئه إلى نحره ... يحزه في طيب أعراقه
مستنشداً لحبه كل ... عاشقه صافت أشواقه
ولم يزل سطعه رُبما ... ونتب الروح على ساقه
واصطبته عشب بها ... كالوصي في حلة شعاعه
مضطرب النفس حياته ... مغروزة العين لإشراقه
القلب ما يشعره عنه ... ضعيف في عجز أعماقه

• • •

وما مشي إلى صدره ... ضمه من عشق عجب هوله
تأكسب يه الحب لا ... يتبرأ في حاجب ما عدّه
وقدم فوق خضيبه لا ... يشمع في القلب الإعداده
وشكلها ظلاً عندليه ... تصبح عن وجهها ما شهده
وعابث في صحها بنعمته ... بعصبه عنه بلا الشعه
لا مالك باحوته تبكي في ... البعد من رحمت باحيه ؟
يعدبك الله الذي صنعنا ... إلى حيوته برحمت معاه
إلا محت الجفن عن دمعه ... لتشتهي أن ترى ما أراه
وشاطرى قلبي بحملته ... لأزمع الروح معاً في صلاة
ذهبت عنها بمري لقاه ... ينت من الحب حنانى ... بفو
ما رحمت النائم في ناظري ... مغرب قد حضت خلل عنده

• • •

ومر بالخضر على جفنها ... فأرجعت النفس على مائه

# رسالة الفن

عن الإنجليزية

## استنجالينا !

للأستاذ عمر أحمد فهمي

مسكين أخي أصيب بحب ابنة جيرانه حبي لا ما كل ولا ينام ، وقد حاولت كثيراً أن أصرفه عنهم عن حب سواء وعطفاً وسؤالاً ، ولكن عبثاً ، وظل يقول إنه يشعر بوجع شديد في قلبه وإنه لن يبرأ منه حتى ينال ابنة جيرانه وهو ما زال عنده فيه في الحب بين الخيال

— عندي دواء لأخيك

وقلبي ؟

— لا أفهم ماذا تقول ... أكونكم المتزوجين

يا أخي ؟

— يجرح عن ... ما هو ؟

— حدق صابراً ، وضرب في الفكر حتى ...

ثم اعتنى به حتى أجيك فوق قلبه

— تتساءله الفكر في أحشائك ... تريد أن تقتل الولد ؟!

— ما كان الشك قاتلاً يوماً . الحرب وأهل الصحة جميعاً يحاطون أرواحهم به ، ونظرت إليهم ومنهم أحد الصالحين صحة ، وأمراضهم أحداثاً وأرواحاً

ولكنهم يكونون أغبياءهم عندما يصيب المرض أحد منهم ، لا عندما يخرج منهم الموت ، ولا عندما يحملون الهموم ... كان منهم من جن بحب ليلى ، ثم ينصحونه بالصبر ولم يطلبوا له الطبيب أنهم عجزوا عن علاج قيس وأمثاله ... هذا القديم منه ومرضهم يحملهم عندما رضوا به ، ولكن هذا لا يمنعه عن أن تقف على ... عند هذا الحد الذي يرسمونه من الشر لنا أن يمشي فيه مادام طريقه مفتوحاً ... فقد أخذ العالم صناعة الورق عن الفراعنة ، فهل وقف العالم في صناعة الورق عند ورق الفراعنة ، وأبى أن يمشي منها لأن أصحاب الذي يرجعونها صدروا بها عند حد ؟!

— طيب ! قل لي أي تريد أن تمشي أنت بعلاجاتك بعدي ؟

— لا أعلم ، ولكن لك أن تسأل من أي أريد أن أجعلها ... ومن هذه ما أستطيع أن أجيبك عنه !

— أيها أيها سيأ ، ولكني أرجوك أن تنتهي إلى شيء يقره العقل

— وما العقل ؟ أظنه يحسن بنا أن نتفق عليه ، ربما يصلح لأن يكون موضع إقراره ، حتى إذا ما وصلنا عند رأي لم نختلف عليه ، فتقول إنه غير معقول ، وأقول أنا إنه معقول !

— ولكن هذه حكاية جديدة ، بل هي حكاية قديمة جداً ... أظن ... ألم تعرف إلى الآن العقل ما هو ؟

— ومن عرفه !

الناس جميعاً ... كلهم إلا أولئك الذين لا يزالون يسألون عنه

وراعبت غضة حسناء ... من سحرها ذاقت لأهوائه

فأعرضت في حجري حيرة ... تبعث على منعطف إيلائه

وأشرقت في تيها بيتة ... كالفجر في مطلع أضوائه

وربما في عطفها صوت ... كالماء يجري دون حصبائه

مالك حاروني حيرتي حرقة ... حتى يلقنها ناعب أشلائه

لا أعلم حالك ، أقسوه ... إلا التي يدعي لأسمائه

شوهت لي حالتها هذه ... تستدل في كل سوداء

لا سر في نعيمه في ترابه ... إن لم يجد أنس بآلائه

إن لم تحشى سبيلاً حوزة لا ... نبي إلا من هوى ذاته

رحبت به تحية في الدجى ... يا كوكباً في أرج إسرائه

* * *

ثم أدارته عني ضاحكاً ... كالورد في أول إيضائه

عقد الخيلة في رحبه ... عصفت شوقاً لأحشائه

( البحرين ) إبراهيم العريض

— كان يخيّل إليَّ أن هؤلاء الذين يسألون عنه هم الذين عرفوه مرة أو مرات ويرجون أن يعرفوه دائماً ...

ما هذا الكلام ؟ الذي إذا عرفته مرة عرفته دائماً

— إلا العقل ... فهو حين يعرف العقل يكون عرفاً وسروراً في الرأس منه ، وهذا يستلزم أن يحس العقل في نفسه ، أو أن يتحاصل في نفسه ، أو أن يخصص من نفسه لمة ، ثم يعود إلى نفسه ، فإذا عاد إلى نفسه عاد عقلاً هو الذي كان قبل أن تحدث له حوبة للعرفة منه ، ولم يكن هو قبل هذه المعاودة يعرف شيئاً عن نفسه

— هذا مرض يحتاج إلى إثبات

— إنني ، أثبته أنت

— وأنا مالي ؟ هل أنا الذي عرفته ؟ ،

— ولكن ، ألا تريده معقولاً ؟

— ومن كلام المجانين ما هو معقول

— فليسوا مجانين ، أو هم ساعة ما يقولون الكلام المعقول لا يكونون مجانين ... وما داموا يكونون مجانين أحياناً ، وغير مجانين أحياناً فهم إذن كبقية الناس ، فما من إنسان إلا وعنده من العقل ومنه في كثير — فإما أن يكون الناس على هذا مجانين جميعاً ، وإما أن يكونوا عقلاء جميعاً ، وإما أن يكونوا جميعاً في حالة ثالثة يجهلون معها المشكلة معاً ويجهلونها معاً ، وهذا ما عندك من أن العقل شيء إذا أعطيته مرة لم يكن معنى ذلك أنه قد ربط وأنه لن يفتره ويتيه في وديان الهيمان

— وقد صحب أنا هذا الرأي ، وسأدعك تقول ما تشاء على أساس أنه لا عقل ولا جنون

— وأنا لا أرضى جنساً ، فالعمل شيء موجود بلا ريب ، وكل رأي لا يرى العمل لن يكون إلا جهلاً ، وأنا لا أحب ابنة الجيران مثل أخيك حتى أسمح لنفسي أن أشاركك ما تريدين أن تحرقي به من الحديث وأنت مترعة الفكر ...

— فأنت تريد مني أن أصمت !

— أريد منك هنا لا بد أن أخلفه من نفسي كمثلك حتى نكون نحن الاثنين عاقلين نستطيع أن نعالج هذا الخيط وهذه الإبرة وهذا الثوب وحياكته ، وأنا أنا سأرسم في هذه الورقة دائرة ، سأجعل نصف قطرها عشرة سنتيمترات وسأقسم محيطها إلى عشرة أقسام وسأجعل في كل منها وتراً ، وسأجعل كل وتر من هذه الأوتار قاعدة مثلث رأسه مركز الدائرة ، سأرسم في كل مثلث دائرة تمس جوانب أضلاعه الثلاث ثم سأجعل كل نقطة من نقط التماس هذه رأساً لزاوية من زوايا مثلث سأرسمه وسط كل دائرة من هذه الدوائر الصغيرة ... حتى أنتهي ... وها أنا سأبدأ بيدك ولتتحدث ...

— ما شاء الله ! ولن أكون عاقلة حتى أخيط لك الثوب ، ولن تكون أنت عاقلاً حتى ترسم أنت بيدك هذا الذي وصفته

— نعم ... هكذا كان يفعل المكروبيال دي ريشليه ...

— رحمه الله ... هو أيضاً كان يخيط الأثواب ويرسم المثلثات والدوائر ...

— بل كان يجمع على مكتبه شيئاً من القطط لا ينفك يحاورهن في المشكلات التي تعرض له ويسأله عنها ويتلمس تستعيده لهن مسائله ومشكلاته من نفسه ، فهو يخرج هذه ويحاور تلك ، ويجر بأصابعه شواربه ذاك ، ويعبث بأظافره رأس هذا ... ولا يزال هكذا حتى يتعلق عقله أو يبلج ، فيتكشف له عقله ويرى المشكلة ... إنه كان يفعل هذه بسببين متباينين أولاهما التسلية التي يروم طلبها ، والثانية ملاحظة القطط ، وهو لم يكن يفعل هذا إلا لكي يخلص عقله عن نفسه ثم يعاوده مرة أخرى فإذا هو في هذه الاستعادة قد وصلت به قراءاته من حيث هو في ما كان يبحث عنه ليصير على عهده ... ألم تر معلماً أناساً يتشاغلون في أخذ جوانب المكتب عرضاً ورسم الخطوط ، أو بضرب الأرض ، أو بفك الأزرار وإعادتها ثم فكها وإعادتها أو بحك جباههم أو بأي مشغلة يشتغلون بها أثناء ما يفكرون في بحرجهم ! ... كل هؤلاء مثل المكروبيال دي ريشليه ، فهلا تعجبين أنت أن تكوني مثله ! ...

— ولكن المكروبيال كان رجلاً عربياً لا أظنني كنت أسمع بذا رأيه ... أفلا تعرف مثلاً آخر أحدث من المكروبيال دي ريشليه .

— فلتكن مثل جاري كوبر ... ألم تشاهديه في « مسحر وطور الشاد » ؟

— شاهدته ، وأجهزه بأنه « استعملنا »

— فأنت لم أن كل الناس « استثنيتها » حتى الحرب [illegible] قبل جرى [illegible] يكون يوم [illegible] ..

وأنى [illegible] ، [illegible] هوليود وأنا هنا في القاهرة .

هات الثوب هات [illegible] وإنما [illegible] في الرسم كما [illegible] ، [illegible] .

وهو كذلك [illegible] ويكفي في أي شيء كنت تريد أن تحدث [illegible] فقد نسيت

[illegible] كنت تريد أن [illegible] حب آخر [illegible] بأن [illegible] في النار

[illegible] ، وكان [illegible] يعتمد على [illegible] قوي وهو أن الحب عاطفة وليس [illegible] بدنياً [illegible] يعاني [illegible] بدنياً [illegible] أليس كذلك ؟

— أما كنت تستطيعين أن تقول هذا [illegible] « مل » هذه [illegible] لا أحب [illegible] على أي حال هي مسألة ذوق ، وملاحظة في [illegible] في النار [illegible] إلى النطق بها وأمثالها

— [illegible] في حاجة إلى الشك [illegible]

— إذن فقد آمنت بالنظرية ؟

— لا ، سيدي [illegible]

[illegible] أليس [illegible] أن يكون كل علة بدنية ظاهرة [illegible] نفسية [illegible] ثم ألا ترى أنه إذا كان الأمر كذلك فإنه يكون فيه تأكيد لصلة البدن بالنفس

— [illegible] وإنما أريد منك [illegible] الأسئلة التي تستطيع أن [illegible] على [illegible] ما [illegible]

لا [illegible] بالمشي والدماء ؟ ومن [illegible] المرض [illegible] إلا [illegible] ؟ ومن [illegible] في الضلال وفي الظلمة ؟ [illegible] أن أمضي [illegible] إلى أكثر من هذا إلا أن أقول لك إن هذا [illegible] من الأفراد والجماعات أن [illegible] ولكن هذا لا [illegible] ، [illegible] الحوادث والأفراد يحتاج إلى تأمل خاص في كل فرد وفي كل حادثة على أن يكون هذا [illegible] بعد [illegible] من [illegible] القاعدة العامة ...

— طيب ، وبعد هذا ؟

— [illegible] انتقلنا إلى [illegible] فقد [illegible] الأسباب [illegible] وأصل [illegible] — [illegible] — [illegible] الشكل ، ومكنه [illegible] الإنسان أن [illegible] ، [illegible] يكون هذا الشكل [illegible] من [illegible] ، [illegible] الأرض ، [illegible] الطريق كما [illegible] ، وعلى [illegible] النفس وأطباء [illegible] أن [illegible] في هذا الطريق ، وعلى [illegible] قال [illegible] الإنسان [illegible] إلى [illegible] ، [illegible] حول [illegible] ، [illegible] ، وهذا [illegible] للاستبطان [illegible] ، [illegible] لا [illegible] المرض [illegible] أن يكون [illegible] ويقدره ، وليس ضرورياً في أن يكون الشك [illegible] ، [illegible] من وسائل الشك [illegible] من [illegible] وأرحم ، وإن كانت [illegible] منه وأصل ، ثم هات [illegible] أن كل من [illegible] العمل [illegible] في الح [illegible] ولهذا لا يكون [illegible] في أصحاب أخرى [illegible] الروح [illegible] الجسم أو [illegible] كما [illegible] هذه الدائرة [illegible] في هذه [illegible] الثلاث [illegible] أن يكون هذا [illegible] لا يكون في [illegible] من [illegible] ، [illegible] أو إذا [illegible] أن [illegible] ؟

[illegible] أحب [illegible] أن يموت

إن يموت [illegible] ، [illegible] إن [illegible] من [illegible] أو [illegible] ، [illegible] ، أو [illegible] ، ثم [illegible] من [illegible] ، [illegible] ذلك [illegible] .

— [illegible] في [illegible] علقت [illegible]

[illegible]

قصة واقعية :

# إنه أخي . . .

للأستاذ محمد سعيد العريان

---

كان المطر ينهمر ، والريح العاصف تحمل قطرات الماء إلى وجوه المارة وثيابهم ، فتعمى عيونهم ، وهم يسيرون على حافة الطريق في حذر يوقعه خشية أن تزل أقدامهم فيتدحرجوا في الوحل . والسيارات منطلقة براكبيها من جانب إلى جانب والشمس ، تطلق مجلاتها رشاش الماء على جانبيها فيصيب وجوه الناس وأيديهم ، لا يملكون يدفعون عن أنفسهم شيئاً مما يصيبهم به الأرض أو تتالهم به السماء .

وكان الليل في أوله

وفي مُنعطَف يُفضي إلى أربعة بيوت في حي « شبرا » كان فتى دون الثلاثين واقفاً تحت السماء وعلى عينيه نظرة مترقب وعيناه معلقتان بنافذة مغلقة ، لا يريد على أن يرجع إليها عينيه حيناً ، وإلى الطريق العام حيناً آخر ، وهو واقف ، والساعات تمضي والمطر ينهمر ، والريح تلطم وجهه بقطرات الماء ، وفي يده ورقة مطوية

وكان سكان البيوت الأربعة محتمين وراء أحد الأبواب ، وفي أعينهم نظر يتطلعون وهم يسمرون ، وكان لكل أسرة من سكان البيوت الأربعة حظ من حديثهم وسمرهم ؛ وهل يجتمع مثل هؤلاء إلا لمثل ذلك ؟ وكانوا في غفلة عن الفتى ، والفتى منهم في غفلة

وطال الانتظار بالفتى ونال منه البرد القارس ، ونفذ الماء من ثيابه إلى جسده ، وكان شعره الأشعث يقطر ماء على جبينه ؛ ثم يلتفت الأخ يصعد إلى هذه الشرفة التي تلي ظلالها على جانب من الطريق ، فآوى إلى ظلها يحتمي من المطر والريح ومن الليلة الباردة

ولولا بابه المغلقة ، ونظراته الحائرة ، ورعدة في جسمه ، وهذا التصميم في وجنته ؛ ولولا هذه الصحبة التي لم يجمعها بعد التعرس منذ أيام — لحسبه من يراه لصاً أو شخصاً من هؤلاء فاجر به وجه الجو العاصف ، ورجو موعداً أو ينتظر بنظرة ... ولكن على وجهه سمت لا يشبه ما في وجوه العشاق ... ولكن ... ما هذه الورقة المطوية في يده ... فلعله رسول ... !

وأحسته عيون الجيران وهم في حلقتهم يتطلعون ويسمرون ، ثم همسوا وتغامزوا ، وأحس الفتى وقع نظراتهم ، فانسحب ، ثم تحامل وولى عنه

● ● ●

لم يكن ذلك موقفه الأول ؛ لقد طالما وقف « حسان » هذا الموقف من قبل ، وطالما امتد به الانتظار في هذا المنعطف ساعات ؛ حتى إذا انقضت الساعات المرهوبة أسرع إلى الباب وصعد ، أو ألقى ورقة في حاجة تحت عتبة الباب

من أجل ذلك كان مألوفاً لسكان الحي أن يروه في موقفه ذاك ، وأن ينكروه ، ولكن أحداً منهم لم يحاول أن يعرف ما وراء هذه الوقفة من سر ، ولكن بواب البيت كان يعرف فأسر نبأ إلى صحبه من بوابي الحي .

وجعلت الهواجس في صدور سكان البيوت الأربعة ، فكان لكل واحد مع أهله حديث ... وتناوب الإشاعات ثم اجتمعت ، فإذا على ألسنة السكان جميعاً خبر واحد : هو أن الصبية فلانة سراً تحاول أن تحجب الأخ الفتى عن البواب ...

ووقف « حسان » مثل هذا الموقف كل يوم عصراً في غير هذا المنعطف ما أحس به أحد ولا سأل عن سره سائل ، كم فتى ، وكم فتاة ، وكم رجلاً ، وكم امرأة ، يغشون كل يوم ويغدون ، ويتواعدون ، ويتلاقون على أعين الناس في الشوارع الخالية ، ثم يروح بعضهم بعضاً ويلقى وجهه ، فلا يثير أحد منهم فضول أحد ولا يجد من يسأل عن سره سائل ... ولكن هنا ، في هذا المنعطف ... الفتى يُسأل بأنه على بيوت أربعة قد تعرف

سكانب فرحاً مرداً فلا يكاد يمر على أحد ثم حبر جيره — فما فى هذا للعطف كان وقوف حسان مثار فضول وعبث ريبة

• • •

ولم يكن حسان عاشقاً ولا مصوراً ولكنه أخو السيدة فلانة زوج الطبيب فلان ...

هل يصدق أحد ؟ ولكنها الحقيقة . .

هذه السيدة التى يراها من يراها فى أبهتها كأنها أميرة ، أخت هذا الفتى البالى الشريد الذى يقف كل يوم هذا الموقف ساعات ، تحت المطر الهاطل ، وفى عصف الريح السافية ، وفى أتون الشمس المحرقة يترقب ، ينتظر اللحظة المناسبة ليكتب إليها فيعود ، البواب فيضع فى يده بضعة دراهم ؟ ثم يمضى ، ليعود بعد يوم ، أو بعد ساعات فيقف موقفه يترقب ، وفى يده ورقة مطوية

• • •

ماذا كان حسان فى أوربته ومتى صار ؟

لقد نشأ فى بيت رفيع العماد عالى الذرا ، ثم كان له ولأخته ما خلف أبوهما من ثروة ومال ، وكان صبياً فى المدرسة يوم مات أبوه ، وكانت أخته سيدة على الفتى الذى صارت له من بعد . .

— ورأت ثروة أبيه حيناً إليه ، وإنها لثروة ، وهجر الفتى مدرسته ومضى على وجهه يتبع الهدف ويشاربها ، وصحب الشيطان ، وحياته من المرح والشباب والمال ...

وانتقلت أخته إلى دار زوجها وملكت نصيب أبيها بما فيه ، ولكن نصيب الفتى كان أعصى من أن يجمع له ، فأطلق يده ومضى يتنقل بين أندية اللهو ومجالس الهوى ومسارح الشباب ، ويسط يده على موائد الشراب والقمار ، وتقاذفته الأقدار قذفاً إلى غير ، وأحصى عينيه وضيع فى أوهامه ، وطارت به أمانيه ثم سقطت وقتع عينيه فإذا هو وحيد شريد صفر اليدين من المال والصحب ...

وفكر أخته بعد سنين من القطيعة ، فراح يشكو إليها ويمدحه عند السيد ، رثاء الأخت وشفقة عليه ؟ ثم دعت إلى صوابه فنصحته ووعدت له بما طلب ...

وخرج الفتى من عند أخته برأس مال صغير لو أنه أراد وكان يريد ، ولكنه رأى أن يودّع نفسه ببقية ساهرة من ليالى الهوى والشباب ، ثم يصبح ...

وأصبح ... وعاد كما جاء

وتصرمت الفكرة كما خرج ...

• • •

وعاد حسان إلى أخته بعد شهر ، وزال ما وقفت له ، وجهت إلى صوابها ثم دعت قارفة اليه ... وعاد زوجها من عمل ، وانقلب الثلاثة ثلاثة الأهل بعد فراق طويل

وأسرت الزوجة حديثاً إلى زوجها ، وراحت بيننا تمسح وكتمت ما كتمت ... وأخذ الثلاثة فى حديث طويل

— وقال الزوج : ... هو ذا من المال وعليك العمل ، إنما يجوز ربحاً ، وإنك ما تظن أن عليه الفتى فى سنوات وآماق

وتعاهد على الإخلاص والصدق ووثقاً عهداً لا بالأيمان ودفع الزوج المال ، وخرج حسان لأمره ... ولم يعد

ولا الشهامة والمتاعب لكانت القطيعة بين الزوجين ، ولولا صبر السيدة

ورأى الطبيب أن يرجع أمره إلى القضاء ، ثم سكت ؛ وماذا يرد عليه القضاء من ماله وفى شريعته مفلس لا يجد وماله — !

وصبر على مضض ، وسكتت زوجه على حسرة وألم ! ...

• • •

ومضت سنتين أيضه ، فعاد يذكر أخته ... وما إلى بابها وسأل ، وكان زوجها فى الخدر ، فلم يلق الفتى يترقب ، وطوى ورقة مكتوبه ودفعها إلى البواب ... وصار هذا شأنها من بعد

وكان يقصدها كلما ضاق به أمره ، ليس بين المرة والمرة إلا أيام ، فتعطف عليه أخته وتعينه ؟ ثم تقاربت مواعيده حتى صار له راتب مفروض فى كل يوم ... ويتصل به الطبيب حيناً وهو خارج فاهضى كأن لم يره ... ويخرج الفتى من بعد فتعطف ، فذلج يطرق الباب حين يشاء من ليل أو نهار يطلب ما يطلب ، ويرادف مطالبه

وسأل صبر الزوج ونفد احتماله ، فتضجر ... ثم ضاق من شئون حسان ما لم يكن يهم ، فضيق نفسه ...

لقد يكون من العدل أن يأتى الرجل ذا حاجة فيدفع إليه بعض ما يستحق به ، ولقد يؤثره على نفسه بما يفتقه ؛ ولكن هذا طبيب حسبه بأن يكون ما يدفع إلى ذى حاجة من ماله وسيلة إلى اللهو الحرام ؟

هكذا قال الطبيب لنفسه فثارت ثائرته ، إنه يعني ما نفق

في تحصيل هذا المال ، ليسعد به ويسعد غيره ؟ لا ينفقه حسان على موائد القمار والقمار !

وتحدثت إلى زوجته عما في نفسه وإن كانت ترتعد من الغضب ، واستمعت زوجته إليه مطرقة ، ثم خلت إلى نفسها تبكي

• • •

ولم يكف حسان ولم تكف أخته ، وجعل الأمر بينها وبين أخيها سراً كما بدأ ، واستمر الزمن يكشف المصائب ، وكل ما فيه معروفاً وبالغة قد تحرياً مرموقة ، وتكررت مطالبه وكثر مطلوبه ، وألح إلحاح الدائن على مدين مماطل

وكانت تخاف أن تراه كل يوم معاً أو صاحبه في مرتبته ذات مساء كما كان عرآس ، وجيئه إلى الشقة أو إلى الباب ، حتى إذا أمكنته الفرصة وثب فكان على باب أخته ، حيناً يكون الأمر بينهما تشكياً واعتذاراً ، وحيناً يكون تهديداً وصخباً ورفعة ، ولم أخته منه تحاول أن تعرض لحظه عطفه من مال زوجها ما يعينه على تحو الشراب وتكاليف الشباب ، ثم تتركها لأحزانها وغضى الهواء

وسألت به أخته كما سألت زوجها من قبل !

وقالت له بحدة وفي صوتها تموج : حسان ، يشق كف أستطيع ، ولكني لا أطيق أن أخون زوجي في ماله ، وإني لأستطيع أن أعينك ما تشتهي على الجد ، ولكني لا أعينك للشراب والقمار !

وضحك الفتى ساخراً وقال : الشراب والقمار ! تريدين أن تزديني ؟ - إني فتاة لا تعين الكل على الصبر والطاعة ، ولكنك تصرفين تأديبي ... ؟

وعرف حنانه واطلب منها عشرين جنيهاً ، ثم حسب أخته محذورة فطلب حليه في متاع البيت ، ووثب عليه تصرخت ، ثم خرج راضياً ...

• • •

وطال حديث الناس عن السيدة المسحورة ، وكثرت كلماته ، وتناولتها الريب والظنون ! وبلغها ما يقول الناس فراحت حزناً على هم

وأوصت البواب ألا يرده إن رآه ولا يحول بينها وبينه ،

وكانت في حال من الغضب جعلت إلياً أن تصطفي الأخرى أن لها أحاً

وعاد الفتى إلى موعده ، وكان زوجها في الدار

• • •

كان المطر ينهمر ، والريح العاصف تلطم الوجوه بقطرات المطر ، وعجلات السيارات في سرعتها تقذف رشاش الماء إلى وجوه الناس وثيابهم - والفتى في موضعه لا يحس برد الليل ، ينتظر حملة ليصعد إلى أخته

وكف المطر ، وهدأت الريح ، وانفتح الباب وخرج الشخص ليمضي عمله ؛ فتسلل حسان إلى الدار

ومضت لحظات قبل أن يسمع البواب من يناديه ، فصعد ؛ وقالت السيدة في غضب وثورة : ألم أطلب إليك ... ألم آمرك ألا تدعه ... ؟

وأطلع البواب حتى الفتى ليطرده ، وسحبه جذبة

وكان حاداً ليمضي شأنه حين أحد عينيه هذا المد

وكان شرطي يسوق الفتى وقد اجتمع عليه البوابون الأربعة والفتى يتوسل ، ويطلب في الزحام أن يرجعه ، وكان حسان إلى الناصية ، وثبة صبيحة ينظر

ورأيت الفتى أخته من على شرفة ، وكان يبكي وينظر إلى الناحية ... وكانت السيدة تبكي له ...

وقال البواب : لقد أمرتني ... أمرتني أن أدعوه الشرطة إنه لا يكف عن حط بقيتنا ليل نهار

وقال الفتى يدلة : أسألك يا سيدتي أبها ... إنه لا تريد

وقالت السيدة وصوتها يقطر أسى : دعوه ... !

وغضبت ونزلت غبرتي ... ووقفت تلقي متعب من الريبة وسوء الظن ، وأطل المصعوب من نوافذ البيوت الأربعة وتوقع الجيران أن يشهدوا صيحة ... وظنوا الظنون

وعاد الفتى يتوسل ، والبواب يلتمس ، ويد الشرطي في عنق الفتى وعيناه إلى هناك ... وعادت السيدة تقول في ضراعة ودعوة : أرجو أن تتركه يا سيدي ! إنه ... إنه أخي ... !

وأطلقت المرأة المفتوحة ، وتوارت الرءوس لحظة ، ومضى الشرطي والبواب والفتى ؛ ومضى الجيران يهمسون ؛ وكانت سيدة تجلس وراء النافذة وحدها ، في وجهها أظافر دامية ودون عينيها على الخد أثر دمع ...

محمد سعيد العريان

## « وحي الرسالة »

أخي الأستاذ الزيات

إليك أقدم أطيب الثناء على الهدية النفيسة التي تفضلت بها على أخيك وهي الجزء الأول من « وحي الرسالة » ، وهو مجموعة فصول من بروق فكرك الوثاب التي ترى فيه روح الشرق وعقل الغرب حيث شئت ، فيصل ما وصلك الله من البصر بأسرار البلاغة العربية وكنائه الفرنسية ، وتلك ميزة لا يحظى بها من كتاب العصر إلا الأقلون

ويمتاز كتابك بميزة أصيلة في تصوير أكثر ما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ، ومعضلات ذوقية ، فهو سجل صادق لحوادث هذا المجتمع واحترام لروحك الأمين

وما فارقت النظر في كتابك إلا تذوقت إشفاقاً عليك ، فهو يشهد بأنك شديد الإحساس بالوجود ، والذي يصحب المجتمع وهو في مثل حالك يتأمل الإشفاق ، لأنه يعاني البلاء بصحبة المجتمع وهو يحمل روح المسيح . ولا يجزى إلا الشعور بأن الذين يتعبون في طلب أسباب المجتمع هم في حقيقة الأمر من أعظم الشهداء ، وأنت في طليعة من كتاب المصلحين ، وإنك عرفت علينا أنك الحق المنشود .

هذا وقد قال بعض الناس إنك كاتب مقالة ، وذلك يخلق بالرد عليه حق ، فالكتابة الرفيعة هي عمل لا يقع فيه الارتجال ولا تحسب أنك صنعتها حين قلت إن مجموعة « وحي الرسالة » لم تكن إلا ومضات يلمع بها الفكر من أسبوع إلى أسبوع ، فالكاتب الحق لا يعرف عمر الخاطر وإن أحب أن يوصف بذلك ، وإنما يصل إلى مستوى القلم بروائع الفكر والروح في أعوام طوال ، وهو كالشجرة التي تعيش ثمارها إلى أن يجيء الموسم المنشود . فلا تعاون العتب على من يصفك بالقاص ، لأن المعاني من صور الأحلام ، والأحلام عملية جراحية تنقل الأفكار من عالم المعاني إلى عالم الشهود

أما بعد ، فأرجو أن يسمح الله لك بأن تتم أبواب المعاني وأن يصل مؤلفاتك منها من القبول [illegible] الأدب الرفيع ، إني جار في دنيانا الحاضرة [illegible] للمعرضون بعض [illegible] والله يحفظك [illegible] يعطف على [illegible] أصدق العطف [illegible]

## حول العصور في الشعر

أخي الكريم الأستاذ الزيات

تحية خالصة وعرفاناً لمكانة « الرسالة » في عالم الأدب الرفيع والنقد الشريف

والصدق — وهو من أخص صفاتك التي عرفتها فيك منذ عشرين عاماً أو تزيد — أول شرط من شروط النقد الشريف ، فإذا رأيت ظلماً ينحرف منه وهو يكتب في مجلتك ، أيصح أسكت — أحدهما الجمهور في ذاته ، والآخر لأنه يقع في عنق الرسالة ، وهي عليها حرب ؟

أقول كلمتي هذه على أثر ما قرأته في ملحقها الأخير الذي صدر في اليوم العشرين من مايو [illegible] لناقد يوازن بين الموسيقيين في مصر وبين الشعراء ، وبين الخطباء ، وبين المغنين ، وبين الرسامين — وعمله هذا لاحق بسابق تناول فيه المفاضلة بين طوائف أخرى ممن يسميهم الفنانين منذ عدة أسابيع لأنه بدأ مقاله الذي يسمي فيه ما يحتوي بالرقم (٥) — وهو رقم الموسيقيين في سجله الشامل

ونحن نغبط الأستاذ الناقد على ما وهبه الله من قدرة خارقة على أن ينصب نفسه حكماً بين الإخصائيين من رجال هذه الفنون القائمة التي بلغ عددها خمسة ( حتى الآن ) ، ولعله لم يفرغ بعد من نقداته فطالما في أصناف أخرى من الفنون ، وأصناف آخرين من الفنانين

هذا فضل من الله يؤتيه من يشاء [illegible] أو هو فصول من العصور الطويلة العريضة التي أصبحت مهمة في كثير من معارض الأقلام ولا يعرفون ما يصطفي ويكتب صوابها من الأوهام

ولست أعرض لمعارضة هذا الناقد ولا لمشاكله في أنه على بين الخطباء . فليس يهمني أن « يقال خطيب » ، وإنما يهمني أن أكون صاحب فكرة ناضجة أحاول بثها في العقول أو عاطفة طيبة أحاول غرسها في النفوس

بل أعرض لشيء واحد — ذلك قول الناقد إنه سمعني يوماً

في مسرح الهمبرا في الإسكندرية أرقى صوتاً سمعه وقته

تلك هي « الراقصة » التي بنى عليها الناقد حكمه

ولذن فليسمح الأستاذ مكتشف المسرح لنفسه « الراقصة » فإني لم أشترك رواية سمعتها في الاسكندرية، ولم أشترك رواية سمعتها إلا في القاهرة بعد مرور العام الأول على وفاته، وكان ذلك في حفل أقيم على عظيم أثره من فوق مسرح الأوبرا في حضور جمع الأمة

وإلا فليقتصر الناقد في حكمه على شاهد واحد آخر غير شخصه يؤيد قوله إنه سمعه أرقى في الإسكندرية في مسرح الهمبرا، إلى توفيق دياب حضر أو غاب.

أما بعد، فإن رجلاً اشتغل بالتحدث إلى الجمهور منذ سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٤٠، وكانت آخر محاضراته محاضرة ألقاها في كلية العلوم منذ شهرين، وأخرى ألقاها في دار الشبان المسلمين منذ شهر، فنهض للتعقيب على المحاضرة الأولى معالي ابراهيم عبد الهادي باشا، وحضرة الدكتور منصور فهمي بك بما يأبى التواضع مجرد الإشارة إليه ولا سيما في هذا المعرض

ونهض للتعقيب على المحاضرة الثانية أستاذ جليل من أساتذة دار العلوم، وغيره من أساتذة الكليات الأزهرية فجعلت مباركات وتقدير مشكور. إن رجلاً هذا شأنه يقول عنه قائل « إنه مصري إلى حد كبير في سلائقه »، ويقيم حجته على صحة رأيه « بوثيقة » مختلفة من جذورها جدير بأن يسمى هذا الأسلوب، لا مخاصمة بسبب شخصه، ولكن مغامرة بسبب الصدق والنقد الشريف

محمد توفيق دياب

## حول الدكتور الحفني

كتب زميل وصديق الأستاذ عزيز كلاماً عن الدكتور الحفني هاجم فيه الرجل لأنه لا يعرفه ولا يعرف عنه شيئاً إلا ما يشيعه عنه أعداؤه!! فالحفني موسيقي بكل ما في هذه الكلمة من معان، وهو متبحر متفرغ في فنه ولعل الأستاذ عزيز لا يعلم عنه أنه مدعو إلى ما لم يدعو إليه غيره من موسيقيي الشرق فأخرج للموسيقى العربية ( نوتات الحفني ) النغم للأنواع والتي آثار دهشة وفرحاً، والتي تقدم ساعة الآلات إلى — حفظه الله — يدعو إلى الموسيقى المكتوبة

وقد أخرج الحفني أيضاً ( المكتوبة ) الشباب لإشاعتها للأنواع العربية — وكل هذا سجل ومعروف عنه من أرقى الأوساط الموسيقية. وهو الآن يسجل اختراع جديد لاستخدامه قريباً وسيكون له من الضجة ما يحس الأستاذ الصديق على الاعتذار — أو على الأقل — عن فهم الرجل!

محمد السيد المويلحي

## مشروع عن نشر التعليم والثقافة في مصر

عزمت وزارة المعارف على إنشاء تقويم مصري يتضمن بياناً مفصلاً لما تبذله من الجهود في سبيل نشر العلم والثقافة في مصر والمعاونة على انتشارهما في الأقطار الشرقية، وما هنالك من الصلات بينها وبين معاهد العلم الثقافية في جميع الأقطار

وقد رأت الوزارة أن تخصص في هذا التقويم مكاناً بارزاً للجامعة الأزهرية لما لها من الأثر العظيم في هذه الناحية، فكتبت إليها تطلب موافاتها ببيان واف عن مختلف جهودها الثقافية، على أن يشمل ذلك عدد المدارس والمعاهد التي يشرف عليها الأزهر وعدد التلاميذ والطلبة، ومدد الدراسة في كل معهد أو مدرسة، والدرجات والشهادات التي تمنحها، وعدد الفرق والأقسام والأساتذة في كل نوع من المعاهد مع ذكر أسماء رؤسائها ورؤساء أقسامها وأساتذتها، مع بيان عن مكتبة الأزهر، ثم عن الجهود التي تبذلها في سبيل نشر الثقافة الإسلامية خارج القطر المصري، وبالجملة كل ما ترى إدارة المعاهد وجهة نشره من البيانات في هذا التقويم

هذا وستخصص الوزارة جزءاً آخر لجهود جامعة فؤاد الأول، مع نشر بيان واف عن كلياتها ومعاهدها وأعمالها الثقافية

## تعداد الطلاب في مدارس سورية

ثبت أن عدد الطلاب في سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٤٠ في البلاد السورية ٤٢٨٠٨ تلاميذ موزعين على ٣٥٨ مدرسة، و ١٦٩١٩ تلميذة موزعات على ٩١ مدرسة للإناث، وقد كان عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ ( ٣٨٨٧٠ ) تلميذاً و ١٥٤٨٣ تلميذة، فيكون زيادة الطلاب بين العام المنصرم والعام الماضي ٥٣٧٤ طالباً وطالبة

وقد جاء في صدر هذا التقرير أنه في عام ١٩٢٤ كان يوجد ٢١٢ مدرسة [illegible] ١٦ [illegible] تلميذاً و ٥١ مدرسة للبنات تضم ٣٩٢٦ تلميذة

ويلاحظ الزيادة الملموسة التي تزيد على الأضعاف خلال ١٥ عاماً مما يدل على إقبال الناس على العلم والثقافة

وقد رفعت مديرية المعارف نسخة من هذا التقرير ومن الإحصاءات إلى عصبة الأمم عن طريق دائرة المعارف في المفوضية العليا

**[illegible] كتاباً عن القاهرة**

بدأت جمعية الطابعين العليا المشمولة بالرعاية الملكية في تأليف اللجان الفنية من بين أعضائها [illegible] التي ستحاول وضع مؤلف عن القاهرة، يتضمن عرضاً صادقاً لمختلف النواحي في تاريخ العاصمة المصرية، وذلك لمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي لها

وستجتمع هذه اللجان اليوم لتحديد عدد الصفحات التي يحتاج إليها كل بحث، حتى يتيسر [illegible]

**مدح أبي تمام**

في البريد الأدبي العدد الأخير من الرسالة طلب من الأديب أحمد جمعة الشرباصي موجه إلى الأدباء المحققين في قصة قول أبي تمام: «إقدام عمرو في سماحة حاتم»، وجوابه: «لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا» — وهل حدث أمام الخليفة أو أحمد ابن المعتصم أو أحمد بن المأمون. وقد ذكر الأديب الشرباصي ما يفيد أن القصة لا صحة لها أصلاً مستنداً في ذلك أقوالاً لابن خلكان، [illegible] أيضاً أن كتب الأدب [illegible] وكل المؤلفين في عصرنا هذا يحكمون أنها حدثت أمام الخليفة، فأعجب به الخليفة وقال لوزيره: أعطه ما يطلب — فطلب أبو تمام الموصل — الخ

والجواب أقول: إن المؤلفين وكتب الأدب [illegible] القصة كما رووها — وإذا ذكروا أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو أحمد بن المأمون بقصيدة سينية حتى انتهى إلى قوله «إقدام عمرو —» قال له الكندي الفيلسوف: الأمير فوق ما وصفت فأطرق ثم رفع رأسه وأنشد: «لا تنكروا ضربي له —»

ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين فعجبوا من سرعة فطنته ولما خرج قال الكندي: هذا الفتى يموت قريباً. ذكر ذلك أبو بكر الصولي في كتاب أخبار أبي تمام ثم قال بعد ذلك: «وقد روي هذا على خلاف ما ذكرته وليس بشيء والصحيح هو هذا. وقد تتبعت وحققت صورة ولايته الموصل [illegible] أجد سوى أن الحسن بن سهل ولاه بريد الموصل». هذا ما نقله ابن خلكان بنصه، كما أن [illegible] من الصولي، [illegible] ابن خلكان كما فهم هذا الأديب الشرباصي. أما ما قاله ابن خلكان: «ورأيت الناس يطبقون على أنه مدح الخليفة، وأن الخليفة أعجب به وقال لوزيره: أعطه ما يطلب فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً فطلب الموصل». ثم قال: «وهذه القصة لا صحة لها أصلاً». وأورد بعد ذلك تعقيب الصولي، فنفي صحة القصة من ابن خلكان والصولي منصب على رواية أبي تمام الموصل وإنشاده القصيدة في الخليفة. ولم يذكر البستاني في دائرة المعارف إلا ما صححه الصولي، وهو المشهور في كتب الأدب. وحينئذ من هو الذي [illegible] القصيدة؟ الواقع أن ذلك أمر تحقيقه سهل ميسور إذ أننا لو رجعنا إلى ديوان أبي تمام لعرفنا أن القصيدة قيلت في [illegible] في أحمد بن المعتصم، وهو ابن الخليفة المعتصم الذي اتصل به أبو تمام ونال جوائزه في ذلك الوقت وفيها يقول: [illegible] أحمد [illegible] وأطال [illegible]

فيجب نص في أن الممدوح اسمه أحمد. أما ما ذكر من أنه قد يكون [illegible] أحمد بن المأمون فليس بشيء، وذلك لأن أبا تمام [illegible] سنة ٢٣١ هـ [illegible] في أواخر حياته، والذي يكون في هذه الفيلسوف الكندي في هذا العهد ويقال له في القصيدة نفسها «[illegible]» هو ابن الخليفة أحمد بن المعتصم لا أحمد بن المأمون المتوفى أبوه سنة ٢١٨ هـ. [illegible] كذلك [illegible] أن ينسب إلى الخليفة في بعض الكتب إنما هو من سهو النساخ وربما كانت كما يأتي: «إن أبا تمام امتدح ابن الخليفة المعتصم بقصيدة سينية» فسقطت لفظة «ابن» وصار الكلام «امتدح الخليفة المعتصم...» وهذا ما يؤكد أيضاً أنها قيلت في أحمد بن المعتصم لا أحمد بن المأمون. والنساخ من أمثال ذلك كثير.

[illegible] محمد [illegible]

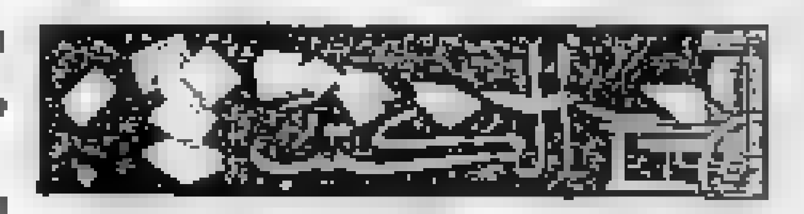

# عبقرية الشريف الرضي

تأليف الدكتور زكي مبارك

بقلم الأستاذ محمد هارون الحلو

---

لأستاذنا الدكتور زكي مبارك قلب زاخر بالقوة ويحس بالنابغة على رغم ما فيه من هوى مكتوم ونوازع مضطرمة ، وقد لازم هذا القلب ، والتناقض كثيراً من الأدباء ورجال الحكمة وقد يكون ذلك لقدرتهم على الشكوى والأنين والتطلع أحياناً بالقسوة ، أو الضعف في تشريح العواطف والوجدانات

وهو يعيش في أودية الفن ، الفن الروحي ، ويهيم أبداً في ملكوت الخيال ولهذا كانت حول نحوه من ثمة خطر ! ومن مصاعب الشوطين !

والدكتور زكي له طريقة في البحث يكاد يستقل بها عن غيره من أعلام الأدب والكتاب الأحياء ، فهو حين يكتب لا يعدو أن يكون مترجماً لأشرف العواطف وأنبل الغرائز البشرية بصورة واضحة لا غموض فيها ولا لبس

تنطلق منه الفكرة مستقلة ، تخترق في آفاق الحقيقة وتتسع في أقطارها صورة تلك الروح التي انطلقت منها تلك الفكرة ، فهو إذا بحث كان « سيكولوجياً » في بحثه ، فناناً في أسلوبه ، تلمح في سطوره قوة الانفعال ومدى خصوبة القريحة ! ويستوقفك في مناحيه عمره الخصبة رشاقة الأسلوب ورنين اللفظ ووضوح الفكرة ورصف المعاني وحسن السبك ، وغير ذلك من الصفات التي أكسبت أدبه لوناً خاصاً يميزه عن غيره ، كما أنه منفرد بين أبناء عصره ؛ وهو يعتمد في ذلك على مواهبه وثقته بنفسه ، فهو يلازم أبداً على حرية فكره ، لا يتمهل ولا يتأخر

وكان له من نشوة الشعر ما يعتز به كثيراً على خصومه ، وكثيراً ما يشيد بنفسه شأن المتنبي المتكبر القوي الإيمان ؛ فإذا أراد أن يعرض بخصم أو يمازح صديقاً ؛ فهو حر فيه بأساليب الفكر وطرق المزاحمة والمداعبة الأدبية والفكهة من خصومه ومن أصدقائه أيضاً !

وثمة صفة أخرى تكاد تكون من أبرز صفات الأديب الكبير ، وهي صبره في البحث وقوة روحه في استقصاء المعاني في الموضوعات التي يطرقها

وقد كان ولاء زكي مبارك أبرز صفاته الشخصية ، فهو يبعث إلى القراء ليرفع أعلاماً من عيون الروائع ! فلو أنك أيها القارئ قد اطلعت على ذلك الشعر النفيس ( عبقرية الشريف الرضي ) لجاز لك أن تقول ما قاله أحد أدباء بغداد حين قرأ ذلك الكتاب : « إن شعر زكي مبارك » روعة تفوق شعر الشريف الرضي في بعض الأحيان !

لا يمكنني أن أصف ذلك الشعر الذي أقامه الدكتور زكي نصباً خالداً للشريف الرضي بقدر ما كتب هو عنه في مقدمته إذ يقول : « إن القلم يجري فيه بأسلوب ما أحسبني سُبقت إليه في شرح أغراض الشعراء ، حتى كدت أزعم أني صنعت بأدوبه لم يعرف للأوائل ، ولا السابقين ! »

ومن اعتداده بمؤلفه ومعرفته بغيره من المؤلفات ما قاله أيضاً في سياق حديثه عن الشريف : « سيرى قراء هذا الكتاب أني جعلت الشريف أعلى شخص عرفته اللغة العربية ، وقد سمع بذلك ناس فصاروا يتقولون في حواشي بغداد : أيكون الشريف أشعر من المتنبي ، وأستطيع أن أجيب بأن الشريف في كتابي أشعر من المتنبي في أي كتاب ، ولن يكون المتنبي أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتاباً مثل هذا الكتاب ! »

وله الفضل فيما يقول فكتابه عن الشريف وعبقريته ، ضرب من السحر لم يشرع في الكتابة من قبل ولم يأت على طريقة الأدباء بعد ، فهو توجيه جديد في الدراسات الأدبية حيث يقف المؤلف من الشاعر موقف الصديق من الصديق ، ويحس بما يحس ويتحدث إلينا بإخلاص وأمانة ، ويسجل رأيه الخاص في كل ما يعرض له ، فالكتاب حافل بآراء جديدة وفلسفة فريدة .

ولقد امتزج روح المؤلف بروح الشريف ، وتأثر به أعمق التأثر وانتقل معه إلى عصره الذي كان يعيش فيه ، وأحبه حباً عنيفاً ، حتى أصبح زكي حلقة مسرفاً في المدح بأفضاله ، فإذا ما هجوا له فإنه يرمي به ويشفق عليه كأن ما يحدث بين الخلصان من الأحباب والأصدقاء

# قصص العلماء والمخترعين

تأليف الأستاذ محمد عاطف البرقوقي

المفتش بوزارة المعارف

حفزتنا الرغبة في تشجيع الأساليب العلمية إلى الحديث عن هذا الكتاب الجليل ، وهو باب من الأدب جديد يعنى بتبسيط حقائق العلم في أسلوب أدبي محبب إلى قارئه أن تتوفر فيه متعة القراءة ولذة التحصيل العلمي في وقت معاً ؛ ومؤلفه حقيق بأن يوفق في مثل هذا النوع من الحرص على الفائدين ، فهو قد نشأ نشأة أدبية في ظلال أبيه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي صاحب البيان ، وصهره الأديب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعي ؛ وهو إلى ذلك عالم قد تخصص في مادة العلوم في مصر والخارج ، ومهمته التفتيش على دروس العلوم في مدارس الحكومة ، فاجتمع له بذلك الفضل من طرفيه

وقد أربى البحث في هذا الكتاب - وهو يقع في جزأين كبيرين - على عشرين بابا ، احتفل فيها المؤلف كل الاحتفال حتى ما أكبر الشرف العبقري ، وعالج موضوعات دقيقة عميقة لها أكبر الأثر في توجيه الشرف في حياته

وقد أجاد المؤلف وأطال في حديثه عن ( أعوام البؤس في حياة الشريف ) و ( العلم والعلماء في مصائبه ) و ( صلة الشريف بحياة خلفاء بني العباس ) وهي من موضوعات الجزء الأول

كما أنه برع في الكتابة عن ( عبقريات الشريف ) و ( منامه ) و ( مجالس الشريف ) وغير ذلك من النواحي والاتجاهات المهمة التي ضرب فيها فكر المؤلف وحظه بسهم وافر ؛ فعمد إلى مكنونات وطرائف كان لها أثر كبير في إخراج هذا السفر على أحسن أسلوب وأروع جمال ، حتى حق للدكتور زكي مبارك أن يسجل للكتاب بعقيقه على قول الشريف

أنا الشعر الذي يحسن به … لو يبقى بعيب مقصد

بعبارة : « أشهد أنك وجدت للعقد أب الشعر »

هذه كلمة قد رأيت أن أكتبها وفاء للأدب في شخص الدكتور « زكي مبارك » مؤلف عبقرية الشريف جزاه الله عن الأدب خيراً .

محمد القادر المنير

ونحن ننشر هنا فصلاً من هذا الكتاب النفيس وقفاً على ما قصدناه من وصفه

## اختراع التلغراف

### سنة التطور والارتقاء

شارلس داروين Darwin العالم صاحب النظرية الذي يقول بسنة التطور والارتقاء ، حتى رد الإنسان إلى أصل من القردة ، وهذا الرأي لا يسري على الكائنات فحسب ، بل إنه في رأيي يمتد إلى الاختراعات أيضاً ، فكل اختراع يظهر أولاً ناقصاً مشوهاً ، ولكنه يتحسن وفق الجهود المتتابعة التي يبذلها العلماء ، والأمثلة على ذلك عديدة ، بل هي في الكهربائية بدأت ساكنة فتطورت إلى متحركة ، عقبة التيار الكهربي ؛ وهذه أحدثت مرحلتي النظرية ، فتطور إلى أعظم المخترعات العملية ، وحاول العلماء نقل الإشارات كما في التلغراف ، فيتحدثون عما يبعد في نقل الكلمات كما في التليفون ، ويبحثون في اختراع التلغراف والتليفون اللاسلكيين ، حتى يتحقق أعمالهم وجهودهم إلى اختراع التلغراف والتليفون اللاسلكيين ، وهكذا سنة التطور والارتقاء في الاختراعات ، ولن تجد لهذه السنة تبديلاً . ويحكى عن فرداي العظيم ( ص ٥٥ ) أنه كان مرة يقوم بإجراء تجربة كهربائية ومغناطيسية للتكبير بين أمام بعض المشاهدين والمشاهدات . وبعد ما أتم إجراءها وشرحها تقدمت له إحدى السيدات وسألته : « يا مستر فرداي ، هل يمكنك أن تخبرني ما فائدة ذلك ؟ » فأجاب على الفور بذلك الجواب اللاذع المناسب : « وهل تستطيعين أن تخبريني عن فائدة الطفل ساعة ولادته ؟ » فأسقط في يدها ولم تحر جواباً

### نشأة التلغراف

والتلغراف كان مطمح الآمال ، وغاية العلماء منذ نشأة الكهربائية في عهد سكونها ، وعندما كشف جراي وهويلر ( ص ١٦ ) أن من الأجسام ما هو موصل وما هو غير موصل حاول بعضهم مد عدد من الأسلاك بعدد الحروف الهجائية ، وهي تسعة وعشرون في اللغة الإنجليزية كل سلك منها يقابل حرفاً من تلك الحروف فإذا أريد إرسال إشارة تلغرافية لكلمة ما مثلاً كلمة أطرقت

الأسلاك الدالة على حروف هذه الكلمة في الإرسال ، فتحمل هذه الأسلاك الكهربية فتجذب إبرة في مكان الاستقبال كرات صغيرة من نخاع البلسان ميزان المستقبل حسب الكلمة المرسلة ، وقد أخفقت هذه الطريقة كما أخفقت محاولات أخرى تمت في طريقها من صعوبات : كبطء سير الإشارة أو ضعفها من أن تصل إلى مسافات بعيدة ، ولكن الاتجاه الصحيح قد بدأ سنة ١٨٢٦ ، بعد أن كشف أورستد ( ص ٣٧ ) التأثير المغناطيسي للتيار الكهربي ، وبعد اقتراح أمبير ( ص ٤٦ ) عقب ذلك ، وفي نفس سنة ١٨٢٦ استقلال هذا الكشف الجديد لتطبيقه في التلغراف ، ومن ذلك استطاع جاوس C. F. Gauss العالم الطبيعي الألماني وفيبر Wilhelm Weber أستاذ الطبيعة في جامعة جوتنجن » سنة ١٨٣٣ من إقامة أول خط للتراسل في العالم بين المرصد وقسم الطبيعة في هذه الجامعة ، وكانت المسافة بين المكانين ٩٠٠٠ قدم ، وقد اشترك يوسف هنري الأمريكي ( ص ٧٦ ) في أبحاث التلغراف ، وهو الذي اقترح استعمال مغناطيس الكهربي الذي له الفضل في مخترعه ... الموضع لاسم عليه ... في حلقة ... المغناطيس الكهربي انجذبت إليه ... وحدث صوت ... واخترع شتاينهيل Karl August Steinheil الألماني ... يمكن استعمال الأرض موصلاً بدلاً من إقامة سلك آخر لإتمام الدائرة الكهربية وقد أدى ذلك إلى أ ... العلوم ... سنة ١٨٣٨ ، وقد حاول ... في إعلام أيضاً الوصول إلى اختراع التلغراف ، ولكن النصر الأخير والفوز الأعظم جاء على يدي مورس الأمريكي

( ٢ )

**مورس**

ومن ذا الذي لم يسمع بمورس ؟ أو من ذا الذي لم يسمع « بالنقطة » و « الشرطة » اللتين اعتمدها مورس نظاماً وجعل منهما رموزاً للحروف الأبجدية والأرقام ، فرمز لحرف الألف من نقطة وشرطة ، والباء من شرطة وثلاث نقط ، ورقم الخمسة من خمس نقط ... إننا نسمع دقات التلغراف في مكاتبها كأنها تنادي باسم مورس ليلاً ونهاراً وآناء الليل وأطراف النهار

وقد بدأ مورس حياته فناناً ، وكان ... في هذا العصر أنه أسس ... الأكاديمية القومية للرسم[1] في نيويورك ، وقد ... في أوربا وأثناء عودته إلى بلاده سنة ١٨٣٢ ، خطرت له فكرة جديدة في التلغراف ، وتمكن من بناء أول تلغراف عقب ذلك في نفس السنة ، ولكنه كان يعوزه المال اللازم لتنفيذه وعرضه على الناس ، واضطر إلى الانتظار ولكنه في الوقت نفسه عمل على إدخال التحسينات في تركيبه ، حتى أوفى على الغاية من الإتقان ، وتسنى له أن يعرضه على الناس سنة ١٨٣٧ في جامعة نيويورك ، وأرسل أمامهم الإشارات التلغرافية مسافة ١٧٣٠ قدم وعمل جاهداً أثر الإعجاب ، فنجح حتى منحه الكونجرس الأمريكي مبلغ ٣٠٠٠٠ ريال ، فأنشأ أول خط تلغرافي تجاري سنة ١٨٤٤ بين واشنطن وبلتيمور

ذاع صيت مورس ، واشتهرت فكرته ، فشاع تلغرافه في معظم أوربا وأمريكا ، وأتقن إتقاناً عظيماً في جميع سنوات حتى صار في الإمكان إرسال الرسائل التلغرافية مسافة مئات الأميال سنة ١٨٥٥

(1) National Academy of Design

(1) Samuel Finley Breese Morse

---

## حيوانات فركا يحدثنا عن أطلانزا

عندما يخرج ... من ... الطبيعي ... في ... وكان ...

عند ... وبالأبيض من ... الأسود ... ومن الأبيض ... ويرفع الرأس في ... حيوانات ... للذين ...

... على الطريق ... أمام ... البيوت ... بالعصي ...

... على الرأس

وكأن ... كل ... إيطالي ... ولا يذكرون ... ومن ... التي ... بها ... السوداء ... سنة ٦٣ ... بجميع الأمراض ... الحرب ... الأمراض الدين ... أصيب ... أو ... ولا ... الحكومة ...

8me Année No. 361

Lundi 3-6-1940

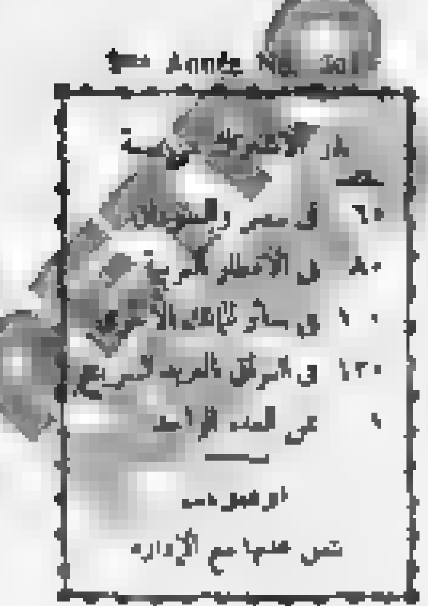

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٦١ — القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣ يونيه سنة ١٩٤٠ — السنة الثامنة

## الفهرس



# الخصومة الأدبية في الشرق

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب كثير من الأدباء في الخصومة التي كانت بيني وبين الرافعي، أو بيني وبين شوقي، رحمهما الله، فلم أجد فيما كتبوه حاجة إلى التعقيب أو المناقشة، وآثرت السكوت عليه.

وقرأت للأستاذ الصديق صاحب الرسالة مقالاً عن رأي الرافعي فيّ وفي الدكتور طه حسين، فرأيت ما رواه عن الرافعي رحمه الله مثلاً من الخصومة الأدبية يشبهه كثيرون في الشرق خاصة، وأمثاله كثيرون ولا سيما في البلاد الشرقية. فكتبت هذا المقال لأبين به خطتي في خصومة الأدب أو خصومة الرأي على الإجمال، وأدل به إلى موضع الاستقامة وموضع الانحراف مما بين حول هذا الموضوع.

وكنت أعلم أن الرافعي يقول عني أحياناً غير ما يكتب، وروى ذلك الأديب الدكتور محمد الصباحي، ورواه صديقنا الكاتب الليبي الأستاذ البرقوقي صاحب البيان، وكلاهما في جملته يرادف ما رواه الأستاذ الزيات في مقال الرسالة، ومنه حرص الرافعي على كتمان هذه الشهادة!

ولم هذا الاختلاف بين السر والجهر، أو بين القول الخاص والقول العام؟

هنا هو أيضاً موضع الاختلاف بين خطتي في الخصومة الأدبية والخطة التي كان يؤثرها الرافعي وبعض الأدباء.

فأنا أقول رأيي بصحة وأقوله بلهجة أخرى، وهذا قصارى ما أستبيح من الفرق بين الرضى والغضب والصداقة والخصومة. أما الرأي في لبابه فلا يتغير ولا يتناقض، ولا يعنيني أن أجهر بغير ما أكتم، وإن كنت لا أدين نفسي بمدح الأعداء وحق الملحوظ تعقباً لي جزاءه أن يتناولني بالنصح.

روى صديقنا الزيات عن الرافعي أنه قال: «أما العقاد فإني أكرهه وأحترمه. أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره. ولقد أعرف الناس بمكاني من الأدب؟ ولكنه يحملني على قوة البيان مجاملتي حتى لا أجري معه في عنان».

وهذا كلام فيه صواب وفيه خطأ، ونستطيع أن نقيس على مراتبه من الصواب وحظه من الخطأ إذا توخينا الإنصاف.

فماذا كان رأيي الذي كتبته في الرافعي وأدبه؟

إنني كتبت عنه مرات أن له أسلوباً جزلاً، وأن له صفحات من بلاغة الإنشاء تسلكه في الطبقة الأولى من كتاب العربية المنشئين.

ولكن إلى جانب ذلك إنني أنكر عليه فلسفة البحث وعمق النفس ودقة القياس.

فهل كان في وسعي أن أرى في أدب الرافعي غير هذا الرأي أو أشهد له غير هذه الشهادة؟

كان في وسعي نعم أن أتوخاها بلهجة غير التي كتبت بها من وكتبت بها عنه.

ولكن هل كان في وسعي بعد قراءة أوغسطين وأفلاطون وابن سينا وكانت ونظرائهم ونحوهم أن أحسب الرافعي من كبار الفلاسفة مع حسباني إياه من كبار المنشئين؟

هنا نواجه هو الوجه وما تفترق في الخصومة: هل كنت أستطيع أن أصوغ القضايا المنطقية التي كان رحمه الله يستكثر منها ويعنى في الاتكاء عليها، وهي لا تحتمل الاتكاء؟

فأنا قد شهدت له بالبلاغة الإنشائية وأنكرت عليه الفلسفة المتعمقة، لأنني أستطيع أن أسلكه مع الجاحظ وعبد الحميد، ولا أستطيع أن أسلكه مع كانت وابن سينا ونحوهم.

ومن الذي يستطيع خلاف ذلك ولو كان من أصدق الأصدقاء؟

بل من الذي يستطيع أن يدحض الأمثلة التي ذكرتها وبنيت عليها إنكاري عليه ملكة البحث المنطقي والنقد الصحيح؟

فمثل من تلك الأمثلة قول الأستاذ في الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب: إن الحيوان لا ينطق من اللغة الإنسانية إلا بما فيه معنى الطعام، ووجدت بأن بعض الألمانيين أن ينطق كلمة بألفاظ خالصة من اللغة الألمانية، ولكنها في الجملة من حاجات الكلب الطبيعية كالأكل والشرب فلا تخرج من معنى الإحساس أيضاً.

قلت له: إن كلمة الخبز بالألمانية عاديها أقل حكما في لغات الناس كافة تؤدي معنى الخبز وتختلف في لفظها أبعد اختلاف، وهل يجوز أن ينطق الكلب بكل كلمة تجري على لسان الآدمي لأن اختلاف الكلمات في لغة واحدة يبني بالصعب على الحيوان من اختلاف ألف كلمة بعين الخبز في جميع اللغات.

فهل هذا قياس صحيح؟ وهل هذا بحث في أسرار اللغات؟

وقلت له: إن كلمة «حنك» تؤدي معنى الطعام، ولكن السجن واللجم والشكال تدخل في اصطلاح المسجونين والمتلاكين شفاه، فلا ينطق الكلب بهذه الرطانة فيها كما ينطق بلغة الطعام؟

* * *

ومثل آخر من تلك الأمثلة أنه عرض لرأي ابن الراوندي في إعجاز القرآن إذ يقول: «إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذي تحدى به النبي، فلم تقدر العرب على معارضته، فيقال لهم أخبرونا لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم في القرآن، فقال: الدليل على صدق بطليموس أو أقليدس أن أقليدس ادعى أن الخلق يعجزون أن يأتوا بمثل كتابه أكانت نبوته تثبت؟».

فعرض الرافعي لكلام ابن الراوندي، فكان مما قال في الرد عليه: «إنه لم يكتف بالمغالطة الظاهرة فيه وهي أن أقليدس لم يخترع المعاني التي أوردها في كتابه، وليس في طاقته هو ولا غيره أن يخترع كتاباً آخر أو يرد قضية واحدة إلى نقيضها، فالسحر يشمله كما يشمل الآخرين، والمعنى لا تظهر صلته إلا بغير الاهتداء إلى الحقائق الموجودة فيه والتي لا يد له في إيجادها بأي معنى من معاني الإيجاد».

لم يكشف الرافعي عنه للنخلة الظاهرة ، بل راح يقول :

« لعمري أن مثل هذه الأنيسة التي يحسبها ابن الراوندي سبيلاً من الحجة وباباً من البرهان لهي في صنعة العلم أشبه شيء بحرفة الطب فقط . وهل تأتي كتاب من كتاب ، وآية من آية ، وقوم من قوم ، وأن رجل من رجل ؟ ولو أن الإعجاز كان في ورق القرآن وما يخط عليه ، لكان كل كتاب في الأرض كـكل كتاب في الأرض ، ولاطرد ذلك القياس كله على وجهه كما يطرد القياس عليه في قولنا : كل حار بنفسه ، وابن الراوندي بنفسه ، فابن الراوندي يكون ماذا ؟ »

كذلك حين رأى الرافعي ( رحمه الله ) أنه رد على ابن الراوندي بما رد على أن ومعه بأنه ... أن يحسب هذا قياساً لخصمه وله حكمه على عقله ... أما أن يحكم على العقول جميعاً بأن تمس الآراء كما يمسها ، فذلك هو الشعور .

وقد نذكر هنا المثل الثالث والرابع والخامس والأمثلة الكثيرة لو كنا نريد الإحصاء والاستقصاء ، ولكننا نريد التمثيل ولا نبتغي غيره ، وفيما تقدم الكفاية .

فالذي قلته في أدب الرافعي هو الذي أعتقده ، بل هو الذي لا أقدر على اعتقاد رأي غيره إلا أن أنسى كل ما عرفت من كتب البحث والقياس .

والذي قلته في قياس الرافعي لا يقدر المنصفون على أن ينفوه أو يقولوا بنقيضه ، إلا أن تكون المصادقة على غير الحق والإنصاف .

ولو قنع مني الرافعي بأن أشهد له بالبلاغة وأن أغض قياسه ونقده على النحو الذي تقدم لما كانت خصومة ولا كان جدال ، ولكنه أخذ رأيي فيه تحاملاً وقلة إنصاف ، وزاد فأخذه من المعاداة ورتب له ما رتب للأعداء .

وهذا هو أصل الخلاف .

* * *

أما ما قيل ولا يزال يقال عن الخصومة الأدبية بيني وبين شوقي رحمه الله فموجزه عندي أن أقرأ لكاتب واحداً يقول : « إنك نعت الشاعر في "كذا" وفي "كذا" » هذا خطأ أقيم عليه الدليل ، وهذا هو الدليل ؟

يود أن أقرأ هنا لكاتب واحد من الذين يتغالون في الرأي ويبحثون في النقد عن الشرح الذي أوجبه

ولكنهم جميعاً لا يزيدون على الصياح والاستهوال ثم الصياح والاستهوال : يا حفيظ الله الجمهور ! يا حفيظ الله الشعر ! ... يا خلق الله تعالوا فانظروا من يقول إن شوقي ليس بشاعر عظيم .

وهذا كل ما يقال ، وهذا كل ما يعاد ، ولا مناقشة لرأي ولا استشهاد بمثال .

ومنهم من يقول لك : أنقد وتخرج صريحاً على حق الله لم تأت مطلب الشعر جميعاً إلا سوقياً ...

أكذلك حسن ؟ ... لا ، كذلك لم يحصل !

وكل ما هنالك أنني يحق لي أن آكل الخبز الجيد وأن أحب التفاح الذي يطيب ، والخبز بعد ذلك هو الخبز ، والتفاح هو التفاح !

وأعجب العجب أن يبلغ الادعاء بهؤلاء أن يغلقوا كل باب الرأي غير رأيهم فلا يخالفهم أحد إلا كان تأويل المخالفة الوحيد نزعة شخصية أو قلة إنصاف !

ولو أنهم طلبوا الحقيقة لسهل عليهم أن يعرفوا أن طريقتي غير طريقة شوقي ، وأن اختلاف المقاييس بيننا وبينه مختلف وطبيعي ومحمود إلى أسبابه التي لا غنى عنها لو أردنا الإنصاف .

وأن نزعة شخصية بيننا وبين شوقي لم تكن على حال من الأحوال ، وليس في مقدور أحد أن يذكر سبباً لها لو ابتغت علته إليها .

فكل ما قلته في أدب شوقي هو رأيي الذي أعتقده ، ولا يحق أن يشير أحد إلى الحجة التي قلته بها ، ثم يبين أسبابه وموضع مرجعه لا يسبران منها ، ولا ... على من يسلم أو يريد أن يسلم ، فالإعجاز في هذه الإشارة أولى من الإقامة بها

* * *

وبعد فالخصومة الأدبية لم ... مذهب الرجل ... وإحالته على ... ، ومذهب الرأي الذي يجني عليه الأصدقاء والخصوم وإن اختلفا في صبغة الأداء وصورة ...

وهذا هو مذهبنا الذي ندين به ونجري عليه في كل ما نختصم فيه ... ومن الذي يرموننا بقلة الإنصاف أن يرونا منصفين لهم لنا ، إن كانوا ... منصفين

عباس محمود العقاد

دراسات في الموضوعات الإسلامية

# أزمـــة إسلامية ؟

للدكتور علي حسن عبد القادر

دكتور في الفلسفة والعلوم الإسلامية من جامعة برلين

ومدرس بكلية الشريعة

أيوجد حقاً ما يسمى أزمة إسلامية؟ وهل صحيح أن الإسلام يجتاز في هذا العصر مرحلة اجتماعية خطيرة، وأنه يقف الآن في نقطة فاصلة وإزاء طور حاسم في تاريخه، وسيحكم على استحقاقه البقاء والخلود إذا ما سار سيراً صحيحاً ؟

كانت هذه الأسئلة تتردد في نفسي وتضطرب وكنت أمامها منها ضيقاً وحرجاً عندما كنت أقرأ هذه الرسالة الصغيرة « الأزمة الإسلامية » للأستاذ ريشارد هرتمان(1)

أترى هل أحس المسلمون بهذه الأزمة التي لم تنل بجليل عقيدتهم القوية وإيمانهم الصحيح الخالص، أجل ولكنها كانت أمراً عسيراً عليهم، كانت حياتهم في أشكالها المختلفة ومختلف نواحيهم وشرائعهم ونظمهم الاجتماعية، وأصبح المسلم مضطراً في حياته لمقاومة أمواج شتى من حضارة حديثة وأفكار حرة وتقاليد موروثة ودين راسخ، ولا يجد المرء بين ذلك كله سبيلاً ميسوراً، وهكذا بات المسلمون في جميع البلدان الإسلامية يجتازون أزمة وشدة تكاد تودي بحياتهم وقد أورثت بهم خللاً في بعض البلاد

لا شك أن الناس لا يقرؤون التاريخ الحديث للإسلام، أو كأنهم لا يفكرون فيه كتلة ضخمة للمسلمين في أقطار الأرض، فهم يغمضون أعينهم عما حصل وما يحصل في تركيا وبلاد الهند الإسلاميين من حركات وثورات، بل وما يحصل بين ظهرانيهم وبجوارهم في مصر حيث الحياة قلقة والنفوس ثائرة والإسلام ينقبض في عقر داره يوماً عن يوم، وحيث سلطان الشريعة الإسلامية منهدم. أرى أن هذا لا يستحق النظر الجاد والتفكير العميق، أو أنه يكفي الصياح والعويل كلما [illegible] فرد من أفراد أو دول؟

حقاً أن رجال الأزهر وهم الذين يحملون مهمة الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه قد عجزوا [illegible] صحيح ونظام مستقيم، وهم الذين شعروا بهذا الخطر الهام الذي يهدد حياة المسلمين، وهم الذين أدركوا التحرر الذي قد يتصورون إليه، صبروا يؤدون رسالتهم الخارجية في شجاعة وصبر مضحين في سبيل هذا الواجب بمالهم وسعادتهم غير مبالين بما يلقون في طريقهم من مصاعب لا يثنيهم عن عزمهم ما يجده لهم المعارضون، ولا يصدهم عن وجهتهم ما يرميهم به ضعاف الإيمان، وهم من أجل ذلك في أزمة شديدة قاسية مضطربة عزيمتهم وحياتهم أيما اضطراب

في رسالة الأستاذ هرتمان بيان شامل دقيق لحركات المصلحين الذين تنوعت بهم طرق الإصلاح، واختلفت لديهم سبل التجديد تبعاً للثقافات المختلفة التي عرفوها والبيئات التي اتصلوا بها، فمنهم من رأى الرجوع إلى القديم والتمسك بالإسلام الأول، ومنهم من رأى الأخذ بالجديد كله، ومنهم من سلك سبيل التوفيق. وفي هذا يدور البحث في هذه الرسالة القيمة التي تعتبر مصدراً هاماً كبيراً في الأبحاث الإسلامية الحديثة. والأستاذ هرتمان عالم متدين الطبع عرفته أثناء دراستي ببرلين عرفته يمتاز عن غيره ممن بحث في العلوم الإسلامية بنضوج الفكر، والرجوع إلى الحق إذا ظهر له، لا يصدر حكمه إلا بعد تريث وتروٍ في رفق وأدب. وهانذا أعرض عليك مجملاً من هذا البحث

— ١ —

يقول الأستاذ: قد نجد بين الأديان الكبيرة ديناً يمتد إلى حياة معتنقيه كلها سواء كانت أم اجتماعية مثل الإسلام، ذلك أنه من وقت النبي وخلفائه أصبحت السلطة الدينية به تشمل الدولة السياسية، وبقي عدم التفريق بين أمور الدين وأمور الدولة — على الأقل في المبدأ — قائماً إلى الوقت الحاضر، وهكذا ألبس الدين كل شيء ثوب التشريع والفقه، وقد ظل طوال القرون

(1) Richard Hartmann, Die Krise des Islam, Leipzig 1928.

المتوالية هذا الفقه إلى بناء هائل منظم تشكل أنواع المعاملات والعلاقات الإنسانية تشكلاً دقيقاً ، وأصبحت القوانين كلها ذات ثوب ديني تبعاً لهذا المبدأ الذي لا يفرق بين أمور الدين وأمور السياسة

حقاً إن مثل هذا القانون قد تكون فيه قوة ما دام حياً جديداً موافقاً للعصر المعمول به فيه ، ولكن هذا كان إلى حد محدود ، بأنه في أثناء تطوره لم يكن نامياً متحولاً مع الأجيال لأنه في الحقيقة لم يكن من عمل الدولة وأصحابها ، ولكنه كان عملاً للمؤمنين . وأخيراً حدث أن اقتنع الناس بأنه يجب متابعة خلف السلف الأول في كل أمر ، وأن كل ما نص عليه السلف الصالح سنة في دين يجب أن ترتبط به الأمة الإسلامية في كل الأوقات . لما حصل هذا أصبح الفقه الذي يشكل حياة المسلمين في ثوبه الديني للتقدم حجراً عثرة يقف أمام كل إصلاح

ولم يشعر أحد بهذا الخطر ولم يكن خطراً ظاهراً ما دام العالم الإسلامي على قمة النهضة ، كما هو في العصور الوسطى ، وكانت الحياة المسيحية إذ ذاك تشبه هذه إلى حد ما ، حيث كانت حياة المسيحيين تحت سلطان الكنيسة ، وكانت هناك ثقافة ومدنية مسيحية كما كانت هناك ثقافة ومدنية إسلامية ، وكلاهما بالرغم من تخالفهما في العقيدة كانا متقاربين ، ومتآخيين ورثتهما ثقافة وثنية . وبينما كان الدين في الغرب يرجع إلى الوراء ويقصر حدوده أثناء مرحلة التطور من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وتحل محل المدنية المسيحية للعصور الوسطى مدنية وطنية ، بقي الإسلام سائراً في طريقه القديم القائم على الدين ومن هنا كانت الهوة بين الشرق والغرب واسعة ، وبقي الشرق والغرب كل له ثقافته الخاصة إلى يومنا هذا

وأخيراً وصلت مسائل التاريخ ، ونقتنع المسلمون أنفسهم على وضع المدنية الإسلامية للقرون الوسطى إزاء المدنية الحديثة فماذا كانت النتيجة ؟

إن العالم الإسلامي يقف الآن منذ نقطة فاصلة ، فيحول أزمة ، هل تقبل الإسلام — الذي يظهر مرتبطاً بالعصور الوسطى — كل شروطه وأتم القيام بدوره ؟ وهل هذا المرض الذي أصاب الآن من الإسلام نفسه ؟ أو أن الإسلام كدين يتعارض مع الإصلاح الحديث ؟ وهل يستطيع الإسلام أن يتخلص من ناموس العصور الوسطى التي يرتبط به ؟ وهل هو في نفسه صالح ويتفق مع التطور ؟

على جواب هذه الأسئلة يتوقف كيان الإسلام كله . بل حل في الأمور السياسية والاقتصادية المبهمة لمستقبل الشعوب الإسلامية

ولقد كانت مسألة عدم استطاعة الإسلام للإصلاح وعدم صلاحيته للتقدم ، عقيدة سائدة عند الغربيين منذ عشرات السنين ، ولم يكن هذه العقيدة سائدة عند ... ، وفي أوساط الشرقيين الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا صورة ناقصة جداً وغير صحيحة ، بل إن الأمر تعدى إلى بعض مؤرخي الأديان مثل رينان الذي كان يقول : إن الإسلام عدو العلم (1) بل قد تعدى إلى بعض السياسيين العارفين بشؤون العالم الإسلامي مثل اللورد كرومر الذي حكم على الإسلام حكماً قاسياً حين قال إن إصلاح الإسلام يخرج الإسلام من أصله (2)

ونحن لا ننكر أن ما قيل من أن الإسلام عدو للإصلاح وليس ملائماً للأفكار الحديثة ، قد يكون له بعض الأسباب ؛ ولكن هذا لا يحمل الكلام على مراعاته ، ولا غرض لأحوال غير مضبوطة سوابق المسلمين الذين أخذت الملاحظات شيئاً من معظمهم إلى ذلك كله لا يرجع إلى الدين الإسلامي نفسه ، بل إلى العناصر والعادات التي حل فيها ، أو إلى ما انتشر بين الناس من أن الإسلام ليس إلا مكرراً لليهودية والمسيحية ، فكل هذه الأشياء قد تكون موانع للإصلاح ، ويتركب على أنفس هذه أمور سيئة شكلية وليست أموراً أصلية . وأنه من البعيد عن موضوع البحث أن نتكلم عن هذه الظواهر الشعبية في الإسلام ، التي هي مزيج من ترسبات بين سائر الدين وبين ما هو متأصل قديم في الشعوب من أوهام سحيقة وأساطير ساذجة . ولكن يجدر بالإنسان على جماعة دينية لا بد له من أن يحكم على مبادئها الصحيحة ، وفي

---

(1) E. Renan, L'Islamisme et la science (Paris 1883), Discours et conférences (Paris 1887) p. 375 ff.

(2) Cromer, Modern Egypt II, 229: "Islam cannot be reformed; that is to say, reformed Islam is Islam no longer; it is something else."

الإسلام يجب علينا أن نفهم مبادئه بكل وضوح ، وأن نستبعد عنه ما ارتبط به من أوهام العوام ، وحينئذ فقط يكون حكمنا صحيحاً سليماً

ولسنا في حاجة اليوم - لكي نفهم الإسلام في أطواره التاريخية - أن نقرر أنه لا يجوز لنا أن نرجع مباشرة إلى صاحب الرسالة (ص) كما عرفه كارليل ، فإن جاز لنا ذلك فإن الأمور تكون في غاية البساطة ، لأنه ليس من شك في أن النبي — الذي لم يكن نبياً فقط بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون ، بل كان سياسياً يدير أمور الدولة — كان في الحقيقة يضع الأشياء في مواضعها ويحسب للأمور حسابها . وجوابه المعروف : « اعقلها وتوكل » كلام له مغزاه ؛ ويجب ألا ننسى ما يجري في التطورات الأخيرة في الإسلام ولكن الواقع أن الرجوع إلى ما كان عليه الرسول فقط لا يعرفنا الإسلام التاريخي على ما هو عليه بكثير من حقيقته الصحيحة ، فإن الإسلام كما يعتقد أهل السنة ليس إلا نتيجة لتطور طويل كثير الشعب ؛ ذلك أنه لم يكن الإسلام في عهد الرسول إلا إيماناً سهلاً وقوانين لحياة جديدة ، ... بهذه السرعة الفائقة في الفتوحات كانت ... في عهده الأول ، دعا الأمر إلى تطور وتشكيل ، ومكنت للإسلام بسلطة أحياناً ... كان عند سكان الأمم المفتوحة حتى أمور العقائد التي نشأت بعد كفاح شديد مقصورة على مباحث علمية ... خلافات واسعة حرة من الشرح والتفسير ، وكان أكثر شيء توسعاً وازدهاراً هو تنظيم أمور دنيوية أو بعبارة أخرى الفقه والقانون

ولكن هذا الفقه الإسلامي الذي كان في وقته وضعاً سياسياً تقدمياً ، والذي كان منذ العهد الأول أمراً لا يقبل التغيير ، أصبح نهائياً وختم في نهاية القرن الثالث الهجري تقريباً ، ووضع نشاط حركة دينية سياسية تقدمية تشبه ... أسبابه في الفقه الآن .

علي حسن عبد القادر

# إلى أرض النبـــوة !

[ وصف وتاريخ رحلة الوفد السوري إلى الحجاز
ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق نجد للسيارات ]

للأستـــاذ علي الطنطاوي

---

حين تصل هذه المقالة إلى الرسالة، يكون الركب الذي خرج من دمشق منذ أسبوعين يؤم الحجاز قد قارب المدينة إن شاء الله، وهو أول ركب من الزوار يسير على الطريق الذي كشفناه، وفيه قريب من ثلاثمائة رجل وامرأة، ووصوله سالماً إلى المدينة، وذلك بفضل الله وبركته، هو الثمرة الأولى لرحلتنا الكشفية التي رحلناها في ربيع سنة ١٩٣٥. وقد كان أول ما خطر على بالي حين دعيت إليها وضع كتاب فيها، فكنت أتأبط دفتري دائماً، فلا نسلك طريقاً، ولا نقطع وادياً، ولا نرى جبلاً، إلا كتبت اسمه وصفته، وطبيعة أرضه؛ ولا نمر على قوم إلا سألت عن أنسابهم وأحوالهم، ووصفت مساكنهم، وذكرت ما عرفت من عاداتهم، وسمعت من لغاتهم؛ ولا ننزل منزلة إلا ذكرت كيف حططنا الأحمال، وكيف شددنا للرحال؛ ولا أرى منظراً، أو أشهد مشهداً، إلا ذكرت أثره في نفسي، وما أثار فيها من عاطفة، أو هاج من ذكرى، على ضبط في الأرقام، وتحرٍّ في جمع الأخبار، وتوثق من صدق الراوي وخبرته، حتى إذا دنونا من المدينة ولاح الكتاب على الكمال، وقارب النهاية، امتدت إليه يد لا يعلمها إلا الله ذهبت به، فيئست منه وأهملته، وجعلت لا أكتب شيئاً، ولا أدوّن خبراً، إلا ما كان من وصف طريق العودة، فهو مكتوب عندي، وما كتبت من المقالات في مجلة الرسالة أو في غيرها. وعدت إلى دمشق فانغمست في عملي، ثم ضربت الدهر ضربانه فسافرت إلى العراق أولاً وثانياً، وحللت سنة في لبنان أدرّس فيها، ونسيت أخبار الرحلة ونسيها الناس، حتى كان هذا الشهر وحقق الله ما دعت إليه، ورأت دمشق اليوم الموعود، فسافرت أول قافلة من الزوار، وألحّ عليّ الأصدقاء، و[illegible] أن أنشر وصف تلك الرحلة، فأجبت مكرهاً، وعمدت إلى ذهني، فكتبت ما بقي عالقاً به، ووضعت نصب عيني أن أدوّن ما رأيت وما سمعت، وأسجل ما أحسست وشعرت به، من غير أن أعمد إلى كتاب من كتب التاريخ أو رحلة من الرحلات، فآخذ منها النصوص والأخبار والأرقام، وأن أحرص على أن أعطي صورة من الحياة البدوية، فإذا هي لم تكن مخطوطة مفصلة، ولم تكن كافية وافية، فهي صحيحة ثابتة، ليست مصنعة ولا متكلفاً فيها، فإن أحسنت فلله الحمد، وإن أسأت فالعتب على من سرق (دفتري) عفا الله عنه وسامحه.

* * *

وبعد، فهذه رحلة كشفية قطعنا فيها شهرين اثنين، وقطعنا فيها خمسة آلاف كيل في الصحراء... وركبنا فيها من الأهوال ورأينا من العجب ما لو سردناه، وحكيناه لحسبه أحد شيئاً من الأساطير.

ولم تكن هذه الرحلة من أجل النزهة أو النظر في عجائب المخلوقات وغرائب البلدان، ولا التكسب والتجارة، ولا شيء مما يرحل أفراد الناس من أجله عادة، بل كانت لمصلحة عامة، وغاية اجتماعية، تعود على بلاد الشام وأرض الحجاز بالخيرات الجمة والفوائد الكثيرة، هي فتح طريق السيارات بين دمشق والمدينة يسهل على الناس أمر حجهم ويرغبهم في أدائه ويوفر عليهم صحتهم ومالهم. ولم تكن هذه الرحلة رحلة واحد يهتم به أهله وأصحابه، ولا جماعة يعنى بهم أقرباؤهم وودودهم، ولكنها رحلة وفد من وجوه الشاميين وسراتهم ونجبائهم. وكان الشاميون جميعاً يلحقونهم بأفكارهم ويراقبونهم بقلوبهم ويتنظرون الأخبار عنهم ويستطلعون أخبارهم، فلما انقطعت أياماً كثر القلق وساد الذعر وراجت الأراجيف، وأقبل الناس يسألون عن أبنائهم وإخوانهم، فتسأل عنهم حكومة الشام وحكومة الحجاز، ثم لا ينقطع القلق ولا تسكن النفوس حتى يعرف خبر الوفد ويجيء منه برقية أو رسالة.

* * *

وكان أول عهدي بهذه الرحلة أن أتاني الشيخ ياسين الرواف المعتمد السابق للمملكة العربية السعودية في دمشق، فقال لي: لقد عزمنا على اجتياز الصحراء إلى المدينة، لنكتشف طريقاً للزوار جديداً، فهل لك في مرافقتنا؟

قلت: نعم، ومضيت في سبيلي وأنا أراها أمنية من الأماني، وأعلم أن بيننا وبينها مراحل من الكلام، وأن القرعة لن يسفر، والطريق لن يفتح، ولذلك قلت له: نعم، وأحببته إلى السفر. ومن كان يستطيع أن أقول له غير ذلك؟ أيوجد مسلماً يشتغل قلبه خمس مرات كل يوم، ويحن إلى هاتيك المشاهد، ويرى زيارة سنته ومغناه، وعربياً يحب الصحراء ويعرف أخبارها، ويحفظ آدابها، ثم يدعى إلى قطع الصحراء وزيارة الحرم، ثم يقول: لا؟ من يرفض الوقوف أمام المقصورة الشريفة، والقيام في الروضة، والصلاة حيال الكعبة، والشرب من زمزم، والسعي بين الصفا والمروة، وزيارة هاتيك البقاع المباركة التي ولد فيها الإسلام ودرج، وعاش فيها سيد العالم صلى الله عليه وسلم، ويأبى أن يخالط العرب في أوطانهم، ويعرفهم في ديارهم، ويرى عياناً ما كان يقرأ خبره في الكتب، ويعرف أخباره على السماع؟

ولقد كنت أعلم أن هذه الرحلة جرأة على الموت واقتحام للخطر، وهجوم على الصحراء الهائلة التي طالما ابتلعت من أمم وأبادت من جيوش، ولكن ذلك كله كان رغبني في الرحلة وحببها إليّ، بما ركب في نفسي من حب للمغامرة والإقدام، ولأنه درس من دروس الحياة لا أجده كل يوم، هذا الدرس الذي من مصدره الصبر والجرأة والعزم والحزم والوحدة والتضامن، يتاح إليه كل [illegible] في بلاد ليس [illegible] كالبلاد الشامية؛ وأن [illegible] في الحرب العامة أو بعيد قليل قد فقدوا الطول ما شاؤوا عن الشام، وقتلوا في الترف طرحاً من الرجولة، [illegible] وجمدوا من السلامة وقعدوا من [illegible] إلى [illegible] والتأنث، ويخشون الخروج من [illegible] ويهربون من الحياة في الريف! حتى أن إخواننا من [illegible] إن أبى أحدهم الانتقال إلى قرية من القرى فكأنما أبى الانتقال إلى جهنم، وما ذاك لسوء عيش القرى [illegible] في القرى إلا لأنه راحة الأجسام وصفاء النفوس وجلاء النظر وراحة الفكر، بل لأنه لا يجد في القرية (سينما) [illegible] الأبواب، يجتمع فيه [illegible] أو [illegible] على [illegible]، ويخرج القرية وحديث كأحسن ما يكون من الحديث، ويملك كأحسن ما يكون من [illegible]، ولو أن الشباب ألفوا المغامرة وركوب الأهوال لما كان من ذلك شيء.

ومضت أيام ثم لقيني الأستاذ الرواف [illegible] فأخبرني على أن قد تقرر موعد السفر.

فاستقط في يدي، ووقفت بين مشكلتين: مشكلة الوعد ومشكلة الوظيفة. فلا أنا أستطيع أن أخس بوعدي [illegible] ومعاش أسرتي، ولا أنا أستطيع أن أخلف وعدي [illegible] ولو أني وعدت غير الشيخ ياسين لهان الأمر، ولكن الرجل عجيب صلب لا يعرف من كلمة نعم إلا أنها وعد مبرم لا يحله إلا الموت؛ فاخترت الوفاء ولو خسرت الوظيفة وقلت له: أنا حاضر!

ثم يسر الله فسمحت لي الوزارة بالسفر، وذهب أحد [illegible] وجئنا كما أزمعنا السفر، وودعنا الأهل والأصحاب، [illegible] الوداع، فأمرنا حتى خرج، واستعفينا من الناس لكثرة ما [illegible] ثم تقدمنا، وكان كثيرنا قد أطلق من حسن لحيته ليرمها، ويجمع منها لحية كبيرة، لما ظنوه من أن الرجل هناك بلحيته، فكل كان أطول لحية كان أعلى مقاماً [illegible] فكانوا يأتمرون حتى ويعطون بها على الخلق، ويستحيون أن يواجهوا الناس بها، لأن هذه الزمان جعل المعروف من السنة منكراً يستحيى منه، والمنكر من البدعة معروفاً يفتخر به. وبقينا على ذلك أياماً، ثم عرضنا العرضة الأخيرة، فبينا نحن في الرواب (الكاراج) حتى تحملنا سيارتنا [illegible] حفله [illegible] أصحابنا وجيراننا، حضروا يودعوننا الوداع المتابع ونحن لا ندري آخر الوداع حقاً، ثم نجمعهم بعده أياماً وليالي، أم لا نعود أبداً.

كنا في الرواب مع العصر، وجعلنا ننتظر حتى طلعت الشمس، وكان الضحى، وأذن الظهر، وكان العصر، فأيسنا، وهممنا بالانصراف، ولكن السيارات حضرت، وحضر الرحيل، وكانت أربعاً من طراز (البويك) وواحدة من (الناش)، وقد وضعوا على السيارة الأولى علماً سعودياً، وعلقوا في صدرها لوحة كتبوا فيها «الرحلة السورية لاكتشاف طريق الحج البري»، وسرنا وسار وراءنا المودعون في قطار من السيارات الكبيرة ما له آخر يعرف، حتى لقد ظننت أنهم لم يدعوا في البلد سيارة إلا استأجروها، واخترق الموكب المدينة حافلاً مكبراً يهتز له الأرض.

ولم أكن قد أيقنت بالسفر إلا في تلك اللحظة، فما تصورتني كيف أترك أهلي ووطني، وأطرح بنفسي في هذه الصحراء

الشمعة المستعرة. وركب الطلّ على يديّ، وهو يجري دافئاً فأتأمله، فأجده أحلى في عيني مما كان، وأحب إلى نفسي، وحن على أن أفارقه، واستغرقتني قصص مئات من الذكريات، وكرّت على حياتي كلها كأنها (شريط) أراه، فأبصرت في كل بقعة منه مشهداً، وفي كل طريق من طرقها قطعة من حياتي. وهل حياة المرء إلا في قلوب أصدقائه، ووجوه أصحابه، وجوانب داره، ومشاهد بلده؟ فكيف أفارق أهله، وأخرج عنه، إلى بلد لا أعرفه، وأهل لا يألفهم، فكأنما هذه مصيبة محنة. ومن أجل ذلك كانت الهجرة جهاداً في سبيل الله، ذلك لأنها لون من ألوان الموت، ولكن صاحبها ميت يمشي بآلامه، والميت مات فاستراح.

واستيقظت من هذه الأفكار على صوت (الأوتوكار) قد بلغ (وادي الله) ورمى بي خارج دمشق، ولم يعد موكباً وإنما صار طوفاناً من الحجر، وجبلاً عالياً من الفنادق، وكان من تحته يصعد وحلاً، ويكبر مزلزل الأرض، ويهبط فيشق عنان السماء، فلا بقي (البوابة) وقف المودع

(لم يتم) علي الطنطاوي

٣٩ – ١٠

# النقد الرخيص

## للأستاذ محمد محمد المدني

لا شك أن النقد أمر لا بد منه في قضايا العلم والبحث، ورأيه ما دامت العقول مفكرة، والأقلام الكاتبة، فلا بد أيضاً من الآراء المتعارضة!

ذلك أن الناس يختلفون فيما يُبصرون منه اختلافاً شديداً تبعاً لاختلاف حظوظهم من العلم والعقل والتفكير وبوسعة الخيال «والدرس الطاقي» و«الملكة الخاصة».

فما كان أحد يستطيع — حين يعالج موضوعاً من الموضوعات — أن يُخضع القضية فيه أكثر من إخضاعه لأي شيء سواه، فترى يصنع ما عسى أن يكتب له من آراء كوّنها نفسه باعتباره مصوراً في بيئة خاصة، أو متأثراً بظروف معينة، بل كوّنتها له هذه الظروف وتلك البيئة من حيث لا يشعر؛ فإذا جمع هذه الآراء وعطل منها — ولو مؤقتاً — ولم يجعل لها سلطاناً على تفكيره، ولا أثراً في طريقة بحثه، استطاع أن يصل إلى النتيجة التي يقصدها وهو أبعد من مواقع الخطأ، وأدنى من مواقع الصواب!

أما إن حرص الكاتب على حجة تناقضه ممتنعاً كان مستتراً بقصايده، واطمأن إلى حرصها، واستراح إلى أحكامها، يحول ما ورد من بحث على هذا الأساس؛ فقد يصادف الصواب أو يصادفه النجاح، لأنه إذا صادفه في أثناء بحثه ما لا يتفق القضايا التي آمن بها واطمأن مقتنعاً إليها، نفر منه وضاق صدراً به، فاضطرب لذلك ميزان تفكيره، واختل معيار منطقه!

ولا نجد شيئاً أضر على العلم، ولا أسوأ أثراً في العقل، ولا أشد إفساداً للرأي، من التعصب والإدلال «بالطائفة» في مجال البحث والنقاش. ذلك أن العلم والعقل والرأي ليست وقفاً على طائفة من الناس دون طائفة، وليس أحد أولى بأن يرجحها لنفسه من أحد، وليس للنقد أن يحكم بترجيحها دون غيرها أو تقديره دون ثقافة، وإلا خرج عن حد الجد وعطل من منطقه!

ومن هنا بأن النقد، ومن هنا أيضاً تختلف قيمته، فيكون بعضه ثائراً ثميناً، وبعضه معتدلاً رخيصاً. وتختلف كيفيته، فيكون بعضه هادئاً رزيناً، وبعضه هائجاً صاخباً! وكل ذلك بحسب اختلاف بيئته التي نشأ منه، أو إرادة الذي صدر به!

فمن ناحية التفكير الرشيد، والعقل المتزن، والعلم الموثوق به، نجد النقد الهادئ، والرأي السديد، والأسلوب الراقي، واللفظ المهذب! ومن ناحية التفكير القاصر، والأفق المحدود، والعلم الذي هو أشبه بالجهل، نجد النقد الطائش، والرأي المضطرب، والأسلوب الرخيص، والنقد الهمجي!

ولمساوئ ذلك أمثلة لا يطلع بها القارئون على الكاتبين من نقد أو اعتراض، وما تجري به مراكمهم وأقلامهم من جدل أو حوار ولو شئنا لذكرنا هنا ما نعرف للأسلوب وجوه، ولبعض وجوه! ولكن نعرف أن للرزانة على هذا النحو نزلاً ترسماً لا نحب له أن نلم، ونقص صاحبنا عمراً مشيناً، حسبنا أن نجعل على ذلك علامة يلمح بها ما نريد أن نصفه، ولا نريد أن نصفه، من «النقد الرخيص»!

إذا لوحت «أيها القارئ الكريم» أن تعرف وجهة النقد فانظر إليه، فإن وجدت صاحبه يبحث في الجوهر واللباب، دون العرض والقشور، ويحاول أن يتحرى الحق صادقاً، ويصوغه في أسلوب صحيح، ولفظ مهذب، فذلك هو «النقد الخير».

وإن رأيت صاحبه يغمز الناس بغير الحديث ، ويهرب من مواجهة الحق ، ولا يُكرِم قلمه أن يسيل بالألفاظ النابية ، والتكلم الجافية ، كأن يرمي الذي ينقده بالجهل ، وسوء الفهم ، والظن ، والتعسف ، والمروق ، والفسوق ، وغير ذلك من الأوصاف ، فاعلم بأن هذا هو « النقد الرخيص » .

وإنما كان كذلك لأنه لم يكلف صاحبه جهداً ، ولم يتقاضه تفكيراً ولا بحثاً ، فحسبه أن يكون مجموعة من القول البذيء ترسب في ذهنه ، ثم قذف بها صاحبها في وجوه الناس ، فأبت إلا أن تعود إليه فتلتصق به .

ولنا من القرآن الكريم بأن يرسم للناس طريق الأدب في هذا المجال واضحاً ، وأن يضرب فيه الأمثال والله بكل شيء عليم !

« ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يُلقّاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

ويسن لي كل حال أن يحيط الكاتب فكرته بما يحول بينها وبين سهام النقد ، أو يجوز عليه من غبار الاعتراض ، فإن ذلك دليل واضح على أن فكره قد وضعت موضع النظر ، وأنها جديرة بالأخذ والرد والمناقشة والجدل .

أما الفكرة الغريبة الساقطة فهي التي تولد فلا يحس بميلادها أحد ، وتموت فلا يشعر بفقدها أحد ، وصاحبها في الحالين مسرور مغرور !

وينبغي أيضاً أن يكون الكاتب — مع احتياطه بما يحد من الأهواء بفكرته — مؤمناً معتقداً بصحتها ، فلا يفرط في إعلانه الفكرة ، ويتعاقب في الشهود عنها ، بأن يتنازل عن الأشياء ، فيتحدى بها الرسوخ كما يحمل الرضيع ، ويناقش الجاهل كما يناقش العالم

ويعامل الكتاب أمثاله بما يعامل به المتوضح الحقيقي ، ويفرق بين « النقد الرخيص » و « النقد الثمين » فإن الرخيص يحمل ذلك حيلة ، ويتخذ منه وسيلة ، ليخير وكره ويذيع اسمه ليصير الكتاب هذا النوع من الناقدين ويعيروا عليهم ويسكتوا بالظلم عنهم !

وفي مثل ذلك يقول … … ألفاس من والعصري ، ولو أخذني لكنت أخسر الناس !

وقد اختص مسلم بن الوليد بما ترك من هجاء وسبيل الخزاعي بأنه ليس كفئاً لهجائه ، وأن عرضه أدنى من أن يُهجى ، فهو يتركه لهذا الغرض الدنيء ، قال :

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

وكما يجب الكاتب أن يحتفظ بمجد بنزاهة الفكرة نفسه ، يجب له أن يحتفظ بذلك القدر الذي أشرف على الناس منه ، فإذا كتب كاتب في « الرسالة » مثلاً فعليه ألا يشوه جمالها بما يرد فيها من « النقد الرخيص » يُنشر في غيرها

تلك شرعة النقد والكتابة عندي ، وأنا أولى بأن أطبقها على كل من نقدني فأسرف

فيأيها الذين تقدموا فأسرعوا ، ويأيها الذين يأتيكم القلم حين كتبتم ، ادعوا جميعاً قاسم الطلبة .

محمد محمد الحرفي
المدرس بكلية الشريعة

# كفاءة هتلر الخطابية

## للأستاذ عباس محمود العقاد

[ يصدر في هذا الأسبوع كتاب جديد لصديقنا الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد عنوانه «هتلر في الميزان» وهو دراسة تحليلية مستفيضة لهذا الطاغية الذي يقع في مائتين وأربعين صفحة في حجم «عبقرية عمر» وتقديرات من الوضع عن نواحي هذه الشخصية التي شغلت العالم وزلزلت الأرض. ويسرنا أن نبادر فنقدم إلى قراء الرسالة هذا الفصل من هذا الكتاب القيم لنعجل لهم حظاً من لذته، ونعرض عليهم وجهاً من طريقته ]

في كل شهرة خطابية مقاييس للمبالغة والإعجاب لا بد منها في كل زمان، وفي زماننا هذا على الخصوص.

ومقاييس المبالغة والإعجاب هذه تأتي من مصادر متعددة بعضها بقصد وبعضها مبهم، ومنها المقصود المدبر، ومنها الذي يحدث على غير قصد وتدبير.

فأول مصادر المبالغة والإعجاب جمهور السامعين، ومن دأب الجماهير أنهم يحبون أن يتأثروا وأن يختلقوا لأنفسهم دواعي الحماسة والمغالاة، وأن يقوموا أنفسهم تقويماً يسهل لهم أن يعتقدوا ما يحبون اعتقاده، وأن ينساقوا في موجة من الشعور لا تطيق الحدود، ولا تقف دون الإعجاب الكامل؛ لأن الوقوف عند حد من حدود الشعور المشتركة يفسد الحماسة. وليس إفساد الحماسة مما يطلبه الجماهير.

وهي، أي الجماهير، حالات في هذه الطبيعة: ترتفع أو تهبط، وتعتدل أو تجمح مع التصاعد، على حسب موقعها من الخطيب وموضوع الخطاب.

فإذا كان موضوع الخطابة نعرة قومية أو شهوة عدائية يشترك فيها الخطيب والسامعون، فالجمهور في هذه الحالة على استعداد للحماسة والإعجاب بغير مقدرة كبيرة في الخطيب.

وإذا كان السامعون مرؤوسين لذلك الخطيب، أو أتباعاً متشيعين لطريقة، يكرمون النص منه لأنهم يحسبونه منهم، ويحبون أن يكبر لأن كبره منسوب إليهم، فهم إذن أكثر استعداداً للحماسة والإعجاب.

وإذا كانوا فوق هذا صغاراً ناشئين يفورون بحرارة السن الباكرة فأحرى بهم وهم جماعات وجماهير أن يستطيروا ويعجبوا، وألا يحتشم الخطيب معجزة الإقناع، ويستوجبوا بها تأثراً من قبل ذلك لا يخرج من الجنان.

فأدنى الجماهير إلى التسليم هو جمهور شبيبة متحمسين يحسبون أن زعيمهم يحبونه بحكم العصبية، ويسمعون منه صيحة الكرامة الوطنية. وهذا هو جمهور هتلر في جميع المواقف، إلا القليل الذي لا يذكر.

وقد شهد الناس في مصر خاصة يحتشد لها السامعون روائيات من جميع الطوائف والأسنان، استمعوا كلاماً يطربونه ويصفونه، من خطيب لا يعجب السامع بصوته ولا بإلقائه... هيبة الاجتماع في الواقع لا هيبة الاستماع.

ثم تتكرر الدعوة وتتكرر الإقبال وتتكرر التصفيق الذي لا باعث له إلا الرغبة في شيء غير الشعور بدفع الحماسة... الجمهور وجوده وهيبته وانتظاره، ويرجعه من التشكك في «وجوده» بالفناء. والفناء كريه إلى كل موجود، جمهوراً كان أو غير جمهور.

وفي وسعنا أن نشهد كل يوم حشداً من الناس يسرعون من معلم ليستمعوا إلى ممثل مضحك مشهور في دور من الأدوار، فما هو إلا أن ينطق الكلمة الأولى حتى ينفجر السامعون بالضحك والقهقهة. ورب سائل أحدهم حينئذ: ماذا قال؟ فيعد أن يكون قد ضحك مع الضاحكين.

فالمصدر الأول للمبالغة والإعجاب في شهرة الخطباء هو أثر الجمهور وأشباهها من الفتن وعدوى القدماء، وهو دفاع الجمهور عن وجوده حيث انتظم له وجود.

* * *

والمصدر الثاني وسط بين البراءة والإبهام، وبين الإقناع والتدبير، وهو مصدر الرواة وكتاب الأخبار.

فإن الصحفي الأمريكي يعتمد التهويل والإغراق في وصف حوادث مثيرة لا يستحق الالتفات إليه، لأنه يريد من القراء أن يلتفتوا، ويريد من الاهتمام إلى ما يكتب، لا من عهدهم أن يهملوا الأخبار التي تستحق الإهمال.

والكاتب الذي يسافر العشرين ليحضر حفلة يلقيها أحد زعماء في يوم مشهود، ويقطع المسافة من الغرب إلى الشرق، قد يعد وظيفته إذا خرج بما دون السحر والإعجاز في وصف ما سمع وما رأى،

وما دمت الناس ينظرون ويتكلمون ، مشوقين متلهفين !

وقد تنص الرواية الأمينة في الصحيفة الرصينة فيقرأها القارئ للتحول ويعرض عنها طالب التظاهر والتطاول ، ممن ينظرون إلى مسرح السياسة كما ينظرون إلى مسرح التمثيل ، وهم جمهور القراء والنظارة في كل مكان ، فيهواه النبأ الذائع فيه ، ويشيع النبأ الذي يحرص على الصدق والأناة ، ويخص الأمس برواج الكذب والتلفيق ، ويخذله في الصدق والأناة

فمبالغة السامعين ومبالغة الرواة ملازمتان لكل شهرة سياسية في كل زمان ولا سيما زمننا الحاضر ؛ زمان النشر والإذاعة ، وزمان التشوق إلى الجدة والغرابة ودفع الملل والسآمة

* * *

ويأتي بعد مبالغة السامعين ومبالغة الرواة مصدر آخر من مصادر التهويل في الشهرة ، فطالما قام على هيبة السطوة والغلبة المرسومة مقرونة بمصدر الدعوة المسخرة والأقوال المأجورة ، وهو سلاح يعتمد عليه الداعون عامة ومن اعتمدوا على سلاح الإيمان

وحسبك هذه المكاتب قد بلغت في تنظيم شهرة الزعيم النازي أقصى ما يتاح لشهرة أن تبلغ من الإطلاق ، فأما النازيون فهم بالدعوة المسخرة قد جاوزوا كل المقام وجمهورهم أقرب الجماهير إلى التسليم والاستسلام ، ووحدة الأقلام ما فتئوا منذ أعوام يتنافسون في إشباع نهمة القراء بين جميع الأقوام

* * *

من الحق ... إذن أن تكون شهرة هذا الطاغية أقل كثيراً من شهرته التي ادعاها الدعاة والصحفيون والسامعون من أتباعه وصحبه ، وأن يدخل في حساب شهرته كثير من المبالغة والاختراع و « الإخراج »

ونحن في مصر نسمع فيه الخطباء ونراهم على بعد ، ونحكم على الكلام في روما أو موسكو أو ولغنجتون حكم رآه وسامع ، لا على النبأ ولا على الصور المتحركة من بعيد

ولقد رأينا هتلر وسمعناه

فهو لا نعلمه خطيب مبين ، ولكن لا نعلمه كذلك أنه ليس من طراز المتكلم في عصرنا الحاضر ، وأنه لا بد من طبقة الخطباء الذين يخاطبون كل جمهور ويتكلمون في كل قصة ويرسمون ... الأسماع ، ولا نعلمه يحسن القول بجمع الخطاب في موضوع غير الموضوع الذي يلقيه منذ عشرين سنة ، أو يزيد

أناس غير الذين يرافقونه في الحلة ، ولا يعرفونه ... إلا في التفصيل

فليس هو في إقامة ... ، ولا في ... ولا في عبقرية سعد زغلول

ولكنه أقرب إلى المثل الذي كرر ... حق ... ووضع فرصة له فلا يقدر على تبديده

شبهه مثلاً غير خطيب ، أو غير متكلم في مقام السياسي الرعوية ، أو غير مطمئن إلى آذان سامعيه

وقد وافقنا في لندن أو في موسكو أو في القاهرة ... السامعين على غير معرفة باسمه ، ولا ... بموضوع كلامه

إنه إذن خطيب لا عادة

وعيبه الأكبر أنه لا يُقنع ولا يفهم النفس ، وأنه ما خرج قط على نغمة واحدة تتردد في جميع مواقفه وموضوعاته ، وهي إثارة الحفائظ وإضرام الكراهية ومواجهة السامعين من جانب الشعور المتعمق ... ، وهم اجتهاده في إقناع من هو قانع ؟ وإقناع من هو راض بغير برهان ؟

ومرجع هذه النغمة ... إلى علل كثيرة : يصيبها أصيل ... يطيعه ؟ وبعضها حديث طارئ عليه من حوادث حياته وعصره

فقديمة الطارئ عليه هو هذا الذي ذكرناه : وهو أنه تعود في أيامه الأخيرة من الأول أن يخاطب أناساً لا يجادلونه ولا يجسرون على حسابه ، وأنهم لا يريدون أن يخاطبوه لا بمعاني الشعور ... ووبه

والأصيل الذي يطيعه أنه فقير في العاطفة الشخصية ، غني في العاطفة النفسية أي العاطفة التي تربط بين الفرد والجماهير

والعاطفة الشخصية هي التي تربي ملكة المساجلة والمحادثة ، ومواجهة العقل بالعقل ، والنفس بالنفس ، والإصغاء في موضع الإصغاء ، والإثبات بالحجة الصادقة في موضع الإثبات

فالرجل المطبوع على عاطفة يساجل بها العواطف ، وفكرة يجادل بها الأفكار ، يقول ويسمع ، ويستقبل الفرد بالرسائل التي يستقبل بها الأفراد ، صبراً بالإقناع ، وصبراً بالتعليل ، وصبراً بالشرح للتفهيم ! وفي كل مرة يبادل الثقة والاعتراف بعض الثقة والاعتراف

أما الرجل الذي ... نفسه من جانب العاطفة الفردية ، والذي ليس عنده ما يتبادل به مودة بمودة أو قسماً بقسم أو خاطراً ؟

يخطر ، والذي انقطعت جميع الروابط بينه وبين إخوانه من أبناء آدم إلا الوشيجة التي تكون بين الواعظ والأتباع أو بين الصنيعة والجمهور — فذلك رجل عديم القدرة على المحادثة والمنادمة وعلى الإصغاء والإقناع ، محتوم عليه أن يجد جمهوراً يستمع له ويكتفي منه بالاستماع ، أو أن يتحول نفسه تابعاً بين جمهور وإن كان في عدده أفراد قليلون

لهذا اشتهر هتلر بالتطويل في أحاديث المجاملة ساعة بعد ساعة دون أن يقف أو يحس أو يسأم التكرار ، فإن لم يتحدث في أحاديث السياسة ، فهو بين حكاية نادرة ، أو إعادة ملحة مطروقة أو سرد تاريخ قديم كأن لم يكن منه ولا فائدة ، فليس في حضرته إلا السكوت والوجوم

هتلر الفرد « معدوم »

أما هتلر الموجود ، فهو البرق الذي يلمع في الجماهير أو يرتد صدى الجماهير

وانظر إلى صوره وهو في مواقف الخطابة والمحادثات ترى أمامك صوراً ثائرة بحتة تنبئ بالتكلف وتنقص الحياة وتبعث في نفس ناظرها الريبة والنفور

أما الصور التي يحبها وتشبه الحركة والشدة ، فهي الصور التي يلتمع فيها الخطام ويثور فيها الغضب وتتأجج فيها الحماسة

وماذا ترى في هذه الصور ؟

إن الخطباء مشهورون جميعاً بالغضب ، وأنهم جميعاً يحركون الغضب في الجماهير

إلا أن الفرق بين غضب وغضب لفرق عظيم ، وبين الانفعالات بين حماسة وحماسة تفوق الاختلاف بين القوة والمرض ، وبين الجلال والهوان

رأينا سعد زغلول وهو غضب في خطبه ، فرأينا غضباً كأنه السيف يهوي به الفارس على قرنه ، ويعرف كيف يصول

ورأينا هتلر وهو غاضب في خطبه ، فماذا رأينا ؟ رأينا غضباً كأنه الصرع الممنوع يتنفس من صيحة كامنة كأنه التشنج العصبي ، فهو ترجمة للألم والعذاب الأليم في وقت واحد ، وهو علاج التنفيس من داء ، وليس بالسيف في أيدي الأقوياء

هو رعشة مصروع وليس وثبة صارع

وهو منظر تزور منه العيون ، وليس بمنظر تحدق إليه العيون أو تطل منه

وهو رعشة المصدور في حومة الألم أمام فوران النقمة والتحدي ، وليس رعشة الفارس في حومة الوغى

وقد نجد في هذه الصفحات صوراً عدة لهتلر وهو يخطب ، أو وهو يغضب ، لأنه في الحقيقة قلما يخطب إلا ليغضب ، فأية صورة من تلك الصور ترى يستطيع القارئ أن يكتب تحتها مثلاً « هذه صورة الفاتح أو الزعيم » ؟

إن هذا الكلام يكتب تحت صور كثيرة لمصطفى كمال أو لسعد زغلول ، ولكن هتلر — على مئات صوره وأحاديثه ورساماً خاصاً يتبعه في جميع المحافل ويوزع في أقطار العالم أروع الصور بل عشرات الألوف منها — لا يوجد له صورة واحدة تخيل إلى الناظر هيئة الأسد الزائر أو الأسد الغاضب ، وكلها بلا استثناء مما يصح أن يكتب القارئ تحته « هتلر يبكي » أو « هتلر يصرخ » ... ولا جناح عليه

* * *

ومن المعقول أن رجلاً كهذا يحس بالنقص ، تعطيه التي يغري بها سلطين بصوره ومنظره كما تغري المرأة المجنونة بسلطان الإغراء ، ويستريح منه إلى الهياج والتهييج كما تستريح منه المرأة بسرعة الرقص وجلبة الطبل ورنة الطبل وهي تتخبط في المنصة

ومن المعقول جداً أن يكره مواقف المناقشة والمنادمة لأنها تطلعه على عجزه ، وتكشف له عن حدود طبعه ، وتحرجه وهو في رأي نفسه أكبر من حدوده ... إلا أن يلجأ إلى التهديد بالحرب كما يفعل في معظم أحاديثه ، فهو يبدو في موقف الإملاء وليس في موقف المناقشة والإقناع

وقد سجلت كلماته في المناقشات التي دارت بينه وبين سفراء الدول ورؤساء الحكومات بعض من عرفه المرء وأخبره كلما نابهم لا يكون منه إلا هتافاً ولوعاً ، أو صيحاً يتوعد ، أو منكراً لما يقال على طريقة الأطفال والنساء ، فإن أنكر شيئاً لأن أنكر ... ولا مزيد ...

ناقشه مستر شمبرلن رئيس الوزارة الإنجليزية في الشروط التي فرضها على حكومة براغ، وأوجب عليها فيها أن تخلي الأرض المطلوبة وأن تبدأ الإخلاء في الساعة الثامنة من صباح السادس والعشرين من شهر سبتمبر (١٩٣٨) وأن تتمه عند انتهاء اليوم الثامن والعشرين

فقال مستر شمبرلن إن هذا إملاء « ديكتات » بغير حرب، وبغير هزيمة على أمة تملك المطالب رهن الاحتلال

واختار شامبرلن كلمة « إملاء » عمداً لأن هتلر يكرهها كما يكره معاهدة الصلح ومعاهدة فرساي على الخصوص، ويعتبرها موجباً لنسخ تلك المعاهدة

فما زاد هتلر على أن قال: « كلا. ليس هو بإملاء » وأشار إلى رأس الورقة قائلاً: « أنظر ... إن الورقة مكتوب عليها كلمة مذكرة ... »

وهو كلام يقال للأهبل المتصنع في ساحة الخطابة فيطربه ويسحره، ولكنه لا يقال في مفاوضات الدول وسفرائها

فالخطابة هي الميدان الذي يغلب فيه هتلر غيره من الأساليب، ومن يغلب به في ميدان آخر

وقد حقق من الخطابة ما يحقق بإرادته ومساعدة الشعب المستعدين للإصغاء والتصديق، وأعانه ذوق الكلام وسهولة التعبير

ولم تؤته الطبيعة من أدوات الخطابة المؤثرة إلا أداة واحدة وهو انقطاع الصلة العصبية بينه وبين الأفراد واضطراره من أجل ذلك إلى مواجهة الجماهير الشعور بالحياة وتنشيط الإحساس،

ومتى نفثت نفسه وجدت الوقت إلى ذهنه فلا يقدر أن يصفه الوقت بعض الخواطر البارعة التي يمثل بها أعداءه في صورة مضرة، أو صورة تستفز الحقد والاشمئزاز، وكلها من ولائد الكراهية وليس فيها صورة واحدة ويهة عطف أو عناية بالآخرين

ويختلف الناقدون في صوته اختلافاً لا يتبين الحقيقة فيه من يسمع الصوت منقولاً بالإذاعة، وهو ينقل بعض الأصوات على أصلها ويعرض بعضها للتحريف وبعضها للتصحيح

فمن الناقدين من يصفون هذا الصوت صوت مبحوحة تصك الآذان، ويقولون إنه أجرى الصيحة الجرمانية في حنجرة الإصلاح هذا الشعب

ومنهم من يعجب بما في صوته من المرونة والتصرف، ومنهم من أصلح الأصوات الخطابية لتمثيل الشعور الكاظم والتهويل على السامعين

وسواء كان العيب الذي يعيبه أولئك الناقدون صحيحاً أو غير صحيح فالمهم في صفات الأصوات أن ترتب التكرار وأن يكون له طابع ولون معروف، وعندئذ قد يصبح العيب حلية مصاحبة لها مع التصحيح والتوفيق.

عباس محمود العقاد

من أدب الحرب

# جبان يصف معركة

للأستاذ محمود الدسوقي

« هذه القصة تصوير صادق لما يعتلج في نفس الجندي في معركة الحرب ، وما يقع في نفسه وعقله وحسه من هول وكرب ، [illegible] شجاعته أحياناً ، و[illegible] عزيمة الجبان أخرى ، [illegible] راوي هذه القصة ، [illegible] على [illegible] ولكن [illegible] . وهذه الصورة [illegible] ما وقع في أوائل حرب [illegible] التي شنها [illegible] على [illegible] إمبراطورة النمسا وحلفائها [illegible] والروسيا والسويد وأسبانيا والريخ الألماني في سنة ١٧٥٦ ، وكانت [illegible] في الغالب [illegible] وبين أصحابه »

قال السويسري الفار :

وأخيراً في الثاني والعشرين من سبتمبر ( ١٧٥٦ ) أعلن النفير وتلقينا الأمر بالسير ، فسرت الحركة في كل شيء ، و[illegible] في [illegible] معسكر و[illegible] الأطراف [illegible] في ساعات . و[illegible] الرحال وتأهبنا للسير ، وصدر الأمر بالتقدم وانحدرنا إلى الوادي ، وأقمنا عند [illegible] (١) جسراً ، وشققنا حول المدينة حول معسكر السكسونيين طريقاً [illegible] طريقه [illegible] . وكان الكثيرون من أسرى السكسونيين يصعدون منه إلى الجبل [illegible] أربعة أربعة ، ويطوفون على امتداد الطريق الطويل [illegible] لا [illegible] . وكان بعضهم [illegible] من تلك الناحية [illegible] مجرى الرأس ، وآخرون [illegible] عليهم [illegible] ، و[illegible] هؤلاء وأولئك [illegible] أن تترك البروسيين [illegible] في ذلك اليوم قطعت قطعة أخرى من الطريق وعسكرنا في ليهشتاين .

وفي الثالث والعشرين كنا [illegible] عقبة [illegible] . وفي الرابع والعشرين [illegible] وبلغنا [illegible] في الضباب مكاناً لا [illegible] إلا [illegible] . وفي الخامس والعشرين [illegible] وصلنا إلى [illegible] أربعة أميال ، [illegible] إلى التاسع والعشرين

نخرج كل يوم للاستطلاع ، و[illegible] أثناء [illegible] للأمام جنود الإمبراطورة ، أو [illegible] من [illegible] فيسقط غير واحد قتيلاً ، و[illegible] كثيرون . [illegible] مصارع [illegible] الأدبار . و[illegible] هذه المصادفات [illegible] ما أقصاها ، فكنت أقول لنفسي إذا دام الأمر على هذا المنوال لا يكون [illegible] شيء [illegible] . وفي الثلاثين [illegible] الزحف [illegible] إلى [illegible] لا يعرفه منا أحد ، ولا يدري من أمره من ثم [illegible] إلا ما يدور [illegible] . وظللنا في تلك الأثناء أسرى [illegible] نعلم [illegible] ولا نأتي [illegible] ، بل نظل [illegible] على [illegible] ، إذ كان العدو على مقربة منا . فلما أصبح الصباح رأينا وسمعنا أخيراً ما كان يجري تحت في الوادي من [illegible] . وفي تلك الليلة [illegible] كثيرون من [illegible] ولم [illegible] لم [illegible] الاطمئنان .

واصطففنا في الصباح الباكر [illegible] من [illegible] إلى الوادي الكبير ، ولم يكن تستطيع تمييز الأشياء من كثافة الضباب . ثم بلغنا السهل أخيراً وتقدمنا إلى الجيش الكبير كنا نزحف في ثلاث كتائب ، واستبنا من خلال الضباب [illegible] كالسحاب جنود العدو في هضبة فوق مدينة لوبوزتس في بوهيميا وكان [illegible] الإمبراطورة . أما [illegible] فلم [illegible] منهم إذ كانوا [illegible] في المدينة . وفي الساعة السادسة قصفت المدافع من كتيبتنا الأمامية كما قصفت بطاريات الإمبراطورة [illegible] بلغ من شدته أن كانت [illegible] إلى الآلاف ، وكان [illegible] في الكتيبة الوسطى . وكنت إلى ذلك الحين آمل [illegible] بالهرب ، فلما [illegible] الرقابة [illegible] الهرب وأسلمت [illegible] ولكنا [illegible] في تلك الأثناء بلا انقطاع ، فلم [illegible] شجاعتي أن [illegible] ، وكنت [illegible] أن أنسل إلى بطن الأرض [illegible] أي خوفاً كالذي كان يمسكني كان يخلع على وجهي شحوب الموت ، وكان [illegible] على سائر [illegible] وجوه أولئك الذين [illegible] لا يبالون . وكانت [illegible] الشراب [illegible] وكل جندي [illegible] كطائر [illegible] القنابل ، [illegible] كان [illegible]

(١) مدينة في مقاطعة [illegible] من أعمال سكسونيا

على آخر جرعة في قنينته واستمد منها شجاعته في ذلك اليوم؟ أما الغد فقد لا تكون به حاجة إليها. وقصدنا الآن إلى مرمى المدافع إذ كان علينا أن نخلص الوصف وكتيبتنا الأمامية من هول ما شهدت! كانت كتل الحديد تئز فوق رؤوسنا، وتقع تارة أمامنا وتارة تنقذف إلى الأرض خلفنا، فيتطاير التراب والحصى والكلأ والحجر! وتدعنا أحياناً نحس أجسامنا ونجر أعضاءنا كما يجر المثخن الجريح. ولم يمكن سير قافلتنا إلا مرسلاً الصعود فأي يختلف الحركات، فتارة تستعرض وطوراً تنحدر، وآناً تزحف سلفاً وآونة ضرباً تستظل فيه. وعصفت برصاص أيضاً وكرت على الصدور ... به من وابل من الشظايا يسقط متقصفاً ويمضي خاطفاً! ولم تمض ربع ساعة حتى تحركت فرسانك مسعورة وقد هربت الخيول وكسرتها حتى صرعى معاً. وهنا شهد ما أعجز المرء بأن يطيقه! خيول يعلق فرسانها في الركاب، وأخرى تجر أصحابها على الأرض. وكنا في تلك الأثناء ما نزال تحت نيران العدو حتى بلغت الساعة الحادية عشرة وجناحنا الأيسر لم يطلق رصاصة، على حين كان الأيمن يخوض المعركة ويصلاها وظن المتكبرون أنه لا بد لنا من الهجوم حيث يرابط جيش الأمبراطورة. ولم أكن في ذلك جريحاً كما كنت من قبل، وإن كانت ثيابي المشتبك لم تقفا تعلل من كتف واللهدان تنطلي بالقتلى والجرحى. وإذ ينتصف النهار أو يكاد سمعنا الأمر إلى الأمام واتجهت معه الأرجاء، فقلنا لبيك إلى العسكر فكيف القتال! وصعدنا منحدرات الكروم بخطى حثيثة وقلوب مستبشرة، وملأنا خلاخلنا من حوالي الكروم وأكلنا من أعنابها عنباً، ولم يخطر في بالي سوء على بال، وإن كنا ما زلنا نرى من القمة إحراقاً في القممة تحت الغبار والدخان، ونسمع صفيراً صاعداً فلا ندري على التحقيق من كتيبة النصر. ولكن مولانا يطرحونها في تلك الأثناء مستندين في الخيل، مختبئين في الحصيدة إلى أن ألحق في صدرها جراحين. فلما نصب طليعتنا القمة صبنا الرصاص يطلق إطلاقاً مرهباً. عرفنا آخر جيبة الغبار، حتى بضعة آلاف من جنود الأمبراطورة قد كانوا تلقوا الأمر بالصعود إلى التل في الجانب الأيمن لينقضوا على جيشنا من خلف، فأضحى الخبر يحولونا مكان أن أرجعونا على أعقابهم ونقد ديوم،

وقد تأخرت بجمع دقائق ... الفئة بحراً ... من الشرق وشدت عزمه، لا يوصف قبل أن يتمكن من الصعود ... القمة. وتمكنت منصتنا من أرغامه وانتهت ... تعجب حتى تم له احتلال القمة. وكانت جثث القتلى وأجسام الجرحى تؤلف تلالاً تحت أقدامنا تشتري به. وسرنا في أعقاب البندوريين نجليهم عن منحدرات الكروم درجة درجة ونطير ... من صخرة إلى صخرة حتى بلغنا السهل. وطغى البروسيون الأسيرون والبراندنبرجيون على البندوريين كالطوفان، وكنت أنا حين من الوطيس كمن به مس لا يحد خوف أو تلفت إلى غير سبيل، فأطلقت طلقاتي الستين في خرط واحد، حتى إذا أتيت عليها سحبت بندقيتي وألقيت في جمع كالحجر! عددت أسيرها من ثلاث وأحسبني في تلك الأثناء ما ألقى إلى جانبي صاحباً به وكان السكل قد هرعوا إلى الحرب طلقاً. وأخذ البندوريون صبراً كرام آية فوق السهل قبالة لوبوسيتس على مقربة من الماء، وجعلوا يطلقون بنادقهم مستبسلين على منحدرات الكروم حتى مضى غير واحد منهم وإلى جانبي في الكلأ. وكان البروسيون والبندوريون يختلط بعضهم ببعض في كل مكان، فكل واحد من الآخرين لا يزال يصرع ضرب النار ... على أم رأسه أو طعن بالسنان. واستمر القتال بالسهل. ولكن أنّي لا أدري أنّي ... سمعت والدخان والحر يتصاعدان من لوبوسيتس، والمد والرعد يصمّان الآذان، والسماء والأرض تكادان تنطبقان.

أنّى لا أستطيع أن أصف ذلك الفرح الذي أحسست ذات الطبول وتلك الحرب التي تزلزل القلوب أو يتقدم الزاحم من موسيقى للهيال المختلفة الألوان، وتلك الصيحات المنبعثة من كثير من الفولاذ، وتلك الزمجرة المرعدة من ساعديهم، وتلك الاستغاثة وتلك الاستصراخ المتصاعدة من آلاف مؤلفة من ضحايا اليوم الأشقياء للموسيقى الأعظم أصم الورى! لقد كان هناك يضحي بالرءوس وكانت الساعة الثالثة ولوبوسيتس تحت النيران وجنودنا مقدمتنا يطبقون على البندوريين كالأسود الكاسرة، فهلك منهم كثيرة منهم إلى الماء وسقطت معها سرح المعركة والقلان في ...

(١) فرقة من جيش الأمبراطورة ماريا تريزا كانت مؤلفة في حرب السنوات السبع من المجر والكرواتيين والصرب.

الصحة لم أكن ضحية القتال في الطليعة ، بل كنت في المؤخرة لا أزال على جبل الكروم ، بينا الكثيرون غيري كما أسلفت القول يعبرون في سبة من جرحة في مقبل إلى جرحة يبادرون إلى محنة الإخوان . وقد كنت لا أزال دون الرتبع أطل على السهل ، كما لو كنت أطلع في جو حالك صوبه فتساقط به القرة ، فقلت لنفسي : هنا أو هناك قد آن ، أو قال لي على الاصبع الملك الذي كان يحرسني : بل كن إلى القرار !

فطفت من حولي فإذا كل شيء أمامي نار ودخان وغبار ، ومن حولي جنود كثيرون ما برحوا يهرعون للاقتصاص على الصدور ، ومن يمين جيشان كبيران على أتم الأهبة للقتال ، ومن شمال منحدرات الكروم وأدغال وغابات ، وهنا وهناك بضعة من البروسيين والبندوريين والفرسان قد أرى تلاحم على جرحاهم ، فقلت : هنا أهنا ! إلى هذا الجانب وإلا استحال الأمر علي

فمشيت بسرعة عند أول الأمر في مضيق أحترق الحوالي وكان بعض البروسيين لا يزالون يعبرون في سرعتين ، فكانوا يقولون لي : نعم ! نعم ! أيها الأخ فالمرور لنا ! أي أنا في أمر جيوبًا بل مشيت قرابة أن جرح ، ووضعت قصبة أرضي من الثوب ما في ذلك شك . ولم أجد في تلك الأثناء حتى لا على لأحد برأي [illegible] ساعة من خطوي وأحسست في سيري وعثرت فيه ، وأنا أنهضت بصفة ويسرة كالمجانين ، وتطلعت من بعيد لآخر مرة في حياتي إلى ميدان الحرب وحومة القتال ؟ ثم انطلقت ساقي الريح بجانب الغابة ، وكانت ملأى بفلول الفرسان والبندوريين وحثالة الخيل ، وعدوت عدوًا سريعًا إلى النهر ، ووقفت عنده . فإذا بضعة من جند الإمبراطورية الصابئين الذين تسللوا مثلي من المعركة يعبرون إلى بلادهم عندما أبصروني ويبادرون إلى التصدي [illegible] آخرين من هابين يتعقبون التي طرحتها ، ويقلبون الحي كنت أروح بها وأشير الإشارة اللازمة على أنهم يطلقون النار ، فاعترف أن أعين اليهود لم تتلكأ أسرى بأن يطلقوا على النار كما علمت بعد ذلك . ولما حلت وقت هم إلى فئة من الجيش ، لم يخلوا من شفقتي ، ووعدوني بأن يرحلوا إلى في بعد ... لكن التي مستعمرة علينا لم يلبث أن أخذتني على الأثر ، وانطلقوا إلى القرية التالية وكانت سعد ساعة كاملة من أوستنش ، وكانت لنا في خلال ذلك جولة في السماء ويبس من شدة صوت وزرقة وجوههم ، وصراخ الأطفال وعويل النساء والأطفال ترتفع كلها إلى أجواز الفضاء ، ويكفي [illegible] أن يمر أولاً حرفًا من البروسيين ، ولكنهم [illegible] جد قريبين ، أو لعلهم يجهلون [illegible] ولم أكن في تلك الحالة في بل نفرت إلى وسط زحمة من النساء ، ولولا أن الفلاح صدني يلبس إلى خارج الزورق لمنا من الترقية ، وكان في الضفة الأخرى [illegible] حول الشوارب الشقراء غالبًا حسنًا ، وقدموا إلى التبغ والشراب على الرغم من عجزنا الجدي عن الطعام ، وأصعدوني صحبة إلى ليتمرتز [illegible] ، حيث قضيت ليلتي مع بعضه من [illegible] وأنا غير آمن [illegible] على رأسي . لكنه قد كان يلح على جهد الشهر [illegible] رأسي مكانت هذه النقطة الهامة آخر ما فكرت فيه

وفي الصباح وكان الثاني من أكتوبر قمت إلى [illegible] حيث معسكر الفرقة الأمبراطورية [illegible] وهناك التقيت [illegible] كلهم صوب على طريقته ، وفي [illegible] ولشد ما ابتهجنا باللقاء [illegible] وفرحنا بالنجاة والحرية . وطعمنا [illegible] وتذكرنا من الإخوان [illegible] وتساءلنا أين هم يا ترى ؟

وسمح لنا بالتجوال في المعسكر ، ووصف الضباط والجنود [illegible] تحدثت عن أخيه [illegible] ويحدثنا كيف يستحيل [illegible] بالماضية واجتراح [illegible] من البروسيين [illegible] من شرهم وتنكيلاً من شأنهم

وكان بين جنود الإمبراطورية من تم على هذه الشاكلة [illegible] على أطول [illegible] على الصدور ، وانطلقوا بعد ذلك إلى [illegible] أسيراً من فرسان روسيا فكان [illegible] لم [illegible] من جرح أو علل ، وبعضهم قد [illegible] وجهه كله ، وبعضهم قد أصيب في رقبته أو أذنه أو كتفه أو غيره . وقد كانوا جميعًا يأملون ويتمنون ، وكم [illegible] أولئك البائسون أن [illegible] هذا المسير [illegible] ، وكم حمدنا نحن الله على ذلك وأثنينا عليه . وقضيت الليل في المعسكر ثم [illegible] ، ثم بعثوا بنا إلى قرية بوهيمية

# في سبيل إصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى

عند الأزهريين ، ومن يهمهم أن يصير هذا المعهد الجليل في مستوى رسالته الطيبة ، للأستاذ الكريم الزيات أن خصص مسألة إصلاحه شيئاً غير قليل من عنايته ، وأن وسع للكاتبين فيها جانباً من رسالته ، وبعد أن وصل الأمر بالشيوخ إلى تحديد الغاية وتعبيد الطريق وتعيين الوسيلة . ولكني — ويشاركني في هذا كثيرون — أخشى أن يطوي علينا الأمس ، ولم نتحرك من الطريق ، فيختلط علينا الرأي ، ويموت المريض ، ونصبح وقد صرنا أكثر مما نحن شتاتاً واضطراباً

لهذا رأيت أن أكتب هذه الكلمة الأخيرة ، وأنصرف بعدها إلى غير ذلك من شئون

إنما ينجح الطبيب إذا صدق مريضه القول وصدق له الرأي وصارحه بدائه من جملته . وإنما ينجح المريض متى وثق بطبيبه ، وأفضى إليه بسره ، ووقف على خطورته ، وأحس بحاجته للعلاج . هنا كان واجب الطبيب أن يسائل المريض بالله وأن يدعوه له ، لكن في ثقة لا تعرف اليأس ، وطمأنينة لا تعيب الأمل ، حتى لا يكون كل بعض يديه من مختلف [illegible] الاختصار

من أجل ذلك كله لا مدى رأيي من يدعو للإصلاح [illegible] يتأنى له ويلتمس له الوسائل ويستكثر له الأعوان ، [illegible] أخشى من أن يلحق الطبيب ويطلب الخير [illegible] أقرب إلى صدق الدعوة قولاً ، والكلام عملاً ، وأمون في شرع الأدب وأهدى لنيل الوطر . على أن الأمر المرجى قد يكون بالنأي ، وجودة النفس قد تكون دونه ، فيه القلم أحياناً وتبتعد أحياناً ، وهنا نخص للداعي سبيل السمو من خلوص النية وبذل الجهد ، ما دام لا يجعل دعوته ذريعة إلى حاجة وسبيلاً إلى مراد

ومهما يكن قلت من وصرت أن تنكشف الحركة القائمة الآن من بعض مقالات لا تعدو أن تكون كصرخة الإنسان [illegible] ، أو [illegible] ، أرجو أن نخص منها ولد وحب [illegible] ، وأعصب القلوب والمراثم ، [illegible] الجميع على ما فيه الخير للمعهد الذي تشرف بالانتساب له ، و[illegible] الجهود لهذا الأمر جميعاً [illegible] من أجدى أسباب الإصلاح التي يجب أن [illegible] أن تكون كما [illegible] في كل [illegible] وكل الواحد منا على كل شيء ، [illegible] في خلقه وعلمه حتى يصير مثلاً طيباً لطلابه ، يلمس عواطفهم ويصعد خطامهم ، ويشركهم في خير ما يقرأ ويدفعهم للمطالعة والبحث والاتصال بالحياة [illegible] التي لا تعدها الكتب المقررة والمناهج المرسومة [illegible] في غير [illegible] ثم [illegible] أن [illegible] مع [illegible] الآلام والآمال [illegible] أو إعلان [illegible] الإسلام [illegible] وما طوله الزمن [illegible] الأعلام في القرون الأولى قبل [illegible] والتفاني التفاسير

ومتى هذا وذاك يكون رجلاً لا سلطان عليه لغير ضميره ، ولا سبيل للحرية والهوى [illegible] لا يجامل على حساب المصلحة العامة ، ولا [illegible] الحق [illegible] الإصلاح المرجو بسير [illegible] دائب للتحاول

وقديماً قالوا : من جد وجد ، ومن قدح الفكر [illegible] ولا [illegible] كان [illegible] ثورة [illegible] الأخرى دون أخذ بالعمل

---

حيث مكثنا قليلاً ، ثم وصلنا إلى « رابغ » في اليوم التالي . وهنا [illegible] كل ستة أو عشرة أو اثني عشر معاً ما داموا يلبسون طرقاً واحداً . وكنا خليطاً عجيباً من السوريين والشوام والمكسيكيين [illegible] وأبناء الشمال والحبش والفرنسيين والبولاكيين والأتراك . وكانت رابغ [illegible] خوفاً من البدويين ويتقول عنها ما لا مثيل له . وكان أهلها قد علموا بنتيجة معركة [illegible] وأيقنوا أن القتال لا بد أن يكون على الأبواب . وهناك أيضاً [illegible] بالأعلاق [illegible] ما يعرفه البدويون ، فكان بعضنا [illegible] الأوامر الجازمة ، [illegible] مسرعة في [illegible] والقول بأن [illegible] قريب للزائر وإنه عنق كالشيطان .

[illegible]

للتبح سير علينا الإصلاح ونأى مقربه وتقاعس دونه

بقيت كلمة وبها الحديث: هي ملاحظة صغيرة على الإشارة التي جاءت في «رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر» إلى معهد الدراسات الإسلامية [illegible] فهي هذه الإشارة تفهم أن هذا المعهد يلحق الأزهر في بعض ما تسبب له نفسه من مهام، وأظن أن هذا ليس من الحق في شيء؛ فعلاوة على ما عرفته من طول ترددي عليه والتقائي به انتفاعاً كبير الأثر – فهو من مكتبة الجامعة العامة، يجمع فيه المؤلفات الخاصة بالعلوم والدراسات الإسلامية بوجه عام، سواء أكانت باللغة العربية أم بغيرها [illegible] فالباحث إذا أراد أن يبحث موضوعاً ما، كالغزالي مثلاً، مؤلفاته المطبوعة بمصر وغير مصر، وقدراً كبيراً صالحاً مما كتب عنه بالعربية أو غيرها من اللغات، ذلك ما يزيد على أربعين مجلداً جاءت من المستشرقين الفرنسيين، مع تعريف واسع بالمخطوطات الإسلامية الموجودة بمكتبة باريس العامة، وعرض لبعض نصوصها؛ وإلى فهارس للمطبوعات والمخطوطات الإسلامية الموجودة بالمكتبات العامة بمصر وأوربا؛ إلى كل هذا وما إليه منظم موضوع على سبيل الفراغ لمن يريد، حتى إن الباحث وهو جالس إلى إحدى المناضد في جو هادئ، بين تلك الآثار العلمية الإسلامية يشعر أنه لا يكاد ينقصه شيء في سبيل الوصول لما يريد من بحث وتنقيب.

أين هذا من مكتبة الأزهر التي لم أستطع ولا يستطيع غيري أن يدفع [illegible] على ما هي عليه من ضيق مكان، ونقص موظفين، وإهمال وعدم رعاية!

وكم [illegible] ذلك العمل الجليل، وينظر إليه النظر الشزر، على غير معرفة به، بدل أن نشكر من كان له الفضل في إنشائه

أفرغ جهده من علم؛ لأني لا أعلم أن أحداً من الأزهريين — حتى طلاب التخصص — تردد على هذا المعهد للانتفاع به، رغم دعوتهم [illegible] إليه، إجابة رغبة حضرات الموظفين القائمين بشئونه.

لو أن إخواننا الذين اشتركوا في صياغة «رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر» عنوا بالتعرف إلى ذلك المعهد الذي يؤدي الآن عمله لا يؤديه غيره، لما [illegible] إليه [illegible] من يجب ذكره عن غير علم. ولعل منهم من [illegible] أشد الحاجة له لتحصيل ما يطلب منهم من بحوث [illegible] علمية في الامتحانات!

* * *

وبعد فلعلي وفيت بعض الشيء مما يحق بسبيله، والله المستعان

محمد يوسف موسى
مدرس بكلية أصول الدين

# الحرب في أســـبوع

## للأســـتاذ فوزي الشتوي

### مفاجأة .. ولكن

كانت أبرز حوادث الأسبوع الماضي حدثاً تسليم الجيش البلجيكي بأمر مليكه. وكانت الحادثة مفاجأة لم يتوقعها العالم، بل لم تتوقعها جيوش فرنسا وانجلترا من أصحابها شيئاً. على مفاجأة لم يقل وقعها على نفوس القراء من الحوادث الماضية. واختلف الناس في تقديرها، فمن قائل إنها نتيجة يأس استولت على الملك ليوبولد في ساعة فزع واضطراب أعصاب، ولا سيما بعد ما والى الجيش الألماني هجومه في البلجيك، ومن قائل إنها نتيجة مؤامرة ارتكبها الملك بالاتفاق مع الألمان، ومن فريق ثالث يقول: كانت خطوة متوقعة سبق فيها الملك ليوبولد الثالث على مثال قرار قيادة الجيش الهولندي حين أمرت جيوشها بوضع السلاح.

وليس لنا أن نقرر الدوافع لهذه الخطوة، فهي كما قال المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية عند الملك وحده؛ ولا نحكم على مسلكه الآن، ولكن هذه الخطوة تركت ظاهرتين تتلخصان في انفعالين عميقين عظيمين: سيطر الشعب الفرنسي بالمرارة وتعصب ظهرا في حديث المسيو رينو، أما الشعب البريطاني فهدوء وثبات ظهر في حديث رئيس الوزارة البريطانية.

والهدوء والثبات في قيادة الجيوش من أكبر وسائل النصر، فهما عاملان كبيران للاحتفاظ بالعقل والتفكير. ولا أذكر أن الجنرال فرانش قائد الجيوش البريطانية في فرنسا سنة ١٩١٤ لم يجد كلمة يمدح بها أحد قواده في أحد المعارك أبلغ من أنه كان مثال البرود والسكينة في تلقي الأنباء وإصدار الأوامر.

### بين تسليمين

ويختلف موقف تسليم الجيوش البلجيكية الآن عن تسليم الجيوش الهولندية اختلافاً بيناً. فقد كان الجيش الهولندي يقاتل وحده ولا تقاتل معه قوات الحلفاء مواقع تشد أزره أو يشد أزرها ولم تكن الحركة خلفه لتعرض مصيرها كما هي الحال مع جيوش الحلفاء في الشمال. ولم يكن لقرار ليوبولد إلا أن عرض جيوشها وسلاحها، وهنا أمر كبير وعدم من قرار انسحاب القوات البلجيكية من مواقعها فتأمن سراب واستطاعت القوات المتحالفة.

وقد عرفنا أن من تقاليد الجيوش البريطانية والفرنسية ألا تلقي السلاح حتى إذا ... الخطأ الفادح الذي جره إلقاء الجيش البلجيكي لسلاحه. وإذا كان ثمة خطأ يسند إلى الملك ليوبولد، فلأنه لم يقدر مودة الحلفاء بالخطوة التي اتخذها الخطة من التشاور ما يريا الصدع الذي أحدثه انسحاب قواته.

### بين المساء والصباح

أصغى إلى ذلك ... والتعليقات عليه تلك البرقيات صباح يوم الثلاثاء من أنباء تهلل لها وجه الناس بالبشر والأمل، فقد وصلت جيوش الحلفاء إلى باوم، وهي تقع في منتصف الطريق إلا قليلاً بين حوض السوم ومدينة أراس. ومعنى هذا أن جيوش الحلفاء تمكنت من الضغط على رقبة القوة الألمانية الممتدة من هذا المكان إلى سواحل البحر. ولو تيسر لها أن تصل خطوطها بين جيشي الشمال والجنوب من هذه الناحية لسهل عليها أن تحصر هذه القوات وتمزقها من قواعد تموينها، وبالتالي تقضي عليها قضاء مبرماً.

وذهب بعض الناس إلى أن هذه الخطوة معناها انتصار الحلفاء وبدء الهزيمة. فقد سحبت ألمانيا كثيراً من قواتها من خط سيجفريد ومن على الحدود السويسرية لتعزز أو لتكمل كما أنهت مواقعها بقوات ميكانيكية هائلة هي في الواقع صفوة القوات الألمانية التي أحدثت الموقف الخطير الحاضر. وبعدنا هنا على أن استيلاء القوات المغيرة قد يعد ... من قوات رئيسية.

وقد رأيت كثيراً من الناس يحصرون دبابيس كبيرة في هذا الموقع ويضطرب بعضهم في مراكزهم كأنما بدا من جديد ... في الجيش الألماني، ثم وصف مواقع الحلفاء بخطوط ... ووضع السلام يسوده العالم. ولكن ما كانت تعليقات الصباح تصل حتى نبأ تسليم الجيش البلجيكي حتى وجم جمهور الحرب، ووقفوا أمام مراكزهم مترددين أين يضعون دبابيسهم، وكيف يصورون الموقف على ضوء الحوادث الأخيرة.

وأمس خطاب المستر تشرشل وتصريحات وزراء بلجيكا كثيراً من الأخبار ... وإن كان كثيرون قد حسبوا أن يطول أمد الحرب. بل قال بعضهم إنه خير بأن

من الشرق ، فتتركز قوات الحلفاء في فرنسا ويستقر القتال في ميدان واحد بدل تشتيته في عدة ميادين ، وتقل خطوط مواصلات الحلفاء ، وتتحول الحرب إلى جبهة واحدة بدل جبهتين فقد كانت بلجيكا عبئاً على الحلفاء

سبب ثالث

وإذا قارنا بين الحرب الحالية والحرب الماضية وجدنا وجوه الشبه في أسباب وحدة . فألمانيا تبدأ الحرب بقوة هائلة تسيطر على من الأمم تساعدها مواردها واستعدادها ، بينما يبدأ الحلفاء حربهم بقوات قليلة تكبر كلما طال مد الأمد . فلقد احتاجت إنجلترا وفرنسا إلى سنتين واستطاعتا تلافي النقص في الإنتاج الذي صفته الأيام ويزيد إنتاجه

فقد بدأت ألمانيا استعدادها لهذه الحرب منذ تولى هتلر الحكم سنة ١٩٣٣ ، فأصبح جميع موارد ألمانيا لهذه الساعة بينما بدأ الحلفاء استعدادهم من سنة ١٩٣٨ . واعتمدت الطريقة الخاصة لهذا الاستعداد في الأسبوع الماضي عندما وضعت الأفراد والمصانع تحت الاستعداد العسكري . ولعل البعض يرى في هذه الحركة تهاوناً من الحلفاء إلا أن من يعرف شعورهم واستعدادهم وسياستهم وثقافة شعوبهم يقدر خطورة هذه الخطوة الأخيرة ومدى تأثيره على الأداة الحربية من تحسين

فالحلفاء جنوداً حاطتهم ظروف لا حاجة حتى إننا نحتاج إليها الآن حدثت في قتال ولو عدنا بالذاكرة إلى بدء القتال الحرب ، وشاهدنا ما جعله الحلفاء في نظام وزارة الحرب الاقتصادية عندما نفذ الحصر البحري ورأينا مدى تقدمهم في وضع مشروعاتهم

في ٢٤ ساعة كان الحصر البحري على ألمانيا نافذاً ، وفي ٢٤ ساعة تقدم مكتب الحصر البريطاني إلى الدول المحايدة بقوائم تبين حاجة كل منها من الحاجات المسموح لها بالمرور من الحصر البحري والتي لا تترك لها فائضاً يمكن لألمانيا أن تستفيد منه . لو رجعنا إلى هذه الحوادث استطعنا أن ندرك كيف يسير المشروع الجديد وكيف يتم إعداد الحلفاء العسكري

كيف نساعدهم

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا السبيل الولايات المتحدة وما تقدمه للحلفاء . فإن الطلبات التي اعتمدت حتى الآن لا تتجاوز أن تكون مناسبة لإنزال جنوداً للمساعدة وقد تكون سبباً يكون وقد ينتهي بعد موسم الحرب بقوات عربية ، وليس بعد فقط . ومتى لم يقدم إلى الحلفاء مساعدة جدية حتى الآن في أن مصانعها تستعد لمواجهة الحالة ، ولم يشد إعدادها عدداً مثيلاً من الطائرات . ومن يعرف رغبة الأمريكيين في تنظيم أعمالهم ، وتشغيل مصانعهم للإنتاج كيفت وبدء ، يدرك مدى العمل الذي وصل إلى الحلفاء كل فترة قصيرة

والثالث أن يستقر الوضع الحالي في البلجيك على وضعين : إما أن ينسحب الحلفاء ويخلوا البلجيك وينقلوا قواتهم إلى فرنسا عن طريق البحر ، وإما أن يستقروا في هذا الميدان بعد أن يمدوا قواتهم هناك بقوات جديدة على أن تكون مواصلاتهم عن طريق البحر . وأعتقد من خير الأمور حتى كتابة هذه السطور أن الحلفاء ينسحبون من بلجيكا ويعبرون بقواتهم من فرنسا حيث أقاموا خطوط قتال قوية تسهل عليهم الاحتفاظ بمراكزهم إلى أن تنهار ألمانيا اقتصادياً أو عسكرياً

النظرة الثانية

أما في ميدان القتال فإن جنود الحلفاء في حالة حسنة وفي موقف عسكري قوي يساعدون على تطهيره من القوات المتقدمة . ولا يمكننا أن نعرف خطوة ألمانيا التالية بعد استقرارها في الميدان الشمالي في البلجيك . هل تهاجم خط الدفاع الفرنسية الشمالية الممتدة على نهر السوم إلى ترعوى ؟ أم تهاجم فرنسا باختراق حدود سويسرا ؟ أم تتجه اتجاهاً آخر للاستيلاء على موارد حديدية بالهجوم على البلقان ؟

فالواضح من الاستقرار الأخير في جبهة فرنسا الشمالية أن قتالها يطول وعدتها لا تكفيه الموارد الألمانية . فإذا هاجمت فرنسا باختراق سويسرا عن طريق مقاطعة بازل فلا يحتمل أن تصيب حظاً من التقدم ما أصابته في بلجيكا ، لأن الحلفاء لن يعتبروا من جهة موقف . أما في البلقان فقد أعلنت الروسيا حرصها على الاحتفاظ بحالة الراحة هناك وإلا فإنها تحارب العدو . ولهذا ينتظر أن يدوم فترة هدوء وسلام بعد تحويلها عن رأيها ، وإني كما أعتقد أنه ليس من مصلحة ألمانيا أن تشتبك في جبهتين كما قلت في مقال سابق .

فوزي الشتري

بكالوريوس في الصحافة

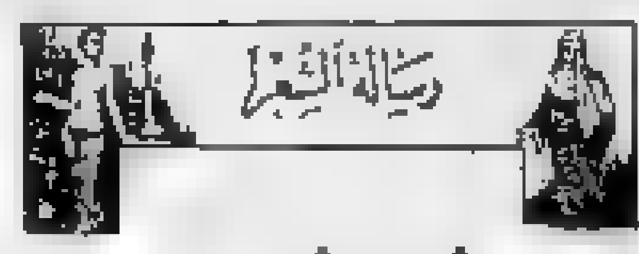


# أنت وأنا . . .

للأستاذ أمجد الطرابلسي

إن رأيت الليلةَ حالكةً قبلها [illegible] البرقةُ الساطعة
والطبيعةَ لشرقةَ ضاحكة تُحرّبُا [illegible] الصادقة

فأنتِ البسمةُ يا [illegible]
وأنتِ الطلقةُ يا [illegible]
يا [illegible] أنتِ ويا [illegible] !

إن [illegible] الناسكَ في [illegible] [illegible] [illegible]
والفاجر [illegible] في سُكرِهِ [illegible] [illegible] من [illegible]

فأنتِ الناسكُ يا [illegible]
وأنتِ السكرانُ يا [illegible]
يا [illegible] أنتِ ويا [illegible] !

إن رأيتَ الشاعرَ [illegible] [illegible] الحسنَ على [illegible]
والأهوجَ [illegible] [illegible] [illegible] الأجسادُ من [illegible]

فأنتِ الشاعرُ يا [illegible]
وأنتِ الأهوجُ يا [illegible]
يا [illegible] أنتِ ويا [illegible] !

- - - - - - - -

إن تجــدي للبينِ [illegible] [illegible] (الحورية) [illegible]
والـ[illegible] [illegible] الأرضا [illegible] [illegible] من [illegible]

فأنتِ [illegible] [illegible]
وأنتِ [illegible] الأرضُ
[illegible] [1] أنتِ [illegible] !

(باريس) أمجد الطرابلسي

(١) [illegible]

# وهفـــا قلبي إليك

للشاعرة الفلسطينية الآنسة «دنانير»

[illegible] في أفق [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible] يا [illegible] [illegible] [illegible]

وهفا قلبي إليـــكْ
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

لا تَعِبْ يا حبيبي [illegible] [illegible] قلبي [illegible]
لا ، ولا [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

• • •

يا [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] أصبحتُ كما أنت [illegible]

[illegible] [illegible] أنت [illegible]
[illegible] بالبال [illegible]
آه يا [illegible] [illegible]

كل [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟
وقلبي من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

• • •

أيها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قلبي
[illegible] ، فكانت [illegible] [illegible] [illegible]

أنت دنيا من فنون
[illegible] [illegible] [illegible]
كيف لا [illegible] [illegible]

[illegible] قلبي ، لا [illegible] يا [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ، لا [illegible] من [illegible] [illegible] إنه [illegible]

(فلسطين) «دنانير»

# من اللهب!

للأديب عبد العليم عيسى

---

بكيت للأسرى [illegible] وما حيلتي [illegible] … بكيت ولي ظني شجوي [illegible]

علام تلومون الجريح على البكا … أما كان أحرى أن تلوموا بما أرى

[illegible] فلم أسم [illegible] … إليه [illegible] حروبي وأشواقي

كأني لم [illegible] … [illegible] لأحيا [illegible] طرق أبي

حياتي [illegible] … و[illegible] الذي يحكم [illegible]

هنا في فؤادي صرحة [illegible] … [illegible] بعرف تطول [illegible]

[illegible] الأمطار حولي [illegible] … من الرعب [illegible]

أنا الشاعر [illegible] أغرودة [illegible] … ومن حزني [illegible]

[illegible] على [illegible] عند الأسى … [illegible] هواك [illegible]

كنت الذي [illegible] … وأني [illegible]

طريق لأعلم [illegible] … [illegible] لأتقاني!

أنا واقف [illegible] … [illegible] من [illegible]

ألا [illegible] بكيت على الذي … فلن [illegible] من [illegible]

(دمنهور) عبد العليم عيسى

# عبادة الأصنام

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

---

أيها المدعي العبادة [illegible] … [illegible] من [illegible] الأخلاد!

[illegible] الشمس ونحيا … [illegible]

[illegible] من [illegible] … [illegible] من [illegible] للعباد

[illegible] نائما [illegible] … [illegible] بيته الأخلاد

فأنا نائم [illegible] … [illegible] في الفؤاد

[illegible] أنبيه والنـ … [illegible] عبادة الأجساد

[illegible] الفقيه [illegible] … [illegible] في اعتقادي

تلمحني [illegible] الأصفاد

الرسالات والمعاني والأعـ … [illegible] الأعماد

وخيوط الأمرار [illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] في [illegible] … [illegible] بالسهاد

وصلاتي [illegible] … [illegible] في البلاد

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible] الأعماد

[illegible] … [illegible] الأشهاد

[illegible] … [illegible] الإنشاد

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible] القياد

حسن كامل الصيرفي

من وحي الربيع [illegible]

# قوس قزح ...

للأديب علي أحمد باكثير

---

أي جسر [illegible] … [illegible] من أفق لأفق

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] الأضواء … [illegible] الكون [illegible]

أي حسن [illegible] بنوره

أي سحر عبقري في [illegible]

[illegible] جميعا [illegible]

[illegible] كون [illegible] منثوره

[illegible] يبهج [illegible]

[illegible] فوق [illegible]

مواطن وظواهر

# عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

---

١٠ - من الصحافيين

## عبد القادر حمزة باشا

كانت الحركة الوطنية في مصر لسان وقلم ، أما اللسان فكان لسعد زغلول ، وأما القلم فكان في يد عبد القادر حمزة ، ومات صاحب اللسان ، وظل صاحب القلم يكتب ، ولكن ظهرت فيه بوادر محنة أخذت تزيد وتتزايد حتى أصبحت أوجه الشبه بين آثار هذا القلم اليوم وبين آثاره في أيامه قليلة وضئيلة ... ذلك أن الأستاذ عبد القادر حمزة باشا جنح إلى العقل والمنطق جنوحاً كان يقطع الصلة بينه وبين الجمهور الذي يلذ له التهويش ، والذي يحب هو مهوشه على الحقائق

علا الأستاذ عبد القادر باشا عن مستوى القرائين السياسيين وتمكنت فيه استقامة الفكر والأمانة عليه حتى هان عنده الرواج الشعبي فلم يعد يجرى وراء القراء ، وآثر أن يوجه القول لمن يريد أن يسمع وأن يفهم ؛ وقد تعنت الجمهور من أنه يقول ما يجب أن يسمع ولأن يفهم . فقد كان هو أول من نادى بوجوب تأليف الوزارة القومية عند نشوب الحرب الأولى في الحرب الحبشية ، فأنكرت البلد رأيه حتى ألفت الجبهة الوطنية بعد أن تحولت المناوشات الحبشية إلى حرب ضروس ، وحين لم تعد مصر واجدة بداً من تنفيذ فكرته هو ، أو الفكرة التي آمن بها وتحمس لها وأقنع زمناً بالدعوة إليها

## الأستاذ طاهر الطناحي

العمود الفقري في دار الهلال ... بعد وفاة عميد الصحافة الأستاذ إميل بك زيدان ، وأحدث أعضائه بين الصحافيين ... الجمهور لا يعرفه كثيراً لأنه لا يوقع للمقالات إلا قليلاً ، وذلك إذا كتب ، فحسبه أن يكتب ، ويرضى عنه أن يستكتب أولئك الأفذاذ الذين تطالع مطبوعات دار الهلال قراءها بمختلف أقلامهم ، ومن هؤلاء يتكون عمله في بعض الأحايين ، وهذه مهمة خطيرة

، ودليل ذلك أنه يجمع أعصى المعلومات والبيانات والإحصاءات والصور التي أغنت دار الهلال خدمة جمهورها

للأستاذ طاهر الطناحي هذا العمود الفقري وبنائه في دار الهلال ، زميل له هو الأستاذ ... تكون من غير أن يبذل مجهوداً جباراً ، ولكنه يطلق العنان أفكاراً ، فهو متخصص في البحث في أسباب رواج المجلات ... ويوفرها في مجلة «الاثنين» التي يدير تحريرها ، فلا يرى في عدد الأسبوع الماضي ... وفي الأسبوع المقبل ... ، وفي ثالثه حملة مصورة منظمة على موطن من مواطن الضعف في الحياة المصرية ، وفي الأسبوع الرابع عدد خاص بمسألة من المسائل التي تشغل بال الجمهور ، وفي الأسبوع الخامس هدية رائعة ، وفي الأسبوع السادس صور تؤخذ للجمهور من قراء المجلة وهي في أيديهم ثم توجد صورته له جائزة ، وفي الأسبوع السابع باب يفتح في المجلة يتوسط القراء في الحكومة ، ويتوسط لهم إذا استطاع ...

---

ورشف الأرواح من صحو نميره

وصبيب الأنس في صحو غديره

وترى القشوة في ... نحوره

إن هذا الكون ... سروره

ورهفنا من ... ديوره

و... ... ...

وطوى ... ... ...

وكرى ... ... ...

وشجى ... ... قبوره

حقاً يا ... ... ... ... ستوره

يحجب الآلام والآكام عنا والشرور

علي أحمد باكثير

أعجبه هو أيضاً هذا الصحافي الذي لا يعرفه الجمهور، وهو شاب وعمله الأول الصحافة في المقطم، ولست أدري كيف ثاب هذا الصحافي الناشئ هو وزميله عن ذهن الذي حاور للدوسجن لعهد الصحافة

**الأستاذ كريم ثابت**

لولا من احترم لنا حكاية أن هذا الوزير يعتنق مذهب الصائمة صباحاً ويفطر فولاً وبيضاً مسلوقاً، ويدخن سبعاً وثلاثين سيجارة في اليوم، وأنه يفضل البدلة ذات صفين من الأزرار على ذات الصف الواحد، وأن عنده قطة أحب قطة يخاطبها بالعربية والفرنسية، وأنه يدق صبوته كروية ولا ينام الظهر إلا من ... وأنه لا يقرأ إلا إذا جلس واضعاً ذراعه اليسرى على المكتب ووضع رجله اليسرى على رجله اليمنى، وأنه إذا لم أحصي جيبه، وأنه تكلم حرك لسانه، وبه ... من جوانبه

**الأستاذ محمد التابعي**

لابد أن يصل بإذن الله إلى ما يصبو إليه من مجد صحافي فهو يطير من أوربا إلى أمريكا إلى آسيا بحثاً عن خبطات يسوقها لقرائه في أحرج الظروف وأسوأ الأحوال. وهو مجهود لا يقوم من الصحفيين المصريين إلا هو والأستاذ محمود أبو الفتح، ولا أذكر غيرهما

**الأستاذ مصطفى أمين**

من أسهل الكتاب المصريين أسلوباً، وفي هذه المزية فهو يأبى إلا أن يكون غير متحدي عقول القراء بما هو يستطيع ما لا يستطيعه الغيرون من التوزيع في الفرد ورسائلهم ... شرف، ولكن أرجو أن يعرفه بالتخصص في الكتابة من آخر غير تأثير يشعه

١١ — من المقرئين

**الأستاذ محمد رفعت**

إذا قرأ القرآن مثل معانيه على قدر طاقته بالإلقاء والتنغيم ولولا أن لكنة تركية تعتريه أحياناً شدة تأثره بالذوق التركي في الموسيقى بما كان في قراءته عيب، وهو حساس مرهف الأعصاب، متدفق سيال النفس يشد إلى سامعه ويطرق معه

ولكن عاد ... أقبلها على سامعها بعد حيرة الشعور جمع نفسه إليها غير أنه حقاً يعود إلى قراءة القرآن، ويكشف عن أغواره وخلفياته التي تعيب له أنه لن يجد من يشبهه بعينه لا في شعوبها من التشهير، ولا يحتاج إليه إنقاذها من الفترة الثانية ... كان لا بد له من الصبر فيقنع بالإعجاب عن الأمل له

**الأستاذ علي محمود**

عنده ثروة موسيقية هائلة حفظها عن المشايخ والمقرئين القدامى مثل الشيخ المنزلاوي والشيخ أحمد ... والشيخ ... وسلامة حجازي، وعبد ... المنصوري، وأبو العلا محمد، والشاعر وغيرهم، وهو في قراءته يعرض هؤلاء جميعاً وغيرهم، فإذا تجلى الله عليه وقرأ القرآن أو أنشد الأوراد بما فتح الله به عليه من روحه هو عندئذ تسمع صوتاً عالياً من بعد ... يعلو ويرتفع وينخفض فيهمسك، ويسحب قلبك، فإذا صفا حتى تكاد تزفرك وتبعثك إذا ردك السلطان في نزعة أعصابك بعد ما كان هذا السلطان معه

**الأستاذ [illegible] رجب**

المقرئ الوحيد الذي رد القرآن إلى النفس، متمسكاً به عند النفس إلا أنه نحن له وأن نلحن ...

**الأستاذ عبد الفتاح الشعشاعي**

فيه من الوصوص أكثر مما فيه من التجويد، وفي موسيقاه من الطرب أكثر مما فيها من غيره، وكثيراً ما يخرج بسامعيه من وقارهم وما أن يخرج هو عن وقاره لعله لو نبى السامعين من لنا تعيد الموسيقى العربية الكبير الشيخ أبو العلا محمد

لست أدري لماذا لا يجرب هذه التجربة، ولست أدري لماذا لا تتحمس في ذلك صديقته أم كلثوم بأن تسمعه في قصيدة ثم تنسبها منسوبة إليه!

١٢ — من المحدثين

**الدكتور محمود [illegible]**

هذا رجل محص نفسه في سبيل يشيع رغبته في الكلام له ماض وطن مضبوط وعهد لا يمكن أن ينكر، ثم إن له علماً واسعاً واطلاعاً متشعباً، وله بعد ذلك آراء وأفكار لا يزال

يتغنى بها المجتمع المصري ، ولا يزال هذا المجتمع يأخذها عنه ، ومع هذا كله فنصيبه من الجزاء الوطني قليل . فأطباء الذين خدموا هذا الوطن وخصصوا أنفسهم للعمل من أجله قد كافأهم الوطن بالمناصب والألقاب والأرزاق ، ولكنه كان من القلائل المهملين على كثرة ما يرددون ذكره على الألسنة ، وعلى كثرة ما يتردد شخصه بين الناس !

لقد أصيب الدكتور محجوب بهذا « الخاطر » لأنه كثير الكلام ، ولأنه يخلط الجد بالهزل ، ولأنه لا يعرف من بين الناس من لأن مخالطيه لا يحسبون النكتة ، ومن منهم لا يصلح لذلك ، ومن من الناس يستطيع أن يستخلص من النكتة الحكمة ، ومن منهم لا يستطيع ذلك . لقد تعود المصريون الدكتور محجوب نكاتة من المكاتب ، حتى في أشد مواقفه جداً يضحكون منه ... وهم مسرورون .. هو شخص تذكره بمواقفه وأعماله ومواقفه وخطبه وحياته ، يجب عليه أن يحس لها بحقه وبحاله ، وأنهما جديران بأن يحسب له احترام الناس .

لست أدري إذا كان الدكتور محجوب يستطيع وهو في سنه اليوم أن يحمل نفسه لو أنه لم يعد يستطيع ذلك ، ولكني على أي حال لم أيأس منه ، ولا أزال أنتظر له خيراً .

الشيخ عبد الحميد النحاس

وإذا كان الدكتور محجوب نائب محدث القصص من الطلبة ومن هم أكبر منهم سناً وعلماً وجراءة من أهل الدين ، فإن الشيخ عبد الحميد النحاس يعتبر محدث الأقاليم . وهو الصحافي الوحيد الذي يتقاضى من المحسنين أجوراً للإعلانات في جريدة التي لا تصدر على أساس أنه ينشر هذه الإعلانات شفوياً في المجالس والمجتمعات .

وله طوفات في الريف المصري ... يخرج من مديرية إلى مديرية ، ومن مركز إلى مركز ، ومن بلد إلى بلد تقام له الولائم ، ويجتمع له الناس ، وتعقد له المجالس ليتحدث فيها ، ويسمعوا ما يقول .

وهو يقول في كل موضوع كلاماً يلذ للريفيين أن يسمعوه ، ويملأ مجالسهم ، إلى أن يضعوه على الأعناق وأن يهتفوا له كأنه نائب أو زعيم ...

الشيخ عبد العزيز البشري

وهو محدث الطبقة الراقية ، وحديثه شيق مسلٍ يشوق ، حاضر الذهن ، سريع الخاطر ، لاذع النكتة ، رقيق الحال ، وهو إلى جانب هذا يحسن من فن الحديث حتى الكتابة أيضاً ، وكتابته من أحاديثه ، فأحاديثه ، كتابته ، ورسمه في كلامهم من الناس ، وقد لا يرى منهم من الشيء ، وحديثه لا يجد منهم من المحدثات

## ردود

في العدد السابق من الرسالة طالع القراء الاعتراضين اللذين شرفني بهما كل من الأستاذين توفيق دياب وعبد المجيد الوشاحي بخصوص ما كتبته في عدد المستمعين الأول وعن الدكتور الحفني أما الأستاذ توفيق دياب فقد كفاني الأستاذ محمد محمود دياب الرد عليه بما يجده القارئ في « البريد الأدبي » من الرسالة هذا الأسبوع

وأما الأستاذ عبد المجيد الوشاحي فقد قال إن بحث الدكتور الحفني هذه لم يكن فيه إنتاجه في الموسيقى بين هو ... كما يقول الأستاذ الوشاحي ... قد صنع آلتين موسيقيتين هما الهرم الحفني والطنبورة النحاسية

ورداً على هذا أقول إن صنع الآلات الموسيقية من عمل علماء الطبيعة لا الفنانين الموسيقيين ، ولا غير

على أني أعتقد أن الدكتور الحفني يحمل الجنسية إذ قلت إنه موسيقي من نوعي ، وأنا لا أعتقد أنني إنما عنيت إنساناً يحمل شيئاً من قلوب .. هذه اعتقادي أنا ..

فريد محمود فهمي

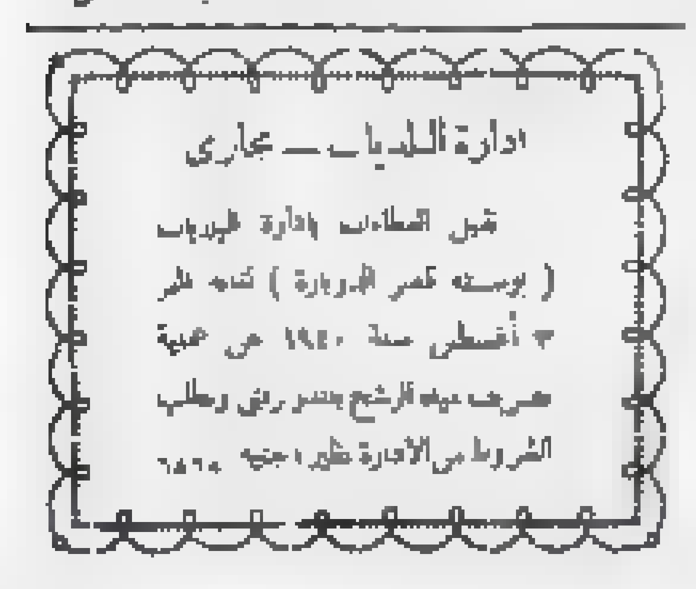

# حرب ونضال

## تأملات في مجاهل الكون

للدكتور محمد محمود غالي

عندما عالجت أسئلة الحرب في سبتمبر الماضي كتبت مقالاً في « الرسالة » تحت عنوان « فلنستمر »[1] ، واعترضنا فيه مواصلة الكتابة رغم عوائق الدهر هذه قاسية لم يسمعها من قبل ، ووعدنا ألا تصرفنا الحوادث عن أداء هذه المهمة ، وليست الكتابة بالأمر الذي يستطيع الإنسان المضي فيه وهو مشتت الفكر مضطرب البال ، وإنما هدوء النفس والنزوع إلى الكتابة أمر يرجع في الصباح والقدرة على التفكير . فالكتابة لا تُقصد لذاتها ، وإنما تقصد لما ترمي إليه ، وهي التي تُحرّك له عينه لمجاراتها ، يجب أن يكون أملاً لأن يفيد القراء ، وإلا فليترك المجال لمن هو أقدر على أن يكون أكثر فائدة لهؤلاء الذين يهبون بعض أوقاتهم للمطالعة

لقد خصّصت « الرسالة » صفحة لمباحث علمية توجيها أن نعد فيها مشكل الكون ، وحاولنا أن نلفت النظر إلى ما فيه من تناسق ! ووالينا كتابة هذه المقالات العديدة التي نسرد فيها قصة التقدم ، فقطعنا في ذلك شوطاً بعيداً ، واستعرضنا للقارئ بعضاً من العوامل الكبرى التي وصل إليها العلماء في العهد الأخير ، وما له علاقة بتقدم الإنسان في حاضره ومستقبله

وقد تأملنا هذا الاستعراض وفي تفكيرنا ، فلفتت مسائل أخرى تُعنى بشرحها أكثر من غيرها ، إذ كان بعضها عينا أو خاصاً ، وبعض الآخر في اعتقادنا سهم في تطور التقدم ، ولا شك في أنه كان لنا شغف في هذه أو غير هذه ، وما طالعناه من رهبة أو مصلحة ؟ في هذا التفكير

وما كنت أعتقد أن الحوادث في السنوات التي هذه الحرب وكل ما سوف تسفر عنه تكون سبباً في هذه المقالات

وما كنت أعتقد أن من عهد تتركز فيه نفسي في الأسبوع الماضي هذا التأثير الذي طغى في تلك الآونة العصيبة التي تجعل من هدوءاً معيناً للقارئ ، فلذلك نعيش من ربما يهدأ النفس ويستقر الفكر فأستطيع أن أتابع السير في هذه السطور .

ولئن أسرفنا في كبح جماح النفس عن الاسترسال فيما يسوقها إلى الاستطراد ، ونجمع بذلك الوجوم ، فإنما نطلب من القارئ أن يتحرر بنفسه هذا الشعور ، وقد يكون له في مطالعة هذه السطور التي نعرض فيها الناحية الإيجابية من عمل الإنسان غير مراء ، من الناحية السلبية التي تدفع إليها الحروب من التدمير ، ومن الناحية التي يحقق القارئ آمالها في السحب الجوية ، حينئذ وكأن في أسبوع تصدر الرسالة ساعة يطالع فيها بحثاً غير الذي شغل ذهنه في يومياته ونفذ الكثير من أوقاته ، هنا يرى في قصة العلوم وفي سير الفلسفة ، في تطور التفكير وفي تقدم الإنسان ، في ازدهار الميراث العلمي وارتقاء المعرفة ، أن الدنيا ما زالت بخير ، وأن الإنسان ما زال حياً يتوارث المعرفة ويسعى على تقدمها على كر الأيام

فلنستمر إذن في عملنا ولنستمر الآن عابرين كعادتنا في مطالعة هذه المجالات التي ساقت من خلالها طرفاً من عظمة الإنسان كحيوان راق لا كحيوان مفترس ، والتي يتجدد بها الأمل مصلاً لما فيها من غذاء النفس . ولا ريب في أن المحنة ستنقضي يوماً وأن الإنسان سواء أكان من أهل الغرب أو من أهل الشرق ، وأعقلنا سيدرك أن من خطل الرأي محاربة أخيه الإنسان ، وأن النضال بالكلام خير من النضال بالحديد والنار وما جرح هذه الآلات التي لا تترك وراءها إلا أشلاء تتناثر وأجساداً تتحول قبل الأوان ، ونفوساً أخفتها ، بل ويدرك أن توجيه الإنسانية صوب مدارج الرقي أولى من الرجوع بها القهقرى

ولو أن السلطات تركزت يوماً في أيدي العلماء لانعكست الحياة في نحو يكفل سعادة البشر ، وتزال إلى الأبد كابوس هذه

(1) الرسالة العدد ٣٦٠ في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٩ من ص ١٨٢٣ إلى ص ١٨٢٦

المناظر الشعرية ، ونرى أن ما أبنى على المسرح عرض في دقائق الدهر ورفاهية الإنسان ؛ أراها قبل أن تترك المدنية أو نحركها مدنية أرقى من التي نعم بها ونشهدها ، ووسائل العيش تختلف عند الأعقاب عما نجده اليوم . فلنستمر إذن في عملنا ولنصمم نحو غايتنا مهما علمنا حظنا من الاضطراب ، فلا اضطراب إلا يعقبه استقرار ، ولا حرب إلا يعقبها سلم ، ولا عمل صالح مهما طال إلا يعقبه عمل صالح . ولكن يجب أن نعمل بيقين لا نساور فيه ، يحدوه سلوك في بناء صرح المدنية ونصعد إلى هيكل الحضارة

ولقد تركت من هذه المرائي اليوم لأتصل بالقارئ وتطلعت على نفسي بالاستماع إلى قطع موسيقية ، وكان في « ... » يحدث لـ« ... » وفي « الراپسودي المجرية » لـ« ... » « ... » أعقبنا ما أحسنني على الكتابة وشدد قواي على التفكير ، وسأكون ناجحًا اليوم أن أرفه عن القارئ بكلمة من نسيج الخيال ، ولكنه خيال جائز ، خيال له اتصال بالموضوعات الأخيرة التي عرضنا لها

* * *

عندما تستعرض أيها القارئ المدنية بين البشر ترى ناحية من صفات الإنسان التي تطورت حالته على هذه الأرض من طور ساذج من القيام بهذه الأمور إلى طور يستخدم ذكاءه في ضروره حينًا وفي نفعه أخرى . لنا عقيدة بأن هذه الفنون هي أرقى المخترعات لأنه ... كل ما يصب على وجه الأرض ذكاؤه ومقدرته

وإذا جاز لنا أن نعتقد أنه الخلق الوحيد من نوعه في الكون لتوافر اشتراطات طبيعية معينة لاحت وجوده على النحو الذي هو عليه لا يمكن أن تتوافر كاملة في غير هذه الأرض ، فلا يجوز لنا أن نجزم باستحالة وجود مخلوقات أخرى على الكواكب كي لها صفات تختلف عن صفات إنسان هذه الأرض

إنما يعجب المنطق إذ لم يحتم حتى الباحث ألا ينفي وجود كائنات أخرى حية على الكواكب ، ما دام الكون يشمل ملايين الكواكب السيارة ، وما دام بين هذه الكواكب كثير ما تسمح به الظروف الطبيعية بإمكان وجود نوع من الحياة يشبه حياتنا ، أو نوع آخر من الحياة يختلف عنها ؛ على أن المنطق يملي أيضًا أنه لا يجوز لنا أن نعتقد بوجود أو نعمه شبه عقيدة بيننا وبين هذه المخلوقات ، وإذا كانت الأحوال الطبيعية اللازمة على سطح الأرض رغم تقاربها لم تكن كافية لظهور نوع الإنسان وحياته من شكل واحد ، فما أبلغ الفارق الذي يختلف الأحوال الطبيعية بين سكان الأرض وسكان غيرها من الكواكب والتباين بين سكان الأرض وغيرها من الأحياء تنوعًا عجيبًا ! وإذا كان الرجل الهندي أو الصيني الذي نسمع عنه أو الصيني يختلف كثيرًا عن الرجل المصري أو العراقي الذي يحسب مصر أو العراق ، والذي يروي ماء النيل أو الفرات ، ويخالف هذا وذاك عن الفرنسي مثلاً ، فما عسى أن يكون الفارق إن تحقق لنا ما يكون عليه مخلوق ذي يعيش في كوكب آخر غير كوكبنا وفي مجموعة شمسية غير مجموعتنا ؟

ونحن في هذه الخطوة نلجأ بفكرة الإشعاع إلى تصورات يسير التصديق بها متخذين غير الأسس التي نتحدث عن مثل هذه المخلوقات [1] التي نعتقد أن وجودها أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال

* * *

ذكرنا في مقالاتنا الأخيرة أن الكون زاخر بمختلف الإشعاعات التي لا نراها بعين الإنسان ولا نشعر بها حواسه ، وأن الضوء والكهرباء نوع واحد من الإشعاع ، وإننا لا نرى من الأشعة إلا شيئًا طفيفًا إزاء ما لا نرى ... لأننا ... لا نرى من الكون إلا يسيرًا من مكوناته العديدة للنقص في حواسنا

ولو أن كائنًا غير الإنسان تكونت عنده حاسة النظر بطريقة يرى الأشياء بطولها وعرضها ، ولكن لا يستطيع أن يدرك سمكها وارتفاعها ( هذا النوع من الكائنات يجوز وجوده أو هو موجود فعلاً ) ، فإن صور الأشياء تختلف عنده عما الكائن عن صورها عندنا ، فإذا امتد نظره من ... إلى مركبة ، ثم رأى هذه المركبة مستطيلاً يسير بين خطين يمثلان حافتي الطريق التي تسير فيه ، ورأى « الكمساري » والسائق دائرتين إحداهما على ... والثانية تنتقل على حافته طورًا تقترب من حافته الأعلى وتارة تقترب من حافته الأسفل ، ويرى الجمهور دوائر كثيرة

(1) هذا ما سنشرحه في المقال القادم

مرصوصة في صفوف متوازية داخل هذا المستطيل المتنقل

إن هذا الساكن المسكين لا يستطيع أن يرانا في حالتنا، فلا نطمئن إليه، وهو لا يرى من حركة العالم إلا هذا المستطيل المتنقل، فإن يستوعب ما يمر من مادة تغشى أو يمعن في التفكير إلى أكثر من ذلك فهمه ما يصله التلغيب من أجهزة الكهرباء، أو يشم خرس أو ماهية هذه الظاهرة

ثمة ثلاثة مراحل في التطور أمام هذا الفرق:

الأول: وهي التي وصل إليها مثلاً أن يرى الأشياء كما هي في الحركات هذه المستطيلات المتحركة

الثاني: أن يدرك هذه الحركات بإتقان ويصورها أيضاً ملامحها

الثالثة: وهي أصعب هذه المراحل، أن يدرك أصعب ما في تركيبها، وهو أننا نستخدم فيه ظاهرة عجيبة هي ظاهرة الكهرباء، فهو يدرك أمراً مادياً خارجاً عن تركيبها الظاهري، أمراً يجعل له شبهاً قوياً بالحياة إن صح أن الحركة من أهم مميزات الحياة

* * *

نقف الآن عند هذا الحد من المقال، وما قصدنا من هذه السطور إلا أن تكون مقدمة للمقال القادم

إنما نترك للقارئ فرصة يتأمل فيها ... هذا النوع من الخيال العجيب الذي لا يرى من ... الكائنات إلا مستطيلات تتنقل في الطرقات التي يراها مطروقة أمامه في المدينة، ولا يرى من جمهور الراكبين وهو ينظر إليهم من سطح عال إلى دوائر متراصة في صفوف متوازية، ولا يرى من «المكاري» إلا دوائر تنتشر في حافة هذا المستطيل

ولم يكن مقال اليوم بالموضوع الذي يشق على الفهم، ويحتاج إلى طرف يسير من الفكاهة العلمية، ولو كان لوصف «ميكي ماوس» و «والت دزني» صاحب مبتكر هذا الفن من التأمل أثر، كان لمك أثر، ولكن مما لا ريب فيه أننا كنا في حاجة إلى هذه النزهة نفسح إليها بعد ما عكر النفس من الاضطراب المتوالي في الأيام الأخيرة. ولا شك في أن القارئ كان هو أيضاً في حاجة إلى هذا النوع من الترويح عن النفس وتسكين الخاطر

وإلى المقال القادم، فإننا في حاجة إلى هذا الفرق العجيب لكي نشرح موضوعاً يتسع في الفحص ويجول في الفكر

[illegible]
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
بكالوريوس العلوم الطبيعية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم [illegible]

## أندريه موروا يبحث عن شخصية مفقودة

يبحث الكاتب الفرنسي أندريه موروا عن شخصية حديثة على غرار شخصية « كولونيل براميل » التي قدمها أثناء الحرب الماضية ووصفها في كتابه المعروف « صمت الكولونيل براميل ».

ولقد زار موروا أخيراً أحد معسكرات التدريب لسلاح الطيران الملكي في إنجلترا ، وكان مدفوعاً إلى ذلك برغبته في التعرف على عدد كبير من طلبة الطيران . فقال : « لا أستغرب أن يكون الكولونيل في الحرب الأولى قد جاوز الخمسين من عمره ، وأما اليوم فأبحث عن شخصية سيكون سنها دون العشرين في سلاح الطيران الملكي . ولا شبهة عندي في أن الشخصية التي ستخلف الشيخ سابقاً قد أستعمل من طلبة سابقاً ناجحاً يحل في أن ألمس شكل المودة في المنزل عليه ؟ »

والمسيو موروا ملحق بالقيادة البريطانية العامة في فرنسا ، كما كان في الحرب الماضية . وقد حمل عهداً جديداً تسهيل على الفرنسيين فهم الإنجليز وتقديرهم . ونال المسيو موروا وسام ( ك . ب . أ ) في عام ١٩٣٨ ، وهو يحمل وسام الفيلق الشرفي كما هو حاصل على درجات الشرف من جامعات أكسفورد وأدنبرة ، وجامعات أخرى .

ومن مؤلفاته المعروفة « آريل — أو حياة الشاعر شيلي » و « دزرائيلي » و « بيرون » و « تورجنيف » و « الملك إدوارد وعصره » و « فيكتور » و « تاريخ لإنجلترا » .

## المعاهد الأجنبية في مصر

يبلغ عدد المعاهد الأجنبية في مصر ٤٠٠ معهد ، منها ١٨٥ معهداً فرنسياً ، و ٦٤ معهداً إيطالياً ، و ٦٣ معهداً يونانياً ، و ١٣ معهداً إنجليزياً ، و ٣٨ معهداً أمريكياً ، وأربعة معاهد ألمانية ، ومعهدان بريطانيان ، ومعهدان هولانديان ، ومعهد سويسري وآخر سويدي .

ويبلغ عدد المعاهد التي أسستها الإرساليات الدينية ٣٠٢ أي ٧٦ ٪ من مجموعها ، منها ١٦٣ للفرنسيين ، و ... للإيطاليين و ٣٥ لليونان ، و ٢٤ للإنجليز ، و ٣٥ للأمريكيين ، ومعهدان للألمان ، ومعهدان لهولندا ، ومعهد للسويد .

ويبلغ عدد التلاميذ الملتحقين بهذه المعاهد ٧٣,٩٦٢ و ٧٥ تلميذاً وتلميذة ، منهم ١٠,٨١٥ من التلاميذ والتلميذات المسلمين ، و ١٠,٩٣٤ من اليهود ، والباقي من المسيحيين والأقباط .

ويبلغ عدد المعاهد التي ليس بها مسلمون ١٠٣ ، وقد لوحظ أن أكثر المدارس الأجنبية غير الدينية ليس بها تلاميذ مسلمون .

المعاهد الفرنسية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٣٤,٥٠٨ ، منهم ٦٢١٤ من المسلمين أي بنسبة ١٨ ٪ . ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٣٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٦٥ ، وأقل من ٣٠٠ تلميذ ١٢٦ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ١٣ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً .

المعاهد الإيطالية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٣,٧٦٩ ، منهم ١٨٠٤ من المسلمين أي بنسبة ١٤ ٪ . ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً اثنين ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٠ ، وأقل من ٣٠٠ تلميذ ٣٦ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهدين .

المعاهد اليونانية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٢,٣١٣ ، منهم ١٦ فقط من المسلمين أي بنسبة ١ ٪ . ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ١٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٨ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ١١ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ٥ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً .

المعاهد الإنجليزية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٦٠٩١ ، منهم ٩١٥ من المسلمين أي بنسبة ١٥ ٪ . ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٢ ، وأقل من ٣٠٠ تلميذ ٣٢ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهداً واحداً .

### المعاهد الأمريكية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٦٦٩٧ وإن كانت أقل عدداً من المعاهد الإنجليزية منهم ١٦٥٥ من المسلمين أي بنسبة ٢٤ ٪

ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩، وأقل من ١٠٠ تلميذ ١٢، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ١٩، وأكثر من ٥٠٠ معهداً واحداً

### المعاهد الألمانية

يبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الألمانية ٥١٧ منهم ١٣٠ من المسلمين، أي بنسبة ٢٥ ٪، وهذه المعاهد الأربعة موزعة بين القاهرة والأسكندرية وأسوان

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الهولندية ٢٥٠ منهم ١٢٣ من المسلمين، والمعهدان الموجودان في مديرية المنوفية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويسري في الأسكندرية ٧٠ تلميذاً منهم ثلاثة من المسلمين

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويدي ٩٥ منهم ٤ من المسلمين وهذا المعهد في مديرية الدقهلية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الروسية ١١١٨ تلميذاً منهم ١٧٣ من المسلمين

### إلى الأستاذ عباس محمود العقاد

حضرة الأستاذ الزيات

يسرني أن أنقل إليكم ما يسري في أجواء الأدب عندنا من الارتياح للمقالات الجيدة التي نشرت من «رأي الرافعي في الأستاذين طه والعقاد»، وتشوقنا إلى الاستزادة في تسجيل هذه الأحاديث الطريفة التي يتناقلها كبار الأدباء في عالمهم الخالص حيث تتجرد النفوس من ملابسات الخصومة، وتبرأ من نزوات العصبية، وتتخلص من أخلاطها الطارئة وشوائبها العارضة.

وفي الحق أنك كنت طريفاً لبقاً في حديثك مع الرافعي فقد استطعت — في شيء من مكر الصحفي — أن تستدرج الرجل وتستخرج منه — في غفلة من حرارة الثائر — هذا الحكم الصحيح الرشيد في أدب الأستاذ العقاد. وهنا أحب أن أوجه سؤالاً إلى الأستاذ الكبير العقاد أظنه سيتردد على لسان كل قارئ عربي مخلص

هل رأيت يا سيدي الأستاذ أن الرافعي قد استطاع أن ينسى الناس بأحقاده وضغائنه فاعترف لصاحبه بالأريحية أن يجري على السطور؟ لم يكن وحياً من الله وإنما كان رجماً من الشيطان. ولم يقف مرامه عند هذا الحد بل عمد إلى مداعبات الأريحية برزانة عجيبة

فهل لنا أن نأمل بعد أن حدثنا بفصل منشور في الرسالة من رأيك الصحيح الصريح في أدب الأستاذ الرافعي فيكشف هذا الأدب من أن يهجم عليه أولئك الذين لم يعرفوا عبقرية الأدب رجالاً ولم يشعروا بها إحساساً ... إن جمهرة القراء عندنا لتستشرف عيونهم حيناً إلى ملاقاة ذلك الصدق؟ وحديثك الصحيح الصريح في أدب الرافعي هو العلاقة التي يرقبونها من رجل مثلك فهل يتحقق هذا الرجاء؟ وهل تصدق هذه الأمنية؟

إنا منتظرون ..

(حمص) عبد القادر حسونه

### رأي الأستاذ الشاعر «أبو شادي» في شاعر الملاح التائه

هذا شاعر أحبه وأعجب به حتى لا أكاد أن أميز أدبه الشخصي من أدبه الشعري، فليعذرني إذا كان لقبي له «علي محمود طه المهندس» فقد صدرت عن هذا اللقب في معرض حديث لي عن شعراء مصر، ووجدت في سمع الشاعر أن كلمة «مهندس» تنفّر أذنه الموسيقية بما تنطوي عليه من خطوط والتعرجات، وتشكيلات وجمال لا أطيقها، وكأنه يحس هو أيضاً ويحترم أذنه الموسيقية، فلم يضع بين يدي «علي محمود طه المهندس» إلى «علي محمود طه».

وعلي محمود طه من أجل شعراء مصر، فالجمال شائع في جميع قصائده، حتى في «أرواح الأشباح» منها، وتتكسر في أرواح مجموعته الأخيرة «ليالي الملاح التائه» من قصائد «أرواح وأشباح» وأبقى هذه الأخيرة مجموعة أخرى يوحيها ما يعرض لخاطره من أسباب التهاني والرثاء.

* * *

استهل الشاعر مجموعته بـ «أغنية الجندول Gondole» وقد تكون هذه القصيدة أشهر ما في «ليالي الملاح التائه» وأجمل وأطرب، ولكني .. لا أعلم ماذا .. أراني متبرماً هذه الليلة؟

فيرحب الشاعر بقصيدة الشاعرة هند بأنها « تحية للموسيقار الكبير الأستاذ محمد عبد الوهاب » لا يحل مقاما في نظري خداع طلب يتردد لي حب وصب من الشعراء معلا من أنه لا يشرب شاعرا كما نحو عليه

* * *

أما أحسن قصائد « ليالى الملاح التائه » فهي ولا شك قصيدة « كأس الخيام » فقد تقمص الشاعر في قصيدته هذه في التسلل إلى حوانيت خمار يشربون من الخمرة التي أسكرت عمر الخيام ، ورأى في هذه الخمرة ما لم يره غيره من الناس .

قصة الزهد التي غنوا لها ... هائم بالمحراب الخادع
نشوة الشاعر ما أعجبها ... في متاع الكون الضائع

لقد سكر من خمرة الشاعر حتاه يشعر بروحانية من نسيجه ، وحرك بجو سري يمرك بالحس إذا أرهف وحس ، ويعطك - على غير هوى منك - إلى نسيم من الحياة في غمرات منة به إذا لم تكن شاعراً في أعماقك

كأس الخيام هي الحياة كما يجب أن تكون . فيا أخوه الخالدة ، هذه الخمرة التي تلحها الشعراء

أيها الخالد في الدنيا هوى ... أين شاعر وفردوس الأمس
أين معشوقك إبريقاً وطاس
هل حطمت الكأس أم جف الرحيق ؟

وكأن الشاعر قد فرغ الشعراء من حوله ، يقول لهؤلاء : « الكرمة ما تزال خضراء ، والمرأة ما تزال جميلة ، والطبيعة لم تخل من عهدها ، فلم خلا منكم المجلس وجف الرواء ؟ أتراكم سلكتم طريق الحانة الميتة ؟ »

كل لألاء في الشرق الضيا ... يقف الباب ألا كف القاصه
أيها الخمار قم وافتح لنا ... وأسقنا هيكل وجيل القافلة

تنوال الحياة وأوهامها الضعيفة في خاتم الكلمتين « رحيل القافلة » ، وقصة في نفس كفتك « الكوكو » من مطولة الخيام على طاق كسرى

وقد لا تتسع قبلك الكآبة عما في « ليالى الملاح التائه » »

حتى تشيع فيك خمرة من الطرب ، وتأتي هذه الطرب من تلك الكآبة ، في موضع يقعد في جمالك وتطلق حولك سحراً ويزيد إحساسك شوقاً وحسرة ، شوقاً إلى متع الحياة ، وحسرة على زوالها

هذه المشاق قد هبوا إلى الزورق خفافا
أيبر كالضوء أطيافاً وأحلاماً لطافا
مالئو الشاطئ حباً والبساتين هتافا

الصبا والحسن والحب هنا ... يا حبيبي هذه الدنيا لك
فاملأ الكأس على شدو المنى ... واسقنا من خمرة الراح الحلك

أجل ، أيها الشاعر ، إن الدنيا للشعراء ما بقى الحب في قلوبهم

الكويت الياس أبو شبكة

### تصويب

سيدي الأستاذ البليغ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة

تحية وسلاماً . وبعد فقد رأيت في العدد (٣٠٤) من مجلتكم الغراء تصويباً جاء في صفحة البريد الأدبي بقلم الفاضل (محيي الدين اسماعيل) من البصرة يصحح فيه قول أستاذنا الطنطاوي « يستخرج رمال الماء » الذي جاء في مقاله بالعدد الممتاز . وقد استرعت هذه الكلمة نظري بشكل خاص لأن هذا النص المبتكر في الأدب العربي كان قد استوقفني أيضاً حين قرأت المقال منذ بضعة أسابيع . ولكنني لم أكتب شيئاً لعل الأستاذ يعود فيبين قصده في هذا التعبير ، ولكنه لم يفعل ، والظاهر أنه أدرك أن هذا الأمر بين لا يحتاج إلى بيان . فأحببت بعد أن أعود إلى الموضوع - بإذنكم - وأنوه عنه بكلمتين مخافة أن يحل في نفسه بعض الفتور ، كما حدث لصديقنا الأديب البصري

لم يقصد الكاتب الصحراء (بالماء) ، وإنما كان يعني البحر العميق ، ومن المعلوم أن رمال البحر لا تقل عن رمال الصحراء ويستخرجها أصعب . لذا كان التشبيه بها أبلغ ، ووجودها في البحر لا يمنع ذلك ، ولا أزال أذكر جيداً مرحلة للتشبيه المشهورة في الأدب التركي « أكثر من رمال البحر » و« في البحر الرمال وحتى الأموال »

(بغداد) فيصل صبيح نشأت

## صوت الفتاة المنكوبة

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

تحية واحتراماً وبعد، فقد كتب الأستاذ الزيات في الرسالة أخيراً يستنجد بأهل المعرفة لفتاة نكبت بنمو لحية كثة فيبحث عن علاج لهذه النكبة الجسدية، وهي بين ما يعرف عن الموضوع:

المعروف أن هرمون الغدة الذكرية فوق الكلى له تأثير كبير في خلق مميزات الرجولة الثانوية، وما نكبت به الفتاة وما يحتمل أن يبدو عليها من خصائص أخرى في المستقبل يعود إلى نشاط هذه الغدة الزائدة، وهذا النشاط يمثل عادة بوجود أورام في الغدة تسبب هذا الهياج، وعلاج الحالة جراحي باستئصال الورم، ولا خوف على الغدة لأن في استطاعة المريض أن يعيش بالجزء الباقي.

وتصاب المرأة في سن اليأس بتشويه خفيف وهو بعيد عن منبت الشعر في سن الشباب، وعلاج الحالة يتم بالعلاج بهرمونات المبيض.

ويلاحظ العلامة Blair أن غدة الكلية عند الرجال أكبر حجماً منها عند النساء، وقد يكون نشاط الرجل أكثر من المرأة راجع إلى كبر الغدد الأدرنالية (مجموع القشرة واللب) التي تثير هذا النشاط الإنساني عند الرجال

أمين يوسف

عضو المعهد الملكي البريطاني بمصر

وسمعنا الأستاذ عمر ... ولا تزال ماثلة في ذاكرتي وذاكرة كل من حضر تلك الحفلة الافتتاحية، وأظن أن الأستاذ عمر ... رياض وجد التصفيق الطويل وحسن سماع ... في هذه الحفلة ...

(المنصورة)

## آدم

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة

تحية ... وبعد فقد قرأت في العدد 360 من الرسالة الغراء مقال (الأسماء تعلل) للأستاذ مأمون عبد السلام، وهو في الحقيقة بحث قيم ودراسة عميقة تمثل خلاصة لتاريخ وضع الأسماء وأسباب ولقد أقام الكاتب الدليل على أن الأسماء تعلل ... وبذلك هدم النظرية القائلة بأن (الأسماء لا تعلل) غير أني أعتقد أن الكاتب أخطأ في علة تسمية (آدم) إذ قال: « ... فسمى كذلك (آدم) الرجل لأنه أول رجل خلقه الله » والصواب عندي هو أن (آدم) سمي بهذا الاسم لأنه خلق من أديم الأرض – أي من ترابها – هذا ما أعتقده والسلام على الأستاذ

(ع. ع)

## حول قبر

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب الرسالة

الأستاذ عزيز فهمي أصاب في روايته عن حفلة الأستاذ توفيق وهب خطأ طفيفاً لا يمس لب الموضوع حين ذكر أن حفلة الباندي كانت في رثاء سعد، وهي لم تكن إلا تأبيناً في مسرح الأسكندرية وقد كنت من شهود الحفلة التي

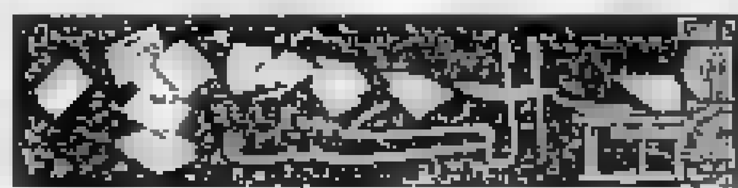

# وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

[ ... ]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

هذا كتاب جديد تظفر به المكتبة العربية في هذه الأيام أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة والزيات — كما يعرفه قراء الأدب العربي — من أعلام النهضة الأدبية الحديثة، ومن قادة البيان المصحح ... ثم انقطع للصحافة الأدبية الخالصة، فكانت له مجلة «الرسالة» وهي صحف الأدب ... العرب اليوم

وقد جمع الزيات بعض مقالاته الافتتاحية التي كتبها في الرسالة على مدى ثمانية أعوام في كتاب، لأنها في مجموعة تدل على الترسل والفكرة وأهم ناحية منها وهي متناثرة على صفحات الرسالة ونظراً لأن هذه المقالات من وحي رسالته، فهنا جاءت تسميتها «وحي الرسالة»

وهي فصول متأثرة يقارنها الأديب العربي والفكرة الاجتماعية للصلة والنظرة النقدية الصالحة. وفي كتابه بعد ذلك قبس من أصل أدبي ... من شخصية الكاتب متحدة نوعاً خاصاً. والزيات أديب فنان، يحسن إبراز الحياة التي في الأشياء بالفكرة التي تنطوي عليها، والعاطفة التي تعمل في طياتها، والخيال الذي تجري فيه. ومن هنا نجد التنوع في مجال كتابة الزيات التي تتوازن فيها الفكرة مع العاطفة مع الخيال، والتي تتناسب كلها مع مساحة فنية بارعة تفرغ كل هذه الأشياء في صورة أدبية وقالب محكم. والحق أن الزيات هو الأديب العربي الوحيد بين كتاب اللغة العربية اليوم الذي تميزت في ذهنه مدلولات الألفاظ فعرف دقائقها وأدرك الأسرار العربية المحيطة بها، ومن هنا تراه يأتي بفكرته واضحة وعبارته المحكمة المنسجمة التي تحمل لونها من لغة الكلام

ويستهل هذا الكتاب بفصل مقتبس عن ... الكاتب بأسلوب الفني البديع يعرض فلسفة الجمال ولنظرة الأصل الفني في نفس الكاتب، نجده يستمد من ملاحظات الفلاسفة وعلمه بجمال (البديع) arabesque فالجمال عنده يقوم على القوة والوحدة والذكاء، ويشيء في الذهن فكرة سامية، ويبعث في النفس إحساساً وشعوراً صادقاً، ويثير الخيال ويحرك التصور. وهو يتبسط في شرح هذه المعاني تبسط الأديب الفنان الذي لا يحتبه الأسباب قدر ما يحتبه الفكر والروح، ويمضي من هذه إلى نتائج عن طريقه في أسرها، فلا يمكنك أن تنكر عليه بعد ذلك صحة التعمق في الفكرة والدقة في التصوير والصدق في التعبير. ثم هناك فصل عن الرافعي يعتبر من خير الفصول الأدبية التي كشفت عن عبقرية هذا الأديب الذي لا نشك لحظة في أنه سيخلد ما بقيت العربية وبقي إنسان يعرفها. وفي هذا الفصل يبين الزيات خصائص أدب الرافعي في قصده واعتداله، فالفكرة مبسوطة بعمق، والتعبير تأتي عاماً على قدر المعنى

والحقيقة أن الزيات قد نشأ في مدرسة البيان العربي المرحوم الرافعي، وهما على ما بينهما من اختلاف في المنهج وتباين في المزاج وتفاوت في الثقافة إلا أن روح الفن وحركة المعنى تجمعهما وإن كان معنى الزيات يختلف في ذهن صاحبه من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل القارئ. فإنه مصورة وهي ذات أصل وقبس من التفكير. وفكر الزيات ملتقى الثقافتين العربية والغربية، العربي في جلالته وروعته، والغربي في عظمته وترتيبه واتساقه ورونقه

• • •

وجملة القول أن هذا الكتاب من خير الكتب التي تمسك على الناشئة أسلوبهم وتعمل بتوجيههم إلى البيان الصحيح، ومن هنا كان جديراً بالتقدير، إذ يعد أهم مراحل الصحافة والتصحيح الخالية على أقلام الناشئين من كتاب اليوم

«أدهم»

# وجيـــدة

قصة للأستاذ شعبان فهمي

[ ٢٢٦ صفحة من القطع الصغير. مطبعة [illegible] الإسكندرية [illegible] ثمن [illegible] قروش مصرية ]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

"وجيدة" قصة مصرية من باكورة آثار الأستاذ شعبان فهمي، وهو أديب مصري شاب، أقام بفرنسا فترة من الزمن، فاتصلت به الأسباب بالجهود الفنية القصصية الكبرى هناك، فكان من ذلك أن تجيء باكورة أعماله الأدبية عملا قصصيا [illegible] براعة في السرد [illegible]، وتعد القصة على الرغم [illegible] من البحوث الفنية [illegible] النموذج الأول للقصة المصرية الواقعية، وهي في [illegible] للارتفاع بشأن القصة الطويلة في مصر. وهي على الرغم مما فيها [illegible] في روحها، تعتز بأنه [illegible] تصور الحياة التي فيها [illegible]، ولكن [illegible] الكثير [illegible] والتفاصيل، ثم الاقتصاد في الوصف والتحليل [illegible] الرئيسية والجوانب المهمة، أتى على جوهر [illegible] من [illegible] والفكرة التي [illegible] هذه القصة [illegible] الأحمر [illegible] والمجتمع. فهذا منير حمدي شاب مصري يستقل [illegible] الإسكندرية [illegible] في فرنسا [illegible] وصفاً للمشهد العام للإسكندرية [illegible] التي [illegible] على [illegible] الشاب، وإنما [illegible] الكاتب يطوي الوصف بسرعة [illegible] وتفاصيل لم تكن لازمة [illegible] أخيراً من شاطئ المشهد [illegible]، وهو [illegible] منير حمدي [illegible] بعد [illegible]، وهو على [illegible] الاحتضار، ويصبح الفتى بعد وفاة والده موضع [illegible] والرحمة من [illegible] التي يجب أن يظهر له [illegible] ما يشجعه على المضي في دراسته حتى يستطيع أن يتزوج [illegible]، ويعلن منير [illegible] تنتهي إلى [illegible] التي تكون [illegible] أن [illegible] في [illegible] ظهر [illegible] في [illegible] من الحال [illegible] وفي يوم [illegible] يطلب [illegible]

[illegible] ولكنه لا [illegible] إلا [illegible] حيث [illegible] ويعيش [illegible] بجواره. [illegible] الأخرى [illegible] من [illegible] وشخصية [illegible] مسؤولة [illegible] ما [illegible] إلى [illegible] منير [illegible] العطف [illegible] غير أن منير [illegible] على [illegible] عليه [illegible] وإن كان [illegible] وهكذا [illegible] في القصة. وفي هذا [illegible] الكاتب [illegible] على [illegible] غير أن منير تحت تأثير كبريائه يحاول أن [illegible] في شخصية وجيدة التي [illegible] عليه [illegible] مع وجيدة إلى [illegible] وهنا [illegible] تحت تأثير [illegible] كبريائه [illegible] التي [illegible] إليه [illegible] في [illegible] الأخير [illegible] وتطورها الفكري، إذ [illegible] وجيدة شخصية [illegible] من [illegible] القصة [illegible] ولو كان الكاتب [illegible] شخصية [illegible] الحدث [illegible] بين منير و[illegible] حيث [illegible] من منير كبريائه [illegible] شعورها [illegible] ويبدو [illegible] فإن القصة كانت [illegible] في [illegible] الكمال؛ ومن هنا يمكن [illegible] القصة [illegible] من [illegible] الفكرة [illegible] المسيطرة عليها.

وفي القصة [illegible] أن شخصيتي منير و[illegible] نجد شخصية وجيدة [illegible] وهي ما حاول الكاتب أن [illegible] من [illegible] شخصيتها [illegible] بشخص [illegible] الذي [illegible] من شخصية [illegible] ولا شك [illegible] مع الفكرة الرومانتيكية [illegible] الخروج على القواعد الكلاسيكية في القصة. كما أنه من الملاحظ في شخصية منير اضطرابها [illegible] فهو لا [illegible] على [illegible] المرأة [illegible] إلا من طريق إثارة [illegible] وهو في الوقت نفسه [illegible] ومن هذا الاضطراب تقوم شخصيته التي [illegible] القصة [illegible] مع [illegible] التي [illegible] غير أن الكاتب [illegible] من [illegible] الموازنة بين شخصية منير وشخصية

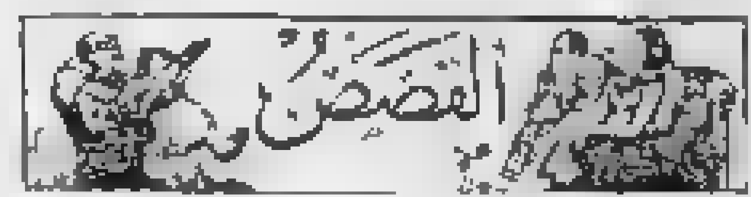


# قصة أم

## للكاتب الدانمركي « أندرسن »

« طبع أندرسن (قصة الأم) سنة [illegible] بعد أن نشر جملة [illegible] أقاصيصه [illegible] ، وترجمت مؤلفاته إلى كثير من اللغات ، فتناقلتها الأيدي وانكب عليها الآباء والأطفال يقرأونها ويدرسونها ، وربما يرددونها [illegible] على كر الأيام ومر الليالي [illegible]

و « قصة أم » من أحسن أقاصيصه وأكثرها روعة وجمالا ؛ تصور عاطفة الأم [illegible] ، وحنانها المشبوب ، وحبها الذي لا يدانيه حب »

كانت الأم جالسة إلى جانب ابنها الطفل متجهمة الوجه ممتقعة الأسارير ، يبدو على محياها الحزن بأجلى معانيه وأوضح صوره

لقد كانت تهاب [illegible] أن [illegible] من بين أحضانها . أما وجه الطفل الصغير ، فقد كان شديد الشحوب كثير الاصفرار ، وعيناه [illegible] مثقلتين بجفونه وهو [illegible] كان يتنفس ولكن بجهد وعناء ، وكان يتنفس [illegible] وقته ويحدث [illegible] أصواتا غريبة ، حتى يخيل للناظر إليه أنه ينتحب حسرة وألما . غير أن نظرات الأم الحزينة كان يغمرها الشفقة والرحمة [illegible]

وإذا بالباب يطرق ، ثم يدخل منه رجل [illegible] يرتدي معطفا من جلد [illegible] الكبير [illegible] مثل هذا المعطف ؟ [illegible] الشتاء ، والبرد [illegible] وقد خرج [illegible] كانت الثلوج تغطي كل شيء [illegible] من الأنظار كل [illegible] ، والرياح [illegible] حتى لكأنها تريد أن تمزق الوجوه

كان الزائر المسكين يرتعش من البرد [illegible] ولما أن الطفل قد أغمض عينيه [illegible] فقد رأت الأم أن تضع [illegible] إبريقا من الجعة صغيرا [illegible] جسمه ، ويطرد البرد من كيانه [illegible] الأم إلى [illegible] العجوز [illegible] الطفل وأخذ يهزه برفق [illegible] وعادت الأم [illegible] فتناولت كرسيا [illegible] الأجزاء مضطرب القوائم ، ووضعته [illegible] من مكان العجوز وأمسكت بيد الطفل الصغيرة بين راحتيها [illegible] ولما كان الطفل المريض يتنفس بجهد أكثر وعناء أشد

---

[illegible]

أما المميزات الفنية في القصة فتظهر في قوة السرد ، وسرعة الحركة ، والتتابع للحوادث والوقائع ، وهذا يعطي القصة [illegible] من حياة ، غير أنها حياة [illegible] وشرط من شروط القصص [illegible] إلى أن الكاتب يأخذ الأمور [illegible] ، ويتمشى مع الحوادث [illegible] ومن هنا [illegible] القصة المصرية الأصيلة [illegible]

من الإسراف في رسم شخوص قصته من حركاتها وسكناتها ، وهو يكتفي بتعريف الشخص [illegible] دون أن يحاول [illegible] وهذا يرجع لضعف الأصل التصويري عنده [illegible] الخيال

والبساطة والسهولة هي أبرز ما يميز أسلوب القصة ، وإن كان الكاتب [illegible] غير أنها [illegible] لا تتعدى [illegible] إذا أردنا [illegible] والتعبير القصصي [illegible] الواقع [illegible] القصة [illegible]

وهنا موضع الاشتراك في النظر لهذه القصة من ناحية فنية [illegible] فصلا في كتيبه الناقد الأديب صديق شيبوب (البصير ١٩ أبريل سنة ١٩٤٠) [illegible] ما جاء في كلامنا [illegible] من آرائه [illegible]

(أدهم)

وانحنت الأم على جوشنة إلى الرجل المحزون وقالت تحدثه

— ألا تعتقد أنه سيشعر وأنوره ؟ ... إن الله رءوف بعباده وهو لن يحرمني منه أبداً ... أليس كذلك ؟

أما المحزون « المسكين ! » فقد كان ملاك الموت نفسه رفع من رأسه مرة واحدة كان هذا جواب الذي أثر الإعجاب

وأحنت الأم رأسها ونظرت إلى الأرض بينما أصبحها السمع الصحيح، وسالت العبرات سيحه على الوجنتين

وشعرت بخفة جثل في رأسها، وسارت في حقيبتها ثلاث ليال كاملات لم تنل خلالها فكرى طيب. وهنا أحست النعاس يداعب جفنيها، فأغفت وقيلة واحدة فحسب، ثم استيقظت وهي ترتجف من البرد ورعشى. وألقت حوها نظرات حائرة، وصاحت تحوب وذعر

— ما هذا ؟

لقد ذهب الرجل — والطفل الصغير لم يكن في سريره إذ أنه اختطفه المحزون ومضى به

وفي أحد أركان الغرفة كانت الساعة التي أكل الدهر عليها وشرب، تحدث أصواتاً متأرجحة مختلطة؛ وكانت تروسها تصر وتزمجر وسقط على حين غرة قاصبها الرصاص الثقيل، ثم همدت كل حركة، ولم يعد يسمع أي صوت.

لقد وقفت الساعة عن الدوران

وخرجت الأم المسكينة إلى الطريق تنشد طفلها العزيز وتناديه

وهناك بين الثلوج كانت تجلس امرأة عجوز ترتدي الثياب السود الطويلة؛ ما إن رأت المرأة الأم حتى هتفت بها

إن ملاك الموت قد دخل دارك، ولقد رأيته خارجاً منها وهو يحمل ابنك الطفل، لقد ذهب بسرعة البرق وهو لا يعيد قط ما يأخذه

فقالت لها الأم تتوسل وتتضرع :

— ولكن أخبريني بربك من أي طريق ذهب، وفي أية ناحية اتجه. أتوسل إليك أن تخبريني بذلك، وسألحق به وأجده

فأجابتها ذات الثياب السود

— إني أعرف الطريق التي سلكها، ولكن قبل أن أرشدك إليها أريد أن تنشديني كل الأغاني التي كنت تنشدينها لابنك الطفل. إني أحبها كثيراً، وأحب صوتك العذب أيضاً. إني أنا « الليل »، وطالما سمعتك وأنت تنشدين عندما رأيت دموعك تجري على وجنتيك وأنت تغنين

— سأنشدك إياها بأجمعها، ولكن لا تؤخريني هنا أكثر فلا أستطيع الآن عن اللحاق بولدي والفوز به

فاعتصم « الليل » إزاء هذا الجواب بالسكوت ولم يحر جواباً. ولوت الأم حينذاك يديها وأحنت حرقة الدمع السخين ثم شرعت تنشد أغانيها الواحدة تلو الأخرى. إن أغانيها كثيرة، ولكن الدموع التي ذرفتها كانت أكثر من عدد الأغاني كلها

وعند ما انتهت الأغاني وانتهت الأم من الإنشاد، رفع « الليل » رأسه إليها وقال

— امضي يميناً في ذاك الصنوبر المظلمة، فقد رأيت هناك « الموت » قد فر ومعه ابنك العزيز

فأسرعت الأم إلى الغابة وصعدت تبحث عنهما؛ وما كادت تتوسطها حتى تشعب الطريق فلم تدر أي سبيل تسلك. ووجدت حولها موسجاً من الشوك، وهب برد الشتاء وحجبه بأزاهيره وأوراقه، وجعل أغصانه تتدلى في الهواء وحدها. فدنت منه وقالت :

— ألم تر الموت حاملاً ولدي ؟

فأجاب العوسج بقوله

— أجل لقد رأيته، ولكني لن أرشدك إلى الطريق التي سلكها إلا بشرط. ذلك أن تدفئيني — أولاً — من صدرك كي أسترد بعض الدفء، لأني أوشك أن أتجمد وأموت من شدة البرد، أكاد أصبح نطفة من جليد

وأدنت العوسج منها، وضمته على صدرها لتبعث فيه شيئاً من الدفء، ويحيي منه الجليد المتجمد بجوار صدرها، فنفذ الشوك إلى لحمها، وسال الدم القاني من صدرها بغزارة، وتوقد منه بكثرة؛ فنبتت للعوسج أوراق طرية خضر، وجعلت الأزاهير الناضرة تزين عروقه وفروعه في تلك الليلة الشديدة البرودة من ليل الشتاء ...

وما أكثر في صدور الأمهات الحرّى من حرقة تشتعل وتلهب بالأحاجيج ثم أرشدها العوسج إلى الطريق التي يجب أن تسلكها

ووصلت بعد حين إلى شاطئ بحيرة لا سفينة فيها ولا قارب ، ولم تكن البحيرة من التجمد بحيث يسهل المرور عليها دون أن يغوص قدم المرء أو يتكسر جليدها ، كما أنها كانت شديدة العمق ؛ لم يكن من الممكن أن تخوضها الأم خوضاً . وكان لا بد لها من أن تصل إلى الضفة المقابلة إن كانت راغبة في الحصول على ابنها .

وظل الحب في صدرها وحنانها ، فارتمت على الأرض لترى إذا كان في مقدورها أن تشرب ماء البحيرة كله ! ... فكان هذا ضرباً من التفكير العقيم ؛ ولكنها فكرت في أن الله رحمة منه ورأفته لا بد من أن يحدث لها معجزة تعينها على اجتياز البحيرة . فقالت لها البحيرة حينذاك :

— ولكن لا — إن هذا لن يكون أبداً — كوني أكثر عقلاً وأبعد نظراً ، وفكري فيما إذا كان في الإمكان أن نتراضى ونتفق . إصغي إلى ما سأقول

أحب أن يكون في أعماق جواهر ولآلئ ، وعيناك ما أرى لهما بريق وصفاء وسحر وبهاء أكثر من الدر الكريم نفسه الذي لم أمتلكه قط في ما مضى من أيامي ، فإن شئت أن تذرفي الدمع سخيناً وأن تكثري من البكاء كثيراً ، فلا بأس من أن تجود عيناك متدحرجتين من محجريهما ، وحينئذ أقودك إلى مغرس الشجر الكبير[1] في شاطئي الآخر ، وهناك تجدين هذا هو مقر الموت أيضاً ... الموت الذي يحصد الأزهار والأشجار ، وكل زهرة أو شجرة به هي رمز لحياة إنسان .

فأجابتها الأم بحرقة ونشيج :

— أهلاً أجود بهما في سبيل استرداد ولدي !

من كان يحسب أنه ما زال في مآقيها دموع ! ولكنها ذرفت الدمع السخين بحرقة ونشيج ثم ذرفتهما قبلاً وخرجت عيناها من محجريهما ، ووهبتهما إلى البحيرة حيث استقرتا في قاعها ، وانقلبتا إلى لؤلؤتين غاليتين لم تر قط مثلهما ملكة من الملكات .

ورفعت البحيرة حينذاك كأنها كانت في أرجوحة ، وبحركة موجية واحدة نقلتها إلى شاطئها المقابل حيث يقوم هناك بناء كبير غريب يجاوز طوله مسافة فرسخ كامل ، ولم يكن يقدر أحد من بعد أن يخمن إن كان جبلاً يحوي غابات أم هو بناء شيده الإنسان .

غير أن الأم المسكينة لم تستطع أن ترى ما هو عجيب ، لأنها جادت بعينيها في سبيل ولدها .

وهنا علا صوت الأم وقالت بيأس شديد وألم مرير :

ولكن كيف أعرف الآن الموت الذي انتزع مني ولدي واختطفه من بين يدي ؟

فأجابتها امرأة عجوز كانت تمشي هناك جيئة وذهوباً ، وتحرس الملجأ وترعى الأزاهير والأشجار :

— إن الموت لم يأت بعد ... ولكن كيف وصلت هذا المكان ؟ وأي طريق سلكت ؟ بل من الذي ساعدك على الوصول إلى هنا ؟

إن الله جل شأنه هو الذي أعانني وأخذ بيدي على ذلك ، إنه رؤوف رحيم ، وأنت أيتها العجوز ستعينينني وتشفقين علي . أخبريني أين أستطيع أن أجد مهجة حبي وفلذة كبدي الغالية ؟

فقالت العجوز :

— ولكني لا أعرف ابنك ، وأنت — كما أرى — كفيفة البصر . وقد ذبل في هذه الليلة كثير من الأزهار والأشجار والنباتات ؛ وسيأتي الموت بعد قليل كي ينقلها من الملجأ . وأنت تعلمين دون ريب أن لكل كائن بشري في العالم شجرة أو زهرة في هذا المكان تمثل حياته ومصائره ، وهي تبدو مثلما تبدو سائر النباتات ، والمرء حين ينظر إلى هذه النباتات يحسبها من النباتات العادية التي لا قيمة لها ولا شأن يذكر . ولكن عندما يلمس إحداها يشعر في الحال بوجيب قلب وخفقان فؤاد .

تعالي معي إلى الملجأ وجسي تلك الأزهار والنباتات ، فلعلك تهتدين إلى خفقات قلب ولدك ... وماذا ستعطينني إذا أرشدتك إلى ما يجب عليك صنعه أيضاً ؟

فأجابتها الأم المسكينة بحزن وألم :

— لم يعد لدي شيء أعطيك إياه ، ولكني سأبحث لك عن شيء يدخل إلى نفسك البهجة والسرور ، ولو كان ذلك في أقصى الأرض .

ولكني لست بحاجة إلى شيء من خارج هذا المكان . أعطيني

(١) Serre هنا هو مكان من الزجاج كله أو بعضه ، وهو مخصص لإيواء بعض النباتات التي لا تستطيع مقاومة البرد في فصل الشتاء .

عمرك الطويل الأبيض؛ وأنت تعلمين دون ريب أنه جميل ساحر أنه يصنع كثيراً وسلمت له بشعرى الأشيب

فقالت له الأم:

— أما تروميت شيئاً غير هذا؟ إنه لأمر سهل هناك ... إنى أمنحك إياه بملء إرادتى، وكامل رضى

ثم أعطت شعورها الجعد — التى كانت زينة شباب النفس وصباها النضر — واستبدلتها بشعر العجوز، وهو شعر شديد النصوع، أبيض ناصع البياض

وانطلقا العجوز من بعدها ... ثم دخلا إلى الملجأ الكبير، حيث كانت أجمل النباتات وأكثرها نضارة، تنمو بشكل باهت مرتبك. وكان يرى تحت أجراس بلورية أجمل أزهار السوسن والخزامى، وإلى جانبها أزهار النارنج[1] الفاتحة. وكان يوجد أيضاً نباتات مائية ضخمة النضارة، وأخرى ذابلة أو شبه ذلك، وكانت جذورها محاطة بالأفاعى الرقط. وغير بعيد كانت أشجار النخيل الباسقة قائمة هناك، وإلى جانبها أشجار السنديان والدلب، وفى مكان آخر كانت تزوى حديقة البقدونس والصعتر وبقية البقول الأخرى، التى هى رمز العنصر القائم بالحياة. وكان يوجد هنا تلك شجيرات ونبتات كبيرة وضعت فى أوان ضيقة، وهى تنمو فى أوانيها هذه وكأنها على وشك الانفجار. وكان يرى أيضاً زهيرات صغيرة وضعت فى بعض الأوانى الصغيرة تحيط بها أزهار الربيع، وقد اعتنى بها كل الاعتناء. وكل هذه كانت تمثل حياة البشر الذين ما زالوا حتى الساعة أحياء يرزقون يعمرون الكرة الأرضية من بلاد الصين إلى جزيرة غرونلاندا[2]

وأرادت العجوز أن تشرح لها كل غوامض العلم والترتيبات الخفية، غير أن الأم رفضت ذلك وأبت أن تصغى إلى مقالتها، وطلبت من العجوز أن تقودها إلى كل نبت صغير طرى العود، وأخذت الوالدة المسكينة تشم كل واحد من هذه النباتات بأعجب وتجسه بيدها، فتحس بهمسات قلبه وخفقات فؤاده. وبعد أن جست الملايين والآلاف، تمكنت من معرفة دقات قلب وليدها، وما أن عرفتها حتى صاحت بفرح وابتهاج

— «إنه هو»

ومدت يدها إلى نبت صغير من نبات الزعفران يبدو منه الذبول بأدنى ساقيه، وأوضح صوره مما صنعت بها العجوز كل هذا

— حذار أن تمسيه، وابقى هنا إلى أن يؤوب الموت، ولن يطول غيابه، وامنعيه من أن يقطف هذا النبت، وهدديه باقتلاع جميع الأزهار المحيطة به إن هو فعل ذلك، وسيخشاك ويرهب جانبك، لأنه مسؤول عنها أمام الله العظيم، ولا يجوز لك ما أن ينزع من مكانه قبل أن يأذن الله بذلك

وفى هذه اللحظة هبت ريح عاصفة شديدة البرودة، فشعرت الأم بأن الموت يدنو ويقترب

ووصل الموت بعد يسير من الوقت، فلما رأى الأم نظر إليها شزراً وقال لها مغتاظاً:

— كيف تمكنت من الوصول إلى هنا، ومن أرشدك إلى الطريق؟ وسبقتنى أيضاً؟ ماذا صنعت؟ وكيف وصلت؟

وأمكنت الأم المسكينة من الجواب بالتعجب:

— «إنى أم»

ومد الموت يده الطويلة المتجهة إلى النبت الصغير! ولكن الأم أحاطته بيديها، وضمتهما فى حرص شديد وعناية زائدة حذراً من أن تمسه أو تلحق ببعض أوراقه الدقيقة أذى. فنفخ الموت حينئذ على يدى الوالدة المسكينة فشعرت بهما تسقطان خائرتين. وكانت نفخة الموت هذه أشد برودة من رياح أكثر فصول الشتاء برداً وزمهريراً

وقال لها الموت:

إنك لا تستطيعين شيئاً فى عملى

ولكن الله تعالى أقوى منك وأشد بأساً

— أجل، وأنا لا أفعل إلا ما يأمرنى به ... إننى بستانيه! إن هذه النباتات والأشجار والشجيرات حين لا تعد صالحة وبعدها فى هذا المكان أنقلها لأغرسها من جديد فى حدائق أجمل وأروع، وجنة الخلد الكبيرة إحدى هذه الحدائق، إنها أمكنة مجهولة ولا أستطيع أن أخبرك بما يجرى هناك

وصاحت الأم صيحة من قلب جريح ونفس مكلومة:

— الرحمة! الشفقة! ... لا تقتلع غصنى ولدى بعد أن وجدته

---

(١) نبات جميل، له أزاهير ناصعة كالسكر، رائحة الأزهار

(٢) Groenland جزيرة كبيرة تقع فى شمال أمريكا يبلغ عدد سكانها سبعة عشر ألف نسمة، ومساحتها تبلغ مليونى كيلو متر مربع

وأحست تتوسل وتتضرع ، وتتعصب وتتحسر ، غير أن الموت لم يصغ إلى بكائها وعويلها ولم يُعر صيحتها انتباهه أو اهتمامه وضمت الأم عيدانك على زهرتين تخرجين والتفتت إلى الموت وقالت له مهددة

— أنظر ... إنى سأقطعهما مع جميع الأزهار التى تحيط بهما وسأقتلعها كلها . إلا إذا دفعت بى إلى الطفل العزيز

فصاح بها الموت :

— لا تمديهما ! — لا تقطفيهما ! — زعمين أنك تعيسة شقية ومن تقسك رغبة فى سحق قلب والدة أخرى ؟ ...

— قلب والدة أخرى ؟

قالت المسكينة هذا وتركت الأزهار من يدها حالاً

فقال لها الموت حينئذ :

— حتى عينيك ، إنهما تبرقان وتلمعان بصفاء ووداعة أكثر من الوقت الذى أخرجتهما به من البحيرة . لم أكن أعرف أنهما عينك . خذيهما وانظرى بهما إلى أعماق هذه البئر ، فسأريك ما كنت أنت ستهبينه لو اقتلعت هذه الأزاهير ، وستريى فى انعكاسات الماء الحظ المقسوم لكل من هاتين الزهرتين بين أمامك كالسراب ، وستريك أيضاً الحظ المسوم لابنك فيما لو كتبت له الحياة

واتحنت الأم على البئر فرأت صوراً من السعادة الضاحكة وأفراحاً من البشر والسرور ، ثم مرت بعد ذلك مشاهد عنيفة من البؤس والحزن والكآبة . وقال الموت منعقاً على ذلك :

— هذا وذاك كله من صنع الله ومشيئته

فأجابت الأم بحزن وهم :

— ولكنى لم أتمكن من تمييز ما كان مقدراً لولدى

فقال لها الرب :

— لن أخبرك بشىء من ذلك ؛ غير أنى سأعيد مشهداً أمام ناظريك كأنه بين جميع الصور والأفراح التى مرت أمامك الآن ؛ وقد رأيت دون ريب ما كان ينتظر ابنك فى الدنيا

جثت على ركبتيها وهى مضطربة حيرى ، وأخذت تصيح

— أتوسل إليك ... قل لى أكان هذا الحظ التعيس مقدراً له ؟ ولكن لا ... أليس كذلك ؟ تكلم ... ألا تريد أن تجيب ؟ آه ... وخذه إليك حينئذ كى لا يعرض عنه الحظ ، وكى لا يعانى مصائب وكوارث كالتى رأيت ... إنى أبكى من الحب

عليه ، الطفل العزيز ... الذى هو من كل شىء ... [illegible] كل إثم ... أكثر ... أكى لنفسى ... [illegible] لى وحدى ... [illegible] إلى عالم الصب ... [illegible] القرار فى سكرتها ، والحسرات المرة التى توجهت بها إليك ... أنس كل ما بدر منى من صحيح أو قول

فقال لها الموت

— ولكنى لا أفهم مبتغاك ! ... أتريدين استرجاع ولدك ؟ أم تودين أن آخذه إلى المكان المجهول الذى لا أستطيع أن أحدثك عنه ؟

جثت الأم حينئذ على ركبتيها وضمت يديها ، وجأرت إلى الله بصلاتها :

— « رباه ! لا تسمع إلىّ إذا التمست فى أعماق نفسى ما يخالف إرادتك وربك سيتملك ، الخير ... من أجل سلامته ، ونصاً ... لا تسمع إلىّ ولا تستجب من دعائى ... »

وسقط رأسها بهدوء وبطء على صدرها ، وعرقت فى لجة من الحزن العميق والألم الشديد

ومد الموت من الشيث الجهول المستتر واقتلعه ... وذهب به إلى الشجرة المسورة ليغرسه فيها

ترجمة

(دمشق) عبد الغنى العطرى

## كراسى أحد عالمى الملاريا

Al. Arab. 748

عن الإرسالة ١٩٢٠

سيشيد القرية الصغيرة قريب روما فى حزن كبير ... فى حين أن احياه تظهر فى كل مكان مع مجىء الربيع فإن هذه القرية مرضها الأصعب موت شيخ شخص ... فى السنوات السبع الأخيرة من حياة ... [illegible] ولقيها وهذا العالم اسمه ... كراسى فى ١٩٢٨ إلى ١٩٣٠ توصل إلى تقليل عدد إصابات الملاريا من ... فى المائة إلى ... فى المائة

لقد كان كراسى أحد مشاهير الأطباء الذين تستطيع إيطاليا أن تفخر بهم كان كراسى ... على الأخص أمراض ... للملاريا ... ويرجع الفضل إليه وإلى ... فى اكتشاف أن ... هذا المرض ينقل بواسطة البعوض من نوع أنوفيل ... ولكن هذا لم يكن كل ... إلى جانب ... كراسى ... [illegible] ... الأم ... [illegible] ... فى تلك الأوقات ... [illegible] ... هذا المرض ... أنه لا ... [illegible] ... هذه الجثة ... ٤٠٠ ... [illegible] ... [illegible] ... يوم مدة سبعة أو ... أيام ... [illegible] ... وفى ... [illegible] ... الطريقة ... [illegible] .

(طبع بمطبعة الرسالة بشارع ... الجبرتى ... عابدين)

8me Année No. 362

Lundi 10-6-1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٢ «القاهرة في يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٠ يونيه سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

## الفهرس



٦١ - ١٤

من صور «عصر السرعة» !

# الحرب بين أمس واليوم

يقول الأخبار من قناص إن السرعة الخاطفة هي سر هذا النصر وعلته، فلن لم يجعل حسباً على طول التأخر وتعثر في وجه التقدم. وعجيب السرعة أنها تعمل ولا تستريح، وتفكر ولا تتأمل، وتأكل ولا تتذوق، وتنام ولا تحلم، وتموت ولا ترى. ونحن نقول لهم إن السرعة ليست عبقرية ولا معجزة؛ وإنما هي شيء من الجنون أصاب العالم منذ اخترعت الآلة. ذلك أن الآلة مخلوق أرضي جمع الصلب بشرايين الأعضاء ليس بينها اللسان ولا القلب ولا العقل ولا الروح، فهي تدفع ولا ترأم ما تدفع، وتعمل ولا تحسن ما تعمل؛ وهي تكون الشر كما تكون الخير، وتنتج الموت كما تنتج الحياة. وطبيعة الآلة سرعة الحركة ووفرة الإنتاج، ثم لم تلبث حتى طغى شرها عارى تعمل في أقطار الأرض حتى دفعت العالم دفعاً عنيفاً إلى الامتلاك والاستهلاك والتدبير والتنافس والاصطراع والتكالب، فهو دائب لا يفتر، وصخب لا يهدأ، ونهم لا يشبع، وعراك لا ينقطع. ولئن سألت المعجبين بنصر السرعة على الصبر الطويل كيف يجد الجسم راحته في هذه

الاضطراب القائم ، وأين يحس القلب سعادته في هذا الجحيم المستعر ؟ وماذا أدرك راكب الطيارة أو الطوربيد أكثر مما أدرك صاحب الجمل والحمار أو راكب الحنطور والقطار ؟ لا تسمع منهم غير جواب أشعب حين أجرى الصبيان إلى الوليمة خادعاً بالحيلة ، ثم جرى هو معهم مخدوعاً بالوهم !

* * *

هذه هي الحروب التي عرفها العالم منذ خلق الله آدم وإبليس قد انقلبت في عصر السرعة آلية لا تعتمد على فضائل النفس ولا على خصائص الروح ، وإنما تعتمد على سرعة المواهب في الطيارة والسيارة والدبابة والمدرعة والغواصة والبارجة ... فأصبح الفرق بين الآلة والمحارب في هذه الحرب كالفرق بين الماكينة والمنسج في مصنع المنسوجات !

إن معركة العلمين التي نشبت بين الألمان والحلفاء أهلكت في أيام معدودة من الأنفس والأموال أكثر مما أهلكت حرب البلوبونيز التي دامت ثمانياً وعشرين سنة بين إسبرطة وأثينا ، والحروب الميدية التي استمرت أربعين سنة بين الفرس والإغريق ، وحرب البسوس التي استطالت أربعين عاماً بين بكر وتغلب ، والحروب الصليبية التي ظلت على حرب عقيم وعجز مريع قرنين وثلاثة أرباع القرن بين الغرب المسيحي والشرق المسلم !

تشتعل هذه الحروب بين المدن أو بين القبائل أو بين الأمم قبل أن يوضع القانون الدولي وتنشأ عصبة الأمم ، ومع ذلك تكشف محاجزها الأمم عن خلال مشرقة من الفتوة والمروءة والنبل والإيثار والوفاء والتضحية كانت للأدب الإنساني مصدراً لا ينقطع مدده ولا ينضب وحيه .

وكانت الحروب الإسلامية على الأخص في الفتوح أو الفتن تجري على سنن مستقيم من الدين والخلق والأدب لا تزيغ عنه ؛ فالحروب التي تحبس الحمل لا تحب أن تمنع الصلاة ، والأسنة التي تجري بالخاصة لا تنسى أن تنشد الأدب . وهل هناك جيش يحرص عليه دينه أن يؤدي الصلاة جماعة في المعركة ؟ أرأيت مرة أشد من جيش يجاور الحد إذا قاتل ، أو يجانب الرفق إذا عقد ؟ وما رأيك في جيشين يتهادنان ساعة ليحكم شاعر بين رجلين اختلفا في المفاضلة بين شاعر وشاعر ، وكل العسكر من جيش والمنطلقان من جيش آخر ؟

لقد رووا أن رجلين تنازعا في عسكر المهلب جريراً والفرزدق وهو بإزاء الخوارج ، فصارا إليه ، فقال : لا أقول فيهما شيئاً ولكني أدلكما على من يهون عليه سخطهما : عبيدة بن هلال اليشكري ومن في عسكر قطري بن الفجاءة . فأتيا فوقفا حيال العسكر فدعواه فخرج يجر رمحه وظن أنه دعي إلى المبارزة ، فقالا له : أالفرزدق أشعر أم جرير ؟ فقال : عليكما وعليهما لعنة الله ، فقالا : نحب أن تخبرنا ثم تنصرف إلى ما تريد . فقال : من يقول :

وطوى الطراد مع القياد بطونها ... طي التجار بحضرموت برودا

قالا : جرير . قال : هو أشعرهما !

فقل لي وربك : أين تلك الحروب التي كان يبرز فيها رجل لرجل يتقاتلان ويتصاولان على مسمع ومرأى من الجيشين المتقابلين ، حتى إذا حميت الصدور واحمرت الحدق حمل بعضهم على بعض فيقتل هذا ويجرح ذاك ... من هذه الحرب الميكانيكية التي يلعب بها المهندسون حول الأرض فتتشاءم ظلال من الشهاب وسيل الشهب والصواعق ، ويكر عليهم ظل من الحديد تنصب الحب والقنابل ، ثم يعد الحوادث والصخر آلات الموت والدمار ساعة من الليل أو النهار ، فإذا بك لا ترى بعد ذلك عشرات من المدن صرعى الحضارة في صعيد ، لا ألوفاً من الشباب ... في جبل .

لقد اعتقد الفرس يوم القادسية ... من الفيلة حصوناً تقيهم على المسلمين بعض الرعب ، ولكن العرب لم يلبثوا أن أصابوا مقاتلها في نحورها فسقط الشهداء بالسيوف ، فانقلبت الفيلة إلى أهلها فسحقتهم بأرجلها وهي مولية . ولكن دبابة هذه الحرب كصخر خطر لا تخشى الوخز ولا تحفل الصدام ولا تبالي العاقبة ؛ فهي تهجم هجوم الجراد الجائح على العشب الأخضر ، فلا تمر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم . فإذا أضفت إلى ذلك الويل أن الذين أوقدوا نار هذه الحرب قد تحللوا من روابط الدين والخلق والقانون والعرف والشرف ، أدركت مبلغ ما تعانيه الإنسانية اليوم من يأجوج ومأجوج في أمة بسمارك ونيتشه وغليوم وهتلر .

ليت العالم يا رب كرة إلى عصر الجمل والحصان ، وحرب السيف والسنان ، ومدنية القلم واللسان ، ليصحو من هذا الحلم الذي يحمل ما يحمل ، ويتخلص من هذه الحضارة التي تأكل ما تلد !

احمد حسن الزيات

# هزل مصر والشام

من مذكرات الأستاذ محمد كرد علي

تشهد في مصر ما تشهده في الممالك الكبرى من مظاهر الحياة تغلب الجد على أهم حالاته، وفيها الهزل على نحو من الإتقان وبطريق جدها وهزلها. وأنا في مصر مصري، وما أنا بمصري؛ فلن تخفى جنسيتها، في حرمان الفطرة، مشاركة أهلها في مواطنهم وشعورهم وكثير من أطوارهم. كانت إقامتي في مصر متقطعة، لم أر أن أعرض لسياستها إلا بخير معلوم، وما سهت العدة اللازمة بالوقوف على تراجم أهلها، وتوجهت أن أعرف طائفة منهم، وذلك لتشعب أطراف موضوع لا يجزئ فيه إلا من تخصص له وتقطع إليه. وأحتاج على الأكثر أن أعرف من رجال مصر تراجم العلماء والأدباء، أما تراجم السياسيين وغيرهم فشرح يطول.

من الطبيعي أن يتآلف المتشاكلون في الفكر والثقافة، وفي القاهرة من ذلك ضروب وألوان، ولا يصعب كثيراً على النازل عليهم أن يصل إلى الجماعات المتنوعة إذ كان أولاً، وما دام المصريون معروفين بحب التظرف وحب النكتة. وبعض سكانها كأهل العواصم في الغالب صدمتهم مصاعب الحياة فيها عن الأفكار فيما يفكر فيه غيرهم في العادة، من مثل الرفاه وتعهد الصحي، فيشكل عليهم أنهم من الصفقة التي لا يبرحها من حضر ولا يعودها من غاب، أو أن هناك من عدم المبالاة المتأصل في بعض أفرادهم.

مصر من البلدان التي يعيش فيها الغريب عشرين سنة ولا يفتأ كل حين يقع فيها على شيء جديد، ويظفر بموضوع طريف ما كان له به عهد بالأمس. عرفت صديقي وحيد بك الأيوبي، وهو يومئذ في ميعة الشباب، وكان من أبناء الأعيان المتفكرين المتفتحين، وتعارفنا ربما تم التعارف بيننا منذ اثنتي عشرة سنة، وإذا به رئيس جمعية سرية سماها اسماً غريباً (الشكوكة)، و«شكوكة» الناس جماعتهم على ما في القاموس. وكانت هذه الشكوكة تلتئم كل ليلة في قهوة متواضعة من منعطفات شارع إبراهيم باشا، ثم انتقلت إلى صورة السلام، وكانت من الأجواء التي ... ومبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء، ويستمر ... إلى نصف الليل بساعة أو ساعتين أحياناً. وكانت من غاضبين وضباط ... وموظفين ورؤساء دوائر ومهندسين ومحامين وأصحاب أطيان موسرين وغيرهم. ولا يقل الموظفون منهم عن ثلاثين رجلاً، وما منهم إلا الممتاز بأدبه وفضله ... من مظاهرهم، وكانت اجتماعاتهم للمرح والتنادر وسماع الأخبار، ويجاهرون بأن يشكوكيتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة، ولا غاية لهم إلا الضحك والإضحاك. والرئيس وحيد بك الأيوبي، ونائب الرئيس إدوارد بك صبري من أكبر المحامين في مصر.

هؤلاء الجماعة من الناجحين في الحياة، فلما ... كل ليلة وقد ... في يشكوكيتهم إخوان لهم من ... إلى آخر فتتفرج من هموسهم، وخصوصاً في هذا الحدث. ... جماعة الشكوكة بأنهم ... في أوقات الجد، ... في أوقات الهزل، وربما أحضر اجتماعاتهم، وأوقع في الأخذ ... وشرف الرئيس ... في ... وأخبرني أني شكوكي ... في بلاد الشرق ... وأنتقل في ... شكوكة ... الأصدقاء، ولكن ... دمشق إذا شاءوا إخواني ... القاهرة في ... ثقافتهم، فلن ... أرواحهم وتفكيرهم

بلاد الشام سهلية جبلية معتدلة تطلب الانقباض من أهلها، وبلاد مصر سهلية حارة تطلب المرح والطرب من أهلها

ربما يجري في هذه الشكوكة المصرية، من كل أعضائها والرئيس على رأسهم يصطنعون المرح ويحاولون الضحك، وفيها شخصية مثل الدكتور محجوب بك ثابت المشهور بعلمه ... وحضور نكتته. وأذكر أني عدت من الشام في بعض السنين، وكنت مشتاقاً إلى إخواني الشكوكيين فقصدت إلى الشكوكة لأستطلع طلع أخبارهم، فرأيت بعضهم مكتئباً والرئيس متغضباً، فسألت عن السبب فقيل لي إن الرئيس مصاب بضعف بعض الأعصاب، والأعضاء في حزن من جراء ذلك، وكل منهم يبكي ... ويفترض ... لإيجاد علاج

يُبعدُ إلى الأستانة تتخطفه وحده، ويتنافسون في هذا الشأن، ولا تنافس وزراء السلطان. وأصيب المُنكى في بعض ملوّ لصحبه، مع الفارق بين أعضاء المجمع وأعضاء وزارة المعارف. ومن المقنعة أن أعضاء المجمع كانوا يعدّون في شعاء رئيسهم مخافة أن يصيب الرؤوس بجل ما أصيب به رئيسهم؛ ولا تسل عن ذكر خلال تلك الأيام من نكات وحكايات وأخبار وآثار، وأكثرها مما يضحك الثكلى، ويسلي الحزين، المحروم من جانب الأدب، ويحايي آداب الاجتماع

رجعت إلى الشام وكتبت كتابين مطولين في فترة قصيرة إلى الرئيس، أذكر له بعض ما جمع الله عليّ من أضونة هنا، فلما قرأ الرئيس عن الأدب عذبته عن مثابة بعد وأنه، ومن القوم يتحدثون أنك سنة لا عذر بيّنة من الإبانة إلى حين عرض الرئيس وإلى ما ظهر من الأحوال وإلى ما وضعوا به من كلام وأدعية إلى غير ذلك مما يتحيّن في مقامه. والرئيس يشكو وهم يخففون عنه آلامه ويسلّونه. ولما عدت في الشتاء التالي إلى القاهرة سألت الرئيس عن حاله فضحك وقال: وأنت أيضاً صدّقت ما رويته لكم؟ إني أوهمت هذه الدعوى لأضحككم، وقد حصل المقصود من هذه الشرذمة فضحكتم منه حولاً كاملاً، وأنا بحمد الله ليس بي ما أشكو منه مما ذكرته لكم. فعجبت وأكبرت سمت الرجل ونجابته ورزوسه، كما كنت أعجب بكرمه مع كل إنس يحبسه، وقلت له: إن انتسابي إلى مجمعكم أتمنى إليّ نفسي من كل لقب يضيفه، ومن كل علم مدني شرفني بعضويته، مع جماعته الشكري والسرور، ومع أولئك كدّ العين وكرب ملك

يكتب رئيس المجمع الآن بيد الأحرار في جريدة الأهرام فصلاً مطيفة في اللغة والأدب والسياسة. ومن الطرائف قالت يوم يتقبل كلام أحد رجال السياسة وتحورت في الإعجاب برابطون بحيثهم في مصر لهذه الاستقلال! ومن هذه كتب الرئيس بضعة أسطر في الأهرام يكتبها عنه لمنابه بأمر مصر ويقول إن هذا الآن إنما احتلال واستقلال، فلم لا يسميها؟ سمّيها (الاحتقلال) أخذ من الأول حرفين ومن الثاني ثلاثة. وسأله مكان التيمس في القاهرة؛ وهذا نص الكلمة الجديدة، فقال عن الجديدة Occupendance مأخوذ من Occupation الاحتلال و Independence الاستقلال. وكثير ما كان الرئيس من هذا الاسم الجديد وحاله أنه كان أجمل في اللغة وما أثره على وجه أشيع على هذه اللفظة الجديدة. وهذا سؤال أن يتصم من لفته وسبب وصف؛ وما كان بعضهم يضمهم إلا أن يكون وجدها في معجمات اللغة

ورئيسنا يعطف على كل من يسدي إلى الناس جميل العمل؛ فإذا سمع بأحد عنده حاله احتسبه وبره، وقد يصحب أحد الصديق المسجين إلى سعيهم لتكريمه بيده أو بعثه. وقد اعترض عليه مرة بأن رئيس المجمع أحوى به الكنسيوي ثلاثة إلى فلاناً في حاجة إلى «بنطلون» وأنت تنفق عليه في الوجبة الواحدة ما يزيد على الخمسين أو الستين قرشاً صحيحاً نصفه ثلاثين قرشاً يشتري بها بنطلوناً بعشرين والعشرة ينفقها على عياله. فأجابه الرئيس: صدقت يا دواردي بك! ألا ترى أني إذا دعوته على طعام ببنطلون جديد أكون قد عرفت حاله وأدبت شكوه؟ وأنتظر الرئيس يقصد باستصحاب الفقير إلى مطاعم الأغنياء يقول لهؤلاء بلسان الحال إنه لا قيمة لما تتعظمون به من الهدل، وأن الفقير قد يشاطركم طعامكم بعدل ترحّص قليل

وحلل رئيس المجمع، وطلي جلال، ليس من المعول الموجودة، بل حله مبتكر مبتدع، فقد أصدر في مدة ثلاث جرائد في وقت واحد بأسماء مختلفة، ومديرين ومحررين مختلفين، جمعها كلها لمقاومة الاحتلال، وأذكر منها (كذا) وسماهم ومحررين، وكان يصدرها في أوقات مختلفة. وليس هذا كله إلا دورة عبر جيب الرئيس وفطره يكتبها أو أكثرها، وينشرها على أنها ثلاث جرائد مختلفة الوضع والطبع، متحدة المرجع والغاية. ولم تكشف هذه القصة إلا بعد مدة طويلة. لله من هذه الأعيب أشياء تسر ولا تضر يضحك منها ويُضحك

كان الشيخ طاهر الجزائري كثيراً ما يعنف على صديقه الدكتور صبحي صوفة أول صديقه، ويحبها فيها عروضاً جزلاً وغير خالية من جد. فملأت الرؤوس بأحيار صاحبه، ووجد كل واحد منها

لو جاء إلى صيدا يتعرف إلى هذا الطبيب . وما كُتب لأحد من جماعتنا أن يقوم بهذا الفرض قبل صاحب هذه المذكرات . فإن رحلت إلى صيدا لألقى من جمع شعث الفضائل بذات حسين عودة ، فإني لجد مشوق إلى رؤيته

وأريد أن يُعرف أولاً من هو الدكتور عودة . ولد الدكتور في دمشق ، والتحق في صباه بمدرسة القصر العيني في القاهرة لأحد المطب ، فرسب لشدة ذكائه عدة سنين ، وما زال يرسب في صفه حتى جاء مصر الأمير عبد القادر الحسني الجزائري يوم فتح قسم من ترعة السويس سنة ١٨٦٣ ، وقد رجاه أهل حسين عودة أن يكلم الخديو إسماعيل ليسهل على ابنهم أخذ شهادة الطب ، فصدر الأمر بمنحه شهادته فأخذها واختار السكنى في صيدا لعله في مكان بعيد عن الأهل فلا يكون موضع سخرية عند الفرنجة من أهل دمشق ، لأن خلقته وثيابه تضحكان حقيقة ، فهو قصير ، في عينه حَوَل ، وفي وجهه جدري . ووفاء لمدرسته أوصى أن يجمع ما جمع طول عمره ، فكان إذا بلي المعطف ، وقد كتب على أزراره ( مدرسة القصر العيني ) أوصى على معطف جديد من نمطه ، وذلك كل عشر سنين مرة ، ونزع الأزرار من المعطف القديم ، وألحقها بالمعطف الجديد ، يذكر الناس بأنه خريج كريم ، من ذلك المعهد العظيم

كان يهدي الدكتور عودة إلى صديقه الشيخ طاهر الجزائري بدمشق مجلداً للمكتبة كل سنة من مجلة الصيدليين إلى مجلة الأمويين . أتدرون ما كانت تلك الهدايا النفيسة ؟ كانت قصاصات من جرائد مصرية وسورية قديمة وحديثة ، أقدمها لا يزيد على بضعة أشهر ، وعمر أحدثها شهر واحد فقط . وكان يقطع من كل جريدة ما راقه ، ويجمع الباقي ويضعه في كيس ورق أبيض ، ويختمه جيداً حتى لا تمتد الأيدي إلى السرقة منه . وقد أهدى الأستاذ إليه مرة بكتب . فلما رأيتها قديمة استحييت من أخذ شيء في السنة التالية ، وأحببت أن أحسن بها من يحبون الجرائد ولو كانت قديمة فانية

كان الدكتور حسين عودة مولعاً بالمشاكل ، ويطب مرضاه بها على الطريقة . وقد ملأ المجلات الطبية في عصره بفوائدها ، فأول ما وقعت عيني عليه في داره تجربات عملية من هذه الكهرباء صورة ضخمة عميقة ، جلس على الحائط وعلقه ، وكتب تحتها ما جاء على ما تروى من وصف وخطاب الكهرباء وعلى جانبيها ، وألقيت نظري على الحائط ما رأيت به ما لا يقل عنوانه عن اثني عشر سطراً ، فسألته ولم هذا المالك شاقك إلى هذه اللوحة ؟ فقال : لأن النظر إلى البحر يؤذيني ، ويحمل الكرب إلى قلبي ، ولذلك أثبت هذا الستر ليحول دون نظري وما يكره

كان الدكتور يطبّ الأغنياء في بيوتهم بقرش واحد ، فإذا زاروه في عيادته أخذ منهم ربع قرش ( متاليك ) ، أما الفقير فإن عيادته لو ذهب هو إليه بنفسه ، لا يأخذ منه شيئاً ، ويعطيه ثمن الدواء ، والبيرة ، والطبع بعض ما يحتاج . وقد أُخبر الدكتور عودة من أثر الأطباء بعينه التي أنسيها يوم خرج من المدرسة الطبية إلى مدرسة الحياة . وسرت مع الدكتور في أسواق صيدا وضواحيها فرأيت أهل البلد كبيرهم وصغيرهم وعالمهم وجاهلهم وسادتهم يحيون الدكتور ويعظمونه ، ويسألونه في الطريق علاج أمراضهم ، ويدعون له بطول العمر

وذهب الدكتور وقد شعرت بالتعب من اللغة ثلاثة أيام وكنت نازلاً في الغرفة الثالثة من فندق مطران ، فقيل في بعد الغروب بثلاث أو أربع ساعات : إن الدكتور آت يزورك ، فدهشت وخففت لأتلقاه على السلم وقلت له : لماذا تتعب نفسك يا سيدي ، وقد ودع كل منا صاحبه في النهار ؟ فقال : هذا واجب أقوم به ، فشكرت له أدبه ونبله . ورأيته في هذه الزيارة الليلية يحمل نبوتاً أطول منه وفانوساً صغيراً ، ويلبس في رجليه قبقاباً عالياً . فسألته بأدب : لم يلبس القبقاب والزمن صيف ؟ فأجابني بما معناه : إن حيات الأرض كثيرة ، ولا يأمن السائر في الليل من شرها ، فلكي يكون بمأمن من خطرها يحمل هذا النبوت يستصحب به قبل أن تصل إليه ، فإذا أصابت منه شيئاً ، وإذا حاولت الصعود إليه تعسر عليها الصعود لم يستطع أن تصل إلى رجله ، وكان في قوله جاداً ، وكان حياً كله ، وهذا وجه لطافته

ومن لطائف حدثه أنه كان يعتقد أنه يستحق العمر الطبيعي ، والعمر الطبيعي للإنسان مائة وخمس وثلاثون سنة ، أو مائة وأربعون لا أدري ،

حركات الإصلاح الإسلامية

# ٢ — أزمة إسـلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر

دكتور في الفلسفة والعلوم الإسلامية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة

هكذا نرى أن التشريع الإسلامي هو محور الدائرة التي تدور حولها حركات الإصلاح والتجديد في الإسلام ، والذنب الذي يقدمه المصلحون لتجديد الحياة الإسلامية تجديداً فعلياً ، وأن مسألة قرب الإسلام قابلاً للإصلاح والتجديد والرجوع به شباباً قوياً إنما تقوم على مسألة أخرى : وهي هل من الممكن التخلص من أشكال قديمة جامدة في الفقه الإسلامي ؟

وإذا ما أردنا أن نعمق البحث تعمقاً أدق لنتعرف العمل الأول الذي اعتمد عليه المصلحون لإصلاحهم وجرهم إلى التفكير في ذلك فلا نستطيع في حدود الروح الديني أن نفكر في ذلك رجوعاً إلى الأصل المعروف « الإجماع » ، ذلك الأصل الذي صبغ الفقه الإسلامي بتمام صبغته وتميزه ، وعرفه أهل السنة وحملت معارضة بعض المقلدين . وهو في حقيقة الأمر المنبع الذي صدرت عنه تطورات الإسلام في ملابساته المختلفة في العقائد والتشريع والسياسة في تقلبات الأمة حتى وصفاً صحيحاً ودقيقاً ، ويكون صحيحاً فقط في الشكل الذي يعطيه له الإجماع ، حتى نصير القرآن الكريم والسنة يكون مع تطبيقهما بحسب إجماع الأمة ، والمعاملات التي تعتبر لكمال أساس أحكامها أصبح مراعياً فقط حسب ما جرى عليه الإجماع عند هؤلاء الرجال وهذه المكتب حتى إنتهى إلى القدم عهد الصحابة إجماع المسلمين . وهكذا نرى أن الإجماع قد لعب دوراً هاماً في الإسلام بما لم يقم به مصدراً مثله . ومن المعروف أن هذا الإجماع لم يأت نتيجة إجماع منظم ، وإنما كانت عبارة عن الأمر الإحساس العام والرأي العام وصوت الأمة .

وقد حاول العلماء حد زمناً ومكاناً أو ردّه إلى إجماع الصحابة أو علماء السلف من أهل المدينة والحرمين ، ولكن هذه المحاولات شيء ومظاهره المختلفة التي رأيت شيء آخر . والأهم من هذا هو أن الإجماع الذي حصر في الماضي مرة التحول ومطابقة العصر ليس سهلاً أن يكون من تم مكافحة الجمود والجمود الشخصي إذا ما استقل استقلالاً صحيحاً وهو ما تركه المستقبل .

وقد يظهر غريباً إذا قلنا إن عوامل التجديد قد أظهرتها وحددتها طريقة أهل السنة نفسها ، ذلك أن طريقة أصول الفقه إن كانت لا خلاف فيها في أوساط أهل السنة ، فقد وجد من العلماء المفكرين من لم يقبل الفقه بعيداً عن دائرة الاجتهاد وظهر له أن التقليد والتمسك بمذهب بعينه أمر لا يحتمل ، وعند ذلك عند هؤلاء العلماء من أمور الأصل — معروف أنهم لم يتعدوا — دائرة هذا الأصل الخطير — أعني أصل الإجماع — وصيغوا من مناهجه ، فالإمام الغزالي نادى بالاجتهاد ، وكثير من جاء بعد ذلك أيضاً مثل ابن تيمية والسيوطي[1] . وقد اعتقد المصلحون من ناحية أخرى في مناهضتهم للإجماع إلى أن تحديده من وقت طويل جعلاً للاجتهاد والرجوع استطاع آخر الأمر أن يأخذ عنه المجهود الواسع الذي انتهى إليه[2] .

وقد جاهد الحنابلة من بين المذاهب الأربعة جهاداً كبيراً في سبيل الاجتهاد لأجل محاربة البدع حسب التي عرفوا بأنها كان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم استعملا هذا السلاح ضد البدع الكثيرة المنتشرة[3] . وقامت على جهودهم قبل بعضهم حركة

(1) I. Goldziher, Die Richtungen der islamischen Koranauslegung, p. 320, Anm. 3.

(2) انظر في هذا المقال : Khuda Bukhsh, Essays : Indian and Islamic, S. 788.

(3) انظر في الأصل مقالة الله بن شعيب في دائرة المعارف الإسلامية جزء ٢ ص ٤١٦ وما بعدها

ولما كان هو على قدر من المقدرة ولم يتس استعمال قوة هذا ، فإنه أخذ يدور فيجد السير لا محالة . أما هو فلا يشعر بهذا الأمر الخطير ، فهو مسكين حقاً . ومن أعجب حبه ، وهو مستعد بعد يقول ويعمل ما حدث له صدقة ، وهو يجري على شاطئ البحر مع صاحبه الشيخ طاهر ، وقد على صهره أحد الطلبة ، وكان هذا لا يخلو من عجب على ما يظهر . وبعد مضي أربع ساعات على اجتماعه إليه ذهب إلى الدكتور وقال له : يا سيدي الدكتور أرجو ألا يكون في حضوري ما يحملك على أن تعود إلى الشيخ . فاعتذر الدكتور حتى رضي ، يا بني إنني لم أقصر أنك معنا ، وإني لا أزال حتى الآن أقدر أنني للإقامة مجبول من المسلمين ، وهكذا كان وما شاء الله كان .

أبو عبد الغني

الوهابية بجزيرة العرب أثناء القرن الثامن عشر الذين حاربوا البدع وأزالوها من البلاد المقدسة ، وتعاليم محمد بن عبد الوهاب مؤسس هذه الحركة متفقة تماماً مع تعاليم ابن تيمية [١] ، فقد كان يدعو إلى التمسك ... كل الذي كان ... في حياة النبي وصحابته ، وكان ... الرجوع إلى الإسلام في الصدر الأول ، وذلك إنما يتم بالرجوع إلى الكتاب والسنة وحدهما ... بأنه مخالف للإجماع ... سلطان الإجماع ... مخالفاً في ذلك جمهور أهل السنة ... ولا شك أن ... البدع التي حاربها بشدة وعنف كثيراً كانت في الواقع مقبولة بإجماع المسلمين

وقد ... أحدهما ... ابن تيمية والوهابيون بأنهم خارجون عن الدين وعلى جماعة المسلمين وتعاليم أهل السنة الصحيحة [٢] . ولكن الوهابيين ... متمسكين بمذهب الإمام أحمد ... وكما أن ... الأيام قد ... الحكم على ابن تيمية ، فكذلك أخذ كثير من المسلمين منذ زوال الخطر الوهابي يعدلون عن رأيهم في هؤلاء العرب ...

ولم ... آخر حركة الوهابيين بسقوط ... السياسي وهدم عاصمتهم الرياض سنة ١٨١٨ ، وذلك أن تعاليمهم وآراءهم ظلت منتشرة في الجزيرة العربية . وفي سنة ١٩٢٤ ... إليهم بلاد العرب وأصبح ... الملك عبد العزيز بن سعود الزعيم المعترف به في البلاد المقدسة

وإذا كان ... ولما كانوا لم ... ، فإنهم مع ذلك لم يتركوا تعاليمهم ، وأصبح القول بخروجهم عن الدين غير موجود الآن عند جمهور أهل السنة

وأهم من هذا كله في هذه ... للإجابة ، هو أن هذه الحركة الوهابية أصبحت ... في أثناء القرن التاسع عشر إلى بلاد إسلامية أخرى ، وعلى الأخص بلاد الهند ومصر ، ومن بين كل هذا قد أحدث ... بالرجوع إلى الإسلام الأصلي الخالص وترك البدع التي حدثت بعد ذلك ، والحد من ... العلماء وتحكمهم ، وقد أحدثت هذه الحركة ... الذين لم ... أي حركة إصلاحية في الإسلام

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن الحركة الوهابية ... كبيرة بعيدة الأثر في هذه الحركات الإصلاحية الإسلامية في العصور الأخيرة ، وإن يكن الاتصال بينها وبين هذه الحركات غير مباشر ... كل الوضوح . ومن هنا ... أن نخص ... في الكلام عن هذه الحركات التي ... إن شاء الله

علي حسن عبد القادر

(١) راجع ... مجلة المستشرقين الألمانية جزء ٥٢ ... صفحة ١٦٩ وما بعدها

(٢) Goldziher, Vorlesungen S. 274, 2. A. S. 277

---

صدر حديثاً كتاب

يقع في ... صفحة وثمنه ... قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكاتب الشهيرة

# إلى أرض النبـــوة!

[ وصف وتأريخ لرحلة الوفد السوري إلى الحجاز
ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البرية بالسيارات ]

للأستاذ علي الطنطاوي

- ٢ -

ركبنا الموكب، وقد وقف في ناس دمشق، حول قبة (العسالي)، وقد ملأت وفود المودعين تلك الساحة على رحبها، وقام خطيبهم يخطب، وقمت أشكرهم باسم الراحلين وأودعهم، وأشرح الغرض من هذه الرحلة. وكانت الشمس قد جنحت إلى المغيب، فزاد شحوبها للرحيل رهبة وجلالاً، وأقبل الناس علينا يودعوننا، لم يكن ترى إلا عناقاً أو قبلة، وكلاماً متقطعاً، وحباً وعطفاً، فلم يبق في الناس من لم تسل عبراته

وإني لأني لا أنسى مشهد عميد ترك آنا مسكر من وجوه الميدانيين، وبرفقتنا في سفرنا، وقد طلى ولا يجد قرشه، وبكى ميكيًا، فما كان أبلغ من بكاء الشيخ الجليل، إلا بكاء الشرخ، وما تركه حتى انتزعوه منه انتزاعاً، وإن صورته لترن في آذاننا يناجي: حدي جدي

وظهرنا دمشق، وكان الليل قد أسدل ستاره على السكون، وسارت بنا من عند جامع الطائفة نال فيه الخوذين والمدح، وتعبه من هذا المشهد، حتى ابتلع سواد الليل وطواه سكونه، وذهب سواد الجامع في سواده الشامل، ولم يبق من حولنا إلا السهول الفسيح.

وكان صمت جميع، فلم ينبس واحد منا، وانصرفنا جميعاً إلى مواطفنا وأحلامنا، وقد هاجت مرحى الوداع، وأفكرنا هنا للمستقبل المجهول الذي نقدم عليه، ووقفه الصبر، الرحمة التي نمس إليها، ومغبة البقاع المقدسة التي نقصدها، وكنا نقف بين الرهبة والدهشة، مثلاً العين برأي أضواء المهجرين)[1] وهي تسطع على حوسنا الطالعة، كما تسطع النجوم الهادئة في القبة الصافية، على الفضاء الغائر، ولم نكن ندري، أتسود إليها فتراها كرة أخرى، أم سنا كتنا الصحراء فيكون فيها أخر العهد بها؟

وكنا نحدق فيها نتفتش صورتها في نفوسنا، ونحمل لها في ليالي البعد، ونتذكرها آخر آية من آيات دمشق (البلد الحبيب)

وكانت السيارات تسير متقاربة يكاد يتوحد بها تقل ما تقل من وكانت تحمل عدا طعامنا والشراب الفرش والخيام، والقدور والطناجر، وبائق (مصحة) بنزين، وعدداً هائلاً من آلات السيارة وأدواتها، وراديو (واد) وغير ذلك مما نسيه الآن، وكنا نوزعنا بلا وترجو لنا التوفيق، وليس فينا من يتحدث أو يتكلم إلا قائلاً كله، ومحاسناً صوتاً، ثم وضع الصمت حتى طلعت علينا أضواء أذرعات (درعا) قصبة حوران –

• • •

بلغنا أذرعات (درعا) بعد العشاء، بعد سير رشا فاترًا في حواز سهر لوريئًا سلبيًا. وأذرعات اليوم مدينة جميلة ذات قسمين – قسم جديد منتظم بني على المحطة، وقسم قديم يتأى عنه قليلاً – وفيها سوق كبيرة، وأبنية جديدة، وهي قديمة ذكرها العرب في أشعارهم، ثم – كما قال ياقوت – لم تزل من بلادها في الإسلام وقريه وأنشد لبعض الأعراب:

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا
ويهيجني من أذرعات وما أرى بنجد على ذي حاجة مدنَّفيهما

وذكرها امرؤ القيس، وعد ياقوت جماعة من العلماء خرجوا منها، وليس فيها الآن من العلماء أحد (فيما نعلم) يذكر، وعالم حوران وشيخها اليوم الشيخ الفقيه الصالح الشيخ الطيبي الدمشقي وهو دون الستين، وهو بقية السلف الصالح – وفارقنا أذرعات بعد ثبوتنا إلى بصرى بعد ما هنفنا[2] إلى القناة أهلها وجوههم مبشرهم بوصولنا، فلم يبلغ منتصف الطريق إلى بصرى حتى رأينا أضواء كثيرة، وصخباً بيبع على الحرج، فعجب أن يكون في البرية مثلها، وبدونا شيئاً فشيئاً من أضواء المستقبلين الكرام، فحيونا ترحيباً وأظهروا يحتفون بنا من نصف الطريق، فحيونا ومشوا بين أيدينا يرجون الأهازيج البدوية حتى بلغنا بصرى

(١) هذا هو التعبير الصحيح وإن كان عكسه هو الشائع

(٢) أي تكلمنا بالهاتف وأصله في اللغة الهاتف، وهو اسم معروف عند العامة والخاصة

(١) هي الأضواء التي تبدو على صفحة جبل قاسيون ... ذات الجلال والجمال

وبصرى مذكورة في التاريخ مشهورة ، وفيها دلائل وآثار كثيرة من آثار الماضي ، ولم أكن قد دخلتها من قبل ، فما استطعت رؤيتها في الظلام ، ولم أتبين من آثارها إلا شبحاً من القلعة المصمتة ، فلبثنا عند مدخل البلد ، ثم فارقنا الطريق الذي سلكناه إلى منزل آل المقداد حيث رأينا الكرم الذي لا كرم بعده

وبصرى مذكورة في الشعر قديماً وحديثاً ، ولكنهم لم يذكروها إلا ليذكروا بعداً ، وسفر شوقهم إليها ، وكأنهم لم يروا منها ولا في الغوطة ولا وادي بردى ما يحببهم ظلال نجد وربوعه ، وذلك من حكمة الله ، إذ لولا حب الوطن ما سكن البلد القفار ، فمن لوطنهم منها

أيا رفقة من آل بصرى تحملوا رسالتنا لقيت من رفقة رشدا
إذا ما وصلتم سالمين فبلغوا تحية من قد ظن ألا يرى نجدا
وقولا : تركنا الصحاب يلقون بعدكم وصبوة تكاد تحملنا كرهاً عهدا

وبقينا فيها إلى موهن من الليل[1] ثم خرجنا يصحبنا دليل من أهلها ليسير بنا إلى (قريات الملح) القرية التابعة لابن سعود من غير أن نمر على المخفر الإنكليزي في «الأزرق» لأننا لم نستأذن من المخفر الإنكليزي لنمر على شيء من بلاده ... وكان معنا الدليل الحاج عمر ، وقد رشحوه خبيراً بالطرقات ، عارفاً بالأرض ، خريتاً حاذقاً . فتوكلنا على الله ، ثم على هذا الدليل الحاذق !

* * *

سرنا إلى الجنوب ، نخبط في ظلام الليل ، لا نتبع جادة مسلوكة ، ولا طريقاً واضحاً ، وإنما يقودنا الحاج عمر . واسمه الحاج عمر ... (وهو أصله ، كما قد علم من كتاب المرحلة جهده) حتى بلغنا قرية كبيرة اسمها (أم الجمال) فيها مبانٍ كثيرة وأزقة وطرقات ، وفيها برج عالٍ قديم ، ولكنها مهجورة منذ قرون ... ليس فيها ديار ولا نافخ نار ، وهي موحشة في رأد الضحى فكيف بها في الليلة الظلماء ؟ فما كان من صاحبنا الحاج عمر إلا أن دار بنا وحدث نفسه وجعل من الدوار والتفتيش يروح ويغدو ، ونصبر عليه حتى أقلق ، فسألته عن أمره ، فإذا هو لم يركب في عمره سيارة قط ، وإذاك دار رأسه ، فسألناه متى يرى ؟ فلما رأى الطريق مختلطاً عليه ، ما مشى بالريب في هذه الخربة الموحشة التي لا يسكنها إلا الجن ... ونحن في سيارة يكشف لنا الطريق ، فتنظر إلى الفجر أن يطلع ، وكانت ليلة ما أذكر أني رأيت مثلها برداً ، وأنفس في هم وما نمت ... ولم أر مثلها رجعت من البرد ، وبلغ منا النعاس وما نطيق أن نام في الواقع وكيف ننام ؟

فلما طلع الفجر ، وعرفت الوجوه ، رأينا الحاج عمر يبحث عن بعد عشرين متراً منا ، وإذا المدير ينتظر أن نأتي إليه

وأردنا على الإسراع على أن يعبر بنا بعض أجواف السفر كالوعر ، فقال المدير للشيخ (أبو عبيد) لأن رفيقنا كان قد أصابت عينه فتركنا به أثراً وسألناه ، هل يعرف الطريق ، لم تخطئ بنا حيث أخطأ ، فعجب من سؤالنا وأكد لنا أنه يعرف البلاد كلها شبراً شبراً ، وأنه سلك هذه الطرق بعدد شعر رأسه ، فأمن لنا وسرنا معه ، وكانت الشمس قد طلعت ، وانقضت أول ليلة من ليالي الرحلة

فلما سرنا معه ، صعد بنا جبلاً وعراً فيه أحجار وحفر ، فسرنا فيه ساعة كاملة وهو لا يزداد إلا وعورة ، فقلنا له : ويحك يا هذا ، إلى أين تمشي بنا ؟ قال : إن علينا أن نجاوز هذه الوعرة ، كي نبلغ قريات الملح من غير طريق الأزرق فقلت له : ويحك ، هذا والله البلاء الأزرق والموت الأحمر ... وإنه يريد لك إذا أوغلت في هذه الوعور ألا تخرج منها ، فعد بنا ودر بنا إلى الأزرق ، فما في الأزرق إلا مخفر الجند !

واختلفت الآراء وتجادل القوم ، ثم اتفقوا على العودة ، فعاد بنا الدليل من حيث جاء ، حتى إذا هبطنا الجبل سار بنا في طريق معبدة قسراً فيه ، ثم سرنا وهي لا تنتهي حتى كان الظهر يزول ، ثم وجدنا عسكراً من عساكر البدو فيه ضابط إنكليزي ، فسألناه : إلى أين تؤدي هذه الطريق ؟ قال : إلى المزار ، وقد اقتربتم من حدوده

فوثب أصحابنا على الدليل يوسعونه سباً وشتماً على أن خرج بهم حتى كاد يهلكهم بجهله ، وهو صامت ما كان لا يعلم شيئاً ، فتركه القوم والتمسوا سبيلهم حتى قال لهم : إني لأعرف طريقاً في الحرة يصل بنا إلى القريات ، وقد جربه من قبل فوجده سهلاً فقالوا له : سر بنا إليه ، فقال لهم : دونكم الجبل ، ثم طاف دورة فإذا نحن في حرة من أصعب الحرار وأوسعها ممتدة الجوانب مفروشة بحجارة سوداء لامعة ، كأنما قد صب عليها الزيت ، حافة الجوانب كأنها السكاكين ، فلما بلغنا وسط الحرة رأينا

---

(1) منتصف الليل

لحارة مبروكة بهيمة قد غربت وحطت الحضارة، فكنا نرى من السيارة ... الأشجار من طريقها نمشي، وكنا إذا بلغنا منعرجة لم تقر السيارة في منعرجها ركنا فرحت السيارات بحبال طرقاتها يا كلنا راجعة واحدة كما تمر القذيفة الحارقة، واستمر بنا ذلك إلى الغروب، وانطلقت بنا هذه الطريق تسيح كيلا رأيت حب للموت ١٢ مثلا، ولم ... إلا ساعة أمكنت بها وسلبها، فلما أن غيب الشمس يسر الله لنا الخروج من هذه الحفرة؛ فلما خرجنا منها إذا نحن بسهل تغمر الأزرق ليس بيننا وبينه إلا أربعة أكيال أو أقل منها، وكان إلى يسارنا أودية وعرة تنبع من جنب الصحراء، فلم نجد بداً من دخولها، فسلكناها مطرقين نحوم بها السيارة ونقعد ونميل ونحنك حتى أظلم الليل، وبلغنا مكاناً مستويا فوقفنا وأعنا الليل، وكنت حين نهبت إلى الأزرق بعد هذا الأذى كله، كالفار (من الموت إلى الموت وقع).

(له بقية) عمر الشطاوي

# إلى أين ... ؟

## للأستاذ محمود محمد شاكر

جلست وصاحبي تحت جنح من الليل كأنه بز أسود قد طوى أفقا من السماء في كنف من جناحه. وطمس هذا الليل الدامس ذلك الشعاع الذي لا يزال يبرق به وجه صاحبي كلما سكن شاعراً واطمأن ... وبحثت نفسه من وراء ذلك السكون الوديع كرفة بأفكارها الشجية، وترسل لهيبها يتلألأ على عينيه ويموج وكأن إحساسنا يحمل الثارة الطرية، يثير النفس ثم يجثم عليها مثقلاً بوطأته، فلا هو يتركنا نحور فيمضي ما نجد من ثقله، ولا هو يتركنا سهلاً.

وبقي صاحبي صامتاً لا يتكلم، ولكني كنت أكاد أجد الأماني والمعاني وهي تسري في دمائه وتنفجر أمام ما رأيته — أو كل ما أحسسته — كاليوم. لقد كان كالصخرة من الغيب مكمورة في غيطاني، صور وفترات كثيرة، وكان هو هذا الخبيء الذي وجهه حتى كنت ... أقرأ ... ما أقول ذلك ... يخرج منه بعض ما يتلقى ... من سير الفكر، ولكني كنت أخاف أن أظهر له أني قد نفذت إلى بعض أسرار ... كتمها. فسكت معه ساعة أحتال في خاطري لنفس تلك الأغلال التي يضربها على ضمير نفسه، وقلت لعله أن يعض الحديث إنما نتشكى متعب وأروح

لم يكن لي حيلة معه، ولكن طول الصمت بيني وبينه في ظل هذا الليل الأسود كان هو مفتاح هذه الأقفال الكثيرة. وكأن عصاب الذي أصابه ذي الليل هو الحيلة التي جعلته يلين ويمضي في نفسه يريد أن يسكتني وهذا الليل سراً من القدر

ثم سكت سكتة ظننت معها أن أنفاسه قد أبت عليه أن ينفس بها. لقد كان يجاهد نفسه؛ كان هو يأبى أن يتكلم، وكان الذي يعتمل في صدره من الهموم يأبى عليه إلا أن يتكلم، كان زماماً ما كالأمين ... متجاذبين ... لقد أنهكه ذلك حتى كاد يصرعه، وإني لأحس بل أسمع صوت الحرب التي قامت في نفسه عند الصراع الرهيب الزاحم بين إلحاح هاتين القوتين في تنازعهما. ومضت الدقائق وكأنها ساعات من عمر النفس إلى تغريب العذاب من هذا الصديق الذي أعطي، والذي يأبى عليه هذا إلا أن يتعذب

وسكنه ... لبث أن عض كثافة هذا الصمت الجهم بكلمة صرخت فيه

لست أدري ... لست أدري!

لقد وقعت كلمته في أذني صليلاً كما يقع الحجر الصلد على ضربة معول من الحديد الصلب. لقد بقيت بعدها حتى نسيت أفكاري فيه منذ أول الليل. ولكني سرعان ما اجتمعت طبيعته وأردت أن أحتال لأستخرج منه ما استطعت ... فعلت. وكان أهم حسبه ما يشير إليه

كلانا ليس يدري، وهذه هي الحياة. إنك لا تستطيع أن تعرف الحقيقة حتى تعرض إليها الباطل صريحاً ... إن الشك هو أعظم أحوال النفس الإنسانية، هذا ما ابتلي به الإنسان منذ بين جانبيه ... بين أن يهتدي فيمضي لقدره فيستوي على عرش من عروش الملكة، وبين أن يضل ويتزايل متعثراً على ...

الصور الفكرية الذهبية يتحطم ، وأي ذلك كان ، فالمسألة كلها مجرد هموم يا صديقي ! رُفعت الأقلام وجفّت الكتب

لقد رأيت شيئاً من كل ذلك من عينيه في جوف هذا الظلام وكأني التمست مكاني من الدار التي تكمن في تلك الصخرة الفكرية الملمة التي انطوت عليها ضلوع هذا الصديق المسكين

ثم رأيته وقد عمد أخرى إلى صحته وصراعه ، ولكني كنت أشعر به وهو يئن ويتصدع من كل ناحية . لقد كان هذا الصديق شاباً مهذباً ، ولكنه كان رقيقاً أيضاً . وكان صبوراً ، ولكنه ربما استكان للجروح . وكان مستوحشاً أيضاً ، ولكنه ربيب ألف وطاوع واتكال ، ولكنه لم يجمع مرة . وكان راسخاً عنيفاً وطيد الإيمان ، ولكني كنت أشد إليه أحياناً كأحد الزرقة التي في عنفه قد حملته يترنح ويتطامن ويضطرب بعضه في بعض اضطراب الموج في ثياره

لست أدري ؛ ولكني أريد أن أحدثك ، أريد أن أجد الهنيهة من القول لتشركني في بعض الفكر ...

ثم سكت وسكن ، ولكنه أقبل في رقة جمع أطراف نفسه المبعثرة ، يقول :

كنا صغيرين ، وكانت أيامنا الصغيرة لا تعرف معنى الخطرات التي تثير خواطر ، فتستعد متعة لا تمل . وهكذا أصبحنا الزمن في مسعده الأمين ، ثم انثنيه يوماً مرموقين ومرة وحقة قصيرة ، لم يعرفا شيئاً من معاني الفراق الهيكل التي تعني النفس بالتأمل والهمة والحنين ، بل مضى ثم راودها ثم انثرة ثم سبيا . أو هكذا كان ، ولكنه لم يكن في الحقيقة سبباً ، بل كان حلاً من أحوال القدر الناسمة ، كان سنة للأحداث الطبيعية التي تصنع النفس الإنسانية صنعة جديدة كما عرفت ذلك فيما بعد . واضطربت حواشي الحياة بينهما ، حتى رقت أيامهما الأولى ثم جعلت ترق حتى استحضرت أحلاماً من الذكرى المبهمة ترف على القلب رفيف النسمات ؛ لا تزن بل تمس ، ولا تمسك وتكسب تلك خطرها في القلب وتمضي . ثم لقد هدت تلك المواطف الناضرة الصغيرة في مهد من النسيان ، ولكنها كانت تنمو أيضاً في جو هذا المهد

ومشى الزمن بينهما يقيم حدوداً وأسواراً من السنين وأحداثها ، وكانا كأنما واحداً من أيام العمر ... كبرت الصغيرة التي تطلبت وراءت آثاره ، واستحالت الأيام الصغيرة الأولى فيها ماضية لا تكاد تبين من دقتها وحنانها

ثم جاءهم القدر فلاقاها بعد ومن طويل كما يلتقي عابران في الليل ، يتناظران لحظة وشيئاً من بعيد لبعيد . هكذا عرفت . لقد كان هو يحس في بعض أيامه قبل ذلك اللقاء ، أن القلب قد دار دورته في القدر ، وأن الفكرة المخضرة قد قذفت به في ظلام من الحسب جديد ، ثم يكن حتى سمع بشائر من بعيد يهيج إليه بأصواته وكأنما يقول : أقبل ... هو ذي ... هاهنا ، هنا

ولم يلبث أن أتم هذا اللقاء دورته ، فإذا هما يتصافحان في جو عطر تفتح من أرجائه أنفاس الأيام الصغيرة الأولى ... أيام الطفولة التي تكسر عنه عواطف القلب وتصحح ، كما تنمو الزهرة في أكمامها تحت السحر في مهد الفجر بين دموع وشعاع وندى

والتقيا ... فإذا هي فتاة ممشوقة تزهو ، فكأن الزمن لتعطفها كل هذه المعاني وتبلل بها في بعض مصافحة السحرية ، وجعل يجهد جهده بأنامله الناحلة الدقيقة ، فهو يجلوها ويصقلها حتى إذا فرغ من فنه الذي احتفل لها به ، دفعها إليه ينبوعاً من النور المتمسك بالروح يترقرق ليثبت مثلاً في صورتها . لقد نشأت الصغيرة ، ولكن عنادها كان رقة وحناناً في أنوثتها ، واسترسلت فكان استواؤها دقة في فن من جمالها ، وصب عواطفاً وحناناً ، وكأنما كان يستمدها من الكواكب ويرشفه بروح الزهر

لقد وجدها وهي تموج وتتلألأ من جميع نواحيها . لقد كان يخيل إليه أن النسيم من حولها يحوطه بها متعبداً خاشعاً ثم يمضي إليه حاملاً نفحة من نفحات الجنة . فكان يحس دائماً أن عوداً ينتقل إليه فيتعد إلى نفسه ، فيقعد هناك يتسمع بحديثه بأحاديثه أو يسمع له منها ما يرجع هذا القلب الحزين انتعاشاً وروعة وحنيناً

لقد شبّت الصغيرة ... فتفتحت منها كل مفاتن الطفولة ، وجعلت تجلو العروس في زينة من الحسن والشباب ، لقد حسنت كل ما فيها ، ولكن شيئاً واحداً بقي كما هو ، لا بل بقي أقوى مما كان وأسمى . تلك هي روحها ، الروح القوية

الأسرة النبيلة ... تتغير كل شيء إلا عيوب التي تنعت من هذه الروح التي لا تتغير . فالنظرة الوديعة المطمئنة التي كانت تتجمع فيها عزة تلك النفس العزيزة الصغيرة ، هي هي النظرة القاسية الظالمة التي صبت ... على الرجل فأسلمه وسيفه إلى الطريق ، وجمعت ... وسلطها على هذا الطريق نفسه في وقت معاً .

ثم عاد صاحبي يحدق إلى قطع من الليل ... من عن عينيه وأطال النظر في جوفه . ثم حول إليّ ... وجهه يعود إلى ... الليل ، ويتسمع ... إلى رمال الصحراء ، ويخيل ... لا يكاد يتحرك ، ثم اختفى في ... حبيبه ... ولكن عندما ... في ذلك وأوصى ...

ثم عاد إلى ... ويقول

هكذا هي .. أو هكذا كانت ... أما هو

وارتسمت ... في ... وعلى شفتيه فأمسك وسكت ، وكأنه حرم ألا يتم ما بدأ من حديثه عن الرجل ... أن يقطع من ... ، وأردت أن أستحثه من حيث ... أستنبط ... ، ... إليه ... 

أما هو - يا صاحبي - فقد كان عنواناً ... للريشة ... التي لا ... في ...

... في ... يقول

كلا ، كلا لا ... ليس الأمر كذلك لا ... عليه . إنك لا ... أظنك ... حياته التي ... ، ولقد ... أن ... على ذلك ، ولا بأس ... لا ... إلى ... ، ... أن أكشف ... ، كلا ... أقول لك إني لا ... كل ما ... من الآلام ، وكأنما ... من كل ...

إنه رجل قد ... من طول ما ... ، ومن ... ما لقي من الأحداث التي ... حياته ... إنه ... ، ولكني ... على كل ... . سأحاول أن أ... لك من حقيقته ... إنسان ... ، إنما ... رأيت من ... التي تجتمع لك من أعماله و... ، ... إلى ... ، من ... وكأنما أنت ... في ... من الأرض

... قد ... وجمعت ... تستطيع ... أن ... المنكر ... هذا هو الطريق !!

سكت صاحبي قليلاً وقد طرح ... ثم عاد يقول

... إلى حديثك ... ، ... على أن أدعي ... بعيداً ... كذلك كانت هي ... على ... ، ... حين ... على غير موعد ... أحدهم ... هو ... وحلاً ... أثراً ... ، لا زال ... من جميع ... كأنه في ... وحش شارد لا يألف الحياة ولا ... كان ... أن ... لأحد أو ... كان ... في ... ، ولكنه ... كثيراً ... ، ولكنه ... مع كل ذلك ... أن ينطوي على هذه ... التي ... بين جنبيه ... ومن أجل ذلك كنت أ... في ... أبداً ... ، ... حتى ... نظرته ... من ... على ... لا ... ، ... أن ... إنما ... من ... أو من ... حتى لأخشى أن ... من آثارها ... النار على ...

لا ... ، ولا ... لقد ... أنه كان ... كل ... الذي ... إنساناً ... رفيقاً ... كان قلبه ... من الحنان والعطف ... ولكنه أصيب بأحداث كثيرة ... ، فهو لذلك ... في ... أن ... على حقيقته لكلمة أحد من الناس ... من ... من هو ... في الأحراش ... ، ومع ذلك أيضاً ... رأيته في ... أنه رجل ... عن نفسه كل أحد ، ولكنه ليس كذلك ... ، لقد كان ... أحياناً ... من ... أحد بالاحتشام ... ، القلب الذي فيه ... لا ... ولا ...

هكذا كان أول ما ...

ثم ... صاحبي ، و... إليّ أنه ... ، ... كان ... من ... ، كأنما هو ... ، ورجع إليّ بعد قليل يواصل حديثه

# النقابات الإسلامية (*)

## للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

[تتمة]

يأتي مصدرنا الثاني من النصف الثاني للقرن التاسع عشر في سنة ١٨٨٤ م قدم إلياس قدسي (وهو سوري) إلى مؤتمر المستشرقين الدولي تقارير عن السنة الثالثة من طوائف دمشق [1] ويمكن اعتبار هذا البحث مصدراً تاريخياً وإن كان حديث العهد لأن معظم ما جمعه قد اختفى دون أن يترك أثراً.

يخبرنا قدسي أنه كان على رأس جميع طوائف المدينة (شيخ المشايخ) وكان هذا المنصب وراثياً في عائلة خاصة، ولا يمكن انتخابه أو إقالته أو استبداله بشخص آخر. وكان دوره قائماً كالأسف بما رفاه أو باستقالته، ويكون بحقه (... بأمر السلطان) وقد كان في زمن أقدم حاكم الأمر ... جميع رؤساء الطوائف. ويحدث الحذوف أن سلطته (أي شيخ المشايخ) كانت في زمن ما واسعة جداً تمتد حتى إلى حق الحكم بالموت وعلى كل شيء اشتد (أمن طويل عن ... أو تأديب ...) طرده أو ضربهم بالسياط. وكان يحتفظ على وقف إيراده. وقد أضعفت سلطته إلى حد كبير بعد التنظيمات، أي الإصلاحات العثمانية في القرن التاسع عشر وأصبح منصبه رتبة تشريف فقط. وكان شيخ المشايخ في زمن قدسي ... ولكنه عمل عاماً لجميع الحرف. وكان هذا الوحيد المحدود في ... رؤساء الطوائف الذين سيتبعهم الأساتذة

ويظهر أن رتبة شيخ المشايخ كانت خاصة بدمشق فقط إذ لا توجد أثر في أية مدينة أخرى. لم يكن باستطاعة شيخ المشايخ حضور جميع اجتماعات الطوائف شخصياً لذلك كان يرسل موظفاً خاصاً يسمى (النقيب) في حالة وجود اجتماع لترقية صبي إلى صانع أو أستاذ أو لأي شيء يخص الصنوع. وعند ما كان وظيفة شيخ المشايخ ... كان له عدة نقباء. لكن قدسي وجد نقيباً واحداً (دمشق ...) له معرفة بالحرف ويعرفون الطوائف ... كاتب ... الشيخ

ويلي شيخ المشايخ — شيخ الحرفة، ينتخبه أكبر أعضاء الطائفة من بين أبرع ماهري الحرفة، ولم تكن للشيخ أية قاعدة في الأولوية سواء أكان ذلك من جهة السن أم طول زمن الصنعة فقد يكون الشيخ ... وقد كان كذلك في كثير من الحالات، عزباً حدثاً، بل كان يطلب منه أن يكون فاضل الأخلاق، عاقلاً ماهراً محترماً بين رجال الطائفة قادراً على تمثيلهم أمام السلطات.

كان منصب الشيخ وراثياً في بعض الطوائف، ولكنه خاضع دائماً لمصادقة التعيين. ويعين الشيخ ... مدى ... ويمكن استبداله إذا وجد أنه غير جدير بمنصبه. وكانت واجباته: دعوة الاجتماعات ورئاستها؛ وملاحظة المحافظة على مستوى الطائفة، ومعاقبة مخالفي قواعد الحرفة، وتنظيم شئون العمل (وكان هذا يعرض إلى الأساتذة)؛ والأخذ إلى درجة صانع أو أستاذ؛ وأن يكون رأس الطائفة المسئول في كل العلاقات مع الحكومة. أما ما يخص انتخاب الشيخ فقد لاحظ قدسي أنه لم يكن ينتخب بالأكثرية، فعند خلو كرسي الرئاسة

(*) راجع الأعداد ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٧ من الرسالة

(١) ولقد نشر بحث إلياس قدسي عن النقابات في دمشق في أعمال مؤتمر المستشرقين الدولي في دورته السادسة ١٨٨٤ ص ٧ وما يليها، والبحث بالعربية

---

كيف قلت في بعض ... أكان جنوناً شيء ... أصحبه الريحة الفائقة ... ما لها التي لا حقيقة لها في حقيقتها ... نعم، ربما كان ذلك صحيحاً من بعض وجوهه، ولكن هل يخفى من أمثالك لا تكاد تعرف وجه الحق في تأويل هذه الرحمة. لا بأس، ومع ذلك، فإن هذا الناس يرى جنوناً من الحقيقة من بعض نواحيه؛ إنك وجميع ... تاريخ الإنسانية كله لم يحص لك من أصحاب العقل الكامل إلا أفراداً قلائل. ومع ذلك، فليس أحد من هؤلاء الأفراد قد نجا من نبز الناس إياه بالجنون. ألا تخبرني أي الأنبياء ... رغم فضائل الإنسانية الكاملة — يرى أن يقول فيه أهله وعشيرته: «إن هو إلا رجل به جنة» أو «ساحر» أو «مجنون»!

إن من أعظم حقائق الحياة الدنيا أن العقل لا يستطيع أن يدرك حقيقة العقل، أي أنه لا يستطيع أن يدرك حقيقة نفسه ...

وصدع السكون صوت صفير القطار ... فانتزع صاحبي ثم قال:

— أليس هذا هو صوت جنون سكان العالم؟ أليس كذلك؟

«لها بقية» محمد ...

يجتمع الأساتذة المتقدمون ويتناقشون في المرشحين القاطعين للانتخاب ومن لم يحظو في من يعين شيخ المشايخ شيخاً على كل حال. ثم يعين شيخ المشايخ الشيخ الجديد في حفلة خاصة. وكان للشيخ مساعد يسمى شاويش، وعلاقته بالشيخ كعلاقة النقيب بشيخ المشايخ مع هذا الفرق المهم وهو أنه بينما كان النقيب يعين بواسطة شيخ المشايخ كان الشاويش لا يعين إلا بموافقة الشيخ. ولم تكن للشاويش سلطة خاصة، بل كان ممثلاً ووسيطاً لشيوخ الحرفة. ويخبرنا فيمس أن منصب شاويش قديم جداً ولكن الاسم حديث.

يشتغل الصبي من بين أسرة المستخدمين حتى يصل إلى سن الرجولة، وتصبح له مهارة في الحرفة (على كل كان الصبي ينال أجراً أسبوعياً وهبة حسب ما يستحق) ثم يصبح بعد ذلك صانعاً، فإذا لم يبق حرفته ويتقدم إلى أستاذ بقيت أجوره واطئة ومنع من الاشتغال لحسابه الخاص.

كان الصناع في رأي فيمس يكونون هيكل الطائفة، وكانوا أكثرية ساحقة. ويخبرنا أنهم كانوا يحضرون من الطائفة وينقلون أسرارها إلى من يليهم.

ثم يمضي فيمس في وصف مطول لحفلات الإجازة، ويدخل في ذلك اليمين بالمحافظة على أسرار الطائفة والصنعة الطيبة، وكذلك الرسوم والشعائر المختلفة التي تتخلل كل منظر من مناظر حياة رجال الطائفة مع كل العلامات والإشارات المعمول بها. ويشير فيمس إلى التشابه بين هذه الحركة وبين الماسونية الحرة في أوربا متسائلاً عما إذا كانت هناك علاقة بين الاثنين[1]

يمكن ذكر بعض الاختلافات بين الطوائف المصرية حوالي هذا الوقت ومن بينها الاختلاف ... فيمس أنه غير معروف عن ... نجد الطوائف تحت رئيس ... كان رئيس الطائفة أو يدعى شيخ الطائفة، سلطة ... فيما يختص بهم وبماله الخاص[2] وكان يعمر عملاً من مختاري

(ويدعى رئيس الطائفة) هذه المصروفات ... ورجال الطائفة. ولم يكن يوجد درجة صانع، بل كان الصبي بعد إجازته يرقى إلى مرتبة أستاذ أو أسطى رأساً. وكان يصحب ذلك شيء من الروحي

ومما يجدر بصورة خاصة معرفته أنه كان في طوائف القاهرة نوع من أنواع التمييز بين طبقة الأساتذة والرؤساء ... جميع الأعضاء.

ثم استطاع كل هذه التشكيلات التي دامت دون تغيير تقريباً حتى القرن التاسع عشر، وأحياناً حتى القرن العشرين، مقاومة غزو الفتح الأوربي، فإن كل تجارة في البلاد الإسلامية أصبحت طرق الإنتاج القديمة تفسح المجال لطرق حديثة، وهكذا بدأت الطوائف تنحل. وتحولت هذه التشكيلات في أغلب الأحوال إلى اتحادات تجارية Syndicats من النوع الأوربي كما اشتركت بعض نقابات تونسية وسورية، ... في الحركات العمال الدولي، وهناك نقابات أخرى في دور الانتقال.

ويجب أن نذكر ناحية غريبة من حياة الطوائف الإسلامية (أي ما يعرف بالطوائف الوسيطة)[1]، ففي أزمان متقدمة نجد في البلاد الإسلامية طوائف منظمة كاملة في مراسيمها ونظمها ومقاليدها من نوع آخر من الطوائف كاللصوص وقطاع الطرق وكأنه (أبي ساسان) أو (ساسان القاهرة) المتطفلين سطوة ... لكل طريقة. وفي عهد الفرس في مصر خليفة ... ١٠٠٦ — ١٠٣٩ م سيطرت طوائف اللصوص في بغداد على حد التنبيه[2] وهذه الطوائف التي لم يكن لها دون شك أية علاقة بطوائف الصناع الحقيقية ... على خط ... هذه الطوائف، وكانت يضمها أعداء الطوائف ووسائل الهجوم عليها.

ما هي النتائج العامة التي نستخلصها من هذا العرض للطوائف الإسلامية؟ يظهر أنه نستطيع أن نستخلص أربع خصائص تميز تنظيمات النقابات الإسلامية عن تنظيمات النقابات الأوربية كما يلي:

أولاً: على العكس من النقابات الأوربية التي ظهرت لمدة ما بأنها مفروضة ولها امتيازاتها ومحمية من قبل السلطات العامة للأمير أو البلدية أو الملك نشأت النقابات الإسلامية من تلقاء

---

(1) يبدو بالنسبة لا تخلو هذه من ذكر علاقة غريبة بين الماسونية الحرة والنقابات الإسلامية. في أواخر القرن التاسع عشر ... بعض الفرنسيين في سوريا بأنهم اكتشفوا علاقة بين رسوم الماسونية الحرة وبين رسوم الصوفية. ولما كان المعروف عن أصل ... وتأثير الاسماعيلية على النقابات الإسلامية ... كما ذكرنا ... أن نظام النقابات الأوربية مقتبس من نظام النقابات الإسلامية

(2) ص ٩٥ ويذكر ملاحظة آخر الكتاب ... وجود هذا الشرط

Martin Les Bazars du Caire, Paris, 1910 انظر

(1) خطط المقريزي ... في فسطاط ٩٥٩ ... انظر ... ج ١٤٩ ص ٩٩

(2) ابن خلدون ... ج ٣ ص ٤٥٢ ... انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي طبعة القاهرة ١٩٢٨ ... ص ٤١٥ وما بعدها. ويقول البروفسور Cotterot بأنه ... هذا القبيل ... وجود نقابات مهنية ... في القسم الأخير من القرون الوسطى

خصبا من الشعب ، ومكروهة لا تجيبه لحاجة الدولة ، بل إجابة لحاجات كل العمال أنفسهم ؛ كما أن النقابات الإسلامية عاشت ، إلا لفترة قصيرة ، إما عداوة مكشوفة للدولة ، وإما عدم ثقة وتحول ذلك بالشك من قبل السلطات العامة سياسية أو دينية ويظهر مدى هذا الشعور ضد السلطات [illegible] في القرن العشرين في الدور الهام الذي لعبته النقابات في الثورة الإيرانية ، ومن التطور السريع للنقابات الإسلامية إلى كتلة [illegible] في الهند الصينية [illegible] في الرابطة القوية بين هذه النقابات وبين الشيوعية الأوربية [1] ولا ينقص قيمة هذا الاستنتاج [illegible] بعض الأمراء المسلمين [illegible] للنقابات للحصول على تأييدها كما لا ينفي وجود خلافات في بعض الأحيان بين الحكام الأوربيين والنقابات [illegible] هذه المؤسسات [illegible]

ثانيا — تتميز الخاصة الثانية لحياة النقابات الإسلامية أولا بما ذكرناه الآن ، وثانيا من جهة طرق الإنتاج التي لم تتغير في الأراضي الإسلامية منذ القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر فلا يوجد في تاريخ النقابات الإسلامية ما يماثل الازدهار العظيم في النقابات الأوربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، الذي انتهى بانقسام هذه النقابات إلى سادة وصناع (أو طبقتين مختلفتين ومتعارضتين) ، وإلى ارتفاع السادة السياسي والاقتصادي العظيم ، وإلى ظهور نقابات خاصة للصناع [illegible] الذي نتج [2]. أما في الإسلام فقد ظل الأستاذ والسيد والصانع والتلميذ طبقة واحدة [illegible] على اتصال شخصي [illegible] الصانع [illegible] مؤقتة وانتقالية دائما ، وفي أكثر الأحيان غير موجودة [1] ، لم تتطور أبداً إلى [illegible] أصل في الارتقاء [illegible] أستاذ . فالنقابات الإسلامية [illegible] الأعمال [illegible] [2] التي تقسم النقابات الأوربية ، [illegible] التي [illegible] في القرنين العاشر والحادي عشر ، وهي المساواة بين أفرادها [illegible] في الجمع [illegible] بعد ارتفاع الرأسمالية الاحتكارية [illegible]

ثالثا — والميزة الثالثة في الطوائف الإسلامية : هي [illegible] من مختلف الطوائف [illegible] الطوائف الأوربية من صدورها حتى [illegible] المنطق المذهبي ، [illegible] الطوائف الإسلامية مفتوحة لليهودي والمسيحي والمسلم على السواء [illegible] ومن الطوائف الإسلامية [illegible]

رابعاً — وختاماً يجب أن نلاحظ أهمية الحياة [illegible] في النقابات الإسلامية على العكس من الطوائف الأوربية [illegible] النقابات الإسلامية تشكيلا [illegible] فقط ، [illegible] أن كانت النقابة تشكل [illegible] نظام [illegible] حتى الوقت الحاضر [illegible] هذه النقابات دائما [illegible] الخاصة بها [illegible] الأخلاقية والأدبية التي كانت [illegible] في نفس الوقت الذي [illegible] الحرفة

[illegible]

(الرسالة) [illegible]

(1) أنظر Revue du monde Musulman [illegible] ولاحظ الأستاذ ماسينيون أن النقابات في فارس [illegible]

(2) [illegible] في القرنين الثالث والرابع عشر [illegible] من الأساتذة في [illegible] (كالأستاذ [illegible]) [illegible] نوع من الرأسماليين [illegible] ولكن على كل حال [illegible] الأساتذة [illegible] (أصحاب) [illegible] — حركة [illegible] متوسطة [illegible] النقابات [illegible]

(1) بالرغم من أن [illegible] يقول أن الصانع [illegible] (أو [illegible]) و ([illegible]) — [illegible] في الماضي — [illegible] هذا التعصب

(2) [illegible] الإيطالية [illegible] الأساتذة [illegible] إيطاليا [illegible] الجديدة [illegible] الأساتذة [illegible] النقابات الإسلامية

من نواحي المجتمع

# بين مفتش وموظف

للأستاذ محمود محمد سويلم

---

حدثني صديق لي في أيام مقالي « الموظف » أن مفتشاً وجد على موظف بعض أخطائه وهناته، وكان ضرورياً أن يقصر الموظف أو يقصر بعد من إجابة رغبات رئيسه التي لا تكاد تنتهي له زيارة حتى تبدأ أخرى، فأحس المفتش بهذا التقصير وكبر عليه وصوره له شيطانه بصورة مثيرة فأضمر الشر لصاحبه! وانحصرت وجهة نفسه في عداء نحو الموظف المسكين بعد الأيام السابقة التي قضاها في غير مبارة ... عليه ... رئيسه من ... لا يجري إلا ... وكأنه في موقفه هذا يجد نفسه ... أن يمحو ما ألم به فتبادل رئيسه بشيء من الفاوة والاحترام للتكلف. وكيف يهيأ ذلك لنفس ... لم تألف هذه ... ولم ... ؟ لم يجتمع في هذه ... وظهر على وجهه من العبوس ما ظهر على وجه رئيسه، فتجهم وصار ... ووجد الشيطان الفرصة سانحة فأغرى كلاً بصاحبه؛ فكتب المفتش والموظف إلى الرئاسة جميعاً

ثم سكت

قال صديقي: لقد طلب المفتش عزل الموظف لأسباب أبداها ... ألم يصر هذا المفتش بأن ... في ظلال ... آدمي لم يكن ناصحاً ولا منصفاً، وبه تنقلنا إلى ... الحياة ألم يعلم وهو المؤمن بالله واليوم الآخر موقفه بين يدي جبار الأرض والسموات موقف الظالم من المظلوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)؟ ثم لم يقدر شيئاً من ذلك؟ لماذا؟

أما الموظف فقد عمي أن يكتب وهو لا يجمع في العبارة على رئيسه، حتى ولو كان محقاً، ولا في السلامة من شره ولكن ثم بأعباء وظيفته على خير حال؟

لكنه رغم ذلك أبى إلا أن يكون جريئاً وإلا أن يقابل الشر بالشر فكتب إلى الرئاسة ... يقول

« إنه لن تزدروا في صدري حتى يكتبني والمفتش جميعاً، وإنما أن تزدروا في منصب المفتش حتى يعف »

فتيحة عزة ... في الأخلاق ...

لقد كان من عظمة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن بعث مندوباً إلى عمرو بن العاص ... أموالهم مناصفة ... في بيت مال المسلمين ... مرة أن أرسل مندوباً إلى كبير من ولاته هذا الشرعي، وكان هذا الوالي ... فحاول أن يخدع مندوب الخليفة كي يخلص من ... فأمر بإعداد مائدة من أشهى الأطعمة وأنفس الألوان! فلما ... ورأى مندوب الخليفة ألوان الطعام أدرك من الفور أنها خدعة فثارت ثائرته، وقال للوالي في صراحة الحق وشجاعة الإيمان: أكل ضيف تقدم له مثل هذا! والله لا آكل من طعامك شيئاً ... أطعمتك إياه! ... الوالي به من التصرف للأمر. ... فنقول ما قال الأول:

فأين الثريا وأين الثرى    وأين الحسام من المنجل!

ثم شتان بين من هذبهم الإسلام فزكى نفوسهم وطهر ضمائرهم، وأشرب قلوبهم حبه، فلا سلطان إلا سلطان الله، ولا حكم إلا في دين الله، ولا عمل إلا بوحي الله الذي أرسل به رسوله. وبين من تملكت الأهواء نفوسهم، وطرحت الدنيا ضمائرهم، ولعبت الشهوات بقلوبهم وعقولهم.

ماذا ينتظر الرئيس من مرؤوسه؟ أينتظر منه أداء مهمته على الوجه الأكمل ليرضي ربه وضميره والناس ويأكل رزق الله الذي أفاض عليه حلالاً طيباً، أم ينتظر منه أن يحسن التملق والمداهنة والسير في الركاب ... أعمال وظيفته جانباً ويأكل مال الدولة سحتاً حراماً؟

محمود محمد سويلم

...

# كتاب رسوم دار الخلافة

## لهلال بن المحسن الصابي

للأستاذ ميخائيل عواد

---

استوطن بغداد في عصر الدولة العباسية فئة تعرف بالصابئة، نزحت إليها من حرّان والرقة المشهورتين بمنازل الصابئة. ومن هذه الفئة هي آل زهرون وأنسباؤهم آل قرّة.

أصابت هذه الجماعة الصابئية في بغداد نصيباً وافراً من العلم والأدب والطب، فبرزت في كتابتها ومراتبها، ووصلها فضلها ووقفها إلى منازل الأعمال المختصة بخلفاء بني العباس وأصحابهم ووزرائهم، فسار ذكرها في الآفاق، وكان نصيب العدد الطائفة من الأعمال التي قامت بها غير قليل.

ومما زاد في علو شأن هذه الأسرة أن جماعة من أفرادها خلّفوا مؤلفات جليلة في بحوث شتى كالأدب والتاريخ والطب والفلك وغيرها. وسيكون مدار كلامنا[1] على أحد أعلام هذه الأسرة وهو «هلال بن المحسّن الصابي».

### مولده ونشأته

هو أبو الحسين [وقيل أبو الحسن] هلال بن المحسن[2] ابن أبي إسحق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبّون[3] الصابي[4] الحرّاني[5]، الملقب بالرئيس، كان مولده ببغداد في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة للهجرة، ونشأ بها. وكان أبوه المحسّن صابئياً، وأمه أخت ثابت بن سنان بن قرّة الطائي المؤرخ الشهير. وقد أسلم هلال في أواخر أيامه، وحسن إسلامه[1]. ويُعدّ أول أبناء بيته الذين هجروا نحلتهم القديمة.

خدم هلال في دار الخلافة العباسية ببغداد، فعرف تقاليدها ورسومها وأسرارها، وبرع في آداب الخلفاء ومجالسهم حتى عن جده إبراهيم؛ ذلك الذي حذق التصحيح في حضرتهم. وولي هلال أموراً جليلة منها ديوان الإنشاء[2]، وعُيّن حيناً كاتباً لأسرار عز الملك أبي غالب محمد بن خلف الذي ولاه صدقاً كثيراً من الأملاك عند وفاته، غير أن هلالاً امتنع من التصرف فيه لأنه كان يخشى ما يمكنه من اليمين من الدولة فترك الإرث لابنه غرس النعمة[3].

اشتهر هلال بتاريخه، كما اشتهر جده إبراهيم برسائله. وقد أورده القفطي في كتابه «تاريخ الحكماء» في معرض من اشتهر بحذق التاريخ فهو يبدأ بذكر الطبري، وينتقل إلى ذكر أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله كالفرغاني، إلى أن قال: «فأما مرتب» [أي كتب التاريخ] ثابت بن سنان، كتاب الفرغاني الذي ذيل به كتاب الطبري متمم العمل بعده، وجاء في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن؛ ثم كتاب هلال بن المحسّن بن إبراهيم الصابي، ذيله داخل كتاب خاله ثابت وتم فيه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة [أي قبل وفاته بسنة واحدة]، ولم يتعرض أحد في معه إلى ما تعرض له من إحكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول، وذلك أنه أخذ ذلك من جده لأنه كاتب الإنشاء، وبيده الوقائع، وولي هو الإنشاء أيضاً، فاستعان بجمع الأخبار الواردة على ما جمعه، ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال، وهو كتاب

---

(١) إن جميع ما ذكرناه في هذا المقال مستخلص من المقدمة التي وضعناها لكتاب «رسوم دار الخلافة» الذي نحن بنشره الآن.

(٢) المحسن كمحدّث، وقد ضبطها كمكرّم (عن القاموس) وهو ضبط أصحاب [illegible]، ولا يزال معروفاً).

(٣) حبّون كتنّور (القاموس).

(٤) الصابي: مهموز الآخر، وأحياناً من كتبها بالياء، لأن الناس جعلوها مثلها (القاموس).

(٥) هكذا تنشر عند البعض، والأصح الحرناني؛ لأن النسبة إلى حرّان الشائع حرناني، والقياس الشاذ حرّاني (القاموس)، وانظر الزبيدي في تاج العروس (ج ٩ ص ١٧٣ مادة حرن).

---

(١) سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ... ينقل ما رواه هلال عن قصة إسلامه. مخطوطة ذو رقم (٥٩٠٦ عربي) من دار الكتب الأهلية بباريس في ورقة ٢٢٩، ٢٣٠) [عن الدكتور مصطفى جواد]

(٢) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية، سنة ١٩٠١ (ص ٥٠١ و ٥١٩)

(٣) راجع دائرة المعارف الإسلامية (٤ : ٢٦٢)، ومقدمة هذا الأستاذ في تاريخ الوزراء ص ٦

حتى إلى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل ، وقصر في آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم به ... »[1] .

ثم شهد له مرة أخرى حيث قال : « ولولاها لضاع على الناس شيء كثير من التاريخ »[2] .

وهذا القفطي يجيء ذكر هلالاً في ثبت من ألف في التاريخ العام ، ثم يعود إليه ثانية فيذكره فيمن تمرّس في كتابة تواريخ الوزراء[3] .

سمع هلال قبل أن يسلم جماعة من مشاهير النحاة وتأدب بهم ، منهم : أبو علي الفارسي النحوي ، وعلي بن عيسى الرماني ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز . سمع في صباه وأخذ عنهم ، قال عنه سبط ابن الجوزي : « ... كان هلال من الفصحاء وله الكلام الفصيح والنثر المليح » .

اشتهر بالصدق والأمانة ، كما شهد له بهذا فريق من مشاهير الكتبة ، منهم الخطيب البغدادي الذي كان معاصراً له قال عنه : « كان هلال ثقة صدوقاً »[4] وذكره آخرون بكل ثناء وتقدير في مناسبات مختلفة ، كياقوت الحموي ، وابن أبي أصيبعة وابن عبد علي ، والسخاوي ، وحاجي خليفة ، وغيرهم .

توفي هلال ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين للهجرة من تسع وثمانين سنة . قال فيه ابنه : « وفي رمضان توفي الرئيس أبو الحسين هلال ... النفس المؤيد عمله ، وانتشر الفضل بعده » .

وتزوج هلال من بعض الولد ، أهمهم بالذكر أبو الحسن محمد « غرس النعمة » ولد سنة ٤١٦ للهجرة بعيد اعتناقه إلى الإسلام حيث قال عن نفسه في قصة إسلامه : إن النبي (ص) قال له في المرة الثانية : « ... وتخيبين وولداً ... إن زوجتك حامل بغلام ، فإذا وضعته فسمه محمداً » فكان كما قال ، وولد له ذكر سماه محمداً وكناه أبا الحسن . وكان هذا الأمر من جملة ما رآه هلال في المنام ومن النبي (ص) إليه ثلاث مرات يدعوه فيها إلى الإسلام .

نشأ محمد غرس النعمة في كنف أبيه وفي رعايته ، فأخذ منه العلم والأدب فنبغ فيهما ، وقضى بعض الزمن في ديوان الإنشاء بالحضرة القائمية . قال سبط ابن الجوزي في أول حوادث سنة ٤٨٠ :

« ومن أولي هذه السنة ابتدأ أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن ابن إبراهيم الصابي الكاتب ، ويسمى غرس النعمة ، بذكر ما بعد تاريخ أبيه هلال ، ودام إلى أن ... تاريخ أبيه ... إلى هذه السنة »[1] ، وصنف كتباً أخرى نفيسة كان معتبراً بها للموضوع[2] .

وكانت وفاة محمد غرس النعمة سنة ثمانين وأربعمائة ، ولم يبق عقبه[3] .

* * *

وضع هلال طائفة من الكتب الجليلة في بحوث متنوعة ، عفت على أكثرها يد الزمن العاتية ، فلم يصل منها إلا النزر اليسير .

وقد اقتصرت المراجع القديمة على ذكر بعض من مؤلفاته ، فابن خلكان يقول : « ... ورأيت له مصنفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة وسماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان ، وهو مجلد واحد ، ولا أعلم هل صنف سواه أم لا »[4] .

وذكر هذا الكتاب ياقوت الحموي قال : « ... وصنف هلال كتاب الأماثل والأعيان ... جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة ... حكى عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب ممتع ومما يستحسن من تلك الأخبار قال : حدث القاضي أبو الحسين عبد الله بن عياش [ عباس بالأصل ] أن رجلاً انسلت عمامته ... »[5] .

وقد جاء باسم « الأعيان والأمثال » في كتاب « هدايا الحكمة » لعلي بن ظافر الأزدي المصري .

أولاً – فأما هذا الكتاب هو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، وهو تكملة لما ألفه الصولي والجهشياري ، ولم يبق لنا منه إلا المقدمة التي نشرت ، حيث أن تراجم بعض الوزراء قد فقدت ، ذكر فيه أخبار وزراء بني العباس وشرح أحوالهم ومجاري أمورهم ، ابتداء بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن

(١) سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان المذكور ... ومختصره ... ( ... ) .

(٢) القفطي ص ... ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ( ... ) ، وكذلك ... ( ٣ ) ، وحاجي خليفة ( ... ) .

(٣) القصة الإسلامية ( ... ٩٢ ) .

(٤) ابن خلكان ( ٢ ، ٢٩٩ – ٣٠٠ ) ، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ( ٣ : ٢٣٩ ) .

(٥) ياقوت الحموي في معجم الأدباء ( طبعة مرجليوث ٧ : ٢٥٥ ) ، وهذه الحكاية التي نقلها ياقوت توافق ما ورد في ص ١٤٣ من تحفة الأمراء .

(١) و (٢) القفطي في تاريخ الحكماء ( ... ) وانظر حاجي خليفة في كشف الظنون ( طبعة ... ٢ : ١٢٣ ) .

(٣) السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ( ص ٩٢ و ١٠٩ ) .

(٤) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ( ١٤ : ٧٦ ) .

الفرات نشره المستشرق الإنكليزي آمدروز Amedroz (بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤) ووضع له مقدمة وملاحظات باللغة الإنكليزية في نحو ٤٠ صفحة ، وفهرساً لأسماء الرجال وآخر لأسماء الأماكن . وفي أوله بحث في ترجمة هلال الصابي ومؤلفاته ، نقل أغلبها من سبط ابن الجوزي ، وورقات الفشرايه[1] في جانب من ترجمة أبي إسحق الصابي[2]

ثانياً - كتاب التاريخ . ذيل به تاريخ ثابت بن سنان[3] كما وضح ذلك الفصل في تاريخ الحكماء ص ١١٠ ويحتوي على الحوادث التي وقعت من سنة ٣٦٠ – ٤٤٧ ه والقطعة التي عثرت تحوي حوادث السنوات (٣٨٩–٣٩٣ ه) وإن الأخبار المطرفة في هذه القطعة تقيم برهاناً على نفاسة الكتاب . نشره أيضاً آمدروز مع تحفة الأمراء بعنوان « الجزء الثامن من كتاب التاريخ » (ص ٣٦٦ – ٤٤٨)

ثالثاً - غرر البلاغة في الرسائل . وهو مقتطفات من رسائله خاصة به . ذكره القلقشندي حين كلامه على رسم الألقاب المختصة بالخلفاء ، ونقل منه قطعة يسيرة[4]

رابعاً - كتاب الرسائل عن الملوك والوزراء : وهو مجموع رسائله الرسمية ، وقد ذكره رسائل جده أبي إسحق إبراهيم الصابي

خامساً - كتاب أخبار بغداد : وهو تاريخ جليل لمدينة بغداد يشهد بذلك ما نقله ياقوت عنه في معجمه البلداني[5]

سادساً - كتاب مآثر أهله ، وهو تاريخ لأهل بيته ولا شك أنه حوى معلومات طريفة عن جمع من أهله في مختلف فنون العلمية والأدبية والسياسية

سابعاً - كتاب الكتّاب : وهو تأليف يخص كتبة الأمراء والظاهر أنه على غرار مصنف الصولي وأدب الكاتب

ثامناً - كتاب السياسة . لم يصل إلينا منه شيء .

تاسعاً - كتاب رسوم دار الخلافة ، وهو الذي نحن بصدده وسنلمع إلى أهميته ونشره[1]

وعلى الصابي في وصف هذه المخطوطة نقول[2] : إن هلالاً ألف في قسمة ، عرف منها حتى الآن : (١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (٢) قطعة من كتاب التاريخ ، (٣) رسوم دار الخلافة

## وصف شامل لمخطوطة رسوم دار الخلافة

١ — عثر عليها في دار الكتب الأزهرية بالقاهرة ، وهي خالية من الترقيم

٢ — عنوانها مثبت بحبره على الصفحة الأولى بالصورة التالية : « رسوم دار الخلافة تأليف أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي »

٣ — تشتمل المخطوطة على ٢٠٣ صحائف في كل منها بين ٨ و ١٤ سطراً

٤ — كتابتها بخط على وجها الأعم الدواوين ، صعب القراءة ، وقد استعمل الناسخ لألفاظ الأعداد كتابة ديوانية أيضاً لكنها في منتهى الغرابة ، إذ يصعب حلها ومراتبها ، وقد يحار بين يديها الكثير من النساخ والكتاب ، حتى من مطلع على قراءة المخطوطات العتيقة

٥ - المخطوطة مفعمة بالكلمات المغلقة ، خالية من النقط ، خالية من الحركات وعلامات الوقف ، وبعض النواقص وغيرها جعلت كثيراً من الكلمات تقرأ على غير وجه واحد

---

(١) في رسوم وصورها الرسمي . ويراد بها في هذا السفر شيئان ، وردهما هنا بوجه الاختصار لمن يهمه دون تفصيل

الأول : مجموع التقاليد التي يجري عليها في مقابلة الخليفة أو معظمي في حضرة الأئمة . وهذا ما يعرف في العربية بالتكيت Etiquette

والمعنى الثاني : مجموع الاحتفالات التي في الأمور السياسية والقيام بها وفي مقابلة الوفود وعظام الدول وهذا يعرف بالعربية البروتوكول protocole

ويمكن للقارئ بحسبان كل الاصطلاح من عناوين فصول الكتاب وفروعها (الناشر)

(٢) يحسن في مقدمة هذا الكتاب وفي أي البحث عن مرتباً ، قصة العثور على هذه المخطوطة الطريفة ، واتفاق وقت ذكر في كل مرتب إليه في بعض من الكتب . ثم الاعتراف لأولئك الأساتذة الفضلاء الذين جعلتهم هنا في كشف كثير من صعابها ، وإمدادهم بما يحتاجه النشر

(٣) انظر في صدد مؤلفات هلال ما كتبه المستشرق الروسي كراتشكوفسكي F. Krenkow في مجلة الإسلام (٤ ، ٩١ – ٩٩)

(١) كشف الظنون ٢ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ من طبعة الأستانة

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ٥ : ١٢٦

(٣) حاجي خليفة (٢ : ١٢٣)

(٤) القلقشندي في صبح الأعشى (٣ : ٢٩٦)

(٥) ياقوت الحموي في معجم البلدان (ليبسك) ١ : ٤٤٨ و ٢ : ٧٩٥ و ٣ : ٤٢٣ و ٥٦٢ و ٤ : ١٢٣)

٦ — في بعض مواطنها شيء من الخروم ، كما أن الأرضة عبثت ببعضها فتآكلت بعض المواضع فذهب رسمها

٧ — وردت كلمة « رحمة الله عليه » ٤٦ مرة ، وكتبت ٤٥ مرة بالتاء المبسوطة أي « رحمت الله عليه » ، ومرة واحدة بالهاء المربوطة أو المدورة

٨ — استعمل المؤلف كثيراً من الكلمات الفارسية التي شاع استعمالها في الدولة العباسية ، وكان قد ألفها الناس وجرت على ألسنتهم ، وغالب هذه الكلمات من أسماء آلات الطرب ، وطائفة من أسماء الملابس والطعام

٩ — جاء في الصفحة (٢٠٣) وهي الأخيرة العبارات التالية: « قوبل به الأصل بخط المصنف وصح والحمد لله رب العالمين » وأيضاً « والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، وجاء ما نصه : « كان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء التاسع من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة من الأصل بخط الأستاذ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم رحمه الله » اهـ

وهذا النص يبين لنا قدمها ، وكانت استنسخت عن نسخة المؤلف بعد وفاته بسبع سنوات ، وعلى ما يبدو لنا ، فإن هذه النسخة فريدة ، لأن فهارس المخطوطات العربية في خزائن كتب أوربة والشرق لم تشر إلى وجودها فيها

يتكون الكتاب من تسعة عشر فصلاً عدا المقدمة والخاتمة وهي كما يلي :

(الصفحة ٢ — ٨) المقدمة ؛ (٨ — ٣٧) ذكر أحوال الدار العزيزة [دار الخلافة] ؛ (٣٨ — ٩٨) آداب الخدمة ؛ (٩٨ — ١٠٩) مراتب الحجابة ورسومها ؛ (١٠٩ — ١١٧) من الرسم أن يكون يوم الخاص فلا يسمع لهم صوت ولا نطق ؛ (١١٨ — ١٢٤) آداب مسايرة الخلفاء في المواكب ؛ (١٢٥ — ١٢٧) جلوس الخلفاء وما يلبسونه في المواكب ؛ (١٢٧ — ١٣٣) يخلع التقليد والتشريف والتلقيبة ؛ (١٣٣ — ١٣٧) ما يفعله الخليفة عند التقليد والتشريف بالتكنية واللقب ؛ (١٣٧ — ١٤٤) رسوم المكاتبات عن الخلفاء في صدورها وعنواناتها والأدعية فيها وما يجب منها في أواخرها ؛ (١٤٤ — ١٤٨) خطاب الخلفاء في الكتب والأدعية ؛ (١٤٨ — ١٥١) رسوم الكتب عن الخلفاء ؛ (١٥٢ — ١٧١) ألقاب المكاتبين عن الخلفاء وما كان الرسم أولاً جارياً به وانتهى أمره إليه ؛ (١٧١ — ١٧٤) الاكتساب إلى مولى أمير المؤمنين (١٧٤ — ١٧٧) ما يذكر في أواخر الكتب ؛ (١٧٧ — ١٩٢) العهود التي يكتب بها إلى الخلفاء وغيرهم وما يذكر من الألفاظ التي تكتب في الكتب صادرة وواردة ؛ (١٩٢ — ١٩٤) ضرب الطبل في أوقات الصلوات ؛ (١٩٤ — ١٩٦) حماية الشكي ؛ (١٩٦ — ٢٠٣) خاتمة الكتاب

ويؤخذ من كلام هلال في مقدمة الكتاب وخاتمته أنه ألفه في زمن الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وأنه استمد كثيراً من حضرة جده إبراهيم في نقل هذه الشؤون التي ينطوي عليها الكتاب

(يتبع) ميخائيل عواد

# الحرب في أسبوع

## الأستاذ فوزي الشتيوي

---

**التاريخ يسجل**

لم يشهد التاريخ الحديث موقفاً مثل انسحاب قوات الحلفاء من دنكرك، ولم يشهد التاريخ أيضاً تقهقراً أكسب القوات المتراجعة روحاً معنوية كالذي كسبته جنود الحلفاء في معركة الفلاندر. فقد عملت الحوادث على إرسال موجة شديدة من اليأس والتشاؤم في صدور العسكريين، حتى رأى بعضهم أن الانسحاب لا يتم إلا بمعجزة. وما هي أولاء ترى المعجزة تتم، وترى جنود الحلفاء في بلادهم بعد ما تسلحوا بعزم جديد وروح جديدة في الاستخفاف بالقوة العسكرية الألمانية

خرجت جنود الحلفاء وهي في أحسن أحوالها وأقوى معنوياتها بعد كانوا في أسوأ أحوالهم، وأحرج موقف يمكن أن يوضع فيه جيش. إذ تعاونت باستسلام القوات البلجيكية التي كانت تحتل مواقع هامة؟ ويؤدي إنقاذها لسلاحها إلى كشف ظهر قوات الحلفاء. فإذا هي تمس ظهر جيوشها، وإذا هي تعرضها لعملية

ومع هذا فعزيمتها لا تلين، وأملها في النجاة لا ينضب، وصبرها على أهوال القتال لا يتضعضع. لم يخفت في صدرها القتال المستعر عشرين يوماً بليل نهار، ولم يوهن من عزمها وروحها المعنوية انقلاب الأمر من حال إلى حال. فأي عزيمة وأي صبر وأي استبسال ضحت بها قيادة الحلفاء جيوشها؟ لا شك أن القيادة الإنجليزية كانت عاملاً فعالاً في إقرار هذه الروح في نفوسهم، ولا شك أيضاً أن أسطول البحرية قد ساعد القيادة على تخليص جيوشها والوصول إلى أهدافها. لقد خسر الحلفاء هذه المعركة بالحياة، ولكنهم كسبوا نصراً عسكرياً، وتعلموا كيف يواجهون الألمان ليحرزوا النصر النهائي

**التسليم الغادر**

أما موقف الحلفاء من إنقاذ هذه القوات فكان كثيراً، أهمها

١ — تسليم الجيش البلجيكي

٢ — إغلاق طريق الانسحاب لتحقيق الحملة الأوربية ولم يبق إلا منفذ البحر مع وعورة مسالكه

وتم استسلام الجيش البلجيكي في ظروف غريبة غامضة، فبينما كانت قوات الحلفاء تواصل قتالها بلغ ملك البلجيك ملاجئه دون إخطار، ويصبح جيوش الحلفاء في مأزق حرج. فقد كانت قواته تقاتل في معاقل رئيسية كانت جيوش الحلفاء تعتمد عليها حتى طلب رمية المصير الذي يجرؤ على معنى قتالها

ولهذا وزعت قوى الحلفاء بين القوات البلجيكية، فلما ألقت هذه السلاح انعدم التوسط بين قوات فرنسا وإنكلترا، ووجدت نفسها محاصرة بقوات ألمانية تحتل مواقع الجيش البلجيكي الذي كان بالأمس ظهيرها وحاميها

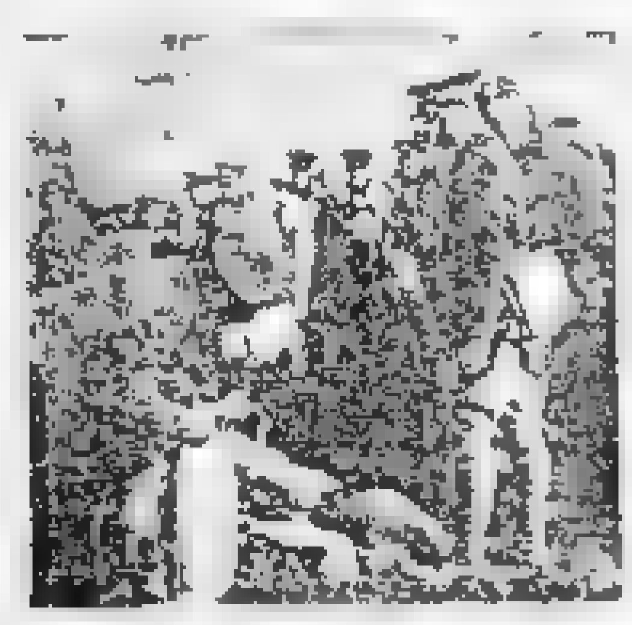

الجنرال اللورد جورت قائد الحملة البريطانية وهو يراقب جنوده وهم يعبرون خنادق في بلجيكا

**ثمن العار**

لقد برهنا في مقالنا الماضي عن الفصل بأن حياة ملك البلجيك كانت حياة مقصورة؟ أما الآن فإننا إزاء ما حيك من تصرفاته قبل التسليم وبعده، ومن الخزي الذي تقاسمه لا نجد مبرراً من التصرف عن أسبابه. فهذه نتائج الحرب التي آثرت حياته أمس إلى قلب الموقف العسكري انقلاباً كبيراً أصاب جيوشاً هامة من جيوش الحلفاء

أما المرء الذي ساهم في ميدان القتال فهو حكم صحيحاً ووالدنا والمناطق المحتلة من شمال فرنسا ولكنه تقاضى هذا الأمر حراً أو بشرط الاستقلال، ولكنه يتقاضاه ويجب علاوة عصبت على رأسه، وبعدما كان مشكاً مستقلاً نرجماً أصبح تابعاً خائفاً للإمبراطورية وحماية مقر

## ضبط الميدان

ننتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية، وهي سير عمال الانسحاب. لقد كانت جيوش الحلفاء تقاتل في رقعة صغيرة من الأرض بجنب البحر، فكان عمال التراجع سبيلاً لا يسمح للقوات المنسحبة لميدان الشتات لأنها مطاردة قتال حديث. ولم يكن هناك مفر من إخلاء الميدان والاستعانة بالأساطيل البحرية لنقل الجنود، وهي مهمة شاقة محفوفة بالأخطار تستلزم جمع القوات في بقاع صغيرة يسهل اقتناصها بالطائرات أو بالمدافع البعيدة المرمى.

ومن مبادئ العلوم العسكرية ألا تجمع القوات بأعداد كبيرة في بقعة محدودة حتى لا تكون هدفاً سهلاً لطائرات العدو وتكون خسائرها كبيرة، ولذلك نرى أن هذا المبدأ لم يكن سهلاً في هذه الحال ولا سيما بعد أن أصبح بعض الوحدات يلتحق ببعض التي أصيبت بالإعياء بسبب مسالكها وصعوبة الملاحة فيها فاضطر الحلفاء إلى الاعتماد على ميناء دنكرك وحده.

## القوة الآلية

وتمر بتحويل هذه الصعبة بتعاون وحدات الطيران والبحرية في إبعاد قوات العدو وتدمير خطوط مواصلاته، ويجب علينا عدواً عائقاً من صعوبات الحربية والمدنية، وحدث جميع مراكب البحرية من سفن صيد ومراكب نجمعت وغيرها لنقل الجنود وعتادهم، فتم الانسحاب بنجاح كبير وتحمل خسائر من الألمان بأسلحتهم. وذلك بعد الحركة على جانب الأهمية الأولى من كاملة تظهر في وقت الشدة.

وسقطت المنطقة حمية الأرض حول ميناء دنكرك لإعاقة قوات الألمان حتى انتشروا الأراضي في تقطها وحصروها تجاه البحر واضطرت قوات الألمان إلى وقف تقدمها خلف هذا الحاجز المائي، بينما ترك طريق الشمال مفتوحاً من الشرق لقوات الحلفاء التي استمرت في تقدمها، أي انسحابها النظامي. فليس معنى الانسحاب ترك الميدان دفعة واحدة، بل إنه يتكون عدة حركات عسكرية فيتقدم جزء من القوات الجيوش العادية بتراجع جزء الآخر وهو يحمي مؤخرة القوات المتقهقرة، وهكذا يستمر الحال فيتيح الفرصة للعدد الأكبر من القوات للوصول إلى أهدافها

## وفي الحرب الماضية

وإذا عدنا إلى سنة ١٩١٩ حين انسحبت الحملة البريطانية من خط يمتد كوت إلى جنوب نهر ديالى بعد الهزام الواسع الذي كان أصاب تلك القوات، وقد كان هذا مريضاً يحمي جانبيه قوات فرنسية ولا تقطعه قوات للطيران كما هو الحال الآن، فكانت القوات تتراجع بنظامها العادي دون أن تلجأ إلى التجمع ودون أن تكون هدفاً سهلاً؟ وتعتبر حركة انسحاب الجنرال عملاً عسكرياً بارعاً نظراً لكثرة القوات التي كانت تحارب

وفي الانسحاب الأخير يعود للألمان الكثرة العددية واستعمال الطائرات والوضع القوي للعتاد، يضاف إلى ذلك سيطرة الحلفاء واقتصارهم على إنزال قواتهم من ميناء واحد فتعتبر هذه الحركات البحرية من وتعطل العمر وقد استلزمت براعة كبيرة في القبض على دفة السفن

ولا تعتبر موقعة الفلاندر نصراً كبيراً للألمان، لأن قوات

الحلفاء خرجت منها سليمة ولم تخسر إلا ٣٠٪ منها ، ونقلت القوات مجموعة إلى ميدان القتال في فرنسا بعد أن نالت قسطها من الراحة. ولا تعتبر الهزيمة ناجحة إلا إذا تسبب عنها فشل الحرب في الأقل أو تبددهم ونهايتهم. ولم يحدث في معركة الفلاندر بل بالعكس أن الجنود الإنجليزية والفرنسية عرفت أثناءها شيئاً من الصعب في القوات الألمانية عرفانها العسكرية الحديثة، وسيستقل هذا الصعب في الوقائع المقبلة. ويمكن أن يوصف المسيو بأنه أنبل وأقوى من عدوه لجمهوره. وحتى ألمانيا بعد أن انصرفت في صباح يوم الخميس بوجهة تحوم إلى جبهة السوم لتحصل على ما فقدته في الفلاندر. والمعروف أن معركة الفلاندر أمكنت قوات السوم أن تحصن مواقعها

## وإيطاليا ؟ !

ومن الواجب أن نناقش مسألة حربية ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا، وهي مسألة دخول إيطاليا الحرب. فقد أصبح من المقطوع به اشتراكها فيها. ولكن هل من مصلحة إيطاليا أولاً ومصر ثانياً اشتراكها فيها؟ هذا سؤال لا يتردد خبراء العسكريين في الإجابة عنه بالسلب. فليس من مصلحتها لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية الاقتصادية أن تلج هذا السبيل

أما من الناحية العسكرية فقد ناقشنا موقف إيطاليا في البحر الأبيض المتوسط في مقال سابق مبيناً مراكزها العسكرية والقواعد البحرية التي تسيطر عليها. ويبقى أن نتكلم عن قواتها العسكرية وموقعها الجغرافي ومقدرة هذه القوات على مواجهة الحلفاء مع ملاحظة تشتت الإمبراطورية الإيطالية في بقاع يسهل عزلها فمستعمراتها في شرق أفريقيا محاطة بالممتلكات البريطانية فضلاً عن سهولة قطع مواصلاتها بإيطاليا بإغلاق قنال السويس في الشمال والبحر الأحمر من الجنوب، ثم يرغمون الرقابة البحرية على خطوط المواصلات البحرية عن طريق رأس الرجاء الصالح

وفي الشمال توجد تونس وهي عاطلة بقوات الحلفاء من جميع جهاتها. والذي أدى بهم الاستيلاء عليها في مدة قصيرة من الزمن وقد نعود إلى الحديث عن هذا الموضوع في مقال آخر

ومن الناحية الاقتصادية فإن إيطاليا بعد قليل بدأت حربها سليماً عقب استيلاء الدولتين على كرامتها العسكرية وقد استنفدت كثيراً من مواردها في حرب الحبشة وحرب إسبانيا، ولم يحن بعد الوقت الكافي لاستغلال موارد مستعمراتها الحبشية، فإن الحبشة لا تزال غير مستقرة الاستقرار في الحبشة نظراً لبداوة سكانها وصعوبة أراضيها، وحاجتها إلى كثير من أوجه الإصلاح والرعاية التي تعتبر العنصر الأول للاستغلال التام

## حرب الكلام

وتعتمد الحرب حالياً على عامل جديد هام هو العامل النفسي أو إلقاء الرعب في نفوس المتحاربين والمحايدين على السواء. ووضعت خطط السيطرة على أوربا على أساس ألا تدخل إيطاليا الحرب إلا بعد أن تنتهي ألمانيا من القضاء على دول أوربا الشمالية والغربية أي بعد أن تنتهي مقاومة فرنسا وإنجلترا على أن تكون إيطاليا في هذه الأثناء مصدر اضطراب للحلفاء يحسبون قواتهم، وتذكرهم بأنها مستعدة لمقاومة الاعتداء الإيطالي والتغلب عليه. وهذا هو السر في الدعوة المثارة حالياً التي تهدد بدخول الحرب ويتأهب شبابها للمظاهرات. ويجب ملاحظة أن السياسة هدفها أن تبقى قوات الحلفاء مشتتة على الاستعداد بعيدة عن ميدان القتال الحقيقي في الشمال

وهذه الخطة تضمن للمحور في الوقت نفسه نقل قواتها في ميدان واحد ومحاربة قوات الحلفاء ومقاتلتها جزءاً جزءاً بدلاً من تركيز مقاومتها في ميدان واحد. فإذا لا عجب في أن قوات الحلفاء مجتمعة أقوى بكثير من قوات ألمانيا وإيطاليا، ويمكنهما يستفيدان من هذه التجربة فائدة عظيمة تدعم بالأمل في النصر، ولكنه أمل بعيد

ربما دخلت إيطاليا الحرب الآن لأنها مدفوعة مكرهة لظروف خارجية طارئة، فقد تكون ضغط ألمانيا عليها للشعور بالحاجة إلى مساعدة جديدة وقوات كاملة، وقد يكون خوفاً من عجزها وخيبة لإخفاقها في الدعاية وحرب الكلام، وقد يكون خوفها من حسن حظها إذ تقضي متفرجة بينما تهور ألمانيا بتصيب الأسلحة أو غير ذلك من العوامل التي يصعب الخلاص منها

فوزي الشتوي
بكالوريوس في الصحافة

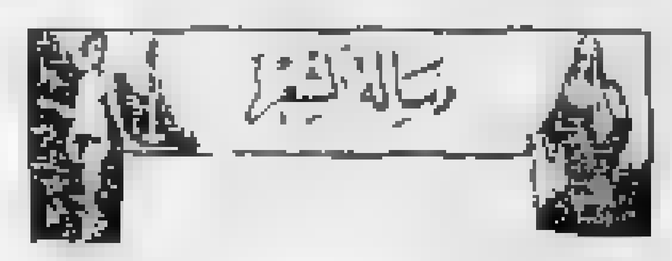


# يا شبابي...!

## للأستاذ حسن [illegible] حمدى

يا شبابي يا شبابي | [illegible] قلبي وده
كل حلو صار مرًّا | بيتي ما ذقت شهده
يا شبابي يا شبابي | كيف لا أنعي عهده
كل صبح صار صبًّا | [illegible] ما عشت بعده
يا فؤادي يا فؤادي | كل شيء صار ضده
أي شيء أي شيء | يستحق اليوم حمده
ست أخرى كيف أخرى | عبرة تطلق وحده
صمت عيني بكاها | ذابت يا مسكين وجده

[illegible]

في موكب الروحين

# بيداء...!

## للأديب محمود السيد شعبان

[ [illegible] ... ]

[illegible]

بيداء [illegible] يا [illegible] | [illegible] في [illegible] قلبي!
يا [illegible] أشواق [illegible] | [illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible] | [illegible] [illegible]!
أعزلتِ يا بيداء | [illegible] أمانيَّ عذبك [illegible]!

* * *

بيداء [illegible] | [illegible]
أنا [illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

* * *

بيداء [illegible] | [illegible]
[illegible] آمال [illegible] | قلبي [illegible]
[illegible] | [illegible] الأوج [illegible]
[illegible] | أحيا في [illegible] لأنسى

* * *

يا [illegible]! | [illegible] حال بي [illegible]
[illegible] | [illegible]!
أنا [illegible] إليك يا | بيداء [illegible]
[illegible] | [illegible] الأ[illegible]!

* * *

بيداء [illegible] | [illegible]
[illegible] عمري [illegible] | [illegible]
[illegible] الحياة هو [illegible] | [illegible]
والحب [illegible] | [illegible] الثانية!

* * *

[illegible] في هواك [illegible] | [illegible]!
[illegible] إلى [illegible] | [illegible]؟
[illegible] | [illegible]!
[illegible] | بيداء [illegible]!

* * *

ما [illegible] إلا | [illegible] في [illegible]
[illegible] الأقدار [illegible] | [illegible]!
[illegible] | [illegible]
هل كل [illegible] | الأ[illegible] إلا [illegible]

* * *

يا مَنْ تَجِدُّ بي العَنَاءَ [illegible] إلى الخلود !
[illegible] بعشِّ الرُّؤى وأدى الخُلود
[illegible] بالجدب [illegible] [illegible] الوعود !
والقلب في [illegible] الهوى [illegible] كل [illegible] !

* * *

هل تذكرين [illegible] أولى [illegible] !
أيام كان [illegible] [illegible]
والعمر [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

* * *

أدعوك يا [illegible] [illegible]
أحلف [illegible] [illegible] من دمائي !
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] !

* * *

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

* * *

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ؟
[illegible] [illegible]

* * *

[illegible] [illegible]
يوم [illegible] [illegible]
يا [illegible] [illegible]
أنا [illegible] [illegible] !

* * *

يا ليتني أدري [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

* * *

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] !

* * *

[illegible] [illegible]
يا [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] !

(القاهرة) [illegible]

---

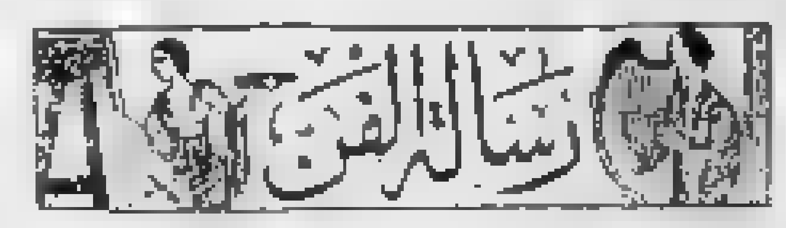


أقصوصة

# التفاحة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

---

ما هذه الصبغة العجيبة التي أرسلت إليّ في عطايا الأحمر ؟ !

— أصورة « التفاحة » عجيبة ؟ أو لا ترى فيها معنى ، أو لا تثير فيك شيئاً ؟ حقاً ، إنك متنافر

— ولماذا لا تقولين إني شبعان ؟

— وهلا يعجبك بصورة التفاحة إلا الطعام ؟ ! إنها إذاً رسم لما لا يؤكل ولا يشرب

— يا للتفاهة ! ولأي شيء ترسم التفاحة إذن كنت أحسب إحساساً منها الذي يحثك على رسمها ، وكنت أحسبك طامعة في تصويره وتصويرها ، ولم يكن يخطر في بالي أنك تخفين منها سراً تسطلينه على أسرار في نفسك —

— وسكنه سر حبيب شفاف ، لا أظنه يحجب السر عن عين — إلا إذا كانت عيناً جهلاء تصدق ما ترى

— هذا السر إذن كغلالة سحرية تتشح بها الإجابة ترعى أمام الأنقياء الرماة محتشمة ، وتقود بها لكل جارحة من الأعين عاتية !

— يا للفراسة ! هو هذا الذي تقول — فهل تستطيع بعد أن عرفت هذا أن تقرأ التفاحة ؟ —

— بل أقرأ رسم « التفاحة » ، فإني مع التفاحة لا أستطيع إلا أن آكلها —

— فليكن — ماذا تقرأ في رسم التفاحة — ؟

— يجب أن تساعديني بأكثر من هذا — فإنك إلى الآن لم تقولي لي من أين أبدأ القراءة — من اليمين أم من الشمال ؟ —

يمين ماذا وشمال ماذا ؟ اقرأ الصبغة بعد سؤال ؟

كل ما فيها ألوان — حمرة معروفة ، وصفرة معروفة ، وخضرة كمرجان ، تحف وحدها في مزيج مرح ، وتطل صفرة وتخف في ناحية أكثر مما تخف في الأخرى ، وتثقل في ناحية أكثر مما تثقل في الأخرى — فهلا يحدثك هذا كله بشيء ؟

— إعتذري شكلاً ، فإن درس القراءة الأول يجب فهمه — نبدأ بهذه الحمرة — هي لون الدم ، وهي لون اللحم ، فيها من الحياة ، وفيها من النحش ، وفيها أيضاً من القذر الذي قد يصدف ، وعذب الحريق ، وفيها من الورد شيء ، ولها من الخدود ، ولها من الشفاه عتق ونداء — وكلام — ، وفيها من الخجل ، وفيها من الغيظ حتى الغيرة إذا استحيت إلى عاشق إذا اصطرع — في الحمرة هذا ، وقد يكون فيها غيره — فهل هذا يكفي الآن بحيث أسترك به —

— بداية لا بأس بها … فماذا ترى في هذه الصفرة … ؟

— وسبحان الله لا أدري لماذا أكره الصفرة … لست أرى فيها إلا الموت

— وهل تكره الموت ؟ إنه طيبا حين على العين والرأس تؤديه طائعين ومكرهين مادامت أمك حواء قد اشتهت المكورة التفاحة …

ليست حواء أمي أنا وحدي ، هي أمك أنت أيضاً … أما تحب أنت التفاح

— لا أحبه ولا أكرهه ، أو أنا أحبه وأكرهه …

— لعلك تحب حمرته وتكره صفرته ، ما دمت تخاف من الموت ، ولكن أنت ترى في الصفرة أيضاً لون الذهب … أو لون بعض الشعر

— أما الذهب فتلك بلاهة الذايعين عقول النساء به ومن يحسنه ولم يحبونه من أجلهن . وأما ذلك الشعر الأصفر فلا أكتمك أني أحس فيه بشيء من البرودة لا تنزع نفسي إليه كثيراً … وهو عندي كالعيون الزرق والعيون الخضر ربما لاح لي فيها صفاء وراحة ولكني لا أحس فيها من لين ودفء وتكبر وهذه لا تشجع المتطلع إلى الوفاء الراسي في التحكم

— أتراك تستطيع أن تحفظ على هذه العيون صفاءها

ورائحته ، وأن تقطفها من زرّها وتكرّمها لذلك من ورائحها ما وصفتك وأسبغت عليها ما شئت من حكم وعظة .. ولكنك كسلان وشك جدير بأن يعيش في صحة يسلبه أطباؤه الحب ، ويعنونه بالراحة والسعادة ...

— الله يسمع منك !

فأبت صدود حتى تحرّجت من صورة التفاحة

— بل كنت بسيطاً لم أرَ فيها إلا أنها طعام

— وهل عليك الآن أن تشكرني فقد علمتك أن ترى فيها أكثر من ذلك

بل إني أرى هذه التي علمتني إياه شيئاً تستحقين عليه اللعنة لا الشكر . فأنت قد هتكت بعقلي ، وأنا أشعر أني سأصبح بعد هذا الذي علمته منك إنساناً موسوماً كلما رأيت شيئاً حاولت أن أعرف له معنى من وراء معناه الظاهر ، وهذا أمر سيهديني من غير شك إلى حقائق هي غائبة عن القوم ، ولكنه في الوقت نفسه سيدفعني إلى أوهام وخيالات قد أحسبها حقائق إذ لم يكن عندنا حائل بينها وبين الحق إلا عوارض فما عجبك من هذا وأنا لا أحب إلا أن أرسم فقط حتى الحديث إليه ؟ وقد كنت مرتاحاً يوم كنت راضياً عن كل ما أجده من أبسط الحقائق

— إذا كنت تراها من البلاهة

— وكنت أجد فيها كل اللذة . ألست ترين الزهري الذي إذا رأى التفاحة على الشجرة قطفها ونهشها أسعد حالاً من ذلك المصور المترف الذي يراها فيستغرق في النظر إليها هذا الاستغراق الذي تريدينه ، ثم يقوم آخر الأمر فيرسمها .. فلماذا يرسمها ؟ هل هو يرى أنه أكثر منها أعني يستطيع أن يصنعها صانعة ؟ والله يبعث فيه إلا عبثية

— بل هو الفن

— بل العبث وهو كذلك العبث الذي يأخذ نفس الشاعر حين يلقى محبوبه فيدرك أنه ويحس منه ليتصوره ، أو يحس منه العذاب ثم يبدو حتى يجرحه ، فإذا وافاه في المنام لم يكن منها إلا الكلام فهو لا يغني ولا يقنع به عاشق من غير الشعراء

— وكل العشاق من غير الشعراء إن سموا بالحب سموهم به وأقل إلى جانب أنه مهم كلون ، أما الشعر فيحسبهم إلى جانب أنه مهم

هذا هو الكلام الذي تقوله كل حواء لحبيبها الذي من مشاقها ونسبه بأنه صاحب فن ، وتشعر نفسها لا تنقص منه إلا أنه صاحب فن أو أنت أن تستكري هذا ؟ هل ترضى المرأة من الرجل الذي إذا أحب قال فيها كلاماً أو صورها أو غنى بها ، أو لا يكون رضاها إلا عن الرجل الذي إذا أحب مد إليها يده وجرها

فابتسمت الحسناء سوداء

— بل أنتِ سوداء

— إذا رحت أنت حواء فيك أيضاً أن تعود إلى الرجل حوله ... ولكنك قلت إنهم سموا كذلك وإن منهم من يأكل التفاحة ومنهم من يصورها فكذلك النساء

فمنهن من تأكل ، ومنهن من ترسم ؟

— ألم أرسم أنا ؟ وهل لي رسمي هذا إلا أن أهديه إليك ؟ يا مستحق منك ! لكن أحسب الرسم سيجبرك فتقول فيه كله حلية ونكتب به من اليوم

— للأدب ومنك لا شك حرب لحديثك موضوعة لا يؤديه الرسم أداءً كاملاً فالتفاحة طعم ، ولها رائحة ، ولها سوسة حسناء ؟ وهذا كله يفقد الرسم من صورته

وقد قلت إني كنت أريد أن أصور شيئاً من هذه إنه لم يكن يصور عقلي إلا ما وحيه الألوان

— فهل لم ترى دائرة حمراء ودائرة صفراء وحواف أخرى فيها أصبحة من اللونين ؟

وهذا ما صنعت ، وكل ما في الأمر أني اختصرت الرسم في دائرة واحدة

وهذا هو الذي يعني على أن أشكر صاحبتك هو أني أحسست بها حالة حقه تكاد أحب بها ، وتكاد تحسها أيضاً ، ولكنها كانت عندها التي حين النظرة الأولى وباطلاً ، كالنفس للنفقة الخاطرة حرصت التي تريد صورتها أن يبرئ نفسه من جهة فلا يؤدي صرفه إياها إلا إلى ضرب الشك في حس صاحبه . والآن اسمحي لي أن أسألك سؤالاً هل تجد كل أولئك الرسامين الذي يرسمون الورد ، والتماثيل

والبطيخ والشمام وسائر الفواكه واقتصر في مطعمه على ... كهذا اللص السعيد الذي تحدثت إليه حين رسمت التفاحة ؟

— أظن ذلك

— فاسمي البطيخ ؟ ربما سمي الخيار ؟

— انتظر حتى أفكر ...

— يخيل إلي أنك ستفكرين طويلاً جداً ومن يحتاج إلى مثل ذلك فترة .

ولكن التفاحة ليست فترة ... إن لها قصة قديمة مع الإنسان

قد تكون هذه القصة هي العذر الوحيد لاهتمام الرسام بها أما غير ذلك فلا أظن عوناً يجوز رسم التفاحة إلا أن ... فاكهة للأكل لا للزينة ولا للتصنع

وهل هناك ما يمنع من أن تكون موضعاً للتصنع ومطلباً للزينة إلى جانب ما في ... الأكل ؟

— لست أرى ما يمنع ذلك ولكني لا أرى ما يدعو إليه

— ألم يرسم الرسامون القمح ؟ ألسنا نراه رمزاً ؟ ... هل كانوا ... وما أكثر القمح في مصر ؟

— رمزوه تقديساً !

وإذا أرسم التفاحة تقديساً أيضاً

— أعوذ بالله ... قد يكون للإنسان عذر إذا قدس القمح ... الأول ... ولكن هذه التفاحة التي كان ... وكان العذاب ... هل تقدسها ؟

... ولكن ... أيضاً ... أولاً ... ولا ... أن تقدر ... إلى السماء

— ... من الرسامين يستطيع أن يقدر التفاحة إلى ... ولكن السماء لم تقدر القمح

— من قال لك ذلك ؟ إن من السماء صورة التفاحة ... ومن السماء بذورها وتفاحها

فكيف كنت تريدني أن أرسمها

— إن ... وجهاً من التفاحة ... رسام ... إلى الأرض ... نظرة واحدة

— وجه من ؟

— وجهك أنت ... أنت تريده في المرآة ... ولكن

كيف تريده وأنت ... نظري إليه يوماً ... كنت تنظرين إليه ... بالعين المفتوحة

— ماذا تقصد ...!

— أصحيح أنك تودين أن ترى ... أصعد ، أو ... وتودين أن تكون هذا ... لأنه منك ، ومن وجهك ، وأنت قليلاً ما نظرت من جديد كيف

— لا وحياتك ... أنت تعرف أني ... إلى حد كبير وأني ... كما تعرف أنك ... الحديث لا ... كلامك من الفلسفة حتى ... ما تصدق وعنه ما تمازح

ساعدك الله ... أبرع من ... إزعاجي لاستشارته بين ... التي أريد أن أعرفه ... أنك كما تعرف إني ... في المرآة ... من علائم الصحة ... التي تعرف الناس ... دقيقاً ، فإنا ... خرجت به ... بسيط ، ولا ... من المريض حتى يكون ... به الناس ومن ما ... هناك

وهل كنت تريدني أن أرى وجهي ...

— ... كنت أود أن ... إذا كانت ... إليه ... ولا ...

... ليس ... في ...

— بل إن ذلك كان ... منك ، ... في ... منه ما يجوز اليوم أن ... أحياناً ... كل من ... الدنيا ... من الأحمر والأبيض ... في ... إلى الأسود والأحمر ... من الشكل ... إلى أسد ما ... بأسرع ...

— وهذا أيضاً ؟

— ... صورة التفاحة ... فأنا أرسمها ... وأطلب صورة التفاحة الأخرى ...

— التفاحة لا تستطيع أن تنزع الألوان ولا أن تتنقص على الريشة .

— ذلك ... وأصعب ... من التفاحة أن تبقى ... وتصدق كل ... حتى ... لا ... عليها ...

(عزيز أحمد فهمي)

## ثورة نفس بعد الحياة

[ عن مجلة « بريد الانكليزية » ]

قد يحدث أحياناً في جلسة خاصة لمناجاة الأرواح ، حيث لا يحضر غير الوسيط وشخص آخر أو شخصان ، أن روحاً مجهولة تتصل بالوسيط وتطلب منه إبلاغ رسالة أو تحية إلى أحد أقربائها الذين لا يزالون في قيد الحياة ، وهنا تذكر له أسماً من هي وأين كانت تعيش . وقد يظهر أحياناً أن الروح تسيطر على الوسيط مباشرة ثم تتحدث بلسانه بشيء من الغرابة عن عواطفها ، فتبرهن بجلاء لا يحتمل الجدل أنها روح حقيقية لا صلة بينها وبين شخصيته ولا هي من اختلاق العقل الباطن .

إن قصة « آرثر فرير » التي قصها علينا اقتبسناها من كتاب صدر حديثاً عنوانه « إلى اللقاء لا وداعاً » تأليف « والتر بيارو » الخطيب القصاص والصحفي السابق لجريدة « الشعب » . إن هذا المؤلف كان يخاطب دائماً روح زوجته المتوفاة فتجيبه عن لسان الوسيط ، بنفس اللهجة التي كانت تتكلم بها في حياتها ، وكانت تبرهن له عن شخصيتها بالبراهين القاطعة . وكانت وهي في قيد الحياة تهتم بالأبحاث الروحية اهتماماً عظيماً ، فكانت مطلعة على الاكتشافات التي وجهته غالباً إلى مناجاة الأرواح ، لذا كانت تحرص في كل مرة أن تقدم لزوجها عدة براهين لإقناعه لا يمكن دحضها أو الشك فيها ، إذ تأتيه بأرواح أشخاص لا يعرفهم هو ولا أحد من الحاضرين .

يحدثنا المؤلف فيقول : بعد أن أدينا التحيات المعتادة وتبادلنا الهامسة عن زوارنا الذين هم وراء الغيب ، خاطبتنا روح غريبة تطلب الإذن منا بالحديث ، ثم قالت إنها روح شاب اسمه « أرثرايم » .

« منذ مدة ثلاث سنوات توفيت بتلك القرية في مستشفى حمل ، وكان عمري إذ ذاك ثلاثة وعشرين عاماً . وكنت أسكن في منزل رقم ١٨ « كلايف رود » ، وكانت لي خطيبة اسمها « مس كارول » وهي تسكن في رقم ٢٣٩ في « لتلتون ستريت » ، فأرجو منكم أن تخبروها بأني أحببتها وبلغوها مني سلام الحب فإن أكثر ذلك يسرني جداً . ثم أرجو أن تخبروا والدتي بأن ابنها حي وهو يهدي إليها تحيته القلبية ... »

أما أنا فقد اهتممت بالأمر واتصلت في الصباح التالي تلفونياً بالطبيب الذي يدير المستشفى الذي ذكره ورجوته أن يبحث في سجلاته عما إذا كان فيها اسم « أرثرام » ، شاب مات بذات الرئة قبل ثلاث سنوات . فأجاب الطبيب : « لقد مات عندنا رجل بسبب الرئة قبل ثلاث سنوات ، ولكنه لم يكن شاباً ، إذ كان عمره فوق الأربعين » . أدهشني الجواب في هذا ما عدا ما طلب ، لأني لم أجد من « الأرواح » قبل ذلك كذباً ولا افتراء . استفهمت روحي طالباً منها التوضيح ، فأجابت : « سوف تكتشف السر قريباً » فقررت عندئذ أن أذهب إلى رقم ١٨ « كلايف رود » في الطرف الشرقي من المدينة حيث تسكن الطبقة البائسة . فلما بلغت هنالك وجدت ساكن البيت باسم غير الذي ذكر ، وهو كذلك لا يعرف عن صاحب الإسم شيئاً . وبعد أن قضيت طويلاً في البحث والتحقيق وجدت يأساً عقيماً .

بعد هذا سافرت خارج البلاد في عطلة وعند رجوعي عزمت على إعادة البحث ، فقررت أن أقصد بيت الحبيبة « مس كارول » لعلي أجد لديها بعض الإيضاح . وكررت عرض القصة على الوسيط فأخبرني بأنه خلال الأيام الثلاثة الماضية قد سمع لفظة « فرير » تتكرر على مسمعه مرة بعد أخرى بصوت امرأة أول الأمر ثم بصوت رجل بعد ذلك . إنه لم يسمع غير ذلك ولم يعرف ماذا يراد به . فظننت أن ذلك له صلة بالأمر فدونته في مذكراتي إلى حين .

ذهبت إلى رقم ٢٣٩ « لتلتون ستريت » وطرقت الباب فلما فتح ظهر من ورائه غلام فسألته : « هل أنت مس كارول ؟ » فأجابت : نعم

— هل تعرفين شابا اسمه « أوزو ايم »؟

— أنا لم أسمع بهذا الاسم

فصمتت لحظة ثم سألتها سؤالا آخر : « هل تعرفين (أوزو ريمو) »

— ماذا حدث له ، وماذا تعني منه ؟

— حسن ! حسبي أن أعرف أنك تعرفين هذا الشخص

— لقد كان حبيبي ولكنه مات بداء الرئة قبل ثلاث سنوات .

وهنا أجهشت الفتاة بالبكاء ، ثم ذهبت إلى منضدة كانت في وسط الغرفة فألقت عليها ذراعيها ، واستندت رأسها بيديها أخذت تبكي . أحسست أني آسفة ، ثم شرعت أحدثها بقصة حبيبها وعينيه وما عرف من مرضه ، وأنها قبلته ثم شرحت قصتي كيف عاشا معا سعيدين ، ولكنه ذهب أسيرا للحرب في سبيل وطنه ، ثم رجع حتى قضى بقية حياته في المستشفى

إني سألت كثيرا من آلاف الناس التي أرقتها هذه الحرب ولقد وجدت صورته في صميم الفتاة كيف استطعت أن آتي لها برسالة من حبيبها المتوفى . ولكني حاولت ذلك جهدي

أرشدتني الشابة إلى دار حبيبها الفقيد التي يبعد عن دارها مسافة خمس عشرة دقيقة على الأقدام ، ولما ذهبت هناك وجدت رجلا يكسر حطبا في المطبخ فسألته :

— من أهلك الفقيد ؟

— نعم

— هل من جعلك ميتة ؟

— نعم

— هل فقدت ولدا في الحرب ؟

— نعم

— هل كان لولدك حبيبة اسمها « مس كارول » ؟

— نعم

وحينئذ تناول صورة شمسية من الجدار وأراني إياها ، حتى كان الرجل ذكيا صريحا في طبيعته ، وحين أوضحت له غرضي من زيارته ، وقصصت عليه حديث ابنه وزوجته التي أرسلت إليه

تحية طيبة كنت كأني قد سمعت وحيا حبيبا من كلمه فقال :

« لقد رأت منذ عامين في الحلم أوزو كوانتيزيل » وعلى هذا كان الرجل مؤمنا بعض التمييز لحلم الفتاة في تحية سها إليه

وبعد أن بحثنا وعدنا رجعت إلى داري متأهبا بعض الامتحان مما قمت به في ذلك الصباح ، ولكني مع ذلك أحسست بقية شك في هذا الشخص ، كان علي أن أعرف سبب هذا الخلط في الأسماء ، أو كيف أعطاني الشاب اسم « أوزو ايم » ثم قلب الاسم بعد ذلك إلى « أوزو ريمو » . سألت زوجي فأجابت بأنه لا تعلم والسبب جهلت الأمر . وبعد لأي حدثتني بالتفسير التالي أخذته عن نفسي : « إن اسم الشاب هو « أوزو ريمو » ولكنه حين كان يخاطبك جاء رجل آخر يقال له « . . . ايم » فوقف إزاءه . لقد كان هذا الرجل الأخير شخصا لقاء الصدفة لأنه مات بنفس الداء وفي نفس اليوم ونفس المكان ، ولم يكد « أوزو ريمو » ينطق بشطر اسمه الأول حتى تدخل « . . . ايم » في الحديث ونطق بشطر اسمه الثاني وعلى هذا ، كمل الاسم فيكم كأنه « أوزو ايم » من غير انتباه لما بين الشخصين من اختلاف »

أما أنا فقد اعتبرت هذا الحل ممكنا ، ولكني لم أزل أفكر بعض الحيرة إلى دليل أوضح ، ولذلك ذهبت إلى الطبيب في المستشفى حيث أخبرني مذكرة يرتبن الأول له وقصصت عليه القصة كلها ، ثم جوزت أن يرجع معه ثانية إلى معهد فاستجاب لي وأخذ يبحث ، ولكنه سرعان ما تملكته الدهشة حين رأى ما يلي

| الاسم | العمر | المرض | تاريخ الوفاة |
| --- | --- | --- | --- |
| أوزو ريمو | ٢٣ سنة | ذات الرئة | ٢٦ / ٤ / ١٩٠ |
| ميخي هنري آيم | ٤٦ سنة | ذات الرئة | ٢٢ / ٤ / ١٩٠ |

حقا إنها شهادة عظيمة ، ولكني لم تزل ثمة شيء مشكل من التفسير ، ذلك أن روحين أتت إلى الرجلين ماتا في يوم واحد . وقد فسر الطبيب ذلك بأن أحدهما ربما مات في منتصف الليل ومات الآخر بعده بنصف ساعة ، ولاشك أن روحي قد أخبرت بيوم الوفاة لا بساعته

لقد عجب الطبيب من هذه الأمور لأني لم أكن أعرف شيئا من ذلك من حيث الموضوع شيئا .

(م)

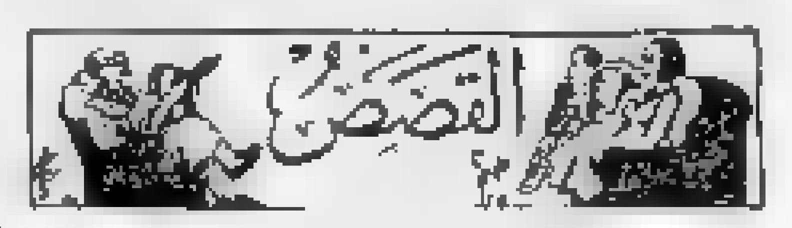


# البعث

للأستاذ محمد سعيد العريان

جلس «أحمد» على مقعد في جانب من غرفته الخاصة وأرخى جفونه على القصص الصغير أمامه وراح يفكر ...

إن بعض الصور التي تتناولها العين في نظرة عابرة قد يكون لها من التأثير في حياة بعض الناس ما لا تؤثر الأحداث العظيمة التي تهز العالم. فهذا «أحمد» غيره بين ما هو الساعة وما كان منذ ساعات. لقد عاد لتوه من السينما حيث كان يشهد رواية عن حياة الأديب الفرنسي الكبير «إميل زولا» .. فأين هو الساعة مما كان قبل ساعات؟

لقد رأى وسمع وعرف، ونظر إلى نفسه، وحضره وذكرياته وأمانيه، وراح يحاسب نفسه على ما أدى من عمل وما نال من جزاء، واستغرق في تفكيره.

منذ بضع عشرة سنة لم يزل «أحمد» دائباً إلى غاية يستشرف إليها؛ فأين بلغ مما أراد؟ هذه حياته التي يحياها منذ كانت لم يجن منها شيئاً، يثمره شيئاً من الأمل فيما يستقبل من أيامه؛ فلِمَ كان جهاده وعناؤه وما بذل من أعصابه ومن دمه في بضع عشرة سنة؟

أتراه يستطيع أن يقنع نفسه بأنه قد جاهد عبثاً؟ فأين ...؟

وتراءت له صورة «سعدية» الفتاة التي وهب لها نفسه ووقف عليها أمانيه، وتذكر شيئاً من حديث الغريب ومن ماضيه

لقد نشأ منذ سنوات، بل لقد عرفته من قبل أن يعرفها، وسكنت إليه، فأحبها، ثم افترقا بعدها إلا على موعد؛ ولكن سعدية اليوم غير ما كانت، لأنه هو هو، جامد ولم يزد شيئاً على ما كان يوم عرفته!

أيكون ذلك هو السبب [illegible] اليوم من الجفاء والبأساء؟ ذلك ما [illegible] الأمر منه منذ قريب فحيره، وإن في قلبه من [illegible] شيئاً يسيراً!

***

لقد كان «أحمد» أديباً موهوباً. إنه ليعرف ذلك من نفسه وإنه ليؤمن به إيماناً لا سبيل إلى الشك فيه؛ وكان حقيقاً بهذا الإيمان أن يبلغ به الذروة التي يسعى إليها منذ بعيد، فيتخذ مكانه بين أدباء الجيل. وكان قد ورث من الأدب ما أعانه على استكمال وسائل الأديب وتحصيل مادته؛ واتخذ طريقه إلى الغاية التي يؤمل.

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة، ولم يزل دائباً من يومئذ؛ وعرفته سعدية مما قرأت له، وكانت رسائلها إليه أول الصدى الراجع، وكانت هي أول من عرفه من قرائه؛ وتوثقت بينهما الصلة، وكانت في أوله إعجاباً فلتقل الحب صادقاً أملاً يأمله وحباً يتراءى لها ... ومضى الفتى إلى غايته والحياة تجدد له في كل يوم أملاً وتوقظ عاطفة،

وكتب وخطب، ونظم وألف، وراح يواصل في جهد الجبابرة لتشق طريقه إلى الذروة التي يتطلع إليها من بعيد؛ وقالت له خالته: «متى أراك يا حبيبي هناك؟» ولم يجبها جواباً، لأن عينيه كانتا تنظران إلى هناك

ومشيا يوماً إلى مرج بين الحدائق الضاحكة متعبين، أما هي فكانت تبحث بعينيها بين الفروع الراقصة عن زهرة نضرة تقطفها من أمومتها لتحملها في صدرها زينة تتيه بها على لداتها وصواحبها، وأما هو فكان في إطراقه وصمته يتسمع نجوى الغصون وهمس الزهر ليتخذ منها قصيدة رقيقة ونهضت الشمس ... الزهر! وطال عليه الطريق وما يحس؛ فقالت: «متى يا حبيبي ....؟» وقال ... ولم يتم ما قال ولم يتم ما قالت؛ وتشاورا ومضى كل منهما لغايته، وراحت تبحث عن الزهر وراح يبحث عن معناه — وكان فراقٌ بينهما!

***

وعاد إلى داره في المساء وما في الدار غير خفوت السكون، ومشى إلى المائدة ينتظر عشاءه، وأبطأ الخادم لأن الأمر لم يكن قبلها مثله، فنادى به... وجاءه حين عرف، ووقف في مكانه شيئاً ثم أمسك، وآثر ألا يطوي ليلته بلا عشاء؛ فإن ذلك أحرى أن يجمع له نفسه ويوقظ حسّه!

ومشى إلى مكتبه الفخم يقرأ بريد المساء، وكان بينه رسالة تنفح عطراً، وقرأ:

«سيدي...

«... دعني أرسل إليك عباراتي على البعد

«أنا خلقتُ سعيدة حين أقرأ لك فأشعر أني منك على مقربة وأنك مني...

«وأنه يخيّل إليّ أحياناً أني وإنك...

«إنك لست بعيداً مني؛ أتعرفني؟ ولكني أعرفك، و... وأحبك!

«وسد... !»

وابتسم الفتى ثم عبس، وتذكر سعدية ... ثم طوى الرسالة وأودعها ملابسها، وقال وكأنما يتحدث إلى شخص يجالسه: إنك سعيدة يا فتاة وبيني أعرف! بل إنني لا أريد أن تعرفي! إنك ... يكون لك رنة باقية في الخاطر، وإني أشد ... لأنغام وحياً أتسلى بأصدائه إلى الغد... كذلك كانت أحبّ لك من قبل!

* * *

ولكنه كان راضياً...

لم يبلغ المجد الأدبي الذي يحاول له منذ بضع عشرة سنة، ولم يبلغ الغنى، الغنى الذي يكفيه حاجة الحيّ إلى وسائل الحياة؛ ولكنه كان راضياً، لأنه كان مؤمناً بنفسه، ومؤمناً بغده! ومشى على وجهه...

— ثم دخل إلى ... وابتسم، ثم ...

لقد رأى وسمع وعرف، ونظر إلى قلبه، وحضرته ذكراه وأمانيه، وراح يحاسب نفسه على ما لقي من حب وما نال من حزن، واستغرق في تفكير...

وكان عليه أن يعد القصة التي طلب إليه أن يعدها بعد أيام احتفالاً بذكرى الأديب الراحل فلان. ذلك واجب لا يجد من ... أن يفعل؛ فإنه صديقه، وإن له عليه ديناً يحتسبه الوفاء أن يذكره، فيتحدث عنه حديثاً في يوم ذكراه...

وشرع فيه، وهمّ أن يعد القصة التي ينبغي أن يتحدث عن صديقه الأديب الراحل في يوم ذكراه. واستجمع فكره، وتذكر شيئاً.

يا عجباً! ذلك الصديق الذي همّ أن يتحدث عنه، هكذا كان في حياته، وهكذا هو اليوم عند الناس! لقد عاش حياته يجاهد لأمته ما يجاهد صابراً محتسباً لا يحفل بالتكاليف، لا يذكره أحد بخير ولا يعرف له يداً... حتى جاء الموت — لا ... الموت خبيراً منصفاً ... كثير ... — ... الرموس، واختلجت الشفاه، وسحّت العبرات، وصاح الصائح في الأمة يدعوها لتحتفل بذكراه، فإذا حديثه اليوم على كل لسان، وإذا ذكره في كل قلب... كذلك كان حياً وميتاً، فما معنى ... وما جزاؤه عما كان؟

ماذا! — أليس يعرف الناس للأديب حقه إلا أن يموت؟ ما أغلى ثمناً للمجد.

وابتسم الفتى ساخراً، ثم سكت، ومدّ يده إلى ... يتلمسها — وانصرفت نفسه عما هو فيه إلى ... من الرسائل لم يقرأها بعد، وفضّ ... رسالة، وقرأ:

«سيدي،

«— ... ولماذا لا نجد في الأمة العربية شعراء وكتاباً ومنشئين كبعض من تقرأ لهم من أدباء أوربا؟»

وطوى الرسالة وهو يتمتم: نعم، لماذا —؟ لا لا! إني أكاد أعرف — ولكن، لماذا — لماذا لا يزال — مع ذلك — في ... من يجوز التجديد في الأدب ويطمس به المجد والفن؟ أهذا هو السؤال الذي يعني؟

وتذكر الرواية التي شاهدها في السينما منذ ساعات، وتذكر صديقه الذي همّ أن يعد حديثاً عنه ليوم ذكراه... وصمت

وحة، ثم وقف، وراح إلى المصباح فأطفأه، وقصد إلى فراشه، ولكنه لم ينم .. ومستغرق في تفكير عميق... وأحس برد الراحة في قلبه حين انتهى من تفكيره إلى حد.

* * *

— وأصبح أصدقاء أحمد يسألون عنه فلا يجدونه، ومضت أيام ولا حس ولا خبر، إلا رسالة موجزة تلقاها بعض صحبه، وليس فيها إلا هذه الكلمات:

«إني ذاهب — لقد رحمت جهادي — وداعاً يا أصدقائي!»

وجد أحمد آثاره في المطلب ثم جمعوا الدلائل، وظنوا الظنون ثم استيقنوا، حين عثر بعض الرواد في صحراء الجيزة على أشلاء آدمية تكاد تواريها الرمال في قبر هو [illegible] من صخور الصحراء. لم يكن ثمة وجه يبين، ولا لسان ينطق، ولا أثر يدل، إلا قميصاً [illegible] ومزقت حواشيه، لقد أكل الوحش من ذلك الجسد ما أكل وأبقى الرمل ما بقي، فما هو إلا هيكل نخرة وأنابيب جوفاء وأديم ممزق!

وقال واحد من صحابته: لقد وقعت له هذه الفاجعة منذ عهد، يوم طالما حذرته من ارتياد الصحراء وحيداً في وحشة الصبح من ظلمة الغلس فلم يسمع لي! يزعم أنه يجد هنالك مهبط الوحي ومنبع العبقرية!

وقال الثاني: وكذلك زعم لنفسي حين جاءني [illegible] لم يقع في حسي إلا أنه ذهب إلى الصحراء، لقد تحدث إليّ مرة [illegible] وكان يتشوق إلى اليوم الذي يهجر فيه الناس إلى منزل [illegible] على حدود الصحراء، يأنس فيه إلى الوحش فلا يرى أحداً من الناس ولا يراه أحد؛ قالها ...!

وقال الثالث: رحمه الله! واعتصرت على خده دمعة تجاوبها أخواتها من عيون أصحابه، وعرفوا بعضهم بعضاً؛ ثم انصرفوا يتحدثون بمأساة الشاعر الشهيد إلى مثواه، وتداعى الناس إلى مأتمه عجولين وبات حديثه يرطب كل لسان!

وكتب اسم أحمد في سجل الراحلين من أولياء الأمة.

وراح النوابغ من الأمة يدعوها لتخليد ذكرى الأديب الراحل، وطفقت أنهار الصحف الأدبية بالحديث عنه وتمجيد ذكراه [illegible]

واستصفى جائزات، وتألفت كتب، وجعل [illegible] المشترون [illegible] إلى شراء [illegible] الأدبية [illegible] من أهله حاضرين [illegible]

* * *

وبعد عام قبل أن [illegible] يوم تقوم فيه الخطباء والشعراء [illegible]، وكان يوماً مشهوداً ..

كان المسرح الكبير غاصاً بأهل الأدب، وسروات النبهة، وذوي الجاه والرياسة؛ وقد نصبت في صدره منصة عالية عليها كراسي مذهبة، يشرف عليها صورة كبيرة للفقيد العزيز محلاة بالورود، تطل منها عينان ساخرتان على ذلك الجمع الحاشد؛ وكان في ركن من القاعة كتلة ذات جلال قد احتجبت بجلباب أسود [illegible] بالدمع، وإلى جانب فتاة [illegible] صغيرة! [illegible] الأخير [illegible] قد [illegible] كتباً [illegible] وعلامات [illegible] على [illegible] والفصاحة و [illegible] والعبقرية، [illegible] وشارات [illegible] في [illegible] أكثر من [illegible] إجلالاً لذكرى صاحبهم الذي [illegible] ! أولئك أسرة الفقيد من أهل الأدب!

وكان على الباب [illegible] من ذوي اليسار والنعمة، يستقبلون [illegible] ويدعون كلاً منهم إلى مجلسه الذي يوافقه. [illegible] الأولى [illegible] الشمس [illegible] وكانت [illegible] لو [illegible] أنّ في [illegible] لكان حياة من موت [illegible]

ومضى [illegible] والشعراء [illegible] على [illegible] من أهل [illegible] والأدب؛ [illegible] وسكتت [illegible] وأرهفت الأذن!

ووقف الخطيب الأول يذكر [illegible] الفقيد؛ وكان [illegible] سوداء [illegible]، وقد أحكم النظارة على عينيه [illegible] الذهبية على كتفه، [illegible] الناس في [illegible]! [illegible]

«[illegible]»

وكان [illegible] في [illegible] —

وتتابع الخطباء والشعراء يذكرون ما يذكرون من فضل الفقيد وعبقريته وعلمه وحسرة الأمة بفقده

وقال قائل لصاحبه: «رحمه الله»

فقال صاحبه: «أنا إليها عمارة!»

وكان ثمة فتى رث الثياب، مغرّق الشكل، مهمل اللحية، يشق الصفوف صفاً صفاً يقصد إلى المنصة التي يتبارى عليها الخطباء.

وتأفف الناس ورمقوا صاحبهم استنكاراً وغيظاً، لكنهم صمتوا إجلالاً للحفل، وبلغ الفتى حيث أراد وهمّ أن يصعد، فاعترضه الأكبر، ولكنه صعد...

وأخذته الهمهمة من كل جانب، وكان يبتسم وفي عينيه سخرية وشماتة!

وفرغ الخطيب من خطبته فتنحى عن موقفه، وتقدم الفتى إلى موضعه، وهمّ أن يتكلم.

وتعالت الأصوات... ونظر إليهم ونظروا إليه... وتعرفت وجوه وتناكرت وجوه! ووقف الفتى ثابتاً في مكانه، ورفع صوته يجلجل قلبه وعقله:

«أيها السادة ... إلخ!»

وصمت السادة وقوفاً واستداروا إليه، ووقف ...

«أشكركم ...!»

وعرفه من عرف ولم ينكره من جهل، فقد أنصتوا إليه، إنه هو... إنه أحمد!

«فتلك يوم الست ولا ريب!»: قالها كل مستمع لصاحبه. إنه أحمد، ولم تأكله وحوش الصحراء، ولم يمته من ظمأ إلى الماء يوم سار الركب المهول الشيب من مجهل الصحراء إلى مصبها؛ ولكنه كان حياً يرزق... كان حياً، فسمعه يلقي أبلغ خطبة سمعوها خطيب، وأمتن قصيدة نظمها شاعر! وأروع سخرية أبدعها أديب؛ فخطب ونظم وسخر... واستمع رأي الناس فيه مجاهياً، واستمع رأيه... وبلغ عند الفتى أراد، وبلغ ما شاء من الانتقام لنفسه ومن السخرية بالناس، وعاش!

محمد سعيد العريان

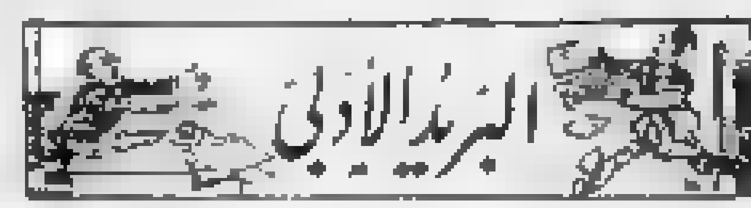


## حول آية إطعام الطعام

حضرة الأستاذ الكريم صاحب مجلة الرسالة الغراء

تحية واحتراماً وبعد

فرأيت في العدد (٥٥٥) من الرسالة تحت عنوان (العقيدة الساذجة) جواباً لحضرة محمد سويلم واعظ (مطاوط) وهو ينكر نزول (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) في أهل البيت عليهم السلام وينكر صومهم، ويقول إنها قصة موضوعة! ولا يصح أن يحمل كلام الله تعالى على قصة هذا شأنها، وأن أقل تأمل في هذه القصة يدل على أنها مصطنعة.

إن إنكاره لم يكن بشيء جديد. فقد سبقه بعض أسلافه في إنكار نزول هذه الآية في أهل البيت عليهم السلام، وادعوا أن السورة مكية. على أنها مدنية وقد ذكرها الرازي في أربعينه، وابن المرتضى، والزمخشري والقاضي في تفاسيرهم، والغزالي في رسالته، والقنوي في شرح مطالعه، والواحدي، وعلي بن ابراهيم، وأبو حمزة الثمالي، وأحمد الزاهد، والحسكاني، وأبو القاسم الحسين (وهو من شيوخ أهل السنة) في كتاب التنزيل أنها مدنية ومشرت سورة مدنية وذكر منها (هل أتى) ولم يذكر خلافاً فيه. وعن عكرمة، وابن المسيب، والحسن بن أبي الحسن البصري، وخطيب دمشق، والشامي والثعلبي. وقد أورد القصة كثير في التفاسير وذكرها عبد الله المفسر البغدادي في التنسيخ والتسريح ومما أنشد في هذا المقام:

أنا مولى لفتى ... أنزل فيه هل أتى

وقال آخر:

إلام ألام وحتى متى ... أعاتب في حب هذا الفتى

فهل زوجت فاطم غيره ... وفي غيره هل أتى هل أتى

وقال ديك الجن:

شرفي محبة معشر ... شرفوا بسورة هل أتى

وولاء من في فضله ... نص المهيمن قد أتى

ولما علم الله تعالى صدق نياتهم بإيثارهم الطعام المسكين واليتيم والأسير أنزل في حقهم (ص). (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً).

وقال مجاهد وابن جبير والفخر الرازي في تفسيره: (ذكر الواحدي في كتاب البسيط أن الآية (ويطعمون الطعام) نزلت في علي). وروى نزولها في علي رضي الله عنه صاحب الكشاف وقد ذكر القصة بكاملها. وهكذا رواه العلامة أبو السعود في تفسيره المطبوع بهامش تفسير الفخر الرازي، وفي كتاب ينابيع المودة (ص٩٣) عن موفق بن أحمد أخرجه بسنده عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، ويطعمون الطعام - الخ) مرض الحسنان عليهما السلام فعادهما جدهما صلى الله عليه وسلم - وروى القصة أيضاً ونزول (هل أتى) على النبي (ص). وذكرها القاضي البيضاوي في تفسيره، وروح البيان والصاوي، وفي لباب التأويل في معاني التنزيل للعلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (المعروف بالخازن) وعلى هامشه الكتاب المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. أما الخازن فقد ذكر عن ابن عباس أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب، ثم ذكر القصة الخ. وقال النسفي (نزلت في علي وفاطمة وجارية لهما فضة) وذلك لما مرض الحسنان وعوفيا وقد نذروا صوم ثلاثة أيام، فاستقرض علي ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة كل يوم صاعاً وخبزت، وآثروا بذلك على أنفسهم مسكيناً ويتيماً وأسيراً. ولم يذوقوا إلا الماء في الإفطار، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال عبد الباقي العمري:

وسائل عن علي من حق علي ... أجبته (هل أتى) نص على علي

وهذا قليل من كثير ذكرته ليطلع عليه من يقرأ رسالتكم الغراء، ولعل حضرة الواعظ يطلع على كل هذا فيرجع عن رأيه الأول، وفي هذا خدمة للحق.

(العراق) كاظم الشيخ محمد آل ...
خطيب الكاظمية

## إلى الدكتور علي حسني عبد القادر

كان خبراً سعيداً في الأوساط الأدبية أن يشترك في أسرة التحرير بمجلة «الرسالة» الغراء في هذا الأسبوع كاتب أزهري جديد هو الدكتور علي حسني عبد القادر الحاصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة برلين، والمدرس بكلية الشريعة

الآن ، ومكتبة أصول الدين من قبل . فأمثال هذا الكاتب مع إخوانه الأساتذة : محمد المدني ومحمد يوسف موسى ومحمد عرفة ومحمد البهي وأمثالهم وغيرهم ممن يتحفون الرسالة بأبحاثهم القيمة ، الدليل الواضح على أن النهضة الأزهرية لم تتمثل في « شباب الزيات » فحسب ، بل وفي « رجال الزيات » كذلك أيضاً بصورة تدعو إلى الإيمان بمستقبل الأزهر السعيد !.

ولكني أحب أن أوجه إلى الدكتور سؤالاً يحملني إلى توجيهه الحرص على طلب الحق وذلك أننا عندنا ونحن ندرس في مرحلة العالمية أن الدكتور أحمد أمين على فريق من طلبة كلية أصول الدين ما في « مصطلح الحديث » : فرض خلال هذا الدرس التابعي الجليل والمحدث الصادق الإمام « ابن شهاب الزهري » ووصمه بالاختلاق والكذب على رسول الله (ص) ، وبأنه كان عاملاً للأمويين ولذلك اخترع جملة أحاديث تخدم قضيتهم وترفع من شأنهم . ومن أمثلة ذلك أن الزهري لما رأى عبد الله بن الزبير مستقلاً بأمر الحجاز ، وأن عبد الملك بن مروان يحول الناس إلى بيت المقدس ويدعو في المسجد الأقصى بدل الصخرة ليصرف الحجيج إليه ، رأى الزهري ذلك اخترع أحاديث شتى في فضل بيت المقدس ، ومن ذلك قوله على لسان الرسول صلوات الله عليه : « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : مسجدي هذا ومسجد مكة والمسجد الأقصى » .

قال الدكتور ذلك مع إجماع النقاد على أمانة الزهري وصدقه وورعه ، ومع أن التاريخ يروي أن عبد الملك بن مروان سأل الزهري ذات يوم عن المعنيّ بقوله تعالى : « والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » فقال الزهري : « هو عبد الله بن أبي بن سلول » فقال عبد الملك : « لا ، بل هو علي بن أبي طالب » فاغتاظ الزهري منه غيظاً ، وقال له : « لا أبا لك ! أعليّ تفترى أم على الله ؟ » .

ونحن نرجو الدكتور أن يتفضل بكلمة موضحة في هذا الموضوع وشكر أن عادة « الرسالة » التي تخدم الدين والأزهر أن تنشر بكلمة أو كلمات حول هذا الموضوع الخطير ، فهل يجيب سؤالنا الدكتور عبد القادر ؟

( البحلات ) أحمد جمعة الشرباصي

## الكتاب الذين يحررون في لغتين

استفتت جريدة « الأنباء الأدبية » الفرنسية جميع الأدباء الذين يكتبون بالفرنسية مستفهمة عن الدوافع التي تحدو بغير الفرنسيين للكتابة بالفرنسية ، وكان بين هؤلاء فرج الله الحايك مؤلف « برحوس » وهاك جوابه :

« سألوني لماذا آخذ اللغة الفرنسية كأداة للتعبير ، وجوابي على ذلك جواب الأكثرية الساحقة من اللبنانيين ، ولغتنا عندنا خاصة بنا ، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين عرقنا الفرنسي وبين تأثيرها الثقافي علينا . فنحن نعيش في وسط فرنسي ، فرنسي في روحه وثقافته »

« وبرغم التنافس بين لغتنا الأولى العربية ، وبين اللغة الفرنسية ، فنحن نصل إلى درجة أننا أصبحنا نفكر بالفرنسية إذ اللغة العربية لغة جميلة ومتينة ، ولكن هذه اللغة القائمة بين اللغة المحكية واللغة التي نكتبها تولد التعب وشيئاً من التشويش »

ونحن لا يسعنا أمام جواب الأستاذ فرج الله حايك إلا أن نجعله من المشكلات الأدبية على جعله كاملاً موضوعاً في غاية الأهمية إلا أننا نستأذنه بأن نصحح ما جاء في جوابه عن بعض اللبنانيين الذين يفكرون ويكتبون بالفرنسية فهو دون شك لا يؤلف أكثرية كما يقول بل هو عدد محدود جداً ولا سيما بعد النهضة الحديثة التي أوجبت للبكالوريا اللبنانية في معاهد التدريس وبين النشء الطالع . هذا مع العلم بأن التفكير والكتابة بالفرنسية شيء والوطنية عندنا شيء آخر (الجمهور البيروتية)

## محاضرة في الموسيقى بالمعهد البريطاني

ألقى الدكتور كيناستون مدير المعهد البريطاني بالإسكندرية محاضرة في هذا المعهد تحدث فيها عن فن الموسيقى ولقد استمع لهذه المحاضرة كثير من محبي هذا الفن وغيرهم من الطلاب ، وكان بحث الدكتور في هذا الموضوع دالاً على خبرته واختباره . وقد عرف الدكتور فن الموسيقى بأنه فن تأليف الأصوات لإثارة الشعور في النفس . وقال إنه لما كانت اللغة لا تفي بالتعبير عن العاطفة أحياناً ، فإن المرء يسعى إلى إبرازها بمساعدة الصوت والحركة إليها

وكان مما قاله عن الموسيقى الأوربية أنها صعدت من عزف الأفراد إلى معرفة نظام الجمع بين الأصوات، على أن القليلين من الناس — حتى بين عشاق الموسيقى — يستطيعون تذوقه وفهم الربع في النغم

أما الموسيقى العربية فقال عنها: إنه ليس فيها شيء من نظم الموسيقى الأوربية من حيث التأليف بين الأصوات، وإنما هي «خط واحد». والأذن العربية مهما قل حسها تستطيع أن تعرف الأرباع. ويميل الموسيقيون في مصر الآن إلى إدخال بعض التراكيب الموسيقية الأوربية على الموسيقى العربية

وختم المحاضر بحثه بذكر ما يجب على السامعين في الحفلات الموسيقية من الأمور كالإصغاء التام وتجنب الحديث وعدم الإتيان بحركات تؤثر في صفاء جو الغناء والموسيقى وجلاء روح الفن

## وفاة الأستاذ عبد الحميد بن باديس

نعى أحرار الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جماعة العلماء وزعيم المصلحين والأدباء وقد توفاه الله يوم ٨ ربيع الأول الموافق ١٦ إبريل. وقد كان رحمه الله من رجالات الشرق الأفذاذ حسبة وعلماً وخلقاً

ولد في قسطنطينة سنة ١٣٠٨ هـ وأتم دروسه في الزيتونة، وطوف في بلاد الشرق، ثم عاد إلى وطنه فأنشأ معهد التهذيب، واجتمع حوله عدد من الطلبة في الجامع الأخضر (الذي أصبح فيما بعد موئل الثقافة الدينية بالجزائر) فصال وجال في دروسه وخطبه ومقالاته نحواً من ربع قرن يدعو إلى الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، فأوذي وفتن؛ ولكنه خرج من محنته كالتبر لم تزده النار إلا صفاء وإخلاصاً. ومنذ ذلك اتجهت إليه الأنظار في شمال أفريقية، متبوأ عرش الزعامة في كل مجمع ومقة في كل قلب

صادق محمد عربي

## رأي الأستاذ [illegible] في «ليالي الملاح التائه»

طالعت في ديوان «ليالي الملاح التائه» شعراً أصيل الطابع، مشرق اللون، قوي التعبير، مؤتلفاً بطابعه، وطالعت على ...

عاطفة لا تأسر بجمال إحساسها ولا تفتن بجلال ... وكيف أوده ... الشاعرية ألا تترقرق في عليم الوطنيات، ولا ... حماستها في كؤوس المدام؛ أشكر لك يا أخي صديقي ... من قلبك، وأرى لقلمك ثروة لا تفنى...

حسين ...

كنت أقلب صفحات «وحي الرسالة» للأستاذ الكاتب الكبير صاحب «الرسالة» أعزّ الله به لغته، فوقفت عيني على ما في أولى الصفحة التاسعة والعشرين وأول الصفحة الثلاثين من كلام جرى بين الإمام الشيخ محمد عبده طيب الله مضجعه وبين شيخ من رجال المحكمة الشرعية. سأله الأستاذ الإمام عم يسأل؟ فقال: عن الصدري الذي هو من الإسلام أركان الدين. فقال له: يكفي أن تقول صل وصم وزكّ وحج. فقال: ولا بد أن أعلم الوضوء. فقال: قل له اغسل وجهك ويديك إلى مرفقيك وامسح رأسك واغسل رجليك. فقال: ذلك لا يكفي ولا بد أن نبين حدود الوجه من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي. وقد أجابه الإمام بعد ذلك: قل له يغسل وجهه، كل إنسان يعرف حدود وجهه من غير حاجة إلى مساح.

شعرت بعد قراءتها بمسيس الحاجة إلى تيسير الفقه الإسلامي إلى ميسر، وهذا يكون بتأليف كتاب ينطوي على الأحكام الفقهية كافة، ويستغنى به عن كل مطوّل ومختصر، ويقرر تدريسه في الأزهر وفي سائر البلاد الإسلامية يتلقون الفقه ميسراً للناس على اختلاف مشاربهم ومداركهم، وهذا مع المذاهب كثير عن

وأما أسس التيسير فهي ما يتيسر لنفسه، ومع ذلك فلا بد من الإشارة إلى بعض هذه الأسس والطرائق والأشكال:

١ — حذف الزوائد المتشعبة من مستحسنات وآداب وإسهامات (وهذا غير مستقر)

٢ — استعمال اصطلاحات جديدة منظمة وإلغاء الاصطلاحات القديمة ما إذا تحقق اضطرابها

٣ — الأخذ بأسهل الأحكام وأيسرها للناس. فمثلاً يقضي الحنفية بوجوب الوتر ويقضي الأئمة الثلاثة والشافعية

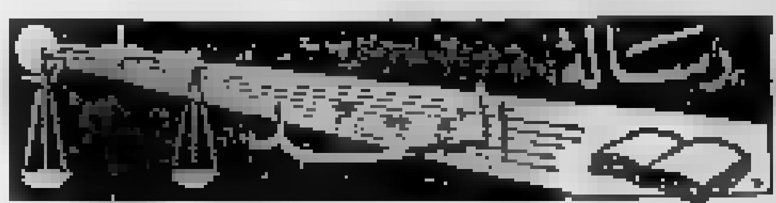

# تعقيب على تصحيح

للأستاذ محمد محمود رضوان

ذكر الأستاذ عبد القادر المغربي في العدد ٩٣٦ من الرسالة عدداً كبيراً من التصحيحات وأخطاء الجزء الثالث عشر من كتاب نهاية الأرب للنويري، ولا يسع كل أديب وباحث إلا أن يحمد للأستاذ تلك الغيرة على نصوص كتاب له مكانته الأدبية كنهاية الأرب خصوصاً وقد وفق إلى حد كبير في كثير من تلك التصويبات وإن أخطأه التوفيق أيضاً في كثير منها

والنويري صاحب نهاية الأرب في علو مكانه لم يعطها أديب غيره من أدباء العصر التركي فهو أحبهم إلي وأكرمهم عندي، إذ أن بيني وبينه — فوق إعجابي بمجهوده الجبار في تصنيف موسوعته العظيمة — آصرة الوطن وهي من أوثق الأواصر(١)؟

ولعل من القراء من يذكر مقالي الذي كتبته منذ عامين في جريدة الأهرام عن النويري، ودعوت فيه إلى إحياء ذكرى هذا الأديب النبيل ونوهت بفضل موسوعته وما أخذ مؤرخو الأدب بها، وكان أن أخرجت دار الكتب المصرية بعد ذلك الجزء الثالث عشر من نهاية الأرب مشكورة، وإن كانت لا تسير في إحياء هذا الكتاب إلا كما تسير السلحفاة

وإني لقد حق علي وقد رأيت الأستاذ المغربي يتسقط الخطأ تسقطاً، ويلتمس الزلل التماساً أن أدفع — بالحق — ما وصم الناسخ من تزيد فيه، ومن المصححين أخرى، وها أنذا مورد ما كتب الأستاذ ثم أتبعه بنقاش له

١ — (ص ١١ س ٢١) فيه (فتحتهما) صوابه (فتحتها) إذ إن الضمير يرجع إلى العينين

هذا ما قاله الأستاذ الناقد وأقول: إنه ليس في ذلك الضمير خطأ، والعرب كثيراً ما تذكر الاثنين — وخصوصاً إذا كانا لا يكاد أحدهما ينفرد وذلك كالعينين واليدين والرجلين — وتعبر

(١) ولد النويري بالنويرة من أعمال بني سويف

---

يصلون الوتر سنة ولا واجبة لهم! فيؤخذ بأحكام الشافعية

ومثلاً تقول الشافعية بأن الصلاة الإبراهيمية فرض في الصلاة وتركه مبطل للصلاة ويعتبرون مس الرجل المرأة ناقضاً للوضوء، والحنفية يعتبرون الصلاة الإبراهيمية في الصلاة سنة لا يبطل بتركها، ولا يرون في مس المرأة نقضاً للوضوء، فيؤخذ بأحكام الحنفية

وهذا التلفيق الفقهي ضروري لنشر الإسلام الذي هو وحدة دينية لا تتجزأ، وقد أشرت في كتابي (التشريع الإسلامي)(١) إلى بعض هذه المعاني بشكل فيه نوع وضوح

ولا مانع من مناقشة آراء الظاهرية والزيدية والإمامية وبعض فرق الشيعة للاستفادة من ملاحظاتهم والاستنارة بآرائهم

وهذه عملية فيها صلاح المسلمين كثيراً فقد أعطتنا ملاحظات أهل وأشبعتنا فهماً، وأرجو أن أسمع من الأساتذة الذين كتبوا أخيراً في موضوع الأزهر وإصلاحه رأيهم في هذا الأمر

(القاهرة) يعقوب الشيخ

(١) سيصدر هذا الكتاب قريباً

## تأجيل ذكرى المرحوم مصطفى صادق الرافعي

رغب بعض حضرات الأدباء والشعراء تأجيل يوم الاحتفال بتخليد ذكرى المغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وتحقيقاً لرغبتهم تقررت حفلة الاحتفال بإقامة الحفلة المحددة من مساء الخميس ٢٠/٦/١٩٥٠ بمقر مجلس مديرية الغربية بشارع المدرسة بطنطا ويرجو اللجنة حضراتهم أن يتصلوا بحضرة سكرتيرها الأستاذ أمين حافظ شرف بطنطا إلى يوم الجمعة ١٤/٦/١٩٥٠

رئيس اللجنة

الدكتور عبد العزيز الحبيزي

عضو مجلس الشيوخ

## تصويب

جاء في مقال الأستاذ محمد يوسف موسى المنشور في العدد الماضي ثلاث كلمات محرفة وهذا صوابها:

| صفحة | عمود | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|---|
| ٩٣٨ | ٢ | ١٧ | وركب الوحدة | وركّبه الوحدة |
| ٩٣٩ | ١ | ١٣ | ذلك ما يريد | ذلك إلى ما يريد |
| ٩٣٩ | ١ | ١٦ | إلى كل هذا | إلى ... كل هذا |

عنها صبحة ويأخذ من سبة ، قال الفرزدق :

ولو عكت يداي به وصنعت لنكلت على القدر الكبير

فقال يداي ، ثم قال صنعت وهو يعني اليدين

وقال آخر

وكأن في العينين حب قرنفل أو سنبل كحلت به فانهلت

فقال العينين ، ثم قال كحلت فانهلت ، وقال بعض المحدثين :

مثله بينها للسائل بابها يحصلا والفضل الشهير يكيل

ومن ثم فتعبير نيابة الأديب صحيح ليس عنه بأس ...

٢ — ( ص ٢٥ س ١٤ ) : ونادى إلى دمث الجبين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد الخ

قال الأستاذ الناقد : قوله « ونادى إلى دمث الجبين » صوابه « وأوى إلى دمث الجبين » — أي مال ولجأ إلى شيخه الحنى

وأقول : رأى « نادى » قريبة من « أوى » حسناً ، ولكن ذلك كلاماً حسناً ، أما وجدته ما يليها ، من ذلك التحرج من التعسف ما به ، على أنه ليس ما يدعو إلى مخطئة نادى وبدل غيرها بها ، ويظهر أنه ذكر قبل القول بعد فعل النداء — وهما متقاربان معنى — هو الذي أشكل على الأستاذ ، فجعله يفصل الأجزاء بعد منها ويبدل أوى بنادى ، مع أن ذكر القول بعد النداء كثير سائغ . ورب العالمين يقول « فنادى فقال أنا ربكم الأعلى » ؛ ويقول « ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي » . فليس من غضاضة إذن في قول الخوري : « ونادى إلى ذلك الجبين وهو يقول . الخ » إذا أعربت الجار والمجرور — إلى ذلك الجبين — حالاً من الضمير المستتر في نادى

٣ — ( ص ٦٧ س ١١ ) : قوله : « فقال فتى صبيح حدث السن » خطأ ، وصوابه « حديث السن » ؛ وعبارة المصباح « يقال فتى حديث السن » فإن حذفت السن ، قلت : حدث بفتحتين » ، أي من دون إضافة حدث إلى السن »

وأقول : لا غبار على هذه الكلمة ، وإن كلام المصباح الذي استشهد به الأستاذ ، ليس فيه دلالة قاطعة على أن قولك « حدث السن » خطأ ، وإنما يدل على أن قولك (حدث) يستوي في معناه قولك « حديث السن » ، على أنك لو أضفت « حدث » إلى « السن » إضافة توضيح ما يصح ولا يجيئ ، وكيف وعبارة القاموس تؤيد ما أذهب إليه وهي ( ورجل حدث السن وحديثها بين الحداثة والحدوثة فتي ) وذلك واضح

٤ — ( ص ١٢٣ س ٧ ) : قوله « حتى يلج بها أقفال الصدر » صوابه « يلج بها الصدر » من دون حرف الجر لأن فعل ولج يتعدى بنفسه

وأقول : لا أدري كيف يمنع الأستاذ تضمين الفعل معنى فعل آخر وهو مطرد على ألسنة الفصحاء ، وأئمة البيان وقد وجدت أستشهد بفعل غير الذي هنا — وذلك كثير — ويكفي أن أذكر عبارة وقعت على في كتاب ( فقه اللغة ) لأبي منصور الثعالبي أورد بها الفعل يلج بمعنى يأتي ، وكأنه ضمنه معنى وصل أو انتهى ، والثعالبي هو الثعالبي . قال في ص ٢٧٨ : « ومثل قوله عز وجل ( ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ) ومن لم يبلغوا إلى أرذل العمر ميرجوا إليه »

٥ — ( ص ١٣٩ س ٧ ) : « وحين رأى الفتاة خلون به يهدّلنه فيه » يعني أن صوة الشبيبة لا يلتمس غير جفوة يوسف لهن أخبار العزيز خلون به يهدلنه ، وقد ضبط فعل ( يهدلنه ) بالدال المهملة المشددة من فعل هدّله إذا أطمعه وسواه . قال الأستاذ الغربي : « إن الأصوب والأولى بالمقام أن يكون ( يعذلنه ) بالذال المعجمة من العذل على معنى أن النسوة خلون بيوسف وأخذن في عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وأنه لا معنى التعديل والتسوية هنا إذ ليس المقام مقام زينة ولا تبرج ، وإنما المقام مقام عتب ووجد »

وأقول : إنه ليس ثم داع لهذا التصويب ، وإن الكلمة لا هي هدلنه كما ضبطها الشارحون ولا يعذلنه كما يرى الأستاذ الغربي ، وإنما هي يهدّينه بغير تشديد من الفعل الثلاثي هدى بمعنى عطف ، والنسوة خلون به ليجعلنه يميل إليهن ويعطف ، والدليل على ذلك ما يقرره صاحب الأساس في هذا الفعل ( وهديته عن طريقه وهديت الدابة إلى طريقها ، صاحبها ) : وهذا الطريق يهدي إلى مكان كذا ، وفي حديث عمر رضي الله عنه « الحمد لله الذي هداني في قوم يهدّون ولا يعدلون كما يهدى السهم »

٦ — ( ص ٢٤٣ س ٣ ) « صرعوا الخضر فجعلوه ميتي مولى موسى » وقد ( شطوه ) قبل صوابه ( شطوها ) ، أي صرعوا كلاً من الخضر وموسى وإن كانوا لم يصرعوا إلا الخضر ، ويشهد لنا قوله بعد ( قبلا وكما في المسيحية ) بألف التثنية أي الخضر وموسى

وأقول : إن ذكر الاثنين ثم إعادة الضمير على أحدهما دون

الأمر عما جرى عليه العرب في تعبيرهم كما استشهدت في أول هذه التصحيحات ، وخصوصاً إذا كان ثم مسوغ بلاغي أو معنوي لهذا الحذف ؛ وهذا المسوغ ذكره الأستاذ الناقد نفسه في خلال كلامه ، وذلك قوله : ( وإن كانوا لم يعرفوا إلا الظفر ) على أن الحذف باب من أبواب البلاغة المشهورة ، كقوله ( عشاء ) يحصى عدوها أي ( ومرعى ) وذلك مطرد في كثير من كلام العرب ومن كلام الله ، ألم تسمع إلى قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ؟ قال بعض المفسرين « إن الضمير في ينفقونها عائد على الفضة ، واستغنى بذلك عن عود الضمير إلى الذهب والفضة معاً اختصاراً »

والعرب تخاطب الاثنين أيضاً ، ثم تنص على أحدهما دون الآخر فتقول : هلمّ يا فلان ؛ وفي القرآن ( إن ربكما لموسى ) وأمثال هذه كثيرة ، ومنه ( فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ) ، خاطب آدم وحواء ، ثم نص في إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء ، فلا فرق بين عبارة النوري وهذه الشواهد إلا أن هذه خطاب وتلك غيبة ، وبعض الحذف يرد في الجمع وهو التنويه بالأمر غيبة أو خطابا

وقريب من هذا — أو عكسه — ما نسبه العرب من نسبة الفعل إلى الاثنين وهو لأحدهما كقوله تعالى في قصة موسى وفتاه ( فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ) مع أن النسيان كان من أحدهما لأنه قال ( فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان ) وكقوله تعالى ( مرج البحرين يلتقيان ) وأحدهما عذب والآخر ملح ، ثم قال : ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) ، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح لا من العذب

وهكذا يجد المتأمل في لغة العرب غير قليل من السعة والمرونة لا يحل الترخص فيه .

٧ — ( ص ٢٧٦ س ٥ ) « قال موسى يا رب بما سحب دماء يشتمل على أسمى معاني عليه قوله » « بما سحبت » أصل صوابه « كما سحبت » أي أسمى معاني كما سحبت دماء .

وأقول : إن في هذه التخطئة غير قليل من التجني على اللغة ؛ إذ أن مثل هذا التعبير كثير في فصيح أساليب العربية ومنه كلام الله وأحاديث رسوله صحيح سائغ رائع ، والأقرب عندي أن النوري استعمل الإعراب على رأي الله في الصواب ، وذلك أن ( الباء ) في عبارة النوري السببية و ( ما ) مصدرية ، والمعنى « وأرسلها بسبب سحابات دماء يشتمل على أسمى معاني عليه » ، وكذلك كثير في كلام الله وإليك الشواهد :

( ا ) قوله تعالى « إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون » أي بسبب فسقهم

( ب ) قوله تعالى : « قال لا تؤاخذني بما نسيت » أي بنسياني

( ج ) قوله تعالى : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »

( د ) قوله تعالى — وشبيه به عبارة النوري لفظاً ومعنى كذلك شيء — : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » أي بسبب كفركم

وبعد : ففي تصويبات الأستاذ الفاضل — غير ما ناقشت — كثير لا يحل له ؛ كتصويبه ( المضيق المطبق ) وهو سجن إبراهيم تحت الأرض مع أن المضيق كما في القاموس هو المكان الضيق ، وقد خصصت عبارة النوري بأنه تحت الأرض ، وذلك هو المراد فلا داعي لكل ذلك غناء من ( المطبق ) التي يأبى الناقد إلا أن يسميها معاً ، وكتصويبه ( التعجب بالنحت ) والأولى صحيحة تؤدي المعنى كما تعرف ، وكتصويبه ( تعرجت تعرجت ) والأولى تؤدي المعنى مع زيادة التعبير الجيد الخ ...

( القاهرة ) أحمد محمود رمضان
مدرس بالجالية الأميرية

8me Année No. 363

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi 17-6-1940

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٧ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس



## العلم المسكين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا غضب الإنسان الذي نحسبه ضعيفاً وإن نريد إلى صحبه وأحب الناس إليه، لأن الغضب حركة ولا بد للحركة من ابتداء

وهكذا صنع صديقنا الزيات وهو يغضب على الحرب وأدوات الهمجية في عصرنا الحديث، فنظر إلى أقرب ما وجه فإذا هو العلم المسكين: العلم الذي مكن الناس أن يصنعوا الطيارات والأساطيل وأن يصنعوا وسائل التلاف والتدمير !

غضب الأستاذ صاحبه تلك غضبة وأراد العالم أن يكر إلى عصر النبل والحسام، وحروب السيوف والسكاكين، ومدنية النصب والهوان، يسخر من هذا العلم الذي يحسن ما يحسن ويخلص من هذه الحضارة التي تأكل ما تلد !

ولو كرّ العالم إلى عصر النبل والحسام وحروب السيف والسنان لا رضي صديقنا الأستاذ، لأن هولاكو وتيمور قد صنعا بالحسام والسنان ما لم يصنع قواد هذا الزمان بالأعاصير والبراكين، وزادا على ذلك بلاء العواصف يضيفانها إلى بلاء السنان، فأين يذهب العلم المسكين مع هذا الإنسان !

كلما أنبت الزمان قناة ركّب المرء في القناة سنانا

بل ركب سنانا فوق السنان، وأتى معه إلى الميدان بطيارات ... وبالجبال !

ولو عقل العلم شخصاً يتكلم لاستغاث من هذه الدعوى التي
تسوء جمال كل جميل حتى المعرفة والنور

وهل المعرفة إلا نور ؟

وهل يأبى النور أن يجيء إذا « اهتدى » به الناس في طريق الشرور ؟

وهل يرتفع العلم بالإنسان إلى مكان أرفع وأطيب من فراديس الجنان ؟

فهذا مسح في فراديس الجنان !

سمع وحي الشيطان ولم يستمع إلى وحي الرحمن

فويل لمنة الإنسان

* * *

لقد ظهر الاختراع مع العلم الذي صنع الإنسان قبل أن تخترع في العصر الحديث اختراع العلماء !

اخترع الإنسان أداة للمكر والغدر والعدوان !

جاء به من الأجمة وصقله أسلم ما يكون بين مقاتل الحيوان ، وتقدم به إلى الميدان أخطر من النمر والثعبان بل أخطر من المارد والشيطان !

وقبل الحصان حمله وحماه

وقبل التنين وكب رأسه وعصاه

ولولا رأسه وعصاه لما ضاقت به دنياه كان له الله

* * *

أيها الناعي على الحرب دع العلم في مكانه سهاء ، فوثقه إلى رحمة بالإنسان حتى مع هذا الشر الذي يقصر به طمعه ويقترن به جهله

إنه لأرحم به من الجهل يوم كان الطاعون يقتل مائة إلى جانب كل قتيل واحد يسقط في حومة القتال ، ويوم كان كل قتيل واحد يؤويه يجمع منها ملايين ثلاثين من جراثيم الحميات والأمراض الوبيئة لتسري بعد ذلك من جبل الأطلس إلى أقصى الصين

ولقد حسب في الحرب الأمريكية مائة وعشرون ألفاً في حومة القتال ونصف هؤلاء القتلى ماتوا بالأوبئة والأمراض

وأحصوا في حرب القرم خمسة وعشرين ألفاً من الإنجليز والفرنسيين ماتوا بالرصاص والسيف ، ونحو تسعين ألفاً ماتوا بجلطة ميكروب صغير لا تراه العين ولا يعلم بوجودها المقاتلون

لا ، بل هذه السرعة التي تنعاها أيها الأخ على العصر الحديث هي التي تعجل بالشر وقد كان بطيئاً من غير كلفة ، في كل شيء من أشياء الزمن القديم

فأين هي الحرب التي تدوم اليوم ثلاثين سنة كما دامت حرب الثلاثين ؟

وأين هي الحرب التي تسود اليوم في كل موسم كما كانت حروب القبائل العربية تسود في كل مصبح أو كل ممسى ؟

أما عدد القتلى فقد كان أكثره بالأمس ، وما أقله اليوم بالقياس إلى عدد الأمم المشتركة في الحروب

لقد مات في حروب جنكيزخان نحو عشرين مليوناً ، واشتركت أمم الأرض في الحرب الماضية فكان القتلى فيها أقل من تسعة ملايين

ودارت معركة بين الإنجليز والإيقوسيين في أوائل القرن السادس عشر ، فبلغ القتلى من هؤلاء الأخيرين عشرة آلاف ، ولم يكن سكان انجلترا وإيقوسية يومئذ يزيدون على أربعة ملايين

ومع ذلك أن القوة قد انحصرت في سلاح الفتك وسلاح الوقاية على السواء ، فالمدفع الذي يقتل ألفاً تتعقبه طيارة تدمرها وهي واحدة ، والأسلحة التي تحمل منها الأمة أسلحة يصدها الحصن الذي تبنيه الأمة بمئة مليون ، والعلم الذي يرجع بالمدنية النظامية ينقله ومعسكرات منه

ولكل شيء آفة من جنسه !

والعمل العلم الحديث الذي صدم الشر بالشر هو وحده سيكافئنا ، ولو أطلقنا بغير رادع لصيرنا متسابقين إلى الهلاك

* * *

فاعلم أننا نتخيل الدنيا وقد تكشف في جانب منها عشرات الملايين ، ودارت بينهم الحرب الثالثة وهم مسلحون من المذاهب التي اخترعها العلم والمطهرات التي تصنعها العلم ووسائل العلاج التي استنبطها العلم ، ثم نتخيل ما وراء ذلك من أوبئة وطواعين ، ومن حميات وأدواء ، ومن مرضى لا يحصيهم العدد ولا القادرون ، فلا يسعنا إلا أن نحسب كما حسب الأستاذ من الحرب ، ولا أن نثور كما ثار الأستاذ على البطالة الآلية ، ثم نطالبه بعد ذلك فنتمادى بالعلم حسبه ما نستطيع من حمده فكأنك يا أيها العلم فلا رحمة لنا في عهد الطيارات والمدافع ، وإنما الرحمة لنا في عهد الإنسان والبركان ، ومن يحمي الإنسان والبركان ؟ لأننا

إذا رجعنا كرة أخرى لم نفقد الشر الذى يجرى بالقتال ويجرى بالعدوان ، بل فقدنا الغباء الذى يرى الشر والخير يتساويان ويتكافآن ، أو فقدنا شراً يجىء شراً فلا يهيبان ولا ينطلقان

* * *

أذكر كلمة العالم الكبير «أوليفر لودج» يقول فيها إن خلقة «البكورة» مكسب كبير لعالم الحياة ، فلو فرضنا فيه العيب بقيت هذه الآفة العمياء، ولم تحصر فى إليه وواحد من عالم الأحياء

وهذا الذى قاله أوليفر لودج حق عظيم

فلو أتيح لحملنا أن تعيش أتعسنا فى مطالع الطبيعة ، ولكن لتصيلات مسؤولين ، هذا ملكة بقى أحد الآبدين ، وهذه جرثومة حية تنمو وتتصور الحياة ولكنها لا تزول عن سائر الأحياء ، ولا بد لها من دواء يطول به البقاء ، فإذ أنتم مؤذون يا معشر الخلق بين هذا البلاء وذاك الشقاء!

هنا يبدو لنا أن خلقة «البكورة» مكسب كبير كما قال «أوليفر لودج» الذى يقدس الجرثومة لأنه يقدس الحياة ويقدس الروح

وهنا يبدو لنا أن علاج «البكورة» ... فى صحائف العلم والمعرفة وكتبناه كثيراً من ...

وفى هذا التصور تقترن الحياة بكل متعة ، ويقترن ... بكل عناء

يبكى الطفل حين يولد ، ويفرح حين تنبت له أسنان ، ويحتفل بميلاده زمناً حين يدرك المراهقة ، ويشق النسمة زمناً حين يخرج من وصاية الأب إلى رشد الرجولة ، ويصل كما أحد عالم مرتقياً فى مراتب الحياة

فمن يجرى ما نشترى «الإنسانية» غداً وقد خلقت التى تصلح فى الحرب القادمة ؟

أب مشترية شيئاً يجمع بين صحة العصر ، وصحة الحضارة وبين صحة الآلة وصحة السرعة ، وبعد أن يقيس على بنى الإنسان جثة الرجل الذى يجنى ما يجده من خير من طريقة للصحة الذى لا يملك ما يفقد ، ومن حالة ... حديث الأستاذ إذا أصبحت الحروب ، أو هى حالة أقرب إلى الإمكان من كرة أخرى إلى عصر الآل والحصان ، وحرب السيف والسنان

عباس محمود العقاد

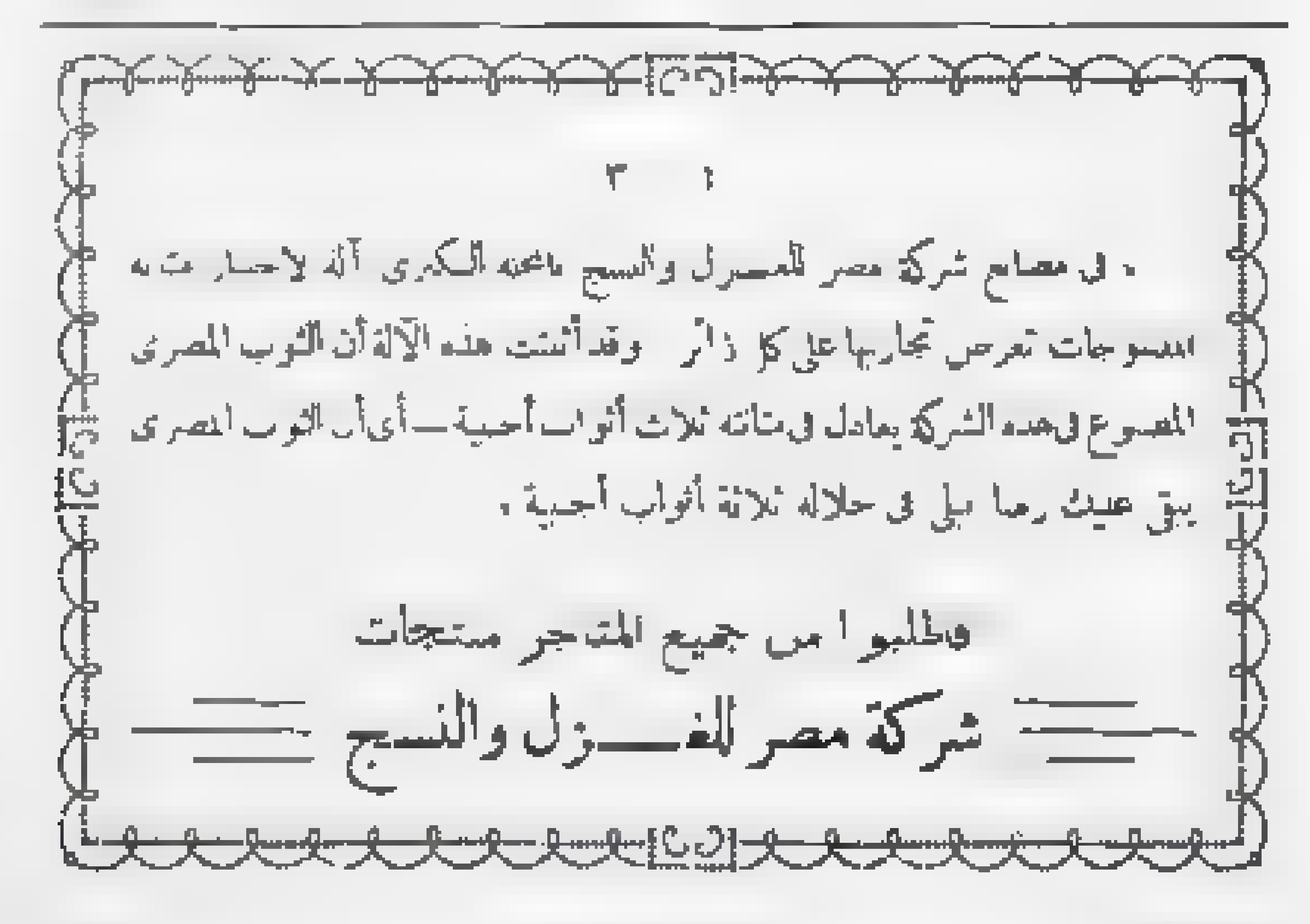

# في حياتنا الوجدانية (*)

[ مهداة إلى الأستاذ عبد المنعم خلاف ،
الكاتب الذي أحب جانبه الوجداني ]

## للأستاذ حسين مروة

ما الكرامة وما الشرف ؟

ما الحرية وما المجد ؟

أسماء عذبة رائعة ، ذات أجنحة سحرية خفية تنجذب إليها طائعين مسحورين ، فتحلق بنا في سموات من الخيال مرصّعة بالأنوار والأحلام والمباهج ...

أسماء ذات أصداء شجية ، عذبة ، ناغمة ، يكمن في أطوائها سر من الأسرار لا تحده الأبعاد الواسعة ، سرٌّ يهيمن الخيرَ على جوانب الحياة كلها ، ويطوف بالنفوس الإنسانية جميعاً فيثير في الضعيف العاجز عزمَ المتين والقوة والأمل ، ويحمل القويَّ القادرَ على ركوب الأخطار والأهوال والمكاره ، وقد يبعث في الضعيف الذي الطموح قوة مكتسح يحول الصعب ، ويصرع عوامل القسر والخنوع والاستسلام ...

ما هي هذه الأشياء العجيبة للإنسان تبهره أصواتها ومباهجها وتلتفت نفسه إليها كلما اقترب منها ، ويطوى وجده بها في سره وجهره ، في صحوه وسكره ، في كوخه الوضيع وقصره الرفيع ، سواء أكان غنياً أم فقيراً ، ضعيفاً أم قوياً ، أكان بدوياً في الصحراء القاحلة ، أم حضرياً في المدينة الصاخبة ؟ أكان فلاحاً يصب عرقه في حقله ، أم عالماً يجرب في مخبره وينقب في كتبه ؟

ما هذا الهوس المحموم يدفع الإنسان - أفراداً وجماعات - إلى محراب الموت بين الظلّ المستعر وخلافه الحاسد ، فيندفع رسولاً مستعدياً في التسابق حين ما يجري على الكرامة والشرف أو في سبيل الحرية ومجد الأوطان ، لمكانا مرح من حين يتق التسابق في هذا السبيل – إنما يلقى أجنحة أحمرة في طريق أمن وأمن ودعة خلية ناعمة ؟

ما هي الكرامة والشرف ؟

وما هي الحرية والمجد ؟

هل هي حقائق ذات قرار في عالم الحس والواقع – العالم الذي نعرف إلى حقائقه الموجودة بإحدى هذه الأدوات الحس – العين التي تبصر الألوان والأنوار والظلال ، والأذن التي تسمع الأصوات ، والفم الذي يذوق الطعم ، والأنف الذي يحس الرائحة ، واليد التي تلمس الحرارة والبرودة والخشونة والنعومة ؟

هل الكرامة والشرف ، وهل الحرية والمجد حقيقة من هذه الحقائق المحسوسة في هذا العالم الواقعي الذي لا يعتريه الريب وجوده ؟

كلا ... ليست هي شيئاً من هذا كله – كما نعلم جميعاً .

أتكون – إذن – معدومة لا قرار لها في هذا الوجود الواسع ؟

أتكون – إذن – غارقة في بحر العدم اللانهائي ؟

ولكن ... كيف تكون الكرامة والشرف ، والحرية والمجد – عدماً من الأعدام وهذا هي أصواتها الباهرة تبهر عيون الشعوب المستعبدة والمقهورة على السواء ، وها هي أشباحها الصارخة تدفع بالإنسانية اليوم إلى الحرب الماحقة الطاحنة ، وهذا هي أمجاد العربية تراقص على جوانب ، وقد كانت كذلك من قبل أن يقول الشاعر العربي العظيم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

وستظل كذلك حتى يتصير ان الفرد أمام المجد الأعظم ...

كيف تكون الكرامة والشرف والحرية والمجد عدماً من الأعدام وهي نفسها تجعل شعوباً وجمعاً من الشعوب بقبضة واحدة وهم في رقاع من الأرض متباعدة ؟ وهي ... هي نفسها تشد الأواصر وتجمع القرابات ، وتوحد المشاعر بين شعوب العربية على اختلاف الديار والأحوال ... وهي نفسها – كذلك – تدفع

(*) مثلت في ... بدار ... والتمثيل ، في ... القاهرة ، العراق في شهر أبريل الماضي رواية ( الأستاذ ) للمؤلف المسرحي ... الأستاذ ... وهي مسرحية تصور ... في ما كتب إلى ثورة الزعيم عبد الكريم العراق ، وهي تصور جانباً من ... العصر وجانباً من ... العربي العظيم ، ومن هذه الناحية استوحى الكاتب كلمته هذه

يبعث هذا من هؤلاء الشباب المتحمسين إلى المسرح ليؤدي أمام جمهور عربي متحمس — دوراً من أدوار جهاد العرب المقدس في سبيل الكرامة والشرف وفي سبيل الحرية وعزة الوطن؟

إذن : لا سبيل للشك في أن هذه المعاني الوجدانية السامية شيء من الأشياء الكائنة في عالم النفس المطلق ، ولا سبيل للشك — إذن — بأنها في غرار سكين من هذا الوجود

نعم : هي موجودة دون شك ولكن ... ولكن أين يقع عنصر في بحر هذا الوجود الأوسع ؟ وحيث لا قرار لها — كما ترى — في عالم الواقع المحسوس ؟

وهنا يبدر لنا سؤال هو مفتاح السر في هذا الموضوع :

ترى : أكان الإنسان إنساناً بعنصره هذا الوجود الحسي الواقعي وحده ؟ إذن ، فما معنى هذه الإنسانية الفسيحة بأسرارها الخطيرة ؟ ما معنى هذه الإنسانية المفضلة — تفضيلاً مطلقاً — على كل شيء وهب نعمة الوجود ؟ ... ما معنى هذه الإنسانية المزعومة بعد إذا كان وجودها قائماً على جانب واحد هو الجانب الحسي الواقعي ، مثلها للمادي دون غيره ؟ وأين يمتاز الإنسان — إذن — عن الحيوان الأعجم إذا كان يشاركه في هذا الجانب المادي من الوجود ثم لا يزيد عنه شيئاً بعد ذلك ؟

الحق لا . إن هذا الإنسان العظيم لأرفع شأناً ، وأجل خطراً من أن تكون إنسانيته المطلقة قائمة على وجودها المادي عرضاً ، لا يستلزم جانب آخر من جوانب الوجود ... لا ! ليس الإنسان كائناً حياً وكفى ... بل إن الإنسان : كائن حي ، أولا ، ثم إنسان — إذن — لأنه ذو جانبين اثنين يشارك بأحدهما سائر الكائنات الحية في هذا الوجود ، ويتفرد بالجانب الآخر واقفاً على قمة الهرم — هرم الحياة

فما هو الجانب الآخر الذي يصعد بالإنسان إلى قمة الهرم ؟

هو لون من الوجود أضافته الطبيعة على هذا الكائن الحي فصار إنساناً ، وصار الإنسان سيد الوجود على الإطلاق

هو لون من الوجود غريب يأبى التعريف والتحديد ، لأنه يسمو فوق الحدود وفوق القيود ، وإنما نعرفه بعناصره وآثاره ليس غير

هو الآية الكبرى من آيات الطبيعة جعلت منها البرهان على عظمة العقل والإبداع الإلهي

هو المشكاة التي يطل منها الأنبياء والمصلحون على الناس ، يبعثون فيهم أنوار الإيمان والفضيلة والرحمة والعدالة فتتلألأ في عيونهم ، وتشرق منه عيونهم

هو المنظار السحري العجيب الذي يتطلع منه الشعراء والفنانون الملهمون إلى الوجود ، فيكشف لهم أسرار الوجود وخفاياه ، ويلون لهم الحياة بألوان من الخيال وألوان من السحر ، ويصور لهم الناس صوراً من الملائكة وصوراً من الشياطين ، ويخلق لهم عالماً من السعادة يموج بالسحر والنغم ، أو عالماً من الشقاء تضج فيه الأنفس ، وتتلوى القلوب ...

هو مصباح الفلاسفة والمتألهين يديرونه في مجاهل الكون وسمائه ، يبحثون عن حقائق الكينونة المطلقة ، ويتغلغلون به إلى مكامن السر المحجب ، يستكشفون معنى الإرادة العليا فيما وراء المحسوس ، أو يسيرون به على الأرض في دروب المطامع والشهوات يبشرون برسالة الحق والخير والجمال الأسمى

هو العالم الجليل الذي يحتشد به الصوفي في سبحات من النور تصور لهم كل ما فيه من جمال الطبيعة معنى من معاني المحبة أو الغيب

ذلك هو عالم الخيال والحس والإدراك ، أو هو عالم « الوجدان » كما يسميه العلم

فللإنسان — إذن — وجودان لا وجود واحد ، هما الوجود الواقعي المحسوس ، والوجود النفسي غير المحسوس ، أو قل : إن للإنسان حياتين : حياة مادية ، وحياة وجدانية ، وكلما كانت حياته الوجدانية أوسع أفقاً ، وأكثر إشراقاً ، كان أقرب إلى الإنسانية الصحيحة أو كان أقرب إلى معنى الكمال الإنساني وكلما ضاق به أفق الحياة الوجدانية وتقلص إلى دونه من ناحية الحياة المادية وحدها — كان أبعد ما يكون عن الحقيقة الإنسانية في عنصرها الأصيل ، وأقرب ما يكون إلى حقيقة هذا الحيوان الأعجم يشاركه كل المشاركة في ماديته الصماء المجردة ، بل قد يفضله الحيوان الأعجم في هذه الناحية المشتركة

وشعور الإنسان بالكرامة والشرف ، وطموحه إلى الحرية

والمجد — هو الشعور الأعمق لإنسانيته الصحيحة ، لأن الشعور بالكرامة والشرف ، والشوق إلى الحرية والمجد هو أقوى مظاهر الحياة الوجدانية ، وأدل على خصب الخيال ، وسعة الأفق النفسي ، وعمقه ، ينبوع الجمال النفسي ، وكرم إشعاع الروح — هذه الأمور التي تبيح رأساً من دنيا الوجدان في حياة هذا الكائن الحي الأعلى — الإنسان

ولا فرق في هذا كله بين شعور الإنسان بكرامة نفسه وشرفها ، وشوقه إلى حريتها ومجدها ، وبين شعوره بكرامة قومه وشرفهم ، وشوقه إلى حرية أوطانه ومجدها ، بل ، لعل هذين أمران متلازمان لا ينفكان كما يبدو لدى النظر العميق

وعلى ضوء هذا التحليل الصادق سجل الأمة العربية في مقدمة أمم العالم وسوقها في الحياة الوجدانية السامية لأن تاريخ المجد حافل بآثار هذا الشعور بالكرامة والشرف ، وحب العرب الحرية والمجد ، وأيامها التاريخية اللامعة حافلة بالأعمال الخالدة في الكرامة والشرف ، وحب الحرية والمجد إلى عهود الفناء وهي حافلة كذلك بالشواهد الحية على التضحية والفداء في سبيل هذه المعاني الوجدانية سواء في الماضي والحاضر ، وسيكون العرب مثل هذه الشواهد والأعمال في المستقبل — كذلك — حتى يستنقذوا كرامتهم من الهوان ، وشرفهم من الامتهان ، وحتى يحرروا حريتهم الغالية السليبة ، ويؤثلوا مجدهم الرفيع الذي كان يصبح حيناً من أحيان التاريخ الغابر الأثر

(الرسالة) [illegible]

# إلى أين . . . ؟

## للأستاذ محمود محمد شاكر

٢

قال صاحبي بعد قليل من سكتة صمم الإنسان الثائرة الجوية الآن وقد سمع صدى هذا القدر العبيض ، ومضت عوت الموجة الدبيجة التي قامت تئن على الوسع الخرب من عقل هذا العالم ، فالمرمت الأبدى وتقاصمت الأنغام ، وحصب الأحياء ليطمروا أشلاء الهوى التي كانت مبعثرة في طرقهم ويدوسهم على سركة الليل البهيم ، أنهم يعدون هذه الأشلاء الرماحة حشية أن يراها عيون الفئة من مسابح الحور للنعمة بانياب كرجوم الشياطين . آه يا صديقي ما أصنع هذا وما أجرأه ، ويكفي ومن من هذا ، فالآن أعود إليك

لقد ستف لك بعض صورتها في وبعض صورته عند أول اللقاء ، ثم أكشف لك بعد من حقيقة الضيق وما تصلان بأسباب من القدر . إن هذه الأسباب التي لا تدرى متى أولها ، قد أصبحت تجرى عليهما بما يستقبلان من أيامهما ، وقت بها الإشكال ، ووركب العقد الجديدة على تلك العقد القديمة التي انعقدت عليهما في الطفولة ، فلست أدرى ، ولا هما أيضا يدريان ، إلى أين المصير !

لم ينعه في يوم اللقاء الأول ، فوقف طويلا ينظران بشخص البصر وكيف القلب لا تطرف ، وكأن القلب قد أرسلت إلى القلب رسلا من أشعته فتبحث في أصحابه عن معانيها الحائرة التي لم يستقر بعد على قرار مؤمن ، فيجيء به كأنها صورة كتاب القبة التي تغوص في موج الدم

أما هو ، فقد أصبح ما يأخذ الطريق الشقى على حادثة من أهلاك الرطب الندى ، ثم جمع حبيبه ، فإذ هو ملقى على الشاطئ بعد الشقاء من نزع الرعب فجاءه رحمة من روح الله ولكنه لا يدرى من الذى رده إلى الحياة بعد ملابسة للموت ؟ ولا كيف كان ؟ ولا أين هو ؟ ولا أى مكان هذا ! .

وأما هى ، فقد أسكرته نشوة اللحظة ، ثم انكشف لعينها حجاب السكينة الذى أرخاه الدهر للأسرار بين أمها وأبيه ، لقد عرفته وأثبته معرفة ، فأثبتت عليه تصنع الزمن العطيف من عشرين عاماً كانت تحاول بأدوره

أنت ، أنت ، أين كنت ؟

آه ، لقد نسي المسكين منذ أين كان ! إنه هنا أليس هنا كافيا ؟ أليس هو كل شيء ؟ أما الماضي ، أما الحياة التي مضت في جياد أمواجها طوالا كلها جهد وعناء ، كل ذلك ذهب وما رجع ، وكأن الله الذي يصور ما يشاء وثبت في تاريخ الإنسان ، قد أصبحت يمحوها عن رقعة أيامه الماضية ويطهرها من سوادها ، ووجهت إليه والحب صحيفة بيضاء نقية قد تهيأت أن يخط فيها القدر تاريخه الجديد . أجل كان هذا هو الإبدال الأول من القدر عند المسكين أنه سيمحى بها كل تجاربه في الحياة ، وأنها هي التي ستكتب له هذا التاريخ الجديد من القدر خيره وشره

ومضت الأيام الأولى بعد هذا اللقاء العجيب على ذكرى حاضرة بمصارع ومواثيق الماضي التي وحدت بأخذها عهود الصغر وملاعب الطفولة فاستعادت معالمها وبعثت بعض آثارها ، جعلت هي تتكلم ، وكأنها ذكرى التاريخ الرائعة التي لا تكاد تعطف شيئا إلا أحصت دقيقة وجليلة ، حدثته وذكرته وأعادت عليه أخبار الصبا ووشيه من نسج حديثها ، أما هو فقد بقى صامتا يتصدع له خاشعاً صدرها ويسمع صدى الماضي الذي يتكلم في سراديب النفس السحيقة للحقبة الذاهبة بأحقاب الماضية في أقصى غيب الحياة

كيف تنبت الحياة في أشياء الطبيعة التي تحول الناس أو تعلمهم أنها موات ؟ كيف تستيقظ الأرواح النائمة في قبر مظلم قد أطبق على مناشده محصور من جبال الزمن ؟ كيف تستقبل النفس التي أخرجها القدر المقصم ما أجدبا من الغيث حتى يبس عليها بردا وسلاما لا ساكنا يتردد ؟ كيف وكيف ؟ لقد عرف هو كيف يكون ذلك كله حين سكنت روحها في نفاذ روحه للصدفة يأمرانه ، وحين أحدثت تناجيه بالذكرى ، ويحيى في صورتها ذلك المعنى الخالد الذى جعل مع الغيث من السماء يأتى الأرض الظامئة المقفرة المجدبة ، فكذلك تهتز وتربو على حد اسمه التى تتفجر في ذرات الثرى كل ينابيع الحياة

واستجابت هذه الصاعرة الجبلة التي سرجت عليه من لفائف النيه العجيب تلك النفس الفسيحة المديدة فما زالت حتى اقتحمت التخوم النائية التي كانت تحيط بنفسه عمراً من قبل. إنه الساعة يسمع ويرى ويحس، ويتنقل في الحياة بيأس شديد. لا، بل كان في أول أمره هذا مضطرباً حائراً يدور بقوة حيث دارت به على غير هدى ولا صراط، كأن رعب هلاً فاستوحش وارتاع، ويحتمل كل أعباء الهم التي يجدها في نفسه، فيخرج فيضرب في البيداء المقفرة الموحشة في هذه الصحراء، حيث لا يرى إلا صفاء السماء وبحر الرمل الساكن في مهاد الأرض... وحيث لا يسمع إلا حنين الرياح تعوي أصواتها الأزلية في الليلة القمراء. يمشي ثم يمشي حيث يقصر به القدر الغالب، وهو لا يسمع مع ذلك إلا أنغام صوتها من حوله يتردد: أنت، أنت... أين كنت!

اشتمل القلب وفترت الروح، فانطلق بعد الحيرة والضلال في طريق سوي مؤتلفاً بهذه الروح القوية التي سيطرت على كل روحه بالحب والحنان، ومضى يحمل لها وبأصحابها عهداً مقدماً لا يحل. وسكن بعده لم يزل على حال من الإيمان ثابتة، كأنما إيمانه أحس كأنما أخذ عنه الوحي إذ زال فاشتد فاستهان، ثم تنحدر ولف صوتها إلى قلبه فتجري في أنهار الحياة المتدفقة في حنانه بنفسه، فيرجع الدم ألحانها رجيعاً موسيقياً هتافاً آتياً من أغوار القدر السحيقة... نعم، إنه لا يزال يسمع في غور نفسه وبهائها صدى يتردد:

أنت، أنت!! أين كنت؟

فتحييها الروح من أعماقها

أنا هنا، أنا هنا!! أيها الغريب!

• • •

هكذا جاء بنوه وقد تم كل ما به وخضع لسلطانها الذي لا يطغى ولا يفتر، ثم دبّت في روحه اليقظة الجديدة فحدثت النفس المتنفسة رونق شبابها، واستجاب قولها المتفردة بعد فترة كالإعادة اللازم في أنفاس النسيم الندي المتروح بعطر الرياض النضرة. وسكت عنه بعد ذلك بجوانحه بوحشي، فارتد إليه سحر الوحشي بحرص بهمة، وأخذه بملك الرعب من كل مكان

أين أنا! وكيف كان هذا! ومن صنعت لي ولك أن أكون! كل هذه أسئلة جعل صداها يرتد في نفسه، ثم خشع على الأمر، فلا يجد جواباً جيداً ولا تأويلاً. ويوشك جبين يحول حيال الوحش بعد أن يجد النهر المقفر الذي يجري فيه مسالك على حوه وماله... ولكن وارحمتاه! لقد عن ما قلب باسمين للمتاة كأنه غير عثوم! رفعت الأقلام وجفت الكتب!

أرأيت إلى ما وصفت لك من أول ما ظلمته؟ أرأيت إلى ذلك الوحش الآبد المقفر الذي لا يألف الحياة ولا من تألفه؟ أرأيت إلى تلك الفكرة الباذخة المستة التي تأبى أن تذل أو تستعبد؟ أرأيت إلى البركان المتدفع في عنفوان ثورته؟ كل ذلك قد استحال بين يديها، ومع أشعة حبيب، وفي مس أصابعها، شيئاً غير هذا كله... فكل ما توحش منه صار عندها يألف ودوماً يجود بها خاشعاً متضرعاً، وكل ما يدخ وجماً وجفلاً صار يتطامل لها ويدنو ويلين، وكل ما تقصيت منه وطر وعلى صوب بسبب إليها صبابة وحنيناً ورحمة

• • •

وعندئذ سكت صاحبي بغتة كأن لسانه قد عقد عقداً على ألفاظه، ثم تنهد واحدة كأنما انجذبت ركن من جبله القائم في كبد نفسه. ورمى ببصره في حشا الركام المتكاثف بعضه على بعض من ظلام الليل. لم أرد أن أستثيره من هدأته التي يسترجع إليها بعد هذه الجهد الهائل الذي كان يتدفق به في حديثه. لقد كان يعاني من هذه الحديث أشد ما يعاني مسارب السائر في وحشة الليل الغاضب في غول الصحراء، وهو هائم على وجهه يطارده من ورائه شياطين السراب التي تريد أن تختطفه إليها بمخالبها هائلة من الرعب والفزع

كنت أرثي له وآسى عليه، وفيمن من الحديث معه خائف أن يكون ذلك قد يصرفه من بعض الفكر الذي يصطحب به ويرساوسه وحيرته... نعم، إنه عذاب مقل أليم، ولكنه على ذلك مما يصقل النفس ويحيي إحساسها من عذاب الشك والقلق والحيرة والحياة كلها صور متشابهة يراد بها السمو بالنفس على وجه من وجوه الألم... والألم وحده هو الذي يستطيع أن يصقل النفس

الإنسانية متلألئاً ، وبذلك يرد إليه حقيقة الإيمان المشرقة بالاطمئنان والتسليم . إنه حائر يشك في حقيقة ما يقع عليه فكره ويشكو هذا الألم الذي يصارعه صراعاً عنيفاً لا رحمة فيه ، وهو ينشد الراحة المنشودة إليه ، ليؤمن بعد ذلك إيماناً لا يداخله شيء من الشك أن هنا من يعقل ، وأن أفكاره القلقة هي التي تضلله ، وأنه يجب أن تقيد أفكار العقل الحائر بأغلال متينة من أفكار القلب المؤمن

وتقربت في صمت الليل أفكاري فيه ، وحسبت أسمعه في همس كل ما تلقيه الأرض من همسه للمآل التي تتهادى وتختفي بطيئة في ظل الألحان الشجية الصموتة عذابها . كنت حائراً في فهم هذا الصديق الذي يحدثني عن صديقه ، وما صديقه إلا هو وكنت أفهم هذا الجبل وهو يتجمع من أصدائه التي يبعثها منها كأنها كان متضجراً من أغلال القصيرة التي تطمح إليه بأبصارها ، وهنا في نفسي أفكار وأسئلة لا جواب لها . يا رب ! أممكناً يضمحل الرجل ! ولم تقع صوتي بهذا السؤال حتى سمعه الملك فما هو إلا أن هب صاحبي من غفوة التفكير التي غشيته ، فأقبل علي يقول :

نعم ، هكذا يضمحل الرجل ! وما تريد أنت إلى ذلك ؟ إنك ربما تحسدني بخيال يشكل أفكاري التي أنكرتها في غيب نفسي أي شيء هو الرجل ؟ هل تستطيع أنت أو من سواك أن يبرز الفعل حقيقة الرجل ، وأن يجد لفكرته أصلاً لا يزول ، فإن يخرج منها أو من أحدها أحق في القدر أن يكون رجلاً من رجل ! هذا هو الغرور الذي يتهاوى فيه الناس ما عاشوا لما يرى بعضهم على بعض ، فترة ركبت في سر طباعهم ، إن هذا ليس استقلالاً وضعاً بالحق الذي تزعم ، إنه ليس من شيء في الطبيعة إلا وهو فيها تحكمه وتصرفه ، ويصرع كونه الذي أعمى منه ليس يرى منها بين جميع ، وإنما هو القانون الطبيعي الذي ينتظم به نظام العالم . إنه لا يخال الدوحة الفينانة المنيفة . أيتها الشكية ، لماذا تضحين لسلطان الفصل الذي تساقط به أوراقك ؟ أو لماذا هذا الحنين الذائب إلى قطرات من الغيث ، وهذا الجذل الخالد يسمع عليه من السيل ثم ينقطع

أعواماً فلا يطأ إليه سوى كفل حينئذ إلى خطرات نفس قلقة ، انقضت بضعة أشهر ! هذه طبيعة الروح ، دائماً تتقلب إلى غير هذا الناموس فتلك الفئة وتركت حطاماً بالمرسوم

آه أيها الصديق ! إنك لن تدرك الحقيقة حتى تستشعر بوقع الآلام الملتهبة التي تترك الرجل يتزايل في الشوق وفي الحد والوجد كما يتزايل جبل من الفولاذ قد عركته يد مقصورة من لهب جهنم . أبق قليلاً من فضلك ثم أحدثك كيف اضمحل الرجل !

( له بقية ) محمود محمد شاكر

في سبيل الأزهر أيضاً

# فتوى ... وفتوى ...

## للأستاذ محمد محمد المدني

المدرس بكلية الشريعة

لست أدري أيتقبل قراء «الرسالة» اعتذاري أن أعود بهم مرة ثانية إلى «فاتحة الأربعاء» بعد أن كتبت فيها مقالي الأول(1)؟

«وفاتحة الأربعاء» في نفسها لا تستحق شيئاً من العناية، ولا تستحق أن نشغل بها قراء «الرسالة» في حين بعد حين؛ وإنما أعود إليها لأنها تمثل ناحية من نواحي التفكير في الأزهر، من أن يتناوله الإصلاح، وأن تمحى منه البدع والأفكار. وقد جدّ في شأن هذه الفاتحة جديد، ومن حق قراء «الرسالة» أن يطلعوا على هذا الجديد، ويتابعوا دعوة الإصلاح في كل خطوة من خطواتها، ويدركوا كل طور من أطوارها.

كان حديث الناس عن «فاتحة الأربعاء» فتوى غريبة أصدرها عالم جليل من جماعة كبار العلماء، وقرر فيها: «أن فاتحة الأربعاء جائزة لا غبار عليها، بل هي من وجوه القرب، وليس فيها إلا عدة أمور بعضها جائز وبعضها مندوب إليه، وأن من يكلف بشيء منها فهو منكر أو جاهل بما ورد في الدين من التواتر ... الخ».

ولم يلبث أن نشرنا على هذه الفتوى التي كنا أول من لفت الأنظار إليها ودل على مواطن الخطأ فيها، وكتبنا اقتصرنا على أن نسجل عنها «بعض الملاحظ» ونستجلي «بعض النواحي»، ثم طلبنا من حضرة الأستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية أن يُدلي إلى الناس برأيه فيها، وقد علمنا أن حضرة الأستاذ الكبير قد اهتم بالأمر، وأن فتواه فيه على وشك الصدور إن لم تكن قد صدرت بالفعل قبل أن يصدر هذا العدد من الرسالة.

ولكن فتوى أخرى في الموضوع قد صدرت الآن من جهة لها قيمتها العلمية ومكانتها الرسمية، تلك هي «لجنة الفتوى بالأزهر» التي تتألف من عدد كبير يمثلون المذاهب الأربعة، ويضم اثنان من جماعة كبار العلماء، هما فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر، وفضيلة الأستاذ المفتي شيخ السادة المالكية، ويضم أيضاً مفتشين رسميين يقومون بمهمة التوجيه العلمي والإشراف الفني في جميع المعاهد الدينية التابعة للأزهر، وقد أصدرت اللجنة فتواها «بالإجماع» الصحيح، الذي هو نتيجة اجتماع في مكان واحد، وتشاور ونقاش ومراجعة واقتناع واقتناع بأن للأزهر شخصية التي يُعمل إلى إعلانها وتوحيدها.

ونحن ننشر هذه الفتوى بين يدي القراء، قبل أن نعقّب عليها بشيء. قالت اللجنة — بعد أن ساقت نص الاستفتاء، وهو لا يخرج عما أثبته في مقالي الأول — ما يأتي:

«هذه الفاتحة — وهي عبارة عن صلاة، وقراءة قرآن، ودعاء — قد حددوا لها وللأجزاء التي تركبت منها زماناً ومكاناً، والتزموا فيها كيفية معينة: يخرج صاحب الفاتحة إلى ضريح معين، ويقرأ فيه سورة يس بالنية التي يريدها، ثم يمشي في طريق ضريح آخر، حتى يصل إلى مكان مخصوص بين القبر فيصلي فيه ركعتين وهو حاسر الرأس، ثم يمسك عمامته بإحدى يديه، وحذاءه تحت إبطه، ويتمم شوطه إلى الضريح المقصود، وهو في هذه الحالة، ثم يجلس هناك بجلسة خاصة، ويتوسل فيه بالأنبياء، وبسيدنا آدم وحواء وصاحب الضريح الثالث، وقد اقترنت هذه الصيغة في نفوس الناس باعتقاد أنها إذا أديت على هذا الوجه كانت مضمونة النفع، وإذا لم تؤد على هذا الوجه لم يكن لها الأثر المطلوب.

وهذه الصلاة بما طرأ عليها من هذه الكيفية، وما صحب من الترتيب والاعتقاد المذكورة، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا يشهد بها أصل صحيح، وذلك فضلاً عما يصحبها من مظاهر لا تتفق وجلال الدين، وروعة العبادة، هي بدعة منكرة. وإن الابتداع في الدين كما يكون بإحداث عبادة لا أصل لها، يكون بتحديد زمان

(1) عدد ٣٠٦ من الرسالة

أو مكان أو كيفية العبادة التي شرع أصلها ، فما جعل الشارع له كيفية خاصة ، أو حدد له زمناً أو مكاناً كصلاة الجمعة والاستسقاء والعيد وجب اتباعه فيما حدده ، وما لم يحدد له شيئاً من ذلك ، كالنوافل المطلقة كان التحديد فيه ابتداعاً وإحداثاً في الدين ، لا يصح عمله ولا يسوغ اعتقاده . أما قراءة القرآن ، وصلاة الحاجة والتضرع إلى الله في المصائب والكروب من غير التزام شيء مما ذكر ، ومع مراعاة الآداب الشرعية ، فهي أمور ندب إليها الشرع الشريف ، وحث عليها الأحاديث

واللجنة تنصح للمسلمين أن يلتزموا في عقائدهم ، وعباداتهم ، ونقربهم إلى الله حدود ما شرع الله ، وألا يجيزوا من عند أنفسهم شيئاً من كيفية أو التزام زمان أو مكان ، فإن ذلك أسلم لدينهم ، وأبعد من مقت الله وغضبه ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ، والله أعلم

* * *

هذه هي الفتوى الرسمية التي أصدرتها اللجنة الأزهرية والمنعقد على إجماعها الصحيح ، وهي تناقض الفتوى الأولى التي أصدرها أحد أعضاء جماعة كبار العلماء مناقضة صريحة من وجوه

١ — الشيخ يقرر أن « قلة الأربعاء » جائزة لا شك فيها بل هي من صورة البركة . واللجنة تقرر أنها بدعة منكرة ، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا يشهد لها أصل صحيح

٢ — الشيخ يستدل على ما يقرر بأن هذه القائمة مركبة من أشياء بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ، وما كان كذلك فهو جائز شرعاً ، واللجنة تخالفه لهذا السبب نفسه ، وتقرر أن الابتداع في الدين كما يكون بإحداث عبادة لا أصل لها يكون بتحديد زمان أو مكان أو كيفية العبادة التي شرع أصلها ، وأن هذا التحديد ابتداع وإحداث في الدين ، لا يصح عمله ولا يسوغ اعتقاده

٣ — الشيخ ينصح للمسلمين والعلماء خاصة بعدم معارضة هذه القائمة وأمثالها بما أَلِف أن يدافع عنه ، ويحض عليه ، وأن يلتفتوا إلى محاربة المنكرات الجسيمة التي ذكرت حتى صارت كما يقول الشيخ « سبيلاً » ، واللجنة تنصح للمسلمين أن يلتزموا في عقائدهم وعباداتهم حدود ما شرع الله ، وألا يجيزوا من عند أنفسهم شيئاً من كيفية أو التزام زمان أو مكان ، وإلا كانوا داخلين في قوله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

وقد كان من قبل مثل ما قاله اللجنة تحويجت إلى مواطن الخطأ في فتوى الشيخ الكبير ، فماذا استقبل المعتدون قولي ؟ لقد صاحت منهم حوانج ، وثرثرت صوص ما عرفت النور في حياتها لشيء ، هذا واضطرب لذلك أيد ، وولولت أقلام ، قالوا : ما قيمة العالم الحدث يعرض الكبار من شيوخه ، ويتصدى عليهم ؟ وقالوا : ما أخطأ الشيخ الكبير ، ولكن أخطأ العالم الصغير ! وقالوا : لا تصبروا على هذا الكلام خلف منابر أصحابه ، ويستدرج الناس إلى شر يصيبكم عظيم ، ثم هبوا به لم ينالوا ، وكف الله أيديهم وقلوبهم في قلوبهم الرعب ، وكان الله بما يعملون بصيراً ؟ !

وأنا أريد الآن أن أقولها كلمة صريحة خالصة ، لا أريد بها إلا وجه الله ، ولا أبتغي بها مصلحة إلا مصلحة العلم والعقل والدين ، ولا أصدر بها عن روح إلا روح الإخلاص للأزهر الذي يحمل لواء الشريعة المطهرة ، بين مريديه ، حتى عليه مرتبتي أن يتكلم عن عمل فيقصده من دونه

إن الموقف الذي وقفته جماعة كبار العلماء هي « الأكاديمية للعلوم والمعارف الإسلامية » ، فإذا اختلف أعضاؤها هذا الاختلاف ، وكانوا في الشيء الواحد على « طرفي نقيض » دل ذلك من غير شك على فساد ، ودل بعد ذلك على اضطراب ، ودل على أن الموازين والمقاييس التي يحملها بعض الناس في أيديهم ، يزنون بها ما حرم الله وما أحل ، ويقيسون عليها الكفر والفسوق والإيمان ، موازين أقل ما يقال فيها إنها تنقصها الدقة ، وتحتاج إلى « الضبط الصحيح » !

إن « قلة الأربعاء » قد وزنت بميزانين ، فصدر بكلمتها أحد من جماعة كبار العلماء ، فجعل أحد الميزانين إيجاباً مطلقاً وجعل الثاني سلباً مطلقاً ، وقد تعلمنا من شيوخنا المنطقيين أن السلب الكلي والإيجاب الكلي لا يجتمعان في مادة واحدة ، فلا بد إذاً أن يكون أحد الميزانين مختلاً ، فمن إصلاح العلم والدين

حركات الإصلاح الإسلامية

# ٣ ـ أزمة إسلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر
دكتور في الفلسفة والعلوم الإسلامية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة

تقوم على قمة حركات الإصلاح الحديثة شخصية ليس لها في التاريخ مثل في اتصال مباشر بالحركة الوهابية التي أسلفت الكلام عنها، وقد وصف هذه الشخصية جولد زيهر «بأنه صورة عجيبة ظهرت في الإسلام أثناء القرن التاسع عشر». ذلك هو جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧) «الذي كان فيلسوفاً، أديباً، خطيباً، صحافياً، وفوق هذا كله كان سياسياً»[١] والذي قال عنه براون في كتابه الثورة الفارسية «بأنه أثر خالد على الأجيال»[٢]

ولقد رحل جمال الدين من أفغانستان وجاب العالم الإسلامي وأوربا، بل ومن الممكن أيضاً أن يكون قد جاب بلاد أمريكا!

وهو جدير بحق ـ على ما نشك ـ أبا للأفكار الجامعة الإسلامية Panislamamische Gedanken على ألا نخلط بين الأفكار السياسية الجامعة وبين ما كان يحاوله عبد الحميد من التقلب في السياسة العملية. ومن الحق أن نقول إنه كان أول من نبه إلى خطر سياسة المسلمين في وجه أطماع الغرب، ولكنه كان مع ذلك يحس في قرارة نفسه بحاجة الأمة إلى بناء جديد من العالم الإسلامي تدخل فيه عناصر حرة، ويقطع ما بينه وبين التقاليد الموروثة من صلات وأواصر. ونظراً إلى أن جمال الدين الأفغاني كان ذا نزعة عملية، وكانت له وجهة نظر سياسية في الغالب تؤثر فيه، ونظراً إلى أنه لم يكتب كثيراً، فإنه من الصعب أن نحس تأثير هذه الشخصية الفذة فيمن حوله. وربما كان ما أثر في الغرب من صحيح[١]، فإنه من الصعب أن نستقصي دعوته نفسه ومن يحصل عنه أيضاً، بل لا نعرف من أي جهة هذه النواحي، إلا أنه لم يترك تأثيره في شكل عقدي لأن تأثيره كان في الغالب في ثوب العلم والحركة أكثر مما هو في ثوب الكتابة؛ ولهذا فإنه من العسير علينا أن نحكم على الآثار التي نتجت عن يديه. وهنا يجب لنا أنه يرجع إليه الفضل في تلاميذه الذين هم أكابر رجال الإصلاح ويعود إليه الفضل فيه وهم يذكرون له كل ما عندهم من خير.

وعند ظهور جمال الدين الأفغاني كانت تتردد في الهند بعض أصوات، ويدور القول حول إصلاحات آخذة في النهوض في وجهات وأشكال مختلفة، ولكنا لا نعرف بالضبط مدى ارتباط جمال الدين بهذه الحركة في الهند وهل كان له مساعدة أو كان الأمر بالعكس، فهما من ناحية التأثير يلتقيان معاً عند خط واحد، وفي العصر نفسه مع هذا يعتبر جمال الدين عند الشباب في الهند المعلم العظيم التاريخي.

وكانت حركة الهند في أوائل القرن التاسع عشر قد نهضت من ناحية تأثرها قليلاً أو كثيراً بالوهابية العربية، وكانت الحال في الحقيقة تعبر عن حقيقة معينة، وهو أن شكل الحركة الوهابية الشعبية

(١) دائرة المعارف الإسلامية جزء ١ ص ... وراجع أيضاً كتاب الخلافة للدكتور السنهوري ص Califat. P. 566

(٢) E. J. Browne, The Persian Revolution

(١) راجع في الأصل ... وفي هذا كتاب ... R. Pisamisme ... La ...

---

ذلك أن يضحي للبرلمان القتيل، وأن يجهز على الدمى المنصوبة، ويصيح «جماعة كبار العلماء» أن يصطلح على معنى صحيح مضبوط، من كتاب الله وسنة رسوله «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان»!

ولكن هذه صيحة ... صيحة إلى عالم صغير، ولا يجوز أن يتطاول الصغير إلى مقام الكبير! فهل من عالم كبير يحمل لواء هذه الدعوة ويصدع بها بقوة، ويأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها، قبل أن تأخذهم الأحداث، وتأخذهم سنة الله في الغابرين؟

«ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»!

(أبو الوفاء)

للصحف لم يكن من أثر عند الحركة الهندية الإسلامية وروحها إلى حركة التجديد في الهند صدرت عن طائفة غير منفصلة عنها حتى ، وكل ما هنالك أن هذا التقابل بين هذه الحركة والحركة الوهابية يمكن أن نشرحه ونفسر هذه النهضة التي جاءت من ذلك مرة النهضة التي صدرت من المركز الإسلامي بالبلاد العربية

وقد ظهرت حركة الإصلاح في الهند الحديث في شكل حركة عقلية على رجال مثل سيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكره (المتوفى سنة ١٨٩٨) مثلاً ، ومن أمثال أمير علي وصوروا أحسنا حديثاً ، وقد تأثر هؤلاء القوم تأثراً عميقاً بما هو ظاهر بخصوص في وطنهم من الأخذ من ثقافة الغربيين ومدنيتهم وما هو ناتج من جراء تعودهم بهذه الأساليب الحديثة ، وهم على العموم — مخلصون في هذا المجال الديني — لم يتخذوا بدافع سياسي ، بل إنهم اعتبروا خضوع الهند للإنجليز أمراً ضرورياً وأمراً مرغوباً به كذلك ، كما أن حركتهم لم تصدر أولاً وبالذات عن أفكار دينية اعتنقوا بها ، وكل ما هنالك أنهم عرفوا الثقافة الغربية واتصلوا بها ، فقادوا حركتهم تحت تأثير تأثر المسلمين . وأنهم كمصلحين محبين للإسلام — كما أحسوا — كانوا يرون أن الإسلام الصحيح الخالص لا يقف في طريق الثقافة الحديثة بأي شكل ، وأنه في الأصل هو الدين الوحيد صديق العلم والتقدم . وسموا « الإسلام الصحيح » ولم ينكروا أن الإسلام على ما هو عليه في الوقت الحاضر به ما يحتاج إلى الإصلاح وقد جاء هذا كما نقرأ من أن البحث المستقل في مراجع الدين الأصلية — بدون الاجتهاد — غير جائز ، وأن الناس خاضعون التقليد الأعمى من جراء الإجماع الذي طغى على الإحساس وحل محله جامداً متبلداً ، وأن أفكار المتأخرين سودت معالم الوضوح[1] . وصوروا الأحاديث أحاديث كثيرة وعسكروا ... القرآن الكريم

وقد تحدث المصلحون بالهند — وليس ذلك بصحيح دائماً — من الناحية التاريخية والمنزلة التي صوروها بأنهم المفكرون الأحرار وأنصارهم كانت لهم في التجديد ... أحياناً بطريقة حاضرة فالمعرفة حديثة ، لأنها تقرب الطريق إلى الحياة أساس هذه الطريقة الإسلامية الحرة وتصورها

ويظهر من طبيعة الأشياء أنهم أحسوا ... طريقة هذه المدرسة الحديثة ... فكرة التطور ... أي الحركة ... الإنسانية أنه لا يوجد قانون دائم وأن النظام الإلهي الذي ينظم سلوك الإنسان نتيجة للتقدم والتطور ، وأن الله ... ووضعه في شكل متدرج متطور من القرون[2] ، وقد يعتبروا أصحابه ... في شرح ... والأغراض في القرآن والأحاديث التي يستعملونها ... ذلك أفكارهم في سبيل التدليل على أن الإسلام الصحيح يحض على المناداة بالعلم بلا قيد ولا شرط ولا يخالف الدعوة ، وهذا التطور حقاً صورة الإسلام ككل أمر

على أن هذه الطريقة التي استعملها رجال الإصلاح وإن كانت لا تقوى أحياناً على النقد التاريخي ، فإنه مما يستحق التقدير حقاً كفاح هؤلاء الرجال ... في ... بما هو الثابت لا الطريقة ، وهي ليست إلا محاولة تحرير الإسلام من قيود القرون الوسطى

والأمر الغريب هنا هو أن الخطوة الأولى لهذه الثقافة الحديثة وهي رفض ... الإسلامي لم يقم بها على أساس ثابت مأمون ولم تأخذ مكاناً علمياً ؛ ونظهر أن هذه الدعوى تنبع من ذلك

ولكن بجانب هذا قد ... الآن ... واضحاً ... الفكرة التي تقول أن النظم المشروعة لا يمكن أن تبقى صالحة دائماً ، وفي آخر الأمر يكون ... الاقتصار على مبادئ ... ، وأكثر على الأقل خطوات ... الأحرار عن المعارف الدينية التاريخية[3]

هذه هي كلمة الأستاذ ... عن حركة الإصلاح في الهند ، أما حركة الإصلاح بمصر فسنعرض لها في المقال الآتي إن شاء الله

علي حسن عبد القادر

(١) S. Ameer Ali, Spirit of Islam (Ausgabe Von 1922) S. 183 u. 237

(٢) وانظر في ذلك ما كتبه أمير علي في Rahman ... And ... Modern ... London Archibald Constable & ... 1906

(٣) Becker, Islam, I. 199

# التعليم المختلط

## للأستاذ رفعة الحبلى

أصاب الأمم العربية ، في الآونة الأخيرة ، تنوازع التجديد الأوربي الحديث من نواح متعددة ، سياسية واجتماعية ، وأدبية وعلمية ، فأصيب بالبعض منها وحمت بالبعض الآخر ؛ وأبعد هذه النواحي أثراً فيها الناحية العلمية التربوية التي أصيب منها ، فإذا بها سحابات حرية بادية على صوتها ، وبدأت تمشي حسب أنظمة التعليم الحديثة في معاهدها وكلياتها وجامعاتها ، بعد أن بقيت ردحاً من الزمن محافظة على القديم منها ، وراحت تعمم مبادئ السليمة وتنفي طرقها العتيقة ، وتزاوج بين القديم منها والحديث إلى أن تستحدث منها زياً جديداً ، وأسست عليها أركاناً طريفة ؛ ولكن أي تسرعت إلى هذه الأنظمة وصادفت هوى في نفسها ، فوثبت بها كيداً يستعينها على مجاراة النهضات العلمية العالمية ، ووصلت إلى تبوء مركزها الرفيع بين الأمم.

ولو رأيت بعض الأمم العربية قد أخضعت نفسها إلى الأخذ بهذه المبادئ التربوية — التي أعتكف علماء التربية على دراستها دراسة واعية شاملة ، وانتهت منها نتائج عميقاً ، طوال سنين عديدة — فأتيت عليه وسارعت إلى إقرارها ؛ وكان أن جهلت الأنظمة ، وسرت الأسس ، ونلوث المناهج وفقاً للمبادئ التعليمية الحديثة التي تتلاءم مع حاجات المجتمع وتطور الثقافات ؛ ومن أهم تلك المبادئ مبدأ التعليم المختلط Coéducation الذي كثر الجدل حوله بين كبار المربين ، واحتدم الكلام بين علماء النفس في منافعه ومضاره ، فمنهم من أقره ورغب فيه ، ومنهم من أنكره ونفر منه ، ولكل منهم أنصاره وأعوانه وحججه وتجاربه.

على أن الأمم العربية لم تأخذ بهذا المبدأ — مبدأ التعليم المختلط — في جميع مراحله من ابتدائية وثانوية وجامعية ؛ بل اقتصرت على المراحل العالية ، أو بالأحرى اقتصرت على الدراسة في الجامعة وحسب ؛ وقد تناهت لذلك قلة الطالبات دون غيرها

فتتضح أوجه الرأي المختلف عليه في قضية هذا التعليم المختلط ، ونعرض مناصره ومعارضه ونقف على ماهيته وكيفيته ، ونرسم خطوطه الكبرى كي تتضح حسناته وتنجلي عيوبه.

إن أول أمة أخذت بالتعليم المختلط هي الأمة الأمريكية ، وهو طريقة تعليمية حديثة من مبدئه أن يتلقى الفتيان والفتيات العلم والتثقيف معاً في معهد واحد وفي وقت واحد ، مع مراعاة درجة مداركهم ومستوى معلوماتهم وتفاوت أعمارهم دون النظر إلى الفارق الجنسي ، على أن يشرف على هذا التعليم أساتذة من كلا الجنسين.

والتعليم المختلط على أنواع ثلاثة : نوع يعرف بالتعليم المطلق أو التام Coéducation intégrale والغاية منه تهيئة الطلاب من كلا الجنسين للتمرن واعتياد الحياة الاجتماعية التي تستدعيها البيئة وتقتضيها الحضارة ؛ ونوع آخر يعرف بالمدرسة المختلطة école mixte وفيها يجتمع الجنسان في الدروس وحسب ؛ والنوع الأخير هو ما يطلق عليه التعليم المختلط المقيد Coéducation restreinte وهدفه تهيئة الطلاب والطالبات للعمر واستعدادهم للحياة الاجتماعية على شرط أن ينظر إلى خصائص هاتين الفئتين من عقلية ونفسية حتى تتلاءم مع استعداد الأفراد من جنس الواحد وميولهم ورغباتهم ومع بعض الاعتبارات والعوامل عقلية كانت أو معنوية.

ولتحقيق فكرة التعليم المختلط يجب عدم التفرقة ، في بادئ الأمر ، بين الأساتذة الذين يشرفون عليه أو بالأحرى يجب أن تتكون الهيئة التعليمية — كما يقول الدكتور Barnes في كتابه القيم « التعليم المختلط في المدارس الثانوية » — مؤلفة من مدرسين ومدرسات يمثل الطلاب ، على النسبة ، بعض المدرسات كما عهد للتدريس على بعض المربين.

وقد أصبحت المطالب الذي يتحكم في مصير هذه الفكرة تحكماً شديداً ، والذي من شأنه أن يدفعها إلى التقدم دفعاً سريعاً ، ويجنبها من شأنها الفشل ، على نحو ما يذهب إليه بعض علماء التربية ، وجدنا أن البعض الآخر يتساءل عما إذا كانت هذه الفكرة تتفق والتطور الطبيعي من حيث القابلية والاستعداد لكل فئة من هاتين الفئتين من الجنسين؟ ... وربما يتطلب جواب هذا التساؤل دراسة نفسية كل منهما من النواحي التي تتصل

اتصالاً وثيقاً بمركز التنفس ، كتطور الميول ، وبداية الرغائب ، واختلاف القوى ، وميل النفس وغيره

ولكن هل يصح لنا أن نرد تباين هذه النواحي إلى التربية المنزلية وخصائص البيئة ومزايا الفرد ، أم أنها تمثل جنساً من حيث هو جنس ؟

في الواقع أن هذه النواحي ترجع إلى اختلافات جنسية ذات تأثير كبير يصل التباين بينها إلى أبعد حدوده

لقد كان أول أمة فكرت في هذا النوع من التعليم المختلط هي الأمة الأمريكية ، وما أن استهل القرن العشرون حتى غدا هذا النوع في جميع معاهدها من ابتدائية وثانوية وجامعية ؛ وبلغ عدد المعاهد الثانوية بحسب إحصاء رسمي قامت به حكومة الولايات المتحدة عام ١٩٠٩ — ١١٠٧٥ معهداً مختلطاً يؤمها ٩٣٢٣٣٦ طالباً وطالبة تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة منها ٤٠٨ معهداً خصصت للطلاب عدد أفرادها ١١٠٢٢٥ طالباً ؛ مع العلم أن هذا الإحصاء لا يشمل العدد الكبير من المعاهد الخاصة التي تشرف عليها الجمعيات الخيرية والدينية ، وبلغ عدد الجامعات في إحصاء آخر ٦٢٣ جامعة منها ١٥٨ جامعة خاصة بالفتيان و١٢٩ جامعة خاصة بالفتيات و٣٣٦ جامعة مختلطة ؛ فالمعاهد الثانوية يمكن اعتبار نسبة المختلط منها تسعة أعشار ، وهي نسبة جد مرتفعة ، أما المدارس الابتدائية فيوجد منها مئات الألوف من كلا الجنسين على السواء

ولم يقتصر هذا التعليم على الأمة الأمريكية فحسب ، بل تعدى إلى الأمم الأخرى أشهرها التي تقطن شبه جزيرة اسكندينافية ، وكذلك الأمة الفرنسية والألمانية والإسبانية وسواها . واختارت بوحه عام التعليم الأمة الإيطالية أيضاً فأصدرت قانوناً في الرابع من شهر حزيران عام ١٩٤٤ أصابت بموجبه جميع معاهدها إلى معاهد مختلطة ، وكذلك دور المعلمين أيضاً حيث كان الانتساب إليها مقصوراً على الطلاب

وأبدت الحكومة الإنكليزية بدورها منذ مدة غير بعيدة ولأسباب اقتصادية جميع معاهدها الابتدائية والثانوية إلى معاهد مختلطة ، إلا أنها قيدت التعليم المختلط بما يختص بالتعليم الثانوي حيث تجتمع المسائل في بعض المواد وفي الاختبارات وقد تنادي

الطعام في أن يسمح لهؤلاء الأحداث في الأسبوع أكثر من مرة معاً يتشمرون إلى عناصرهم في عمق العلوم الأدبية والعلوم

من هذا يبدو لنا أن التعليم المختلط قد شاع بين أكثر الشعوب المتحضرة والأمم المتمدنة وهو الأوضاع الأوروبية والأمريكية ونتناول بعض الأوضاع الشرحة أيضاً

على أن هنالك نظريات متباينة في صدد هذا التعليم ، من حيث مناصره ومعارضه ، أثارها علماء النفس والاجتماع والتربية ، اصطرعت فيها عناصر مختلفة من الفهم ، واحترقت فيها مذاهب كثيرة من التفكير . فترى الأستاذ Hemming ، أحد المربين الأمريكيين ، لم يرى من إبداء رأيه المعيب في بعض الاختلاط الجنسين في معهد واحد ، بعد اختبار عميق دام معه على خمسة عشر عاماً فيقول : « لست في المدارس الابتدائية Public Schools الصادقة الصفة ولم التقيت بين طلابها وطالباتها رغبة تدعو إلى الخروج إلى ميدانه ، حيث يختلفان معاً إلى دور الخيالة » « السينما » — على حد تعبير الأستاذ المصري

وإن التدريس العامة ، وكثيراً ما تتوافر الهدايا على الطالبات من الأبناء عمين ، وكثيراً ما تتقدم وتبادر ، الفتيان الراغبين المتقيدين ، ويقول أيضاً : « أما في المعاهد الثانوية High Schools فيمكن أن تصبح التسمية قليلاً جداً كما أن الخطورة التي يأخذ بها الطالب مع زميلته الطالبة بسبب أمضى درجات البعد من حل مسألة جبرية أو إعطاء رأي في قصيدة أو إنشاء نظر في مذهب من المذاهب الأدبية أو الفلسفية أو غيرها ... » وقد لا تستقرب من الفتاة ، في هذه الحالة ، تغيب المتواصل عن المعهد أسبوعاً أو أسبوعين بسبب هذه النوازع العاطفية ، وتعلل هذه الأحاسيس المريضة

على أن المربي الكبير العالم Stanly Hall على التعليم المختلط ، في مرحلة التعليم الثانوي ، حملة عنيفة ، مستنداً في ذلك على اختباراته الخاصة التي قام بها طوال أعوام عديدة ، إذ أنه يرى الفتى يفقد شيئاً من رجولته ، والفتاة شيئاً من أنوثتها ، وكذلك يرى أن الخصائص الفردية والمزايا الشخصية ، لكل من الجنسين ، تتحدران إلى هاوية سحيقة قد لا يسلم من خطرها الفتى أو الفتاة ، وقد ينتج من هذا الخطر تلمس في الزواج في المستقبل القريب

أو البعيد ، ولا أدل على ذلك من أن معهداً كان يضم بين جدرانه ٢٦٠ فتاة تأمل منهن أربع وسبعون منهن اثنتا عشرة فتاة زوجين وهن لا يزلن في المدرسة

لذلك نجد أن Hall و Henning حملا على التعليم المختلط في هذه المرحلة حملة فيها كثير من العنف والقسوة على الرغم من اعتراف الأول ببعض حسناته ، وتقص السيدة Hosch Ernest بعض التجارب التي قامت بها مع زميلها ، وهي جد معتقدة بأن تأثير التعليم المختلط هو أسوأ أثراً على الفتيان منه على الفتيات ، ولولا ذلك لما شعرت بأن هؤلاء أولئك يفقدون شيئاً من رجولتهم ، ودلت على صحة ما ذهبت إليه بما قامت به من الاختبارات في هذه مدارس مختلفة الأنواع ، حيث وجهت إلى الطلاب أن يعرفوا لها « الحب » ؟ فكانت أجوبة الطلاب الذين لم يختلطوا في يوم من الأيام تتناول حب الأبوين وحب الأخوة والحب الإنساني ونحوه ... أما أجوبة طلاب المدارس المختلطة فكانت تحصر الحب في الحب الوجداني والحب العاطفي وغيره

والواقع الأليم أن الفتاة لا تستطيع أن تحتفظ بأنوثتها في اختلافها إلى المعاهد المختلطة ، بل لا بد لها من أن تفقد شيئاً منها كما يرى ذلك العالم الكبير Hall بل إنه لا يذهب إلى أبعد من هذا حين يقول أن الفتاة قد تفقد شيئاً من خصائصها وتفقد قليلاً من مزاياها ، وقد يذهب بعض من عواطفها وبعض كثير من شيمها ... عوامل قد يكون لها أسوأ الأثر على حياتها الحاضرة فحسب بل وعلى مستقبلها أيضاً . فالفتاة التي تعامل في أخوة نفسها ، وهي على مقعد الدراسة تفقدها التعرف على الفتى من الناحية الفنية والناحية التي تعرف عليه وهي على غير مقعد الدراسة ، أو بعبارة ثانية أنها تتعرف إلى الفتى عن طريق الزمالة لا عن طريق الحب الذي يفتقد بينهما وبجوارها لم تفتقر بذلك إلى الرجل المثالي Homme Ideal الذي تنشده وترجوه

وهي إلى ذلك تتأثر إلى أبعد حدود التأثر بمعاشرتها الفتى ، فتخسر طبيعتها ، وتبدل صفتها ، وتكون عواطفها ويتحول طراز معيشتها إلى حد تلزم فيه تقليد الفتى تقليداً قد يكون تاماً أو لا يكون ، في ملابسه أو في حديثه أو في حركاته أو في باسمه أو غير ذلك ، وهكذا ربما تلمس بوادر الرجولة التي كثيراً ما يجعل الرجل ينصرف عنها ويعرض عن خطبة الزوجية إذا ما فكر في الزواج ، ولذلك يثور الرجل على هذا التطور في أخلاق الفتاة ، وعلى هذا التحول في شخصيتها بعد أن يكون قد فقد رونقها حيث كان عليها ؟

ونصيب الفتى من هذا التطور في الميول والعادات لا يقل أثراً من نصيب الفتاة منه ، بل ربما كان أبعد مدى فيه منها ، فإذا هو مائع الرجولة ، أنثوي الأخلاق ، متغير الخصائص ، فاقد المزايا . .

فالتقارب إذاً بين الفتى والفتاة يحور بعض ميوله الطبيعية ويصحب بعض خصائصه الجنسية ، وإن كانت بعض هذه الخصائص ترتفع وتسمو ، وبعض هذه المزايا يميل ويضعف

على أن بعضاً من العلماء يذهبون إلى أن التعليم المختلط هو من أحسن الأنظمة التعليمية الحديثة ، وأرقاها ابتكرتها عقول جبارة ... فيعترفون بأفضليته ويقرون بحسناته ويركنون إلى تأييده على أن يقتصر هذا التعليم على الابتدائي والعالي ، أما التعليم الثانوي ، فأشد ما يكون خطراً على أخلاق الناشئة وآدابهم ، غير أن البعض الآخر يقول بالتعليم المختلط في أدواره الثلاثة الابتدائية والثانوية والعالية

( البقية في العدد القادم ) رفعة النبيل

# فن يستيقظ

للأديب نوري الراوي

فهم العربي حال الشكوى بكل حواسه فأطلقه شعراً يهمس باختلاج حسه النفسي ، ثم أنفذه فناً في صحبي الليالي الأندلسية البيضاء ... ولو فتشت في هذه النفس التركي ، فكانت نفثته اليوم من حشرجة الماضي ويقظة الحاضر صنيعاً في مس جديد ؛ ونسمة من نسمات الفتوة تنطلق اليوم بعد فترة جمود كادت تقضي على خصائصه الأصيلة فتحيله إلى العدم أو النسيان ، ولكن الله الذي حفظ الروح العربية الإسلامية عصوراً طوالاً أراد أن يوقظها في عصر أبنائه اليوم فكان ما أراد الله.

وشهدت العصور الحديثة أشكال الفاوي في ثورة تشعل الروح وانفعاله ، يدعمها الإيمان ويمدها ... وتطلقها حرية ، فأدركت أن وراء هذه الأحاسيس للقصور ... يجب أن يكون لهيباً من جهنم ، وشواظاً من بركان.

ولكن الزمن الذي اتسع لأبعاد الفن العربي في مختلف عصوره ، فرحب برحلته المتعددة ، فطوى بين أثنائه أدواراً كانت تحيي في الخلق ، يلبس ثوب هذا اليوم الحديث في صورة من التاريخ . إن وراء هذا الفن كان بالأمس ، ... من الفن أدوار رحلة ، وروحاً من الفن ... ، يخط طريقه في مجاهل الظلام وكهوفه ، حتى وجد القلب ... ورجاحته كما نبت الزرع في الرمال وأينعت في ثنايا غباره.

وبين عصرين من عصور التاريخ ، تقلبت فيه الأحداث ، وتعصفت به الخطوب ، وتناوب على مسعاها الأيام ، من الفن ... بخطوب جسام كانت تعرضه على الهلاك ... ولكنها الروح التي أرسلته في صحاري الحجاز وأطلقته في بلاد ... للمفقود ... على ... والفراتين ... أسلم ... الخلود أزماناً ...

لقد كان الفن العربي يرسل الأمة يجني من الهلاك يسموها من ... إلى أجواء أنعم وأوسع حتى إذا مارست أسرارها من الأرض ... حتى إذا ما استنفت من أسرارها ، ... النفسية ؟ ... بالرحمة وطربت بالأنغام ... وكان هذا ...

حين تشكو الأمة من الشكاة يكن هذا الفن ... التعبير عطاء من مطالب حياة الروحية التي تعيش ... لا الحياة التي تعيش تقوم ... لتدوك التاريخ ... ؟ كيف.

وسكنه الفكر العربي الجبار يبرهن على وجوده ، ويبرهن على ... يوم ... أن الحياة ... غير ما هذه ... الأولى في الخانات والكهوف ... ليكون أعجازاً في تلقين الكل الذي تشكل من ... فلا يقع لسانه إلا على الأكل والنوم ، والباس.

هنا يقف الفكر حديث ... تنتهي به سياحته ، الفكر الحديث الذي يعبد الآلة ويعبد المادة ويستحب الوقوف أمام السم الناقع ؟ يجد أن العربي سبقه في الحياة وسبقه في الفكر وسبقه في ...

وهناك واحد من ... أشتات تقف منه على حياة أجيال ماتت ... فتكون ... جثثها على الأرض ... على هذا الذي ... الخلود أزماناً.

في هذا المدى الوسيع الذي يشمل الصين في أقصى الشرق ويقف عند أرباع بحر الظلمات ؛ ... العربي يدور ... الأولى ، ... المسجد الأموي في الشام يطاول بمآذنه السماء ، وكان للمسجد الأقصى ... بالحس الخلاب ، وكانت معجزات الأندلس ومعالم بغداد شاهدة على تلك الخلود ... هو الفن العربي ، يشعر رحلة بحصون الله ، ... تقول ... وروعة كله « الله أكبر »

يخرج فنا روحيا لم تسبقه إليه جهالات الأوربيين ...

هناك في الصحراء ، ... الصحراء التي يضيع البصر في مهامه مداها الوسيع ، ويسبح الفكر على ... جنبها السمراء ، لم يزل يطير ويرسب حتى يبلغ ... ينقطع عندها ... الأمس الزاهر من ... العلم والفن ، فكانت أولى ... من ... ترف على ... الحجاز وتتمشى فوق بطاح الجزيرة ، ثم لا تقف عند هذه حتى تفيض على العالم القديم

بأسره فقتله . هنا يبدأ به السجين في سياحة صحية طويلة ، تريد جهداً آخر بأ واستطهاراً ؟

لقد جاء الإسلام ودون الشعر [illegible] موجات روحية ، فأثار الأول وأحيى كتابة حتى حياته لأن عقل الداخل الحديث وسموه بها . فيقودها إلى غاية أبعد منها وأسمى ألا وهي الفتوح ونشر الرسالة . ولقد كان الفتح أول الأسباب غير المباشرة إلى مزج الشرق العربي لاختلاط أمدوه مدنية والشعر بالظل وتكون بنوب جديد له منه السيحيين وطابع الخوارج ، وكذلك أجرى الفتح ذلك ولذلك وجهة الفن إلى الكمال ، حيث أثر هذا الاختلاط فكانت عن ذلك العصور الزاهرة التي قال عنها بعض الأوربيين إنها وليدة الحضارتين اليونانية والرومانية وما هي إلا عربية أصيلة الدم ، قد صنعه الشمس ونور الرمال التي لا تهدأ ولا تتوب

هنا يدخل الفن روحية في عهد هذه الأسباب التي أصبحت على الفن لوناً من ألوان الخيال المركب والتأثير العميق الذي الذي لم يتق بصاحبه إلى الله معرفة ، وغار في الأعماق ليقع على أسرار الكون وحقيقة الوجود ، ثم تخلص الخلود من المادة وطاوعته فإذا هي وراءه تبهر العقول ، وإذا هي قباب تتردى في اللازورد ، وإذا هي صوامع تبقى على الدهر باسم الله

أما النفسية الطليقة ... النفسية التي تجددتها عوامل البيئة الصحراوية القديمة ، فرحت على أوجها صفاء السماء وكدرتها ، وسطت على صفحتها صور الطبيعة وعرتها ، فقد تفتقت بلحن حسان وابن أبي ربيعة ، والمتنبي ، والبحتري ، وأبي تمام فرجعت صدى هذه الأعقاب المشرقة ...

ما كان العربي الأول أن يبرع في فن التصوير ليعبر به عن خواطره وآماله وحنينه ، ولكنه تكلم فصدق ، وقال فكانت أقواله لوحات ترسم ألوان مشاعره منطلقة ، حرة ، طليقة ! وهذه وسيلة واحدة يتوسل بها ربيب الصحراء التعبير عن خواطره ونزعاته .. ينقل كل ما يجيش به وجدانه من العواطف إلى أنغام تنطلق من الوضع الجميل وتستعذب هذه النغمة المطردة الحب الزمن من حين إلى حين

على أن هذا الفن العربي الذي تتصل جذوره بأعماق الخيال البدوي كان أسبق وجوداً من بقية الفنون الأخرى

وفي هذا السبيل العهد لمبارك الفنون الإسلامية التي كانت تتوي في ذكي من أركان الشعر البدوي — كانت الحركات التي تحمل معاني الفروسية والاندفاع

لقد كان للطبيعة العربية الثانية الكبيرة على الأحداث والمواليد ، وما الشعر إلا صورة من تلك الصور الفنية التي عرفها العرب باسم « الآداب الرفيعة » ، وذلك حين ذكر الشعر في ظل المدينة وامتزج منه بنفسه ليكون هذا الفن الذي نشاهده في قصور الحمراء وبرج الذهب وجنة العريف . ليكون هذه الموسيقى الساحرة وصداها شاعت « بلنسيا » ، على أنغام اللاعبين من أمة العرب . وهي تنقل الروح العربية الصافية بتأثيرها وسموها وجمالها

• • •

ومشى الزمن يوسع الخطى ، فإذا بعد ذلك العصر آخر ملوك الأندلس يقف على ربوة عالية ، يستشرف مملكته للمرة الأخيرة من خلال الدمع الرقراق يجمع — وإذا ذلك الخلود بجنانه وقصوره ، وأبراجه ومدارسه ، ومعاريه وجوامعه ، يتحول شيئاً فشيئاً إلى حلم يطوي كلمح السراب ... ويهيم الشراع في الفضاء !

ألا انقضى آخر أمل العرب في الفردوس . ثم تبقى تلك الجلائل شاخصة إلى السماء كأنها هي تستغيث بالله — حتى يدركها الأب شهوي صريعة الزمن المسرف وكأنما يصابي ركامها . ولكن تماثيل فرانكو ... ولا يهمها أن تكون صفحة سوداء في وجه التاريخ

• • •

إن الأثر القومي في العراق نموذج من بوادر اليقظة في الأمة العربية يجب أن يكون له نصيب من الروح كما يجب أن يكون له نصيبه من اللغة

وهذا هو اليوم على وشك الدخول في حياة جديدة مغايرة لتلك الحياة التي عرفت بين جهل الرعية وظلم السلطان واستبداد الحكم . وآن لنا أن نستيقظ ونشيط بأحد مكانه كشعب حقير من أسباب الحضارة الكاملة ، وعامل من عوامل النهضة العربية —

# الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوي

### أزمة الصبر

وأخيراً أزاح موسوليني الستار عن موقف إيطاليا، وأعلن أنه اشترك في الحرب، دون أن يذكر سبباً معقولاً يبرر به إعلانه الحرب على أعدائه، يسجل عليه التاريخ صلفه. فقد كانت شكواه من الحصر البحري الذي حد من النشاط الإيطالي.

ويعرف العالم أجمع إلى أي مدى حاول الحلفاء أن يحققوا رغباته، حتى أصبح موقفه وهو خارج الحرب أشد خطورة على الديمقراطية منه وهو داخلها، إذ كانت مساعداته للدولة الألمانية النازية تتجاوز حد المعقول.

وبالرغم من أن الحلفاء حرصوا على صداقته، وأن المفاوضات سارت شوطاً بعيداً لإزالة عقبة الحصر البحري، فإن الأطماع الدكتاتورية ثارت دفعة واحدة، فإذا المفاوضات توقف فجأة دون سبب معقول.

أما الأسباب الحقيقية لدخول إيطاليا الحرب فيسهل تلمسها في رد الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا على سفير فرنسا، إذ قال ما معناه إن إيطاليا تدخل الحرب تنفيذاً لاتفاق سري [illegible] وهتلر. إذن لم يكن الحصر البحري سبب شكوى إيطاليا، ولم يكن الضغط الاقتصادي سبب عدوانها على أصدقائها وخروجها على أسس الديمقراطية، بل الأطماع الشخصية الدكتاتورية هي التي جعلت هذين الفردين يلقيان بالعالم في أتون الحرب.

### إيطاليا لم تتغير

وإيطاليا سنة ١٩٤٠ هي إيطاليا سنة ١٩١٤ لم تتغير أخلاق أهلها أو طرق سياستهم بتغير نظم الحكم، ولم يتغير حكمهم على الحوادث بتقدمهم في مرافق المدنية، فلم يتحكم في حالتهم إلا الطمع والرغبة في الاستعمار. ففي سنة ١٩١٤ كانت إيطاليا حليفة لألمانيا والنمسا، وفي سنة ١٩٤٠ تربطها صداقة ألمانية في أحضان النمسا. وفي سنة ١٩١٤ دخلت إيطاليا الحرب بعد تردد طال عشرة أشهر حصلت في أثنائها على معاهدة لندن [illegible] من أجل حليفتيها السابقتين وأعلنت عليهما الحرب. وفي سنة ١٩٤٠ تكرر إيطاليا نفس الموقف ولكن بصورة أخرى، فتدخل الحرب بعد تردد استمر تسعة أشهر، وتدخلها في ظروف حربية لا تحقق للعالم سلاماً، ولا تضمن للناس حياة هنيئة، بل تزيد في دمار العالم [illegible] لتحقق الخسة في دولة طالما مدت لها يد البر، وكانت سبباً في جمع شملها وتحقيق وحدتها واستقلالها.

وقد قلنا في مقال سابق إن إيطاليا لن تدخل الحرب إلا مكرهة، لضعفها العسكري والاقتصادي. وها نحن نعرض أمام القارئ مقارنة بين قواتها وقوات الحلفاء في البحر الأبيض الذي يحتم أن يكون ميدان القتال فيه على القوات البحرية والجوية. أما القوات البرية فليس لها مجال للعمل إلا من جهة فرنسا وليبيا. وفي كلا الميدانين [illegible] إيطاليا البرية ستصادف عقبات كبيرة تحول دون تحقيق أغراضها.

### عالم حربي

فجبال الألب في فرنسا سد منيع يصعب اختراقه ويسهل الدفاع عنه. وتقع ليبيا بين مصر من الشرق وتونس من الغرب، وليس بها قوات إيطالية كبيرة، ولذا يسهل الاستيلاء عليها إذا هوجمت من الناحيتين. ولا ننسى أن عرب ليبيا يحفظون لإيطاليا ذكريات أليمة عندما أخذت منهم [illegible] بلادها

---

ولكن في الشباب من يفكر غداً ولا يرضاه، وفي الشيب من يطمئن به ويغتر به. وفي الشباب [illegible] للمفاجآت، فلا يعرف منهم اليوم إلا وعدها غير التي كانت بالأمس.

ولكننا رغم وجود هذه النفوس الثائرة، نعلم ما تضمه [illegible] وأشده التصحيب.

إن كان الكلام وسيلة من وسائل الجهاد الأعزل فلا يرجى إلا مقروناً بالعمل والدأب. وإن وجد فينا من بعثت روحه [illegible] فلا نرجو منهم المروءة. ولنا من الحق أن نوجه الخطاب إلى الشباب فنقول:

أيها الشباب العامل: ما جمال الجسم إن لم يزدن بجمال الروح؟ وما نفع هذه النفوس الهائمة في الخيالات إن لم تكن قادرة على ولاء الأجانب؟

أيها الشيب العامل: ربوا نفوسكم على [illegible] جمال [illegible]

(بغداد - الرصافة) نوري الراوي

وقد في ذلك فصول منكرة من أعمال الوحشية والهمجية، وما زالت هذه القبائل ضد المغيرين حتى ساعة الاختتام. وهناك فضلاً عن ذلك صلة الرحم بين سكان ليبيا ومصر وصلة الدين وصلة اللغة، وهي صلات يفرض العرب عليها مهما كلفته من تضحيات. ثم إن مصر [illegible] للتأرشد حتى تصحو هذه العوامل، فيتفجر السخط بمواطن الذين [illegible]، وهي [illegible] بصلات الدم [illegible] من إعصار [illegible]، فلا تلبث ليبيا أن تخرج من الإمبراطورية الإيطالية لتنضم إلى العالم الإسلامي

هذا في ميدان البحر الأبيض، أما في ميدان شرق أفريقيا فلإيطاليا هناك ثلاث مستعمرات هي الأريتريا والحبشة والصومال الإيطالي، وتحيط بها الممتلكات البريطانية من جميع الجهات، تلك الممتلكات التي أسفر عنها نظام الحكم وبادئ الولاء للإمبراطورية البريطانية، بعكس الحال في الحبشة مثلاً، فمنذ أربعة أعوام، وما زال أهلها يقاتلون الإيطاليين في أكثر من جهة واحدة، ويشنون الحرب على غاصبيها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً. وها هو إمبراطور الحبشة يظهر في الميدان يستغل الفرصة السانحة ويساعده الحلفاء، ولا شك بالنصر الحربي الكبير بخلاص بلاده من نير الحكم الإيطالي.

الإمبراطورية البريطانية

ورغم اتساع رقعة الممتلكات الإيطالية وعدد سكانها فإنها، وهي على مساحة كبيرة من القفار [illegible] الأول مساحة

كل مستعمرة وعدد سكانها ومساحتها إلى إيطاليا نفسها:

| اسم البلد | المساحة قبل الحرب | عدد السكان |
|---|---|---|
| إيطاليا | ١١٩,٣٤٤ | [illegible] |
| ألبانيا | ١١,٠٠٦ | [illegible] |
| ليبيا | [illegible] | [illegible] |
| أريتريا | [illegible] | [illegible] |
| الحبشة | [illegible] | [illegible] |
| الصومال | ١٣٩,٤٣ | [illegible] |
| المجموع | ٢٤٥,٣٣٤ | ٥٥,٣٦٩ |

هذه هي الإمبراطورية الإيطالية التي لا تلبث الحرب أن تقصيها عن إيطاليا، ولا سيما أن أسطول الحلفاء مرابط عند قناة

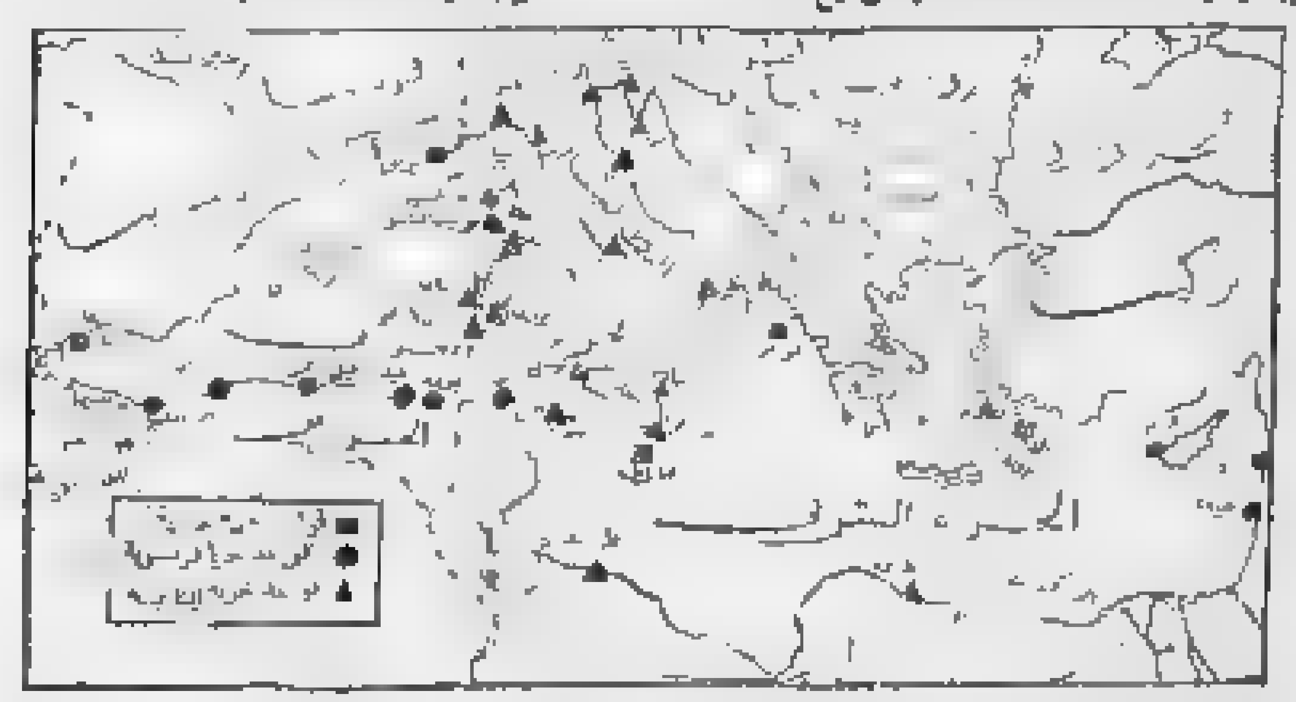

السويس ليمنع وصول القوات الإيطالية إلى [illegible] الإيطالية، وهذه العزلة ستؤدي بلا شك إلى خروج تلك البلاد [illegible] بعد أن تقضي القوات الإيطالية المرابطة هناك أو تقع في الأسر.

ولم تكن هذه العوامل خافية على موسوليني ومستشاريه، ولكنها تدل دلالة واضحة على سوء نيته نحو دول البحر الأبيض، فسياسة المحور القضاء على فرنسا وإنجلترا ثم يتحول إلى الدول الصغيرة، فلا تقوى واحدة منها على مقاومة الاستعمار الإيطالي أو الألماني، وعندئذ تتحكم الهمجية في العالم أجمع، ويخضع العالم لأحكام الدكتاتوريين. ولكن هيهات أن يتحقق هذا الأمل، فقوات الحلفاء في فرنسا ما زالت تكمل عددها وعددها، ولن يطول عليها تحقيق النصر الأكيد [illegible] في البلاد

وسواء بعث بريس بجد [illegible] أم سقطت في يد الألمان ، فسيأتي اليوم الذي تنزل فيه جيوش الديمقراطية الناهضة ، فالعبرة في الحروب ليست في الاستيلاء على المواقع والمدن ، ولكن العبرة بالقضاء على الجيوش . وإذا أخذنا من التاريخ مثلاً ، فإن نابليون [illegible] ، فقد استولى على أوربا كلها تقريباً . وظلت انتصاراته سنوات طويلة تدوي في آذان العالم [illegible] وكانت المعاهدة [illegible] [illegible] وكانت خاتمة ذلك النزاع الطويل

## سواحل مكشوفة

ومن عوامل ضعف إيطاليا انكشاف سواحلها وطولها من الناحية الطبيعية التي تغري الأعداء ، فليست البلاد عريضة يتعذر على الطائرات اجتيازها ، وليست صحراء أو صحراوية يتعسر على الجيوش عبورها ، بل هي سهول سهلة ، تجد فيها القوات الزاحفة بسهولة ، فضلاً عن قربها من مواقع الحلفاء العسكرية ، فلا يبعد روما عن ميناء طرابلس أو أجاكسيو سوى ٣٠٠ ميل تقطعها الطائرات الحديثة في ٤٠ دقيقة ، وهذا عامل من عوامل يفتقر قواده [illegible]

وكسب لإيطاليا في الحرب الماضية أن تحشد [illegible] مليون جندي ، وتستطيع الآن أن تحشد ثمانية ملايين جندي بفضل النظام الفاشستي ، ولكن هذه الجيوش [illegible] كما رأينا ، كما أن الجندي الإيطالي لا يمكن أن يقاس بالجندي الألماني أو الفرنسي أو الإنجليزي ، خصوصاً أن عتاده أقل بكثير من معدات أقرانه . فإذا أمدته ألمانيا بالعتاد والذخيرة كما جاء في الحلفاء في حروب سابقة أخرى ، [illegible] موارد الحلفاء الاكتتاب ، ولا سيما أن ألمانيا [illegible] في الوقت الحالي جميع مواردها أملاً في نصر سريع

## القوات الجوية

وتقدر قوات إيطاليا الجوية بخمسة آلاف طائرة ، أنشئت على أسس حديثة وهي أقل شأناً من الطائرات الفرنسية أو الإنجليزية ، ويقدرون ٣٣ ٪ من مجموع طائراتها من الطراز [illegible] ولم تتقدم صناعة الطائرات هناك في المدة الأخيرة ، بل يقول الإخصائيون إنه تتجه بطائراتها إلى التحسين والتجديد . ومن أهم العوامل فيها [illegible] هذه المصنوعات [illegible] إنتاجها بقلة المواد المستوردة من البلاد الأخرى ، ومعظم الطيران الإيطالية موزعة في الحبشة وليبيا وألبانيا ، وأمامها [illegible] كبير من قوات الطائرات البريطانية بعدد كبير حيث يمكن ... وتمتاز عدد الحلفاء ٣٢ ألف طائرة في أوربا

## وفي البحر

ويمتاز الأسطول البحري الإيطالي بسرعة سفنه ، وهو أسطول حديث تصل سرعة بعض وحداته إلى ٤٥ عقدة في الساعة أي أكثر من ٥٠ ميلاً ، ويقابله في الجانب الآخر زيادة عدد الوحدات البحرية للحلفاء والجدول الآتي يبين وحدات الفريقين

| نوع السفن | الحلفاء | إيطاليا |
|---|---|---|
| سفن قتال كبيرة | ١٥ | |
| طرادات ثقيلة | ٦٢ | ٧ |
| حاملات طائرات | ١٤ | |
| طرادات خفيفة | ٩ | ١٤ |
| مدمرات | ١٣ | ٥٣ |
| [illegible] | ٦٤ | ٧ |
| غواصات | ٣٧ | ٧ |
| المجموع | [illegible] | ٢٩٦ |

ويعتبر قواد الحلفاء البحرية الاشتباك مع هذا الأسطول في معركة بحرية ، [illegible] الأمام في مدخل البحر الأدرياتيك حتى لا تدع له مجالاً للانتصار ، ومع ذلك يتحصن إلى قاعدة [illegible] بإغراق هذا الأسطول أو الخلاص من بعض وحداته كما حدث مع الأسطول الألماني ، ثم الحلفاء جانب كبير من النصر ، فيه سفينة حربية ، [illegible] يجري على السلاح البحري ، [illegible] والدليل على ذلك أنه أول في البحر المتوسط لقتال كبير

وقد مني الأسطول التجاري الإيطالي في اليومين الأولين للحرب بخسائر فادحة تقضي إلى ٢٠ سفينة منها بعضها بالانتحار وبعضها الآخر بالأسر . وهذا يعرف عن إيطاليا ، [illegible] أن أوضاع حرب [illegible] الفرصة لإنقاذ هذه السفن ، [illegible] ولأعجب من هذا أن بعض السفن كان في مالطة وهي [illegible] بسهولة ، ومع هذا تركها تؤسر ! ومن هذه التصرفات يبدو مدى حزم القيادة الإيطالية ، ومدى إحكام معرفتها الذي يبين أن كوارث شديدة ستحل بقواتها

فرج الله الشريف
بكالوريوس في الصحافة

# رجال ونساء

## للأستاذ علي محمود طه

[ ننشر فيما يلي جزءاً قليلاً من ملحمة الشاعر «علي محمود طه» وهو يمثل الجزء الذي تعرض فيه صورة مثالية عند مساءل من عالم الملائكة، وتدور الحوادث بعد النزول للشعر على الشاطئ الأول، وأثر الزائر في نفسه وإعجابه، وفيه أيضاً حديث مؤثر عن الفنان الإغريقي، والأشخاص التي يجري الشاعر الحوار على ألسنتها هي في حالة مشبهة وأشباه هرميس إله الوحي والشعر في الميثولوجيا، وبجيس الشاعرة الإغريقية التي وصفت الكاتب الفرنسي «بيير لويس» على صورة الشاعرة اليونانية سافو؛ أما تاييس وسالومي فأمرهما معروف في القصص والتاريخ ]

---

( الملاك وقد طار في طريقه إلى حيث المخلوقات بعد أن ودع روح الشعر على أفق الأرض )

الملاك

سلامٌ للإلهِ روحَ الجمال

المزدوج :

سلامٌ هرميس روحَ الإلهْ

الملاك :

أرى وَمضةً تسري في موكبٍ وأسمعُ صوتاً كأنَّ أزيزهْ

بلاحقني في رحاب السماءِ وروحٌ في يسمو جسده

« لقد فارق الشعرُ عرشَ الوجودِ وشاع الحنين ورود الشعر ! »

المزدوج

أجلْ إنها الفتنةُ المجتبي صدمتكَ فخير عذابُ الصدورْ

لقد مرَّ كالطيرِ من قربنا فتى كل ركبه وطيرٍ حطابْ

رآنا فأعرض عنا ولمْ يجبْ النداءَ ولم يستجب

شاعرٌ عبقرياً أمره وأمسى له عرشُ الفضاءْ !

هرميس

ظلمتَ هذا الغلام الجريء وقد غصَّ من ظلمه مقتنعْ

أمل يقلب كفرخ القطا يروغ عنه حصاد القدرْ

وتجلى بحسبه وحيا به عسى آثر حاجة للنظرْ .

المزدوج

وكيف يكفّ قلبُ الفتى وما هو إلا سليلُ البشرْ !

هرميس

هو ابنُ الإله ولكنّهُ من النفس تركيبه والدمْ

صنائع الطبيعة من صنعتها فيها حماستهُ والوسائمْ

يبيعُ إلى حيث لا ينتهي ويسمو إلى قمةٍ لا تُرامْ

ويسمو بكأسِ الهوى مترعةٍ بالهوى والآلامْ

• • •

تهيأت حتى ما يستقرُّ على غضبٍ منها أو رضاهْ

تحدّى الحياةَ وآلامها بيأس الجبابرة الأعيادْ

يريد عتباً على نارها ودمعٌ حميمٌ بين صفاهْ

ويشقى من حسرةِ قلبه وإنْ طرقته تروع الشفاهْ

• • •

هو القلبُ عشقاً بامتنانٍ هو العقلُ متّقداً بالذكاءْ

حبّة الآلهة روحاً ترى ويطلقُ حياً فوق السماءْ

يحسُّ الجمالَ إذا ما جرى ويلمس ما في حبيب العطاءْ

ويحذرُ النجمَ في نفسه ويوشحه قبرة من ضياءْ

• • •

أرى الإله أطيبهـا ترويه من كل فنٍّ بديعْ

حسنٌ دلالهُ هذا الجلالِ وحبتهُ على كرهِ أن يضيعْ

إذا أنت بُلْغتهُ فاقرأه … فأحبوا حبيبه ما يستطيع
فإن شئت في الأرض فاقصد به … فشع عبيراً كعبير الربيع

الصداح المجروح

هنالك حيث نشأ حياة … وحيث الوجود جنون النغم
وحيث الطبيعة جبـــارة … تثور الوعد وهي تبتسم
وحيث السعادة بين الخيال … ولذاتها عن معاني الألم
وحيث الطير يدالي مستطابا كروم … وعشا صب فيه من بينهم

• • •

زنه ، والطبيعة في حبها … وحواء عاريه كالصنم
فتى أبي صغير وأبى حرق … تقدمه نعيـــمة من أمم

• • •

هنالك ولي قلب عمـــــق … وأول صوت شدا بالنغم
وأول شدو صـــدرت … وحطت على اللوح ابل العم

• • •

فذلك عوده أعويشـــــه … وأحسبه غشرات السدم
لقد كان راعيك الحق … فأصبح راعيك التهم
ولولاه ما درجت عيدانه … ولا سال يارعة كاسم
ومثت كما كان آلهه … تشق السموم وترقي القم!

الصداح الأخرس

لأجلك يشدو بلحن العيون … وتخرج بالنظرة العابرة
ترد إلى الأرض لو لم تصخ … أو ارتد بالقـــلة الحاسرة
وكم من فتى حزنها حسبه … وحس على زهب اللظه
فهاجه ، فنادت ، فلم يستمع … هلت به لمسة القاهرة !

• • •

لقد عيرتني على ما رضي … من الأنثى الطهر مجنوننان
من عهد حركات الزمان … مقرونة بحرف اللسان
ولي قلبه أبيت برنة … به الأثر خطفة المتون
وفي كل حاطر منه … يشق سناه حمة الزمان

• • •

إذا ما طرب وثبت بطريف … حسن غنا وحركت اللسان
وإن سكبت زهرة دمعة … في قلبه الحدوث دمستان
ومن تعب سنداة الربيع … ولقد يخطي الطير شوق الأوان
كقيثارة الريح ما خلفه … سوى الريح في جوف أوعتان

• • •

عوام حنانه همس … ورب بأعولى مصطرب
حرث الأعماة ألوانه … مترعة بالمنى مسكبه
مع الصباح ، ومع المساء … وبينهما الشمس مغتربه
تعرف به صفحات الطروب … ومن بها مه مكتئب !

علي محمود طه

(١) القيثارة كان الإغريق القدماء يطربون على قيثير فصنع أوتارها ترود الرياح لم صبوب النسيم عليها ، وكأن أغانيه صوت الطبيعة الناطقة بأسرارها

تأملات

# في الأنتراكت

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

يقضي الأستاذ عزيز فهمي في هذه الأيام فترة من حياته تشبه فترة «الأنتراكت» في عمله. وهو لا يقضيها متكاسلاً [illegible] وإنما هو يقضي نفسه في الإقبال على صاحبه حيوان، والتأمل في شعوره وأسلوبه، وتعبيره عن هذا الشعور وطريقته فيه، وما قد يصحب هذا من تفكير يسير أو كبير.

وهذا الحيوان الذي يسامره الأستاذ عزيز ويدرسه في هذه الأيام كلب اسمه «بوي» وهو يربيه منذ سنوات ويحبه ويحبه لأوفى حب كله.

والوقت الذي يقضيه هذان الصديقان المخلوقان معاً لا يختلف في شيء عن الوقت الذي يقضيه كل صديقين مخلوقين فهما يجلسان معاً يتسامران، وهما يخرجان معاً يتريضان، وهما يتشاغبان ويتصارعان ويتلاكمان، وهما أيضاً يتسابقان ويتضاحكان، ويتعاتبان ويتقاتلان ويتصارمان. أما (بوي) فهو مع صاحبه مخلص صادق في الإخلاص والصدق، وأما صاحبه فلا يقل عنه إخلاصاً وصدقاً وإنما هو يزيد عنه انتباهاً إلى ما بينهما من الإخلاص والصدق، وإلى ما فاجأه من عطاء الحياة والأحياء.

يجلس الأستاذ عزيز مع صاحبه يحدثه عن آلامه [illegible] وعن آماله [illegible]، والكلب قاعد ينظر إليه مصغياً منتبهاً فإذا رأى صاحبه طرب طرب معه، وإذا رآه أسف أسف معه، حتى يقول الأستاذ عزيز فهمي فيستأنس (بوي) في أن يتصرف، أو يعبر (بوي) [illegible] (بوي) إلى أن يطيع وأن يلبي [illegible] فيه كل معاني الحياة ودلالاتها، وليس ينقصه إلا أن يعرف الغريب المدهش كي يساوي الإنسان في [illegible]

خرج يوماً مع صاحبه إلى رياضة في الخلاء على مقربة من طريق القطار، ولم يكن قبل ذلك قد رأى قطاراً؟ ويروي الأستاذ عزيز هذه القصة فيقول: «سمع (بوي) صوت القطار وهو مقبل من بعيد يصفر ويرعد فبدا عليه الذعر وصاح في يدعوني كأنما يستنجدني في غفلة منه، وكأنما حسبه وحشاً ضارياً جباراً يعدو إلينا ليفتك بنا، وكأنما هالته قوة ذلك الوحش كما هاله صخبه وجنته، وكأنما كان بصراخه يريد أن يقول لي: قد حذرتك [illegible] هذه العزلة، وأشفق منك [illegible] قلب يغادر [illegible] عن نفسه، حتى ولا [illegible] عنك ربما [illegible]... لقد كان (بوي) يقول لي هذا كله في صراخه فقلت له: لا تخف يا (بوي) هذا قطار. ورآني (بوي) مطمئناً فاطمأن إذ أدرك أنه لا يمكن أن ألاقي هذا الاطمئنان كله لو كان هذا القطار المقبل وحشاً ضارياً مفترساً. ولكن القطار اقترب [illegible] فتوسط (بوي) ما بيني وبين القطار وهاج وجن نباحاً، فاضطررت إلى أن أقف وأن أتجه إلى [illegible] القطار، [illegible] ونظرت في عينيه أؤكد له الأمن والسلامة، فإذا بعينيه ترسلان إلى نظرة [illegible] وإن كنت [illegible] خائفاً فإنما خوفي عليك أكثر من خوفي على نفسي» ... ويسترسل الأستاذ عزيز في وصف نظرات (بوي) بما لم يصف به [illegible] عقل ولا [illegible]

ويروي الأستاذ عن صاحبه قصة أخرى فيقول: «كان لنا جار وكان له [illegible] كلبة، وكان بين بوي وبين هذه الكلبة [illegible] وغرام لم يرض عنهما الجار، فكان يطرد (بوي) كلما رآه يحوم حول معشوقته، حتى كان يوم ضرب فيه الرجل (بوي) بعصاه ضربة قاسية آلمته ولم يستطع معها إلا أن يفر هارباً، وليس من عادة (بوي) أن يهرب ولا أن يفر. ومضى الرجل إلى حاله في ذلك اليوم. ولكن بوي كان يعرف مواعيد [illegible]

وصروحه، فبدأ ينظر، ويحسب انتظاره ليمسها، وما صهرته مهتاء، ولكن الرجل كان يبقى دائماً فهبت (روى) منعها، تلوح له بيده، والصدف قوة كنداء إنسانية تحتاطها كل كلب ويسحر حوله وشكا إلى الجار (روى)، وقال لي: صحيح إن الصب تنهى عنه ولكن قد تعمل يوماً ما فلا أسلم منه، فأرجوك أن تنبه إليه وأن تمسه عني، فقلت لجاري: أيها الفتى وقتت عملك هذا الوقت، فقد كان عليك أن تعرف أن هذا الكلب كرامة، وأنه يعلم علم اليقين أن الذي يكلف به هو وظيفته في حياته، فإذا كنت لنا وله وذلك أنه عاجز عن حماية نفسه فقد تخلى عنه وهو يكره هذا، لأنه يعتبرنا معتدين عليه كما رأيتني أنا عنه ... فيجب إذن أن تحمي منه نفسك، لأني لو نهرته منك بعد الذي كان منك أغراه ذلك بطول الدس والصيم، وكنت أنا أعرفه ودافعه إلى هذا ... فقال لي الرجل: إن هذا لا يمنعك من أن تحول بين كلبك وبيني ... وكنت من يومها أنتظر خروج الجار ومروره مع كلبي لأشغل الكلب عنه ولأمسه من التحرش به أو الهجوم عليه، وكنت أرى في الكلب تحفزاً على مولى هذا وحدتنا لو كانت يحلف لعيره له ... فهم جواره بيني وبين هذا الناس، وقد رأيت أنه صرعني ولو رأيت أنا أحسناً ضربك لما حدث بينك وبينه، وإنما كنت عليه مثلاً ...

ثم خطر لي أن أصلح ما بينهما، فانتظرت صعود الرجل يوماً لشعرفته ودعوت (روى) وأخذت أربت على كتف الرجل، وأربت على كتفي الكلب، وأقول لكل منهما إن الصلح خير، وأقول لكل منهما إن الصلح والعفو من شيم الكرام، وأقول لكل منهما إنه من الممكن أن يتناسيا الماضي وأن يستأنفا الصداقة من جديد، ثم أشرت إلى الرجل هذا يمسح الكلب ظهره، فراح الكلب في أول الأمر رافضاً هذا الصلح، ولكنه لما رآني أستحسنه وأطلبه منه مسح رأسه هو أيضاً في ساق الرجل ثم نظر إليّ يقول بنظره: لقد صفحت عنه لكي ترضى ...

وتجر هذه القصة إلى ذاكرة الأستاذ حمزة قصة أخرى فيقول: وقد قضيت أياماً حبيبة مع روى، فقد كنت أحب منها، ومن عادتنا إذا أسأنا منا أن أضربه ضرباً خفيفاً وأن يحس تعشا حزيناً، وأن يسامح كل هذا الأمر لك ... بالعجب أو قصر الظهيب، لأن كلاً منا يعلم أن هذا شأن الصغار ... غير أني في ذلك المرة وجدت في منا كلبه (روى) من الفتاة غيظاً شديداً تحتبس منه أسالت الدم من إصبعي ... وما لا يمكن أن يتصور لأني إذا انتظرته فقد لا يحسه (روى) وساً، وقد لا نجد بعد ذلك مانعاً من أن يحسن عضة أخرى من هذه العضة، ولا يكون في ذلك ضرر من الخير أن أتعب ولا أنتظر حتى يحدث ما أداه ... فأمسكت في يسراي بكرسي حطمه مرة، وفي اليمنى عصا أنهلت بها على (روى) ضرباً موجعاً مبرحاً خيل إليّ أن كل ضربة منه كانت تنزل على قلبي قبل أن تنزل على جسمه، ولكن كنت أرى أنه لا مفر من هذا الضرب هذا الوقت ... (روى) ... (روى) أيضاً ... فلم أعد أكله، ولم أعد ألعب، ولم أعد ألمسه، ولم أعد ألبي منه، ... لم يعد ينتظرني ليلاً، ولم يعد يدنو مني نهاراً، ولم يعد يلبس طابعه الذي كان يرسم له ... ودام هكذا ثلاثة أيام، كلما رآني أنظر إليه نظرة ... منه من جمود النظرات: لا تكلمني، ولا أكلمك، وأنت تعرفني وأنا أعرفك ... أنت لم تسامحني ولكني سامحتك ... وكنت أنا أنظر إليه وأقول له بعيني: أنت ... أعلم ... ومع هذا الخصام وفي عنفه وشدته، كنت أنبح (روى) وأنا أرتدي ملابسي أمام المرآة، يدنو من باب الحجرة خفياً جسمه كله ويطل إليّ بعينيه كمن يريد أن يراني خفياً خلف ساقي، ولكن يكفيه أن يراني كذلك ... وكنت أتحاشى من نظره ... ولا أبدي له الضحك إليها ... حتى كان اليوم الثالث، فالتفت أعجبه، وإذا بها التي كانت في عينيه بحوب وعلامتي، وإذا بعينيه تلمعان فرحاً منه بقوله: أنت كتبت معاماً؟ إنه ليس بي أن أبدأك بالصلح فربما كنت لا تزال غضباً أو ساخطاً ... ! فحينئذ اعتدت أنا بهذا هذا الرجاء الصامت، وابتسمت وناديته وقلت: لقد كانت عضة مؤلمة يا (روى)، وأظنك لا تذكر أن ضربتك قبلها ضربة مؤلمة ... صحيح أن (روى) لم يكن يفهم معاني هذه الكلمات جميعاً ... ولكن (روى) أدرك من صوتي ومن عيني ...

— كما يحرك ذنبه — أي حركة تشبه أنا [illegible] . وفي هذه الحالة أدرك (وي) أن أخطأ، كما أدرك أن الموقف يقتضيه الاعتذار عما بدر منه، فأطرق برأسه وبعينيه الجميلتين إلى الأرض، واقترب مني متباطئاً متذللاً مسترضياً فمسحت له ظهره [illegible] قليل حتى [illegible] ، [illegible] وعدنا صديقين حبيبين .

* * *

[illegible] الوضوح ، وربما أكثر منه تفصيلاً حدثت الأستاذ عزيز [illegible] من كلبه (وي) ، وهو كلب من ذلك النوع الضخم الذي [illegible] « وولف » والذي كان منه [illegible] « رن تن تن »

وليس (وي) ولا « رن تن تن » بفريدين في الكلاب [illegible] يحركه ما لا يحرك غيرها من أفراد جنسها ، بل ولا جنس الكلاب بفريد في الحيوان غير وحده الذي يشعر بالحياة ، والذي يعبر عن شعوره بها والذي يخصها حساً يسيراً أو حساً كبيراً ، وإنما كل الكلاب مثل (وي) و « رن تن تن » وكل الحيوانات مثل الكلاب وإن كانت تختلف في أنصبتها من الحياة . وإذا كان الناس مختلفين عن الحيوانات ، فإن لها من الشعور والعواطف [illegible] وأصنافاً ، يطربون ويغضبون معها ، ويعرفون المراسلة الخفية القائمة على المباشرة وتبادل العواطف ، وهذه المراسلة أشرف بكثير من تلك المراسلة التي يصعد إليها [illegible] مع الحيوانات

وقد يطلق الشاعر [illegible] كثيراً من [illegible] الرحمة ، وهذه الرحمة [illegible] أو أحوال في حقيقة موقف الإنسان من هذه الأحياء التي شاء الله أن تعيش معه على ظهر هذه الأرض . وإذا كان الإنسان يدعي أن له في هذه الأرض السيادة ، فيجب عليه أن يتذكر أن لهذه السيادة شروطها ، وأول شرط منها أن ينظر إلى ما سخره الله له من خلائق ، وأن يفهم طبائعها حتى يستطيع أن يركن إلى كل منها بطلب [illegible] وبما آتاه الله للحيوان من قوى

وإذا كان الإنسان يرى في بعض الحيوان بأساً وقوة يخشاها فكل حيوان يتقي الإنسان [illegible] هو أيضاً ويخشاها ويتقي منهم الأمرين ، وعندما يأمن الحيوان جانب الإنسان فإنه من غير شك يرى بذلك أماناً وصداقة ، والإنسان يستطيع في نفسه [illegible] منذ القدم ، وقد استأنس به أسوداً وفيلة وطيوراً ووحوشاً ، ولعل القدماء كانوا أحسن عشرة للحيوان منا ، نحن قد حرمنا [illegible] حتى لم نعد نراها إلا بأن نكون [illegible] الجاهلين

عزيز أحمد فهمي

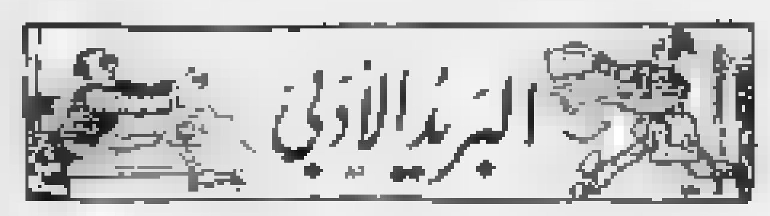


## دفاع عن الإمام الزهري

شكرت الكاتب الأديب أحمد جمعة الشرباصي الفرصة التي هيأها لي للكلام في مسألة دار حولها لغط كثير، وبعث فيّ تشككاً غير صحيح، وهي تجريح الإمام ابن شهاب الزهري أثناء محاضراتي بكلية الشريعة الإسلامية. وحقيقة الأمر هو أني كنت أبين في محاضراتي عن تاريخ علم الحديث للطلاب طريقة البحث الحديث في نقد الأحاديث، وأضرب لهم في ذلك الأمثال، وكان من هذه الأمثلة ما ذكرته لهم من نقد بعض المستشرقين، وهو جولدتسيهر للإمام الزهري وأحاديثه التي رواها في فضائل الشام وبيت المقدس، وخلاصة هذا النقد هو أن الإمام الزهري كانت له صلات وروابط بالبيت الأموي، وأن عبد الملك ابن مروان كان يمنع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى عبد الملك قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها، ثم أراد أن يجد حجة لعمله هذا، فوجد في الزهري — ومكانته الدينية معروفة — آلة لوضع أحاديث مثل الحديث المشهور: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[1] ولكن رأى هذا المستشرق لم ينته بعد ذلك، وحُمل بشدة من المستشرقين أنفسهم الذين رأوا فيه عالماً مرجعاً وحجة. وإليك ما يقوله المستشرق فيسنك في ذلك: «وقد رمى بعضهم — يعني جولدتسيهر — بوضع حديث «لا تشد الرحال» وهو حديث مذكور في جميع كتب السنة المعتبرة، وهناك شك يجعل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى الكعبة، ويكفي بعض الخليفة عبد الملك في حربه ضد ابن الزبير القائم حينئذ بالبلاد المقدسة». ولكن هذا الاتهام لكل هذا البحث الكبير تنقضه الأدلة التاريخية، فإن خروج ابن الزبير كان في سنة ٦٤ — ٧٣ هـ، والزهري الذي ولد سنة ٥١ هـ أو بعدها كان في هذا الوقت شاباً لا أهمية له، ولم يكن قد لمع بعد صيته في الحديث، ومثل هذا الوضع لا يمكن أصلاً أن يكون لأن الإمام الزهري من الرجال الثقات. وكان سعيد بن المسيب الذي روى عنه هذا الحديث لا يزال حياً فإنه توفي سنة ٩٤ هـ، وبالطبع كان لا يمكن أن يحتمل أن يستعمل اسمه استعمالاً سيئاً، خصوصاً إذا عرفنا أن الزهري ليس هو وحده الذي روى هذا الحديث عن سعيد». هذا هو كلام فيسنك (راجع مجلة المستشرقين الألمانية عدد ٩٣ ص ٣٣)[2]

فهل رأى بعد هذا أشك مرة في سنة الإمام الزهري بعد أن شهد له الأصدقاء والأعداء، وتضافرت على إثباته الأبحاث القديمة والأبحاث الحديثة؟ أم ترى أن ما قلت هو حق ثم حرف عرضاً أمراً إلى الله منه؟ «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة»

وهنا لا أجد بداً من الإشارة مرة ثانية إلى أن أبحاث المستشرقين تمس ثقة كبيرة بالأحاديث النبوية بعد أن عرضتها على مقاييس البحث، بل إنها صارت شوطاً كبيراً في الثقة بأحاديث ثبت صحتها عند الجرح والتعديل المتقدمين، وهي مسألة سأتناولها ببحث خاص في فرصة أخرى إن شاء الله

علي حسن عبد القادر

## استئصال داء الزهري

لم يزل العالم مهتماً كل الاهتمام وقد وفق فيه رجال الطب إلى إنقاذ البشرية من عدد كبير من الأمراض المستعصية. فقد اكتشفت طريقة جديدة لاستئصال داء الزهري، وهو الذي حير الأطباء قروناً طوالاً، وكان مما جرح من أكبر بلايا الجنس البشري وذلك بمركب الدكتور ارليخ الكيماوي المشهور الذي أعلن أمر اكتشافه منذ ثلاثين سنة مضت، وعالج الأطباء مرضاهم به فلم يكن الشفاء يتم إلا بعد عام أو عامين.

أما الذين وفقوا إلى اختراع طريقة جديدة للمعالجة بعد المركب

(1) Goldziher Muhammedanische Studien, 2, 35-39

(2) Z. D. M. G., Bd. 93, S. 33

ولقد تمكن الأطباء ، من أمثال ... ومريس شارغين ، ووليام لاجرا وغيرهم من رجال مستشفى « جبل سينا » في نيويورك . وقد جربوا طريقتهم في عشرين حالة مستعصية في ذلك المستشفى ، كانت معظمها لا تحتمل إجراء الطريقة التي تقتل جراثيم هذا الداء الخبيث في خمسة أيام ، وتطهير دم المريض منه من أعراضها نهائياً . وقد جاءت النتيجات الأخرى بينا تحت سجية الإحصائيين ، فأصبحت صحة ... وأن ٨٥٪ من الذين عولجوا بها طهروا من جراثيم الزهري التي كانت متغلغلة في دمائهم وأنهم أمنوا خطرها أو العدوى بها

أما الطرق التي عالجوا بها فأصبح منها لا ... تستغرق سنوات لاستئصاله المشكلة حوالى الشهرين ... الدكتور أرثيك ... الأطباء ، وهو من يقال بطلى المريض حقناً على التوالي مدة خمسة أيام بمقدار ثم يطلق بعده . ولا تكون هذه الطريقة في متناول الأطباء ... جمع حقوق ، كما يقول مكتشفوها الآن ، ووضوا أسباب هذه التأخير . والنهاي ... الآن على الحكومة الأمريكية على ... ومسجلة جميع المصابين بالزهري ، الذين كان عددهم في العام الماضي نحو ... مليون

## خطأ شائع

قرأت أكثر ما كتبه الناقدون عن الجزء الثاني من كتاب الدكتور طه حسين بك « على هامش السيرة » الذي صدر منذ أمد قريب ، فلم أجد أحداً منهم نص على الأخطاء النحوية والصرفية الشكلية التي وقع فيها الدكتور طه . ومن أظهر هذه الأخطاء أنه في عبارة له بالكتاب المذكور يقول : « وما أحسب إلا أن الأيام ستدرى » يجمل كلمة « سرى » فعلاً بإسقاط حرف النهي ... بالأفعال عليها ، مع أن هذه الكلمة اسم لا فعل ، وإليك الدليل :

قال صاحب القاموس في مادة ( الوهي ) ... « وجاءوا سُرى ونسوان ، وأصلها وُرى ... سوارى » على أن الدكتور قال « وما أحسب إلا أن الأيام ستدرى ، لا يستقيم ... على مثل العربية ، ولكن ...

ولن أنسى ... على أن ... من ناحية الكتاب ... في استعمال هذه اللفظة ، وهم محسوب ... في ... والصواب ما قدمنا .

( البلاد ) أحمد عزت الشرماهي

## كتاب عن ابن حزم الأندلسي

هذه رسالة للإمام ابن حزم في ( المفاضلة بين الصحابة ) نشرها اليوم على غلاء الورق وصعوبة النشر صديقنا الأستاذ سعيد الأفغاني ، فجاءت في نحو مائة صفحة ، قدم لها مقدمة في دراسة حياة ابن حزم دراسة كاملة ، وضم إليها ذيلاً يشتمل على تراجم مختصرة وفهارس مفصلة لأسماء الأعلام الواردة في الكتاب ، وطبعت النفيسة مع الذيل ثلاثمائة صفحة ، كلها بحث وتحقيق في لغة صحيحة وديباجة صافية . وقد قام بها كلها على الصحت وبعد من الناس ، وبعد من الأوهام التي أكثرها هؤلاء الذين حاموا حول العربية من دار العجم . والأستاذ الأفغاني أحد أربعة هم بين أدباء الشام الذائعين على العمل ( والإنتاج ) يكادرون على الكتابة والتأليف والنشر ، وهم الأستاذ خليل العلامة محمد كرد على بك ، والكاتب الأكبر معروف الأرناءوط ، والأستاذ الأفغاني ، ورابع أستحي أن أسميه . الثالث منهم البحث والتحقيق والعلم ، والرابع للأدب الخالص . هنا ولا بد من عودة إلى الكلام على هذا الكتاب ، وإنما عجلنا للأستاذ الشكر كما عجل لنا الهدية .

علي الطنطاوي

## وفاة عالم جليل

استأثرت يد المنية العام المقبل ، شيخ القراء في القطر الشامي المرحوم الشيخ عبد الله ... والد الأستاذ صلاح الدين ... فكانت وفاته فاجعة كبرى اهتزت لها أرجاء دمشق ومشى في تشييعها وشيابها في جنازته العظيمة ، يتقدمهم سعادة مدير المعارف ورجال

العلم وعلامة ورئيس جمعية العلماء من عمداء العلماء الأجلاء ، وقد أثنته على المنبر بعض أعلام المسلمين

وقد كانت للفقيد منزلة سامية بين المسلمين لما اتصف به من الورع والتقوى ، ولأنه شيخ القراء والحافظين لكتاب الله عز وجل ، ولما عرف عنه من دماثة الأخلاق ولين الجانب والتواضع والقيام بواجبات العلم ، وقد تخرج على يديه طلاب لا تحصى عددهم كلهم يشهد بفضله وعلمه ، وخسارة الفقيد به وبأمثاله من علماء دمشق الأجلاء لا تعوض

أسأل الله أن يلهم آله وذويه جميل الصبر ، وأن يوفق سكناه فسيح جنته في هذه الحياة الفانية ، أبقى عليه صبره وفضله وصلاته

(دمشق) «م . ص . ط»

وأسرة (الرسالة) تقدم إلى الأستاذ صلاح الدين المنجد خالص العزاء

## المفاضلة بين الصحابة

للأستاذ الأديب السيد سعيد الأفغاني جهد مشكور في طبع بعض الكتب القديمة ، وآخر ما طبعه رسالة ابن حزم المسماة (المفاضلة بين الصحابة) وهذه الرسالة موجودة برمتها في كتاب (الفصل في الملل والنحل لابن حزم) من الصفحة ١١١ إلى الصفحة ١٢٥ من الجزء الرابع من طبعة الخانجي ، وأما الطبعة الثانية فليست تحت يدي لأشير إلى مكان الرسالة منها . فلعل أحد الناسخين (من الشيعة) جردها من كتاب (الفصل) فحسبها بعضهم كتابا جديدا . وفي المكتبة الظاهرية نسخة منها كان الأستاذ كرد علي أخذ صورتها الشمسية . فالذي من نشر هذه الرسالة مستقلة من الطابع لا الباحث .

محمد سالم الشيرازي

(الرسالة) : لا ندري كيف غفل الكاتب عن الجهد العظيم الذي بذله الأستاذ الأفغاني في التحقيق والتعليق والفهرسة والترجمة على أسلوب الكتاب عامة وجعل كتابين لا يستغني أحدهما عن الآخر . ولو كان يدري الكاتب شروط النشر الحديث لعلم أن هذا الكتاب ما كان يجد طالبه إلا بفضل هذه العناية من الأستاذ سعيد .

## حول آية إطعام الطعام

أتيح لي طول الرسالة تناولها بالشكر أن أتصل بالأفاضل من إخواني في العراق لنعظم الرأي ونستجلي البحث ، فقد قرأت في عددها الماضي رد الأستاذ الشيخ كاظم سلمان خطيب الكاظمية بالعراق على إنكاري صحة ما روى الرواة في سبب نزول آية إطعام الطعام من صوم الإمام علي رضي الله عنه إلى آخر ما زعموا ، وقد حاولت أن أنظر بعقلي في كلام الأستاذ فلم أنل

وغير خاف أن الإمام كرم الله وجهه في سابقته وهجرته وبلائه ومناقبه وعلمه وفضله وفتوحاته وغزواته لا يرفع من شأنه رواية لم تثبت

على أن المفسرين بإزاء هذه القصة ثلاث فرق : منهم من ضرب عنها صفحا ، ومنهم من رواها من غير بحث ، ومنهم من قدحها بعد ما جاء في تفسير الطبري

« والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يفعلون ... » فنراه قد رجع الضمير في يطعمون إلى الأبرار ولم يشر إلى قصة صوم الإمام أقل إشارة ، وقال الخطيب الشربيني بعد أن ساق القصة « حديث موضوع » ، وقال الشهاب على البيضاوي « هو حديث موضوع مفتعل كما ذكره الترمذي وابن الجوزي ، وآثار الوضع عليه ظاهرة لفظا ومعنى »

وقال الألوسي بعد أن ساق القصة : « وقيل بأنه خبر موضوع مفتعل ... » إلى آخر عبارة الشهاب السابقة

وقال الفخر الرازي والقول ما قالت حذام « إنه تعالى ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلق للابتلاء والامتحان ، ثم بين أنه هدى الكل وأزاح عللهم ، ثم بين أنهم انقسموا إلى شاكر وإلى كافر ، ثم ذكر وعيد الكافر ، ثم أتبعه بذكر وعد الشاكر فقال : « إن الأبرار يشربون » ، وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين والأبرار ، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بيانا لحال كل من كان من الأبرار والمطيعين ، فلو جعلنا

مختصاً بشخص واحد لفسد نظم السورة . والثاني أن الموصوفين بهذه الصفات مذكورون بصيغة الجمع كقوله : إن الأبرار يشربون، ويوفون بالنذر، ويخافون، ويطعمون وهكذا إلى آخر الآيات. فتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر، ولا ينكر دخول علي بن أبي طالب عليه السلام فيه، ولكنه أيضاً داخل في جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين وكما أنه داخل فيها، فكذلك غيره من أتقياء الصحابة والتابعين داخل فيها، فحينئذ لا يبقى التخصيص سوى ألبتة » اه . كلام الرازي.

أما من نقل القصة من المفسرين فلا بحث فليس في مجرد النقل حجة.

ومن العجب أن ابن عباس الذي رويت عنه هذه القصة من القائلين بأن سورة ( الإنسان ) مكية نزلت قبل زواج الإمام بالزهراء عليهما السلام، فكيف يصح ما رووه أم كيف يلتئم

أبو الحسن سرحان

## إلى الأستاذ محمد سعيد العريان

جاء في كتابكم القيم « حياة الرافعي » أن والد فقيدنا الغالي هو الشيخ عبد الرزاق الرافعي ! فالتبس على الأمر بعد أن كنت أعلم أن اسم أبيه « صادق » نسبة لما يطلقه على نفسه « مصطفى صادق الرافعي »

فهل لك في إزالة هذا الالتباس وإيضاح الحقيقة ؟ بعد أن تقبل تحية صادقة من أخ يحمد فيك ـ على البعد ـ الإخلاص والوفاء

( دمشق ) بشير الفرس

## هواة المراسلة ونادي المراسلات الإسلامي

تتكون من العالم الإسلامي المنتشر في كل بقعة من بقاع الأرض أمة تختلف في لغاتها ومقومات الشخصية الأمم ، فمن المألوف في كل أمة أن تكون الوحدة بين أفرادها وحدة الدم أو اللغة. ولكن الأمة الإسلامية التي تتألف من أجناس متعددة ولغات متباينة ، وتعيش في ظل رابطة الدين الحنيف، هذه الأمة تتألف من كل مؤمن صادق الإيمان قوي النفس حر الضمير، من كل أمة ربط بين أفرادها المتعددة بدلاً من أن يربط بينهم الدم ويوحد بين الفكر ما توحده اللغة.

هذه الأمة العظيمة تظل بقلوبها وأجسادها متفرقة ولعلها كل يوم تفقد صحتها وتهدد بنيانها ونأخذ كل يوم مشاهد لذرات كانت ، حفنة من الرجال خرجوا من جوف الصحراء ينشرون كلمة التوحيد ، ويرفعون اسم الله قد دانت لشجاعتهم ولإقدامهم جبابرة الأرض ، وبرهنوا على كل الأمم أنبل التقاليد وأسمى الأخلاق وتركوا وراءهم عدداً ما يغيب الأرض

إلا أن روح الفرد والتفرقة وتطرق روح الأغراض ما فتئت تنخر في عظام هذه الأمة حتى وصلت إلى حالتها الحاضرة من التفكك والضعف والانحلال ، هذه الحالة التي تثير في النفوس كوامن الألم وتدفعنا دفعاً إلى أن نفكر في عودة أمجاد الأمة وتقاليدها النبيلة التي يكاد أن يعفي عليها الزمن

إن نادي المراسلات الإسلامي الدولي الذي هو عبارة عن هيئة إسلامية دولية مركزها الرئيسي بالمملكة المصرية يشترك في إدارته وتنظيمه نخبة من شباب الإسلام في مختلف بلاد العالم يدعو مسلمي العالم بأكمله للانضمام إلى عضويته وبذل أقصى الجهد في نشر فكرته ومبادئه والدعاية إلى الانضمام إليه سعياً وراء تحقيق أغراضه التي تألف من أجلها ، والتي تقوم على خلق علاقة وطيدة تتناول كل أمور الدين والدنيا بين مسلمي الدنيا بأكملها مهما اختلفت اللغات أو تباينت الأجناس أو بعد المزار

إن الاشتراك في نادي المراسلات الإسلامي الدولي لا يكلف الأعضاء مالاً ولا وقتاً ولا جهداً ، ولكنه وسيلة لا تعادلها وسيلة في تحقيق الوحدة الإسلامية وبث القوى الكامنة في نفوس الأمة الإسلامية

فإلى مسلمي ومسلمات العالم نسوق هذه الدعوة راجين أن تصل إلى كل مسلم ، وأن يعمل الجميع على نشرها في جميع أنحاء العالم

تقدم طلبات الانضمام وتطلب الاستعلامات بلا أي مقابل من السكرتير العام لنادي المراسلات الإسلامي الدولي صندوق البريد رقم ٩٣٩ بالقاهرة بمصر

# ليالي الملاح التائه

للأستاذ الشاعر علي محمود طه

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

---

متى أحب على النفس التي تحيا في هذا الجو الضيق الذي حل فيه الربيع بحركة بائساً يائساً حتى أن تنطلق في الحياة مطلوقة « الملاح التائه » الذي يجهد على غير هدى ، لا غرض له من هذا التخبط إلا أن ينطلق ويتطلق ، فيصيح من الشاطئ حين هذا اليم الذي تلاقى من هيبة شاطئه ، وأصبح يحمل الموج من يسأل عنه صدى أغانيه ، وفي هذه الأغاني شوق غلاب ووجد جمح

حياة هذا « الملاح التائه » هي ذات حياة ذلك البوهيمي الذي انطلق من قيود الحياة ، وراح يطلب [illegible] إلا أن البوهيمي يرجع هنا حيث طلبه ؛ أما ذلك « الملاح التائه » فقد انفصل عنه حتى سدّت الأمواج علينا الإصغاء إلى آثار وقعه ! فنحن نسمع أصداءه ، ولكن لا نعرف مصدر تلك الأصداء ! ونطرب لأغانيه المتقدة مع الموج المهدل ، ولكن هذه الأغاني ينقل عنصرة الإعياء !

أين صاحبها ؟ وأية موجة تلف الآن زورقه ؟ وأي شاطئ مرصع مشجر أمام عينيه ؟ أذكر أني قرأت نقداً لديوانه الأول يلوم الشاعر على أنه يهمل مشاهد بلاده ، ويمعن في وصف مشاهد غريبة عنه وعن أهله ؛ ولكن غاب عن الناقد أن — شاعره ملاح تائه — يعبر كل البحور ، ويرمي بنظره على كل الشواطئ ، ويكحل جفنه بأي نوع من الجمال . ومتى انطلق الشاعر من هذه الحدود ، ورأى أمام طرفه ، لا نهاية فسيحة تبدو عليها حدودنا خطوطاً تافهة تمرح كيان الوهم إزاء هالة الفسيح !

وفي « ليالي الملاح التائه » مشاهد غريبة من غير عهد الشاعر [illegible] عاطفة الفريدة الإحساس ، لتكتب في هذه المرة للاتحاد والفدى — الإنسانية — وجاء حتى ردها إلى الأرض التي انفصلت عنها تتوزع فيها الوجه والحنين والاضطراب والكآبة ... وكل هؤلاء من القربى الشاعر ... وإن كان لا بد من النقد ، فإني آخذ على صاحب الليالي حشده لبعض مقطعات ليست من وحي الملاح التائه ! وليست أصوات تلك الرعشات التي تأتي متجاوبة مع رعشات الأمواج ! وأولى بمثل هذا الشاعر الحالم أن يجرد كثيراً من شعر المناسبات . ومن أولى من الملاح التائه بالتجرد من هذا ؟ وهو الذي وقف حياته على الشعر الخالص وحده ؟

أولى ألحان « الملاح التائه » أغنية سحرية أسمعتنا نغماً جديداً في عالم الشعر والفن ، هي « أغنية الجندول » التي نظمها خير شاعر ولحنها خير فنان ؛ قد امتزجت فيها عبقرية الشعر وعبقرية الفن ، حتى تحار في هذا الامتزاج الغريب الذي تراه العاطفة فيه مجسمة تذكرنا بالشعر العربي الوجداني ، ويطوف عنه بسمة أو صلات إلى الموشحات ! ولكن تلك الأغنية أصدق عاطفة ، وأشد تأثيراً في النفس ، لأن العاطفة المجردة جثت بها دون أن تترك مجالاً لتشغب الصنعة الكلامية ... ولعل هذه الأغنية من أروع أغاني « الملاح التائه » لأنها صورة حياة هذا البوهيمي الذي يحمله حنينه ... حنين إلى جمال الهوى ، وإلى تلك الليالي وحنين إلى أرضه التي يسارع الشوق إليها ... حنينه الأول إلى كأس يتشهى الكرم عصره ، وحبيب يحتسي الكأس ثغره — هذا الحنين هو ، وأشد كل شيء — ويلك من أجله يمتنع في الأوهام عمره ! ولكن الذكرى تناديه ، والشوق إلى وطنه يهتف به ... فيشعر بغربته شعوراً كاملاً ، ولا يزيد على شعوره هذا شيئاً

قال من [illegible] أبي وأسمر ورد [illegible] تلك من مصر حبيب هذا !

هذا البوهيمي نفسه يمر على الأيام ينقضي عمره ، وهو الذي لا يقف في مكان ، وهناك يرسل لحناً يعد أصدق ما أرسله من ألحانه

في بيانه ، ويُتيح لنا أن نتمثل هذا الموسيقي الذي أسماه جوهر البحار وشق القفار ، حتى وقف عند باب هذا الخمار

كل لألأ في الشرق الصنا … دق الباب الأكف الصافحة

أيه الخمار ! قم وافتح لنا … وأسقنا قبل رحيل القافلة

وما عسى يسقيه هذا الخمار الذي جمع خمره من كرم غريب عن الكروم وعصرها من عناقيد ترى فيها :

كل عنقود ممزوج جمعت … وكواكب فيه قبها شفة

ما احتواها الغير إلا انتفت … خمرة تسكر حيناً والفناء

وبه السكر يحيى الحالم بكل ما طرده في حياته ، وفي هذه الشحوى مسبوه شاعر :

سرحت آلامه في سكره … فهوى بالآل من آلامه

إنما البحث الذي تنعم به … يقظة المصروع في أحلامه !

ثم ما أروع هذا البيت ! ولكن حسبه سره

أنا سحبها … في نفسه ، مثل حياة الزهر

وسطوى الأبد المجهول لها … يمحو الأطياف شتى الصور

حسبها سره أن عهده … بأخشيه الصباح النضر

وشتى الأرض من وجه السما … حيث ورق الشمس أو سرو القمر

ربما جسده أو هاج لنا … با ، أو قصة من حبنا

موج ورقة لونت حولنا … أو صدى قبرة مرت بنا

. . . . . . .

في الديوان شعر كثير ، وخطرات تدل على قلب شاعر والشاعر فترة طيبة يتمثل عطولات الخامسة بروح إنسانية كاملة في قصيدة المصروع الزمن ولعل بين هذا الزمان وهذا الملاح نسباً هذا الزمن هو الكابتن ( ماكيج جونس ) ربان حاملة الطائرات كوراجيوس التي أغرقتها غواصة ألمانية في بدء حرب الحاضرة ، فآثر الموت غريقاً مع سفينته على النجاة وحدها ، ولما بلغ الأمر منه ، ألقى بنفسه على الروح إجلالاً للموت وإكباراً للبحر الذي حمله حياً وضمه ميتاً ، ولم يجد الشاعر في هذه المغامرة ميداً من وصف ذلك الصمود الهائل الهائل ، وهو وصف طاهر جداً من وصف شوق المواساة . وما أدق تشبيهاً حين يقول

سلك في جنبات اليم مضطرب … على الغافل حد الروح قرير

تسعدك صياحه ولو وصفت … عليه عيناك لم تعبه القدر

وأبدع بتلك الصورة التي خلعها الشاعر

وطرب كل مشهد غير ثبة … ذكريات الموت صاغها كل

أشبهها ، فظل الروح مستعدها … كما ظل جسم الملاح الشاكر

وهذه قصيدة وليدة البحر ، لم تجمع عليها الملاح الخاصة أمام تطوافه لم يلتقي ، ولكن الباحث طلب تختلف عن هذه الموانئ الأخرى ، لأنه ذات الحياة التي تهز ، ومارس الحياة الإلهام والتحام الأخطار

• • •

شعر فيه جميع عناصر الشعر !

روعة بما في مثل هذا الشعر ، عبر !

وهل الشعر إلا نشوة عنوة وعصارة كأس لم يمسكها ؟!

جليل الحساني

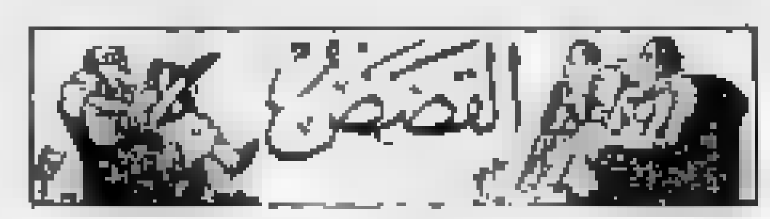


# الرجل الذي لا يقاوم

## للأستاذ نجيب محفوظ

---

في تلك اللحظة التي لا تنسى حين وجه المأذون سؤاله التقليدي إلى سامي أفندي عبد الخالق : « هل تقبل نكاحها ؟ » ، ثم سأله إلى الآنسة حياة المصري : « هل تقبلين نكاحه ؟ » في تلك اللحظة التي لا تنسى سعد قلبان فرحاً وغبطة بعد أن ذابا شوقاً وحباً عشرة أعوام تساوي مائة عام لمن يحبون . وقد طمحت الآنسة طول العهد أكثر من أحب أن تتوج حبها بزواج ؛ لأن الحب الذي آخى بين قلبي الشخصين عشرة أعوام طوال كان رائع أصيلاً ، ويجري مجرى الأمثال ذكره ، فصار قصة يطرب لها المكواء ، ويستشهد بها المتحاذقون في أحياء شبرا والسكاكيني والظاهر وغيرها من الأحياء القريبة التي شاهدت مآتيه ما يهز ، النفوس ويعصي القلوب . وقد جاز هذا الحب واصطلى بعهوده بالكبرياء ، وأزال النوازي وأسقط عن ما يعتقدان وما لا يجهلان من التصميم والعهد والإخلاص والوفاء ، فأدماه إليه من طيب خاطر ، وقاسا في سبيله الفراقين شتى يسعه علم . أما حياة فهي كريمة السيد شبلي المصري تاجر الأخشاب ذي الثروة الواسعة والجاه العريض ، والمكانة المحترمة في أسواق التجارة وميادين السياسة وحياة النيابية ، وكانت إلى عهد قريب في مقتبل العمر متهمة آنا بالجمال الفاتن والرشاقة الفائقة ، وأما سامي فنشأ في أسرة فقيرة من عامة الشعب ، ارتقت به مدرسة الصنائع إلى وظيفة مهندس كهربائي بمصلحة الميكانيكا بمرتب ستة جنيهات ، ورزقته قلباً وجمالاً وصدقته المودة والإخلاص ، وأخرست وفاءه عن عشاق مصرح عددهن ، ووهبت أبهى شاب دوى حسب ونسب وجاه ، ضم طيب وجيه ، وخاطب بولس ببنت مريضة الأمر الأشقة ، لم يطع سوى قلبها العاشق للفتى ، وحافظ على من ناحيته على عهدها ، وأخلص لها الحب ، وليس حب الفتى الذي يسمى به في مثل عمرها هيناً ، ويطول في سبيله أذى كبيراً مأتى والدها على تزحزحه إليه عن ارتباطها به إليه من إدخال كريمته إلى قبره . ويقول بعضهم : إن بكر عاجز أنها خاطب الجامع في مال أو جاه أو ورق ، فكان عنه مانعاً لها ، في أنه لم يعرف عنه مع ذلك أنه كان يمس الطرب كما عن حسان السكاكيني أو الظاهر ، وما كل يستطيع ذلك ، ولكن الحق الذي لا مراء فيه أنه احتفظ بقلبه وسعه لم يحول عنه ذات حب ، حيناً .. ورشد الحب أن يختم ألم السنين بعهد الزواج . فقال أناس : إنه إذا كان الحب قد حكم أن يدعوهم دواماً إلى حدائق المحبة وبساتين مسرة ، فالزواج لا شك عتيدهم في بيته إلى الأبد ، وأنه لن يرى بعد ذلك اليوم سامي أفندي إلا حين ذهابه إلى مصلحة الميكانيكا والكهرباء ، أو عند أوبته منها . وصدقت فراستهم ، وسكن شهراً واحداً ، ورئي الشاب بعده ذات مساء يغشى قهوة كان دائم التردد عليها أيام عزوبته ، وقد صحب معه الحياة الجديدة مسرة وسعادة ، ومشا أيماً جميلاً ، فرجعت تلك رفاقه وتلقوه فرحين ... فتارة يغيب حيناً ويعاودهم أحياناً ، ثم اختفى زمناً طويلاً ، ففسروا غيبته بأنه آثر عودته لبيت على مصحوب القهوة ، ولكن واحداً ممن يتطوعون لإذاعة الأخبار قال إنه يراه كل مساء يجلس أمام « صالون الكمال » في شارع قريب لا يبرح مكانه حتى يغلق « الصالون » أبوابه حوالي الساعة العاشرة ، فوقع القول من النفوس موقع الدهشة وساءلوا عما يغري صاحبهم بتركهم وملازمة صالون الكمال . وكان بينهم شبان متطفلون فتبعوه أياماً حتى أرسلوا رسولاً منهم يستطلع الأمر ، وعاد الرسول بما هو أدعى إلى الدهشة والإنكار قال : إن سامي عبد الخالق يسعى وراء حب جديد ، وإن التي شغفته حباً هذه المرة معلمة بروضة الأطفال تقيم بشقة في العمارة رقم ١ بشارع البستان المواجه لصالون الكمال ...

كيف أمكن أن يحدث هذا التحول الغريب ؟ هل حب الحب الذي صمد للشدائد عشر سنوات بعد الفرحة ؟ ترى من خطفه للقلب في شهر وبعض شهر ؟ ... أم بعده الطيبة وانقشاع الأوهام ؟ وكيف أمكن أن يرجع قلبه إلى

لسيدة أخرى بهذه السهولة بعد أن عاش على حب زوجته ذلك الزمن الطويل ؟!

قبل أن نجيب على هذه الأسئلة يحسن أن نعرف أكثر مما عرفنا إلى الآن من هو صاحب عبد الخالق ؟

هو شاب في الثلاثين له صفاته وله رذائله مثل جميع الناس، فمن فضائله احترامه لنفسه وحرصه على كرامته ومحافظته على آداب اللياقة وتقاليدها الموروثة، وإن كان يشوب حماسه لهذه الفضائل [illegible] آرائه واستبداده [illegible] ما يجعله يتعثر في كثير من الأحايين إلى الصلف والتعصب. وأما رذائله فهي أنه إلى الثقافة [illegible] إلى الشر [illegible] حول الشرود، والغرور الموجه إلى [illegible] كل شيء. [illegible] لا أنكر أنه عظيم الثقة بمواهبه العقلية وقدرته الفنية كمهندس [illegible] النظير، ويكفي [illegible] واعتداده بجماله [illegible] كل تقدير وليس من شك في أنه يحظى بقسط من الوسامة والجمال فقد منّ الله له عينين سوداوين يظللهما حاجبان مقرونان، وأنفاً مستقيماً. ولكن عجبه فاق حسنه كثيراً وطغى أثره على فعاله وأقواله، وكان أمراً ملحوظاً لدى رفاقه منذ الصغر فاستطاعوا إلى العبث به تارة بإطراء جماله، وطوراً بإبداء إعجابهم على الحسان من وقته [illegible] فما خطر له على بال أنهم [illegible] ولازدادوا عجباً وما خطر أن صاحبه [illegible]. ولذلك كان أحب الأشياء إلى نفسه أن يقف أمام المرآة يطالع صورته المحبوبة [illegible] ويطيل النظر إلى [illegible] وصلعة [illegible] بشارب «كلارك جيبل». كما كان أشهى الأمور على نفسه أن يسعى إلى الفتاة [illegible] كان يحقق [illegible] حتى يطرف [illegible] الذهب [illegible] بين الأحداث والأقران، وحتى [illegible] وصاحبت [illegible] الحديثة، وأمكنه [illegible] في تخير القمصان [illegible] وربطة الرقبة الملائمة للقميص، والمنديل الملائم لرابطة الرقبة، ولا ينسى — إعجاباً بالتناسق التام — الحذاء والجورب المناسبين. كان [illegible] شديد المحافظة إلى حد الإرهاق. وكان المكوي موجه إلى ثيابه [illegible] لا يوجب [illegible] أحد من رفاقه الآخرين. ويعلم الخلاق أنه [illegible] من الجهد ما لا يبذله طبيب [illegible] وضع خطير.

فما لم يكن عجباً أن يستهين بصاحبه زوجته في سبيله، ولن ينكر على القائل قوله: إن إخلاصها له صفة يحمدها عليها بل كان في أعماقه يعتقد أنه صاحب الفضل وأنها صاحبة الحظ في حصولها عليه [illegible] كيف لا وقد وهب لها [illegible] التي تشتمل عليه أعين الحسان؟! [illegible] على غروره [illegible] كل شيء [illegible] إلا أنه رأى فتاة عبر شارع [illegible] ذات [illegible] لأنها كانت ذات [illegible] رقيق [illegible] في النفس [illegible] في الصدر حرارة [illegible] على وجه [illegible] ورأسه [illegible] كأنه [illegible]. وكان إلى جانبه [illegible] شاب من معارفه لم [illegible] ما بدا عليه. فأدنى رأسه من أذنه وقال بلهجة ذات معنى:

— حذار فالنظرة إلى هذه تكلفها حسرة

فأنكر [illegible] قول صاحبه وسأله ببساطة [illegible] في السير

— ولمه ؟

فقال الشاب [illegible]

— لأنها فتاة جد، لا تلوي في سبيلها على شيء، ولا تعير للتحرشات أدنى التفات. وما تزال تتردد كل صباح وكل مساء ما بين بيتها في شارع البستان وروضة الأطفال بشارع [illegible] ملتصقة [illegible] كأنما [illegible] في صندوق مغلق [illegible] للتفاح

[illegible] هذا [illegible] وأحس بحرارة [illegible] وقال [illegible] على [illegible]:

هب أنها امرأة في صندوق [illegible] للتفاح كما تقول، [illegible] الرجل الأريب الذي يقدر على الظفر بها [illegible] باسمها [illegible] وابتسم ابتسامة ساخرة [illegible] بالثقة [illegible] الفتاة التي [illegible] الطريق بخطوة [illegible] ولم يكن [illegible] أي [illegible] في [illegible] ولا [illegible] نفسه قط، [illegible]

ذلك لم يرع قلبه ، ووجد في كلام صاحبه تحدياً صريحاً لا يجوز السكوت عليه ! وجعل يتساءل في غيظ وحنق : ترى هل يمكن حقاً أن تتجسم هذه النعمة إذا تصدى لها ... ؟

هل يستعصي عليه النفور من القطاع السائح ؟ وتكلم صقوره تلك الليلة . وفي أصيل اليوم الثاني قصد إلى شارع السلحدار ، ومن الإنصاف أن نقول إنه لم يضع نية يحرج لها صدر ودع عنس مثله وإنما ساقته انفعال عصبي وعاطفة لا تشك [illegible] قلنا إنه مسية إلى درجة ما ، لأنها كانت تشوف إلى التحقيق والتجريب . قصد إذاً إلى شارع السحار وانتظر . ثم رآها تبرز من باب العمارة يلحقها المشرق ، فوثب وتعثر حتى إذا سارت منه على مبعدة خطوة سدد إليها عينين ناريتين ، ولكنها سارت لا تلوي على شيء ، كما قال صاحبه ، وصاحب النظرة في الصباء متجهة إلى أسرب من الأمور الكونية . فأحس خيبة وأحنقه مجاوزتها المكشوفة فعض على أسنانه وصر في أعماقه . ومضى يتابعها مصراً على بين ورديته للستوى ويقول لنفسه متبرماً : « رأيتها النظرة قبل جاوزها كما يذوب الثلج تحت أشعة الشمس » وأراد أن يلفتها إليه ، وتنحنح وسعل سعلة مزوزة ، ولكنها لم تبد أدنى اهتمام ، فأوسع الخطى حتى حاذاها ، وكاد أن يمس كتفها ، فأوسعت الخطى بدورها لتسبقه فسبقته وأدركت بلا ريب أن شخصاً يطاردها فالتفتت نحوه بعصبية وكان يرسل المرسلة السهمية صوب إليها نظرته المشهورة ، فرمت عينيها بنظرة عنيفة كأنها تقول له : « مكانك يا هذا » وتحولت عن عينيها منطلقة إلى العمارة ثم سبقت الطارقة بانعطافها إلى العمارة رقم ... بشارع البستان . ووقف أمام العمارة صامتاً ، ولم يجد بداً من العودة فقفل راجعاً . وكان مهموماً منقبضاً كمن يتقبل من معركة دامية لا مطاردة غرامية . وما كان يشعر بأي إحساس من أحاسيس الحب أو الصبابة ، ولكن كانت تضطرم في قلبه عواطف [illegible] وقضى ليلته وقد صممت عزيمته على العودة إلى النهاية

وتوجه في أصيل غد إلى المكان نفسه ، وانتظر حتى رآها تسير نحوه في مشيتها التي تجمع بين الرشاقة والشدة [illegible] على الأثر ، وأدرك لأول وهلة أنها لا تجهل شخصه وأنها ترمقه ،

ولكنه سار في طريقه غير حافل بما [illegible] كان شعوراً ساخراً متعاظماً ! فكان جزاؤه نظرة أشد من نظرة الأمس . وفي اليوم الذي بعده خرجت من عتبة بابها قالت له بلهجة حادة : « من فضلك يلاش » . وفي اليوم الرابع قالت له في لهجة « شيء بارد » . وقالت له في اليوم الخامس وهي تحدجه بنظرة وعيد : « إذا لم ترتدع عن هذا السلوك فسأشكوك للشرطي » . ولما كانا في اليوم السادس لاذت بالصمت يأساً وتجاهلته ، ولكنه لم ير الشرطي ، فشهد [illegible] وعاد مكروباً موراً ميتاً . وأحدثه نشوة عرب [illegible] الكلام - وإن يكن [illegible] غاية الاعتدال ، [illegible] جميع من [illegible] على ما كانه من طمأنينة قلب . إلا أنه كان يحسه من الرقى الغرامية كنظرة [illegible] سواء بسواء . قال لنا : « [illegible] أحسست باستعداد للغناء بغير سبب [illegible] هل [illegible] أن لي قلباً يشعر ويهيم بالجمال ، أيصح أن تتحدى [illegible] الأسس بالشرطي ، وهل ينادي الشرطي للعاشقين [illegible] أمثالي ، ومع ذلك نادى الشرطي ، بل [illegible] للموت [illegible] حتى أسمع من الفم الصغير هذا - الذي يحاول [illegible] ورقة بغير قلب - ما يدفعني إلى أمل ... »

ولم يعد يقنع بالمطاردة القصيرة التي يبدأ في شارع السحار ويمضي في شارع البستان ، ووجد في موقع صالون [illegible] من العمارة رقم ... ما يشفي غيظه وطمعه ، فانضم إلى رواده وتودد إلى صاحبه وجعل منه [illegible] للعمل على كل مكان

وكان يدفعه بادئ الأمر - كما قلنا - نشوة غضب ورغبة في الغلبة . وكان يتوهم أن يلعب ويمرح حين [illegible] وتراءى له وكان يعود من كل مطاردة - في أول عهده بها - ولا يذكر إلا عنادها وصلفها وغضبها وحنقه . ثم أخذت صور أخرى منها تتسلل عبارة [illegible] إلى خياله مثل قدها الرشيق وعنقها الطويل ورأسها [illegible] القصيرة [illegible] وبعثت هذه الصور [illegible] في وحدته من سراديب حواسه وتتسلل إلى زوايا قلبه [illegible] وكثافته [illegible] فلذا يعرض له [illegible] بالأشواق [illegible] وربما [illegible] يصعد من أغوار نفسه حتى آثر أخيراً [illegible] إحساس وقلق ودهش

أنه يحبها، وأن الفتاة بدورها تحبه مرة أخرى. وصادف أن كشف لها حقيقة عواطفه نحو الفتاة [illegible] ثم يقف ولم يتراجع كما كان العزم، بل شد على يديها في حماس واحد وتعاهدا معاً في سبيل الحب. وفتحت له نفسها وبسطت أمام ناظريه صفحة حياتها البسيطة فلم يزد على ما كان يعلم عنها أنها تعيش مع أمها وخالها، وأنهما في غير حاجة ملحة إليها وقد أكدت له ذلك تأكيداً لم يخف عليه سره. أما هو فأخفى عنها حقيقة نفسه فلم يجر لها على لسانه أنه زوج وأنه [illegible]. وكان كثيراً ما يكظم صدره ويضيق من سكرة أحلامه، [illegible] الصلة التي [illegible] لا يمكن أن [illegible] بالفتاة [illegible] الجنة [illegible] الزمن [illegible] ومع ذلك لا يمكنه أن يتناسى طويلاً عن تلميحها المستمر إلى موضوع الزواج ثم يرتد — حرصاً منه على الاحتفاظ بها — من [illegible] في أحاديث [illegible] أن جرى ذكر الزواج على لسانهما [illegible] على [illegible] التي تهفو إليها نفساهما

وحدثت مرة خطوة أخرى [illegible] إلى زيارة بيتها للتعرف إلى أمها وخالها. هنالك أسقط في يده لأنه ما كان يستطيع أن يلبي الدعوة ولا كان يدري كيف يرفضها، والأمر لا يخلو من [illegible] طويلاً. [illegible] أن يعمل؟ أيلوذ بالفرار ويختفي من أفقها إلى الأبد؟ [illegible] هذا الحل [illegible] من [illegible] أرفق الحلول ولكنه لم يستطع على شدة حرجه أن يأخذ به، لأنه كان أضعف من أن [illegible] نفسه عن هواه. وكان في الحق قد غدا [illegible] بها كلفاً [illegible] بصوتها وحبيبها وإعجاب [illegible] روحه [illegible] حين يعرض له بالتفكير [illegible] ولا هو استطاع لأنه أشفق من أن [illegible] للارتياح [illegible] أو يائس منه [illegible] قلبها منه. واشتدت به الحيرة وساورته الهموم [illegible] عليه بين [illegible] وما [illegible] وما يدري كيف [illegible] وظروفه القاسية، حتى [illegible] بالحل [illegible]

وكان اليوم الجمعة وقد عاد إلى بيته — وكان [illegible] حاله.

في الساعة الرابعة مساء. وكان يترنم بأغنية بصوت [illegible] أشجان [illegible] إلى حين، وفتح باب شقته في صمت [illegible] فوجد نفسه وجهاً لوجه مع الآنسة [illegible] وخفق قلبه خفقة شديدة [illegible] وصاح وهو لا يدري: «أنت [illegible]» ولم تكن [illegible] دهشة، فرددت قوله: «أنت؟» وعند ذلك [illegible] أدرك أن زوجته تقف إلى جانبه، وإلى جانبها [illegible] الصغير «توتو» ممسكاً في يده بكراسة .. وصمت [illegible] رهيبة أحس أن الأرض تميد به، [illegible] ثم يستطع أن يكتم عواطفه ولا أن يخفي [illegible] وكانت الزوجة [illegible] بعينين [illegible] ثم ارتسمت على فيها ابتسامة صفراء، وسألت الفتاة بصوت متهدج:

— هل تعرفين زوجي؟

ولم تجد الفتاة بداً [illegible] وتمتمت في [illegible] كله «زوجي» [illegible] ورددت [illegible] بين [illegible] ثانية، ثم [illegible] عينيها واستولى عليها اليأس والغضب [illegible] إلى الباب لا تلوي على شيء، ولم تنبس بكلمة ولم تترك وراءها مكاناً لشك أو ارتياب

وكانت الزوجة تشعر بالفتور الذي اعترى علاقتهما وتحير في تعرف أسبابه، فحدست أن لها غريمة وأن غريمتها هي [illegible] «توتو» [illegible] نفس [illegible] الكظيم، [illegible] النصيحة إلى أمها، فاستفحل الخطب، ولم تقض الليلة حتى حمل [illegible] حقيبته وعاد إلى بيته [illegible] كئيباً — ولكن [illegible] ولم يعلق عليه بالغفران [illegible] الذي [illegible] الحب عشرة أعوام [illegible] إلى بيت الزوجية تائباً. ورأه الآن إذا [illegible] في الطريق يسير [illegible] كآبة، فإذا وقع بصره على وجه [illegible] أو [illegible] ابتسم ابتسامة الزهد والكبرياء، فإذا خطر لأحد من [illegible] أن [illegible] أجابه قائلاً: «حسبي، حسبي .. لا أريد أن أجرح قلباً بريئاً»

[illegible]

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع [illegible] — عابدين)

8me Année No. 364

Lundi 24 - 6 - 1940

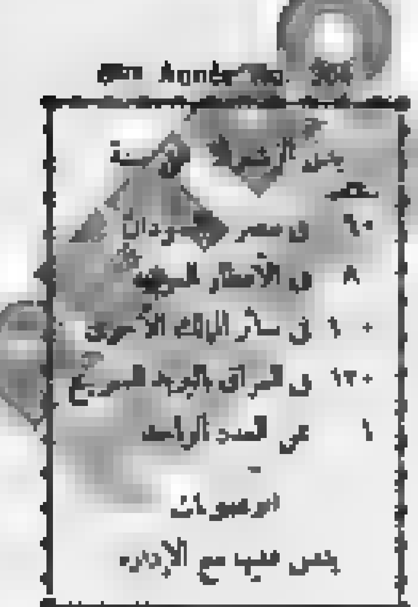

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البديولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٤ «القاهرة في يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

# فرنسا تنهـــار؟!

سبحانك اللهم مالك الملك وصاحب القدرة! أفي أقل من دورة القمر تخشع باريس عروس الأرض للقوة، وتخضع فرنسا متحف الفن للغزاة!

أفي أسرع من كرة الطرف ولفتة الخاطر ... بهزيمة يسجل مثلها على الأرض، ويهزم أروع أمة في التاريخ؟

أبعد الحرب الكبرى وبعد إنقاذ باريس من (فون كلوك) بالمعجزة الحاسمة على طريقين ... إلى العدوان، ويسترسلان إلى الشر، ويحشدان إلى الأمس، ويسائلان الأحداث في أنباء المعاهدة، ويهللان الشباب في أنقاض (سان سير)، فلا يصطدمان بسلاح ولا يعثران في خطة!

لقد كانت ميدان في ضمن الدفاع الفرنسي مرهوب الجانب أهيل جنابه، نابليون الثالث أمام بسمارك، ثم يضطلع (بيتان) و(فوش) أن ينقذا فرنسا ... إلا بجيل الأفراس والقرون ... مدرعة مطاردة من نمر الذهب، ويخرج فيها جيش (كورنيه) فكيف خضع خط الدفاع الرئيسي ... الكرة التي لا حيلة فيها ولا عجلة معه. وليس يدري إلا الله متى ينزل الدكتاتوران على فرنسا الصارخة من شروط الصلح في (فرنكفورت) الثانية، فكيف تقبل القوة الفرنسيون هذا الشر ثم يحضره ويؤمنه؟

## الفهـــرس

لقد قال رئيس الحكومة الفرنسية : إن القيادة ارتكبت أخطاء لا يتصورها العقل ؛ وأعلن رئيس الوزارة الإنجليزية أنه لا يرى الوقت ملائماً للاقتداء بها . ومن حسنة فرنسا مثل الرجعية الغالبة وعوزها العسكرية الرهيبة أن تكون ميداناً لجيش المغاربة الخاص ؟ أفاهم الناس على صحيحها الوطني من سوءه ؟ وإنما نعتقد أن الديمقراطية معامد مادتها من بطر الغنى وغرور الأمان واعتقاد السلامة . فلو أن الحلفاء يوم صرعوا الأمس تكلموا حكمها ورأسها لما انتعشت الجسم من غيابتي الفاشية الذين ورثوا الحبوة وحلوا العالم ؛ ولكنهم تركوها وسمعوها وركوها في حفرة من الأرض تعوي وتلوي وتستعد ، وانطلقوا في حتما الفيحاء يمرحون ويقصرون عن أعطافهم نشوة النصر عن كيد الموتور وحقد المقهور ، فأهملوا الحيطة وأعفوا العدة إلى أن انفجرت عليهم السموم من كل وجه والبركان الملتهبان قد اطرقا بهما الخطأ الذي جر عليهم هذه النكبة . لقد قال المستر تشرشل في خطبته الأخيرة : « لقد انهزمت قوى الحلفاء في سنة ١٩١٨ لأنها [illegible] حاولت أن تشبه [illegible] ثم [illegible] إلى سكرة النصر » وقال المرشال بيتان في ندائه الأخير : « بعد انتصارنا على الألمان في سنة ١٩١٨ تغلب [illegible] روح السرور على روح التضحية ، وحرص الناس أن يأخذوا أكثر مما أعطوا ، واستشعروا برد الراحة فأراحوا أنفسهم من هذه الجهود »

لذلك لم يكن بالعجيب أن تنام فرنسا أم الأبطال ثم تصحو في وهدة [illegible] من القيادة الباتر من خلف جيوش وقوش ، فاستطرت الأمس أن تكل عنايتها إلى رجال المدرسة العسكرية القديمة كغاملان ويغان من أوحت فيهم [illegible] حواتهم فلا يغيرون على حال العدو

كذلك لم يكن بالعجيب أن يحطم النازيون بالخطط المبتكرة والأسلحة الحديثة ، ويقفوا حائرين واهنين أمام الدبابات التي تعصف العصف وتعبر النهر ، والطيارات التي تنقض كالصاعقة وترتفع كالشهب ؟ فيذهب هذا وينحى ذاك ، ويستقيل [illegible] ويتولى بيتان ! ولكن القدر القاهر فوق الناس يأبى إلا أن يكسر الحلق ويقسر الشاقل

المرشال بيتان يقول ليلة الأمس في أول خطاب [illegible] إن [illegible] قلة من الجنود ، وقلة من الأسلحة ، وقلة من الحلفاء ، [illegible]

ثم قال : « أي إذن يا مرشال فرنسا الذي [illegible] وما الذي أحدثه ؟ إن فرنسا وإنجلترا [illegible] سبعين مليون نسمة ، فهل يجوز على مثل هذا العدد القلة والضعف إلا أن هناك حظاً من الإنسان أو خذلاناً من الله ؟

لقد برهن الفرنسيون في معركتهم الخاسرة أنهم جديرون بمكانهم من ثمن المعرفة ونزوع الفطرة . وما غنو إلا الأدب الديمقراطية التي يعتقدون لا تنتكر إلا في السلم ، ولا تنتعش إلا بالعهود والمواثيق والتفريح والتشريف ، وأن الدكتاتورية التي يعادونها لا تنتكر إلا في الحرب ولا تنتعش إلا بالحديد والنار والقسوة والخيانة والكذب

هل أن الله عز وجل فرنسا المرهقة أن تحفظ عليها الشرف إنما عليه أن تخسر المعركة وبقاء الشرف ضمان لبقاء الحرب ، [illegible] تأخذ الزمن يدفع إلى الحياة بالموت ، ويرجع إلى المبادئ التضحية

ونعتقد أن هذا الصلح الذليل الذي طلبه العسكريون حرص من الباقي أما أيهم في حال سيئة [illegible] أما سائر الفرنسيين في القارة وفيما وراء البحر فسيختارون نقية [illegible] يخيرون بينها وبين الذلة

* * *

إن هزيمة المكروه ضربة جديدة لجبروت العلم الفاسد ، والعلم الفاسد هو الذي صدمه الخصيب في مقالك الذي عقب عليه صديقنا الأستاذ العقاد . وهو الذي عناه المستر تشرشل في بيانه بقوله : « إننا إذا انهزمنا سقط العالم كله في عصر من الظلام سيكون أطول العصور وأشدها بفضل العلوم الفاسدة »

وهو العلم أن يضع الإنسان مع شهواته [illegible] شراً خالصاً لا خير فيه

ورحم الله جان جاك روسو فقد أجهد قريحته في التدليل على أن العلم يفسد الإنسان (١) ولو نفس به العمر إلى عهد الحرب لأيقن أن الإنسان هو الذي يفسد العلم

[illegible]

---

(١) Discours sur les sciences et les arts

بيت شعري [illegible] قاله الفرنسي [illegible]

# مدينة النور

## تعاني ظلام الخطوب

### للدكتور زكي مبارك

أمس الأمس سقطت باريس بين أيدي الألمان !

فمن كان يستبعد أن ميد الخيال فليعرف اليوم أن الوجود لا يعرف المستحيل ، ومن كان يرتاب في « يوم القيامة » « يوم الفزع الأكبر » فليتصور الساعة التاريخية التي اعترف فيها الجيش الفرنسي بأن لا مفر من الدفاع عن باريس

ولكن أي جيش ؟

هو جيش صابر على الكروب والقتال سبعة أيام إلى أن لم يبق من حوله غير أشلاء ، وكان مع ذلك يحب أن يقاتل إلى أن يبيد وهو يذود عن باريس ، ولكنه خاف على ذخائرها الغالية فقرر أنها « مدينة مفتوحة » ومضى يواصل قتال الهاجمين المتعسفين في مواضع لا يغلب فيها ولا يحسب

بدأ حصار الفاتحين وسقطت باريس ، باريس صاحبة الفضل على جميع الشعوب بفضل ما علمت الناس أصول الثورة على الظلم والاستبداد

ومن قائل إن باريس هي عاصمة فرنسا الاستعمارية ، فليذكر أنه لم يثر ثائر على الاستبداد في مشرق أو في مغرب إلا وفي روحه جذوة من النار التي أوقدتها باريس الغضبى على استعباد الشعوب

أقول هذا وقد لامني صديق على الترحم لمصير فرنسا في مقال نشرته جريدة الأهرام منذ أسابيع ، وكانت حجته أن فرنسا عسفت في الشرق ما عسفت ، وأنه لا يجوز الحزن على أمة عصفت القوة على الأكثر واستغلال

وهل كنت أجهل عيوب الأمم الاستعمارية حتى يدلني عليها ذلك الصديق ؟

إن الأسد هو الصورة القبيحة للبطش والفتك والافتراس ، ولكن هل يشمت الحر بالأسد حين يراه في مصرع الضيم والاستذلال ؟

ذلك حالي في الترحم لفرنسا الجريحة ، وقد حاربت بلادي مصادرات حتى منع وزير الخارجية الفرنسية أن يعارض في مصير

وسام الأكاديمي سنة ١٩٣١ وهو سر فرنسا قبل اليوم ؟ وما أريد الآن إلا أن يعرف الصديق الغاضب أني لا أقيم بمعزل الغالب وقد ضحيت ذلك الوسام بعد ذلك بجهود في سنة ١٩٣٧ فلم أرد فيه إلا تحية لرجل يصادق حرب صداقة عليه لا أساوم

ومن كان في مثل وطنيتي فهو من الشهامة والنخوة ومن الصدق في الوطنية من أشرف الأذواق

إن العجيب هو الذي يشمت الأقوى حين تزل قدمه ، فليعرف ذلك من عمس الشماتة بمدينة النور ، في حدودها الرواهي أطيب التحيات

وهل أملك إعفاء حسرتي على ما صارت إليه باريس ؟

وهل يستطيع أديب إنساني أن يمحو وجده على مصير تلك المدينة وهو عضو حتى يستطيع أديب مصري أن يحتق لوعته وهو مصيبي ؟

حدثتنا البرقيات أن الجنود الألمان طافوا بشوارع باريس وهي خالية . فأي أديب لا يتفطر قلبه حزناً حين يسمع أن شوارع باريس صبحت القسوة لحظة من زمان ؟

هي لغة من لغات الشعر الشعر الذي يرى كسوف الشمس وخسوف القمر ضرباً من ضروب الزمان

هي وثبة من وثبات الشعر الذي يرى الوجود حين يشاء

فمن كانت عنده بقية من الصبر في مكروه الأيام فليتصبر على تكملة جزاء الأساتذة أصدقائي في باريس ، أصدقاء العهد الجميل يوم كنت طالباً في السوربون ، السوربون التي صارت اليوم حرباً يباباً لا يحرسه بأركانه غير المشتغلين من شعب القلوب

باسم القوة تغزيت باريس ، وذلك جراح وقلق ، فليس في باريس مكان إلا وهو ندي الثرى بالدماء المسفوكة في سبيل الحرية ، والحرية من أسلحة القوة ، والرجل الحر لا يرضى الموت بغير السيف ، وكذلك تستشهد باريس ، فإن استطاع الإنسان أن يخمدوا اللهب الذي يتوقد مرة من « معتدي المجهول » تحت « قوس النصر » فسيد كرون بعد حين أن تلك الدعوة ستقتضب إلى مصير يملك عجائع الأجيال ، ويرد الحب إلى عهدها القديم يوم كانت هي علوم وآداب وفنون ، كما كانت لعهد باريس قبل أن يحوله الغرو إلى أشباح لا تملك مغرب بغير القصف الشنيع

إن أعدت باريس أبواب الحداد في سنة ١٩٤٠ فقد أعدت برلين أبواب الحداد في سنة ١٩١٨ ومغرب قصاص ، وكما

تبدين الفتى يُدللى ومتنا من يحمل السيف فينتصر فى وقائع ويهزم فى وقائع ، فما الحياة على إلا حراك ونضال وقتال

ومن علّ "عن بلاد مطروب يأن لا يصاب فقد غنى "عجزا

وهل كنت باريس عرضت الدعوة إلى الحرب حتى تنكر عواقب الحرب !

فى باريس نتلت من الحافل لتلقاء الرجال الذين كانوا فى مختلف الميادين ، وفى كل خطوة خطوها نؤثر باريس أنه يعانى بأن مدينة النور لا تعرف الحياة فى غير الصراع والصيال ، فه عرفتك يا باريس وأنت صيرت الحرب من شرائع الوجود !

إن قوة الألمان بعض من قوتك يا باريس ، فأنت غرست الحقد فى صدورهم ، وأنت غريتهم على أن يجسوا بك الجواز عشرين سنة يتقوك بأنه موتور لا يتوق عليها غير الولوع فى دماء الرجال

سمعت استطال الألمان يا باريس ، ولا تتهمهم بما عندكن من عظمة وجبروت لما وصلوا فى التسلح إلى الحد الذى يسمح بأن يقهروك على إلقاء المقاليد

وأبنؤك يا باريس سيكونون درسا لأبناء الجيل الجديد ، وهم يرون أن لا قيمة للأمجاد على التدرج ، وأن لا قيمة للتسامح بالفضائل الإنسانية ، فأبناء مرة يعتصمون بنظرهم القديم يوم كانوا من جيوش الغزو قبل أن يصيروا من رجال الوجدان

أم أنسيه العجائب فى الأعوام التى كتبها فى قصور برلين ؟

كان شبان فرنسا فى ذلك العهد يرون الحرب من بقايا الوحشية ، ويتواصون بأن يكونوا أنصار السلام مهما نقلت المقادير ، ثم حصل بعد أن عرفت باريس أن أطفال فرنسا يختلفون عن ذكريات الشجع ، وأن عليهم من ذل أن يرصد جميع أموال الدولة لمنشآت العمرانية والمدنية

وذلك ذنبك يا باريس ، فأنت وثقت باعتدال الموازين قبل أن تستعد فطرة الإنسان الحيوانية للترحيب باعتدال الموازين

ولو كانت باريس غير باريس لعرفت أنها أن فى الدنيا خلائق تعيش بغرائز موروثة من العهود التى سبقت التاريخ

إن الورد يعتصم بالشوك ، فكيف فات باريس أن تعتصم بالسلاح ؟

تلك عبرة سيكبر بها أبناء الجيل الجديد فى باريس يوم تنجلى الغمة بعد أن تضع الحرب أوزارها القتال

وسكن من ؟

إلى انتظار السلام قد يطول ؟

• • •

فى أى العهد والحاضر والتالى يشكر الرجل حين يعرج ليراك يا باريس ؟

أتذكر أن مطابعك كانت تخرج نحو سبعين كتابا فى اليوم الواحد ؟

أيذكر أن مكتباتك مرجع لجميع ما أبدعت العقول الإنسانية فى القديم والحديث ؟

أيذكر أنك صورة الإنسانية ، الصورة التى تمثل ما عند الإنسانية من آراء وأهواء ، وحقائق وأباطيل ؟

أيذكر أنك أرحب ميدان للصراع بين العلم والجهل ، والشك واليقين ؟

أيذكر أن معاهدك العلمية والأدبية والفنية كانت محاريب لأهل العقول والأفكار والأذواق فى أكثر بقاع الأرض ، وأن بولين نفسها لم تنج من الأخطار بسحرك الخطار ؟

أيذكر أن الشهوة الروحية لا تتم إلا لمن يسمع عنها فى ربوعك الوضاح أول مرة ؟

وما أسعد من رآك يا باريس لأول مرة قبل أن يألف مناظر الفردوس ! وهل تخفى السعادة فى يطوف عينيه بمغانيك الفتان ؟

قد ينسى الناس فضلك يا باريس ، إلا محنة واحدة ستبقى فى ذاكرة الدهر

فأصدقاؤك يا باريس لم يكونوا يعرفون الأمن والعافية إلا فى ربوعك الصوامت ، وما تستطيع المطابع فى أى أرض أن تذيع الطعن فى فرنسا كما استطاعت مطابع باريس ؟ وما خُدمت فرنسا فى أى بلد كما خُدمت فى باريس !

لم تكن باريس وطنا خالصا للفرنسيين ، وإنما كانت أوطانا لطوائف من المفكرين والثائرين يفدون إليها من كل فج ويحسون أنهم فى أوطانهم بلا رقيب ولا حسيب

كانت باريس هى الشىء الأعجب لمن تلفظهم حكوماتهم من أصحاب المبادئ والمذاهب ، وكانت مطبعاتها مجالا للثائرين على موروث الأفكار والتقاليد من سائر أبناء الشعوب

كانت باريس هى القلب الذى تراءى فيه صلات الأفكار فى المرونة والعنف

كانت باريس حرباً على أعدائها بفضل تلك الحرية ، ولكنها كانت تنشر الأجواء الرحيبة لكل من يلجأ إليها ، ولو كان من دعاة الهدم والتخريب

كانت باريس تعرف أن نشر الفساد من الأفكار الموروثة لا يحتاج إلى حماية ، فمن مقدور كل مفكر أن يذيع الآراء التقليدية حيث شاء ، وكذلك رأت باريس أن تكون حماية الفكر الحرّ من جميع القيود ، وفي رحابها عرف البائسون المواطن التي صادرتهم عنها أمم من الروس والألمان والطليان

فكيف صبحت اليوم يا باريس ؟ وكيف تصبحين بعد اليوم ؟

أنا أعرف أن جراحك لن تندمل في يوم أو يومين ، والجناية الواحدة من آلام الأحرار تقدَّر بأعوام طوال ، فمتى تكون وقد تبرك بنو الأحرار على أعناق عبيداً للعهد الأسود ؟

في رحابك اليوم شيوخ وأطفال لا يعرفون مصيرهم إلا على تلفُّتات من خوف تلفُّتات ، فمن يُعتق الشمائل الروحية والوجدانية من أوبئة الرعب ؟ ومن يُحقّ الحقائق على الصراحة بعد أن ديست الأعناق الثائرة في عنوة التعصب للرأي الصريح ؟

وهل تصيرين مثل موسكو وروما وبرلين في خضوع الأفكار والتعصب للسلطة العسكرية ؟

أنا لا أخاف أن تموت باريس ، وإنما أخاف على باريس عادية الجمود

إن أبناء باريس حاولوا تحريرها مرات كثيرة بسبب الثورات الحربية ، ولم يُفلحوا ، فكيف يُفلح في تحريرها الأعداء ؟ وهل خُلقت باريس للموت ، وهي أسطع شموس الفكر ؟

أحب أن أعرف ما الذي ستصير إليه باريس بعد اليوم ؟

أحب أن أعرف مصير الحرية الفكرية في هذا الوجود الموبوء بأطماع الفاتحين والظالمين !

لم أتوجّع على باريس لقرابة أو جوار ، وإنما أتوجع على باريس لما بيننا وبينها من أنساب عقلية وروحية ، فإليها يرجع الفضل في تخريج من عرفنا من كبار الأدباء والزعماء ، وتلك وشائج لا يجهلها إلا من ابتلاه الله بوحشة الجحود

سيعرف قوم ماذا صنعوا بالشماتة بمدينة النور ، يوم يعرفون أن لم يبق في الدنيا مكان تُذاع فيه آراء الأحرار بلا خوف ولا إشفاق بعد خمود باريس

لا بدّ للفكر من جنة في مثل صراحة باريس وحرية باريس ، وإلى أين يذهب الفكر وقد طُرد من باريس ؟

إن الفكر هو أعز ما تملك الإنسانية ، وبفضل الفكر الحرّ عرف الإنسان قيمة الوجود

لا بدّ لعالم الفكر من باريس ولو رُفعت فوق حصونها راية الصليب المعقوف

وهل انطفأت أنوار أثينا الفكرية بعد أن قهرها الرومان ؟

وهل انطفأت أنوار بغداد الفكرية بعد أن غزاها التتار الهمجيون ؟

وهل استطاع الذين حاربوا القاهرة في أيام الصليبيين أن يحجبوا أنوارها عن الشرق ؟

المدن الفكرية لا تموت ، وكيف يموت الفكر وهو أطول عمراً من الزمان ؟

* * *

أما بعد ، فهذه كلمة أوحاها قلبٌ يتوجع لأحزان باريس ، وعلى أسماء الأماجد من أمثال موليير وفولتير وشاتوبريان وهوجو ورينان وموسيه وبرجسون ولالاند وسنيوبوس ، وعلى المكاتب التي كنت أقضي فيها سهراتي بالليل حين كان يُعوزني المال لشهود السهرات في مسارح اللهو والمجون

وهي في الحقيقة تحية للمدينة التي صرفت فيها أطيب الأعوام من شبابي ، والمدينة التي أوحت إليّ بكتاب « ذكريات باريس » !

فإن يرجع الأيام بعد الذي مضى
عن الآمال صفواً مثل صفوي وتماديا
شهدتُ بأعماق الثرى بعد عهده
صبابات أيامي جليها لم تقطّع

وستلقاك يا باريس ولو بعد حين وقد طيّب الزمان جراحك الدامية !

كيف الحال في السوربون يا باريس ؟

وكيف الحال في الشانزليزيه ؟

وكيف الحال في فرساي وقد قيل فيه ما قيل ؟

وكيف الحال في دار المكتبة الأهلية ؟

وكيف حال الساهرين على شواطئ السين ، إن بقي لساهر مجالٌ على شواطئ السين ؟

وكيف حال اللاهين واللاهيات بين القصر الكبير والقصر الصغير في الطريق إلى ميدان الأتوال ؟

حركات الإصلاح الإسلامية

# ٤ ـ أزمة إسلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر

أما حركة التجديد الإسلامية بمصر فقد صدرت عن عوامل وأسباب أخرى غير التي ذكرناها من حركة الهند ، وإن كانت قد سلكت نفس الطريق ، وجاءت بنتائج متشابهة . ونحن لا نستطيع أن نجزم بأن الحركة الهندية كان لها أثر في حركة الإصلاح المصرية ، وإنما تصفحنا كثيراً من رسائل وكتب فلم نجد بينهما أي ارتباط ، ويظهر لنا واضحاً الفرق بينهما إذا عرفت أن الروح التي سادت الحركة الهندية كانت « روحاً عقلية » جاءت من التفكير والنظر الذي كان نتيجة اتصال الإسلام بالحضارة الأوربية ، ومفهوم الإسلامية كانت تحت تأثير أوربي ، أما الناحية الدينية عندهم فكانت أمراً ثانوياً . والحركة المصرية كانت على الضد من هذا ، حركة دينية نابعة من تفكير ونظر ديني ، وسلكت طريق الإصلاح مستقلة عن أي نفوذ أجنبي ، فهي عندما ترفض أحياناً أو تدعو أحياناً ، ترجع في أساس أمرها « مسايرة التمدن والمدنية » بل لأنها أساسية للإسلام « مطابقة للقرآن والسنة الصحيحة » وكأن المنبع القاصر على الحديث كانت ترد على أساس من عموم النقد الإسلامي في الجرح والتعديل . وهي تهتم من ناحية أخرى بعقلية الإنسان كمسلم وكمشرقي ، وتكره التقليد الأعمى للأقدمين ، وعصر من أمورها مرتبطة جد الارتباط بـ « الثقافة العربية الإسلامية »

وهنا في مصر حيث يقوم منذ قرون جامع الأزهر ، هذا المركز الديني لتعليم العلوم الإسلامية ، والذي كان يسير على طريقة مدرسية جامدة ، ترتبط حركة الإصلاح باسم الإمام محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني الذي أشرنا إليه سابقاً [1]

ولقد كان محمد عبده من طلاب الأزهر ومن علماء الدين ، ثم صادفته أزمات روحية طويلة حتى عرف جمال الدين أثناء مقامه بمصر فرسم له الطريق الذي سار عليه فيما بعد ، وسلك وسط نزاع ومنازعات داخلية وخارجية انتهت به — مع الارتباط بالحركة العرابية — إلى النفي من مصر ، وبعد ذلك وصل إلى مركز الإفتاء ونال احتراماً عاماً ونفوذاً كبيراً ، وكان ولا يزال موضع معارضة قاسية من جماعة المتزمتين الجامدين

ولكن مع أن كل ما انتهى إليه قد صبغ الإصلاح بمصر بلون خاص — مع العلم بأنه كان ضد النفوذ الغربي — فإن الاسم الذي أطلقه عليه جولدتسيهر بأنه « ذو ثقافة وهابية » أقرب الأسماء إليه وأولاها به . فإن علينا أن نقرر أن هذا العامل هو الذي يصور لنا إصلاحات محمد عبده الدينية التي لا ارتباط بينها وبين الحركة الهندية . ولكن ما أسماه جولدتسيهر « ثقافة وهابية » ليس معناه أن هذه النهضة قد جاءت مباشرة من الوهابيين . وإنما غرضه التفريق بين حركة الثقافة في الهند وحركة المصرية التي تسودها العوامل الدينية ، ومع هذا فلا ينكر الدارس الأثر الذي لا شك في كونه أثراً جاء من التربية الغالبة

(١) راجع في الأساس في حركة المصرية : Goldziher, Die Richtungen der islamischen Koranauslegung, S. 320 ff. وراجع أيضاً عن حياة محمد عبده وأعماله مقدمة Muhammad Abduh, Rissalat al Tawhid. Exposé de la religion musulmane. trad. par B. Michel et Moustapha Abdel Razik. Paris. 1925

---

وأين مواكب الصباء والرعد في صحائف الفيحاء ؟

وأين سحر البدوات والواعت في الصحن والأصيل حول غزلان السهرتين ؟

وأين صباح الأحد في منحدر الوادي وعصر الأحد في حديقة الفسطاط ؟

وأين الصوت On ferme ليرجع العشاق إلى مخادعهم بعد العبث بأزهار البساتين ؟

وأين ؟ وأين ؟ وأين ؟

هي دنيا ذهبت من بين أيدينا بعض ما ذهب ، بعد فراقك الأليم يا أصدق صديق بعد القاهرة وبغداد وسنتريس ، وإذا كنت تسأل عن أكثر ما نظمت من قصائد وما نشرت من مؤلفات ، فاعلم أن ذلك لوطن الخيال ونيل التي كانت دارة ميلاد عبقري ، ووطن الكرالبيج مثل قرانس ومدرسة الكتاب العربية والسوربون ، ووطن الصديق الحليم مثل كوبين أقدم إليك أصدق التحيات

وأنا واثق بصوتك الأعظم من الخلود زكي مبارك

وكان لنشأة حركة مدرسة الإمام محمد عبده عقب الثورة التي يحمل رايتها رشيد رضا السوري التي أصبحت تنازع في الإصلاح التقليد على المذاهب وتقليدها وتطالب بالاجتهاد على أساس القرآن والسنة. فقد رأت هذه المدرسة، مثل مدرسة الوهابية، أن الإسلام دين على موافق لكل الشعوب وكل العصور، متمش مع طبيعة الحياة، ولكن على شرط ألا يأخذ بمذهب واحد من المذاهب، بل يجب الرجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة، حتى نرى مثل الإمام الغزالي الذي صرح بهذه الفكرة منذ ثمانية قرون أن الفقه الشرعي الحالة التي طغت على الإسلام، إنما هو في جمود المذاهب الأربعة وتعصب المذهب وحده؛ تلك المذاهب المتداولة، وما فيها من تكرار عقيم، ومماحكات غير لفظية، وما تلاها من كتب المتأخرين، ليست من الإسلام والدين، وإنما ذلك في القرآن والسنة. وأغلب ما في هذه المذاهب إنما يقوم على الاستدلال فروع جزئية تتغير بتغير البلاد والأوقات وتخضع لتغير تماماً الملابسات الاجتماعية، ومثل هذا لا يصح أن يستمسك به في صورة ثابتة شكل ومن غير قابل للأخذ والرد. وكان من أثر هذه المذاهب الاختلافات التي حدثت في الإسلام مما وقف ارتقاءه. وهكذا رفضت هذه المدرسة أساس المذاهب الفقهية القائم على (اختلاف أمتي رحمة)، وقالت: إن الأمر بالعكس، وطعنت في صحة هذا الحديث الذي يخالف آيات كثيرة من القرآن. وقالت أيضاً إن الوحدة والقوة إنما تكون بالرجوع إلى القرآن والسنة وحدهما حيث تراعي الشريعة الحياة في كل وقت وكل حال، وبهذا يمكن أن نرجع بالإسلام إلى حالة القوة والشباب (١).

كما رأت هذه المدرسة أن باب الاجتهاد لم يغلق بل إنه مفتوح على مصراعيه لبحث كل المسائل الطارئة، وليس الحكم فيه خاضعاً لحرفية النصوص، بل يجب اعتبار مصلحة العالم الإسلامي أولاً وقبل كل شيء، وليس الشرع محصوراً في جمود كتب المذهبية، فإذا ما قام الفقه على هذين الأساسين الاجتهاد والمصلحة، فإنه يكون صالحاً لكل زمان ومكان، وقابلاً لما تقتضيه الضرورة من أمور تدعو إليها المصلحة وموافقة العصر. وحينئذ يمكن الرد على الذين يزعمون أن الفقه الإسلامي إنما هو قانون خاص بمكان خاص، وليس صالحاً لكل الشعوب وفي كل الأوقات.

وعلى أن الإمام محمد عبده كانت له شخصية مستقلة متميزة لأنه كان من مدرسة صوفية، قبل الإصلاح الإسلامي المعتزل — مخالفاً في هذا الحركة الوهابية — يمتاز بأساس من الأدب والفلسفة ويرى حرية من الفتوى، ولما كان يسود الاعتقاد بسمو العقل ورفعته، جاء الاقتناع القوي بأن العقل والنقل عند الفهم الصحيح أصلان لا يختلفان، وعلى هذا الأساس لم يرفض محمد عبده الأخذ مع الحرية الكاملة بالإصلاح الديني.

حتى إنه لا يمكن أن يحكم أنه عندما يحدث في بعض الأحيان خلاف بين العقل والسنة فإنه يجب الأخذ بالأول، بل إنه يرى أنه في هذا يجب مراعاة حالة الأمة والظروف، مقدماً ذلك على ظاهر النص. أما ما كتب الفقهاء فقد رفض شيئه من محمد عبده ومدرسته، ووضع بدلاً من ذلك القديم فقهاً جديداً مأخوذاً من الاجتهاد في الأصول موافقاً للعلاقات الحاضرة. ومن هذه الطريق صارت هذه المدرسة — مثل الوهابية المتعصبة على أي بدعة — في رفض الخرافات والبدع، ويمكن في الوقت نفسه — متمشية في تلك الفروع — حاولت إدخال التوفيق الثقافي والأعمال العقلية في الفقه، مع اقتناع عميق بأن صحة الإسلام الصحيح التي لم يعرفها عصر الإمام بعينه، لا يشكل حركات التقدم والتطور.

ومن هنا نرى أن كلتا الحركتين الوهابية والعصرية تتجهان تقريباً نحو غاية واحدة، وهي أن الإسلام عند الرجوع به إلى شكله الأصيل، وعند الأخذ بروحه ولبه، وبعد أن ينقى من الأدران التي لصقت به، ومن جمود العصور الغابرة، لا شك أنه يصبح موافقاً لمتطلبات الحياة العصرية. وإذا ما تأملنا قليلاً فإننا نجد أن الطريق الذي يمكن أن يسلكه الإصلاح الديني من الحركتين سواء.

إلى هنا يقف الأستاذ عثمان في تاريخه للحركة الإسلامية في مصر والحكم عليه ولم يتناول بعد الحركة التي تليها وشخصيتها القوية الجبارة، وأسلوب الخاص العجيب. وهو ما سنتناوله تفصيلاً وشيكاً على هذه الرسالة آخر الأمر.

علي حسن عبد القادر

(١) المنار ج ١٣ ص ٣٦ و ٦٠ و ج ١٤ ص ٨٧٦ و ج ١٢ ص ٢٣٩ و ج ٥ ص ٦٧٤

# إلى أين . . . ؟

## للأستاذ محمود محمد شاكر

[ ... ]

أخذ صاحبي كأس الماء في يده وجعل يرشفها ببصره رشفاً جديداً يلمع لمعاً تحت حواشي الليل ، فمكثت أرى وهج عينيه يكاد يتطاير تطاير الشرر بينها وبين الكأس ، وأدام نظره طويلاً إلى الماء وهو يمر شيئاً بعد شيء ويسكن ، فكأنى به كان يمتص نظراته المتلهبة في برد الماء ، ويتبرد من رقة العاطفة التي تضطرم في داخله ، وبعد فترة صب من كأسه في الظمآن يستعر على كبده العطشى ، ثم مرح موجه إلى ، وقد ورد وجهه ، أو هكذا تخيلت ، ثم قال :

آه ... ! ما كان أيسر ذلك الأعرابي الغريب الذي عطش وسل عن الماء في بيدائه ، فلم يرو به السير فأفضى إلى شر هيئة هاوية قد بعد دروه ، أيبعد أن يقرب بطوه من بعض مائها حتى يلغ به وكاد يهلك مغرور الماء ، وبعد لأى ما استطاع أن يمرج من مائها ما يرويه ، حتى إذا شرب وارتوى وأطفأ غلة الظماء ، جعل ذلك الماء بين يديه ينظر إليها ويضحها كأنها بقي من ماء فيه يرقصه ويلاعبه ويقول :

أيّ ولاء نهل ولاء !! فاتني وطوتها حياتي !!

كأنها قلتْ من القلات

فانظر كيف يمرح الرجل بالرحم حين غلظ مخلص موت ! إنه يحبه ، ويعرض عنه ، ويرق له ، ويحدثه دلالاً كأنه طفل يلاعبه ويناغيه ، وما ذلك إلا أنها أداة يجمعهما بماء بها الثقة التي يورثها حر الظمأ ، أو هو نفعهما في ضعف البيداء المجدبة القاحلة ، فقد صب القدر في الحياة ، ومع كل ذلك فما هي إلا أدوم أصم ، وأداة لا حي يرى به ، ويكن كل الخير من قوة الساعد التي تمتد في رهاء يتطوح بين أرجائه الخير

ما أيقنه من أعرابي ، ولولا غلبة من هو إلى المرأة ؟

« فاتني وطوتها حياتي ... »

أيها المرء ، يا سيدي ، من وضعها التي تستطيع أن تكون القادحة الحية في وقت واحد . إن كل ما بها هو حياة وهم ، وكل ما يكون منها ... إذا أرادت ... هو سبب من أسباب سعادتك في الحياة سبباً جبراً لا رحمة معه ولا هوادة فيه

إن المرأة المحبوبة هي النبع الصافي العذب الذي يرى المحب الصادي في كل قطرة منه حياة تتلألأ في روحه الظمأى ، فإن أرسلت هذه المحبوبة في فمه قطرة واحدة من مائها ... أي من حبها ... أطفأت هذه الواحدة كل النيران المتأججة التي تلتهب في عروق حياته ، فإذا منعت عنه مورداً حتى كل أفكاره وأحلامه وآماله تتعطش من الحياة ما تورثه به تلك النار المتقدة التي لا تشبع ما أسقيتها في شيء إلا التهمته وظلت أشد وقوداً ، وعند ذلك تتحول الحياة فيه إلى خور بينه ، أو إلى صاعقة محترقة كما يتعرض الزهد الرغم الخاضع تطير به في كل وجه حتى يتفرق .

ثم سكت صاحبي ... وخيل إليّ أن غمامة سوداء داجية من ذكرى أحزانه وآلامه ، قد أظلت عليه وبسطت أعنابها ، فهو يرفع يديه إلى جبهته ، ثم يمرها إلى ناصيته ، إلى يفوخه يمسح فيه ، ويتقصى خلال ذلك أنفاساً حرى يتنزعها انتزاعاً من أقصى منابع الحياة في قرارة نفسه ... ما أقسى الذكرى إذا سرت في القلب يطأطئها عطر ومر ، وتعيش بناء الأيام الماضية إلى جوار هذا الجسم بريح وشوق حتى تملأ الجو النفسي بما يسحر ويحنق من رائحته ، وما أصعب الرجل بالرجل أصعب الذكرى تلح عليه إلحاح الكبرياء ، وتتحدى الإنسانية والرجولة بأوهن الفكر الذكرى ... هذا شيء عجيب مرعج ، إنها الشبح الذي يخرج من بين القبور المهجورة التي تناثرت فيها أشلاؤه الموت ، إنها تملأ بالرعب ، حينا أتت الذي ذكرى حبيبه ، فهناك شبح هائل يملأه بالرعب والحنين معاً

أقول لنفسي ، أيها الصديق التائه ... ألا تعرف طريقك إلى النسيان ؟ ألست تلعب في مقبرة أفكارك عاقاً تتراءى وتظلم ؟ لماذا لا تحاول أن تسحر من الحياة التي سحرت منك ؟ لماذا أنت هكذا أيها الصديق ؟ وتعب أحلوب الخاصر من أفكاري فيه ، حتى شغلت به عنه . ثم جاءني صوته من بعيد كأنه كان يتكلم في بعض أحلامي تحت النوم

اسمع ... ! اسمع يا صديقي ! لقد كنت أفكر في بعض ما تقلق من علم صديق قبل . لقد سارقني وسارقت نفسك ؛ أهكذا يستحل الرجل ؟ آه إني لا أستطيع أن أمنح لك قوة ومساً جديداً حتى أعيد لك من كل ما فيه من حوائج النفس

الأنانية حين يضطرب فيهم ظفر هو بها على عصابتها وعواطفها ، ثم تنشعب فتنتشر فتتسلل تسلل الجيش الهارب في هدم صفوف العدو وتفريقها وبعثرة قواها المتشتتة فلقاء المنتصر البنيان المرصوص يشد بعضه على بعض

نعم .. لن أستطيع ذلك ، ولكني صاحبك الله بعض الصفة ولتتصور أنت كيف يصل ذلك في هدم الرجل ويسرع في تحطيم رجولته أمام أنوثة طاغية تتحدى وتأخذ سلاحها التي تتحدى به من رجولة مواطف الحب التي يرى أن ساوت القلبين طلب ، وسياق النفس إلى النفس الأخرى ، هو تحطيم رجولته وتمام أنوثتها

كان لقاؤهما تجديداً حيوياً في قديم نفسه ... لقد استطاعت هذه الساحرة الجميلة الفتانة — كما وصف لك — أن تمحو ماضيه كله ، وأن ترى شُعب أيامه الماضية التي كان الشقاء يكتب فيها لوحته الأولى . صرفت هذه الساحرة تلك الصحف ، وألقت بها في النار التي أشعلتها في قلبه بالحب . بدأ يحيا بها وسحرها حياة رائعة فائضة من أحلام الحب ، وصلت هي ... وجعلت هي آمال سعيد أعداء كثيرة ، إن ذكرى ذلك كله تؤلمني

إنها سعادة ... ضحية شقي بطل الشباب السعيد يجمع سحراً ساحراً ... يتحير في ترنمه بالقلم ... كيف أستطيع أن أتولى لك الآن ما الذي كانت هي تفعل ؟ وماذا أمور لك ؟ آه ... إن أنوثتها ، بل رقتها ، بل حنانها ، بل دعمها ، بل إخلاصها ، بل حبها ... كيف يكون هذا ؟ بل ذلك الصوت الناعم الرقيق الذليل صوت الحنين للحبيب — صوت القدر الآتي من بعيد بأفراح السعادة — صوتها — صوتي — ذلك الصوت الذي هو شبيه بالحان المحبوب والسرى ويمرح في كل غيب من غيوب نفسه المتراحمة .

إن كل هذه العواطف التي يرسلها إليه صوت وهي تتكلم كانت تسبغ عليه حنانها ، حتى يجد الأمواج النفسية تتناوله في فرح بعد فرح ، ومن سعادة إلى سعادة ، ومن حلم إلى حلم ؛ كأنه ماض إلى جنة الخلد في زورق من الفتنة الطاهرة الجميلة ، تعصف به فلا يشكو حتى تقذفه كأنه الهدى والمورد ... إنه صوت يسمو بروحه إلى ذلك الجو الذي يعطره النبيل ، ويغشاه الحب ، ويهبه ظلاله ، ويبسطه هي بيدها المشرقة ، ويسبح فيه السحرى أشتاتاً حرة تهيم وتتعانق

جعلت أرجاء نفسها يجهل نظرها الخاصة للفرحة ، ويجعل يتحدث عنها حيث أرادت ، ويجعل في سعيه على أيامها جديداً هنيئاً يملأ روحه قوة وشباباً وعيشاً ، ويمس الحياة بسحرها وظلها يخر به في إلقاء بتجربة أنوثتها تلك . وقد أرسلت إليه أرسلت في هذه الحياة الجديدة ، الحياة التي تمحو ذكراه في أحياء الدنيا ، وتستغرق إلى فرص سلطانه على هذه الأشياء ، وكانت هي شيء ينبهه في كل يوم بل في كل ساعة وبما علته من فيها النبع الذي يعبر عن تجربة صبيراً حيناً كنزهة أو سياحة ، فانطلق في عيشه وفي قلبه ينابيع متفجرة من الأحلام الرقيقة والأماني الطائرة ، تلك الأماني التي تخفق بانقاً على كله بأفانين النصر

تلاشت حياته الحائرة بأحلام الشباب ، و بحسب الفترة الذهبية لرغبته ، فهو ينظر ثم يندفع إلى أمانيه وبعد أن تخطى عطفه من السنين الماضية سرح السعيد المنشرد ، قبل أن تسعده إليه أسباب الشقاء ، والألم والحرمان فتقصيه عنه وتقصيه ... إنه يريد أن يظفر بسعادته يتمتع بالحياة بعض المتاع ، ولكن ياسعد بل ... إن هذه الغريزة المتمكنة في الإنسان وفي أحلامه — غريزة الحب الملحة — هي التي تذهب بالإنسان في تصور مصحباً بعيداً أنها هي التي تجعل الحياة لمن كل شيء ، ولكنها هي هي نفسها التي تنمي الحب فلا يمر ذلك الصوت الساحر الذي تضرب له أعصابه وأحست أيامها ، فلا يزال — إلا أن يمر بك — يتهاوى فيها ما انفتح له إليه هواه

ولكن كيف كان يملك صاحبي إرادته في الحصر ؟ إنها كانت مسلوبة أيضاً — وهو لا يستطيع أن يحركها — على أن يبقى حبيس أحلامه وفي قلبه ... ثم إن نفس صاحبي كان يمضي متلالئاً كأن أمواج شبابها تتلاطم به وتزخر ... شباب امرأة جميلة متكبرة معجبة ، شباب أنثى تحب ، وتريد أن يبقى أمامها صبيه يهيم في أودية السحر ومن حب . ومع ذلك فقد كان يجد لما يلقاه منها فرحاً في نفسه ، ونشوة في روحه ، وعربدة في دمه ، كان كالسكران منها لا يستطيع شيئاً ولا يملك إلا أن يخضع لذلك السلطان الرائع الظافر الموسوم ، السلطان المهيب الذي يقبض على روح الحب بعنف طاغ من روح من يحب

وعلى ذلك ظل هذا الرجل المسكين — على ضعفه وصلابته ورجولته — لم يجد بداً من أن يسلم لها قياد عواطفه التي تسير به إلى النفس الرحيمة الساحرة ... كيف يخدم الرجل الضعيف

— هو ما اصطنعت والترى — امرأة منعمة بحبها ، وهو يحسب روحه في روحها ! استسلم لها ، ولكنه كان يشعر بعد هذا الاستسلام أن ليس في هذه الدنيا شيء يستطيع أن يثور إرادته ، أو أن يحول بينه وبين ما يرى إليه من أغراضه وإن بعدت . كان يعتقد في قرارة نفسه أنه مستطيع إذن أن يخضع الأشياء كلها لسلطانه . ما أعجب هذا الحب ! أرأيت إلى ذلك الصرح الذي العجيب الشكل من الطين الإنساني في صاحبي ذلك ؟! لقد كان يُرى وهو يقف عند الساحرة أمامه ويرى خلفاً متحركاً كأنه يهودي مشوه تكور في خربة موحشة !

ولكن لا تحسبنّ هذا الرجل في حبه حديثاً ؛ فهناك صورة أخرى من الكبرياء المأسورة في صدر امرأة تحبه . إن إحساسه بحبه قد كان ضرباً من فن الروح المتخيلة . ثم يكن يراها امرأة مجردة يحبها بحرارة القلب الملتهب بالرقة أو بالحب . كلا ، كلا ، لقد كان يجسده أحياناً في أوهام عواطفه وحدّها ، وهو يجد من أنوثتها الموهوبة التي تمثلها في قلبها تلك العاطفة الرقيقة اللينة من الحنو والعطف . وهو يراها مرة أختاً يحس في مس يديها ، وفي سراب صوتها ، تلك العاطفة الساكنة ذات الأهواء والظلال ، عاطفة الأخت التي تسعى في سبيل أخيها المنكوب ، ثم يرى منها إحساسه بها مرة أماً يشد أزره إذا انطلقت عنه حتى العنت وشدائد الحياة . ثم إذا هي تارة أخرى روح من الأرواح السعيدة الحارسة للعصمة النبيلة ، لا تزال تجد الرجل مهما أصابه الدهر وتمنع ذلك العامل العابث الشرير الطائش

وهي مع ذلك كله الصديق الذي يحامي عنه إذا صادمت عليه الدنيا بأسرها ، الصديق الذي سبق صداقته سعى عليه بعرضه وزهده . أخرى بعد إلى أن تنتهي به هذه الأطوار المختلفة من إحساسه بها ! لقد يحس في بعض ساعاته معها أن لها أصابع ، وهو كلما يحس بين يديها يأخذ منها روائح الحكمة ، ويسألها عن سر الأشياء العجيب الغريب ، ويلقي عندها كل أفكاره المتعبة في الحياة ، ويحس عنده حكمتها طائفة حول ما عنده ، وأن تتم أفكاره تلك الشعور الفلسفي الذي تسنده الحكمة الساكنة على معانيها وحقائقها

ثم سكن صاحبي وخنقته عبرة الحديث إذ طاول به ومعه وبكاه ما لبث أن أقبل عليّ يقول :

أنظر ! أنظر الآن كيف يتحول الرجل عبداً ذليلاً بين عواطفه وهي تثور وتتكور بأمواجها في أعجب المخلوقات ، ثم إذا هي تطير بين أحلامه ولكن من عنفها السحري ، وإذا هو متحيّر لا يدري كيف كان هذا ؟ ولِمَ ؟ ومن أين ؟ وإلى أين ؟

إنها لعجب ! وترى الدنيا التي أنشأتها له مشرقة زاهية ، ناضرة فإذا هي خفقاً ومحو وتبديل . لأن قوة رجولته قد ذهبت جانباً منه تحت قبور الذكرى ، فكيف لا يتحمل الرجل ؟ كيف لا يتحمل ؟!

[illegible]

صدر حديثاً كتاب

من الأدب الفرنسي
قصائد وأقاصيص
لأمراء الشعر والنثر
[illegible]
ترجمة
أحمد حسن الزيات

يقع في ... صفحة وثمنه ... قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكاتب الشهيرة

# كنت على وشك أن أتزوج

## للأستاذ توفيق الحكيم

[ في هذا الأسبوع أخرج صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم كتابه ( حمار الحكيم ) ، وهو كتاب قصصي طريف ، أسلم أمره من جهتي موضوع القلم وأتاه حسه الدقيق ( ... ) ، ثم أدار فيه الحديث على الغالب مع شريكه الحمار على أن يجمع فيها صورًا مصرية ، ثم تناول الحديث وتعمد فيه تناول الأدب والفن والمرأة والزواج بأسلوبه الشائق الطلق . وإنا ننقل فصلاً قيماً من هذا الكتاب يصور قطعة حية من حياة الكاتب ]

رفع صاحبي رأسه والتفت إليّ فجأة قائلاً :

— ألم يخطر ببالك أن تتزوج ؟

قلت وأنا أحاول التذكر

— نعم ، كنت موشكاً على الزواج منذ عشر سنوات ...

سكت

ثم كررت بفكري راجعاً إلى تلك العهد وابتسمت ، فقد مرت برأسي صورة ما حدث وما بي عنّي من أمري في ذلك الأمر

كنت ذات عصر ، أركب عربة يجرها حصانان ، وإلى جانبي أحد أصدقائي ... ، فرأينا السائق يهوي بسوطه على أحد الجوادين ، فمال من الألم على شريكه كأنه يشكو إليه ، والتقى رأسا الجوادين كأنهما يتساران ، فجعلنا نتحدث في ذلك ونقول إن حركة الجياد كذلك لا يهون من أوجاعها غير أن يربط إليها شريكان يتبادلان مجلاها ويتجرع أحدهما الألم كلما سقط عليه القدر سوطاً من سياطه . ثم عدنا : من يدري ؟ لعل هذا سر ذلك المنظر الذي نراه في بعض المدن على عربة يشتغل مركبة ذات جواد واحد . ثم مضينا في الاستطراد حتى قلنا : ووصلنا لا يسري الخطر على مركبة الحياة ! وعند ذلك اتجه الكلام إليّ ، وصارحني من من بأن مركبة حياتي لا ينبغي بعد اليوم أن أتركها يجرها جواد ... بأنها قد تحمل فوق ما أطيق ، وأنا وحدي ... الأطوار قد أسير بها سيراً غير مأمون فأنحبط

مثل ما في طرقات غير معبدة لا أعمل ... لكن من يدري لعل ... فأصطدم سائق في الأوحال ... حتى أظل ... مركبة بلا ... ، أركض بها على غير هدى ... في ... واشتد الأمر ... ذلك ... :

— لا بد من زواجك

فقلت له :

— في الحالة الحاضرة — ولكن متى ...

فقاطعني صائحاً

— اتركه لي المسألة

ولم يمض شهر حتى وجدت ذلك الشخص الكريم قد جاءني يومًا في يده صورة فتوغرافية لفتاة طريقة وقال لي :

— أعجبتك !

فتأملت الصورة مليًا ثم قلت :

— من أي وجه ؟

فصاح بي

— أتظل مترددًا لا أدري لماذا ... إن كان شكلها مناسب ؟

— مناسب ..

— إذن ...

ثم مد يده إلي وقال

وصورتك ... آخر صورة لك

— الصورة الوحيدة الموجودة عندي هي صورة جواز السفر

— ما تنفعش أمر بنا نعمل لك صورة ، جواز ؟ قاعد ؟

وسحبني من يدي ، وذهب بي إلى محل « مصور فتوغرافي » معروف ، فوضعني ذلك المصور أمام لوحة من القماش تمثل سحابة سوداء ، وأراد أن يزحزح من يدي العصا ، فهمس هذا في أذني « لا داعي » فرجعت قد أتى به ، فأثبت ذلك عليه ، فرد على مسامعي ونظر من ... ، فصاح بي المصور

— مو واقف على إيه ؟

فقال المصور

— على سعر

فصاح به :

— دية مناسبة السعر والمسارح ؟ اجعل وقفته في جوهة

---

[illegible] — ٢٤ صفحة ١٠٠ مليم

وحط الورد حواليه، ورفع الستارة الزرقاء من جنبيه وانتصب بعدها خيمة ياسمين أو مكعبة عنب! بالاختصار منظر مطرحة —

ثم مال على المصور، وهمس في أذنه كلاماً

فهلل وجه المصور وقال:

— ثبت الطلب

ثم أسرع فأحضر ستائر حمراء وستائر خضراء، وأصص أزهار ورياحين وهو يقول

— إن شاء الله أطلعه ملك البحر في جلده!

فأردت أن أظهر عجبي لهذه المعجزة إذا تمت، فأسكتني وأوقفني بين المناظر الزرقاء والخضراء الزاهية — ودخل هو في شيء يشبه «البطانية» السوداء يغطي جهاز تصويره، ولبث فيه لحظة ثم خرج يصيح.

واحد — إثنين — ثلاثة — مبروك

ثم انكمش وأقبل على المصور يوصيه.

الصورة تكون طيبة — إلا مسألة «رتوش»

لا شعرت إلا والعبوس شأني قد انتزعني انتزاعاً من بين يديه ودفعني بعيداً، وأقبل على المصور يقول له:

— إياك أن تسمع كلامه!

ثم التفت إليّ قائلاً:

— هل تدري لماذا يقول المصور لك ما يمس «رتوش»؟ مصوراً لحضرتك!

قلت:

— على كل حال لا بد من كوني أطلع على «البروفة» قبل كل شيء

فقال المصور: إن تجارب الصورة يمكن الاطلاع عليها في صباح اليوم التالي ... فتواعدنا على أن نعود إليه في الغد ... ومضى النهار، وجاء الغد، فانطلقت بعريس إلى حانوت المصور أطلع معه على تجارب الصورة، فعرضها عليّ، فتأملت وجهي فيها، فلاحظت أن عيني غير متساويتين في الطول، وأن شاربي أقصر من شاربه، فتباحثنا في علاج ذلك، وقلت له: إن «الرتوش» الرهيب التي أنتم بها في أيديكم يمتد إلى الشارب القصير فيطيله حتى يساوي أخاه ... وانصرفت وانصرف العريس، ونحن بعد ذلك

الحلم بتمامه، فتصعدت عليه ما حدث من أمر الشارب، فلم ير أمامي إلا قوله إنه سر هو الآخر بحانوت المصور حضرة العريس الذي أعلن عن مسألة الشوارب، أمر المصور أن يزيلهما كليهما ويكون الوسيم التمثال ... فلما سمعت منه ذلك حتى صعب في وجهه:

— يزيلها كلها؟

— وما المانع؟

أنا بشواربي تصويري من غير شواربي، هذا الشيء الذي يزور ومن لا يصح الله له وجوداً في كمالة!

— هو الزور لا بد أن يكون في كمالات

ثم عرض حضرتك أن من العروسة يجوز تصح عروس «يسحب ...»

— عموم نلفاً النقش

— وأنت تعلم أن صورة العروسة خالية من النقش؟

شيء عجيب!

— مؤكد شيء مفهوم مقدماً ... في المستقبل يصح لك أن ما عندنا أقل ... حلوه ...

قلت من فوري:

— الحمد لله الطف بي. إذا كان عرو «التشكيل» وضعناه على هذا الأساس، يبقى «الموضوع» ...

فقاطعني

— لا — «الموضوع» مضمون أربعة وعشرين قيراط، ... معروفة ومجرباتنا صحيحة، وأنت حافظك الثانية واضحة.

ما كل قصدكم من «الموضوع»؟

طبعاً ... شيء مبرور!

لم ألق صبراً، فكنت دون أن أحتم حتى مشكلة الشوارب ودهشت، وقد ثبت عن فكرة الزواج إلى اليوم ... ولم يعد شبحها يظهر إلا مقترناً به كرى هذا المصور بيده وأصابعه كأنها حسبه، فكانت فكرة تقضي من فوري من ... في التفكير ... الشر لا الشبه ... على السير ... في طريق الحياة الشاقة الطويلة ... في أعين الأحيان على هذه الصور ... وإذا صلحت هذه الطريقة لكثير من الناس فهل يصح لشخص مثلي قد تأثر حياته الفكرية ونتائجه العقلي

إلى حد كبير بشخصية الشريك. لذلك آثرت السلامة وأعرضت عن المناصفة، خشية الوقوع في غلطة تقضي على الحياة كلها.

ورجعت إلى وحدتي — تلك الوحدة الباردة التي تحيط بي من كل جانب، فإذا أنا في الحقيقة لست سوى كوخ مظلم وسط صحراء من الجليد، وضعت فيه يد المصادفة إناء يغلي ويتصاعد منه بخار، هو تلك الأفكار التي تخرج من نافذتي إلى حيث تصل أحياناً إلى جموع الناس. فإذا دخلت أرجاء هذا الكوخ فمن يصحح لي ما سوف تلقيه في صفحة الإناء وما يتساقط من حوله بعد ذلك!...

ألفيت حياتي مختلفة، كأنها ليس لي مكان معروف ولا عنوان دائم. فما تركت شيئاً لم أره، ولا رأياً لم أعرفه، حتى ضجرت ذات يوم وتبرمت بهذه الحال واستنكفت أن أعيش هكذا كما تعيش الفكرة الضائعة والروح الحائرة... فأردت أن أجرب الحياة المستقرة في مسكن ثابت اخترته في بقعة جميلة من بقاع القاهرة — يشرف على النيل، ويرى من نوافذه القبة والأهرام، وأحضرت فيه مكتباً أنيقاً ورفوفاً للكتب، واقتنيت سيارة، وأثثت حجرتي، وحولي خدم وطاه وسائق...

فماذا حدث؟ لم أحتمل الحياة فيه طويلاً. فقد كان الخدم الثلاثة يعبثون بالبقية الباقية من عقلي، فالخادم النوبي يجعل يكسر «اسطوانات» الحاكي! وقد عرفت أخيراً سبباً لا يخطر ببالي حتى أخرج في الصباح، فيدير «الجرامفون» ويضع ما يقع في يده من أعمال «بيتهوفن» و«شوبرت»، ولا يحلو له تنظيف «الفركة» وغيرها إلا على هذه الأنغام.

أما الطاهي فقد كان يتحدى الأفكار في ألوانه أول الأمر، ثم فتر وتراخى حتى صار الطعام ضرباً من (الروتين) لا طعم له. فكنت أحياناً أترك المنزل بما أعد لي فيه وأذهب إلى مطاعم المدينة. ولقد كان للخدم دائماً طعام غير طعامي، وهو في أكثر الأحيان ألذ وأمتع. ولطالما أحببت من الطاهي أن يحضر لي مما في قدورهم، ويحمل كل هذه الألوان التي صنعها تصنيعاً ظاهراً دون أن يضع فيها روحه وقلبه...

وليس هذا كل شيء. فقد حدث أن الطاهي يعد على حسابي قدراً كبيراً من الطعام يقدمه للأجنبي ... وأن الخادم يدعو جميع زملائه النوبيين كل مساء ... إلى تناول العشاء.

ولم يدهشني ذلك فإن نفقاتي بمفردي كانت تعدو نفقات أسرة مكونة من عشرة أشخاص، وما سبق إلى ذلك إلا سهو مني. على أن كل هذا لم يشغلني كثيراً. إنما الذي أثارني حقاً هو صرصار حقير وجدته يوماً في لون من ألوان الطعام، كنت أزدرده... هنالك لم أطق صبراً، وطلبت أن أخدم بلا رقابة ثم حظر بين الأخطار النائمة... وما ملكت نفسي من الصياح بهم يومها (والله لا أتزوج لكم وأمري إلى الله)

أما السائق فلا يريد أن يصغي إلى رجائي كلما طلبت إليه ألا يسرع، فإذا أدركنا السرعة، أبداً تحيي من التفكير، ولطالما أكدت له أنني لست مستعجلاً شيئاً، ولا شيء في الوجود يستعجلني، فأنا عدو الزمن والوقت، ولم أحمل ساعة قط، فالوقت عندي ليس من ذهب بل من تراب كأجسادنا... ولكنه ينطلق بي رغم ذلك، كأنما يريد أن يطرحني في أسرع وقت، ليخلص مني وينصرف إلى شأنه. فكنت أتركه أحياناً يقف منتظراً في جانب الطريق وأسير مفكراً حراً حيث أشاء. ثم أدركت أخيراً أني لا أحب السير وأني شديد الكسل وأني أكتفي بعبارة أقولها له كل عصر: «أمام جبهة ... عرض»! (أي جهة تختارها) فيمضي بي حيث يريد هو دون أن أعترض ويقف بي أحياناً حيث يشاء ويقرر أن المنظر جميل والهواء منعش بلا أستكبر، فإن فكري منصرف دائماً عنه، ما دام لا يسرع بي ولا يقول لي «تفضل» إلى أن يرى أن الأوان قد آن للتحرك ويعود بي إلى حيث أتناول الشاي أو العشاء في الأماكن المعتادة. فإذا أمرته أن يذهب بي إلى البيت — فقد عرف ألا يسألني أين، بل يمضي بي غالباً في جميع الصور، ويقف أمام كل باب من أبواب الملاهي، فإذا رأيت ... وإذا لم أنزل فإنه يتحرك إلى غيرها — وإذا ما يئسنا من أجور السيارة فإنه يعود بي من تلقاء نفسه إلى المنزل ويقول لي: «تفضل»، فأنزل في صمت. وقد شعر بقصر عقله بالسلطة الواسعة في يده فاستغل آخر الأمر استغلال الطغاة ... الشعب ... فكان

إذا أردت أن أخرج من عمله مبكراً أو تخلص إلى شأن من شئونه خطر بذهني الآن كي أحوله سريعاً لا يكفي لإخلائه من تأملات أو إعراض من تردد ؛ ثم ودعت إلى منزلي ، ولما غلق الباب خلفي : « تفضل » فأردت دون أن أنتبه لما حدث . وشعرت ذات ليلة إلى إرادة ، وكنت في رغبة في السهر ، فما عاكست أن ترك طريقي مسافرة وحدي . (أنت عمرك تقوم للقرب ! تعبت هذه النظم ماذا أنا فاعل)

هكذا كان شأني في المسكن الخاص بين أولئك القوم . وقد لبثت على عهده طائل زمناً انتصرت فيه على نفسي جرائم الثورة الكبرى على هذا النظام وبيت النية ذات ليلة على جمع من هؤلاء الذين يسمون أنفسهم صحابي . فما كان الصباح أصبحت حقائبي ، واستدعيت الخادم وطلبت إليه أن يبحث عن رجل يحل في هذا المسكن بأثاثه ورياشه ، فأتى إليّ رجل تاجر وزوجه فتركت في عهدتهما كل شيء حتى كتبي ، وطرحت ما في البيت من أشياء خصوصية ومن مؤونة حتى وصلت إليه الصدقة وعلب الجبن والمربة والزبد والبن والشاي والسكاكر ، وطرحت عني ، واستغنيت عن سيارتي ، وانطلقت بطرقي حراً من جديد ، أتنقل في الفنادق وأطوف بالشوارع ، وأقفز إلى عربات الترام وسيارات الأوتوبيس ، وأختلط بالناس ، وأسرع بالخاطر ، فأحس كأن الدم يسري حراً في عروقي ، وأن قدمي قد لمستا الأرض من جديد ، وأن فكري قد عاد إلى انطلاقه ونشاطه ، مع السير الحر بالأقدام في كل مكان ، وملاحظة الناس في الطرقات قد أصبحت ذهني الذي ظل طويلاً تحت الزجاج ، وصحت أنهض على باب القهوة وهو يشوي كيزان على عربة الصفيح فأحادثه وأداعبه لا يحملني سائق ولا تنتظرني سيارة ، وأصل إلى حديثه الطويل في ذلك الليل مع كناس الطريق . فأشترك معه في الحديث والسمر ، ورأيت الكناس يمسح البائع طبلة في كوز ، والبائع لا يخطر له المروءة على بال ، فيعطي الكناس شيئاً في جيب السترة ، فشربت أنا كوزاً من الشاي واسعاً واستمعت لنفس الآخر . هذا إلى الكناس الأصوات المتداخلة ، وجعل يأكل ويقص علي ما عنده من أحاديث العامة الغريبة اللذيذة .

عرض هذا الشريط كله في رأسي عندما سألني الفرح ذلك السؤال ، ولم أجبه بشيء غير تلك الابتسامة التي أثارتها هذه الذكريات .

توفيق الحكيم

# ٣ - إلى أرض النبوة !

[ وصف وتأريخ لرحلة الوفد السوري إلى الحجاز
ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البري بالسيارات ]

للأستاذ علي الطنطاوي

تركت القراء في « القصر السعودي » على الحدود ، وأشهد أني لم أحتمل ألم الأسى والالتهاب منذ فارقت دمشق إلا في هذا القصر ، ومهما نسيت من المشاهد ، وأصبحت من الذكريات ، فلن أنسى تلك الساعة ، ولن تمحى من نفسي ذكراها ، وإني لأحسها الآن ، وقد مر على تلك الزيارة خمس سنين ، ولم يبق في يدي منها إلا ما بقي بذهني ... أحمل تلك الخيمة الشعر ، الشعرية القائمة على ذلك التل العالي ، تطل على التلال التي لا نحصيها عدداً ، وقد اتكأت فيها على جنبي ، ونظرت إلى أسفل من مرأيت الصورة الناتئة ، فحسبت منها مسلكاً لا يراها [illegible] يمرق الأخ من أخيه — ويحمل القصب [illegible] ثم مضت بصري حتى ضل في ذلك السراب الذي في وضح الظهيرة ، ثم يلمع « دمشق » دار الأحبة ومثوى الآمال ، [illegible] الشرق [illegible] والفجر بها ، والأسى عليها لا أحبابها ... ثم رجعت البصر إلى البادية من حولي ، فسرت في روحي روحها ، فحسبت كأن قد صيرت نفسها ، فصرت كأولئك الذين خرجوا منها جنٌّ في النهار ، ورهبان في الليل ، ومونا [illegible] والمساكين ، وحياة الشعوب ورحمة الناس ... وتمنيت لو كان اليوم إلى اليرموك أو القادسية طريقي ، حتى أسلك كما سلك أجدادي الأمجاد [illegible] وتمنيت أن يكون الشباب الذي أسمع روح الصحراء إلى مثله طريق

إنما الإسلام في الصحراء [illegible] كل [illegible] أسّسه

* * *

وأكلنا من طعام الجند وهو الأرز واللحم والتمر ، وشربنا من ألبان النوق وما أعده من شراب [illegible] وسامرنا أطيب سمر [illegible] فكان [illegible] أكرمهم ، [illegible] ثم سألونا عن الطريق التي سنسلكه فأشرنا إلى القليل ، فحذرونا وجهلوا البادية من ( النكتة ) وأشعبه [illegible] ووجدوه يضرب بنا إلى غير هدى ويسير على عشي [illegible] فأشعروا

سيجيء [illegible] صفراً وحمداً لهم [illegible] إلى ( القريات ) وعدنا ويميننا ، وكان هذا الراحة من سفر كهيئة ويكاد على حلاوة ومعه أمضى من السيف البتار ، وكان [illegible] سلامة [illegible] خادمنا [illegible] ، وكان صلى الله عليه وسلم يتفاءل ، وقلت : رافقتنا السلامة إن شاء الله ، والسائق [illegible] لا يطلق

وودعنا القوم الكرام وسرنا نخترق صدر البادية الهيبة وأرواحنا معلقة بيد سلامة ، وسلامة يشير إلى السائق [illegible] عنه أوامره : يمين ، شمال ، امسك [illegible] الرحلة ، والسائق يسمع ويطيع ، والسيارات تتنقل بين هذه التلال ، ولبثنا على ذلك إلى العصر ، عصر اليوم الثاني من أيام الرحلة ، فرأينا رملة بيضاء فسيحة لها منظر البحر في سعته وتموجه واستوائه ، [illegible] اليمين جبالاً وانقلب من حولنا [illegible] يخرج من ورائه سواد قليل كأنه النخيل أو جبال البادية ، فقال سلامة [illegible] « هذه هي القريات »

والرمال التي رأيناها في البادية على نوعين : رمل منبسطة بيضاء دقيقة كالغبار ، لاصقة بالأرض ، يغطيها نبات من نبات الصحراء ( وما أحسب [illegible] الحديث [illegible] ) ورمل حمراء حباتها أكبر ، واستدارتها أكثر ، وهي تلال بأحد بعضها بأعقاب بعض ، تشبه التلال بأمواج البحر ، لو كانت أمواج البحر ، ولكنا [illegible] في حركة واحدة لا تستقر [illegible] ، وبذلك ينتقل التل العظيم من مكان إلى مكان في الشهر مرة أو الشهرين ، ولقد رأينا في عودتنا مناطق كانت سهلة [illegible] فيها حبة رمل ، فصارت [illegible] آكاماً من الرمال

وهذه الرمال آفة السيارة ، وعطبها التي لا دواء له ، [illegible] وتهائم لا تثبت تحت دواليب السيارة ، فتغوص فيها كما تغوص في الماء ، وتلبث فيها كأنما [illegible] في الحياة

* * *

ولقد لقينا من هذه الرملة [illegible] في وصفه مبالغات الشعراء — هبطت فيها السيارات ، وما لها لا تجري وقد ظنت أنها رملة كالبحر ، أتمشي سيارة على وجه البحر ؟ وقد لبثنا إلى الليل نزيح الرمل من حول السيارة ، ونرصفها رصفاً ، ثم [illegible] ثم نجرها بالحبال ، حتى إذا ما سارت [illegible] ، ثم تقطع الرملة حتى تقطعت أمعاؤنا ، ولم نخرج

صبيا حتى تشهد أنه لا إله إلا الله

* * *

وقريات الملح قرى ست منثورة أكبرها قرية ( كاف ) ، ولكن لا تحتوي على نصف سكان ( جيرود ) أصغر قرى الشام ولا يبلغها كبراً واتساعاً ، وهي في غور من الأرض ، وكان أول ما استقبلنا منها القصر ، وهو حصن كبير من الحجر الأسود المسنون ، علمت أن الأمير نواف بن النوري بن الشعلان هو الذي بناه أيام تسلطه على تلك البلاد ، منذ خمس وعشرين سنة ، ولم أجد من أسمع منه خبره .. والقريات اليوم إمارة ، وهي مقر الأمير ، وقد رأينا في الحكومة السعودية أنهم يسمون كل من يلي مدينة مهما صغرت أميراً ، لا فرق في ذلك بين أمير القريات هذه وبين أمير المدينة المنورة .

وكان الأمير يومئذ غائباً في مكة يشهد الرسم ، ويقوم مقامه ابن أخ له ، وهو شاب فتى في العشرين [illegible] الأمير [illegible] ، وكان نائب الأمير في قرية أخرى من القرى الست ، فلم نلقه ، ولكن لم نعدم من يستقبلنا ويكرمنا ، وجاءه الإكرام ( كما رأينا ) أن فرش القصر ، وأوقد النار في زاوية البيت الذي جلسنا فيه ، ويحمص فيها القهوة هذا الذي يضرب به المثل والذي ذكره الشعراء فأكثروا ، وأكثر ما يعمل منه [illegible] الأثلة [illegible] ، وقد رأيته [illegible] كثيراً في البادية وهو كالشمس غير أنه أجمل شكلاً وأدق ورقاً ، وهو أشبه شجر رأيناه في البادية [illegible] ، أما جمره فكالفحم الحجري ولا [illegible] ، وقد عرفه الشاعر حين زعم أنهم ( شبوه بين جوانحه وضلوعه ) ، أما نحن فعرفناه في هذا البيت حين أشعلوه وراحوا في إضرامه حتى ملأ البيت الدخان ، ثم قربوا منه وأجلسونا إلى جانبه ، هذا ( تصوينا ) وقلنا [illegible] من الإكرام البالغ .. سألونا [illegible] الأمير ، ووصلنا إلى دار أعدوها لنا ، وكانت دار [illegible] ( عبد الرحمن بن زيد ) وهي أكبر دار في القريات وأجملها إلا أنها خالية لا شيء فيها ، ففرشنا فيها ما كنا نحمل من بسط وفرش ومرحلات ، ولم أبتئس لذلك ، فقد كان [illegible] أحب إلي من كل ما يمكن أن يفرشوه فيها ، ولما اطمأننا على أمتعتنا وعلى مكان مبيتنا خرجنا نجول في القرية فإذا هي بيوت من الطين قائمة على ( شاطئ ) الرملة [illegible] نخل قليل وفيها حقول تزرع فيها بعض الخضر ، وتقبل من جهة جنوبية [illegible] قسم كبير من الأراضي ، ولو كان هناك مال وكان [illegible] أيد تسعى في توسيع الأراضي الزراعية وتحسين زراعتها [illegible] بالبقرة وبساتينها [illegible] أطرافها [illegible] من حولها كأنها سور [illegible] ... وحياة هذه القرى من الملح الذي يستخرج من السباخ الكثيرة القريبة من البلد ، ويصدر إلى حوران وشرق الأردن .

* * *

بتنا في دار ابن زيد هذه خير مبيت ، وقد حملوا العشاء من قصر الأمير ، فلما أصبحنا عدنا عليه ، فرأيناه شاباً [illegible] ليس بالعالم ولكن له مشاركة في بعض علوم الدين ، ويحفظ شيئاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، تلقاها في مجالس العلم [illegible] سنة حسنة استنها الإمام عبد العزيز حفظه الله ، فجعل [illegible] العلم يأتي [illegible] يقرأون فيه كتاباً [illegible] ، ويكون مناقشات علمية يشترك فيها بنفسه ، وقد [illegible] الأمراء جميعاً في ذلك ، [illegible] ما يحفظ هذا الشاب نائب أمير القريات .

استقبلنا بنفسه على عتبة الباب [illegible] ، وجلس معنا يحدثنا [illegible] القهوة [illegible] وبقينا على ذلك ساعة [illegible] الأمير [illegible] واحد [illegible] قهوة شاي شاي قهوة [illegible] كأن [illegible] ، وكأن [illegible] ، ثم أديرت علينا المجمرة وعبق البخور ، بخور العود ، [illegible] ، ثم وجدنا الأمير يصنع [illegible] طرف كوفيته أو عباءته حتى يتشبع الطيب [illegible] ، ثم [illegible] وانتهى [illegible] من إدارة المجمرة ، فرأيت الأمير ينظر إلينا ، فقام الشيخ الرواف يستأذن ، وقلنا معه على أن يجتمع [illegible] الأمير على الغداء .

فلما خرجنا ، قال الشيخ الرواف : ألم تشعر بالثقل النجدي ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : « إنما هو العود فلا تعود » . [illegible] نظر الأمير إلينا ، [illegible] حتى عرفه الناس ، ثم ذكرت أن [illegible] لا يعجبهم [illegible] ولا يخرج من [illegible] حتى يخرج [illegible] من [illegible]

( لها بقية ) علي الطنطاوي

# التعليم المختلط

## للأستاذ رفعة الحلي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

المحبذون لهذا التعليم يلفتون النظر إلى ظاهرتين اثنتين جديرتين بالاهتمام

أولاهما أن البيئة والتقاليد والعادات هي عوامل قوية تدفع إحدى الأمم إلى الإقدام عليه إقداماً تاماً، وتصد الأمة الثانية عنه إحجاماً كلياً

وثانيهما خاصية المربي التي تقوم بدورها التربوي الرئيسي في هذه الناحية حيث أن فيه كثيراً من الحصر والحيطة والحذر والتي تصدهم عن تسريب التساوي بينهم — إن كان هناك تساوي — وتوجههم نحو المثل الأعلى للحياة الإنسانية الفاضلة. هذه الشخصية هي بمثابة الملجأ الأمين من الأخطار التي قد تهدد حياة الطالبة من جراء الاختلاط، ولا تقل أهمية في هذا الأمر — ما لم تتصف بالصفات الخلقية والمبادئ القويمة والخلق القويم والذكاء الحاد والسلطة اللازمة — كي تضمن تنشئة الطالب وطالبة وتوجيههما ...

ويحكي أن هؤلاء المربين الذين يتصفون بمثل هذه الصفات جميعها ؟ وأكبر الظن أنهم قليل. والفتاة ما كانت في يوم ما لتقوم مقام الأكثرية في تأدية رسالة أو إيفاء واجب

يذهب الدكتور Burness إلى أن التعليم المختلط في المعاهد الثانوية يقوي العلاقات الاجتماعية ويمكن الصلات الأدبية، ويضع الفتى والفتاة في بيئة تختلف عن البيئة الخاصة التي كانا فيها، وإنها لأجدى على الفتى والفتاة من أية بيئة أخرى، إذ يتجه الاثنان في اتجاه خاص هو من مستلزماتهما، ويؤدي إلى ذلك تصحيح في الفتاة تلك الرقة والحياء والدعة، في الوقت الذي يقوى عندها الشعور النفسي بأنها والرجل سيان في الحقوق والواجبات

وبعد ما تسلكنا في دراسة نفسية كل من الجنسين، وجدنا أن لكل منهما خصائص فردية تختلف في كل منهما عن الآخر جد الاختلاف، على أنها تتحد في الأصول وتختلف في الفروع بمعنى أن تمتاز من الوظائف الفردية الخاصة بالفتاة، على أن هذه الوظائف لم تكن لتمنع كلا منهما من أن يكون فيها وحسبها خصائص الجسم أو أمورا مختلفة، فضلاً عن أنهما دوراً قابلية لتطور خاص، ولهذا كان الاستعداد عند مباشرة الفتاة هذه الوظائف تحت إلى ناحية غير الناحية التي يسير الفتى إليها

هناك إذاً خصائص نفسية مميزة type psychologique féminin وخصائص نفسية رجولية type psychologique masculin تميز كلا منهما عن قابليها؛ ولكن لا بد من التساؤل عما إذا كانت هذه الخصائص المتباينة فيها من المزايا ما يساعد على التعليم المختلط أم أنها تقف دونه ؟

كثير من علماء النفس يعتقد أن هذا التباين في الخصائص هو يساعد على التعليم المختلط مساعدة قوية فعالة، فالتجانب والتباين ما كان كل منهما يكتسب مزايا وفضائل الآخر التي يفتقر إليها لو لم يجد أمامه سبيل الاختلاط سواء في المعهد أو في المجتمعات. ويرى الدكتور Burness أن مباني التفكير Ordre des idées في الرجل هي غيرها في المرأة، والتعليم المختلط يحمل كليهما على الاقتباس من الآخر ما يحتاج إليه لحياته وما تتطلبه منه البيئة، وبالتالي فإن أنس تفكيرهما يتوسط ويصل إلى أقصى حدود الاتساع والامتداد. تلك منحة من منح الحياة تنتفع منها النفس المتعطشة للقرات وشتى ألوان الأحاسيس.

ويعترض البعض الآخر على هذا الرأي بأن التعليم كل التعليم المجتمع والجنسين معاً في ألا تمحى هذه الخصائص النفسية الخاصة — إلا أن في ذلك ما يفقدها، ولو إلى حد ما، شيئاً من حيويتها وفاعليتها — وأن يحتفظ كل منهما أيضاً بمراتب تفكيره لا يتجاوزها إلى جوانب غيره، فيقدر ما يكون الرجل تام الرجولة والمرأة كاملة الأنوثة تكون الجماعة الإنسانية غنية بالوسائل الفعالة التي من شأنها أن تؤثر في المجتمع وتدفعه من ناحية التقدم، فالواجب على المربين أن يؤدوا للفتى تأديباً يصبح معه في المستقبل رجلاً تام الرجولة، وأن يعهدوا الفتاة تعهداً تصبح بعده كاملة الأنوثة، على ألا ينظر إلى المرأة نظرة سطحية حقيرة تنال من كرامتها وتحط من شأنها بل نظرة وجيهة تدعو إلى الاستفادة من خصائصها الخاصة

ويعتقد المربي الكبير Hall أن خصائص ومزايا الجنسين هي غريزية بمعنى أنه لا يمكنها تتغير ولا يصيبها تطور — في جوهرها على الأقل — وهي تخضع لنظام يختلف في كل منهما عن الآخر

اختلاطاً كلياً » ويضرب لذلك مثلاً أن الفتاة تتعلم من كلمات الوطنية والشرف والنبالة والشجاعة غير ما يفهمه الفتى منها ، فلكل من هذه الكلمات جرس خاص عند كل منهما ، هذا إلى أن الفتى قد لا يتأثر بخصائص وخفايا النفس النسوية — إن قدر له أن يتأثر — دون أن يزاوج بينها وبين ما يحسه من مزايا وخصائص

وهناك عيب لمسه الأستاذ Niel بنفسه بعد اختبار طويل ... هذا العيب هو أن طريقة التعليم قد تجعل الفتى مؤثراً من طلاقة على فتاة كاسفة ، أو الأخرى يعطف على خشونة أكثر مما يعطف على طلاوته ، بل ويعجبون بطرقهم أيضاً ، إذ يحس في الفتاة رهافة الخلق ، ونعومة الحديث ، ورقة الحس ، ورهافة الشعور كما يحرك منها شوبه الإذعان والامتثال والخضوع ، فتتسم بالعطف والإخلاص ، وتتمتع بالرقة والدعة ، فضلاً عن أن التنافس الذي يحصل بين جانبين يتحقق له من التأثير القوي على الفتاة ما يدفعها إلى الانكباب على الدرس حتى تتفوق على زملائها وتحرز الدرجة الأولى دون تفوقها في المراسلات وتفوقها في الملاعب ، وهذا ما يفتر من تكوينها العقلي ويضعف تفكيرها ويفسد شعورها ، لذلك يقول الأستاذ Ruzz إن التنافس يجعل التعليم أقرب تناولاً وأدنى منالاً وأكثر سهولة ولكنه أقل عمقاً وأهمية

ويأخذ بعض علماء النفس على التعليم المختلط ، في مرحلة التعليم الثانوي ، أنه مبعث الفساد ، إذ أنه يثير الغريزة الجنسية ، فتسعر بالنفس ، ويحرك العواطف فتشغل الأحاسيس ، ويظهر الخصائص الشخصية ؛ وهذا ما يكون خطراً مباشراً على الأخلاق والآداب ، وقد تكون الفتاة أقرب إلى هذه المؤثرات من زميلها الفتى وأدنى منه إليها

ويرد البعض الآخر على هذه المآخذ المتوجهة بأن الطبيعة الإنسانية تستدعي هذا الاختلاط ، ويتطلب هذا النظام لما له من الأثر القوي في حياة الناشئة ، فتوجه العواطف توجيهاً سليماً ، وتوحد العلاقات على أساس الثقة المتبادلة ، وتمهد السبيل إلى رفعة الأخلاق وتقرب من الزواج ...

والفتاة نفسها ترغب في هذا الاختلاط إلى حد بعيد ، وتتوق نفسها إليه ، وتشجع ورائه ؛ فالفتاة كالفتى ، تتطلع في أطواء نفسها لحب المنهوب ، وتتأجج في صدرها الأهواء ، وتتفتح قلبها إلى الصداقة ، وربما صادفت نفسها بعض الذي تصبو إلى التعرف ، وإلى مواطنها لتبقة ، وإلى حياتها لوجهتها ، ولعلها تتلقى من أمورها الكثير ، من نظام ، تلفت أنظارها وتعبد آمالها ومستقبلها ، والتي تأمل أن يكون له زوجة في المستقبل تتم عاطفة وحبيب صبا به ، ولكن أين تبحث عنه ، وفي أية جهة تجده ، وفي أي وسط تلتقي به ؟ .

إنها قد تجد هذا الجيل ، الذكي المتزن ، المهذب الأخلاق ، الكريم الشمائل ، في البيئة التي تختلف إليها ، ولا سبيل إلا بيئة المعاهد المختلطة التي تدعيها من ثنايا وتحقق أحلامها وآمالها

والفتى ، أليس يحبذ صحبة الفتاة ، ويميل إلى معاشرتها وتقص صداقتها ، أنه ليطمح إلى اختيار فتاته ، ويصبو نفسه إلى الزواج منها ولا سبيل إليها إلا في تلك البيئة المختلطة أيضاً

ويقول العالم الدكتور Jourdan « إننا نحصل على أحسن النتائج حينما يجتمع الجنسان في معهد واحد إذ نرى الفتى أكثر إقبالاً على العمل وأحسن خلقاً ، ونرى الفتاة تؤدي أعمالها في جو طبيعي وبمواقع أرق وأنبل »

ويؤخذ مما تقدم أن الفصل بين الجنسين ليس في مصلحتهما ، ولا المجتمع في شيء بل ربما كان سبباً قوياً في تداعي الروابط الاجتماعية وفي تصدع العلاقات الأسرية

وكما يؤخذ على التعليم الثانوي يؤخذ أيضاً على التعليم الابتدائي ولكن هذا لا يعاني الثانوي في الخطر ولا يجاريه في العيوب ، وما يتسب إليه من حسنات يتسب إلى الآخر على السواء

أما في صدد التعليم العالي فيقول الدكتور Joseph الأستاذ بجامعة روكسل « إن من الواجب ألا نستنتج استنتاجات سريعة من الملاحظات التي يبديها البعض ممن يقاومون هذا التعليم ، وألا نرد التأثيرات السيئة التي تحدث عنه إلى هذا النظام بعينه إن النتائج التي نستها يومياً في أجواء المعاهد المختلطة تدعونا إلى الاعتقاد بصلاح هذا النظام ، وكثيراً ما تألم الفتاة من مسلك زملائها الطلاب الطارئة ، وذلك المسلك الذي يسبب لها كثيراً من الإيلام مما يدفع المرء إلى التفكير في إنشاء المعاهد من التعليم المنفصل ... ولكن لو أتم هذا البعض التفكر في أسباب هذه النتائج ، ورد دوافعها ومسبباتها إلى نقص في بعض الأنظمة التعليمية الحديثة ، أو بالأحرى إلى عطف الفتاة من المعاهد الثانوية

# الحرب في أسبوع

## للأستاذ فوزي الشتوي

### فرنسا تستسلم !

قبل العالم طلب المارشال بتان رئيس وزراء فرنسا الشروط عقد الهدنة بكثير من الحسرة والألم، فقد عقد العالم آماله على الصمود الباسل في فرنسا لإحراز السلام، وإزالة كابوس الدكتاتورية وعدوانها. وظل الجيش الفرنسي يقاتل بضراوته التي عرف بها بلا وهن ولا خور، ولكن الخسائر التي منى بها، والقوات الألمانية التي هاجمته كانت كبيرة الحجم كثيرة العدد، مجهزة في كثرتها بجميع فنون القتال

في سنة ١٩١٤ كان عدد الرجال المقدر لهم القتال في الميل الواحد عشرة آلاف جندي. ودرس أحد الأخصائيين العسكريين في سنة ١٩٣٨ عدد الرجال اللازمين للاشتراك في معركة، سواء في حالة الهجوم أو الدفاع، فقدر أن جبهة القتال ستصل مسافتها حوالي ١٠٠٠ كيلومتر (٦٠٠ ميل). وانتهت أبحاثه المبنية على الحساب والفن العسكري إلى أن عدد الرجال اللازم لهذه الجبهة في حالة الهجوم ستة [illegible] تسعة ملايين جندي، وتهبط إلى ستة ملايين في حالة الدفاع، أي أن الميل الواحد يحتاج إلى ١٥ ألف جندي تهبط إلى عشرة آلاف في حالة الدفاع

### استخفاف بالأرواح

ودرس هذا الإحصائي العسكري ما عدا ذلك [illegible] سيارات مصفحة ودبابات تقدر للميل الواحد ٣٠٠ منها طول الجبهة. وتمكن القيادة الألمانية خلف خطوط القتال الأرقام [illegible] ضربات خاطفة، تمكنها من ورائها أن تنهي الحرب في أشهر قلائل، ويؤازرها في ذلك سياستها التي عرفت عنها من الاستخفاف بأرواح رجالها، ووضعها في المرتبة الأخيرة من المسئول عن أغراضها

وحشدت في جبهة فرنسا ١٥٠ ميلاً مليوني مقاتل و٤٠٠٠ دبابة يضاف إليها سيارات النقل والجنود الاحتياطية، فخص الميل الواحد ١٣ ألف مقاتل تقريباً، وإذا قسمنا عدد الدبابات على عدد الأميال ظهر لنا قلة عددها، ولكن يجب أن نذكر أن هذه الدبابات لم توزع على طول جبهة القتال، بل حشدت جميعها في ميادين خاصة، فكانت الوحدة منها تتكون من ٣٠٠ دبابة [illegible] الهجوم الذي وجه إلى القوات الفرنسية، ولو [illegible] أن يحمل ستة [illegible] في الميدان دفعة واحدة

ومعنى هذا أن الحرب إذا طالت سنة احتاجت ألمانيا إلى مثل هذه القوات ثلاثين أو أربعين مرة، وهذا مالا [illegible] عقليته [illegible] مواردها

ومن هنا يرى الخبراء العسكريون أن حرب ألمانيا مع الحلفاء ستكون وبالاً على النازية، لأن الحرب ستطول بحكم موقع الجزر

---

الضعيف، بل والاعتناء بهما أيضاً. إذ أن [illegible] المعهد [illegible] من دخول الخاصة بعد أن تكون [illegible] الفتى في [illegible] الطفولة والمراهقة، وهي أشد ما يكون [illegible] وأحلام وآمال، فتصطرع نفسها [illegible] شبيهة بالسعادة والهناء والراحة والنعيم. لذلك طلب الأستاذ الكبير Ferrier ألا يقبل في الجامعات من الفتيات إلا من أتممن دراستهن الابتدائية والثانوية في المعاهد المختلطة

ويرى الأستاذ Reuma من شتى الإحصاءات التي جمعها أثناء زيارته للمعلمين في جمهورية [illegible] الأمريكية أن الشبان في اختلاطهم إلى مثل هذا الحد، قد [illegible] سموهم وأخلاقهم [illegible] وعقولهم، وصحت أخلاقهم [illegible] وهم أجمعون [illegible] أرقى الأخلاق وأكرم الشمائل

من الخلال، ورقيع التهذيب، وأدب المعاملة، وأنبل الطبع؛ وإذا الفتاة قد [illegible] منها التعرف، وتلاشى [illegible]، وزال عنها [illegible]؛ فأصبحت ناعمة بالاستقلال الذاتي، معتدة بالحياة، واثقة من المستقبل فضلاً عن أن كلا منهما يجد في نفسه مرايا خاصة تسهل التعاون بينهما فيما بعد

* * *

هذه أوجه الرأي المختلف في هذا الموضوع الجليل، [illegible] بخطوطه الكبرى عرضاً موجزاً، وأوضحنا حسناته ومساوئه، وكشفنا عن سيئاته ومحاسنه [illegible] أرباب العقول النيرة علهم يزنون [illegible] الرأي ويرشدون إلى الكلمة التي يكون بها الخير للأمة العربية

(يتبع) محمد [illegible]

البريطانية بالعراق ، وبحكم مركز القواد الأولية في أمور الشرق الأوسط

لماذا استقال رينو

ومن الجدير بنا أن نقف لحظة إزاء ما نقل الظروف التي أملت على فرنسا قبولها لشروط الهدنة فقد سبقت ذلك بساعات قلائل استقالة وزارة المسيو رينو ، وتأليف وزارة المارشال بيتان ، وتصبغ بالطابع العسكري ، ويشترك فيها جميع قواد القوات الفرنسية من برية وبحرية وجوية ، فهل يدل هذا على أن المسيو رينو رفض أن يحمل إسمه قرار قبول شروط الهدنة الجائر ؟ وإذا كان هذا صحيحاً فما هي الدوافع لاستقالته ورفضه ؟ هل هي اختلافه في الرأي مع العسكريين ؟ أم أنه خشي أن يخذل الشعب الفرنسي الذي لم يعلم من الحقيقة أبشعها !

فالشعب الفرنسي معروف بحبه للحرية ، معروف بتقاليده الوطنية التي لا تقبل الهزيمة ، معروف بتضحياته السامية وبسالته التي لا تقهر ، مما يدعو نفسه إلى التردد بل والامتناع عن إصدار مثل هذه القرارات المذلة

ويبدو لنا أن الاختلاف في الرأي أيضاً ، فقد نسب بعض كبار القواد العسكريين طالبي الهدنة ، وطالب الجنرال ديجول الشعب الفرنسي بأن يتصل به في انجلترا ليواصل القتال ، ويخرج من بلاده أم الهزيمة ، وليتخلص من القيود التي فرضها عليه الأعداء . ورأي هذا القائد له قيمته إذ كان أحد مساعدي المسيو رينو ، وكانت له يد في توجيه السياسة العسكرية والاقتصادية

بينما قبلت فرنسا شروط الألمان فلم يبق هنا أن رجال فرنسا سقطوا للألمان ، بل أنهم سيواصلون الكفاح . وسيلحق بهم في هزيمتهم عدد كبير من الفرنسيين الذين لن يطيقوا أن يعيشوا تحت شروط الألمان والذين لن يطيقوا أن يتركوا بلادهم ويتخلوا عن رحمة الغازين . فقد ظلت فرنسا منذ قرون وهي دولة من المرتبة الأولى ، لها صوتها المسموع ، ولها مواهب العظمة ، فهل يقبل شعب أن يصبح من المرتبة الثالثة ، بينما جيشهم يقاتل في الميدان ؟ إن الشعب الفرنسية لن تخسر حماسها ، أو كما قال الجنرال ديجول : إن شعلة المقاومة الفرنسية لن تخمد ولن تنطفئ .

مقاومة جارفة

ولقد كانت اقتراح بريطانيا اتحاد الجمهورية الفرنسية بالإمبراطورية البريطانية مناورة سياسية وعسكرية لتعمل على تحفيز فرنسا على الاستمرار في القتال ، وتتحمل أعباء الحرب والتضامن في السراء والضراء مما يجب أن يعمل على تقوية الحلفاء ، ويدل على مدى أن هذا الضغط لم يوقف التعاون في هذا القتال ، بل هو مساعد للسلام . ولا شك أن الذي يوحد بين بريطانيا وإمبراطوريتها العظيمة ، لأن تقدم مواردها لإصلاح أمور فرنسا ولأن تشاركها في مصابها الجلل !

ولو تم هذا الاتحاد ، لكان له أثر عظيم في سياسة العالم المقبلة ، ولكان ضماناً حقيقياً لتكوين اتحاد أوربي عام ، يعمل على إقرار السلام ، وزوال الأحقاد ، ومحو المطامع ، ويشعر العالم بالسعادة المنشودة

الكفاح بين نارين

وكان بعد التصريح فرنسا كما هو الآن وضع ألمانيا بين نارين ، وبينما هي تنال في طلباتها من فرنسا بعد تسليم فرنسا السلاح مع انجلترا واستمر القتال إن لم يكن في فرنسا ففي المستعمرات ، وللمستعمرات الفرنسية شأن كبير في معركة البحر الأبيض ، من تونس والجزائر ومراكش وسوريا وقوات فرنسية لها نصيب في الحرب الفرنسي الممتد

ومن الناحية الثانية يجد صعوبة غلو ألمانيا في طلباتها ، بينما احتفظت فرنسا بأسطولها البحرية والجوية ، ولم تضم إلى الدكتاتورية ولزمت الحياد تضمن انجلترا سيادتها البحرية على القوات الإيطالية ، كما يضمن أن ظل القواعد الفرنسية في حوض البحر الأبيض في أيد عديمة يعطف على قضية بريطانيا

ويصعب علينا الآن أن نقدر أثر هذا التصريح ، ولكنه يدل على شعور الديمقراطيات بعطف متبادل ، ومشاركة في الآلام ، أو كما يقول المثل العربي إن الشدائد تعرف الإخوان . وهل بعد هذه فرنسا الحالية شدة !

إذا قبلت الشروط

وإذا انسحبت القوات الفرنسية من الميدان ، فإن ميدان الحرب يتحول من البر إلى البحر والجو ، وهما الميدانان اللذان يمكن أن تشتبك فيهما القوات الديمقراطية مع القوات الدكتاتورية ، اللهم إلا إذا حولت ألمانيا جيوشها لغزو البلقان ، عندئذ يتغير الموقف تغيراً بسيطاً ، ولكن النصر النهائي يتقرر في هذين الميدانين ، وللإنجليز فيهما التفوق العسكري

### فشل الحرب الخاطفة

ويعتبر موقف ألمانيا حيال انجلترا تضطر إلى الانتظار مدة يتاح فيها لأمريكا تقديم مساعدة جدية، وتستعد مصانعها للإنتاج المنشود، فلا مفر إذن من فشل خطة ألمانيا في الحرب الخاطفة، ولا سيما أن قوات انجلترا ما زالت سليمة، ففي الجزر البريطانية وحدها مليونا جندي بعضهم جنود نظامية، وبعضهم للدفاع المدني

فإذا عمدت ألمانيا إلى مهاجمتها من طريق الجو، فإن القوات الجوية ليست عاملاً حاسماً في الاستيلاء على البلدان، بل يجب الاستناد إلى قوات برية، وهنا تبرز مشكلة ألمانيا الكبرى فكيف تنقل قوات تتغلب على قوات انجلترا العسكرية؟

### كيف تغزو انجلترا ؟؟

أمام ألمانيا في هذه الحال طريقان: هما البحر والجو، فإذا سلكت طريق البحر احتاجت إلى أسطول ضخم لحمايته ضد الأسطول البريطاني، وهي لا تملك من السفن الآن ما يضمن لها تحقيق هذه الغاية، وإذا حاولت حمايتها بالأسطول الجوي، فإن الطائرات البريطانية تنازعها السيطرة على بحرها، ولا سيما لقرب قواعدها وتفوق طائرات القتال البريطانية

بيد أنه يمكننا أن نستخلص عبرة مما حدث في دنكرك عندما أجلوا قواتهم من منطقة الفلاندر، فإن الغزو يتوقف على عدة عوامل

١ — تفوق أسطول انجلترا البحري

٢ — تفوق أسطول انجلترا الجوي وخصوصاً طائرات القتال

٣ — المدافع الساحلية، وهي من القوة بحيث تكفي لصد أساطيل حربية

٤ — حقول الألغام المثبتة حول الشواطئ البريطانية، وهي تحتاج إلى وقت كبير لاكتشافها

٥ — وجود قوات كبيرة في بريطانيا

هذه العوامل مجتمعة تجعل من المستحيل على ألمانيا إنزال قواتها في انجلترا من طريق البحر، فضلاً عن أن قوات الحلفاء التي انسحبت من دنكرك لم تخسر معها أسلحة تذكر، ومن البديهي أن نقل الرجال أسهل بكثير من نقل الأسلحة

### غزو انجلترا جواً

ويقول أحد رجال انجلترا العسكريين: إن احتمال غزو انجلترا من طريق الجو يتوقف على مدى المعدات العسكرية الألمانية، فلكي تنقل ألمانيا جنودها تحتاج في هذه الحالة إلى ألف طائرة تسع كل منها أربعين جندياً بمعداتهم من الأسلحة الخفيفة، فتحمل هذه الطائرات جنودها من الرجال من قواعد قريبة من انجلترا كبلجيكا مثلاً، فتهبط الدفعة الأولى بالمظلات الواقية وتحتل بعض المواقع وخصوصاً المطارات، وتحتفظ بها فترة من الزمن حتى يتاح للطائرات أن تعود بأربعين ألف جندي آخر

وعلى الدفعة الأولى أن تحتفظ بمواقعها إلى أن تأتيها الدفعة الثانية فالثالثة فالرابعة، إلى أن تستقر القوات في مكان تحرسه الطائرات الألمانية المسيطرة عليه، ومن ثم يبدأ الغزو الحقيقي للجزر البريطانية

وإذا قلنا إن هذا المشروع مشروع خيالي، أدركنا أن الإنجليز أعدوا العدة اللازمة من جنود نظاميين ومتطوعين، وأن الألمانيين لن يجدوا الجزر البريطانية لقمة سهلة الهضم، وفضلاً عن هذا فإن الطائرات لا تستطيع حمل الأسلحة الثقيلة من دبابات ومدافع ميدان تتناسب مع العمليات الحربية

### بريطانيا وأعداؤها

ثم كيف تقضي بريطانيا على ألمانيا؟ لها في ذلك وسيلتان:

١ — الحصار البحري

٢ — استغلال فرص القتال

فأما الحصار البحري فأمره معروف، وهو يقصد منع المواد عن ألمانيا إلى أن تنهار حياتها الاقتصادية وبالتالي قواتها العسكرية

وأما استغلال فرص القتال فهذا موضوع يعود بنا إلى أيام نابليون، فقد طالت العداوة بينه وبين انجلترا من سنة ١٨٠٣ إلى سنة ١٨١٤ استولى أثناءها نابليون على أوروبا كلها تقريباً، وكانت انتصاراته المتتابعة تملأ آذان العالم، وكانت انجلترا تستغل جهود الدول المتحالفة

فقد فرض نابليون سيطرته التامة على جميع الممالك من أسبانيا إلى قلب أوروبا، وعين إخوته ملوكاً على إيطاليا وأسبانيا، وحالف تركيا والروسيا في أمور مختلفة، ولكن الدول الأوربية ما لبثت أن ثارت عليه وهاجمته قواتها من جميع الجهات حتى استولت على باريس، وكانت انجلترا في هذه الأثناء لا تترك له فرصة

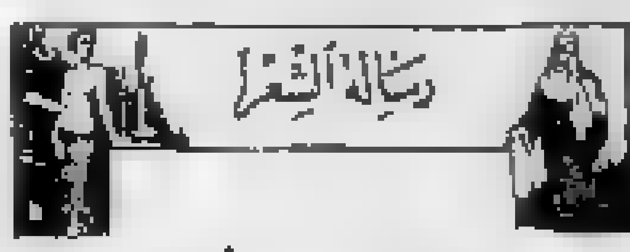


# صاحب البعثة الكبرى

[ إلى الصحيح المسرد لخاتم ، للسمن الأحسن ، النابغ في الصفاء ]

للأستاذ محمد بهجة الأثري

---

حبّ الشعوب وأسعدت الأوحد ... ذكرى مقدسة وعهد متجدد !

شمائل الفضل وعندك شوقاً تحكى ... وعهد شاهقه ويمجد مؤيد

كالنطق يعصر من السماء شبابه ... وعلى قواعده منازل ترقد !

قدس النبيّ ومن حلوان السكينة ... أو من يرددّ سماءه أو يعتد !

هي منقذ لله شاء جلاله ... أ شقى غاو ولا متمرد

قد كنت صفوة خلقه حتى ... تحركنا ذات للمشرق المفرد

زحف الملائكة الكبار تحفه ... بين فديناك خاشعين مجتدوا

وادوا النسيم على فجر ... ماء وظلاً بارداً ومنثور عوا

ما كل ماء كالفرات مذاقه ... كلا ، ولا كل المراعي يحمد

كم من رعاية شيخ حضنتها ... فأتى عنها الفقد لا تفقد

يستقر عنه ، بهاجته في تركيا ، وأسبانيا ، وفي البرتغال ، وفي بلجيكا إلى أن استنفدت جميع موارده وحرم الترعة الهانئة في وارثو

ولا تختلف مرتبة حاله عن موقف البليون ، فهو يحمل بلاداً مع أهله ونحس لحربه ، وتأمين في نفوسهم روح الوطنية ، بلده كتبوا شعورهم تحت ضغط التهديد والقسر لحظة ، على يقتنوا أن يحرروا لحظات ، فلكي تعلنوا شعورهم وتناجيهم ، وعهد السبيل الشهداء على الطاغية

[illegible]

يتلون عشرهم على مر الورى ... والمعجز [illegible] والدؤوب

أفتتح عندهم هوى ومنصب ... وبذلك جهوده والهوى عهد

أشراه أهواء النفوس تقسّم ... [illegible]

لم يظهروا إلا ليسعوا بينها ... تبذر فتاليم الشيول ويهتد

وظهرت مثل الشمس بالأفق ... محي ، وتركت لمسته تقدا

وبعثت بالحق اليقين فلاحق ... يلقى عليك ولا شيء مرصد

ألفتح عنك شريعة وصية ... وأخوة وتراحم وتودد

دستورك القرآن أما وعظه ... فهدى ، وأما حكمه فمسدد

عال على الأهواء لا متملق ... أحداً ولا متعسف يسرد !

كالشرع العتيق المفضى شرع ... زحيلة تنشى وظل أبرد !

ما شرعوا الخلق الكلي الحق ... تروى القلوب به وتشفى الأكبد

وقف النبي عنه الشجاعة والندى ... وهدى البصيرة والعدل الأرشد

متق بين الخلق النظر كأنه ... فلق الصبح وحسنه التوقد

تحم إلى أقصى الجهاد ومطمح ... وتزود ذروتها السبيل وترصد

شمع الأنام جميعهم قيد منه ... حرك تهدى العالمين وتسعد

أربية تبدو لا حدها ... يحيو ولا يرشاعه يتزيد !

تنكر طب الروح فهو شحذه ... عما يشين وهو ما يتوقد

الحق أمر بنابه العالى القرى ... والخلق ساطع وكيب والمعتقد

والفتح والقرآن من آدابها ... والعدل العنش الرحب الأرغد

دنيا أقمت على الشريعة كتب ... ومن المعاقل ما يشيد وتخمد

ويحف كل على من ملك به ... وتنت من الطواه ومن ترادد

بنبوة التوحيد تشرح كامه ... للواردين ، ونبعه لا ينفد

جم الأبدى الأنام بحمده ... وبعضهم متقلبون وهم به

فالناس ولا الجنس إلا أمة ... والدين ولا الجيل إلا أوحد

ما التمس التوحيد يجمع شملهم ... فيسود وهو مفتخر ومتوحد !

بسلة خرجت الشعوب من الشقى ... وهديتها النهج وهو ممهد

فاستوصلت قومي وقامت دولة — وتجمعت كل واستكبر الشعب
وقضت على من العبيد جبابرة
بالبغي تشرق والقساوة ترعد
إن الجمال حقيقة وحقيقة — [illegible] وشاعها السعد

***

[illegible] — رأى عمر ولا أمثال [illegible]
[illegible] الرسالة [illegible] — [illegible] ونفس له عهد
[illegible] — طويت ، وأمر [illegible] لا [illegible]
[illegible] — [illegible] ، ولا [illegible]
[illegible] — أبد الزمان [illegible]
[illegible] — يا [illegible] أول مفرد
[illegible] — [illegible] !
[illegible] — وما [illegible] كل [illegible] !
[illegible] — [illegible] الزمان [illegible]
[illegible] — [illegible] الأمة يوعد !
[illegible] الإصلاح [illegible] الهدى — [illegible] !

***

ومن العصاب [illegible]
[illegible] في الحق والمستعبد
من [illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible] الزمان [illegible]
[illegible] — [illegible] !
من [illegible] — [illegible]
من كل [illegible] — [illegible] القرامد
[illegible] — [illegible] الفرقد
[illegible] — ومن [illegible] الأبد السعد

أو كي [illegible] وأذوى [illegible] — [illegible] وأبدوا
[illegible] المالك [illegible] ولو — [illegible]
في [illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible] لها [illegible]

***

تلك [illegible] — [illegible] الأشد
نار ولا [illegible] ، [illegible] ولا — [illegible] !

***

[illegible] حتى [illegible]
وطغى [illegible] على [illegible]
الأرض [illegible] ، [illegible] — والبحر [illegible]
[illegible] — أو لا [illegible]
[illegible] — أن [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
يوم [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] من الضلال [illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] ( [illegible] ) [illegible]
يا رب ، [illegible] ( [illegible] )

( [illegible] ) [illegible]

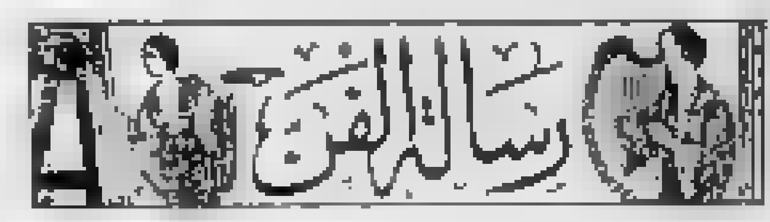


تأملات :

# اللهم احفظنـــا !

## للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— هيا من هاتين الناعستين اللتين أعنيت وجهما النظر فيهما ! ... أترى هذه الصورة .. يا للجيوكندا !؟ هل تراها ؟!
لم أكن أحسب أن هناك من يجد المتعة في النظر إلى عيني [illegible] كولا [illegible] مساحة السماء

— إنك تقول [illegible] في كل شك ، فإنه لا يستطيع أن يجمع عينيه في عيني [illegible] كولا
عينتان

— من غير شك ، ولكن ألا تراهما عينتان وهما ، مهما كانتا ... عينتان .

— لا أدري ، ولكنه يخيل إلى أني لو قابلت [illegible] كولا ، والتقت عيناها بعيني لما استطعت إلا أن أمد لها عنقي تجتبي منه ما تشاء

فإذا قابلت الأمور !!

— ومن الأمور ؟

— [illegible] كان يصيد الفتيات والنساء المشهورات بنظراته ، حتى إذا ملكهن انفرد بهن وقتلهن واستولى على حليهن وذهبهن

— يا حفيظ ! وكيف كان يصيدهن بعينيه هذا الرجل الجرم !؟ ... ماذا كان يجذبهن إليه ؟

شيء مثل الذي في عيني [illegible] كولا ، وقد قلت : إنك لو رأيت عيني [illegible] كولا ورأت عينيك لما استطعت إلا أن تسلم لها جيدك عند الرجوع لتقتص ما شاء من رقبتك .

— وما الذي في عيني [illegible] كولا ؟ ! أترى الصورة .. أترى .. صورة !

وهل ترى الصورة [illegible]

— إنظر إلى الذي في عيني العينين ! إنه حزن [illegible] شيء كريه ، وضع [illegible] على النفس له سيطرة وسيادة [illegible] لا مفر من طاعته

— فبأي الأسماء تسمين هذا ؟

— إنهما عينان حنونتان تحن الذي تنظران إليه ...

— ولكن الحنون لا يدعو إلى طاعته ..
[illegible] أنهما [illegible] إنهما [illegible]

— ولماذا تقنعين [illegible] بين الجذب والأذى !؟ .. ألم يجذب [illegible] ولم يدعه [illegible] إليه ملاكه ؟ ألم يجذب [illegible] الأكسجين ، ولم [illegible] إليه احتراقه ؟ إن عيني [illegible] كولا [illegible] ومؤذيتان ... ولم لا ؟ !

— إنهما حقاً عجيبتان .. قل لي ما هما ؟

— ها هما أمامك ... أنظري إليهما ترهيبهما ... بل إنك ترهبيهما وتخافينهما كما قلت ، فماذا تريدين مني أن أقول لك عنهما .. إني أستحي ...

— أنت تستحي !! صحيح مؤدب جداً أدب جداً [illegible] —
أنظري إلى عيني ... عيني أنا ؟

— ها أنا ذي نظرت ... فيه ... [illegible] عينيك ! تلعب في حاجبيك ؟ ! — أم إنك ساحرة ؟

— أأنا الساحرة أم الساحرة أنت ؟ أنا نظرت إليك ورقص حاجباي فوق عيني أثناء ما كنت أنظر إليك ، فلماذا ضحكت ، ولماذا قلت ما قلت ؟ لأن حاجبي رقصا ؟ [illegible] لو [illegible] أرقصته [illegible] رأيتها أحدثك ؛ أكنت ستضحكين ؟ أو عيني نظرت إليك وعبثت بأصابعي و [illegible] ... أكان هذا يضحكك ؟

— ولكن ذهب المواجب [illegible]

— وأين رأيت هذا الفن ؟ في شوارعي ؟ أترى جيشه أستاذنا كشكش ؟

— ليس حتماً أن يكون كل الفن الذي يحركنا الناس مسجلة في كتب وقواميس أو ما يلقى منه الأساتذة دروساً ومحاضرات في الجامعات .. بل إن هذه المسجل في الكتب والقواميس ، وهذا الذي يلقى في الجامعات والمدارس هو الأقل من الفن ، والأبعد عن حاجة الحياة ...

— أنا سألتك في هذا ... والآن قولي لي ... لماذا أنت إذا نظرت إلى عيني مرة كرهت سهمهما ومع هذا النظر العذب إليهما ... ولماذا أنت إذا نظرت إلى عيني أنا ضحكت ومع هذا الضحك العذب منهما ... تتركين ما يضحكك وتتطلعين إلى ما يحزنك ، لماذا ؟

— لأني أريد أن أعرف السبب ، بل إني لا أريد أن أعرف السبب أريد أن أعرف ما هذا الذي في العيون ينتقل منها إلى العيون الأخرى فينتقل معه أشياء من النفوس إلى النفوس الأخرى

— أما هذه فإنها ... هي انعكاسات روحانية أو نورانية تنبعث من نفس إلى نفس عن طريق منافذ الحس والعيون من أهم المنافذ ...

— وهل غير العيون للحس منافذ ؟

— نعم وإن كان لا يتخذ في هذا كثيراً إلا عند الحسد والنحس ، والإيمان ، والحظ ... وغير ذلك ... وغير ذلك ..

— دعنا من ذلك فإني أريد أن نبقى الآن في حديث العيون

— قبل أن أوضح لك هذا أقول لك للمرة الأولى لتسمعي هذا الأمر من فوق شفتيك بأن التعبير عنك من ضحك يأخذ من قلبك ... هو يخاطب فيك

— ولا شيء غير ذلك ؟

— الآن حلا لك أن تترك حديث العيون لتتحدث عن تلك الحكاية ؟ ... دعينا من هذه وعودي بنا إلى العيون وقولي لي بأي شيء تفسرين ما يفعله النساء في مصر من تبخير الأولاد لتصيبهم الأعين بسوء ؟ ...

— هذه خرافة من خرافات الجاهلات العجائز ليس لها علاقة بما نحن فيه

— بل هي علاج عما تفعله هؤلاء الجاهلات العجائز وهي ليست شيئاً غير ما نحن فيه ..

ألا تعرفين من يقولون إن فلانة أصابتها عين ؟

— هذا ما يعتقدون أن حسدة حسدتها . والذي أعرفه أنا من الحسد هو أن يتمنى إنسان زوال النعمة من إنسان آخر ، ولكني لست أدري كيف يتصورون أن أمنية عاطلة شريرة كهذه يكون في صدر إنسان حاسد كل هذا الأثر من الحسود ولأني أعجز عن تصور هذا أقول إن حديث الحسد والعين خرافة

وإن المشعوذين ، من الكوديات ، والمتعلقين بهن من مشايخ الزار دجالون يخدعون ضحاياهم ويبتزون أموالهم ... الناس بالوهم والتدجيل .

— إنك مخطئة ، فالحسد والعين لهما حقيقة ، ومشايخ الزار و « الكوديات » ليسوا جميعاً دجالين ، فمنهم الصادقون حقاً ويكفي منهم أيضاً علماء هيئتين التمكين منه علماً وعملاً وكهانة وسحراً ... تصوري « بهلواناً » ...

— ماذا ؟

— البهلوان الذي يمشي على الحبل ويطير في الجو من حلقة إلى حلقة ، ومن ... حلقة إلى حلقة ... الأخرى ؟ ... هذا « البهلوان » يقوم بألعابه هذه كل ليلة ، وهو لأنه مدرب عليها ومتمرن ... دائماً كما يرى دائماً كل حبل مدرب وكل لاعب متمرن . وإذا نظرت إلى هذا « البهلوان » ، وهو يقوم بألعابه هذه ترين أنه يأبى أن يسلم عينيه لنظرات الناس ، فهو إنما يحجب بنظره إلى لا شيء ، أو إلى عينين يحبهما ويطمئن إلى رجاحتهما ؛ أتدرين لماذا ؟ هو يخشى لو أنه تلقى نظرات الناس أن تلقي بها نظرات شكاً لا يبعث منها أخطر عليه من الفشل في لعبه ، والفشل في لعبه معناه الموت . والذي يخشاه من هذه النظرات الشكاكة ، هو أن ينتقل شكها منه إلى نفسه ، فيشك في نفسه ، فيتردد في حركاته ، فيختل توازنه في قفزة ، أو في خطة أو في سقطة ، فيهوي ، وكما يخشى هذه النظرات الشكاكة يخشى أيضاً النظرات الحاسدة التي ينعكس منها حرص تمني زوال هذه البراعة منه ، وهذا شيء يبعث في نفسه قوة تدفعه إلى الاقتناع معها بأن هذه البراعة لن تدوم عنه ، هذا إذا كان مؤمناً ، أما إذا كان في نفسه شيء من الضعف ، فإنه قد يسائل نفسه : أليس ممكناً أن تزول هذه القوة عني – وماذا أصنع إذن في رزقي ؟! ثم من يخبرني إذا كانت قد زالت فعلاً ، أو أنها لا تزال باقية ؟ ... وهذا الاضطراب وهذا الانشغال يستنفدان كثيراً من قوة « البهلوان » ومن جهده بعد أن كان يجمعه قوة كاملة ويجمعه كله إلى إتقان ألعابه ... فلا عجب بعد ذلك إذا هو فشل وهو غارق في هذه الوساوس ، فإذا فشل قالوا أصابته العين ، والعين أصابته فعلاً ، وهم يقصدون التحسير والتجريح والفوضى الحركية التي يعانيها في أثر لأنه بهذا يفقد أعصابه ويكف إرادته عن السيطرة على تفكيره ، فيهوي إليه وهو في هذه الحال

بأنه مسحور ، وبأن له حظوظاً ، وبأن الصلاة على النبي وآله ، وبأنه من أي سبيل من سبيل الاعتقاد قوى قادر يدفع له أن يقي بنفسه ولا يحوم مطلقاً إلى الشك فيها ، وألا يحوم مطلقاً إلى الخضوع لنظرة تشكك أو نظرة جاحدة . . . وكما تصيب الحين الإنسان العرم تصيب أيضاً تصيب الإنسانين ، حتى إذا تحابا وتبادلا الإخلاص والحب وحاولا حماية من حالات التعرض للريح الذي يتعرضان به ، رأيا حيناً تنظر إليهما نظرة مستفسرة عن هذا التعرض مصر مصممة على ألا تقرض فيه خيراً كثيراً في نفس كل منهما الشك في صاحبه والشك كسر يصيب ما بين المتحابين من ود ، ويجره صعب . . . والأصل نظرة تصبح في عقل الصائب ميزته المحب والعقل

— هذا كلام طيب ، ولكنه لا يزال بعيداً عن نظرة دراكولا ، ونظرة لاهور ، ونظرتك أنت المضحكة السخيفة

— بعد كل هذا الحب والشعر لا أزال بعيداً . . . إن نظراتنا جميعاً ، أنا ودراكولا ولاهور تسأل وتجيب عما تسأل عنه وتطلب وتأخذ الذي تطلبه في آن واحد . وكل ما بينها من فرق مرده إلى اختلاف الموضوعات التي تهتم بها . . . فدراكولا ينظر إلى فريسته وهو يقول أنا قوي ، وإلى جانب قوله هذا يسأل : وأنت ؟ وإلى جانب سؤاله هذا يجيب : ضعيفة . وإلى جانب إجابته هذه يطلب . هات دمك لي فحياتي أثمن من حياتك وأنى وأعد بحلائه وأظهر وأتمتع ، وهو إلى جانب ما يطلب هذا يأخذه . . . وهو يأخذه لأن فريسته لا تستطيع أن تمنعه . كنظرة القط إلى الفأر ، فالقط يقول بنظرته للفأر أنا أقوى منك وحياتي أطهر من حياتك وأنت ضعيف فتعال إلي لأكلك فأنا جائع ، فيلبي الفأر ، ونراه يعدو إلى القط بنفسه . كلمة الفأر أمام الفريسة تقول لها أنا زهرة نامية حية طاهرة متألقة فماذا أنت ؟ تعال إلي واحضر في نفس لمة ، والفرصة ومحبة والشكوى لي طعاماً . . . فتأتيها الفراشة منقادة . . . في سعادة وحب الطبيعة لتطلعك ترضيها على طاقات ترضى بها

— ولاهور ؟

— لاهور ينظر لفريسته بعينيه ، يقول لها : أنا جمال ، وأنت جمالة ، فتعالي كتمثال ما تميل إليه . . . لا تتكلمي ولا تترددي فأنت تريدين مثل الذي أريد . . . تعالي

— يا خبيث ، وأنت كيف تنظر بعينيك أثناء حديثك يكون

— ليس هذا سحري ، ولكنه لا يهمك إنه حديثي في بحثي البحث ، لا أجد الجد كله فيه . . .

— من عينيك . . .

— هذه النظرة أدعوها أنا نظرة . . . وفي احتقار المحبة المصونة ، ومطوعة للتكلم ، أنى لم أر في هذه النظرة حسناً وجمالاً ، وأني لو عدت إلى الإعجاب بها في ولي

— وعينه وجبهتك وغير ذلك وغير ذلك . .

— نعم . . . سكت وضعاً لا أحب أن أكرره . . .

— انظر لعينيك الآن في عينيك ويل كالتي في عيني دراكولا

— والآن في عينيك حنين يسبح تحت جلده . . . تعالي . . . ولا تخافي فلا تجمد عيناك ويشتد جلدك

— يا أنت

حسن أحمد الحسيني

---

**مجموعات الرسالة**

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشاً و ٤٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

## محاكمة أمام الأمير فريز الشعلان (*)

السلام على الأمير

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

— أنحن بحضرة الأمير فريز بن شعلان ؟

— إي والله ، وأنتم من ؟

— نحن من بني المعروف وجيرتنا الحجاز

— الله يحييكم ، أنتم وأهل حماة ، كيف حال الأطرش ( يريد أهالي مصانع الأطرش )

— هو بخير ، وهذا تحرير منه لكم

— تحرير ؟ إيه أبو علي والله إنه لحافظ العهود

ولكن يمرون بالحجاز ؟

... القريشة

الله يحييكم ، والله ، والله أكرم الضيوف ، وتنهدون عندنا إن شاء الله

الضيو ... وقتنا قصير ، ونأمل أن نعود بسرعة الشام

لا لا ، ستبدون وتمسون عندنا ، ومن يوم الثاني تريب ، نبدأ عندنا محكمة ( المحاكمة ) تجيء البدو من كل فج ، وبعد هذا العهد ومجدكم مبارك عليكم

— عندنا وعندك بالأمير

### المحاكمة

المدعي — صبحكم الله بالخير ، اليوم يوم الله اليوم يوم الحق ، اليوم يوم اليمين ، أبشر يا مدبوح ، تنصف يا ذبح ، اليوم يوم الله السلام على الأمير ، السلام على ابن شعلان ، السلام على شيخ العرب

الأمير — وعليكم السلام يا عرب ، الله أكبر ، الله أكبر ، علوا مجمعكم ( أي اقعدوا راحتكم )

المدعي — ... يدل بضربة ... ووالله هذي ، وسمال على الله وعلى ... ( ... ) ... ، والحق فوق الكل والحق من الله ، ... وسار إلى ... آخر — نعم ، ... ابني ... الشاهد ... اليمين ، فإما بريء ، وإما قاتل ، والقاتل مقتول

الأمير — ... اسم غريمكم ؟

المدعي — جديع ابن سعيد

الأمير — اسمعني يا جديع ، اسمع من سمعك ، أنت شمري وشيخ الشمرى ، ... اليمين ( اليمين ) إن كنت بريئاً برّأك الله ، وإن كنت قاتلاً فعلت العدل ، الحلف الحلف

المتهم — والله يا ... على من الله ، واليمين ... منها ... أحلف الرجل منها بعيد

الأمير — ... بالربع ، ... الراجل من البدو ... الصبد

المدعي — لا لا ، ... اليمين حتى غروب الشمس ( ... )

المتهم — بالربع ، ... ورسوله ، إلى ... بعير وجوزو من ... وتوضوا الله ، والتي ... ، ونحن أقارب وإخوان

الأمير — ... عندكم يا عرب ؟ ... بعير ... جنبه ... من ... ، واعقدوا الرأي حفار ... ( أي ... من الماضي والحاضر )

— ... يا ... ؟ ... ، والله ... ، ... ( ... أحدهم على الأرض ... المتهم ... ، ... حنان بن داود )

المدعي — والله يا عرب ما أنا ... دم ابني ... ، أريد من ... يكون ... حتى من قاتل ... ، ... يكون القاتل ... ، ( واليمين عندهم ... قعد الشاهد )

المتهم — ... من ... ، ... دم ابنك ، ولو كنت أنا القاتل ... ، ... الشرابات وأنت أخو الشرابات ...

المدعي — جديع ، ... بالشربات ؛ أنسيت من ؟

(*) الأمير فريز الشعلان أمير قبائل ... ، ...

المعنى ! ومع الذي عرفت لم ينل قلم الناس ، والله لا أرضى منك بسير الجبين ولو ملكتني كل حلال الشعراوات

النهم — وإني عليه ، أنا أحنف ، خطو الخطة ، أنا رابع أحنف ، أنا على درب الخطة ، يا عزة الله أنا رابع أحنف ، يا ساير حسب الله ، يا صوت وحد الجيران وجير من تصيل وأنا بري

الدعي — الجبين الجبين

النهم — اشهدوا يا عربه احموا يا الربع ، أنا بالحقة ، وحده عصاني وحده يجي

« وحق عطلوه ، والرب المعبود ، وحطة سليمان بن داود ، أنا ربيب والأمر ثقل » وأنا وجه ابن شعلان

( أي أنه هو أطفأ النار ، والأمر ثقيل ، وهو عودة النوري ابن شعلان وطالبه عندهم ثلاثون رمحا فقط ، وسعد رأى أن يبيع حنية القتيل ، ورأى أن يقتل ) نجيب المصراوي

## المواليد في العالم

يؤخذ من دائرة المعارف الاستعمارية الحديثة أن عدد المواليد في مصر ٩٣ في الألف ( المواليد ٨٢ ) ، وفي الهند الإنجليزية ٩٣ ، وفي الصين ٨٠ ، وفي سيلان ٦٦ ، وفي سوانيالا ٦٤ ، وفي أسبانيا ٦٣ ، وفي البرازيل ٦٠ ، وفي كولومبيا ٦٠ ، وفي البرتغال ٦٠ ، وفي شيلي ٣٩ ، وفي الأوروجواي ٣٩ ، وفي الأرجنتين ٣٧ ، وفي فنزويلا ٣٢

وفي الولايات المتحدة وإنجلترا وتشيكوسلوفاكيا والدانمرك واستونيا وبلجيكا يتراوح عدد المواليد بين واحد وعشرين في الألف

أما في سويسرا والدانمرك وألمانيا والسويد والنرويج ونيوزيلندا واستراليا وانكلترا ، فعدد المواليد أقل من واحد في الألف

## مستعمرات فرنسا

لفرنسا من المستعمرات ما تبلغ مساحته ١٢ مليون كيلو متر مربع ، فيها نحو ستين مليون نفس . ففي أفريقية الشمالية مراكش ، الجزائر ، تونس ، أفريقية الغربية ، وتشمل السنغال ، غينيا ، الشاطئ العاجي ، الداهومي ، السودان الفرنسي ، موريتانيا ، نيجر . وفي أفريقية الاستوائية : وتشمل أوبانجي شاري ، تشاد ، كمرون ، كونغو ، ثم جزيرة مدغشقر والصومال الفرنسي ، وجزيرة ريونيون

وفي آسيا : الهند الفرنسية وتشتمل على بوندشيري ، شاندرناجور ، وماهي ، وكاريكال ، وماهه ، والهند الصينية وتشتمل على كمبودج ، أنام ، تونكين ، لاوس ، ثم كوانجشو

وفي أمريكا : جزائر سان بيير وميكلان ، جزائر الأنتيل غيانا الفرنسية

وفي الأقيانوسية : جزر كاليدونيا الجديدة ، جزر هيبريدس الجديدة وغيرها من الجزر الصغيرة

وإذا جمعنا عدد سكان المستعمرات البريطانية والفرنسية بلغ ٦٠٠ مليون نفس أي نحو ثلث سكان العالم ومساحتها أيضاً تشمل ثلث مساحة اليابسة

## غلطة كلوك وسقوط باريس

كان فون كلوك قائد الجيش الألماني الذي زحف إلى باريس في أوائل الحرب الماضية ، وكاد يسقطها لولا وقفة المارن التي قلبت أمله . وقد نقلت إلينا إحدى الصحف الفرنسية عن الجنرال كلوك حديثه الذي أدلى به بعد هزيمته في تلك الواقعة التاريخية ، قال :

« أنا لا أنكر خطة الزحف إلى باريس كما قيل ، إذ لم يخطر على بالي أن سقوط العاصمة الفرنسية يؤدي إلى إخضاع فرنسا وإجبارها على التسليم ، بل كنت أعتقد أن هزيمة فرنسا في ميدانها هو السبيل الوحيد إلى إخضاعها ، وأن غيرها لا يهم إلا باحتلال ميدانها

كان الإمبراطور يحوم مصغياً على الزحف المتواصل ، لكي نستولي على باريس ونضرب معنويات الفرنسيين في الصميم ، وقد أعد مدفعاً ألمانياً كبيراً مساحته ١٠ متر مربع ليرمي على برج إيفل عند احتلال باريس ، وكان الوعد المقرر لسقوطها في الثاني من سبتمبر غير أن الحرب ظهرت في الجيش الفرنسي أنقذت عاصمته وأخطأت خططنا ، فقد كشف طيارونا وكشافتنا أن ذلك الجيش الذي كنا نظنه مهزوماً محطماً من القتال قد أعيد تنظيمه بسرعة عجيبة واستعاد حركته ووحدة مكانه ، ونية المقاتل الذي يؤثر الموت على التراجع

ما كنت أتوقع قط أن رجالاً يتقهقرون أمامنا عشرة أيام متواصلة يتحولون بين يوم وآخر إلى جبابرة لا تزحزح عن أماكنها ، ذلك هي المعجزة التي لم يرو مثلها التاريخ الحربي ! »

## من ذكريات الحرب الماضية — وزارة فرنسا في الحرب

كتب مسيو بوانكاريه في مذكراته اليومية بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٤ ما يلي : « عرفت اليوم من الجرائد أن مدافع الألمان ما زالت منذ صبح أمس تضرب بور أنسون ، وعلمت أن وزير الحربية يجهل ذلك ، وقد ألححت عليه أن ينبه بحمله رئيس أركان الحرب إلى إهمالها »

وكتب بتاريخ ١٦ أغسطس : « ما أزال بين الشك والقلق والانتظار فلا أعرف من الحركات الحربية في جبهة القتال إلا القدر اليسير مما يجلبه إليَّ المسيو ... وقد أشير عليَّ بزيارة ... وزير الحربية فاستصوب فكرتي ، ولكنه رأى من واجبه أن يستشير أولاً أركان الجيش العمومية التي لم ترغب في إغاثة العاصمة خشية حدوث شيء ... ورأيي كأحد أولئك الذين يشكون الذين يلصقون أيديهم في الحول والصحة للجيش فهو ... صاحب الكلمة العليا ولا مندوحة لي عن السكوت والانتظار »

وفي ذلك الأثناء جاء كليمنصو رئيس الجمهورية وشكا إليه أن أركان الجيش تخفي أخبار الجيوش الفرنسية وتدبر الحرب وحدها ، وأبلغه أن الألمان أسروا عدداً فرنسياً بأسره وتكلموا بأمر ، فقال بوانكاريه إنه يجهل كل ذلك ، لأن أركان الجيش لا تحدثه بشيء مما يجري في ميادين القتال ، ثم قال : « لقد طالبت مراراً فما كنت أجاب إلا بالسكوت »

وكان موقف فرنسا يزداد حرجاً يوماً بعد يوم ، فالألمان في بلجيكا كانوا يتقدمون بسرعة ، والإنكليز تراجعوا حتى ... والجنرال جوفر أمر جيوشه بالانسحاب

وفي ذلك يقول بوانكاريه في مذكراته : « أردت وأنا بعيد عن ميدان القتال أن أسهم في « الاتحاد المقدس » بتأليف وزارة جديدة تتسع للنزاع الشخصية والمشاكسات السياسية إلى فيفياني ( رئيس الوزارة يومئذ ) فعهد بجيوش من المطامع ، وقدم كل من المرشحين للوزارة الجديدة بعض أسماء يستطيعون ... وأراد فيفياني أن يصرح بأنه لا يجيز وزيراً للحربية لا يكون على اتصال مباشر بالجيش المحارب »

وأراد أن يعتمد وزير البحرية أن يعمل مسيو ... على الاستقالة من وزارة الحربية ، فتظاهر بالإصغاء إلى صحته ... بلهجة تجمع بين الحدة والصداقة : « إني ولا أكل البعيد عليك ، وأنصح لك نصيحة طبيب أن تترك منصبك الشاق الخطير في هذه الأيام الشديدة السواد » فوقع هذا الكلام في نفس الوزير موقع الرصاص ، فاستقال من منصبه ، وذهب إلى ساحة القتال يقود أحد الجيوش

وذكر بوانكاريه أيضاً في مذكراته « طالب المسيو ... وزارة العدل ، فعرض له عرضه المسيو ... بوصفه رجلاً مثال المروءة والإخلاص ، وطالب ... وهو أكثر شغفاً من وزارة الخارجية ؛ وقد أسمعني الكلام التالي : « إني لا أحمي تأثيراً كبيراً لا يستطيع أحد إنكاره ، لقد كانت سياستي التي دعت إلى الانضمام إلى ... وسكن انتصرت أخيراً ، أنا الذي أوجد الاتفاق مع انكلترا ، وأنا الذي عقد المحالفة مع روسيا ولا عجب أن تضطلع بدورها في كل مدنية » إلى ... حسابات وطنية ... لا تنكر ، وكان ... ألا يذكرها في ذلك الوقت الحرج الذي كان يتطلب التضحية قبل كل شيء ، ولكنه أبى إلا وزارة الخارجية التي كان يديرها بجدارة ... المسيو ... موضع الفرنسي الصادق ، وشاء فيفياني إذ ذاك أن يتنازل له عن رئاسة الوزارة ، فقال له ... :

— إني ... 

فأجاب فيفياني :

— إن أعتقد ... ولا يأس أن يعزى ذلك إلى عدم كفايتي في ... الحاضرة لا ... الطبعة ولا ... »

وقد أثر في كلام فيفياني كثيراً إذ دل فيه على شخصية كبيرة وإخلاص وطني بالغ ... أن ... مثالاً ...

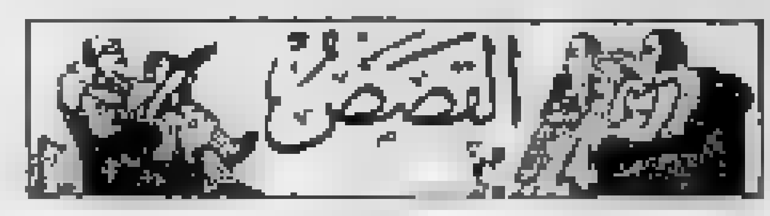


# عرس القـــرية

للأستاذ محمد سعيد العريان

---

كانت «راجية» تعلم أنها مفارقة المدينة غداً ، ما من ذلك بُدّ ؛ لقد حاولت ما حاولت أن تمدّ الأجل إلى الرحيل فلم تظفر بطائل ، واقتنت في الاحتجاج رأيها ما اقتنت فلم يستمع لها أحد ؛ وأجمعت الأسرة أمرها على السفر إلى الريف تتكون بنجاة من ويلات الحرب ... حقاً أيكون الريف أبعد من المدينة من ويلات الحرب ؟ هكذا زعم أبوها وأخوها ويئس رأيها معارضة ...

ورفعت راجية آخر سهم في كنانتها فاستطعمت الدمع والتوسل ، وتماسكت من ضعف وخَوَر ، وقالت وتشكي : يا أبي ، إن الوطن على حقاً يقتضيني الوفاء ... ليس من المروءة أن أفر والوطن يدعون إليه ... ترى أن أبي لأقوم بواجبي في التمريض والإسعاف إذا لم تكن لي طاقة بحمل السلاح للدفاع والمقاومة ، يدلني ...

وقاطعها أبوها : نعم ، يدي ، ولكن واجبك هناك ، في القرية ! إن بصويحباتك وأخواتك هناك في حاجة إلى التمريض والإسعاف أكثر من جرحى الحرب !

وابتسم ابتسامة خابية ! لقد كان من رأى حالة هي في رخوتها وضعف احتمالها ؛ ولكنه يقاوم ضجة بضجة ...

وصمتت الفتاة برهة وهي تنقل النظر بين أبيها وأخيها وأمها ، ثم همّت أن تتكلم حين ارتفع صوت المذيع يبثّ أنباء الحرب في الميدان القريب ، ثم سكت ، وتلاشى الصّدى في الغرفة الساكنة على أربع أنفس قلقة مضطربة تتنازعها أمور ؛ وجل وآمال على مقبلة وحسرة ورغبة ... وقال الفتى بعد صمت ، لقد بدأت الغارة ! ما بدأ من انظاما ؟

وحدثت أمه في وجهها مسرورة ... وقالت ؛

أتسمع ...

قال : صلاح ؟ ؛ سمع أبي الآن فرص على ...

أنها الوفاة ؟

وأطرق أبوه وعمه عشاء وعم الجميع الصمت ... وشعرت راجية لأول مرة أنها بإزاء أمر خطير يقتضيها أن تفكر في هدوء وروية ... وهات تنظر إلى أبيها وأخيها وفي عينيها سؤال ليس معها جوابه ، وأحست إحساس المفارق يودع أحبابه إلى حيث لا يدري متى يكون اللقاء ؛ ووحدت ساعتها إلى المخدع فأسرعت إلى خدرها !

● ● ●

وأغمضت راجية عينيها واستيقظت ذكرياتها وأحلامها ، فتمالكت عليها الرؤى والأحلام ، ثم أصبحت ... ونسيت ما كان من حديث الأمس ومن حيرة ؛ فلم تعد تذكر شيئاً إلا أنها مفارقة المدينة بعد قليل لأمور لا تكاد تعرف له وجهاً ولا علة ، وأنها لن تذهب إلى المسبح بعد اليوم ، ولن تلقى أصدقاءها وصديقاتها ، ولن تستمتع بما كانت تستمتع من الفرح حين كانت تخرج كل يوم إلى رياضتها بين حدائق الجبرة والجزيرة ومصر الجديدة ، وحضرتها صورٌ عدة ، وانثالت عليها ذكريات ... وذكرت ... إن ثيابها الجديدة ما تزال عند الخياطة لم تخرج منها بعد ، وقد كانت حقيقة بأن تخرج منها منذ أيام ، ولولا أن راجية كانت تؤثر التروي في تفصيل ثيابها وتريد أحدث الأزياء فتنفق فيها ... متى تصل اليوم ؟ أمن الحرب ؟ ولولاها لكانت اليوم - على عادتها في كل صيف - جالسة تحت الشمسية المظللة على شاطئ «سيدي بشر» ، أو رافعة عنقها في معرض ... بين كليوباترا وشط ستانلي ؛ ولكن الإسكندرية اليوم منطقة حرام ، فليس فيها ما تقطر بصره بين الثوب الأحمر من أهل ساحته على شاطئ «العريان» ؛ ومن ذي يحاول أن تشتري بصرها كلمة الإعجاب من شاب طائش تستهويه زينتها وفتنتها ؟!

... ثم ذكرت القرية ... إنها لتعتقد كم لم تذهب راجية إلى القرية ؟ القرية التي نشأ فيها وعمّت أبناءها وما تزال تتداولهم بخيرها وبرّها الدائم ؛ أعجب ما تلقى منهم من العقوق ونكران الجميل ! لقد عاشت راجية القرية مقسومات بينه وبين ... لا تكاد تذكرها

أو سمها تذكره وتشكره لئلا يكون ذلك عبئاً على عمرها الذي تحرص على كتمانه ... ثم تذهب راجية بعد ذلك إلى القرية التي قضت فيها طفولتها، إلا صبية [illegible] أيامها في موسم المصايف؛ وكانت يومئذ فتاة في أول صحوة الشباب، فما كادت تهبط القرية حتى دنت ساعة الرحيل، ثم لم تعد! فكيف يدعوها اليوم أن تهيئ نفسها لإقامة طويلة هناك، لا تدري متى تنتهي، وكيف تنتهي!

وضاق صدر الفتاة، وخيل إليها أن يداً تشد على رقبتها تضغطها أن تنقضي، وكان أمرها في حجرتها بعد طلاق العمر!

* * *

وأصبحت الفتاة وبيتها وخرجت لأمر من أمرها، ولم تنس أن تنظر في صندوق البريد قبل أن تغادر البيت؛ وكانت الظهيرة حامية، والشمس تفرش الشوارع من أشعتها الحمراء، وقد خلت مركبة الترام إلا من الموظفين العائدين إلى بيوتهم يتأبطون صحفاً وأضابير من أوراق الحكومة، أو يحملون إلى أهليهم من الفاكهة والحلوى، أو من الفحم والطرشي ....

واتخذت الفتاة مقعدها في الترام، وثمة عينان تتطلعان من مقعد قريب، وكانت في صفة تجيب وما يصطرع في قلبها من الهم .. حتى عيناك ترعيانها وترقبانها

وتاحت الفتاة أن تهبط من الترام عند بيت خليلها، فنظرت وعرفت؛ فلفتت رأسها وانفرجت وجنتاها حياء، ثم مضت في طريقها لا تكاد تحملها رجلاها ...

وأحست أن ما فيها ذكرى ونار، وأطياف من أمل [illegible]

وحاولت الفتاة أن تحضر صورته من خيالها [illegible] وكأنما [illegible] في تلك اللحظة على غير ميعاد ليكون آخر ما يصحبها إلى القرية من صور المدينة!

.. لم يكن [illegible] الذي تأمل، ولكنها كانت قطعة! لقد كانت تعلم من أمره ما يحسبه هو سراً من سره، فإنه [illegible] لا تستطيعان السكون، [illegible] من صمت لا يبوح به لسانه ولا طاقة له به؛ على أنه لم يستطع بكل ما أطاق من قوة القلب أن يشغلها بأمره، ولا هو حاوله! ولكنها كانت تعرفه، وتحس وقع نظراته؛ وكان ذلك حسبه وحسبها! فإنها لتكبر نفسها [illegible] أن يفضي إليها بما عنده، وإنها لترى

كل يوم من [illegible] وتسمع ما تسمع [illegible] كل يوم [illegible] ما يشهد ويعلم به في الليل .. كل ذلك [illegible] التي لا [illegible] نهارها حين تغيب الشمس [illegible] أن [illegible] أمانيها وأحلامها؛ كأنما [illegible] إلى أجل غير مسمى!

* * *

لم يكن راجية تعرف من الفرق بين القرية والمدينة إلا هذه الأضواء الساطعة، وتلك الملاهي الساهرة، ثم صديقات ثلاث تزورهن كل يوم ويزرنها، ليس لهن من حديث إلا عن الأزياء والسهرات وأخبار الشبان والفتيات، وأشتات من هذه الحياة التي كانت لها آمالاً وأحلاماً تراودها وتشاغلها في يقظتها وفي منامها؛ وحين جاءتها [illegible] بأن [illegible] يطلب إليها أن [illegible] التي تهبط إليها على مقربة [illegible] في الطلب [illegible] وحرصت من يومئذ على أن تعرف ما لا يعرف إلا القليل من طبقات الموظفين ودرجات الوظائف وسلالم الترقية بشكل [illegible] ثم مضت تسترسل في أمانيها وحلقت [illegible] تقع عينيها كل منظر [illegible] أعجبها كل ما [illegible] فاجتمع لها من المعارف [illegible] من أمر المدينة ما يخيل إليها أنها أوشكت أن [illegible]

وعلى حين غفلة [illegible] يدعوها إلى الرحيل!

* * *

وذهبت الأسرة إلى القرية التي [illegible] منذ سبع عشرة سنة لتحيا حياة جديدة بين أنوار المدينة؛ لقد هجروا القرية يوم هجروها أربعة نفر، وعادوا إليها ثلاثة، وخلفوا رابعهم هناك [illegible] ينتظر الأسرة التي [illegible] الوطن ليظل [illegible]

وأسندت راجية [illegible] من وراء جدار [illegible] روح النشاط والفتوة [illegible] وأومض في [illegible] ثم ارتدت من النافذة

يا لله! وفي القرية كثير من مثل هذا المسكين [illegible] في ثوب [illegible] أن يخطفه [illegible] الريح [illegible] عيناً وريب! [illegible]

ثم غابت أنواع الفلاحين [illegible]

وأمانيهم ، قد أوقرت شعورهم بما يحملون ، ومضى القطار إلى غايته ...

ووجمت راجية ما يشغلها ، فمشت شيئاً يشي ، وصدى ... الأول ومن ذكرى ... ولما جلست في المساء على حافة القناة بين رفيقات من بنات القرية يسامرنها ويحدثنها ، أحست في نفسها خفة جديدة تمرح بها ... ورأت في حديث هؤلاء القرويات روحاً ومعنى غير ما كانت تجده من حديث صويحباتها في المدينة ...

وأشرق القمر عليها وعليهن وذهب في هذه القناة شعاعه ، ونظرت إلى صويحباتها ونظرن إليها ، كأنما سكب القمر على قلبها من شعاعه الطهور شيئاً مما فيه ، وأحست حباً من الحنان والحب يسري في بدنها ... إلى قلب ... إلى ...

وذكرت كلمة أبيها :

« نعم يا بنتي ... ولكن واجبك هناك ... إن إخوتك وأخواتك في القرية أحوج إلى الحرص والإحسان من غيرهم المترفين ... »

بلى ، وإنها لتشعر الساعة بثقل هذا الواجب على عاتقها أكثر مما شعرت في حياتها منذ كانت ... علينا لهؤلاء المساكين من الإرشاد والمعونة بقدر ما عندك ... من مال وما يعمر قلبها من الحب

وتملكت راجية منذ ... هذه الشعور الجديدة فأصبحت فتاة غير من كانت .

وأحبت القرية أكثر مما كانت تحبها ، حتى لو أن أحداً راودها أن تعود إلى المدينة لأبت ، وتزينت لها القرية زينة عروس ... بكل ما تحب ...

وصحت أيام ، وجدت « صلاح » إلى أبيه

« أبي ...

« ... وكل شيء هادئ ، فليس ثمة خطر مما توقعت أن يكون

« وإني لأخشى أن يكون حياة القرية بحيث لا تطيب لكم فيها الإقامة ، فبنت رأيت ... »

وقرأ الأب رسالة ... قصيراً ... كان يقدر — وهو وليد القرية منذ كان — أنه يستطيع أن يعود إلى ... فيعيش في ظلها ... أو ... حتى ... الطاعة ... السلام

وانقل ثمة إلى المدينة ، ولكن ... ما ... تمضي الأيام والليالي ولا تمضي أيام .

واجتمعت الأسرة حول مهدها تفكر وتدبر ، وقالت ... أبي ... ولكن المدينة ...

وقاطعها أبوها : لا يا بنيتي ، لقد كنا مخطئين في تقدير الأمور ، وأظن خيراً لك أن تعود ... !

• • •

ولكن راجية لم تعد إلى المدينة ، ولم يعد أبوها ، لأن شيئاً جديداً أصبح عليهم في القرية ففطنوا للاستقالة (?)

لقد أجمع « ماجد » رأيه على أمر ، فكتب إلى الأسرة يبشرها في القرية ، وكان معه صلاح

وتحلق حول المائدة ثلاثة نفر يتشاورون في أمر ذي بال وقال ماجد ، وقال صلاح ، وقال أبوه ؛ وتركوا لراجية أن تقول الكلمة الأخيرة ؛ وقالتها ، واتجهت عيناها إلى الجيران تتعاونون (?) الزغاريد من حلق إلى حلق

وقال الفتى لفتاته ، والأمر في يده ... من بعد : فلئن شئت كان العرس في المدينة ، فإني لأعرف كيف تريدينه أن يكون ، وإني ليسرني أن أرضيك ...

وابتسمت راجية وقالت : شكراً يا عزيزي ، ولكني حريصة كل الحرص على أن تكون صديقاتي جميعاً إلى جانبي ، هنا ، وأن يشاركننا جميعاً في الفرح والمسرة !

قال ماجد : إنهن ... ولكن ... أين ... ؟

قالت : لا عليك يا عزيزي ؛ ماذا تحسب ! ... إن صديقاتي اللاتي أعني يلبين الدعوة مسرعات ولو كان موعدها غداً

قال : غداً ؟

قالت : نعم ، والليلة إن أردت ، أتمنى غير بعيد !

• • •

واحتفلت القرية كلها بعرس راجية ، لم يتخلف منها أحد لم تكن هناك زينات ، ولا أعلام ، ولا سرادق منصوب ، ولا موسيقى عزف ، ولا مطرب يغني ، ولكن رجالاً أربعة كانوا جلوساً إلى مصطبة ... في دوار العمدة ، يشرفون على توزيع ... جميعاً على أهل القرية ، احتفالاً بزفاف راجية ... أولئك أصدقاؤها وصديقاتها ، لم تنس أحداً منهم ، ولم يتخلف عن دعوتها أحد !

محمد سعيد العريان

# فهرس الموضوعات بالمجلد الأول من السنة الثامنة

## فهرس الكتاب المجلد الأول من السنة الثامنة